الجزء الرابع من تفسير
روح البيان

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفتح سبع وعشرون اية مدنية بلاخلاف نزلت فى رجع رسول الله عن مكة عام الحديبية وقال الزهرى نزلت سورة الفتح من اولها الى آخرها بين مكة والمدينة فى شان الحديبية قال البقاعى نزلت بضجنان بفتح الضاد المعجمة والجيم والنونين * فى القاموس ضجنان كسكران جبل قرب مكة وفى انسان العيون نزلت بكراع الغميم وهو موضع على ثلاثة اميال عسفان وهو كعثمان موضع على مرحلتين من مكة فان قلت اذالم تنزل بالمدينة كيف تكون مدنية قلت المدنى فى الاصطلاح مانزل بعد الهجرة نزل بالمدينة اوغيرها كما ان المكى مانزل قبلها كما فى حواشى سعدى المفتى (انا فتحنا لك) فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة اوصلحا بحرب اوبدونه فانه مالم يظفر منغلق مأخوذ من فتح باب الدار قال فى عين المعانى الفتح هو الفرج المزيل للهم لان المطلوب كالمنغلق فاذا نيل انفتح وفى المفردات الفتح ازالة الاغلاق والاشكال وذلك ضربان احدهما يدرك بالبصر نحو فتح الباب والغلق والقفل والمتاع نحو قوله ولما فتحوا متاعهم والثانى مايدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو ازالة الغم وذلك ضربان احدهما فى الامور الدنيوية كغم يفرج وفقر يزال باعطاء المال ونحوه والثانى فتح المستغلق من العلوم نحو قولك فلان فتح من العلم بابا مغلقا انتهى واسناده الى نون العظمة لاسناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد فتح مكة وهو المروى عن انس رضى الله عنه بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضى على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لامحالة تأكيدا للتبشير كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق كذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه مالايخفى وحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لاخصوصية المفتوح قال الامام الراغب انا فتحنا لك يقال عنى فتح مكة ويقال بل عنى مافتح على النبى عليه السلام من العلوم والهدايات التى هى ذريعة الى الثواب والمقام المحمود التى صارت سببا لغفران ذنوبه انتهى وسيجيئ غيرهذا (فتحا مبينا) اى بين ظاهر الامر مكشوف الحال اوفارقا بين الحق والباطل وقال بعضهم المراد بالفتح المبين هو الصلح مع قريش فى غزوة الحديبية وهى كدويهية وقد تشدد بئر قرب مكة حوسها الله تعالى اوشجرة حدباء كانت هنالك كما فى القاموس سمى المكان باسمها وسببها انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فى المنام انه دخل مكة هو واصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين اى بعضهم محلق وبعضهم مقصر وانه دخل البيت واخذ مفتاحه وطاف هو واصحابه واعتمروا فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا ثم اخبر اصحابه انه يريد الخروج

(للعمرة)

للعمرة فتجهزوا للسفر وخرج عليه السلام بعد ان اغتسل ببيته ولبس ثوبين وركب راحلته القصوى من عند بابه
ومعه الف واربعمائة من المسلمين على الصحيح وابطأ عليه كثير من اهل البوادى خشية قريش وساق
عليه السلام معه الهدى سبعين بدنة وكان خروجه يوم الاثنين غرة ذى القعدة من السنة السادسة من الهجرة
فلما وصل الى ذى الحليفة وهو ميقات المدنيين صلى بالمسجد الذى بها ركعتين واحرم بالعمرة واحرم معه غالب اصحابه
ومنهم من لم يحرم الا من الجحفة وهو ميقات اهل الشام وانما خرج معتمرا ليأمن اهل مكة ومن حولها من حربه
وليعلموا انه عليه السلام انما خرج زائرا للبيت فلما كان الاصحاب فى بعض الحال اقبلوا نحوه عليه السلام وكان
بين يديه ركوة يتوضأ منها فقال ما لكم فقالوا يا رسول الله ليس عندنا ماء نشرب ولا ماء نتوضأ منه الا فى ركوتك
فوضع رسول الله يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه الشريفة امثال العيون فشربوا وتوضأوا حتى
قال جابر رضى الله عنه لو كنا مائة الف لكفانا وهو اعجب من نبع الماء لموسى عليه السلام من الحجر فان نبعه من الحجر
متعارف معهود واما من بين اللحم والدم فلم يعهد وانما لم يخرجه عليه السلام بغير ملامسة ماء تأدبا مع الله لانه
المنفرد بابداع المعدومات من غير اصل وارسل عليه السلام بشر بن سفيان الى مكة عينا له فلما كانوا بعسفان جاء
وقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بخروجك فلبسوا جلود النمر اى اظهروا العداوة والحقد واستنفروا
من اطاعهم من الاحابيش وهى قبيلة عظيمة من العرب ومعهم زادهم ونساؤهم واولادهم ليكون ادعى لعدم
الفرار وقد نزلوا بذى طوى وهو موضع بمكة مثلث الطاء ويصرف كما فى القاموس يعاهدون الله ان لا تدخلها
عليهم عنوة ابدا فقال عليه السلام اشيروا على ايها الناس اتريدون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه وقال
المقداد يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنوا اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا
قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فقال عليه السلام فامضوا على اسم الله فساروا ثم قال
هل من رجل يخرجنا عن طريق الى غير طريقهم التى هم بها فقال رجل من اسلم وهو ناجية بن جندب
انا يا رسول الله فسلك بهم طريقا وعرا ثم افضوا الى ارض سهلة ثم امر رسول الله ان يسلكوا طريقا يخرجهم
على مهبط الحديبية من اسفل مكة فسلكوا ذلك الطريق فلما نزلوا بالحديبية نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة ماء
فاشتكى الناس الى رسول الله العطش وكان الحر شديدا فاخرج عليه السلام سهما من كنانته ودفعه الى البراء
ابن عازب وامره ان يغرزه فى جوف البئر او تمضمض رسول الله ثم مجه فى البئر فجاش الماء ثم امتلأت البئر فشربوا
جميعا ورويت ابلهم وفى التفاسير ولم ينفد ماؤها بعد وفى انسان العيون فلما ارتحلوا من الحديبية اخذ البراء السهم
فجف الماء كأن لم يكن هناك شئ فلما اطمأن رسول الله بالحديبية اتاه بديل بن ورقاء وكان سيد قومه فسأله ما الذى
جاء به فاخبره انه لم يأت يريد حربا انما جاء زائرا للبيت فلما رجع الى قريش لم يسمعوا وارسلوا الحليس بن علقمة
وكان سيد الاحابيش فلم يعتمدوا عليه ايضا وارسلوا عروة بن مسعود الثقفى عظيم الطائف ومتمول العرب ولما قام
عروة بالخبر من عنده عليه السلام وقد رأى ما يصنع به اصحابه لا يغسل يديه الا ابتدروا وضوءه اى كادوا
يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه اى يدلك به من وقع فى يده وجهه وجلده ولا يسقط من شعره شئ
الا اخذوه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه تعظيما له فقال يا معشر قريش انى جئت
كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى اصحابه اخاف
ان لا تنصروا عليه فقالت له قريش لا تتكلم بهذا يا ابا يعفور ولكن نرده عامنا هذا ويرجع من قابل وقال ما اراكم
الا ستصيبكم قارعة ثم انصرف هو ومن معه الى الطائف واسلم بعد ذلك ودعا عليه السلام خراش بن امية الخزاعى
فبعثه الى قريش وحمله عليه السلام على بعيره يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله
وارادوا قتل خراش فمنعه الاحابيش فخلوا سبيله حتى اتى رسول الله واخبره بما لقى ثم دعا رسول الله عمر بن الخطاب
رضى الله عنه ليبلغ عنه اشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله انى اخاف قريشا على نفسى وما بمكة من بنى عدى
ابن كعب احد يمنعنى وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن ادلك على رجل اعز بها منى عثمان بن عفان
رضى الله عنه فان بنى عمه يمنعونه فدعا عليه السلام عثمان فبعثه الى اشراف قريش يخبرهم بالخبر وامر
عليه السلام عثمان ان يأتى رجالا مسلمين بمكة ونساء مسلمات ويدخل عليهم ويخبرهم ان الله قرب ان يظهر دينه
بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان فخرج عثمان رضى الله عنه الى مكة ومعه عشرة رجال من الصحابة باذن رسول الله

لم يردوا اليهم هنالك فاتى عثمان قبل ان يدخل مكة ابان ابن سعيد فاجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله وجعله بين
يديه فاتى عظماء قريش فبلغهم الرسالة وهم يردون عليه ان محمدا لا يدخل علينا ابدا فلما فرغ عثمان من تبليغ
الرسالة قالوا له ان شئت فطف بالبيت فقال ما كنت لافعل حتى يطوف رسول الله وكانت قريش قد احتبست عثمان
عندها ثلاثة ايام فبلغ رسول الله ان عثمان قد قتل وكذا من معه من العشرة فقال عليه السلام لا نبرح حتى نناجز
القوم اى نقاتلهم فامره الله بالبيعة فنادى مناديه ايها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله
فثاروا الى رسول الله وهو تحت شجرة من اشجار السمر بضم الميم شجر معروف فبايعوه على عدم الفرار وانه اما الفتح
واما الشهادة وبايع عليه السلام عن عثمان اى على تقدير عدم صحة القول بقتله فوضع يده اليمنى على يده اليسرى
وقال اللهم ان هذه عن عثمان فانه فى حاجتك وحاجة رسولك وسيجيئ معنى المبايعة وقيل لها بيعة الرضوان لان الله
تعالى رضى عنهم وقال عليه السلام لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة وقال ايضا لا يدخل النار من شهد بدرا
والحديبية واول من بايع سنان بن ابى سنان الاسدى فقال للنبى عليه السلام ابايعك على ما فى نفسك قال
وما فى نفسى قال اضرب بسيفى بين يديك حتى يظهرك الله او اقتل وصار الناس يقولون نبايعك على ما بايعك عليه
سنان (روى) ان عثمان رضى الله عنه رجع بعد ثلاثة ايام فبايع هو ايضا وكان محمد بن مسلمة على حرس رسول الله
فبعث قريش اربعين رجلا عليهم مكرز بن حفص ليطوفوا بعسكر رسول الله ليلا رجاء أن يصيبوا منهم احدا
ويجدوا منهم غرة اى غفلة فاخذهم محمد بن مسلمة الا مكرزا فانه افلت واتى بهم الى رسول الله فحبسوا وبلغ قريشا
حبس اصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل من المسلمين ابن زنيم رمى بسهم فاسر المسلمون
منهم اثنى عشر رجلا وعند ذلك بعثت قريش الى رسول الله جماعة فيهم سهيل ابن عمرو فلما رآه عليه السلام قال لاصحابه
سهل امركم وكان يحب الفأل بمثل هذا فقال سهيل يا محمد ان ماكان من حبس اصحابك اى عثمان والعشرة وما كان
من قتال من قاتلك لم يكن من رأى ذوى رأينا بل كنا كارهين له حين بلغنا ولم نعلم وكان من سفهائنا فابعث الينا من
اصحابنا الذين اسروا اولا وثانيا فقال عليه السلام انى غير مرسلهم حتى ترسلوا اصحابى فقالوا نفعل فبعث سهيل
ومن معه الى قريش بذلك فبعثوا من كان عندهم وهو عثمان والعشرة فارسل رسول الله اصحابهم ولما علمت قريش
بهذه البيعة كبرت عليهم وخافوا أن يحاربوا واشار اهل الرأى بالصلح على أن يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثا
فبعثوا سهيل بن عمرو ثانيا ومعه مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى الى رسول الله ليصالحه على ان يرجع من
عامه هذا لئلا يتحدث العرب بأنه دخل عنوة ويعود من قابل فلما راه عليه السلام مقبلا قال اراد القوم الصلح
حيث بعثوا هذا الرجل اى ثانيا فالتأم الامر بينهم على الصلح وان كان بعض الاصحاب لم يرضوا به فى اول الامر حتى
قالوا علام نعطى الدنية بفتح الدال وكسر النون وتشديد الياء النقيصة والخصلة المذمومة فى ديننا وهم مشركون
ونحن مسلمون فأشار عليه السلام بالرضى ومتابعة الرسول ثم دعا عليه السلام عليا فقال اكتب بسم الله الرحمن
الرحيم فقال سهيل لا اعرف هذا اى الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم فكتبها لان قريشا كانت تقولها ثم قال
رسول الله اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك
ولم اصدك عن البيت ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه امح رسول الله فقال والله
ما امحوك ابدا فقال ارنيه فأراه اياه فمحاه رسول الله بيده الشريفة وقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
سهيل بن عمرو وقال انا والله رسول الله وان كذبتمونى وانا محمد بن عبد الله وكان الصلح على وضع الحرب عن الناس
عشر سنين يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض ومن اتى محمدا من قريش ممن هو على دين محمد بغير اذن وليه
رده اليه ذكرا كان او انثى ومن اتى قريشا ممن كان مع محمد اى مرتدا ذكرا كان او انثى لم ترده اليه وسبب الاول ان
فى رد المسلم الى مكة عمارة للبيت وزيادة خير له فى الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت فكان هذا من تعظيم
حرمات الله وسبب الثانى انه ليس من المسلمين فلا حاجة الى رده وشرطوا انه من احب أن يدخل فى عقد محمد
وعهده دخل فيه ومن احب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه وان بيننا وبينكم عيبة مكفوفة اى
صدورا منطوية على ما فيها لا تبدى عداوة بل منطوية على الوفاء بالصلح وانه لا اسلال ولا اغلال اى لا سرقة
ولا خيانة قال سهيل وانك ترجع عامك هذا فلا تدخل مكة وانه اذا كان عام قابل خرج منها قريش فدخلتها
باصحابك فأقمت بها ثلاثة ايام معك سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس لا تدخلها بغيرهما وكان المسلمون

لايشكون فى دخولهم مكة وطوافهم بالبيت ذلك العام للرؤيا التى رآها رسول الله فلما رأوا الصلح وما تحمله رسول الله فى نفسه دخلهم من ذلك امر عظيم حتى كادوا يهلكون خصوصا من اشتراط ان يرد الى المشركين من جاء مسلما منهم وكانت بيعة الرضوان قبل الصلح وانها السبب الباعث لقريش عليه ولما فرغ رسول الله من الصلح واشهد عليه رجالا من المسلمين قام الى هديه فنحره وفرق لحم الهدى على الفقراء الذين حضروا الحديبية وفى رواية بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية رضى الله عنه حتى نحرت بالمروة وقسم لحمها على فقراء مكة ثم جلس رسول الله فى قبة من اديم احمر فحلق رأسه خداش الذى بعث الى قريش كما تقدم ورمى شعره على شجرة فاخذه الناس تبركا وأخذت ام عمارة رضى الله عنها طاقات منه فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرأ باذن الله تعالى فلما رأوا رسول الله قد نحر رافعا صوته باسم الله والله اكبر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون وقصر بعضهم كعثمان وابى قتادة رضى الله عنهما وقال عليه السلام اللهم ارحم المحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يرجوا ان يطوفوا بالبيت بخلاف المقصرين اى لان الظاهر من حالهم انهم اخروا بقية شعورهم رجاء ان يحلقوا بعد طوافهم وارسل الله ريحا عاصفة احتملت شعورهم فألقتها فى قرب الحرم وان كان اكثر الحديبية فى الحرم فاستبشروا بقبول عمرتهم واقام عليه السلام بالحديبية تسعة عشر او عشرين يوما ثم انصرف قافلا الى المدينة فلما كان بين الحرمين واتى بكراع الغميم على ما فى انسان العيون وغيره نزلت عليه سورة الفتح وحصل للناس مجاعة هموا ان ينحروا ظهورهم فقال عليه السلام ابسطوا انطاعكم وعباءكم ففعلوا ثم قال من كان عنده بقية من زاد او طعام فلينثره ودعا لهم ثم قال قربوا اوعيتكم فأخذوا ما شاء الله وحشوا اوعيتهم واكلوا حتى شبعوا وبقى مثله وقال عليه السلام لرجل من اصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو ما يتوضأ به فجاء بأداوة وهى الركوة فيها ماء قليل فأفرغها فى قدح ووضع راحته الشريفة فى ذلك الماء قال الراوى فتوضأنا كلنا اى الالف والاربعمائة نصبه صبا شديدا ولما نزلت سورة الفتح قال عليه السلام لاصحابه انزلت على سورة هى احب الى مما طلعت عليه الشمس وفى رواية لقد انزلت على سورة ما يسرنى بها حمر النعم والحمر بسكون الميم جمع أحمر والنعم بفتحتين تطلق على جماعة الابل لا واحد لها من لفظها والمراد بحمر النعم الابل الحمر وهى من أنفس اموال العرب يضربون بها المثل فى نفاسة الشئ وانه ليس هناك اعظم منه ثم قرأ السورة عليهم وهأ هم وهنأوه يعنى ايشانرا تهنيه كفت واصحاب نيز ويرا مبارك باد كفتند وتكلم بعض الصحابة وقال هذا ما هو بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فقال عليه السلام لما بلغه بئس الكلام بل هو اعظم الفتح لقد رضى المشركون أن يدفعوكم بالبراح عن بلادهم وسألوكم القضية اى الصلح والتجأوا اليكم فى الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين فهو اعظم الفتوح أنسيتم يوم احد وأنا أدعوكم فى اخراكم انسيتم يوم الاحزاب اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقال المسلمون صدق الله ورسوله هو اعظم الفتوح والله يا نبى الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولانت اعلم بالله وبأمره منا وقال له عمر رضى الله عنه ألم تقل انك تدخل مكة آمنا قال بلى أفقلت لكم من عامى هذا قالوا لا قال فهو كما قال جبريل فانكم تأتونه وتطوفون به اى لانه جاء الوحى بمثل ما رأى وذكر بعضهم انه عليه السلام لما دخل مكة فى العام القابل وحلق رأسه قال هذا الذى وعدتكم فلما كان يوم الفتح واخذ المفتاح قال هذا الذى قلت لكم * يقول الفقير لاشك ان الاصحاب رضى الله عنهم لم يشكوا فى امر النبى عليه السلام ولم يكن كلامهم معدا من قبيل الاعتراض عليه وانما سألوه استعلاما لما داخلهم شئ مما لا يخلو عنه البشر فان الامر عميق والا فأدنى مراتب الارادة فى باب الولاية ترك الاعتراض فكيف فى باب النبوة ولله تعالى حكم ومصالح فى ايراد انا فتحنا بصيغة الماضى فانه بظاهره ناطق بفتح الصلح وبحقيقته مشير الى فتح مكة فى الزمان الآتى وكل منهما فتح اى فتح وحاصل ما قال العلماء انه سمى الصلح فتحا مع انه ليس بفتح لاعرفا لانه ليس بظفر على البلد ولا لغة لانه ليس بظفر للمنغلق كيف وقد احصروا ومنعوا من البيت فنحروا وحلقوا بالحديبية واى ظفر فى ذلك فالجواب ان الصلح مع المشركين فتح بالمعنى اللغوى لانه كان منغلقا ومتعذرا وقت نزولهم بالحديبية الا انه لما آل الامر الى بيعة الرضوان وظهر عند المشركين اتفاق كلمة المؤمنين وصدق عزيمتهم على الجهاد والقتال ضعفوا وخافوا حتى اضطروا الى طلب الصلح وتحقق بذلك غلبة المسلمين عليهم مع ان ذلك الصلح

قد كان سببا لامور اخر كانت متغلقة قبل ذلك منها ان المشركين اختلطوا بالمسلمين بسببه فسمعوا كلامهم وتمكن الاسلام فى قلوبهم واسلم فى مدة قليلة خلق كثير بهم سواد اهل الاسلام حتى قالوا دخل فى تلك السنة فى الاسلام مثل من دخل فيه قبل ذلك واكثر وفرغ عليه السلام بهذا الصلح لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع خصوصا خيبر واغتنم المسلمون واتفقت فى تلك السنة ملحمة عظيمة بين الروم وفارس غلبت فيها الروم على فارس وكانت غلبتهم عليهم من دلائل النبوة حيث كان عليه السلام وعد بوقوع تلك الغلبة فى بضع سنين وهو ما بين الثلاث الى التسع فكانت كما وعد بها فاظهر بها صدقه عليه السلام فكانت من جملة الفتح وسر به عليه السلام والمؤمنون اظهروا اهل الكتاب على المجوس الى غير ذلك من فتوحات الله الجليلة ونعمه العظيمة (ليغفر لك الله) غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه السلام فى اعلاء كلمة الله بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب قال بعضهم لما لم يظهر وجه تعليل الفتح بالمغفرة جعل الفتح مجازا مرسلا عن اسباب الفتح ليغفر لك فالفتح معلول مترتب على الافعال المؤدية الى المغفرة وان المغفرة علة حاملة على تلك الافعال فصح جعلها علة لما ترتب على تلك الافعال وهو الفتح وجعل الزمخشرى فتح مكة علة للمغفرة وهو اوفق للمذهب الحق لان افعال الله تعالى لا تعلل بالاغراض على مذهبهم فليست اللام على حقيقتها بل هى اما للصيرورة والعاقبة او للتنبيه مدخولها بالعلة الغائية فى ترتبها على متعلقه وايضا ان العلة الغائية لها جهتا علية ومعلولية على ما تقرر فلا لوم على من نظر الى جهة المعلولية كالزمخشرى لظهور صحته كما فى حواشى سعدى المفتى والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بأن كل واحد مما انتظم فى سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى قال ابن الشيخ فى اظهار فاعل قوله ليغفر لك وينصرك اشعار بأن كل واحد من المغفرة والنصرة متفرع على الالوهية وكونه معبودا بالحق والمغفرة ستر الذنوب ومحوها قال بعض الكبار المغفرة اشد عند العارفين من العقوبة لان العقوبة جزاء فتكون الراحة عقيب الاستيفاء فهو بمنزلة من استوفى حقه والغفران ليس كذلك فانك تعرف ان الحق عليك متوجه وانه انعم عليك بترك المطالبة فلا تزال خجلا ذا حياء ولهذا اذا غفر الله تعالى للعبد ذنبه احال بينه وبين تذكره وانساه اياه وانه لو تذكره لاستحيى ولا عذاب على النفوس اعظم من الحياء حتى يود صاحب الحياء انه لم يكن شيأ كما قالت مريم الكاملة يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا هذا حياء من المخلوقين فكيف بالحياء من الله تعالى فيما فعل العبد من المخالفات ومن هذا الباب ما حكى ان الفضيل قدس سره وقف فى بعض حجاته ولم ينطق بشئ فلما غربت الشمس قال واسوأتاه وان عفوت (قال الصائب) هر كند اد شرم مرا رخصت نكاه * در هجر ووصل روى بديو ارداشتم (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى جميع ما فرطمنك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل لان حسنات الابرار سيئات المقربين على ماقاله ابو سعيد الخراز قدس سره (وفى المثنوى) آنكه عين لطف باشد برعوام * قهر شد برعشق كيشان كرام * قال بعضهم اى جميع ما صدر منك قبل النبوة وبعدها مما يطلق عليه الذنب قال فى شرح المواقف حمله على ما تقدم على النبوة وما تأخر عنها لا دلالة للفظ عليه اذ يجوز ان يصدر عنه قبل النبوة صغيرتان احداهما متقدمة على الاخرى انتهى وفيه انه يصح أن يطلق على كل من الصغيرتين انهما قبل النبوة فان التقدم والتأخر اضافى وهو الاتم قال اهل الكلام ان الانبياء معصومون من الكفر قبل الوحى وبعده باجماع العلماء ومن سائر الكبائر عمدا بعد الوحى واما سهوا فجوزه الاكثرون واما الصغائر فتجوز عمدا عند الجمهور وسهوا بالاتفاق واما قبل الوحى فلا دليل بحسب السمع او العقل على امتناع صدور الكبيرة وقال عطاء الخراسانى ما تقدم من ذنبك اى ذنب ابو يك آدم وحواء ببركتك روى ان آدم لما اعترف بالخطيئة قال يارب اسألك بحق محمد أن تغفر لى فقال الله يا آدم كيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال لانك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف الى اسمك الا اسم احب الخلق اليك فقال الله صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى فغفرت لك ولولا محمد لما خلقتك رواه البيهقى فى دلائله وما تأخر من ذنوب امتك بدعوتك وشفاعتك سلمى قدس سره فرمود كه ذنب آدم را بوى اضافت كرد چه دروقت زلت در صلب وى بوده كناه امت را بوى اسناد فرمود چه اويش رود كار سازايشانست وقال ابن عطاء قدس سره

لما بلغ عليه السلام سدرة المنتهى ليلة المعراج قدم هو وأخر جبريل فقال لجبريل تتركني في هذا الموضع وحدي فعاتبه الله حين سكن الى جبريل فقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيكون كل من الذنبين بعد النبوة وقال سفيان الثوري رحمه الله ما تقدم ما عملت في الجاهلية وما تأخر ما لم تعمله قال في كشف الاسرار ويذكر مثل ذلك على طريق التأكيد كما يقال أعطى من رآه ومن لم يره وضرب من لقيه ومن لم يلقه انتهى لكن فيه انه خارج من ادب العبارة فالواجب ان يقال ما تقدم اى ما عملت قبل الوحي وقيل ما تقدم من ذنب يوم بدر وما تأخر من ذنب يوم حنين حيث قال يوم بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض ابدا وكرره مرارا فأوحى الله اليه من اين تعلم انى لو اهلكتها لا اعبد ابدا فكان هذا الذنب المتقدم وقال يوم حنين بعد أن هزم الناس ورجعوا اليه لولم ارمهم اى الكفار بكف الحصى لم يهزموا فأنزل الله ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو الذنب المتأخر لكن فيه ان المتأخر متأخر عن الوقعة فيكون وعدا بغفران ما سيقع منه قال في بحر العلوم وأبعد من هذا قول ابى على الروذبادى رحمه الله لو كان لك ذنب قديم او حديث لغفرناه لك انتهى يقول الفقير ابو على قدس سره من كبار العارفين فكيف يصدر عنه ما هو ابعد عند العقول بل كلامه من قبيل قوله من عرف الله عرف كل شئ يعنى لو تصورت معرفة الله لاحد وهى لا تتصور حقيقة وكذا لو تصور منه عليه السلام ذنب لغفر له لكنه لا يتصور لانه في جميع احواله اما مشتغل بواجب او بمندوب لا غير فهو كالملائكة في انه لا يصدر منه المخالفة ولى معنى آخر في هذا المقام وهو ان المراد بالمغفرة الحفظ والعصمة ازلا وابدا فيكون المعنى ليحفظك الله ويعصمك من الذنب المتقدم والمتأخر فهو تعالى انما جاء بما تقدم اشارة الى انه عليه السلام محفوظ معصوم في اللاحق كما في السابق فاعرفه وفي الفتوحات المكية استغفار الانبياء لا يكون عن ذنب حقيقة كذنوبنا وانما هو عن امر يدق عن عقولنا لانه لا ذوق لنا في مقامهم فلا يجوز حمل ذنوبهم على ما نتعقله نحن من الذنب انتهى ومؤاخذة الله عباده في الدنيا والآخرة تطهير لهم ورحمة وفي حق الانبياء من جهة العصمة والحفظ والعقاب لا يكون الا في مذنب والعقوبة تقتضى التأخر عن المتقدم لانها تأتى عقبه فقد تجد العقوبة الذنب في المحل وقد لا تجده اما بان يقلع عنه واما ان يكون الاسم العفو والغفور استوليا عليه بالاسم الرحيم فزال فترجع العقوبة خاسرة ويزول عن المذنب اسم الذنب لانه لا يسمى مذنبا الا في حال قيام الذنب به كما في كتاب الجواهر والدرر للشعرانى وقال الشعرانى في الكبريت الاحمر قلت ويجوز حمل نحو قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر على نسبة الذنب اليه من حيث ان شريعته هى التى حكمت بانه ذنب فلولا اوحيه اليه ما كان ذنبا فجميع ذنوب امته يضاف اليه والى شريعته بهذا التقدير وكذلك ذنب كل نبى ذكره الله وقد قالوا لم يعص آدم وانما عصى بنوه الذين كانوا في ظهره فما كان قوله ليغفر لك الخ الا تطمينا له عليه السلام ان الله قد غفر جميع ذنوب امته التى جاءت بها شريعته ولو بعد عقوبة باقامة الحدود عليهم في دار الدنيا كما وقع لماعز ومن الواجب على كل مؤمن انتحال الاجوبة للاكابر جهده وذلك مما يحبه الله ويحبه من اجيب عنه فافهم هذا اعتقادنا الذى نلقى الله عليه ان شاء الله تعالى انتهى وفي التأويلات النجمية انا فتحنا لك فتحا مبينا يشير الى فتح باب قلبه عليه السلام الى حضرة ربوبيته بتجلى صفات جماله وجلاله وفتح ما انغلق على جميع القلوب ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك اى ليسترك بانوار جلاله ما تقدم من ذنب وجودك من بدأ خلق روحك وهو اول شئ تعلقت به القدرة كما قال اول ما خلق الله روحى وفي رواية نورى وما تأخر اى من ذنب وجودك الى الابد وذنب الوجود هو الشركة في الوجود وغفره ستره بنور الوحدة لمحو آثار الاثنينية انتهى وقال بعض الاكابر اعلم ان فتوح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة اولها الفتح القريب وهو فتح باب القلب بالترقى عن مقام النفس وذلك بالمكاشفات الغيبية والانوار اليقينية وقد شاركه في ذلك اكثر المؤمنين وثانيها الفتح المبين بظهور انوار الروح وترقى القلب الى مقامه وحينئذ تترقى النفس الى مقام القلب فتستتر صفاتها المظلمة بالانوار القلبية وتنتفى بالكلية وذلك معنى قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فالسابقة الهيئات المظلمة على فتح باب القلب والمتأخرة الهيئات النورانية المكتسبة بالانوار القلبية التى تظهر في التلوينات فيخفى حالها ولا تنتفى هذه بالفتح القريب وان انتفت الاولى لأن مقام القلب لا يكمل الا بعد الترقى الى مقام الروح واستيلاء انواره على القلب فيظهر تلوين القلب وينتفى تلوين النفس بالكلية ويحصل في هذا الفتح مغانم المشاهدات الروحية

والمسامرات السرية وثالثها الفتح المطلق المشار اليه بقوله اذاجاء نصرالله والفتح وهو فتح باب الوحدة بالفناء المطلق والاستغراق فى عين الجمع بالشهود الذاتى وظهور نور الاحدى فمن صحت له متابعة النبى عليه السلام اثابه الله مغانم كثيرة وفتوحات فان حسن المتابعة سبب لفيضان الانوار الالهية بواسطة روحانية النبى عليه السلام (قال الشيخ سعدى قدس سره) خلاف پيمبر كسى ره گزيد * كه هر گز بمنزل نخواهد رسيد * مپندار سعدى كه راه صفا * توان رفت جز برپى مصطفى * وذلك ان الفلاسفة والبراهمة والرهابنة ادعوا معرفة الله والوصول اليه بطريق العقل والرياضة والمجاهدة من غير متابعة الانبياء وارشاد الله تعالى فانقطعوا دون الوصول اليه (ويتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية (ويهديك صراطا مستقيما) فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه مالم يكن حاصلا قبل (وينصرك الله) اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى (نصرا عزيزا) اى نصرا فيه عزة ومنعة فعزيزا للنسبة اى ذا عز قال فى فتح الرحمن النصر العزيز هو الذى معه غلبة العدو والظهور عليه والنصر غير العزيز هو الذى معه الحماية ودفع العدو فقط انتهى اونصرا قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه اى المنصور مجازا للمبالغة ولم يجعل وصفا بوصف الناصر لقلة الفائدة فيه لان القصد بيان حال المخاطب لا المتكلم اونصرا عزيزا صاحبه ثم الظاهر ان المراد من ذلك النصر هو ماترتب على فتح مكة من النصر على الاعداء كهوازن وغيرهم ونصر امته على الاكاسرة والقياصرة وكانت الحكمة فى قتال بعض الرسل لمن خالفهم انما هى لمخالفة مافطروا عليه من التوحيد الموجبة تلك المخالفة لفساد ذلك الفطر الذى هم فيه باعمالهم واحوالهم الفاسدة التى لايحصل منها الاحل نظام الاسباب وتبديد ماذلك الشخص مأمور بحفظه عن ذلك كله فالنبى رحمة للخلق واو بعث بالسيف وقس عليه سائر من تصدى للامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال ابن عطاء قدس سره جمع الله لنبيه فى هذه السورة نعما مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهى من اعلام المحبة واتمام النعمة وهى من اعلام الاختصاص والهداية وهى من اعلام التحقق بالحق والنصرة وهو من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب واتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية هى الدعوة الى المشاهدة والنصرة هى رؤية الكل من الحق من غير أن يرجع الى ماسواه نسأل الله ان ينصرنا بتبدل الوجود المجازى فى وجوده الحقيقى (هو الذى انزل السكينة) بيان لما افاض عليهم من مبادى الفتح من الثبات والطمأنينة يعنى انزلها (فى قلوب المؤمنين) بسبب الصلح والامن بعد الخوف لانهم كانوا قليلى العدة بسبب أنهم معتمرون وكان العدو مستعدين لقتالهم مع مالهم من القوة والشوكة وشدة البأس فثبتوا وبايعوا على الموت بفضل الله تعالى (وقال الكاشفى ونحوه) چون در صلح حديبيه صحابه خالى از دغدغه وترددى نبودند حق سبحانه وتعالى فرمود هو الذى الخ فالمراد ثبتوا واطمأنوا بعد ان ماجوا وزلزلوا حتى عمر الفاروق رضى الله عنه على ماعرف فى القصة وذلك القلق والاضطراب انما هو لما دهمهم من صد الكفار ورجوعهم دون بلوغ مقصودهم وكانوا يتوقعون دخول مكة فى ذلك العام آمنين للرؤيا التى رآها عليه السلام على ماسبق (ليزدادوا) تازيادت كند (ايمانا) مفعول يزدادوا كما فى قوله تعالى وازدادوا تسعا (مع ايمانهم) اى يقينا منضما الى يقينهم الذى هم عليه برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها ومن ثمة قال عليه السلام لووزن ايمان ابى بكر مع الثقلين لرجح وكلمة مع فى ايمانهم ليست على حقيقتها لان الواقع فى الحقيقة ليس انضمام يقين الى يقين لامتناع اجتماع المثلين بل حصول نوع يقين اقوى من الاول فان له مراتب لاتحصى من اجلى البديهيات الى اخفى النظريات ثم لاينفى الاول ماقلنا وذلك كما فى مراتب البياض على ماحقق فى مقامه ففيها استعارة اوالمعنى أنزل فيها السكون الى ماجاء به النبى عليه السلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر فكلمة القران حينئذ على حقيقتها والقرآن فى الحقيقة لتعلق الايمان بزيادة متعلقه فلا يلزم اجتماع المثلين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبى عليه السلام التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد حتى اكمل لهم دينهم كما قال اليوم اكملت لكم دينكم فازدادوا ايمانا مع ايمانهم

فكان الايمان يزيد فى ذلك الزمان بزيادة الشرائع والاحكام واما الآن فلا يزيد ولا ينقص بل يزيد نوره ويقوى بكثرة الاعمال وقوة الاحوال فهو كالجوهر الفرد فكما لا يتصور الزيادة والنقصان فى الجوهر الفرد من حيث هو فكذا فى الايمان واما قوله تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فالكفر بالطاغوت هو عين الايمان بالله فى الحقيقة فلا يلزم ان يكون الايمان جزأ قال بعض الكبار الايمان الحقيقى هو ايمان الفطرة التى فطر الله الناس عليها لا تبديل لها ويحقق بالخاتمة وما بينهما يزيد الايمان فيه وينقص والحكم للخاتمة لانها عين السابقة فيحمل قول من قال ان الايمان لا يزيد ولا ينقص على ايمان الفطرة الذى حقيقته مامات عليه ويحمل قول من قال ان الايمان يزيد وينقص على الحالة التى بين السابقة والخاتمة من حين يتعقل التكاليف فتأمل ذلك فانه نفيس انتهى وقال حضرة الهدائى قدس سره فى مجالسته المنيفة ليزدادوا ايمانا وجدانيا ذوقيا عينيا مع ايمانهم العلمى الغيبى فان السكينة نور فى القلب يسكن به الى ماشاهده ويطمئن وهو من مبادى عين اليقين بعد علم اليقين كأنه وجدان يقينى معه لذة وسرور وفى المفردات قيل ان السكينة ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه كما ورد ان السكينة لتنطق على لسان عمر وقال بعض الكبار السكينة تطلق على ثلاثة اشياء بالاشتراك اللفظى اولها مااعطى بنوا اسرائيل فى التابوت كما قال تعالى ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم قال المفسرون هى ريح ساكنة طيبة تخلع قلب العدو بصوتها رعبا اذا التقى الصفان وهى معجزة لانبيائهم وكرامة لملوكهم والثانى شئ من لطائف صنع الحق يلقى على لسان المحدث الحكمة كما يلقى الملك الوحى على قلوب الانبياء مع ترويح الاسرار وكشف السر والثالث هى التى انزلت على قلب النبى عليه السلام وقلوب المؤمنين وهى شئ يجمع نورا وقوة وروحا يسكن اليه الخائف ويتسلى به الحزين كما قال تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين انتهى وقال بعض الكبار ان الانبياء والاولياء مشتركون فى تنزل الملائكة عليهم ومختلفون فيما نزلت به فان ملك الالهام لا ينزل على الاولياء بشرع مستقل ابدا وانما ينزل عليهم بالاتباع وبافهام ماجاء به نبيهم مما لم يتحقق الاولياء بالعلم به فكل فيض ونور وسكينة انما ينزل من الله تعالى بواسطة الملك او بلا واسطة وان كان فرق عظيم بين حال النبى والولى فانه كان النبى افضل واولى فكذا وارده اقوى واولى نسأل الله فضله وسكينته * هر آنكه يافت زفضل خدا سكينت دل * نمى كند درحرم سينه اش تردد وغل (ولله جنود السموات والارض) الجنود جمع جند بالضم وهو جمع معد للحرب اى مختص به تعالى جنود العالم يدبر امرها كيفما يشاء يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينها السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح (وقال الكاشفى) ومر خد ايراست لشكرهاى آسمانها از ملائكه وجنود زمين از مؤمنان مجاهد پس اى اهل ايمان جهاد كنيد وبنصرت الهى واثق باشيد كه هركه لشكر آسمان وزمين درحكم وى بود بلكه ذرات كون سپاه وى بوده باشند اولياء خودرا در وقت غزا باعداى خود فرونكذارد * نصرت ازوطلب كه بميدان قدرتش * هرذره پهلوانى وهر پشه صفدريست * قال بعضهم كل مافى السموات والارض بمنزلة الجند له اوشاء لانتصر به كما ينتصر بالجند وتأويل الآية لم يكن صد المشركين رسول الله عن قلة جنود الله ولا عن وهن نصره لكن عن علم الله واختياره انتهى وفى فتح الرحمن ولله جنود السموات والارض فلواراد نصر دينه بغيركم لفعل وقال بعضهم هم سموات ارواح العارفين وقصور ارض قلوب المحبين وانفاسهم جنوده ينتقم بنفس منهم من جميع اعدائه فيقهرهم دعا نوح عليه السلام على قومه فقال لاتذر على الارض من الكافرين ديارا فهلك به اهل الارض جميعا الامن آمن ودعا موسى عليه السلام على القبط فقال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فصارت حجارة ولم يؤمنوا حتى راوا العذاب الاليم وقال سيد البريات عليه افضل التحيات حين رمى الحصى على وجوه الاعداء شاهت الوجوه فانهزموا باذن الله تعالى وكذا حال كل ولى وارث قاهر من اهل الانفاس بل كل ذرة من العرش الى الثرى جند من جنوده تعالى حتى لو سلط نملة على حية عظيمة لهلكت وقد قيل الحية اذا ولدت ولدها رفعته فى الهواء يومين خوفا من النمل لانه تضعه لحمه كبيرة غير مميزة الجوارح ثم تميز ولا فلولا واذا جمع بين العقرب والفأرة فى اناء زجاج قرضت الفأرة ابرة العقرب فتسلم منها وكذا فى قصة البعوض مع نمرود (وفى المثنوى) جمله ذرات زمين وآسمان * لشكر حقند گاه امتحان * بادراديدكه باعاد ان چه كرد *

آب را دیدیکه با طوفان چه کرد * آنچه بفرعون زد آن بحر کین * وآنچه بقارون نموداست این زمین *
آنچه بآن پیلبانان پیل کرد * وآنچه پشه کله نمرود خورد * وآنکه سنگ انداخت داودی بدست *
گشت شش صد پاره ولشکر شکست * سنگ می بارید با اعدای لوط * تا که در آب سیه خوردند غوط *
دست بر کافر گواهی می دهد * لشکر حق می شود سر می نهد * گر بگوید چشم را کور افشار * درد چشم
از تو بر آرد صد دمار * گر بدندان گوید او بنما وبال * پس ببینی تو زدندان گوشمال * فلا بد من التوكل
على الله فانه عون كل ضعيف وحسب كل عاجز فان بعضهم ما سلط الله عليك فهو من جنوده ان سلط عليك نفسك
اهلك نفسك بنفسك وان سلط عليك جوارحك اهلك جوارحك بجوارحك وان سلط نفسك على قلبك قادتك
فى متابعة الهوى وطاعة الشيطان وان سلط قلبك على نفسك وجوارحك زمها بالادب والزمها العبادة
وزينها بالاخلاص فى العبودية (وكان الله) ازلا وابدا (عليما) مبالغا فى العلم بجميع الامور (حكيما)
فى تقديره وتدبيره فكان بمعنى كان ويكون اى دالة على الاستمرار والوجود بهذه الصفة لا معينة وقتا ماضيا
وقال بعض الكبار ولله جنود السموات من الانوار القدسية والامدادات الروحانية وجنود الارض من الصفات
النفسانية والقوى الطبيعية فيغلب بعضها على بعض فاذا غلب الاولى على الاخرى حصلت السكينة وكمال
اليقين واذا انعكس وقع الشك والريب وكان الله عليما بسرائرهم ومقتضيات استعداداتهم وصفاء فطرة الفريق
الاول وكدورة نفوس الفريق الثانى حكيما فيما فعله وفى التأويلات النجمية ولله جنود السموات والارض
اى كلها دالة على وحدانيته تعالى وهى جنود الله بالنصرة لعباده فى العلم بمعرفته وكان الله عليما بمن هو اهل
النصرة للمعرفة حكيما فيما حكم فى الازل لهم (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها) متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف
والتدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فى ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة
(ويكفر عنهم سيآتهم) هذا بازاء قوله ليغفر لك الله اى يغطيها ولا يظهرها قبل ان يدخلهم الجنة ليدخلوها
مطهرين من الآثام وتقديم الادخال على التكفير مع ان الترتيب فى الوجود على العكس من حيث ان التخلية
قبل التحلية للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى (وكان ذلك) اى ما ذكر من الادخال والتكفير
(عند الله فوزا عظيما) لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر والفوز الظفر
مع حصول السلامة وعند الله حال من فوزا لانه صفته فى الاصل فلما قدم عليه صار حالا اى كائنا عند الله تعالى
اى فى علمه وقضائه (ويعذب المنافقين والمنافقات) من اهل المدينة (والمشركين والمشركات) من اهل
مكة عطف على يدخل والتعذيب هو ما حصل لهم من الغيظ بنصر المؤمنين وفى تقديم المنافقين على المشركين
ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب وقد تخلف كثير منهم فلم يخرجوا معه عليه السلام ثم اعتذروا
فقالوا بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم ولو صدقوا عند الناس فما صدقوا عند الله وقد قال تعالى يوم ينفع الصادقين
صدقهم اى صدقهم عند الله لا عند الخلق ولذلك قال عليه السلام جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم
والسنتكم اشارة الى مقام التحقيق والتصديق فان الدعوى بغير برهان كذب * برهان بباید صدق را *
ورنه زدعوا هاچه سود (الظانين بالله ظن السوء) صفة للفريقين اهل النفاق واهل الشرك وظن السوء
منصوب على المصدر والاضافة فيه كالاضافة فى سيف شجاع من حيث ان المضاف اليه فى الحقيقة
هو موصوف هذا المجرور والتقدير سيف رجل شجاع فكذا التقدير هنا ظن الامر السوء وهو ان الله لا ينصر
رسوله ولا يرجعهم الى مكة فاتحين والى المدينة سالمين كما قال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون
الى اهليهم ابدا وبالفارسية گمان برند بخدا گمان بد وقال فى كشف الكشاف ان ظن السوء مثل رجل صدق
اى الظن الشئ الفاسد المذموم انتهى وعند البصريين لا يجوز اضافة الموصوف الى صفته ولا عكسه لان الصفة
والموصوف عبارتان عن شئ واحد فاضافة احدهما الى الآخر اضافة الشئ الى نفسه وفى التأويلات النجمية
الظانين بالله ظن السوء فى ذاته وصفاته بالاهواء والبدع وفى افعاله واحكامه بالظلم والعبث قال بعض العارفين
مثال من احسن فى الله ظنه مثال من سلط الله عليه الشيطان ليفتنه ويمتحنه فلما جاءه الشيطان اخبره بانه
رسول من عند الله وانه رسول رحمة وقال جئتك لاشد عضدك فى الخير والهمك رشدك لتكون عند ربك

في درجة العرش فحسن به ظنه وخر ساجدا فصيره الله الشيطان ملكا كما ظن كما روى ان الجن صنعت لسليمان عليه السلام ارضا وصفحتها بالزمرد الاخضر وحصبتها باللؤلؤ والجواهر لتفتنه بها وهو لا يعلم فرأى ان ذلك من مواهب ربه له في دار الدنيا فخر ساجدا لله فأثبتها الله له ارضا مقدسة كما ظن الى ان مات على حسن ظنه بربه ومثال من اساء بربه ظنه مثال من ارسل الله اليه ملك رحمة ليرشده للخير فقال انما انت شيطان حيث تغويني فصيره الله له الملك شيطانا كما ظن وفي الحديث انا عند ظن عبدي بي وقال عليه السلام قبل موته بثلاثة ايام لا يموتن احد الا وهو يحسن الظن بالله وهو من امارات اليقين در روايت آمده است از بعض صحابه رسول عليه السلام كه رسول اورا خبرداده بود كه تو والى شوى در مصر حكم كنى وقتى قلعه را حصار كرده بودند وآن صحابى نيز درميان بود سار اصحابرا گفت مرا دركفهٔ منجنيق نهيد و بسوى كفار در قلعه اندازيد چون من آنجا رسم قتال كنم ودر حصار بگشايم چون از سبب اين جرأت پرسيد ند گفت رسول صلى الله عليه وسلم مرا خبرداده است كه من والئ مصر شوم وهنوز نشدم يقين ميدانم كه نميرم تا والى نشوم فهم كن كه قوت ايمان اينست والا ازروى عرف معلوم است كه چون كسى رادركفهٔ منجنيق نهند وبيندازند حال اوچه باشد * ظاهر وباطن ما آينهٔ يكديگرند * سينهٔ صاف ترا زاب روانم دادند (عليهم دائرة السوء) اى مايظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم لا يتجاوزهم الى غيرهم فقد اكذب الله ظنهم وقلب مايظنونه بالمؤمنين عليهم بحيث لا يتخطاهم ولا يظفرون بنصرة ابدا وهذا كقوله تعالى ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء بالفارسية وبرين كمان برند كانست كردش بديعنى ايشان منكرب ومغلوب خواهند شد قال المولى ابو السعود في التوبة قوله عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله تعالى غلت ايديهم بعد قول اليهود ماقالوا انتهى فان قلت كيف يحمل على الدعاء وهو للعاجز عرفا والله منزه عن العجز قلت هذا تعليم من الله لعباده انه يجوز الدعاء عليهم كقوله قاتلهم الله ونحوه قال ابن الشيخ السوء بالفتح صفة مشبهة من ساء يسوء بضم العين فيهما سوء فهو سوء ويقابله من حيث المعنى قولك حسن يحسن حسنا فهو حسن وهو فعل لازم بمعنى قبح وصار فاسدا رديا بخلاف ساءه يسوءه سوءا ومساءة اى احزنه نقيض سره فانه متعد ووزنه في الماضي فعل بفتح العين ووزن ما كان لازما فعل بضم العين وفعل بأتى فاعله على فعل كصعب صعوبة فهو صعب والسوء بضم السين مصدر لهذا اللازم والسوء بالفتح مشترك بين اسم الفاعل من اللازم وبين مصدر المتعدى وقيل السوء بالفتح والضم لغتان من ساء بمعنى كالكره والكره والضعف والضعف خلا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما اريد ذمه من كل شئ واما المضموم فجار مجرى الشر المناقض للخير ومن ثمة اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها ان لا يضاف اليه الا على التأويل المذكور واما دائرة السوء بالضم فلأن الذى اصابهم مكروه وشدة يصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله تعالى ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة كما في بعض التفاسير والدائرة عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت في الحادثة والمصيبة المحيطة لمن وقعت هى عليه فمعنى الآية يحيط بهم السوء احاطة الدائرة بالشئ او بمن فيها بحيث لا سبيل الى الانفكاك عنها بوجه الا ان اكثر استعمالها اى الدائرة في المكروه كما ان اكثر استعمال الدولة في المحبوب الذى يتداول ويكون مرة لهذا ومرة لذاك والاضافة في دائرة السوء من اضافة العام الى الخاص للبيان كما في خاتم فضة اى دائرة من شر لا من خير وقال ابو السعود في التوبة السوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه ذمها وهى من اضافة الموصوف الى صفته فوصفت في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها كقوله تعالى ماكان ابوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة يقتضى معنى السوء لان دائرة الدهر لا تستعمل الا في المكروه فانما هو اضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيار أسد (وغضب الله عليهم) عطف لما تحققوه في الآخرة على ما ستوجبوه في الدنيا قال بعضهم غضبه تعالى ارادة العقوبة لهم في الآخرة وكونهم على الشرك والنفاق في الدنيا وحقيقته ان للغضب صورة ونتيجة اما صورة فتغير في الغضبان يتأذى به ويتألم واما نتيجة فاهلاك المغضوب عليه وايلامه فعبر عن نتيجة الغضب بالغضب على الكناية بالسبب عن المسبب (ولعنهم) طردهم من رحمته (واعد لهم جهنم) وآماده كرديم براى ايشان دوزخ را والواو في الفعلين

لاخبرين مع ان حقهما الفاء المفيدة السببية ماقبلها لمابعدها اذ اللعن سبب الاعداد والغضب سبب اللعن للايذان باستقلال كل منهما في الوعيد واصالته من غير استتباع بعضهما لبعض (وساءت مصيرا) اى جهنم والمصير المرجع وبالفارسية وبدبازكشتيست دوزخ (ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا) اى بليغ العزة والقدرة على كل شئ (حكيما) بليغ الحكمة فيه فلا يفعل مايفعل الا على مقتضى الحكمة والصواب وهذه الآية اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على ان الله تعالى جنودا للرحمة ينزلهم ليدخل بهم المؤمنين الجنة معظما مكرما وان له تعالى جنودا للعذاب يسلطهم على الكفار يعذبهم بهم في جهنم والمراد ههنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة فان عادته تعالى ان يصف نفسه بالعزة في مقام ذكر العذاب والانتقام قال في برهان القرآن الاول متصل بانزال السكينة وازدياد ايمان المؤمنين فكان الموضع موضع علم وحكمة وقد تقدم مااقتضاه الفتح عند قوله وينصرك الله نصرا عزيزا واما الثاني والثالث الذي بعده فمتصلان بالعذاب والغضب وسلب الاموال والغنائم فكان الموضع موضع عز وغلبة وحكمة وفي كشف الاسرار يدفع كيد من عادى نبيه والمؤمنين بما شاء من الجنود هو الذي جند البعوض على نمرود والهدهد على بلقيس وروى ان رئيس المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول قال هب ان محمدا اهزم اليهود وغلب عليهم فكيف استطاعته بفارس والروم فقال الله تعالى ولله جنود السموات والارض اكثر عددا من فارس والروم (وقال الكاشفي) ومر خدا يراست لشكرهاى آسمان وزمين يعني هركه در آسمانها وزمينهاست همه مملوك ومسخر وبندجنبد لشكر يان مر سردار خود در اتكرار اين سخن جهت وعدهٔ مؤمنانست تابنصرت الهى مستظهر باشند وبراى وعيد مشركان ومنافقان تا از تكذيب رباني خائف كردند وفي الآية اشارة الى مااعد الله من عظائم فضله وعجائب صنعه في سموات القلوب وارض النفوس يمد بها اولياءه وينصرهم بها على انفسهم ليفوزوا بكمال قربه ويخذل بها اعداءه ويهلكهم في اودية الاهوية ليصيروا الى كال بعده وكان الله عزيزا يذل اعداءه حكيما فيما يعز اولياءه كما في التأويلات النجمية واعلم ان الله تعالى قد جعل في النار مائة دركة في مقابلة درج الجنة ولكل دركة قوم مصونون لهم من الغضب الالهى الحالى بهم آلام مخصوصة تصل اليهم من ايدى الملائكة الموكلين بهم نعوذ بالله من سخطه وعذابه ونسأله الاولى من نعيمه وثوابه وللغضب درجات منها قطع الامداد العلمى المستلزم لتسلط الجهل والهوى والنفس والشيطان والاحوال الذميمة لكنه موقت الى النفس الذى قبل آخر الانفاس في حق من يختم له بالسعادة ومنها مايتصل الى حين دخولهم جهنم وفتح باب الشفاعة ومنها مايقتضى الخلود في النار (قال الحافظ) دارم ازلطف ازل جنت فردوس طمع * كرچه دربانى ميخانه فراوان كردم * والله غفور رحيم لمن تاب ورجع الى الصراط المستقيم (انا ارسلناك شاهدا) اى على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا يعنى على تصديق من صدقه وتكذيب من كذبه اى مقبولا قوله في حقهم يوم القيامة عند الله تعالى سواء شهد لهم او عليهم كما يقبل قول الشاهد العدل عند الحاكم وهو حال مقدرة فانه عليه السلام انما يكون شاهدا وقت التحمل والاداء وذلك متأخر عن زمان الارسال بخلاف غيره مما عطف عليه فانه ليس من الاحوال المقدرة (ومبشرا) على الطاعة بالجنة والثواب وعلى اهل الطلب بالوصول (ونذيرا) على المعصية بالنار والعذاب وعلى اهل الاعراض بالقطيعة وفي التوراة يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح لها اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا سرخيل انبيا وسپهدار اتقيا * سلطان باركاه دنى قائد امم (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب للنبي عليه السلام ولامته فيكون تعميما للخطاب بعد التخصيص لان خطاب ارسلناك للنبي خاصة ومثله قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خصه عليه السلام بالنداء ثم عمم الخطاب على طريق تغليب المخاطب على الغائبين وهم المؤمنون فدلت الآية على انه عليه السلام يجب ان يؤمن برسالة نفسه كما ورد في الحديث انه عليه السلام قال اشهد اني عبد الله ورسوله قال السهيلي في الامالي انما عرف نبوة نفسه بعد معرفته بجبريل وايمانه به اى بالعلم الضرورى فاذا عرف نبوة نفسه وآمن بها وجب عليه ان يؤمن بما انزل اليه من ربه كما قال تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه ويجوز ان يكون الخطاب للامة فقط فان قلت كيف يجوز تخصيصهم الخطاب الثاني بالامة في مقام توجيه الخطاب الاول اليه عليه السلام بخصوصه قلت ان خطاب رئيس القوم بمنزلة خطاب من معه من اتباعه فجاز ان يخاطب الاتباع

في مقام تخصيص الرسل بالخطاب لان المقصود سماعهم (وتعزروه) وتقووه تعالى بتقوية دينه ورسوله قال في المفردات التعزير النصرة مع التعظيم قال تعالى وتعزروه والتعزير دون الحد وذلك يرجع الى الاول فان ذلك تأديب والتأديب نصرة بقهر عدوه فان افعال الشر عدو الانسان فمتى قمعته عنها فقد نصرته وعلى هذا الوجه قال النبي عليه السلام انصر اخاك ظالما او مظلوما فقال انصره مظلوما فكيف انصره ظالما فقال تكفه عن الظلم انتهى وفي القاموس التعزير ضرب دون الحد او هو اشد الضرب والتفخيم والتعظيم ضد والاعانة كالعزر والتقوية والنصر انتهى وقال بعضهم اصله المنع ومنه التعزير فانه منع من معاودة القبيح يعني وتمنعوه تعالى اى دينه ورسوله حتى لايقوى عليه عدو (وتوقروه) وتعظموه باعتقاد انه متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع وجود النقصان قال في القاموس التوقير التبجيل والوقار كسحاب الرزانة انتهى يعني السكون والحلم فاصله من الوقر الذي هو الثقل في الاذن (وتسبحوه) وتنزهوه تعالى عما لايليق به ولايجوز اطلاقه عليه من الشريك والولد وسائر صفات المخلوقين او تصلوا له من السبحة وهي الدعاء وصلاة التطوع قال في القاموس التسبيح الصلاة ومنه فلولا انه كان من المسبحين اى من المصلين (بكرة واصيلا) اى غدوة وعشيا فالبكرة اول النهار والاصيل آخره او دائما فانه يراد بهما الدوام وعن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وفي عين المعاني البكرة صلاة الفجر والاصيل الصلوات الاربع فتكون الآية مشتملة على جميع الصلوات المفروضة وجوز بعض اهل التفسير ان يكون ضمير وتعزروه وتوقروه للرسول عليه السلام ولاوجه له لانه تفكيك اذ ضمير رسوله وتسبحوه لله تعالى قطعا وعلى تقدير ان يكون له وجه فمعنى تعظيم رسول الله وتوقيره حقيقة اتباع سنته في الظاهر والباطن والعلم بانه زبدة الموجودات وخلاصتها او هو المحبوب الازلي وماسواه تبع له ولذا ارسله تعالى شاهدا فانه لما كان اول مخلوق خلقه الله كان شاهدا بوحدانية الحق وربوبيته وشاهدا بما اخرج من العدم الى الوجود من الارواح والنفوس والاجرام والاركان والاجسام والاجساد والمعادن والنبات والحيوان والملك والجن والشيطان والانسان وغير ذلك لئلا يشذ عنه مايمكن للمخلوق دركه من اسرار افعاله وعجائب صنعه وغرائب قدرته بحيث لايشاركه فيه غيره ولذا قال عليه السلام علمت ما كان وما سيكون لانه شاهد الكل وماغاب لحظة وشاهد خلق آدم عليه السلام ولاجله قال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين اى كنت مخلوقا وعالما بأني نبي وحكم لي بالنبوة وآدم بين ان يخلق له جسد وروح ولم يخلق بعد واحد منهما فشهد خلقه وماجرى عليه من الاكرام والاخراج من الجنة بسبب المخالفة وماتاب الله عليه الى اخر ماجرى عليه وشاهد خلق ابليس وماجرى عليه من امتناع السجود لآدم والطرد واللعن بعد طول عبادته ووفور علمه بمخالفة امر واحد فحصل له بكل حادث جرى على الانبياء والرسل والامم فهوم وعلوم ثم انزل روحه في قالبه ليزداد له نور على نور فوجود كل موجود من وجوده وعلوم كل نبي وولي من علومه حتى صحف آدم وابراهيم وموسى وغيرهم من اهل الكتب الالهية وقال بعض الكبار ان مع كل سعيد رقيقة من روح النبي صلى الله عليه وسلم هي الرقيب العتيد عليه فاعراضه عنها بعدم اقباله عليها سبب لانتهاكه ولما قبض الروح المحمدي عن آدم الذي كان به دائما لايضل ولاينسى جرى عليه ماجرى من النسيان وما يتبعه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم واليه ينظر قوله عليه السلام لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن اى ينزع منه الايمان ثم يزني واعلم ان كل نبي له الولاية والنبوة فان كان رسولا فله الولاية والنبوة والرسالة فعالم رسالته هو كونه واسطة بين الله وخلقه وكذلك ان كان رسولا الى نفسه او اهله او قومه او الى الكافة فليس مع الرسول من عالم الرسالة الاقدر مايحتاج اليه المرسل اليهم وماعدا ذلك فهو عالم ولايته فيمابينه وبين الله ولما تفاضلت الامم تفاضلت الرسل ويأتي النبي يوم القيامة ومعه امته واخر معه قومه واخر معه رهطه وهو مادون العشرة واخر معه ابنه واخر معه رجل واخر استتبع فلم يتبع ودعا فلم يجب لاتيانه في الوقت الشديد الظلمة ولما جاء نبينا عليه السلام نورا من الله نور العالم ظواهرها وبواطنها فكانت امته اسعد الامم واكثرها ولذا تجيئ في ثمانين صفا وباقي الامم من لدن آدم عليه السلام في اربعين صفا وقد قال تعالى في حقه مبشرا فانه لما ارسله الى الاحمر والاسود بشرهم بان لهم في متابعته الرتبة المحبوبية التي هي مخصوصة به من بين سائر الانبياء والمرسلين فقد قال تعالى ونذيرا لئلا ينقطعوا عنه تعالى بشئ من الدارين كما انقطع اكثر الامم ولم يكونوا على شئ (قال الكمال الخجندي) مرد تاروى نيارد زدو عالم بخداى ＊ مصطفى وار كزين همه عالم نشود ＊ نسأل الله

ان يجعلنا على حظ وافر من الاقبال اليه والوقوف لديه (ان الذين يبايعونك) المبايعة باكسى بيع وبيعت وعهد كردن
: يعاهدونك على قتال قريش تحت الشجرة وبالفارسية بدرستى كه آنانكه بيعت ميكنند با تو درحديبيه
سميت المعاهدة مبايعة تشبيها بالمعاوضة المالية اى مبادلة المال بالمال فى اشتمال كل واحد منهما على معنى المبادلة
وهى التزام طاعة النبى عليه السلام والثبات على محاربة المشركين والنبى عليه السلام وعدلهم بالثواب
ورضى الله تعالى قال بعض الانصار عند بيعة العقبة تكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت فقال
عليه السلام اشترط لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ولنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم وابناءكم ونساءكم
فقال ابن رواحة رضى الله عنه فما لنا اذا فعلنا ذلك فقال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل (انما يبايعون الله)
يعنى ان من بايعك بمنزلة من بايع الله كأنهم باعوا انفسهم من الله بالجنة كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك لان المقصود ببيعة رسوله هو وجه الله وتوثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه
قال ابن الشيخ لما كان الثواب انما يصل اليهم من قبله تعالى كان المقصود بالمبايعة منه عليه السلام المبايعة مع الله
وانه عليه السلام انما هو سفير ومعبر عنه تعالى وبهذا الاعتبار صاروا كأنهم يبايعون الله وبالفارسية جز اين
نيست كه بيعت ميكنند باخداى چه مقصود بيعت اوست وبراى طلب رضاى اوست قال سعدى المفتى الظاهر
والله اعلم ان المعنى على التشبيه اى كأنهم يبايعون الله وكذا الحال فى قوله (يد الله فوق ايديهم) اى كأن يد الله
حين المبايعة فوق ايديهم حذف اداة التشبيه للمبالغة فى التأكيد وذكر اليد لاخذهم بيد رسول الله حين البيعة
على ما هو عادة العرب عند المعاهدة والمعاقدة وفيه تشريف عظيم ليد رسول الله التى تعلو ايدى المؤمنين المبايعين
حيث عبر عنها بيد الله كما ان وضعه عليه السلام يده اليمنى على يده اليسرى لبيعة عثمان رضى الله عنه تفخيم لشأن
عثمان حيث وضعت يد رسول الله موضع يده ولم ينل تلك الدولة العظمى احد من الاصحاب فكانت غيبته رضى الله
عنه فى تلك الوقعة خيرا له من الحضور وقال بعضهم فيه استعارة تخييلية لتنزهه تعالى عن الجارحة وعن سائر
صفات الاجسام فلفظ الله فى يد الله استعارة بالكناية عن مبايع من الذين يبايعون بالايدى ولفظ اليد استعارة
تخييلية اريد به الصورة المنتزعة الشبيهة باليد مع ان ذكر اليد فى حقه تعالى لاجتماعه مع ذكر الايدى فى حق الناس
مشاكلة ازداد بها حسن التخييلية ثم ان قوله يد الله فوق ايديهم على كل من القولين تأكيد لما قبله والمقصود
تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما وحقيقته ان الله تعالى لو كان من شأنه التمثل
فتمثل للناس لفعل معه عين ما فعل مع نبيه من غير فرق فكان العقد مع النبى صورة العقد مع الله بل حقيقته
كما سيجيئ الاشارة اليه وقال الراغب فى المفردات يقال فلان يد فلان اى وليه وناصره ويقال لاولياء الله هم ايدى
الله وعلى هذا الوجه قال الله تعالى ان الذين يبايعونك الآية ويؤيد ذلك ما روى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ويده التى يبطش بها انتهى فيكون المعنى قوة الله ونصرته فوق
قوتهم ونصرتهم كأنه قيل ثق يا محمد بنصرة الله لك لا بنصرة اصحابك ومبايعتهم على النصرة والثبات وقال بعضهم
اليد فى الموضعين بمعنى الاحسان والصنيعة فالمعنى نعمة الله عليهم فى الهداية الى الايمان والى بيعة الرضوان فوق
ما صنعوا من البيعة كقوله تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقال السدى يأخذون بيد رسول الله
ويبايعونه ويد الله اى حفظ تلك المبايعة عن الانتقاض والبطلان فوق ايديهم كما ان احد المتبايعين اذا مد يده الى
الآخر لعقد البيع يتوسط بينهما ثالث فيضع يده على يديهما ويحفظ يديهما الى أن يتم العقد لا يترك واحدا منهما
ان يقبض يده الى نفسه ويتفرق عن صاحبه قبل انعقاد البيع فيكون وضع الثالث يده على يديهما سببا لحفظ
البيعة فلذلك قال تعالى يد الله فوق ايديهم يحفظهم ويمنعهم عن ترك البيعة كما يحفظ المتوسط ايدى المتبايعين وقال
اهل الحقيقة هذه الآية كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله فالنبى عليه السلام قد فنى عن وجوده بالكلية
وتحقق بالله فى ذاته وصفاته وافعاله فكل ما صدر عنه صدر عن الله فبايعته مبايعة الله كما ان اطاعته اطاعة الله
سلمى قدس سره فرموده كه اين سخن درمقام جمعست وحق سبحانه مرتبهٔ جمع را براى هيچ كس تصريح نكرده
الا براى آنكه اخص واشرف موجودات است ولهذا السر يقول عليه السلام يوم القيامة امتى امتى دون نفسى
نفسى لانه لم يبق فيه بقية الوجود اصلا وفيه اسوة حسنة للكمل من افراد امته فاعرفه جدا فمعنى يد الله فوق
ايديهم اى قدرته الظاهرة فى صورة قدرة النبى عليه السلام فوق قدرتهم الظاهرة فى صور ايديهم لانه مظهر الاسم

الاعظم المحيط الجامع وكل الاسماء تحت حيطة هذا الاسم الجليل فيد النبي عليه السلام مع غيره كيد السلطان مع ماسواه وهو اى قوله يد الله فوق ايديهم زيادة التصريح فى مقام عين الجمع لحصول هذا المعنى الاطلاقى بمراقبته والخلاع ان الله تعالى جعل نبيه صلى الله عليه وسلم مظهرا لكمالاته ومرآة لتجلياته ولذا قال عليه السلام من رآنى فقد رأى الحق ولما فنى عليه السلام عن ذاته وصفاته وافعاله كان نائبا عن الحق فى ذاته وصفاته وافعاله كما قيل (ع) نائبست ودست اودست خداى * وفى هذا المقام قال الحلاج انا الحق وابو يزيد سبحانى ما اعظم شانى وابو سعيد الخراز ليس فى الجبة غير الله قال الواسطى اخبر الله بهذه الآية ان البشرية فى نبيه عارية واضافة لا حقيقة يعنى فظاهره مخلوق وباطنه حق ولذا يجوز السجدة لباطنه دون ظاهره اذ ظاهره من عالم التقييد وباطنه من عالم الاطلاق واذا كانت الصلاة جائزة على الموتى فما ظنك بالاحياء فاعرف جدا فانه انما جازت الصلاة على الموتى لاشتمالهم على حصة من الحقيقة المحمدية الجامعة الكبرى (فمن نكث) النكث نقض نحو الحبل والغزل استعير لنقض العهد اى فمن نقض عهده وبيعته وازال ابرامه واحكامه (فانما ينكث على نفسه) فانما يعود ضرر نكثه على نفسه لان الناكث هو لاغير (ومن اوفى بما عاهد عليه الله) بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو واذا صله هو توسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة اى ومن اوفى بعهده وثبت عليه واتمه (فسيؤتيه اجرا عظيما) هى الجنة ومافيها من رضوان الله العظيم والنظر الى وجهه الكريم ويحتمل ان يراد بنكث العهد ماينتاول عدم مباشرته ابتداء ونقضه بعد انعقاده لما روى عن جابر رضى الله عنه انه قال بايعنا رسول الله بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احدمنا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم اى الى المبايعة حين دعوا اليها درموضح آورده كه سه چيز راجع باهل آن ميشود يكى مكركه ولا يحيق المكر السيئ الا باهله دوم ستم كه انما بغيكم على انفسكم سيوم نقض عهد كه فمن نكث فانما ينكث على نفسه ودرعهد وپيمان گفته اند * پيمان مشكن كه هر كه پيمان بشكست * ازپاى درافتاد وبرون رفت زدست * ازانكه بدردست بود پيمان الست * نشكسته بهيچ حال هرعهد كه بست (كما قال الحافظ) ازدم صبح ازل تاآخر شام ابد * دوستى ومهر بريك عهد ويك ميثاق بود (وقال) پيمان شكن هر آينه كرد دشكسته حال * ان العهود لدى اهل النهى ذمم * قال بعض الكبار هذه البيعة نتيجة العهد السابق المأخوذ على العباد فى بدء الفطرة فيضرهم النكث وينفعهم الوفاء قال الشيخ اسمعيل بن سودكين فى شرح التجليات الاكبرية قدس الله سرهما المبايعون ثلاثة الرسل والشيوخ الورثة والسلاطين والمبايع فى هؤلاء الثلاثة على الحقيقة واحد وهو الله تعالى وهؤلاء الثلاثة شهود الله تعالى على بيعة هؤلاء الاتباع وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يجمعها القيام بأمر الله وعلى الاتباع الذين بايعوهم شروط يجمعها المتابعة فيما امروا به فاما الرسل والشيوخ فلا يأمرون بمعصية اصلا فان الرسل معصومون من هذا والشيوخ محفوظون واما السلاطين فمن خق منهم بالشيوخ كان محفوظا والا كان مخذولا ومع هذا فلا يطاع فى معصية والبيعة لازمة حتى يلقوا الله تعالى ومن نكث الاتباع من هؤلاء فحسبه جهنم خالدا فيها لا يكلمه الله ولا ينظر اليه وله عذاب اليم هذا كما قال ابو سليمان الدارانى قدس سره هذا حظه فى الآخرة واما فى الدنيا فقد قال ابو يزيد البسطامى قدس سره فى حق تلميذه لما خالفه دعوا من سقط من عين الله فرؤى بعد ذلك مع المخنثين وسرق فقطعت يده هذا لما نكث اين هو ممن وفى بيعته مثل تلميذ الدارانى قيل له الق نفسك فى التنور فالقى نفسه فيه فعاد عليه بردا وسلاما هذه نتيجة الوفاء انتهى بقول الفقير ثبت بهذه الآية سنة المبايعة واخذ التلقين من المشايخ الكبار وهم الذين جعلهم الله قطب ارشاد بان اوصلهم الى التجلى العينى بعد التجلى العلمى اذ لافائدة فى مبايعة الناقصين المحجوبين لعدم اقتدارهم على الارشاد والتسليك وعن شداد بن اوس وعبادة بن الصامت رضى الله عنهما قالا كنا عند رسول الله عليه السلام فقال هل فيكم غريب يعنى اهل كتاب قلنا لا يارسول الله فأمر بغلق الباب فقال ارفعوا ايديكم فقولوا لا اله الا الله فرفعنا ايدينا ساعة ثم وضع رسول الله يده ثم قال الحمد لله اللهم انك بعثتنى بهذه الكلمة وامرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة انك لا تخلف الميعاد ثم قال أبشروا فان الله قد غفر لكم كما فى ترويح القلوب لعبد الرحمن البسطامى قدس سره وعن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله تسعة اوثمانية اوسبعة فقال الا تبايعون رسول الله وكنا حديثى عهد ببيعته فقلنا قد بايعناك يارسول الله قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا وقلنا على م نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا

وامرأته خفية ولا تسألوا الناس ولقد رأيت بعض اولئك النفر يسقط سوط احدهم فلا يسأل احدا يناوله اياه
رواه مسلم والترمذى والنسائى كما فى الترغيب والترهيب للامام المنذرى رحمه الله وعن عبادة بن الصامت قال
اخبرنى ابى عن ابيه قال بايعنا رسول الله على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وان لا ننازع الامر
اهله وان نقول بالحق حيث كنا ولا نخاف فى الله لومة لائم كما فى عوارف المعارف للسهروردى قدس سره وقوله
وان لا ننازع الامر اهله اى اذا فوض امر من الامور الى من هو اهل لذلك الامر لا ننازع فيه ونسلم ذلك الامر له
وقوله حيث كنا اى عند الصديق والعدو والاقرب والابعد كما فى حواشى زين الدين الحنفى رحمه الله والاخذ من
البشر المذكور اخذ اليد فى المبايعة وذلك بالنسبة الى الرجال دون النساء لما روى ان النساء اجتمعن عند النبى
عليه السلام وطلبن ان يعاهدهن بايعه فقال لا امس يدى يد المرأة ولكن قولى لامرأة واحدة كقولى لمائة امرأة
فبايعهن بالكلام ثم طلبن منه البركة فوضع يده الشريفة فى الماء ودفعه اليهن فوضعن ايديهن فيه كذا ذكره الشيخ
عبد العزيز الديرينى فى الروضة الانيقة وكذا فى ترجمة الفتوحات حيث قال ورسول عليه السلام وفات
كرد ودست او بهيج زن نامحرم نرسيد وبا زنان مبايعه بسخن مى كرد وقول او با يك زن چنان بود كه با صد انتهى
وقال فى انسان العيون بايعه عليه السلام ليلة العقبة الثانية السبعون رجلا وبايعه المرأتان من غير مصافحة لانه
صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا احرزن قال اذهبن فقد بايعتكن انتهى
وفى الاحياء ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلاة ولمجالس الذكر اذا خيفت الفتنة اذ منعتهن عائشة
رضى الله عنها فقيل لها ان رسول الله ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله ما احدثن بعده لمنعهن انتهى
فحضورهن مجالس الوعظ والذكر من غير حائل يمنع من النظر اذا كان محظورا منكرا فكيف مس ايديهن
كما فى مشيخة هذا الزمان ومبتدعته وربما يمسون المسك لاجل النساء اللاتى يحضرن مجالسهم ويبايعنهم
كما سمعناه من الثقات والعياذ بالله تعالى ولنعد الى تحرير المقام قال ابو يزيد البسطامى قدس سره من لم يكن له استاذ
فامامه الشيطان وحكى الاستاذ ابو القاسم القشيرى عن شيخه ابى على الدقاق قدس سرهما انه قال الشجرة اذا
نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق ولا تثمر وهو كما قال ويجوز انها تثمر كالاشجار التى فى الاودية والجبال ولكن
لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين والغرس اذا نقل من موضع الى موضع آخر يكون احسن واكثر ثمرة
لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود التعليم فى الكلب المعلم واحل ما يقتله بخلاف غير المعلم وسمعت كثيرا من
المشايخ يقولون من لم ير مفلحا لا يفلح ولنا فى رسول الله اسوة حسنة فاصحاب رسول الله تلقوا العلوم والآداب
من رسول الله كما روى عن بعض الصحابة علمنا رسول الله كل شئ حتى الخراءة بكسر الخاء المعجمة بمعنى قضاء الحاجة
ولا بد لطالب الحق من اديب كامل واستاذ حاذق بصير بآفات النفوس وفساد الاعمال ومداخل العدو فاذا
وجد مثل هذا فليلازمه وليصحبه وليتأدب بآدابه ليسرى من باطنه الى باطنه حال قوى كسراج يقتبس من
سراج ولينسلخ من ارادة نفسه بالكلية فان التسليم له تسليم لله ولرسوله لان سلسلة التسليم تنتهى الى رسول الله
والى الله (وفى المثنوى) كفت طوبى من رآنى مصطفى * والذى يبصر لمن وجهى راى * چون چراغى نور
شمعى را كشيد * هر كه ديد آنرا يقين آن شمع ديد * همچنين تا صد چراغ ار نقل شد * ديدن آخر لقاى اصل شد *
خواه نور از واپسين بستان بجان * هيچ فرقى نيست خواه از شمعدان * وفى الحديث الحجر الاسود يمين الله
فى ارضه فمن لم يدرك بيعة رسول الله فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله وفى رواية الركن يمين الله فى الارض تصافح بها
عباده كما يصافح احدكم اخاه قال السخاوى معنى الحديث ان كل ملك اذا قدم عليه قبلت يمينه ولما كان الحاج
والمعتمر يتعين لهما تقبيله نزل منزلة يمين الملك ويده ولله المثل الاعلى وكذلك من صافحه كان له عند الله عهد كما ان الملك
يعطى العهد والعهد بالمصافحة انتهى يقول الفقير لا شك ان الكعبة عند اهل الحقيقة اشارة الى مرتبة الذات
الاحدية والذات الاحدية قد تجلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع اسمائها وصفاتها فكانت الكعبة صورة
رسول الله والحجر الاسود صورة يده الكريمة واما حقيقة سر الكعبة والحجر فذاته الشريفة ويمينه المباركة ومن هنا
تعرف ان الانسان الكامل افضل من الكعبة وكذا يده اولى من الحجر ولما انتقل النبى عليه السلام خلفه ورثته
بعده فهم مظاهر هذين السرين فلا بد من تقبيل الحجر فى الشريعة ومن تقبيل يد الانسان الكامل فى الحقيقة فانه
المبايعة الحقيقية فانها عين المبايعة مع الله ورسوله ثم اذا وقعت المبايعة للمبايع فى ذلك اوان ارتضاع وزمان انفطام

فلا يفارق من بابه الا بعد حصول المقصود بان ينفتح له باب الفهم من الله ومتى فارق قبل اوان انفطام يناله من الاعلال فى الطريق بالرجوع الى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال المفطوم لغير اوانه فى الولادة الطبيعية وكذا الحال فى العلم الظاهر فانه لابد فيه من التكميل ثم الاذن من الاستاذ للتدريس قال فى الاشباه لما جلس ابو يوسف للتدريس من غير اعلام ابى حنيفة ارسل اليه ابو حنيفة رجلا فسأله عن مسائل خمس * الاولى قصار جحد الثوب ثم جاء به مقصورا هل يستحق الاجر اولا فاجاب ابو يوسف يستحق الاجر فقال له الرجل اخطأت فقال لا يستحق فقال اخطأت ثم قال له الرجل ان كانت القصارة قبل الجحود استحق والا لا * الثانية هل الدخول فى الصلاة بالفرض او بالسنة فقال بالفرض فقال اخطأت فقال بالسنة فقال اخطأت فتحير ابو يوسف فقال الرجل بهما لان التكبير فرض ورفع اليدين سنة * الثالثة طير سقط فى قدر على النار فيه لحم ومرق هل يؤكلان اولا فقال يؤكلان فخطأه فقال لا يؤكلان فخطأه ثم قال ان كان اللحم مطبوخا قبل سقوط الطير يغسل ثلاثا و يؤكل وترمى المرقة والا يرمى الكل * الرابعة مسلم له زوجة ذمية ماتت وهى حامل منه تدفن فى اى المقابر فقال ابو يوسف فى مقابر المسلمين فخطأه فقال فى مقابر اهل الذمة فخطأه فتحير فقال تدفن فى مقابر اليهود ولكن يحول وجهها عن القبلة حتى يكون وجه الولد الى القبلة لان الولد فى البطن يكون وجهه الى ظهر امه * الخامسة ام ولد لرجل تزوجت بغير اذن مولاها فمات المولى هل تجب العدة من المولى فقال تجب فخطأه فقال لا تجب فخطأه ثم قال الرجل ان كان الزوج دخل بها لا تجب والا وجبت فعلم ابو يوسف تقصيره فعاد الى ابى حنيفة فقال تزببت قبل ان تحصرم (قال الشيخ سعدى) يكى در صنعت كشتى كيرى بسر آمده بود وسيصد وشصت بند فاخر درين علم بدانستى وهر روز بنوعى كشتى كرفتى مكر كوشهٔ خاطرش باجمال يكى ازشاكردان ميل داشت سيصد وپنجاه ونه بند اورا آموخت مكر يك بند كه درتعليم آن دفع انداختى وتهاون كردى فى الجمله بسر درقوت وصنعت بسر آمد وكسى را با اومجال مقاومت نماند تا بحدى كه پيش ملك كفت استاد را فضيلتى كه برمنست از روى بزركيست وحق تربيت وكرنه بقوت ازو كمتر نيستم وبصنعت بااو برابر ملك را اين سخن بسنديده نيامد بفرمود تامصارعه كنند مقامى متسع ترتيب كردند و اركان دولت واعيان حضرت وزوراوران اقليم حاضر شدند پسر چون پيل مست درآمد بصدمتى كه اكر كوه آهنين بودى ازجاى بركندى استاد دانست كه جوان ازو بقوت برترست بدان بند غريب كه ازونهان داشته بود براو درآويخت وبدو دست بركرفت اززمين بربالاى سر بردو برزمين زد غريو ازخلق برخاست ملك فرمود تا استاد را خلعت ونعمت بى قياس دادند وپسر را زجر وملامت كرد كه با پرورندهٔ خويش دعوى مقاومت كردى وبسر نبردى كفت اى خداوند مرا بزوردست ظفر نيافت بلكه ازعلم كشتى دقيقهٔ مانده بود كه ازمن دريغ همى داشت امروز بدان دقيقه برمن دست يافت استاد كفت از بهر چنين روز نهان داشتم فعلم ان التلميذ لا يبلغ درجة استاذه فى زمانه فللاستاذ العلو من كل وجه * مريد ان بقوت ز طفلان كنند * مشايخ چو ديوار مستحكمند * قال فى كشف النور عن اصحاب القبور واما هذا الزى المخصوص الذى اتخذه كل فريق من الصوفية كلبس المرقعات ومآزر الصوف والملويات فهو امر قصدوا به التبرك بمشايخهم الماضية فلا ينهون عنه ولا يؤمرون به فان غالب ملابس هذا الزمان من هذا القبيل كالعمائم التى اتخذها الفقهاء والمحدثون والعمائم التى اتخذها العساكر والجنود والملابس التى يتخذها عوام الناس وخواصهم فانها جميعها مباحة وليس فيها شىء يوافق السنة الا القليل ولا نقول انها بدعة ايضا لان البدعة هى الفعلة المخترعة فى الدين على خلاف ما كان عليه النبى عليه السلام وكانت عليه الصحابة والتابعون رضى الله عنهم وهذه الهيئات والملابس والعمائم ليست مبتدعة فى الدين بل هى مبتدعة فى العادة ولا هى مخالفة للسنة ايضا على حسب ما عرف الفقهاء السنة بانها كل فعلة فعلها النبى عليه السلام على وجه العبادة لا العادة ولم يكن النبى عليه السلام يلبس العمامة على سبيل العبادة ولا يلبس الثياب المخصوصة على طريق العبادة وانما القصد بذلك ستر العورة ودفع اذية الحر والبرد ولهذا ورد عنه لبس الصوف والقطن وغير ذلك من الثياب العالية والسافلة فليس بمخالفته فى ذلك مخالفة سنة وان كان الاتباع فى جميع ذلك افضل لانه مستحب انتهى قال فى العوارف لبس الخرقة اى من يد الشيخ علامة التفويض والتسليم ودخوله فى حكم الشيخ دخوله فى حكم الله تعالى وحكم رسوله عليه السلام واحياء سنة المبايعة مع رسول الله قالت ام خالد اتى النبى عليه السلام بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة وهى كساء اسود مربع له علمان فان لم يكن معلما فليس بخميصة

فقال عليه السلام من ترون اكسو هذه فسكت القوم فقال عليه السلام ائتونى بام خالد قالت فاتى بى فالبسنيها بيده فقال ابلى واخلقى يقولها مرتين وجعل ينظر الى علم فى الخميصة اصفر واحمر ويقول يا ام خالد هذا سناه والسناه هو الحسن بلسان الحبشة ولا خفاء بان لبس الخرقة على الهيئة التى يعهدها الشيوخ فى هذا الزمان لم يكن فى زمن رسول الله وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ وقد كان طبقة من السلف الصالحين لا يعرفون الخرقة ولا يلبسونها المريدين فمن يلبسها فله مقصد صحيح واصل من السنة وشاهد من الشرع ومن لا يلبسها فله رأى وله فى ذلك مقصد صحيح وكل تصاريف المشايخ محمولة على السداد والصواب ولا تخلو عن نية خالصة فيها انتهى كلام العوارف باختصار وقال الشيخ زين الدين الخافى فى حواشيه قد صح واشتهر بنقل الاولياء كابرا عن كابر على ما هو مسطور فى اجازات المشايخ ان رسول الله البس عليا الخرقة الشريفة وهو البس الحسن البصرى وكميل بن زياد رضى الله عنهما وفى المقاصد الحسنة ان ائمة الحديث لم يثبت والحسن من على سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقة قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الضرورى من اللباس الظاهر ما يستر السوات والرياش ما يزيد على ذلك مما تقع به الزينة والضرورى من اللباس الباطن هو تقوى المحارم مطلقا ما يوارى سوأة الباطن والريش لباس مكارم الاخلاق مثل نوافل العبادات كالنصح والاصلاح فاراد اهل الله ان يجمعوا بين اللباستين ويتزينوا بالزينتين ليجمعوا بين الحسنيين فيثابوا من الطرفين فلبسوا الخرقة والبسوها ليكون تنبيها على ما يريدونه من لباس بواطنهم وجعلوا ذلك اصلا واصل هذا اللباس عندى ما التى فى سرى ان الحق لبس قلب عبده فانه قال ما وسعنى ارضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى فان الثوب وسع لابسه وظهر هذا الجمع بين اللباستين فى زمان الشبلى وابن حفيف الى هلم جرا فجرينا على مذهبهم فى ذلك فلبسناها من ايدى مشايخ جم سادات بعد ان صحبناهم وتأدبنا بآدابهم ليصح اللبس ظاهرا وباطنا انتهى باختصار نسأل الله سبحانه ان يجعل لباس التقوى لباسا خيرا لنا وان يصحح نياتنا وعقائدنا واعمالنا واحوالنا انه هو المعين لاهل الدين الى ان يأتى اليقين (سيقول لك المخلفون من الاعراب) السين للاستقبال يقال خلفته بالتشديد تركته خلفى وخلفوا اثقالهم تخليفا خلوها وراء ظهورهم والتخليف بالفارسية وابس كذاشتن ودر انجام ادا زمخلفون بازپس كرد كان خداى يعنى ايشان كه بازپس كرده اند از صحبت رسول عليه السلام از بايه نشنان خلفهم الله عن رسول الله كما قال كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع الخالفين قال فى المفردات العرب اولاد اسمعيل عليه السلام والاعراب جمعه فى الاصل وصار ذلك اسما لسكان البادية وقيل فى جمع الاعراب اعاريب والاعرابى صار اسما فى التعارف للمنسوب الى سكان البادية انتهى وفى القاموس العرب بالضم وبالتحريك خلاف العجم مؤنث وهم سكان الامصار والاعراب منهم سكان البادية ويجمع على اعارب انتهى وفى مختار الصحاح العرب جيل من الناس والنسبة اليهم عربى وهم اهل الامصار والاعراب منهم سكان البادية خاصة والنسبة اليهم اعرابى وليس الاعراب جمع العرب بل هو اسم جنس انتهى وقال ابن الشيخ فى سورة التوبة العرب هو الصنف الخاص من بنى آدم سواء سكن البوادى ام القرى واما الاعراب فانه لا يطلق الا على من يسكن البوادى فالاعراب جمع اعرابى كما ان العرب جمع عربى والمجوس جمع مجوسى واليهود جمع يهودى بحذف ياء النسبة فى الجمع ويدل على الفرق بين العرب والاعراب قوله عليه السلام حب العرب من الايمان وقوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا حيث مدح العرب وذم الاعراب الذين هم سكان البادية فعلى هذا يكون العرب اعم من الاعراب وقيل العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى والاعراب اهل البدو فعلى هذا القول يكونان متباينين انتهى والمراد هنا هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والدئل بالكسر تخلفوا عن رسول الله عليه السلام حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يتعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت واحرم عليه السلام وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله اليه عليه السلام بانهم سيعتلون اى عند وصولك الى المدينة ويقولون (شغلتنا) مشغول كردمارا والشغل العارض الذى يذهل الانسان وقد شغل فهو مشغول (اموالنا واهلونا) ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع والاموال جمع مال وهو كل ما يملكه الناس من دراهم او دنانير او ذهب او فضة او حنطة او خبز او حيوان او ثياب او سلاح وغير ذلك والمال

العين هو الملح مروب وسمى المال مالالكونه بالذات تميل القلوب اليه وفى التلويح المال مايميل اليه الطبع ويدخر لوقت الحاجة اوما خلق لمصالح الآدمى ويجرى فيه الشح والضنة انتهى والاهلون جمع اهل واهل الرجل عشيرته وذووا قرباه وقد يجمع الاهل على اهالى وآهال واهلات ويحرك كأرضات على تقدير تاء التأنيث اى على ان اصله اهله كما فى ارض فحكمه حكم تمرة حيث يجوز فى تمرات تحريك الميم (فاستغفر لنا) الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار (يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم) تكذيب لهم فى الاعتذار وسؤال الاستغفار يعنى انه تكذيب لهم فيما يتضمنه من الحكم من انا مؤمنون حقا معترفون بذنوبنا فالشك والنفاق هو الذى خلفهم لاغير وفى الآية اشارة الى ان القلوب الغافلة عن الله يقولون اى اهلها بألسنتهم ماليس له حقيقة ولاشعور لقلوبهم على حقيقة مايقولون فانهم يقولون ويريدون به معنى آخر كقولهم شغلتنا اموالنا واهلونا مجازا يريدون به اعتذارا لتخلفهم ولقولهم شغلتنا حقيقة وذلك ان اموالهم واهليهم شغلتهم عن ذكر الله والائتمار بأوامره وعن متابعة النبى عليه السلام وهم مأمورون بها (قال المولى الجامى) مكن تعلق خاطر بنقش صفحهٔ دهر * جريده وارهمى زى وساده وش مى باش (قل) ردا لهم عند اعتذارهم اليك بأباطيلهم (فمن يملك لكم من الله شيأ) اى فمن يقدر لاجلكم من مشيئة الله وقضائه على شئ من النفع (ان اراد بكم ضرا) اى مايضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما (اواراد بكم نفعا) اى ومن يقدر على شئ من الضرر ان اراد بكم ماينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فاى حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما (بل كان الله بما تعملون خبيرا) اى ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ماتعملون من الاعمال التى من جملتها تخلفكم وماهو من مباديه فمن ترك امر الله ومتابعة رسوله وقعد طلبا للسلامة دخل فى الآية ثم لم يجد خلاصا من الضرر والبلاء فان الله تعالى قادر على ايصال المكروه ولو بغير صورة القتال فلابد من الصدق والعمل بالاخلاص والتوكل على الله تعالى فان فيه الخلاص نقلست كه يكروز كسان حجاج ظالم حسن بصرى را رضى الله عنه طلب كردند حسن درصومعهٔ حبيب عجمى قدس سره پنهان شد حبيب را كفتند امروز حسن را ديدى كفت ديدم كفتند كجاست كفت درين صومعه شد درصومعه رفتند چندانكه طلب كردند حسن را نيافتند چنانكه حسن كفت هفت باردست برمن نهادند ومرا نديدند وبيرون آمدند وكفتند اى حبيب آنچه حجاج باشما كند سزاى شماست تاچرا دروغ ميكوييد حبيب كفت اودرپيش من درين جاشد اكرشما نمى دانيد ونمى بنيد مراچه جرم عوانان ديكرباره طلب كردند نيافتند حسن ازصومعه بيرون آمد كفت اى حبيب حق استادى نكاه داشتى ومرا بعوانان غمز ميكردى كفت اى استاذ بروكه براست كفتن خلاص يافتى كه اكر دروغ ميكفتمى هردو كرفتار خواستيم شدن (قال الحافظ) بصدق كوش كه خورشيد زايد از نفست - كه ازدروغ سيه روى كشت صبح نخست * حسن كفت چه كردى كه مرا نديدند كفت نه بار آية الكرسى ونه بار آمن الرسول ونه بار قل هو الله احد بخواندم وبازكفتم كه خدايا حسن رابتو سپردم كه نكاهش دارى وهكذا يحفظ الله اولياءه الصادقين وينصرهم ويترك اعداءه الكافرين ويخذلهم (بل ظننتم) الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام اى بل ظننتم ايها المخلفون (ان لن ينقلب) ان لن يرجع وبالفارسية بلكه كمان ميبرديد انكه بازنكردد (الرسول) صلى الله عليه وسلم (والمؤمنون) الذين معه وهم الف واربعمائة (الى اهليهم) بسوى اهالئ خود بمدينه (ابدا) هركزاى بان يستأصلهم المشركون بالكلية فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفكم لاماذكرتم من المعاذير الباطلة (وزين ذلك فى قلوبكم) واراسته شد اين كمان در دلهاى شما يعنى شيطان بياراست وقبلتموه واشتغلتم بشان انفسكم غير مبالين بهم (وظننتم ظن السوء) وكمان برديد كمان بد المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء والافهو من عطف الشئ على نفسه اومايعمه وغيره من الظنون الفاسدة التى من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه السلام فان الجازم بصحتها لايحوم حول فكره ماذكر من الاستئصال فبهذا التعميم لايلزم التكرار (وكنتم قوما بورا) اى هالكين عند الله مستوجبين سخطه وعقابه على انه جمع بائر بمعنى هالك كعائذ وعوذ وهى من الابل والخيل الحديثة النتاج اوفاسدين فى انفسكم وقلوبكم ونياتكم لاخير فيكم فان البور الفاسد فى بعض اللغات وقيل البور مصدر من بار كالهلاك من هلك بناء ومعنى ولذا وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث فيقال رجل بور وقوم بور وفى المفردات البوار فرط الكساد

ولما كان فرط الكساد يؤدى الى الفساد كما قيل كسد حتى فسد عبر بالبوار عن الهلاك وكانوا قوما بورا اى هلكى انتهى وفيه اشارة الى ان كل من ظن انه يصيبه فى الغزو قتل اوجراحة اومايكره من المصائب ثم يتخلف عن الغزو فانه من الهالكين وقد استولى الشيطان على قلبه فزين فى قلبه الحياة الدنيا ليؤثرها على الحياة الآخرة بمالتى اعدت للشهدآء والدرجات العلى فى الجنة والقربات فى جوار الحق تعالى * مكن زغصه شكايت كه درطريق طلب * براحتى نرسيد انكه زحمتى نكشيد (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) كلام مبتدأ من جهته تعالى ومن شرطية او موصولة اى ومن لم يؤمن بهما كدأب هؤلاء المخلفين (فانا اعتدنا للكافرين سعيرا) اى لهم وانما وضع موضع الضمير العائد الى من الكافرون ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله وهو كافر فانه مستوجب السعير اى النار الملتهبة وتنكيرها للتهويل اوالدلالة على انها سعير لا يكتنه كنههما اولا نهانار مخصوصة كما قال نارا تلظى فالتنكير للتنويع (ولله ملك السموات والارض) ومافيهما يتصرف فى الكل كيف يشاء وبالفارسية مر خدا راست پادشاهى آسمانها وزمينها زمام امور ممالك علوى وسفلى در قبضهٔ قدرت اوست (يغفر لمن يشاء) ان يغفرله وهو فضل منه (ويعذب من يشاء) ان يعذبه وهو عدل منه من غير دخل لاحد فى شئ منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة فى استغفاره عليه السلام لهم (وكان الله غفورا رحيما) مبالغا فى المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الالمن تقتضى الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله واما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا فالاية نظير قوله تعالى فى الاحزاب ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما اى يعذب المنافقين ان شاء تعذيبهم اى ان لم يتوبوا فان الشرك لا يغفر البتة او يتوب عليهم اى يقبل توبتهم ان تابوا فالله تعالى يمحو بتوبة واحدة ذنوب العمر كله ويعطى بدل كل واحدة منها حسنة وثوابا قال ابو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله افرح بتوبة عبده المؤمن من الضال الواجد ومن الظمآن الوارد ومن العقيم الوالد ومن تاب الى الله توبة نصوحا انسى الله حافظيه وبقاع ارضه خطاياه وذنوبه * كرآينه از آه كردد تباه * شود روشن آينهٔ دل بآه * تو پيش از عقوبت در عفو كوب * كه سودى ندارد فغان زير چوب * وفى هذا المعنى قال الكمال الخجندى * تراچه سود برون جز او قايه وحرز * كه از وقايهٔ عفوش حمايتى نرسيد * وفى الآية اشارة الى ان من اطفأ سعير نفسه وشعلة صفاتها بماء الذكر وترك الشهوات يؤمن قلبه وينجو من سعير النفس وهو حال من آمن بالله ورسوله والا فيكون سعير نفسه وشعلة صفاتها مستولية على القلب فتحرقه ومايبقى من آثاره شيأ وهو حال من لم يؤمن بالله ورسوله ولله ملك سموات القلوب وارض النفوس يغفر لنفس من يشاء ويزكيها عن الصفات الذميمة ويجعلها مطمئنة قابلة لجذبة ارجعى ويعذب قلب من يشاء باستيلاء صفات النفس عليه ويقلبه كما لم يؤمن به وكان الله غفورا القلب من يشاء رحيما لنفس من يشاء يؤتى ملك نفس من يشاء لقلبه وينزع ملك قلب من يشاء ويؤتيه لنفسه (سيقول المخلفون) المذكورون (اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها) ظرف لما قبله لا شرط لما بعده وانطلقتم اى ذهبتم يقال انطلق فلان اذا مر متخلفا واصل الطلاق التخلية من وثاق كما يقال حبس طلقا وبضم اى بلاقيد ولا وثاق والمغانم جمع مغنم بمعنى الغنيمة اى الفيئ اى سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا عما فاتكم من غنائم مكة اذا انصرفوا منها على صلح ولم يصيبوا منها شيأ فالسين يدل على القرب وخيبر اقرب مغانم انطلقوا اليها فهى هى فان قيل كيف يصح هذا الكلام وقد ثبت انه عليه السلام اعطى من قدم مع جعفر رضى الله عنه من مهاجرى الحبشة وكذا الدوسيين والاشعريين ولم يكونوا ممن حضر الحديبية فلما كان ذلك باستنزال اهل الحديبية عن شئ من حقهم ولولان بعض خيبر كانت صلحا فاقال موسى بن عقبة ومن تبعه ماقالوا وكان ما اعطاهم من ذلك كما فى حواشى سعدى المفتى (ذرونا) بگذاريد مارا امر من يذر الشئ اى يتركه ويقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه (نتبعكم) الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها (يريدون ان يبدلوا كلام الله) بان يشاركوا فى المغانم التى خصها باهل الحديبية فانه عليه السلام رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره الله تعالى فالمراد بكلام الله ماذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة لاقوله تعالى لن تخرجوا معى ابدا فان ذلك فى غزوة تبوك (قل) اقناطا لهم (لن تتبعونا) اى لا تتبعونا فانه نفى فى معنى النهى للمبالغة وقال سعدى المفتى لن

ليس للتأبيد سيما اذا اريد النهي والمراد لن تتبعونا في خيبر اودية ومتهم على مرض القلوب وقال ابو الليث لن تتبعونا
في المسير الى خيبر الا متطوعين من غير ان يكون لكم شئ كذا في الغنية (كذلكم قال الله) همچنين كفته است خداى
تعالى (من قبل) اى عند الانصراف من الحديبية (فسيقولون) المؤمنين عند سماع هذا النهي (بل تحسدوننا)
اى ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم الحسد تمنى زوال النعمة عمن يستحق لها وربما
يكون من ذلك سعى في ازالتها وروى المؤمن يغبط والمنافق يحسد وقال بعض الكبار لا يكون الحسد على المرتبة الا
بين الجنس الواحد لا بين الجنسين ولذلك كان اول ابتلاء ابتلى الله به عباده بعثة الرسل اليهم منهم لا من غيرهم لتقوم
الحجة على من جحد قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يعني لو كان الرسول الى البشر ملكا لنزل في صورة رجل
حتى لا يعرفوا انه ملك لانهم لو راوه ملكا لم يقم بهم حسد (بل كانوا لا يفقهون) اى لا يفهمون قال الراغب الفقه
هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم والفقه العلم باحكام الشريعة وفقه اى فهم فقها (الا قليلا)
اى الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا وهو وصف لهم بالجهل المفرط وسوء الفهم في امور الدين وعن علي
رضي الله عنه اقل الناس قيمة اقلهم علما واعلم ان العلم انما ازداد بصحبة اهله ولما تخلف المنافقون عن صحبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصفهم الله بعدم الفقه فلا بد من مجالسة العلماء العاملين حتى تكون الدنيا وراء الظهر ويجعل
الرغبة في الآخرة وقد قال عليه السلام اطلبوا العلم ولو بالصين فكلما بعد المنزل كثر الخطى وعن بعضهم قال رأيت
في الطواف كهلا قد اجهدته العبادة وبيده عصا وهو يطوف معتمدا عليها فسألته عن بلده فقال خرسان ثم قال لي
في كم تقطعون هذا الطريق قلت في شهرين او ثلاثة فقال افلا تحجون كل عام فقلت له وكم بينكم وبين هذا البيت
قال مسيرة خمس سنين قلت هذا والله هو الفضل المبين والمحبة الصادقة فضحك وانشأ يقول

زر من هويت وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب واستار
لا يمنعنك بعد عن زيارته * ان المحب لمن يهواه زوار

وفي الآية اشارة الى ان الدنيا من مظان الحسد وهو من رذائل النفس وفي الحديث (لا تحاسدوا) اى على نعم الله
تعالى مالا او علما او غير ذلك الا ان يقع الغبطة على المال المبذول في سبيل الله والعلم المعمول به المنشور (ولا تناجشوا)
النجش هو ان تزيد في ثمن سلعة ولا رغبة لك في شرائها وقيل هو تحريض الغير على شر (ولا تباغضوا) الا ان يكون
البغض في الله قال الشيخ الكلاباذي معنى لا تباغضوا لا تختلفوا في الاهواء والمذاهب لان البدعة في الدين
والضلال عن الطريق يوجب البغض عليه (ولا تدابروا) اى لا تقاطعوا فان التدابر التقاطع وان يولي الرجل
صاحبه دبره فيعرض عنه كما في الفائق او لا تغتابوا وصفة الاخوة التقابل كما قال اخوانا على سرر متقابلين
وكما قال عليه السلام (وكونوا عباد الله اخوانا) قال الحافظ هيچ رحمى نه برادر ببرادر دارد * هيچ شوقى نه پدر
را به پسر مى بينم * دختران را همه جنگست وجدل با مادر * پسران را همه بدخواه پدر مى بينم * نسأل الله السلامة
والعافية (قل للمخلفين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا العنوان لذمهم مرة بعد اخرى فان التخلف عن صحبة
الرسول عليه السلام شناعة اى شناعة (ستدعون الى قوم) بحرب كروهى (اولى بأس شديد) اى اولى
قوة في الحرب وبا كفار سخت كروهى بازور سخت وهم بنو حنيفة كسفينة ابو حي كما في القاموس والمراد اهل
اليمامة قوم مسيلمة الكذاب او هم غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله او المشركون لقوله تعالى (تقاتلونهم او يسلمون)
استئناف كأنه قيل لماذا فأجيب ليكن احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير واما من عدا المرتدين
والمشركين من العرب فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام يعني ان المراد بقوله اولي بأس شديد هم المرتدون
والمشركون مطلقا سواء كانوا مشركي العرب او العجم بناء على ان من عدا الطائفتين المذكورتين وهم اهل الكتاب
والمجوس ليس الحكم فيهم ان يقاتلوا الى ان يسلموا بل تقبل منهم الجزية بخلاف المرتدين ومشركي العرب والعجم
فانه لا تقبل منهم الجزية كما يقاتلون حتى يسلموا وهذا عند الشافعي واما عند ابي حنيفة رحمه الله فمشركوا العجم
تقبل منهم الجزية كما تقبل من اهل الكتاب والمجوس والذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف انما هم مشركوا
العرب والمرتدون فقط عنده وفي الآية دليل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذا لم يتفق دعوة المخلفين الى قتال
اولى البأس الشديد لغيره من الخلفاء وقد وعدهم الثواب على طاعته واوعدهم على مخالفته بقوله فان تطيعوا الخ
ومن اوجب الله طاعته يكون اماما حقا فيكون ابو بكر اماما حقا الا اذا ثبت ان المراد باولى البأس اهل حنين وهم

ثقيف وهوازن فلا دلالة للآية حينئذ على امامة ابي بكر لان الدعوة الى قتالهم كانت في حياته عليه السلام لانه غزاهم عقيب فتح مكة فيكون المخلفون ممنوعين من خيبر مدعوين الى قتال اهل حنين اي فيخص دوام نفي الاتباع بما في غزوة خيبر كما قاله محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس تقبل منهم الجزية فتكون الآية دليلا على امامة عمر رضي الله عنه لانه هو الذي قاتلهم ودعا الناس الى قتالهم (فان تطيعون) پس اگر فرمان بريد كسى راكه خواننده شماست بقتال آن كروه (يؤتكم الله) بدهد شمارا خداى (اجرا حسنا) هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة (وان تتولوا) اى تعرضوا عن الدعوة وبالفارسية واكر روى بكردانيد وپشت برداعى كنيد (كما توليتم من قبل) في الحديبية (يعذبكم عذابا اليما) لتضاعف جرمكم وبيان المقام انه عليه السلام لما قال لهم لن تتبعونا دعت الحاجة الى بيان قبول توبة من رجع منهم عن النفاق فجعل تعالى لهذا القبول علامة وهو انهم يدعون بعد وفاته عليه السلام الى محاربة قوم اولى قوة في الحرب فمن اجاب منهم دعوة امام ذلك الزمان وحاربهم فانه يقبل توبته ويعطى الاجر الحسن فلولا هذا الامتحان لاستمر حالهم على النفاق كما استمرت حالة ثعلبة عليه فانه قد امتنع من اداء الزكاة ثم اتى بها ولم يقبل منه النبي عليه السلام واستمر عليه الحال ولم يقبل منه احد من الصحابة فعله تعالى علم من ثعلبة ان حاله لا تتغير فلم يبين لتوبته علامة وعلم من احوال الاعراب انها تتغير فبين لتغيرها علامة وقال بعضهم ان عثمان رضي الله عنه قد قبل من ثعلبة وهو مجتهد معذور في ذلك ولعله وقف على اخلاصه والعلم عند الله تعالى ولما حكم داود وسليمان عليهما السلام في الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم والنفش الرعي بالليل فحكم داود بشيء وحكم سليمان بامر آخر وقال الله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فاخذنا من هنا واشاله ان كل مجتهد مصيب وان لم يكن اصاب في الباب قال بعضهم لا تنكروا على احد حاله ولا لباسه ولا طعامه ولا غير ذلك الا باجازة الشرع وسلموا لكل احد حاله وما هو فيه فمنهم سائحون وتائبون وعابدون وحامدون وساجدون ومسبحون ومستغفرون ومحققون فقد يكون الانكار سبب الايحاش والوحشة سبب انقطاعهم عن باب الخالق ويرحم البعض بالبعض (قال الحافظ) عيب رندان مكن اى زاهد پاكيزه سرشت * كه كناه دكران برتو نخواهند نوشت * من اكر نيكم وكر بدتو برو خود را باش * هر كسى آن درود عاقبت كار كه كشت * نااميدم مكن از سابقهٔ لطف ازل * توچه دانى كه پس پرده كه خوبست كه زشت * برعمل تكيه مكن زانكه دران روز ازل * توچه دانى قلم صنع بنامت چه نوشت * وفي الآية اشارة الى ان النفوس المتخلفة عن الطاعات والعبادات من الفرائض والنوافل لودعيت الى الجهاد في سبيل الله او الجهاد الاكبر وهو جهاد النفس والشيطان والدنيا تقاتلونهم بنهي النفس عن الهوى وترك الدنيا وزينتها فان اجابوا واطاعوا فقد استوجبوا الاجر الحسن وان اعرضوا عن الطاعات والعبادات يعذبهم الله بعذاب اليم يألمون به في الدنيا والآخرة (ليس على الاعمى) لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن الضعفاء والمعذورين فقال ليس على الاعمى وهو فاقد البصر (حرج) اثم في التخلف عن الغزو لانه كالطائر المقصوص الجناح لا يمتنع على من قصده والتكليف يدور على الاستطاعة واصل الحرج والحراج مجتمع الشيء كالشجر وتصور منه ضيق ما بينهما فقيل للضيق حرج وللاثم حرج (ولا على الاعرج حرج) لما به من العلة اللازمة احدى الرجلين او كلتيهما وقد سقط عمن ليس له رجلان غسلهما في الوضوء فكيف بالجهاد والاعرج بالفارسية لنك من العروج لان الاعرج ذاهب في صعود بعد هبوط وعرج كفرح اذا صار ذلك خلقة له وقيل للضبع عرجاء لكونها في خلقتها ذات عرج وعرج كدخل ارتقى واصابه شيء في رجليه فمشى مشي العارج اى الذاهب في صعود وليس ذلك بخلقة اوبثلث في غير الخلقة كما في القاموس (ولا على المريض حرج) لانه لا قوة به وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدائرة الرخصة (ومن) وهركه (يطع الله ورسوله) اى فيما ذكر من الاوامر والنواهي في السر والعلانية (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار) قال بعض الكبار انما سميت الجنة جنة لانها استر بينك وبين الحق تعالى وحجاب فانها محل شهوات الانفس واذا اراد ان يريك ذلك حجبك عن شهوتك ورفع عن عينيك سترها فغبت عن جنتك وانت فيها وراًيت ربك والحجاب عليك منك فانت الغمامة على شمسك فاعرف حقيقة نفسك (ومن يتول) عن الطاعة وبالفارسية وهركه اعراض كند از فرمان خدا ورسول (يعذبه عذابا اليما) لا يقادر قدره وبالفارسية عذابى درد ناك كه دردان منقطع نكردد والم ان منقضى نشود وان عذاب حرمانست چه نخالفت

امر خدا از دولت لقا مهجور وبنافرمانى رسول از سعادت شفاعت محروم خواهد ماند * مسوز آتش محروميم كه هيچ عذاب * زروى سوز والم چون عذاب حرمان نيست * وفى الآية اشارة الى اصحاب الاعذار من ارباب الطلب فمن عرض له مانع يعجزه عن السير بلا عزيمة منه وهمته فى الطلب ورغبته فى السير وتوجهه الى الحق باق فلا حرج عليه فيما يعتريه فيكون اجره على الله وذلك قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله يعنى بقدر الاستطاعة يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعنى يعرض عن الله وينقض عهد الطلب يعذبه عذابا اليما كما قال اوحد المشايخ فى وقته ابو عبدالله الشيرازى قدس سره رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقول من عرف طريقا الى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم يعذب به احدا من العالمين وقد قالوا مرتد الطريقة اعظم ذنبا من مرتد الشريعة وقال الجنيد لواقبل صديق على الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان مافاته اكثر مما ناله وقال بعضهم فى الآية اشارة الى الاعمى الحقيقى وهو من لايرى غيرالله لا الآخرة التى اشير اليها بالعين اليمنى ولا الدنيا التى اشير اليها بالعين اليسرى وهو معذور باستعمال الرخص والدخول فى الرفاهية كما قال بعض الكبار ان المحقق لايجوع نفسه الا اضطرارا سيما اذا كان فى مقام الهيبة وكسر الصفات فانه يكثر اكله لشدة سطوات نيران الحقائق فى قلبه بالعظمة وشهودها وهى حالة المقربين ولكن قد يقال عمدا على قصد الجاق بأهله الانس بالله فهو بذلك يجتمع بالسالك انتهى والى الاعرج الحقيقى وهو من وصل الى منزل المشاهدة فضرب بسيوف الوحدة والاطلاق على رجل الاثنينية والتقيد فتعطل آلاته بالفناء فتقاعد هنا لك وهم الافراد المشاهدون فلا حرج لهم ان لاينزلوا الى مقام المجاهدين ايضا ومن هنا يعرف سر قولهم الصوفى من لامذهب له فان من لا مذهب له لاسير له ومن لاسير له لايلزم له آلة والى المريض الحقيقى وهو الذى اسقمه العشق والمحبة وهو معذور اذا باشر الروحانيات مثل السماع واستعمال الطيب والنظر الى المستحسنات فان مداواته ايضا تكون من قبيل العشق والمحبة لان العشق امرضه فيداوى بالعشق ايضا كما قيل

تداويت من ليلى بليلى من الهوى * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وقال بعضهم من كان له عذر فى المجاهدة فان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه فاعرف ذلك (لقد رضى الله عن المؤمنين) رضى العبد عن الله ان لايكره ما يجرى به قضاؤه ورضى الله عن العبد هو ان يراه مؤتمرا لامره منتهيا عن نهيه وهم الذين ذكر شأن مبايعتهم وكانوا الفا واربعمائة على الصحيح وقيل الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقال بعض الكبار سميت بيعة الرضوان لان الرضى فناء الارادة فى ارادته تعالى وهو كمال فناء الصفات وذلك ان الذات العلية محتجبة بالصفات والصفات بالافعال والافعال بالاكوان والآثار فمن تجلت عليه الافعال بارتفاع حجب الاكوان توكل ومن تجلت عليه الصفات بارتفاع حجب الافعال رضى وسلم ومن تجلت عليه الذات بانكشاف حجب الصفات فنى فى الوحدة فصار موحدا مطلقا فاعلا مافعل وقارئا ماقرأ مادام هذا شهوده فتوحيد الافعال مقدم على توحيد الصفات وتوحيد الصفات مقدم على توحيد الذات والى هذه المراتب الثلاث اشار صلى الله عليه وسلم بقوله فى سجوده واعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك فاعلم ذلك فانه من لباب المعرفة (اذ يبايعونك تحت الشجرة) منصوب برضى وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به والشجر من النبت ماله ساق والمراد بالشجرة هنا سمرة اى ام غيلان وهى كثيرة فى بوادى الحجاز وقيل سدرة وكان مبايعتهم على ان يقاتلوا قريشا ولايفروا وروى على الموت دونه قال ابو عيسى معنى الحديثين صحيح فبايعه جماعة على الموت اى لانزال نقاتلهم بين يديك مالم نقتل وبايعه آخرون وقالوا لانفر يقول الفقير عدم الفرار لايستلزم الموت فلا تعارض وآن اصحاب را اصحاب الشجر كويند وكان علامة اصحاب رسول الله معه فى الغزاة ان يقول يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة وآن ساعت كه دست عهد بيعت كرفتند با رسول فرمان امد از حق تعالى تا درهاء آسمان بكشادند وفرشتكان از ذروه فلك نظاره كردند وازحق فرمان آمد بر طريق مباهات كه اى مقربان افلاك نظر كنيد با آن كروه كه از بهر اعزاز دين اسلام واعلاء كلمة حق ميكوشند جان بذل كرده وتن سبيل ودل فداء ودر وقت قتال روى نشانه تيره كرده وسينه سپر ساخته * شراب ازخون وجام از كاسهٔ سر * بجاى بانك رود آواز اسبان * بجاى دستهٔ كل دشنه وتيغ * بجاى قرطه بر تن درع وخفتان * كواه باشيد اى مقربان كه من از ايشان خشنودم ودر قيامت هريكى را از ايشان در امت محمد

چندان شفاعت دهم كه ازمن خشنود كردند وازين عهدنا اخر دو رهرمؤمنى كه ان بيعت بشنود وبدل بامر ايشان درقبول ان بيعت موافق بود من ان مؤمن را ثمحان خلعت دهم كه اين مؤمنا نزاد ادم وعند تلك المبايعة قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض واستدل بهذا الحديث على عدم حياة الخضر عليه السلام حينئذ لانه يلزم ان يكون غير النبي افضل منه وقد قامت الادلة الواضحة على ثبوت نبوته كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله يقول الفقير نبوة الخضر منقضية كنبوة عيسى عليهما السلام فعلى تقدير حياته يكون من اتباعه عليه السلام وامته كما قال عليه السلام لو كان اخى موسى حيا ما وسعه الا اتباعى وثبت ان عيسى من اصحابه عليه السلام وعند نزوله فى آخر الزمان يكون من امته فان قلت بحضور الخضر بين الاصحاب فى تلك المبايعة وان لم يعرفه احد فالامر ظاهر وان قلت بعدم الحضور فلا يلزم رجحان الاصحاب عليه من كل وجه اذ بعض من هو فاضل مفضول من وجه قال فى انسان العيون صارت تلك الشجرة التى وقعت عندها البيعة يقال لها شجرة الرضوان وبلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زمان خلافته ان ناسا يصلون عندها فتوعدهم وامر بها فقطعت خوف ظهور البدعة انتهى وروى الامام النسفى رحمه الله فى التيسير انها عميت عليهم من قابل فلم يدروا اين ذهبت يقول الفقير يمكن التوفيق بين الروايتين بانهم لما عميت عليهم ذهبوا يصلون تحت شجرة على ظن انها هى شجرة البيعة فامر عمر رضى الله عنه بقطعها وفى كشف النور لابن النابلسى اما قول بعض المغرورين بانا نخاف على العوام اذا اعتقدوا وليا من الاولياء وعظموا قبره والتمسوا البركة والمعونة منه ان يدركهم اعتقاد ان الاولياء تؤثر فى الوجود مع الله فيكفرون ويشركون بالله تعالى فننهاهم عن ذلك ونهدم قبور الاولياء ونرفع البنايات الموضوعة عليها ونزيل الستور عنها ونجعل الاهانة للاولياء ظاهرا حتى تعلم العوام الجاهلون ان هؤلاء الاولياء لو كانوا مؤثرين فى الوجود مع الله تعالى لدفعوا عن انفسهم هذه الاهانة التى تفعلها معهم فاعلم ان هذا الصنيع كفر صراح مأخوذ من قول فرعون على ما حكاه الله تعالى لنا فى كتابه القديم وقال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه انى اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر فى الارض الفساد وكيف يجوز هذا الصنيع من اجل الامر الموهوم وهو خوف الضلال على العامة انتهى يقول الفقير والتوفيق بين هذا وبين ما فعله عمر رضى الله عنه ان الذى يصح هو اتباع الظن لا الوهم (فعلم ما فى قلوبهم) عطف على يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى بايعوك لا على رضى فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما فى قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له عليه السلام قال بعضهم ان من الفرق بين علم الحق وعلم عبيده ان علمهم لم يكن لهم الا بعد ظهورهم وحصول صورهم واما علم الحق تعالى فكان قبل وجود الخلق وبعدهم فليس علمه تعالى بعناية من غيره بخلاف العبد (فأنزل السكينة عليهم) عطف على رضى اى فأنزل عليهم الطمأنينة وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح قال البقلى فى عرائسه رضى الله عنهم فى الازل وسابق علم القدم ويبقى رضاه الى الابد لان رضاه صفته الازلية الباقية الابدية لا تتغير بتغير الحدثان ولا بالوقت والزمان ولا بالطاعة والعصيان فاذاهم فى اصطفائيته باقون الى الابد لا يسقطون من درجاتهم بالزلات ولا بالبشرية والشهوات لان اهل الرضى محروسون برعايته لا يجرى عليهم نعوت اهل البعد وصاروا متصفين بوصف رضاه فرضوا عنه كما رضى عنهم وهذا بعد قذف انوار الانس فى قلوبهم بقوله فأنزل السكينة عليهم قال ابن عطاء رضى الله عنهم فارضاهم واوصلهم الى مقام الرضى واليقين والاطمئنان فانزل سكينته عليهم لتسكن قلوبهم اليه (واثابهم) وپاداش داد ايشانرا فان الاثابة بالفارسية پاداش دادن والثواب ما يرجع الى الانسان من جزاء عمل يستعمل فى الخير والشر لكن الاكثر المتعارف فى الخير والاثابة تستعمل فى المحبوب وقد قيل ذلك فى المكروه نحو فأثابكم غما على الاستعارة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر عقب انصرافهم من الحديبية (ومغانم كثيرة يأخذونها) اى واثابهم مغانم خيبر وكانت ذات عقار واشجار اخذوها من اليهود مع فتح بلدتهم فقسمت عليهم (وكان الله عزيزا) غالبا (حكيما) مراعيا لمقتضى الحكمة فى احكامه وقضاياه وقال ابن الشيخ حكيما فى امره حكم لهم بالظفر والغنيمة ولاهل خيبر بالسبى والهزيمة (وعدكم الله مغانم كثيرة) هى ما يفيئه على المؤمنين الى يوم القيامة والافاءة مال كسى غنيمت كردن (تأخذونها) فى اوقاتها المقدرة لكل واحد منها (فعجل لكم هذه) اى غنائم خيبر (وكف ايدى الناس عنكم) اى ايدى اهل خيبر وهم سبعون الفا وحلفاؤهم من بنى اسد وغطفان حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا والحلفاء بالحاء المهملة جمع حليف وهو المعاهد للنصرة فان الحلف

العهدين القوم وقيل ايدى اهل مكة بالصلح وبالفارسية ودست مردمان ازشما كوتاه كرد وقال فى المفردات الكف كف الناس وهى ما بها يقبض ويبسط و كففته دفعته بالكف وتعورف الكف بالدفع على اى وجه كان بالكف وبغيرها حتى قيل رجل مكفوف لمن قبض بصره قال سعدى المفتى ان كان نزولها بعد فتح خيبر كما هو الظاهر لا تكون السورة بتمامها نازلة فى مرجعه عليه السلام من الحديبية وان كان قبله على انها من الاخبار عن الغيب فالاشارة بهذه لتنزيل المغانم منزلة الحاضرة المشاهدة والتعبير بالماضى للتحقق (ولتكون آية للمؤمنين) عطف على علة اخرى محذوفة من احد الفعلين اى فعجل لكم هذه او كف ايدى الناس عنكم لتغتنموها ولتكون امارة للمؤمنين يعرفون بها صدق الرسول فى وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ماذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام ويجوز ان تكون الواو اعتراضية على ان تكون اللام متعلقة بمحذوف مؤخر اى ولتكون آية لهم فعل مافعل من التعجيل والكف (ويهديكم) بتلك الآية (صراطا مستقيما) هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه فى كل ما تأتون وما تذرون وفى الآية اشارة الى ما وعد الله عباده من المغانم الكثيرة بقوله ادعونى استجب لكم فكل واحد يأخذها بحسب مطمح نظره وعلو همته فمن كانت همته الدنيا فهى له معجلة وماله فى الآخرة من خلاق ومن كانت همته الآخرة فله نصيب من حظ الدارين وربما يكف الله ايدى دواعى شهوات النفس عن المؤمنين ليكونوا من اهل الجنة كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى واووكلهم الى انفسهم لاتبعوا الشهوات وهى دركات الجحيم اذ حفت النار بالشهوات وفى ترك الدنيا وشهوات النفس آية للمؤمنين حيث يهتدى بعضهم بهدى بعض ويصلون على هذا الصراط المستقيم الى حضرة الربوبية (قال الشيخ سعدى) پى نيك مردان ببايد شتافت * هر آن كين سعادت طلب كرد يافت * وليكن تودنبال ديو خسى * ندانم كه درصالحان كى رسى * پيمبر كسى را شفاعت كرست * كه برجادۀ شرع پيغمبرست * ثم ان خيبر حصن معروف قرب المدينة على مافى القاموس وقال فى انسان العيون هو على وزن جعفر سميت باسم رجل من العماليق نزلها يقال له خيبر وهو اخو يثرب الذى سميت باسمه المدينة وفى كلام بعض خيبر بلسان اليهود الحصن ومن ثم قيل لها خيابر لاشتمالها على الحصون وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة ثمانية برد والبريد اربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة اميال بقول الفقير وكل ميلين ساعة واحدة بساعات النجومية لانه عد من المدينة الى قبا ميلان وهى ساعة واحدة فتكون الثمانية البرد ثمانى واربعين ساعة بتلك الساعات وفى القاموس البريد فرسخان واثنا عشر ميلا انتهى ولما رجع عليه السلام من الحديبية اقام شهرا اى بقية ذى الحجة وبعض المحرم من سنة سبع ثم خرج اى خيبر وقد استنفر من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاءه المخلفون عنه فى غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال عليه السلام لا تخرجوا معى الا راغبين فى الجهاد اما الغنيمة فلا اى لا تعطون منها شيأ ثم امر مناديا ينادى بذلك فنادى به وامر ايضا انه لا يخرج الضعيف ولا من له مركب صعب حتى ان بعضهم خالف هذا الامر فنفر مركوبه فصرعه فاندقت فخذه فمات فأمر عليه السلام بلالا رضى الله عنه ان ينادى فى الناس الجنة لا تحل لعاص ثلاثا وخرج معه عليه السلام من نسائه ام سلمة رضى الله عنها ولما شرف على خيبر وكان وقت الصبح رأى عمالها وقد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم وهى القفف الكبيرة قالوا محمد والخميس اى الجيش العظيم معه قيل له الخميس لانه خمسة اقسام المقدمة والساقة والميمنة والميسرة وهما الجناحان والقلب وادبروا اى العمال هربا الى حصونهم وكانوا لا يظنون ان رسول الله يغزوهم وكان بها عشرة آلاف مقاتل فقال عليه السلام الله الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وانما قاله بالوحى كما نطق به قوله تعالى فعجل لكم هذه وبدأ بأمن حصونهم بحصون النطاة وامر بقطع نخلها فقطعوا اربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع ومكث عليه السلام سبعة ايام يقاتل اهل حصون النطاة فلم يرجع من اعطى له الراية بفتح ثم قال لأعطين الراية غدا الى رجل يحب الله ورسوله ويحبانه يفتح الله على يديه فتطاولها ابو بكر وعمر وبعض الصحابة من قريش فدعا عليه السلام عليا رضى الله عنه وبه رمد فتفل فى عينيه ثم اعطاه الراية وكانت بيضاء مكتوب فيها لا اله الا الله محمد رسول الله بالسواد فقال على علام اقاتلهم يارسول الله قال ان يشهدوا ان لا اله الا الله وانى رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم واموالهم والبسه عليه السلام درعه الحديد وشد سيفه ذا الفقار فى وسطه ووجهه الى الحصن وقال لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم اى من الابل النفيسة التى تصدق بها

فى سبيل الله فخرج على رضى الله عنه بالراية يهرول حتى ركزها تحت الحصن فخرج اليه من اهل الحصن الحارث
اخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فتصار بالقتله على وانهزم اليهود الى الحصن * صعوه كرباعقاب
سازد جنك * دهد از خون خود پرش را رنك * ثم خرج اليه مرحب سيد اليهود وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح البطل المجرب

اى تام السلاح معروف بالشجاعة وقهر الفرسان وارتجز على رضى الله عنه وقال

انا الذى سمتنى امى حيدره * ضرغام آجام وليث قسوره .

وضرب عليا فطرح ترسه من يده فتناول على بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل فى يده يقاتل حتى قتل
مرحبا وفتح الله عليه الحصن وهو حصن ناعم من حصون النطاة والقى الباب من يده وراء ظهره ثمانين شبرا وذلك
بالقوة القدسية وفيه بيان شجاعة على حيث قتل شجيعا بعد شجيع ونعم ما قيل * كرچه شاطر بود خروس بجنك *
چه زند پيش باز رويين چنك * كربه شيرست در كرفتن موش * ليك موشست در مصاف پلنك * ثم انتقل
عليه السلام من حصن ناعم الى حصن الصعب من حصون النطاة فأقاموا على محاصرته يومين حتى فتحه الله
وما بخيبر حصن اكثر طعاما منه كالشعير والسمن والتمر والزيت والشحم والماشية والمتاع ثم انتقلوا الى حصن قلة
وهو حصن بقلة وهو آخر حصون النطاة فقطعوا عنهم ماءهم ففتحه الله ثم سار المسلمون الى حصار الشق بفتح
الشين المعجمة وهو اعرف عند اهل اللغة من الكسر ففتحوا الحصن الاول من حصونه ثم حاصروا حصن البرآء وهو
الحصن الثانى من حصنى الشق فقاتلوا قتالا شديدا حتى فتحه الله ثم حاصروا حصون الكتيبة وهى ثلاثة حصون
القموص كصبور والوطيح وسلالم بضم السين المهملة وكان اعظم حصون خيبر القموص وكان منيعا حاصره
المسلمون عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد على رضى الله عنه ومنه سبيت صفية رضى الله عنها وانتهت المسلمون
الى حصار الوطيح بالحاء المهملة سمى باسم الوطيح بن مازن رجل من اليهود وسلالم آخر حصون خيبر ومكثوا على
حصارهما اربعة عشر يوما وهذان الحصنان فتحا صلحا لان اهلهما لما ايقنوا بالهلاك سألوا رسول الله
عليه السلام الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وارضها بذراريهم وان لا يصحب
احدا منهم الا ثوب واحد على ظهره فصالحهم عليه ووجدوا فى الحصنين المذكورين مائة درع واربعمائة سيف
والف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها واشياء اخر غالية القيمة وهى ما فى خزانة ابى الحقيق مصغرا وارسل
عليه السلام الى اهل فدك وهى محركة قرية بخيبر يدعوهم الى الاسلام ويخوفهم فصالحوا معه عليه السلام على
ان يحقن دماءهم ويخليهم ويخلون بينه وبين الاموال ففعل ذلك رسول الله وقيل تصالحوا معه على ان يكون لهم
النصف فى الارض ولرسوله الله النصف الآخر وكان فدك على الاول لرسول الله وعلى الثانى كان له نصفها لانها
لم تؤخذ بمقاتلة وكان عليه السلام ينفق منها ويعود منه على صغير بنى هاشم ويزوج منها ايمهم ولما مات
عليه السلام وولى ابو بكر رضى الله عنه الخلافة سألته فاطمة رضى الله عنها ان يجعل فدك او نصفها لها فابى وروى
لها انه عليه السلام قال انا معاشر الانبياء لا نورث اى لا نكون مورثين ما تركناه صدقة اى على المسلمين ثم ان النبى
عليه السلام امر بالغنائم التى غنمت قبل الصلح فجمعت واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا منها صفية بنت
ملكهم حيى بن اخطب من سبط هرون بن عمران اخى موسى عليهما السلام فهداها الله فاسلمت ثم اعتقها رسول
الله وتزوجها وكانت رأت ان القمر وقع فى حجرها فكان ذلك رسول الله وجعل وليمتها حيسا فى نطع والحيس تمر
واقط وسمن ودخل بها رسول الله فى منزل الصهباء فى العود والصهباء موضع قرب خيبر كما فى القاموس وبات تلك
الليلة ابو ايوب الانصارى رضى الله عنه متوشحا سيفه يحرسه ويطوف حول قبته حتى اصبح رسول الله فرأى
مكان ابى ايوب فقال مالك يا ابا ايوب قال يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة قتلت اباها وزوجها وقومها
وهى حديثة عهد بجاهلية فبت احفظك فقال عليه السلام اللهم احفظ ابا ايوب كما بات يحفظنى قال السهيلى
رحمه الله فحرس الله تعالى ابا ايوب بهذه الدعوة حتى ان الروم لتحرس قبره ويستسقون به فيسقون فانه غزا مع
يزيد بن معاوية سنة خمسين فلما بلغوا القسطنطينية مات ابو ايوب هنالك فاوصى يزيد ان يدفنه فى اقرب موضع
من مدينة الروم فركب المسلمون ومشوا به حتى اذا لم يجدوا مساغا دفنوه فسألتهم الروم عن شأنهم فاخبروهم
انه كبير من اكابر المسلمين الصحابة فقالت ليزيد ما احمقك واحمق من ارسلك امنت ان ننبشه بعدك فنحرق عظامه

فخلف لهم يزيد لئن فعلوا ذلك ليهدمن كل كنيسة بارض العرب وينبش قبورهم فحينئذ حلفوا بدينهم ليكرمن قبره وليحرسنه مااستطاعوا وقال صاحب روضة الاخبار مات ابو ايوب خالد بن زيد الانصارى رضى الله عنه بالقسطنطينية سنة احدى وخمسين مرابطا مع يزيد بن معاوية مرض فلما ثقل مرضه قال لاصحابه اذا انامت فاحملونى فاذا صاففتم العدو فادفنونى تحت اقدامكم ففعلوا وقبره قريب من سورها معروف معظم وكان الروم يتعاهدون قبره ويستشفون به انتهى يقول الفقير ثبت ان قبر ابى ايوب انما تعين باشارة الشيخ الشهير بآق شمس الدين قدس سره وقد كان مع الفاتح السلطان محمد العثمانى فى زمان الفتح وهذا يقتضى ان يكون محل قبره المنيف مندرسا بمرور الايام ولنعد الى تمام القصة ونهى النبى عليه السلام عن اتيان الحبالى حتى تضع وعن غير الحبالى حتى تستبرأ بحيضة ونهى عن اتيان المسجد لمن اكل الثوم والبصل وعن بعضهم مااكل نبى قط ثوما ولا بصلا يقول الفقير يدخل فيه الدخان الشائع شربه فى هذا الزمان بل رآئحته اكره من رآئحة الثوم والبصل فاذا كان دخول المسجد ممنوعا مع رآئحتهما دفعا لاذى الناس والملائكة فمع رآئحة الدخان اولى وظاهر ان الثوم والبصل من جنس الاغذية ولا كذلك الدخان ومحافظة المزاج بشربه انما عرفت بعد الادمان المولد للامراض الهائلة فليس لشاربه دليل فى ذلك اصلا فكما ان شرب الخمر ممنوع اولا وآخرا حتى لو تاب منها ومرض لا يجوز ان يشربها ولو مات من ذلك المرض يؤجر ولا يأثم فكذا شرب الدخان وليس استطابته الا من خباثة الطبع فان الطباع السليمة تستقذره لا محالة فتب الى الله وعد حتى لا يراك حيث نهاك ووقت عليه السلام قص الشارب وتقليم الاظفار واستعمال النورة بان لا يترك ذلك اربعين يوما وقدم عليه صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر ابن عمه جعفر بن ابى طالب من ارض الحبشة وقد كان هاجر اليها ومعه الاشعريون فقام عليه السلام الى جعفر وقبله بين عينيه واعتنقه وقال والله ماادرى بأيهما افرح بفتح خيبر ام بقدوم جعفر وليس حديث القيام معارضا لحديث من سره ان يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار لان هذا الوعيد انما توجه للمتكبرين ولمن يغضب ان لا يقام له وكان من جملة من قدم معهم من الحبشة ام حبيبة بنت ابى سفيان زوج النبى عليه السلام وذلك ان ام حبيبة كانت ممن هاجر الى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش فارتد عن الاسلام هناك وتنصر ومات على ذلك وبقيت هى على اسلامها ورأت فى المنام كأن قائلا يقول لها ياام المؤمنين فعلمت بان رسول الله يتزوجها فارسل عليه السلام فى المحرم افتتاح سنة سبع الى النجاشى بالتخفيف ملك الحبشة وكان مؤمنا ليزوجها منه عليه السلام فزوجها واصدقها اربعمائة دينار ولما قدم رسول الله خيبر كان الثمر اخضر فاكثر الصحابة من اكله فاصابتهم الحمى فشكوا ذلك الى رسول الله فقال بردوا لها الماء فى الشنان اى فى القرب ثم صبوا منه عليكم بين اذانى الفجر واذكروا اسم الله عليه ففعلوا فذهبت عنهم وفى هذه الغزوة اراد عليه السلام ان يتبرز فامر الى شجرتين متباعدتين حتى اجتمعتا فاستتر بهما ثم قام فانطلقت كل واحدة الى مكانها وفى خيبر كان اكله من الشاة المسمومة وذلك ان زينب ابنة الحارث اخى مرحب سمتها واكثرت فى الذراعين والكتف لما عرفت انه عليه السلام كان يحب الذراع والكتف لكونهما ابعد من الاذى واهدتها له عليه السلام وكان قد صلى المغرب بالناس فلما انتهش من الذراع وازدرد لقمة ازدرد بشر مافى فيه ومات من اكل معه وهو بشر بن البرآء واحتجم رسول الله بين الكتفين فى ثلاثة مواضع وقال الحجامة فى الرأس هى المعينة امرنى بها جبرآئيل حين اكلت طعام اليهودية وقد احتجم فى غير هذه الواقعة مرارا واحتجم وسط رأسه وكان يسميها منقذا وذلك انه لما سحره اليهودى ووصل المرض الى الذات المقدسة امر بالحجامة على قبة رأسه المباركة واستعمال الحجامة فى كل متضرر بالسحر غاية الحكمية ونهاية حسن المعالجة وفى الحديث الحجامة فى الرأس شفاء من سبع من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها فى عينيه والحجامة فى البلاد الحارة انفع من الفصد والاولى ان تكون فى الربع الثالث من الشهر لانه وقت هيجان الدم وعن ابى هريرة مرفوعا من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين كانت شفاء من كل دآء والحجامة على الريق دوآء وعلى الشبع دآء ويكره فى الاربعاء والسبت ثم ارسل رسول الله الى تلك اليهودية فقال اسممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرتنى هذه التى فى يدى اى الذراع قالت نعم قال ماحملك على ماصنعت قالت قتلت ابى وعمى وزوجى ونلت من قومى مانلت فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فعفا عنها * زخوان معجزاو كرنواله طلبى * حديث ره بريان شنوكه ماحضرست * فلما مات بشر امر بها

فقتلت وصلبت وفى الاحياء اطعم عليه السلام السم فمات الذى اكل معه وعاش هو عليه السلام بعده اربع سنين انتهى قال الشيخ الشهير بافتاده قدس سره انما لم يؤثر السم فى عمر حين جاء من قيصر لانه رضى الله عنه انما شرب بحقيقته لا بشريته وانما اثر فى النبى عليه السلام بعد تنزله الى حالة بشريته وذلك ارشاده عليه السلام وان كان فى عالم التنزل غير ان تنزله كان فى مرتبة الروح وهى اعدل المراتب فلم يؤثر فيه حتى مضى عليه اثنا عشرة سنة فلما احتضر عليه السلام تنزل الى ادنى المراتب لان الموت انما يجرى على البشرية فلما تنزل الى تلك المرتبة اثر فيه انتهى فانتقل عليه السلام من الدنيا بالشهادة فاحرز جميع المراتب من النبوة والرسالة والصديقية والشهادة يقول الفقير قوله اثنتا عشرة سنة وهكذا قال صاحب المحمدية وهو مخالف لما سبق عن الاحياء والحق ما فى الاحيا لان قصة السم كانت فى خيبر وقصة خيبر فى السنة السابعة من الهجرة فغير هذا وجهه غير ظاهر كما لا يخفى ولما كان زمان خلافة عمر رضى الله عنه ظهر خيانة اهل خيبر فاجلى يهود فدك ونصارى نجران لانه عليه السلام قال لا يبقى دينان فى جزيرة العرب وجزيرة العرب ما احاط به بحر الهند وبحر الشام ثم دجلة والفرات اوما بين عدن ابين الى اطراف الشام طولا ومن جدة الى ريف العراق عوضا كما فى القاموس (واخرى) عطف على هذه اى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى (لم تقدروا عليها) وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين فانهم لم يقدروا عليها الى عام الحديبية وانما قدروا عليها عقيب فتح مكة ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة اى من تكرار الهزيمة والرجوع الى القتال قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها يقال جال القوم جولة انكشفوا ثم كروا (قد احاط الله بها) صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اى قد قدر الله عليها واستولى واظهركم عليها وقيل حفظها عليكم لفتحكم ومنعها من غيركم يعنى جميع فتوح المسلمين قال ابن عباس رضى الله عنهما ومنه فتح قسطنطينية وروميه وعمورية ومدائن فارس والروم والشام اما قسطنطينية فمشهورة وهى الآن دار السلطنة للسلاطين العثمانية واما رومية ويقال لها رومية الكبرى فمدينة عظيمة من مدن الروم مثل قسطنطينية واما عمورية بفتح العين المهملة وضم الميم المشددة وبالراء فقد قال الامام اليافعى فى المرآة هى التى يسميها اهل الروم انكورية وهى مدينة كبيرة كانت مقر ملوكهم فتحها المعتصم بالله قال الراغب الاحاطة على وجهين احدهما فى الاجسام نحو احطت بمكان كذا وتستعمل فى الحفظ نحو وكان الله بكل شئ محيطا اى حافظا له فى جميع جهاته وتستعمل فى المنع نحو الا ان يحاط بكم اى الا ان تمنعوا والثانى فى العلم نحو احاط بكل شئ علما فالاحاطة بالشئ علما هو ان يعلم وجوده وجنسه وقدره وكيفيته وغرضه المقصود به وبايجاده وما يكون به ومنه وذلك ليس يكون الا الله وقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فنفى عنهم ذلك (وكان الله على كل شئ قديرا) لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشئ دون شئ اى متهية عنده غير متجاوزة عنه لان علمها لا تنتهى فتأمل اعلم ان المغازى غزوة حنين وهو اسم موضع قريب من الطائف ويقال لغزوة حنين غزوة هوازن ويقال لها غزوة اوطاس باسم الموضع الذى كانت به الواقعة فى آخر الامر وسببها انه لما فتح الله على رسوله مكة اطاعت له قبائل العرب الا هوازن وثقيفا فان اهلهما كانوا طغاة مردة فاجتمعوا الى حنين فلما وصل خبرهم الى رسول الله عليه السلام تبسم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى فاجمع على السير الى هوازن وخرج فى اثنى عشر الفا فلما قربوا من محل العدو صفهم واعطى لواء المهاجرين عليا رضى الله عنه ولواء الخزرج الحباب بن المنذر رضى الله عنه ولواء الاوس اسيد بن حضير رضى الله عنه وركب عليه السلام بغلته الشهباء التى يقال لها فضة قد اهداها له صاحب البلقاء وقيل هى دلدل التى اهداها له المقوقس ولبس درعين والمغفر والدرعان هما ذات الفضول والسغدية بالسين المهملة والغين المعجمة وهى درع داود عليه السلام التى لبسها حين قتل جالوت فلما كان بحنين وذلك عند غبش الصبح اى ظلمته وانحدروا فى الوادى خرج عليهم القوم وكانوا كمنوا لهم فى شعاب الوادى ومضايقه فحملوا عليهم حملة رجل واحد ورموهم بالنبل وكانوا رماة لا يسقط لهم سهم فاخذ المسلمون راجعين منهزمين لا يلوى احد على احد وانحاز رسول الله ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم ابو بكر وعمر وعلى والعباس وابنه الفضل فقال عليه السلام يا عباس اصرخ يا معشر الانصار يا اصحاب السمرة يعنى الشجرة التى كانت تحتها بيعة الرضوان وكان صيتا يسمع صوته من ثمانية اميال فأجابوا لبيك لبيك حتى انتهى اليه جمع فاقتتلوا ثم قبض عليه السلام قبضة من تراب واستقبل بها وجوههم فقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون انهزموا ورب محمد ورماهم

بالتراب فملأ اعينهم من التراب فولوا مدبرين فتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ولما انهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس فبعث النبي عليه السلام في آثارهم ابا عامر الاشعري رضي الله عنه ورجع رسول الله الى معسكره يمشي في المسلمين ويقول من يدلني على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد اسند الى مؤخرة رحله لانه اثقل بالجراحة فتفل عليه السلام في جرحه فبرئ وامر عليه السلام بالسبي والغنائم ان تجمع فجمع ذلك كله واخذوه الى الجعرانة بالكسر والعين المهملة موضع بين مكة والطائف سمي بريطة بنت سعد وكانت تلقب بالجعرانة وهي المرادة في قوله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها وكان بها الى ان انصرف رسول الله من غزوة الطائف ثم لما اتاها قسم تلك الغنائم وكان السبي ستة آلاف رأس والابل اربعة وعشرين ألفا والغنم اكثر من اربعين الفا والفضة اربعة آلاف اوقية واحرم من الجعرانة بعمرة بعد ان اقام بها ثلاث عشرة ليلة وقال اعتمر منها سبعون نبيا وقد اعتمر عليه السلام بعد الهجرة اربع عمر اولاها عمرة الحديبية والثانية عمرة القضاء من العام المقبل والثالثة عمرة الجعرانة والرابعة عمرته عليه السلام مع حجة الوداع وباقي البيان في غزوة حنين وما يتصل بها قد سبق في اوائل التوبة عند قوله لقد نصركم الله الخ (ولو قاتلكم الذين كفروا) اى اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر من بني اسد وغطفان (لولوا الادبار) اى لانهزموا ولم يكن قتال وبا مارسية هزيمة بركرد انيدندى پشتها را بكريزيعنى هزيمت كردندى فان تولية الادبار كناية عن الانهزام وكما في الفارسية كاقال * آنكه من باشم كه روز جنك بيني پشت من * ودبر الشيء خلاف القبل ككف الظهر والخلف (ثم لا يجدون وليا) يحرسهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله التي قد خلت من قبل) اى سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن خلا ومضى من الامم وهو قوله لأغلبن انا ورسلي فسنة الله مصدر مؤكد لفعله المحذوف (ولن تجد لسنة الله تبديلا) اى تغييرا بنقل الغلبة من الانبياء الى غيرهم * محالست چون دوست دارد ترا * كه در دست دشمن كذارد ترا * هرچه درازل مقرر شده لا محالة كائن خواهد شد ودست تصرف هيچكس رقم تغيير وتبديل بر صفحات ان نخواهد كشيد * تغيير حكم ازلى راه نيابد * تبديل بفرمان قضا كار ندارد * در دائره امر كم وبيش نكنجد * با سر قدر چون وچرا كار ندارد * وفي الآية اشارة الى مقاتلة النفوس المتمردة فالله تعالى ناصر السالكين على قتل النفوس وقد قدر النصرة في الازل فلا تبديل لها الى الابد فالمنصور من نصره الله والمقهور من قهره الله ونصرة الله على انواع فمنها نصرة في الظاهر فعن بعضهم كنا في المدينة نتكلم في بعض الاوقات في آيات الله تعالى المنعم بها على اوليائه وكان رجل ضرير بالقرب منا يسمع مانقول فتقدم الينا وقال أنست بكلامكم اعلموا انه كان لي عيال واطفال فخرجت الى البقيع احتطب فرأيت شابا عليه قميص كتان ونعله في اصبعه فتوهمت انه تائه فقصدت ان اسلبه ثوبه فقلت له انزع ما عليك فقال لي مر في حفظ فقلت له ثانية وثالثة فقال ولابد فقلت ولابد فأشار باصبعه الى عيني فسقطتا فقلت بالله عليك من انت فقال انا ابراهيم الخواص وانما دعا ابراهيم الخواص على اللص بالعمى ودعا ابراهيم بن ادهم للذي ضربه بالجنة لان الخواص شهد من اللص انه لا يتوب الى الابد فالعقوبة فرأى العقوبة اصلح له وابن ادهم لم يشهد توبة الضارب في عقو تدفعته فضل عليه بالدعاء له فتوهمت وكرما فحصلت البركة والخير بدعائه للضارب فجاء مستغفرا معتذرا فقال له ابراهيم الرأس الذي يحتاج الى الاعتذار تركته ببلخ يعني ان نخوة الشرف وكبر الرياسة الواقعة في رأسي حين كنت ببلخ قد استبدلت بهما تواضع المسكنة والانكسار ومنها نصرة في الباطن فعن احمد بن ابي الحواري رحمه الله قال كنت مع ابي سليمان الداراني قدس سره في طريق مكة فسقطت مني السطيحة اى المزادة فاخبرت ابا سليمان بذلك فقال يا راد الضالة فلم البث حتى اتى رجل يقول من سقطت منه سطيحة فاذا هي سطيحتي فأخذتها فقال ابو سليمان حسبت ان يتركنا بلا ماء بالجهد فمشينا قليلا وكان برد شديد وعلينا الفراء فرأينا رجلا عليه طمران رثان وهو يترشح فقال له ابو سليمان نواسيك ببعض ما علينا فقال الحر والبرد خلقان من خلق الله تعالى ان امرهما غشياني وان امرهما تركاني وانا اسير في هذه البادية منذ ثلاثين سنة ما ارتعدت ولا انتفضت يلبسني فيحا من محبته في الشتاء ويلبسني في الصيف مذاق برد محبته * هجى كه پشت كرم بعشق نيند * نازسمور ومنت سنجاب مى كشند * يا دارانى تشير الى ثوب وتدع الزهد تجد البرد يا داراني تبكي وتصيح وتستريح الى الترويح فمضى ابو سليمان وقال لم يعرفني غيره وقيل في هذه الحكاية ما معناه انه لما حقق الله يقين ابي سليمان في رد السطيحة صانه من العجب بما رآه من حال هذا

الرجل حتى صغر فى عينيه حال نفسه وتلك سنة الله فى اوليائه يصونهم من ملاحظة الاعمال وبصغر فى اعينهم مايصفوا لهم من الاحوال وينصرهم فى تزكية نفوسهم عن سفساف الاخلاق رضى الله عنهم ونفعنا بهم وسلك بنا مسالك طريقتهم انه هو الكريم المحسن (وهو الذى كف ايديهم) اى ايدى كفار مكة (عنكم) اى بأن حملهم على الفرار منكم مع كثرة عددهم وكونهم فى بلادهم بصدد الذب عن اهاليهم واولادهم (وايديكم عنهم) بأن حملكم على الرجوع عنهم وتركهم (ببطن مكة) اى فى داخلها (من بعد ان اظفركم) اى جعلكم ظافرين غالبين (عليهم) وبالفارسية پس ازانكه ظفرداد شمارا وغالب ساخت مع ان العادة المستمرة فيمن ظفر بعدوه ان لايتركه بل يستأصله والظفر الفوز واصله من ظفر اى نشب ظفره وذلك ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله عليه السلام خالد بن الوليد على جند وسماه يومئذ سيف الله فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد ذكره الطبرانى وابن ابى حاتم فى تفسيريهما قال سعدى المفتى لم يصح هذا والمذكور فى كتب السير وغيرها من الصحاح ان خالد بن الوليد كان يوم الحديبية طليعة للمشركين ارسلوه فى مائتى فارس فدنا فى خيله حتى نظر الى اصحاب رسول الله فأمر رسول الله عباد بن بشر رضى الله عنه فتقدم فى خيله فقام بازائه وصف اصحابه وحانت العصر فصلى رسول الله باصحابه صلاة الخوف فكيف يصح ماذكره وقد صح ان اسلام خالد بن الوليد كان بعد الحديبية فى السنة الثامنة اوقبلها انتهى وكذا قال فى انسان العيون خالد بن الوليد اسلم بعد وقعة الحديبية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى اظهر المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت يعنى ان جماعة من اهل مكة خرجوا يوم الحديبية يرمون المسلمين فرماهم المسلمون بالحجارة حتى ادخلوهم بيوت مكة فلما كان الكف على الوجه المذكور فى غاية البعد قال تعالى وهو الذى الخ على طريق الحصر استشهادا به على ماتقدم من قوله ولو قاتلكم الخ اوهم ثمانون رجلا طلعوا على رسول الله من قبل التنعيم عند صلاة الصبح ليأخذوه بغتة ويقتلوا الاصحاب فأخذهم رسول الله فخلى سبيلهم فيكون المراد ببطن مكة وادى الحديبية لان بعضها من الحرم وفى المفردات اصل البطن الجارحة ويقال للجهة السفلى بطن وللجهة العليا ظهر وبه شبه بطن الامر وبطن الوادى والبطن من العرب اعتبارا بأنهم كشخص واحد فان كل قبيلة منهم كعضو بطن وفخذ وكاهل انتهى يقول الفقير لاشك ان وادى الحديبية واقع فى الجهة السفلى من مكة لانه فى جانب جدة المحروسة فيكون المراد ببطن تلك الجهة لاداخل مكة والمعنى والله تعالى اعلم ان الله هو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم فى الحديبية التى هى الجهة السفلى من مكة من بعد ان اقدركم عليهم بحيث لو قاتلتموهم غلبتم عليهم بأذنه تعالى على ماكان فى علمه كما قال ولو قاتلكم الخ وسيأتى سر الكف فى الآية التى تلى هذه (وكان الله بما تعملون) من مقاتلتكم وهزمكم اياهم اولا طاعة لرسوله وكفكم عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وصيانة اهل الاسلام (بصيرا) عالما لايخفى عليه شئ فيجازيكم بذلك وقال بعض العلماء من بعد ان اظفركم عليهم يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان مكة فتحت عنوة لاصلحا واما ان السورة نزلت قبله فلا يخالف لانه من الاخبار عن الغيب كقوله انا فتحنا لك نعم يرد عليه منع دلالته على العنوة فقد يكون الظفر على البلد بالصلح وكذلك قال الزمخشرى فى اول السورة الفتح الظفر بالبلدة او صلحا بحرب او بغير حرب كما فى حواشى سعدى المفتى وقال فى بحر العلوم ويدل على انها فتحت عنوة قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا لان لفظ الفتح اذا ورد مطلقا لايقع الاعلى مافتح عنوة انتهى يقول الفقير هذا ليس من قبيل الفتح المطلق ولو سلم فالفتح المطلق لايدل عليه ولذا قارنه تعالى بالنصرة فى سورة النصر فان النصر يقتضى القهارية لا الفتح وقال فى عين المعانى وقد فتحت صلحا عند الشافعى وفى مقابل عنوة لقوله عليه السلام لاصحابه احصدوهم بالسيف حصدا الا انه لم يضع الجزية على اهلها ولا الخراج على اراضيها كما هو مذهبنا فيما فتح عنوة لان مشركى العرب لايقبل منهم الا الاسلام او السيف عندنا واما سواد الكوفة ففى ارض العجم انتهى وقصة فتح مكة على الاجمال ان الفتح كان فى شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة وكان السبب فى ذلك نقض عهد وقع من جانب قريش وذلك ان شخصا من بنى بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة وكانوا مسلمين فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين وامد قريش لبنى بكر على خزاعة فبيتوا خزاعة اى اتوهم ليلا على غفلة فقتلوا منهم عشرين ولم يكن ذلك برأى ابى سفيان رئيس قريش وعند ما بلغه الخبر قال حدثتنى زوجتى هند انها رأت رؤيا كرهتها رأت دما اقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة بالخاء المعجمة جبل بمكة والحجون بالحاء المهملة جبل

بعلاة مكة وقال والله ليغزونا محمد فكره القوم ذلك وخرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم المدينة وقص على رسول الله القصة فقال عليه السلام نصرت يا عمرو بن سالم ودمعت عينا رسول الله وكان يقول خزاعة منى وانا منهم قالت عائشة رضى الله عنها اترى قريشا تجترئ على نقض العهد الذى بينك وبينهم فقال عليه السلام ينقضون العهد لامر يريده الله فقلت خير قال خير ولما ندمت قريش على نقض العهد ارسلوا اباسفيان ايشد العقد ويزيد فى المدة فقال عليه السلام نحن على مدتنا وصلحنا ولم يقبل ذلك من ابى سفيان ولا احد من اصحابه فرجع الى مكة واخبر القصة وقال والله قد ابى على وقد تتبعت اصحابه فما رأيت قوما الملك عليهم اطوع منهم له ثم ان رسول الله تشاور مع ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فى السير الى مكة واخفى الامر عن غيرهما فقال ابو بكر هم قومك يا رسول الله فأشار الى عدم السير وحضه عمر حيث قال هم رأس الكفرة زعموا انك ساحر وانك كذاب وذكر له كل سوء كانوا يقولونه وايم الله لا تذل العرب حتى تذل اهل مكة فعند ذلك ذكر عليه السلام ان ابا بكر كابراهيم وكان فى الله الين من اللبن وان عمر كنوح وكان فى الله اشد من الحجر وان الامر أمر عمر واشار عليه السلام بطى السر وامر اصحابه بالجهاز وارسل الى اهل البادية ومن حوله من المسلمين فى كل ناحية يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة ولما قدموا قال عليه السلام اللهم خذ العيون والاخبار من قريش حتى نبغتها فى بلادها ثم مضى لسفره لعشر خلون من رمضان اوغير ذلك وكان العسكر عشرة آلاف فيهم المهاجرون والانصار جميعا وافطر عليه السلام فى هذا السفر بالكديد وهو كأمير محل بين عسفان وقديد كزبير مصغرا وامر بالافطار وعد مخالفته فى ذلك عصيانا لحرارة الهواء ولما فيه من القوة على مقاتلة العدو وفى قديد عقد عليه السلام الألوية والرايات ودفعها للقبائل ثم سار حتى مر بمرا لظهران وهو موضع على مرحلة من مكة وقد اعمى الله الاخبار عن قريش اجابة لدعائه فلم يعلموا بوصوله وكان ذلك منه عليه السلام شفقة على قريش حتى لا يضعوا بالمقاتلة وامر عليه السلام اصحابه فأوقدوا عشرة الاف نار وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان العباس عم النبى عليه السلام قد خرج قبل ذلك بعياله مسلما اى مظهر الاسلام مهاجرا فلقى رسول الله بالجحفة وهو بتقديم الجيم ميقات اهل الشأم فرجع معه الى مكة وارسل اهله وثقله الى المدينة وقال له عليه السلام هجرتك يا عم اخر هجرة كما ان نبوتى آخر نبوة وبعث قريش ابا سفيان يتجسس الاخبار وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه امانا فلما وصل الى مر الظهران ليلا قال ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا هذه كنيران عرفة وكان بينه وبين العباس مصادقة فلما لقيه اخذ بيده وذهب به الى رسول الله ليأخذ منه امانا فلما اتاه قال عليه السلام اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت فائتنى به فلما اتى به عرض النبى عليه السلام عليه الاسلام فتوقف فقال العباس له ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك فهداه الله فشهد شهادة الحق فأسلم ثم قال يا رسول الله ارايت ان اعتزلت قريش فكفت ايديها آمنون هم قال عليه السلام نعم من كف يده واغلق داره فهو آمن فقال العباس يا رسول الله ان اباسفيان يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ومن القى سلاحه فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام وهو من اشراف قريش فى الجاهلية والاسلام فهو آمن وعقد عليه السلام لابى رويحة الذى آخى بينه وبين بلال رضى الله عنه لواء وامره ان ينادى من دخل تحت لواء ابى رويحة فهو آمن وذلك توسعة للامان لضيق المسجد ودار ابى سفيان واستثنى عليه السلام جماعة من النساء والرجال امر بقتلهم وان وجدوا متعلقين بأستار الكعبة منهم ابن خطل ونحوه لان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب وكانوا طغاة مردة مؤذين لرسول الله عليه السلام اشد الاذى فعفا عمن آمن وقتل من اصر وقال عليه السلام للعباس احبس اباسفيان فى مضيق الوادى حتى تمر به جنود الله فيراها فأول من مر خالد بن الوليد فى بنى سليم مصغرا ثم قبيلة بعد قبيلة براياتهم حتى مر رسول الله ومعه المهاجرون والانصار وعمر رضى الله عنه يقول رويدا حتى يلحق اولكم اخركم قال ابو سفيان سبحان الله يا عباس من هؤلاء فقال هذا رسول الله فى الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية ثم نزعت منه واعطيت لابنه قيس وكان من دهاة العرب واهل الرأى والمكيدة فى الحرب مع النجدة والبسالة وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلاثمائة فرس وكانت الانصار اربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس فقال ابو سفيان ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة وقال يا عباس لقد اصبح ملك ابن اخيك اليوم عظيما فقال العباس انها

النبوة وامر عليه السلام خالد بن الوليد ان يدخل مع جماعة من قبائل العرب من اسفل مكة وقال لا تقاتلوا الا من
قاتلكم وجمع قريش ناسا بالخندمة ليقاتلوا فلما لقيهم خالد منعوه الدخول ورموه بالنبل فصاح خالد فى اصحابه
فقتل من قتل وانهزم من لم يقتل حتى وصل خالد الى باب المسجد وقال عليه السلام فى ذلك اليوم احصدوهم حصدا
حتى توافونى بالصفا ودخل عليه السلام مكة وهو راكب على ناقته القصوآء مردفا اسامة بن زيد بكرة يوم الجمعة
وعن بعضهم يوم الاثنين معتما بعمامة سوداء وقيل غير ذلك والاول انسب بمقام المعرفة والفناء واضعا رأسه
الشريف على رحله تواضعا لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله مكة وكثرة المسلمين ثم قال اللهم ان العيش عيش
الآخرة وعن عائشة رضى الله عنها دخل رسول الله يوم الفتح من كداء وهو كسماء جبل بأعلى مكة واغتسل
لدخول مكة وسار وهو يقرأ سورة الفتح حتى جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته ومحمد بن مسلمة آخذ بزمامها
واستلم الحجر بمحجن فى يده وهو العصا المعوجة ولم يطف ماشيا لتعليم الناس كيفية الطواف وصلى عليه السلام
بالمقام ركعتين وهو يومئذ لاصق بالكعبة فى جانب الباب ثم اخره الى المحل المعروف الآن بمقام ابراهيم والظاهر ان
مقام ابراهيم وهو الحجر الذى انغمس فيه قدم ابراهيم عليه السلام عند ما بنى البيت قد محى اثره بكثرة مسح
الايدى ثم فقد ومقام ابراهيم الآن محل ذلك الحجر واما الحجر الموضوع هناك فموضوع وكان فى داخل الكعبة
وخارجها وفوقها يومئذ ثلاثمائة وستون صنما لكل حى من احياء العرب صنم وكان هبل اعظم الاصنام وكان
من عقيق الى جنب البيت من جهة بابه والآن مطروح تحت باب السلام القديم يطأه الناس الى يوم القيامة
لقول ابى سفيان يوم احد مفتخرا بذلك اعل هبل اعل هبل وذلك لان من اعزه الناس اذله الله فجاء عليه السلام
ومعه قضيب فجعل يهوى به الى كل صنم منهم فيخر لوجهه وكان يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان
زهوقا وامر عليا رضى الله عنه فصعد الكعبة وكسر ما فوقها ودخل عليه السلام الكعبة بعد ان ارسل بلالا الى
عثمان بن ابى طلحة يأتى بمفتاح الكعبة فدخلها عليه السلام وصلى ركعتين ودعا فى نواحيها كلها وكان فى الكعبة
صور كثيرة حتى صورة ابراهيم واسمعيل ومريم وصور الملائكة فأمر عليه السلام عمر رضى الله عنه فمحاها كلها
وكانت الكعبة بيت الاصنام الف سنة ثم صارت مسجد اهل الاسلام الف سنة اخرى وكانت تشكو الى الله تعالى
مما فعله الناس من الشرك حتى انجز الله وعده لها وفيه اشارة الى كعبة القلب فانها كانت بيت الاصنام قبل
الفتح والامداد الملكوتى واعظم الاصنام الوجود (قال الشيخ المغربى) بت وجود مغربى لات ومنات او بود *
نيست بتى چو بود داور درهمه سومنات تو (وقال الجندى) بشكن بت غرور كه دردين عاشقان * يك بت كه
بشكند به از صد عبادتست (وقال) مدعى نيست محرم دربار * خاتم كعبه بولهب نبود * جلس رسول الله
يوم الفتح على الصفا يبايع الناس فجاء الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الاسلام اى على شهادة ان لا اله
الا الله وان محمدا عبده ورسوله وعلى سائر الاحكام ودخل الناس فى دين الله افواجا وعفا عليه السلام عمن كان
مؤذيا له منذ عشرين سنة ودعا له بالمغفرة وقال عليه السلام يا ايها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين الجبلين فهى حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله
واليوم الآخر ان يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد يكون بعدى ولا تحل لى
الا هذه الساعة اى من صبيحة يوم الفتح الى العصر غضبا على اهلها ألا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس
فليبلغ الشاهد منكم الغائب واقام بمكة بعد فتحها تسعة عشر او ثمانية عشر يوما يقصر الصلاة فى مدة اقامته
ثم خرج الى هوازن وثقيف كما مر وولى امر مكة عتاب بن اسيد رضى الله عنه وعمره احدى وعشرون سنة
وامره ان يصلى بالناس وهو اول امير صلى بمكة بعد الفتح جماعة وترك معاذ بن جبل رضى الله عنه معه معلما للناس
السنن والفقه وبه ثبت الاستخلاف وعليه العمل الى يومنا هذا فان النبى انما بعث لرفع الجهل وقس عليه الولى
جعلنا الله واياكم من الوارثين (هم) اى قريش (الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) اى منعوكم
عن ان تطوفوا به (والهدى) اى وصدوا الهدى وهو بالنصب عطف على الضمير المنصوب فى صدوكم والهدى
بسكون الدال جمع هدية كتمر وتمرة وجدى وجدية وهو مختص بما يهدى الى البيت تقربا الى الله تعالى من النعم
ايسره شاة واوسطه بقرة واعلاه بدنة يقال اهديت له واهديت اليه ويجوز تشديد الياء فيكون جمع هدية (معكوفا)
حال من الهدى اى محبوسا يقال عكفته عن كذا اذا حبسته ومنه العاكف فى المسجد لانه حبس نفسه

(ان يبلغ محله) بدل اشتمال من الهدى او منصوب بنزع الخافض اى محبوسا من ان يبلغ مكانه الذى يحل فيه
نحره اى يجب فالمحل اسم للمكان الذى ينحر فيه الهدى فهو من الحلول لا من الحل الذى هو ضد الحرمة قال
فى المفردات حل الدين حلولا وجب اداؤه وحللت نزلت من حل الاحمال عند النزول ثم جرد استعماله للنزول
والمحلة مكان النزول انتهى وبه استدل ابو حنيفة على ان المحصر محل هديه الحرم فان بعض الحديبية كان من الحرم
قال فى بحر العلوم الحديبية طرف الحرم على تسعة اميال من مكة وروى ان مخيامه عليه السلام كانت فى الحل
ومصلاه فى الحرم وهناك نحرت هداياه عليه السلام وهى سبعون بدنة والمراد صدها عن محلها المعهود الذى
هو منى للحاج وعند الصفا للمعتمر وعند الشافعى لا يختص دم الاحصار بالحرم فيجوز أن يذبح فى الموضع الذى
احصر فيه * بين تعالى استحقاق كفار مكة للعقوبة بثلاثة اشياء كفرهم فى انفسهم وصد المؤمنين عن اتمام عمرتهم
وصد هديهم عن بلوغ المحل فهم مع هذه الافعال القبيحة كانوا يستحقون ان يقاتلوا او يقتلوا الا انه تعالى كف
ايدى كل فريق عن صاحبه محافظة على ما فى مكة من المؤمنين المستضعفين ليخرجوا منها او يدخلوها على
وجه لا يكون فيه ايذاء من فيها من المؤمنين والمؤمنات كما قال تعالى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم) لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء جميعا وكانوا بمكة وهم اثنان وسبعون نفسا
يكتمون ايمانهم (ان تطأوهم) بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب فى تعلموهم اى توقعوا بهم وتهلكوهم فان
الوطأ عبارة عن الايقاع والاهلاك والابادة على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان الوطأ تحت الاقدام
مستلزم للاهلاك ومنه قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر اى خذهم اخذا شديدا وفى المفردات اى
ذللهم ووطئ امرأته كناية عن المجامعة صار كالتصريح للعرف (فتصيبكم منهم) اى من جهتهم معطوف على
قوله ان تطأوهم (معرة) مفعلة من عره اذا عراه ودهاه بما يكرهه ويشق عليه وفى المفردات العر الجرب الذى
يعر البدن اى يعترضه ومنه قيل للمضرة معرة تشبيها بالعر الذى هو الجرب والمعنى مشقة ومكروه كوجوب الدية
او الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء حالتهم والاثم بالتقصير فى البحث عنهم قال سعدى المفتى قلت
فى المذهب الحنفى لا يلزم بقتل مثله شئ من الدية والكفارة وما ذكره الزمخشرى لا يوافق مذهبه انتهى وقال بعضهم
اوجب الله على قاتل المؤمن فى دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة فقال تعالى فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن
فتحرير رقبة مؤمنة (بغير علم) متعلق بان تطأوهم اى غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم
وفى هذا الحذف دليل على شدة غضب الله تعالى على كفار مكة كأنه قيل اولا حق المؤمنين موجود لفعل بهم
ما لا يدخل تحت الوصف والقياس بناء على ان الحذف للتعميم والمبالغة (ليدخل الله فى رحمته) متعلق بما يدل
عليه الجواب المحذوف كأنه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدى الى الفتح بلا محذور فى رحمته
الواسعة بقسميها (من يشاء) وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التى من جملتها الامن
مستضعفين تحت ايدى الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالكلية لكنهم كانوا قاصرين
فى اقامة مراسم العبادة كما ينبغى فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم فى الرحمة الاخروية (لو تزيلوا)
الضمير للفريقين اى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله فرقه وزيلته فتزيل اى فرقته فتفرق (لعذبنا
الذين كفروا منهم عذابا اليما) بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها وفى الآية اشارتان
احداهما ان من خاصية النفس ان تصد وجه الطالب عن الله تعالى وتشوب الخيرات والصدقات التى يتقرب بها
الى الله بالرياء والسمعة والعجب لئلا تبلغ محل الصدق والاخلاص والقبول والثانية ان استيفاء النفوس
لاستخلاص الارواح وقواها مع ان بعض صفات النفس قابلة للفيض الالهى فيلزم الحذر من افساد استعدادها
لقبول الفيض وعند التزكية فصفة لا يصلح الا افناؤها كالكبر والشره والحسد والحقد وصفة تصلح التبديل كالبخل
بالسخاوة والحرص بالقناعة والغضب بالحلم والجبانة بالشجاعة والشهوة بالمحبة قال البقلى انظر كيف شفقة الله على
المؤمنين الذين يراقبون الله فى السراء والضراء ويرضون ببلائه كيف حرسهم من الخطرات وكيف اخفاهم
بستره عن صدمات قهره وكيف جعلهم فى كنفه حتى لا يطلع عليهم احد وكيف يدفع ببركتهم البلاء عن غيرهم فعلى
المؤمن مراعاتهم فى جميع الزمان والتوسل بهم الى الله المنان فانهم وسائل الله الخفية * بخود سر فرو برده همچون
صدف * نه مانند دريا براورده كف (اذ جعل الذين كفروا) منصوب باذكر على المفعولية اى اذكر وقت جعل

الكافرين يعني اهل مكة (في قلوبهم الحمية) اى الانفة والتكبر فعيلة من حمى من كذا حمية اذا انف منه و في المفردات عبر عن القوة الغضبية اذا ثارت وكثرت بالحمية يقال حميت على فلان اى غضبت عليه انتهى وذلك لان في الغضب ثوران دم القلب وحرارته وغليانه والجار والمجرور اما متعلق بالجعل على انه بمعنى الالقاء او بمحذوف وهو مفعول ثان على انه بمعنى التصيير اى جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم (حمية الجاهلية) بدل من الحمية اى حمية الملة الجاهلية وهي ما كانت قبل البعثة او الحمية الناشئة من الجاهلية التي تمنع اذعان الحق قال الزهري حميتهم انفتهم من الاقرار للنبي بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم او منعهم من دخول مكة وقال مقاتل قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلون علينا فهذه حمية الجاهلية التي دخلت في قلوبهم (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة اى فانزل الله عليهم الثبات والوقار فلم يلحق بهم ما لحق الكفار فصالحوهم ورضوا ان يكتب الكتاب على ما ارادوا روى انه لما ابى سهيل ومن معه ان يكتب في عنوان كتاب الصلح البسملة وهذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة بل قالوا اكتب باسمك اللهم وهذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة قال عليه السلام لعلى رضي الله عنه اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا مع ان اصل الصلح لم يكن عندهم بمحل من القبول في اول الامر على ما سبق في اول السورة مفصلا (والزمهم كلمة التقوى) اى كلمة الشهادة حتى قالوها وهذا الزام الكرم واللطف لا الزام الاكراه والعنف واضيفت الى التقوى لانها سببها اذ بها يتقى من الشرك ومن النار فان اصل التقوى الاتقاء عنهما وقد وصف الله هذه الامة بالمتقين في مواضع من القرآن العظيم باعتبار هذه الكلمة وبسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله من شعار هذه الامة وخواصهم اختارها لهم وصار المشركون محرومين منها حيث لم يرضوا ان يكتب في كتاب الصلح ذلك وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد فان المؤمنين وفوا حيث نقضوا العهد وعاونوا من حارب حليف المؤمنين والمعنى على هذا والزمهم كلمة اهل التقوى وهي العهد الواقع في ضمن الصلح ومعنى الزامها اياهم تثبيتهم عليها وعلى الوفاء بها قال اهل العربية الكلمة قد تستعمل في اللفظة الواحدة ويراد بها الكلام الكثير الذي ارتبط بعضه ببعض فصار ككلمة واحدة كتسميتهم القصيدة باسرها كلمة ومنه يقال كلمة الشهادة قال الرضى وقد تطلق الكلمة مجازا على القصيدة والجملة يقال كلمة شاعر وقال تعالى وتمت كلمة ربك والكلمة عند اهل العربية مشتقة من الكلم بمعنى الجرح وذلك لتأثيرها في النفوس وعند المحققين عبارة عن الارواح والذوات المجردة عن المواد والزمان والمكان لكون وجودها بكلمة كن في عالم الامر اطلاقا لاسم السبب على المسبب والدليل على ذلك قوله تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم والمراد بكلمة التقوى ههنا حقيقة التقوى وماهيتها فان الحقيقة من حيث هي مجردة عن اللواحق المادية والتشخصات فالله تعالى الزم المؤمنين حقيقة التقوى ليتوالوا بها قوة اليقين والتجرد التام وصفاء الفطرة الاصلية (وكانوا احق بها) متصفين بمزيد استحقاق لها في سابق حكمه وقدم علمه على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار (واهلها) عطف تفسير اى المستأهل لها عند الله والمختص بها من اهل الرجل وهو الذي يختص به وينسب اليه قيل ان الذين كانوا قبلنا لا يمكن لاحد منهم ان يقول لا اله الا الله في اليوم والليلة الا مرة واحدة ولا يستطيع ان يقولها اكثر من ذلك وكان قائلها يمد بها صوته حتى ينقطع النفس التماس بركتها وفضلها وجعل الله لهذه الامة ان يقولوها متى شاؤا وهو قوله والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها من الامم السالفة وقال مجاهد ثلاث لا يحجبن عن الرب لا اله الا الله من قلب مؤمن ودعوة الوالدين ودعوة المظلوم كما في كشف الاسرار (وفي المثنوى) بحر وحدانست جفت وزوج نيست * كوهر وماهيش غير موج نيست * اى محال واى محال اشراك او * دور از آن دريا وموج پاك او * (وكان الله بكل شيء عليما) بليغ العلم بكل شيء من شأنه ان يتعلق به العلم فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه ومن معلوماته انهم احق بها اى من جميع الامم لان النبي عليه السلام كان خلاصة الموجودات واصلها وهو الحبيب الذي خلقت الموجودات بتبعيته والكلمة هي صورة الجذبة التي توصل الحبيب بالحبيب والمحب بالمحبوب فهي بالنبي احق لانه هو الحبيب لتوصله الى حبيبه وامته احق بها من الامم لانهم المحبون لتوصل المحب بالمحبوب وهم اهلها لان اهل

هذه الكلمة من يفنى بذاته وصفاته ويبقى باثباتها معها بلاانانيته ومابلغ هذا المبلغ الكمال الاالنبى صلى الله عليه وسلم فيقول اماانافلا اقول انا وامته لقوله تعالى كنتم خيرأمة اخرجت للناس وكان الله بكل شئ عليما فى الازل فنى وجود كل انسان على ماهو اهله فمنهم اهل الدنيا ومنهم اهل الآخرة ومنهم اهل الله وخاصته كذا فى التأويلات النجمية قال ابو عثمان كلمة التقوى كلمة المتقين وهى شهادة ان لا اله الا الله الزمها الله السعداء من اولياء المؤمنين وكانوا احق بها واهلها فى علم الله اذ خلقهم لها وخلق الجنة لاهلها وقال الواسطى كلمة التقوى صيانة النفس عن المطامع ظاهرا وباطنا وقال الجنيد من ادركته عناية السبق فى الازل جرى عليه عيون المواصلة وهو احق بها لما سبق اليه من كرامة الازل وقال بعض العارفين اعلم ان الله تعالى اسند الفعل فى جانب الكفار اليهم فقال اذ جعل الذين كفروا وفى جانب المؤمنين اسنده الى نفسه فقال فانزل الله سكينته اشارة الى ان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لامولى لهم فليس لهم مزيد برامرهم اما المؤمنون فالله تعالى وليهم ومدبر امرهم وايضا فالحمية الجاهلية لبست الامن النفس لان النفس مقر الاخلاق الذميمة واما السكينة والوقار والثبات والطمأنينة فمن الله ثم ان الله تعالى قال فانزل الله بالفاء لابالواو اشارة الى ان انزال السكينة بمقابلة جعل الحمية كما تقول اكرمنى فاكرمته اشارة الى ان اكرامك بمقابلة اكرامه ومجازاته وفى ذلك تنبيه على ان قوما اذا طغوا وظلموا فالله تعالى يحسن الى المظلومين وينصرهم فيعطيهم السكينة والوقار وكمال اليقين وذلك عين النعيم فى مقابلة ازعاج الظالمين وحقدهم واضطرابهم وذلك هو العذاب الاليم فهم اختاروا ذلك العذاب لانفسهم فالله تعالى اختار للمؤمنين النعيم الدائم والمراد بكلمة التقوى كل كلمة تقى النفس عما يضرها من الاذكار كالتوحيد والاسماء الالهية ولذلك ورد فى الحديث من احصاها دخل الجنة وافضلها لا اله الا الله كما قال عليه السلام افضل ماقلته انا والنبيون من قبلى شهادة ان لا اله الا الله ثم ان قوله تعالى وكانوا احق بها واهلها اشارة الى ان الاسماء الالهية ينبغى ان لاتعلم ولاتلقن الا اهلها ممن استعدلها واستحقها بالامانة والديانة والصلاح روى ان الحجاج احضر انسا رضى الله عنه فقال انت الذى تسبنى قال نعم لانك ظالم وقد خالفت سنة رسول الله عليه السلام فقال كيف لوقتلتك اسوء قتلة قال لوعلمت ان ذلك بيدك لعبدتك ولكنك لاتقدر فان رسول الله علمنى دعاء من قرأه كان فى حفظ الله وقد قرأته فقال الحجاج الا تعلمنى اياه فقال لااعلمك ولااعلمه احدا فى حياتك حتى لايصل اليك ثم خرج فقالوا لم لم تقتله فقال رأيت وراءه اسدين عظيمين فخفت منهما وروى ان عالما طلب من بعض المشايخ ان يعلمه الاسم الاعظم فاعطاه شيأ مغطى وقال اوصله الى مريدى فلان فاخذه ثم انه فتحه فى الطريق لينظر مافيه فخرج منه فأرة فرجع بكمال الغيظ فلما رآه الشيخ تبسم وقال ياخائن الآن لم تكن امينا للفأرة فكيف تكون امينا للاسم الاعظم فالكبار يحفظون الاسماء والادعية من غير اهلها لئلا يجعلوها ذريعة الى الاغراض الفاسدة النفسانية (قال السعدى) كسى را با خواجه تست جنك * بدستش چرا مى دهى چوب وسنك * سك آخر كه باشد كه خوانش نهند * بفرماى تا استخوانش نهند (وفى المثنوى) چند دزدى حرف مردان خدا * تا فروشى وستانى مرحبا * چون رخت رانيست درخوبى اميد * خواه كلكونه نه وخواهى مديد (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) صدق يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه والى الثانى بحرف الجر يقال صدقك فى كذا اى ماكذبك فيه وقد يحذف الجار ويوصل الفعل كما فى هذه الآية اى صدقه عليه السلام فى رؤياه وتحقيقه اراه الرؤيا الصادقة وهى ماسبق فى اول السورة من انه عليه السلام رأى قبل خروجه الى الحديبية كأنه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها فى عامهم هذا فلما تأخر ذلك قال بعض المنافقين والله ماحلقنا ولاقصرنا ولارأينا المسجد الحرام فنزلت وهو دليل قاطع على ان الرؤيا حق وليس بباطل كما زعم جمهور المتكلمين والمعتزلة قبحهم الله كما فى بحر العلوم قالوا ان خلت الرؤيا عن حديث النفس وكان هيئة الدماغ صحيحة والمزاج مستقيما كانت رؤيا من الله مثل رؤيا الانبياء والاولياء والصلحاء وفى حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة (بالحق) اى صدقا ملتبسا بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التى هى التمييز بين الراسخ فى الايمان والمتزلزل فيه اوحال كون تلك الرؤيا ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام لان مارآه كائن لامحالة فى وقته المقدر له وهو العام القابل وقد جوزان يكون قسما بالحق الذى هو من اسماء الله اونقيض الباطل وقوله (لتدخلن المسجد الحرام) جواب وهو على الاولين جواب قسم محذوف اى والله

صدهزاران كيميا حق آفريد * كيميايى همچو صبر آدم نديد * نيست هر مطلوب از طالب دريغ * جفت تابش شمس وجفت آب ميغ * وقد صبر عليه السلام على اذى قومه وهكذا حال كل وارث قال معروف الكرخى قدس سره رأيت فى المنام كأنى دخلت الجنة ورأيت قصرا فرشت مجالسه وارخيت ستوره وقام ولدانه فقلت لمن هذا فقيل لابى يوسف فقلت بم استحق هذا فقالوا بتعليمه الناس العلم وصبره على اذاهم ثم ان الصدق صفة الله تعالى وصفة خواص عباده وانه من اسباب الهداية (حكى) عن ابراهيم الخواص قدس سره انه كان اذا اراد سفرا لم يعلم احدا ولم يذكره وانما يأخذ ركوته ويمشى قال حامد الاسود فبينا نحن معه فى مسجد تناول ركوته ومشى فاتبعته فلما وافينا القادسية قال لى يا حامد الى اين قلت ياسيدى خرجت لخروجك قال انا اريد مكة ان شاء الله قلت وانا اريد ان شاء الله مكة فلما كان بعد ايام اذا بشاب قد انضم الينا فمشى معنا يوما وليلة لا يسجد لله سجدة فعرفت ابراهيم وقلت ان هذا الغلام لا يصلى فجلس وقال ياغلام مالك لا تصلى والصلاة اوجب عليك من الحج فقال ياشيخ ماعلى صلاة قلت الست بمسلم قال لا قلت فاى شئ انت قال نصرانى ولكن اشارتى فى النصرانية الى التوكل وادعت نفسى انها قد احكمت حال التوكل فلم اصدقها فيما ادعت حتى اخرجتها الى هذه الفلاة التى ليس فيها موجود غير المعبود اثير ساكنى وامتحن خاطرى فقام ابراهيم ومشى وقال دعه معك فلم يزل يساير ناحتى وافينا بطن مر وفقام ابراهيم ونزع خلقانه فطهرها بالماء ثم جلس وقال له مااسمك قال عبد المسيح فقال ياعبد المسيح هذا دهليز مكة يعنى الحرم وقد حرم الله على امثالك الدخول فيه قال تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والذى اردت ان تستكشفه من نفسك قد بان لك فاحذر ان تدخل مكة فان رأيناك بمكة انكرنا عليك قال حامد فتركناه ودخلنا مكة وخرجنا الى الموقف فبينما نحن جلوس بعرفات اذ به قد اقبل عليه ثوبان وهو محرم يتصفح الوجوه حتى وقف علينا فأكب على ابراهيم يقبل رأسه فقال له ماوراءك ياعبد المسيح فقال له هيهات انا اليوم عبد من المسيح عبده فقال له ابراهيم حدثنى حديثك قال جلست مكانى حتى اقبلت قافلة الحاج وتنكرت فى زى المسلمين كأنى محرم فساعة وقعت عينى على الكعبة اضمحل عندى كل دين سوى دين الاسلام فأسلمت واغتسلت واحرمت وها انا اطلبك يومى فالتفت الى ابراهيم وقال ياحامد انظر الى بركة الصدق فى النصرانية كيف هداه الى الاسلام ثم صحبنا حتى مات بين الفقراء ومن الله الهداية والتوفيق (هو) اى الله تعالى وحده (الذى ارسل رسوله) يعنى ان الله تعالى بجلال ذاته وعلو شانه اختص بارسال رسوله الذى لا رسول احق منه باضافته اليه (بالهدى) اى كونه ملتبسا بالتوحيد وهو شهادة ان لا اله الا الله فيكون الجار متعلقا بمحذوف اوبسببه ولاجله فيكون متعلقا بأرسل (ودين الحق) اى وبدين الاسلام وهو من قبيل اضافة الموصوف الى صفته مثل عذاب الحريق والاصل الدين الحق والعذاب المحرق ومعنى الحق الثابت الذى هو ناسخ الاديان ومبطلها (ليظهره على الدين كله) اللام فى الدين للجنس اى ليعلى الدين الحق ويغلبه على جنس الدين بجميع افراده التى هى الاديان المختلفة بنسخ ماكان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ماكان باطلا او بتسليط المسلمين على اهل سائر الاديان ولقد انجز الله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولا يبقى الاسلم او ذمة للمسلمين وكم ترى من فتوح اكثر البلاد وقهر الملوك الشداد ماتعرف به قدرة الله تعالى وفى الآية فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على انه سيفتح لهم من البلاد ويعطيهم من الغلبة على الاقاليم مايستقلون اليه فتح مكة وقد انجز كما اشير اليه آنفا واعلم ان قوله ليظهره اثبات السبب الموجب للارسال فهذه اللام لام الحكمة والسبب شرعا ولام العلة عقلا لان افعال الله تعالى ليست بمعللة بالاغراض عند الاشاعرة لكنها مستتبعة لغايات جليلة فنزل ترتب الغاية على ماهى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ماهو غرض له (وكفى بالله) اى الذى له الاحاطة بجميع صفات الكمال (شهيدا) على ان ماوعده كائن لا محالة او على نبوته عليه السلام باظهار المعجزات وان لم يشهد الكفار وعن ابن عباس رضى الله عنهما شهد له بالرسالة وهو قوله (محمد رسول الله) فمحمد مبتدأ ورسول الله خبره وهو وقف تام والجملة مبينة للمشهود به وقيل محمد خبر مبتدأ محذوف وقوله رسول الله بدل او بيان او نعت اى ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله قال فى تلقيح الاذهان اعلم الله سبحانه محمدا عليه السلام انه خلق الموجودات كلها من اجله اى من اجل ظهوره اى من اجل تجليه به حتى قال ليس شئ بين السماء والارض الا يعلم انى رسول الله غير عاصى

على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه وذكر فى التوراة فى صفة عمر رضى الله عنه قرن من حديد امين شديد وكذا ابو بكر رضى الله عنه فانه خرج لقتال اهل الردة شاهرا سيفه راكبا راحلته فهو من شدته وصلابته على الكفار (قال الشيخ سعدى) نه چندان درشتى كن كه ازتو سير كردند ونه چندان نرمى كن كه برتو دلير شوند * درشتى ونرمى بهم دربهست * چو رگزن كه جراح ومرهم نهست * (وقال بعضهم) هست نرمى آفت جان سمور * وزدرشتى ميبرد جان خارپشت * وفى الحديث المؤمنون هينون لينون مدح النبى بالسهولة واللين لانهما من الاخلاق الحسنة فان قلت من امثال العرب لا تكن رطبا فتعصر ولا يابسا فتكسر على وفق ذلك ورد قوله عليه السلام لا تكن مرا فتعقى ولا حلوا فتسترط يقال اعقيت الشئ اذا ازلته من فيك لمرارته واسترطه اى ابتلعه وفى هذا نهى عن اللين فاوجه كونه جهة مدح قلت لا شبهة فى ان خير الامور اوسطها وكل طرفى الامور ذميم اى المذموم هو الافراط والتفريط لا الاعتدال والاقتصاد نسأل الله العمل بذلك (تراهم ركعا سجدا) جمع راكع وساجد اى تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات فهما حالان لان الرؤية بصرية واريد بالفعل الاستمرار والجملة خبر آخر واستئناف (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) اما خبر آخر او استئناف مبنى على سؤال نشأ عن بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله ورضوانا اى ثوابا ورضى وقال بعض الكبار قصدهم فى الطاعة والعبادة الوصول والوصال وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال الراغب الرضوان الرضى الكثير (سيماهم) فعلى من سامه اذا اعلمه اى جعله ذا علامة والمعنى علامتهم وسمتهم وقرئ سيماؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هى السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره قوله (فى وجوههم) اى ثابتة فى وجوههم (من اثر السجود) حال من المستكن فى الجار واثر الشئ حصول ما يدل على وجوده كما فى المفردات اى من التأثير الذى تؤثره كثرة السجود وما روى عن النبى عليه السلام من قوله لا تعلموا صوركم اى لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث فى جبهة السجاد الذى لا يسجدون الا خالصا لوجه الله وكان الامام زين العابدين رضى الله عنه وهو على ابن الحسين بن على رضى الله عنهم وكذا على بن عبد الله بن العباس يقال لهما ذو الثفنات لما احدثت كثرة سجودهما فى مواضعه منهما اشباه ثفنات البعير والثفنة بكسر الفاء من البعير الركبة وما مس الارض من اعضائه عند الاناخة وثفنت يده ثفنا اذا غلظت عن العمل وكانت له خمسمائة اصل زيتون يصلى عند كل اصل ركعتين كل يوم قال قائلهم

ديار على والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذى الثفنات

قال عطاء دخل فى الآية من حافظ على الصلوات الخمس وقال بعض الكبار سيما المحبين من اثر السجود فانهم لا يسجدون لشئ من الدنيا والعقبى الا لله مخلصين له الدين وقيل صفرة الوجوه من خشية الله وقيل ندى الطهور وتراب الارض فانهم كانوا يسجدون على التراب لا على الاثواب وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار الا ترى ان من سهر بالليل وهو مشغول بالشراب واللعب لا يكون وجهه فى النهار كوجه من سهر وهو مشغول بالطاعة وجاء فى باب الامامة انه يقدم الاعلم ثم الاقرأ ثم الاورع ثم الاسن ثم الاصبح وجها اى اكثرهم صلاة بالليل لما روى من الحديث قيل لبعضهم ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فأصابهم من نوره كما يصيب القمر نور الشمس فينوره در نفحات مذكورست چون ارواح ببركت قرب الهى صافى شد انوار موافقت بر اشباح ظاهر كردد * درويش را كواه چه حاجت كه عاشقست * رنك رخش زدور به بين وبدان كه هست * وقال سهل المؤمن من توجه الله مقبلا عليه غير معرض عنه وذلك سيما المؤمنين وقال عامر بن عبد القيس كاد وجه المؤمن يخبر عن مكنون عمله وكذلك وجه الكافر وذلك قوله سيماهم فى وجوههم وقال بعضهم ترى على وجوههم هيبة لقرب عهدهم بمناجاة سيدهم وقال ابن عطاء ترى عليهم خلع الانوار لائحة وقال عبد العزيز المكى ليست هى النحولة والصفرة لكنها نور يظهر على وجوه العابدين يبدو من باطنهم على ظاهرهم يتبين ذلك للمؤمنين ولو كان ذلك فى زنجى او حبشى انتهى ولا شك ان هذه الامة يقومون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء وبعضهم يكون وجوههم من اثر السجود كالقمر ليلة البدر وكل ذلك من تأثير نور القلب وانعكاسه ولذا قال * آن سياهى كز پى ناموس حق ناقوس زد * درعرب

بو الليل بو داندر قيامت بو النهار (ذلك) اشارة الى ماذكر من نعوتهم الجليلة (مثلهم) اى وصفهم العجيب
الشان الجارى فى الغرابة مجرى الامثال (فى التوراة) حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة والتوراة اسم
كتاب موسى عليه السلام قال من جوز ان تكون التوراة عربية انها تشتق من ورى الزند فوعلة منه على ان التاء
مبدلة من الواو وسمى التوراة لانه يظهر منه النور والضياء لبنى اسرائيل وفى القاموس وورى النار وريتها
ماتورى به من خرقة او حطبة والتوراة تفعلة منه انتهى وقال بعضهم فوعلة منه لا تفعلة لقلة وجود ذلك
(ومثلهم فى الانجيل) عطف على مثلهم الاول كأنه قيل ذلك مثلهم فى التوراة والانجيل وتكرير مثلهم لتأكيد
غرابته وزيادة تقريرها والانجيل كتاب عيسى عليه السلام يعنى بهمين نعت دركتاب موسى وعيسى مسطورند
تاكه معلوم امم كردند وبايشان مژده ورشوند والانجيل من نجل الشئ اظهره سمى الانجيل انجيلا لانه اظهر الدين
بعدما درس اى عفا رسمه (كزرع اخرج شطأه) يقال زرع كمنع طرح البذر وزرع الله انبت والزرع الولد
والمزروع والجمع زروع وموضعه المزرعة مثلثة الراء وهو الخ تمثيل مستأنف اى هم كزرع اخرج افراخه اى
فروعه واغصانه وذلك ان اول ماينبت من الزرع بمنزلة الام وماتفرع وتشعب منه بمنزلة اولاده وافراخه
وفى المفردات شطأه فروع الزرع وهو ماخرج منه وتفرع فى شاطئيه اى جانبيه وجمعه اشطاء وقوله اخرج شطأه
اى افراخه انتهى وقيل هو اى الزرع الخ تفسير لقوله ذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم
فى الانجيل على ان الكلام قدتم عند قوله تعالى مثلهم فى التوراة (فآزره) المنوى فى آزره ضمير الزرع اى
فقوى الزرع ذلك الشطأ وبالفارسية بس قوى كرد كشت آن يك شاخ را الا ان الامام النسفى رحمه الله
جعل المنوى فى آزر ضمير الشطأ قال فآزره اى فقوى الشطأ اصل الزرع بالتفافه عليه وتكاثفه وهو صريح
فى ان الضمير المرفوع للشطأ والمنصوب للزرع وهو من الموازرة بمعنى المعاونة فيكون وزن آزر فاعل من الازر
وهو القوة او من الايزار وهى الاعانة فيكون وزنه افعل وهو الظاهر لانه لم يسمع فى مضارعه يوازر بل يوزر
(فاستغلظ) فصار غليظا بعدما كان دقيقا فهو من باب استحجر الطين يعنى ان السين للتحول (فاستوى على
سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وهو اصوله (يعجب الزراع) حال اى حال كونه يعجب زراعه الذين
زرعوه اى يسرهم بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وطول قامته وبالفارسية بشكفت اردمز ارعانرا
وهنا تم المثل وهو مثل ضربه الله لاصحاب رسول الله قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما
فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب فى التوراة سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر وفى الاسئلة المقحمة كيف ضرب الله المثل لاصحاب النبى عليه السلام بالزرع الذى اخرج شطأه
ولماذا لم يشبههم بالنخيل والاشجار الكبار المثمرة والجواب لان اصحاب النبى كانوا فى بدء الامر قليلين ثم صاروا
يزدادون ويكثرون كالزرع الذى يبدو ضعيفا ثم ينمو ويخرج شطأه ويكثر لان الزرع يحصد ويزرع كذلك
المسلمون منهم من يموت ثم يقوم مقامه غيره بخلاف الاشجار الكبار فانها تبقى بحالها سنين ولانه تنبت من الحبة
الواحدة سنابل وليس ذلك فى غير الزرع انتهى فكما ان اعمالهم نامية فكذا اجسادهم الاترى انه قتل مع الامام
الحسين رضى الله عنه عامة اهل بيته لم ينج الا ابنه زين العابدين على رضى الله عنه لصغره فاخرج الله من صلبه
الكثير الطيب وقيل زيد بن مهلب واخوتهم وذراريهم ثم مكث من بقى منهم نيفا وعشرين سنة لايولد فيهم انثى
ولا يموت منهم غلام وعن عكرمة اخرج شطأه بابى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى
رضى الله عنهم (ليغيظ بهم الكفار) الغيظ اشد غضب وهو الحرارة التى يجدها الانسان من ثوران دم قلبه غاظه
يغيظه فاغتاظ وغيظه فتغيظ واغاظه وغايظه كما فى القاموس وهو علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع
فى زكائه واستحكامه اى جعلهم الله كالزرع فى النماء والقوة ليغيظ بهم مشركى مكة وكفار العرب والعجم
وبالفارسية تاالله رسول خويش وياران او كافرانرا بدرد آرد ومن غيظ الكفار قول عمر رضى الله عنه لاهل
مكة بعد ما اسلم لانعبد الله سرا بعد اليوم وفى الحديث ارحم امتى بأمتى ابو بكر واقواهم فى دين الله عمر واصدقهم
حياء عثمان واقضاهم على واقرأهم ابى بن كعب وافرضهم زيد بن ثابت واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل
وما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذى لهجة اصدق من ابى ذر ولكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة
ابن الجراح وقيل قوله ليغيظ بهم الكفار علة لما بعده من قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم

مغفرة واجرا عظيما) فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الآخرة مع مالهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ يقول الفقير نظر الكفار مقصور على ما في الدنيا مما يتنافس فيه ويتحاسد وكيف لا يغيظهم ما اعد للمؤمنين في الآخرة وليسوا بمؤمنين باليوم الآخر ومنهم للبيان كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان يعني همه ايشانرا وعده فرمود آمرزش كناه ومزدي بزرك وهو الجنة ودرجاتها فلا حجة فيه للطاعنين في الاصحاب فان كلهم مؤمنون ولما كانوا يبتغون من الله فضلا ورضوانا وعدهم الله بالنجاة من المكروه والفوز بالمحبوب وعن الحسن محمد رسول الله والذين معه ابو بكر الصديق رضي الله عنه لانه كان معه في الغار ومن انكر صحبته كفر اشداء على الكفار عمر بن الخطاب رضي الله عنه لانه كان شديدا غليظا على اهل مكة رحماء بينهم عثمان بن عفان رضي الله عنه لانه كان رؤفا رحيما ذا حياء عظيم تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب رضي الله عنه تاحدي كه هرشب آواز هزار تكبير احرام از خلوت وى با سماع خادمان عتبه عليه اش ميرسيد يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية العشرة المبشرة بالجنة وفي الحديث ياعلي انت في الجنة وشيعتك في الجنة وسيجيء بعدي قوم يدعون ولا يتك لهم لقب يقال لهم الرافضة فاذا ادركتهم فاقتلهم فانهم مشركون قال يارسول الله ما علامتهم قال ياعلي انه ليست لهم جمعة ولا جماعة يسبون ابابكر وعمر قال مالك بن انس رضي الله عنه من اصبح وفي قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الآية قال ابو العالية العمل الصالح في هذه الآية حب الصحابة وفي الحديث ياعلي ان الله امرني ان اتخذ ابابكر والدا وعمر مشيرا وعثمان سندا وانت ياعلي ظهرا فانتم اربعة قد اخذ ميثاقكم في الكتاب لا يحبكم الا مؤمن ولا يبغضكم الا فاجر انتم خلائف نبوتي وعقدة ذمتي لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تغامزوا كما في كشف الاسرار وفي الحديث لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه المد ربع الصاع والنصيف نصف الشيء والضمير في نصيفه راجع الى احدهم لا الى المد والمعنى ان احدكم لا يدرك بانفاق مثل احد ذهبا من الفضيلة ما ادرك احدهم بانفاق مد من الطعام او نصيف له وفي حديث آخر الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه اي يأخذ الله للتعذيب والعقاب وفي الصواعق لابن حجر وكان للنبي عليه السلام مائة الف واربعة عشر الف صحابي عند موته انتهى وفي حديث الاخوة قال اصحابه نحن اخوانك يارسول الله قال لا انتم اصحابي واخواني الذين يأتون بعدي آمنوا بي ولم يروني وقال للعامل منهم اجر خمسين منكم قالوا بل منهم يارسول الله قال بل منكم رددوها ثلاثا ثم قال لانكم تجدون على الخير اعوانا كما في تلقيح الاذهان يقول الفقير يلزم من هذا الخبر ان يكون الاخوان افضل من الاصحاب وهو خلاف ما عليه الجمهور قلت الذي في الخبر من زيادة الاجر للعامل من الاخوان عند فقدان الاعوان لا مطلقا فلا يلزم من ذلك ان يكونوا افضل من كل وجه في كل زمان قال في فتح الرحمن وقد اجتمع حروف المعجم التسعة والعشرون في هذه الآية وهي محمد رسول الله الى آخر السورة اول حرف المعجم فيها ميم من محمد وآخر ها صاد من الصالحات وتقدم نظير ذلك في سورة آل عمران في قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا الآية وليس في القرآن آيتان في كل آية حروف المعجم غيرهما من دعا الله بهما استجيب له وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد رسول الله فتح مكة وقال ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انه من قرأ سورة الفتح في اول ليلة من رمضان في صلاة التطوع حفظه الله تعالى ذلك العام ومن الله العون

تمت سورة الفتح المبين بعون رب العالمين في منتصف صفر أ الخير من شهور سنة الف ومائة واربع عشرة

سورة الحجرات ثماني عشرة آية مدنية باجماع من اهل التأويل

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا ايها الذين آمنوا) تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة ورادع عن الاخلال به (لا تقدموا) امرا من الامور (بين يدي الله ورسوله) ولا تقطعوه الا بعد ان يحكما به ويأذنا فيه فتكونوا اما عاملين بالوحي المنزل واما مقتدين بالنبي المرسل ولفظ اليدين بمعنى الجهتين الكائنتين في سمت يدي الانسان وبين اليدين بمعنى بين الجهتين والجهة التي بينهما هي جهة الامام والقدام فقولك جلست

بين يديه بمعنى جلست امامه وبمكان يحاذى يديه وقريبا منه واذا قيل بين يدى الله امتنع أن يراد الجهة والمكان
فيكون استعارة تمثيلية شبه ماوقع من بعض الصحابة من القطع فى امر من الامور الدينية قبل ان يحكم به الله
ورسوله بحال من يتقدم فى المشى فى الطريق مثلا اوقاحته على من يجب ان يتأخر عنه ويقفوا اثره تعظيماله فعبر
عن الحالة المشبهة بمايعبر به عن المشبه بها (واتقوا الله) فى كل ماتأتون وماتذرون من الاقوال والافعال
(ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) بأفعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب ويجوز ان يكون معنى لاتقدموا لا تفعلوا
التقديم بالكلية على ان الفعل لم يقصد تعلقه بمفعوله وان كان متعديا قال المولى ابو السعود وهو اوفى بحق المقام
لافادة النهى عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهانى
وقد جوزان يكون التقديم لازما بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منهم ومنه وجه بمعنى توجه
وبين بمعنى تبين نهى عن التقدم لان التقدم بين يدى المرء خروج عن صفة المتابعة واستقلال فى الامر فيكون
التقدم بين يدى الله ورسوله منافيا للايمان وقال مجاهد والحسن نزلت الآية فى النهى عن الذبح يوم الاضحى قبل
الصلاة كأنه قيل لاتذبحوا قبل ان يذبح النبى عليه السلام وذلك ان ناسا ذبحوا قبل صلاة النبى عليه السلام
فأمرهم ان يعيدوا الذبح وهو مذهبنا الا ان تزول الشمس وعند الشافعى يجوز اذا مضى من الوقت مايسع الصلاة
وعن البرآء رضى الله عنه خطبنا النبى عليه السلام يوم النحر فقال ان اول مانبدأ به فى يومنا هذا ان نصلى ثم نرجع
فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان نصلى فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك فى شئ وعن عائشة
رضى الله عنها انها نزلت فى النهى عن صوم يوم الشك اى لاتصوموا قبل ان يصوم نبيكم قال مسروق كنا عند عائشة
يوم الشك فأتى بلبن فنادتنى وفى بحر العلوم قالت للجارية اسقيه عسلا فقلت انى صائم فقالت قد نهى الله عن صوم
هذا اليوم وتلت هذه الآية وقالت هذه فى الصوم وغيره وقال قتادة ان ناسا كانوا يقولون لوانزل فى كذا
اوصنع فى كذا واو نزل كذا وكذا فى معنى كذا ولوفعل الله كذا وينبغى ان يكون كذا فكره الله ذلك فنزلت
وعن الحسن لما استقر رسول الله بالمدينة اتته الوفود من الآفاق فاكثروا عليه بالمسائل فنهوا ان يبتدئوا بالمسألة
حتى يكون هو المبتدئ والظاهر أن الآية عامة فى كل قول وفعل ولذا حذف مفعول لاتقدموا ليذهب ذهن
السامع كل مذهب ممايمكن تقديمه من قول اوفعل مثلا اذا جرت مسألة فى مجلسه عليه السلام لاتسبقوه
بالجواب واذا حضر الطعام لاتبتدئوا بالاكل قبله واذا ذهبتم الى موضع لاتمشوا امامه الالمصلحة دعت اليه
ونحوذلك ممايمكن فيه التقديم قيل لايجوز تقدم الاصاغر على الاكابر الا فى ثلاثة مواضع اذا ساروا ليلا اورأوا
خيلا اى جيشا اودخلوا سيلا اى ماء سائلا وكان فى الزمان الاول اذا مشى الشاب امام الشيخ يخسف الله به
الارض ويدخل فى النهى المشى بين يدى العلماء فانهم ورثة الانبياء دليله ماروى عن ابى الدردآء رضى الله عنه قال
رآنى رسول الله عليه السلام امشى امام ابى بكر رضى الله عنه فقال تمشى امام من هو خير منك فى الدنيا والآخرة
ماطلعت شمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين خيرا وافضل من ابى بكر رضى الله عنه كما فى كشف
الاسرار واكثر هذه الروايات يشعر بأن المراد بين يدى رسول الله وذكر الله لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده
حيث ذكر اسمه تعالى توطئة وتمهيدا لذكر اسمه عليه السلام ليدل على قوة اختصاصه عليه السلام برب العزة
وقرب منزلته من حضرته تعالى فان ايقاع ذكره تعالى موقع ذكره عليه السلام بطريق العطف تفسير للمراد يدل
عليها لامحالة كما يقال اعجبنى زيد وكرمه فى موضع أن يقال اعجبنى كرم زيد للدلالة على قوة اختصاص الكرم به
وقال ابن عباس رضى الله عنهما معنى الآية لاتقولوا خلاف الكتاب والسنة يقول الفقير لعله من باب الاكتفاء
والمقصود ولا تفعلوا خلافهما ايضا فان كلا منهما من قبيل التقدم لحدود الله وحدود رسوله وبهذا المعنى فى هذه
الاية الهمت بين النوم واليقظة والله اعلم وفى الآية بيان رأفة الله على عباده حيث سماهم المؤمنين مع معصيتهم
فقال يا ايها الذين آمنوا ولم يقل يا ايها الذين عصوا وهذا بناء مدح كما فى تفسير ابى الليث وايضا فيها وعيد لمن حكم
بخاطره بغير علم بالفرق بين الالهام والوسواس ويقول انه الحق فان زعمه ومقصوده الرياء والسمعة ومن شرط المؤمن
ان لايرى رأيه وعقله واختياره فوق رأى النبى والشيخ ويكون مستسلما لما يرى فيه مصلحة ويحفظ الادب
فى خدمته وصحبته ومن ادب المريدان لايتكلم بين يدى الشيخ فانه سبب سقوطه من اعين الاكابر قال سهل لاتقولوا
قبل ان يقول واذا قال فاقبلوا منه منصتين له مستمعين اليه واتقوا الله فى اهمال حقه وتضييع حرمته ان الله سميع

لما تقولون عليم بما تعملون وقال بعضهم لا تطلبوا وراء منزلته منزلة فانه لا يوازيه احد بل لا يدانيه چشم اواز حيا كوش اواز حكمت زبان اواز ثنا و تسبيح ودل اواز رحمت دست او از سخاوى اواز مشك بويا * قيمت عطار ومشك اندر جهان كاسد شود * چون برافشاند صبا زلفين عنبرساى تو (يا أيها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) شروع فى النهى عن التجاوز فى كيفية القول عند النبى عليه السلام بعد النهى عن التجاوز فى نفس القول والفعل والصوت هو الهواء المنضغط عن قرع جسمين فان الهواء الخارج من داخل الانسان ان خرج بدفع الطبع يسمى نفسا بفتح الفاء وان خرج بالارادة وعرض له تموج بتصادم جسمين يسمى صوتا والصوت الاختيارى الذى يكون للانسان ضربان ضرب باليد كصوت العود وما يجرى مجراه وضرب بالفم فالذى بالفم ضربان نطق وغيره فغير النطق كصوت الناى والنطق اما مفرد من الكلام واما مركب كاحد الانواع من الكلام والمعنى لا تبلغوا بأصواتكم وراء حد يبلغه عليه السلام بصوته والباء للتعدية وقال فى المفردات تخصيص الصوت بالنهى لكونه اعم من النطق والكلام ويجوز انه خصه لان المكروه رفع الصوت لا رفع الكلام وعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ان الاقرع بن حابس من بنى تميم قدم على النبى عليه السلام فقال ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله استعمله على قومه اى بتقديمه عليهم بالرياسة فقال عمر رضى الله عنه لا تستعمله يا رسول الله بل القعقاع بن معبد فتكلما عند النبى عليه السلام حتى ارتفعت اصواتهما فقال ابو بكر لعمر ما اردت الا خلافى فقال ما اردت خلافك فنزلت هذه الآية فكان عمر بعد ذلك اذا تكلم عند النبى لم يسمع كلامه حتى يستفهمه وقال ابو بكر آليت على نفسى ان لا اكلم النبى ابدا الا كاخى السرار يعنى سوكند ياد كردم كه بعد ازين هركز با رسول خدا سخن بلند نكويم مكر چنانكه با همرازى پنهان سخن كويند (ولا تجهروا له بالقول) اذا كلمتموه وتكلم هو ايضا والجهر يقال لظهور الشئ بافراط لحاسة البصر نحو رأيته جهارا او حاسة السمع نحو سواء منكم من اسر القول ومن جهر به (كجهر بعضكم لبعض) اى جهرا كائنا كالجهر الجارى فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم اخفض من صوته وتعهدوا فى مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة جلالة النبوة فنهوا عن جهر مخصوص مقيد وهو الجهر المماثل لجهر اعتادوه فيما بينهم لا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يتكلموا بالهمس والمخافتة فالنهى الثانى ايضا مقيد بما اذا نطق ونطقوا والفرق ان مدلول النهى الاول حرمة رفع الصوت فوق صوته عليه السلام ومدلول الثانى حرمة ان يكون كلامهم معه عليه السلام فى صفة الجهر كالكلام الجارى بينهم ووجوب كون اصواتهم اخفض من صوته عليه السلام بعد كونها ليست بأرفع من صوته وهذا المعنى لا يستفاد من النهى الاول فلا تكرار والمفهوم من الكشاف فى الفرق بينهما ان معنى النهى الاول انه عليه السلام اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا بأصواتكم فوق الحد الذى يبلغ اليه صوته عليه السلام وان تغضوا من اصواتكم بحيث يكون صوته عاليا على اصواتكم ومعنى الثانى انكم اذا كلمتموه وهو عليه السلام ساكت فلا تبلغوا بالجهر فى القول الجهر لدائر بينكم بل لينوا القول لينا يقارب الهمس الذى يضاد الجهر (ان تحبط اعمالكم) تا باطل نشود عملها اى شما بسبب اين جرأت وهو علة اما للنهى على طريق التنازع فان كل واحد من قوله لا ترفعوا ولا تجهروا يطلبه من حيث المعنى فيكون علة للثانى عند البصريين وللاول عند الكوفيين كأنه قيل انتهوا عما نهيتم عنه لخشية حبوط اعمالكم او كراهته كما فى قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا فحذف المضاف ولام التعليل واما علة للفعل المنهى كأنه قيل انتهوا عن الفعل الذى تفعلونه لاجل حبوط اعمالكم فاللام فيه لام العاقبة فانهم لم يقصدوا بما فعلوه من رفع الصوت والجهر حبوط اعمالهم الا انه لما كان بحيث قد يؤدى الى الكفر المحبط جعل كأنه فعل لاجله فادخل عليه لام العلة تشبيها للمؤدى للفعل بالعلة الغائية وليس المراد بما نهى عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدى اليه مما يجرى بينهم فى اثناء المحاورة من الرفع والجهر خلا ان رفع الصوت فوق صوته عليه السلام لما كان منكرا محضا لم يقيد بشئ يعنى ان الاستخفاف به عليه السلام كفر لا الاستخفاف بأمر الرفع والجهر بل هو المؤدى الى المنكر لانهم اذا اعتادوا الرفع والجهر مستخفين بأمرهما ربما انضم الى هذا الاستخفاف قصد الاهانة به عليه السلام وعدم المبالاة وكذا ليس المراد ما يقع من الرفع والجهر فى حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او نحو ذلك فانه مما لا بأس به اذ لا يتأذى به النبى عليه السلام فلا يتناوله النهى ففى الحديث انه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس

وكان العباس اجهر الناس صوتا (روى) ان غارة اتتهم يوما اى فى المدينة فصاح العباس ياصباحاه فاسقط الحوامل لشدة صوته وكان يسمع صوته من ثمانية اميال كما مر فى الفتح وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى ثابت بن قيس ابن شماس وكان فى اذنه وقر وكان جهورى الصوت اى جهيره ورفيعه وربما كان يكلم رسول الله فيتأذى بصوته وعن انس لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه السلام فأخبر بشأنه فدعاه عليه السلام فسأله فقال يارسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فأخاف ان تكون عملى قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وصدق رسول الله فان ثابتا مات بخير حيث قتل شهيدا يوم مسيلمة الكذاب وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام فقال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعى فذهب بها وهو فى ناحية من العسكر وعنده فرس مشدود يرعى وقد وضع على درعى برمة فائت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعى وائت ابابكر رضى الله عنه خليفة رسول الله وقل له ان على دينا لفلان حتى يقضى دينى وفلان من عبيدى حر فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابابكر بتلك الرؤيا فأجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس رضى الله عنه لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه الوصية (وانتم لا تشعرون) حال من فاعل تحبط اى والحال انكم لا تشعرون بحبوطها والشعور العلم والفطنة والشعر العلم الدقيق ودانستن از طريق حس وفيه مزيد تحذير لما نهوا عنه استدل الزمخشرى بالآية على ان الكبيرة تحبط الاعمال الصالحة اذ لا قائل بالفصل والجواب انه من باب التغليظ والمراد انهم لا يشعرون ان ذلك بمنزلة الكفر المحبط وليس كسائر المعاصى وايضا انه من باب ولا تكونن ظهيرا للكافرين يعنى ان المراد هو الجهر والرفع المقرونان بالاستهانة والقصد الى التعريض بالمنافقين قال الراغب حبط العمل على اضرب احدها ان تكون الاعمال دنيوية فلا تغنى فى القيامة غناء كما اشار اليه تعالى بقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والثانى ان تكون اعمالا اخروية لكن لم يقصد صاحبها بها وجه الله كما روى يؤتى برجل يوم القيامة فيقال له بم كان اشتغالك قال بقرآءة القرآن فيقال له كنت تقرأ ليقال فلان قارئ وقد قيل ذلك فيؤمر به الى النار والثالث ان تكون اعمالا صالحة لكن بازائها سيئات توفى عليها وذلك هو المشار اليه بخفة الميزان انتهى وحبط عمله كسمع وضرب حبطا وحبوطا بطل واحبطه الله ابطله كما فى القاموس وقال الراغب اصل الحبط وهو ان تكثر الدابة من الكلأ حتى تنتفخ بطنها فلا يخرج منها شئ قال البقلى فى العرآئس اعلمنا الله بهذا التأديب ان خاطر حبيبه من كمال لطافته ومراقبة جمال ملكوته كان يتغير من الاصوات الجهرية وذلك من غاية شغله بالله وجمع همومه بين يدى الله فكان اذا جهر احد عنده يتأذى قلبه ويضيق صدره من ذلك كانه يتقاعد سره لحظة عن السير فى ميادين الازل فخوفهم الله من ذلك فان تشويش خاطره عليه السلام سبب بطلان الاعمال ومن العرش الى الثرى لا يزن عند خاطره ذرة واجتماع خاطر الانبياء والاولياء فى المحبة احب الى الله من اعمال الثقلين وفيه حفظ الحرمة لرسول الله وتأديب المريدين بين يدى اولياء الله يقول الفقير والكمال لطافته عليه السلام كان الموت عليه اشد اذ اللطيف يتأثر مما لا يتأثر الكثيف كما قال بعضهم قد شاهدنا اقواما من عرب البوادى يسلخ الحكام جميع جلد احدهم ولا يظهر ضجرا ولو سلخ اكبر الاولياء اصاح الآن يؤخذ عقله بمشاهدة تمنع احساسه انتهى ومن هنا عرف ان لكل من الجهر والخفاء محلا فشديد النفس له الجهر ولينه له الاخفاء كما فى حال الذكر ولبس كل احد صاحب مشاهدة وقال سهل لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم ان الاصحاب رضى الله عنهم كانوا بعد هذه الآية لا يكلمونه عليه السلام الا جهرا يقرب من السر والهمس وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام لانه حى فى قبره وكذا القرب منه عليه السلام فى المواجهة عند السلام بحيث كان بينه وبينه عليه السلام اقل من اربعة اذرع وكره بعضهم رفع الصوت فى مجالس الفقهاء تشريفا لهم اذهم ورثة الانبياء قال سليمان بن حرب ضحك انسان عند حماد بن زيد وهو يحدث بحديث عن رسول الله فغضب حماد وقال انى ارى رفع الصوت عند حديث رسول الله وهو ميت كرفع الصوت عنده وهو حى وقام وامتنع من الحديث ذلك اليوم وحاصله ان فيه كراهة الرفع عند الحديث وعند المحدث مع ان الضحك لا يخلو من السخرية والهزل ومجلس الجد لا يحتمل مثل ذلك ولو دخل السلف مجالس هذا الزمان من مجلس الوعظ والدرس واجتماع المولد ونحو ذلك خرجوا من ساعتهم لما رأوا من كثرة المنكرات وسوء الادب بزركان كفته اند من ترك الاداب رد عن الباب نهصد هزار ساله طاعت ابليس بيك

بى ادبى ضايع شد * نگاه دار ادب در طريق عشق ونياز * كه گفته اند طريقت تمام آدابست * نسأل الله الكريم ان يجعلنا متحلين بحلية الادب العظيم (ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله) الخ ترغيب فى الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب من الاخلال به والغض النقصان من الطرف والصوت ومافى الاناء يقال غض طرفه خفضه وغض السقاء نقص مما فيه والمعنى ان الذين يخفضون اصواتهم عند رسول الله مراعاة للادب وخشية من مخالفة النهى (اولئك) مبتدأ خبره قوله (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه فهو من اطلاق المقيد وهو اخلاص الذهب وارادة المطلق * در بوتهٔ امتحان كرم بگدازى * منت دارم كه بى غشم ميسازى * وقال فى الاساس محن الاديم مدده حتى وسعه وبه فسر قوله تعالى امتحن الله قلوبهم اى شرحها ووسعها وعن عمر رضى الله عنه اذهب عنها الشهوات اى نزع عنها محبة الشهوات وصفاها عن دنس سوء الاخلاق وحلاها بمكارم مهامها حتى انسلخوا عن عادات البشرية (لهم) فى الآخرة (مغفرة) عظيمة لذنوبهم (واجر عظيم) التنكير للتعظيم اى ثابت لهم غفران واجر عظيم لايقادر قدره لغضهم وسائر طاعاتهم فهو استئناف لبيان جزاء الغاضين مدحا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم وفى الآية اشارة الى غض الصوت عند الشيخ المرشد ايضا لانه الوارث وله الخلافة ولايقع الغض الا من اهل السكينة والوقار وقال الحسين قدس سره من امتحن الله قلبه بالتقوى كان شعاره القرآن ودثاره الايمان وسراجه التفكر وطيبه التقوى وطهارته التوبة ونظافته الحلال وزينته الورع وعلمه الآخرة وشغله بالله ومقامه مع الله وصومه الى الممات وافطاره من الجنة وجمعه الحسنات وكنزه الاخلاص وصمته المراقبات ونظره المشاهدات قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر التقوى كل عمل يقيك من النار واذا وقاك من النار وقاك من الحجاب واذا وقاك من الحجاب شاهدت العزيز الوهاب روى ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يزال قلب ابن آدم جديدا فى حب الشىء وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قال الراوى فلقد رأيت رجلا من اصحاب رسول الله لايركب الى زراعة له وانهما منه على فراسخ وقد اتى عليه سبعون سنة وروى انه عليه السلام قال لايزال قلب ابن آدم جديدا فى حب الشىء وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وهم قليل يعنى هميشه دل آدم نو مى باشد در حب چيزى واگرچه نگرسته باشد هرد وچنبر گردنش از پيرى وبزركى مكر آنانكه امتحان كرده است خدا قلوب ايشان از براى تقوى وآنند كه ايشان * وجود تو شهريست پر نيك وبد * تو سلطان ودستور دانا خرد * همانا كه دونان گردن فراز * درين شهر كبرست وسوداواز * چو سلطان عنايت كند بادانى * كجا ماند آسايش بخردان (ان الذين ينادونك) المناداة والنداء خواندن (من وراء الحجرات) اى من خارجها من خلفها اوقدامها لان وراء الحجرة عبارة عن الجهة التى يواريها شخص الحجرة بجهتها اى من اى ناحية كانت من نواحيها ولابد ان تكون تلك الجهة خارج الحجرة لان مافى داخلها لايتوارى عمن فيها بجثة الحجرة فاشتراك الوراء فى تينك الجهتين معنوى لالفظى لكن جعله الجوهرى وغيره من الاضداد فيكون اشتراكه لفظيا ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة واذا جرد الكلام عن حرف الابتداء جاز ان يكون المنادى ايضا فى الخارج لانتفاء مقتضى اختلافهما بالجهة والمراد حجرات امهات المؤمنين وكانت لكل واحدة منهن حجرة فتكون تسعا عددهن جمع حجرة بمعنى محجورة كقبضة بمعنى مقبوضة وهى الموضع الذى يحجره الانسان لنفسه بحائط ونحوه ويمنع غيره من ان يشاركه فيه من الحجر وهو المنع وقيل للعقل حجر لكون الانسان فى منع منه مما تدعو اليه نفسه ومناداتهم من ورائها اما بأنهم اتوها حجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها اوبانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه السلام لانهم لم يتحققوا مكانه فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل الذى ناداه عيينة بن حصين الفزارى وهو الاحمق المطاع وكان من الجرارين يجر عشرة آلاف قناة اى يتبعه والاقرع بن حابس وهو شاعر بنى تميم فدا على رسول الله فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا فنحن الذين مدحنا زين وذمنا شين فاستيقظ فخرج وقال لهم ويحكم ذلكم الله اى الذى مدحه زين وذمه شين وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك اوامروا به اولانه وجد فيما بينهم وقال سعدى المفتى انما يحتاج الى التأويل اذا اريد بالاستغراق الجمع الاستغراق الافرادى واما اذا اريد

الاستغراق المجموعي فلا ولذلك قالوا مقابلة الجمع بالجمع تفيد انقسام الآحاد بالآحاد وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله ان يهلكهم فنزلت الآية ذما لهم وبقي هذا الذم الى الابد وصدق رسول الله في قوله ذلكم الله (اكثرهم لا يعقلون) قال في بحر العلوم في قوله اكثرهم دلالة على انه كان فيهم من قصد بالمحاشاة وهو بالفارسية استثنا كردن وعلى قلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم من يعقل اذ القلة تجرى مجرى النفي في كلامهم ويؤيده الحديث السابق فيكون المعنى كلهم لا يعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب بل تأدبوا معه بان يجلسوا على بابه حتى يخرج اليهم كما قال تعالى (ولو انهم صبروا) الصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها (حتى تخرج اليهم) او مختص بالفعل على ماذهب اليه المبرد والزجاج والكوفيون فانه بعد لو مرفوع على الفاعلية لا على الابتداء على ماقاله سيبويه والمعنى ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه عليه السلام فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم (لكان) اى الصبر المذكور (خيرا لهم) من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثواب والثناء والاسعاف بالمسئول اذ روى انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر قال في القاموس العنبر ابو حي من تميم قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث رسول الله عليه السلام سرية الى حي بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصين فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله قائلا في اهله فلما رأتهم الذراري اجهشوا الى ابائهم يبكون والاجهاش كريستن راساختن يقال اجهش اليه اذا فزع اليه وهو يريد البكاء كالصبي يفزع الى امه وكان لكل امرأة من نساء رسول الله بيت وحجرة فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليه فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبرائيل فقال ان الله يأمرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال عليه السلام لهم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انا لا احكم بينهم وعمي شاهد وهو اعور بن بشامة بن ضرار فرضوا به فقال الاعور فانا ارى ان تفادى نصفهم وتعتق نصفهم فقال عليه السلام قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم وقال مقاتل لكان خيرا لهم لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء (والله غفور رحيم) بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن تضيق ساحتهما عن هؤلاء المسيئين للادب ان تابوا واصلحوا (قال الكاشفي) والله غفور وخداى تعالى آمرزنده است كسى راكه توبه كند ازبى ادبى رحيم مهربانست با اهل ادب كه تعظيم سيد اولوا الالباب ميكنند چه ادب جاذب رحمتست وحرمت جالب نعمت * سرمايه ادب بكف آوركه اين متاع * ارزا كه هست سود ادب نايدش بكف * وفي هذا المقام امور * الاول ان في هذه الآية تنبيها على قدره عليه السلام والتأدب معه بكل حال فهم انما نادوه لعدم عقل يعرفون به قدره ولو عرفوا قدره لكانوا كما في الخبر يقرعون بابه بالاظافير وفي المناداة اشارة الى انهم رأوه من وراء الحجاب ولو كانوا من اهل الحضور والشهود لما نادوه (كما قال بعضهم) كار نادان كوته انديش است * ياد كردن كسى كه در پيش است * قال ابو عثمان المغربي قدس سره الادب عند الاكابر وفي مجلس السادات من الاولياء يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى والخير في الاولى والعقبى فكما لا بد من التأدب معه عليه السلام فكذا مع من استن بسنته كالعلماء العاملين وكان جماعة من العلماء يجلسون على باب غيرهم ولا يدقون عليه بابه حتى يخرج لقضاء حاجته احتراما قال ابو عبيدة القاسم بن سلام مادققت الباب على عالم قط كنت اصبر حتى يخرج الى لقوله تعالى ولو انهم الخ وفي الحديث ادبني ربي فاحسن تأديبي اى ادبني احسن تأديب فالفاء تفسير لما قبله قال بعض الكبار من الحكمة توقير الكبير ورحمة الصغير ومخاطبة الناس باللين وقال ان كان خليلك فوقك فاصحبه بالحرمة وان كان كفؤك ونظيرك فاصحبه بالوفاء وان كان دونك فاصحبه بالرحمة وان كان عالما فاصحبه بالخدمة والتعظيم وان كان جاهلا فاصحبه بالسياسة وان كان غنيا فاصحبه بالزهد وان كان فقيرا فاصحبه بالجود وان صحبت صوفيا فاصحبه بالتسليم قال بعض الحكماء عاشروا الناس معاشرة ان متم بكوا عليكم وان غبتم حنوا اليكم * والثاني ذم الجهل ومدح العقل والعلم فان شرف العقل مدرك بضرورة العقل والعلم والحس حتى ان اكبر الحيوانات شخصا واقواها

بدنا اذا رأى الانسان احتشمه وخاف منه لاحساسه بانه مستول عليه بحيلته واقرب الناس الى درجة البهائم اجلاف العرب والترك تراهم بالطبع يالغون فى توقير شيوخهم لان التجربة ميز تهم عنهم بمزيد علم ولذلك روى فى الاثر الشيخ فى قومه كالنبى فى امته نظرا الى قوة علمه وعقله لا بقوة شخصه وجاهه وشوكته وثروته (وفى المثنوى) كشتى بى لنكر آمد مرد شر * كه زباد كژ نيابد او حذر * لنكر عقلست عاقل را امان * لنكرى دريوزه كن ازعاقلان * قال بعض الكبار العاقل كلامه وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم به امره على قلبه فينظر فيه فان كان له اى لنفعه امضاه وان كان عليه اى لضرره امسكه والاحمق كلامه على طرف لسانه وعقله فى حجره اذا قام سقط قال امير المؤمنين على رضى الله عنه لسان العاقل فى قلبه وقلب الاحمق فى فيه والادب صورة العقل ولا شرف مع سوء الادب ولاداء اعيى من الجهل واداء العقل نقص الكلام * هركرا اندك بست مايهٔ عقل * بيهده كفتنش بود بسيار * مرد راعقل چون بيفزايد * درمجامع بكاهدش كفتار * وفى الحديث كل كلام ابن آدم عليه لا له الا امر بمعروف اونهيا عن منكر وفى حديث آخر وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار الا حصائد السنتهم * والثالث ماقال بعض الكبار تدبر سر قوله تعالى ولو انهم صبروا الآية ولا تنظر الى سبب النزول وانتظر خروجه مرة ثانية لقيام الساعة وفتح باب الشفاعة فى هذه الدار نوما اويقظة فى الآخرة وهو الشافع فيهما وفى الحافرة وقد ثبت ان الناس يلتجئون يوم القيامة الى الانبياء ثم وثم الى ان يصلوا اليه فلا يصلون الى المراد الا عنده وفى الحديث انا اول ولد آدم خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وخطيبهم اذا أنصتوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا وانا شفيعهم اذا حشروا ولواء الكريم بيدى وانا اكرم ولد آدم على ربى ولا فخر يطوف على الف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون * سرخيل انبيا وسپهدار اتقيا * سلطان باركاه دنى قائد الامم * وانما كان خدامه الفا لتحققه بالف اسم من اسماء الله سبحانه وتعالى (يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق) اى فاسق كان (بنبأ) اى نبأ كان والنبأ الخبر يعنى خبرى بيارد كه موحش بود وموجب تألم خاطر فالتنكير للتعميم وفيه ايذان بالاحتراز عن كل فاسق وانما قال ان جاءكم بحرف الشك دون اذا ليدل على ان المؤمنين ينبغى ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق فى مكالمتهم بكذب ما وقال ابن الشيخ اخراج الكلام بلفظ الشرط المحتمل الوقوع لندرة مثله فيما بين اصحابه عليه السلام (فتبينوا) اى ان جاءكم فاسق بخبر يعظم وقعه فى القلوب فتعرفوا وتفحصوا حتى يتبين لكم ماجاء به أصدق هو ام كذب ولا تعتمدوا على قوله المجرد لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذى هو نوع منه روى ان الوليد بن عقبة بن ابى معيط اخا عثمان لامه وهو الذى ولاه عثمان الكوفة بعد بن سعد بن ابى وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم بعثه عليه السلام مصدقا الى بنى المصطلق اى اخذا وقابضا الصدقاتهم وزكاتهم وكان بينه وبينهم احنة اى حقد وبغض كامن فى الجاهلية بسبب دم فلما سمعوا به تلقوه مستقبلوه ركبانا فحسب انهم مقاتلوه فرجع هاربا وقال لرسول الله عليه السلام قد ارتدوا ومنعوا الزكاة وهم بقتلى فهم عليه السلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد بعد رجوع الوليد بن عقبة عنهم فى عسكر وقال له اخف عنهم قدومك اليهم بالعسكر وادخل عليهم ليلا فتجسس اهل ترى شعار الاسلام وآدابه فان رأيت منهم ذلك فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يفعل بالكفار ففعل ذلك خالد وجاءهم وقت المغرب فسمع منهم اذان صلاتى المغرب والعشاء ووجدهم مجتهدين باذلين وسعهم ومجهودهم فى امتثال امر الله فاخذ منهم صدقاتهم وانصرف الى رسول الله واخبره الخبر فنزلت (ان تصيبوا) حذار ان تصيبوا (قوما بجهالة) حال من ضمير تصيبوا اى ملتبسين بجهالة بحالهم وكنه قصتهم (فتصبحوا) اى فتصيروا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم (على ما فعلتم) فى حقهم (نادمين) مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام مثل ادمن الامر اذا ادامه ومدن بالمكان اذا اقام به ومنه المدينة يعنى ان الندم غم يصحب الانسان صحبة لها دوام على ما وقع مع تمنى انه لم يقع ولزومه قد يكون لقوته من اول الامر وقد يكون لعدم غيبة موجبه وسببه عن الخاطر وقد يكون لكثرة تذكره ولغير ذلك من الاسباب وفى الآية دلالة على ان الجاهل لا بد ان يصير نادما على ما فعله بعد زمان وفى ترتيب الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل فى بعض المواد ورد عليه السلام شهادة رجل فى كذبة واحدة وقال ان شاهد الزور مع العشار فى النار وقال عليه السلام من شهد شهادة زور فعليه لعنة الله ومن حكم بين اثنين فلم يعدل بينهما فعليه لعنة الله وما شهد رجل

على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه كما فى كشف الاسرار وفى الآية ايضا اشارة الى ترك الاستماع الى كلام الساعى والنمام والمغتاب للناس * كسى پيش من درجهان عاقلست * كه مشغول خود وزجهان غافلست * كسى راكه نام آمد اندر ميان * به نيكوترين نام ونعتش بخوان * ازان همنشين تانوانى گريز * كه مر فتنهٔ خفته راكفت خيز * ميان دو كس جنگ چون آتش است * سخن چين بدبخت هيزم كش است * ميان دو تن آتش آفروختن * نه عقلست خود درميان سوختن * فلابد من التبين والتفحص ليظهر حقيقة الحال ويسلم المرء من الوبال ويفتضح الكذاب الدجال وفى الحديث التبين من الله والعجلة من الشيطان وفيها ايضا اشارة الى تسويلات النفس الفاسقة الامارة بالسوء ومجيئها كل ساعة بنبأ شهوة من شهوات الدنيا فتبينوا ربحها وخسرانها من قبل ان تصيبوا قوما من القلوب وصفاتها بجهالة مافيها من شفاء النفوس وحياتها ومرض القلوب ومماتها فتصبحوا صباح القيامة وانتم على مافعلتم نادمون (واعلموا ان فيكم رسول الله) وبدانيد كه درميان شماست رسول الله وفائدة الامر الدلالة على انهم نزلوا منزلة الجاهلين لمكانه لتفريطهم فيما يجب من تعظيم شأنه فيكون قوله تعالى (لويطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) استئنافا وقال بعضهم ان يما فى حيزها سادمسد مفعولى اعلموا باعتبار مابعده من قوله تعالى لويطيعكم الخ فانه حال من احد الضميرين فى فيكم الاول المرفوع المستتر فيه العائد الى رسول الله المنتقل اليه من عامله المحذوف لان التقدير كائن فيكم اومستقر والثانى المجرور البارز والمعنى اى على الحال ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغيرها اوكائنين على حالة الخ وهى انكم تريدون ان يتبع عليه السلام رأيكم فى كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم فى الجهد والهلاك فعلى هذا يكون قوله لو يطيعكم الخ دليل وجوب تغيير تلك الحال اقيم مقام الحال وفيه ايذان بأن بعضهم زينوا رسول الله الايقاع ببنى المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه عليه السلام لم يطع رأيهم والعنت محركة الفساد والاثم والهلاك ودخول المشقة على الانسان كما فى القاموس يقال عنت فلان اذا وقع فى امر يخاف منه التلف كما فى المفردات فهو من الباب الرابع مثل طرب يطرب طربا وقال الزمخشرى هو الكسر بعد الجبر كما قال فى تاج المصادر العنت بزه مند شدن ودر كارى افتيدن كه ازان بيرون نتواند آمد وشكسته شدن استخوان پس از جبر وقوله لمن خشى العنت منكم يعنى الفجور والزنى ومنه الاسير من المسلمين فى دار الحرب اذا خشى العنت على نفسه والفجور لابأس بأن يتزوج امرأة منهم والتركيب يدل على مشقة وصيغة المضارع فى لويطيعكم للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه السلام لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذفيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤسا لامن اطاعته فى بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة قال فى علم البلاغة ولو للشرط فى الماضى اى لتعليق حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط فرضا مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء فيلزم عدم الثبوت والمضى فى جملتها اذ الثبوت ينافى التعليق والاستقبال ينافى الماضى فلا يعدل فى جملتيها عن الفعلية الماضوية الالنكتة فدخولها على المضارع نحو لويطيعكم الخ لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتا فوقتا والفعل هو الاطاعة يعنى ان امتناع عنتكم بسبب امتناع استمراره على اطاعتكم فان المضارع يفيد الاستمرار ودخول لو عليه امتناع الاستمرار (ولكن الله حبب اليكم الايمان) الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم من اوصاف الاولين واحمادا لافعالهم وهم الكاملون الذين لايعتمدون على كل ماسمعوه من الاخبار والتحبيب دوست كردانيدن اى ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم (وزينه) وحسنه (فى قلوبكم) حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما يليق به من الاقوال والافعال وفى عين المعانى فى قلوبكم دون السنتكم مجرد ردا على الكرامية وقيل دون جوارحكم ردا على الشعوبية (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان)ولذلك اجتنبتم مالايليق بها مما الاخير فيه من آثارها واحكامها والتكريه هنا بمعنى التبغيض والبغض ضد الحب فالبغض نفار النفس عن الشئ الذى ترغب عنه والحب انجذاب النفس الى الشئ الذى ترغب فيه ولما كان فى التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى قال فى فتح الرحمن معنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد اى العدل بظلم نفسه والعصيان الامتناع من الانقياد وهو شامل لجميع الذنوب والفسوق مختص بالكبائر (اولئك) المستثنون بقوله ولكن الله الخ (هم الراشدون)

اى السالكون الى الطريق السوى الموصل الى الحق وفى الآية عدول وتلوين حيث ذكر اولها على وجه المخاطبة وآخرها على المغايبة حيث قيل اولئك هم الراشدون ليعلم ان جميع من كان حاله هكذا فقد دخل فى هذا المدح كما قال ابو الليث (فضلا من الله ونعمة) اى وانعاما تعليل لحبب وكره وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا عن فعله وهو التحبيب والتكريه مسندا الى ضميرهم يعنى ان المراد بالفاعل من قام به الفعل واسند هو اليه لا من اوجده ومن المعلوم ان الرشد قائم بالقوم والفضل والانعام قائم به تعالى فلا اتحاد (والله عليم) مبالغ فى العلم فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل والتمايز (حكيم) يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة (وقال الكاشفى) والله عليم وخداى تعالى داناست بصدق وكذب حكيم محكم كارست در امور بندكان وازحكمتهاى اوست كه بتحقيق اخبار ميفرمايد كه از خبرهاء ناراست انواع فتنها مى زايد * هركز سخنان فتنه انكيز مكو * وآن راست كه هست فتنه انكيز مكو * خامش كن وكرچاره ندارى زسخن * شوخى مكن وتند مشو تيز مكو — وفى الاية دليل على ان من كان مؤمنا لا يحب الفسق والمعصية واذا ابتلى بالمعصية فان شهوته وغفلته تحمله على ذلك لا لحبه للمعصية بل ربما يعصى حال الحضور لان فيه نفاذ قضائه تعالى شيخ اكبر قدس سره الاطهر مى فرمايد كه بعضى از صالحان مرا خبرداد كه بفلان عالم درآمدم واو عظيم برنفس خود مسرف بود شيخ فرمود كه من آن عالم مسرف را نيز مى دانم وباوى اجتماع اتفاق افتاده بود ان عزيز صالح ميكويد كه چون بدرخانهٔ اورسيدم ابا كرد ازان سبب كه برصورتى نامشروع نشسته بود كفتم چاره نيست از ديدن او كفت بكوييد كه من برچه حالم كفتم لابداست دستورى داد درآمدم وان خمر ايشان تمام شده بود بعضى از حاضران كفت بفلانى رقعهٔ بنويس كه قدرى بفرستد آن عالم كفت نكنم ونمى خواهم برمعصيت حق تعالى مصر باشم والله كه هيچ كاسه نمى خورم الا كه درعقب آن توبه ميكنم ومنتظر كاس ديكر نباشم وبانفس خود دران باب سخن نمى كويم چون باز ديكرد ورمى رسد وساقى مى آيد درنفس خود نكاه ميكنم اكر راى من بران قرار ميكيرد كه بكيرم مى ستانم وچون فارغ شدم باز بحق رجوع ميكنم وتوبه مى آرم درمرو راوقات درخاطر من نيست كه عصيان كنم آن عزيز مى كويد كه باوجود عصيان واسراف او تعجب نمودم كه چكونه ازمثل اين حضور غافل نشد دس حذر كنى از اصرار كردن بركناه بلكه در هر حالت توبه كنى وبحق تعالى باز كردو براثر هرعصيانى عذرى بخواه طريق بدست اروصلحى بجوى * شفيعى برانكيز وعذرى بكوى * كه يكلحظه صورت نبندد امان * چو پيمانه پرشد بدور زمان (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) اى تقاتلوا والجمع حيث لم يقل اقتتلتا على التثنية والتأنيث باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع والطائفة من الناس جماعة منهم لكنها دون الفرقة كما دل عليه قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وطائفتان فاعل فعل محذوف وجوبا لا مبتدأ لان حرف الشرط لا يدخل الا على الفعل لفظا او تقديرا والتقدير وان اقتتل طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فحذف الاول لئلا يلزم اجتماع المفسر والمفسر واصل القتل ازالة الروح عن الجسد (فاصلحوا بينهما) ثنى الضمير باعتبار اللفظ والصلاح الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والاصلاح جعل الشئ على تلك الحالة وبالفارسية باصلاح آوردن اى فاصلحوا بين تينك الطائفتين بالنصح والدعاء الى حكم الله قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله من وصل اخاه بنصيحة فى دينه ونظر له فى صلاح دنياه فقد احسن صلته وقال مطرف وجدنا انصح العباد لله الملائكة ووجدنا اغش العباد لله الشياطين يقال من كتم السلطان نصحه والاطباء مرضه والاخوان بثه فقد خان نفسه والاصلاح بين الناس اذا تفاسدوا من اعظم الطاعات واتم القربات وكذا نصرة المظلوم وفى الحديث الا اخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وقال لقمان يا بنى كذب من يقول ان الشر يطفئ الشر فان كان صادقا فليوقد نارين ثم لينظر هل تطفئ احداهما الاخرى وانما يطفئ الماء النار وفى الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه فى البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره الا ان يغرف له منها ولا يشترى لبنيه الفاكهة فيخرجون بها الى صبيان جاره ولا يطعمونهم منها وقال بعض العارفين سعى الانسان فى مصالح غيره من اعظم القربات الى الله تعالى وتأمل فى موسى عليه السلام لما خرج يمشى فى ظلمة فى حق اهله ليطلب لهم نارا يصطلون بها ويقضون بها الامر الذى لا يقضى الا بها فى العادة كيف انتج له ذلك الطلب سماع كلام ربه من غير واسطة ملك فكلمه الله فى عين حاجته وهى

النار ولم يكن يخطر له هذا المقام بخاطر فلم يحصل له الا فى وقت السعى فى مصالح العيال وذلك ليعلمه الله بما فى قضاء حوائج العائلة من الفضل فيزيد حرصا فى سعيه فى حقهم لانهم عبيده على كل حال وكذلك لما وقع لموسى الفرار من الاعداء الذين طلبوا قتله انتج له ذلك الفرار الحكم والرسالة كما قال ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين وذلك لان فراره كان سعيا فى حق الغير الذى هو النفس الناطقة المالكة لتدبير هذا البدن فان فرارالا كابر دائما انما يكون فى حق الغير لا فى حق انفسهم فكان الفار من موسى النفس الحيوانية وكذلك لما خرج الخضر عليه السلام برتاد الماء للجيش الذى كان معه حين فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منها عاش الى زمننا هذا او الحال انه كان لا يعرف ما خص الله به شارب ذلك الماء من الحياة فلما عاد واخبر اصحابه بالماء سارعوا الى ذلك الموضع ليستقوا منه فأخذ الله بابصارهم عنه فلم يهتدوا الى موضعه (كما قال الحافظ) سكندر را نمى بخشند آبى * بزور وزر ميسر نيست اين كار * فانظر ما انتج له سعيه فى حق الغير واعمل عليه والآية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه السلام بالسعف وهى اغصان النخل اذا يبست والنعال فقال ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى عليه السلام مر يوما على ملأ من الانصار فيهم عبد الله بن ابى المنافق ورسول الله عليه السلام على حماره فوقف عليهم يعظهم فبال حماره اوراث فأمسك عبد الله بن ابى انفه وقال نح عنا نتن حمارك فقد آذيتنا بنتنه فمن جاءك منا فعظه فسمع ذلك عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فقال الحمار رسول الله تقول هذا والله ان بول حمار رسول الله اطيب رائحة منك فمر عليه السلام وطال الكلام بين عبد الله بن ابى المنافق الخزرجى وعبد الله ابن رواحة الاوسى حتى استبا وتجالدا وجاء قوم كل واحد منهما من الاوس والخزرج وتجالدوا بالعصى او بالنعال والايدى او بالسيف ايضا فنزلت الآية فرجع اليهم رسول الله فقرأها عليهم واصلح بينهم فان قيل عبد الله بن ابى كان منافقا والآية فى طائفتين من المؤمنين قلنا احدى الطائفتين هى عبد الله بن ابى وعشيرته ولم يكن كلهم منافقين فالآية تتناول المؤمنين منهم او المراد بالمؤمنين من اظهر الايمان سواء كان مؤمنا حقيقة او ادعاء وقيل فى سبب النزول غير هذا ويحتمل ان تكون الروايات كلها صحيحة ويكون نزول الآية عقيب جميعها وقال ابن بحر القتال لا يكون بالنعال والايدى وانما هذا فى المنتظر من الزمان انتهى يقول الفقير فسروا القتل بفعل يحصل به زهوق الروح كالضرب بآلة الحرب والمحدد ولو من خشب ونحو ذلك مما نفرق الاجزاء ولاشك ان السعف من قبيل الخشب المحدد واما النعال فان بعضها يعمل عمل الخشب المحدد كما شاهدنا فى نعال بعض الاعراب على ان القتال قد يستعمل مجازا فى المحاربة والمضاربة فقد وقع القتل مطلقا فى زمن النبى عليه السلام واما حرف الشرط فاشارة الى انه لا ينبغى ان يصدر القتال من المؤمنين الا فرضا مع ان خصوص السبب لا ينافى عموم الحكم فالآية عامة فى جميع المسلمين الى يوم القيامة على تقدير القتال فاعرف (فان بغت) اى تعدت يقال بغى عليه بغيا علا وظلم وعدل عن الحق واستطال كما فى القاموس واصل البغى طلب ما ليس بمستحق فان البغى الطلب (احداهما) وكانت مبطلة (على الآخرى) وكانت محقة ولم تتأثر اى الباغية بالصيحة (فقاتلوا التى تبغى) اى قاتلوا الطائفة الباغية (حتى تفيئ) اى ترجع فان الفيئ الرجوع على حالة محمودة (الى امر الله) اى الى حكمه الذى حكم به فى كتابه العزيز وهو المصالحة ورفع العداوة او الى ما امر به وهو الاطاعة المدلول عليها بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فأمر الله على الاول واحد الامور وعلى الثانى واحد الاوامر وانما اطلق الفيئ على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس اى ازالتها اياه فان الشمس كلما ازدادت ارتفاعا ازداد الظل انتساخا وزوالا الى ان توازى الشمس خط نصف النهار فاذا زالت عنه وأخذت فى الانحطاط اخذ الظل فى الرجوع والظهور فلما كان الزوال سببا لرجوع ما انتسخ من الظل اضيف الظل الى الزوال فقيل فيئ الزوال واطلق ايضا على الغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين وتلك الاموال وان لم تكن اولا للمسلمين لكنها لما كانت حقهم ليتوسلوا بها الى طاعته تعالى كانت كأنها لهم اولا ثم رجعت * ومر الاصمعى بحى من احياء العرب فوجد صبيا يلعب مع الصبيان فى الصحراء ويتكلم بالفصاحة فقال الاصمعى اين اباك يا صبى فنظر اليه الصبى ولم يجبه ثم قال اين ابيك فنظر اليه ولم يجب كالاول ثم قال اين ابوك فقال فاء الى الفيفاء لطلب الفيئ فاذا فاء الفيئ فاء اى رجع (فان فاءت) اليه واقلعت عن القتال حذرا من قتالكم (فاصلحوا بينهما بالعدل) والانصاف بفصل ما بينهما على حكم الله ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون بينهما قتال فى وقت آخر (قال الحافظ) جويبارهء ملك را آب سر شمشير تست * خوش درخت

عدل بنشان بيخ بدخواهان بكن * قال كخسروا عظم الخطايا محاربة من يطلب الصلح وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا دون الاول لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وهى تورث الاحن فى الغالب وقد أكد ذلك حيث قيل (واقسطوا) اى واعدلوا فى كل ما تأتون وما تذرون من اقسط اذا ازال القسط بالفتح اى الجور يقال اذا جاء القسط بالكسر اى العدل زال القسط بالفتح اى الجور وقال بعضهم الاقساط ان يعطى قسط غيره اى نصيبه وذلك انصاف (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين الذين يؤدون لكل ذى حق حقه فيجازيهم باحسن الجزاء (قال الكاشفى) عدل راشكر هست جان افزاى * عدل مناطه ايست ملك آراى * عدل كن زانكه درولايت دل * درپيغمبرى زند عادل (وقال الحافظ) شاه رابه بود ازطاعت صدساله وزهد * قدريكساعته عمرى كه درودا دكند * قال بعض الكبار كل من كان فيه صفة العدل فهو ملك وان كان الحق ما استخلفه بالخطاب الالهى فان من الخلفاء من أخذ المرتبة بنفسه من غير عهد الهى اليه بها وقام بالعدل فى الرعايا استنادا الى الحق كما قال عليه السلام ولدت فى زمان الملك العادل يعنى كسرى فسماه ملكا ووصفه بالعدل ومعلوم ان كسرى فى ذلك العدل على غير شرع منزل لكنه نائب للحق من وراء الحجاب وخرج بقولنا وقام بالعدل فى الرعايا من لم يقم بالعدل كفرعون وامثاله من المنازعين لحدود الله والمغابين لجنابه بمغالبة رسله فان هؤلاء ليسوا بخلفاء الله تعالى كالرسل ولا نوابه كالملوك العادلة بل هم اخوان الشياطين قال بعضهم شه كسرى ازظلم ازان ساده است * كه درعهد اومصطفى زاده است * اى كان عدله من انعكاس نورانيته صلى الله عليه وسلم فاعرف جدا وفى الآية دلالة على ان الباغى لا يخرج بالبغى عن الايمان لان احدى الطائفتين فاسقة لا محالة اذا اقتتلتا وقد سماهما مؤمنين وبه يظهر بطلان ما ذهب اليه المعتزلة والخوارج من خروج مرتكب الكبيرة عن الايمان ويدل عليه ما روى عن على رضى الله عنه انه سئل وهو القدوة فى قتال اهل البغى أعنى اهل الجمل وصفين أمشركون هم فقال لا من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا وايضا فيها دلالة على ان الباغى اذا امسك عن الحرب ترك لانه فاء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغى عليهم بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة بدلالة قوله فأصلحوا بينهما فان النصح والدعاء الى حكم الله اذا وجب عند وجود البغى من الطائفتين فلان يجب عند وجوده من احداهما اولى لان ظهور اثره فيها ارجى واعلم ان الباغى فى الشرع هو الخارج على الامام العادل وبيانه فى الفقه فى باب البغاة قال سهل رحمه الله فى هذه الآية الطائفتان هما الروح والقلب والعقل والطبع والهوى والشهوة فان بغى الطبع والهوى والشهوة على العقل والقلب والروح فليقاتل العبد بسيوف المراقبة وسهام المطالعة وانوار الموافقة ليكون الروح والعقل غالبا والهوى والشهوة مغلوبا وقال بعضهم النفس اذا ظلمت على القلب باستيلاء شهواتها واستعلائها فى فسادها يجب ان تقاتل حتى تثخن بالجراحة بسيوف المجاهدة فان استجابت بالطاعة فيعفى عنها لانها هى المطية الى باب الله ولا بد من العدل بين القلب والنفس لئلا يظلم القلب على النفس كما لا يظلم النفس على القلب لان لنفسك عليك حقا فسأل الله اصلاح البال واعتدال الحال (انما المؤمنون اخوة) جمع الاخ واصله المشارك لآخر فى الولادة من الطرفين او من احدهما او من الرضاع ويستعار فى كل مشارك لغيره فى القبيلة او فى الدين او فى صنعة او فى معاملة او فى مودة او فى غير ذلك من المناسبات والفرق بين الخلة والاخوة ان الصداقة اذا قويت صارت اخوة فان ازدادت صارت خلة كما فى احياء العلوم وسئل الجنيد قدس سره عن الاخ فقال هو انت فى الحقيقة الا انه غيرك فى الشخص قال بعض اهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب والاخوان جمع الاخ من الصداقة ويقع احدهما موقع الآخر وفى الحديث وكونوا عباد الله اخوانا والمعنى انما المؤمنون منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية كما ان اخوة من النسب منتسبون الى اصل واحد هو الاب الموجب للحياة الفانية فالآية من قبيل التشبيه البليغ المبنى على تشبيه الايمان بالاب فى كونه سبب الحياة كالاب (فأصلحوا بين اخويكم) الفاء للايذان بأن الاخوة الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة فى تأكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه (واتقوا الله) فى كل ما تأتون وما تذرون من الامور التى من جملتها ما امرتم به من الاصلاح وفى التأويلات النجمية واتقوا الله فى اخوتكم فى الدين بحفظ عهودهم ورعاية حقوقهم فى المشهد والمغيب والحياة والممات (لعلكم ترحمون)

راجين ان ترحموا على تقواكم كما ترحمون واعلم ان اخوة الاسلام اقوى من اخوة النسب بحيث لا تعتبر اخوة النسب اذا خلت عن اخوة الاسلام الا ترى انه اذا مات المسلم وله اخ كافر يكون ماله للمسلمين لا لاخيه الكافر وكذا اذا مات اخ الكافر وذلك لان الجامع الفاسد لا يفيد الاخوة وان المعتبر الاصلى الشرعى الا يرى ان ولدى الزنى من رجل واحد لا يتوارثان وهذا المعنى يستفاد من الآية ايضا لان انما للحصر فكأنه قيل لا اخوة الا بين المؤمنين فلا اخوة بين المؤمن والكافر وكسب المرتد حال اسلامه لوارثه المسلم لاستناده الى ما قبل الردة فيكون توريث المسلم من المسلم واما كسبه حال ردته فهو فيئ يوضع فى بيت المال لانه وجد بعد الردة فلا يتصور استناده الى ما قبلها وفى الحديث كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى مراد باين نسب دين وتقواست نه نسب آب وكل والا ابو لهب رادران نصيب بودى كما فى كشف الاسرار قال بعض الكبار القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اقسام لانها اما قرابة فى الصورة فقط او فى المعنى فقط او فى الصورة والمعنى فاما القرابة فى الصورة فلا يخلو اما ان تكون بحسب طينته كالسادات الشرفاء او بحسب دينه وعلمه كالعلماء والصالحين والعباد وسائر المؤمنين وكل منهم له نسبة صورية واما قرابته عليه السلام فى المعنى فهم الاولياء لان الولى هو ولده الروحى القائم بجانبه بالقبول من معناه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت اشارة الى القرابة المعنوية واما القرابة فى الصورة والمعنى معا فهم الخلفاء والائمة القائمون مقامه سواء كان قبله كاكابر الانبياء الماضين او بعده كالاولياء الكاملين وهذه اعلى مراتب القرابة وتليها القرابة الروحية ثم القرابة الصورية الدينية ثم القرابة الطينية فان جمعت ما قبلها فهى الغاية وقال بعضهم ان الله خلق الارواح من عالم الملكوت والاشباح من عالم الملك ونفخ فيها تلك الارواح وجعل بينهما النفوس الامارة التى ليست من قبيل الارواح ولا من قبيل الاشباح وجعلها مخالفة للارواح ومساكنها الى الاشباح فأرسل عليها جند العقول ليدفع بها شرها وهى العقول المجردة الاخروية والا فالعقول الغريزية والدنيوية لا تقدر على الدفع بل هى معينة للنفس فاذا امتحن الله عباده المؤمنين هيج نفوسهم الامارة ليظهر حقائق درجاتهم من الايمان والاخوة وامرهم ان يعينوا العقل والروح والقلب على النفس حتى تنهزم لان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا فهم كنفس واحدة لان مصادرهم مصدرهم واحد وهو آدم عليه السلام ومصدر روح آدم نور الملكوت ومصدر جسمه تربة الجنة فى بعض الاقوال ولذلك يصعد الروح الى الملكوت والجسم الى الجنة كما قال عليه السلام كل شئ يرجع الى اصله وفى التأويلات النجمية اعلم ان اخوة النسب انما تثبت اذا كان منشأ النطف صلبا واحدا فكذلك اخوة الدين منشأ نطفها اصلاب النبوة وحقيقة نطفها نور الله فاصلاح ذات بينهم برفع حجب استار البشرية عن وجوه القلب ليتصل النور بالنور من روزنة القلب ليصيروا كنفس واحدة كما قال عليه السلام المؤمنون كنفس واحدة ان اشتكى عضو واحد تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر * بنى آدم اعضاى يكديكرند * كه در آفرينش زيك جوهرند * چو عضوى بدرد آورد روزكار * دكر عضوها را نماند قرار * ومن حق الاخوة فى الدين ان تحب لاخيك ما تحب لنفسك ويسرك ما سره ويسوءك ما ساءه وان لا تحوجه الى الاستعانة بك وان استعان تعنه وتنصره ظالما ومظلوما فمنعك اياه عن الظلم فذلك نصرك اياه وفى الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة ومن حقه ان لا تقصر فى تفقد احواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته فيحتاج الى مسألتك وان لا تلجئه الى الاعتذار بل تبسط عذره فان اشكل عليك وجه عذره عدت باللائمة على نفسك فى خفاء عذره وتتوب عنه اذا اذنب وتعوده اذا مرض واذا اشار اليك بشئ فلا تطالبه بالدليل وايراد الحجة كما قالوا

لا يسألون اخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا

وقالوا

اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم * لاية حرب ام باى مكان

والاستنجاد يارى خواستن قيل لفيلسوف ما الصديق فقال اسم بلا مسمى وقال فضيل لسفيان دلنى على من اركن اليه فقال ضالة لا توجد وقال ابو اسحق الشيرازى

سألت الناس عن خل وفى * فقالوا ما الى هذا سبيل

تمسك ان ظفرت بود حر * فان الحر فى الدنيا قليل

قيل ابعد الناس سفرا من كان سفره فى طلب اخ صالح قال اعرابى اللهم احفظنى من الصديق فقيل له فى ذلك قال الحذر منه اكثر من الحذر من العدو وقال على رضى الله عنه اخوان هذا الزمان جواسيس العيوب وقد احسن من قال الاخ الصالح خير لك من نفسك لان النفس امارة بالسوء والاخ لا يأمرك الا بالخير وقيل الدنيا باسرها لا تسع متباغضين وشبر بشبر يسع المتحابين كما قال الحكماء ده درويش در كليمى بخسبند ودو پادشاه در اقليمى نكنجند * واعلم ان المواخاة امر مسنون من لدن النبى عليه السلام فانه آخى بين المهاجرين والانصار (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر) السخرية ان يحقر الانسان اخاه ويستخف به ويسقطه عن درجته ويعده ممن لا يلتفت اليه اى لا يستهزئ (قوم) اى منكم وهو اسم جمع لرجل (من قوم) آخرين ايضا منكم والتنكير اما للتعميم او للتبعيض والقصد الى نهى بعضهم عن سخرية بعض لما انها مما يجرى بين بعض وبعض فان قلت المنهى عنه هو ان يسخر جماعة من جماعة فيلزم ان لا يحرم سخرية واحد من واحد قلت اختيار الجمع ليس للاحتراز عن سخرية الواحد من الواحد بل هو لبيان الواقع لان السخرية وان كانت بين اثنين الا ان الغالب ان تقع بمحضر جماعة يرضون بها ويضحكون بسببها بدل ما وجب عليهم من النهى والانكار ويكونون شركاء الساخر فى تحمل الوزر ويكونون بمنزلة الساخرين حكما فنهوا عن ذلك يعنى انه من نسبة فعل البعض الى الجميع لرضاهم به فى الاغلب اولوجوده فيما بينهم والقوم مختص بالرجال لانهم قوامون على النساء ولهذا عبر عن الاناث بما هو مشتق من النسوة بفتح النون وهو ترك العمل ويؤيده قول زهير

وما ادرى وليست اخال ادرى * أقوم آل حصن ام نساء

(عسى) شايد (ان يكونوا) باشند (خيرا منهم) تعليل للنهى اى عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله من الساخرين ولا خبر لعسى لاغناء الاسم عنه (ولا نساء) اى ولا تسخر نساء من المؤمنات وهو اسم جمع لامرأة (من نساء) منهن وانما لم يقل امرأة من رجل ولا بالعكس للاشعار بان مجالسة الرجل المرأة مستقبح شرعا حتى منعوها عن حضور الجماعة ومجالس الذكر لان الانسان انما يسخر ممن يلابسه غالبا (عسى ان يكن) المسخور منهن (خيرا منهن) اى من الساخرات فان مناط الخيرية فى الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التى عليها يدور امر السخرية غالبا بل انما هو الامور الكامنة فى القلوب فلا يجترئ احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به من الخيرية عند الله فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة من عظمه الله وفى التأويلات النجمية يشير الى انه لا عبرة بظاهر الخلق فلا تنظر الى احد بنظر الازدراء والاستهانة والاستخفاف والاستحقار لان فى استحقار اخيك عجب نفسك مودع كما نظر ابليس بنظر الحقارة الى آدم عليه السلام فأعجبه نفسه فقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فلعن الى الابد لهذا المعنى فمن حقر أخاه المسلم وظن انه خير منه يكون ابليس وقته واخوه آدم وقته ولهذا قال تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم فبالقوم يشير الى اهل المحبة وارباب السلوك فانهم مخصوصون بهذا الاسم كما قال تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه يعنى لا ينظر المنتهى من ارباب الطلب بنظر الحقارة الى المبتدئ والمتوسط عسى ان يكونوا خيرا منهم فان الامور بخواتيمها ولهذا قال اوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى وقال عليه السلام رب اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره قال معروف الكرخى يوما لتلميذه السرى السقطى قدس الله سرهما اذا كانت لك الى الله حاجة فاقسم عليه بى ومن هنا اخذوا قولهم على ظهر المكاتيب بحرمة معروف الكرخى والله اعلم يقول البغداديون قبر معروف ترياق مجرب وبالنساء يشير الى عوام المسلمين لانه تعالى عبر عن الخواص بالرجال فى قوله رجال لا تلهيهم تجارة وقوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه يعنى لا ينبغى لمسلم ما أن ينظر الى مسلم ما بنظر الحقارة عسى ان يكن خيرا منهن الى هذا المعنى يشير ثم نقول ان للملائكة شركة مع ابليس فى قولهم لآدم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك كان فى نظرهم اليه بالحقارة اعجاب انفسهم مودعا ولكن الملائكة لم يصروا على ذلك الاعجاب وتابوا الى الله ورجعوا انما قالوا فعالجهم الله تعالى باسجادهم لآدم لان فى السجود غاية الهوان والذلة للساجد وغاية العظمة والعزة للمسجود فلما كان فى تحقير آدم هوانه وذلته وعزة الملائكة وعظمتهم امرهم بالسجود ولان علاج العلل باضدادها فزال عنهم علة العجب وقد أصر ابليس على قوله وفعله ولم يتب فأهلكه الله بالطرد واللعن فكذلك حال من ينظر الى اخيه المسلم بنظر الحقارة (قال الحافظ) مكن بچشم حقارت نگاه بر من مست * كه نيست معصيت وزهد بى مشيت او * قال ابن عباس رضى الله عنه نزلت الآية فى ثابت بن قيس بن شماس

رضى الله عنه كان فى اذنه وقر فكان اذا اتى مجلس رسول الله عليه السلام وقد سبقوه بالمجلس وسعوا له حتى يجلس الى جنبه عليه السلام يسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبى عليه السلام من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد فكان الرجل اذا جاء لا يجد مجلسا فيقوم على رجليه فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله يتخطى رقاب الناس وهو يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون حتى انتهى الى رسول الله بينه وبينه رجل فقال له تفسح فلم يفعل فقال من هذا فقال له الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اما له كان يعير بها فى الجاهلية فخجل الرجل ونكس رأسه فأنزل الله هذه الآية (وروى) ان قوله تعالى ولا نساء من نساء نزل فى نساء النبى عليه السلام عيرن ام سلمة بالقصر او أن عائشة رضى الله عنها قالت ان ام سلمة جميلة لولا انها قصيرة وقيل ان الآية نزلت فى عكرمة بن ابى جهل حين قدم المدينة مسلما بعد فتح مكة فكان المسلمون اذا رأوه قالوا هذا ابن فرعون هذه الامة فشكا ذلك للنبى عليه السلام فقال عليه السلام لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات ونزلت الآية * هميشه در صدد عيب جوبى خويشم * نبوده ايم بى عيب ديكران هر كز * قال ابو الليث ثم صارت الآية عامة فى الرجال والنساء فلا يجوز لاحد ان يسخر من صاحبه او من احد من خلق الله وعن ابن مسعود البلاء موكل بالقول وانى لأخشى لو سخرت من كلب ان احول كلبا وذلك لان المؤمن ينبغى أن ينظر الى الخالق فانه صنعه لا الى المخلوق فانه ليس بيده شئ فى الحسن والقبح ونحوهما قيل للقمان ما اقبح وجهك فقال تعيب بهذا على النقش أو على النقاش نسأل الله الوقوف عند امره ونعوذ به من قهره (قال الحافظ) نظر كردن بدرويشان منافئ بزركى نيست * سليمان باچنان حشمت نظرها كرد بامورش * يشير الى التواضع والنظر الى الادانى بنظر الحكمة (ولا تلمزوا انفسكم) اللمز الطعن باللسان وفى تاج المصادر عيب كردن والاشارة بالعين ونحوه والفاعل بفعل ويفعل ولم يخص السخرية بما يكون باللسان فالنهى الثانى من عطف الخاص على العام بجعل الخاص كأنه جنس آخر للمبالغة ولهذا قيل

جرحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان

والمعنى ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة والافراد المنتشرة بمنزلة اعضاء تلك النفس فيكون ما يصيب واحدا منهم كأنه يصيب الجميع اذا اشتكى عضو واحد من شخص تداعى سائر الاعضاء الى الحمى والسهر فمتى عاب مؤمنا فكأنما عاب نفسه كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم (ع) عيب هر كس كه كنى هم بتو مى كردد باز * وفى التأويلات النجمية انما قال انفسكم لان المؤمنين كنفس واحدة ان عملوا شرا الى احد فقد عملوا الى انفسهم وان عملوا خيرا الى احد فقد عملوا الى انفسهم كما قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها (قال الحافظ) عيب رندان مكن اى زاهد پاكيزه سرشت * كه كناه دكران بر تو نخواهند نوشت * ويجوز ان يكون معنى الآية ولا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه اى تسبب للمز نفسه والا فلا طعن باللسان لنفسه منه فهو من اطلاق المسبب وارادة السبب وقال سعدى المفتى ولا يبعد ان يكون المعنى لا تلمزوا غيركم فان ذلك يكون سببا لان يبحث الملموز عن عيوبكم فيلمزكم فتكونوا لامزين انفسكم فالنظم حينئذ نظير ما ثبت فى الصحيحين من قوله عليه السلام من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه انتهى يقول الفقير هو مسبوق فى هذا المعنى فان الامام الراغب قال فى المفردات اللمز الاغتياب وتتبع المعايب اى لا تلمزوا الناس فيلمزوكم فتكونوا فى حكم من لمز نفسه انتهى ولا يدخل فى الآية ذكر الفاسق لقوله عليه السلام اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس يقول الفقير اشار التعليل فى الحديث الى أن ذكر الفاجر بما فيه من العيوب انما يصح بهذا الغرض الصحيح وهو ان يحذر الناس منه ومن عمله والا فالامساك مع ان فى ذكره تلويث اللسان الطاهر ولذا نقل عن بعض المشايخ انه لم يلعن الشيطان اذ ليس فيه فائدة سوى اشتغال اللسان بما لا ينبغى فان العداوة له انما هى بمخالفته لا بلعنته فقط وفى الحديث طوبى لمن يشغله عيبه عن عيوب الناس وفى الآية اشارة الى ان الانسان لا يخلو عن العيب قيل لسقراط هل من انسان لا عيب فيه قال لو كان انسان لا عيب فيه لكان لا يموت ولذا قال الشاعر

ولست بمستبق اخا لا تلمه * على شعث اى الرجال المهذب

اى لا مهذب فى الرجال يخلو من التفرق والعيوب فمن اراد اخا مهذبا وطلب صديقا منقحا لا يجده فلا بد من الستر

(قال الصائب) زديدن كرده‌ام معزول چشم عيب بيني را * اكر بر خار مي پيچم كل بيخار مي بينم (وقال) بعيب خويش اكر راه بردمي صائب * بعيب جو يي مردم چه كار داشتمي (ولا تنابزوا بالالقاب) النبز بسكون الباء مصدر نبز بمعنى لقبه وبالفارسية لقب نهادن وتنابزوا بالالقاب لقب بعضهم بعضا فان التنابز بالفارسية يكديكر را بلقب خواندن وبفتحها اللقب مطلقا اى حسنا كان او قبيحا ومنه قيل فى الحديث قوم نبزهم الرافضة اى لقبهم ثم خص فى العرف باللقب القبيح وهو ما يكره المدعو أن يدعى به واللقب ما سمى به الانسان بعد اسمه العلم من لفظ يدل على المدح او الذم لمعنى فيه والمعنى ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء قالوا وليس من هذا قول المحدثين لسليمان الاعمش وواصل الاحدب ونحوه مما تدعو الضرورة اليه وليس فيه قصد استخفاف ولا اذى وفيه اشارة الى ان اللقب الحسن لا ينهى عنه مثل محيى الدين وشمس الدين وبهاء الدين وفى الحديث من حق المؤمن على اخيه ان يسميه بأحب اسمائه اليه (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) الاسم هنا ليس ما يقابل اللقب والكنية ولا ما يقابل الفعل والحرف بل بمعنى الذكر المرتفع لانه من السمو يقال طار اسمه فى الناس بالكرم او باللؤم اى ذكره والفسوق هو المخصوص بالذم وفى الكلام مضاف مقدر وهو اسم الفسوق اى ذكره والمعنى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به وفى التأويلات النجمية بئس الاسم اسم يخرجهم من الايمان والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روى ان الآية نزلت فى صفية بنت حيى رضى الله عنها اتت رسول الله باكية فقالت ان النساء يقلن لى وفى عين المعانى قالت لى عائشة رضى الله عنها يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه السلام هلا قلت ان أبى هرون وعمى موسى وزوجى محمد عليهم السلام او الدلالة على ان التنابز مطلقا لا بالكفر والفسوق خصوصا فسق الجمع بينه وبين الايمان قبيح فدخل فيه زيد اليهودى وعمرو النصرانى وبكر الكافر وخالد الفاسق ونحو ذلك والعجب من العرب يقولون للمؤمنين من اهل الروم نصارى فهم داخلون فى الذم ولا ينفعهم الافتخار بالانساب فان التفاضل بالتقوى كما سيجيء ونعم ما قيل

وما ينفع الاصل من هاشم * اذا كانت النفس من باهلة

وما قيل چه غم زنقصت صورت اهل معنى را * چو جان زروم بود كو تن از حبش مي باش * وفى الحديث من عير مؤمنا بذنب تاب منه كان حقا على الله أن يبتليه به وينضحه فيه فى الدنيا والآخرة وفى الفقه لو قال رجل لصالح يا فاسق ويا ابن الفاسق ويا فاجر ويا خبيث ويا مخنث ويا مجرم ويا مباحى و يا جيفة و يا بليد ويا ابن الخبيثة ويا ابن الفاجرة و يا سارق ويا لص و يا كافر ويا زنديق ويا ابن القحبة ويا ابن قرطبان ويا لوطى ويا ملاعب الصبيان ويا آكل الربا ويا شارب الخمر وهو برئ منه ويا ديوث ويا بى نماز ويا منافق ويا خائن ويا مأوى الزوانى ويا مأوى اللصوص ويا حرام زاده يعزر فى هذا كله وفى الفتاوى الزينية سئل عن رجل قال لآخر يا فاسق واراد أن يثبت فسقه بالبينة ليدفع التعزير عن نفسه هل تسمع بينته بذلك اولا اجاب لا تسمع بينته بذلك انتهى وهو ينافى ظاهر ما قالوا من ان المقول له او لم يكن رجلا صالحا وكان فيه ما قيل فيه من الاوصاف لا يلزم التعزير (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فاولئك هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب والظالم اعم من الفاسق والفاسق اعم من الكافر وفى التأويلات النجمية ومن لم يتب يعنى من مقالة ابليس وفعاله بان ينظر الى نفسه بالعجب والى غيره بالحقارة فاولئك هم الظالمون فيكونون منخرطين فى سلك اللعنة والطرد مع ابليس كما قال تعالى الا لعنة الله على الظالمين انتهى وفيه دلالة بينة على ان الرجل بترك التوبة يدخل مدخل الظلمة فلا بد من توبة نصوح من جميع القبائح والمعاصى لا سيما ذكر فى هذا المقام (قال الصائب) سرمايه نجات بود توبه درست * با كشتئ شكسته بدريا چه ميروى * ومن اصر اخذ سريعا لان اقرب الاشياء صرعة الظلوم وانفذ السهام دعوة المظلوم وتختلف التوبة على حسب اختلاف الذنب فبعض الذنوب يحتاج الى الاستغفار وهو ما دون الكفر وبعضها يحتاج معه الى تجديد الاسلام والنكاح ان كانت له امرأة وكان بعض الزهاد يجدد عند كل ذنب ايمانا بالله وتبرأ من الكفر احتياطا كما فى زهرة الرياض يقول الفقير يشير اليه القول المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى اعوذ بك من أن اشرك بك شيئا وانا اعلم واستغفرك لما لا أعلم ولا شك ان الانبياء معصومون من الكفر قبل الوحى وبعده باجماع العلماء ومن سائر الكبائر عمدا بعد الوحى فاستغفارهم لا يكون الا عما لا يليق بشأنهم من ترك الاولى ونحوه على ما فصل فى اول سورة الفتح فدل قوله وأستغفرك لما لا أعلم على انه قد يصدر من الانسان الذنب وهو

لا يشعر وذلك بالنسبة الى الامة قد يكون كفرا وقد يكون غيره فكما لا بد من الاستغفار بالنسبة الى عامة الذنوب وكذا لا بد من تجديد الاسلام بالنسبة الى الكفر وان كان ذلك احتياطا فباب الاحتياط مفتوح فى كل شأن الا نادرا وقد صح ان اتيان كلمة الشهادة على وجه العادة لا يرفع الكفر فلا بد من الرجوع قصدا عن قول وفعل ليس فيهما رضى الله وهو باستحضار الذنب ان علم صدوره منه او بالاستغفار مطلقا ان صدر عنه ولو كان ذلك كفرا اعلى انا نقول ان امكان صدور الكفر عام للعوام والخواص ماداموا لم يصلوا الى غاية الغايات وهى مرتبة الذات الاحدية والبقاء بها فى قول سهل التسترى قدس سره ولو وصلوا ما رجعوا الا ترى ان ابليس كفر بالله مع تمكن يده فى الطاعات خصوصا فى العرفان فانه اخبر كثيرا من اهل المعرفة لكنه كان من شأنه الكفر والرجوع الى المعصية لانه لم يدخل عالم الذات ولو دخل لم يتصور ذلك منه اذ لا كفر بعد الايمان العيانى ولهذا قال عليه السلام اللهم انى اسألك ايمانا يباشر قلبى ويقينا ليس بعده كفر فاعرف (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) اى كونوا على جانب منه وابعدوا عنه فان الاجتناب بالفارسية بايك سو شدن والظن اسم لما يحصل من امارة ومتى قويت ادت الى العلم ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز حد التوهم وابهام الكثير لايجاب الاحتياط والتأمل فى كل ظن حتى يعلم انه من اى قبيل وتوضيح المقام ان كثيرا المبين بقوله من الظن كان عبارة عن الظن فكان المأمور باجتنابه بعض الظن الا انه علق الاجتناب بقوله كثيرا البيان انه كثير فى نفسه ولا بد لنا من الفرق بين تعريف الظن الكثير وتنكيره فلو عرف وقيل اجتنبوا الظن الكثير يكون التعريف للاشارة الى ما يعرفه المخاطب بأنه ظن كثير غير قليل ولو نكر يكون تنكيره للافراد والبعضية ويكون المأمور باجتنابه بعض افراد الظن الموصوف بالكثرة من غير تعيينه اى بعض هو وفى التكليف على هذا الوجه فائدة جليلة وهى ان يحتاط المكلف ولا يجترئ على ظن ما حتى يتبين عنده انه مما يصح اتباعه ولا يجب الاجتناب عنه ولو عرف لكان المعنى اجتنبوا حقيقة الظن الموصوف بالكثرة او جميع افراده لا ما قل منه وتحريم الظن المعرف تعريف الجنس والاستغراق لا يؤدى الى احتياط المكلف لكون المحرم معينا فيجتنب عنه ولا يجتنب عن غيره وهو الظن القليل سواء كان ظن سوء او ظن صدق ومن المعلوم ان هذا المعنى غير مراد بخلاف ما لو نكر الظن الموصوف بالكثرة فان المحرم حينئذ اتباع الفرد المبهم من افراد تلك الحقيقة وتحريمه يؤدى الى احتياط المكلف الى ان يتبين عنده ان ما يخطر بباله من الظن من اى نوع من انواع الظن فان من الظن ما يجب اتباعه كحسن الظن بالله تعالى وفى الحديث ان حسن الظن من الايمان والظن فيما لا قاطع فيه من العمليات كالوتر فانه لما ثبت بخبر الواحد لم يكن مقطوعا به فقلنا بالوجوب فلا يكفر جاحده بل يكون ضالا ومبتدعا لرده خبر الواحد وبقضى لكونه فرضا عمليا وفى الاشباه ويكفر بانكار اصل الوتر والاضحية انتهى ومن الظن ما يحرم كالظن فى الالهيات اى بوجود الاله وذاته وصفاته وما يليق به من الكمال وفى النبوات فمن قال آمنت بجميع الانبياء ولا اعلم آدم نبى ام لا يكفر وكذا من آمن بأن نبينا عليه السلام رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لا نسخ لدينه الى يوم القيامة لا يكون مؤمنا وكالظن حيث يخالفه قاطع مثل الظن بنبوة الحسنين او غيرهم من خلفاء هذه الامة واوليائها مع وجود قوله تعالى وخاتم النبيين وقوله عليه السلام لا نبى بعدى اى لا مشرعا ولا متابعا فان مثل هذا الظن حرام ولو قطع كان كفرا وكظن السوء بالمؤمنين خصوصا بالرسول عليه السلام وبورثته الكمل وهم العلماء بالله تعالى قال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال عليه السلام ان الله حرم من المسلم عرضه ودمه وان يظن به ظن السوء والمراد بعرضه جانبه الذى يصونه من نفسه وحسبه ويحامى ان ينتقص (قال الصائب)

بدكمانى لازم بدباطنان افتاده است * كوشه از خلق جا كردم كمين پنداشتند *

ومن الظن ما يباح كالظن فى الامور المعاشية يعنى ظن در امور دنيا ومهمات معاش ودرين صورت بدكمانى موجب سلامت وانتظام مهام است وازقبيل حزم شمرده اند كما قيل * بد نفس مباش وبدكمان باش * وزفتنه ومكر در امان باش * وفى كشف الاسرار المبيح كالظن فى الصلاة والصوم والقبلة امر صاحبه بالتحرى فيها والبناء على غلبة الظن وفى تفسير الكاشفى تحرى درامر قبله وبنا نهادن بر غلبه ظن در امور اجتهاديه مندوبست ومعنى التحرى لغة الطلب وشرعا طلب شئ من العبادات بغالب الرأى عند تعذر الوقوف على حقيقته (ان بعض الظن اثم) يستحق العقاب عليه وذلك البعض كثير وهو تعليل للامر بالاجتناب بطريق الاستئناف التحقيقى والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كأنه يثم الاعمال اى يكسرها فان قلت أليس هذا ميلا الى مذهب الاعتزال قلت بلى لولا

التشبيه اى فى كأنه قاله سعدى المفتى وقال ايضا تبع المصنف فى ذلك الزمخشرى واعترض عليه بان تصريف هذه
الكلمة لا تنفك عنه الهمزة بخلاف الواوى وانهما من باب علم والواوى من باب ضرب قلت والزمخشرى نفسه ذكرها
فى الاساس فى باب الهمزة انتهى ودلت الآية على ان اكثر الظنون من قبيل الاثم لان الشيطان يلقى الظنون
فى النفس فظن النفس الظن الفاسد وعلى ان بعض الظن ليس باثم بل هو حقيقة وهو ما لم يكن من قبيل النفس
بل كان بالفراسة الصحيحة بان يرى القلب بنور اليقين ما جرى فى الغيب وفى الحديث ان فى كل امة محدثين
اومروعين على الشك من الراوى فان يكن فى هذه الامة فان عمر منهم والمحدث المصيب فى رأيه كأنما حدث بالامر
والمروع الذى يلقى الامر فى روعه اى قلبه وفى فتح الرحمن ولا يقدم على الظن الا بعد النظر فى حال الشخص فان كان
موسوما بالصلاح فلا يظن به السوء بأدنى توهم بل يحتاط فى ذلك ولا تظن السوء الا بعد أن لا تجد الى الخير سبيلا
(قال الصائب) سيلاب صاف شد زهم اغوش محيط * باسينهٔ كشاده كدورت چه ميكند * واما الفساق فلنا
ان نظن بهم مثل الذى ظهر منهم وفى منهاج العابدين للامام الغزالى قدس سره اذا كان ظاهر الانسان الصلاح
والستر فلا حرج عليك فى قبول صلاته وصدقته ولا يلزمك البحث بأن تقول قد فسد الزمان فان هذا سوء ظن بذلك
الرجل المسلم بل حسن الظن بالمؤمنين مأمور به انتهى وفى الحديث من أتاه رزق من غير مسألة فرده فانما يرده
على الله قال الحسن لا يرد جوائز الامراء الا مرآئى او أحمق وكان بعض السلف يستقرض بجميع حوائجه
ويأخذ الجوائز ويقضى بها دينه والحيلة فيه أن يشترى بمال مطلق ثم ينقد ثمنه من اى مال شاء وعن الامام
الاعظم ان المبتلى بطعام السلطان والظلمة يتحرى ان وقع فى قلبه حله قبل واكل والا لا لقوله عليه السلام استفت
قلبك قال الشيخ ابو العباس قدس سره من كان من فقرآء هذا الزمان اكالا لاموال الظلمة مؤثرا للسماع ففيه نزعة
يهودية قال تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت قال سفيان الثورى رضى الله عنه الظن ظنان احدهما اثم وهو أن
تظن وتتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان تظن ولا تتكلم به والمراد بأن بعض الظن اثم ما اعلنته وتكلمت به من الظن
وعن الحسن كنا فى زمان الظن بالناس حرام فيه وأنت اليوم فى زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت اى لانهم
اهل لذلك والمظنون موجود فيهم وعنه ايضا ان صحبة الاشرار تورث حسن الظن بالاخيار وطلب المتوكل جارية
الدقاق بالمدينة وكان من اقران الجنيد ومن اكابر مصر فكاد يزول عقله لفرط حبها فقالت لولاها احسن الظن بالله
وبى فانى كفيلة لك بما تحب فحملت اليه فقال لها المتوكل اقرئى فقرأت ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى
نعجة واحدة ففهم المتوكل ما ارادت فردها (وروى) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم
احدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله فقال يا فلان هذه زوجتى صفية وكانت قد زارته فى العشر الاول من
رمضان فقال يا رسول الله ان كنت أظن بغيرك فانى لم اكن اظن بك فقال عليه السلام ان الشيطان ليجرى من ابن
آدم مجرى الدم كما فى الاحياء وفيه اشارة الى الحذر من مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم
من الغيبة والى الاتقاء عن تزكية النفس فان النفس والشيطان لهما شأن عجيب فى باب المكر والاغواء والقاء
الفتنة والفساد نسأل الله المنان أن يجعلنا فى أمان (ولا تجسسوا) اصله لا تتجسسوا حذف منه احدى التاءين
اى ولا تبحثوا عن عورات المسلمين وعيوبهم تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب فان جس الخبر طلبه
والتفحص عنه فاذا نقل الى من باب التفعل يحدث معنى التكلف منضما الى ما فيه من معنى الطلب يقال جسست
الاخبار اى تفحصت عنها واذا قيل تجسستها اراد معنى التكلف كالتلمس فانه تفعل من اللمس وهو المس باليد لتعرف
حال الشئ فاذا قيل تلمس يحدث معنى التكلف والطلب مرة بعد اخرى وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله وانا لمسنا السماء
وقرئ بالحاء من الحس الذى هو أثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفى المفردات
اصل الجس مس العرق وتعرف نبضه للحكم به على الصحة والسقم ومن لفظ الجس اشتق الجاسوس وهو اخص من
الحس لانه تعرف ما يدركه الحس والجس تعرف حال ما من ذلك وفى الاحياء التجسس بالجيم فى تطلع الاخبار
وبالحاء المهملة فى المراقبة بالعين وفى انسان العيون التحسس للاخبار بالحاء المهملة ان يفحص الشخص عن الاخبار
بنفسه وبالجيم أن يفحص عنها بغيره وجاء تحسسوا ولا تجسسوا انتهى وفى تاج المصادر التجسس والتحسس
خبر جستن وفى القاموس الجس تفحص الاخبار كالتجسس ومنه الجاسوس والجسيس لصاحب سر الشر
ولا تجسسوا اى خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله تعالى اولا تفحصوا عن بواطن الامور اولا تبحثوا عن العورات

والجاسوس الجاسوس اوهو في الخير وبالجيم في الشر انتهى وفي الحديث لاتتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته (قال الصائب) خيانتهاء پنهان ميكشد آخر برسوايى - كه دزد خانكى را شحنه دربازار ميكيرد * وعن جبرائيل قال يا محمد لو كانت عبادتنا على وجه الارض لعملنا ثلاث خصال سقي الماء للمسلمين واعانة اصحاب العيال وستر الذنوب على المسلمين وعن زيد بن وهب قال لابن مسعود رضي الله عنه هل لك في الوليد بن عقبة بن ابي معيط يعني چه ميكويي در حق او تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود رضي الله عنه انا قد نهينا عن التجسس فان يظهر لنا شيء نأخذه به وفي الحديث اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا والعورات بالتسكين جمع عورة وهي عورة الانسان وما يستحيى منه من العثرات والعيوب وفي الحديث اللهم لاتؤمنا مكرك ولاتنسنا ذكرك ولاتهتك عنا سترك ولاتجعلنا من الغافلين وعنه عليه السلام من قال عند منامه هذا الدعاء بعث الله اليه ملكا في احب الساعات اليه فيوقظه كما في مقاصد الحسنة قال في نصاب الاحتساب ويجوز للمحتسب أن يتفحص عن احوال السوقية من غير أن يخبره احد بخيانتهم فان قيل ينبغي ان لايجوز لانه تجسس منهي فنقول التجسس طلب الخبر للشر والاذى وطلب الخبر للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس كذلك فلا يدخل تحت النهي بقول الفقير وهو مخالف لما سبق عن ابن مسعود رضي الله عنه فان قلت ذلك لكونه غير آمر ومأمور قلت دل قوله نأخذ به على ولايته من اى وجه كان اذ لايأخذ الا الوالي او وكيله ويجوز أن يقال لو طلب ابن مسعود خبر الوليد بنفسه للنهي عن المنكر لكان له وجه فلما جاء خبره في صورة السعاية والهتك اعرض عنه اورأى الستر في حق الوليد اولى فلم يستمع الى القائل وكان عمر رضي الله عنه يعس ذات ليلة فنظر الى مصباح من خلل باب فاطلع فاذا قوم على شراب لهم فلم يدر كيف يصنع فدخل المسجد فأخرج عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه فجاء به الى الباب فنظر وقال له كيف ترى ان نعمل فقال ارى والله انا قد أتينا ما نهانا الله عنه لانا تجسسنا واطلعنا على عورة قوم ستروا دوننا وما كان لنا أن نكشف ستر الله فقال ما أراك الا قد صدقت فانصرفا فالمحتسب لايتجسس ولايتسور ولا يدخل بيتا بلا اذن فان قيل ذكر في باب من يظهر البدع في البيوت انه يجوز للمحتسب الدخول بلا اذن فنقول ذلك فيما ظهر واما اذا خفي فلا يدخل فان ماستره الله لابدوان يستره العبد هذا في عيوب الغير واما عيوب النفس فالتفحص عنها لازم للاصلاح والتزكية وقد عدوا انكشاف عيوب النفس اولى من الكرامات وخوارق العادات فانه مادام لم تحصل التزكية للنفس لاتفيد الكرامة شيأ بل ربما يوقعها في الكبر والعجب والتطاول فنعوذ بالله تعالى من شرورها وفجورها وغرورها (ولايغتب بعضكم بعضا) الاغتياب غيبت كردن والغيبة بالكسر اسم من الاغتياب وفتح الغين غلط اذهو بفتحها مصدر بمعنى الغيبوبة والمعنى ولايذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وخلفه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اى قلت عليه مالم يفعله والحاصل ان الغيبة والاغتياب هو ان يتكلم انسان خلف انسان مستور بما فيه من عيب اى بكلام صادق من غير ضرورة قوية الى ذكره ولو سمعه لغمه وان كان ذلك الكلام كذبا يسمى بهتانا وهو الذي يترك الديار بلاقع اى خرابا (أيحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا) انتصاب ميتا على الحالية من اللحم واللحم المنفصل عن الحي يوصف بانه ميت لقوله عليه السلام ما ابين من حي فهو ميت وقيل من الاخ على مذهب من يجوز الحال من المضاف اليه مطلقا وشدده نافع اى قرأ ميّتا بالتشديد والكلام تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعا وعقلا وشرعا يعني شبه الاغتياب من حيث اشتماله على تناول عرض المغتاب باكل لحم الانسان ميتا تشبيها تمثيليا وعبر بالهيئة المشبه بها عن الهيئة المشبهة ولاشك ان الهيئة المشبه بها افحش جنس التناول واقبحه فيكون التمثيل المذكور تصوير الاغتياب بأقبح الصور وذلك ان الانسان يتألم قلبه من قرض عرضه كما يتألم جسمه من قطع لحمه بل عرضه اشرف من لحمه ودمه فاذا لم يحسن للعاقل اكل لحوم الناس لم يحسن له قرض عرضهم بالطريق الاولى خصوصا ان اكل الميتة هو المتناهي في كراهة النفوس ونفور الطباع ففيه اشارة الى ان الغيبة عظيمة عند الله وفي قوله ميتا اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال الشتم في الوجه يؤلم فيحرم واما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم فكيف يحرم فدفعه بأن اكل لحم الاخ وهو ميت ايضا لايؤلم ومع هذا هو في غاية القبح لكونه بمراحل عن رعاية حق الاخوة كذا في حواشي ابن الشيخ يقول الفقير يمكن ان يقال ان الاغتياب وان لم يكن مؤلما

للمغتاب من حيث عدم اطلاعه عليه لكنه فى حكم الايلام اذا وسمعه لغمه على انا نقول ان الميت متألم وان لم يكن
فيه روح كان السن وهو الضرس متألم اذا كان وجعا وان لم يكن فيه حياة فاعرف (فكرهتموه) الفاء لترتيب
مابعدها على ماقبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وأضمر كلمة قد لتصحيح دخول الفاء
فى الجزاء فالمقصود من تحقيق استكراههم وتقذرهم من المشبه به الترغيب والحث على استكراه ماشبه به وهو
الغيبة كأنه قيل اذا تحققت كراهتكم له فليتحقق عندكم كراهة نظيره الذى هو الاغتياب (واتقوا الله) بترك ماأمرتم
باجتنابه والندم على ماصدر عنكم من قبل وهو عطف على ماتقدم من الاوامر والنواهى (ان الله تواب رحيم)
مبالغ فى قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم
الجميع وان كثرت ذنوبهم فصيغة المبالغة باعتبار المتعلقات (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا
اوسافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما الى المنزل فيهيئ لهما طعامهما وشرابهما فضم
سلمان الفارسى الى رجلين فى بعض اسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ لهما شيأ فلما قدما قالا له
ماصنعت شيأ فقال لا غلبتنى عيناى قالا له انطلق الى رسول الله فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله
وسأله طعاما فقال عليه السلام انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل من طعام فليعطك وكان اسامة
خازن رسول الله على رحله وطعامه فأتاه فقال ماعندى شئ فرجع سلمان اليهما فأخبرهما فقالا كان عند اسامة
شئ ولكن بخل به فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار
ماؤها وسميحة كجهينة بالحاء المهملة بئر بالمدينة غزيرة الماء على مافى القاموس ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة
ماأمر لهما به رسول الله من الطعام فلما جاآ الى رسول الله قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى افواهكما والعرب
تسمى الاسود أخضر والاخضر أسود وخضرة اللحم من قبيل الاول كأنه عليه السلام اراد باللحم لحم الميت وقد
اسود بطول المكث تصوير الاغتيابهما بأقبح الصور ويحتمل انه عليه السلام أراد بالخضرة النضارة اى نضارة اللحم
اونضارة تناوله وفى الحديث الدنيا حلوة خضرة نضرة اى غضة طرية ناعمة قالا والله يارسول الله ماتناولنا يومنا هذا
لحما قال عليه السلام ظللتما تأكلان لحم اسامة وسلمان اى انكما قد اغتبتماهما فأنزل الله الآية * انكس كه لواء غيبت
افراخته است * از كوشت مردكان غذا ساخته است * وانكس كه بعيب خلق پرداخته است * زانست كه
عيب خويش نشناخته است * وفى الحديث الغيبة اشد من الزنى قالوا وكيف قال ان الرجل يزنى ثم يتوب
فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفر له صاحبه كما فى كشف الاسرار وعن ابن عباس رضى الله
عنهما الغيبة ادام كلاب الناس وكان ابو الطيب الطاهرى يهجو بنى سامان فقال له نصر بن احمد الى متى تأكل
خبزك بلحوم الناس فخجل ولم يعد (قال الصائب) كسى كه پاك نسازد دهن زغيبت خلق * همان كابد دردوزخست
مسواكش * (قال الشيخ سعدى) فى كتاب الكلستان يادارم كه درعهد طفوليت متعبد بودم وشب خيز ومولع
زهد وپرهيز تاشبى درخدمت پدر نشسته بودم وهمه شب ديده بهم نبسته ومصحف عزيز دركنار كرفته وطائفه كردما
خفته پدر راكفتم كه ازايشان يكى سربرنمى آرد كه دوركعت نماز بكزارد ودرخواب غفلت چنان رفته اند كه كويى
نخفته اند بلكه مرده كفت اى جان پدر اكر تونيز بخفتى به كه درپوستين خلق افتى * نبيند مدعى جز خويشتن را *
كه دارد پرده پندار درپيش * اكر چشم دلت رابركشايى * نه بينى هيچ كس عاجزتر از خويش * وعن انس
رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم
وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبرائيل فقال هم الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى اعراضهم وفى الحديث
خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة رواه انس واول من اغتاب ابليس
اغتاب آدم وكان ابن سيرين رحمه الله قد جعل على نفسه اذا اغتاب ان يتصدق بدينار ومما يجب التنبيه له ان مستمع
الغيبة كقائلها فوجب على من سمعها ان يردها كيف وقد قال النبى عليه السلام من رد عن عرض اخيه رد الله
عن وجهه النار يوم القيامة وقال عليه السلام المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم وعن ميمون انه اتى بجيفة زنجى
فى النوم فقيل له كل منها فقال لم قيل لانك اغتبت عبد فلان فقال ماقلت فيه شيأ قيل لكنك استمعت ورضيت فكان
ميمون لايغتاب احدا ولا يدع احدا ان يغتاب عنده احدا وعن بعض المتكلمين ذكره بما يستخف به انما يكون غيبة
اذا قصد الاضرار والشماتة به اما اذا ذكره تأسفا لايكون غيبة وقال بعضهم رجل ذكر مساوى اخيه المسلم على

وجه الاهتمام ومثله فى الواقعات وعلل بأنه انما يكون غيبة ان لو اراد به السب والنقص قال السمرقندى فى تفسيره قلت فيما قالوا خطر عظيم لانه مظنة ان يجر الى ماهو محض غيبة فلا يؤمن فتركها رأسا اقرب الى التقوى واحوط انتهى وفى هدية المهديين رجل اواغتاب فريقا لا يأثم حتى يغتاب قوما معروفين ورجل يصلى ويؤذى الناس باليد اواللسان لاغيبة له ان ذكر بما فيه وان اعلم به السلطان حتى يزجره لا يأثم انتهى وفى المقاصد الحسنة ثلاثة ليست لهم غيبة الامام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذى يدعو الناس الى بدعته انتهى وعن الحسن لاحرمة لفاجر (وروى) امن ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له واذكر الفاجر بما فيه ليحذره الناس كما فى الكواشى واذا جاز نقص عرض الفاسق بغيبته فأولى ان يجوز نقص عرض الكافر كما فى شرح المشارق لابن الملك وسلك بعضهم طريق الاحتياط فطرح عن لسانه ذكر الخلق بالمساوى مطلقا كما حكى انه قيل لابن سيرين مالك لاتقول فى الحجاج شيئا فقال اقول فيه حتى ينجيه الله بتوحيده ويعذبنى باغتيابه ومن هنا أمسك بعضهم عن لعن يزيد وكان فضيل يقول ما لعنت ابليس قط اى وان كان ملعونا فى نفس الامر كما نطق به القرءان فكيف يلعن من اشتبه حاله وحال خاتمته وعاقبته (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) اى من آدم وحواء عليهما السلام اوخلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سوآء فى الانتساب الى ذكر وانثى اياكانا فلا وجه للتفاخر بالنسب

الناس من جهة التمثال اكفاء * ابوهم آدم والام حواء

فان يكن لهم من اصلهم نسب * يفاخرون به فالطين والماء

ازنسب ادميانى كه تفاخر ورزند * ازره دانش وانصاف چه دور افتادند نرسد فخر كسى را بنسب بردگرى * چونكه دراصل زيك آدم وحوا زادند * نزلت حين امر النبى عليه السلام بلالا رضى الله عنه ليؤذن بعد فتح مكة فعلا ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن اسيد وكان من الطلقاء الحمد لله الذى قبض ابى حتى لم ير هذا اليوم وقال الحارث بن هشام اما وجد رسول الله سوى هذا الغراب يعنى بلالا واخرج ابو بكر بن داود فى تفسير القرءان ان الآية نزلت فى ابى هند حين امر رسول الله بنى بياضة ان يزوجوه امرأة منهم فقالوا يارسول الله تتزوج بناتنا مواليها فنزلت وفيه اشارة الى ان الكفاءة فى الحقيقة انما هى بالديانة اى الصلاح والحسب والتقوى والعدالة ولو كان مبتدعا والمرأة سنية لم يكن كفؤا لها كما فى التتف وسئل الرستغفنى عن المناكحة بين اهل السنة وبين اهل الاعتزال فقال لايجوز كما فى مجمع الفتاوى (وجعلناكم شعوبا وقبائل) وشمارا شاخ شاخ كرديم وخاندان خاندان وشعب بفتح الشين الجمع العظيم المنسوبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة بكسر العين تجمع البطون والبطون تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل والفصيلة تجمع العشائر وليس بعد العشيرة حى يوصف به كما فى كشف الاسرار فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تتشعب منها كتشعب اغصان الشجرة وسميت القبائل لانها يقبل بعضها على بعض من حيث كونها من اب واحد وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب والاسباط من بنى اسرائيل والشعوب من قحطان والقبائل من عدنان (لتعارفوا) اصله لتتعارفوا حذفت احدى التائين اى ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزى احد الى غير آبائه لالتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل فى الانساب (وقال الكاشفى) يعنى دوكس كه بنام متحد باشند بقبيله متميز امي شوند چنانكه زيد تميمى از زيد قرشى (ان اكرمكم عند الله أتقاكم) تعليل للنهى عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقى كأنه قيل ان الاكرم عنده تعالى هو الأتقى وان كان عبدا حبشيا اسود مثل بلال فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وبفضل الله ورحمته بل بالله تعالى ألا ترى الى قوله عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر اى لبس التحلى بالسيادة والرسالة بل بالعبودية فانها شرف اى شرف وكفى شرفا تقديم العبد على الرسول فى قوله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله (وروى) ان رسول الله عليه السلام مر فى سوق المدينة فرأى غلاما اسود يقول من اشترانى فعلى شرط ان لايمنعنى عن الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه رجل فكان رسول الله يراه عند كل صلاة ففقده فسأل عند صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد ايام فقيل هو كما به اى منتهى الموت الذى هو لاحق به فجاءه وهو فى بقية حركته وروحه فولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار امر عظيم فنزلت الآية (ان الله عليم) بكم وبأعمالكم (خبير) ببواطن احوالكم قال ابن الشيخ فى حواشيه والنسب وان كان معتبرا عرفا وشرعا حتى لاتتزوج

الشمر نخد بانبطى قال فى القاموس من النبط محركة جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين وهو نبطى محركة انتهى الاانه لاعبرة به عند ظهر ماهو اعظم قدرا منه واعز وهو الايمان والتقوى كما لا تظهر الكواكب عند طلوع الشمس فالفاسق وان كان قرشى النسب وقارون النشب لاقدرله عند المؤمن التقى وان كان عبدا حبشيا والامور التى يفتخر بها فى الدنيا وان كانت كثيرة لكن النسب اعلاها من حيث انه ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك بخلاف غيره كالمال مثلا فانه قد يحصل للفقير مال فيبطل افتخار المفتخر به عليه وكذا الاولاد والبساتين ونحوها فلذلك خص الله النسب بالذكر وابطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه بطلان اعتبار غيره بطريق الاولى انتهى وفى الحديث ان ربكم واحد وابوكم واحد لافضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على اسود ولا لأسود على احمر الا بالتقوى وعلى هذا اجماع العلماء كما فى بحر العلوم هر كرا تقوى بيشتر قدرم اودر مرتبه افضل يشتر الشرف بالفضل والادب لابالاصل والنسب * باادب باش تابزرك شوى * كه بزركى نتيجه ادبست * قال بعض الكبار المفاضلة بين الخلق عند الله انسبهم لانسبتهم فهم من حيث النسبة واحد ومن حيث النسب متفاوتون ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولا يصح التفاضل بالاعمال فقد يسبق التابع المتبوع ولو كان الشرف للاشياء من حيث شأنها ومواطنها لكان الشرف لابليس على آدم فى قوله خلقتنى من نار وخلقته من طين ولكن لما كان الشرف اختصاصا الهيا لايعرف الا من جانب الحق تعالى جهل ابليس فى مقالته تلك وصح الشرف لآدم عليه السلام عليه والخيرية وسئل عيسى عليه السلام اى الناس اشرف فقبض قبضتين من تراب ثم قال اى هذين اشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب واكرمهم عند الله اتقاهم قال سلمان الفارسى رضى الله عنه

ابى الاسلام لااب لى سواه * اذا افتخروا بقيس اوتميم

وفى الحديث ان الله لاينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم * ره راست بايدنه بالاى راست * كه كافر هم ازروى صورت چوماست * وقال عليه السلام يا أيها الناس انما الناس رجل مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى (وروى) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان الناس يحشرون يوم القيامة ثم يوقفون ثم يقول الله لهم طالما كنتم تكلمون وانا ساكت فاسكتوا اليوم حتى أتكلم انى رفعت نسبى وابيتم الا انسابكم قلت ان اكرمكم عندى أتقاكم وابيتم انتم فقلتم لابل فلان ابن فلان وفلان ابن فلان فرفعتم انسابكم ووضعتم نسبى فاليوم ارفع نسبى واضع انسابكم سيعلم اهل الجمع اليوم من اصحاب الكرم اين المتقون كما فى كشف الاسرار قال الشافعى اربعة لايعبأ الله بهم يوم القيامة زهد خصى وتقوى جندى وامانة امرأة وعبادة صبى وهو محمول على الغالب كما فى المقاصد الحسنة قال فى التأويلات النجمية يشير بقوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الى خالق القلوب انها خلقت من ذكر وهو الروح وانثى وهى النفس وجعلناكم شعوبا وقبائل اى جعلناها صنفين صنف منها شعوب وهى التى تميل الى امها وهى النفس والغالب عليها صفات النفس وصنف منها قبائل وهى التى تميل الى ابيها وهو الروح والغالب عليها صفات الروح لتعارفوا اى لتتعارفوا اصحاب القلوب وارباب النفوس لاتتكاثروا وتتنافسوا وتتباهوا بالعقول والاخلاق الروحانية الطبيعية فانها الظلمانية لايصلح شئ منها للتفاخر به ما لم يقرن به الايمان والتقوى فان تنورت الافعال والاخلاق والاحوال بنور الايمان والتقوى فلم تكن الافعال مشوبة بالرياء ولا الاخلاق مصحوبة بالاهواء ولا الاحوال منسوبة الى الاعجاب فعند ذلك تصلح للتفاخر والمباهاة بها كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال عليه السلام الكرم التقوى فأتقاهم من يكون ابعدهم من الاخلاق الانسانية واقربهم الى الاخلاق الربانية والتقوى هو التحرز والمتقى من يتحرز عن نفسه بربه وهو اكرم على الله من غيره انتهى (قالت الاعراب آمنا) الاعراب اهل البادية وقد سبق تفصيله فى سورة الفتح والحاق التاء بالفعل المسند اليهم مع خلوه عنها فى قوله وقال نسوة فى المدينة للدلالة على نقصان عقلهم بخلافهن حيث لمن امرأة العزيز فى مراودتها فتاها وذلك يليق بالعقلاء نزلت فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدب فأظهروا الشهادتين فكانوا يقولون لرسول الله عليه السلام اتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وآتيناك بالاثقال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يرون الصدق ويمنون عليه عليه السلام ما فعلوا (قل) ردالهم (لم تؤمنوا) اذ الايمان هو التصديق بالله وبرسوله المقارن للثقة بحقيقة المصدق وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والالما مننتم على ما ذكرتم من الاسلام وترك

المقاتلة كما ينبئ عنه آخر السورة يعني ان التصديق الموصوف مسبوق بالعلم بقبح الكفر وشناعة المقاتلة وذلك يأبى المن وترك المقاتلة فان العاقل لا يمن بترك ما يعلم قبحه (ولكن قولوا اسلمنا) اسلم بمعنى دخل في السلم كاصبح وامسى واشتى اى قولوا دخلنا في السلم والصلح والانقياد مخافة انفسنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به اى بالانقياد والدخول المذكور وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا اولم تؤمنوا ولكن اسلمتم ليتقابل جملتا الاستدراك للاحتراز عن النهى عن التلفظ بالايمان فان ظاهره مستقبح سيما ممن بعث للدعوة الى القول به وللتفادى عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه قولا محضا قال سعدى المفتى والظاهر ان النظم من الاحتباك حذف من الاول ما يقابل الثانى ومن الثانى ما يقابل الاول والاصل قل لم تؤمنوا فلا تقولوا آمنا ولكن اسلمتم فقولوا اسلمنا وهذا من اختصارات القرآن (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) حال من ضمير قولوا اى ولكن قولوا اسلمنا حال عدم مواطأة قلوبكم لألسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بأن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك النفاق (لا يلتكم من اعمالكم شيأ) اى لا ينقصكم شيأ من اجورها من لات يليت ليتا اذا نقص قال الامام معنى قوله لا يلتكم انكم ان اتيتم بما يليق بضعفكم من الحسنة المقرونة بالاخلاص وترك النفاق فهو تعالى يأتيكم بما يليق به من الجزاء لا ينقص منه نظرا الى ما في حسناتكم من النقصان والتقصير وهذا لان من حمل الى ملك فاكهة طيبة يكون ثمنها في السوق درهما مثلا واعطاه الملك درهما او دينارا انتسب الملك الى قلة العطاء بل الى البخل فليس معنى الآية ان يعطى من الجزاء مثل عملكم من غير نقص بل المعنى يعطى ما تتوقعون باعمالكم من غير نقص ويؤيد ما قاله قوله تعالى (ان الله غفور) لما فرط من المطيعين (رحيم) بالتفضل عليهم قال في بحر العلوم في الآية ايذان بان حقيقة الايمان التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان ليس بايمان وفي التأويلات النجمية يشير الى ان حقيقة الايمان ليست مما يتناول باللسان بل هو نور يدخل القلوب اذا شرح الله صدر العبد للاسلام كما قال تعالى فهو على نور من ربه وقال عليه السلام في صفة ذلك النور اذا وقع في القلب انفسح له وانشرح قيل يا رسول الله هل لذلك نور علامة يعرف بها قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ولهذا قال تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم فهذا دليل على ان محل الايمان القلب انتهى وفي علم الكلام ذهب جمهور المحققين الى ان الايمان التصديق بالقلب وانما الاقرار شرط لا جزؤه لاجرآء الاحكام في الدنيا كالصلاة عليه في وقت موته لان تصديق القلب امر باطن لا يطلع عليه احد لا بدله من علامة فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله لوجود التصديق القلبي وان لم يكن مؤمنا في احكام الدنيا لانتفاء شرطه واما من جعل الاقرار ركنا من الايمان فعنده لا يكون تارك الاقرار مؤمنا عند الله ولا يستحق النجاة من خلود النار ومن اقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق هو مؤمن في احكام الدنيا وان لم يكن مؤمنا عند الله وهذا المذكور من ان الايمان هو التصديق القلبي والاقرار باللسان لاجرآء الاحكام هو اختيار الشيخ ابى منصور رحمه الله والنصوص معاضدة لذلك قال الله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقال الله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان وقال الله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقال عليه السلام اللهم ثبت قلبي على دينك اى على تصديقك وقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه حين قتل من قال لا اله الا الله هل شققت قلبه وفي فتح الرحمن حقيقة الايمان لغة التصديق بما غاب وشرعا عند ابى حنيفة رحمه الله تصديق بالقلب وعمل باللسان وعند الثلاثة عقد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالاركان فدخل كل الطاعات انتهى قال ابن الملك في شرح المشارق ثم الاقرار باللسان ليس جزأ من الايمان ولا شرطا له عند بعض علمائنا بل هو شرط لاجرآء احكام المسلمين على المصدق لان الايمان عمل القلب وهو لا يحتاج الى الاقرار وقال بعضهم انه جزء منه الا ان دلالة ظواهر النصوص عليه الا ان الاقرار لما كان جزأ له شائبة العرضية والتبعية اعتبروا في حالة الاختيار جهة الجزئية حتى لا يكون تاركه مع تمكنه منه مؤمنا عند الله وان فرض انه مصدق وفي حالة الاضطرار جهة العرضية فيسقط وهذا معنى قولهم الاقرار ركن زائد اذ لا معنى لزيادته الا ان يحتمل السقوط عند الاكراه على كلمة الكفر فان قيل ما الحكمة في جعل عمل جارحة جزأ من الايمان ولم تعين به عمل اللسان دون اعمال سائر الاركان قلنا لما اتصف الانسان بالايمان وكان التصديق عملا لباطنه جعل عمل ظاهره داخلا فيه تحقيقا لكمال اتصافه به وتعين له فعل اللسان لانه مجبول للبيان او لكونه اخف وابين من عمل سائر الجسد

نعم يحكم باسلام كافر اصلاته بجماعة وان لم يشاهد اقراره لان الصلاة المسنونة لاتخلو عنه وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام المقدسي النطق بكلمتي الشهادة واجب فمن علم وجوبهما وتمكن من النطق بهما فلم ينطق يحتمل ان يجعل امتناعه من النطق بهما كامتناعه من الصلاة فيكون مؤمنا غير مخلد في النار لان الايمان هو التصديق المحض بالقلب واللسان ترجمانه وهذا هو الاظهر اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان ولا يعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا يعدم بترك الفعل الواجب انتهى وقال سهل رضي الله عنه ليس في الايمان اسباب انما الاسباب في الاسلام والمسلم محبوب للخلق والمؤمن غني عن الخلق وقال بعض الكبار المسلم في عموم الشريعة من سلم الناس من لسانه ويده وفي خصوصها من سلم كل شئ من لسانه بما يعبر عنه ويده فيما له فيه نفوذ الاقتدار والمؤمن منور الباطن وان عصى والكافر مظلم الباطن وان أتى بمكارم الاخلاق ومن قال انا مؤمن ان شاء الله فاعرف الله كما ينبغي وقال بعض الكبار كل من آمن عن دليل فلا وثوق بايمانه لانه نظري لاضروري فهو معرض للشبه القادحة فيه بخلاف الايمان الضروري الذي يجده المؤمن في قلبه ولا يقدر على دفعه وكذا القول في كل علم حصل عن نظر وفكر فانه مدخول لا يسلم من دخول الشبه عليه ولا من الحيرة فيه ولا من القدح في الامر الموصل اليه ولا بد لكل محجوب من التقليد فمن اراد العلم الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فليكثر من الطاعات والنوافل حتى يحبه الحق فيعرف الله بالله ويعرف جميع احكام الشريعة بالله لا بعقله ومن لم يكثر مما ذكر فليقلد ربه فيما اخبر ولا يؤول فانه اولى من تقليد العقل (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) اى آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بان الحق معه من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك في الخبر مع التهمة للمخبر فظهر الفرق بين الريب والشك فان الشك تردد بين نقيضين لا تهمة فيه وفيه اشارة الى ان فيهم ما يوجب نفي الايمان عنهم وهو الارتياب وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس في حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا (وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) في طاعته على تكثير فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد (اولئك) الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة (هم الصادقون) اى الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم فهو قصر افراد وتكذيب لاعراب بني اسد حيث اعتقدوا الشركة وزعموا أنهم صادقون ايضا في دعوى الايمان واعلم ان الآية الكريمة شاملة لمجامع القوى التي وجب على كل احد تهذيبها واصلاحها تطهيرا لنفسه الحاصل به الفوز بالفلاح والسعادة كلها كما قال تعالى قد افلح من زكاها وهي قوة التفكر وقوة الشهوة وقوة الغضب اللاتي اذا اصلحت ثلاثتها وضبطت حصل العدل الذي قامت به السموات والارض فانها جميع مكارم الشريعة وتزكية النفس وحسن الخلق المحمود ولاصالة الاولى وجلالتها قدمت على الاخيرتين فدل بالايمان بالله ورسوله مع نفي الارتياب على العلم اليقيني والحكمة الحقيقية التي لا يتصور حصولها الا باصلاح قوة التفكر ودل بالمجاهدة بالاموال على العفة والجود التابعين بالضرورة لاصلاح قوة الشهوة وبالمجاهدة بالانفس على الشجاعة والحلم التابعين لاصلاح قوة حمية الغضبية وقهرها واسلامها للدين وعليه دل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فان العفو عمن ظلم هو كمال الحلم والشجاعة واعطاء من حرم كمال العفة والجود ووصل من قطع كمال الفضل والاحسان واعلم ايضا ان جميع كمالات النفس الانسانية محصورة في القوى الثلاث وفضائلها الاربع اذ العقل كماله العلم والعفة كمالها الورع والشجاعة كمالها المجاهدة والعدل كماله الانصاف وهي اصول الدين على التحقيق وفي الآية رد للدعوى وحث على الاتصاف بالصدق قال بعضهم لولا الدعاوى ما خلقت المهاوى فمن ادعى فقد هوى فيها وان كان صادقا ألا تراه يطالب بالبرهان ولو لم يدع ما طولب بدليل (قال الحافظ) حديث مدعيان وخيال همكاران * همان حكايت زردوز و بوريا بافست * وفي الحديث يا ابا بكر عليك بصدق الحديث والوفاء بالعهد وحفظ الامانة فانها وصية الانبياء (قال الحافظ) طريق صدق بيا موز از آب صافى دل * براستى طلب آزادكى چوسرو چمن * وأتى رسول الله التجار فقال يا معشر التجار ان الله باعثكم يوم القيامة فجارا الا من صدق ووصل وادى الامانة وفي الحديث التجار هم الفجار قيل ولم يا رسول الله وقد احل الله البيع فقال لانهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون (قال الصائب) كعبه دركام نخستين كند استقبالت * ازسر صدق اكر همنفس دل باشى * فاذا صدق الباطل صدق الظاهر

اذ كل اناء يترشح بما فيه وكل احد يظهر ما فيه بفيه (قل) روى انه لما نزلت الآية السابقة جاء الاعراب وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى قل يا محمد لهم (أتعلمون الله بدينكم) دخلت الباء لان هذا التعليم بمعنى الاعلام والاخبار أى أتخبرون الله بدينكم الذى انتم عليه بقولكم آمنا وانما عبر عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم والاستفهام فيه للتوبيخ والانكار اى لا تعرفوا الله بدينكم فانه عالم به لا يخفى عليه شئ وفيه اشارة الى ان التوقيف فى الامور الدينية معتبر واجب وحقيقتها موكولة الى الله فاسامى منه تؤخذ والكلام منه يطلب وأمر يتبع (والله يعلم ما فى السموات والارض) حال من فاعل تعلمون مؤكدة لتشنيعهم (والله بكل شئ عليم) لا يحتاج الى اخباركم تذييل مقرر لما قبله اى مبالغ فى العلم بجميع الاشياء التى من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم حيث كانوا يجتهدون فى ستر احوالهم واخفائها وفى التأويلات النجمية والله يعلم ما فى سموات القلوب من استعدادها فى العبودية وما فى ارض النفوس من تمردها عن العبودية والله بكل شئ جبلت القلوب والنفوس عليه عليم لانه تعالى اودعه فيها عند تخمير طينة آدم بيده انتهى قال بعض الكبار لا تضف الى نفسك حالا ولا مقاما ولا تخبر احدا بذلك فان الله تعالى كل يوم هو فى شان فى تغيير وتبديل يحول بين المرء وقلبه فربما ازالك عما اخبرت به وعزلك عما تخيلت ثباته فتخجل عند من اخبرته بذلك بل احفظ ذلك ولا تعده الى غيرك فان كان الثبات والبقاء علمت انه موهبة فتشكر الله وتسأله التوفيق للشكر وان كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتأديب انتهى فظهر من هذا ان الانسان يخبر غالبا بما ليس فيه او بما سيزول عنه والعياذ بالله من سوء الحال ودعوى الكمال قال بعضهم اياكم ثم اياكم والدعوات الصادقة والكاذبة فان الكاذبة تسود الوجه والصادقة تطفئ نور الايمان او تضعفه واياكم والقول بالمشاهدات والنظر الى الصور المستحسنات فان هذا كله نفوس وشهوات ومن احدث فى طريق القوم ما ليس فيها فليس هو منا ولا فينا فاتبعوا ولا تبتدعوا واطيعوا ولا تمرقوا ووحدوا ولا تشركوا وصدقوا الحق ولا تشكوا واصبروا ولا تجزعوا واثبتوا ولا تتفرقوا واسألوا ولا تسأموا وانتظروا ولا تيأسوا وتواخوا ولا تعادوا واجتمعوا على الطاعة ولا تتفرقوا وتطهروا من الذنوب ولا تلطخوا ولكن احدكم بواب قلبه فلا يدخل فيه الاما امره الله به وليحذر احدكم ولا يركن وليخف ولا يأمن وليفتش ولا يغفل (يمنون عليك ان اسلموا) اى يعدون اسلامهم منة عليك وهى النعمة التى لا يطلب موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود به قطع حاجته مع قطع النظر عن عوضه المحتاج شئ وقيل النعمة الثقيلة من المن الذى يوزن به وهو رطلان يقال من عليه منة اى اثقله بالنعمة قال الراغب المنة النعمة الثقيلة ويقال ذلك على وجهين احدهما ان يكون ذلك بالفعل فيقال من فلان على فلان اذا اثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين وذلك فى الحقيقة لا يكون الا لله تعالى والثانى ان يكون ذلك بالقول وذلك مستقبح فيما بين الناس الا عند كفران النعمة ولقبح ذلك قيل المنة تهدم الصنيعة ولحسن ذكرها عند الكفران قيل اذا كفرت النعمة حسنت المنة وقوله تعالى يمنون عليك الخ فالمنة منهم بالقول ومنة الله عليهم بالفعل وهو هدايته اياهم (قل لا تمنوا على اسلامكم) اى لا تعدوا اسلامكم منة على اولا تمنوا على باسلامكم فنصبه بنزع الخافض (بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان) على ما زعمتم من انكم ارشدتم اليه وبالفارسية بلكه خداى تعالى منت مينهد برشما كه راه نموده است شمارا بايمان (ان كنتم صادقين) فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اى فلله المنة عليكم وفى سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به نفى كونه ايمانا وسماه اسلاما فقال يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام اى دخول فى السلم وليس بجدير بالمن لانه ليس له اعتداد شرعا ولا يعد مثله نعمة بل لو صح ادعاؤهم الايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم وسئل بعض الكبار عن قوله تعالى بل الله يمن عليكم مع انه تعالى جعل المن اذا وقع منا على بعضنا من سفساف الاخلاق فقال فى جوابه هذا من على التطابق ولم يقصد الحق به المن حقيقة اذ هو الكريم الجواد على الدوام على من أطاع وعلى من عصى وفى الحديث ما كان الله ليدلكم على مكارم الاخلاق ويفعل معكم خلاف ذلك وفى الحديث ايضا ما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم قال ذلك لمن قال له يا رسول الله انى صليت بالتيمم ثم وجدت الماء فاصلى ثانيا فمعنى الآية اذا دخلتم فى حضرة المن على زعمكم باسلامكم فالمن لله لا لكم وان وقع منكم شئ من سفساف الاخلاق رد الحق اعمالكم عليكم لا غير وفى التأويلات النجمية يمنون عليك ان استسلموا لك ظاهرهم قل لا تمنوا على اسلامكم اى تسليم

ظاهركم لى لانه ليس هذا من طبيعة نفوسكم المتمردة بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان اذ كتب فى قلوبكم الايمان فانعكس نور الايمان من مصباح قلوبكم الى مشكاة نفوسكم فتنورت واستضاءت بنور الاسلام فاسلامكم فى الظاهر من فرع الايمان الذى اودعته فى باطنكم ان كنتم صادقين اى ان كنتم صادقين فى دعوى الايمان انتهى قال الجنيد رحمه الله المن من العباد تقريع وليس من الله تقريعا وانما هو من الله تذكير النعم وحث على شكر المنعم (قال الشيخ سعدى) شكر خداى كن كه موفق شدى بخير * زانعام وفضل اونه معطل كذاشتت * منت منه كه خدمت سلطان همى كنى * منت شناس ازو كه بخدمت بداشتت (ان الله يعلم غيب السموات والارض) اى ماغاب فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه (والله بصير بما تعملون) فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقال بعض الكبار والله بصير بما تعملون فى الظاهر انه من نتائج ما اودعه فى باطنكم * درزمين كرنى شكر ورخودنى است * ترجمان هرزمين نبت وى است * فمن لاحظ شيئا من اعماله واحواله فان رآها من نفسه كان شركا وان رآها لنفسه كان مكرا وان رآها من ربه بربه لربه كان توحيدا وفقنا الله لذلك بمنه وجوده قال البقلى ليس لله غيب اذا الغيب شئ مستور وجميع الغيوب عيان له تعالى وكيف يغيب عنه وهو موجده يبصره ببصره القديم والعلم والبصر هناك واحد قال فى كشف الاسرار ازسورة الحجرات تاآخر قرآن مفصل كويندوبه قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله اعطانى السبع الطول مكان التوراة والسبع الطول كصرد من البقرة الى الاعراف والسابعة سورة يونس اوالانفال وبراءة جميعا لانهما سورة واحدة عنده كما فى القاموس واعطانى المائين مكان الانجيل واعطانى مكان الزبور المثانى وفضلنى ربى بالمفصل وفى رواية اخرى قال عليه السلام انى اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى عليه السلام واعطيت فواتح الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش والمفصل نافلة اى عطية * وفى فتح الرحمن سورة الحجرات اول المفصل على الراجح من مذهب الشافعى واحد الاقوال المعتمدة عن ابى حنيفة وعنه قول آخر معتمد ان اوله قوله ق قال عليه السلام فضلنى ربى بالمفصل والمفصل من القرآن ماهو بعد الحواميم من قصار السور الى آخر القرآن وسميت مفصلا لكثرة المفصولات فيها بسطر بسم الله الرحمن الرحيم لانها سور قصار يقرب تفصيل كل سورة من الاخرى فكثر التفصيل فيها انتهى وقال بعضهم المفصل السبع السابع سمى به لكثرة فصوله وهو من سورة محمد او الفتح اوق الى آخر القرآن وطوال المفصل الى البروج والاوسط منها الى لم يكن والقصار منها الى الآخر وقيل * طوال از لاتقدم تا عبس دان * يس اوسط ازعبس تالم يكن خوان * قصار ازلم يكن تا اخرآيد * بخوان اين نظم راتاكردد آسان * والذى عليه الجمهور ان طوال المفصل من سورة الحجرات الى سورة البروج والاوساط من سورة البروج الى سورة لم يكن والقصار من سورة لم يكن الى آخر القرآن (وروى) ان القراء لما قسموا القرآن فى زمن الحجاج الى ثلاثين جزأ قسموه ايضا الى سبعة اقسام وعن السلف الصالحين من ختم على هذا الترتيب الذى نذكره ثم دعا تقبل حاجته وهو الترتيب الذى كان يفعله عثمان رضى الله عنه يقرأ يوم الجمعة من اوله الى سورة الانعام ويوم السبت من سورة الانعام الى سورة يونس ويوم الاحد من سورة يونس الى سورة طه ويوم الاثنين من سورة طه الى سورة العنكبوت ويوم الثلاثاء من سورة العنكبوت الى سورة الزمر ويوم الاربعاء من سورة الزمر الى سورة الواقعة ويوم الخميس من سورة الواقعة الى آخره وقيل احزاب القرآن سبعة الحزب الاول ثلاث سور والثانى خمس سور والثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفصل من ق وفى فتح الرحمن واحزاب القرآن ستون قيل ان الحجاج لما جد فى نقط المصحف زاد تحزيبه وامر الحسن ويحيى بن يعمر بذلك واما وضع الاعشار فيه فحكى ان المأمون العباسى امر بذلك وقيل ان الحجاج فعل ذلك وكانت المصاحف العثمانية مجردة من النقط والشكل فلم يكن فيها اعراب وسبب ترك الاعراب فيها والله اعلم استغناؤهم عنه فان القوم كانوا عربا لايعرفون اللحن ولم يكن فى زمنهم نحو واول من وضع النحو وجعل الاعراب فى المصاحف ابو الاسود الدؤلى التابعى البصرى (حكى) انه سمع قارئا يقرأ ان الله برئ من المشركين ورسوله بكسر اللام فاعظمه ذلك وقال عز وجه الله ان يبرأ من رسوله ثم جعل الاعراب فى المصاحف وكان علامته نقطا بالحمرة يغيرون المداد فكانت علامة الفتحة نقطة فوق الحرف وعلامة الضمة نقطة فى نفس الحرف وعلامة الكسرة نقطة تحت الحرف وعلامة الغنة نقطتين ثم احدث الخليل بن احمد الفراهيدى بعد هذا هذه الصور الشدة والمدة والهمزة وعلامة السكون وعلامة الوصل

ونقل الاعراب من صورة النقط الى ماهو عليه الآن واما النقط فاول من وضعها بالمصحف نصر بن عاصم الليثى بامر الحجاج بن يوسف امير العراق وخراسان وسببه ان الناس كانوا يقرأون فى مصحف عثمان نيفا واربعين سنة الى يوم عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق فأمر الحجاج ان يضعوا لهذه الاحرف المشتبهة علامات فقام بذلك نصر المذكور فوضع النقط افرادا وازواجا وخالف بين اماكنها وكان يقال له نصر الحروف واول ما احدثوا النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به هو نور له ثم احدثوا نقطا عند منتهى الآى ثم احدثوا الفواتح والخواتم فأبو الاسود هو السابق الى اعرابه والمبتدئ به ثم نصر بن عاصم وضع النقط بعده ثم الخليل بن احمد نقل الاعراب الى هذه الصورة وكان مع استعمال النقط والشكل يقع التصحيف فالتمسوا حيلة فلم يقدروا فيها الا على الاخذ من افواه الرجال بالتلقين فانتدب جهابذة علماء الامة وصناديد الائمة وبالغوا فى الاجتهاد وجمعوا الحروف والقراآت حتى بينوا الصواب وازالوا الاشكال رضى الله عنهم اجمعين واول من خط بالعربية يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية واول من استخرج الخط المعروف بالنسخ ابن مقلة وزير المقتدر بالله ثم القاهر بالله فانه اول من نقل الخط الكوفى الى طريقة العربية ثم جاء ابن البواب وزاد فى تعريب الخط وهذب طريقة ابن مقلة وكساها بهجة وحسنا ثم ياقوت المستعصمى الخطاط وختم فن الخط واكمله ثم جاء الشيخ حمد الله الاماسيوى فأجاد الخط بحيث لا مزيد عليه الى الآن ولله در القائل

خط حسن جمال مرأى * ان كان لعالم فأحسن

الدر من النبات احلى * والدر مع النبات ازين

ومن الله التوفيق للكمالات والختم بانواع السعادات

تمت سورة الحجرات بعون ذى الفضل والبركات فى اوائل شهر ربيع الآخر من شهور عام الف ومائة واربعة عشر

سورة ق خمس واربعون آية مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ق) اى هذه سورة ق اى مسماة بق وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو قسم وهو اسم من اسماء الله تعالى وقال محمد بن كعب هو مفتاح اسماء الله تعالى مثل القادر والقدير والقديم والقاهر والقهار والقريب والقابض والقاضى والقدوس والقيوم اى انا القادر الخ وقيل اسم من اسماء القرآن وقيل قسم اقسم الله به اى بحق القائم بالقسط وقيل معناه قل يا محمد والقرآن المجيد وقيل قف يا محمد على اداء الرسالة وعند امرنا ونهينا ولا تعدهما والعرب تقتصر من كلمة على حرف قال الشاعر قلت لها قفى فقالت ق اى وقفت وقيل هو أمر من مقاعلة قفا اثره اى تبعه والمعنى اعمل بالقرآن واتبعه وقيل معناه قضى الامر وما هو كائن كما قالوا فى حم وقيل المراد بحق القلم الذى يرقم القرآن فى اللوح المحفوظ وفى المصاحف (وقال الكاشفى) حروف مقطعه جهت فرق است ميان كلام منظوم ومنثور امام علم الهدى فرموده كه سامع بمجرد استماع اين حروف استدلال ميكند برانكه كلامى كه بعد ازومى آيد منثورست نه منظوم پس درايراد اين حروف ردّ جاعتيست قرآنرا شعر كفتند وقال الانطاكى ق عبارة عن قربه لقوله ونحن اقرب اليه يعنى قسم است بقرب الهى كه سر ونحن اقرب اليه بدين سوره ازان خبر ميدهد وقال ابن عطاء اقسم بقوة قلب حبيبه حيث تحمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله اى بخلاف موسى عليه السلام فانه خر صعقا فى الطور من سطوة تجلى النور وفى التأويلات النجمية يشير الى ان لكل سالك من السائرين الى الله تعالى مقاما فى القرب اذا بلغ الى مقامه المقدر له يشار اليه بقوله ق اى قف مكانك ولا تجاوز حدك والقسم قوله والقرآن المجيد اى قف فان هذا مكانك والقران المجيد فلا تجاوز عنه وقال بعض الكبار ق اشارة الى قل هو الله احد اى الى مرتبة الاحدية التى هى التعين الاول وص اشارة الى الصمد اى الى مرتبة الصمدية التى هى التعين الثانى والصافات اشارة الى التعينات الباقية التابعة للتعين الثانى * يقول الفقير اشار بقوله ق الى قيامه عليه السلام بين يدى الله تعالى فى الصف الاول قبل كل شئ مفارقا لكل تركيب منفردا عن كل كون منقطعا عن كل وصف ثم الى قدومه من ذلك العالم الغيبى الروحانى الى هذا المقام الشهادى الجسمانى كما اشار اليه المجيء الآتى وقد جاء فى حديث جابر رضى الله عنه وحين خلقه اى نور نبيك بالجبار اقام قدامه فى مقام القرب اثنى عشر الف سنة وهو تفصيل عدد حروف لا اله الا الله وحروف محمد رسول الله فان عدد حروف كل منهما

اثنا عشر وكذا افادانه اقامه فى مقام الحب اثنى عشر الف سنة وفى مقام الخوف والرجاء والحياء كذلك ثم خلق الله اثنى عشر ألف حجاب فأقام نوره فى كل حجاب ألف سنة وهى مقامات العبودية وهى حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبد ذلك النور فى كل حجاب الف سنة فكل هذا العدد من طريق الاجمال اثنان وسبعون واذا انضم اليه المنازل الثمانى والعشرون على ما اشير اليه فى الجلد الاول يصير المجموع مائة واليه الاشارة بالقاف فهو مائة رحمة ومائة درجة فى الجنة اختص به الحبيب عليه السلام فى الحقيقة اذ كل من عداه فهو تبع له فكما انهم تابعون له عليه السلام فى مقاماته الصورية الدورية المائة لانه اول من خلقه الله ثم خلق المؤمنين من فيض نوره فكذلك هم تابعون له فى الدرجات العلوية المبنية على المراتب السلوكية السيرية وفى كل هذه المنازل دار بالقرآن لان الكلام النفسى تنزل اليه مرتبة بعد مرتبة الى ان أنزله روح القدس على قلبه فى هذا العالم الشهادى تشريفا له من الوجد العام والخاص والى كل هذه المقامات رقى بالقرآن كما يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا وان منزلك عند آخر آية تقرأها ولا شك انه كان خلقه القرآن فلذا مجد وشرف بمجد القرآن وشرفه فاعرف هذا فانه من مواهب الله تعالى ويجوز ان يكون معنى ق من طريق الاشارة احذروا قاف العقل والزموا شين العشق كما قال بعضهم * قفل درنشاط وسرورست قاف عقل * دندانهٔ كليد بهشتست شين عشق * وقال جماعة من العلماء قاف جبل محيط بالارض كاحاطة العين بسوادها وهو اعظم جبال الدنيا خلقه الله من زمرد أخضر او زبرجد أخضر منه خضرة السماء والسماء ملتزقة به فليست مدينة من المدائن وقرية من القرى الا وفيها عرق من عروقه وملك موكل به واضع يديه على تلك العروق فاذا اراد الله بقوم هلاكا اوحى الى ذلك الملك فحرك عرقا فخسف بأهلها والشياطين ينطلقون الى ذلك الزبرجد فيأخذون منه فيبثونه فى الناس فمن ثم هو قليل (وفى المثنوى) رفت ذو القرنين سوى كوه قاف * ديد اورا كز زمرد بود صاف * كرد عالم حلقه كشته او محيط * ماند حيران اندران خلق بسيط * كفت تو كوهى دكرها چيستند * كه به پيش عظم تو بازيستند * كفت ركهاى من اند آن كوهها * مثل من نبوند در حسن وبها * من بهر شهرى ركى دارم نهان * بر عروقم بسته اطراف جهان * حق چو خواهد زلزله شهرى مرا * كويد او من بر جهانم عرق را * پس بجنبانم من آن رك رابقهر * كه بدان رك متصل كشتست شهر * چون بكويد بس شود ساكن ركم * ساكنم وز روى فعل اندر تكم * همچو مرهم ساكن بس كاركن * چون خرد ساكن وزو جنبان سخن * نزد انكس كه نداند عقلش اين * زلزله هست از بخارات زمين * قال ابى بن كعب الزلزلة لا تخرج الا من ثلاثة اما نظر الله بالهيبة الى الارض واما اكثرة ذنوب بنى آدم واما تحريك الحوت الذى عليه الارضون السبع تأديبا للخلق وتنبيها قال ذو القرنين ياقاف اخبرنى بشئ من عظمة الله تعالى فقال ان شأن ربنا العظيم وان من ورائى مسيرة خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضها بعضا ولولا ذلك لاحترقت من نار جهنم والعياذ بالله تعالى منها يعنى اسكندر كفت ياقاف از عظمة الله با ما چيزى بكوى كفت يا ذا القرنين كار خداوند ما عظيم است واز اندازهٔ وهم وفهم بيرونست بعظمت او خبر كجا رسد وكدام عبارت بوصف اورست كفت آخر انچه كمتراست ودر تحت وصف آيد چيزى بكوى كفت وراى من زمينى است آفريده پانصد ساله راه طول آن وپانصد ساله راه عرض آن همه كوهها اندران برف واكر نه آن برف بودى من از حرارت دوزخ چون ارزيز بكداختمى ذو القرنين كفت زدنى ياقاف نكته ديكر بكوى از عظمت وجلال او كفت جبريل امين كر بسته در حجب هيبت ايستاده هر ساعتى از عظمت وسياست دركاه جبروت برخود بلرزد رعده بروى افتد رب العالمين از ان رعدهٔ وى صد هزار ملك بيافريند صفها بركشيده در حضرت بنعت هيبت سر در پيش افكنده وكوش بر فرمان نهاده تا يكبار از حضرت عزت ندا آيد كه سخن كوييد همه كويند لا اله الا الله وبيش ازين نكويند اينست كه رب العالمين كفت يوم يقوم الروح والملائكة صفا الى قوله وقال صوابا يعنى لا اله الا الله وقيل خضرة السماء من الصخرة التى تحت الارض السفلى تحت الثور وهو المشار اليه بقوله تعالى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة الآية وجعل الله السماء خضراء لتكون اوفق للابصار لان النظر الى الخضرة يقوى البصر فى الحكمة وكل صنع الله لحكمة وفائدة لاهل العالم وفى الحديث ثلاث يجلون البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجارى والى الوجه الحسن قال ابن عباس رضى الله عنهما والاثمد عند النوم وبالجملة ان الالوان سوى البياض مما يعين البصر على النظر وعن خالد بن عبد الله ان ذا القرنين لما بنى

الاسكندرية رخمها بالرخام الابيض جدرها وارضها فكان لباسهم فيها السواد من نصوع بياض الرخام فمن ذلك لبس الرهبان السواد كما في اوضح المسالك لابن سپاهي قال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر لما خلق الله الارض على الماء تحركت ومالت فخلق الله تعالى من الابخرة الغليظة الكثيفة الصاعدة من الارض بسبب تموجها الجبال فسكن ميل الارض وذهبت تلك الحركة التي لايكون معها استقرار فطوق الارض بجبل محيط بها وهو من صخرة خضراء وطوق الجبل بحية عظيمة رأسها بذنبها رأيت من الابدال من صعد جبل قاف فسألته عن طوله علوا فقال صليت الضحى في أسفله والعصر في اعلاه يعني بخطوة الابدال فالخطوة عند الابدال من المشرق الى المغرب يقول الفقير لعل هذا من قبيل البسط في السير والا فقد ثبت ان السماء الدنيا متصلة به ومابين السماء والارض كما بين المشرق والمغرب وهي مسيرة خمسمائة عام فكيف تسع هذه المسيرة تلك الخطوات المتضاعفة وفي الخبر ان لقاف في السماء سبع شعب لكل سماء شعبة منها فالسموات السبع مقببة على شعبه وخلق الله ستة جبال من وراء قاف وقاف سابعها وهي موتودة بأطراف الارض على الصخرة وقاف وراءها على الهواء وقيل خلق الله جبل قاف كالحصن المشرف على الملك ليحفظ اهل الارض من فيح جهنم التي تحت الارض السابعة يقول الفقير فيه اشارة الى حال قطب الاقطاب رضي الله عنه فانه مشرف على جميع الرجال من حيث جمعية اسمه وعلو رتبته وبه يحفظ الله العالم من الآفات الصورية والمعنوية كما ان جبل قاف مشرف على سائر الجبال وبه يحفظ الله اهل الارض بالغدو والآصال ومن خلف ذلك الجبل بحر محيط بجبل قاف وحوله جبل قاف آخر والسماء الثانية مقببة عليه وكذلك من وراء ذلك بحار محدقات بجبل قاف على عدد السموات وان كل سماء منها مقببة عليه وان في هذه البحار وفي سواحلها ويبسها المحدقة بها ملائكة لايحصى عددهم الا الله ويعبدون الله حق عبادته ومن جبل قاف ينفجر جميع عيون الارض فيشرب منه كل بر وفاجر فيجده العبد حيث توجه وفي البعض مثل ذلك وماوراء جبل قاف فهو من حكم الآخرة لامن حكم الدنيا وقال بعض المفسرين ان لله سبحانه من وراء جبل قاف ارضا بيضاء كالفضة المجلاة طولها مسيرة اربعين يوما للشمس وبها ملائكة شاخصون الى العرش لايعرف الملك منهم من الى جانبه من هيبة الله تعالى ولا يعرفون ما آدم وما ابليس هكذا الى يوم القيامة وقيل ان يوم القيامة تبدل ارضنا هذه بتلك الارض (وروى) ان الله تعالى خلق ثمانية آلاف عالم الدنيا منها عالم واحد وان الله تعالى خلق في الارض الف امة سوى الجن والانس ستمائة في البحر واربعمائة في البر وكل مستفيض منه تعالى * چنان پهن خوان كرم كسترد* كه سيمرغ درقاف قسمت خورد (والقرآن المجيد) اى ذى المجد والشرف على سائر الكتب على ان يكون للنسب كلابن وتامر أولانه كلام المجيد يعني أن وصف القرآن بالمجد وهو حال المتكلم به مجاز في الاسناد ولان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وشرف على ان يكون مثل بنى الامير المدينة في الاسناد الى السبب قال الامام الغزالي رحمه الله المجيد هو الشريف ذاته الجميل افعاله الجزيل عطاؤه ونواله فكان شرف الذات اذا قارنه حسن الفعال سمى مجيدا وهو الماجد ايضا ولكن احدهما ادل على المبالغة وجواب القسم محذوف اى انك يامحمد لنبي منذر اى مخوف من عذاب الله تعالى (بل عجبوا) اى فراعنة قريش ومتعنتوهم (ان جاءهم منذر منهم) اى لان جاءهم منذر من جنسهم لامن جنس الملك وهو اضراب عما ينبئ عند الجواب اى انهم شكوا فيه ولم يكتفوا بالشك والتردد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقال بعضهم جواب القسم محذوف ودليل ذلك قوله بل لانه لنفي ماقبله فدل على نفي مضمر وتقديره اقسم بجبل قاف الذى به بقاء دنياكم وبالقرآن الذى به بقاء دينكم ماكذبوك ببرهان ومعرفة بكذبك بل عجبوا الخ والعجب نظر النفس لامر خارج عن العادة (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار وهذا اشارة الى كونه عليه السلام منذرا بالقرآن وحاصله كون النذير مختصا بالرسالة من دوننا وكون ما انذر به هو البعث بعد موت كل شئ بليغ في الخروج عن عادة اشكاله وهو من فرط جهلهم لانهم عجبوا ان يكون الرسول بشرا واوجبوا ان يكون الاله حجرا وانكروا البعث مع ان اكثر ما في الكون مثل ذلك من اعادة كل من الملوين بعد ذهابه واحياء الارض بعد موتها واخراج النبات والاشجار والثمار وغير ذلك ثم ان اضمار الكافرين اولا للاشعار بتعينهم بما اسند اليهم من المقال وانه اذا ذكر شئ خارج عن سنن الاستقامة انصرف اليهم اذ لايصدر الا عنهم فلاحاجة الى اظهار ذكرهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه (أئذا متنا وكنا ترابا) اى أحين نموت فنفارق

ارواحنا اشباحنا ونصير ترابا لا فرق بيننا وبين تراب الارض نرجع ونبعث كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ والهمزة للانكار اى لا نرجع ولا نبعث (ذلك) اشارة الى محل النزاع اى مضمون الخبر برجوعها (رجع) الرجع متعد بمعنى الرد بخلاف الرجوع اى رد الى الحياة والى ما كنا عليه (بعيد) جدا عن الاوهام او العادة او الامكان او عن الصدق غير كائن لانه لا يمكن تمييز ترابنا من بقية التراب (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) رد لاستبعادهم وازاحة له اى نحن على ذلك فى غاية القدرة فان من عم علمه ولطفه حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء كما كانوا اعبرعن لان الارض لا تأكل عجب الذنب فانه كالبذر لاجسام بنى آدم وفى الحديث كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب فيه خلق وفيه يركب والعجب بفتح العين وسكون الجيم اصل الذنب ومؤخر كل شئ وهو ههنا عظم لا جوف له قدر ذرة او خردلة يبقى من البدن ولا يبلى فاذا اراد الله الاعادة ركب على ذلك العظم سائر البدن واحياه اى غير ابدان الانبياء والصديقين والشهداء فانها لا تبلى ولا تتفسخ الى يوم القيامة على ما نص به الاخبار الصحيحة قال ابن عطية وحفظ ما تنقص الارض انما هو ليعود بعينه يوم القيامة وهذا هو الحق وذهب بعض الاصوليين الى ان الاجساد المبعوثة يجوز ان تكون غير هذه قال ابن عطية وهذا عندى خلاف لظاهر كتاب الله ولو كانت غيرها فكيف كانت تشهد الجلود والايدى والارجل على الكفرة الى غير ذلك مما يقتضى ان اجساد الدنيا هى التى تعود وسئل شيخ الاسلام ابن حجر هل الاجساد اذا بليت وفنيت واراد الله تعالى اعادتها كما كانت اولا هل تعود الاجسام الاول ام يخلق الله للناس اجسادا غير الاجساد الاول فأجاب ان الاجساد التى يعيدها الله هى الاجساد الاول لا غيرها قال وهذا هو الصحيح بل الصواب ومن قال غيره عندى فقد اخطأ فيه لمخالفته ظاهر القرآن والحديث قال اهل الكلام ان الله تعالى يجمع الاجزاء الاصلية التى صار الانسان معها حال التولد وهى العناصر الاربعة ويعيد روحه اليه سواء سمى ذلك الجمع اعادة المعدوم بعينه اولم يسم فان قيل البدن الثانى ليس هو الاول لما ورد فى الحديث من ان اهل الجنة جرد مرد وان الجهنمى ضرسه مثل احد فيلزم التناسخ وهو تعلق روح الانسان ببدن انسان آخر وهو باطل قلنا انما يلزم التناسخ ان لو لم يكن البدن الثانى مخلوقا من الاجزاء الاصلية للبدن الاول يقول الفقير البدن معاد على الاجزاء الاصلية وعلى بعض الفضلة ايضا وهو العجب المذكور فكأنه البدن الاول فلا يلزم التناسخ جدا والتغاير فى الوصف لا يوجب التغاير فى الذات فقد ثبت ان الخضر عليه السلام يصير شابا على كل مائة سنة وعشرين سنة مع ان البدن هو البدن الاول وكذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ان ابليس اذا مرت عليه الدهور وحصل له الهرم عاد ابن ثلاثين سنة واختلف القائلون بحشر الاجسام فمنهم من ذهب الى ان الاعادة تكون فى الناس مثل مابداهم بنكاح وتناسل وابتداء بخلق من طين ونفخ كما جرى من خلق آدم وحواء وخلق البنين من نسل ونكاح الى آخر مولود فى العالم البشرى كل ذلك فى مدة قصيرة على حسب ما يقدره الحق تعالى واليه ذهب الشيخ ابو القاسم بن قسى فى كتاب خلع النعلين له فى قوله تعالى كما بدأكم تعودون ومنهم من قال وهو القول الاصح بالخبر المروى ان السماء تمطر مطرا شبه المنى فينشأ منه النشأة الآخرة كما ان النشأ الدنيا من نقطة تنزل من بحر الحياة الى اصلاب الآباء ومنها الى ارحام الامهات فيتكون من قطر بحر الحياة تلك النقطة جسد فى الرحم وقد علمنا ان النشأة الاولى اوجدها الله تعالى على غير مثال سبق وركبها فى اى صورة شاء وهكذا النشأة الآخرة يوجدها الحق على غير مثال سبق مع كونها محسوسة بلا شك فينشئ الله النشأة الآخرة على عجب الذنب الذى يبقى من هذه النشأة الدنيا وهو اصلها فعليه تتركب النشأة الآخرة فقوله تعالى كما بدأكم تعودون راجع الى عدم مثال سابق كما فى النشأة الاولى مع كونها محسوسة بلا شك اذ ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفة نشأة اهل الجنة والنار ما يخالف هذه النشأة الدنيا وقوله وهو اهون عليه لا يقدح فيما قلنا لان البدء ان كان عن اختراع فكر وتدبير كانت اعادته الى ان يخلق خلقا آخر مما يقارب ذلك ويزيد عليه اقرب الى الاختراع فى حق من يستفيد الامور بفكره والله متعال عن ذلك علوا كبيرا فهو الذى يفيد العالم ولا يستفيد ولا يتجدد له علم بشئ بل هو عالم بتفاصيل ما لا يتناهى بعلم كلى فعلم التفصيل فى عين الاجمال وهكذا ينبغى لجلاله ان يكون قال ابو حامد الغزالى رحمه الله ان العجب المذكور فى الخبر هو النفس وعليها تنشأ النشأة الآخرة اى كما يتكون شجر كثير الاصول والاغصان من الحبة الصغيرة فى الطين كذلك جسد الانسان من حبة العجب الذى لا يقبل البلى فعبر عنه الامام

بالنفس لانه مادتها وعنصرها هكذا اوله البعض وقال شيره مثل ابى يزيد الرقاقى المراد من عجب جوهر فرد وجزء واحد لايقبل القسمة والبلى فيه قوة القابلية انهيولانية بل هو صورة هيولى النفس الحيوانية الحاملة لاجزاء العناصر التى فى الهيكل المحسوس فيقيد الخلق ويعصمه من التغير والبلى فى عالم الكون والفساد بل خلقه من اول خلق النشاة الدنيوية الى الابدان الجانية وعليه مدار الهيكل يبقى من هذه النشأة الدنيا لايتغير وعليه ينشأ النشأة الآخرة وكل ذلك محتمل لايقدح فى شئ من الاصول الشرعية فى الاحكام الاخروية وتوجيهات معقولة يحتمل ان يكون كل منهما مقصود الشارع بقوله عجب الذنب وقال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر والذى وقع لى به الكشف الذى لاأشك فيه ان المراد بعجب الذنب هو مايقوم عليه النشأة وهو لايبلى اى لايقبل البلى وافناء ذن الجواهر والذوات الخارجة لى الوجود من العدم لاتنعدم اعيانها ولكن تختلف عليه الصور الشهادية والبرزخية بالامتزاجات التى هى اعراض تعرض لها بتقدير العزيز العليم فاذا تهيأت هذه الصور بالاستعداد لقبول الارواح كاستعداد الحشيش بالنارية التى هى فيه لقبول الاشتعال والصور البرزخية كالسرج مشتعلة بالارواح التى فيها فينفخ اسرافيل نفخة واحدة فتمر تلك النفخة على تلك الصور البرزخية فتطفئها وتمر النفخة التى تليها وهى الاخرى الى الصور المستعدة الاشتعال وهى النشأة الاخرى فتشتعل بارواحها فاذاهم قيام ينظرون نسأل الله تعالى ان يحشرنا امنين بجاه النبى الامين (وعندنا كتاب حفيظ) بالغ فى الحفظ لتفاصيل الاشياء كلها ومحفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شئ او تأكيد لعلمه بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ماهو اشنع منه وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة فالافظعية لكون الشئ تكذيبا للامر الثابت من غير تدبر بخلاف الاول فانه تعجب (لما جاءهم) من غير تأمل وتفكر تقليدا للآباء وبعد التأمل تمردا وعنادا وجاء بكلمة التوقع اشعارا بأنهم علموا بعد علو شانه واعجازه الشاهد على حقيته فكذبوا به بغيا وحسدا (فهم فى امر مريج) من مرج الخاتم فى اصبعه اذا جرج بالجسين كفرح اى قلق وجال واضطرب من سعته بسبب الهزال اى فى امر مضطرب لاقرار له من غلبات آفات الحس والوهم والخيال على عقولهم فلا يهتدون الى الحق ولذا يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر واخرى كاهن ومرة مفتر لا يثبتون على شئ واحد وهذا اضطرابهم فى شأن النبى عليه السلام صريحا ويتضمن اضطرابهم فى شأن القرآن ايضا اذ نسبتهم اياه الى الشعر ونحوه انما هى بسببه واعلم ان الاضطراب موجب للاختلاف وذلك ادل دليل على البطلان كما ان الثبات والخلو موجب للاتفاق وذلك ادل دليل على الحقيقة قال الحسن ماترك قوم الحق الا مرج امرهم وكذا قال قتادة وزادوا التبس عليهم دينهم وعن على رضى الله عنه قال ليهودى ماذفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال انما اختلفنا عنه لافيه ولكنكم ماجفت ارجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم الهة وسئل بزرجمهر الحكيم كيف اضطربت امور آل ساسان وفيهم مثلك قال استعانوا بأصاغر العمال على اكابر الاعمال فآل امرهم الى ما آل (كما قال الشيخ سعدى) بندم اكر بشنوى اى پادشاه * درهمه دفتر به ازين پند نيست * جز بخردمند مفرما عمل * كرچه عمل كار خردمند نيست * واضطربوا فى حق الحلاج رضى الله عنه وكذبوا بالحق فأفتوا بالقتل فرج امرهم حيث احرقت دار الوزير وقتل ثم دار الامر على الخليفة ففعل به مافعل واضطربوا فى شان سلطان العلماء والد المولى جلال الدين الرومى فنفوه من بلخ ثم نفاهم الله من الارض واوقعهم فى وبال طويل من تسلط عدو مستاصل وكان فيهم صاحب التفسير الكبير فاختفى لكنه ظهر امر الله عليه ايضا ومانفع الاختفاء وفيه يقول المولى جلال الدين قدس سره درچنان ننكى وانكه اين عجب * فخر دين خواهد كه كويندش لقب * واضطربوا فى شأن الرسول عليه السلام حتى قتلهم الله تعالى وجعل مكة خالصة للمؤمنين (افلم ينظروا) اى اغفلوا فلم ينظروا حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) بحيث يشاهدونها كل وقت اى الى آثار قدرة الله فى خلق العالم وايجاده من العدم الى الوجود وفوقهم ظرف لينظروا او حال من السماء (كيف بنيناها) اى رفعناها بغير عمد (وزيناها) بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع (ومالها من فروج) من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل كما قال هل ترى من فطور وهذا لاينفى وجود الابواب والمصاعد فانها ليست من قبيل العيب والخلل ولعل تأخير هذا لمراعاة الفواصل والفروج جمع فرج وهو الشق بين الشيئين كفرجة الحائط والفرج مابين الرجلين وكنى به عن

السوءة وكثر حتى صار كالصريح فيه واستعير الفرج للثغر وكل مخافة وسمى القباء المشقوق فروجا ولبس رسول الله عليه السلام فروجا من حرير ثم نزعه (والارض مددناها) اى بسطناها وفرشناها على وجه الماء مسيرة خمسمائة عام من تحت الكعبة وهذا دليل على ان الارض مبسوطة وليست على شكل الكرة كما فى كشف الاسرار وفيه انه لامنافاة بين بساطتها وكريتها لسعتها كما عرف فى محله (والقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت ارسيت بها الارض اذ لولم تكن لكانت مضطربة مائلة الى الجهات المختلفة كما كانت قبل اذ روى ان الله لما خلق الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ماهى بمقر أحد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت من رسا الشئ اى ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بأن القاءها لارساء الارض بها وفيه اشارة الى رجال الله فانهم اوتاد الارض والعمد المعنوية للسماء فاذا انقرضوا ولم يوجد فى الارض من يقول الله الله فسدت السموات والارض (وانبتنا) واخرجنا (فيها من كل زوج) صنف وقوله ازواجا من نبات شتى اى انواعا متشابهة (بهيج) حسن طيب من الثمار والنباتات والاشجار كما قال فى موضع آخر ذات بهجة اى يبتهج به لحسنه اى يسر والبهجة حسن اللون وظهور السرور فيه وابتهج بكذا اى سر به سرورا بان اثره على وجهه كما فى المفردات (تبصرة وذكرى) علتان للافعال المذكورة معنى على التنازع وان انتصبتا عن الفعل الاخير او بفعل مقدر بطريق الاستئناف اى فعلنا مافعلنا تبصيرا وتذكيرا يعنى ازبراى بينايى يعنى بنظر باعتبار واستدلال نكرستن وازبراى ياد كردن وپند كرفتن ويجوز ان يكونا نصبا على المصدرية من فعلهما المقدر اى تبصرهم وتذكرهم (لكل عبد منيب) اى راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنائعه وفيه اشارة الى ان الوصول الى مقام التبصرة والذكرى انما هو بالعبودية والانابة التى هى مبنى الطريقة واساسها قال بعضهم التبصرة معرفة منن الله عليه والذكرى عدها على نفسه فى كل حال ليشتغل بالشكر فيما عومل به عن النظر الى شئ من معاملته كفته اند تبصرة وذكرى دونام اند شريعت وحقيقت را تبصره حقيقت است وذكرى شريعت بواسطه وحقيقت مكاشفه شريعت خدمت است برشرط وحقيقت غربت است بر مشاهده شريعت بى يد است وحقيقت بى خورى اهل شريعت فريضه كزاران ومصيبت كداران اهل حقيقت از خويشتن كريزان وبيكى تازان قبله اهل شريعت كعبه است قبلهٔ اهل حقيقت فوق العرش ميدان حساب اهل شريعت موقف است وميدان حساب اهل حقيقت حضرة سلطان ثمرهٔ اهل شريعت بهشت ثمرهٔ اهل حقيقت لقا ورضاى رحمن فعلى العاقل ان يتبصر بالذكر الحكيم ويتفكر فى صنعه العظيم ويوحده توحيدا يليق بجنابه الكريم وينيب اليه انابة لارجوع بعدها الى يوم مقيم نقلست كه بيريش شقيق بلخى رحمه الله آمد وكفت كناه بسيار دارم وميخواهم كه توبه بكنم وى كفت ديرامدى پير كفت زود آمدم كفتا چرا كفت اذ بهرانكه هر كه بيش از مرك بيايد بتوبه زود آمده باشد شقيق كفت نيك آمدى ونيك كفتى * بارهاى خويش راچيزى سبك كردان كه نيست * تنكناى مرك را كنجايئ اين بارها (وقال الشيخ سعدى) بيا تا برآريم دستى زدل * كه نتوان برآورد فردا زكل * أيقظنا الله تعالى واياكم من نوم الغفلة (ونزلنا من السماء ماء مباركا) اى كثير المنافع حياة الاناسى والدواب والارض الميتة وفى كشف الاسرار مطرا يثبت فى اجزاء الارض فينبع طول السنة (فانبتنا به) اى بذلك الماء (جنات) كثيرة اى اشجارا ذوات ثمار فذكر المحل واراد الحال كما قال فأخرجنا به ثمرات وبالفارسية بوستانها مشتمل براشجار واثمار (وحب الحصيد) من حذف الموصوف للعلم به على ماهو اختيار البصريين فى باب مسجد الجامع لئلا يلزم اضافة الشئ الى نفسه واصل الحصيد قطع الزرع والحصيد بمعنى المحصود وهو هنا مجاز باعتبار الاول والمعنى وحب الزرع الذى شأنه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما مما يقتات به وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات (والنخل) عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وقد سبق بعض اوصافها فى سورة يس وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع مافيه من مراعاة الفواصل (باسقات) طوالا فى السماء عجيبة الخلق وهو حال مقدرة فانها وقت الانبات لم تكن طوالا يقال بسقت الشجرة بسوقا اذا طالت وفى المفردات الباسق هو الذاهب طولا من جهة الانقطاع ومنه بسق فلان على اصحابه علاهم ويجوز ان يكون معنى باسقات حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل فهو فاعل (لها طلع نضيد) اى منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة مافيه من الثمر والجملة

حال من النخل يقال نضدت المتاع بعضه على بعض القيته فهو منضود ونضيد والمنضد السرير الذى ينضد عليه المتاع ومنه استعير طلع نضيد كما فى المفردات والنضد والتنضيد بالفارسية برهم نهادن والطلع شئ يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود والطرف محدد أو ما يبدو من ثمرته فى اول ظهورها وقشره يسمى الكفرى بضم الكاف والفاء معا وتشديد الراء وما فى داخله الاغريض لبياضه كما فى القاموس قال فى بحر العلوم الطلع ما يطلع من النخلة وهو الكم قبل ان ينشق ويقال لما يظهر من الكم طلع ايضا وهو شئ ابيض يشبه بلونه الاسنان وبرائحته المنى (رزقا للعباد) اى لرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفى تعليله بذلك بعد تعليل أنبتنا الاول بالتبصرة والتذكرة تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من حيث الرزق * خوردن براى زيستن وذكر كردنست * تو معتقد كه زيستن از بهر خوردنست * يقول الفقير المقصود من الآية الاولى هو الاستدلال على القدرة باعظم الاجرام كما دل عليه النظر وذكر الانبات فيها بطريق التبع فناسب التعليل بالتبصرة والتذكير ومن الثانية بيان الانتفاع بمنافع تلك الاجرام فناسب التعليل بالرزق ولذا اخرت عن الاولى لان منافع الشئ مترتبة على خلقه قال ابو عبيدة نخل الجنة نضيد ما بين اصلها الى فرعها بخلاف نخل الدنيا فان ثمارها فى رؤسها كلما نزعت رطبة عادت ألين من الزبد وأحلى من العسل فنخل الدنيا تذكير لنخل الجنة وفى كل منهما رزق للعباد كما قال تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا (واحيينا به) اى بذلك الماء (بلدة ميتا) تذكير ميتا باعتبار البلد والمكان اى ارضا جدبة لا نماء فيها اصلا بأن جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعد ما كانت جامدة هامدة (روى) ابو هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءهم المطر فسالت الميازيب قال لا محل عليكم العام اى لا جدب يعنى تنكى نيست برشما امسال (كذلك الخروج) جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة المستفادة من الاحياء اى مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شئ مخالف لها وقد روى ان الله يمطر السماء اربعين ليلة كمنى الرجال يدخل فى الارض فينبت لحومهم وعروقهم وعظامهم ثم يحييهم ويخرجهم من تحت الارض وفى التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس (قال الكاشفى) واكر كسى تأمل كند در احياء دانه كه مانند مرده در خاك مدفونست وظهور او بعد از خفا دور نيست كه بشمهٔ از حيات اموات پى تواند برد * كدام دانه فرو شد كه برنيامد باز * كمان باشد * فرو شدن چو بديدى برآمدن بنكر * غروب شمس وقمر را چرا زيان باشد * وفى الآية اشارة الى تنزيل ماء الفيض الالهى من سماء الارواح فان الله ينبت به حبات القلوب وحب المحبة المحصود به محبة ما سوى الله من القلوب وشجرة التوحيد لها طلع نضيد من انواع المعارف رزقا للعباد الذين يبيتون عند ربهم يطعمهم ويسقيهم ويحيى بذلك الفيض بلدة القلب الميت من نور الله كما قال او من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا الآية كذلك الخروج من ظلمات الوجود الى نور واجب الوجود فافهم جدا (كذبت قبلهم) اى قبل اهل مكة (قوم نوح) قوم نوح كه بنى شيث وبنى قابيل بودند تكذيب كردند مر نوح را (واصحاب الرس) قيل كانت الرس بئرا بعدن لأمة من بقايا ثمود وكان لهم ملك عدل حسن السيرة يقال له العليس كزبير وكانت البئر تسقى المدينة كلها وباديتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم والبقر وغير ذلك لانها كانت لها بكرات كثيرة منصوبة عليها جمع بكرة بالفتح وهى خشبة مستديرة فى وسطها محز يستقى عليها ورجال كثيرون موكلون بها وابازن بالزاى وانون من رخام وهى تشبه الحياض كثيرة تملأ للناس قال فى القاموس الابزن مثلثة الاول حوض يغتسل فيه وقد يتخذ من نحاس معرب آب زن انتهى وآخر للدواب وآخر للبقر والغنم والهوام يستقون عليها بالليل والنهار يتداولون ولم يكن لهم ماء غيره فطال عمر الملك فلما جاءه الموت طلى بدهن لتبقى صورته ولا تتغير وكذلك كانوا يفعلون اذا مات منهم الميت وكان ممن يكرم عليهم فلما مات شق ذلك عليهم ورأوا ان أمرهم قد فسد وضجوا جميعا بالبكاء فاغتنمها الشيطان منهم فدخل فى جثة الملك بعد موته بأيام كثيرة فكلمهم وقال انى لم امت ولكنى قد تغيبت عنكم حتى أرى صنيعكم بعدى ففرحوا أشد الفرح وأمر خاصته ان يضربوا له حجابا بينه وبينهم ويكلمهم من ورائه كيلا يعرف الموت فى صورته فنصبوه صنما من وراء حجاب لا يأكل ولا يشرب وأخبرهم انه لا يموت ابدا وانه الههم وذلك كله يتكلم به

الشيطان على لسانه فصدق كثير منهم وارتاب بعضهم وكان المؤمن المكذب منهم اقل من المصدق فكلما تكلم ناصح
منهم زجروه وقهر فاتفقوا على عبادته فبعث الله لهم نبيا كان الوحي ينزل عليه في النوم دون اليقظة وكان اسمه حنظلة
ابن صفوان فأعلمهم ان الصورة صنم لا روح له وان الشيطان فيه وقد أضلهم الله وان الله تعالى لا يتمثل بالخلق
وان الملك لا يجوزان يكون شريكا لله واوعدهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربهم ونقمته فآذوه وعادوه وهو
يتعهدهم بالموعظة والنصيحة حتى قتلوه وطرحوه في بئر وعند ذلك حلت عليهم النقمة فباتوا شباعا رواء من الماء
وأصبحوا والبئر قد غار ماؤها وتعطل رشاؤها وهو بالكسر الحبل فصاحوا بأجمعهم وضج النساء والولدان وضجت
البهائم عطشا حتى عمهم الموت وشملهم الهلاك وخلفهم في أرضهم السباع وفي منازلهم الثعالب والضباع وتبدلت
لهم جناتهم وأموالهم بالسدر والشوك شوك العضاة والقتاد الاول بالكسر ام غيلان اونحوه والثاني كسحاب
شجر صلب شوكه كالابر فلا تسمع فيها الا عزيف الجن اى صوتهم وهو جرس يسمع في المفاوز بالليل والازئير الاسد
اى صوته من الصدر نعوذ بالله من سطواته ومن الاصرار على ما يوجب نقماته كذا في التكملة نقلا عن تفسير
المقرى وقيل الرس بئر قرب اليمامة اوبئر أذربيجان اوواد كما قال الشاعر فهن لوادى الرس كاليد للفم * وقد سبق
بعض الكلام عليه في سورة الفرقان فارجع (وثمود) وقوم ثمود صالح را وهو ثمود بن عاد وهو عاد الآخرة
وعاد هو عادارم وهو عاد الاولى (وعاد) وقوم عاد هود را (وفرعون) وفرعون موسى را وهرون را
والمراد هو وقومه ليلائم ماقبله ومابعده من الجماعة (واخوان لوط) يعنى اصهار او مر اورا والصهر زوج
بنت الرجل وزوج اخته وقيل اخوانه قومه لاشتراكهم في النسب لا في الدين قال عطاء مامن احد من الانبياء
الا ويقوم معه قومه الا لوطا عليه السلام يقوم وحده (واصحاب الأيكة) هم من بعث اليهم شعيب عليه السلام
غير اهل مدين وكانوا يسكنون أيكة اى غيضة تنبت السدر والأراك وقد مر في سورة الحجر (وقوم تبع) الحميرى
ملك اليمن وقد سبق شرح حالهم في سورة الدخان (كل كذب الرسل) اى فيما أرسلوا به من الشرائع التي من
جملتها البعث الذي أجمعوا عليه قاطبة اى كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسلهم وكذب جميعهم جميع
الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل اوكل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على التوحيد
والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقدير
عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم لمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى
ذلك كان يدعوهم تبع (فحق وعيد) اى فوجب وحل عليهم وعيدى وهى كلمة العذاب والوعيد يستعمل
في الشر خاصة بخلاف الوعد فانه يكون في الخير والشر وفي الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى لا تحزن
بتكذيب الكفار اياك لانك لست باول نبي كذب وكل امة كذبت رسولها واصبر على أذاهم كما صبروا تظفر بالمراد
كما ظفروا وتهديد لاهل مكة يعنى احذروا يا أهل مكة من مثل عذاب الامم الخالية فلا تكذبوا رسول الله فان
الاشتراك في العمل يوجب الاشتراك في الجزاء واعلم ان عموم أهل كل زمان الغالب عليهم الهوى والطبيعة الحيوانية
فهم أهل الحس لا أهل العقل ونفوسهم متمردة بعيدة عن الحق قريبة الى الباطل كلما جاءهم رسول كذبوه وعلى
ماجاء به قاتلوه فحق عليهم عذاب ربهم بما كفروا بأنعم الله فما اعياه اهلاكهم وفيه تسلية للاولياء ايضا من طريق
الاشارة وتهديد لاهل الانكار ولعمرى انهم في ايديهم كالانبياء في ايدى الكفار ولكن الصبر مفتاح الفرج فكما ان
الكفار مسخوا وخسفوا وأخذوا بأنواع النكال فكذا اهل الانكار مسخ الله بواطنهم وخسف بهم الارض يعنى
ارض البشرية الكثيفة الظلمانية واخذوا بأصناف الخذلان وهم لا يدرون انهم كذلك بل يحسبون انهم ناجون
من كل المهالك زيادة عماهم وحيرتهم نسأل الله سبحانه ان يجعلنا من المصدقين ويثبتنا على طريق اهل اليقين
ويفيض علينا من بركاتهم ويشرفنا بآثار حركاتهم (افعيينا بالخلق الاول) العى بالامر العجز عنه يقال عى
بالامر وعيى به اذا لم يهتد لوجه عمله وقد مر في قوله ولم يعى بخلقهن والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ
عنه العى من القصد والمباشرة كأنه قيل اقصدنا الخلق الاول وهو الابداء فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الخلق
الثاني وهو الاعادة وبالفارسية آياما عاجز شده ايم ورنج يافته بآفرينش اول خلق تافرومانيم ازآفرينش ثاني
وفي عين المعاني الخلق الاول آدم عليه السلام وهم يقرون به وفي التأويلات النجمية أفأعتاص علينا فعل شئ حتى
نعيى بالبعث اويشق علينا البعث اى ليس كذلك (بل هم في لبس من خلق جديد) يقال جددت الثوب اذا قطعته

على وجه الاصلاح وثوب جديد اصله المقطوع ثم جعل لكل ما احدث انشاؤه وخلق جديد اشارة الى النشأة الثانية وقوبل الجديد بالخلق لما كان المقصود بالجديد القريب العهد بالقطع من الثوب ومنه قيل لليل والنهار الجديدان والاجدان كما فى المفردات والجملة عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة اذ لم تجر العادة بالاعادة فى هذه الدار وهذا قياس فاسد كما لا يخفى (وقال الكاشفى) مشركان مكه معترف بودند بآنكه حق تعالى مبدع خلق است در اول پس ميفرمايد كه كسى كه قادر بود بر آفرينش جميع بى ماده ومددى چرا توانا نبود بر اعادهٔ ايشان بجمع مواد ورد حيات بآن و بى شبهه ما بران قوت داريم بلكه كافران در شك وشبهه اند بسبب وساوس شيطانى از آفريدن نو يعنى بعث وحشر چه آرا مخالف عادت مى بينند * وتنكير خلق لتفخيم شأنه والاشعار بخروجه عن حدود العادات او الايذان بأنه حقيق بأن يبحث عنه ويهتم بمعرفته ولا يقعد على لبس واعلم ان هذا الخلق الجديد حاصل فى الدنيا ايضا سواء كان فى الاعراض او فى الاجسام وهو مذهب الصوفية ومذهب المتكلمين فانهم جوزوا انتفاء الاجسام فى كل آن ومشاهدة بقائها بتجدد الامثال اى الاجسام الاخر كما جوزوا انتفاء الاعراض فى كل آن ومشاهدة بقائها بتجدد الامثال اى الاعراض الاخر أى كما انه جائز فى الاعراض التى هى غير قائمة بذواتها كذلك جائز فى الجواهر التى هى قائمة بذواتها وفى هذا المعنى (قال فى المثنوى) صورت از معنى چو شير از بيشه دان * يا چو آواز وسخن ز انديشه دان * اين سخن واواز از انديشه خواست * تو ندانى بحر انديشه كجاست ليك چون موج سخن ديدى لطيف * بحر ان دانى كه باشد هم شريف * چون ز دانش موج انديشه بتاخت * از سخن واواز او صورت بساخت * از سخن صورت بزاد وباز مرد * موج خود را باز اندر بحر برد * صورت از بى صورتى آمد برون * باز شد كه انا اليه راجعون * پس ترا هر لحظه مرك ورجعتيست * مصطفى فرمود دنيا ساعتيست * فكر ما تيريست از هو در هوا * در هوا كى پايد آيد تا خدا * هر نفس نو مى شود دنيا وما * بى خبر از نو شدن اندر بقا * عمر همچون جوى نو نو مى رسد * مستمرى مى نمايد در جسد * ان ز تيزى مستمر شكل آمدست * چون شرر كش تير جنبانى بدست * شاخ آتش را بجنبانى بساز * در نظر آتش نمايد پس دراز * اين درازى مدت از تيزئ صنع * مى نمايد سرعت انكيزئ صنع * قال الامام الشعرانى رضى الله عنه فى كتاب الجواهر تقليب العالم واقع فى كل نفس من حال الى حال فلا يثبت على حالة واحدة زمانا فردا لكن التغير انما يقع فى الصفات لا فى الاعيان فما زال الحق تعالى خلاقا على الدوام انتهى ومنه يعرف طواف الكعبة ببعض الرجال واستقبالها لهم كما وقع ذلك لرابعة العدوية رضى الله عنها وغيرها وحقيقة هذا المقام لا تتضح الا بالكشف التام ومن الله الملك العلام الفيض والالهام (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) اى ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى والخطرة الرديئة ومنه وساوس الحلى وبالفارسية وميدانيم آن چيزى را كه وسوسه ميكند مر او را بدان نفس او واز اند يشها بد والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما فى صوت بكذا وهمس به يعنى انها صلة او الانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية اى ما تجعله موسوسا فان النفس تجعل الانسان قائما به الوسوسة قال فى الكشاف ما مصدرية لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه وفيه اشارة الى ان الله تعالى كما يعلم حال الانسان قبل خلقه علم ثبوتيا كذلك يعلمه بعد خلقه علما فعليا او دخل فيه ما توسوس به نفسه فانه مخلوق الله ايضا فلا يخفى عليه مخلوقه مطلقا او دخل فيما توسوس به نفسه شهواته المطلوب استيفاؤها وسوء خلقه واعتقاده الفاسد وغير ذلك من اوصاف النفس توسوس بذلك لتشوش عليه قلبه ووقته وفيه دخل آدم عليه السلام فان الله تعالى خلقه وعلم ما وسوست به نفسه فى اكل الشجرة وذلك بالقاء الشيطان قال بعض الكبار ليس للشيطان على باطن الانبياء من سبيل فخواطرهم لاحظ للشيطان فيها فهو يأتيهم فى ظاهر الحس فقط ولا يعملون بما يقول لهم ثم ان من الاولياء من يحفظ من الشيطان فى علم الله تعالى فيكون بهذه المثابة فى العصمة مما يلقى لا فى العصمة من وصول ذلك الى قلبه لان الاولياء ليسوا بمعصومين بخلاف الانبياء عصمت بواطنهم لكونهم اصحاب الشرائع قال بعض الكبار ما من شخص من بنى آدم الا ويخطر له كل يوم وليلة سبعون الف خاطر لا تزيد ولا تنقص عدد الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم فما من شخص الا ويخلق من خواطره كل يوم سبعون الف ملك ثم يرتفعون الى جهة البيت المعمور فاذا خرج السبعون الفا من البيت المعمور كل يوم

يجتمعون بالملائكة المخلوقين من الخواطر فيكون ذكرهم استغفارا لاصحابهم الى يوم القيامة ولكن من كان قلبه معمورا بذكر الله دائما فالملائكة المخلوقون من خواطره يمتازون عن الملائكة الذى خلقوا من خواطر قلب ليس له هذا المقام وسواء كان الخاطر فيما ينبغى او فيما لا ينبغى فالقلوب كلها من هذا البيت المعمور خلقت فلا تزال معمورة دائما وكل ملك يكون من الخاطر يكون صورة صالحة فى علم الله لما نظر وان كان هو فى نفسه ملكا سمج وقد لا يعلم ما خطر (ونحن أقرب اليه) اى الى الانسان (من حبل الوريد) از رك جان وى بوى اى اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد وعبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لانه موجب له فاطلق الملزوم على اللازم وحبل الوريد مثل فى فرط القرب كقولهم هو منى بمعقد الازار والحبل العرق شبه بواحد من الحبال من حيث الهيئة واضافته بيانية وجوز الزمخشرى كونها بمعنى اللام ويجوز ان تكون كاضافة لجين الماء على ان يكون الحبل على حقيقته والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين وهو عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه رادان من الرأس اليه فالوريد بمعنى الوارد وقيل سمى وريدا لان الروح الحيوانى يرده فالوريد حينئذ بمعنى المورود وفى المفردات الوريد عرق متصل بالكبد والقلب وفيه مجارى الروح وقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد أى من روحه انتهى ماوردى فرموده كه حبل الوريد كيست متصل بدل وعلم خداى تعالى ببنده نزديكتر نيست اذ علم دل وى وفى التأويلات النجمية حبل الوريد اقرب اجزاء نفسه الى نفسه يشير به الى انه تعالى اقرب الى العبد من نفس العبد الى العبد فكما انه كل وقت يطلب نفسه يجدها لانها قريب منه فكذلك كل وقت يطلب ربه يجده لانه قريب منه كما قال تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وفى الزبور الامن طلبنى وجدنى * نحن اقرب كفت من حبل الوريد * تو بكندى بتر فكرت رابعيد * اى كمان تير هابر ساخته * صيد نزديك وتو دور انداخته (وقال الشيخ سعدى) دوست نزديكتر ازمن بمنست * وين عجبتر كه من ازوى دورم * چكنم باكه توان كيفت كه او * دركنار من ومن مهجورم * قال بعض الكبار شدة القرب حجاب كما ان غاية البعد حجاب واذا كان الحق أقرب الينا من حبل الوريد فاين السبعون ألف حجاب التى بيننا وبينه فتأمل وقال البقلى ولو يرى الانسان نفسه لرأى هو ان نفسه ألا ترى كيف أخبر عن كمال قربه بنعت الاتحاد بقوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ولذلك قال عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه اذ لا نفس الا هو ان فهمت ماقلت والا فاعلم ان الفعل قائم بالصفة والصفة قائمة بالذات فمن حيث عين الجمع ما هو الا هو ولا تظن الحلول فانه بذاته وصفاته منزه عن ان يكون له محل فى الحوادث هذا من العاشقين ألا ترى الى قول المجنون

انا من أهوى ومن أهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتنى أبصرته * واذا أبصرته أبصرتنا

وقال الواسطى اى نحن اولى به واحق انا جمعناه بعد الافتراق وانشاناه بعد العدم ونفخنا فيه الروح فالاقرب اليه من هو اعلم به منه بنفسه وقال ابضا بى عرفت روحك بى عرفت نفسك كل ذلك لاظهار النعوت على قدر طاقة الخلق فاما الحقيقة فلا يحملها العبد سمعا (وقال الكاشفى) وببايد دانست كه قرب حق تعالى بى چون وچكونه باشداى عزيز كيفيت قرب جان را كه پيوسته است بتن درنمى توان يافت قرب حق را كه پيوسته از كيفيت مقدس ومنزه است چكونه ادراك توان كرد وهمين در مثنوى معنوى مذكورست * قرب بيچون نست جانرا بتو * قرب حق را چون بدانى اى عمو * قرب نى بالا وپستى رفتن است * قرب حق ازحبس هستى رستن است * در كشف الاسرار آورده كه قرب حق بحق آنست كه فرمود واسجد واقترب ودر احاديث قدسيه وارد است كه لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل واين قرب اول بايمانست وتصديق وآخر باحسانست وتحقيق يعنى مقام مشاهده كه أن تعبد الله كأنك تراه وقرب تعالى مر بنده را دو قسمست يكى كافة خلق را بعلم وقدرت كقوله وهو معكم اينما كنتم ديكر خواص دوكانرا بخصائص بر وشواهد لطف كه ونحن أقرب اليه اول اوراقربتى دهد غيبى تا از جهانش برهاند پس قرب بحد حقيقى تا از آب وكاش بازبرد از هستى موهوم بنده مى كاهد واز نيستى اصلى زياده ظهور ميكند تا چنانچه دراول خود بود درآخر خود باشد انجا علايق مرتفع كردد واسباب منقطع ورسوم باطل وحدود متلاشى واشارات متناهى وعبارات منتفى وخبر مضمحل وحق يكتا بخود باقى والله خير وأبقى

رأيت حبي بعين قلبي * فقال من أنت قلت أنتا
انا الذى جزت كل حد * بمحو أيني فأين انتا

موج بحر لمن الملك برايد ناگاه * غرقه كردند دران بحر چه درويش وچه شاه * خرمن هستئ موهوم چنان سوزاند * آتش عشق كه نه دانه بماند نه كاه * قال ابو يزيد البسطامى قدس سره انسلخت من نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فاذا انا هو اى ان من انسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها فلا يبقى فيه متسع لغير الله ولا يكون له هم سوى الله تعالى واذا لم يحل فى القلب الاجلال الله وجماله حتى صار مستغرقا يصير كأنه هو لا انه هو تحقيقا وفرق بين قولنا كأنه هو وبين قولنا هو هو ولكن قد يعبر بهو هو عن قولنا كأنه هو كما يقال زيد أسد فى مقام التشبيه مبالغة فى الشجاعة فان قلت ما معنى السلوك وما معنى الوصول قلت معنى السلوك هو تهذيب الاخلاق والاعمال والمعارف وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن والعبد فى جميع ذلك مشغول بنفسه عن ربه الا انه مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول وانما الوصول هو ان ينكشف له جلية الحق ويصير مستغرقا به فان نظر الى معرفته فلا يعرف الا الله وان نظر الى همه فلا هم له سواه فيكون كله مشغولا بكله مشاهدة وهما لا يلتفت فى ذلك الى نفسه ليعمر ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الاخلاق وكل ذلك طهارة وهى البداءة وانما النهاية ان ينسلخ عن نفسه بالكلية ويتجرد له فيكون كأنه هو وذلك هو الوصول كما فى شرح الاسماء الحسنى للامام الغزالى رحمه الله (اذ يتلقى المتلقيان) منصوب باذكر وهو اولى لبقاء قوله ونحن اخ على اطلاقه او بما فى أقرب من معنى الفعل والتلقى الاخذ والتلقن بالحفظ والكتابة والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شئ اخفى منه وهو أقرب الى الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن ويأخذ الحفيظان اى الملكان الموكلان بالانسان ما يتلفظ به وفيه اى على الوجه الثانى ايذان بأنه تعالى غنى عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما فى كتبهما وحفظهما الاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه بأحاطته تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة اللطف له فى الكف عن السيئات والرغبة فى الحسنات وعنه عليه السلام ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحيى من الله ولا منهما وقد يجوز أن يكون تلقى الملكين بيانا للقرب على معنى انا أقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به (عن اليمين) هو اشرف الجوارح وفيه القوة التامة (وعن الشمال) هو مقابل اليمين (قعيد) اى عن جانب اليمين قعيد اى مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما فى قوله والملائكة بعد ذلك ظهير (ما يلفظ من قول) ما يرمى به من فيه من خير او شر والقول اعم من الكلمة والكلام (الالديه) مگر نزديك او (رقيب) ملك رقيب قوله ذلك ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال (عتيد) اى معد مهيأ لكتابة ما أمر به من الخير او الشر فهو حاضر اينما كان وبالفارسية رقيب نگهبانى وديدبانى بود عتيد آماده فى الحال نويسد والافراد حيث لم يقل رقيبان عتيدان مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما ان كلا منهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى عتيد وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم فى الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شئ حتى أنينه فى مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر ووزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر قيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه ولذا كره الكلام فى الخلاء وعند قضاء الحاجة أشد كراهة لان الحفظة تتأذى بالحضور فى ذلك الموضع الكريه لاجل كتابة الكلام فان سلم عليه فى هذه الحالة قال الامام ابو حنيفة رحمه الله يرد السلام بقلبه لا بلسانه لئلا يلزم كتابة الملائكة فانهم لا يكتبون الامور القلبية وكذا يحمد الله بقلبه عند العطاس فى بيت الخلاء وكذا يكره الكلام عند الجماع وكذا الضحك فى هذه الحالة فلا بد من حفظ اللسان وفى الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه * ابلهى ازصرفهٔ زر مكينى * صرفهٔ گفتار كن ار مكينى * مصلحت نيست زبان زير كام * تيغ پسنديده بود در نيام * وفى الحديث ان ملائكة الليل وملائكة النهار يصلون معكم العصر فتصعد

ملائكة النهار وتمكث ملائكة الليل فاذا كان الفجر نزل ملائكة النهار ويصلون الصبح فتصعد ملائكة الليل وتمكث ملائكة النهار وما من حافظين يرفعان الى الله ما حفظا فيرى الله فى اول الصحيفة خيرا وفى آخرها خيرا الا قال للملائكة اشهدوا انى قد غفرت لعبدى ما بين طرفى الصحيفة كما فى كشف الاسرار وفى الحديث نظفوا لثاتكم جمع لثة بالكسر وفتح الثاء المخففة وهى اللحمة التى فوق الاسنان ودون الاسنان وهى منابتها والعمور اللحمة القليلة بين السنين واحدها عمر بفتح العين فامر بتنظيفها لئلا يبقى فيها وضر الطعام فتتغير منه النكهة وتتكر الرائحة وتتأذى الملكان لانه طريق القرءان ومقعد الملكين عند نابيه (وروى) فى الخبر فى قوله ما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد قال عند نابيه كما فى تفسير القرطبى فى سورة البقرة وفى الحديث نقوا براجمكم وهى مفاصل الاصابع والعقد التى على ظهرها يجتمع فيها من الوسخ واحدها برجمة بضمتى الباء والجيم وسكون الراء بينهما وهو ظهر عقدة كل مفصل فظهر العقدة يسمى برجمة وما بين العقدتين يسمى راجبة وجمعها رواجب وذلك مما يلى ظهرها وهو قصبة الاصابع فلكل اصبع برجمتان وثلاث رواجب الا الابهام فان له برجمة وراجبتين فأمر بتنقيته لئلا يدرن فيبقى فيه الجنابة ويحول الدرن بين الماء والبشرة والجنب لا تقربه ملائكة الرحمن الى ان يتطهر وعن مجاهد قال ابطأ جبريل عليه السلام على النبى عليه السلام ثم اتاه فقال له عليه السلام ما حبسك يا جبريل قال وكيف آتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ وما نتنزل الا بأمر ربك كما فى سفينة الابرار وفى الخبر النبوى قال عليه السلام نقوا افواهكم بالخلال فانها مجلس الملكين الكريمين الحافظين وان مدادهما الريق وقلمهما اللسان وليس عليهما شىء امر من بقايا الطعام بين الاسنان كما فى اسئلة الحكم قال الامام حجة الاسلام البس الله منع الجنب والمحدث عن الدخول الى بيته ومس كتابه فقال عز من قائل ولا جنبا الا عابرى سبيل وقال تعالى لا يمسه الا المطهرون مع انهما أثر مباح فكيف بمن هو منغمس فى قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة مع من يدعى الى خدمة الله العزيز وذكره الشريف وصحبته الطاهرة سبحانه كلا لا يكون ذلك ابدا كما فى الاسرار المحمدية اخوانى فكر القلب فى المباحات يحدث له ظلمة فكيف تدبير الحرام اذا غير المسك الماء منع الوضوء به فكيف بولوغ الكلب كما فى درياق الذنوب لابى الفرج ابن الجوزى وفى الحديث ان لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة الا كل من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فالصرف النافلة والعدل الفريضة كما فى الاحياء واطلاق الآية يدل على ان للكفار كتابا وحفظة فان قيل فالذى يكتب عن يمينه اذا اى شىء يكتب ولم يكن لهم حسنات يقال له الذى عن شمالهم يكتب باذن صاحبه ويكونون شاهدا على ذلك وان لم يكتب كما فى بستان العارفين وفائدة حضور صاحب اليمين احتمال الايمان وهو اللائح بالبال وفى الحديث ان الله تبارك وتعالى وكل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله فاذا مات قال الملكان اللذان وكلا به يكتبان عمله قد مات فلان فتأذن لنا فنصعد الى السماء فيقول الله تعالى سمائى مملوءة من ملائكتى يسبحون فيقولان فأين فيقول قوما على قبر عبدى فكبرانى وهللانى واكتبا ذلك لعبدى الى يوم القيامة قال بعض الكبار من اهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همتهم من يعمل فى قبورهم بغالب اعمالهم فى الدنيا ويكتب الله تعالى لعبده ثواب ذلك العمل الى آخر البرزخ كما وقع لثابت البنانى قدس سره فانهم وجدوا فى قبره شخصا على صورته يصلى فظنوا انه هو وانما هو مخلوق من همته وكذلك المثالات المتخيلة فى صور اهل البرازخ لاهل الدنيا فى النوم واليقظة فاذا رؤى مثال احدهم فهو اما ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولى واما مثال اقامه الله تعالى على صورته لتنفيذ ما شاء الله من حوائج الناس وغيرها فارواح الاولياء فى البرزخ ما لها خروج منه ابدا واما ارواح الانبياء عليهم السلام فانها مشرفة على وجود الدنيا والاخرة كما فى كتاب الجواهر للشعرانى ومن ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه ضرب بعض الصحابة خباءه على قبر وهو لا يشعر انه قبر فاذا فيه انسان يقرأ سورة الملك فأتى النبى عليه السلام وأخبره فقال عليه السلام هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر كما فى حل الرموز يقول الفقير بعض الآثار يدل على ان بعض الارواح يطوف فى الارض كالصديق والفاروق رضى الله عنهما كما اشار اليه قوله عليه السلام ان لى وزيرين فى الارض ابا بكر وعمر وايضا ان المهدى رضى الله عنه اذا خرج يستصحب اصحاب الكهف وروحانية شخصين من كل هذه الامة وايضا قد اشتهر فى الروايات خروج بعض الارواح من القبور فى بعض الايام والليالى والشهور باذن الملك الغفور الا ان يأول كل ذلك والعلم عند الله تعالى وفى التأويلات النجمية يشير الى ان من لم يعرف

قد قربى ايه ويكون بعيدا مني مخصاله الذميمة وقعه الرديئة ولم ارض بأن اكون رقيبه اوكل عليه رقيبين مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد يكتب تم حركاته ومداد ينه على صحيفة فابدنا ان كانت حركاته شرعية ونيته صافية تجيئ كتابته نورانية وان كانت حركاته طبيعية حيوانية ونيته هوائية شهوانية تجيئ كتابته ظلمانية نفسانية فمن هنا تبيض وجوه وتسود وجوه وفيه ايضا اشارة الى كمال عنايته في حق عباده اذ جعل على كل واحد رقيبين من الملائكة المقربين يحفظونه بالليل والنهار اذا كان قاعدا فواحد عن يمينه وواحد عن شماله واذا نام فواحد عن رأسه وواحد عن قدمه واذا كان ماشيا فواحد بين يديه وآخر خلفه ويقال هما اثنان بالليل لكل واحد واثنان بالنهار ويقال بل الذي يكتب الخيرات كل يوم آخران والذي يكتب الشرور ثابت كل يوم هو الذي كان بالامس ليكثر شهود الطاعة غدا وتقل شهود المعصية ويقال بل الذي يكتب المعصية كل يوم اثنان آخران لئلا يعلم من مساويك الا القليل منهم فيكون علم المعاصي متفرقا فيهم انتهى (وجاءت سكرة الموت بالحق) السكرة استعارة لشدة الموت وغمرته الذاهبة بالعقل انما لم يجعل الموت استعارة بالكناية ثم اثبات السكرة له تخييلا لان المقام أدعى للاستعارة التحقيقية وعبر عن وقوعها بالماضي ايذانا بتحققها وغاية اقترابها حتى كأنها قد أتت وحضرت كما قيل قد أتاكم الجيش اى قرب اتيانه والباء اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى حضرت سكرة الموت اى شدته التي تجعل الانسان كالسكران بحيث تغشاه وتغلب على عقله حقيقة الامر الذى نطق به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته واما للملابسة كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن اى ملتبسة بالحق اى بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقال بعضهم أتت وحضرت بأمر الله الذى هو حق (وحكى) ان رجلا أتى عمر رضي الله عنه فقال انى احب الفتنة واكره الحق وأشهد بما لم أره فحبسه عمر رضي الله عنه فبلغت قصته عليا رضي الله عنه فقال يا عمر حبسته ظلما فقال كيف ذلك قال لانه يحب المال والولد قال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة ويكره الموت وهو الحق قال تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ويشهد بأن الله واحد ولم يره فقال عمر لولا على لهلك عمر (ذلك) اى يقال للميت بلسان الحال وان لم يكن بلسان القال او تقول ملائكة ذلك الموت بالانسان (ما) موصولة اى الامر الذى (كنت) في الدنيا (منه) متعلق بقوله (تحيد) من حاد عنه يحيد حيدا اذا مال عنه اى تميل وتهرب منه وبالفارسية مى كريختى ومى ترسيدى وباور امكروه ميداشتى بن تحسب انه لا ينزل عليك بسبب محبتك الحياة الدنيا كما في قوله اولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال اى أقسمتم بألسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها او بألسنة الحال حيث بنيتم مشيدا وأملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة فكأنكم ظننتم انكم ما لكم من زوال مما أنتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية فالخطاب في الآية للانسان المتقدم على طريق الالتفات فان النفرة عن الموت شاملة لكل فرد من افراده طبعا ويعضده ما روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت اخذت ابا بكر غشية من الموت فبكيت عليه فقلت

من لا يزال دمعه مقنعا * لا بد يوما انه مهراق

فأفاق ابو بكر رضي الله عنه فقال بل جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وما روى انها قالت ان من نعم الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى في بيتى وبين سحرى ونحرى وان الله جمع بين ريقى وريقه عند موته ودخل عبد الرحمن بن ابى بكر رضي الله عنه على وبيده سواك وانا مسندة رسول الله فرأيته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك فقلت آخذه لك فأشار برأسه أن نعم فتناوله فاشتد عليه فقلت الينه لك فأشار برأسه ان نعم فلينته فأمره وبين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الاعلى حتى قبض ومالت يده * وجوز في الكشاف ان تكون الاشارة الى الحق والخطاب للفاجر وهذا هو الظاهر لان الكلام في الفجار قاله سعدى المفتى وفي الحديث القدسي (وما ترددت في شيء انا فاعله) بتشديد الدال يعنى ما ترددت ملائكتى الذين يقبضون الارواح (ما ترددت في قبض نفس عبدى المؤمن) اى مثل ترديدى اياهم في قبض ارواح المؤمنين بأن اقول اقبضوا روح فلان ثم اقول لهم أخروه وفي بعض النسخ ما ترددت ولما كان التردد وهو التحير بين الشيئين لعدم العلم بأن الاصلح ايهما محالا في حق الله تعالى حمل على منتهاه وهو التوقف يعنى ما توقفت فيما افعله مثل توقفى في قبض نفس المؤمن فانى اتوقف فيه واريه ما اعددت له من النعم والكرامات حتى يميل قلبه الى الموت شوقا الى اللقاء (يكره الموت) استئناف عمن قال ما سبب ترددك

أراد به شدة الموت لان الموت نفسه يوصل المؤمن الى لقاء الله فكيف يكرهه المؤمن (وانا اكره مساءته) اى اذاه بما يلحقه من صعوبة الموت وكربه (ولا بد منه) اى للعبد من الموت لانه مقدر لكل نفس كذا فى شرح المشارق لابن الملك قال فى كشف الاسرار هرچند كه حالت مرك بظاهر صعب مى نمايد لكن دوستانرا اندران حال درباطن همه عزونازباشد وازدوست هرلحسه راحتى ودر هرساعتى خلعتى آيد مصطفى عليه السلام ازينجا كفته (تحفة المؤمن الموت) هيچ صاحب صدق ازمرك نترسند حسين بن على رضى الله عنهما پدررا ديدكه بيك پيراهن حرب ميكرد كفت لبس هذا زى المحاربين على كف مايبالى ابوك اسقط على الموت ام سقط الموت عليه صدق زادسفر مرك است ومرك راه بقاست وبقا سبب لقاست من احب لقاء الله احب الله لقاءه عمار بن ياسر رضى الله عنه عمروى به نود سال رسيد نيزه دردست كرفتى ودستش مى لرزيدى مصطفى عليه السلام اورا كفته بودآخر قوت توازطعام دنيا شربتى شير باشد درحرب صفين عمار حاضر بود نيزه دردست كرفته وتشنكى بروى افتاده شربتى آب خواست قدحى شير بوى دادند يادش آمد حديث مصطفى كفا امروز روز دولت عمارست آن شربت بكشيد وپيش رفت وميكفت اليوم نلقى الاحبه محمدا وحزبه (وفى المثنوى) همچنين باد اجل باعارفان * نرم وخوش همچون نسيم يوسفان *آتش ابراهيم رادندان نزد *چون كزيده حق بود چونش كزد *پس رجال ازنقل عالم شادمان * وزبقايش شادمان اين كودكان * چونكه آب خوش نديد آن مرغ كور* پيش او كوثر نمايد آب شور * وعن صاحب المثنوى انه لما حضره الموت ورأى ملك الموت عند الباب قال * پيش تر آپيش تر جان من * پيك درحضرت سلطان من * قالوا ينزل عند الموت اربعة من الملائكة ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه اليسرى وملك يجذبها من يده اليمنى وملك يجذبها من يده اليسرى فيجذبونها من اطراف البنان ورؤس الاصابع ونفس المؤمن المطيع تنسل انسلال القطرة من السقاء واما الفاجر فينسل روحه كالسفود من الصوف المبلول وهو يظن ان بطنه قد ملئت شوكا وكأن نفسه تخرج من ثقب ابرة وكان السماء انطبقت على الارض وهو بينهما فان قلت مع وجود هذه السكرات لم لا يصيح المحتضر كما يصيح من به الم من الضرب وغيره قلت انما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته فى قلبه وفى لسانه وانما ينقطع صوت الميت وصياحه مع شدته لان الكرب قد بولغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه اعنى البدن فهد كل قوة واضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة قال وهب بن منبه بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يرى الملكين اللذين كانا يحفظان عمله فى الدنيا فان صحبهما بخير قالا جزاك الله خيرا فرب مجلس خير قد اجلستنا وعمل صالح قد احضرتنا وان كان رجل سوء قالا جزاك الله شرا فرب مجلس شر قد اجلستنا ورب كلام سوء قد اسمعتنا قال فذلك الذى يشخص بصر الميت ثم لا يرجع الى الدنيا ابدا (قال الشيخ سعدى) دريغست فرموده ديوزشت * كه دست ملك برتو خواهد نوشت * روادارى ازجهل وناپاكيت * كه پاكان نويسند ناپاكيت * وربما كشف للميت عن الامر الملكوتى قبل ان يغرغر فعاين الملائكة على حقيقة عمله اى على صور هى حقائق اعماله فان كانت اعماله حسنة راهم على صورة حسنة وان كانت سيئة فعلى صور قبيحة ثم مراتب الحسن والقبح متفاوتة بحسب حسن الاعمال وقبحها وبحسب انواعها فالملائكة لا يراهم البشر على ما يتحيزون اليه من عالمهم الا ما كان من النبى عليه السلام من رؤية جبريل مرتين على صورته الاصلية وفى التأويلات النجمية اذا اشرف الناس على الخروج من الدنيا فأحوالهم تختلف فمنهم من يزداد فى ذلك الوقت خوفه ولا يتبين حاله الا عند ذهاب الروح ومنهم من يكاشف قبل خروجه فيسكن روعه ويحفظ عليه قلبه ويتم له حضوره وتمييزه فيسلم الروح على مهل من غير استكراه وعبوس ومنهم وفى معناه يقول بعضهم

أنا ان مت فالهوى حشو قلبى * وابتداء الهوى يموت الكرام

قال بعض الكبار ان السيد عبد القادر الجيلى قدس سره لما حضرته الوفاة وضع خده على الارض وقال هذا هو الحق الذى كنا عنه فى حجاب فشهد على نفسه بان مقام الادلال الذى كان فيه نقص بالنسبة الى حاله الذى ظهر له عند الموت وتمم الله حاله عند الموت ومات على الكمال وعكس هذا ما حكى ان مولانا حميد الدين اخذه اضطراب عظيم فى مرض موته فقيل له اين علومك ومعارفك فقال يطلبون منا القلب واحوال القلب وذلك غير موجود عندنا فالاضطراب من تلك الجهة (وروى) لبعضهم كلمات عالية ثم رؤى حاله الرحلة فى غاية

التشوش وقد ذهب عنه التحقيقات وذلك لان لامر الحاصل بالتكلف لايستقر حال المرض والهرم وكيف حال مفارقة الروح فلهذا انتقل البعض فى مقام القبض والهيبة وقد روى ان بعضهم ضحك عند الموت وقال لمثل هذا فليعمل العاملون وبعضهم بكى وقال ماهذا نسى طول عمرنا واراد تجلى الله تعالى عند ذلك فاذا كان حال ارباب الاحوال هكذا فما ظنك باحوال غيرهم وقد قالوا ان سكرات الموت بحسب الاعمال والاحوال وقد تظهر صفات حسنها وقبحها عند الموت فالمغتاب تترض شفاهه بمقاريض من نار والسامع الغيبة يسلك فى اذنيه نار جهنم وآكل الحرام يقدم له الزقوم كذلك الى آخر اعمال العبد كل ذلك يظهر عند سكرات الموت فالميت يجوزها سكرة بعد سكرة فعند آخرها يقبض روحه وكان عليه السلام يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت وانما الابتلاء كثرالناس من الموت ومن اهواله وسكراته لما غلب عليهم من الجهل فان الابتلاء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء والاولياء من الموت

يامن بدنياه اشتغل * وغره طول الأمل
الموت يأتى بغتة * والقبر صندوق العمل

(قال الحافظ) سپهر برشده پرويز نيست خون افشان * كه ريزه اش سر كسرى وتاج پرويزست * بدان اى جوانمرد كه زعهد آدم تافناى عالم كس ازمرك نرست تونيز نخواهى رست الموت كاس وكل الناس شاربه * خانه پر كندم ويك جو نفر ستاده بكور * غم مركت چو غم برك زمستانى نيست (ونفخ فى الصور) هى النفخة الثانية وهى نفخة البعث والنشور والنافخ اسرافيل عليه السلام وقد سبق الكلام فى الصور (ذلك) اى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف (يوم الوعيد) اى يوم انجاز الوعيد الواقع فى الدنيا وتحقيقه والوعيد التهديد اويوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا لتهويله ولذا بدئ ببيان حال الكفرة (وجاءت) ومى آيد دران روز بعرصهٔ محشر (كل نفس) من النفوس البرة والفاجرة (معها) الخ محله النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس (سائق وشهيد) وان اختلف كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا اى معها ملكان احدهما يسوق الى المحشر والآخر يشهد بعملها خيرا اوشرا وفى كشف الاسرار يسوق الكافر سائقه الى النار ويشهد الشهيد عليه بمعصيته ويسوق السائق المؤمن الى الجنة ويشهد الشهيد له بطاعته انتهى وهل الملكان الكاتبان فى الدنيا هما اللذان ذكرهما الله فى قوله سائق وشهيد اوغيرهما فيه خلاف كما فى فتح الرحمن اومعها ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد لها اوعليها وقال الواسطى سائقها الحق وشهيدها الحق اى بالنظر الى الحقيقة فى الدنيا والآخرة (لقد كنت فى غفلة من هذا) الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقيقة الامور وفى المفردات سهو يعترى من قلة التحفظ والتيقظ والمعنى يقال له يوم القيامة اووقت النشور اووقت العرض لقد كنت ايها الشخص فى الدنيا فى غفلة من هذا اليوم وغوائله وفى فتح الرحمن من هذا النازل بك اليوم وقال ابن عباس رضى الله عنهما من عاقبة الكفر وفى عين المعانى اى من السائق والشهيد وخطاب الكل بذلك لما انه مامن احد الاوله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس وكذا الخطابات الآتية (فكشفنا) اى ازلنا ورفعنا (عنك غطاءك) الذى كان على بصرك والغطاء الحجاب المغطى لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها قال فى المفردات الغطاء ما يجعل فوق الشئ من لباس ونحوه كما ان الغشاء كذلك وقد استعير للجهالة قال تعالى فكشفنا الآية يعنى برداشتيم ازديدهٔ تو پوشش جهل وغفلت تاهرچه شنوده بودى معاينه بينى وحقيقت آن ادراك ميكنى وفى الكواشى اوالغطاء القبر اى اخرجناك منه (فبصرك اليوم حديد) اى نافذ وبانفار سية تيزست تبصر ما كنت تنكره وتستبعده فى الدنيا لزوال المانع للابصار ولكن لاينفعك وهذا كقوله أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا يقال حددت السكين رققت حدها ثم يقال لكل حاذق فى نفسه من حيث الخلقة اومن حيث المعنى كالبصر والبصيرة حديد فيقال هو حديد النظر وحديد الفهم ويقال لسان حديد نحو لسان صارم وماض وذلك اذا كان يؤثر تأثير الحديد وفى الآية اشارة الى ان الانسان وان خلق من عالمى الغيب والشهادة فالغالب عليه فى البداية الشهادة

وهى العالم الحسى فيرى بالحواس الظاهرة العالم المحسوس مع اختلاف اجناسه وهو بمعزل عن ادراك عالم الغيب فمن الناس من يكشف الله غطاءه عن بصر بصيرته فيجعل بصره حديدا يبصر رشده ويحذر شره وهم المؤمنون من اهل السعادة ومنهم من يكشفه الله عن بصر بصيرته يوم القيامة يوم لا ينفع نفسا ايمانها وهم الكفار من اهل الشقاوة * كرت رفت ازاندازه بيرون بدى * چو كفتى كه بد رفت نيك آمدى * فراشو چو بينى در صلح باز * كه ناكه در توبه كردد فراز * كنون باخرد بايد انباز كشت * كه فردا نماند ره بازكشت * ومن كلمات امير المؤمنين على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ماازددت يقينا * حال خلد وجحيم دانستم * بيقين آنچنانكه مى بايد * كر حجاب ازميانه بركيرند * آن يقين ذرة نيفزايد * يعنى ان عين اليقين الحاصل لاهل الحجاب فى الآخرة حاصل لاهل الكشف فى الدنيا فانهم ترقوا من علم اليقين الى عين اليقين فى هذه الدار فطابوا وقتا فكأنهم فى الجنان فى الحال وكل يوم لهم يوم المزيد وفيه اشارة الى سر عظيم وهو ان اهل النار يزول عن أبصارهم الحجب المانعة عن اليقين والعيان وذلك بعد احتراق ظواهرهم وبواطنهم احقابا كثيرة فيرون اذ ذاك من آثار الجمال ماراه العارفون فى هذه الدار فحينئذ لا يبقى للعذاب خطر اذ الاحتراق على الشهود سهل الا ترى الى النسوة اللاتى قطعن ايديهن كيف لم يكن لهن حس بالقطع على شهود يوسف ولكن ليس لاهل النار نعيم كأكل وشرب ونكاح فاعرف (وقال قرينه) وكويد همنشين او يعنى الشيطان المقيض له مشيرا اليه (هذا مالدى عتيد) اى هذا ماعندى وفى ملكتى ومقدورى عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائى واضلالى وقيل قال الملك الموكل به يعنى الرقيب الذى سبق ذكره مشيرا الى ماهو من كتاب عمله هذا مكتوب عندى عتيد مهيأ للعرض فان كان العبد من اهل الايمان والجنة احضر كتاب حسناته لان سيئاته قد كفرت وان كان من اهل الكفر والنار احضر كتاب سيئاته لان حسناته حبطت بكفره وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهى بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدأ محذوف فعلى العاقل ان لا يطيع الشيطان ولا يلتفت الى اغوائه فى كل زمان ومكان فانه يدعو الى النار وقهر الجبار (روى) ان النبى عليه السلام سار ليلة المعراج فرأى عجوزا على جنب الطريق فقال ماهذه ياجبريل فقال سر يامحمد فسار ماشاء الله فاذا بشئ يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يامحمد وانه عليه السلام مر بجماعة فسلموا عليه وقالوا السلام عليك يااول السلام عليك ياآخر فقال جبريل اردد عليهم السلام فرد ثم قال جبريل اما العجوز فالدنيا ولم يبق من الدنيا الا مابقى من عمر تلك العجوز اما لو أجبتها لاخترت أمتك الدنيا على الآخرة واما الذى دعاك فابليس واما الذين سلموا عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام قال بعض العارفين خلق الله ابليس ليميز به العدو من الحبيب والشقى من السعيد فخلق الله الانبياء ليقتدى بهم السعداء وخلق ابليس ليقتدى به الاشقياء ويظهر الفرق بينهما فابليس دلال وسمسار على النار والخلاف واضاعته الدنيا ولما عرضها على الكافرين قيل ماثمنها قال ترك الدين فاشتروها بالدين وتركها الزاهدون واعرضوا عنها والراغبون فيها لم يجدوا فى قلوبهم ترك الدين ولا ترك الدنيا فقالوا له اعطنا مذاقة منها حتى ننظر ماهى فقال ابليس اعطونى رهنا فأعطوه سمعهم وابصارهم ولذا يحب ارباب الدنيا استماع اخبارها ومشاهدة زينتها لان سمعهم وابصارهم رهن عند ابليس فأعطاهم المذاقة بعد قبض الرهن فاستمعوا من الزهاد عيب الدنيا ولم يبصروا قبائحها بل استحسنوا زخارفها ومتاعها فلذلك قيل حبك الشئ يعمى ويصم وقال بعضهم خلق الله ابليس ليكون المؤمن فى كنف رعاية المولى وحفظه لانه لولا الذئب لم يكن للغنم راع وخلق الله ابليس من ظلمة وخبث وطبعه على العداوة نسأل الله الحفظ والعصمة منه (القيا فى جهنم) خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار او لواحد وهو الملك الجامع للوصفين او خازن النار على تنزيل تثنية الفاعل تثنية الفعل وتكريره للتأكيد كأنه قيل الق الق حذف الفعل الثانى ثم اتى بفاعله وفاعل الفعل الاول على صورة ضمير الاثنين متصلا بالفعل الاول اوعلى ان الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة مثل لنسفعن فانه اذا وقف على النون تنقلب الفا فتكتب بالالف على الوقف ووجه آخر هو ان العرب اكثر مايرافق الرجل منهم اثنان يعنى ادنى الاعوان فى السفر اثنان فكثر فى السنتهم ان يقولوا خليلى وصاحبى وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين

كما قال امرؤ القيس

خليلى مرابى على ام جندب * لتقضى حاجات الفؤاد المعذب

ألم تر أنى كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

ثنى فى البيت الاول ووحد فى البيت الثانى (كل كفار) كل مبالغ فى الكفر بالمنعم والنعم جاحد بالتوحيد معرض عن الايمان وقيل كل كافر حامل غيره على الكفر (عنيد) معاند للحق يعرف الحق فيجحده والعناد اقبح الكفر وقال قتادة منحرف عن الطاعة وقال السدى مشتق من العند وهو عظم يعترض فى الحلق او معجب بما عنده كأنه من قولهم عندى كذا كما فى عين المعانى وقال فى المفردات العنيد المعجب بما عنده والمعاند المتباهى بما عنده والعنود الذى يبعد عن القصد اى يميل عن الحق ويرده عارفا به (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة زكاة او غيرها اذ طبع على الشر والامساك ان الكافر طبع على الكفر والعنيد طبع على العناد اومناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم والمنع ضد العطية يقال رجل مانع ومناع اى بخيل وقد يقال فى الحماية ومنه مكان منيع وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى اخيه منه وكان يقول من دخل منكم فيه لم أنفعه بخير ما عشت (معتد) الاعتداء مجاوزة الحق اى ظالم متخط للحق معاد لاهله (مريب) شاك فى الله وفى دينه فهو صيغة نسبة بمعنى ذى شك وريب اى موقع فى الريبة وقيل متهم (الذى جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره قوله (فالقياه فى العذاب الشديد) او بدل من كل كفار وقوله فالقياه تكرير للتوكيد والفاء للاشعار بأن الالقاء للصفات المذكورة وفى الحديث بينما الناس ينتظرون الحساب اذ بعث الله عنقا من النار يتكلم فيقول امرت بثلاثة بمن دعا مع الله الها آخر بمن قتل بغير حق وبجبار عنيد فيلقطهم من الناس كما يلقط الطير الحب ثم يصيرهم فى نار جهنم وفى تفسير الفاتحة للفنارى يخرج عنق من النار اى قبل الحساب والناس وقوف قد ألجمهم العرق واشتد الخوف وتصدعت القلوب لهول المطلع فاذا اشرف على الخلائق له عينان ولسان فصيح يقول يا اهل الموقف انى وكلت منكم بثلاثة وذلك ثلاث مرات انى وكلت بكل جبار عنيد فيلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطائر حب السمسم فاذا لم يترك احدا منهم فى الموقف نادى نداء ثانيا يا اهل الموقف انى وكلت بمن اذى الله ورسوله فيلقطهم كما يلقط الطائر حب السمسم بين الخلائق فاذا لم يترك منهم احدا نادى ثالثا يا اهل الموقف انى وكلت بمن ذهب يخلق كخلق الله فيلقط اهل التصاوير وهم الذين يصورون الكنائس لتعبد تلك الصور والذين يصورون الاصنام وهو قوله أتعبدون ما تنحتون وكانوا ينحتون لهم الاخشاب والاحجار ليعبدوها من دون الله فيلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطائر حب السمسم فاذا اخذهم الله عن آخرهم وبقى الناس وفيهم المصورون الذين لا يقصدون بتصويرهم عبادتها حتى يسألوا عنها لينفخوا فيها ارواحا تحيى بها وليسوا بنافخين كما ورد فى الخبر فى المصورين فيقفون ماشاء الله ينتظرون ما يفعل الله بهم والعرق قد ألجمهم وفى الآية اشارة الى الهوى والدنيا فمن عبدهما وجعلهما الهين آخرين مع الله عذب بطلب الدنيا بالحرص والغفلة (قال العطار قدس سره) چشم كرسنه سير زنعمت نمى شود * غربال راز كثرت حاصل چه فائده (قال قرينه) بغير واو لان الاول خطاب للانسان من قرينه ومتصل بكلامه والثانى استئناف خاطب الله سبحانه من غير اتصال بالمخاطب وهو قوله ربنا ما أطغيته وكذلك الجواب بغير واو وهو قال لا تختصموا لدى وكذلك ما يبدل القول لدى فجاء الكل على نسق واحد كما فى برهان القرآن اى قال الشيطان المقيض للكافر (قال الكاشفى) چون خواهند كه كافررا دردوزخ افكنند كويد مرا چه كناهست كه ديو برمن مسلط بود ومرا اكراه كردانيد ديورا حاضر سازند تكذيب ميكند ودل على هذا التقاول والسؤال المحذوف قوله لا تختصموا (ربنا) اى پروردكارما (ما أطغيته) اى ما جعلته طاغيا وما اوقعته فى الطغيان وهو تجاوز الحد فى العصيان (ولكن كان) هو بالذات (فى ضلال بعيد) من الحق طويل لا يرجع عنه فأعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما فى قوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وذلك فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأى مائلا الى الفجور ضالا عن طريق الحق واقعا دونه بمراحل وفى الحديث انما انا رسول وليس الى من الهداية شئ ولو كانت الهداية الى لآمن كل

من فى الارض وانما ابليس مزين وليس له من الضلالة شئ ولو كانت الضلالة اليه لاضل كل من فى الارض ولكن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء (قال) كأنه قيل فماذا قال الله لابن آدم وشيطانه المقيض له فى الدنيا فقيل قال تعالى (لاتختصموا لدى) اى فى موقف الحساب والجزاء اذلافائدة فى ذلك قال بعضهم هذا الخطاب فى الكفار واما قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ففى المؤمنين فى الظالم فيما بينهم لان الاختصام فى الظالم مسموع وهذا فى الموقف واما قوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار ففى جهنم فظهر التوفيق بين الآيات (وقد قدمت اليكم بالوعيد) على الطغيان فى دار الكسب والتكليف فى كتبى والسنة رسلى فما تركت لكم حجة علىّ فلا تطمعوا فى الخلاص منه بما انتم فيه من التعالى بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهى على معنى لاتختصموا وقد صح عندكم وعلمتم انى قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام فى هذا الوقت وانما قدر المعنى هكذا ليصح جعله حالا فان مقارنة الحال لذيها فى الزمان واجبة ولا مقارنة بين تقديم الوعيد فى الدنيا والاختصام فى الآخرة والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم (مايبدل القول لدى) اى لايغير قولى فى الوعد والوعيد فمايظهر فى الوقت هو الذى قضيته فى الازل لامبدل له والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد يعنى ولا مخصص فى حق الكفار فالوعيد على عمومه فى حقهم قال الجلال الدوانى فى شرح العضد ذهب بعض العلماء الى ان الخلف فى الوعيد جائز على الله تعالى لافى الوعد وبهذا وردت السنة حيث قال عليه السلام من وعد لاحد على عمله ثوابا فهو منجزله ومن اوعده على عمله عقابا فهو بالخيار والعرب لاتعد عيبا ولاخلفا ان يعد شرا ثم لايفعله بل ترى ذلك كرما وفضلا وانما الخلف ان يعد خيرا ثم لايفعله كما قال

وانى اذا أوعدته اووعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

واحسن يحيى بن معاذ رضى الله عنه فى هذا المعنى حيث قال الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم اذا فعلوا ذلك ان يعطيهم كذا ومن اولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد قال لاتفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فان شاء عفا وان شاء اخذ لانه حقه واولاهما العفو والكرم لانه غفور رحيم فالله تعالى لايغفران يشرك به فينجز وعيده فى حق المشركين ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فيجوزان يخلف وعيده فى حق المؤمنين ولاهل الحقائق كلام آخر مذكور فى محله عافانا الله واياكم من بلائه (وماأنا بظلام للعبيد) اى وماأنا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ماتقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة مايستحيل صدوره عنه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بأبراز ماذكر من التعذيب بغير ذنب فى معرض المبالغة فى الظلم وقيل هى لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما كيفا وقال بعضهم يفهم من ظاهر العبارة جواز الظلم المحال منه تعالى اذا النفى مسلط على القيد الذى هو الظلامية والجواب على مااختاره كثير من المحققين ان المبالغة مسلطة على النفى لاعلى القيد كما فى قوله ماانا بكذوب يعنى ان اصله ليس بظالم ثم نقل مع نفيه الى صيغة المبالغة فكانت المبالغة راجعة الى النفى على معنى ان الظلم منفى عنه نفيا مؤكدا مضاعفا ولوجعل النفى داخلا على صيغة المبالغة بأن ضعف ظالم بدون نفيه ثم ادخل عليه النفى لكان المعنى ان ضعف الظلم منفى عنه تعالى ولايلزم منه نفى اصله والله تعالى منزه عن الظلم مطلقا يقول الله تعالى انى حرمت الظلم على نفسى وحرمته على عبادى فلا تظالموا ويقول الله تعالى اشتد غضبى على من ظلم من لايجد ناصرا غيرى وعن بعض السلف دعوتان ارجو احداهما كما اخشى الاخرى دعوة مظلوم أعنته ودعوة ضعيف ظلمته وكان من ديدن السلطان بسمرقند الامتحان بنفسه مرات لطلبة مدرسته المرتبين أعالى وأواسط وادانى بعد تعيين جماعة كثيرة من العدول غير المدرس للامتحان من الأفاضل حذرا من الحيف وكان يعد الحيف فى الرتبة بين المستعدين من قبيل الكفر فى الدين (قال الشيخ سعدى چو خواهى كه فردا برى مهترى * مكن دشمن خويشتن كهترى * كه چون بگذرد برتو اين سلطنت * بگيرد بقهر آن گدادا منت * وفى الآية اشارة الى ان الله تعالى قال هؤلاء فى الجنة ولا ابالى وهؤلاء فى النار ولا ابالى

فلا يبدل قوله تعالى فلا بد للجنة من اهلها وللنار من اهلها ولو عكس وجعل اهل الجنة فى النار واهل النار فى الجنة لكان مخالفا للحكمة لان الجنة دار الجمال فهى مقر للمؤمنين والنار دار الجلال فهى مقر للكافرين كما ان القلب مقر الاوصاف الحميدة والنفس مقر الاوصاف الذميمة ولذا لا يدخل اهل النفس جنة القلب لان النور والظلمة لا يجتمعان فاعرف (يوم) اى اذكر يا محمد لقومك ويشمل كل من شأنه الذكر يوم (تقول) بسالنا من العظمة (لجهنم) دار العذاب وسجن الله للعصاة (هل امتلأت) بمن ألقى فيك وهل اوفيتك ماوعدتك وهو قوله لأملأن جهنم وقوله لكل واحدة منكما ملؤها فهذا السؤال من الله لتصديق خبره وتحقيق وعده والتقريع لاهل عذابه والتنبيه لجميع عباده (وتقول) جهنم مجيبة بالاستفهام تأدبا وليكون الجواب وفق السؤال (هل من مزيد) اى من زيادة من الجن والانس فيكون مصدرا كالمحيد اومن يزاد فيكون مفعولا كالمبيع ويجوزان يكون يوم ظرفا لمقدر مؤخر اى يكون من الاحوال والاهوال مايقصر عنه المقال واختلف الناس فى ان الخطاب والجواب هل هما على الحقيقة اولا فقال بعضهم هما على الحقيقة فينطقها الله بذلك كما ينطق الجوارح وهو المختار فان الله على كل شئ قدير وامور الاخرة كلها اوجلها على خلاف ماتعورف فى الدنيا وقد دلت الاحاديث على تحقق الحقيقة فلا وجه للعدول الى المجاز كما روى من زفرتها وهجومها على الناس يوم الحشر وجرها الملائكة بالسلاسل وقولها جزيا مؤمن فان نورك اطفأ لهبى ونحو ذلك عما يدل على حياتها الحقيقية وادراكها فان مطلق الجمادات لها تلك الحياة فى الحقيقة فكيف بالدارين المشتملين على الشؤون العجيبة والافعال الغريبة وان الدار الاخرة لهى الحيوان وقال بعضهم سؤال وجواب جىء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها يعنى ان المقصود تصوير المعنى فى القلب وتبيينه فهى بحيث لوقيل لها ذلك وهى ناطقة لقالت ذلك وايضا دلت بحالها على النطق كقولهم

امتلاء الحوض وقال قطنى * مهلا رويدا قد ملأت بطنى

يعنى انها مع اتساعها وتباعد اطرافها واقطارها يطرح فيها الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ بهم وتصير بحيث لايسعها شئ ولا يزاد فيها فالاستفهام على معنى التقرير ونفى المزيد اى وهل عندى موضع يزاد فيه شئ اى قد امتلأت وحصل فى موعودك وصرت بحيث لا أسع ابرة وبالفارسية لامزيد برشدم وزيادتى را كنجايش نيست فالمعنى المثل هو الامتلاء وهو كقوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين فانه سؤال تقرير لاسؤال استفهام وكقوله عليه السلام يوم فتح مكة هل بقى لنا عقيل دارا اى ما بقى لنا دارا ويجوزان يكون المعنى انها لغيظها على الكفار والعصاة كأنها تطلب زيادتهم وتستكثرهم ويجوزان يكون السؤال استدعاء للزيادة فى الحقيقة لان مايلقى فيها كالحلقة تلقى فى اليم يعنى زيادتى كن وحق تعالى ديكر كافر بوى فرستد تا پرشود ويجوزان يكون المعنى انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ وموضع زيادة فان قلت هذا يخالف قوله تعالى لاملأن جهنم قلت وردفى الحديث لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فيزوى بعضها الى بعض يعنى فيحصل الامتلاء وبه تندفع المخالفة * اين قدم حق را بود كورا كشد * غير حق راكه كمان او كشد * وفى رواية حتى يضع فيها رب العزة ورب العرش قدمه فتقول قط قط اى حسبى حسبى وعزتك * قوله ويزوى بالزاى المعجمة على بناء المجهول اى يضم ويجمع من غاية الامتلاء وآخر الحديث ولايزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة كما فى كشف الاسرار وفى رواية ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فمالى لايدخلنى الاضعفاء الناس وسقطهم فقال الله تعالى للجنة انما أنت رحمتى ارحم بك من اشاء من عبادى وقال للنار انما أنت عذابى أعذب بك من اشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فانهم يلقون فيها وتقول هل من مزيد فلا تمتلئ حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض ولايظلم الله من خلقه احدا واما الجنة فينشئ الله لها خلقا * وفى القاموس حتى يضع رب العزة فيها قدمه اى الذين قدمهم من الاشرار فهم قدم الله للنار كما ان الاخيار قدمه الى الجنة او وضع القدم مثل للردع والقمع اى يأتيها امر يكفها عن طلب المزيد انتهى كما قال فى بحر العلوم وضع القدم على الشئ مثل للردع والكف وقال بعضهم يضربها من جبروته بسوط اهانة

ويستمرون بين دولتي الحر والزمهرير وعامة عذاب ابليس بالزمهرير لانه يناقض ماهو الغالب عليه في اصل خلقته وقال ابن ملك وضعها كناية عن دقها وتسكين سورتها كما تقول وضعت رجلي على فلان اذا قهرته وفي الكواشي قدمه اي ماقدمه في قوله سبقت رحمتي على غضبي اي يضع رحمته انتهى او المراد من القدم قوم مسمى بهذا الاسم وايضا المراد بالرجل جماعة من الناس وهو وان كان موضوعا لجماعة كثيرة من الجراد لكن استعارته لجماعة من الناس غير بعيدة ومنهم من يقول المراد به قدم بعض مخلوقاته اضافها الى الله تعظيما كما قال فنفخنا فيه من روحنا وكان النافخ جبريل وفي عين المعاني القدم جمع قديم كأديم وأدم اي على كل ماتقدم اوقوم قدمهم الى النار ويروى قدمه بكسر القاف اي قوما قدموا بني آدم في الدنيا وروى رجلي وهو الجماعة من الناس وقيل قدمه اهل قدمه الذين لهم قدم صدق عند ربهم يعني العاصين من اهل التوحيد انتهى ومنهم من قال القدم اسم لقوم يخلقهم الله لجهنم قال القاضي عياض هذا اظهر التأويلات لعل وجهه ان اماكن أهل الجنة تبقى خالية في جهنم ولم ينقل ان أهلها يرثون تلك الاماكن ويقال لهم ان الله يختص بنقمته من يشاء كما يرث اهل الجنة اماكن اهل النار في الجنة غير جنة اعمالهم ويقال لهم ان الله يختص برحمته من يشاء وهذا من نتائج قوله تعالى سبقت رحمتي على غضبي فيخلق الله خلقا على مزاج لو دخلوا به الجنة لعذبوا فيضعهم فيها فان قلت اذا الام مزاجهم النار فأنى يتصور التعذيب قلنا الموعود ملؤها لاتعذيب كل من فيها وقال بعض الاكابر ليس في النار دركات اختصاص الهي ولا عذاب اختصاص الهي من الله فان الله ماعرفنا قط انه اختص بنقمته من يشاء كما اخبرنا انه يختص برحمته من يشاء فأهل النار معذبون بأعمالهم لاغير واهل الجنة ينعمون بأعمالهم وبغير اعمالهم في جنات الاختصاص فلأهل السعادة ثلاث جنات جنة الاعمال كما لأهل الشقاوة جحيم الاعمال ولهم خاصة جنات الاختصاص وجنات الميراث وهي التي كانت لأهل النار لو دخلوا الجنة كما قال تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وذلك انه مامن شخص من الجن والانس الا وله في الجنة موضع وفي النار موضع وذلك لامكانه الاصلي فانه قبل كونه يمكن ان يكون له البقاء في العدم او يوجد فمن هذه الحقيقة له قبول النعمة وقبول العذاب قال تعالى ولوشاء لهداكم اجمعين اي أنتم قابلون لذلك ولكن حقت الكلمة وسبق العلم ونفذت المشيئة فلاراد لامره ولامعقب لحكمه ولم يقل في اهل النار انهم يرثون من النار أماكن اهل الجنة لو دخلوا النار وهذا من سبق الرحمة بعموم فضله سبحانه فانزل من نزل في النار الا بأعمالهم ولهذا يبقى فيها اماكن خالية وهي الاماكن التي لو دخلها اهل الجنة عمروها فيخلق الله خلقا يعمرونها على مزاج لو دخلوا به الجنة لعذبوا وهو قوله عليه السلام فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط اي حسبي حسبي فانه تعالى يقول لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد وقد قال للجنة والنار لكل واحدة منكما ملؤها فما اشترط لهما الا ان يملأهما خلقا وما اشترط عذاب من يملؤهما بهم ولا نعيمهم وان الجنة اوسع من النار بلاشك فان عرضها السموات والارض فما ظنك بطولها فهي للنار كمحيط الدائرة والنار عرضها قدر الخط الذي يميز قطري دائرة فلك الكواكب الثابتة فاين هذا الضيق من تلك السعة وسبب هذا الاتساع جنات الاختصاص الالهي فورد في الخبر انه يبقى ايضا في الجنة أماكن مافيها أحد فيخلق الله خلقا للنعيم يعمرها بهم وهو ان يضع الرحمن فيها قدمه اي آخر وجود يعطيه وليس ذلك الا في جنات الاختصاص فالحكم لله العلي الكبير فمن كرمه انه ماأنزل اهل النار الا على اعمالهم خاصة واما قوله تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب فذلك لطائفة مخصوصة هم الائمة المضلون ثم لابد لاهل النار من فضله ورحمته في نفس النار بعد انقضاء مدة موازنة ازمان العمل فيفقدون الاحساس بالآلام في نفس النار فتخدر جوارحهم بأزالة الروح الحساس منها اذ ليسوا بخارجين منها فلا يموتون فيها ولا يحيون ثم طائفة يعطيهم الله بعد انقضاء موازنة المدد بين العذاب والعمل نعيما خياليا مثل مايراه النائم ونضج جلودهم خدرها فزمان النضج والتبديل يفقدون الآلام لخمود النار في حقهم فيكونون في النار كالامة التي دخلتها وليست من أهلها فأماتهم الله فيها اماتة فلا يحسون بما تفعله النار في ابدانهم الحديث بكماله ذكره مسلم في صحيحه وهذا من فضل الله ورحمته يقول الفقير للانسان الكامل قدمان قدم الجلال وقدم الجمال وبالاولى تمتلئ جهنم وبالثانية تمتلئ الجنة وبيان ذلك ان جهنم مقام أهل الطبيعة والنفس يعني انها مظهر قدم الجلال والجنة مقام أهل الروح والسر

يعنى انها مظهر قدم الجمال والاعراف مقام اهل القلب لمناسبة بين الاعراف والقلب من حيث انه مقام
بين الجنة والنار كما ان القلب برزخ بين الطبيعة والنفس وبين الروح والسر وللانسان الكامل نشأة جنانية
روحانية ونشأة دنيوية جسمانية فهو لا يدخل الجنة الا بمرتبة الروح والسر فتبقى صورته الطبيعية والنفسية
المتعلقة بنشأته العنصرية فيملأ الله سبحانه جهنم بهذه البقية يعنى يظهر مظاهر جلاليه من تلك البقية
فيملأها بها حتى تقول قطقط فما دام لم يظهر هذا التجلى من الانسان الكامل لا تزال جهنم تقول هل من مزيد
وهو المراد بقدم الجبار كذا فى الحديث واليه اشار الشيخ الكبير رضى الله عنه فى الفكوك بقوله واخبرت
من جانب الحق ان القدم الموضوع فى جهنم هو الباقى فى هذا العالم من صور الكمل مما لا يصحبهم فى النشأة
الجنانية وكنى عن ذلك الباقى بالقدم لمناسبة شريفة لطيفة فان القدم من الانسان آخر اعضائه صورة فكذلك
نفس صورته العنصرية آخر اعضاء مطلق الصورة الانسانية لان صور العالم باجمعها كالاعضاء لمطلق صورة
الحقيقة الانسانية وهذه النشأة آخر صورة ظهرت منها الحقيقة الانسانية وبهذا قامت الصور كلها التى قلت انها
كالاعضاء انتهى وقال ايضا ان الجنة لا تسع انسانا كاملا وانما منه فى الجنة ما يناسب الجنة وفى كل عالم ما يناسب
ذلك العالم وما يستدعيه ذلك العالم من الحق من حيث ما فى ذلك العالم من الانسان بل اقول ولو خلت جهنم منه
لم تبق وبه امتلأت واليه الاشارة بقدم الجبار المذكور فى الحديث انتهى ايضا وقال الشيخ روزبهان البقلى
فى عرائس البيان ان جهنم لتشتاق الى الله كما تشتاق اليه الجنة فاذا رأى سبحانه حالها من الشوق اليه يضع
اثقال سطوات قهر القدم عليها بنعت التجلى فتملأ من العظمة وتصير عند عظمة الله كلا شئ ورب طيب
فى قلوب الجهنميين فى تلك الساعة من رؤية جلال عظمته ومن رؤية انوار قدم القدم فتصير نيرانها وردا وريحانا
من تأثير بركة ظهوره لها انتهى وفى الآية اشارة الى ان جهنم صورة النفس الانسانية فكما ان النفس لا يشبعها
شئ وهى فى طلب المزيد مطلقا فكذا صورتها دار العذاب تطلب المزيد فهما على نسق واحد كاللفظ والمعنى
يعنى ان النفس الانسانية حريصة على الدنيا وشهواتها فكلما ألقى فيها نوع منها ويقال لها هل امتلأت تقول
هى هل من مزيد من انواع الشهوات فلا يملأ جوف ابن آدم الا التراب * آن شنيدستى كه در صحراى غور *
بار سالارى درافتاد از ستور * كفت چشم تنك دنيا دار را * يا قناعت پر كند يا خاك كور *
وايضا ان الحرص الانسانى قشر محبة الله بل هو عين المحبة اذا كان متوجها الى الدنيا وشهواتها يسمى
الحرص واذا كان متوجها الى الله وقرباته يسمى محبة فاعلم ان ما زاد فى الحرص نقص فى المحبة وما نقص
من الحرص زاد فى المحبة واذا اشتعلت نار المحبة فلا تسكن نائرتها بما يلقى فيها من محبوبات الدنيا والآخرة
بل يكون حطبها وتزيد بعضها الى بعض وتقول قطقط كما فى التأويلات النجمية (وازلفت الجنة) الازلاف
نزديك كردانيدن اى قربت (للمتقين) المعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون
على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها (غير بعيد) تأكيد للازلاف اى
مكانا غير بعيد بحيث ينظرون اليها قبل دخولها فيكون انتصابه على الظرفية او هو حال مؤكدة اى حال
كونها غير بعيد اى شيأ غير بعيد كقولك هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل الى غير ذلك من امثلة التوكيد
فالازلاف تقريب الرؤية وغير بعيد تقريب الدخول فانهم يحاسبون حسابا يسيرا ومنهم من لا يحاسب اصلا
ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذى يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث كالزئير والصليل
او لتأويل الجنة بالبستان وفيه اشارة الى جنة قلوب خواص المتقين انها قربت لهم فى الدنيا بالاجساد
وهم فى الآخرة بالقلوب (ع) جنت نقد ست اينجا عشرت وعيش وحضور * ويقال ان الجنة تقرب
من المتقين كما ان النار تجر بالسلاسل الى المحشر للمجرمين ويقال بل تقرب الجنة بأن يسهل على المتقين مسيرهم
اليها ويراد بهم الخواص من المتقين ويقال هم ثلاثة اصناف قوم يحشرون الى الجنة مشاة وهم الذين قال فيهم
وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وهم عوام المؤمنين وقوم يحشرون الى الجنة ركبانا على طاعاتهم
المصورة لهم بصورة حيوان وهؤلاء هم الخواص واما خاص الخاص فهم الذين قال فيهم وازلفت الجنة للمتقين
فقرب الجنة منهم غير بعيد اى الجنة غير بعيد عنهم وهم البعداء عن الجنة فى مقعد صدق عند مليك مقتدر
(هذا ما توعدون) اى حال كون اولئك المتقين مقولا لهم من قبل الله او على السنة الملائكة عند ما شاهدوا

الجنة ونعيمها هذ المشاهد اوهذا الثواب اوالازلاف والتذكير لتذكير الخبر اواشارة الى الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من احكام اللفظ العربى كما فى قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى وقوله ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وفى التأويلات النجمية هذا اشارة الى مقعد صدق ولو كانت الاشارة الى الجنة لقال هذه (لكل أواب) بدل من المتقين باعادة الجار أى رجاع الى الله فاولا يرجع من الشرك الى التوحيد وثانيا من المعصية الى الطاعة وثالثا من الخلق الى الحق قال ابن عمر رضى الله عنهما لا يجلس مجلسا فيقوم حتى يستغفر وفى المفردات الاواب كالتواب وهو الراجع الى الله بترك المعاصى وفعل الخيرات ومنه قيل للتوبة اوبة والفرق بين الاوب والرجوع ان الاوب ضرب من الرجوع وذلك انه لا يقال الا فى الحيوان الذى له ارادة والرجوع يقال فيه وفى غيره آب او باوايابا وما باوالمآب مصدر منه واسم الزمان والمكان (حفيظ) حافظ لتوبته من النقض ولعهده من الرفض قال فى التأويلات النجمية مقعد صدق هو فى الحقيقة موعود للمتقين الموصوفين بقوله لكل اواب حفيظ وهو الراجع الى الله فى جميع احواله لا الى ماسواه حافظا انفاسه مع الله لايصرفها الا فى طلب الله يعنى در هر نفس ازحق تعالى غافل نباشد * اكر تو پاس دارى پاس انفاس بسلطانى رسانندت ازين پاس * ترايك پند بس درهردو عالم * كه برنايد زجانت بى خدادم * وقال سهل رضى الله عنه هو الراجع الى الله تعالى بقلبه من الوسوسة الى السكون الى الله الحفيظ المحافظ على الطاعات والاوامر وقال المحاسبى الاواب الراجع بقلبه الى ربه والحفيظ الحافظ قلبه فى رجوعه اليه ان لا يرجع منه الى احد سواه وقال الوراق هو المحافظ لا وقاته وخطراته اى الخطرات القلبية والالهامات وفى الحديث من حافظ على اربع ركعات فى اول النهار كان اوابا حفيظا (من) هركه وهو مابعده بدل بعد بدل (خشى الرحمن) الخشية خوف يشوبه تعظيم وفى عين المعانى انزعاج القلب عند ذكر السيئة وموجبها وقال الواسطى الخشية ارق من الخوف لان الخوف للعامة من العقوبة والخشية من نيران الله فى الطبع فيها نظافة الباطن للعلماء ومن رزق الخشية لم يعدم الانابة ومن رزق الانابة لم يعدم التفويض والتسليم ومن رزق التفويض والتسليم لم يعدم الصبر على المكاره ومن رزق الصبر على المكاره لم يعدم الرضى وقال بعضهم اوائل العلم الخشية ثم الاجلال ثم التعظيم ثم الهيبة ثم الفناء وعن بعضهم الخشية من الرحمن خشية الفراق ومن الجبار والقهار خشية العقوبة (بالغيب) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشى اومن مفعوله اوصفة لمصدره اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب عنه اوالعقاب بعد غيب يعنى ناديده اورا وعذاب اورا اوهو غائب عن الاعين لايراه احد يعنى نهان وآشكار اى اوبكى باشد وقال بعض الكبار بالغيب اى بنور الغيب يشاهد شواهد الحق فيخشى منه والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته اوبان علمهم بسعة رحمته لا يصدهم عن خشيته وانهم عاملون بموجب قوله نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم (وجاء) وبياورد (بقلب منيب) وصف القلب بالانابة مع انها وصف المكلف لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى اى لاعبرة للانابة والرجوع الا اذا كان من القلب والمراد بها الرجوع الى الله تعالى بما يحب ويرضى قال فى المفردات النوب رجوع الشئ مرة بعد اخرى والانابة الى الله الرجوع اليه بالتوبة واخلاص العمل وفى التأويلات النجمية بقلب منيب الى ربه معرض عما سواه مقبل عليه بكليته (ادخلوها) بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من (بسلام) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اى ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم وحلول النقم اوبسلام من جهة الله وملائكته (ذلك) اشارة الى الزمان الممتد الذى وقع فى بعض منه ماذكر من الامور (يوم الخلود) والبقاء فى الجنة اذلا انتهاء له ابدا قال الراغب الخلود هو تبرى الشئ من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التى هو عليها وكل ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود كقولهم الايام خوالد وذلك لطول مكثها لا الدوام بقائها والخلود فى الجنة بقاء الاشياء على الحالة التى هى عليها من غير اعتراض الكون والفساد عليها وقال سعدى المفتى ولا يبعد والله اعلم ان تكون الاشارة الى زمان السلم فتحصل الدلالة على ان السلامة من العذاب وزوال النعم حاصلة لهم مؤبدا مخلدا لا انها مقتصرة على وقت الدخول (لهم مايشاؤون) من فنون المطالب كائنا ما كان سوى ما تقتضى الحكمة

حجر وهو ما كان خبيثا فى الدنيا ابدا كاللواطة ونحوها فانهم لا يشاؤونها كما سبق من ان الله يعصم اهل الجنة من شهوة محال او منهى عنه (فيها) متعلق بيشاؤون او حال من الموصول قال القشيرى يقال لهم قد قلتم فى الدنيا ما شاء الله كان فاليوم ما شئتم كان وهل جزاء الاحسان الا الاحسان (ولدينا) وعندنا (مزيد) اى زيادة فى النعيم على ما يشاؤون وهو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من انواع الكرامات التى لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فانهم يسألون الله حتى تنتهى مسألتهم فيعطيهم ما شاؤا ثم يزيدهم من عنده مالم يسألوه ولم تبلغه أمانيهم وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال تعالى ولدينا مزيد وقال الراغب الزيادة ان ينضم الى ما عليه الشئ من نفسه شئ آخر وروى من طرق مختلفة ان هذه الزيادة النظر الى وجه الله اشارة الى انعام واحوال لا يمكن تصورها فى الدنيا انتهى وكذا قال غيره المختار ان المزيد هو النظر الى وجه الله الكريم فيجتمعون فى كل يوم جمعة فلا يسألون شيأ الا اعطاهم ويتجلى لهم ويقال ليوم الجمعة فى الجنة يوم المزيد وفى الحديث ان فى الجنة مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال بعض الكبار هى المشاهدة الذاتية وما نتج من دخول الجنة فى الدار الاخرة نتيجة الطاعات فى هذه الدار لمن اختصه الله فنجت فى هذه الدار طاعات ومجاهدات توصل الى تجليات ومشاهدات وفى التأويلات النجمية يشير الى ان من يريدنا ويعبر عن نعيم الجنة للوصول الينا فصل الينا ولدينا يجد بالمزيد ما يشاء اهل الجنة منها وهذا كما قال من كان لى كنت له ومن كنت له يكون له ما كان لى وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه فان قيل الزيادة فى الدنيا تكون أقل من رأس المال قلت المراد بالزيادة فى الآية الكريمة هو الزيادة على موعود الجنة لا من درجات الجنة لان الزيادة هنا ليست من جنس المزيد عليه حتى يلزم ذلك بخلافه فى قوله عليه السلام ان الله زادكم صلاة ألا وهى الوتر فان الزيادة هنا من جنس المزيد عليه وقضية الفرضية الا انه لما ثبت بخبر الواحد لم يكن مقطوعا به فقيل بالوجوب فالزيادة من الله العزيز الاكبر اكبر واعز كان الرضوان من الكريم الاجود أكبر واجل والنظر الى وجهه الكريم كان الرضى ومزيد فضل وعناية وقال الحسن البصرى ان الله ليتجلى لاهل الجنة فاذا رأوه نسوا نعيم الجنة ثم يقول الله للملائكة ردوهم الى قصورهم اذ لا يهتدون بانفسهم لامرين لما طرأ عليهم من سكر الرؤية ولما زاد من الخير فى طريقهم فلم يعرفوها فلولا ان الملائكة تدلهم ماعرفوا منازلهم فاذا وصلوا الى منازلهم تلقاهم أهلهم من الحور والولدان فيرون جميع ملكهم قد اكتسب بهاء وجمالا ونورا من وجوههم أفاضوه افاضة ذاتية على ملكهم فيقولون لهم لقد زدتم نورا وبهاء وجمالا على ما تركناكم عليه فيقول لهم أهلهم وكذلك أنتم قد زدتم من البهاء والجمال مالم يكن فيكم فافهم اسرار تسمية الرؤية بالزيادة لانها تورث زيادة الجمال والعلوم والكمال ويتفاوت الناس بالرؤية تفاوتا عظيما على قدر علمهم قال بعض الكبار اذا اخذ الناس منازلهم فى الجنة استدعاهم الحق تعالى الى رؤيته على مسام الكثيب وهو مسك ابيض فى جنة عدن وجعل فى هذا الكثيب منابر واسرة وكراسى ومراتب فيسارعون الى قدر هممهم ومراكبهم ومشيهم هنا فى طاعة ربهم فنهم السريع والبطئ والمتوسط فيجتمعون فى الكثيب فكل شخص يعرف مرتبته علما ضروريا يهوى اليها ولا ينزل الا فيها كما يهوى الطفل الى الثدى والحديد الى المغناطيس لورام ان ينزل فى غير مرتبته لما قدر ولو رام ان يتعشق بغير منزلته ما استطاع بل يرى فى منزلته انه قد بلغ منتهى امله وقصده فهو يتعشق بما فيه من النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا لا يقوم بنفسه بما هو عنده أحسن من حاله ولولا ذلك لكانت دار الم وتنغيص ولم تكن جنة ولا نعيما فكل شخص مقصور عليه نعيمه * بعلم نظر كوش جامى كه نيست * ز تحصيل علم دگر حاصلى (وقال المغربى) نخست ديده طلب كن پس انگهى ديدار * از آنكه يار كند جلوه بر اولوا الابصار (وقال الجندى) بار روى تو جست جنت وحور * هرچه بى بر نگو نمايد از دور (وكم اهلكنا) كم للتكثير هنا وهى خبرية وقعت مفعول اهلكنا ومن قرن مميزها وميين لابهامها (قبلهم من قرن) والقرن القوم المقترنون اى كثيرا من القرون الذين كذبوا رسلهم اهلكنا قبل قومك وهم كفار مكة وبالفارسية و بس كسان كه هلاك كرده ايم پيش از قوم تو از اهل قرن وگروه گروه جهانيان كه بحسب واقع (هم) ايشان (اشد منهم) سختر بودند از كفار مكه (بطشا) از روى قوت وعظيم تر بودند از روى جسد چون عاد وثمود وفرعون ومحل الجملة النصب على انها

صفة لكم وفيه اشارة الى اهلاك النفوس المتمردة فى القرون الماضية اظهارا لكمال القدرة والحكمة البالغة لتأدب به النفوس القابلة للخير وتتعظ به القلوب السليمة (فنقبوا فى البلاد) قال فى القاموس نقب فى الارض ذهب كأنقب ونقب وعن الاخبار بحث عنها او اخبر بها والنقب الطريق فى الجبل وفى تاج المصادر التنقيب شب درراهها كرديدن وفى المصادر شدن اند رشهرها والمعنى خرقوا فيها اى اوقعوا الخرق فيها والجوب وقطع المفازة ودحوا اى اذلوها وقعروا اهلها واستولوا عليهم وتصرفوا فى اقطارها اوجالوا فى اكناف الارض كل مجال حذار الموت فالفاء على الاول للتسبب والدلالة على ان شدة بطشهم ابطرتهم واقدرتهم على التنقيب وعلى الثانى لمجرد التعقيب واصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب ولذا قال فى كشف الاسرار اى ابعدوا فيها السير وبحثوا عن الامور والاسباب قال امرؤ القيس

لقد نقبت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

وبالفارسية دس دور شدند وفراوان رفتند در زمين وراه بريدند در شهرها يعنى رفتند بتجارت وسفرها كردند ومال ومتاع بسيار بدست آوردند وفى فتح الرحمن اى طافوا فى نقوبها اى طرقها (هل من محيص) حال من واو نقبوا واصله من قولهم وقع فى حيص بيص اى فى شدة وحاص عن الحق يحيص اى حاد عنه الى شدة ومكروه وفى القاموس المحيص المهرب اى فنقبوا فى البلاد قائلين هل من محيص اى هل لهم من مفر ومخاص من امر الله وعذابه او من الموت فمحيص مبتدأ خبره مضمر وهو لهم ومن زائدة وبالفارسية هيچ بود مر ايشانرا كريزگاهى از مرك يا پناهى از قضاى خداى تعالى كه حكم فنا نازل شد هيچ چيز دستگيرئ ايشان نكرد ويجوز ان تكون الجملة كلاما مستأنفا واردا لنفى ان يكون لهم محيص يعنى نكريد ناهيچ از مرك رستند يعنى نرستند وان عقوبت حق خلاص نشدند فان اصر اهل مكة فليحذروا من مثل ما حل بالامم الماضية فان الغاية هو الهلاك والنهاية هو العذاب روزكارى كه آدم راوفا نداشت تراكى وفادارد عمرى كه بر نوح بپايان رسيد باتوكى بقادارد اجلى كه برخليل تاختن آورد تراكى فروكذارد مركى كه برسليمان كمين ساخته باتوكى مسامحت كند * نه برباد رفتى سحرگاه وشام * سرير سليمان عليه السلام * باخرنديدى كه برباد رفت * خنك آنكه بادانش وداد رفت * مركى كه جان مصطفى را صلى الله عليه وسلم تقاضا كرد باتوكى مدارا كند اكر عمر نوح ومال قارون وملك سليمان بدست آرى بدرد مرك سود ندارد وباتو محابا بانكند هفت هزار سال كسرى كذشت تا آدميان اندرين سفرند از اصلاب بارحام مى آيند وازارحام به پشت زمين وازپشت زمين بشكم زمين ميروند همه عالم كور ستانست زيراو همه حسرت زيراو همه درحسرت سربرآور از آسمان بپرس كه چند پادشاه يادداری چشم برزمين افكن وبازپرس كه درشكم چند نازنين دارى

سل الطارم العالى الذرى عن قطينه * نجا ما نجا من بؤس عيش ولينه
فلما استوى فى الملك واستعبد الورى * رسول المنايا تله لجبينه

جهان اى بسر ملك جاويد نيست * زدنيا وفادارى اميد نيست * اى سخرۀ امل اى غافل از اجل كارى كه لامحاله بودنيست ازان نه انديشى وراهى كه على الحقيقة رفتنيست زادان راه برنگيرى شغل دنيا راست ميدارى وبرك مرك مى نسازى اى مسكين مرك درقفاست ازاوياد دار منزلت كورست آباددار حطام دنيا جمع ميكنى واز مستحق منع ميكنى چه طمع دارى كه جاويدبان بمانى باش تا ملك الموت درآيد وجانت غارت كند وارث درآيد مالت غارت كند وخصم درآيد طاعت غارت كند وكرم درآيد پوست وكوشت غارت كند واها كرباين غفلت دشمن درآيد وايمان غارت كند نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المتيقظين ومن الثابتين على الدين واليقين ومن رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين.

(ان فى ذلك) اى فيما ذكر من قصتهم او فيما ذكر فى هذه السورة من العبر والاخبار واهلاك القرى (لذكرى) لتذكرة وعظة وبالفارسية پند (لمن كان له قلب) اى قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغى فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير قال الراغب قلب الانسان سمى به لكثرة تقلبه ويعبر بالقلب عن المعانى التى تختص به من الروح

والعلم والشجاعة وسائر ذلك وقوله لمن كان له قلب اى علم وفهم انتهى وفسره ابن عباس رضى الله عنهما بالعقل وذلك لان العقل قوة من قوى القلب وخادم من خدامه كما فى كتاب الجواهر للشعرانى فمن له ادنى عقل فله ذكرى كما قال تعالى أفلا تعقلون اى ادنى تعقل وقال ابو الليث لمن كان له قلب اى عقل لانه يعقل بالقلب فكنى عنه انتهى وفى الاسئلة المقحمة كيف قال لمن كان له قلب ومعلوم ان لكل انسان قلبا قلت ان المراد ههنا بالقلب العقل كنى بالقلب عن العقل لانه محله ومنبعه كما قال تعالى فانه نزله على قلبك وسمعت بعض الشيوخ يقول لمن كان له قلب مستقر على الايمان لا يتقلب بالسراء والضراء انتهى (وفى تفسير الكاشفى) انكس را كه اورا دلى زنده است وفى كشف الاسرار دلى متفكر در حقايق اخبار باعقلى بيدار كنند از خواب غفلت شبلى قدس سره فرمود موعظه قرآن را دلى بايد با خداى تعالى كه طرفة العينى غافل نباشد (اوالقى السمع) اى الى ما يتلى عليه من الوحى الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدى اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فان القاء السمع لا يجدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله (وهو) اى والحال ان ذلك الملقى فهو حال من الفاعل (شهيد) من الشهود بمعنى الشاهد اى حاضر بذهنه ليفهم معانيه لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وقال سعدى المفتى او لتقسيم المتفكر الى التالى والسامع او الى الفقيه والمتعلم وبعبارة اخرى الى العالم المجبول على الاستعداد الكامل فهو بحيث يحتاج الى التعليم فيتذكر بشرط ان يقبل بكليته ويزيل الموانع كلها وقال بعض الكبراء من العارفين ان فى ذلك اى القرآن الناطق باثبات امور مخالفة للحق سبحانه من التنزيه والتشبيه لذكرى اى تذكرا لما هو الحق عليه فى نفسه من التقلب فى الشؤون لمن كان له قلب سمى به لتقلبه فى انواع الصور والصفات المخالفة لاختلاف التجليات ولم يقل لمن كان له عقل فان العقل قيد لغة وحقيقة اما لغة فانه يقال عقل البعير بالعقال اى قيده وعقل الدواء البطن اى عقده واما حقيقة فلأن العقل يقيد العاقل بما يؤدى نظره وفكره اليه فيحصر الامر فى نعت واحد والحقيقة تأبى الحصر فليس القرآن ذكرى لمن كان له عقل يقيده بما يؤديه الفكر اليه فانه ليس ممن يتذكر بما وقع فى القرآن من الآيات الدالة على التنزيه والتشبيه جميعا بل يؤول ما وقع على خلاف ما يؤديه فكره اليه كالآيات الدالة على التشبيه مثلا وهم اى من كان له عقل هم اصحاب الاعتقادات الجزئية التقييدية الذين يكفر بعضهم بعضا الذى يؤديه فكره الى عقد مخصوص بعضا آخر يؤديه فكره الى خلاف ما ادى اليه فكر البعض الاول ويلعن بعضهم بعضا والحق عند العارف الذى يتقلب قلبه فى انواع الصور والصفات لانه يعرف ان لا غير فى الوجود وصور الموجودات كلها صورته فلا اختصاص معرفة الحق فى جميع الصور فى الدنيا والآخرة بالعارف الناتج معرفته عن تقلب قلبه قال تعالى لمن كان له قلب فانه قد تقلب قلبه فى الاشكال فعلم تقلب الحق فى الصور وهذا النوع من المعرفة الذى لا يعقبه نكرة حظ من عرف الحق من التجلى والشهود أى من تجليه فى الصور وشهوده فيها حال كونه مستقرا فى عين مقام الجمع بحيث لا يشغله صور التفرقة عن شهوده واما اهل الايمان الاعتقادى الذين لم يعرفوا الحق من التجلى والشهود فهم المقلدة الذين قلدوا الانبياء والرسل فيما اخبروا به عن الحق من غير طلب دليل عقلى لا من قلد اصحاب الافكار والمتأولين الاخبار الواردة الكاشفة عن الحق كشفا مبينا بحملها على ادلتهم العقلية وارتكاب احتمالاتها البعيدة فهؤلاء الذين قلدوا الرسل عليهم السلام حق التقليد هم المرادون بقوله او القى السمع لاستماع ما وردت به الاخبار الالهية على السنة الانبياء وهو حاضر بما يسمعه مراقب له فى حضرة خياله يعنى ينبغى لملقى السمع ان يجتهد فى احضار ما يسمعه فى خياله لعله يفوز بالتجليات المثالية لا ان يكون صاحب تلك التجليات بالفعل والا بقى بعض مقلدة الانبياء خارجا عن هذا الحكم فليس المراد بالشهود ههنا الرؤية البصرية بل ما يشابهها كمال المشابهة وهو مشاهدة الصور المتمثلة فى حضرة الخيال ليس الا ومن قلد صاحب نظر فكرى فليس هو الذى ألقى السمع وهو شهيد فالمقلدون لاصحاب الافكار هم الذين قال الله فيهم اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا لان المتبوعين دعوا التابعين الى خلاف الواقع فتبعوهم ورجع نكال متابعتهم الى متبوعيهم فتبرأوا منهم والرسل لا يتبرأون من اتباعهم الذين اتبعوهم لانهم دعوهم الى الحق والصدق فتبعوهم فانعكست انوار متابعيهم اليهم فلم يتبرأوا منهم فاعرف در لباب آورده كه صاحب قلب مؤمن عربست وشهيد مؤمن اهل

كتاب كه كواهى دارد بر كفت حضرت پيغمبر عليه السلام شيخ ابو سعيد خراز قدس سره فرموده كه القاء سمع بوقت شنيدن قرآن چنان بايد كه كويا از حضرت پيغمبر مى شنود پس در فهم بالاتر رود و چنان داند كه از جبرائيل استماع ميكند پس فهم را بلندتر سازد و چنان داند كه از خداى تعالى مى شنود شيخ الاسلام قدس سره فرموده كه اين سخن تامست و برو در قرآن كواهى هست وآن لفظ شهيد ست و شهيد از كوينده شنونده از خبر دهنده چه غائب از خبر مى شنود وحاضر با متكلم واز امام جعفر رضى الله عنه منقولست كه تكرار ميكردم قرآنرا تاوقتى كه از متكلم آن شنودم وفى التأويلات النجمية القلوب أربعة قلب يأس وهو قلب الكافر وقلب مقفول وهو قلب المنافق وقلب مطمئن وهو قلب المؤمن وقلب سليم من تعلقات الكونين وهو قلب المحبين المحبوبين الذى هو مرءاة صفات جمال الله وجلاله كما قال لا يسعنى ارضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن وقوله اوالقى السمع وهو شهيد يعنى من لم يكن له قلب بهذه الصفة يكون له سمع يسمع بالله وهو حاضر مع الله فيعتبر بما يشير اليه الله فى اظهار اللطف اوالقهر وقال ابن عطاء قلب لاحظ الحق بعين التعظيم فذاب له وانقطع عما سواه واذا لاحظ القلب الحق بعين التعظيم لان وحسن وقال بعضهم القلب مضغة وهو محل الانوار ومورد الزوآئد من الجبار وبه يصح الاعتبار وجعل الله القلب للجسد اميرا وقال ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ثم جعله لربه اسيرا فقال يحول بين المرء وقلبه وقال بعضهم للقلوب مراتب فقلوب فى قبضة الحق مأسورة وقلوب والهة وقلوب طارئة بالشوق اليه وقلوب الى ربها ناظرة وقلوب صاحبة الآمال فى الله وقلوب تبكى من الفراق وشدة الاشتياق وقلوب ضاقت فى دار الفناء وقلوب خاطبها فى سرها فزال عنها مرارة الاوجاع وقلوب سارت اليه بهمتها وقلوب صعدت اليه بعزائم صدقها وقلوب تقدمت لخدمته فى الخلوات وقلوب شربت بكأس الوداد فاستوحشت من جميع العباد الى غير ذلك ويدل على شرف القلب قوله عليه السلام تفكر ساعة خير من عبادة الثقلين چون بنده بركاه آيد دل او كرفتار شغل دنيا رقم خذلان بران طاعت كشند وبروى اوبازنهند كه كفته اند من لم يحضر قلبه فى الصلاة فلا تقبل صلاته ومن لم يحصل درجة الرؤية فى الصلاة فما بلغ غايتها ولا كان له فيها قرة عين لانه لم ير من يناجيه فان لم يسمع مايرد عليه من الحق فى الصلاة من الواردات الغيبية فما هو ممن ألقى سمعه ومن لم يحضر فيها مع ربه مع كونه لم يسمع ولم ير فليس بمصل ولا هو ممن ألقى السمع وهو شهيد يعنى ادنى مرتبة الصلاة الحضور مع الرب فمن لايرى ربه فيها ولا يشهده شهودا روحانيا اورؤية عيانية قلبية اومثالية خيالية اوقريبا منها المعبر عنه بقوله عليه السلام ان تعبد الله كأنك تراه ولا يسمع كلامه المطلق بغير واسطة الروحانيات اوبواسطة منهم ولا حصل له الحضور القلبى المعبر عنه بقوله فان لم تكن تراه فاعلم انه يراك فليس بمصل وصلاته افادت له الخلاص من القتل لاغير وبقدر خوف المرء من ربه وقربه منه يكون حضوره * نزديكانرا بيش بود حيرانى * كايشان دانند سياست سلطانى * آن وزير پيوسته از مراقبت سلطان هراسان بود وآن ستوردار راهراسى نه زيرا كه سينه وزير خزينه اسرار سلطانست ومهر خزينه شكستن خطرناك بود وكان عليه السلام يصلى ولصدره ازيز كأزيز المرجل من البكاء والازيز الغليان وقيل صوته والمرجل قدر من النحاس * خوشا نماز ونيازكسى كه از سردرد * باب ديده وخون جكر طهارت كرد * حذيفه يمانى رضى الله عنه صاحب سر رسول الله عليه السلام بود كفت روزى شيطانرا ديدم كه مى كريست كفتم اى لعين اين ناله وكريه تو چيست كفت از براى دو معنى يكى آنكه دركاه لعنت برما كشاده يكر آنكه دركاه دل مؤمنان برما بسته بهر وقتى كه قصد دركاه دل مؤمن كنم با آتش هيبت سوخته كردم بداود عليه السلام وحى آمد كه ياداود زبانت دلالى است بر سر بازار دعوى اوراد رصدر دار الملك دين محلى نيست محلى كه هست دلراست كه از وبوى اسرار احديت واز آيت آيد عزيز مصر با برادران كفت رخت برداريد وبوطن وقرار كاه خود بازشويد كه از دلهاى شما بوى مهر يوسفى مى نيايد اينست سر آنچه رب العالمين فرمود ان فى ذلك لذكرى الاية قال بعض الكبار حقيقة السمع الفهم عن الله فيما يتلوه عليك فى الانفس والآفاق فان الحق تارة يتلو عليك الكتاب من الكبير الخارج وتارة من نفسك فاسمع وتأهب لخطاب مولاك اليك فى اى مقام كنت وتحفظ من الوقر والصمم فالصمم آفة تمنعك عن ادراك تلاوته عليك من الكتاب الكبير المعبر عنه بالفرقان والوقر آفة تمنعك من ادراك تلاوته عليك من نفسك المختصرة

وهو الكتاب المعبر عنه بالقرآن اذ الانسان يحصل العلم بما تفرق فى العالم الكبير (ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما) من اصناف المخلوقات (فى ستة ايام) در شش روز از يكشنبه تا شنبه الارض فى يومين
ومنافعها فى يومين والسموات فى يومين ولو شاء لكان ذلك فى اقل من لمح البصر ولكنه سن لنا التأنى بذلك فان العجلة
من الشيطان الا فى ستة مواضع اداء الصلاة اذا دخل الوقت ودفن الميت اذا حضر وتزويج البكر اذا ادركت
وقضاء الدين اذا وجب وحل واطعام الضيف اذا نزل وتعجيل التوبة اذا اذنب قال بعض العارفين اذا فتح الله
عليك بالمعروف فائت البيوت من ابوابها واياك والعمل بالعجلة من غير التدبر انظر الى الحق سبحانه كيف خمر
طينة آدم بيديه وسواه وعدله ثم نفخ فيه الروح وعلمه الاسماء فاوجد الاشياء على ترتيب ونظام وكان قادرا
ان يكون آدم ابتداء من غير تخمير ولا شئ مما ذكر وفى التأويلات النجمية ولقد خلقنا سموات الارواح وارض
الاشباح وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار وسر الاسرار فى ستة ايام اى فى ستة انواع من المخلوقات
وهى محصورة فيما ذكرنا من الارواح والاشباح والنفوس والقلوب والاسرار وسر الاسرار فلا مخلوق الا وهو
داخل فى جملتها فافهم جدا (وما مسنا) بذلك مع كونه مما لا تفى به القوى والقدر وبالفارسية ونرسيد ما را
از آفرينش آنها (من لغوب) قال الراغب اللغوب التعب والنصب يقال اتانا ساعيا لاغبا خائفا تعبا
وفى القاموس لغب لغبا ولغوبا كمنع وسمع وكرم اعيى اشد الاعياء وفى تاج المصادر اللغوب مانده شدن وفعل
يفعل فعولا وفعلا ايضا لغة ضعيفة والمعنى من اعياء ولا تعب فى الجملة وبالفارسية هيچ رنجى ومانده كى فانه
لو كان لاقتضى ضعفا فاقتضى فسادا فكان من ذلك شئ على غير ما اردناه فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا فى الباقى
وانتم تشاهدون الكل على حد سواء من نفوذ الامر وتمام التصرف وفى التأويلات النجمية وما مسنا من لغوب
لانها خلقت باشارة امر كن كما قال تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فانى يمسه اللغوب وانه صمد لا يحدث
فى ذاته حادث انتهى وهذا رد على جهلة اليهود فى زعمهم ان الله بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة
واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه عما يقولون علوا كبيرا قال العلماء ان الذى وقع من التشبيه
لهذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم أخذ يقول الفقير هذه الاية نظير قوله تعالى اولم يروا ان الله الذى خلق
السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى يدل عليه ما بعد الاية وهو قوله (فاصبر على
ما يقولون) اى ما يقوله المشركون فى شأن البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل
هذه الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وغيرها
وفى تفسير المناسبات لما دل سبحانه على شمول العلم واحاطة القدرة وكشف فيهما الامر أتم كشف وكان علم
الحبيب القادر بما يفعل العدو أعظم نذارة للعدو وبشارة للولى سبب عن ذلك قوله فاصبر على ما يقولون اى على
جميع الذى يقوله الكفرة وغيرهم انتهى وفيه اشارة الى تربية النفوس بالصبر على ما يقول الجاهلون من كل نوع
من المكروهات وتزكيتها من الصفات المذمومات ملازمة للذكر والتسبيحات والتحميدات كما قال (وسبح بحمد
ربك) اى نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف فى اخباره التى من جملتها الاخبار بوقوع البعث
وعن وصفه بما يوجب التشبيه حال كونك ملتبسا بحمده على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قال سهل
فى الامالى سر اقتران الحمد بالتسبيح ابدا كما فى الآية وفى قوله وان من شئ الا يسبح بحمده ان معرفة الله
تنقسم قسمين معرفة ذاته ومعرفة اسمائه وصفاته ولا سبيل الى اثبات احد القسمين دون الاخر واثبات وجود
الذات من مقتضى العقل واثبات الاسماء والصفات من مقتضى الشرع فبالعقل عرفت المسمى وبالشرع عرفت
الاسمى ولا يتصور فى العقل اثبات الذات الا مع نفى سمات الحدوث عنها وذلك هو التسبيح ومقتضى العقل مقدم
على مقتضى الشرع وانما يأتى الشرع المنقول بعد حصول النظر والمعقول فنبه المعقول على النظر فعرفت ثم علمنا
ما لم تكن نعلم من الاسماء فانضاف لها الى التسبيح الحمد والثناء فما امرنا الا بتسبيح بحمده (قبل طلوع الشمس
وقبل الغروب) هما وقتا الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة فالتسبيح فيهما امكان وفى طه قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها راعى القياس لان الغروب للشمس كما ان الطلوع لها (ومن الليل فسبحه) اى وسبحه بعض الليل
فقوله من الليل مفعول لفعل مضمر معطوف على سبح بحمد ربك يفسره فسبحه ومن للتبعيض ويجوز أن يعمل
فيه المذكور ايضا ولا تمنع الفاء عن عمل ما بعدها فيما قبلها كما يجيئ فى سورة قريش وقال بعض الكبار قبل

طلوع الشمس يعني من اول النهار وقبل الغروب يعني الى آخر النهار ومن الليل فسبحه يعني من جميع الليل بقدر الوسع والطاقة يقول الفقير ثبت ان بعض اهل الرياضة لم ينم سنين فيمكن له دوام الذكر والتسبيح كما قال تعالى والذينهم على صلاتهم دائمون ويمكن أن يقال ان ذلك حال القلب لا حال القالب فان اكثر أهل الله ينامون ويقومون على ما فعله النبي عليه السلام لكن قلوبهم يقظى وصلاتهم اى توجههم دائمة فهم في الذكر في جميع آناء الليل والنهار (وأدبار السجود) واعقاب الصلوات واواخرها جمع دبر من ادبرت الصلاة اذا انقضت والركوع والسجود يعبر بهما عن الصلاة لانهما أعظم اركانها كما يعبر بالوجه عن الذات لانه اشرف اعضائها وفي تفسير المناسبات وسبح ملتبسا بحمد ربك قبل طلوع الشمس بصلاة الصبح وما يليق به من التسبيح وغيره وقبل الغروب بصلاة العصر والظهر كذلك فالعصر أصل في ذلك الوقت والظهر تبع لها ولما ذكر ما هو أدل على الحب في المعبود لانه وقت الانتشار الى الامور الضرورية التي بها القوام والرجوع لقصد الراحة الجسدية بالاكل والشرب واللعب والاجتماع بعد الانتشار والانضمام مع ما في الوقتين من الدلالة الظاهرة على طي الخلق ونشرهم اتبعه ما يكون وقت السكون المراد به الراحة بلذيذ الاضطجاع والمنام فقال ومن الليل اى في بعض اوقاته فسبحه بصلاتي المغرب والعشاء وقيام الليل لان الليل وقت الخلوات وهي الذ المناجات ولما ذكر الفرائض التي لا مندوحة عنها على وجه يشمل النوافل من الصلاة وغيرها اتبعها النوافل المقيدة بها فقال وادبار السجود اى الذي هو الاكل في بابه وهو صلاة الفرض بما يصلى بعده من الرواتب والتسبيح بالقول ايضا والمعنى والله اعلم ان الاشتغال استمطار من المحمود المسبح للنصر على المكذبين وان الصلاة أعظم ترياق للنصر وازالة النصب ولهذا كان النبي عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلاة انتهى يقال حزبه الامر نابه واشتد عليه او ضغطه وفزع اليه لجأ وعن عمر وعلى رضي الله عنهما ادبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وعليه جمهور المفسرين وعن النبي عليه السلام من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم كتبت صلاته في عليين وعنه عليه السلام ركعتا الفجر اى سنة الصبح خير من الدنيا وما فيها وكان عليه السلام يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله احد قاله ابن مسعود وعن مجاهد وادبار السجود هو التسبيح باللسان في ادبار الصلوات المكتوبة وفي الحديث من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسع وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وفي رواية اخرى عن ابي هريرة رضي الله عنه قالوا يا رسول الله ذهب أهل الوفور بالدرجات والنعيم المقيم قال وكيف ذلك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال افلا اخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي احد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا كما في كشف الاسرار يقول الفقير لعل سر التثليث في بيانه عليه السلام دائر على التثليث في بيانهم فانهم قالوا صلوا وجاهدوا وانفقوا فقال عليه السلام تسبحون وتحمدون وتكبرون وفي تخصيص العشر في هذا الحديث رعاية لسر قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فان كل عشر اذا ضوعف افرادها بعشرة الامثال تبلغ الى المائة المشيرة الى الاسماء الحسنى التسعة والتسعين مع احديتها فاذا كان كل عشر مائة يكون المجموع ثلاثمائة لكنه عليه السلام أراد ان يبلغ الاعداد المضاعفة الى الالف لتكون اشارة الى الف اسم من اسمائه تعالى فزاد في كل من التسبيح والتحميد والتكبير باعتبار اصوله حتى جعله ثلاثا وثلاثين وجعل تمام المائة القول المذكور في الحديث الاول فيكون اصول الاعداد مائة بمقابلة المائة المذكورة وفروعها وهي المضاعفات الفا ليكون بمقابلة الألف المذكور فان قلت فأهل الوفور لا يخلو من ان يقولوا ذلك في اعقاب الصلوات فاذا الافضل للفقراء عليهم قلت جاء في حديث آخر اذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مخلصا وقال الغني مثل ذلك لم يلحق الغني الفقير في فضله وتضاعف الثواب وان انفق الغني معها عشرة آلاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فظهر فضلهم عليهم والحمد لله تعالى وفي الآية بيان فضيلة النوافل قال عليه السلام خطابا لأبي الدرداء رضي الله عنه يا عويمر اجتنب مساخط الله وادفرائض الله تكن عاقلا ثم تنفل بالصالحات من الاعمال تزدد من ربك

قرباوعابدعزاوفى الحديث حسنوا نوافلكم فبها تكمل فرآئضكم وفى المرفوع النافلة هدية المؤمن الى ربه فليحسن احدكم هديته وليطيبها وفى الحديث ازدلفوا الى الله بركعتين اى تقربوا وفى الحديث القدسى ماتقرب عبد الى بمثل اداء ماافترضت عليه وانه ليتقرب الى بعد ذلك بالنوافل حتى أحبه والمراد بالنوافل نوافل الصلوات وغيرها ومنها سلوك الصوفية فانه يتقرب به السالك الى الله بازالة الحجب المانعة عن النظر الى وجه الله الكريم قال الراغب القرب الى الله قرب روحانى بازالة الاوساخ من الجهل والطيش والغضب والحاجات البدنية بقدر طاقة البشر والتخلق بالاخلاق الالهية من العلم والحكمة والرحمة وفى ترجمة الفتوحات المكية دراداى فرائض عبوديت اضطرارست ودرنوافل عبوديت اختيار ونفل دررکعت زائدرا کويندوتو دراصل خودزائدى بروجودحق تعالى چه اوبود وتو نبودى وبوجود تو وجودحادث زياده شدپس عمل نفل اشارت بوجودتست كه زائدست واصل تست وعمل فرض اشارت بوجود حق است كه اصل كلى است پس دراداى فرائض بنده براى اوست ودراداى نوافل براى خود وقتى كه دركاراوباشى هرآينه دوستر ازان دارد كه دركار خودباشى وثمرهٔ اين حب كه دركارخودى است كه كنت سمعه وبصره ثمرهٔ آن حب كه دركار اوباشى اعنى اعمال فرائض قياس كن كه چه كونه باشدوبدان كه درنفس نفل فرائض ونوافل هست اكر درفرض نقصانى واقع شده باشدبدان فرائض كه درضمن نفل است تمام كرده شود ودرخبر صحيح آمده است كه حق تعالى فرمايد كه درنمازبنده نكاه كنيد اكرتمام باشدتمام نويسند واكرناقص باشدفرمايد كه ببينيد كه اين بنده راهيچ تطوعى هست اكرباشدفرمايد كه فريضهٔ بنده رابدان تطوعات تمام سازيد چون ركوع وسجودوساير افعال كه نفل بى آن درست نيست كه ساد مسدفرض شود حق تعالى اين فروض رادرميانهٔ نوافل نهاد تاجبر فرض بفرض باشد انتهى قال بعض الكبار من اراد العلم الحق الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه فليكثر من الطاعات والنوافل حتى يحبه الحق فيعرف الله بالله ويعرف جميع الاحكام الشرعية بالله لابعقله ومن لم يكثر مما ذكر فليقلد ربه فى أخبر ولايأول فانه اولى من تقليد العقل يقول الفقير دخل فى ادبار السجود والنوافل مثل صلاة الرغائب وصلاة البراءة وصلاة القدر فان صلاة الرغائب تصلى بعد المغرب فى ليلة الجمعة الاولى من شهر الله رجب والثانية بعد العشاء فى ليلة النصف من شعبان والثالثة بعد العشاء ايضا فى ليلة القدر وتلك الصلوات من مستحسنات المشايخ المحققين لانها نوافل اى زوآئد على الفرائض والسنن وهذا على تقدير ان لايكون لها اصل صحيح فى الشرع وقد تكلم المشايخ عليها والاكثر على انه عليه السلام صلاها فلها اصل صحيح لكن ظهورها حادث ولايقدح هذا الحدوث فى اصالتها على ان عمل المشايخ يكفى سندا فانهم ذووا الجناحين وقد افردت لهذا الباب جزأ واحدا شافيا (واستمع) يامحمد لما يوحى اليك من احوال القيامة وفى حذف مفعول استمع وابهامه ثم تفسيره بقوله يوم الخ تهويل وتفظيع للمخبر به كما روى عن النبى عليه السلام انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل رضى الله عنه يامعاذ أسمع مااقول لك ثم حدثه بعد ذلك والسمع ادراك المسموع بالاصغاء والفرق بين المستمع والسامع ان المستمع من كان قاصدا السماع مصغيا اليه والسامع من اتفق سماعه من غير قصد اليه فكل مستمع سامع من غير عكس (يوم يناد المناد) اصله ينادى المنادى قرأ ابو عمرو ونافع وابن كثير المنادى بالياء فى الوصل وهو الاصل فى اللغة والباقون بغير ياء لان الكسر يدل عليه واكتفى به والمنادى هو الملك النافخ فى الصور وهو اسرافيل عليه السلام والنداء نفخه سمى نداء من حيث انه جعله علما للخروج وللحشر وانما يقع ذلك النداء كأذان المؤذن وعلامات الرحيل فى العساكر وقيل هو النداء حقيقة فيقف على الصخرة ويضع اصبعه فى اذنيه وينادى ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرآئيل ينادى بالحشر (من مكان قريب) الى السماء وهو صخرة بيت المقدس فان بيت المقدس اقرب من جميع الارض الى السماء باثنى عشر ميلا اوثمانية عشر ميلا وهو وسط الارض كما قاله على رضى الله عنه اومن مكان قريب يصل نداؤه الى الكل على سواء يعنى آواز اوبهمه جابرسد وازهيچ موضعى دورنبود وفى كشف الاسرار سمى قريبا لان كل انسان يسمعه من طرف اذنه وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك فى الاعادة مثل كن فى البدء (يوم) الخ بدل من يوم ينادى الخ (يسمعون) اى الارواح وقيل الاجساد لانه يمدها أربعين سنة كما فى عين المعانى (الصيحة)

وهى صيحة البعث التى هى النفخة الثانية والصيحة والصياح الصوت بأقصى الطاقة (بالحق) متعلق بالصيحة على انه حال منها والعامل فى الظرف مادل عليه قوله تعالى (ذلك) اين روز (يوم الخروج) من القبور وهو من اسماء يوم القيامة وسمى يوم العيد يوم الخروج ايضا تشبيها به والمعنى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذى هو البعث يخرجون من القبور الى المحاسبة ثم الى احدى الدارين اما الى الجنة واما الى النار قال فى كشف الاسرار چون اين ندا درعالم دهد درخلق اضطرار افتد آن كوشتهاى وپوستهاى پوسيده واستخوانهاى ريزيده وخاك كشته وذره ذره بهم برآميخته بعضى بشرق بعضى بغرب بعضى به بر بعضى به بحر بعضى كركان خورده وبعضى مرغان برده همه باهم مى آيد وذره ذره بجاى خود باز ميشود هرچه در هفت اقليم خاكى جانور بوده از ابتداى دورعالم تا روز رستاخيز همه باهم آيد تنها راست كردد وصورتها پديد اشود واعضا واجزا مرتب ومركب كردد ذره كم نه وذره پيش نه موى از تن باز نسامير دو ذره از ان به اين نه پيوند داه صعب روزى كه حشر ونشر ست روز جزاء خير وشر ست ترازوى راستى آويخته كرسى قضا نهاده بساط هيبت باز كسترده همه خلق بزانو در آمده كه وترى كل امة جاثية دوزخ مى غرد كه تكاد تميز من الغيظ زبانيه در عاصى آويخته كه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه هركس بخود درمانده واز خويش وپيوند بكريخته لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه آورده اند كه پيش از آمدن خلق از خاك جبريل وميكائيل بزمين آيند براق مى آرند وحله وتاج از ابهر مصطفى صلوات الله عليه واز هول آن روز ندانند كه روضة سيد كجاست از زمين مى پرسند وزمين ميكويد من از هول رستاخيز ندانم كه دربطن خود چه دارم جبريل بشرق وغرب همى نكرد از انجا كه خوابكاه سيد ست نورى برآيد جبريل آنجا شتابد سيد عالم صلوات الله عليه از خاك برايد چنانكه در خبر ست انا اول من تنشق عنه الارض اول سخن اين كويد اى جبريل حال امتم چيست خبر چه دارى كويد اى سيد اول تو برخاسته ايشان در خاك اند اى سيد تو حله درپوش وتاج برسر نه وبر براق نشين ومقام شفاعت رونا امت دررسند مصطفى عليه السلام همى رود تا بحضرت عزت سجده آرد وحق را جل جلاله بستايد وحمد كويد از حق تعالى خطاب ايد كه اى سيد امروز نه روز خدمت است كه روز عطا ونعمت است نه روز سجود ست كه روز كرم وجود ست سر بردار وشفاعت كن هرچه تو خواهى آن كنم تو در دنيا همه آن كردى كه ما فرموديم ما امروز ترا آن دهيم كه تو خواهى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال المولى جامى فى سلسلة الذهب

سوى ما فكن ز مرحمت نظرى * بازكن بر رخم ز فضل درى * لب بجنبان پى شفاعت من * منكر در كناه وطاعت من * مانده ام زير بار عصيان پست * افتم از پاى اكر نكيرى دست * رحم كن بر من وفقيرى من * دست ده بهر دستكيرى من

(انا نحن نحيى ونميت) فى الدنيا من غير ان يشاركنا فى ذلك احد فتكرير الضمير بعد ايقاعه اسما للتأكيد والاختصاص والتفرد (قال الكاشفى) يعنى نطفه مرده راحيات مى دهيم وميرانيم ايشانرا دردنيا (والينا المصير) للجزاء فى الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فليستعدوا للقائنا وفيه اشارة الى مراقبة القلوب بعد انقضاء اوقات الذكر لاستماع نداء الهواتف الغيبية والالهامات الربانية والاشارات الالهية من مكان قريب وهو القلب يوم يسمع النفوس الصيحة من جانب الحق بتجلى صفاته ذلك يوم الخروج من ظلمات البشرية الى نور الروحانية والربانية انا نحن نحيى القلوب الميتة ونميت النفوس الحية والينا المصير لمن مات نفسه وحيى قلبه واعلم ان الحشر حشر عام وهو خروج الاجساد من القبور الى المحشر يوم النشور وحشر خاص وهو خروج الارواح الاخروية من قبور الاجسام الدنيوية بالسير والسلوك فى حال حياتهم الى العالم الروحانى وذلك بالموت بالارادة عن الصفات الحيوانية النفسانية قبل الموت بالاضطرار عن الصورة الحيوانية وحشر اخص وهو الخروج من قبور الانانية الروحانية الى الهوية الربانية وكما ان الموت نوعان اضطرارى واختيارى فكذا الولادة الاضطرارية بخلق الله تعالى لامدخل فيها لكسب العبد واختياره واما الاختيارية فانما تحصل بالكسب وهو الذى أشار اليه عيسى عليه السلام بقوله لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين (يوم تشقق الارض عنهم) بحذف احد التاءين من تتشقق اى تتصدع قال فى تاج المصادر التشقق شكافته شدن والمعنى بالفارسية يادار روزى راكه بشكافد زمين ودور شود از آدميان يعنى مردكان پس بيرون ايند از قبرها (سراعا) حال من المجرور وهو جمع سريع والسرعة ضد البطئ ويستعمل فى الاجسام

والا فعال ويقال سرع فهو سريع واسرع فهو مسرع والمعنى حال كونهم مسرعين الى اجابة الداعى من غير التفات يمينا وشمالا هذا كقوله مهطعين الى الداع (ذلك) اين احياى ايشان ازقبور (حشر) بعث وجمع وسوق (علينا يسير) اى هين علينا نقول له كن فيكون وهو كلام معادل لقول الكفرة ذلك رجع بعيد وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذى لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة (نحن اعلم بما يقولون) من نفى البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه وهو تسلية لرسول الله عليه السلام وتهديد لهم (وما انت عليهم بجبار) بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت مذكر هذا كقوله انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر أى لست بمسلط عليهم بجبرهم بما تريد واصل الجبر اصلاح الشئ بضرب من القهر والجبار فى اسم الله تعالى هو الذى جبر العباد على ما أراد (فذكر) پس پند كوى (بالقرءان من يخاف وعيد) اى عظهم بمواعظه فانهم المنتفعون به كما قال فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين واما من عداهم فنفعل بهم ما يوجبه اقوالهم وتستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب والوعيد التخويف بالعذاب ويستعمل فى نفس العذاب كما قال بعض العارفين امر الله نبيه عليه السلام ان يذكر الخاشعين من عظمته والخائفين من كبريائه بالقرءان لأنهم اهله واهل القرءان اهل الله وخاصته هم يعرفون حقائق الخطاب بنعت العبودية وهم بالقرءان يرتقون الى معادنه فيرون الحق بالحق بلا حجاب ويصعدون به الى الابد وقال احمد ابن حمدان رحمه الله لا يتعظ بمواعظ القرءان الا الخائفون على ايمانهم واسلامهم وعلى كل نفس من انفاسهم وقال بعضهم انما يؤثر التخويف والانذار والتذكير فى الخائفين فاما من لا يخاف فلا ينجع فيه ذلك وطير السماء على اوكارها تقع) وقال بعضهم وما انت عليهم بجبار هذا خطاب مع القلب يعنى ما انت على النفس وصفاتها بمتسلط بنفسك الا بالله فذكر بالقرءان اى بدقائق معانيه وحقائق اسراره من يخاف وعيد يعنى بعض النفوس القابلة لتذكير القرءان ووعيده فانه ليس كل نفس قابلة له (قال الشيخ سعدى) درخير بازست بهر كس وليك * نه هر كس توانا ست برفعل نيك * كسى راكه پندار درسر بود * مپندار هر كز كه حق بشنود * ز علمش ملال ايد از وعظ ننك * شقايق بباران نرويد زسنك * بكوشش نرويد كل ازشاخ بيد * نه زنكى به كرمابه كردد سفيد * نيايد نكو كارى از بدركان * محالست دوزندكى از سكان * توان پاك كردن ز زنك آينه * وليكن نيايد زسنك آينه * كان رسول الله عليه السلام يخطب بسورة ق فى كثير من الاوقات لاشتمالها على ذكر الله تعالى والثناء عليه ثم على علمه بما توسوس به النفوس وما تكتبه الملائكة على الانسان من طاعة وعصيان ثم تذكير الموت وسكرته ثم تذكير القيامة واهوالها والشهادة على الخلائق بأعمالهم ثم تذكير الجنة والنار ثم تذكير الصيحة والنشور والخروج من القبور ثم بالمواظبة على الصلوات قال السيوطى فى كتاب الوسائل اول من قرأ فى اخر الخطبة ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية عمر بن عبد العزيز ولزمها الخطباء الى عصرنا هذا وكان النبى عليه السلام يقرأ ق وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرأ اذا الشمس كورت الى قوله ما أحضرت وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه يقرأ آخر سورة النساء يستفتونك الآية وكان على بن ابى طالب رضى الله عنه يقرأ الكافرون والاخلاص ذكر ذلك ابن الصلاح وفى الحديث من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته قيل تارات الموت افاقاته وغشياته كما فى حواشى سعدى المفتى رحمه الله

تمت سورة ق بعون ذى الالطاف فى اوائل جمادى الاولى من سنة اربع عشرة ومائة والف

سورة الذاريات ستون اية مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والذاريات ذروا) الواو للقسم والذاريات وما بعدها صفات حذفت موصوفاتها واقيمت هى مقامها والتقدير والرياح الذاريات وذروا مصدر عامله الذاريات يقال ذرت الريح الشئ ذروا واذرته أطارته واذهبته قال فى تاج المصادر الذرى داميدن والمراد الرياح التى تذرو التراب وغيره ودانه رازكاه جدا كنند كما فى تفسير الكاشفى روى عن كعب الاحبار قال لو حبس الله الريح عن الارض ثلاثة ايام ما بقى على الارض شئ الا نتن وعن العوام بن حوشب قال تخرج الجنوب من الجنة فتمر على جهنم فغمها منها وبركاتها من الجنة وتخرج الشمال

من جهنم فتمر على الجنة فروحها من الجنة وشرها من النار وقيل الشمال تمر بجنة عدن فتأخذ فى جل يء مطس فتمر على ارواح الصديقين وعن عبد الله بن شداد قال ان الريح من روح الله فاذا رأيتموها فاسألوا الله خيرها وتعوذوا من شرها وعن جابر رضى الله عنه قال هاجت ريح كادت تدفن الراكب من شدتها فقال عليه السلام هذه ريح أرسلت لموت منافق فقدمنا المدينة فاذا رأس من رؤس المنافقين قدمات (وروى) عن على رضى الله عنه ان مساكن الريح تحت اجنحة الكروبيين حملة الكرسى فتهيج من ثمة فتقع بعجلة الشمس ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع برؤوس الجبال فتقع فى البر فتأخذ الشمال وحدها من كرسى بنات النعش الى مغرب الشمس والنعش اربعة كواكب على شكل مربع مستطيل وخلفها ثلاثة كواكب تسمى البنات وتأتى الدبور وحدها من مغرب الشمس الى مطلع سهيل وتأتى الجنوب وحدها من مطلع سهيل الى مطلع الشمس وتأتى الصبا وحدها من مطلع الشمس الى كرسى بنات النعش فلا تدخل هذه فى حد هذه ولا هذه فى حد هذه قال ابن عمر الرياح ثمان اربع منها عذاب واربع منها رحمة اما الرحمة فالناشرات والمبشرات والذاريات والمرسلات واما العذاب فالعاصفات والقاصف والصرصر والعقيم وأراد ابن عمر ما فى القرءآن من الفاظ الرياح وعن ابى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام ليبيتن قوم من امتى على اكل وشرب ولهوا ولعب ثم ليمسخن قردة وخنازير وليصيبن اقواما من امتى خسف وقذف باتخاذهم القيان وشربهم الخمور وضربهم بالدف ولبسهم الحرير ولتنسفن احياء من امتى الريح كما نسفت عادا كما فى كتاب الامتاع فى احكام السماع والسفر بر كندن بنا وكياه ودامى دن جيزى وفى الآية اشارة الى الرياح الصبحية بحمل انين المشتاقين المتعرضين لنفحات الالطاف الى ساحات العزة ثم تأتى بتنسم نفحات الحق الى مشام اسرار المحبة فيجدون راحة من غلبات اللوعة وفى معناه انشدوا

وانى لأستهدى الرياح نسيمكم * اذا أقبلت من ارضكم بهبوب
واسألها حمل السلام اليكمو * فان هى يوما بلغت فأجيبى

(قال المولى الجامى) نسيم الصبح زرمنى ربى نجد وقبلها * كه بوى دوست مى آيد ازان پاكيزه منزلها
(وقال الكمال الخجندى) صبا ز دوست پيامى بسوى اورد * بهمدمان كهن دوستى بجا آورد *
براى چشم ضعيف رمد كرفته ما * زخاك مقدم محبوب توتيا آورد * وقال بعضهم المراد بالذاريات النساء الولود فانهن يذرين وهو بضم الياء يذرون يقول الفقير من لطف هذا المعنى مجاورته للفظ الحاملات والجاريات على ان من وجوه الحاملات النساء الحوامل وفيه بيان لفضل الولود على العقيم كما قال عليه السلام سوداء ولود خير من حسناء عقيم ودل لفظ السوداء على سيادة الولود كسواد الحجر الاسود فانه من السيادة وذلك ان الولود مظهر الآثار ومطلع الانوار وكذلك الولود الانسان وهو الانسان الكامل وهو كالمصدر للافعال والجامد وهو الانسان الناقص لا يصلح الا لان يكون آية يستدل بها كسائر الآيات التكوينية ومثل الله فظ انما فانه للتأكيد والحصر لا غير وذلك باعتبار الكف عن العمل فافهم الاشارة (فالحاملات وقرا) الوقر بالكسر اسم لما توقر أى تحمل والمراد هنا المطر ووقرا مفعول الحاملات والمعنى فالسحب الحاملة للمطر وبالفارسية پس بردارندكان باركران يعنى ابرها كه بار ند (روى) عن خالد بن معدان قال ان فى الجنة شجرة تثمر السحاب فالسوداء التى نضجت تحمل المطر والبيضاء التى لا تحمل المطر وقال كعب السحاب غربال المطر ولولا السحاب لأفسد المطر ما أصاب من الارض وعن الحسن انه كان اذا نظر الى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكن تحرمونه بخطاياكم واعمالكم وعن عكرمة قال ما انزل الله من السماء قطرة الا انبت بها فى الارض عشبة اوفى البحر لؤلؤة وفى المطر حياة الارض فكأنه روحها وكذا فى الفيض الالهى حياة القلب والروح وفيه اشارة الى ان سحاب الطاف الربوبية تحمل امطار مراحم الالوهية فتمطر على قلوب الصديقين (فالجاريات يسرا) يسرا صفة لمصدر محذوف اى فالسفن الجارية فى البحر جريا يسيرا اى ذا يسر وسهولة وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال البحر زق بيد ملك لم يغفل عنه ولو غفل عنه الملك لطم على الارض يعنى درياخيكى است بدست فرشته غافل نمى شود ازوى فرشته واكر غافل شود برمى كند زمين را وفرومى كيرد وفى الحديث لا يركبن رجل البحر الا غازيا اوحاجا اومعتمرا فان تحت البحر نارا وان تحت النار بحرا وان تحت

البحر نارا وقال كعب ما من ليلة الا والبحار تشرف على الخلائق فتقول يارب ائذن لنا حتى نغرق الخاطئين فأمرها تعالى بالسكون فتسكن وسأل سليمان بن داود عليهما السلام عن ملك البحر فخرجت اليه دابة من البحر فجعلت تنسل من حيث طلعت الشمس حتى انتصف النهار تقول هذا ولما يخرج نصفى بعد فتعوذ بالله من البحر ومن ملكه يعنى پرسيد سليمان بن داود از فرشته بحر پس بيرون آمد بسوى وى جانورى از بحر بشتاب ازان زمان كه آفتاب برآمد تانيم روز كفت هنوز نيم من بيرون نيامده است پس پناه كرفت سليمان بخدا از بحر از ملك وى وفيه اشارة الى سفن وجود المحبين المحبوبين شراعهامن فوعة الى مهب رياح العناية فتجرى بهم فى بحار التوحيد على أيسر حال (فالمقسمات امرا) الامر واحد الامور أريد به معنى الجمع وهو منصوب على المفعولية والمراد بالمقسمات الملائكة وايراد جمع المؤنث السالم فيهم بتأويل الجماعات اى فالملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها وفى كشف الاسرار هذا كقوله فالمدبرات امرا قال عبد الرحمن بن سابط يدبر امر الارض اربعة من الملائكة جبريل و ميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام فجبريل على الجنود والرياح وميكائيل على القطر والنبات وملك الموت على قبض الارواح واسرافيل يبلغهم مايؤمرون به واضاف هذه الافعال الى هذه الاشياء لانها اسباب لظهورها كقوله تعالى خبرا عن جبريل لأهب لك غلاما زكيا وانما الله هو الواهب الغلام لكن لما كان جبريل سبب ظهوره أضاف الهبة اليه والفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار مابينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة يعنى ان المقصود من الاقسام بها ظاهرا هو تأكيد المحلوف عليه وهو البعث وكونه محقق الوقوع والمقصود الاصلى تعظيم هذه الاشياء لما فيها من الدلالة على كمال قدرته فيكون فى المعنى استدلالا على المحلوف عليه فكأنه قيل فمن قدر على انشاء هذه الاشياء الاقدر على اعادة ما انشأه اولا كقول القائل لمن أنعم عليه وحق نعمك الكثيرة انى لا ازال اشكرك اتى بصورة القسم الدال على تعظيم النعم استدلالا به على انه مواظب لشكرها فاذا كان كذلك فالمناسب ان يقدم ماهو ادل على كمال القدرة والرياح أدل عليه بالنسبة الى السحب لكون الرياح اسبابا لها والسحب لغرابة ماهيتها وكثرة منافعها ورقة حاملها الذى هو الريح أدل عليه من السفن وهذه الثلاث لكونها من قبيل المحسوسات أدل عليه من الملائكة الغائبين عن الحس لانه كلام مع المنكر فربما ينكر وجود من هو غائب عن الحس فلا يتم الاستدلال وقال سعدى المفتى فى بيان التفاوت المذكور فاما على التنزل كما فى قوله عليه السلام رحم الله المحلقين والمقصرين بان يقال الرياح اظهر فى الدلالة على كمال القدرة من السحب وهى من السفن والثلاث من الملائكة المقسمة لانه كلام الجاحد ويمكن ان ينكرها فكيف يجعلها اظهر مما هو محسوس على ما اختاره صاحب الكشف واما على الترقى والقول بأن كلا منها آخرها ادل على كمال القدرة مما قبله ولا اعتبار بأنكار من لاعبرة به فالمقسمات يدل على اقدار الروحانيات مع لطافتها على التصرف فى الجسمانيات مع كثافتها ثم الجاريات المتألفة من جميع العناصر على مافيها من الصنعة البديعة والامور العجيبة من حمل الاثقال مع خفة الحامل ورقة المحمل وقطع المسافة الشاسعة فى زمان يسير بهبوب الرياح العاصفة ثم الحاملات تتألف من الاجزاء المائية والهوائية وقليل من الاجزاء النارية والارضية وفيها غرائب من الآثار العلوية ولا تتم الا بواسطة الرياح وعليك بالتأمل انتهى يقول الفقير سر الترتيب هو ان الرياح فوق السحاب الحاملة للمطر وهى فوق الماء الحامل للسفن وهو فوق الارض الظاهر اثر تدبير الملائكة فيها فأشار تعالى الى ان كل امر انما ينزل من السماء وكل تأثير فى الارض انما يظهر من جانب العلو ومن ذلك وقوع البعث من القبور فمن قدر على اظهار الآثار فى الارض بالتأثيرات العلوية كان قادرا على البعث لانه من الآثار الارضية ايضا والله اعلم وفيه اشارة الى من ينزل من الملائكة المقربين لتفقد اهل الوصلة والقيام بأنواع من الامور لاهل هذه القصة فهؤلاء القوم يسألونهم عن أحوالهم هل عندهم خبر من فراقهم ووصالهم ويقولون

بربكما ياصاحبى قفاليا * اسائلكما عن حالكم فاسألانيا

(انما توعدون لصادق) جواب للقسم وما موصولة والعائد محذوف اى ان الذى توعدونه من البعث والحساب اومن الثواب والعقاب لصادق يعنى هرآينه راست ودرست است ودران هيچ خلافى نيست قال فى الارشاد ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضى فى ان اسم الفاعل مسند الى المفعول به

الذاوعد مصدوق والعيشة مرضية وقال ابن الشيخ اى لذو صدق على ان البناء للنسب كلابن لان الموعود لايكون صادقا بل الصادق هو الواعد ويجوز ان تكون ما مصدرية اى وعدكم او وعيدكم اذ يحتمل توعدون ان يكون مضارع وعد واوعد والثانى هو المناسب للمقام فالكلام مع المنكرين (وان الدين لواقع) اى وان الجزآء على الاعمال لحاصل وكائن لامحالة فان من قدر على هذه الامور البديعة المخالفة لمقتضى الطبيعة فهو قادر على البعث الموعود قال بعضهم فوعد الله المطيعين بالجنة والتائبين بالمحبة والاولياء بالقربة والعارفين بالوصلة والطالبين بالوجدان كما قال الامن طلبنى وجدنى و وعدالله واقع البتة ومن اوفى بعهده من الله واوعد الفاسقين بالنار والمصرين بالبغضاء والاعداء بالبعد والجاهلين الغافلين بالفراق والبطالين بالفقدان قال بعضهم ما الحكمة فى معنى القسم من الله تعالى فانه ان كان لاجل المؤمن فالمؤمن يصدق بمجرد الاخبار من غير قسم وان كان لاجل الكافر فلا يفيده والجواب ان القرءان نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم اذا ارادت ان تؤكد امرا والحكم يفصل باثنين اما بالشهادة واما بالقسم فذكر الله فى كتابه النوعين حتى لايبقى لهم حجة فقال شهد الله الآية ولايكون القسم الا باسم معظم وقد اقسم الله بنفسه فى القرءان فى سبعة مواضع والباقى من القسم القرءانى قسم بمخلوقاته كما فى عنوان هذه السورة ونحوه والتين والزيتون والصافات والشمس والليل والضحى وغير ذلك فان قلت ما الحكمة فى ان الله تعالى قد اقسم بالخلق وقد ورد النهى عن القسم بغير الله تعالى قال فى ترجمة الفتوحات حذر كن كه بغير دين اسلام بدينى ديكر سوكند ياد كنى باكويى اكر چنين باشد از دين اسلام بيزارم ودرين صورت از بهر احتياط تجديد ايمان كن ونهى آمده است از انكه كسى بغير الله سوكند ياد كند انتهى قلت فيه وجوه الاول انه على حذف المضاف اى ورب الذاريات ورب التين ورب الشمس والثانى ان العرب كانت تعظم هذه الاشياء وتقسم بها فنزل القرءان على مايعرفون والثالث ان الاقسام انما يكون بما يعظمه المقسم او يجله وهو فوقه والله تعالى ليس شئ فوقه فاقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لانها تدل على بارئ وصانع حكيم وقال بعضهم القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لان ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل اذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل وقال بعضهم ان الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وليس لاحد ان يقسم الا بالله وقال بعضهم القسم اما لفضيلة او منفعة ولاتخلو المصنوعات عنهما (والسماء ذات الحبك) جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق والمراد بالحبك الطرائق اى الطرائق المحسوسة التى هى مساير الكواكب او المعقولة التى يسلكها النظار و يتوصل بها الى المعارف كما قال الراغب الحبك هى الطرائق فمن الناس من تصور منها الطرائق المحسوسة بالنجوم والمجرة وهى بالفارسية كهكشان وعن على رضى الله عنه ان السماء تنشق من المجرة يوم القيامة ومنهم من اعتبر ذلك بما فيه من الطرائق المعقولة المدركة بالبصيرة والى هذا اشار بقوله ان فى خلق السموات والارض الى قوله ربنا ماخلقت هذا باطلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ذات الخلق الحسن المستوى در تبيان از ابن عمر رضى الله عنهما نقل ميكند كه مراد آسمان هفتم است وحق تعالى بدو سوكند ياد كند (انكم) يا اهل مكة (لفى قول مختلف) فى القرءان اى مختلف متناقض وهو قولهم انه شعر وسحر وافتراء واساطير الاولين وفى الرسول شاعر وساحر ومفتر ومجنون وفى القيامة فان من الناس من يقطع القول باقرار ومنهم من يقطع القول بانكار ومنهم من يقول ان نظن الا ظنا وهذا من التحير والجهل الغليظ فيكم وفى هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة لايكون مستويا انما هو متناقض مختلف يقول الفقير اهل الوجد فى هذا القسم ان القرءان نازل من السماء وان النبوة امر سماوى فهم اختلفوا فى هذا الامر السماوى وظنوا انه امر ارضى مختلف وليس كذلك وفى الآية اشارة الى سماء القلب ذات الطريق الى الله انكم ايها الطالبون الصادقون لفى قول مختلف فى الطلب فمنكم من يطلب منا ماعندنا من كمالات القربات ومنكم من يطلب منا الدنيا من العلوم والمعارف ومنكم من يطلبنا بجميع صفاتنا فلو استقمتم على الطريقة وثبتم ملازمين فى طلبه لبلغ كل قاصد مقصده (يؤفك عنه من افك) يقال افكه عنه يأفكه افكا صرفه وقلبه او قلب رأيه كما فى القاموس ورجل مأفوك مصروف عن الحق الى الباطل كما فى المفردات اى يصرف عن القرءان او الرسول من صرف اذ لاصرف افظع منه واشد فكأنه لاصرف بالنسبة اليه يعنى

ان تعريف مصدر افك الحقيقة وكلمة من للعموم فالمعنى كل من اتصف بحقيقة المصر وفيه يصرف عنه ويلزمه بعكس النقيض كل من لم يصرف عنه لم يتصف بتلك الحقيقة فكان كل صرف بغاية لاصرف بالقياس اليه لكماله وشدته وقال بعضهم يصرف عنه من صرف فى علم الله وقضائه يعنى هركه درعلم خداى محروم باشد از ايمان كتاب وپيغمبر هر آينه محروم مست * دلها همه محزون وجكرها خونست * تاحكم ازل درحق هركس چونست * وفيه اشارة الى ان فى قطاع الطريق على ارباب الطلب لكثرة فمن يصرفه عن طلبه قاطع من القطاع من النفس والهوى والدنيا وزينتها وشهواتها وجاهها ونعيمها فصرف فقد حرم من تمناه وأهلكه هواه كما قيل نعوذ بالله من الحور بعد الكور وينادى عليه منادى العزة وكم مثلها فارقتها وهى تصفر (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخرص تقدير القول بلا حقيقة ومنه خرص الثمار اى تقديرها مثلا تقديرما على النخل من الرطب تمرا وكل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرص سواء كان ذلك مطابقا للشئ او مخالفا له من حيث ان صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل الخارص فى خرصه وكل من قال قولا على هذا النحو يسمى كاذبا وان كان قوله مطابقا للقول المخبر به كما قال تعالى فى شهادة المنافقين لكاذبون فالخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم اصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون فاللام للعهد اشارة اليهم وعن مجاهد هم الكهنة (الذين هم) لفظهم مبتدأ وخبره قوله (فى غمرة) من الجهل والضلال تغمرهم وتغشاهم عن امر الآخرة قال الراغب اصل الغمر ازالة اثر الشئ ومنه قيل للماء الكثير الذى يزيل أثر مسيله غمر وغامر وبه شبه الرجل السخى والفرس الشديد العدو فقيل لهما غمر كما شبها بالبحر والغمرة معظم الماء الساترة لقرها وجعلت مثلا للجهالة التى تغمر صاحبها والى نحوه اشار بقوله فأغشيناهم وقيل للشدائد غمرات قال تعالى فى غمرات الموت وقال الشاعر

قال العواذل اننى فى غمرت * صدقوا ولكن غمرتى لا تنجلى

(ساهون) خبر بعد خبر اى غافلون عما امروا به قال بعضهم الغمرة فوق الغفلة والسهو دون الغفلة قال الراغب السهو خطأ عن غفلة وذلك ضربان احدهما ان لا يكون من الانسان جوالبه ومولداته كمجنون سب انسانا والثانى ان يكون مولداته كمن شرب خمرا ثم ظهر منه منكر لا عن قصد الى فعله فالاول معفو عنه والثانى مأخوذ به وعلى الثانى ذم الله تعالى فقال الذين هم فى غمرة ساهون وفى كشف الاسرار الخراصون هم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول فى النبى عليه السلام ليصرفوا الناس عن دين الاسلام يعنى ان اهل مكة اقاموا رجالا على عقاب مكة يصرفون الناس يعنى بوقت ورود قوافل بر عقاب مكة نشستندى وهريك درحق مصطفى عليه السلام با آينده وروندة دروغ كفتندى وحى دمارا ازصحبت شر بفوى بازدشتندى حق تعالى ايشانرا لعنت كرد قال ابو الليث فمنهم من يأخذ بقولهم ويرجع ومنهم من لا يرجع وفى الآية اشارة الى اهل الدعوى الذين هم فى غمرة الحسبان والغرور وهم ملعونون اى مطرودون عن مقامات اهل الطلب فانه ليس لهم طلب ولو طلبوا لوجدوا ما وجدا اهل الطلب قال سهل رضى الله عنه توضأت فى يوم جمعة فمضيت الى الجامع فى ايام البداية فوجدته قد امتلأ بالناس وهم الخطيب ان يرقى المنبر فأسأت الادب ولم ازل اتخطى رقاب الناس حتى وصلت الى الصف الاول فجلست فاذا هو عن يمينى شاب حسن المنظر طيب الرائحة عليه اطمار صوف فلما نظر الى قال كيف تجدك يا سهل قلت بخير اصلحك الله وبقيت متفكرا فى معرفته لى وانا لم اعرفه فبينما انا كذلك اذا اخذنى حرقان بول فأكربنى فبقيت على وجل خوفا ان اتخطى رقاب الناس وان جلست لم تكن لى صلاة فالتفت الى وقال يا سهل اخذك حرقان بول قلت اجل فنزع احرامه عن منكبه فغشانى به ثم قال اقض حاجتك واسرع تلحق الصلاة قال فغمى على وفتحت عينى واذا بباب مفتوح وسمعت قائلا يقول لج الباب يرحمك الله فولجت واذا بقصر مشيد عالى البناء شامخ الاركان واذا بنخلة قائمة والى جنبها مطهرة مملوءة ماء أحلى من الشهد ومنزل اراقة الماء ومنشفة معلقة وسواك فحللت لباسى وارقت الماء ثم اغتسلت وتنشفت بالمنشفة فسمعته ينادينى فيقول ان كنت قضيت اربك فقل نعم فقلت نعم فنزع الاحرام عنى فاذا انا جالس فى مكانى ولم يشعر بى احد فبقيت متفكرا فى نفسى وانا مكذب نفسى

فيما جرى فقامت الصلاة وصلى الناس فصليت معهم ولم يكن لى شغل الا الفتى لأعرفه فلما فرغ تبعت أثره فاذا به قد دخل على درب فالتفت الى وقال ياسهل كأنك ما أيقنت بما رأيت قلت كلا فقال لج الباب رحمك الله فنظرت الباب بعينه فولجت القصر فنظرت النخلة والمطهرة والحال بعينه والمنشفة مبلولة فقلت آمنت بالله فقال ياسهل من أطاع الله أطاعه كل شئ ياسهل اطلبه تجده فتغرغرت عيناى بالدموع فمسحتهما وفتحتهما فلم أر الفتى ولا القصر فبقيت متحسرا على مافاتنى منه ثم اخذت فى العبادة (يسألون) اى الكفار فيقولون (ايان يوم الدين) بحذف المضاف من اليوم واقامة المضاف اليه مقامه فلا يرد ان ظرف الزمان لايقع خبرا الاعن الحدث وفى النظم اخبره عن الزمان اى متى وقوع يوم الجزاء لكن لابطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء (يوم هم على النار يفتنون) جواب للسؤال وانتصب يوم بفعل مضمر دل عليه السؤال اى يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون بها كما يفتن الذهب بالنار يقال فتنت الشئ اى احرقت خبثه لتظهر خلاصته فالكافر كله خبث فيحرق كله ويجوز ان يكون خبر المبتدأ محذوف اى هو يوم هم والفتح لاضافته الى غير متمكن (ذوقوا فتنتكم) اى مقولا لهم هذا القول اذا عذبوا والقائل خزنة النار اى ذوقوا جزاء تكذيبكم كما فى قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم اى كفرهم مرادا به عاقبته قال الراغب اصل الفتن ادخال الذهب النار ليظهر جودته من رداءته ويستعمل فى ادخال الانسان النار وقوله تعالى ذوقوا فتنتكم اى عذابكم وتارة يسمون مايحصل منه العذاب فيستعمل فيه نحو قوله تعالى ألا فى الفتنة سقطوا وتارة فى الاختبار نحو قوله وفتناك فتونا (هذا الذى كنتم به تستعجلون) جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر وهذا اشارة الى مافى الفتنة من معنى العذاب اى هذا العذاب ما كنتم تستعجلون به فى حياتكم الدنيا وتقولون متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذى صفته وفيه اشارة الى أهل المكر والدعوى الذين استبطأوا حصول المرام فيسألون ايان يوم الدين وهم فى ظلمة ليل الدنيا مستعجلين فى استصباح نهار الدين فأجابهم عزة الجبروت عن الكبرياء والعظموت يوم هم على نار الشهوات يفتنون بعذاب البعد والقطيعة يعذبون ذوقوا عذاب فتنتكم التى قطعت عليكم طريق الطلب هذا الذى كنتم به تملون من الطلب وتستعجلون الظفر بالمقصود * قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى كنت انا وصاحب لى قد أوينا الى مغارة نطلب الدخول الى الله وأقمنا فيها ونقول يفتح لنا غدا او بعد غد فدخل علينا يوما رجل ذو هيبة وعلمنا انه من اولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف يكون حال من يقول يفتح لنا غدا او بعد غد يانفس لم لاتعبدين الله فتيقظنا وتبنا الى الله فبعد ذلك فتح علينا ففيه اشارة الى ترك الاستعجال فى طريق الطلب والى الاخذ بالاخلاص والى العمل وفق اشارة المرشد ودلالة الانبياء والاولياء حتى يتخلص الطالب من عذاب الوجود ويرتفع الحجاب ويحصل الشهود بكمال الفيض والجود واما العمل بالنفس فيزيد فى وجودها * واقف نمى شوند كه كم كرده اندراه * تاره روان براهنمايى نمى رسند * فالمرشد اذ لابد منه فان المريد ضعيف والشيخ كالحائط المستحكم (كما قال الشيخ سعدى) مريدان زطفلان بقوت كمند * مشايخ جو ديوار مستحكمند * (وقال الصائب) برهدف دستى ندارد تير بى زور كمان * همت بيران جوانانرا بمنزل ميبرد * نسأل الله سبحانه ان يدلنا على سلوك طريقه ويوصلنا الى جنابه بتوفيقه انه هو الكريم الرحيم (ان المتقين) عن الكفر والمعصية والجهل والميل الى ماسوى المولى والمتصفين بالايمان والطاعة والمعرفة والتوجه الى الحضرة العليا (فى جنات) اى بساتين لايعرف كنهها فالتنكير للتعظيم ويجوز ان يكون للتكثير كما فى قوله ان الله لأبواب له لغنما والعرب تسمى النخيل جنة (وعيون) اى انهار جارية اى تكون الانهار بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لاانهم فيها وعن سهل رضى الله عنه التقى فى الدنيا فى جنات الرضى يتقلب وفى عيون الناس يسبح وقال بعضهم فى جنات قلوبهم وعيون الحكمة فى عاجلهم وفى جنات الفضل وعيون الكرم فغدا تجلى ودرجات واليوم مناجات وقربات (آخذين ما آتاهم ربهم) حال من الضمير فى الجار اى قابلين لكل مااعطاهم من الثواب راضين به على معنى ان كل ما أعطاهم حسن مرضى متلقى بالقبول ليس فيه ما يرد لانه فى غاية الجودة ومنه قوله ويأخذ الصدقات اى يقبلها ويرضاها قال بعضهم اخذين ما اتاهم ربهم اليوم بقلوب فارغة الى الله من اصناف الطافه وغدا يأخذون مايعطيهم ربهم فى الجنة من فنون العطاء والرفد

ثم علل استحقاقهم ذلك بقوله (انهم كانوا قبل ذلك) قبل دخول الجنة اى فى الدنيا (محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) الهجوع النوم بالليل دون النهار وما مزيدة لتأكيد معنى التقليل فانها تكون لافادة التقليل كما فى قولك اكلت اكلا ما وقليلا ظرف ويهجعون خبر كانوا اى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل اوصفة مصدر محذوف اى كانوا يهجعون هجوعا قليلا من اوقات الليل يعنى يذكرون ويصلون اكثر الليل وينامون اقله ولا يكونون مثل البطالين الغافلين النائمين الى الصباح وقال بعض اهل الاشارة فيه اشارة الى ان اهل الاحسان وهم اهل المحبة والمشاهدة لا ينامون بالليل لان القلة عبارة عن العدم ومعنى عدم نومهم ما أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله نوم العالم عبادة فمن يكون فى العبادة لا يكون نائما قيل نزلت الآية فى شان الانصار رضى الله عنهم حيث كانوا يصلون فى مسجد النبى عليه السلام ثم يمضون الى قباو بينهما ميلان وهما ساعة واحدة بالساعة النجومية (وقال الكاشفى) اشهر انست كه جواب نكردندى تا نماز خفتن ادا نفرمودندى و وقت اراد از كشيدندى وعن جعفر بن محمد انه قال من لم يهجع ما بين المغرب والعشاء حتى يشهد العشاء فهو منهم وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى صلاة الليل افضل قال فى نصف الليل وقليل فاعله (قال بعضهم) نركس اندر جواب غفلت يافت ملك صد وصال * خفته نا بينا بود دولت به بيداران رسد (وفى المثنوى) درد پشتم داد حق تا من زخواب بر جهم در نيم شب با سوز و تاب * دردها بخشيد حق ازلطف خويش * تا نخسبم جمله شب چون كاوميش * قال داود بن رشيد من اصحاب محمد بن الحسن قمت ليلة فاخذنى البرد فبكيت من العرى فنمت فرأيت قائلا يقول يا داود انمناهم وأقمناك فتبكى علينا فنام داود بعد تلك الليلة روزى شاكردى از شاكردان ابو حنيفة رحمه الله او را كفت مردمان مى كويند كه ابو حنيفه هيچ بشب نمى خسبيد كفت نيت كردم كه هر كز ديكر نخسبم لما قال تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من نخواهم كه ازان قوم باشم كه ايشان را بچيزى كه نكرده باشند ياد كنند بعد ازان سى سال نماز بامداد بطهارت نماز خفتن كزارد وقال الشيخ ابو عمر وفى سبب توبته سمعت ليلة حمامة تقول يا اهل الغفلة قوموا الى ربكم رب كريم يعطى الجزيل ويغفر الذنب العظيم فلما سمعت ذلك ذهبت عنى ثم لما جئت الى وجدت قلبى خاليا عن حب الدنيا فلما اصبحت لقيت الخضر عليه السلام فدلنى على مجلس الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه فدخلت عليه وسلمت نفسى اليه ولازمت بابه حتى جمع الله لى كثيرا من الخير (وبالاسحار هم يستغفرون) السحر السدس الاخير من الليل لاشتباهه بالضياء كالسحر يشبه الحق وهو باطل اى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار فى الاسحار كأنهم اسلفوا فى ليلهم الجرائم واين دليل آنست كه بعمل خود معجب نبوده اند وازان حساب نداشته * طاعت ناقص ما موجب غفران نشود * راضيم كرمدد علت عصيان نشود * وفى بناء الفعل على الضمير المفيد للتخصيص اشعار بأنهم الاحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفى بحر العلوم تقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفاصلة وعن الحسن كانوا لا ينامون من الليل الا اقله وربما نشطوا فمدوا الى السحر ثم اخذوا بالاسحار فى الاستغفار وفى التأويلات النجمية يستغفرون من رؤية عبادات يعملونها فى سهرهم الى الاسحار بمنزلة العاصين يستغفرون استصغار القدرهم واستحقار الفعلهم * عذر تقصير خدمت آوردم * كه ندارم بطاعت استظهار * عاصيان از كناه توبه كنند * عارفان از عبادت استغفار * اى من التقصير فى العبادة او من رؤيتها قيل يا رسول الله كيف الاستغفار قال قولوا اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم وقال عليه السلام توبوا فانى اتوب الى الله فى كل يوم مائة مرة وفى الحديث ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فيقول يا رب أنى لى هذه فيقول باستغفار ولدك لك اى بان قال رب اغفر لى ولوالدى وفى بعض الاخبار ان احب احبائى الى الذين يستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا أردت باهل الارض شيأ ذكرتهم فصرفت بهم عنهم (قال الحافظ) هر كنج سعادت كه خداداد بحافظ * از يمن دعاى شب و ورد سحرى بود (وقال) در كوى عشق شوكت شاهى نمى خرند * اقرار بندكى كن ودعوى چاكرى (وفى المثنوى) كفت آنكه هست خورشيد راه او * حرف طوبى هر كه ذلت نفسه * ظل ذلت نفسه خوش مضجعست * مستعدان صفا را مهجعست *

كر ازين سايه روى سوى منى * زود طاغى كردى وره كم كنى * وقال الكلبي ومجاهد وبالاسحار هم يصلون وذلك ان صلاتهم بالاسحار لطلب المغفرة وفي الحديث (من تعار من الليل) هذا من جوامع الكلم لانه يقال تعار من الليل اذا استيقظ من نومه مع صوت كذا في الصحاح وهذه اليقظة تكون مع كلام غالبا فاحب النبي عليه السلام ان يكون ذلك الكلام تسبيحا وتهليلا ولا يوجد ذلك الا ممن استأنس بالذكر (فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفرلى اودعا) اى بدعاء آخر غير قوله اللهم اغفرلى (استجيب له) هذا الجزاء مترتب على الشروط المذكورة والمراد بها الاستجابة اليقينية لان الاحتمالية ثابتة فى غير هذا الدعاء ولو لم يدع المتعار بعد هذا الذكر كان له ثواب لكنه عليه السلام لم يتعرض له (فان توضأ وصلى قبلت صلاته) فريضة كانت او نافلة وهذه المقبولية اليقينية مترتبة على الصلاة المتعقبة لما قبلها وفي الخبر الصحيح ينزل الله الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول انا الملك انا الملك من الذى يدعونى فأستجيب له من الذى يسالنى فاعطيه من الذى يستغفرنى فأغفرله وكان النبي عليه السلام اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفرلى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما اعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت ولا حول ولا قوة الا بك قال داود عليه السلام يا جبرائيل اى الليل أفضل قال لا ادرى الا ان العرش يهتز وقت السحر ولا يهتز العرش الا لكثرة تجليات الله اما تلقيا وفرحا لاهل السهر واما طربا لانين المذنبين والمستغفرين فى ذلك الوقت واما تعجبا لكثرة عفو الله ومغفرته واجابته للادعية فى ذلك الوقت واما تعجبا من حسن لطف الله فى تحننه على عباده الآبقين الهاربين منه مع غناه عنهم وكثرة احتياجهم اليه تعالى ثم مع ذلك هم غافلون فى نومهم وهو يتوجه اليهم ويدعوهم بقوله هل من سائل هل من مستغفر هل من تائب هل من نادم وقوله من يقرض غير عدوم ولا ظلوم واما تعجبا من غفلات اهل الغفلة بنومهم فى مثل ذلك الوقت وحرمانهم من البركة واما لانواع قضاء الله وقدره فى ذلك الوقت من الخيرات والشرور والليل اما للاحباب فى انس المناجاة واما للعصاة فى طلب النجاة والسهر لهم فى لياليهم دائم اولفرط اسف ولشدة لهف واما للاشتياق او للفراق كما قالوا

كم ليلة فيك لا صباح لها * افنيتها قابضا على كبدى

قد غصت العين بالدموع وقد * وضعت خدى على بنان يدى

واما للكمال انس وطيب روح كما قالوا

سقى الله عيشا نضيرا مضى * زمان الهوى فى الصبى والجنون

ليا ليه تحكى انسداد اللحا * ظ للعين عند ارتداد الجفون

واعلم ان الله سبحانه امر نبيه صلى الله عليه وسلم باحياء الليل لان هذه الطريقة اقرب طريق الى الله للمقبل الصادق وما يطيقها الا المتمكن الصابر العابر من كل عائق وفي الحديث فرض على قيام الليل ولم يفرض عليكم وذلك لانه روح العالم ومداره فكيف يكون لله ولى بخيل بنفسه على الله متكاسل ويتكاسله يخرب العالم ويشتد جهل اهله كما ان الروح اذا ضعف اختل الجسد وقواه ومن هنا عرفت شدة توغل الاتقياء فى العبادات وكلما قرب الانسان من الكمال اشتد تكليفه فاعرف هذا (وروى) ان الياس النبي عليه السلام أتى اليه ملك الموت ليقبضه فبكى فقال له ابكى وانت راجع الى ربك فقال بل ابكى على ليالى الشتاء ونهار الصيف الاحباب يقومون ويصومون ويحمدون ويتلذذون بمناجاة محبوبهم وانا راهن بالتراب فاوحى الله اليه قد اجلناك الى يوم القيامة لحبك خدمتنا فتمتع (قال الحافظ) دع التكاسل تغنم * وقد جرى مثل كه زادرا هروان جستيست وچالاكى (وفى اموالهم حق) اى نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم اى يعدونه واجبا عليهم ويلزمونه تقربا الى الله واشفاقا على الناس فليس المراد بالحق ما اوجبه الله عليهم فى اموالهم فاندفع به ما عسى يقال كيف يمدح المرء بانه يثبت فى ماله حق للفقراء فمن يمنع الزكاة من الاغنياء يوجد فيهم هذا المعنى ولا يستحقون المدح (للسائل) لحاجة المستجدى اى طالب الجدوى والنفع (والمحروم) اى المتعفف

الذى يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفى القاموس المحروم الممنوع من الخير ومن لا ينمى له مال وفى المفردات اى الذى لم يوسع عليه فى الرزق كما وسع على غيره بل منع من جهة الخير وفى بحر العلوم وانما خصصه بالسائل والمحروم ولم يذكر سائر المستحقين لان ذلك حق سوى الصدقة المفروضة بدليل قوله عليه السلام ان فى المال حقا سوى الزكاة انتهى يعنى فى المال حق واجب سوى الزكاة وهو الحقوق التى تلزم عند ما يعرض من الاحوال من النفقة على الوالدين اذا كانا فقيرين وعلى ذى الرحم المحرم وما يجب من طعام المضطر وحمل المنقطع ونحو ذلك وفى الحديث ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ربنا ظلموا حقوقنا فيقول الله لأقربنكم اليوم ولأبعدنهم وتلا الآية فلابد من الانفاق وهو من احسن من الاخلاق (قال الحافظ) چه دوزخى چه بهشتى چه آدمى چه ملك * بمذهب همه كفر طريقتست امساك (وقال الشيخ سعدى) از زر وسيم راحتى برسان * خويشتن هم تمتعى بركير * چونكه اين خانه از تو خواهد ماند * خشتى از سيم وخشتى از زر كير * وفى الحديث ان الله ثلاثمائة وستين خلقا من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة قال ابو بكر رضى الله عنه هل فىّ منها يا رسول الله قال كلها فيك يا ابا بكر واحبها الى الله السخاء (حكى) ان الشيخ الشبلى قدس سره اشار الى اصحابه بالتوكل فلم يفتح عليهم بشئ ثلاثة ايام ثم قال لهم ان الله تعالى قد اباح الكسب بقوله هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه فخرج واحد منهم فأعياه الجوع وجلس عند حانوت طبيب نصرانى فعرف الطبيب جوعه من نبضه فأمر غلامه بالطعام فقال الفقير قد ابتلى بهذه العلة اربعون رجلا فأمر غلامه بحمل الطعام اليهم ومشى خلفه فلما وصل الطعام اليهم قال الشبلى لا ينبغى أن نأكلوا قبل المكافأة بالدعاء فدعوا له فلما سمع الطبيب دعاءهم دخل واسلم فظهر معنى قوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان فجزاء احسان الطبيب النصرانى بالطعام الاحسان من عباد الله بالدعاء ومن الله بتوفيق الاسلام وفى الآية اشارة الى ما آتاهم الله من فضله من المقامات والكمالات انه فيها حق للطالبين الصادقين اذا قصدوهم من اطراف العالم فى طلبها اذ عرفوا قدرها والمحروم من لم يعرف قدر تلك المقامات والكمالات فقصدوهم فى طلبها فلهم فى ذمة كرم هؤلاء الكرام حق التفقد والنصح فان الدين النصيحة فانهم بمنزلة الطبيب والمحروم بمنزلة المريض فعلى الطبيب ان يأتى الى المريض ويرى نبضه ويعرف علته ويعرفه خطره ويأمره بالاحتماء من كل ما يضره ويعالجه بادوية تنفعه الى ان يزيل مرضه وتظهر صحته كذا فى التأويلات النجمية (وفى الارض آيات للموقنين) الايقان بى كمان شدن اى دلائل واضحة على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين فى اقطارها والسالكين فى مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن متفننة وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم فى صحتهم واعتلالهم وقال الكلبى عظات من آثار من تقدم وفى التأويلات النجمية منها اى من تلك الآيات انها تحمل كل شئ فكذا الموقن العارف يحمل كل حمل من كل احد ومن استثقل حملا او تبرم برؤية احد سافه الله اليه فلغيبته عن الحقيقة ومطالعته الحق بعين التفرقة واهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة ومنها انها يلقى عليها اقذارة وقمامة فتنبت كل زهر ونور وورد وكذلك العارف يتشرب ما يسقى من الجفاء ولا يترشح الا بكل خلق على وشيمة زكية ومنها ان ما كان منها سبخا يترك ولا يعمر لانه لا يحتمل العمارة كذلك من الايمان له بهذه الطريقة يهمل فان مقابلته بهذه القصة كالقاء البذر فى الارض السبخة انتهى قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر ولا تبذر السمراء فى ارض عميان) يعنى بيان الحقائق الذى هو غذاء القلب والروح كالسمراء يعنى الحنطة للجسم وقوله فى ارض عميان يعنى فى ارض استعداد هذه الطوائف الذين لا يبصرون الحق ولا يشاهدونه فى جميع الاشياء وفى حقائق البقلى آيات الارض ظهور تجلى ذاته وصفاته فى مرآة الاكوان كما ظهر من الطور لموسى عليه السلام وما ظهر من المصيصة لعيسى عليه السلام وهى بكسر الميم مدينة على ساحل البحر الرومى بجوار طرسوس والسيس وما ظهر لمحمد صلى الله عليه وسلم من جبال مكة الا ترى الى قوله عليه السلام جاء الله من سيناء واستعلن بساعة واشرق من جبال فاران اى جبال مكة وفى القاموس فاران جبال مذكورة فى التوراة منها بكر

ابن القاسم (وفى انفسكم) اى وفى انفسكم آيات اذليس فى العالم شئ الاوفى الانفس له نظير يدل دلالته على ماسبق تطبيق العالم الصغير بالكبير فى اواخر حم السجدة عند قوله سنريهم آياتنا الخ مع ماانفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة وفى بحر العلوم وفى الارض دلائل من انواع الحيوان والاشجار والجبال والانهار وفى انفسكم آيات لهم من عجائب الصنع الدالة على كمال الحكمة والقدرة والتدبير والارادة فيكون تخصيصا بعد تعميم لان انفس الناس مما فى الارض كأنه قيل فى الارض آيات للموحدين العاقلين وفى انفسكم خصوصا آيات لهم لان اقرب المنظور فيه من كل عاقل نفسه ومن ولد منها وما فى بواطنها وظواهرها من الدلائل الواضحة على الصانع وفى نقلها من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت الميلاد الى وقت الوفاة قال بعضهم

فى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

وذلك لان كل شئ بجسمه واحد وكذا بروحه ولاعبرة بكثرة الاجزاء والاعضاء ومامن عدد الاويصح وصفه بالوحدة فيقال عشرة واحدة ومائة واحدة على ان كل جسم فهومنته الى الجزء الذى لايتجزى وهو النقطة وكل الف فهو امامركب من نقاط ثلاث او خمس اوسبع وقس عليه سائر التركيبات الحروفية والفعلية وفى التأويلات النجمية يشير الى ان نفس الانسان مرآة جميع صفات الحق ولهذا قال عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه فلا يعرف احد نفسه الابعد كمالها وكمالها فى ان تصير مرآة تامة مصقولة قابلة لتجلى صفات الحق ايها فيعرف نفسه بالمرآتية ويعرف ربه بالمتجلى فيها كما قال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق * جهان مرآت حسن شاهد ماست * نشاهد وجهه فى كل ذرات (افلا تبصرون) اى الا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة حتى تعتبروا وتستدلوا بالصنعة على الصانع وبالنقش على النقاش وكذا على صفاته (قال الكاشفى) استفهام بمعنى امرست يعنى بنظر عبرت درنكريد وعلامات كمال صنع درذات خود مشاهده كنيد درحقايق سلمى مذكورست كه هركه اين آيتها درنفس خود نبيند ودرصفحة وجود آثارقدرت مطالعه ننمايد حظ خودرا ضايع كرده باشد وازرندكان هيج بهره نيابد * نظرى بسوى خودكن كه توجان دلربايى * مفكن بخاك خودرا كه توأز بلند جايى * توزچشم خودنهانى توكمال خودچه دانى * چودر ازصدف برون آكه توبس كران بهايى * قال الواسطى تعرف الى قوم بصفاته وافعاله وهو قوله وفى انفسكم افلا تبصرون وتعرف الى الخواص بذاته فقال الم تر الى ربك (روى) ان عليا رضى الله عنه صعد المنبر يوما فقال سلونى عمادون العرش فان مابين الجوانح علم جم هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فى هذا مارزقنى الله من رسول الله رزقا فوالذى نفسى بيده لواذن للتوراة والانجيل ان يتكلما فاخبرت بما فيهما لصدقانى على ذلك وكان فى المجلس رجل يمانى فقال ادعى هذا الرجل دعوى عريضة لافضحنه فقام وقال ياعلى اسأل قال سل تفقها ولاتسأل تعنتا فقال انت حملتنى على ذلك هل رأيت ربك ياعلى قال ماكنت اعبد ربا لم اره فقال كيف رأيت قال لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رات القلوب بحقيقة الايمان ربى واحد لاشريك له احد لاثانى له فرد لامثل له لايحويه مكان ولايداوله زمان لايدرك بالحواس ولايقاس بالقياس فسقط اليمانى مغشيا عليه فلما افاق قال عاهدت الله ان لااسأل تعنتا (وحكى) عن بعض الصالحين انه رأى فى المنام معروفا الكرخى شاخصا بصره نحو العرش قداشتغل عن حورالجنة وقصورها فسأل رضوان من هذا قال معروف الكرخى مات مشتاقا الى الله فاباح له ان ينظر اليه وهذا النظر هناك من نتائج النظر بالقلب فى الدنيا لقوله تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واما النظر بالبصر فى الدنيا فلما لم يحصل لموسى عليه السلام لم يحصل لغيره اذليس غيره اكمل قابلية منه الاماحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان فى خارج حدالدنيا اذكان فوق العرش والعرش من العالم الطبيعى وملاقى لعالم الارواح واعلم ان رؤية العوام فى مرتبة العلم ورؤية الخواص فى مرتبة العين ولهم مراتب فى التوحيد كالافعال والصفات والذات فليجتهد العاقل فى الترقى من مرتبة العلم الى مرتبة العين ومن الاستدلال الى الشهود والحضور (وفى السماء رزقكم) اى اسباب رزقكم على حذف المضاف يعنى به الشمس والقمر وسائر الكواكب

واختلاف المطالع والمغارب التي يترتب عليه اختلاف الفصول التي هي مبادى حصول الارزاق
(كما قال الشيخ سعدى) ابر وباد ومه وخورشيد وفلك دركارند * تا تونانى بكف آرى وبغفلت نخورى *
همه از بهر تو سر كشته وفرمان بردار * شرط انصاف نباشد كه تو فرمان نبرى * او فى السماء تقدير
رزقكم وقال ابن كيسان يعنى على رب السماء رزقكم كقوله تعالى ولاصلبنكم فى جذوع النخل (وما توعدون)
من الثواب لان الجنة على ظهر السماء السابعة تحت العرش قرب سدرة المنتهى او اراد ان كل ما توعدون
من الخير والشر والثواب والعقاب والشدة والرخاء وغيرها مكتوب مقدر فى السماء ودر تبيان كفته
مكتوب بست دراوحى كه در آسمان چهارم است * يقول الفقير امر العقاب ينزل من السماء ونفسه ايضا كالصيحة
والقذف والنار والطوفان على ماوقع فى الامم السالفة (فورب السماء والارض) اقسم الله بنفسه وذكر الرب
لانه فى بيان التربية بالرزق (انه) اى ما توعدون او ماذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة
(لحق) هرآينه راستست وفى الحديث ابى ابن آدم ان يصدق ربه حتى اقسم له فقال فورب الخ وقال الحسن
فى هذه الآية بلغنى ان رسول الله عليه السلام قال قاتل الله اقوا ما اقسم الله لهم بنفسه فلم يصدقوه انتهى
ولو وعد يهودى لانسان رزقه واقسم عليه لاعتمد بوعده وقسمه فقاتله الله كيف لايعتمد على الرزاق
قال هرم بن سنان لأويس القرنى رضى الله عنه اين تأمرنى ان اكون فأومأ الى الشام فقال هرم كيف
المعيشة بها قال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة (مثل ما انكم تنطقون)
اى كما انه لاشك لكم فى انكم تنطقون ينبغى ان لا تشكوا فى حقيته وبالفارسية همچنانكه شك نيست
شمارا درسخن خودشك نيست درروزى دادن من وغيراو ونصبه على الحالية من المستكن فى الحق او على انه
وصف لمصدر محذوف اى انه لحق حقا مثل نطقكم فانه لتوغله فى الابهام لا يتعرف باضافته الى المعرفة
وما زائدة او عبارة عن شئ على ان يكون مابعدها صفة لها بتقدير المبتدأ اى هو انكم تنطقون وفى التأويلات
النجمية كما انطقكم الله فتنطقون بقدرته بلاشك كذلك حق على الله ان يرزقكم ما وعدكم وانما اختص التمثيل
بالنطق لانه مخصوص بالانسان وهو اخص صفاته انتهى وفى الآية دليل للتوكل على الله وحث على طلب
الحوائج منه واحالهم على رؤية الوسائط ولو كانوا على محل التحقيق لما احالهم على السماء ولا على الارض
فانه لو كان السماء من حديد والارض من نحاس فلم تمطر ولم تنبت وكان رزق جميع العباد على رقبة ولى من اولياء
الله الكمل ما يبالى لانه خرج من عالم الوسائط ووصل الى صاحب الوسائط والله تعالى انما يفعل عند الاسباب
لا بالاسباب ولو رفع الاسباب لكان قادرا على ايصال الرزق فانه انما يفعل بامر كن وبيده الملكوت وهذا
مقام عظيم فلما سلمت النفوس فيه من الاضطراب والقلق لعل الفتاح ادخلنا فى دائرة الفتوح آمين وعن الاصمعى
اقبلت فى البصرة من الجامع بعد الجمعة فطلع اعرابى على قعود وهو بالفتح من الابل ما يقتعده الراعى فى كل حاجة
فقال من الرجل قلت من بنى اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن اى من بيت الله
الحرام قال اتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته
فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف
فاذا انا بمن يهتف بى بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابى قد نحل واصفر فسلم فاستقرأ السورة فلما بلغت الآية
صاح فقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غيرهذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال
يا سبحان الله من ذا الذى اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بالقول حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت
معه نفسه نسأل الله التوكل والاعتماد (هل اتاك حديث ضيف ابراهيم) تفخيم لشان الحديث لانه استفهام
معناه التعجب والتشويق الى استماعه ومثله لايكون الا فيما فيه فخامة وعظم شان وتنبيه على انه ليس مما علمه
رسول الله عليه السلام بغير طريق الوحى اذ هو امى لم يمارس الخط وقراءته ولم يصاحب اصحاب التواريخ ففيه
اثبات نبوته قال ابن الشيخ الاستفهام للتقرير اى قد اتاك وقيل ان لم يأتك نحن نخبرك والضيف فى الاصل
مصدر ضافه اذا نزل به ضيفا ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وقد يجمع فيقال اضياف
وضيوف وضيفان قال الراغب اصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا واضفت كذا الى كذا والضيف من مال
اليك نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة فى القرى كانوا اثنى عشر ملكا منهم جبرآئيل وميكائيل وزرقائيل

وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم اولانهم كانوا فى حسبانه كذلك (المكرمين) صفة للضيف اى المكرمين عند الله بالعصمة والتأييد والاصطفاء والقربة والسفارة بين الانبياء كما قال بل عباد مكرمون اوعند ابراهيم بالخدمة حيث خدمهم بنفسه وزوجته وايضا بطلاقة الوجه وتعجيل الطعام وبانهم ضيف كريم لان ابراهيم اكرم الخليقة وضيف الكريم لايكون الا كريما وفى الحديث من آمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه قيل اكرامه تلقيه بطلاقة الوجه وتعجيل قراه والقيام بنفسه فى خدمته وقد جاء فى الرواية ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم عليه السلام اكرم اضيافك فاعد لكل منهم شاة مشوية فاوحى اليه اكرم فجعله ثورا فاوحى اليه اكرم فجعله جملا فاوحى اليه اكرم فتحير فيه فعلم ان اكرام الضيف ليس فى كثرة الطعام فخدمهم بنفسه فاوحى اليه الآن اكرمت الضيف وقال بعض الحكماء لاعار للرجل ولو كان سلطانا ان يخدم ضيفه واباه ومعلمه ولا تعتبر الخدمة بالاطعام (قال الشيخ سعدى) شنيدم كه مردست پاكيزه بوم * شناسا ورهرو در اقصاى روم * من وچند سالوك صحرا نورد * برفتيم قاصد بديدار مرد * سرو چشم هريك ببوسيد ودست * بتمكين وعزت نشاند ونشست * زرش ديدم وزرع وشاكرد ورخت * ولى بى مروت چو بى بر درخت * بخلق ولطف كرم رو مرد بود * ولى ديكدانش قوى سرد بود * همه شب نبودش قرار وهجوع * زتسبيح وتهليل وما را زجوع * سحر كه ميان بست ودر باز كرد * همان لطف دوشينه آغاز كرد * يكى بد كه شيرين وخوش طبع بود * كه باما مسافر دران ربع بود * مرا بوسه كفتا بتصحيف ده * كه درويش راتوشه از بوسه به * بخدمت منه دست بركفش من * مرانان ده وكفش برسر بزن (اذ دخلوا عليه) ظرف للحديث فالمعنى هل اتاك حديثهم الواقع فى وقت دخولهم عليه (فقالوا سلاما) اى نسلم عليك سلاما والفاء هناك اشارة الى انهم لم يخلوا بادب الدخول بل جعلوا السلام عقيب الدخول (قال) ابراهيم (سلام) اى عليكم سلام يعنى سلام برشما باد فهو مبتدأ خبره محذوف وترك العطف قصدا الى الاستئناف فكان قائلا قال ماذا قال ابراهيم فى جواب سلامهم فقيل قال سلام اى حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان تحيتهم كانت بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث حيث نصبوا سلاما وتحيته بالاسمية الدالة على دوام السلام وثباته لهم حيث عدل به الى الرفع بالابتداء (قوم منكرون) يقال نكرت الرجل بكسر الكاف نكرا وانكرته واستنكرته اذا لم تعرفه فالكل بمعنى واصله ان يرد على القلب مالا يتصوره وذلك ضرب من الجهل قال تعالى فعرفهم وهم له منكرون كما فى المفردات اى قال ابراهيم فى نفسه من غير ان يشعرهم بذلك هؤلاء قوم لانعرفهم فهم منكرون عند كل احد وقوله فنكرهم اى بنفسه فقط فاحدهما غير الآخر وكانوا على اوضاع واشكال خلاف ماعليه الناس وقال ابو العالية انكر سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الارض لان السلام لم يكن تحيتهم لانه كان بين اظهر قوم كافرين لايحيى بعضهم بعضا بالسلام الذى هو تحية المسلمين (وقال الكاشفى) يعنى هركز چون شما قومى نديدم درصورت وقامت مرابكوييد چه كسانيد ايشان كفتند اندهمهمانانيم (فراغ الى اهله) يقال راغ الى كذا اى مال اليه سرا فالاختفاء معتبر فى مفهوم الروغ اى ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه الضيف ويعذره اويصير منتظرا (وحكى) انه نزل ببعض المشايخ ضيف فاشار الى مريد له باحضار الطعام فاستبطأ فلما جاء سأله عن وجهه فقال المريد وجدت على السفرة نملا فتوقفت الى ان خرجت منها فقال الشيخ اصبت الفتوة ولما اطلع على هذه الحال بعض من هو اعلى حالا من ذلك الشيخ قال لم يصب الفتوة فان الادب تعجيل القرى وحق الضيف احق من حق النمل فكان الواجب على المريد ان يلقيها على الارض ويجيئ بالسفرة مستعجلا (فجاء بعجل سمين) الفاء فصيحة مفصحة عن جمل محذوفة والباء للتعدية والعجل ولد البقرة لتصور عجلته التى تعدم منه اذا صار ثورا اوبقرة والسمن لكونه من جنس السمن وتولده عنه والمعنى فذبح عجلا سمينا لانه كان عامة ماله البقر واختار السمين زيادة فى اكرامهم فحنذه اى شواه فجاء به يعنى پس بياورد كوساله فربه بريان كرده (فقربه اليهم) بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد ليأكلوا فلم يأكلوا ولما راى منهم ترك الاكل (قال الا تأكلون) منه انكارا لعدم تعرضهم للاكل وحثا عليه (وروى) انهم قالوا نحن لانأكل بغير ثمن قال ابراهيم كلوا واعطوا ثمنه قالوا وما ثمنه

قال اذا اكلتم فقولوا بسم الله واذا فرغتم فقولوا الحمد لله فتعجب الملائكة من قوله فلما رآهم لايأكلون (فأوجس منهم) الوجس الصوت الخفى كالايجاس وذلك فى النفس اى اضمر فى نفسه (خيفة) اى خوفا فتوهم انهم اعدآء جاؤا بالشر فان عادة من يجيئ بالشر والضرران لايتناول من طعام من يريد اضراره قال فى عين المعانى من لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك يقول الفقير شاهده سلامهم فان المسلم لابد وان يكون من اهل السلم وقيل وقع فى نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب (قالوا) حين احسوا بخوفه (لاتخف) انا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يمشى حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم (وبشروه) وبشارت وژده دادند مر اورا وفى سورة الصافات وبشرناه اى بواسطتهم (بغلام) هو اسحق والغلام الطار الشارب والكهل ضده اومن حين يولد الى ان يشب كما فى القاموس (عليم) عند بلوغه واستوآئه ولم تلد له سارة غيره (فاقبلت امرأته) سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم قال ابن الشيخ فاقبلت الى اهلها وكانت مع زوجها فى خدمتهم فلما تكلموا بولادتها استحيت واعرضت عنهم فذكر الله ذلك بلفظ الاقبال على الاهل ولم يذكره بلفظ الادبار عن الملائكة قال سعدى المفتى كذا فى التفسير الكبير ولا يناسبه قوله كذلك قال ربك فانه يقتضى كونها عندهم فالاقبال اليهم (فى صرة) حال من فاعل اقبلت والصرة الصيحة الشديدة يقال صر يصر صريرا اذا صوت ومنه صرير الباب وصرير القلم اى حال كونها فى صيحة وهو صوت شديد وقيل صرتها قولها اوه او ياويلتى اورنتها (وقال الكاشفى) درفرياد وميگفت الليلاء الليلاء اين كلمه بود دركفت ايشان كه وقت تعاظم امورى زبان راندندى والصرة ايضا الجماعة المنضم بعضها الى بعض كأنهم صروا اى جمعوا فى اناء وبها فسرها بعضهم اى اقبلت فى جماعة من النساء كن عندها وهى واقفة متهيئة للخدمة (فصكت وجهها) الصك ضرب الشئ بالشئ العريض يقال صكه اى ضربه شديدا بعريض اوعام كما فى القاموس اى لطمته من الحياء لما انها وجدت حرارة دم الحيض وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما يفعله المتعجب وهى عادة النساء اذا انكرن شيأ (وقال الكاشفى) پس طبانچه زد روى خودرا چنانچه زنان دروقت تعجب كنند (وقالت عجوز عقيم) اى انا عجوز عاقر لم الد قط فى شبابى فكيف الد الآن ولى تسع وتسعون سنة سميت العجوز عجوزا لعجزها عن كثير من الامور واصل العقم اليبس المانع من قبول الاثر والعقيم من النساء التى لاتقبل ماء الفحل قال فى القاموس العقم بالضم هزمة تقع فى الرحم فلاتقبل الولد وفى عين المعانى العقيم من سد رحمها ومنه الدآء العقام الذى لايرجى برؤه وبمعناه العاقر وهى المرأة التى لاتحبل ورجل عاقر ايضا لمن لايولد له وكانت سارة عقيما لم تلد قط فلما لم تلد فى صغرها وعنفوان شبابها ثم كبر سنها وبلغت سن الاياس استبعدت ذلك وتعجبت فهو استبعاد بحكم العادة لاتشكك فى قدرة الله سبحانه وتعالى (قالوا كذلك) اى مثل ذلك الذى بشرناه (قال ربك) وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا انا نقول من تلقاء انفسنا فالكاف فى كذلك منصوب المحل على انه صفة لمصدر قال الثانية اى لاتستبعدى مابشرناك به ولاتتعجبى منه فانه تعالى قال مثل ما اخبرناك به (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقا وفعله محكما لامحالة * كسى كو بكار تو دانا بود * براتمام اوهم توانا بود * بجز در كهش رومكن سوى كس * مراددل خويش ازوجوى وبس * روى ان جبريل عليه السلام قال لها انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة فايقنت ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابراهيم ايضا حسبما شرح فى سورة الحجر وانما لم يذكر هنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفى سورة هود وفى الآية اشارة الى انه لايجوز اليأس من فضل الله تعالى فان المقدور كائن ولو بعد حين وقد اورقت واثمرت شجرة مريم عليها السلام ايضا وكانت يابسة كما مر فى سورة مريم وقد اشتغل افراد فى كبرهم ففاقوا على اقرانهم فى العلم فبعض محرومى البداية مرزوقون فى النهاية فمنهم ابراهيم بن ادهم وفضيل بن عياض ومالك بن دينار قدس الله اسرارهم فانهم وان بعدوا عن الفطرة الاصلية بسبب الاحوال العارضة لكنهم لما سبقت العناية فى حقهم انجذبوا الى الله فتقربوا لديه وازالوا عن الفطرة الغواشى فمن استعجز قدرة الله تعالى فقد كفر واما قولهم الصوفى بعد الاربعين بارد فهو بحسب الغالب لان المزاج بعد الاربعين فى الانحطاط لغلبة اليبوسة والبرودة لكن الله يحيى ويميت فيحيى فى الكبر ما اماته فى الصغر اى فى حال الشباب ويميت فى الكبر مااحياه فى الصغر بان يميت النفس فى الكبر بعد ماكانت حية فى الشباب ويحيى القلب فى الكبر

بعدما كان ميتا فى الشباب ومن الله نرجو جزيل الفيض والعطاء

(الجزء السابع والعشرون)

(قال) ابراهيم عليه السلام لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر (فما خطبكم) اى شأنكم الخطير الذى لاجله ارسلتم سوى البشارة فان الخطب يستعمل فى الامر العظيم الذى يكثر فيه التخاطب وقلما يعبر به عن الشدائد والمكاره حتى قالوا خطوب الزمان ونحو هذا والفاء فيه للتعقيب المتفرع على العلم بكونهم ملائكة (ايها المرسلون) اى فرستاده شدكان (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) متمادين فى اجرامهم وآثامهم مصرين عليها وفى فتح الرحمن المجرم فاعل الجرائم وهى صعاب المعاصى والمراد بهم قوم لوط (لنرسل عليهم) اى بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل فى سائر السور الكريمة (حجارة من طين) اى طين متحجر وهو ماطبخ فصار فى صلابة الحجارة وهو السجيل يعنى ان السجيل حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب عليها اسماء القوم ولو لم يقل من طين لتوهم ان المراد من الحجارة البرد بقرينة ارسالها من السماء فلما قيل من طين اندفع ذلك الوهم (مسومة) مرسلة من سومت الماشية اى ارسلتها لترعى لعدم الاحتياج اليها قال سعدى المفتى فيدان الظاهر حينئذ من عند ربك باثبات من الجارة انتهى اومعلمة للعذاب من السومة وهى العلامة اومعلمة ببياض وحمرة اوبسيما تتميز بها عن حجارة الارض او باسم من يرمى بها ويهلك (عند ربك) فى خزائنه التى لايتصرف فيها غيره تعالى (للمسرفين) اى المجاوزين الحد فى الفجور اذلم يقنعوا بما ابيح لهم من النسوان للحرث بل اتوا الذكران وعن ابن عباس اى للمشركين فان الشرك اسرف الذنوب واعظمها (فاخرجنا) الفاء فصيحة مفصحة عن محذوف كأنه قيل فباشروا ماامروا به فاخرجنا بقولنا فاسر باهلك الخ فهو اخبار من الله وليس بقول جبريل (قال الكاشفى) چون ابراهيم معلوم فرمودكه بمؤتفكه ميروند بهلاك كردن قوم لوط دل مبارك بجهت برادرزاده متألم شدكه آياحال اودران بلا چگونه گذرد ملائكه گفتند غم مخوركه لوط عليه السلام ودختران اونجات خواهند يافت وذلك قوله تعالى فاخرجنا (من كان فيها) اى فى قرى قوم لوط وهى خمس على مافى تفسير الكاشفى واضمارها بغير ذكرها لشهرتها (من المؤمنين) من آمن بلوط (فما وجدنا فيها غير بيت) اى غير اهل بيت (من المسلمين) قيل هم لوط وابنتاه واما امرأته فكانت كافرة واليه الاشارة (بقول الشيخ سعدى) بابدان ياركشت همسر لوط * خاندان نبوتش كم شد * سك اصحاب كهف روزى چند * پى نيكان كرفت ومردم شد * وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وگفته اندكى كس ازان قوم بلوط ايمان آورده بود درمدت بيست سال قال العلماء يأتى النبى يوم القيامة ومعه امته وآخر معه قومه وآخر معه رهطه وآخر معه ابنه وآخر معه رجل وآخر استتبع ولم يتبع ودعا فلم يجب وذلك لاتيانه فى الوقت الشديد الظلمة وفى الآية اشارة الى ان المسلم والمؤمن متحدان صدقا وذاتا لامفهوما والمسلم اعم من المؤمن فانه مامن مؤمن الا وهو مسلم من غير عكس والعام والخاص قد يتصادقان فى مادة واحدة وقال بعضهم الايمان هو التصديق بالقلب اى اذعان الحكم المخبر وقبوله وجعله صادقا والاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الاحكام والاذعان وهذا حقيقة التصديق كما لايخفى على من له ادنى عقل وتأمل وانكار ذلك مكابرة (وتركنا فيها) اى فى تلك القرى (آية) علامة دالة على مااصابهم من العذاب هى تلك الحجارة اوماء اسود منتن خرج من ارضهم (للذين يخافون العذاب الاليم) اى من شأنهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لايعتدون بها ولايعدونها آية كما شاهدنا اكثر الحجاج حين المرور بمدائن صالح عليه السلام وكان عليه السلام يبكى حين المرور بمثل هذه المواضع وينكس رأسه ويأمر بالبكاء والتباكى ودلت الآية على كمال قدرته تعالى على انجاء من يؤيد دينه والانتقام من اعدائه ولو بعد حين وعلى ان المعتبر فى باب النجاة والحشر مع اهل الفلاح والرشاد هو حبهم وحسن اتباعهم وهو الاتصال المعنوى لاالاختلاط الصورى والانجت امرأة نوح ولوط وقد قال تعالى فى حقهما ادخلا النار مع الداخلين فعلى العاقل باتباع الكامل والاحتراز عن اهل الفساد والقصور سيما الناقصات فى العقل والدين ٭ الشهادة والميراث والنفسانية والشيطانية غالبة فيهن فاذا اقترن بفضل آخر فسدن وفى الآية اشارة الى ان القوم المجرمين المسرفين هم النفس وصفاتها الذميمة

والاذكار والاوراد والمجاهدات والرياضات مهلكة للنفس واوصافها وليس فى مدينة الشخص
الانسانى من المسلمين الا القلب السليم واوصافه الحميدة فهى سالمة من الهلاك واذا اهلكت النفس واوصافها
بما ذكر يكون تزكيتها وتهذيب اخلاقها آية وعبرة للذين يخافون العذاب الاليم بوعيد قد افلح من زكاها وقد خاب
من دساها ثم هذه التزكية وان كان حصولها فى الخارج بالاسباب والوسائط لكنها فى الحقيقة فضل من الله
سبحانه والا لنالها كل من تشبث بالاسباب نسأل الله سبحانه ان يجعلنا من اهل النفوس المطمئنة الراضية
المرضية الصافية (وفى موسى) عطف على قوله وفى الارض آيات للموقنين فقصة ابراهيم ولوط عليهما السلام
معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه تسلية لرسول الله عليه السلام من تكذيبهم ووعدا له باهلاك اعدائه
الافاكين كاهلاك قوم لوط اوعلى قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى ارسال موسى الى فرعون وانجائه مما لحق
فرعون وقومه من الغرق آية كقول من قال * علفتها تبنا وماء باردا * اى وسقيتها ماء باردا والا فقوله فى موسى
لا يصح كونه معمولا لتركنا اذ لا يستقيم ان يقال تركنا فى موسى آية كما يصح ان يقال تركنا فى تلك القرية
آية لان الترك ينبئ عن الابقاء فاذا لم يبق موسى كيف يبقى ما جعل فيه (اذ ارسلناه) منصوب بآية محذوفة
اى كائنة وقت ارسالنا وعلى الثانى ظرف لجعلنا المقدر (الى فرعون) صاحب مصر (بسلطان مبين)
هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة كالعصا واليد البيضاء وغيرهما والسلطان مصدر يطلق على المتعدد
(فتولى بركنه) اى ثنى عطفه وهو كناية عن الاعراض اى فاعرض عن الايمان به وازور والتولى بمعنى الاعراض
والباء فى بركنه للتعدية كما فى قوله ونأى بجانبه فانها معدية لنأى بمعنى بعد فيكون الركن بمعنى الطرف
والجنب والمراد بها نفسه فانه كثيرا ما يعبر بطرف الشئ وجانبه عن نفسه وفى الصحاح ركن الشئ جانبه
الاقوى كالمنكب بالنسبة الى الانسان وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه
الانسان ولكن من مال وجند وقوة فالركن مستعار لجنوده تشبيها لهم بالركن الذى يتقوى به البنيان
وعلى هذا الباء للسببية او للملابسة والمصاحبة (وقال) هو اى موسى (ساحر) جادوست بچشم بندى
خوارق عادات مينمايد (او مجنون) او ديوانه است عاقبت كار خود نمى انديشد والمجنون ذو الجنون وهو
زوال العقل وفساده كأنه نسب ما ظهر على يديه من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد فى انه حصل باختياره
وسعيه او بغيرهما وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو اذ نسبوه اليهما جميعا كقوله الى مائة الف او يزيدون محققان
كفته اند طعن وى بر موسى دليل كمال جهل اوست چه او را بدو چيز متضاد طعن زد ومقررست كه سحر را
عقلى تمام وذهنى دراك وحذاقتى وافر بايد وديوانكى دليل زوال عقلست وكمال عقل وزوال ان ضدانند
(فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) النبذ القاء الشئ وطرحه لقلة الاعتداد به اى فطرحناهم فى بحر القلزم
مع كثرتهم كما يطرح احدكم فيه حصيات اخذهن فى كفه لا يبالى بها وبزوالها عنه (وهو مليم) اى اخذناه
والحال انه آت بما يلام عليه صغيرة او كبيرة اذ كل صاحب ذنب ملوم على مقدار ذنبه (قال الكاشفى) مليم
مستحق ملامت بود يا ملامت كننده خود را كه چرا اعراض كردم از موسى وروطعنه زدم وبدين سبب كفت
آمنت انه الخ * بكوى آنچه دانى سخن سودمند * وكر هيچ كس را نيايد پسند * كه فردا پشيمان
برآرد خروش * كه آوخ چرا حق نكردم بكوش * وفى الآية اشارة الى موسى القلب اذ ارسله الله
الى فرعون النفس بسلطان وهو عصا لا اله الا الله مبين اعجازها بان تلقف ما يأفكون من سحر تمويهات
سحرة صفات فرعون النفس فاعرض عن رؤية الاعجاز والايمان بجميع صفاته فاهلكه الله فى يم الدنيا والقهر
والجلال ونعوذ بالله من غضب الملك المتعال وقد كان ينسب موسى القلب الى السحر او الجنون فان من خالف
احدا فهو عنده مجنون وليس موسى القلب مجنونا بل مجذوبا والفرق بينهما ان المجنون ذهب عقله باستعمال
مطعوم كونى او غير ذلك والمجذوب ذهل عقله لما شاهد من عظم قدرة الله تعالى فعقله محبوس عند الحق منعم
بشهوده عاكف بحضرته متنزه فى جماله فهم اصحاب عقول بلا عقول وهم فى ذلك على ثلاث مراتب منهم
من يكون وارده اعظم من القوة التى يكون فى نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون تحت
تصرف الحال ولا تدبير له فى نفسه ما دام فى ذلك الحال ومنهم من يمسك عقله هناك ويبقى عليه عقل حيوانيته
فيأكل ويشرب ويتصرف من غير تدبير ولا روية ويسمى هذا من عقلاء المجانين لتناوله العيش الطبيعى

كسائر الحيوانات ومنهم من لايدوم له حكم الوارد فيزول عنه الحال فيرجع الى الناس بعقله فيدبر امره ويعقل مايقول ويقال له ويتصرف عن تدبير وروية مثل كل الانسان وذلك هو صاحب القدم المحمدى فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤخذ عن نفسه عند نزول الوحى ثم يسرى عنه فيلقى ما اوحى به اليه على الحاضرين واعلم ان المجاذيب لايطالبون بالآداب الشرعية لذهاب عقولهم لماطرأ عليها من عظيم امر الله تعالى هر كه كرد ازجام حق يكجرعه نوش * نه ادب ماند درونه عقل وهوش * وحكمهم عند الله حكم من مات على حالة شهود ونعت استقامة وحالهم فى الدنيا حكم الحيوان ينال جميع مايطلب حكم طبيعته من اكل وشرب ونكاح من غير تقييد ولامطالبة عليه عندالله مع وجود الكشف وبقائه عليهم كانكشف البهائم وكل دابة حياة الميت على النعش وهو يحور و يقول قدمونى ان كان سعيدا و يقول اين تذهبون بى ان كان شقيا فذاهب العقل معدود فى الاموات لذهاب عقله معدود فى الاحياء بطبعه فهو من السعداء الذين رضى الله عنهم واكثر المجانين من غلبة المكاشفات والمشاهدات يعنى انهم يكاشفون الامور الغيبية والاحوال الملكوتية ويشاهدون ماخفى عن اعين العامة وذلك من غير سبق المجاهدة منهم فبذلك يخرجون عن دائرة العقل اذلايتحملون الفتح الفجائى لعدم تهيئهم قبله ثم يتعسر ادخالهم فى دائرة العقل الاان اراد الله تعالى ذلك فالمقبول البقاء على العقل وان يكون المرء غالبا على حاله لاان يكون الحال غالبا والاول من احوال اهل النهاية والثانى من احوال اهل البداية والله الغالب على امره (وفى عاد) اى وفى قوم هود آيات ان كان معطوفا على وفى الارض اووجعلنا فيهم آية على تقدير كونه معطوفا على قوله وتركنا فيها آية (اذارسلنا عليهم) اى على انفسهم اصالة وعلى دورهم واموالهم وانعامهم تبعا (الريح العقيم) العقم بالضم هزمة تقع فى الرحم فلاتقبل الولد كما فى القاموس وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم فالعقيم بمعنى المعقم اوالعاقم وفيه استعارة تبعية شبه اهلاكهم وقطع دابرهم باعقام النساء التى لايلدن ولايعقبن ثم اطلق المشبه به على المشبه واشتق منه العقيم اووصفت به لانها لم تتضمن خيرا من انشاء مطر اوالقاح شجر بمعنى شبه عدم تضمنها منفعة بعقم المرأة ثم اطلق عليه فالعقيم بمعنى الفاعل من اللازم وفى بحر العلوم ولعله سماها عقيما لانهاكانت سبب قطع الارحام من الولادة باهلاكها اياهم وقطعها دابرهم وهى من رياح العذاب والهلاك وهى النكباء على قول على رضى الله عنه وهى التى انحرفت ووقعت بين ريحين اوبين الصبا والشمال وهى الدبور على قول ابن عباس رضى الله عنهما ويؤيده قوله عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وهى ريح تقابل الصبا اى ريح تجيئ من جانب المغرب فان الصبا تجيئ من جانب المشرق وقال ابن المسيب الريح العقيم هى الجنوب مقابل الشمال وهى ريح تجيئ من شمال من يتوجه الى المشرق (ماتذر) اى ماتترك يقال ذره اى دعه يذره تركا ولاتقل وذرا واصله وذره يذره نحو وسعه يسعه لكن مانطقوا بماضيه ولابمصدره ولاباسم الفاعل (من شئ اتت عليه) اى جرت عليه من انفسهم ودورهم واموالهم وانعامهم (الاجعلته كالرميم) كالشئ البالى المتفتت فهو كل مارم و بلى وتفتت من عظم اونبات اوغير ذلك وبالفارسية مثل كياه خشك يااستخوان كهنه شده ريزيده وفى القاموس رم العظم يرم رمة بالكسر ورما ورميما وارم بلى فهو رميم وفى المفردات الرمة بالكسر تختص بالعظم والرمة بالضم بالحبل البالى والرم بالكسر بالفتات من الخشب والحشيش والتبن وعن ابن عباس رضى الله عنهما مارسل على عاد من الريح الامثل خاتمى هذا يعنى ان الريح العقيم تحت الارض فاخرج منها مثل مايخرج من الخاتم من الثقب فاهلكهم الله به وفيه اشارة الى شدة تلك الريح واشير بكونها تحت الارض الى ريح الهوى التى تحت ارض الوجود فهى ايضا شديدة جدا فانها خيث هبت تركت الديار بلاقع وايضا هى ريح جلال الله تعالى وقهره فانها اذا هبت تميت النفوس عن اوصافها فلايبقى منها شئ فالعقيم فى برالجسد والعاصف والقاصف فى بحر الروح وكان عليه السلام يتعوذ بالله تعالى حين تهب الرياح الشديدة فليعوذ العاقل من المهلكات فانه اذا هلكت النفس بالهلاك الصورى قبل الكمال خسرت التجارة وكذا اذا هلك القلب فان حياة المرء حينئذ لافائدة فيها سؤال كردند ازحسن بصرى رحمه الله كه ياشيخ دلهاء ماخفته است سخن تو در وى كار وا ثر نمى كند چه كنيم كفت كاشكى خفته بودى كه خفته راجنبانى بيدار شود امادلهاء شما مرده است كه هرچند مى جنبانى بيدار نمى كردد (قال الولى الجامى) اى بعهد بدن چوطفل صغير *

مانده دردست خواب غفلت اسير * پيش ازان كت اجل كند بيدار * كر نكردى زخواب سر بر دار *
قال محمد بن حامد رحمه الله وكان جالسا عند احمد بن حضرويه وهو فى النزع وقد اتى عليه خمس وتسعون سنة هو ذا يفتح لى الساعة لا ادرى ايفتح بالسعادة ام بالشقاوة وعن خلف بن سالم رحمه الله قال قلت لأبى على بن المعتوه اين مأواك قال دار يستوى فيها العزيز والذليل قلت واين هذه الدار قال المقابر قلت اما تستوحش فى ظلمة الليل قال انى اذكر ظلمة اللحود ووحشتهن فتهون على ظلمة الليل قلت لهفربما رأيت فى المقابر شيئا تنكره قال ربما ولكن فى هول الآخرة ما يشغل عن هول المقابر ووجد مكتوبا على بعض القبور

مقيم الى ان يبعث الله خلقه * لقاؤك لا يرجى وانت قريب
يزيد بلاء كل يوم وليلة * ويبلى كما تبلى وانت حبيب

(وفى ثمود) اى وفى قوم صالح آيات او وجعلنا فيهم آية (اذ قيل لهم تمتعوا) اى انتفعوا بالحياة الدنيا (حتى حين) الى وقت نزول العذاب وهو آخر ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة فانهم عقروا الناقة يوم الاربعاء وهلكوا بالصيحة يوم السبت وقد فسر بقوله تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فكان كذلك وانما تبدلت الوانهم بما ذكر لانهم كانوا كل يوم فى الترقى الى سوء الحال ولا شك ان الابيض يصير اصفر ثم احمر ثم اسود ولسواد من الوان الجلال والقهر وايضا لون جهنم فانها سوداء مظلمة فعند الهلاك صاروا الى لون جهنم لانها مقرهم ونعوذ بالله منها (فعتوا عن امر ربهم) اى فاستكبروا عن الامتثال به وبالفارسية پس سر كشيدند از فرمان آفريد كار خود وبتدارك كار خود مشغول نكشتند يقال عتا عتوا وعتيا وعتيا استكبر وجاوز الحد فهو عات وعتى وامر ربهم هو ما امروا به على لسان صالح عليه السلام من قوله اعبدوا الله وقوله فذروها تأكل فى ارض الله اوشأن ربهم وهو دينه او صدر عتوهم عن امر ربهم وبسببه كان امر ربهم بعبادته وترك اذاية كان هو السبب فى عتوهم كما فى بحر العلوم والفاء ليست للعطف على قيل لهم فان العتو لم يكن بعد التمتع بل قبله وانما هو تفسير وتفصيل لما اجمله فى قوله وفى ثمود الخ فانه يدل اجمالا على انه تعالى جعل فيهم آية ثم بين وجه الآية وفصلها قال فى شرح الرضى ان الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ما قبلها فى الذكر لا ان مضمونها عقيب مضمون ما قبلها فى الزمان (فاخذتهم الصاعقة) قيل لما رأوا العلامات التى بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة جبريل عليه السلام كما صرح به فى قوله واخذ الذين ظلموا الصيحة فهلكوا فالمراد بالصاعقة الصيحة لا حقيقتها وهى نار تنزل من السماء فتحرق ما اصابته وقيل اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ فى الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم وقال بعضهم اهلكوا بالصاعقة حقيقة بان جاءت نار من السماء فاهلكتهم جميعا (وهم ينظرون) اليها ويعاينونها لانها جاءتهم معاينة بالنهار فينظرون من النظر بالعين وفيه ترجيح لكون المراد بالصاعقة حقيقة النار لانها حين ظهرت رأوها باعينهم والصيحة لا ينظر اليها وانما تسمع بالاذن والظاهر ان الصاعقة لا تنافى ان يكون معها صيحة جبريل وقيل هو من الانتظار اى ينتظرون ما وعدوا به من العذاب حيث شاهدوا علامات نزوله من تغير الوانهم فى تلك الايام ويقال سمعوا الصيحة وهم ينظرون اى يتحيرون (فما استطاعوا من قيام) كقوله تعالى فاصبحوا فى دارهم جاثمين اى لاصقين بمكانهم من الارض لا يقدرون على الحركة والقيام فضلا عن الهرب فالقيام ضد القعود (وما كانوا منتصرين) بغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم قال فى تاج المصادر الانتصار داد بستدن (وقوم نوح) اى واهلكنا قوم نوح فان ما قبله يدل عليه ويجوز ان يكون منصوبا باذكر المقدر (من قبل) اى من قبل هؤلاء المهلكين (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصى وهو علة لاهلاكهم واعلم ان الله تعالى قد ارسل الرسل وشرع الشرائع وحد الحدود فمتى تعديت الحد الذى حد لك الشارع صرت فاسقا واطاعت الشيطان وتخلى عنك عند العصيان الملك المؤيد المؤمنين فاذا وكل العبد الى نفسه والى الشيطان فقد هلك وكل نار وعذاب وبلاء فانما يأتى من الداخل لا من الخارج اذ لا خارج من وجود الانسان فالعذاب صورة اوصافه وافعاله واخلاقه عادت اليه حين عصى الله تعالى وكذا الثواب صورة ذلك

عادت اليه حين اطاع الله تعالى فان قلت كل ذلك اذا كان من احوال العين الثابتة للعبد فكل عبد فانما يمر
على طريقه فى الهداية والضلالة فما معنى دعوة الانبياء وارشاد الاولياء قلت تلك الدعوة ايضا من احوال
اعيان المدعوين فخلاف المخالفين وان كان من التجلى لكن حقائق الانبياء اقتضت التجلى بموافقة التجلى
من وجه والرد عليه من آخر فكان امرهم حيرة فلو كانوا يخدمون التجلى مطلقا لما ردوا على احد فاذا ورد الامر
التكليفى فاما ان يوافقه الامر الارادى اولا فان وافقه فالمكلف منتقل من دائرة الاسم المضل الى دائرة
الاسم الهادى وذلك الانتقال من احوال عينه وان لم يوافقه ففى التكليف انه من احوال عينه ولابد وايضا فيه
تمييز الشقى من السعيد وبالعكس فاعرف هذه الجملة تسعد واجتهد حتى ينقلك الله من دائرة الاجانب
الى دائرة الاحباب ولا تغتر بكثرة الدنيا وطول العمر كما فعل الكفار والفساق حتى لايحل بك ماحل بهم من
الصاعقة والطوفان مع ان صاعقة الموت وطوفان الحوادث لابد وان تحل بكل احد بحيث لايستطيع القيام
من مكانه فيموت فى مقامه قال الشيخ سعدى فى البستان * كهن سالى آمد بنزد طبيب * زنالبدنش
تا بمردن قريب * كه دستم برك برنه اى نيك راى * كه پايم همى برنيايد ز جاى * بدان ماند اين قامت
خفته ام * كه كويى بكل در فرو رفته ام * بدو كفت دست از جهان دركسل * كه پايت قيامت
برايد زكل * نشاط جوانى زپيران مجوى * كه آب روان بازنايد بجوى * اكر در جوانى زدى
دست وپاى * در ايام پيرى بهش باش وراى * چو دوران عمر از چهل در كذشت * مزن دست
وپا كآبت ازسر كذشت * نشاط ازمن انكه رميدن كرفت * كه شامم سپيده دميدن كرفت *
ببايد هوس كردن ازسر بدر * كه روز هوسبازى آمد بسر * بسبزى كجا تازه كردد دلم * كه سبزه
بخواهد دميد از كلم * تفرج كنان درهوا وهوس * كذشتيم برخاك بسيار كس * كسانيكه ديكر
بغيب اندرند * بيايند وبرخاك مابكذرند * دريغا كه فصل جوانى برفت * بلهو ولعب
زندكانى برفت * دريغا چنين روح پرورزمان * كه بكذشت برما چو برق يمان * زسوداى
ان پوشم واين خورم * نپرداختم تاغم دين خورم * دريغا كه مشغول باطل شديم * زحق
دور مانديم وغافل شديم * چه خوش كفت باكودك آموزكار * كه كارى نكرديم وشد روزكار *
اى ضاع زماننا ومضى بلافائدة (والسماء بنيناها) نصب السماء على الاشتغال اى وبنينا السماء بنيناها
حال كوننا ملتبسين (بايد) اى بقوة فهو حال من الفاعل اوملتبسة بقوة فيكون حالا من المفعول ويجوز
ان تكون الباء للسببية اى بسبب قدرتنا فتتعلق ببنيناها لابالمحذوف والقوة هنا بمعنى القدرة فان القوة عبارة
عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف والله تعالى منزه عن ذلك والقدرة هى الصفة التى بها يتمكن الحى
من الفعل وتركه بالارادة (قال الكاشفى) بقوت الوهيت وكفته اند بقدرتى برافرينش داشتيم يقال
آد يئيد ايدا اى اشتد وقوى قال فى القاموس الآد الصلب والقوة كالأيد وآيدته مؤايدة وايدته تأييدا فهو مؤيد
قويته انتهى قال الراغب ولما فى اليد من القوة قيل انا ايدك وايدتك قويت يدك (وانا لموسعون) لقادرون من
الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق قال فى تاج المصادر الايساع توانكر شدن وتمام فراسيدن
ويقال اوسع الله عليك اى اغناك انتهى فيكون قوله وانا لموسعون حالا مؤكدة اوتذييلا اثباتا لسعة قدرته
كل شئ فضلا عن السماء اولموسعون السماء اى جاعلوها واسعة اومابينها وبين الارض اوالرزق على خلقنا
لقوله تعالى وفى السماء رزقكم وفيه اشارة الى ان وسعة البيت والرزق من تجليات الاسم الواسع (والارض)
اى وفرشنا الارض (فرشناها) مهدناها وبسطناها من تحت الكعبة مسيرة خمسمائة عام ليستقروا عليها
ويتقلبوا كما يتقلب احدهم على فراشه ومهاده (فنعم الماهدون) اى نحن وهو المخصوص بالمدح المحذوف
اى هم نحن فحذف المبتدأ والخبر من غير ان يقوم شئ مقامهما وقد اختلف القدماء فى هيئة الارض وشكلها
فذكر بعضهم انها مبسوطة مستوية السطح فى اربع جهات المشرق والمغرب والجنوب والشمال وزعم
آخرون انها كهيئة المائدة ومنهم من زعم انها كهيئة الطبل وذكر بعضهم انها تشبه نصف الكرة كهيئة
القبة وان السماء مركبة على اطرافها وزعم قوم ان الارض مقعرة وسطها كالجام والذى عليه
الجمهور ان الارض مستديرة كالكرة وان السماء محيطة بها من كل جانب احاطة البيضة بالمح فالصفرة

بمنزلة الارض وبياضها بمنزلة السماء وجلدها بمنزلة السماء الاخرى غيران خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هي مستديرة كاستدارة الكرة المستوية الخرط حتى قال مهندسوهم لوحفر في الوهم وجه الارض لادى الى الوجه الآخر ولوثقب مثلا ثقب بارض الاندلس لنفذ الثقب بارض الصين واختلف في كمية عدد الارضين فروى في بعض الاخبار ان بعضها فوق بعض وغلظ كل ارض مسيرة خمسمائة عام حتى عد بعضهم لكل ارض اهلا على صفة وهيئة عجيبة وسمى كل ارض باسم خاص كما سمى كل سماء باسم خاص وزعم بعضهم ان في الارض الرابعة حيات اهل النار وفي الارض السادسة حجارة اهل النار وعن عطاء بن يسار في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال في كل ارض آدم كآدمكم ونوح مثل نوحكم وابراهيم مثل ابراهيمكم وليس هذا القول بأعجب من قول الفلاسفة ان الشموس شموس كثيرة والاقمار اقمار كثيرة ففي كل اقليم شمس وقمر ونجوم وقالت القدماء الارض سبع على المجاورة والملاصقة وافتراق الاقاليم لا على المطابقة والمكابسة واهل النظر من المسلمين يميلون الى هذا القول ومنهم من يقول سبع على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقى وزعم بعضهم ان الارض مقسومة خمس مناطق وهي المنطقة الشمالية والجنوبية والمستوية والمعتدلة والوسطى واختلفوا في مبلغ الارض وكميتها فروى عن مكحول انه قال مابين اقصى الدنيا الى ادناها مسيرة خمسمائة سنة مائتان من ذلك في البحر ومائتان ليس يسكنها احد وثمانون فيها يأجوج ومأجوج وعشرون فيها سائر الخلق وعن قتادة قال الدنيا اربعة وعشرون الف فرسخ فملك السودان منها اثناعشر الف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ وملك العرب الف فرسخ وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ربع من لا يلبس الثياب من السودان اكثر من جميع الناس وقال بطليوس بسيط الارض كلها مائة واثنان وثلاثون الف الف وستمائة الف ميل فتكون مائتى الف وثمانية وثمانين الف فرسخ فان كان حقا فهو وحى من الحق اوالهام وان كان قياسا واستدلالا فهو قريب من الحق ايضا واما قول قتادة ومكحول فلا يوجب العلم اليقينى الذى يقطع على الغيب به كذا في خريدة العجايب (ومن كل شئ) اى من اجناس الموجودات فالمراد بالشئ الجنس وقيل من الحيوان (خلقنا زوجين) صنفين ونوعين مختلفين كالذكر والانثى والسماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والصيف والشتاء والبر والبحر والسهل والجبل والانس والجن والنور والظلمة والابيض والاسود والدنيا والآخرة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر والموت والحياة والرطب واليابس والجامد والنامى والمدر والنبات والناطق والصامت والحلم والقهر والجود والبخل والعز والذلة والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والصحة والسقم والغنى والفقر والضحك والبكاء والفرح والغم والفوق والتحت واليمين والشمال والتقدام والخلف والحرارة والبرودة وهلم جرا قال الراغب يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والانثى في الحيوان المتزاوج زوج ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج كالخف والنعل ولكل ما يقترن باخر مماثلا له اومضادا زوج وفي قوله ومن كل شئ خلقنا زوجين تنبيه على ان الاشياء كلها مركبة من جوهر وعرض ومادة وصورة وان لاشئ يتعرى منها اذ الاشياء كلها مركبة من تركيب يقتضى كونه مصنوعا وانه لابد له من صانع تنبيها على انه تعالى هو الفرد فبين بقوله ومن كل شئ الخ ان كل مافي العالم فانه زوج من حيث ان له ضدا ما اومثلا ما اوتركيبا ما بل لاينفك من وجه من تركب وانما ذكر ههنا زوجين تنبيها على انه وان لم يكن له ضد ولا مثل فانه لاينفك من تركب صورة ومادة وذلك زوجان قال الخراز قدس سره اظهر معنى الربوبية والوحدانية بان خلق الازواج ليخلص له الفردانية (لعلكم تذكرون) اى فعلنا ذلك كله من البناء والفرش وخلق الازواج كى تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وبالفارسية باشد كه شما پند پذير شويد ودانيد كه وحدانيت ازخواص ممكنات نيست ومن واجب بالذات وواجب قابل تعدد وانقسام نيست * ذاتش ازقسمت وتعدد پاك * وحدت اومقدس ازاشراك * ازعدد دم مزن كه اوفردست * كى عدد بهر فرد درخوردست * احدست وشمار ازو معزول * صمدست وتبار ازو مخذول * وفيه اشارة الى انه تعالى خلق لكل شئ من عالم الملك وهو عالم الاجسام زوجا من عالم الملكوت وهو عالم الارواح ليكون ذلك الشئ الجسمانى قائما بملكوته وملكوته قائما بيد القدرة الالهية لعلكم تذكرون انكم بهذا الطريق جئتم من الحضرة وبهذا الطريق ترجعون الى الله

سبحانه (ففروا الى الله) اى قل لقومك يا محمد اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذى هذه شؤونه بالايمان والطاعة كى تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه يعنى ان فى الامر بالايمان وملازمة الطاعة بلفظ الفرار تنبيها على ان وراء الناس عقابا يجب ان يفروا منه قال بعض الكبار يا ايها الذين فررتم من الله بتعلقات الكونين ففروا بنعت الشوق والمحبة والتجرد الى الله بقطع التعلقات عن الوجود وعما سواه تعالى مطلقا ومن صح فراره الى الله صح قراره مع الله وايضا ففروا منه اليه حتى تفنوا فيه فان الحادث لايثبت عند رؤية القديم وقال سهل رضى الله عنه ففروا مما سوى الله الى الله ومن المعصية الى الطاعة ومن الجهل الى العلم ومن العذاب الى الرحمة ومن سخطه الى رضوانه وقال محمد بن حامد رحمه الله حقيقة الفرار ماروى عن النبى عليه السلام انه قال والجأت ظهرى اليك وما روى عنه فى حديث عائشة رضى الله عنها واعوذ بك منك فهذه غاية الفرار منه اليه وقال الواسطى رحمه الله ففروا الى الله معناه لماسبق لهم من الله لا الى علمهم وحركاتهم وانفسهم وسئل بعضهم عن قول النبى عليه السلام سافروا تصحوا قال سافروا الينا تجدونا فى اول قدم ثم قرأ ففروا الى الله * هيچكس در تونيا ويخت كه ازخود نكريخت * هيچكس با تونه پيوست كه ازخود نبريد * وفى كشف الاسرار فرار مقامى است ازمقامات روندكان ومنزلى ازمنازل دوستى كسى راكه اين مقام درست شود نشانش آنست كه همه نفس خود غرامت بيند همه سخن خود شكايت بيند همه كرده خود جنايت بيند اميد از كردار خود ببرد وبر اخلاص خود تهمت نهد واكر دولتى آيد دراه وى ازفضل حق بيند وازحكم ازلى نه ازجهد وكردار خود وهذا موت عن نفسه وهمه خلق زنده ازمرده ميراث بردمكر اين طائفه كه مرده اززنده ميراث برد * وفى الحديث من اراد ان ينظر الى ميت يمشى على وجه الارض فلينظر الى ابى بكر (انى لكم منه نذير مبين) اى انى لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا منه تعالى بالمعجزات الباهرة اومظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به وفى امره للرسول عليه السلام بأن يأمرهم بالهرب اليه من عقابه وتعليله بانه عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لامن تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) نهى موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار نفسه كأنه قيل وفروا من ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا اوتقولوا الها آخر (انى لكم منه) اى من الجعل المنهى عنه (نذير مبين) وفيه تأكيد لما قبله من الفرار من العقاب اليه تعالى لكن لابطريق التكرير بل بالنهى عن سببه وايجاب الفرار منه قال فى برهان القرآن الاول متعلق بترك الطاعة والثانى متعلق بالشرك بالله فلا تكرار وفى التأويلات النجمية ولا تجعلوا مع الله فى المعرفة بوحدانيته الها آخر من النفوس والهوى والدنيا والآخرة فتعبدونها بالميل اليها والرغبة فيها فان التوحيد فى الاعراض عنها وقطع تعلقاتها والفرار الى الله منها لان من صح فراره الى الله صح قراره مع الله وهذا كمال التوحيد انى لكم نذير مبين اخوفكم اليم عقوبة البعد وعذاب الاثنينية اذا اشركتم به فى الوجود فانه لايغفر ان يشرك به (كذلك) اى الامر وهوامر الامم السالفة بالنسبة الى رسلهم مثل ماذكر من تكذيب قريش ومشركى العرب الرسول صلى الله عليه وسلم وتسميتهم له ساحرا اومجنونا ثم فسره بقوله (ما اتى الذين من قبلهم من رسول) من رسل الله (الا قالوا) فى حقه هو (ساحر او مجنون) يعنى اكر معجزه بديشان نمود عمل اورا سحر خواندند واكر ازبعث وحشر خبرداد قول اورا بسخن اهل جنون تشبيه كردند اى فلا تأس على تكذيب قومك اياك (اتواصوا به) انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تفرق ازمانهم على تلك الكلمة الشنيعة التى لاتكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها فى حق الانبياء اى اوصى الاولون الآخرين بعضهم بعضا بهذا القول حتى اتفقوا عليه (بل هم قوم طاغون) اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك لبعد الزمان وعدم تلاقيهم فى وقت واحد واثبات لكونه امرا اقبح من التواصى واشنع منه وهو الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لابموجب وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم وفيه اشارة الى ان ارباب النفوس المتمردة من الاولين والآخرين مركوزة فى جبلتهم طبيعة الشيطنة من التمرد والاباء والاستكبار فالتاهم رسول من الانبياء فى الظاهر اومن الالهامات الربانية فى الباطن الا انكروا عليه وقالوا ساحر يريد ان يسحرنا اومجنون لاعبرة بقوله كان بعضهم اوصى بعضهم بالتمرد والانكار

والجود لانهم خلقوا على طبيعة واحدة بل هم قوم طاغون بانهم وجدوا اسباب الطغيان من السعة والنعم والبطر والغنى قال الشاعر

ان الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء اى مفسده

فعكسوا الامر وكان ينبغى لهم ان يصرفوا العمر والشباب والغنى فى تحصيل المطلوب الحقيقى (كما قال الحافظ) عشق وشباب ورندى مجموعة مرادست * چون جمع شد معانى كوى بيان توان زد (فتول عنهم) فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء والاستكبار وبالفارسية بس روى بكردان ازمكافات ايشان تاوقتى كه مامور شوى بقتال وفى فتح الرحمن فتول عن الحرص المفرط عليهم وذهاب النفس حسرات وقال الواسطى ردهم الى ماسبق عليهم فى الازل من السعادة والشقاوة (فما انت بملوم) على التولى بعدما بذلت المجهود وجاوزت فى الابلاغ كل حد معهود واللوم والملامة العذل وبالفارسية نكوهيدن وقال بعض الكبار فتول عنهم فانك لاتهدى من احببت منهم فما انت بملوم بالعجز عن هدايتهم لانك مبلغ وليس اليك من الهداية شئ وقال بعضهم فتول عنهم بسيرك الينا فما انت بملوم فى ابلاغ رسالتك واشتغالك فى الظاهر بهم واعلامهم باسباب نجاتهم فانت مستقيم لايحجبنك ابلاغ الرسالة عن شهود العين (وذكر) اى افعل التذكير والموعظة ولاتدعهما بالكلية اوفذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر (فان الذكرى تنفع المؤمنين) اى الذين قدرالله ايمانهم اوالذين امنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة فى اليقين يعنى بعناد كافران وجحود ايشان دست ازتربيت مسلمانان باز مدار وهمچنان برند كير خود ثابت باش كه وعظ رافوائد بسيارست ومنافع بى شمار فان النصيحة تلين القلوب القاسية وفى الحديث (مامن مؤمن الاوله ذنب قداعتاده الفينة بعدالفينة) اى الساعة بعد الساعة والحين بعدالحين (ان المؤمن خلق مفتونا ناسيا فاذا ذكر ذكر) وقال بعضهم ذكر المطيعين جزيل ثوابى وذكر العارفين ماصرفت عنهم من بلائى وقال بعضهم ذكر العاصين منهم عقوبتى ليرجعوا عن مخالفة امرى وذكر المطيعين جزيل ثوابى ليزدادوا طاعة وعبادة لى وذكر المحبين ماشاهدوا من انوار جمالى وجلالى فى الغيب وغيب الغيب ليزيدوا فى بذل الوجود وطلب المفقود ودرفصول آورده كه كلام مذكر بايد كه برده خير مشتمل باشد تاسامعان را سود مند بود اول نعمت خداى بايادمردم دهد تاشكر كزارى نمايند دوم ثواب محنت وبلا ذكر كند تادران شكيبايى ورزند سوم عقوبت كناهان برشمرد تاازان بازايستند وتوبه كنند چهارم مكائد ووساوس شيطانى بيان فرمايد تاازان حذر نمايند پنجم فناوزوال وبى اعتبارى دنيا برايشان روشن كرداند تادل درونه بندند ششم مركرا پيوسته ياد كند تارفتن راآماده شوند هفتم قيامت را اماده وذكرآن بسيار كويد تاكارا روز بسازند هشتم دركات دوزخ وانواع عقوبتهاء آن بيان كند تاازان بترسند نهم درجات بهشت واقسام نعمتهاء ازابر شمارد تابدان راغب كردند دهم بناى كلام برخوف ورجانهد يعنى كاهى ازعظمت وكبريا وهيبت الهى سخن راند تاازوى بترسند ووقتى ازرحمت ومغفرت ومهربانى اوتقرير كند تابوى أميد وارشوند بس هرموعظه كه مشتمل برين سخنانست منفعت مؤمنانست خصوصا اذا كان المذكر عاملا بما ذكرهم به غير ناس نفسه فان تأثيره اشد من تاثير تذكير الغافل عالم كه كامرانى وتن پرورى كند * اوخويشتن كم است وكرا رهبرى كند * وانما قلنا من تاثيره فانهم قالوا مرذبايدكه كيرد اندر كوش * درنوشتست بند بر ديوار * فلا كلام الا فى الاستعداد والتهيئ للاستماع ولذا قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اوالقى السمع وهو شهيد (وماخلقت الجن والانس الاليعبدون) قرأ يعقوب ليعبدونى وكذا يطعمونى ويستعجلونى كما سيأتى باثبات ياء المتكلم فيهن وصلا ووقفا وحذفها الباقون فى الحالين والعبادة ابلغ من العبودية لان العبودية اظهار التذلل والعبادة غاية التذلل ولايستحقها الا من له غاية الافضال قال بعض الكبار العبادة ذاتية للمخلوق لانها ذلة فى اللغة العربية وانما وقع التكليف بالافعال المخصوصة التى هى العبادة الوصفية للتنبيه على تلك الذلة الذاتية حتى يتذللوا ويتخضعوا لربهم وخالقهم بالوجه المشروع ولعل تقديم خلق الجن فى الذكر لتقدمه على خلق الانس فى الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها اتم استعداد ومتمكنين منها اكمل تمكين مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ماهى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ماهو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة

مما لانزاع فيه قطعا كيف لاوهى رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذى لايليق بجنابه تعالى تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعل لافضائه الى استكماله بفعل وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى نهاية كمالية يفضى اليها فعل الفاعل الحق فغير منفى من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفى فى تحقق معنى التعليل على مايقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادى وتآخر المقدمات الموصلة اليها لايمنع كونها غاية كما فى قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره كذا فى الارشاد قال سعدى المفتى فاللام حينئذ على حقيقتها فتأمل انتهى والحاصل ان قوله الاليعبدون اثبات السبب الموجب للخلق فهذه اللام لام الحكمة والسبب شرعا ولام العلة عقلا قال المولى رمضان فى شرح العقائد واستكماله تعالى بفعل نفسه جائز بل واقع فانه تعالى حين اوجد العالم قد استكمل بكمال الموجدية والمعروفية على مانطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الاليعبدون اى ليعرفون وهو كمال اضافى يجوز الخلو عنه انتهى مقصود الهى ازهمه كمال جلا واستجلا ست كه در انسان كامل جمعا وتفصيلا بظهور آمد ودرعالم تفصيلا فقط سؤال طلب اين مقصود نه استكما است كه مستدعى سبق نقصا نست جنانكه اهل كلام ميكويدكه افعال الله معلل باغراض نشايد بودن جواب آنجه محذورست استكمال بغيراست واين استكمال بصفات خود است نه بغير كذا فى تفسير الفاتحة للشيخ صدرالدين القنوى قدس سره وكذا قال فى بعض شروح الفصوص ان للحق سبحانه كمالا ذاتيا وكمالا اسمائيا وامتناع استكماله بالغير انما هو فى الكمال الذاتى لا الاسمائى فان ظهور آثار الاسماء ممتنع بدون المظاهر الكونية انتهى (قال المولى الجامى) وجود قابل شرط كمال اسمائيست * وكرنه ذات نباشد بغير مستكمل (وقال ايضا) اى ذات رفيع تونه جوهر نه عرض * فضل وكرمت نيست معلل بغرض * يعنى حق سبحانه وتعالى بحسب كمال ذاتى ازوجود عالم وعالميان مستغنيست كما قال تعالى والله هوالغنى وجون ظهور كمال اسمائى موقوفست بروجود اعيان ممكنات پس ازايجاد كرد * تاخود كردد بجمله اوصاف عيان * واجب باشد كه ممكن ايدپيا ن * ورنه بكمال ذاتى ازاد ميان * فردست وغنى جنانكه خود كرد بيان * والاشاعرة انكروا صحة توجيه تعليل افعال الله تعالى معنى وان كان واقعا لفظا تمسكا بان الله تعالى مستغن عن المنافع فلا يكون فعله لمنفعة راجعة اليه ولاالى غيره لانه تعالى قادر على ايصال تلك المنفعة من غير توسط العمل فلا يصلح ان يكون غرضا فعندهم لام التعليل يكون استعارة تبعية تشبيها لعبادة العباد بما يفرض علة لخلقه فى الترتب عليه واكثر الفقهاء والمعتزلة قالوا بحكمة لمنفعة عائدة الى عباده تمسكا بان الفعل الخالى عن الغرض عبث والعبث من الحكيم محال كما فى شرح المشارق لابن الملك رحمه الله قال ابن الشيخ استدلت المعتزلة بقوله تعالى وماخلقت الجن والانس الاليعبدون على ان افعال الله معللة بالاغراض وعلى ان مراد الله جاز ان يتخلف عن ارادته اذا كان المراد من الافعال الاختيارية للعباد وجه دلالته عليها هو ان وضع اللام لان تدخل على ماهو غرض من الفعل فتكون العبادة غرضا من خلق الجن والانس والغرض يكون مرادا فينتج ان العبادة غرض من جميع الجن والانس وظاهر ان بعضا منهم لم يعبده فتخلف مراده عن ارادته وهو المطلوب والجواب عن الاول انه لما دل الدليل القطعى على انه تعالى لايفعل فعلا لغرض وجب ان يأول اللام فى مثل هذه المواضع بان يقال ان الحكم والمصالح التى تترتب على فعله تعالى وتكون هى غاية له لما كانت بحيث لوصدر ذلك الفعل من غيره تعالى لكانت هى غرضا لفعله شبهت بالغرض الحقيقى فدخلت عليها اللام الدالة على الغرض لاجل ذلك التشبيه واطلق عليها اسم الغرض لذلك حتى قيل الغرض من خلق مافى الارض انتفاع الناس به لقوله تعالى هوالذى خلق لكم مافى الارض جميعا وهذا الجواب انما يأتى فى اللام الداخلة على ماهو غاية مترتبة على الفعل ولاينفع فى قوله تعالى الاليعبدون لان العبادة لم تكن غاية مترتبة على خلق كثير من الجن والانس حتى يقال انها شبهت بالغرض من حيث كون الفعل مؤديا اليها وكونها مترتبة عليه فاطلق عليها اسم الغرض ودخل عليها لام الغرض لذلك ولكنه لوتم لكان جوابا عن الاستدلال الثانى لانه مبنى

على كون مدلول اللام غرضا فى نفس الامر وما كان غرضا على طريق التشبيه لايكون مرادا فلا يلزم من عدم ترتبه على الفعل تخلف المراد عن الارادة فلايتم الاستدلال واشار المصنف الى جوابه بقوله لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مستعدة لها جعل خلقهم مغيا بها وتقريره العبادة ليست غاية مترتبة على خلقهما فضلا عن ان تكون غرضا ومرادا حتى يلزم من عدم ترتبها على خلقهما تخلف المراد عن الارادة وانما دخلت عليها اللام التى حقها ان تدخل على الغرض اوعلى ماشبه به فى كونه مترتبا على الفعل وحاملا عليه فى الجملة تشبيها لها بالغاية المترتبة من حيث ان الجن والانس خلقوا على صورة متوجهة الى العبادة اى صالحة قابلة لها مغلبة اى قادرة عليها متمكنة منها وقد انضم الى خلقهم على تلك الصورة ان هدوا الى العبادة بالدلائل السمعية والعقلية فصاروا بذلك كأنهم خلقوا للعبادة وانها غاية مترتبة على خلقهم فلذلك اطلق عليها اسم الغاية ودخلت عليها لام الغاية مبالغة فى خلقهما على تلك الصورة ولما وجه الآية باخراج اللام عن ظاهر معناها بجعلها للمبالغة فى خلقهم بحيث تتأتى منهم العبادة اشار الى وجه العدول عن الظاهر بقوله ولو حمل على ظاهره لتطرق اليه المنع والابطال ولزم تعارض الآيتين لان من خلق منهم لجهنم لايكون مخلوقا للعبادة انتهى ما فى حواشى ابن الشيخ وقال فى بحر العلوم اى وما خلقت هذين الفريقين الا لاجل العبادة وهى قيام العبد بما تعبد به وكلف من امتثال الاوامر والنواهى اوالا لاطلب العبادة منهم وقد طلب من الفريقين العبادة فى كتبه المنزلة على انبيائه وهذا التقدير صحيح لاتقدير الارادة لان الطلب لايستلزم المطلوب بخلاف الارادة كما تقرر فى موضعه فيكون حاصله ما قال بعضهم فى تصوير المعنى الاليؤمروا بعبادتى كما فى قوله تعالى وما امروا الاليعبدوا الها واحدا وهذا مستمر على مذهب اهل السنة فلوانهم خلقوا للعبادة ماعصوا طرفة عين لكنهم خلقوا للامر التكليفى الطلبى دون الامر الارادى والا لم يتخلف المراد عن الارادة ولما كان لعين العاصى الثابتة فى الحضرة العلمية استعداد التكليف توجه اليها الامر التكليفى ولما لم يكن لتلك العين استعداد الاتيان بالمأموربه لم يتحقق عنها المأموربه ولذا تقع المخالفة والمعصية فان قلت مافائدة التكليف والامر بما يعلم عدم وقوعه قلت فائدته تمييز من له استعداد القبول ممن ليس له استعداد ذلك لتظهر السعادة والشقاوة واهلهما وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس المؤمنين بدليل ان الصبيان والمجانين مستثنون من عموم الآية بدليل قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال ابن الملك فان قلت كيف تكون العبادة علة للخلق ولم تحصل تلك فى اكثر نفوس قلنا يجوز ان يراد من النفوس نفوس المؤمنين لقراءة ابن عباس رضى الله عنهما وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الاليعبدون وان يراد مطلقها بأن يكون المراد بالعبادة قابلية تكليفها كما قال عليه السلام مامن مولود يولد الا على الفطرة واما ان اريد منها المعرفة فلا اشكال لانها حاصلة للكفرة ايضا كما قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله انتهى وقال مجاهد واختاره البغوى معناه الاليعرفون ومداره قوله عليه السلام فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر فى التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر هى المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة كما فى الارشاد وقال بعضهم لم اخلقهم الا لاجل العبادة باختيارهم لينالوا الشرف والكرامة عندى ولم اقسرهم عليها اذلو قسرتهم عليها لوجدت منهم وانا غنى عنهم وعن عبادتهم والحال انهم خلقوا للعبادة تكليفا واختيارا لاجبلة واجبارا فمن وفقه وسدده اقام العبادة التى خلق لها ومن خذله وطرده حرمها وعمل بما خلق له وفى الحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له كما فى عين المعانى وقال الشيخ نجم الدين داية فى تأويلاته وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان درة معرفتى مودعة فى صدف عبوديتى وان معرفتى تنقسم قسمين معرفة صفة جمالى ومعرفة صفة جلالى والكل واحد منهما مظهر والعبودية مشتملة على المظهرين بالانقياد لها والتمرد عنها فمن انقاد لها بالتسليم والرضى كما امر به فهو مظهر صفات جمالى ولطفى ومن تمرد عليها بالاباء والاستكبار فهو مظهر صفات جلالى وقهرى فحقيقة معنى قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى خلقت المقبولين منهم ليعبدوا الله فيكونوا مظهر صفات لطفه وخلقت المردودين

منهم ليعبدوا الهوى فيكونوا مظهر صفات قهره هذا المعنى الذى اردت من خلقهم انتهى والحكمة لا تقتضى اتفاق الكل على التوحيد والعبادة والاخلاص والاقبال الكلى على الله فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا ولابد من الغضب لتكميل مرتبة قبضة الشمال فانه وان كان كلتا يديه يمينا مباركة لكن حكم كل واحدة يخالف الاخرى فالارض جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه فاقتضت الحكمة الالهية ظهور ما اضيف اليه كل من اليدين فالواحدة المضاف اليها عموم السعداء الرحمة والجنان والاخرى القهر والغضب ولوازمهما وقد وجد كلا المقتضيين والمقصود الاصلى وجود الانسان الكامل الذى هو مرآت جماله تعالى وكماله وقد وجد والسواد الاعظم هو الواحد على الحق وقال الواحدى مذهب اهل المعانى فى الآية الا ليخضعوا الى ويتذللوا ومعنى العبادة فى اللغة الذل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله تعالى متذلل لمشيئته خلقه على ما اراد ورزقه كما قضى لا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق عليه وقال ابن عباس رضى الله عنهما الا ليقروا بالعبودية طوعا او كرها يعنى ان المؤمنين يقرون له طوعا والكافرون يقرون له بما جبلهم عليه من الخلقة الدالة على وحدانية الله وانفراده بالخلق واستحقاق العبادة دون غيره فالخلق كلهم بهذا له عابدون وعلى هذا قوله تعالى وله ما فى السموات والارض كل له قانتون على معنى ما يوجد منهم من دلائل الحدوث الموجبة لكونها مربوبة مخلوقة مسخرة كما فى التيسير فهذه جملة الاقوال فى هذا الباب وفى خلقهم للعبادة بطريق الحصر اشارة الى ان الربوبية لله تعالى كما ان العبودية للمخلوقين وهى اخص اوصافهم حتى قالوا انها افضل من الرسالة ولذا قال تعالى اسرى بعبده لا رسوله وقدم العبد فى اشهد ان محمدا عبده ورسوله فمن ادعى الربوبية من المخلوق فليحذر من تهديد الآية وجميع الكمالات لله تعالى وان ظهرت من العبد فالعبد مظهر فقط والظاهر هو الله وكماله والعبادات عشرة اقسام الصلاة والزكاة والصوم والحج وقراءة القرآن وذكر الله فى كل حال وطلب الحلال والقيام بحقوق المسلمين وحقوق الصحبة والتاسع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والعاشر اتباع السنة وهو مفتاح السعادة وامارة محبة الله كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله (قال المولى الجامى) يا نبى الله السلام عليك * انما الفوز والفلاح لديك * كر نرفتم طريق سنت تو - هستم ازعاصيان امت تو * مانده ام زير بار عصيان ست * افتم ازپاى اكر نكيرى دست * فينبغى للعبد ان يعبد ربه ويتذلل لخالقه باى وجه كان من الفرائض والواجبات والسنن والمستحبات على الوجه الذى امره ان يقوم فيه فاذا كملت فرائضه وكمالها فرض عليه فليتفرغ فيما بين الفرضين لنوافل الخيرات كانت ما كانت ولا يحقر شيأ من عمله فان الله ما احتقره حين خلقه واوجبه فان الله ما كلفك بامر الاوله بذلك الامر اعتناء وعناية حتى كلفك به واذا واظب على اداء الفرائض فانه يتقرب الى الله باحب الامور المقربة اليه وورد فى الخبر الصحيح عن الله تعالى ما تقرب الى عبد بشئ احب الى مما افترضته ومازال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبته فاذا احببته كنت سمعه الذى به يسمع وبصره الذى به يبصر ويده التى بها يبطش ورجله التى بها يمشى ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه وما ترددت عن شئ انا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته فالقرب الاول هو قرب الفرائض والقرب الثانى هو قرب النوافل فانظر الى ما انتجه محبة الله من كون الحق تعالى قوى العبد من السمع والبصر واليد والرجل فواظب على اداء ما يصح به وجود هذه المحبة الالهية من الفرائض والنوافل ولا يصح نفل الا بعد تكملة الفرائض وفى النفل عينه فروض ونوافل فبما فيه من الفرائض تكمل الفرائض ورد فى الخبر الصحيح انه تعالى يقول انظروا فى صلاة عبدى اتمها ام نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان انتقص منها شئ قال انظروا هل لعبدى من تطوع فان كان له تطوع قال الله تعالى اكملوا لعبدى فريضته من تطوعه ثم يؤخذ الاعمال على ذاكم وليست النوافل الا ما لها اصل فى الفرائض وما لا اصل له فى فرض فذلك انشاء عبادة مستقلة يسميها علماء الظاهر بدعة قال الله تعالى ورهبانية ابتدعوها وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة حسنة والذى سنها له اجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من اجورهم شئ ولما لم يكن فى قوة النفل ان يسد مسد الفرض جعل فى نفس النفل فروض ليجبر الفرائض بالفرائض كصلاة النفل بحسب حكم الاصل ثم انها تشتمل على فرائض من ذكر

وركوع وسجود مع كونها فى الاصل نافلة وهذه الاقوال والافعال فرائض فيها ثم اعلم ان امرنا بالاقتداء بالنبى سنة حسنة فان لنا اجرها واجر من عمل بها واذا تركنا سنتها اتباعا لكون رسول الله عليه السلام لم يسنها فان اجرك فى اتباعك له فى ترك السنين اعظم من اجرك فى التسنين فان النبى عليه السلام كان يكره كثرة التكليف على امته ومن سن فقد كلف وكان النبى عليه السلام اولى بذلك ولكن تركه تخفيفا فلهذا قلنا الاتباع فى الترك اولى واعظم اجرا من التسنين فاجعل حالك كما ذكرنا لك ولقد روى عن الامام احمد بن حنبل رحمه الله انه ما اكل البطيخ فقيل له فى ذلك فقال ما بلغنى كيف كان رسول الله عليه السلام يأكله فلما لم تبلغ اليه الكيفية فى ذلك تركه وبمثل هذا تقدم علماء هذه الامة على علماء سائر الامم فهذا الامام علم وتحقق قوله تعالى عن نبيه عليه السلام فاتبعونى يحببكم الله وقوله لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة والاشتغال بما سن من فعل وقول وحال اكثر من ان نحيط به ونحصيه فكيف ان نتفرغ لنسن فلا نكلف الامة اكثر مما اورد (ما اريد منهم) اى من الجن والانس فى وقت من الاوقات (من رزق) لى ولا لانفسهم ولا لغيرهم يحصلونه بكسبهم (وما اريد ان يطعمون) ولا انفسهم ولا غيرهم واصله ان يطعمونى بياء المتكلم وهو بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعاليا عن ان يكون كسائر السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم فان منهم من يحتاج الى كسب عبده فى نيل الرزق ومنهم من يكون له مال وافر يستغنى به عن حمل عبده على الاكتساب لكنه يطلب من العبد قضاء حوائجه من طبخ الطعام واصلاحه واحضاره بين يديه وهو تعالى مستغن عن جميع ذلك ونفع العباد وغيره انما يعود عليهم والمعنى ما اريد ان اصرفهم فى تحصيل رزقى ولا رزقهم ولا فى تهيئة بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتى وفى الآية تعريض باصنامهم فانهم كانوا يحضرون لها المآكل فربما اكلتها الكلاب ثم بالت على الاصنام ثم لا يصدهم ذلك وهذه الآية دليل على ان الرزق اعم من الاكل كما فى تفسير المناسبات وقال بعضهم معنى ان يطعمون ان يطعموا احدا من خلقى وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد اطعمه كما جاء فى الحديث يقول الله استطعمتك فلم تطعمنى اى لم تطعم عبدى وذلك ان الاستطعام وسؤال الرزق يستحيل فى وصف الله (ان الله هو الرزاق) تعليل لعدم ارادة الرزق منهم وهو من قصر الصفة على الموصوف اى لا رازق الا الله الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غنى عنه (ذو القوة) على جميع ما خلق تعليل لعدم ارادته منهم ان يعملوا ويسعوا فى اطعامه لان من يستعين بغيره فى اموره يكون عاجزا لا قوة له (المتين) الشديد القوة لان القوة تمام القدرة والمتانة شدتها وهو بالرفع على انه نعت للرزاق اولذوا وخبر بعد خبر وفى التأويلات النجمية ان الله هو الرزاق لجميع الخلائق ذو القوة المتين فى خلق الارزاق والمرزوقين وفى المفردات القوة تستعمل تارة فى معنى القدرة وتارة للتهيؤ الموجود فى الشئ وتارة فى البدن وفى القلب وفى المعاون من خارج وفى القدرة الالهية وقوله ذو القوة المتين عام فيما اختص الله به من القدرة وما جعله للخلق انتهى يقول الفقير قد سبق ان القوة فى الاصل عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف والله تعالى منزه عن ذلك فهى فى حقه تعالى بمعنى القدرة التامة ويجوز ان يعتبر قوى مظاهر اسمائه وصفاته اياما كانت والمتان مكتنفا الصلب وبه شبه المتن من الارض ومتنته ضربت متنه ومتن قوى متنه فصار متينا ومنه قيل حبل متين ودر ترجمه رشف در معنى قوى ومتين اورده كه قدرت قاهره اش دليل قوت بالغه كشته وشدت قوتش حجت متانت قدرت شده نه در كار سازى متانتش را فتورى ونه در روزى وبنده نوازى قدرتش را قصورى * رساند رزق بروجهى كه شايد * بسازد كارها نوعى كه بايد * بروزى بى نوايانرا نوازد * برحمت بى كسانرا كار سازد * قال بعضهم رزاق الله بالتفاوت رزق بعضهم الايمان وبعضهم الايقان وبعضهم العرفان وبعضهم البيان وبعضهم العيان فهؤلاء اهل اللطف والسعادة وبعضهم الخذلان وبعضهم الحرمان وبعضهم الطغيان وبعضهم الكفران فهؤلاء اهل القهر والشقاوة وقال بعضهم اعتبروا باللبيب الطالب الارزاق وحرمانه وبالطفل العاجز وتواتر الارزاق عليه لتعلموا ان الرزق طالب وليس بمطلوب قال الامام الغزالى رحمه الله فى شرح الاسماء الرزاق هو الذى خلق الارزاق والمرتزقة واوصلها اليهم وخلق لهم اسباب التمتع بها والرزق رزقان ظاهر وهى الاقوات والاطعمة وذلك للظاهر وهى الابدان وباطن

وهى المعارف والمكاشفات وذلك للقلوب والاسرار وهذا اشرف الرزقين فان ثمرتها حياة الابد وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد الى مدة قريبة الامد والله تعالى هو المتولى لخلق الرزقين والمتفضل بالايصال الى كلا الفريقين ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وغاية حظ العبد من هذا الوصف امران * احدهما ان يعرف حقيقة هذا الوصف وانه لا يستحقه الا الله تعالى فلا ينتظر الرزق الا منه ولا يتوكل فيه الا عليه كما روى عن حاتم الاصم انه قال له رجل من اين تأكل فقال من خزائنه فقال الرجل يلقى عليك الخبز من السماء فقال لو لم تكن الارض له لكان يلقيه من السماء فقال الرجل انتم تقولون الكلام فقال لم ينزل من السماء الا الكلام فقال الرجل انا لا اقوى لمجادلتك فقال لان الباطل لا يقوم مع الحق * والثانى ان يرزقه علما هاديا ولسانا مرشدا ويدا منفقة متصدقة ويكون سببا لوصول الارزاق الشريفة الى القلوب باقواله واعماله واذا احب الله تعالى عبدا اكثر حوائج الخلق اليه ومهما كان واسطة بين الله وبين العباد فى وصول الارزاق اليهم فقد نال حظا من هذه الصفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخازن الامين الذى يعطى ما امر به طيبة به نفسه احد المتصدقين وايدى العباد خزائن الله فمن جعلت يده خزانة ارزاق الابدان ولسانه خزانة ارزاق القلوب فقد اكرم بشوب من هذه الصفة انتهى كلام الغزالى فعبد الرزاق هو الذى وسع الله رزقه فيؤثر به على عباده ويبسط على من يشاء الله ان يبسط له لان الله جعل فى قدمه السعة والبركة فلا يأتى الا حيث يبارك فيه ويفيض الخير وخاصية هذا الاسم لسعة الرزق ان يقرأ قبل صلاة الفجر فى كل ناحية من نواحى البيت عشرا يبدأ باليمين من ناحية القبلة ويستقبلها فى كل ناحية ان امكن وفى الاربعين الادريسية سبحانك يارب كل شئ ووارثه ورازقه قال السهروردى المداوم عليه تقضى حاجته من الملوك وولاة الامر فاذا اراد ذلك وقف مقابلة المطلوب وقرأه سبع عشرة مرة ومن تلاه عشرين يوما على الريق رزق ذهنا يفهم به الغوامض وقال الغزالى فى شرح الاسماء القوى المتين القوة تدل على القدرة التامة والمتانة تدل على شدة القوة والله تعالى من حيث انه بالغ القدرة تامها قوى ومن حيث انه شديد القوة متين وذلك يرجع الى معنى القدرة انتهى وعبد القوى هو الذى يقوى بقوة الله على قهر الشيطان وجنوده التى هى قوى نفسه من الغضب والشهوة والهوى ثم على قهر اعدائه من شياطين الانس والجن فلا يقاويه شئ من خلق الله الا قهره ولا يناويه احد الا غلبه وعبد المتين هو القوى فى دينه الذى لم يتأثر ممن اراد اغواءه ولم يلن لمن ازاله عن الحق بشدته لكونه امتن كل متين فعبد القوى هو المؤثر فى كل شئ وعبد المتين هو الذى لم يتأثر من شئ وقال ابو العباس الزروقى القوى هو الذى لا يلحقه ضعف فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله فلا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز فى نقص ولا ابرام وقال بعض المشايخ القوى من القوة وهى وسط ما بين حال باطن الحول وظاهر القدرة لان اول ما يوجد فى الباطن من منة العمل يسمى حولا ثم يحس به فى الاعضاء مثلا يسمى قوة وظهور العمل بصورة البطش والتناول يسمى قدرة ولذلك كان فى كلمة لا حول ولا قوة الا بالله وهو تمثيل للتقريب الى الفهم والا فالله تعالى منزه عن صفات المخلوقين ومن عرف انه القوى رجع بحوله وقوته فى كل شئ الى حوله وقوته والتقريب بهذا الاسم تعلقا من حيث اسقاط التدبير وترك منازعة المقادير ونفى الدعوى ورؤية المنة له تعالى ونفى خوف الخلق وهموم الدنيا وتخلقا ان يكون قويا فى ذات الله حتى لا يخاف فيه لومة لائم ولا يضعف عن امره بحال وخاصية هذا الاسم ظهور القوة فى الوجود فما تلاه ذو همة ضعيفة الا وجد القوة ولا ذو جسم ضعيف الا كان له ذلك ولو ذكره مظلوم بقصد اهلاك الظالم الف مرة كان له ذلك وكفى امره والمتين هو الذى له كمال القوة بحيث لا يعارض ولا يشارك ولا يدانى ولا يقبل الضعف فى قوته ولا يمانع فى امره بل هو الغالب الذى لا يغالب ولا يغلب ولا يحتاج فى قوته لمادة ولا سبب ومن عرف عظمة قوته ومتانتها لم يخف من شئ ولم يقف بهمته على شئ دونه استنادا اليه واعتمادا عليه وخاصية هذا الاسم ظهور القوة لذاكره مع اسمه القوى ولو ذكر على شابة فاجرة عشر مرات وكذلك الشاب لتابا (فان للذين ظلموا) اى ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم اووضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة (ذنوبا) اى نصيبا وافرا من العذاب (مثل ذنوب اصحابهم) مثل انصباء نظرائهم من الامم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء قال * لنا ذنوب ولكم ذنوب * فان ابيتم فلنا القليب * قال فى المفردات

الذنوب الدلو الذى ذنب واستعير للنصيب كما استعير السجل وهو الدلو العظيم وفى القاموس الذنوب الفرس الوافر الذنب ومن الايام الطويل الشر والدلو وفيها ماء او الملأى او دون الملأى والحظ والنصيب والجمع اذنبة وذنائب وذناب انتهى (فلا يستعجلون) اصله يستعجلونى بياء المتكلم اى لا يطلبوا منى ان اعجل فى المجيئ لان له اجلا معلوما فهو نازل بهم فى وقته المحتوم يقال استعجله اى حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اى طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى آتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وكان النضر بن الحارث يستعجل بالعذاب فامهل الى بدر ثم قتل فى ذلك اليوم وصار الى النار فعذب اولا بالقتل ثم بالنار (فويل للذين كفروا) پس واى مرآنا نراكه كافر شدند والويل اشد من العذاب والشقاء والهم ويقال وادفى جهنم وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك (من يومهم الذى يوعدون) من للتعليل اى يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الانسب لما فى صدر السورة الآتية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوى واياما كان فالعذاب آت وكل آت قريب كما قالوا كرچه قيامت ديرآيد ولى مى آيد عمر اكرچه دراز بود چون مرك روى نمود ازان درازى چه سود نوح هزار سال در جهان بسر برده است امروز چند هزار سالست كه مرده است فعلى العاقل ان يتعجل فى التوبة والانابة حتى لا يلقى الله عاصيا ولا يتعجل فى الموت فانه آت البتة وفى الحديث لا يتمنين احدكم الموت ولا يدع به من قبل ان يأتيه انه اذا مات احدكم انقطع عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا اى فانه ان كان محسنا فلعله ان يزداد خيرا وان كان مسيئا فلعل الله يرزقه الانابة * اى كه پنجاه رفت ودرخوابى مكراين پنج روز دريابى * وفى التأويلات النجمية فان للذين ظلموا من اهل القلوب على قلوبهم بان جعلوها ملوثة بحب الدنيا بعد ان كانت معدن محبة الله ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم من ارباب النفوس بجميع صفاتها يعنى ان فساد القلب بمحبة الدنيا يوازى فساد النفس بجميع صفاتها لان القلب اذا صلح صلح به سائر الجسد واذا فسد فسد به سائر الجسد فلا تستعجلون فى افساد القلب فويل للذين كفروا بنعمة ربهم فى افساد القلب من يومهم الذى يوعدون بافساد سائر صفات الجسد ومن الله العصمة والحفظ

تمت سورة الذاريات بعون خالق البريات فى اواخر جمادى الآخرة من سنة اربع عشرة ومائة والف

* (سورة الطور مكية وآيها تسع واربعون) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور) الواو للقسم والطور بالسريانية الجبل وقال بعضهم هو عربى فصيح ولذا لم يذكره الجواليقى فى المعربات وقال ابن عباس رضى الله عنهما الطور كل جبل ينبت قال

لومر بالطور بعض ناعقة * ما انبت الطور فوقه ورقه

كويند مراد اينجا مطلق كوهست كه اوتاد ارض اند وفيه منابع ومنافع وقيل بل هو جبل محيط بالارض والاظهر الاشهر انه اسم جبل مخصوص هو طور سينين يعنى الجبل المبارك وهو جبل بمدين واسمه زبير سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى ولذا اقسم الله تعالى به لانه محل قدم الاحباب وقت سماع الخطاب وورد على محل القدم كثير من الاولياء فظهر عليهم الحال تلك الساعة وقال فى خريدة العجائب جبل طور سينا هو بين الشام ومدين قيل انه بالقرب من ايلة وهو المكلم عليه موسى عليه السلام كان اذا جاءه موسى للمناجاة ينزل عليه غمام فيدخل فى الغمام ويكلم ذا الجلال والاكرام وهو الجبل الذى دك عند التجلى وهناك خر موسى صعقا وهذا الجبل اذا كسرت حجارته يخرج من وسطها شجر العوسج على الدوام وتعظيم اليهود لشجر العوسج لهذا المعنى ويقال لشجرة العوسج شجرة اليهود انتهى كلام الخريدة والعوسج جمع عوسجة وهى شوك كما فى القاموس (وكتاب مسطور) مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن اوالواح موسى وهو الانسب بالطور او ما يكتب فى اللوح وآخر سطر فى اللوح المحفوظ سبقت رحمتى على غضبى من اتانى بشهادة ان لا اله الا الله ادخلته الجنة او ما يكتبه الحفظة يخرج اليهم يوم القيامة منشورا فآخذ بيمينه وآخذ بشماله نظيره قوله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (فى رق منشور) الرق الجلد الذى يكتب فيه

شبه كاغد استعير لما يكتب فيه الكتابة من الصحيفة وسمى رقا لانه مرقق وقد غلب الاستعمال على هذا الذى هو من جلود الحيوان كما فى فتح الرحمن وقال فى قاموس الرق ويكسر جلد رقيق يكتب فيه وضد الغليظ كالرقيق والصحيفة البيضاء انتهى والمنشور المبسوط وهو خلاف المطوى قال الراغب نشر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة والحديث بسطها وقيل منشور مفتوح لاختم عليه وتنكير هما للتفخيم اوالاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس والمعنى بالفارسية وسوكند بكتاب نوشته در صحيفه كه كشاده كرد ديوقت خواندن وعلى تقدير ان يكون مايكتب فى اللوح يكون الرق المنشور مجازا لان اللوح خلقه الله من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور عرضه كما بين السماء والارض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق الله بكل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء (والبيت المعمور) اى الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين اوالضراح يعنى اسم البيت المعمور الضراح قال السهيلي رحمه الله وهو فى السماء السابعة واسمها عروبا قال وهب بن منبه من قال سبحان الله وبحمده كان له نور يملأ مابين عروباوحريبا وحريباهى الارض السابعة انتهى وهو حيال الكعبة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة يزوره كل يوم سبعون الف ملك بالطواف والصلاة ولايعودون اليه ابدا وحرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وهو عدد خواطر الانسان فى اليوم والليلة ومنه قيل ان القلب مخلوق من البيت المعمور وقيل باطن الانسان كالبيت المعمور والانفاس كالملائكة دخولا وخروجا وفى اخبار المعراج رأيت فى السماء السابعة البيت المعمور واذا امامه بحر واذا يؤمر الملائكة فيخوضون فى البحر ويخرجون فينفضون اجنحتهم فيخلق الله من كل قطرة ملكا يطوف فدخلته وصليت فيه وسمى بالضراح بضم الضاد المعجمة لانه ضرح اى رفع وابعد حيث كان فى السماء السابعة والضرح هو الابعاد والتنحية يقال ضرحه اى نحاه ورماه فى ناحية واضرحه عنك اى ابعده والضريح البعيد وقيل كان بيتا من ياقوتة انزله الله موضع الكعبة فطاف به آدم وذريته الى زمان الطوفان فرفع الى السماء وكان طوله كما بين السماء والارض وذهب بعضهم الى انه فى السماء الرابعة ولا منافاة فقد ثبت ان فى كل سماء بحيال الكعبة فى الارض بيتا * يقول الفقير والذى يصح عندى من طريق الكاشف ان البيت المعمور فى نهاية السماء السابعة فانه اشارة الى مقام القلب فكما ان القلب بمنزلة الاعراف فانه برزخ بين الروح والجسد كما ان الاعراف برزخ بين الجنة والنار فكذا البيت المعمور فانه برزخ بين العالم الطبيعى الذى هو الكرسى والعرش وبين العالم العنصرى الذى هو السموات السبع وما دونها وهذا لاينافى ان يكون فى كل سماء بيت على حدة هو على صورة البيت المعمور كما انه لاينافى كون الكعبة فى مكة ان يكون فى كل بلدة من بلاد الاسلام مسجد على حدة على صورتها فكما ان الكعبة ام المساجد وجميع المساجد صورها وتفاصيلها فكذا البيت المعمور اصل البيوت التى فى السموات فهو الاصل فى الطواف والزيارة ولذا راى النبى عليه السلام ليلة المعراج ابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور الذى هو بازاء الكعبة واليه تحج الملائكة وقال بعضهم المراد بالبيت المعمور قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص فان كل قلب ليس فيه ذلك فهو خراب ميت فكأنه لاقلب (والسقف المرفوع) يعنى السماء المرفوع عن الارض مقدار خمسمائة عام قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا (قال الكاشفى) يعنى آسمان كه مجمع انوار حكمت ومخزن اسرار فطرتست ويا عرش عظيم وذلك لان العرش سقف الجنة وهو محيط بعالم الاجسام كما ان سقف البيت محيط بالجدران ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور من حيث اجتماع السقف مع البيت ومن حيث ان العرش على التقدير الثانى والبيت المعمور متقاربان تقارب السقف بالبيت (والبحر المسجور) اى المملوء وهو البحر المحيط الاعظم الذى منه مادة جميع البحار المتصلة والمنقطعة وهو بحر لايعرف له ساحل ولايعلم عمقه الا الله تعالى والبحار التى على وجه الارض خلجان منه وفى هذا البحر عرش ابليس لعنه الله وفيه مدائن تطفوا على وجه الماء وهى آهلة من الجن فى مقابلة الربع الخراب من الارض وفيه قصور تظهر على وجه الماء طافية ثم تغيب وتظاهر فيه الصور العجيبة والاشكال الغريبة ثم تغيب فى الماء وفى هذا البحر ينبت شجر المرجان كسائر الاشجار فى الارض وفيه من الجزائر المسكونة والخالية مالا يعلمه الا الله تعالى قال فى القاموس سجر التنور احماه والنهر ملأه والمسجور الموقد والساكن ضد والبحر الذى ماؤه اكثر منه انتهى وقال بعض المفسرين والبحر المسجور

اى الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت والمراد به الجنس وعدد البحار العظيمة سبعة كما ان عدد الانهار العظيمة كذلك وكل ماء كثير بحر (روى) ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم وفى الحديث (لا يركبن رجل بحرا الا غازيا او معتمرا او حاجا) فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا والبحر نار فى نار وهذا على ان يكون البحر بحر الدنيا وبحر الارض وقال على وعكرمة رضى الله عنهما هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان وهو بحر مكفوف اى عن السيلان يمطر منه على الموتى ماء كالمنى بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون فى قبورهم وحمله بعض المشايخ على صورة احياء الله تعالى يعنى كما انه ينبت النبات بماء المطر فيظهر من الارض فكذا الموتى يخلقهم الله خلقا جديدا فيظهرون من الارض كالنبات ولكن هذا لا ينافى ان يكون هناك ماء صورى فان الانسان من المنى خلق وبصورة ماء كالمنى سينبت ولله فى كل شئ حكمة بديعة وقيل هو بحر سماء الدنيا وهو الموج المكفوف لولاه لأحرقت الشمس الدنيا ونزد ارباب تحقيق مراد طور نفس است كه موسى القلب بران باحق سبحانه مناجاة ميكند وكتاب مسطور اعمانست كه دررق منشور قلب بقلم رحمت ازلى نوشته شده كه كتب فى قلوبهم الايمان وبيت معمور سر عارفانست كه بنظرات تجليات سبحانى آباد انى يافته وسقف مرفوع روح رفيع القدر والدرجات الى الحضرة است كه سقف خانه دلست وبحر مسجور دلى است بآتش محبت تافته وقال عبد العزيز المكى قدس سره اقسم الله بالطور وهو الجبل وهو النبى صلى الله عليه وسلم كان فى امته كالجبال فى الارض استقرت به الامة على دينهم الى يوم القيامة كما استقر الارض بالجبال واقسم بالكتاب المسطور وهو الكتاب المنزل عليه المسطور فى اللوح المحفوظ فى رق منشور هو المصاحف واقسم بالبيت المعمور وهو النبى عليه السلام كان والله بيتا بالكرامة معمورا وعند الله مسرورا مشكورا واقسم بالسقف المرفوع وهو رأس النبى عليه السلام كان والله سقفا مرفوعا وفى الدارين مشهورا وعلى المنابر مذكورا واقسم بالبحر المسجور وهو قلب محمد عليه السلام كان والله من حب الله مملوا فاقسم بنفس محمد ع وما برأسه خصوصا وبقلبه ضياء ونور او بكتابه حجة وعلى المصاحف مسطورا فاقسم الحبيب بالحبيب فلا وراءه قسم وقال شيخى وسندى روح الله روحه فى كتاب اللائحات البرقيات له والطور اى طور الهوية الذاتية الاحدية الفردية المجردة عن الكل والحقيقة الجمعية الصمدية المطلقة عن الجميع وكتاب اى كتاب الوجود مسطور فيه حروف الشؤون الذاتية الكمالية الوجودية والامكانية وكلمات الاعيان العلمية الجلالية والجمالية الوجوبية والامكانية وآيات الارواح والعقول المجردة القهرية واللطفية وسور الحقايق والصور المثالية الحية المقربة والمبعدة فى رق اى رق النفس الرحمانى والامر الربانى منشور على ماهيات الممكنات وحقائق الكائنات ومبسوط على اعيان المجردات وصور المثالات بالفيض الاقدس والتجلى الذاتى اولا الحاصل به كليات التعينات والظهورات وبالفيض المقدس والتجلى الصفاتى والافعالى ثانيا المتحقق به جزئيات التشخصات والتميزات والقرآن والفرقان اللفظى الرسمى بجميع حروفه وكلماته وآياته وسوره ان هو الا ذكر وقرآن مبين وهذا مكتوب بيد المخلوق ومسطور بخطه وذلك مكتوب بيد الخالق ومسطور بخطه فلذا كان واجب التعظيم ولازم التكريم بحيث لا يمسه الا المطهرون من الحدث مطلقا فيا شقاوة من عقل الكتاب الالهى الرسمى واقبل عليه بالتعظيم والتوقير وغفل عن الكتاب الالهى الحقيقى واهمله عن التعظيم والتوقير بل اقدم عليه بالاهانة والتحقير ويا سعادة من عقلهما ولم يغفل عن واحد منهما ولم يهمل شأنهما بل اقبل على كل منهما بالتعظيم والتكريم انقيادا للشريعة فى تكريم القرآن والفرقان اللفظى واذعانا للحقيقة فى تكريم القرآن والفرقان الوجودى اداء لحق كل مرتبة وقضاء لدين كل منزلة قائما فى كل مقام بالعدل والانصاف مجانبا فى كل حال عن الجور والاعتساف * يقول الفقير فى ذلك الكتاب تفصيل عريض آخر لكل من الكتابين الحقيقى والمجازى واقتصرت هنا على شئ يسير مما ذكره لمناسبة المقام والمسئول من الله الجامع الانتفاع بعلمه النافع (ان عذاب ربك لواقع) اى لنازل حتما وهو جواب للقسم قال فى فتح الرحمن المراد عذاب الآخرة للكفار لا العذاب الدنيوى واليه الاشارة فى الارشاد فى آخر السورة المتقدمة (ماله من دافع) بدفعه وهو كقوله تعالى لا مرد له من الله وبالفارسية نيست مر ان عذاب راهيج دفع كننده بلكه بهمه حال واقع خواهد بود وهو خبر ثان لان قال بعضهم الفرق بين الدفع والرفع ان الدفع بالدال يستعمل قبل الوقوع والرفع

بالرآء يستعمل بعد الوقوع وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها من امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التى من جملتها الجملة المقسم عليها وقال جبير بن مطعم قدمت المدينة لأكلم رسول الله عليه السلام فى اسارى بدر فلقيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور وصوته يخرج من المسجد فلما بلغ الى قوله ان عذاب ربك لواقع فكانما صدع قلبى حين سمعته فكان اول مادخل فى قلبى الاسلام فاسلمت خوفا من ان ينزل العذاب وما كنت اظن ان اقوم من مقامى حتى يقع بى العذاب ومثل هذا التأثير وقع لعمر رضى الله عنه حين بلغ دار الارقم فسمع النبى عليه السلام يقرا سورة طه فلان قلبه واسلم فالقلوب المتهيئة للقبول تتأثر بادنى شئ خصوصا اذا كان الواعظ هو القرآن العظيم او التالى هو الرسول الكريم اووارثه المستقيم واما القلوب القاسية فلا ينجع فيها الوعظ كما لم ينجع فى قلب ابى جهل ونحوه (قال الشيخ سعدى) آهنى را كه مور يانه بخورد * نتوان برداز وصيقل زنك * باسيه دل چه سود كفتن وعظ * نرود ميخ آهنين در سنك * وفى التأويلات النجمية العذاب لاهل العذاب واقع بالفقد لان اشد العذاب ذل الحجاب وكان من دعاء السرى السقطى قدس سره اللهم مهما عذبتنى فلا تعذبنى بذل الحجاب والحجاب واقع فان اعظم الحجاب حجاب النفس ماله من دافع من قبل العبد بل دافع حجاب النفس هو رحمة الله تعالى كما قال تعالى الا ما رحم ربى عبدالله المغاورى مردى بود ازنواحى اشبيليه در بلاد غرب دربعضى اوقات تشويش و پراكندكى بخلق راه يافته بود زنى نزدوى آمد وكفت البته مرا باشبايد رسان وازدست اين قوم خلاص كن اوزن رابر كردن كرفت وبيرون آمد واواز شطار بود وقوتى عظيم داشت چون بجاى خلوت رسيد واين زن بغايت جميله بود شيطان اورا بمجامعت با آن زن وسوسه داد ونفس تقاضا كرفت فكان حال المرأة حينئذ نظير الحكاية التى قال الشيخ سعدى فيها * شنيدم كوسفندى رابزركى * رهانيد ازدهان ودست كركى * شبانكه كارد برحلقش بماليد * روان كوسفند ازوى بناليد * كه ازچنكال كركم دربودى * چوديدم عاقبت كركم توبودى * عبد الله باخود كفت اى نفس اين بدست من امانت است وخيانت كردن روانمى دارم ونفس البته برعصيان حرص مى نمود واوترسيد كه نفس غالب شود وكارى ناشايست درو جود آيد آلت مرديئ خودرادر ميان دوسنك بكوفت كفت النار ولا العار سبب رجوع او بطريق حق اين بود ودر همان وقت روى بحج نهاد ودرعهد خود يكانهٔ روزكار بود فقد رحمه الله تعالى رحمة خاصة حيث نجاه من يد النفس الامارة ولو وكله الى نفسه لصدر عنه ذلك القبيح وكان سببا لوقوعه فى العذاب فى الدنيا والاخرة اما فى الآخرة فظاهر واما فى الدنيا فلان التلبس بسبب الشئ تلبس به وكل فعل قبيح ووصف ذميم فهو عذاب حكمى ونار معنوية والعذاب الصورى اثر ذلك فليس من خارج عن الانسان (يوم تمور السماء مورا) ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته لا الدافع لانه يوهم ان احدا يدفع عذابه فى غير ذلك اليوم والغرض ان عذاب الله لا يدفع فى كل وقت والمور الاضطراب والتردد فى المجئ والذهاب والجريان السريع اى تضطرب وتجئ وتذهب و بالفارسية دراضطراب ايد انكاه بشكافد قيل تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفأ السفينة وقيل تختلج اجزاؤها بعضها فى بعض ويموج اهلها بعضهم فى بعض ويختلطون وهم الملائكة وذلك من الخوف (وتسير الجبال سيرا) اى تزول عن وجه الارض فتصير هباء وقال بعضهم تسير الجبال كما تسير السحاب ثم تنشق اثناء السير حتى تصير آخره كالعهن المنفوش لهول ذلك اليوم ومثله وجود السالك عند تجلى الجلال بالفناء فانه لا يبقى منه اثر وتاكيد الفعلين بمصدر يهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اى مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما (فويل يومئذ للمكذبين) الفاء فصيحة والجملة جواب شرط محذوف اى اذا وقع ذلك المور والسير او اذا كان الامر كما ذكر فويل وشدة عذاب يوم اذ يقع لهم ذلك وهو لا ينافى تعذيب غير المكذبين من اهل الكبائر لان الويل الذى هو العذاب الشديد انما هو للمكذبين بالله ورسوله وبيوم الدين لا للعصاة المؤمنين (الذين هم فى خوض) اى اندفاع عجيب فى الاباطيل والاكاذيب وبالفارسيه درشروع كردن باقوال باطله كه استهزا بقرآنست وتكذيب نبى عليه السلام وانكار بعث قال فى فتح الرحمن الخوض التخبط فى الاباطيل شبه بخوض الماء وغوصه وفى حواشى الكشاف الخوض من المعانى الغالبة

فانه يصلح فى الخوض فى كل شئ الا انه غلب فى الخوض فى الباطل كالاحضار لانه عام فى كل شئ ثم غلب استعماله فى الاحضار للعذاب قال لكنت من المحضرين وقوله الذين هم فى خوض ليس صفة قصد بها تخصيص المكذبين وتمييزهم وانما هو للذم كقولك الشيطان الرجيم (يلعبون) يلهون ويتشاغلون بكفرهم (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) الدع الدفع الشديد واصله ان يقال للعاثر دع دع اى يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار دفعا على وجوههم وفى اقفيتهم حتى يردوها ويوم اما بدل من يوم تمور اوظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى (هذه النار) اى يقال لهم من قبل خزنة النار هذه النار (التى كنتم) فى الدنيا وقوله (بها) متعلق بقوله (تكذبون) اى تكذبون الوحى الناطق بها (أفسحر هذا) توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا المصداق اى النار سحر ايضا وبالفارسية آيا سحر ست اين كه مى بينيد فالفاء سببية لاعاطفة لئلا يلزم عطف الانشاء على الاخبار فهذا الاستفهام لم يتسبب عن قولهم للوحى هذا سحر والمصداق ما يصدق الشئ واحوال الآخرة ومشاهدتها تصدق اقوال الانبياء فى الاخبار عنها يعنى ان الذى ترونه من عذاب النار حق (ام انتم لاتبصرون) اى ام انتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر اوام سدت ابصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون (اصلوها) اى ادخلوها وقاسوا حرها وشدائدها (فاصبروا اولا تصبروا) فافعلوا اما شئتم من الصبر وعدمه فانه لاخلاص لكم منها وهذا على جهة قطع رجائهم (سواء عليكم) خبر مبتدأ محذوف دل عليه اصبروا اولا تصبروا وسواء وان كان بمعنى مستو لكنه فى الاصل مصدر بمعنى الاستواء والمعنى سواء عليكم الامران اجزعتم ام صبرتم فى عدم النفع لابدفع العذاب ولابتخفيفه اذلابد ان يكون الصبر حين ينفع وذلك فى الدنيا لاغير فمن صبرهنا على الطاعات لم يجزع هناك اذ الصبر وان كان مرا بصلا لكن آخره حلو عسل (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فان الجزاء على كفرهم واعمالهم القبيحة حيث كان واجب الوقوع حتما بحسب الوعيد لامتناع الكذب على الله كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع وفى التأويلات النجمية انما تجزون ما كنتم تعملون فى الدنيا من الخير والشر لاالذى تعملون فى الآخرة من الصبر والخضوع والخشوع والتضرع والدعاء فانه لاينفع شئ منها والحاصل ان يقال اخسأوا فيها ولاتكلمون انتهى ثم النار ناران النار الصورية لاهل الشرك الجلى ومن لحق بهم من العصاة والنار المعنوية لاهل الشرك الخفى ومن اتصل بهم من اهل الحجاب فويل لكل من الطائفتين يوم يظفر الطالب بالمطلوب ويصل المحب الى المحبوب من عذاب جهنم وعذاب البعد والقطيعة والحرمان من السعادة العظمى والرتبة العليا فليحذر العاقل من الخوض فى الدنيا واللعب بها فان الغفلة عن خالق البريات توقد نيران الحسرات وفى الآية اشارة الى مرتبة الخوف كما ان الآية التى تليها اشارة الى مرتبة الرجاء فان الامن والقنوط كفر زيراكه امن ازعاجز ان بود واعتقاد عجز در الله كفرست وقنوط ازلئيمان بود واعتقاد لؤم درالله كفرست چراغى كه در روغن نباشد روشنايى ندهد وچون روغن باشد وآتش نباشد ضيا ندهد پس خوف برمثال آتش است ورجاء برمثال روغن وايمان برمثال فتيله ودل برشكل چراغ دان چون خوف ورجا مجتمع كشت چراغى حاصل آمد كه دروى هم روغن است كه مدد بقاست هم آتش است كه مادۀ ضياست انكه ايمان ازميان هردو مدد ميكيرد ازيكى بقا وازيكى بضيا ومؤمن بيدرقۀ ضياراه ميرود وبمدد بقا قدم مى زند والله ولى التوفيق (ان المتقين) عن الكفر والمعاصى (فى جنات ونعيم) النعيم الخفض والدعة والتنعم الترفه والاسم النعمة بالفتح قال الراغب النعيم النعمة الكثيرة وتنعم تناول مافيه النعمة وطيب العيش ونعمه تنعيما جعله فى نعمة اى لين عيش وفى البحر التنعم استعمال مافيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات والمعنى فى جنات ونعيم اى فى اية جنات واى نعيم بمعنى الكامل فى الصفة على ان التنوين للتفخيم اوفى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع والجنة مع كونها اشرف المواضع قد يتوهم ان من يدخلها انما يدخلها ليعمل فيها ويصلحها ويحفظها لصاحبها كما هو شان ناطور الكرم اى مصلحه وحافظه كما قال فى القاموس الناطور اى بالطاء المهملة حافظ الكرم والنخل اعجمى انتهى فلما قال ونعيم افادانهم فيها متنعمون كما هو شان المتفرج بالبستان لاكالناطور والعمال

(فاكهين) ناعمين متلذذين وبالفارسية شادمان ولذت يابند كان وفى القاموس الفاكه صاحب الفاكهة وطيب النفس الضحوك والناعم الحسن العيش كما ان الناعمة والمنعمة الحسنة العيشة (بما آتاهم ربهم) ازكرا متهاء جاودانى وفى فتح الرحمن من انعامه ورضاه عنهم وذلك ان المتنعم قد يستغرق فى النعم الظاهرة وقلبه مشغول بامر ما فلما قال فاكهين تبين ان حالهم محض سرور وصفاء وتلذذ ولايتنا ولون شيئا من النعيم الا التلذذ الالدفع الجوع اوعطش (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره والجحمة شدة تأجج النار ومنه الجحيم اى جهنم لانه من اسمائها وهو عطف على آتاهم على ان ما مصدرية اى متلذذين بسبب ايتاء ربهم و وقايتهم عذاب الجحيم فانها ان جعلت موصولة يكون التقدير بالذى وقاهم ربهم عذاب الجحيم فيبقى الموصول بلا عائد واظهار الرب فى موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل (كلوا واشربوا) اى يقال لهم من قبل خزنة الجنة دائما كلوا واشربوا اكلا وشربا (هنيئا) فهنيئا صفة لمصدر محذوف اوطعاما وشرابا هنيئا فهو صفة مفعول به محذوف فان ترك ذكر المأكول والمشروب دلالة على تنوعهما وكثرتهما والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا يعنى كوارنده لاتكدير فيه اى كان بحيث لايورث الكدر من التخم والسقم وسائر الآفات كما يكون فى الدنيا قال ابن الكمال ومنه يهنى المشتهر فى اللسان التركى باللحم المطبوخ (بما كنتم تعملون) بسببه اومقابلته قال فى فتح الرحمن معناه ان رتب الجنة ونعيمها هى بحسب الاعمال واما نفس دخولها فهو برحمة الله وتغمده والاكل والشرب والتهنى ليس من الدخول فى شيء واعمال العباد الصالحة لاتوجب على الله التنعيم ايجابا لكنه قد جعلها امارة على من سبق فى علمه تنعيمه وعلق الثواب والعقاب بالتكسب الذى فى الاعمال امام زاهد رحمه الله فرمود كه هرچند وعده بكردار بنده است اما اصل فضل الهيست واكرنه پيداست كه فرداى ازكردار ماچه خواهد بود ندارد فعل من از زور بازو * كه بافضل تو كردد هم ترازو * بفضل خويش كن فضل مرا يار * بعدل خود بكن بافعل من كار * قال سهل جزاء الاعمال الاكل والشرب ولايساوى اعمال العباد اكثر من ذلك واما شراب الفضل فهو قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا وهو شراب على رؤية المكاشفة والمشاهدة (متكئين) حال من الضمير فى كلوا واشربوا اى معتمدين ومستندين (على سرر) جمع سرير وهو الذى يجلس عليه وهو من السرور اذ كان ذلك لاولى النعمة وسرير الميت تشبيه به فى الصورة وللتفاؤل بالسرور الذى يلحق الميت برجوعه الى الله وخلاصه من سجنه المشار اليه بقوله عليه السلام الدنيا سجن المؤمن (مصفوفة) مصطفة قد صف بعضها الى جنب بعض اومرمولة اى مزينة بالذهب والفضة والجواهر وبالفارسية برتختهاء بافته بزر والظاهر ان جمع السرر مبنى على ان يكون لكل واحد منهم سرر متعددة مصطفة معدة لزائريهم فكل من اشتاق الى صديقه يزوره فى منزله قال الكلبى صف بعضها الى بعض طولها مائة ذراع فى السماء يتقابلون عليها فى الزيارة واذا اراد احدهم القعود عليها تطامنت واتضعت فاذا قعد عليها ارتفعت الى اصل حالها (وزوجناهم بحور عين) واحد الحور حوراء وواحد العين عيناء وانما سمين حورا لان الطرف يحار فى حسنهن وعينا لانهن الواسعات الاعين مع جمالها والباء للتعدية مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين بلا واسطة قال تعالى زوجناكها لما افيد من معنى الوصل والالصاق اوللسببية والمعنى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لاتحقق بدون انضمامهن اليهم يعنى ان التزويج حينئذ ليس على اصل معناه وهو النكاح وعقد النكاح بل بمعنى تصييرهم ازواجا فلايتعدى الى مفعولين وبالفارسية وجفت كردانيم ايشانرا بزنان سفيدروى كشاده چشم قال الراغب وقرناهم بهن ولم يجئ فى القرآن زوجناهم حورا كما يقال زوجته امرأة تنبيها على ان ذلك لم يكن على حسب التعارف فيمابيننا من المناكح انتهى قال فى فتح الرحمن وقرناهم وليس فى الجنة تزويج كالدنيا انتهى يعنى ان الجنة ليست بدار تكليف فشأن تزوج اهل الجنة بالحور بقبول بعضهم بعضا لابان يعقد بينهم عقد النكاح قال فى الواقعات المحمودية ان لاهل الجنة بيوت ضيافة يعملون فيها الضيافة للاحباب ويتنعمون ولكن اهليهم لايظهرن لغير المحارم انتهى * يقول الفقير الظاهر ان عدم ظهورهن ليس من حيث الحرمة بل من حيث الغيرة يعنى ان اهل الرجل اشارة الى سره المكتوم فاقتضت الغيرة الالهية ان لاتظهر لغير المحارم كما ان السر لايفشى لغير الاهل والاقاحل والحرمة من توابع التكليف ولاتكليف هنالك وانما كان

ذلك ونحوه من باب التلذذ (والذين آمنوا) مبتدأ خبره الحقنا بهم (واتبعتهم ذريتهم) عطف على امنوا
اى نساهم (بايمان) متعلق بالاتباع والتنكير للتقليل اى بشئ من الايمان وتقليل الايمان ليس مبنيا على دخول
الاعمال فيه بل المراد قلة ثمراته ودناءة قدره بذلك فالتقليل فيه بمعنى التحقير والمعنى واتبعتهم ذريتهم بايمان
فى الجملة قاصرين عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم فى الايمان الكامل
اصالة لا الحاقا (الحقنا بهم ذريتهم) اى اولادهم الصغار والكبار فى الدرجة كما روى انه عليه السلام قال انه
تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقربهم عينه اى يكمل سروره ثم تلا هذه الآية وفيها دلالة
بينة على ان الولد الصغير يحكم بايمانه تبعا لاحد ابويه وتحقيقا للحوقه به فانه تعالى اذا جعلهم تابعين لآبائهم
ولاحقين بهم فى احكام الآخرة فينبغى ان يكونوا تابعين لهم ولاحقين بهم فى احكام الدنيا ايضا قال فى فتح
الرحمن ان المؤمنين اتبعتهم اولادهم الكبار والصغار بسبب ايمانهم فكبارهم بايمانهم بانفسهم وصغارهم
بان اتبعوا فى الاسلام باآبائهم بسبب ايمانهم لان الولد يحكم باسلامه تبعا لاحد ابويه اذا اسلم وهو مذهب
ابى حنيفة والشافعى واحمد وقال مالك يحكم باسلام ابيه دون امه واما اذا مات احد ابويه فى دار
الاسلام فقال احمد يحكم باسلامه وهو من مفردات مذهبه خلافا للثلاثة واختلفوا فى اسلام الصبى المميز
وردته فقال الثلاثة يصحان منه وقال الشافعى لا يصحان وفى هدية المهديين اسلام الصبى العاقل وهو من كان
فى البيع سالبا وفى الشراء جالبا صحيح استحسانا حتى لا يرث من اقاربه الكفار ويصلى عليه اذا مات وارتداده
ارتداد استحسانا فى قول ابى حنيفة ومحمد الا انه يجبر على احسن الوجوه ولا يقتل لانه ليس من اهل العقوبة
وفى الاشباه ان قيل اى مرتد لا يقتل فقل من كان اسلامه تبعا او فيه شبهة واى رضيع يحكم باسلامه بلا تبعية فقل
لقيط فى دار الاسلام وفى الهدية ايضا صبى وقع من الغنيمة فى سهم رجل فى دار الحرب او بيع به فمات يصلى عليه
لانه يصير مسلما حكما تبعا لمولاه بخلاف ما قبل القسمة فانه حينئذ يكون على دين ابويه وفى الفتوحات المكية
الطفل المسبى فى دار الحرب اذا مات ولم يحصل منه تمييز ولا عقل يصلى عليه فانه على فطرة الاسلام وهذا اولى ممن
قال لا يصلى عليه لان الطفل مأخوذ من الطفل وهو ما ينزل من السماء غدوة وعشية وهو اضعف من الرش
والوبل فلما كان بهذا الضعف كان مرحوما والصلاة رحمة فالطفل يصلى عليه اذا مات بكل وجه انتهى وان دخل
الصبى فى دار الاسلام فان كان معه ابواه او احدهما فهو على دينهما وان مات الابوان بعد ذلك فهو على ما كان
كما فى الهدية وان لم يكن معه واحد منهما حين دخل الاسلام يصير مسلما تبعا للدار والمولى ولو اسلم احد الابوين
فى دار الحرب يصير الصبى مسلما باسلامه وكذا لو اسلم احد الابوين فى دار الاسلام ثم سبى الصبى بعده من دار الحرب
فصار فى دار الاسلام كان مسلما باسلامه (وما التناهم) وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق والالا بغضوهم
فى الدنيا شحا كما فى عين المعانى من الت بألت كضرب يضرب قال فى القاموس الته حقا يألته نقصه كآلته ايلاتا
(من عملهم) من ثواب عملهم (من شئ) من الاولى متعلقة بالتناهم والثانية زائدة والمعنى ما نقصناهم من عملهم
شيأ بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فتنتقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى درجتهم ومنزلتهم
بمحض التفضل والاحسان يعنى بلكه بفضل وكرم خود اولاد را رفعت درجه ارزانى فرموده شيخ الاسلام
حسين مروزى از استاد خود احمد بن ابى على سرخسى رحمهما الله نقل ميكند كه ايمان وعمل جز بفضل لم يزلى
نيست * درفضل خدا بند دل خويش مدام * تا فضل نباشد نبود كار تمام * وسألت خديجة
رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ولدين لها ماتا فى الجاهلية فقال عليه السلام هما فى النار
فكرهت فقال عليه السلام لو رأيت مكانهما لابغضتهما قالت فالذى منك قال فى الجنة ان المؤمنين واولادهم
فى الجنة وان المشركين واولادهم فى النار كما فى عين المعانى وقال الامام محمد ان الامام الاعظم توقف فى اطفال
المشركين والمسلمين والمختار ان اطفال المسلمين فى الجنة واما ما روى انه توفى صبى من الانصار فدعى النبى
عليه السلام الى جنازته فقالت عائشة رضى الله عنها طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال عليه السلام
او غير ذلك اى اتعتقدين ما قلت والحق غير الجزم به ان الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه اهلا فانما نهاها
عن الحكم على معين بدخول الجنة كما فى شرح المشارق لابن الملك وقال المولى رمضان فى شرح العقائد ولا يشهد
بالجنة والنار لاحد بعينه بل يشهد بان المؤمنين من اهل الجنة والكافرين من اهل النار وكذا اطفالهم تبعا لهم

وقيل هم فى الجنة اذلا اثم لهم وقيل هم فى الاعراف وو جهه ان عدم التيقن لعدم العلم بخاتمته واذا مات
والد المؤمن طفلا فخاتمته الايمان لامحالة تبعا لأبيه الا ان يكون تابعا لخاتمة ابيه وهى غير معلومة انتهى
واختار البعض فى اطفال المشركين كونهم خدام اهل الجنة كما فى هدية المهديين والاكثرون على انهم فى النار
تبعا لآبائهم وقال آخرون انهم فى الجنة لكونهم غير مكلفين وتوقف فيه طائفة وهو الظاهر كما فى شرح المشارق
لابن الملك وبقى قول آخر وهو ان الصبيان والمجانين واهل الفترة يرسل اليهم يوم القيامة رسول من جنسهم
ويدعون الى الايمان ويمتحن المؤمن بايقاع نفسه فى نار هنالك فمن قبل الدعوة ولم يمتنع عن الايقاع المذكور
خلص لانها ليست بنار حقيقة والا دخل النار اى جهنم وقال الشيخ روزبهان البقلى فى عرآئس البيان
عند الآية هذا اذا وقعت فطرة الذرية من العدم سليمة طيبة طاهرة صالحة لقبول معرفة الله ولم تتغير من تأثير
صحبة الاضداد لقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فاذا بقيت
على النعت الاول ووصل اليها فيض مباشرة نور الحق ولم تتم عليها الاعمال يوصلها الله الى درجة آبائهم
وامهاتهم الكبار من المؤمنين اذ هناك تتم ارواحهم وعقولهم وقلوبهم ومعرفتهم بالله عند كشف مشاهدته
و بروز انوار جلاله ووصاله وكذلك حال المريدين عند العارفين يبلغون الى درجات كبرآئهم وشيوخهم
ما آمنوا باحوالهم وقبلوا كلامهم كما قال رويم قدس سره من آمن بكلامنا هذا من وراء سبعين حجابا
فهو من اهلنا وقال عليه السلام من احب قوما فهو منهم وقال تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا تعجب من ذلك فانه تعالى مبلغهم
الى اعلى الدرجات فاذا كانوا فى منازل الوحشة يصلون الى الدرجات العلية فكيف لا يصلون اليها فى مقام
الوصلة انتهى * يقول الفقير يظهر من هذا ان لحوق الابناء الصورية والمعنوية بالآباء فى درجاتهم مشروط
بالايمان الشرعى والتوحيد العقلى وليس لاطفال المشركين شئ من ذلك فكيف يلحقون باهل الجنة مطلقا
فانما يلحق المؤمن بالمؤمن لمجانستهما واما الايمان الفطرى فلا يعتبر فى دار التكليف وكذا فى دار الجزاء
والله اعلم بالاسرار ومنه نرجو الالحاق بالاخيار (كل امرئ) هر مردى بالغ عاقل مكلف (بما كسب)
بانچه كرده باشد از خير وشر (رهين) در كروست روز قيامت يعنى وابسته است بپاداش كردار خود وازان
رهايى ندارد وبعمل ديكرى مؤاخذه نيست وزن مكلفه نيز همين حكم دارد كما فى تفسير الكاشفى والرهن
ما يوضع وثيقة للدين ولما كان الرهن يتصور منه حبسه استعير ذلك للمحتبس اى شئ كان وقال ابن الشيخ
ما مصدرية والفعيل بمعنى المفعول والعمل الصالح بمنزلة الدين الثابت على المرء من حيث انه مطالب به ونفس
العبد مرهونة به فكما ان المرتهن ما لم يصل اليه الدين لا ينفك منه الرهن كذلك العمل الصالح ما لم يصل
الى الله لا تتخلص نفس العبد المرهونة فالمعنى كل امرئ مرهون عند الله بالعمل الصالح الذى هو دين عليه
فان عمله واداه كما هو المطلوب منه فك رقبته من الرهن والا اهلكها وفى هذا المعنى قال عليه السلام لكعب
ابن عجرة رضى الله عنه لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت النار اولى به يا كعب بن عجرة الناس صنفان
فبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها وقال مقاتل كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مرهون فى النار
والمؤمن لا يكون مرتهنا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين وفى الآية وجه آخر
وهو ان يكون الرهين فعيلا بمعنى الفاعل فيكون المعنى كل امرئ بما كسب راهن اى دائم ثابت مقيم
ان احسن ففى الجنة مؤبدا وان اساء ففى النار مخلدا لان فى الدنيا دوام الاعمال بدوام الاعيان فان العرض
لا يبقى الا فى جوهر ولا يوجد الا فيه وفى الآخرة دوام الاعيان بدوام الاعمال فان الله يبقى اعمالهم لكونها
عند الله من الباقيات الصالحات وما عند الله باق والباقى من الاعيان يبقى ببقاء عمله قال فى الارشاد
وهذا المعنى انسب بالمقام فان الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب
الآباء شئ فالجملة تعليل لما قبلها انتهى (وامددناهم) اصل المد الجر واكثر ما جاء الامداد فى المحبوب والمد
فى المكروه والامداد بالفارسية مدد كردن ومدد دادن وفى القاموس الامداد تأخير الاجل وان تنصر
الاجناد بجماعة غيرك والاعطاء والاغاثة (بفاكهة) هى الثمار كلها (ولحم مما يشتهون) وان لم يصرحوا بطلبه
والمعنى وزدناهم على ما كان من مبادى التنعم وقتا فوقتا مما يشتهون من فنون النعماء وضروب الآلاء وذلك

انه تعالى لماقال وماالتناهم ونفى النقصان يصدق بايصال المساوى دفع هذا الاحتمال بقوله وامددناهم اى ليس عدم النقصان بالاقتصار على المساوى بل بالزيادة على ثواب اعمالهم والامداد وتنوين فاكهة للتكثير اى بفاكهة لاتنقطع كلما اكلوا ثمرة عادمكانها مثلها ومافى مايشتهون للعموم لانواع النعمان وفى الخبرانك لتشتهى الطير فى الجنة فيخر بين يديك مشويا وقيل يقع الطائر بين يدى الرجل فى الجنة فيأكل منه قديدا ومشويا ثم يطير الى النهر (يتنازعون فيها) نزع الشئ جذبه من مقره كنزع القوس من كبدها والتنازع والمنازعة المجاذبة ويعبر بهما عن المخاصمة والمجادلة والمراد بالتنازع هنا التعاطى والتداول على طريق التجاذب يعنى تجاذب الملاعبة لفرط السرور والمحبة وفيه نوع لذة اذلا يتصور فى الجنة التنازع بمعنى التخاصم والمعنى يتعاطون فى الجنات ويتداولون هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كماينبئ عنه التعبير بالتنازع وبالفارسية بايكد بكرداد وستد كنند دربهشت يعنى بهم دهند رازهم ستانند (كأسا) كأسه مملوا زخمر بهشت والكأس قدح فيه شراب ولايسمى كأسا مالم يكن فيه شراب كالاتسمى مائدة مالم يكن عليها طعام والمعنى كأسا اى خمرا تسمية لها باسم محلها ولما كانت الكأس موئنثة مهموزة انث الضمير فى قوله (لالغو فيها) اى فى شربها حيث لايتكلمون فى اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام قال ابن عطاء اى لغو يكون فى مجلس محله جنة عدن والساقى فيها الملائكة وشربهم ذكر الله وريحانهم تحية من عند الله مباركة طيبة والقوم اضياف الله قال الراغب اللغو من الكلام مالايعتدبه وهو الذى يورد لاعن روية وفكر فيجرى مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور (ولاتأثيم) ولايفعلون مايأثم به فاعله اى ينسب الى الاثم لوفعله فى دار التكليف من الكذب والسب والفواحش كماهوديدن المنادمين فى الدنيا وانمايتكلمون بالحكم واحاسن الكلام ويفعلون مايفعله الكرام لان عقولهم ثابتة غيرزائلة وذلك كسكارى المعرفة فى الدنيا فانهم انما يتكلمون بالمعارف والحقائق قال البقلى وصفهم الله فى شربهم لكاسات شراب وصله بالمنازعة والشوق الى مزيد القرب ثم وصف شرابهم انه يورثهم التمكين والاستقامة فى السكر لايؤول حالهم الى الشطح والعربدة وما يتكلم به سكارى المعرفة فى الدنيا عند الخلق ولايشابه حال اهل الحضرة حال اهل الدنيا من جميع المعانى ثم انه قد يقع الاكل والشرب فى المنام فيسرى حكمه الى الجسد لغلبة الروحانية كما قال بعض الكبار العيش مع الله هو القوة الذى من اكله لايجوع واليه اشار عليه السلام بقوله انى لست كهيئتكم انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى والمراد بذلك الشبع والرى الذى يعود من ثمرة الاكل والشرب يعنى يبيت جائعا فيرى فى منامه انه يأكل فيصبح شبعانا وقداتفق ذلك لبعضهم بحكم الارث وبقى رائحة ذلك الطعام حين استيقظ نحو ثلاثة ايام والناس يشمونها منه واماغير النبى وغير الوارث فاذا راى انه يأكل استيقظ وهو جيعان مثل مانام فصح قوله صلى الله عليه وسلم ان المبشرات جزؤ من اجزاء النبوة انتهى * يقول الفقير رب شبعان فى دعواه جيعان فى نفس الامر الاترى حال من اكل فى منامه حتى شبع ثم استيقظ وهو جائع وكذلك حال اهل التلوين فان من شرب شرابا من هذه المعرفة يقع فى الدعاوى العريضة كما شاهدناه فى بعض المعاصرين ولايدرى ان حاله بالنسبة الى حال اهل التمكين كحال النائم فمن سكر من رائحة الخمر ليس كمن سكر من شرب نفسها فاين انت من الحقيقة فاعرف حدك ولاتعد طورك فان التعدى من قبيل اللغو والتأثيم (قال الجندى) ازعشق دم مزن جون كشتى شهيد عشق * دعواى اين مقام درست ازشهادتست (ويطوف عليهم) الطواف المشى حول الشئ ومنه الطائف لمن يدور حول البيوت حافظا اى ويدور على اهل الجنة بالكأس وقيل بالخدمة (غلمان لهم) جمع غلام وهو الطار الشارب اى مماليك مخصوصون بهم لم يضفهم بان يقول غلمانهم لئلا يظن انهم الذين كانوا يخدمونهم فى الدنيا فيشفق كل من خدم احدا فى الدنيا ان يكون خادماله فى الجنة فيحزن لكونه لايزال تابعا وافاد التنكير ان كل من دخل الجنة وجدله خدم لم يعرفهم كما فى حواشى سعدى المفتى (كأنهم لؤلؤ مكنون) حال من غلمان لانهم قدوصفوا اى كأنهم فى البياض والصفاء لؤلؤ مصون فى الصدف لانه رطبا احسن واصفى اذ لم تمسه الايدى ولم يقع عليه غبار وبالفارسية كوياايشان درصفا ولطافت مرواريد يوشيده اند در صدف كه دست كس بديشان نرسيده اومخزون لانه لايخزن الا الثمن الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده

ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف بابه لبيك لبيك (واقبل بعضهم على بعض) وروى مى آرند بعضى از بهشتيان بربعض ديكر (يتساءلون) اى يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن احواله واعماله وما استحق به نيل ما عند الله من الكرامة وذلك تلذذا واعترافا بالنعمة العظيمة على حسب الوصول اليها على ماهو عادة اهل المجلس يشرعون فى التحادث ليتم به استئناسهم فيكون كل بعض سائلا ومسئولا لا انه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معينا (قالوا) اى المسئولون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة (انا كنا قبل) اى قبل دخول الجنة (فى اهلنا) درميان اهل خود يعنى بوديم دردنيا (مشفقين) ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة قيد بقوله فى اهلنا فان كونهم بين اهليهم مظنة الامن فاذا خافوا فى تلك الحال فلأن يخافوا فى سائر الاحوال والا وقات اولى وقال سعدى المفتى ولعل الاولى ان يجعل اشارة الى معنى الشفقة على خلق الله كما ان قوله انا كنا من قبل ندعوه اشارة الى التعظيم لامر الله وترك العاطف لجعل الثانى بيانا للاول ادعاء للمبالغة فى وجوب عدم انفكاك كل منهما عن الآخر انتهى * يقول الفقير الظاهر ان هذا الكلام وارد على عرف الناس فانهم يقولون شاننا بين قومنا وقبيلتنا كذا فهم كانوا فى الدنيا بين قبائلهم وعشائرهم على صفة الاشفاق وفيه تعريض بان بعض اهلهم لم يكونوا على صفتهم ولذا صاروا محرومين ويدل على هذا ان الاهل يفسر بالازواج والاولاد وبالعبيد والاماء وبالاقارب وبالاصحاب وبالمجموع كما فى شرح المشارق لابن الملك (فمن الله) (علينا) اى انعم بالرحمة والتوفيق للحق يقول الفقير الظاهر ان المن والانعام انما هو بالجنة ونعيمها كما دل عليه قوله (ووقانا عذاب السموم) اى حفظنا من عذاب النار النافذة فى المسام اى ثقب الجسد كالمنخر والفم والاذن نفوذ السموم وهى الريح الحارة التى تدخل المسام فاطلق على جهنم لنفوذ حرها فى المسام كالسموم وفى المفردات السموم الريح الحارة التى تؤثر تأثير السم وقال البقلى هذا شكر من القوم فى رؤية الحق سبحانه اى كنا مشفقين من الفراق فى الدنيا والبعد فى يوم التلاق فمن الله علينا ووقانا من ذلك العذاب المحرق المفنى هذا فى اوائل الرؤية اما اذا استقاموا فى الوصال نسوا ما كان فيهم من ذكر الاشفاق وغيره والاشفاق وصف الارواح والخوف صفة القلوب وقال الجنيد قدس سره الاشفاق ارق من الخوف والخوف اصلب وقال بعضهم الاشفاق للاولياء والخوف لعامة المؤمنين وقال الواسطى قدس سره لاحظوا دعاءهم وشفقتهم ولم يعلموا ان الوسائل قطعت المتوسلين عن حقيقة وحجبت من ادراك من لا وسيلة اليه (انا كنا من قبل) اى من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون فى الدنيا (ندعوه) اى نعبده اونسأله الوقاية (انه هو البر) اى المحسن (الرحيم) الكثير الرحمة الذى اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب قال الراغب البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق منه البر اى التوسع فى فعل الخير وينسب ذلك تارة الى الله تعالى نحو انه هو البر الرحيم والى العبد تارة فيقال بر العبد ربه اى توسع فى طاعته فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك ضربان ضرب فى الاعتقاد وضرب فى الاعمال الفرائض والنوافل وبر الوالدين التوسع فى الاحسان اليهما وضده العقوق قال فى شرح الاسماء من عرف انه هو البر الرحيم رجع اليه بالرغبة فى كل حقير وعظيم فكفاه ما اهمه ببره ورحمته وقد قال فى حكم ابن عطاء متى اعطاك اشهدك بره واحسانه وفضله ومتى منعك اشهدك قهره وجلاله وعظمته فهو فى كل ذلك متعرف اليك تارة بجماله واخرى بجلاله ومقبل بوجود لطفه عليك اذ وجد لك ما يوجب توجهك اليه ولكن انما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه اذ لو فهمت عنه كنت تشكره على ما اوجهك منه فقد قال ابو عثمان المغربى قدس سره الخلق كلهم مع الله فى مقام الشكر وهم يظنون انهم فى مقام الصبر وقال ابراهيم الخواص قدس سره لا يصح الفقر للفقير حتى يكون فيه خصلتان احداهما الثقة بالله والثانية الشكر له فيما زوى عنه من الدنيا مما ابتلى به غيره ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له فى المنع افضل من نظره له فى العطاء وعلامة صدقه فى ذلك ان يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطاء والتقرب باسم البر تعلقا وجود محبته لاحسانه وترك التدبير معه لما توجه من اكرامه وكثرة الدعاء كما قال انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم وتخلقا بالنفع لعباد الله والشفقة عليهم فان البر هو الذى لا يؤذى الذر وفى التأويلات النجمية واقبل بعضهم يعنى القلب

والروح على بعض يعنى النفس يتساءلون قالوا انا كنا قبل اى قبل السير والسلوك فى اهلنا اى فى عالم الانسانية مشفقين اى خائفين من سموم الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية والشهوات الدنيوية فانها مهب سموم قهر الحق فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم اى سموم قهره ولولا فضله ماتخلصنا منه بجهدنا وسعينا بل انا كنا من قبل ندعوه ونتضرع اليه بتوفيقه فى طلب النجاة وتحصيل الدرجات انه هو البر بمن يدعوه الرحيم بمن ينيب اليه (فذكر) قال ابن الشيخ لما بين الله ان فى الوجود قوما يخافون الله ويشفقون فى اهلهم والنبى عليه السلام مأمور بتذكير من يخاف الله فرع عليه قوله فذكر بالفاء (وقال الكاشفى) آورده اند كه جماعتى مقتسمان بر عقبات مكه حضرت رسول را عليه السلام نزد قبائل عرب بكهانت وجنون وسحر وشعر منسوب ميساختند وآن حضرت اندوهناك ميشد آيت آمد كه فذكر اى فاثبت على ما انت عليه من تذكير المشركين بما انزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لاخير فيه من الاباطيل (فما انت بنعمت ربك) نعمت رسمت بالتاء ووقف عليها بالهاء ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب اى بسبب انعامه بصدق النبوة وزيادة العقل (وقال الكاشفى) بانعام پروردگار خود يعنى بحمد الله ونعمته اوما انت بكاهن حال كونك منعما عليك به فهو حال لازمة من المنوى فى كاهن لانه عليه السلام لم يفارق هذه الحال فتكون الباء الملابسة والعامل هو معنى النفى ويجوز ان يجعل الباء للقسم (بكاهن) كما يقولون قاتلهم الله وهو من يبتدع القول ويخبر عما سيكون فى غد من غير وحى وفى المفردات الكاهن الذى يخبر بالاخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذى يخبر بالاخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هاتين الصناعتين مبنيتين على الظن الذى يخطئ ويصيب قال عليه السلام من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما انزل الله على محمد ويقال كهن فلان كهانة اذا تعاطى ذلك وكهن اذا تخصص بذلك وتكهن تكلف ذلك وفى القاموس كهن له كمنع ونصر وكرم كهانة بالفتح وتكهن تكهنا وتكهينا قضى له بالغيب فهو كاهن والجمع كهنة وكهان وحرفته الكهانة بالكسر انتهى قال ابن الملك فى قوله عليه السلام من سأل عرافا لم تقبل صلاته اربعين ليلة العراف من يخبر بما خفى من المسروق اوالكاهن واما من سألهم لاستهزائهم اولتكذيبهم فلا يلحقه ما ذكر فى الحديث بقرينة حديث آخر من صدق كاهنا لم تقبل منه صلاة اربعين ليلة فان قلت هذا يخالف لقوله عليه السلام من صدق كاهنا فقد كفر بما انزل على محمد قلت يلائح لى فى التوفيق ان يقال مصدق الكاهن يكون كافرا اذا اعتقد انه عالم بالغيب واما اذا اعتقد انه ملهم من الله اوان الجن يلقون مما يسمعون من الملائكة فصدقه من هذا فلا يكون كافرا انتهى كلام ابن الملك وفى هدية المهديين من قال اعلم المسروقات يكفر ولو قال انا اخبر عن اخبار الجن يكفر ايضا لان الجن كالانس لا يعلم غيبا (ولا مجنون) وهو من به جنون وهو زوال العقل اوفساده وفى المفردات الجنون الحائل بين النفس والعقل وفى التعريفات الجنون هو اختلال العقل بحيث يمنع جريان الافعال والاقوال على نهج العقل الانادرا وهو عند ابى يوسف ان كان حاصلا فى اكثر السنة فمطبق ومادونه فغير مطبق وفى التأويلات النجمية يشير الى ان طبيعة الانسان متنفرة من حقية الدين مجبولة على حب الدنيا وزينتها وشهواتها وزخارفها والجوهر الروحانى الذى جبل على فطرة الاسلام فى الانسان مودع بالقوة كالجوهر فى المعدن فلا يستخرج الى الفعل الا بجهد جهيد وسعى تام على قانون الشريعة ومتابعة النبى عليه السلام وارشاده وبعده بارشاد ورثة علمه وهم العلماء الربانيون الراسخون فى العلم من المشايخ المسلكين وفى زمان كل واحد منهم والخلق مع دعوى اسلامهم ينكرون على سيرهم فى الاغلب ويستبعدون ترك الدنيا والعزلة والانقطاع عن الخلق والتبتل الى الله وطلب الحق الامن كتب الله فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وهو الصدق فى الطلب وحسن الارادة المنتجة من بذر يحبهم ويحبونه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والافمن خصوصية طبيعة الانسان ان يمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية وان كانوا يصلون ويصومون ويزعمون انهم مسلمون ولكن بالتقليد لا بالتحقيق اللهم الامن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه انتهى * يقول الفقير فى الآية تشريف للنبى عليه السلام جدا حيث ان الله تعالى ناب عنه فى الجواب ورد الكافرين بنفسه وهو ايضا تصريح بما علم التزاما فان الامر بالتذكير الذى هو متعلق بالوحى وان كان مقتضاه كمال العقل والصدق فى القول يقتضى ان لا يكون عليه السلام

كا هنا ولامجنونا فهذا النفي بالنسبة الى ظاهر الحال فانه لايخلو من دفع الوهم وتمكين التصديق ونظيره كلمة الشهادة فان قوله لااله نفي للوجود المتوهم الذي يتوهمونه والا فلا شئ غير الاثبات فافهم والله المعين سيدى كزوهم قدرش برترست * خاك پايش چرخ راتاج سرست (ام يقولون) بلكه مى كويند درحق تو ام المكررة في هذه الآيات منقطعة بمعنى بل والهمزة فيها الانكار ونقل البغوى عن الخليل انه قال مافي سورة الطور من ذكر ام كله استفهام وليس بعطف يعنى ابست بمنقطعة وقال في برهان القرءآن اعاد ام خمس عشرة مرة وكلها الزامات وليس للمخاطبين بهاعنها جواب وفي عين المعاني ام ههنا خمسة عشروكله استفهام اربعة للتحقيق على التوبيخ بمعنى بل ام يقولون شاعرام يقولون تقوله وقد قالوهما وام هم قوم طاغون وام يريدون كيدا وقد فعلوهما وسائرها للانكار وفي فتح الرحمن جميع مافي هذه السورة من ذكر ام استفهام غيرعاطفة واستفهم تعالى مع علمه بهم تقبيحا عليهم وتوبيخا لهم كقول الشخص لغيره اجاهل انت مع علمه بجهله (شاعر) اى هو شاعر وقد سبق معنى الشعر والشاعر في اواخر سورة يس مفصلا قال الامام المرزوقي شارح الحماسة تأخر الشعرآء عن البلغاء لتأخر المنظوم عند العرب لان ملوكهم قبل الاسلام وبعده يتبجحون بالخطابة ويعدونها اكمل اسباب الرياسة ويعدون الشعر دناءة ولان الشعر كان مكسبة وتجارة وفيه وصف اللئيم عند الطمع بصفة الكريم والكريم عند تأخر صلته بوصف اللئيم ومما يدل على شرف النثران الاعجاز وقع في النثردون النظم لان زمن النبي عليه السلام زمن الفصاحة كذا ذكره صاحب روضة الاخبار فان قلت فاذا كان الاعجاز واقعا في النثر فكيف قالوا في حق القرءآن شعر وفي حقه عليه السلام شاعر قلت ظنوا انه عليه السلام كان يرجو الاجر على التبليغ ولذا قال تعالى قل ما اسألكم عليه من اجر فكان عليه السلام عندهم بمنزلة الشاعر حيث ان الشاعر انما يستجلب بشعره في الاغلب المال وايضا لما كانوا يعدون الشعر دناءة حملوا القرآن عليه ومرادهم عدم الاعتداد به فان قلت كيف كانوا يعدون الشعر دناءة وقد اشتهر افتخارهم بالقصائد حتى كانوا يعلقونها على جدار الكعبة قلت كان ذلك من كمال عنادهم اوجريا على مسلك اهل الخطابة من الاوائل فاعرف فان هذا زائد على مافصل في سورة يس وقد لاح بالبال في هذا المقام قال ابن الشيخ قوله ام يقولون الخ من باب الترقي الى قولهم فيه انه شاعر لان الشاعر ادخل في الكذب من الكاهن والمجنون وقد قيل احسن الشعر اكذبه وكانوا يقولون لانعارضه في الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وانانصبر ونتربص موته وهلاكه كما هلك من قبله من الشعرآء وحينئذ تتفرق اصحابه وان اباه مات شابا ونحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه وذلك قوله سبحانه تعالى (نتربص به ريب المنون) التربص الانتظار والريب مايقلق النفوس اى يورث قلقا واضطرابا لها من حوادث الدهر وتقلبات الزمان فهو بمعنى الرائب من قولهم رابه الدهر وارابه اى اقلقه وقيل سميت ريبا لانها لاتدوم على حال كالريب وهو الشك فانه لايبقى بل هو متزلزل وفي المفردات ريب الدهر صروفه وانما قيل ريب لما يتوهم فيه من المنكر وفيه ايضا الريب ان تتوهم بالشئ امرا ما فينكشف عما توهمته ولهذا قال تعالى لاريب فيه والارابة ان تتوهم فيه امرا فلا ينكشف عما تتوهمه وقوله نتربص به ريب المنون سماه ريبا لامن حيث انه مشكك في كونه بل من حيث انه يشكك في وقت حصوله فالانسان ابدا في ريب المنون من جهة وقته لامن جهة كونه وعلى هذا قال الشاعر

الناس قد علموا ان لابقاء لهم * لوانهم عملوا مقدار ماعلموا

انتهى والمنون الدهر والموت والكثير الامتنان كالمنونة والتي تزوجت لمالها فهي تمن على زوجها كالمنانة انتهى وقيل في الآية المنون الموت وريبه اوجاعه وهو في الاصل فعول من منه اذاقطعه لان الدهر يقطع القوى والموت يقطع الامانى والعمر وفي المفردات قيل المنون المنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد انتهى وريب منصوب على انه مفعول به والمعنى بل ايقولون ننتظر به نوائب الدهر فيهلك كما هلك غيره من الشعراء زهير والنابغة وطرفة وغيرهم اوننتظر اوجاع الموت كما مات ابوه شابا وذلك كما تمنى الصبيان في المكتب موت معلمهم ليتخلصوا من يده فو بل لمن اراد هلاك معلمه في الدين وكان محروما من تحصيل اليقين (قل تربصوا فاني معكم من المتربصين) اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي والامر بالتربص للتهديد قال الراغب التربص انتظار الشخص سلعة كان يقصد بها غلاء اورخصا اوامرا ينتظر زواله اوحصوله انتهى وفيه عدة كريمة باهلاكهم

وجاء فى التفسير ان جميعهم ماتوا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وقع فى زماننا ان بعض الوزراء اهان بعض الاولياء فاجلاه وكان ينتظر هلاكه فهلك قبله هلاكا هائلا حيث قتل وقتل معه الوف وفى الآية اشارة الى التربص فى الامور ودعوة الخلق الى الله والتوكل على الله فيما يجرى على عباده والتسليم لاحكامه فى المقبولين والمردودين اذكل يجرى على ماقضاه الله (ام تأمرهم احلامهم) اى دع تفوههم بهذه الاقوال الزائغة المتناقضة وفيهم ماهو اقبح من ذلك وهوا نهم سفهاء ليسوا من اهل التميز والا حلام العقول قال الراغب وليس الحلم فى الحقيقة هو العقل لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل والحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب (بهذا) اى بهذا التناقض فى المقال فان الكاهن يكون ذافطنة ودقة نظر فى الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر وكلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع هؤلاء فى واحد وامر الاحلام بذلك مجاز عن ادائها الى التناقض بعلاقة السببية كقوله اصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا لانه جعلت الاحلام آمرة على الاستعارة المكنية وفى الكواشى جعلت الحلوم آمرة مجازا ولضعفها جمعت جمع القلة قال فى القاموس الحلم بالضم وبضمتين الرؤيا والجمع احلام والحلم بالكسر الاناة والعقل والجمع احلام وحلوم ومنه ام تأمرهم احلامهم وهو حليم والجمع حلماء واحلام انتهى وكان قريش يدعون اهل الاحلام والنهى فازرى الله بعقولهم حين لم تثمرهم معرفة الحق من الباطل وقيل لعمرو بن العاص رضى الله عنه مابال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقول فقال تلك عقول كادها الله اى لم يصحبها التوفيق وفى الخبران الله لما خلق العقل قال له ادبر فادبر ثم قال له اقبل فاقبل يعنى كفت بوى پشت بركن پشت بركرد پس كفت روى باز كن روى باز كرد فانى لم اخلق خلقا اكرم على منك بك اعبد وبك اعطى وبك آخذ قال ابو عبد الله المغربى لما قال له ذلك تداخله العجب فعوقب من ساعته فقيل له التفت فلما التفت نظر الى ماهو احسن منه فقال من انت قال أنا الذى لا تقوم الابى قال ومن انت قال التوفيق (وفى المثنوى) جزعنايت كى كشايد چشم را * جز محبت كى نشاند خشم را * جهد بى توفيق خود كس را مباد * درجهان والله اعلم بالرشاد * روى ان صفوان بن امية فخر على رجل فقال انا صفوان بن امية بن خلف ابن فلان فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فارسل اليه وغضب فلما جاء قال ثكلتك امك ماقلت فهاب عمران يتكلم فقال عمر ان كان لك تقوى فان لك كرما وان كان لك عقل فان لك اصلا وان كان لك خلق حسن فان لك مروءة والافانت شر من الكلب (ام هم قوم طاغون) مجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد مع ظهور الحق لايحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون مايقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون قال ابن الشيخ ثم قيل لابل ذلك من طغيانهم لانه ادخل فى الذم من نقصان العقل وابلغ فى التسلية لان من طغى على الله فقد باء بغضبه (ام يقولون تقوله) هو ترق الى ماهو ابلغ فى كونه منكرا وهو ان ينسبوا اليه عليه السلام انه يختلق القرآن من تلقاء نفسه ثم يقول انه من عند الله افتراء عليه والتقول تكلف القول ولا يستعمل الا فى الكذب والمعنى اختلق القرآن من تلقاء نفسه وليس الامر كما زعموا (بل لايؤمنون) البتة لان الله ختم على قلوبهم وفى الارشاد فلكفرهم وعنادهم يرمونه بهذه الاباطيل التى لاتخفى على احد بطلانها كيف لاومارسول الله الا واحد من العرب اتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم وفى كون ذلك مبنيا على العناد اشارة الى انهم يعلمون بطلان قولهم وتناقضه (فليأتوا بحديث مثله) اى اذا كان الامر كما زعموا من انه كاهن اومجنون اوشاعر ادعى الرسالة وتقول القرآن من عند نفسه فليأتوا بكلام مثل القرآن فى النعوت التى استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى قال فى التكملة المشهور فى القرآن بحديث مثله بالتنوين فيكون الضمير راجعا الى القرآن (وروى) عن الجحدرى انه قرأ بحديث مثله بالاضافة فيكون الضمير راجعا الى النبى عليه السلام (ان كانوا صادقين) فيما زعموا فان صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام فى البشرية والعربية مع مابهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقائع والايام ولاريب فى ان القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعى الامر بذلك واعلم ان الاعجاز اما ان يتعلق بالنظم من حيث فصاحته و بلاغته اويتعلق بمعناه ولايتعلق به من حيث مادته فان مادته الفاظ العرب والفاظه الفاظهم قال تعالى قرآنا عربيا

تنبيها على اتحاد العنصر وانه منظم من عين ما ينظمون به كلامهم والقرآن معجز من جميع الوجوه لفظا ومعنى
وتميز من خطبة البلغاء ببلوغه حد الكمال فى اثنى عشر وجها ايجاز اللفظ والتشبيه الغريب والاستعارة
البديعة وتلاؤم الحروف والكلمات وفواصل الآيات وتجانس الالفاظ وتعريف القصص والاحوال
وتضمين الحكم والاسرار والمبالغة فى الاسماء والافعال وحسن البيان فى المقاصد والاغراض وتمهيد المصالح
والاسباب والاخبار عما كان ومايكون (ام خلقوا من غير شئ) من لابتداء الغاية اى ام احدثوا وقدروا
هذا التقدير البديع والشكل العجيب من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل لاشئ من عبادة وجزاء
فمن للسببية (وقال الكاشفى) آيا آفريده شده اندا يشان بى چيزى يعنى بى پدر وما در مراد آنست كه
ايشان آدمى انداز آدميان زاده شده نه جما دند كه تعقل خود نكنند (ام هم الخالقون) لانفسهم فلذلك
لايعبدون الله تعالى (ام خلقوا السموات والارض بل لايوقنون) اى اذا سئلوا من خلقكم وخلق
السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والالما اعرضوا عن عبادته تعالى والايقان بى كمان شدن
(ام عندهم خزائن ربك) جمع خزانة بالكسر وهو مكان الخزن يقال خزن المال احرزه وجعله فى الخزانة
وهو على حذف المضاف اى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤا ويمسكوها عمن شاؤا اى اعندهم
خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره (ام هم المسيطرون) اى الغالبون
على الامور يدبرونها كيفما شاؤا حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وفى عين
المعانى اى الارباب المسلطون على الناس فيجبرونهم على ماشاؤا من السطر كأنه يخط للمسلط عليه خطا لايجاوزه
وفى كشف الاسرار المسيطر المسلط القاهر الذى لايكون تحت امر احد ونهيه ويفعل مايشاء يقال تصيطر
على فلان بالسين والصاد اى سلط انتهى قال فى القاموس المسيطر الرقيب الحافظ والمتسلط والسطر الصف
من الشئ الكتاب والشجر وغيره والخط والكتابة ويحرك فى الكل والصطر بالصاد ويحرك السطر وتصيطر
تسيطر (ام لهم سلم) منصوب الى السماء وبالفارسية آيا مرايشانرا ست نردبانى كه بدان با آسمان بروند
قال الراغب السلم مايتوصل به الى الامكنة العالية فيرجى به السلامة ثم جعل اسما لمايتوصل به الى كل شئ
رفيع كالسبب قال ابن الشيخ لما ابطل من الاحتمالات العقلية جميع مايتوهم ان يبنوا عليه تكذيبهم وانكارهم
لم يبق لهم الاالمشاهدة والسماع منه تعالى وهو اظهر استحالة فتهكم بهم وقال بل الهم سلم (يستمعون فيه)
ضمن يستمعون معنى الصعود فاستعمل بفى وفيه متعلق بمحذوف هو حال من فاعل يستمعون اى يستمعون
صاعدين فى ذلك السلم ومفعول يستمعون محذوف اى الى كلام الملائكة ومايوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا
ماهو كائن من الامور التى يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون بها اطماعهم الفارغة وفى كشف الاسرار فيه
اى عليه كقوله فى جذوع النخل اى عليها (فليأت) پس بايد كه بيارد فالباء الآتى للتعدية وهو امر تعجيز
(مستمعهم) شنونده ايشان كه برآسمان رفتند وپيغام غيب شنيدند (بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق
استماعه وبالفارسية حجتى روشن كه كواه باشد برصدق استماع وى (ام له البنات ولكم البنون) هذا انكار
عليهم حيث جعلوا لله مايكرهون اوتسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بان من هذا رأيه لايكاد يعد من العقلاء
فضلا عن الترقى بروحه الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية وذلك ان من جعل خالقه ادون حالا منه
بان جعل له مالا يرضى لنفسه كما قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم فانه لم يستبعد
منه امثال تلك المقالات الحمقاء والالتفات الى الخطاب لتشديد مافى ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ
(ام تسألهم اجرا) رجوع الى خطابه عليه السلام واعراض عنهم اى بل اتسألهم اجرا على تبليغ الرسالة
تاتاوان زده شدند (فهم) لاجل ذلك (من مغرم) من التزام غرامة فادحة فالمغرم مصدر ميمى بمعنى الغرم
والمضاف مقدر وفى الكشاف الغرم ان يلتزم الانسان ماليس عليه وفى فتح الرحمن الغرم مايلزم اداؤه
وفى المفردات الغرمماينوب الانسان من ماله من ضرر بغير جناية منه وكذا المغرم والغريم يقال لمن له الدين
ولمن عليه الدين انتهى (مثقلون) محملون الثقل وبالفارسية كران بارشوند فلذلك لايتبعونك يعنى لاعذر
لهم اصلا والدين لايباع بالدنيا * زيان ميكنند مرد تفسيردان * كه علم وادب ميفروشد بنان * فالاجر
على الله تعالى كما قال ان اجرى الاعلى الله وقدسبق تحقيقه فى مواضع متعددة (ام عندهم الغيب)

اى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب (فهم يكتبون) ما فيه حتى يتكلموا فى ذلك بنفى او اثبات (وقال الكاشفى) پس ايشان مى نويسند از ان كه خبر پيغمبر عليه السلام از امر قيامت وبعث باطلست باكابت كنند كه موت توكى خواهد بود (ام يريدون كيدا) اى لا يكتفون بهذه المقالات الفاسدة ويريدون مع ذلك ان يكيدوا بك كيدا واساءة وهو كيدهم برسول الله عليه السلام فى دار الندوة ومكرهم بالقتل والحبس والاخراج فان الكيد هو الامر الذى يسوء من نزل به سواء كان فى نفسه حسنا او قبيحا فالاستفهام فى المعطوف للتقرير وفى المعطوف عليه للانكار وقال بعضهم الكيد ضرب من الاحتيال وفى التعريفات الكيد ارادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السيئة ومن الله التدبير بالحق لمجازاة اعمال الخلق وقال سعدى المفتى الظاهر انه من الاخبار بالغيب فان السورة مكية وذلك الكيد كان وقوعه ليلة الهجرة فان قيل فليكن نزول الطور فى تلك الليلة قلنا قد ثبت عن ابن عباس رضى الله عنهما انه نزل بعدها بمكة تبارك الملك وغيرها من السور (فالذين كفروا هم المكيدون) القصر اضافى اى هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم وباله لا من ارادوا ان يكيدوه فانه المظفر الغالب عليهم قولا وفعلا وحجة وسيفا وهم المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته والمراد ما اصابهم يوم بدر من القتل يعنى عند انتهاء سنين عدتها عدة كلمة ام وهى خمس عشرة فان غزوة بدر كانت فى الثانية من الهجرة وهى الخامسة عشرة من النبوة (ام لهم اله غير الله) يعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله) نزهه تعالى (عما يشركون) اى عن اشراكهم فما مصدرية اوعن شركة ما يشركونه فما موصول والمضاف مقدر وكذا العائد * برذيل عزتش ننشيند غبار شرك * باوحدتش كسى دم شركت چه سان زند * هر كاه افكند بوصفش خيال را * دست كمال آتش غيرت درا ن زند (وان يروا كسفا) اى قطعة (من السماء ساقطا) عليهم لتعذيبهم وفى عين المعانى قطعة من العذاب او من السماء او جانبا منهما من الكسف وهو التغطية كالكسوف وفى القاموس الكسفة بالكسر القطعة من الشئ والجمع كسف وكسف وفى المختار وقيل الكسف والكسفة واحد (يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحاب مركوم) غليظ او متراكب اى هم فى الطغيان بحيث لو اسقطناه عليهم حسبما قالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم اى التى بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب وفى التأويلات النجمية يعنى انهم وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها كما قال تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء حتى شاهدوا بالعين لقالوا انما سكرت ابصارنا وليس هذا عيانا ومشاهدة (فذرهم) پس دست بدار ازايشان يعنى حرب مكن با ايشان كه هنوز بقتال مأمور نيستى ومكافات ايشان بكذار (حتى يلاقوا) يعاينوا وبالفارسية تا وقتى كه ببينند معاينه (يومهم) مفعول به لاظرف (الذى فيه يصعقون) اى يهلكون وبالفارسية هلاك كرده شوند وهو على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة او من اصعقته اماتته واهلكته قال فى المختار صعق الرجل بالكسر صعقة غشى عليه وقوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض اومات وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ قال ابن الشيخ المقصود من الجواب عن الاقتراح المذكور بيان انهم مغلوبون بالحجة مبهوتون وان طعنهم ذلك ليس الا للعناد والمكابرة حتى لو اجبناهم فى جميع مقترحاتهم لم يظهر منهم الا ما يبتنى على العناد والمكابرة فلذلك رتب عليه قوله فذرهم بالفاء (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا) اى شيئا من الاغناء فى رد العذاب وبالفارسية روزى كه نفع نكند وباز ندارد ازايشان مكر ايشان چيزى را از عذاب وهو بدل من يومهم (ولا هم ينصرون) من جهة الغير فى رفع العذاب عنهم (وان للذين ظلموا) اى وان لهؤلاء الظلمة ابى جهل واصحابه (عذابا) آخر (دون ذلك) غير ما لاقوه من القتل اى قبله وهو القحط الذى اصابهم سبع سنين كما فى سورة الدخان او وراءه وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان الامر كما ذكر لفرط جهلهم وغفلتهم او لا يعلمون شيئا اصلا وفيه اشارة الى ان منهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا فالعالم الغير العامل والجاهل سواء فعلى العاقل ان يحصل علوم الآخرة ويعمل بها قال بعض الكبار العلم علمان علم تحتاج منه مثل ما تحتاج من القوت فينبغى الاقتصاد والاقتصار على قدر الحاجة منه وهو علم الاحكام الشرعية فلا ينبغى النظر فيه الا بقدر ما تمس الحاجة اليه فى الوقت فان تعلق تلك العلوم انما هو بالاحوال الواقعة فى الدنيا لا غير وعلم ليس له حد يوقف عنده

وهو العلم المتعلق بالله ومواطن القيامة اذا العلم بمواطنها يؤدى العالم بها الى الاستعداد لكل موطن بما يليق به لان الحق تعالى بنفسه هو المطالب فى ذلك اليوم بارتفاع الوسائط وهو يوم الفصل فينبغى للانسان العاقل ان يكون على بصيرة من امره معدا للجواب عن نفسه وعن غيره فى المواطن التى يعلم انه يطلب منه الجواب فيها فلهذا الحقنا علم مواطن القيامة بالعلم بالله انتهى وفى الآية اثبات عذاب القبر فان الله تعالى يحيى العبد المكلف فى قبره و يرد الحياة اليه و يجعله من العقل فى مثل الوصف الذى عاش عليه ليعقل مايسأل عنه ومايجيب به ويفهم ماأتاه من ربه وماأعدله من كرامة وهوان ولقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما اخبر عليه السلام بفتنة الميت فى قبره وسؤال منكر ونكير وهما الملكان يارسول الله ايرجع الى عقلى قال نعم قال اذا اكفيكهما والله لئن سألانى لاسألنهما واقول لهما انا ربى الله فمن ربكما انتما وانكرت الملحدة ومن تمذهب من الاسلاميين بمذهب الفلاسفة عذاب القبر وانه ليس له حقيقة وقد رؤى ابوجهل فى جانب مصرعه فى بدر انه خرج من الارض وفى عنقه سلسلة من نار يمسك اطرافها اسود وهو يطلب الماء حتى ادخله الاسود فى الارض بجذب شديد واختلاف احوال العصاة فى عذاب القبر بحسب اختلاف معاصيهم واكثر عذاب القبر فى البول فلابد من التنزه عنه وسمع البهائم عذاب القبر وانما لم يسمع من يعقل من الجن والانس وكان عليه السلام يدعو ويقول اللهم انى اعوذبك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وينجى المؤمن من اهوال القبر وفتنته وعذابه خمسة اشياء الاول الرباط فى سبيل الله ولو يوما وليلة * والثانى الشهادة بان يقتل فى سبيل الله * والثالث سورة الملك فان من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان * والرابع الموت مبطونا فانه لايعذب فى قبره والمراد بالمبطون صاحب الاسهال والاستطلاق * والخامس الوقت ففى الحديث من مات يوم الجمعة او ليلة الجمعة وقى فتنة القبر نسأل الله سبحانه ان يعصمنا من الزلل ويحفظنا من الخلل ويجعلنا فى القبر والقيامة من الآمنين ويبشرنا عند الموت برحمة منه وفضل مبين بجاه النبى الامين والانبياء المرسلين والملائكة المقربين (واصبر لحكم ربك) بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيمابينهم مع مقاساة الاحزان والشدائد ولاتكن فى ضيق ممايمكرون يقول الفقير امر الله تعالى نبيه عليه السلام بالصبر لحكمه لا لاذى الكفار وجفائهم تسهيلا للامر عليه لان فى الصبر لحكمه حلاوة ليست فى الصبر للاذى والجفاء وان كان الصبر له صبرا للحكم فاعرف (فانك باعيننا) اى فى حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلأك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء فى الحفظ وبكثرة اسبابه اظهارا للتفاوت بين الحبيب والكليم حيث افرد فيه العين والضمير كما قال ولتصنع على عينى وفى التأويلات النجمية اى لاحكم لك فى الازل فانه لايتغير حكمنا الازلى ان صبرت وان لم تصبر ولكن ان صبرت على قضائى فقد جزيت ثواب الصابرين بغير حساب فانك باعيننا نعينك على الصبر لاحكامنا الازلية كما قال تعالى واصبر وماصبرك الا بالله وفى عرائس البيان للبقلى ذكر قوله ربك بالغيبة لانه فى مقام تفرقة العبودية والرسالة تقتضى حالة المشقة ولذلك امره بالصبر ولما ثقل عليه الحال نقله من الغيبة الى المشاهدة بقوله فانك باعيننا اى نحفظك من الاعوجاج والتغير فى جريان احكامنا عليك حتى تصير مستقيما بنا لنا فينا ونحن نراك بجميع عيون الصفات والذات بنعت المحبة والعشق ننظر بها اليك شوقا اليك وحراسة لك نحرسك بها حتى لايغيرك غيرها من الحدثان عنا ونرفع بها عنك طوارق قهرنا فانك فى مواضع عيون محبتنا وانت فى اكناف لطفنا انظر كيف ذكر الاعين وليس فى الوجوه اشرف من العيون ومن اختص بالله كان فى حفظه ومن كان فى حفظه كان فى مشاهدته ومن كان فى مشاهدته استقام معه ووصل اليه ومن وصل اليه انقطع عماسواه ومن انقطع عماسواه عاش معه عيش الربانيين قال بعضهم كنا مع ابراهيم بن ادهم قدس سره فاتاه الناس وقالوا ياابا اسحق ان الاسد وقف على طريقنا فاتى ابراهيم الى الاسد وقال له ياابا الحارث ان كنت امرت فينا بشئ فامض لما امرت به وان لم تؤمر بشئ فتنح عن طريقنا فادبر الاسد وهو يهمهم والهمهمة ترديد الصوت فى الصدر فقال ابراهيم وماعلى احدكم اذا اصبح وامسى ان يقول اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام واحفظنا بركنك الذى لايرام وارحمنا بقدرتك علينا فلانهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا وقال الخواص قدس سره كنت فى طريق مكة فدخلت الى خربة بالليل واذا فيها سبع عظيم فخفت فهتف بى هاتف اثبت فان حولك سبعين الف ملك يحفظونك يقول الفقير يحتمل ان يكون هذا الحفظ الخواصى بسبب بعض الادعية وكان

يلازمه وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
ثلاث مرات وقرأ ثلاث آيات اخر سورة الحشر هو الله الذي لا اله الا هو الى آخر السورة حين يصبح وكل الله به
سبعين الف ملك يحرسونه وكذلك اذا قرأها حين يمسي وكل الله به سبعين الف ملك يحرسونه ويحتمل ان يكون
ذلك بسبب ان الخواص من احباب الله والحبيب يحرس حبيبه كما روى انه ينزل على قبر النبي عليه السلام
كل صباح سبعون الف ملك ويضربون اجنحتهم عليه ويحفظونه الى المساء ثم ينزل سبعون الفا غيرهم
فيفعلون به الى الصباح كما يفعل الاولون وهكذا الى يوم القيامة (وسبح) اى نزهه تعالى عما لا يليق به
حال كونك ملتبسا (بحمد ربك) على نعمائه الفائتة للحصر (حين تقوم) من اى مقام قمت قال سعيد
ابن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك اى سبح الله ملتبسا بحمده فان كان ذلك
المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه وهو بالغين المعجمة والطاء المهملة الكلام الرديئ القبيح
واختلاط اصوات الكلام حتى لا يفهم فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك كان كفارة لما بينهما وفي فتح القريب فقد غفر له يعني من الصغائر ما لم تتعلق بحق آدمي
كالغيبة وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
ولا اله غيرك وقال الكلبي هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش الى ان تدخل في الصلاة لما روى عن عاصم
ابن حميد انه قال سألت عائشة رضي الله عنها باى شئ يفتتح رسول الله عليه السلام قيام الليل فقالت كان
اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفرلي واهدني وارزقني
وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة (ومن الليل فسبحه) افراد بعض الليل بالتسبيح والصلاة لان
العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل يقول الفقير ولان الليل زمان المعراج
والصلاة هو المعراج المعنوي فمن اراد ان يتحقق برسول الله عليه السلام في معراجه فليصل بالليل والناس نيام
اى في جوفه حين غفلة الناس ولشرف ذلك الوقت كان معراجه عليه السلام فيه لا قرب الصباح لان في قربه
قد يستيقظ بعض النفوس للحاجات وان كان السحر الاعلى له خواص كثيرة (وادبار النجوم) بكسر الهمزة
مصدر ادبر والنجوم جمع نجم وهو الكوكب الطالع يقال نجم نجوما ونجما اى طلع والمعنى ووقت ادبارها
من آخر الليل اى غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر
وفي الآية دليل على ان تأخير صلاة الفجر افضل لانه امر بركعتي الفجر بعد ما ادبر النجوم وانما ادبر النجوم
بعد ما يسفر قاله ابو الليث في تفسيره وقال اكثر المفسرين ادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك
حين تدبر النجوم بضوء الصبح وفي الحديث ركعتا الفجر اى سنة الصبح خير من الدنيا وما فيها وفيه بيان
عظم ثوابهما يقول الفقير في قولهم وذلك حين الخ نظر لان السنة في سنة الفجر انه يأتي بها في اول الوقت لان
الاحاديث ترجحه فالتأخير الى قرب الفرض مرجوح واول وقتها هو وقت الشافعي وليس للنجوم ادبار
اذذاك وانما ذلك عند الاسفار جدا وقال سهل قدس سره صل المكتوبة بالاخلاص لربك حين تقوم اليها
ولا تغفل صباحا ولا مساء عن ذكر من لا يغفل عن برك وحفظك في كل الاوقات وفي التأويلات النجمية قوله
وسبح الخ يشير الى مداومته على الذكر وملازمته له بالليل والنهار انتهى وقد سبق بيانه في آخر سورة ق قال بعض
الكبار من سوء ادب المريد ان يقول لشيخه اجعلني في بالك فان في ذلك استخداما للشيخ وتهمة له وانظر الى قوله
صلى الله عليه وسلم لمن قال له اسألك مرافقتك في الجنة حيث قال للسائل اعني على نفسك بكثرة السجود تحويله
الى غير ما قصد من الراحة فعلم الرياضة واجب تقديمه على الفتح في طريق السالكين لا المجذوبين والله عليم
حكيم انتهى وفي الحديث من خاف ان لا يقوم من آخر الليل فليوتر اوله ومن طمع ان يقوم آخره فليوتر
آخر الليل فان صلاة آخر الليل مشهودة وذلك افضل يقول الفقير كان التهجد فرضا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانما كان يؤخر الوتر الى آخر الليل اما لما ذكر من شهود الملائكة في ذلك الوقت واما لان الوتر
صلاها عليه السلام اولا ليلة المعراج وكان المعراج بعد المنام فناسب فصلها عن العشاء وتأخيرها وفي ختم
هذه السورة بالنجوم وافتتاح السورة الآتية بالنجم ايضا من حسن الانتهاء والابتداء ومن الاسرار

مالا يخفى على اهل التحقيق

تمت سورة الطور بعون الله الغفور فى اواخر رجب الفرد من سنة اربع عشرة ومائة والف

(سورة النجم مكية وآيها احدى او ثنتان وستون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم) سورة النجم اول سورة اعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهر بقراءتها فى الحرم والمشركون يستمعون نزلت فى شهر رمضان من السنة الخامسة من النبوة ولما بلغ عليه السلام السجدة سجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير ابى لهب فى رواية فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفينى هذا وفى رواية كان ذلك الوليد بن المغيرة فانه رفع ترابا الى جبهته فسجد عليه لانه كان شيخا كبيرا لايقدر على السجود وفى رواية وصححت امية بن خلف وقد يقال لامانع ان يكونوا فعلوا ذلك جميعا بعضهم فعل ذلك تكبرا وبعضهم فعل ذلك عجزا وممن فعل ذلك تكبرا ابولهب ولا يخالف ذلك مانقل عن ابن مسعود رضى الله عنه ولقد رأيت الرجل اى الفاعل لذلك قتل كافرا لانه يجوز ان يكون المراد بقتل مات وانما سجد المشركون لان النبى عليه السلام لمابلغ الى قوله افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الحق الشيطان به قوله تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى كما سبق فى سورة الحج فسمعه المشركون وظنوا انه من القرآن فسجدوا لتعظيم آلهتهم ومن ثمة تعجب المسلمون من سجود المشركين من غير ايمان اذهم لم يسمعوا ما القى الشيطان فى آذان المشركين واراد بالغرانيق العلى الاصنام شبهت الاصنام بالغرانيق التى هى طير الماء جمع غرنوق بكسر الغين المعجمة واسكان الراء ثم النون المفتوحة اوغرنوق بضم الغين والنون ايضا اوغرنيين بضم العين وفتح النون وهو طير طويل العنق وهو الكركى اوما يشبهه ووجه الشبه بين الاصنام وتلك الطيور ان تلك الطيور تعلو وترتفع فى السماء فالاصنام مشبهة بها فى علو القدر وارتفاعه قال بعضهم والنجم اول سورة نزلت جملة كاملة فيها سجدة فلاينافى ان اقرأباسم ربك اول سورة نزلت فيها سجدة لان النازل منها اوائلها لا مجموعها دفعة والواو للقسم اصحاب معانى كفته اند قسم درقرآن بردو وجه است يكى قسم بذات وصفات خالق جل جلاله چنانكه فوربك فبعزتك والقرآن المجيد وهمچنين حروف تهجى دراوائل سور هرحرفى اشارتست بصفتى ازصفات حق وقسم رابدان ياد كرده وجه دوم قسمست بمخلوقات وآن برچهار ضربست يكى اظهار قدرت راچنانكه والذاريات والمرسلات والنازعات هذا وامثاله نبه العباد على معرفة القدرة فيها ديكر قسم برستاخيز اظهار هيبت را كقوله لااقسم بيوم القيامة اقسم بها ليعلم هيبته فيها سوم قسم ياد ميكند اظهار نعمت رانابند كان نعمت خوداز الله بشناسند وشكرآن بكذارند كقوله والتين والزيتون چهارم قسم است ببعض مخلوقات بيان تشريف را تاخلق عزوشرف ان چيز بدانند كه قسم بوى ياد كرده كقوله لا اقسم بهذا البلد يعنى مكة وكذلك قوله وطورسينين وهذا البلد الامين ومن ذلك قوله للمصطفى عليه السلام لعمرك وهذا على عادة العرب فانها تقسم بكل ما تستعظمه وتريد اظهار تعظيمه وقيل كل موضع اقسم فيه بمخلوق فالرب فيه مضمر كقوله والنجم يعنى برب النجم ورب الذاريات واشباه ذلك والمراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب عليها ومنه قوله عليه السلام ماطلع النجم قط وفى الارض من العاهة شئ الارفع يريد بالنجم الثريا باتفاق العلماء وقال السهيلى رحمه الله وتعرف الثريا بالنجم ايضا وبالية الحمل لانها تطلع بعد بطن الحمل وهى سبعة كواكب ولايكاد يرى السابع منها لخفائه وفى الحقيقة انها اثنا عشر كوكبا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يراها كلها لقوة جعلها الله فى بصره وقال فى عين المعانى وهى سبعة انجم ظاهرة والسابع تمتحن به الابصار وكانت قريش تجلها وتقول احسن النجم فى السماء الثريا والثريا فى الارض زين السماء وكانت رحلتاها عند طلوعها وسقوطها فاذا طلعت بالغداة عدوها من الصيف واذا طلعت بالعشى عدوها من الشتاء قال الشاعر

طلع النجم غديه * ابتغى الراعى شكيه

واما جنس النجم وهويه كما قال تعالى (اذا هوى) غروبه وطلوعه يقال هوى يهوى من الثانى هويا بورن قبول اذا غرب فان الهوى سقوط من العلو الى اسفل وهو بابوزن دخول اذا علا وصعد والعامل فى اذا القسم اى اقسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ عن معنى الاستقبال كما فى قولك آتيتك اذا احمر البسر فلايلزم عمل فعل

الحال فى المستقبل يعنى ان فعل القسم انشاء والانشاء حال واذا انما يستقبل من الزمان فيكون المعنى اقسم
الآن بالنجم وقت هوى بعد هذا الزمان ثم ان الله تعالى اقسم بالنجم حين هوى اى وقت هويه لان شأنه
ان يهتدى به السارى الى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذى يهتدى به السابلة فى البر والجارية فى البحر
الى سواء السبيل والسمت (ماضل صاحبكم) هو جواب القسم اى ماعدل عن طريق الحق الذى هو مسلك
الآخرة وهذا دليل على ان قوله ووجدك ضالا ليس من ضلال الغى فانه عليه السلام قبل الوحى وبعده
لم يزل يعبد ربه ويوحده ويتوقى مستقبحات الامور وفيه بيان فضل النبى عليه السلام حيث ان الله تعالى قال
فى حق آدم عليه السلام وعصى آدم ربه فغوى وقال فى حقه ماضل صاحبكم (وماغوى) الغى هو الجهل
المركب قال الراغب الغى جهل من اعتقاد فاسد وذلك ان الجهل قد يكون من كون الانسان غير معتقد اصلا
لاصالحا ولا فاسدا وقد يكون من اعتقاد شئ فاسد وهذا الثانى يقال له غى فعطفه على ماضل من عطف
الخاص على العام للاهتمام بشأن الاعتقاد بمعنى انه فرق بين الغى والضلال وليسا بمعنى واحد فان الغواية
هى الخطأ فى الاعتقاد خاصة والضلال اعم منها يتناول الخطأ فى الاقوال والافعال والاخلاق والعقائد
التى شرعها الله وبينها لعباده فالمعنى وما اعتقد باطلا قط اى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما توهمونه
من الضلال والغواية فى شئ اصلا وكانوا يقولون ضل محمد عن دين ابائه وخرج عن الطريق ويقول شيأ
من تلقاء نفسه فرد الله عليهم بنفسه بتنزيل هذه السورة تعظيما له والخطاب لقريش وايراده عليه السلام
بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله واحاطتهم خبرا ببرآءته عليه السلام عما نفى عنه
بالكلية وباتصافه بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له ومشاهدتهم محاسن شؤونه العظيمة مقتضية
لذلك حتما كما فى الارشاد (وقال الكاشفى) وتسمية صاحب بجهت انست كه حضرت پيغمبر عليه السلام
مأمور بود بصحبت كافران جهت دعوت ايشان ويؤيد ما فى الارشاد قول الراغب فى المفردات لايقال
الصاحب فى العرف الا لمن كثرت ملازمته وقوله تعالى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة سمى النبى عليه السلام
صاحبهم تنبيها اى انكم صحبتموه وجربتموه وعرفتم ظاهره وباطنه ولم تجدوا به خبلا وجنة وتقييد القسم
بوقت الهوى لان النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال
من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلى جبريل
من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام وقال سعدى المفتى ثم التقييد بوقت الهوى اى الغروب لكونه اظهر
دلالة على وجود الصانع وعظيم قدرته كما قال الخليل عليه السلام لا احب الآفلين قال ابن الشيخ فى حواشيه
وفيه لطيفة وهى ان القسم بالنجم يقتضى تعظيمه وقد كان فيهم من يعبده فنبه بهويه على عدم صلاحيته
للالهية بافوله وقيل خص الهوى دون الطلوع فان لفظة النجم دلت على طلوعه فان اصل النجم الكوكب
الطالع وقال الامام جعفر الصادق رضى الله عنه اراد بالنجم محمدا عليه السلام اذا نزل ليلة المعراج والهوى
النزول كفته اند آن روز كه اين آيت فرو آمد ورسول خدا بر قريش اشكار كرد عتبة بن ابى لهب كفت
كفرت برب النجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى ودختر رسول عليه السلام زن او بود طلاق داد رسول خدا
دعا كرد وكفت اللهم سلط عليه كلبا من كلابك بعد ازان عتبه بتجارت شام رفت با پدر خويش ابو لهب
در منزلى از منازل راه فرو آمدند وانجا ديرى بود راهبى ازدير فرو آمد وكفت هذه ارض مسبعة درين منزل
سباع فراوان بود نكريد تا خويش را از سباع نكاه داريد ابو لهب اصحاب خويش را كفت اين پسر مرا نكاه
داريد كه من مى ترسم كه دعاى محمد دروى رسد ايشان همه كردوى درآمدند واورا در ميان كرفتند وپاس او
مى داشتند درميانه شب رب العالمين خواب برايشان افكند وشيرى بيامد وبايشان دركذشت ولطمه
برعتبه زد واورا هلاك كرد ولم يأكله لنجاسته ويحتمل من التأويل المصلى اذا سجد والغازى اذا قتل شهيدا
والعالم اذا مات ووضع فى قبره فان هؤلاء نجوم والاخبار ناطقة بها قال عليه السلام علماء امتى كالنجوم بها
يهتدى فى البر والبحر وقال الامام الغزالى رحمه الله هم الصحابة اذا ماتوا لقوله عليه السلام اصحابى كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وعلماء الاسلام لقوله عليه السلام العلماء نجوم الارض وقال بعضهم هو قسم بنور المعرفة
اذا وقع فى القلب قال تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح (وقال الكاشفى) ونزد محققان سوكند ياد كرده

بستاره دل حضرت محمد عليه السلام برفلك توحيد منقطع شد ازما سوى الله تعالى وايضا اقسم الله بنجم الالهام حين سقط من صحائف الغيوب الى معادن القلوب وفى التأويلات النجمية قال الاخفش النجم نبت لاساق له فيكون هويه سقوطه على الارض كما قال والنجم والشجر يسجدان يشير الى ان الله تعالى ينبت حبة المحبة الدائمة المنزهة عن التغير المقدسة عن التبدل التى وقعت وسقطت من روض سماع ذاته المطلقة الكلية الجمعية الاحاطية فى ارض قلب نبيه وحبيبه القابل لانبات نباتات الولاية والنبوة والرسالة الموجبات لظهور رياحين الحقائق القرآنية وشقائق التجليات الربانية وازهار التنزلات الحقانية وعرار اللطائف الاحسانية العرفانية كالمشاهدات والمكاشفات والمعاينات وامثالها وجواب القسم ماضل صاحبكم وماغوى وبه يشير الى ان وجود النبى عليه السلام لما كان اول نوروحدانى بسيطعلوى لطيف شعشعانى تجلى به الحق وتعلقت به القدرة القديمة الازلية من غير واسطة كما اخبرعنه بقوله انا من الله والمؤمنون منى ولبست فيه ظلمة الوسائط الامكانية الموجبة للضلالة المنتجة للغى بل هو على نوريته الاصلية البسيطة الشعشعانية المقتضية للهدى والتقوى المستدعية للرشد والنهى باق كما هو ماأثرت فيه مصاحبتكم الطبيعية ولامخالطتكم الصورية العنصرية وماضل بامر الطبيعة وماغوى بحكم البشرية فانه صلى الله عليه وسلم قائم بالحق خارج عن الطبع كما اخبر عن نفسه الشريفة القدسية بقوله لست كاحدكم ابيت عندربى يطعمنى ويسقينى وهذا يدل على قيامه بالحق وخروجه عن الطبع واحكامه انتهى * يقول الفقير امده الله القدير لفظ النجم نون هى خمسون بحساب ابجد وجيم هى ثلاثة فالمجموع ثلاثة وخمسون وميم هى اربعون فاشار الى ان النبى عليه السلام بعث عند الاربعين وجعل خاتم الانبياء والمرسلين ومكث فى مكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة والمجموع ثلاثة وخمسون وقد سماه الله تعالى بالنجم فى هذه الآية كما سماه سراجا منيرا فى آية اخرى لانه يستضاء بنور وجهه وضياء علمه وهداه وهوى هذا النجم العالى غروبه من مكة بعد المدة المذكورة وهجرته الى المدينة ولذا اقسم الله على عدم ضلاله وغيه لانه فى غروبه ذلك وحركته راشد مهدى حيث كان بامر الله تعالى واذنه فلما غرب من مكة اظلمت الدنيا على قريش وصاروا فى ظلمة شديدة ولما طلع على المدينة اشرقت الارض على المؤمنين حتى انهم وقعوا فى البدر التام فى السنة الثانية من الهجرة حيث نورهم الله تحت لواء حبيبه بنور النصرة على الاعداء ببدر وصار حال الاعداء الى ظلمة العدم وبهذا يظهر سر قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وسر قوله عليه السلام لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الارض الله الله اى ينقطع اهل الذكر المتصل وكان هو النبى عليه السلام فى مكة وبخروجه عنها ومفارقته عن ارضها واصرار القوم على الشرك والعناد وقع عليهم الطامة الكبرى ببدر كما تقوم الساعة عند انقطاع اهل الذكر الدائم من الارض ففيه الناس يعنى الناسين لايعرفون قدراهل الذكر والحضور فيما بينهم بل يعادونهم ويؤذونهم مع ان فى ذلك هلاكهم لانهم ملكوتهم و بانقطاع الملكوت والارواح عن الملك والاجسام يزول الملك وتخرب الاجسام لانقطاع سبب البقاء ومن هنا قالوا ان لله رجالا متصرفين فى اقطار الدنيا ولوفى دار الحرب فانه لابد للوجود من فيض البقا والامداد امدنا الله واياكم بمزيد فضله وجوده وشرفنا بوصاله وشهوده بحرمة النجم وهويه وسجوده آمين آمين (وماينطق عن الهوى) يقال نطق ينطق نطقا ومنطقا ونطوقا تكلم بصوت وحروف يعرف بها المعانى كما فى القاموس فلا يستعمل فى الله تعالى لان التكلم بالصوت والحروف من خواص المخلوق والهوى مصدر هويه من باب علم اذا احبه واشتهاه ثم غلب على الميل الى الشهوات والمستلذات من غير داعية الشرع ومنه قيل صاحب الهوى للمبتدع لانه مائل الى مايهواه فى امر الدين فالهوى هو الميل المخصوص المذموم ولهذا نهى الله انبياءه فقال لداود عليه السلام ولاتتبع الهوى ولنبينا عليه السلام ولا تتبع اهواءهم ولم يمل احد من الانبياء اليه بدليل قوله عليه السلام مااطلى نبى قط يقال اطلى الرجل اذا مال الى هواه (حكى) عن بعض الكبار انه قال كنت فى مجلس بعض الغافلين فتكلم الى ان قال لامخلص لاحد من الهوى ولوكان فلانا عنى به النبى عليه السلام حيث قال حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة فقلت له اما تستحيى من الله تعالى فانه ماقال احببت بل قال حبب فكيف يلام العبد على ماكان من عند الله تعالى ثم حصل لى غم وهم فرأيت النبى عليه السلام فى المنام فقال لاتغتم فقد كفينا امره

ثم سمعت انه خرج الى ضيعة له فقتل فى الطريق نعوذ بالله من الاطالة على الانبياء وورثتهم الاولياء وضمن
ينطق معنى الصدور فتعدى بكلمة عن فالمعنى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه اصلا فان المراد
استمرار نفى النطق عن الهوى لا نفى استمرار النطق عنه وقد يقال عن هنا بمعنى الباء اى وما ينطق بالهوى
كما قال رميت عن القوس اى بالقوس وفى التنزيل وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك اى بقولك قال ابن الشيخ
قال اولا ما ضل وما غوى بصيغة الماضى ثم قال وما ينطق عن الهوى بصيغة المستقبل بيانا لحاله قبل البعثة
وبعدها اى ما ضل وما غوى حين اعتزلكم وما تعبدون قبل ان يبعث رسولا وما ينطق عن الهوى الآن حين
يتلو عليكم آيات ربه انتهى * يقول الفقير فيه بعد كما لا يخفى والظاهر ان صيغة الماضى باعتبار قولهم قد ضل
وغوى اشارة الى تحقق ذلك فى زعمهم واما صيغة المضارع فباعتبار تجدد النطق فى كل حال والله اعلم بكل حال
(ان هو) اى ما الذى ينطق به من القرآن (الا وحى) من الله تعالى (يوحى) اليه بواسطة جبريل
عليهما السلام وهو صفة مؤكدة لوحى رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى يعنى ان فائدة الوصف
التنبيه على انه وحى حقيقة لا انه يسمى به مجازا والوحى قد يكون اسما بمعنى الكتاب الالهى وقد يكون مصدرا
وله معان الارسال والالهام والكتابة والكلام والاشارة والافهام وفيه اشارة الى ان النبى عليه السلام
قد فنى عن ذاته وصفاته وافعاله فى ذات الله وصفاته وافعاله بحيث لم يبق منه لا اسم ولا رسم ولا اثر ولا عين
فكان ناطقا بنطق الحق لا بنطق البشرية فلا يتوهم فيه ان يجرى عليه الخطرات الشيطانية والهواجس
النفسانية ولذا قالوا ما يصدر عن الواصل شريعة اذ هو محفوظ كما ان النبى عليه السلام معصوم قال بعض
الكبار من وضع من الفقراء وردا من غير الوارد فى السنة فقد اساء الادب مع الله ورسوله الا ان يكون ذلك
بتعريف من الله تعالى فيعرفه خصائص كلمات يجمعها فيكون حينئذ ممتثلا لا مخترعا وذلك مثل حزب
البحر للشاذلى قدس سره فانه سافر فى بحر القلزم مع نصرانى يقصد الحج فتوقف عليهم الريح اياما فرأى النبى
عليه السلام فى مبشرة فلقنه اياه فقرأه وامر النصرانى بالسفر فقال واين الريح فقال افعل فانه الآن يأتيك
فكان الامر كما قال واسلم النصرانى بعد ذلك وقس عليه الالهام والتعريف فى اليقظة وقد اخبر ابو يزيد البسطامى
قدس سره انه يولد بعد وفاته بعدة طويلة نفس من انفاس الله وهو الشيخ ابو الحسن الخرقانى قدس سره فكان
كما قال (وكذا قال صاحب المثنوى) لوح محفوظست اورا پيشوا * از چه محفوظست محفوظ از خطا *
نى نجومست ونى رملست ونه خواب * وحى حق والله اعلم بالصواب * از پى روپوش عامه در بيان *
وحى دل كويند اورا صوفيان * وحى دل كيرش كه منظرگاه اوست * چون خطا باشد چو دل آكاه اوست *
مؤمنا ينظر بنور الله شدى * از خطا وسهو ايمن آمدى (علمه) اى القرآن الرسول اى نزل به عليه
وقرأه عليه وبينه له هذا على ان يكون الوحى بمعنى الكتاب وان كان بمعنى الالهام فتعليمه بتبليغه الى قلبه
فيكون كقوله نزل به الروح الامين على قلبك (شديد القوى) من اضافة الصفة الى فاعلها مثل حسن الوجه
والموصوف محذوف اى ملك شديد قواه وهو جبريل فانه الواسطة فى ابداء الخوارق ويكفيك دليلا على شدة
قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذى تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء حتى سمع اهل
السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين ورأى ابليس يكلم عيسى
عليه السلام على بعض عقبات الارض المقدسة فنفحه نفحة بجناحه يعنى بادزد ويرا بجناح خود بادى
والقاه فى اقصى جبل فى الهند وكان هبوطه على الانبياء عليهم السلام وصعوده فى اسرع من رجعة
الطرف (ذو مرة) اى حصافة يعنى استحكام فى عقله ورأيه ومتانة فى دينه قال الراغب امررت الحبل اذا
فتلته والمرير والممر المفتول ومنه فلان ذو مرة كأنه محكم الفتل وفى القاموس المرة بالكسر قوة الخلق وشدته
والجمع مرر وامرار والعقل والاصالة والاحكام والقوة وطاقة الحبل كالمريرة وذو مرة جبريل عليه السلام
والمريرة الحبل الشديد الفتل (فاستوى) عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله ما اوحى بيان لكيفية
التعليم اى فاستقام جبريل واستقر على صورته التى خلقه الله عليها وله ستمائة جناح موشحا اى مزينا بالجواهر
دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى كصورة دحية امير العرب وكما اتى ابراهيم عليه السلام
فى صورة الضيف وداود عليه السلام فى صورة الخصم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه

فى صورته التى جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبل حراء وهو الجبل المسمى بجبل النور فى قرب مكة فقال ان الارض لا تسعنى ولكن انظر الى السماء فطلع له جبريل من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخر رسول الله كما خر موسى فى جبل الطور فنزل جبريل فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وذلك فان الجسد وهو فى الدنيا لا يحتمل رؤية ما هو خارج عن طور العقل فمنها رؤية الملك على صورة جبل عليها واعظم منها رؤية الله تعالى فى هذه الدار قيل ما رآه احد من الانبياء فى صورته غير نبينا عليه السلام فانه رآه فيها مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى لما سيأتى (وروى) ان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه قال يارسول الله ارنى جبرآئيل فى صورته فقال انك لا تستطيع ان تنظر اليه قال بلى يارسول الله ارنيه فقعد ونزل جبرآئيل على خشبة فى الكعبة كان المشركون يضعون ثيابهم عليها اذا طافوا فقال عليه السلام ارفع طرفك ياحمزة فانظر فرفع عينيه فاذا قدماه كالزبرجد الاخضر فخر مغشيا عليه (وروى) انه رآه على فرس والدنيا بين كلكلها وفى وجهه اخدود من البكاء لو القيت السفن فيه لجرت وانما رآه عليه السلام مرتين ليكمل له الامر مرة فى عالم الكون والفساد واخرى فى المحل الأنزه الأعلى وانما قام بصورته ليؤكد ان ما يأتيه فى صورة دحية هو هو فانه اذا رآه فى صورة نفسه عرفه حق معرفته ولم يبق عليه اشتباه بوجه ما وفى كشف الاسرار فان قيل كيف يجوز ان يغير الملك صورة نفسه وهل يقدر غير الله على تغيير صورة المخلوقين وقد قلتم ان جبرآئيل اتى رسول الله مرة فى صورة رجل ومرة فى صورته التى ابتدأه الله عليها وان ابليس اتى قريشا فى صورة شيخ من اهل نجد فالجواب عنه ان تغيير الصور الذى هو تغيير التركيب والتأليف لا يقدر عليه الا الله واما صفة جبرآئيل ففعل الله تعالى تنبيها للمصطفى عليه السلام وليعلم انه امر من الله اذ رآه فى صور مختلفة فان ذلك لا يقدر عليه الا الله وهو ان يراه مرة قد سد الافق واخرى يجمعه مكان ضيق واما ابليس فكان ذلك منه تخييلا للناظرين وتمويها دون التحقيق كفعل السحرة بالعصى والحبال قال الله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى انتهى ما فى الكشف وقال فى آكام المرجان قال القاضى ابو يعلى ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال فى الصور اى صور الانس والبهائم والطير وانما يجوز ان يعلمهم الله تعالى كلمات وضربا من ضروب الافعال اذا فعله وتكلم به نقله الله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصور والتخييل على معنى انه قادر على قول اذا قاله وعلى فعل اذا فعله نقله الله من صورته الى صورة اخرى بجرى العادة واما ان يصور نفسه فذلك محال لان انتقالها من صورة الى صورة انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء واذا انتقضت بطل الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة فكيف ينقل نفسه قال والقول فى تشكيل الملائكة من ذلك انتهى وقال والهى الاسكوبى فيه ان من قال تمثل جبريل وتصور ابليس ليس مراده انهما احدثا تلك الصورة والمثال عن قدرة انفسهما بل باقدار الله على التمثيل والتصور كيف يشاء فلا منافاة بين القولين غاية ما فى الباب ان العامل عن طريق اقدار الله به من الاسباب المخصوصة انتهى وقال فى انسان العيون فان قيل اذا جاء جبريل على صورة الادمى دحية اوغيره بل هى الروح تتشكل بذلك الشكل وعليه هل يصير جسده الاصلى حيا من غير روح اوميتا اجيب بان الجائى يجوز ان لا يكون هو الروح بل الجسد لانه يجوز ان الله تعالى جعل فى الملائكة قدرة على التطور والتشكل باى شكل ارادوه كالجن فيكون الجسد واحدا ومن ثمة قال الحافظ ابن حجر ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرآئى فقط واخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة انه لا مانع ولا بعد ان الحق تعالى يظهر فى صورة على واولاده الاثنى عشر رضى الله عنهم ويجوز ان يكون الجسد للملك متعددا وعليه فمن الممكن ان يجعل الله لروح الملك قوة يقتدر بها على التصرف فى جسد اخر غير جسدها المعهود مع تصرفها فى ذلك الجسد المعهود كما هو شأن الابدال لانهم يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم شبحا اخر شبيها لشبحهم الاصلى بدلا منه وقد ذكر ابن السبكى فى الطبقات ان كرامات الاولياء انواع وعد منها ان يكون له اجساد متعددة قال وهذا هو الذى يسميه الصوفية بعالم المثال ومنه قصة قضيب البان وغيره اى كواقعة الشيخ عبد القادر الطحطوطى فقد ذكر الجلال السيوطى انه رفع اليه سؤال

فى رجل حلف بالطلاق ان ولى الله الشيخ عبد القادر الطبحطوطى بات عنده ليلة كذا فحلف آخر بالطلاق انه بات عنده تلك الليلة بعينها فهل يقع الطلاق على احدهما فارسلت قاصدى الى الشيخ عبد القادر فسأله عن ذلك فقال لوقال اربعون انى بت عندهم اصدقوا فافتيت بانه لاحنث على واحد منهما لان تعدد الصور بالتخيل والتشكل ممكن كما يقع ذلك للجان قال الشعرانى واخبرنى من صحب الشيخ محمد الخضرى انه خطب فى خمسين بلدة فى يوم واحد خطبة الجمعة وصلى بهم اماما واما الشيخ حسين ابو على المدفون بمصر المحروسة فاخبرنى عنه اصحابه ان التطور كان دأبه ليلا ونهارا حتى فى صور السباع والبهائم ودخل عليه بعض اعدائه ليقتلوه فوجدوه فقطعوه بالسيوف ليلا ورموه على كوم بعيد ثم اصبحوا فوجدوه قائما يصلى وفى جواهر الشعرانى وصورة التطور ان يقدر الله الروح على تدبير ماشاءت من الاجسام المتعددة بخلعة كن فللاولياء ذلك فى الدنيا بحكم خرق العادة واما فى الآخرة فان نفس نشأة اهل الجنة تعطى ذلك فيدبر الواحد الاجسام المتعددة كما يدبر الروح الواحد سائر اعضاء البدن فتكون تسمع وانت تبصر وتبطش وتمشى ونحو ذلك وفى الفتوحات المكية والذى اعطاه الكشف الصحيح ان اجسام اهل الجنة تنطوى فى ارواحهم فتكون الارواح ظروفا للاجسام عكس ماكانت فى الدنيا فيكون الظهور والحكم فى الدار الآخرة للجسم لا للروح ولهذا يتحولون فى اى صورة شاؤا كما هو اليوم عندنا للملائكة وعالم الارواح انتهى وفى انسان العيون عالم المثال عالم متوسط بين عالم الاجساد والارواح الطف من عالم الاجساد واكثف من عالم الارواح فالارواح تتجسد وتظهر فى صور مختلفة من عالم المثال وهذا الجواب اولى من جواب ابن حجر بان جبرآئيل كان يندمج بعضه فى بعض وهل مجيئ جبرآئيل فى صورة دحية كان فى المدينة بعد اسلام دحية واسلامه كان بعد بدر فانه لم يشهدها وشهد المشاهد بعدها اذ يبعد مجيئه على صورة دحية قبل اسلامه قال الشيخ الاكبر رضى الله عنه دحية الكلبى كان اجمل اهل زمانه واحسنهم صورة فكان الغرض من نزول جبريل على سيدنا محمد فى صورته اعلاما من الله تعالى انه مابينى وبينك يا محمد سفير الا صورة الحسن والجمال وهى التى عندى فيكون ذلك بشرى له عليه السلام ولاسيما اذا اتى بامر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه ما يحركه ذلك الوعيد والزجر هذا كلامه وهو واضح لو كان لايأتيه الاعلى تلك الصورة الا ان يدعى انه من حين اتاه على صورة دحية لم يأته على صورة آدمى غيره بقى هنا كلام وهو ان السهيلى رحمه الله ذكر ان المراد بالاجنحة فى حق الملائكة صفة ملكية وقوة روحانية وليست كاجنحة الطير ولا ينافى ذلك وصف كل جناح منها بانه يسد مابين المشرق والمغرب انتهى * يقول الفقير هذا كلام عقلى ولا منع من ان يجمع الملك بين قوة روحانية وبين جناح يليق بعالمه سواء كان ذلك كجناح الطير اوغيره فان المعقولات مع المحسوسات تدور والجمع انسب بالحكمة والصق بالقدرة وقد اسلفنا مثل هذا فى اوائل سورة الملائكة فلا كلام فيه عند اولى الالباب وانما يقتضى المقام ان يبين وجه كون جناح جبريل ستمائة لا ازيد ولا انقص ولم اظفر ببيانه لا فى كلام اهل الرسوم ولا فى اشارات اهل الحقائق والذى يدور بالبال الهاما من الله تعالى لا تعملا وتأملا ان النبى عليه السلام انما عرج ليلة الاسراء بالفناء التام ولذا وقع الاسراء فى الليل الذى هو مظهر الفناء دون النهار الذى هو مظهر البقاء وكان مراتب الفناء سبعا على مراتب الاسماء السبعة التى آخرها القيوم القهار وللاشارة الى هذا جعلت منارات الحرم المكى سبعا لان سر البقاء انما ظهر فى حرم النبى عليه السلام ولذا جعلت مناراته خمسا على عدد مراتب البقاء التى اشير اليها بالاسماء الخمسة الباقية من الاثنى عشر التى آخرها الاحد الصمد وكل واحد من تلك الاسماء السبعة مائة على حسب تفصيلها الى الاسماء الحسنى مع احدية جمعها فيكون مجموعها بهذا الحسب سبعمائة ولما كان جبريل دون النبى عليه السلام فى الفناء لم يجاوز تلك الليلة مقامه الذى هو سدرة المنتهى حتى قال لو دنوت انملة لاحترقت وتجاوزه النبى عليه السلام الى مستوى العرش وقهره وغلب عليه فى ذلك فانتهى سير جبريل الى الاسم القيوم فصار مقهورا تحت سير النبى عليه السلام وقائما فى مكانه وقائما بوحيه للقلوب ولذا سمى بروح القدس لحياة القلوب بوحيه كحياة الاجساد بالارواح فله من تلك الاجنحة السبعمائة ستمائة صورة ومعنى وانتهى سير النبى عليه السلام الى الاسم القهار فصار ماحصر الكل من دونه فله سبعمائة جناح معنوية فظهر ان القوة النبوية ازيد

من القوة الملكية لانها القوة الالهية وقد قال تعالى يدالله فوق ايديهم وان جبريل لكونه من الايدى المايستفيد اليد والقوة من يد النبي عليه السلام وقوته فاعرف ذلك وكن من الموقنين (وهو بالافق الا على) حال من فاعل استوى والافق هى الدائرة التى تفصل بين ما يرى من الفلك ومالا يرى والافق الاعلى مطلع الشمس كما ان الافق الأدنى مغربها والمعنى والحال ان جبريل بافق الشمس اى اقصى الدنيا عند مطلع الشمس وبالفارسية وبكناره بلند تربودازآسمان يعنى نزديك مطلع آفتاب ومنه يعلم ان مطلع الشمس ومغربها كرأس الانسان ورجله وان كانت الدنيا كالكرة على ماسلف وايضا مثل روح الانسان وجسده فان الروح علوى والجسد سفلى وقدطلع من عالم الارواح وغرب فى عالم الاجساد (ثم دنا) اى اراد الدنو من النبي عليه السلام حال كونه فى جبل حراء والدنو القرب بالذات اوبالحكم ويستعمل فى الزمان والمكان والمنزلة كما فى المفردات (فتدلى) التدلى استرسال مع تعلق اى استرسل من الافق الاعلى مع تعلقه به فدنا من النبي عليه السلام يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وفى الحديث لودليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله اى على علمه وقدرته وسلطانه فى كل مكان وادلى دلوه والدوالى الثمر المعلق وبالفارسية اونك (فكان) اى مقدار امتداد ما بينهما وهو المسافة (قاب قوسين) من قسى العرب اى مقدار هما فى القرب وذكر القوس لان القرآن نزل بلغة العرب والعرب تجعل مساحة الاشياء بالقوس وفى معالم التنزيل معنى قوله كان بين جبرآئيل ومحمد عليهما السلام مقدار قوسين انه كان بينهما مقدار ما بين الوتر والقوس كانه غلب القوس على الوتر وهذا اشارة الى تأكيد القرب واصله ان الحليفين من العرب كانا اذا اراد اعقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقيل قدر ذراعين ويسمى الذراع قوسا لانه يقاس به المذروع اى يقدر فلم يكن قريبا قرب التصاق ولا بعيدا بحيث لايتأتى معه الافادة والاستفادة وهو الحد المعهود فى مجالسة الاحباء المتأدبين (او ادنى) اى على تقديركم ايها المخاطبون كما فى قوله او يزيدون فان التشكيك لايصح على الله فالشك من جهة العباد كما ان كلمة لعل كذلك فى مواضع من القران اى اوراً آهما رائى منكم لقال هو قدر قوسين فى القرب اوادنى اى لاتلتبس عليه مقدار القرب والمراد اى من قوله ثم دنا الى قوله اوادنى تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد الملبس وحمله بعضهم على حقيقته حيث قال فكلما دنا جبريل من النبي عليهما السلام انتقص فتقارب منه مقدار قوسين رأه على صورته التى كان يراه عليها فى سائر الاوقات حتى لايشك انه جبريل وهنا كلام آخر يجيئ بعد تمام الآيات (فاوحى) اى جبرائيل (الى عبده) اى عبدالله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما فى قوله تعالى ماترك على ظهرها من دابة اى على ظهر الارض والمراد بالعبد المشرف بالاضافة الى الله هو الرسول عليه السلام كما فى قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده (ما اوحى) اى من الامور العظيمة التى لاتفى بها العبارة اوفاوحى الله حينئذ بواسطة جبريل ما اوحى (ما كذب الفؤاد) اى فؤاد محمد عليه السلام وما نافية (ما رأى) ما موصولة وعائدها محذوف اى ما رآه ببصره من صورة جبريل اى ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقال بعضهم كذب مخففا ومشددا بمعنى واحد وقال بعضهم من خفف كذب جعل ما فى موضع النصب على نزع الخافض واسقاطه اى ما كذب فؤاده فيما رآه ببصره اى لم يقل فيه كذبا وانما يقول ذلك ان لوقال له لااعرفك ولا اعتقد بك (افتمارونه على مايرى) اى اتكذبون محمدا عليه السلام فتجادلونه على ما رآه معاينة من صورة جبريل والفاء للعطف على محذوف اوابعد ماذكر من احواله المنافية للمماراة فتمارونه فالفاء للتعقيب وذلك ان النبي عليه السلام لما اخبر برؤية جبريل تعجبوا منه وانكروا والمماراة والمراء المجادلة بالباطل فكان حقه ان يعدى بفى يقال جادلته فى كذا لكنه ضمن معنى الغلبة فعدى تعديتها لان الممارى يقصد بفعله غلبة الخصم واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين يمرى ماعند صاحبه يقال مريت الناقة مريا مسحت ضرعها لتدر ومريت الفرس اذا استخرجت ماعنده من الجرى اوغيره يقول الفقير كان الظاهر ان يقال على مارأى وجوابه انه لما كان اثر الرؤية باقيا صح ان يقال يرى وايضا ان رؤية جبريل مستمرة الى وقت الانتقال ولو على غير صورته الاصلية وقال الحسن البصرى رحمه الله وجماعة علمه شديد القوى اى علمه الله وهو وصف

من الله نفسه بكمال القدرة والقوة ذومرة اى ذواحكام الامور والقضا يا وبين المكان الذى فيه علمه بلا واسطة فاستوى اى محمد عليه السلام وهو بالافق الاعلى اى فوق السموات ثم دنا پس نزديك شد حضرت محمد بحضرت احديت يعنى مقرب دركاه الوهيت كشت بمكانت ومنزلت نه بمنزل ومكان فتدلى پس فروتنى كرد يعنى سجدهٔ خدمت آورد خدايرا وچون اين مرتبه بواسطهٔ خدمت يافته بود ديكرباره در وظيفهٔ خدمت افزود ودر سجدهٔ وعدهٔ قرب نيز هست كه اقرب ما يكون العبد من ربه ان يكون ساجد افكان قاب قوسين اوادنى كنايتست ازتأكيد قربت وتقرير محبت وبواسطهٔ تقرب بافهام در صورت تمثيل مؤدى شده چه عادت عظماء عرب آن مى بوده كه چون تأكيد عهدى وتوثيق عهدى خواستندى كه بعض بدان راه نيابد هريك ازمتعاقدان كمان خودحاضر ساخته بايكديكر انضمام دادندى وهردو بيكبار قبضتين را كرفته وبيكبار كشيده باتفاق يك تيراز ان بينداختندى واين صورت ازايشان اشارت بدان معنى بودى كه موافقت كلى ميان ما تحقق پذيرفت ومصادقت واتحاد اصلى بروجهى ثبوت يافت كه بعد ازان رضا وسخط يكى عين رضا وسخط آن ديكرست پس كويا درين آيت باعنايت ان معنى مؤدى شده كه محبت وقربت حضرت پيغمبر باحق سبحانه وتعالى بمثابهٔ تأكيد يافته كه مقبول رسول مقبول خداوندست ومردود مصطفى مردود دركاه خدا ست وعلى هذا القياس ونزد محققان دنا اشارت نفس مقدس اوست وتدلى بعزالة دل مظهر او فكان قاب قوسين مقام روح مطيب اوادنى بمرتبهٔ سر منور اوونفس اودر مكان خدمت بودودل اودر منزل محبت وروح اودر مقام قربت وسراو در مرتبهٔ مشاهدت شيخ ابوالحسين نورى راقدس سره ازمعنى اين آيت پرسيدند جواب داد جايى كه جبرآئيل نكنجيد نورى كيست كه ازان سخن تواند كفت * خيمه بزون زدز حدود وجهات * پردهٔ او شد تتق نور ذات * تيركئ هستى ازو دور كشت * پردكئ پردهٔ آن نور كشت * كيست كزان پرده شود پرده ساز * زمزمهٔ كويد ازان پرده باز * ويدل على ان ضمير دنا يعود اليه عليه السلام انه قال فى رواية لما اسرى بى الى السماء قربنى ربى حتى كان بينى وبينه كقاب قوسين اوادنى قيل لى قد جعلت امتك آخر الامم لافضح الامم عندهم اى بوقوفهم على اخبارهم ولا افضحهم عند الامم اى لتاخرهم عنهم وقال بعض الكبار ثم دنا اشارة الى العروج والوصول وقوله فتدلى الى النزول والرجوع وقوله فكان قاب قوسين بمنزلة النتيجة اشارة الى الوصول الى عالم الصفات المشار اليه بقوله تعالى الله الصمد وقوله اوادنى اشارة الى الوصول الى عالم الذات المشار اليه بقوله تعالى الله احد فى سورة الاخلاص فحاصل المعنى ثم دنا اى الى الحق من الخلق فتدلى الى الخلق من الحق فكان قاب قوسين فى مرتبة الوحدة الواحدية الجامعة بين شهادة الصفات والخلق وبين غيب الذات والحق اوادنى فى الوحدة الاحدية المختصة بغيب ذات الحق واذن هنا امران * الاول الوصول الى مرتبة قاب قوسين وذلك بفناء فى الصفات فقط * والثانى الوصول الى مرتبة اوادنى وذلك بفناء فى الصفات والذات معا فان يسر الله النزول والبقاء يكمل الامر فى هاتين الجهتين ولعمرى عزيز اهل هذا المقام جدا وقال بعضهم ضمير دنا الى آخره يعود الى الله تعالى قال فى كشف الاسرار دنو الله من العبد على نوعين احدهما باجابة الدعوة واعطاء المنية ورفع المنزلة كما فى قوله فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان والثانى بمعنى القرب فى الحقيقة دون هذه المعانى كقوله ثم دنا فتدلى انتهى فالمعنى ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى اى زاد فى القرب حتى كان من محمد عليه السلام قاب قوسين اوادنى فمعنى الدنو والتدلى الواقعين من الله تعالى كمعنى النزول منه الى السماء الدنيا كل ليلة فى ثلث الليل الاخير وهو ان ذلك عند اهل الحقائق من مقام التنزل بمعنى انه تعالى يتلاطف بعباده ويتنزل فى خطابه لهم فيطلق على نفسه ما يطلقونه على انفسهم فهو فى حقهم حقيقة وفى حقه تعالى مجاز كما فى انسان العيون قال القاضى ابو الفضل فى كتاب الشفاء اعلم ان ما وقع فى اضافة الدنو والقرب من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبى من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله له مبرة وتأنيس وبسط واكرام قال فى فتح الرحمن فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان قوله فكان الخ عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد عليه السلام وعبارة اجابة الرغبة وقضاء المطالب قرب

بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المأمول فاوحى الى عبده مااوحى قال فى الاسئلة المفحمة اجمل ولم يفسره لانه كان يطول ذكر جميع مااوحى اليه فذكره جملة من غير تعرض الى التفصيل فقال فاوحى الى عبده مااوحى وقالت الشيوخ ستر الله بعض مااوحى الى عبده محمد عليه السلام عن الخلق سترا على حاله لئلا يطلع عليه غيره فان ذلك لا يتعلق بغيره وان ذلك من خواص محبته ومعرفته وعلو درجاته اذ بين الاحباب يجرى من الاسرار مالا يطلع عليه الاجانب والاغيار قال عليه السلام لى وقت مع الله لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل وسمعت الشيخ اباعلى الفارسى رحمه الله يقول فى هذه الآية قولا يطول شرحه وقصاراه يرجع الى انه تعالى ستر بعض مااوحى الى نبيه عن الخلق لماعلم ان علمهم بذلك يفتر عن السير فى صراط العبودية اتكالا على محض الربوبية ولهذا قال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه حيث قال معاذ اخبر الناس بذلك يارسول الله فقال لاتخبرهم بذلك لئلا يتكلوا انتهى

لا يكتم السر الا كل ذى خطر * والسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندى فى بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والباب مختوم

وقيل

بين المحبين سر ليس يفشيه * قول ولا عمل للخلق يحكيه
سر يمازجه انس يقابله * نور تحير فى بحر من التيه

(وقيل) در دى كه من ازعشق تودارم حاصل * دل داند ومن دانم ومن دانم ودل (قال الكاشفى) بعض علما كويند كه اولى آنست كه تعرض آن وحى نكنيم ودر پرده نكذاريم وجمعى كويند انچه ازان وحى درچيزى وباثرى بمارسيده ذكرآن هيچ نقصان ندارد ودر امانت بسيار واقع شده ودر تفسير جواهر بسطى تمام يافته اينجابسه وجه اختصاص مى يابد اول آنكه مضمون وحى اين بودكه يامحمد لولا انى احب معاتبة امتك لماحاسبتهم يعنى اكرنه آنست كه دوست ميدارم معاتبه باامت تو والا بساط محاسبة ايشان طى مى كردم دوم آنكه اى محمد انا وانت وماسوى ذلك خلقته لاجلك آن حضرت عليه السلام در جواب فرمودند انت وانا وماسوى ذلك تركته لاجلك سوم آنكه امت تو طاعت من بجاى مى ارند وعصيان نيز مى ورزند طاعت ايشان برضاء منست ومعصيت ايشان بقضاء من بس انچه برضاء من از ايشان ثابت شود اكرچه اندك وباقصور بود قبول كنم زيراكه كريمم وانچه بقضاء من از ايشان در وجود ايد اكرچه بزرك وبسيار باشد عفو كنم زيراكه رحيمم وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك وقيل كن ايسا من الخلق فليس بايديهم شئ واجعل صحبتك معى فان مرجعك الى ولا تجعل قلبك معلقا بالدنيا فانى ماخلقتك لها وقيل اوحى اليه الم يجدك يتيما فآوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه آمن الرسول الخ بغير واسطة جبريل وقيل اوحى اليه عش ماشئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ماشئت فانك مجزى به (وروى) انه عليه السلام قال شكا الى الله ليلة المعراج من امتى شكايات * الاولى لم اكلفهم عمل الغد وهم يطلبون منى رزق الغد * والثانية لا ادفع ارزاقهم الى غيرهم وهم يدفعون عملهم الى غيرى * والثالثة انهم يأكلون رزقى ويشكرون غيرى ويخونون معى ويصالحون خلقى * والرابعة ان العزة لى وانا المعز وهم يطلبون العزة من سواى * والخامسة انى خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون ان يوقعوا انفسهم فيها قال قل لامتك ان احببتم احدا لاحسانه اليكم فانا اولى به لكثرة نعمى عليكم وان خفتم احدا من اهل السماء والارض فانا اولى بذلك لكمال قدرتى وان انتم رجوتم احدا فانا اولى به لانى احب عبادى وان انتم استحييتم من احد لجفائكم اياه فانا اولى به لان منكم الجفاء ومنى الوفاء وان آثرتم احدا باموالكم وانفسكم فانا اولى بذلك لانى معبودكم وان صدقتم احدا فى وعده فانا اولى بذلك لانى انا الصادق وقيل اوحى الله اليه يامحمد لم اكثر مال امتك لئلا يطول حسابهم فى القيامة ولم اطل اعمارهم لئلا تقسو قلوبهم ولم افجأهم بالموت لئلا يكون خروجهم من الدنيا بدون التوبة واخرتهم فى الدنيا عن الآخرين لئلا يطول فى القبور حبسهم قال بعضهم ان مااوحى اليه مفسر فى الاخبار ونطقت به الروايات من اهوال القيامة وغيرها ولهذا قال عليه السلام لو تعلمون مااعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال جعفر الصادق رضى الله عنه فاوحى الى عبده مااوحى بلا واسطة فيما بينه وبينه سرا الى قلبه لا يعلم به احد سواه

بلا واسطة اى فى العقبى حين يعطيه الشفاعة لامته وقال البقلى ابهم الله سر ذلك الوحى الخفى على جميع فهوم الخلائق من العرش الى الثرى بقوله ما اوحى لانه لم يبين اى شئ اوحى الى حبيبه لان بين المحب والمحبوب سرا لا يطلع عليه غيرهما واظن انه لو بين كلمة من تلك الاسرار لجميع الاولين والآخرين لماتوا جميعا من ثقل ذلك الوارد الذى ورد من الحق على قلب عبده احتمل ذلك المصطفى عليه السلام بقوة ربانية ملكوتية لاهوتية البسه الله اياها ولولا ذلك لم يحتمل ذرة منها لانها انباء عجيبة واسرار ازلية لو ظهرت كلمة منها لتعطلت الاحكام ولفنيت الارواح والاجسام واندرست الرسوم واضمحلت العقول والفهوم والعلوم يقول الفقير لاشك ان ما اوحى اليه عليه السلام تلك الليلة على اقسام قسم اداه الى الكل وهو الاحكام والشرائع وقسم اداه الى الخواص وهو المعارف الالهية وقسم اداه الى اخص الخواص وهو الحقائق ونتائج العلوم الذوقية وقسم آخر بقى معه لكونه مما خصه الله به وهو السر الذى بينه وبين الله المشار اليه بقوله لى مع الله وقت الخ فانه تجلى مخصوص وسر مكتوم لا يفشى وهكذا كل ورثته فان لهم نصيبا من هذا المقام حيث ان بعض علومهم يرتحل معهم الى الآخرة ولا يوجد له محل يؤدى اليه اما لكونه من خصائصهم واما لفقدان من يستعد لادائه وذلك بحسب الزمان ولذا جاء نبى فى الاولين وبقى معه الرسالة ولم يقبلها احد من امته لعدم الاستعداد فيهم وفى التأويلات النجمية فى هذه الآية يشير الى ان الله تعالى من مقام جمعيته الجامعة لجميع المظهريات من غير واسطة جبريل وواسطة ميكائيل اوحى او تجلى فى صورة الوحى لعبده المضاف الى هاء هويته المطلقة بحقائق من مقتضى حكم الوحدة والموحى به هو ان وجودك يا محمد عين وجود المتعين باحدية جمع جميع الاعيان الظاهرة المشهودة والحقائق الباطنة الغيبية المفقودة فى عين كونها موجودة مطلقا عن هذا التعين والجمع والاطلاق ما كذب الفؤاد ما رأى اعلم ان المرئى ان كان صورة جبريل عليه السلام فالرؤية من رؤية العين وان كان هو الله تعالى على ما ذهب اليه البعض فقد اختلفوا فى انه عليه السلام رأى الله تعالى ليلة الاسراء بقلبه او بعينى رأسه فقال بعضهم جعل بصره فى فؤاده فرآه فى فؤاده فيكون المعنى ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد اى لم يقل فؤاده لما رآه ان ما رأيته هاجس شيطانى وانه ليس من شانك ان ترى الرب تعالى بل تيقن ان ما رآه بفؤاده حق صحيح وقال بعضهم رآه بعينه لقوله عليه السلام ان الله اعطى موسى الكلام واعطانى الرؤية وقوله عليه السلام رأيت ربى فى احسن صورة اى صفة قال فى الكواشى هذا لا حجة فيه لانه يجوز انه اراد الرؤية بالقلب بان زاده معرفة على غيره يقول الفقير ايراد الرؤية فى مقابلة الكلام يدل على رؤية العين لان موسى عليه السلام قد سألها ومنع منها فاقتضى ان يفضل النبى عليه السلام عليه بما منع منه وهو الرؤية البصرية ولاشك ان الرؤية القلبية الحاصلة بالانسلاخ يشترك فيها جميع الانبياء حتى الاولياء وقد صح ان موسى رأى ربه بعين قلبه حين خر فى الطور مغشيا عليه وحملها على زيادة المعرفة لا يجدى نفعا وكانت عائشة رضى الله عنها تقول من زعم بان محمدا رأى ربه فقد اعظم الفرية على الله قال فى كشف الاسرار قول عائشة نفى وقول ابن عباس بانه رآى اثبات والحكم للمثبت لا للنافى فالنافى انما نفاه لانه لم يسمعه والمثبت انما اثبته لانه سمعه وعلمه انتهى وقول ابى ذر رضى الله عنه للنبى عليه السلام هل رأيت ربك قال نورانى اراه بالنسبة الى تجرد الذات عن النسب والاضافات اى النور المجرد لا يمكن رؤيته على ما سبق تحقيقه وقال فى عين المعانى ولا يثبت مثل هذا اى الرؤية بالعين الا بالاجماع وفى كشف الاسرار قال بعضهم رآه بقلبه دون عينه وهذا خلاف السنة والمذهب الصحيح انه عليه السلام رأى ربه بعين رأسه انتهى وفى الكواشى يستحيل رؤيته عقلا ومعتقد رؤية الله هنا بالعين لغير محمد غير مسلم ايضا انتهى قال ابن الشيخ اعلم ان رؤية الله تعالى جائزة لان دليل الجواز غير مخصوص بالآخرة ولان مذهب اهل السنة الرؤية بالاراءة لا بقدرة العبد فاذا حصل العلم بالشئ من طريق البصر كان رؤية بالاراءة وان حصل من طريق القلب كان معرفة والله تعالى قادر على ان يحصل العلم بخلق مدرك المعلوم فى البصر كما قدر ان يحصله بخلق مدرك المعلوم فى القلب والمسئلة مختلف فيها بين الصحابة والاختلاف فى الوقوع مما ينبئ عن الاتفاق على الجواز انتهى وكان الحسن البصرى رحمه الله يحلف بالله ان محمدا رأى ربه ليلة المعراج (وحكى) النقاش عن الامام احمد رحمه الله انه قال انا اقول بحديث ابن عباس رضى الله عنهما بعينه رآه رآه حتى انقطع نفس الامام احمد كلام سر مدى بى نقل بشنيد خداوند جهان را

بی جهت دید * دران دیدن که حیرت حاصلش بود * داش درچشم وحشمش درداش بود * قال بعض الكبار الممنوع من رؤية الحق فى هذه الدار انما هو عدم معرفتهم له والافهم يرونه ولا يعرفون انه هو على غير ما يتعقل البشر فالخلق حجاب عليه دائما فانه تعالى جل عن التكييف دنيا واخرى فافهم فهم يرونه ولا يرونه واكثر من هذا الافصاح لايكون انتهى * يقول الفقير نعم ان الله جل عن الكيفية فى الدارين لكن فرق بين الدنيا والآخرة كثافة ولطافة فان الشهود فى الدنيا بالسر المجرد لغير نبينا عليه السلام بخلافه فى الآخرة فان القلب ينقلب هناك قالبا فيفعل القالب هناك ما يفعله القلب والسر فى هذه الدار فاذا كانت لطافة جسم النبى عليه السلام تعطى الرؤية فى الدنيا فاظنك بلطافته ورؤيته فى الآخرة فيكون شهوده اكمل شهود فى الدارين حيث رأى ربه بالسر والروح فى صورة الجسم قال فى التأويلات النجمية اتحد بصر ملكوته وبصر ملكه فرأى ببصر ملكوته باطن الحق من حيث اسمه الباطن ورأى ببصر ملكه ظاهر الحق من حيث اسمه الظاهر ورأى باحديته جمع القوتين الملكوتية والملكية الحقيقة الجمعية المتعينة بجميع التعينات العلوية الروحانية والسفلية الجسمانية مع اطلاقه فى عين تعينه المطلق عن التعين واللاتعين والاطلاق واللااطلاق انتهى هذا ولبس ورآء عبادان قرية وقال البقلى رحمه الله ذكر الله رؤية فؤاده عليه السلام ولم يذكر العين لان رؤية العين سر بينه وبين حبيبه فلم يذكر ذلك غيرة عليه لان رؤية الفؤاد عام ورؤية البصر خاص اراه جماله عيانا فرآه ببصره الذى كان مكحولا بنور ذاته وصفاته وبقى فى رؤيته عيانا ماشاء الله فصار جسمه جميعه ابصارا روحانية فرأى الحق بجميعها فوصلت الرؤية الى الفؤاد فرأى فؤاده جمال الحق ورأى مارأى عينه ولم يكن بين مارأى بعينه وبين مارآه بفؤاده فرق فازال الحق الابهام وكشف العيان بقوله ماكذب الفؤاد مارأى حتى لايظن الظان ان مارأى الفؤاد ليس كما رأى ببصره اى صدق قلبه فيما رآه من لقائه الذى رآه ببصره بالظاهر اذ كان باطن حبيبه هذا ظاهرا وظاهره باطنا بجميع شعراته وذرات وجوده وليس فى رؤية الحق حجاب للعاشق الصادق بان يغيب عن الرؤية شئ من وجوده فبالغ الحق فى كمال رؤية حبيبه ولذلك قال عليه السلام رايت ربى بعينى وبقلبى رواه مسلم فى صحيحه قال ابن عطاء ما اعتقد القلب خلاف مارأته العين وقال ليس كل من راى سكن فؤاده من ادراكه اذ العيان قد يظهر فيضطرب السر عن حمل الوارد عليه والرسول عليه السلام كان محمولا فيها فى فؤاده وعقله وحسه ونظره وهذا يدل على صدق طويته وحمله فيما شوهد به (افتمارونه على مايرى) آيا مجادله ميكنيد با محمد برانچه ديد درشب معراج ومجادله آن بود كه صفت بيت المقدس وخبر كاروان خود پرسيدند وقال بعضهم افتجادلونه على رؤية الله تعالى اى ان رسول الله عليه السلام رأى الله وهم يجادلونه فى ذلك وينكرونها وفى التأويلات النجمية يشير الى ممارات المحتجبين عن الحق بالخلق ومجادلاتهم فى شهود الخلق من دون الحق لقيامهم فى مقام الكثرة الاعتبارية من غير شهود الوحدة الحقيقية اعاذنا الله واياكم من عذاب جحيم الاحتجاب ومن شدة لهب النار والالتهاب (ولقد رآه نزلة اخرى) الضمير البارز فى رآه لجبريل ونزلة منصوب نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها والمعنى وبالله لقد راى محمد جبريل عليهما السلام على صورته الحقيقية مرة اخرى من النزول وذلك انه كان للنبى عليه السلام فى ليلة المعراج عرجات لمسألة التخفيف من اعداد الصلوات المفروضة فيكون لكل عرجة نزلة فرأى جبريل فى بعض تلك النزلات (عند سدرة المنتهى) وهو مقام جبرآئيل وكان قد بقى هناك عند عروجه عليه السلام الى مستوى العرش وقال لودنوت انملة لاحترقت قال عليه السلام رأيته عند سدرة المنتهى عليه ستمائة جناح يتناثر منه الدر والياقوت وعند يجوز ان يكون متعلقا برأى وان يكون حالا من المفعول المراد به جبرائيل لان جبرائيل لكونه مخلوقا يجوز ان يراه النبى عليه السلام فى مكان مخصوص وهو سدرة المنتهى وهى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيلة نبع من اصلها الانهار التى ذكرها الله فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لايقطعها والمنتهى مصدر ميمى بمعنى الانتهاء كما قاله الزمخشرى او اسم مكان بمعنى موضع الانتهاء كانها فى منتهى الجنة وقيل ينتهى اليها الملائكة ولا يتجاوزونها الا جبرائيل رسول الملائكة اذا لم يتجاوزها فبالحرى ان لايتجاوزها غيره فاعلاها لجبرائيل كالوسيلة لنبينا عليه السلام فكما ان

خواص الامة يشتركون مع النبي عليه السلام في جنة عدن بدون ان يتجاوزوا الى مقامه المخصوص به فكذا الملائكة يشتركون مع جبرآئيل في السدرة بدون ان يتعدوا الى ما خص به من المكان وقيل اليها ينتهى علم الخلائق واعمالهم ولايعلم احدما ورآءها وذلك لان الاعمال الصالحة في عليين ولاتعرج اليه الا على يد الملائكة فتقف عندها كوقوف الملائكة هذا بالنسبة الى اعمال الامة واما خواص الامة فلهم من الاعمال مالا يقف عندها بل يتجاوز الى عالم الارواح فوق مستوى العرش بل الى ما ورآءه حيث لايعلمه الا الله فمثل هذه الصالحات الناشئة عن خلوص فوق خلوص العامة ليست بيد الملائكة اذلا يدخل مقامها احد وقيل ينتهى اليها ارواح الشهدآء لانها في ارض الجنان اوينتهى اليها مايهبط من فوقها من الاحكام ويصعد من تحتها من الآثار وعن ابى هريرة رضى الله عنه لما اسرى بالنبي عليه السلام انتهى الى السدرة فقيل له هذه السدرة ينتهى اليها كل احد خلا من امتك على سنتك يعنى مير سد بدين هركس ازامت تو كه رفته باشد بر سنت تو وقال كعب انها سدرة في اصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهى الخلائق وماخلفها غيب لايعلمه الاالله وبالجملة هى شجرة غير شجرة طوبى وقال مقاتل السدرة هى شجرة طوبى ولوان رجلا ركب نجيبه وطاف على ساقها حتى ادركه الهرم لما وصل الى المكان الذى ركب منه تحمل لاهل الجنة الحلى والحلل وجميع الوان الثمار ولوان ورقة منها وضعت في الارض لاضاءت اهلها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشئ الى مكانه كقولك اشجار البستان فالمنتهى حينئذ موضع لايتعداه ملك اواضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اى سدرة المنتهى اليه وهو الله تعالى قال الى ربك المنتهى واضافة السدرة اليه كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم وقال بعضهم المرئى هو الله تعالى يعنى ان محمدا عليه السلام رأى ربه مرة اخرى يعنى مرتين كما كلم موسى مرتين وفيه اشعار بان الرؤية الثانية كانت كالرؤية الاولى بنزول ودنو فقوله عند لايجوز ان يكون حالا من المفعول المراد به الله تعالى لان الله تعالى منزه عن ان يحل في زمان اومكان فهو متعلق برأى يعنى انه عليه السلام رأى ربه رؤية ثانية عند سدرة المنتهى على ان يكون الظرف ظرفا لرأى ورؤيته لا للمرئى كما اذا قلت رأيت الهلال فقيل لك اين رأيت فتقول عند الشجرة الفلانية وجعل ابن برجان الاسراء مرتين - الاولى بالفؤاد وهذه بالعين ولما كان ذلك لايتأتى الابتنزل بقطع مسافات البعد التى هى الحجب ليصير به بحيث يراه البشر عبر بقوله نزلة اخرى وعين الوقت بتعيين المكان فقال عند سدرة المنتهى كما في تفسير المناسبات (وروى) عن وكيع عن كعب الاحبار انه قال رأى ربه مرة اخرى فقال ان الله تعالى كلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين عليهما السلام فلما بلغ ذلك عائشة رضى الله عنها قالت قداقشعر جلدى من هيبة هذا الكلام فقيل لها ياام المؤمنين اليس يقول الله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا سألت النبي عليه السلام عن ذلك فقال رأيت جبرآئيل نازلا في الافق على خلقته وصورته انتهى وقال بعضهم رآه بفؤاده مرتين يقول الفقير لما كان هذا المقام لايخلو عن صعوبة واحتمال وتأويل كفروا من انكر المعراج الى المسجد الاقصى لثبوته بالنص القطعى وهو قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده الخ وضللوا من انكره الى مافوقه لثبوته بالخبر المشهور قال الشيخ الاكبر قدس سره الاظهر ان معراجه عليه السلام اربع وثلاثون مرة واحدة بجسده والباقى بروحه رؤيا رآها وفي التأويلات النجمية يشير الى رد استعجاب اهل الحجاب شهود النبي عليه السلام الحضرة الالهية في المظاهر الكونية والمجالى الغيبية وانى لهم هذا الاستعجاب والاستغراب وماقيده في حضرة دون حضرة وفي مشهد دون مشهد بل شهرة وعلانية مرة بعد مرة وساعة بعد ساعة بل ما احتجب لحظة منه تعالى وماغاب عنه لمحة مرة شاهده به في مقام احديته بفنائه عنه ونزلة عاينه في مقام واحديته بالبقاء به عند نزوله من المشهد الاحدى الى المشهد الواحدى المسمى سدرة المنتهى التى هى شجرة الكثرة لابتداء الكثرة منها وانتهاء مظاهرها اليها بحسب الاعمال والاقوال والافعال والاحوال شبهت السدرة بشجرة الكثرة لكثرة اظلالها واغصانها كما في شجرة الكثرة التى هى الواحدية لظهور التعينات والتكثرات منها واستظلال المتعينات بها بالوجود العينى الخارجى انتهى وقال البقلى ماالرؤية الثانية باقل كشفا من الرؤية الاولى ولاالاولى باكشف من الرؤية الثانية اين انت لوكنت اهلا لقلت لك انه

عليه السلام رأى ربه فى لحاقه بعد ان رجع من الحضرة ايضا فى تلك الساعة وماغاب قلبه من تلك الرؤية لمحة وماذكر سبحانه بيان ان مارأى فى الاولى فى الامكان ومارأى عند سدرة المنتهى كان واحدا الا ان ظهوره هنالك ظهور القدم والجلال وليس ظهوره يتعلق بالمكان ولا بالزمان اذ القدم منزه عن المكان والجهات وكان العبد فى المكان والرب فى الامكان وهذا غاية فى كمال تنزيهه وعظيم لطفه اذ تجلى نفسه لقلب عبده وهو فى الا مكان والعبد فى مكان والعقل ههنا مضمحل والعلم متلاش لان العقول عاجزة والاوهام متحيرة والقلوب والهة والارواح حائرة والاسرار فانية وفى هذه الآية بيان كمال شرف حبيبه اذ رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى ظن عليه السلام ان مارآه فى الاولى لايكون فى الكون لكمال علمه بتنزيه الحق فلما رآه ثانية علم انه لايحجبه شئ من الحدثان وعادة الكبرآء اذا زارهم احد يأتون معه الى باب الدار اذا كان كريما فهذا من الله اظهار كمال حب لحبيبه وحقيقة الاشارة انه سبحانه اراد ان يعرف حبيبه مقام الالتباس فلبس الامر واظهر المكر بان بان الحق من شجرة سدرة المنتهى كما بان من شجرة العناب لموسى ليعرف حبيبه بكمال المعرفة اذ ليس بعارف من لم يعرف حبيبه فى البسة مختلفة انتهى ولما اراد سبحانه ان يعظم السدرة ويبين شرفها قال (عندها) اى عند السدرة (جنة المأوى) والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به بالفاعلية واضافة الجنة الى المأوى مثل اضافة مسجد الجامع اى الجنة التى يأوى اليها المتقون اى تنزل فيها وتصير وتعود اليها ارواح الشهداء وبالفارسية بهشتى كه آرامكاه متقيان يامأوى ومكان ارواح شهداست او اوى اليها آدم وحوآء عليهما السلام يقال اويت منزلى واليه اويا واويا عدت واويته نزلته بنفسى والمأوى المكان قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر آدم عليه السلام انزل من جنة المأوى التى هى اليوم مقام الروح الامين جبريل عليه السلام وهى اليوم برزخ لذرية آدم ونزل اليها جبرآئيل من السدرة بنزول آدم وهذه الجنة لاتقتضى الخلود لذاتها فلذلك امكن خروج آدم منها ولذلك تأثر بالاشتياق الى ان يكون ملكا بعد سجود الملائكة له بغرور ابليس اياه ووعده فى الخلود رغبة فى الخلود والبقاء مع جبرآئيل والجنة التى عرضها السموات والارض تقتضى الخلود لذاتها يعلم من دخلها انه لايمكن الخروج منها اذ لاسبيل للكون والفساد اليها قال تعالى فى وصف عطائها انه غير مجذوذ اى غير منقطع انتهى فالجنة التى عرضها السموات والارض ارضها الكرسى الذى وسع السموات والارض وسقفها العرش المحيط فهى محيطة بالجنان الثمان وليست هى الجنة التى انزل منها آدم كذا قاله الشيخ ايضا فى كتاب تلقيح الاذهان وقال نجم الدين رحمه الله فى تأويلاته يشير الى ان الجنة العلية التى يسجن بها المجانين العاشقون عن انانيتهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وفى قوله عندها اشارة الى الهوية الظاهرة بالشجرة الواحدية المسماة بسدرة المنتهى لانتهاء ارواح الشهداء المقتولين بسيف الصدق والاخلاص ورمح الرياضات والمجاهدات اليها (اذ يغشى السدرة مايغشى) زيادة فى تعظيم السدرة واذ ظرف زمان لرآه لمابعده من الجملة المنفية فان ماالنافية لايعمل مابعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة اوللايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد والمعنى ولقد رآى محمد جبرائيل عند السدرة وقت ماغشيها وغطاها مالايكتنهه الوصف ولايفى به البيان كيفا ولاكما وفى الحديث (وغشيها الوان لاادرى ماهى فليس احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها) وعنه عليه السلام رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف اى جماعة من طيور خضر وقيل يغشاها فراش اوجراد من ذهب (كما قال الكاشفى) وكوييند برحوالى ان فرشتكان طيران ميكردند چون پروانهاء زرين وقيل يغشاها سبحات انوار الله حين تجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل حيث لم يصبها مااصابه من الدك وذلك لان الجبل كان فى عالم الملك الضعيف والسدرة فى عالم الملكوت القوى ولذا لم يخر عليه السلام هناك مغشيا عليه حين رأى جبرائيل كما غشى عليه حين رآه فى الافق الاعلى لقوة التمكين وغاية لطافة الجسد الشريف وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة امثال الغربان حين يقعن على الشجر يعبدون الله تعالى عندها او يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها الملائكة النازلون للقاء النبى عليه السلام فانهم استأذنوا للقائه فاذن لهم وقيل لاتأتوه بغير نثار فجاء كل واحد

منهم بطبق من اطباق الجنة عليه من اللطائف مالا يحصى فنثروه بين يديه تقربا اليه وفى الحديث (انه اعطى رسول الله عندها يعنى السدرة ثلاثا) يعنى سه چيز الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن مات من امته لا يشرك بالله شيئا وفى التأويلات النجمية يشير الى تعظيم المظاهر الاسمائية والصفاتية الجمالية اللطفية والجلالية القهرية الغاشية الساترة شجرة الواحدية المسماة بسدرة المنتهى بحيث لا تعد ولا تحصى لعدم نهاية مصادرها لان الاسماء بحسب الجزئيات غير متناهية وان كانت من حيث كلياتها متناهية وكان حقيقة السدرة وعمودها مغشية مستورة بكثرة اغصانها واوراقها وازهارها وهذا الوصف يدل على عظمة شان الشجرة عينها وجلالة قدرها وكيف لا والواحدية من حيث الحقيقة عين الاحدية ومن حيث الاعتبار العقلى غيرها فافهم جدا لا يفوتك الحقيقة بل الطريقة والشريعة انتهى وقال البقلى رحمه الله ابهم ما غشيها لان العقول لا تدرك حقائق ما يغشاها وكيف يغشاها والقدم منزه عن الحلول فى الاماكن وكانت الشجرة مرآت لظهوره سبحانه ما الطف ظهوره لا يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون بعد عرفانهم به آمنا به

(مازاغ البصر) الزيغ الميل عن الاستقامة اى ما مال بصر رسول الله عليه السلام ادنى ميل عما رآه (وما طغى) وما تجاوز مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة مما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التى امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها واستدل على ان رؤية الله كانت بعين بصره عليه السلام يقظة بقوله مازاغ البصر الخ لان وصف البصر بعدم الزيغ يقتضى ان ذلك يقظة ولو كانت الرؤية قلبية لقال مازاغ قلبه واما القول بانه يجوز ان يكون المراد بالبصر بصر قلبه فلا بد له من القرينة وهى ههنا بعيد ومنه (قال الكاشفى فى معنى الآية) ميل نكرد چشم محمد عليه السلام وبچپ وراست ننكريست ودرنكذشت ازحديكه مقرر بود ننكريستن ويرا درين آيت ستايش آن حضرتست بحسن ادب وعلو همت كه دران شب پرتو التفات برهيچ ذره از ذرات كائنات نيفكند وديدهٔ دل بجز مشاهدهٔ جمال بى زوال الهى نكشود * در ديده كشيده كحل مازاغ * نى راغ نكاه كرد ونى باغ * ميراند براق عرش پرواز * تا حجلهٔ ناز وپردهٔ راز * پس پرده زبيش ديده برخاست * بى پرده بديد آنچه دل خواست *

وفى التأويلات النجمية يشير الى تحقق النبى عليه السلام بمقام حقيقة الفقر الكلى الذى هو الخلو المطلق عما سواه لانه قال الفقر فخرى واى فقر اعظم وافخم من ان يخرج العبد عن وجوده الكلى المجازى ويقوم بالوجود الحقيقى ويظهر بصفات سيده حتى يقال له عبد الله اى لا عبد غيره يعنى ما مال بصر ملكه الجسمانى الى ملك الدنيا وزينتها وزخارفها وجاهها ومالها وما طغى نظر ملكوته الروحانى الى عالم الآخرة ونعيمها ودرجاتها وقرباتها وغرفاتها بل اتحد اتحادا واجتمع اجتماعا حقيقيا من غير فتور وقصور على شهود الحق واسمائه وصفاته وعجائب تجلياته الذاتية وغرائب تنزلاته الصفاتية وايضا مازاغ عين ظاهره الى الكثرة الاسمائية قائمة بالوحدة الذاتية وغرائب تنزلاته بكمال قيامه بشهود المرتبتين ولاحاطة علمه بوجود المرتبتين فافهم والا تندم وقال البقلى رحمه الله هذه الاية فى الرؤية الثانية لان فى الرؤية الاولى لم يكن شئ دون الله ولذلك ما ذكر هنالك غض البصر وهذا من كمال تمكين الحبيب فى محل الاستقامة وشوقه الى مشاهدة ربه اذلم يمل الى شئ دونه وان كان محل الشرف والفضل وفى كشف الاسرار موسى عليه السلام چون ديدار خواست كه ارنى انظر اليك اورا بصمصام غيرت لن ترانى جواب دادند پس چون تاوان زدهٔ ان سؤال كشت بغرامت تبت اليك واديد آمد بازچون نوبت بمصطفى عليه السلام رسيد ديدهٔ ويرا توتياى غيرت لا تمدن عينيك دركشيدند كفتند اى محمد ديده كه با آن ديده ما را خواهى ديكر نكر تا بعاريت بكس ندهى مهتر عصابهٔ عزت مازاغ البصر وما طغى برديدهٔ خود بست بزبان حال كفت * بربندم چشم خويش ونكشايم نيز * تا روز زيارت تو اى يار عزيز * تا لاجرم چون حاضر حضرت كشت جمال وجلال ذو الجمال والجلال برديدهٔ او كشف كردند كه ما كذب الفؤاد ما راى * همه تنم ذكر كردد چون با تو راز كنم * همه كمال تو بينم چو ديده باز كنم

ان تذكرته فكلى قلوب * او تأملته فكلى عيون

وكفته اند موسى عليه السلام چون از حضرت مناجات بازكشت باوى نور هيبت بود وعظمت لاجرم هركه دروى ناديست نابينا كشت بازمصطفى عليه السلام چون از حضرت مشاهدت بازكشت باوى

نورانس بود تاهركه بروى نكريد بيناى او بيفزودان مقام اهل تكوين است واين مقام ارباب تمكين (لقدرأى من آيات ربه الكبرى) اى وبالله لقد رأى محمد عليه السلام ليلة المعراج الآيات التى هى كبراها وعظماها فارى من عجائب الملك والملكوت مالايحيط به نطاق العبارة فقوله من آيات ربه حال قدمت على ذيها وكلمة من للبيان لانه المناسب لمرام المقام وهوالتعظيم والمبالغة ولذا لم يحمل على التبعيض على ان يكون هو المفعول ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف اى شيئا عظيما من آيات ربه وان يكون من مزيدة يعنى على مذهب الاخفش وكان الاسراء ليلة السابع والعشرين من رجب على ماعليه الاكثر فى السنة الثانية عشرة من النبوة قبل الهجرة بقليل كما فى تفسير المناسبات وفيه اشكال فان هذه السورة نزلت فى السنة الخامسة من النبوة على مامر فى اول السورة قال المفسرون رأى عليه السلام اى ابصر تلك الليلة رفرفا اخضر سدافق السماء فجلس عليه وجاوز سدرة المنتهى والرفرف البساط وهوصورة همته البسيطة العريضة المحيطة بالآفاق مطلقا لانه عليه السلام فى سفر العالم البسيط ولا يصل اليه الامن له علو الهمة مثله وقد قال حسان رضى الله عنه فى نعته عليه السلام

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى اجل من الدهر

ورأى تلك الليلة طوائف الملائكة وسدرة المنتهى وجنة المأوى ومافى الجنان لاهل الايمان ومافى النيران لاهل الطغيان والظلم والانوار ومايعجز عنه الافكار وتحار فيه الابصار ومن ذلك مارآه فى السموات من الانبياء عليهم السلام اشارة بكل نبى الى امر دقيق جليل وحالة شريفة قال الامام ابوالقاسم السهيلى رحمه الله فى الروض الانف والذى اقول فى هذا ان مأخذ فهمه من علم التعبير فانه من علم النبوة واهل التعبير يقولون من رأى نبيا بعينه فى المنام فان رؤياه تؤذن بمايشبه من حال ذلك النبى فى شدة اورخاء اوغير ذلك من الامور التى اخبرها عن الانبياء فى القرءآن والحديث مثلا من رأى آدم عليه السلام فى مكان على حسنه وجمله وكان للولاية اهلا ملك ملكا عظيما لقوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة ومن رأى نوحا عليه السلام فانه يعيش عيشا طويلا ويصيبه شدة واذى من الناس ثم يظفر بهم ومن رأى ابراهيم عليه السلام فانه يعق اباه ويرزق الحج وينصر على اعدائه وينله هول وشدة من ملك جائر ثم ينصر ومن رأى يوسف عليه السلام فانه يكذب عليه ويظلم وينال شدة ويحبس ثم يملك ملكا ويظفر ومن رأى موسى وهرون عليهما السلام فان الله يهلك على يده جبارا عنيدا ومن رأى سليمان عليه السلام فانه يلى القضاء اوالملك اويرزق الفقه ومن رأى عيسى عليه السلام فانه يكون رجلا مباركا نفاعا كثير الخير كثير السفر فى رضى الله ومن رأى نبينا صلى الله عليه وسلم وليس فى رؤياه مكروه لم يزل خفيف الحال وان رآه فى ارض جدب اخصبت اوفى ارض قوم مظلومين نصروا ومن رآه عليه السلام فان كان مغموما ذهب غمه وان كان مديونا قضى الله دينه وان كان مغلوبا نصر وان كان محبوسا اطلق وان كان عبدا اعتق وان كان غائبا رجع الى اهله سالما وان كان معسرا اغناه الله وان كان مريضا شفاه الله تعالى وحديث الاسراء كان بمكة ومكة حرم الله وامنه وقطانها جيران الله لان فيها بيته فاول من رأى عليه السلام من الانبياء كان آدم عليه السلام الذى كان فى امن الله وجواره فاخرجه ابليس عدوه منها وهذه القصة تشبهها الحالة الاولى من احوال النبى عليه السلام حين اخرجه اعداؤه من حرم الله وجوار بيته وكربه ذلك وغمه فاشبهت قصته فى هذا قصة آدم مع ان آدم تعرض عليه ارواح ذريته البر والفاجر منهم فكان فى السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لان ارواح اهل الشقاء لاتلج فى السماء ولاتفتح لهم ابوابها ثم رأى فى الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام وهما الممتحنان باليهود اماعيسى عليه السلام فكذبته اليهود وآذته وهموا بقتله فرفعه الله واما يحيى عليه السلام فقتلوه ورسول الله عليه السلام بعد انتقاله الى المدينة صار الى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود آذوه وظاهروا عليه وهموا بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجى عيسى منهم ثم سموه فى الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاوده حتى قطعت ابهره كما قال عندالموت (وفى المثنوى) چون سفيها نراست اين كاروكيا * لازم امد يقتلون الانبياء * وممايؤثر عن سعيد ابن المسيب رحمه الله الدنيا نذلة تميل الى الانذال ومن استغنى بالله افتقر اليه الناس واماالقاؤه ليوسف عليه السلام فى السماء الثالثة فانه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حالة يوسف عليه السلام وذلك ان يوسف ظفر

باخوته بعد ما اخرجوه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال لاتثريب عليكم اليوم الآية وكذلك نبينا عليه السلام اسر بوم بدر جملة من اقاربه الذين اخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من اطاق ومنهم من فداه ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم اقول ما قال اخي يوسف لاتثريب عليكم ثم لقاؤه لادريس عليه السلام في السماء الرابعة وهو المكان الذي سماه الله مكانا عليا وادريس اول من آتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك مؤذنا بحالة رابعة وهو علو شانه عليه السلام حتى اخاف الملوك وكتب اليهم يدعوهم الى طاعته حتى قال ابوسفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبي عليه السلام ورأى ما رأى من خوف هرقل كسجل وزبرج لقد امر امر ابن ابي كبشة حين اصبح يخافه ملك ابن ابي الاصفر وكتب عليه بالقلم الى جميع ملوك الارض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي بالتخفيف وملك عمان ومنهم من هادنه واهدى اليه واتحفه كهرقل والمقوقس سلطان مصر ومنهم من تعصى عليه فاظفره الله به فهذا مقام على وخط بالقلم جلي نحو ما اوتي ادريس ولقاؤه في السماء السادسة لموسى عليه السلام يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين امر بغزوة الشام وظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وادخل بني اسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد اهلاك عدوهم وكذلك غزا رسول الله عليه السلام تبوك من ارض الشام وظهر على صاحب دومة الجندل حتى صالحه على الجزية بعد ان اتى به اسيرا وافتتح مكة وادخل اصحابه البلد الذي خرجوا منه ثم لقاؤه في السماء السابعة لابراهيم عليه السلام لحكمتين احداهما انه رآه عند البيت المعمور مسندا ظهره اليه والبيت المعمور حيال الكعبة اي بازائها ومقابلتها واليه تحج الملائكة كما ان ابراهيم هو الذي بنى الكعبة واذن في الناس بالحج اليها والحكمة الثانية ان آخر احوال النبي عليه السلام حجه الى البيت الحرام وحج معه ذلك العام نحو من سبعين الفا من المسلمين ورؤية ابراهيم عليه السلام عند اهل التأويل تؤذن بالحج لانه الداعي اليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة قال الامام ان هذه الآية تدل على ان محمدا عليه السلام لم ير الله ليلة المعراج وانما رأى آيات الله وفيه خلاف ووجه الدلالة انه ختم قصة المعراج ههنا برؤية الآيات وقال في موضع آخر سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى ان قال لنريه من آياتنا ولو كان رآه لكان ذلك اعظم ما يمكن من الكرامة فكان حقه ان يختم به قصة المعراج انتهى * يقول الفقير رؤية الآيات مشتملة على رؤية الله تعالى كما قال الشيخ الكبير رضي الله عنه في الفكوك انما تعذر الرؤية والادراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والاضافات فاما في المظاهر ومن وراء حجابية المراتب فالادراك ممكن كما قيل

كالشمس تمنعك اجتلاءك وجهها * فاذا اكتست برقيق غيم امكنا   انتهى

واما اشتمال اراءة الآيات على اراءة الله تعالى فلما كانت تلك الآيات الملكوتية فوق الآيات الملكية اشهده تعالى في تلك المشاهد ليكمل له الرؤية في جميع المراتب والمشاهد ومن المحال ان يدعو كريم كريما الى داره ويضيف حبيبا في قصره ثم يتستر عنه ولا يريه وجهه وفي التأويلات النجمية يشير الى ان لله تعالى آيات كبرى وصغرى اما الآيات الكبرى فهي الصفات القديمة الازلية المسماة عند القوم بالائمة السبعة كالحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام والآيات الصغرى هي الاسماء الالهية التي قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى وانما سميت الاولى بالكبرى والثانية بالصغرى لان الصفات مصادر الاسماء ومراجعها كما ان الحي يرجع في الوجود الى الحياة والعليم الى العلم والقادر الى القدرة ولان الاسماء مظاهر الصفات كما ان الحي يرجع في الوجود الى الافعال والافعال مظاهر الاسماء والآثار مظاهر الافعال واما التخصيص بالكبرى دون الصغرى وان كانت من آيات الله كما قال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى لان شهود الآيات الكبرى يستلزم شهود الآيات الصغرى لان الله تعالى اذا تجلى لعبده بصفة الحياة والعلم والقدرة لابد للعبد ان يصير حيا بحياته عليما بعلمه قديرا بقدرته تلخيص المعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرج به الى سماء الجمعية الوحدانية وادرج في نور الفردانية تجلى الحق سبحانه اولا بصورة هذه الصفات الكبرى التي هي مفاتيح الغيب لايعلمها الا هو بحيث صارت حياته مادة حياة العالم كله علويه وسفليه روحانيه وجسمانيه معدنيه ونباتيه وحيوانيه وانسانيه كما قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال لولاك لما خلقت الافلاك وقال عليه السلام انا من الله والمؤمنون مني وكذا صار علمه محيطا بجميع المعلومات الغيبية

الملكوتية كما جاء فى حديث اختصام الملائكة انه قال فوضع كفه على كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعلمت علم الاولين والآخرين وفى رواية علم ما كان وما سيكون وكذا قدرته كسر بها اعناق الجبابرة وضرب بالسيف رقاب الاكاسرة وخرب حيطانهم وحصونهم فابقين ولا بقوا وببركة هذا التجلى الجمعى الكلى الاحاطى صار آدم بتبعيته وخلافته خليفة العالم كما اخبر فى كتابه العزيز انى جاعل فى الارض خليفة واسجد الله الملائكة لتلألؤ نوره الوحدانى فى وجه آدم هذا تحقيق قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اللام جواب القسم ومن مزيدة انتهى * وقال البقلى رحمه الله اراه سبحانه من آياته العظام مالا يقوم برؤيتها احد سواه اى المصطفى عليه السلام وذلك بان البسه قوة الجبارية الملكوتية كما قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وذلك ببروز انوار الصفات فى الآيات وتلك الآيات لورآها احد لاستغرق فى رؤيتها فكان من كال استغراقه فى بحر الذات والصفات لم يكبر عليه رؤية الآيات قال ابن عطاء رأى الآيات فلم تكبر فى عينه لكبر همته وعلو محله ولاتصاله بالكبير المتعال قال جعفر شاهد من علامات المحبة ما كبر عن الاخبار عنها

(افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) هى اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف اصلها لوية فاسكنت الياء وحذفت لالتقاء الساكنين فبقيت لوة فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها فصارت لاة فهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وكانت على صورة آدمى قال سعدى المفتى فان قلت هذا يختص بقراءة الكسائى فانه يقف على اللاة بالهاء واما الباقون فيقفون عليها بالتاء فلا يجوز ان تكون من تلك المادة قلت لانسلم ذلك فانهم انما يقفون بهاء مراعاة لصورة الكتابة لاغير انتهى والعزى تأنيث الاعز كانت لغطفان وهى سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وهو يقول ياعزى كفرانك لاسبحانك انى رأيت الله قداهانك فخرجت من اصلها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهى تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله عليه السلام فقال تلك لن تعبد ابدا وفى القاموس العزى صنم اوسمرة عبدتها غطفان اول من اتخذها ظالم بن اسعد فوق ذات عرق الى البستان بتسعة اميال بنى عليها بيتا وسماه بسا وكانوا يسمعون فيها الصوت فبعث اليها رسول الله خالد بن الوليد فهدم البيت واحرق السمرة انتهى ومناة صخرة لهذيل وخزاعة سميت مناة لان دماء المناسك تمنى عندها اى تراق ومنه منى وفى انسان العيون مناة صنم كان للاوس والخزرج ارسل رسول الله عليه السلام سعد بن زيد الاشهلى رضى الله عنه فى عشرين فارسا الى مناة ليهدم محلها فلما وصلوا الى ذلك الصنم قال السادن لسعد ماتريد قال هدم مناة قال انت وذاك فاقبل سعد الى ذلك الصنم فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال لها السادن مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها وهدم محلها انتهى ووصف مناة بالثالثة تأكيد لانها لما عطفت عليهما علم انها الثالثة والاخرى صفة ذم لها وهى المتأخرة الوضيعة المقدار اى مناة الحقيرة الذليلة لان الاخرى تستعمل فى الضعفاء كقوله تعالى قالت اخراهم لاولاهم اى ضعفاؤهم لرؤسائهم قال ابن الشيخ الاخرى تأنيث الاخر بفتح الخاء وهو فى الاصل من التأخر فى الوجود نقل فى الاستعمال الى المغايرة مع الاشتراك مع موصوفه فيما اثبت له ولا يصح حمل الاخرى فى الآية على هذا المعنى العرفى اذ لامشاركة لمناة فى كونها مناة ثالثة حتى توصف بالاخرى احترازا عنها فلذلك حمل على المعنى المذكور انتهى وقد يجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى فتكون مناة من التأخر الرتبى يعنى ان العزى شجرة وهى لكونها من اقسام النبات اشرف من مناة التى هى صخرة وجماد فهى متأخرة عنها رتبة ويقال ان المشركين ارادوا ان يجعلوا الآلهتهم من الاسماء الحسنى فارادوا ان يسموا واحدا منها الله فجرى على السنتهم اللات وارادوا ان يسموا واحدا منها العزيز فجرى على السنتهم العزى وارادوا ان يسموا واحدا منها المنان فجرى على السنتهم المناة وقال الراغب اصل اللات اللاه فحذفوا منه الهاء وادخلوا التاء فيه فانثوه تنبيها على قصوره عن الله وجعلوه مختصا بما يتقرب به الى الله فى زعمهم وقال السهيلى اصل هذا الاسم اى اللات لرجل كان يلت السويق للحجاج بسمن واقط اذا قدموا وكانت العرب تعظم ذلك الرجل باطعامه فى كل موسم فلما مات اتخذ مقعده الذى كان يلت فيه السويق منسكا ثم سخ الامر بهم الى ان عبدوا تلك الصخرة التى كان يقعد عليها ومثلوها صنما وسموها اللات اعنى ملت السويق ذكر ذلك كثير ممن الف فى الاخبار والتفسير انتهى وهذا على قراءة من يشدد

اللات اى التاء منه وقد قرأ به اى بالتشديد ابن عباس وعكرمة وجماعة كما فى القاموس ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله فقيل لهم توبيخا وتبكيتا افرأيتم والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله المنافية لها غاية المنافاة وهى قلبية ومفعولها الثانى محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله فى ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره فى الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها بنات له تعالى قال بعضهم كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته تعالى اوهذه الاصنام هياكل الملائكة التى هن بناته تعالى وفى التأويلات النجمية يخاطب عبدة الاصنام صنم لات النفس وصنم عزى الهوى ومناة الدنيا الدنيئة الخسيسة الحقيرة الواقعة فى ادنى المراتب لخسة وضعها ودناءة قدرها وبسفهم منهم انكارا لهم ورداعليهم اخبرونى عن حال آلهتكم التى اتخذتموها معبودات وتمكنتم على عبوديتها هل وجدتم فيها صفة من صفات الالهية من الايجاد والاعدام والنفع والضر وامثالها لا والله بل اتخذتموها آلهة لغاية ظلوميتكم على انفسكم ونهاية جهوليتكم بالاله الواحد الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد (قال المغربى رحمه الله) بود وجود مغربى لات ومنات او بود * نيست بتى چو بود او درهمه سومنات تو (ألكم الذكر وله الانثى) توبيخ مبنى على التوبيخ الاول والمعنى بالفارسية آيا شمارا فرزند ان نرباشند ومر خدا را ماده (تلك) اشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية (اذا) آنهنگام كه چنين باشد (قسمة ضيزى) اى جائرة معوجة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهى فعلى الضيز وهو الجور يعنى ان اصله ضيزى بضم الضاد من ضاز فى الحكم يضيز ضيزا اى جار وضازه حقه يضيزه اى بخسه ونقصه لكن كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى البيض فان اصله بيض بضم الباء لانه جمع ابيض كحمر فى جمع احمر وذلك لان فعلى بالكسر لم يأت فى الوصف وفيه اشارة الى استنكار شركهم وتخصيصهم الشرك ببعض الظاهر دون بعض يعنى اتخصصون ذكر الروح لكم وان كان ميتا باستيلاء ظلمة نفوسكم الظلمانية عليه وتجعلون انثى النفس فى عبوديتها واتباع مراداتها وانقيادا وامرها ونواهيها شريكا له تعالى الله عما يقول الظالمون الذين وضعوا الجور موضع العدل وبالعكس ما هذا الا قسمة الجور والجائر لا قسمة العدل والعادل (ان هى) الضمير للاصنام اى ما الاصنام باعتبار الالوهية التى تدعونها اى باعتبار اطلاق اسم الاله (الا اسماء) اى اسماء محضة ليس تحتها مسميات اى ما ننبئ هى عنه من معنى الالوهية شئ ما اصلا كما اذا اردت ان تحقر من هو ملقب بما يشعر بالمدح وفخامة الشان تقول ما هو الا اسم (قال المولى الجامى) مرد جاهل جاه كيتى رالقب دولت نهد * همچنان اماس بيند طفل كويد فربهست (وقال فى ذم ابناء الزمان) شكل ايشان شكل انسان فعل شان فعل سباع * هم ذئاب فى ثياب اوثياب فى ذئاب * ويجوز الحمل على الادعاء (سميتموها) صفة لاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى واذا قيست الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير ههنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التى يسمونها آلهة اسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما فى قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها لا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية اى ما هى الا اسماء خالية من المسميات وضعتموها (انتم وآباؤكم) بمقتضى اهوائكم الباطلة (ما انزل الله بها) اى بصحة تسميتها (من سلطان) برهان تتعلقون به جميع القرآن انزل بالالف الا فى الاعراف فانه نزل بالتشديد (ان يتبعون) التفات الى الغيبة للايذان بان تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اى ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها (الا الظن) الا توهم ان ما هم عليه حق توهما باطلا (وما تهوى الانفس) اى تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء فما موصولة ويجوز كونها مصدرية والالف واللام بدل الاضافة وهو معطوف على الظن وفى التأويلات النجمية يقول ليست هذه الاصنام التى تعبدونها بضلالة نفوسكم الدنية الشهوانية وجهالة عقولكم السخيفة الهيولانية الا اسماء صور وهمية لا مسميات لها اوجدتها اوهامكم الضعيفة وادركتها عقولكم المريضة المشوبة بالوهم والخيال التى هى بمرتبة ابائكم ليس لها عند اصحاب الطلب

و ارباب الكشف والقرب وجود ولا نمو بل هى خشب مسندة ما جعل الله فى تلك الاصنام النفسية والهوآئية والدنيوية ولا ركب فيها التصرف فى الاشياء فى الايجاد والاعدام والقهر واللطف والنفع والضر والاشياء علويها وسفليها جمادها ونباتها حيوانها وانسانها كلها مظاهر الاسماء الالهية ومجالى الصفات الربانية الجمالية والجلالية اى اللطفية والقهرية تجلى الحق فى الكل بحسب الكل لابحسبه الا الانسان الكامل فانه تجلى فيه بحسب الكلية المجموعية وصار خليفة الله فى الارض وانتم ايها الجهلة الظلمة ماتتبعون تلك الصفات الالهية وماتشهدون فى الاشياء تلك الحقائق الروحانية والاسرار الربانية المودعة فى كل حجر ومدر بل اعرضتم باتباع الشهوات الحيوانية وملازمة الجسمانية الظلمانية عن ادراك تلك اللطائف الروحانية وشهود تلك العواطف الرحمانية واتبعتم مظنونات ظنكم الفاسد وموهومات وهمكم الكاسد واثرتم هوى النفس المشؤمة على رضى الحق وذلك هو الخسران المبين وان الظن لايغنى من الحق شيأ انتهى وقال الجنيد قدس سره رأيت سبعين عارفا قد هلكوا بالتوهم اى توهموا انهم عرفوه تعالى فالكل معزولون عن ادراك حقيقة الحق وماادركوا فهوا قدارهم وجل قدر الحق عن ادراكهم قال تعالى وماقدروا الله حق قدره ولذلك اجترأ الواسطى رحمه الله فى حق سلطان العارفين ابى يزيد البسطامى قدس سره بقوله كلهم ماتوا على التوهم حتى ابويزيد مات على التوهم وقال البقلى ياعاقل احذر مما يغوى اهل الغرة بالله من الاشكال والخيالات التى تبدو فى غواشى ادمغتهم وهم يحسبون انها مكاشفات الغيوب ونوادر القلوب ويدعون انها عالم الملكوت وانوار الجبروت وما يتبعون الا اهواء نفوسهم وتخاييل شياطينهم التى تصور عندهم اشكالا وتمثالا ويزينون لهم انها الحق والحق منزه عن الاشكال والتمثال اياك ياصاحبى وصحبة الجاهلين الحق الذين يدعون فى زماننا مشاهدة الله ومشاهدة الله حق الاولياء وليست بمكشوفة للاعداء (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) حال من فاعل يتبعون او اعتراض وايا ماكان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اى شخص كان قبيح وممن هداه الله بارسال الرسول وانزال الكتاب اقبح فالهدى القرآن والرسول ولم يهتدوا بهما وفيه اشارة الى افساد استعدادهم الفطرى الغير المجعول بواسطة تلبسهم بملابس الصفات الحيوانية العنصرية وانهماكهم فى الغواشى الظلمانية الطبيعية فانهم مع ان جاءهم من ربهم اسباب الهدى وموجباته وهو النبى عليه السلام والقرآن وسائر المعجزات الظاهرة والخوارق الباهرة الدالة على صدق نبوته وصحة رسالته اشتغلوا بمتابعة النفس وموافقة الهوى واعرضوا عن التوجه الى الولى والمولى وذلك لان هداهم ماجاءهم الا فى يوم الدنيا لا فى يوم الازل ومن لم يجعل الله له نورا فى يوم الازل فماله من نور الى يوم الابد واعلم ان الهدى ضد الهوى فلابد من المتابعة للهدى قال بعض الكبار ليس لولى كرامة الا بحكم الارث لمن ورثه من الانبياء عليهم السلام ولذلك لم يقدر من هو وارث عيسى عليه السلام ان يمشى فى الهواء والماء ومن هو وارث لمحمد عليه السلام له المشى على الهواء والماء لعموم مقامه وفى الحديث لو ازداد عيسى يقينا لمشى فى الهواء اى بموجب قوة يقينية لابموجب صدق اتباعى ولاشك ان عيسى عليه السلام اقوى يقينا من سائر الاولياء الذين يمشون فى الهواء بما لايتقارب فانه من اولى العزم من الرسل فعلمنا قطعا ان مشى الولى منا فى الهواء انما هو بحكم صدق التبعية لابزيادة اليقين على يقين عيسى عليه السلام وعيسى اصدق فى تبعيته لمحمد عليه السلام من جميع الاولياء فله القدرة بذلك على المشى على الهواء وان ترك ذلك من نفسه وبالجملة فلايمشى فى الهواء الامن ترك الهوى * هوى وهوس رانماند ستيز * چو بيند سر پنجه عقل تيز

(ام للانسان ماتمنى) ام منقطعة ومافيها من معنى بل للانتقال من بيان ان ماهم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى نفسهم الى بيان ان ذلك مما لايجدى نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفى والتمنى تقدير شئ فى النفس وتصوره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن روية وبناء على اصل لكن لما كان اكثره عن تخمين صار الكذب له املك فاكثر التمنى تصوير مالاحقيقة له والمعنى ليس للانسان كل مايتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التى من جملتها اطماعهم الفارغة فى شفاعة الآلهة ونظائرها التى لاتكاد تدخل تحت الوجود

ماكل مايتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لاتشتهى السفن

(وقال الكاشفى) اياهست مر انسان رايعنى كافررا آنچه آرزو بردازشفاعت بتان يا آنكه كويد چرا نبوت

بفلان وفلان نداء نداء وقيل ام للانسان ما اشتهى من طول الحياة وان لا بعث ولا حشر وفى الآية اشارة الى ان للانسان استعداد الكمال وهو الفناء عن انانيته والبقاء بهوية الله تعالى لكن بسبب اشتغاله باللذات الجسمانية والروحانية يحصل له فى بعض الاوقات آفات العلائق الجسمانية وفترات العوائق الروحانية فيحرم عن بلوغ مطلوبه ولا يتهيأ له كل ما تمناه اذ كل ميسر لما خلق له فمن خلق مظهر اللطف بيده اليمنى لا يقدر ان يجعل نفسه مظهر القهر ومن خلق مظهر القهر بيده اليسرى لا يمكن ان يجعل نفسه مظهر اللطف توان پاك كردن زژنك آينه * وليكن نيايد زسك آينه * وانما نفى لما ليس له مخلوقية على صورة من جمع الضدين بقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن اى هو الاول فى عين اخريته والظاهر فى عين باطنيته وسئل الخراز قدس سره بم عرفت الله قال بالجمع بين الضدين لان الحقيقة متوحدة والتعين والظهور متعدد وثنا فى التعينات لا يقدح فى وحدة الهوية المطلقة كان ثنا فى الزوجية والفردية لا يقدح فى العدد وتضاد السواد والبياض لا يقدح فى اللون المطلق قال الحسين رحمه الله الاختيار طلب الربوبية والتمنى الخروج من العبودية وسبب عقوبة الله عباده ظفرهم بمنيتهم (فلله الآخرة والاولى) تعليل لانتفاء ان يكون للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء ان يكون له امر من الامور وفى التأويلات النجمية يشير الى قهرمانية الحق تعالى على العالم كله ملكه وملكوته الاخروى والدنيوى يعنى لا يملك الانسان شيئا حتى يتمكن من تحصيل ما يتمناه نفسه بل ملك الآخرة تحت تصرف يده اليمنى المقتضية لموجبات حصول الاخرة من الاعمال الصالحة والافعال الحسنة يهبه بالاسم الواهب لمن يشاء ان يكون مظهر لطفه وجماله وملك الدنيا تحت تصرف يده اليسرى المستدعية لاسباب حصول الدنيا من حب الدنيا الدنية المنتجة للخطيئة ومتابعة النفس الخبيثة وموافقة الطبيعة اللئيمة يجعله باسمه المقسط لمن يشاء ان يكون مظهر صفة قهره وجلاله ولا لذلك زيد فى ملكه ولا هذا ينقص من ملكه وكلتا يدى الرحمن ملأى سحاء (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا) اقناط لهم مما علقوا به اطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هى الجملة المنفية وجمع الضمير فى شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اى وكثير من الملائكة لا تغنى شفاعتهم عند الله شيئا من الاغناء فى وقت من الاوقات اى لا تنفع شيأ من النفع وهو القليل منه او شيء احدا وليس المعنى انهم يشفعون فلا تنفع شفاعتهم بل معناه انهم لا يشفعون لانه لا يؤذن لهم كما قال تعالى (الا من بعد ان يأذن الله) لهم فى الشفاعة (لمن يشاء) ان يشفعوا له (ويرضى) ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله بمعزل ومن الشفاعة بالف منزل فاذا كان حال الملائكة فى باب الشفاعة كما ذكر فاظنهم بحال الاصنام وفى الآية اشارة الى ان ملك الروح يشفع فى حق النفس الامارة بالسوء رجاء الانسلاخ عن اوصافها الذميمة والترقى الى مقام الفناء والبقاء ولكن لا تنفع شفاعته فى حقها لعلمه القديم الازلى بعدم استعدادها للترقى من مقامها اللهم الا ان تقبل شفاعته فى حق نفس رقيق الحجاب مستعد لقبول الفيض الالهى لصفاء فطرته الاولى وبقاء قابليته الكبرى للترقى فى المقامات العلية بالخروج من موافقة الطبع ومخالفة الشرع والدخول فى موافقة الشريعة ومخالفة الطبيعة (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصى (ليسمون الملائكة) المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق اى كل يسمون كل واحد منهم (تسمية الانثى) منصوب على انه صفة مصدر محذوف اى تسمية مثل تسمية الانثى فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهى التسمية بالانثى فاللام فى الملائكة للتعريف الاستغراقى وفى تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعارا بانها فى الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة فى الاخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا قال ابن الشيخ فان قيل كيف يصح ان يقال انهم لا يؤمنون بالاخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم ان يربطوا مركوب الميت على قبره ويعتقدون انه يحشر عليه اجيب بانهم ما كانوا يجزمون به بل كانوا يقولون لا يحشر فان كان فلنا شفعاء بدليل ما حكى الله عنهم وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وايضا ما كانوا يعترفون بالآخرة على الوجه الذى ورد به الرسل فهم

لايؤمنون بها على وجهها واعلم ان الملائكة ليسوا بذكور ولااناث وفى الحديث اتانى جبرآئيل فى اول مااوحى الى فعلمنى الوضوء والصلاة فلما فرغ من الوضوء اخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه اى رش بها فرجه اى محل الفرج من الانسان بناء على انه لافرج له وكون الملك لافرج له لوتصور بصورة الانسان دليل على انه ليس ذكرا ولاانثى وفيه نظر لانه يجوز ان يكون له آلة ليست كآلة الذكر ولاكآلة الانثى كما قيل بذلك فى الخنثى ويقال لذلك فرج وبعضهم حمل الفرج على مايقابل الفرج من الازار (ومالهم به من علم) حال من فاعل يسمون اى يسمو نهم والحال انه لاعلم لهم بمايقولون اصلا (ان يتبعون) اى ما يتبعون فى ذلك ليس بتكرار لان الاول متصل بعبادتهم اللات والعزى ومناة والثانى بعبادتهم الملائكة (الاالظن) الفاسد (وان الظن) اى جنس الظن كما يلوح به الاظهار فى موقع الاضمار (لايغنى من الحق شيئا) من الاغناء فان الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشئ لايدرك ادراكا معتبرا الا بالعلم والظن لا اعتداد به فى شان المعارف الحقية وانما يعتد به فى العمليات ومايؤدى اليها كمسائل علم اصول الفقه وفيه ذم للظن ودلالة على عدم ايمان المقلد وقيل الحق بمعنى العلم اى لايقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب اى ان ظنهم لاينقذهم من العذاب وحقيقة هذه الآية العزيزة تحريض السالكين والطالبين على السعى والاجتهاد فى السير الى الله بقطع المنازل السفلية وتصحيح المقامات العلوية الى ان يصلوا الى عين الجمع ويغرقوا فى بحر التوحيد ويشهدوا الحقائق المعانى المجردة بنور الوحدة الحقيقية الذاتية الدافعة ظلمة الكثرة النسبية لاسماء الله تعالى ثم ان الافراد يتفاوتون فى حضرة الشهود مع كونهم على بساط الحق الذى لانقص فيه لانهم انمايشهدون فى حقائقهم ولوشهدوا عين الذات لتساووا فى الفضيلة قال بعض الكبار اصحاب الكشف الخيالى غلطهم اكثر من اصابتهم لان الخيال واسع والذى يظهر فيه يحتمل التأويلات المختلفة فلايقع القطع بمايحصل منه الابعلم آخرورآء ذلك وانما كان الخيال بهذا الحكم لكونه ليست له حقيقة فى نفسه بل هو امر برزخى بين حقيقتين وهما المعانى المجردة والمحسوسات فلهذا يقع الغلط فى الخيال لكونه ليست له حقيقة فى نفسه وانظر الى اشارته عليه السلام فى الكشف الخيالى وكونه يقبل الاصابة والغلط لما اتاه جبرائيل بصورة عائشة رضى الله عنها فى سرقة من حرير وقال له هذه زوجتك فقال عليه السلام ان يكن من عندالله يمضه بخلاف مالو اتاه ذلك بطريق الوحى المعهود المحسوس له اوبطريق المعانى المجردة الموجبة لليقين وللعلم فانه اذا لايمكنه الجواب بمثل ذلك الجواب الذى يشعر بالتردد المحتمل الذى يقتضيه حضرة الخيال بحقيقتها * سيراب كن زبحر يقين جان تشنه را * زين بيش خشك لب منشين برسراب ريب (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) اى فاعرض يامحمد عن دعوة من اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقينى ولم يؤمن به وهو القران المنطوى على علوم الاولين والآخرين المذكر لامور الآخرة ولاتتهالك على اسلامه اوعن ذكرنا كماينبغى فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة ومافيها من الامور المرغوب فيها والمهروب عنها (ولم يرد الاالحياة الدنيا) راضيا بها قاصرا نظره على جمع حطامها وجلب منافعها فالمراد النهى عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من اعرض عما ذكر وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته وقصارى سعيه لاتزيده الدعوة الى خلافها الاعنادا واصرارا على الباطل والنهى عن الدعوة لايستلزم نهى الاية بآية القتال بل الاعراض عن الجواب والمناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخا بها فالمعنى اعرض عنهم ولاتشتغل باقامة الدليل والبرهان فانهم لاينتفعون به وقاتلهم واقطع دابرهم قال بعضهم ضيع وقته من اشتغل بموعظة طالبى الدنيا والراغبين فيها لان احدا لايقبل على الدنيا الابعد الاعراض عن الله باسيه دل چه سود گفتن وعظ * نرود ميخ آهنين درسنگ * قال ابن الشيخ اعلم ان النبى عليه السلام كالطبيب للقلوب فامره الله تعالى فى معالجة القلوب بماعليه الاطباء فى معالجة المرضى فان المرض اذا امكن علاجه بالغذاء لايستعملون فى ازالته الدواء واذا امكن ازالته بالدواء الضعيف لايستعملون الدواء القوى والكى فلذلك امر عليه السلام بالذكر الذى هو غذاء القلوب حيث قال قولوا لااله الاالله فان بذكر الله تطمئن القلوب كما ان بالغذاء تطمئن النفوس فانتفع به ابوبكر ومن كان مثله رضى الله عنهم ومن لم ينتفع بالحمل على الذكر والامر به ذكر لهم الدليل وقال اولم يتفكروا وقل انظروا افلاينظرون فلما لم ينتفعوا اتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال اعرض عن المعالجة واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح فقوله عمن تولى الخ اشارة الى ماقلنا

فان التولى عن ذكره كناية عن ملزومه الذى هو ترك النظر فى دلائل وجوده ووحدته وسائر صفاته وقوله ولم يرد الا
اشارة الى انكارهم الحشر ومن لم يقل بالحشر والحساب لايخاف ولا يرجع عما هو عليه ومن ترك النظر فى دلائل
الله لايعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه كلامه فلا يبقى فى الدعاء فائدة فلم يبق الا ترك المعالجة والمسارعة
الى المقاتلة انتهى كلامه ثم اعلم ان كل ما يبعد العبد عن حضرة سيده فهو من الحياة الدنيا فمن قصد بالزهد
والورع والتقى والكشف والكرامات وخوارق العادات قبول الناس والشهرة عندهم وحصول الجاه والمال
فهو ممن لم يرد الا الحياة الدنيا فضاع جميع احواله وكسد جملة اقواله وافعاله اذ لا رواج له عند الله ولا قدرة
زعمر واى بسر چشم اجرت مدار * چو در خانهٔ زيد باشى بكار * ولا يغترن هذا بحصول بعض
الكشوف واقبال اهل الدنيا عليه فانه ثمرة عاجلة له وماله فى الآخرة من خلاق الا ترى ان ابليس عبد الله تعالى
تسعة آلاف سنة ثم لما كفر وقال انظرنى الى يوم يبعثون امهله الله تعالى فكانت تلك المهلة ثمرة عاجلة له
فى حياته الدنيوية (ذلك) اى امر الدنيا وفى بحر العلوم اى ارادة الدنيا وايثارها على الآخرة وفى الارشاد
اى ما اداهم الى ما هم فيه من التولى او قصر الارادة على الحياة الدنيا (مبلغهم من العلم) لايكادون يجاوزونه
الى غيره حتى يجديهم الدعوة والارشاد كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
فبلغ اسم مكان وجمع الضمير فى مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق
الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لقصر هممهم على الدنيا الدنية التى هى ابغض الخلق الى الله
تعالى بشهادة قوله عليه السلام ان الله لم يخلق خلقا هو ابغض اليه من الدنيا وما نظر اليها منذ خلقها بغضا لها
رواه ابو هريرة رضى الله عنه ومعنى هوان الدنيا على الله سبحانه انه تعالى لم يجعلها مقصودة لنفسه بل جعلها
طريقا موصلة الى ما هو المقصود لنفسه ولذلك قال عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وما ورد
من اباحة لعن الدنيا فباعتبار ما كان منها مبعدا عن الله تعالى وشاغلا عنه كما قال بعض اهل الحقيقة ما الهاك
عن مولاك فهو دنياك ومشؤوم عليك واما ما يقرب الى الله ويعين الى عبادته فمحمود كما قال عليه السلام
لاتسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر ان العبد اذا قال لعن الله الدنيا قالت
الدنيا لعن الله اعصانا لربه (وفى المثنوى) چيست دنيا از خدا غافل بدن * نى قماش ونقره وميزان وزن *
مال را كز بهر دين باشى حمول * نعم مال صالح خواندش رسول * آب در كشتى هلاك كشتى است *
آب اندر زير كشتى پشتى است * چونكه مال وملك را از دل براند * زان سليمان خويش جز مسكين
نخواند * قال بعض الكبار من ذم الدنيا فقد عق امه لان جميع الانكاد والشرور التى ينسبها الناس
الى الدنيا ليس هو فعلها وانما هو فعل اولادها الان الشر فعل المكلف لا فعل الدنيا فهى مطية العبد عليها يبلغ الخير
وبها ينجو من الشر فهى تحب ان لا يشقى احد من اولادها لانها كثيرة الحنو عليهم وتخاف ان تأخذهم الضرة
الاخرى على غير اهبة مع كونها ما ولدتهم ولا تعبت فى تربيتهم فمن عقوق اولادها كونهم ينسبون جميع افعال
الخير الى الاخرة ويقولون اعمال الاخرة والحال انهم ما عملوا تلك الاعمال الا فى الدنيا فللدنيا اجر المصيبة التى
فى اولادها ومن اولادها فالانصف من ذمها بل هو جاهل بحق امه ومن كان كذلك فهو بحق الاخرة اجهل
انتهى واعلم ان الارادة والنية واحد وهو قصد قلبى ينبعث الى قلب الانسان بالبعث الالهى فهذا البعث الالهى
ان كان بالفجور على ما قال تعالى فالهمها فجورها وتقواها فهو من اسم المضل وقبضة الجلال ويد القهر
وسادنه هو الشيطان وان كان بالتقوى فهو من اسم الهادى وقبضة الجمال ويد اللطف وسادنه هو الملك
والاول من عالم العدل والثانى من عالم الفضل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ثم ان نية الانسان لا تخلوا
اما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الدنيا فهو سيء نية وعملا واما ان يكون متعلقها فى لسانه هو الاخرة
وفى جنانه هو الدنيا فهو اسوء نية وعملا واما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الاخرة فهو حسن نية
وعملا واما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو وجه الله فهو احسن نية وعملا فالاول حال الكفار والثانى
حال المنافقين والثالث حال الابرار والرابع حال المقربين وقد اشار الحق سبحانه وتعالى الى احوال المقربين عبارة
والى احوال غيرهم اشارة فى قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا والمقربون
قد فروا الى الله من جميع ما فى ارض الوجود ولم يلتفتوا الى شئ سوى وجهه الكريم ولم يريدوا من المولى غير

المولى فكانوا احسن نية وعملا هذا صراط مستقيم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين امين (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله وهو اعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى من من شأنه الاهتدآء فى الجملة اى هو المبالغ فى العلم بمن لا يرعوى عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتدآء فى الجملة لاغيره فلا تتعب نفسك فى دعوتهم فانه من القبيل الاول وفيه اشارة الى النفس الكافرة ويهود صفاتها فانهم لايقبلون الدعوة لانتفاء استمدادهم لقبولها فمن كان مظهر القهر فى الازل لايكون مظهر اللطف فى الابد وبالعكس وفى الحديث القدسى (خلقت الجنة وخلقت لها اهلا وخلقت النار وخلقت لها اهلا فطوبى لمن جعلته اهلا للجنة وويل لمن جعلته اهلا للنار) قال بعض الكبار النفس لاتفعل الشر الاجاجة من القرين واللجاج بمن لاقدرة على منعه ومخالفته بمنزلة الاكراه والمكره غير مؤاخذ بالشرع والعقل ولذا قال عليه السلام الخير عادة والشر لجاجة فهو بشارة عظيمة من العالم بالامور عليه السلام فانه اخبر ان النفس خيرة بالذات لان اباها الروح القدسى الطاهر وما تقبل الشر الاجاجة من القرين فلم يجعل عليه السلام الشر من ذاتها (ولله مافى السموات وما فى الارض) اى خلقا وملكا لالغيره اصلا لااستقلالا ولا اشتراكا (ليجزى) الخ متعلق بما دل عليه اعلم الخ وما بينهما اعتراض مقرر لماقبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى باحوالهم الا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتدآء من اهتدى ويحفظهما ليجزى (الذين اساؤا) بدكردند (بما عملوا) اى بعقاب ماعملوا من الضلال الذى عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله اوبسبب ماعملوا شبه نتيجة علمه بكل واحد من الفريقين وهى مجازاته على حسب حاله بعلته الغائية فادخل لام العلة عليها وصحح ذلك تعلقها بقوله اعلم * هين مراقب باش كردل بايدت كزپى هرفعل چيزى زايدت (ويجزى الذين احسنوا) اى اهتدوا (بالحسنى) اى بالمثوبة الحسنى التى هى الجنة فالحسنى للزيادة المطلقة والباء لتعدية الجزآء او بسبب اعمالهم الحسنى فالباء للسببية والمقابلة (الذين يجتنبون كبائر الاثم) صفة للذين احسنوا اوبدل منه لكن قال سعدى المفتى لاحسن فى جعل الذين الخ مقصودا بالنسبة وجعل الذين احسنوا فى حكم المتروك ولو كان النظم على العكس لكان لها وجه انتهى يقول الفقير الاجتناب من باب التخلية بالمعجمة وهى اقدم فلذا جعلت مقصودة بالنسبة وصيغة الاستقبال فى صلته دون صلة الموصوف اوالمبدل منه للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره يعنى للاشعار بان ترك المعصية سواء كانت بارتكاب المحرمات اوبترك الواجبات ينبغى ان يستمر عليه المؤمن ويجعل الاجتناب عنها دأبا له وعادة حتى يستحق المثوبة الحسنى فان من اجتنب عنها مرة وانهمك عليها فى باقى الازمان لايستحقها بخلاف الحسنات المتطوع بها فان من اتى بها ولو مرة يؤجر عليها وكبائر الاثم مايكبر عقابه من الذنوب وهو مارتب عليه الوعيد بخصوصه كالشرك والزنى مطلقا خصوصا بحليلة جاره وقتل النفس مطلقا لاسيما الاولاد وهى الموؤودة وقال ابن جبير هى مالا يستغفر منه لقوله عليه السلام لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وفى الحديث اياكم والمحقرات من الذنوب قال ابن عباس رضى الله عنهما هى الى سبعين اقرب وتمام التفصيل سبق فى حمعسق فى نظير الاية (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصا الزنى والقتل بغير حق وغيرهما فهو من قبيل التخصيص بعد التعميم قال الراغب الفحش والفحشاء والفاحشة ماعظم قبحه من الافعال والاقوال (الا اللمم) اللمم مقاربة المعصية ويعبر به عن الصغيرة من قولك الممت بكذا اى نزلت به وقاربته من غير مواقعة وألم الغلام قارب البلوغ والاستثناء منقطع لان المراد بالاثم الصغائر وهى لاتدخل فى الكبائر والمعنى الا ماقل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر يعنى ان الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر وقال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقال ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقيل هى النظر بلا تعمد فان اعاد النظر فليس بلمم وهو مذنب والغمزة والقبلة كما روى ان نبهان التمار أتته امرأة لتشترى التمر فقال لها ادخلى الحانوت فعانقها وقبلها فقالت المرأة خنت أخاك ولم تصب حاجتك فندم وذهب الى رسول الله عليه السلام فنزلت وقيل هى الخطرة من الذنب اى ماخطر من الذنب على القلب بلا عزم واز قوت بفعل نيايد وقيل

كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقال بعضهم اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا اقامة عليه قال محمد بن الحنفية كل ما هممت به من خير وشر فهو لمم دليله قوله عليه السلام ان للشيطان وللملك لمة فلمة الشيطان الوسوسة ولمة الملك الالهام وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ولم يثبت عليها فان الله يقبل توبته ويؤيده قوله عليه السلام ان تغفر اللهم فاغفر جما واى عبدلك لا الما فالا استثناء على هذا متصل وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما رأيت شيئا اشبه باللمم مما قاله ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله عليه السلام ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى فزنى العينين النظر وزنى اللسان النطق وزنى الشفتين القبلة وزنى اليدين البطش وزنى الرجلين المشى والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك كله او يكذبه فان تقدم فرجه كان زانيا والا فهو اللمم وفى الاسئلة المقحمة الذنوب كلها كبائر على الحقيقة لان الكل تتضمن مخالفة امر الله تعالى لكن بعضها اكبر من بعض عند الاضافة ولا كبيرة اعظم من الشرك واما اللمم فهو من جملة الكبائر والفواحش ايضا الا ان الله تعالى اراد باللمم الفاحشة التى يتوب عنها مرتكبها ومجترحها وهو قول مجاهد والحسن وجماعة من الصحابة منهم ابو هريرة رضى الله عنه (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه من حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب فى نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وفى التأويلات النجمية كبائر الاثم ثلاث مراتب محبة النفس الامارة بالسوء ومحبة الهوى النافخ فى نيران النفس ومحبة الدنيا التى هى رأس كل خطيئة ولكل واحدة من هذه المحبات الثلاث فاحشة لازمة غير منفكة عنها اما فاحشة محبة النفس الامارة بالسوء فموافقة الطبيعة ومخالفة الشريعة واما فاحشة محبة الهوى فحب الدنيا وشهواتها واما فاحشة محبة الدنيا فالاعراض عن الله والاقبال على ما سواه قوله الا اللمم اى الميل اليسير الى النفس والهوى والدنيا بحسب الضرورة البشرية من استراحة البدن وتيل قليل من حظوظ الدنيا بحسب الحقوق لابحسب الحظوظ فان مباشر الحقوق مغفور ومبادر الحظوظ مغرور كما قال ان ربك واسع المغفرة ومن سعة غفرانه ستر ظلمة الوجود المجازى بنور الوجود الحقيقى بالفناء عن ناسوتيته والبقاء بلاهوتيته انتهى قال بعض الكبار من استرقه الكون بحكم مشروع كالسعى فى مصالح العباد والشكر لاحد من المخلوقين من جهة نعمة اسداها اليه فهو لم يبرح عن عبوديته لله تعالى لانه فى اداء واجب اوجبه الحق عليه واما تعبد العبد لمخلوق عن امر الله لا يقدح فى العبودية بخلاف من استرقه الكون لغرض نفسى ليس للحق فيه رائحة امر فان ذلك يقدح فى عبوديته لله تعالى ويجب عليه الرجوع الى الحق تعالى وقال بعض العارفين من المحال ان يأتى مؤمن معصية توعد الله عليها بالعقوبة فيفرغ منها الا ويجد فى نفسه الندم على وقوعها منه وقد قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقد قام بهذا المؤمن الندم فهو تائب بلا شك فسقط حكم الوعيد لهذا الندم فانه لابد للمؤمن ان يكره المخالفة ولا يرضى بها فهو من كونه كارها لها ومؤمنا بانها معصية ذو عمل صالح وهو من كونه فاعلا لها ذو عمل سيئ فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ وقد قال تعالى فيهم عسى الله ان يتوب عليهم يعنى ليتوبوا والله غفور رحيم انتهى فعلى العاقل ان يندم على المعاصى الواقعة منه ولا يغتر بالرب الكريم وان كان الله واسع المغفرة فانه تعالى ايضا شديد البطش والاخذ نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة (هو) تعالى (اعلم) منكم (بكم) اى باحوالكم يعلمها (اذ انشأكم) اى خلقكم فى ضمن انشاء ابيكم آدم عليه السلام (من الارض) انشاء اجماليا (واذ انتم اجنة) ووقت كونكم اجنة (فى بطون امهاتكم) على اطوار مختلفة مترتبة لايخفى عليه حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التى من جملتها اللمم الذى لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله وضرره والاجنة جمع جنين مثل اسرة وسرير والجنين الولد ما دام فى البطن وهو فعيل بمعنى مفعول اى مدفون مستتر والجنين الدفين فى الشئ المستتر فيه من جنه اذا ستره واذا خرج من بطن امه لا يسمى الا ولدا او سقطا وفى الاشباه هو جنين ما دام فى بطن امه فاذا انفصل ذكرا فصبى ويسمى رجلا كما فى آية الميراث الى البلوغ فغلام الى تسعة عشر فشاب الى اربعة وثلاثين فكهل الى احد وخمسين فشيخ الى آخر عمره هذا فى اللغة وفى الشرع يسمى غلاما الى البلوغ وبعده شابا وفتى الى ثلاثين فكهل الى خمسين فشيخ وتمامه فى ايمان البزازية فان قيل الجنين

اذا كان اشتماله مادام فى البطن فما فائدة قوله تعالى فى بطون امهاتكم قلنا فائدته المبالغة فى بيان كمال علمه وقدرته فان بطون الامهات فى غاية الظلمة ومن علم حال الجنين فيها لا يخفى عليه شئ من احواله (فلا تزكوا انفسكم) الفاء لترتيب النهى عن تزكية النفس على ماسبق من ان عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اى اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة من المعصية بالكلية اوبما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته وبالفارسية پس ستايش مكنيد نفسهاء خودرا به بى كناهى وبسيارى خير وخوبى اوصاف وقال الحسن رحمه الله علم الله من كل نفس ماهى صانعة والى ماهى صائرة فلا تزكوا انفسكم ولا تطهروها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال لان كل واحد من التحلية والتخلية انما يعتد به اذا كان خالصا لله تعالى واذا كان هو اعلم باحوالكم منكم فاى حاجة الى التزكية * همان به كرآبستن كوهرى * كه همچون صدف سر بخود دربرى * اكر مشك خالص ندارى مكوى * وكرهست خود فاش كردد ببوى * منه آب زرجان من بر پشيز * كه صراف دانا نكيرد بچيز * واما من زكاه الغير ومدحه فقد ورد فيه (احثوا فى وجه المداحين) اى الذين يمدحون بماليس فى الممدوح (التراب) على حقيقته او هو مجاز عن ردهم عن المدح لئلا يغتر الممدوح فيتجبر وقيل المراد به ان لا يعطوهم شيئا لمدحهم او معناه الامر بدفع المال اليهم لينقطع لسانهم ولا يشتغلوا بالهجو وفيه اشارة الى ان المال حقير فى الواقع كالتراب قال ابو الليث فى تفسيره المدح على ثلاثة اوجه الاول ان يمدحه فى وجهه فهو الذى نهى عنه والثانى ان يمدحه بغير حضرته ويعلم انه يبلغه فهذا ايضا منهى عنه ومدح يمدحه فى حال غيبته وهو لا يبالى بلغه اولم يبلغه ومدح يمدحه بما هو فيه فلا بأس بهذا انتهى (وفى المثنوى) خلق ما در صورت خود كرد حق * وصف ما از وصف او كيرد سبق * چونكه آن خلاق شكر وحمد جوست * آدمى را مدح جويى نيز خوست * خاصه مرد حق كه در فضلست چست * پر شود زان باد چون خيك درست * ورنه باشد اهل زان باد دروغ * خيك بدريده ست كى كيرد فروغ * واما المدح بعد الموت فلا بأس به اذا لم يجاوز الحد كالروافض فى مدح اهل البيت (هو اعلم بمن اتقى) المعاصى جميعا وهو استئناف مقرر للنهى ومشعر بان فيهم من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ماعمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر وفى التأويلات النجمية يشير به الى ان علم الانسان بنفسه علم اجمالى وعلمه تعالى به تفصيلى والعلم التفصيلى اكمل واشمل من العلم الاجمالى وايضا علم الانسان بنفسه علم مقيد بقواه البشرية وهو متناه بحسب تناهى قواه البشرية وعلمه تعالى به علم مطلق اذ علمه عين ذاته فى مقام الاحدية غير ذاته فى مقام الواحدية والعلم المطلق احوط واجمع من العلم المقيد وايضا الانسان مخلوق على صورة الله كما قال عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته وفى رواية اخرى على صورة الرحمن والله تعالى عالم بصورته المنزهة عن الشكل المقدسة عن الهيئة والانسان غير عالم بها على كيفية علم الله اذ لا يعلم الله الا الله كما قال وما قدروا الله حق قدره اللهم الا ان يفنى عن علمه المقيد ويبقى بعلمه المطلق هذا هو تحقيق اعلمية الحق تعالى وقوله وهو اعلم بمن اتقى اى بمن اتقى بالله عما سواه بحيث جعل الله تعالى وقاية نفسه لينسب كل ما يصدر منه من العلم والعمل اليه فانه هو المؤثر فى الوجود ومنه كل فيض وفضل وخير وجود (افرأيت الذى تولى) اى اعرض عن اتباع الحق والثبات عليه (وبالفارسية آيا ديدى ان كسى را كه ازپيروى حق روى بكردانيد (واعطى قليلا) اى شيأ قليلا من ماله او اعطاء قليلا وبالفارسية وبداد اندكى ازمال خود براى رشوت تحمل عذاب ازو (واكدى) اى قطع عطيته وامسك بخلا من قولهم اكدى الحافر اى حافر البئر اذا بلغ الكدية اى الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر ثم استعمل فى كل من طلب شيئا فلم يصل اليه ولم يتممه ولم يبلغ آخره وفى القاموس اكدى بخل او قل خيره او قلل عطاءه وفى تاج المصادر قوله تعالى واكدى اى قطع القليل قالوا نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه السلام يعنى درپى حضرت رسالت مى رفت واستماع كلام وى ميكند در مجلس او وطمع النبى عليه السلام فى اسلامه فعيره بعض المشركين وعاتبه وقال له تركت

دين الاشياخ وضلالهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب وكل شئ يخافه فى الآخرة ان اعطاه بعض ماله فارتد وتولى عن الوعظ واستماع الكلام النبوى واعطاه بعض المشروط وبخل بالباقى فالذم آيل الى سبب القطع وهو البخل فلا يتوهم ان الآية مسوقة لذم فعل المتولى وقطع العطاء عن المتحمل المذكور لبس بمذموم (وقال الكاشفى) واكدى وبازداشت باقى را بس جهل وبخل بايكديكر جمع كرد يقول الفقير الظاهر ان الآية مسوقة لذم التولى وسوء الاعتقاد فى نفع التحمل يوم القيامة كما دلت عليه الآية الآتية وقوله واعطى قليلا واكدى مجرد بيان لحال المتولى والمعطى فيما جرى بينه وبين المتحمل لا ذم لبخله فى ذلك لكن لا يخلو عن التهكم حيث انه بخل فيما اعتقد نفعه وقال مقاتل انفق الوليد على اصحاب محمد عليه السلام نفقة قليلة ثم انتهى عن ذلك انتهى ولا يخفى انه ليس لهذا المعنى ارتباط بما بعد من الآيات وفيه اشارة الى السالك المنقطع فى اثناء السلوك الراجع من السير الى الله الى نفسه البشرية واستيفاء لذاتها الحيوانية بسبب سآمة المشومة من المجاهدات البدنية والرياضات النفسانية بعد ان صرف فى طريق السير والسلوك قليلا من رأس مال عمره ثم بخل به وقطعه عن الصرف فى طريق السعى والاجتهاد فى الله وصرف بقية رأس مال عمره فى تحصيل لذات النفس الحيوانية البشرية واستيفاء شهواتها وحب الدنيا الدنية الخسيسة وهذا كله لعدم استعداده للوصول والوصال نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن النكرة بعد المعرفة * اندرين ره مى تراش ومى خراش * تادم آخر دمى فارغ مباش (اعنده) آيا نزديك اوست (علم الغيب فهو يرى) الفاء للسببية والرؤية قلبية اى اعنده علم بالامور الغيبية التى من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة فهو يعلم ان صاحبه يتحمل عنه قال ابن الشيخ ارأيت بمعنى اخبرت واعنده علم الغيب مفعوله الثانى اى اخبرت ان هذا المعطى المكدى هل عنده علم ما غاب عنه من احوال الآخرة فهو يعلم ان صاحبه يتحمل اوزاره على ان قوله يرى بمعنى يعلم حذف مفعولاه لدلالة المقام عليهما (ام) اهو جاهل (لم ينبأ) لم يخبر (بما فى صحف موسى) اى اسفار التوراة قال الراغب الصحيفة المبسوطة من كل شئ كصحيفة الوجه والصحيفة التى كان يكتب فيها وجمعها صحائف وصحف والمصحف ما جعل جامعا للصحف المكتوبة وقال القهستانى المصحف مثلث الميم ماجمع فيه القرآن والصحف (وابراهيم الذى وفى) عطف على موسى اى وبما فى صحف ابراهيم الذى وفى اى وفر واتم ما ابتلى به من الكلمات كما مر فى سورة البقرة او امر به من غير اخلال واهمال يقال اوفاه حقه ووفاه بمعنى اى اعطاه اعطاء تاما وافيا ويجوز ان يكون التشديد فيه للتكثير والمبالغة فى الوفاء بما عاهد الله اى بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمل غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه اتاه جبريل حين القى فى النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد وعلى الهجرة وعلى ترك اهله وولده فى واد غير ذى زرع وروى انه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وجده اكرمه والا نوى الصوم ونعم ماقيل وفى ببذل نفسه للنيران وقلبه للرحمن وولده للقربان وماله للاخوان وعن النبى عليه السلام وفى عمل كل يوم باربع ركعات وهى صلاة الضحى وفى الحديث القدسى (ابن آدم اركع لى اربع ركعات من اول النهار اكفك آخره) وروى الا اخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى يختم الآيتين ذكره احمد فى مسنده الآيات الثلاث فى عين المعانى وعن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه قال قلت يارسول الله كم من كتاب انزل الله قال مائة كتاب واربعة كتب انزل الله على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وانزل الله التوراة والانجيل والزبور والفرقان قلت يارسول الله ماكانت صحف ابراهيم قال كانت امثالا منها ايها الملك المبتلى المغرور انى لم ابعثك فتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك كيلا ترد دعوة المظلوم فانى لا اردها وان كان من كافر وكان فيها امثال منها وعلى العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله ان يكون له ساعات ساعة يناجى فيها ربه ويفكر فى صنع الله وساعة يحاسب نفسه فيما قدم واخر وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال فى المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ويأتى ما نقل من صحف موسى فى آخر سورة سبح اسم ربك الاعلى كذا فى فتح الرحمن وتقديم موسى لما ان صحفه التى هى التوراة اشهر عندهم واكثر يقول الفقير وايضا هو من باب الترقى من الاقرب الى الابعد

لكون الاقرب اعرف وايضا ان موسى صاحب كتاب حقيقة بخلاف ابراهيم (الا تزر وازرة وزر اخرى)
اصله انلاتزر على ان ان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة
الجر على انها بدل مما فى صحف موسى اوالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما فى صحفهما فقيل هو انه
اى الشان لاتحمل نفس من شانها الحمل حمل نفس اخرى من حيث تتعرى منه المحمول عنها ولا يؤاخذ احد
بذنب غيره ليتخلص الثانى من عقابه فالمراد بالوازرة هى التى يتوقع منها الوزر والحمل لاالتى وزرت وحملت
ثقلا والا فكان المقام ان يقال لاتحمل فارغة وزر اخرى اذلا تحمل مثقلة بوزرها غير الذى عليها وفى هذا
ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة ان يحمل عنه الاثم ولا يقدح فى ذلك قوله تعالى كتبنا على بنى اسرآئيل
انه من قتل نفسا بغير نفس اوفساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا اذليس المعنى ان عليه اثم مباشرة
سائر القاتلين بل المعنى ان عليه فوق اثم مباشرته للقتل المحظور اثم دلالته وسببيته لقتل هؤلاء وهما ليستا
الامن اوزاره فهو لايحمل الاوزر نفسه وكذا قوله عليه السلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها
الى يوم القيامة فان ذلك وزر الاضلال الذى هو وزره (وان ليس للانسان الاماسعى) ان مخففة من الثقيلة
كأختها معطوفة عليها وللانسان خبر ليس والاماسعى اسمها وما مصدرية ويجوز ان تكون موصولة والسعى
المشى الذريع وهو دون العدو ويستعمل للجد فى الامر خيرا كان اوشرا والمعنى وانه اى الشأن ليس للانسان
فى الآخرة الاسعيه فى الدنيا من العمل والنية اى كما لايؤآخذ احد بذنب الغير لايثاب بفعله فهو بيان
لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اثر بيان عدم انتفاعه من حيث دفع الضرر عنه وظاهر
الآية يدل على انه لاينفع احدا عمل احد واختلفوا فى تأويلها فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عدم اثابة
الانسان بسعى غيره وفعله وهذا منسوخ الحكم فى هذه الشرع بعد بقوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم فيدخل الابناء الجنة
بصلاح الآباء ويجعل الولد الطفل يوم القيامة فى ميزان ابيه ويشفع الله الآباء فى الابناء والابناء فى الآباء يدل
على ذلك قوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا قال عكرمة كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى
واما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روى ان امرأة رفعت صبيا لها من محفة وقالت يارسول الله
الهذا حج قال نعم ولك اجر وقال رجل للنبى عليه السلام ان امى افتلتت نفسها اى ماتت فجأة فهل لها اجر
ان تصدقت عنها قال نعم وقال الربيع بن انس وان ليس للانسان الاماسعى يعنى الكافر واما المؤمن فله ماسعى
وماسعى له غيره وكثير من الاحاديث يدل على هذا القول ويشهد له ان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح من
غيره (روى) ان عائشة رضى الله عنها اعتكفت عن اخيها عبد الرحمن رضى الله عنه بعد موته واعتقت عنه وقال
سعد للنبى عليه السلام ان امى توفيت افأتصدق عنها قال نعم قال فاى الصدقة افضل قال سقى الماء فحفر بئرا
وجعلها فى سبيل الله وقال القرطبى فى تذكرته ويحتمل ان يكون قوله وان ليس للانسان الاماسعى خاصا
فى السيئة بدليل قوله عليه السلام قال الله اذاهم عبدى بحسنة ولم يعملها كتبتها عشرا الى سبعمائة ضعف
واذاهم بسيئة ولم يعملها لم اكتبها عليه فان عملها كتبتها سيئة واحدة والقرآن دال على هذا قال تعالى من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها وهذا ونحوه تفضل من الله وطريق العدل وان ليس للانسان الاماسعى الا ان الله
يتفضل عليه بما لم يجب له كما ان زيادة الاضعاف فضل منه كتب لهم بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعمائة
ضعف الى الف الف حسنة وقد تفضل الله على الاطفال بادخالهم الجنة بغير عمل والحاصل ماكان من السعى
فمن طريق العدل والمجازاة وماكان من غير السعى فمن طريق الفضل والتضعيف فكرامة الله تعالى اوسع
واعظم من ذلك فانه يضاعف الحسنات ويتجاوز عن السيئات فرتبة النفس والطبيعة وكذا الشريعة
والطريقة من الطريق الاولى ومرتبة الروح والسر وكذا المعرفة والحقيقة من الطريقة الثانية
قال فى الاسئلة المقحمة اشارة الآية الى اصل النجاة المعهودة فى حكم الشريعة فان النجاة الاصلية
الموعودة فى الكتاب والسنة بالعمل الصالح وهى النجاة بشرط المجازاة والمكافأة فاما التى هى من غير طريق
المجازاة والمكافأة فهى بطريق تفضل الله وبطوله وعميم رحمته وكريم لطفه وقد فسرها رسول الله عليه السلام
حيث قال ادخرت شفاعتى لاهل الكبائر من امتى اترونها للمؤمنين المتقين لاولكنها للخطائين الملوثين
وبيان الكتاب الى الرسول عليه السلام وسمعت الامام ابابكر الفارسى بسمرقند يقول سمعت الاستاذ

ابا اسحق الاسفرائيني يقول ان عبدالله بن طاهر امير خراسان قال للحسن بن الفضل البجلي اشكلت على ثلاث آيات اريد ان تكشف عني وتشفي الغليل اوليها قوله تعالى في قصة ابن آدم فاصبح من النادمين وصح الخبر بان الندم توبة ولم يكن هذا الندم توبة في حق قابيل وثانيها قوله تعالى كل يوم هو في شأن وصح الخبر بان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وثالثها قوله تعالى اضعافا مضاعفة فاجابه وقال اما الآية الاولى فالندم لم يكن توبة في شريعة من الشرائع وانما صار توبة في شريعة محمد عليه السلام تخصيصا له على ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل وانما كان على حمله حين حمله على عاتقه اياما فلم يعلم ماذا يعمل به لانه كان اول قتل حتى بعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يوارى سوأة اخيه واما الآية الثانية فان الشان المذكور فيها ما هو التقدير بطريق الابتداء وانما هو سوق المقادير الى المواقيت واما الآية الثالثة فهو انه ليس للانسان الا ما سعى من طريق العدل والمجازاة وله ان يجزيه بواحدة عشرا واضعافا مضاعفة بطريق الفضل والطول لا على سبيل العدل والجزاء فقام عبدالله بن طاهر وقبل رأسه وسوغ خراجه وكان خمسين الف درهم وقد ذكر الخراآنطي في كتاب القبور قال سنة في الانصار اذا حملوا الميت ان يقرؤا معه سورة البقرة يقول الفقير فيه دليل على سنية الذكر عند حمل الجنازة لان الذكر من القرآن ولذا كان على الذاكر ان ينوى التلاوة والذكر معا حتى يثاب بثواب التلاوة فحيث سن القرآن سن الذكر المأخوذ منه ولقد احسن من قال في ابيات

زروا الديك وقف على قبريهما * فكأنني بك قد حملت اليهما

الى قال في آخرها وقرأت من آي الكتاب بقدر ما * تسطيعه وبعثت ذاك اليهما

قال الشيخ تقي الدين ابو العباس من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة احدها ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير والثاني ان النبي عليه السلام يشفع لاهل الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة في دخولها ولاهل الكبائر في الاخراج من النار وهذا الانتفاع بسعي الغير والثالث ان كل نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير والرابع ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض وذلك منفعة بعمل الغير والخامس ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم والسادس ان اولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير وكذا الميت بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع وهو من عمل غيره وان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة وكذا تبرأ ذمة الانسان من ديون الخلق اذا قضاها عنه قاض كما قال الشافعي اذا انا مت فليغسلني فلان اى من الدين وذلك انتفاع بعمل الغير وكذا من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه وان الجار الصالح ينتفع بجواره في الحياة والممات كما جاء في الاثر وان جليس اهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس معهم لذلك بل لحاجة اخرى والاعمال بالنيات وكذا الصلاة على الميت والدعاء له فيها ينتفع بها الميت مع ان جميع ذلك انتفاع بعمل الغير ونظائر ذلك كثيرة لا تحصى والآيات الدالة على مضاعفة الثواب كثيرة ايضا فلا بد من توجيه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فانه لاشتماله على النفي والاستثناء يدل على ان الانسان لا ينتفع الا بعمل نفسه ولا يجرى على عمله الا بقدر سعيه ولا يزداد وهو يخالف الاقوال الواردة في انتفاعه بعمل غيره وفي مضاعفة ثواب اعماله ولا يصح ان يؤول بما يخالف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة فاجابوا عنه بوجوه منها انه منسوخ ومنها انه في حق الكافر ومنها انه بالنسبة الى العدل لا الفضل وقد ذكرت ومنها ان الانسان انما ينتفع بعمل غيره اذا نوى الغير ان يعمل له حيث صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعا فكان سعي الغير بذلك كأنه سعيه وايضا ان سعي الغير انما لم ينفعه اذا لم يوجد له سعي قط فاذا وجد له سعي بان يكون مؤمنا صالحا كان سعي الغير تابعا لسعيه فكأنه سعي بنفسه فان علقة الايمان وصلة وقرابة كما قال عليه السلام مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وقال عليه السلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين اصابعه فاذا سعى احد في الايمان والعمل الصالح فكأنه سعى بتأييد عضو اخيه وسد ثلمه فكان سعيه سعيه والحاصل انه لما كان مناط منفعة كل ما ذكر من الفوائد عمله الذي هو الايمان والصلاح ولم يكن لشيء منه نفع ما بدونهما جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام غيره اليه وفي اول باب الحج عن الغير

من الهداية الانسان له ان يجعل ثوابه عمله لغيره صلاة اوصوما او صدقة اوغيرها عند اهل السنة والجماعة وفى فتح الرحمن واختلاف الائمة فيما يفعل من القرب كالصلاة والصيام وقرآءة القرآن والصدقة ويهدى ثوابه للميت المسلم فقال ابو حنيفة واحمد يصل ذلك اليه ويحصل له نفعه بكرم الله ورحمته وقال مالك والشافعى يجوز ذلك فى الصدقة والعبادة المالية وفى الحج واما غير ذلك من الطاعات كالصلاة والصوم وقرآءة القرآن وغيره لايجوز ويكون ثوابه لفاعله وعند المعتزلة ليس للانسان جعل ثواب عمله مطلقا لغيره ولا يصل اليه ولاينفعه لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ولان الثواب الجنة وليس فى قدرة العبد ان يجعلها لنفسه فضلا عن غيره واختلفوا فيمن مات قبل ان يحج فقال ابو حنيفة ومالك يسقط عنه الحج بالموت ولا يلزم الحج عنه الا ان يوصى بذلك وقال الشافعى واحمد لايسقط عنه ويلزم الحج عنه من رأس ماله واختلفوا فيمن لم يحج عن نفسه هل يصح ان يحج عن غيره فقال ابو حنيفة ومالك يصح ويجزى عن الغير مع الكراهة وقال الشافعى واحمد لايصح ولوفعل وقع عن نفسه واما الصلاة فهى عبادة بدنية لاتصح فيها النيابة بمال ولا ببدن بالاتفاق وعند ابى حنيفة اذا مات وعليه صلوات يعطى لكل صلاة نصف صاع من بر اوصاع من تمر اوشعير اوقيمة ذلك فدية تصرف للمساكين وليس للمدفوع اليه عدد مخصوص فيجوز ان يدفع لمسكين واحد الفدية عن عدة صلوات ولايجوز ان تدفع فدية صلاة لاكثر من مسكين ثم لابد من الايصاء بذلك فلو تبرع الورثة بذلك جاز من غير لزوم وذلك عند ابى حنيفة خلافا للثلاثة (وروى) ان رجلا سأل النبى عليه السلام فقال كان لى ابوان ابرهما حال حياتهما فكيف ابرهما بعد موتهما فقال ان من البر بعد الموت ان تصلى لهما مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك رواه الدار قطنى عن على رضى الله عنه وهذا الحديث حجة لابى حنيفة فى تجويزه جعل العبادة البدنية ايضا لغيره خلافا للشافعى كامر (وروى) ايضا من مر على المقابر وقرأ قل هو الله احد عشر مرات ثم وهب اجرها للاموات اعطى من الاجر بعدد الاموات رواه الدار قطنى عن انس بن مالك رضى الله عنه مرفوعا فهذا ايضا حجة له فى تجويزه جعل ثواب التلاوة للغير خلافا للشافعى (وروى) عن النبى عليه السلام انه ضحى بكبشين املحين احدهما عن نفسه والآخر عن امته المؤمنين متفق عليه اى جعل ثوابه لها وهذا تعليم منه عليه السلام بان الانسان ينفعه عمل غيره والاقتداء به عليه السلام هو الاستمساك بالعروة الوثقى وكذا قال الحسن البصرى رحمه الله رأيت عليا رضى الله عنه يضحى بكبشين وقال ان رسول الله اوصانى ان اضحى عنه وكان الشيخ الفقيه القاضى الامام مفتى الانام عز الدين بن عبد السلام يفتى بأنه لايصل الى الميت ثواب مايقرأ ويحتج بقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فلما توفى رآه بعض اصحابه ممن يجالسه وسأله عن ذلك وقال له انك كنت تقول لايصل الى الميت ثواب مايقرأ ويهدى اليه فكيف الامر فقال له كنت اقول ذلك فى دار الدنيا والآن قد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله فى ذلك وانه يصل اليه ذلك وقد قيل ان ثواب القراءة للقارئ وللميت ثواب الاستماع ولذلك تلحقه الرحمة قال الله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون قال القرطبى ولايبعد من كرم الله ان يلحقه ثواب القراءة والاستماع جميعا ويلحقه ثواب مايهدى من قراءة القرآن وان لم يسمعه كالصدقة والاستغفار ولان القرآن دعاء واستغفار وتضرع وابتهال وماتقرب المتقربون الى الله بمثل القرآن انتهى * يقول الفقير فيه حجة على من انكر من اهل عصرنا جهر آية الكرسى اعقاب الصلوة واوجب اخفاءها وتلاوتها لكل واحد من الجماعة وذلك لان استماع القرآن اثوب من تلاوته فاذا قرأ المؤذن واستمع الحاضرون كانوا كانهم قرأوا جميعا واذا جاز وصول ثواب القرآءة والاستماع جميعا الى الميت فما ظنك بالحى اصلحنا الله واياكم (وروى) ان بعض النساء توفيت فرآها فى المنام امرأة كانت تعرفها واذا عندها تحت السرير آنية من نور مغطاة فسألتها مافى هذه الاوعية فقالت فيها هدية اهداها الى ابو اولادى البارحة فلما استيقظت المرأة ذكرت ذلك لزوج الميتة فقال قرأت البارحة شيأ من القرآن واهديته اليها وفى الحديث اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الامن ثلاث صدقة جارية اوعلم ينتفع به اوولد صالح يدعو له قال القرطبى القرآءة فى معنى الدعاء وذلك صدقة من الولد ومن الصاحب والصديق والمؤمنين قال ابن الملك فى شرح الحديث (اذا مات الانسان انقطع عنه عمله) اى تجدد الثواب له (الامن ثلاث صدقة جارية) كالاوقاف (اوعلم ينتفع به) قيل هو الاحكام المستنبطة من النصوص والظاهر انه عام متناول ماخلفه من تصنيف اوتعليم

فى العلوم الشرعية وما يحتاج اليه فى تعلمها قيد العلم بالمنتفع به لان ما لا ينتفع به لا يثمر اجرا (اوولد صالح يدعوله) قيد بالصالح لان الاجر لا يحصل من غيره واما الوزر فلا يلحق بالأب من سيئة ولده اذا كانت نيته فى تحصيل الخير واعاذكر الدعاله تحريضا للولد لان الاجر يحصل للوالد من ولده الصالح كلما عمل عملا صالحا سوآء دعالابيه اولا كمن غرس شجرة يحصل له من اكل ثمرتها ثواب سوآء دعاله من اكلها اولم يدع وكذلك الام قال بعض الكبار النكاح سنة نبيك فلا ترغب عنه واطلب من الله من يقوم مقامك بعد موتك حتى لا ينقطع عملك بموتك فان ابن آدم اذا مات انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية اوعلم بثه فى الناس اوولد صالح يدعوله وفى لفظ الصدقة الجارية اشارة الى افضلية الماء ولذا حفر سعد بيرًا لامه فان قلت ما التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام من سن فى الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة وقوله عليه السلام من مات يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيامة قلنا السنة المسنونة من جملة العلم المنتفع به ومعنى حديث المرابط ان ثواب عمله الذى قدمه فى حياته ينمو الى يوم القيامة واما الثلاثة المذكورة فى الحديث فانها اعمال تحدث بعد وفاته لا تنقطع عنه لانه سبب لها فيلحقه منها ثواب والحاصل ان المراد بهذا الحديث عمله المضاف الى نفسه فهو منقطع واما العمل المضاف الى غيره فلا ينقطع فللغير ان يجعل ماله من اجر عمله الى من اراد وقال بعضهم فى الآية ليس كل عمل الانسان انما بعضه لله مثل الصوم كما قال الصوم لى وانا اجزى به فثوابه فضل الله وهو رؤيته وتمسك بعض العلماء بهذا الحديث وظن ان الصيام مختص بعامله موفر له اجره لا يؤخذ منه شئ لمظلمة ظلمها وهذا القول مردود فان الحقوق تؤخذ من جميع الاعمال صيا ماكان اوغيره وقيل ان الصوم اذا لم يكن معلوما لاحد ولا مكتوبا فى الصحف هو الذى يستره الله ويخبأه لعامله حتى يكون له جنة من العذاب فتطرح اولئك عليه سيئاتهم فتنصرف عنهم ويقيه الصوم فلا تضر باصحابها الزوالهاعنهم ولا به لان الصوم جنة وهذا تأويل حسن دافع للتعارض قال البقلى رحمه الله فى تأويل الآية ليس للصورة الانسانية الا ما سعت من الاعمال الزكية عن الرياء والسمعة يؤول ثوابها اليها من درجات الجنان اما ما يتعلق بفضل الله وجوده من مشاهدته وقربته فهو للروح والروحانى الذى فى تلك الصورة فانه اذا استوى فى درجات الجنان التى هى جزاء اعماله الصالحة تمتع ايضا بما يجد روحه من فضل الله المتعلق بكشف حجاب جماله وايضا ليس للانسان الا ما يليق بالانسان من الاعمال واما الفضل كالمشاهدة والقربة فهو لله يؤتيه من يشاء فاذا وصل الى مشاهدة الله وتمتع بها فليس ذلك له انما ذلك لله وان كان هو متمتعا به وقال ابن عطاء ليس للانسان من سعيه الا ما نواه ان كان سعيه لرضى الرحمن فان الله يرزقه الرضوان وان كان سعيه للثواب والعطاء والاعواض فله ذلك وقال النصر آبادى سعى الانسان فى طريق السلوك لا فى طريق التحقيق فاذا تحقق يسعى به ولا يسعى هو بنفسه واما قول العارف الجامى * سالكان بى كشش دوست بجايى نرسند * سالها كرچه درين راه تك وبوى كنند * فقد لا ينافيه فانه لا فائدة فى السعى بدون الجذبة الالهية فالسعى منسوب الى السالك والجذبة مضافة الى الله تعالى واما المنتهى فالسعى والجذبة بالنسبة اليه كلاهما من الله تعالى اذ ليس بمتحقق من لم يكن حركاته وسكناته بالله ثم ان الطريق قد يثنى كطريق الحج من البر والبحر واما طريق الحق فمفرد اى من حيث الجمعية الوحدانية والا فالطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق فعند النهاية يحصل الالتقاء ولذا قال تعالى وان الى ربك المنتهى مع انه فرق بين وصول ووصول كالناظرين كل ينظر بحسب قوة نور بصره وضعفه وان كان المرئى واحدا ثم ان الله يوصل السالك بعد موته الى محل همته لانه كانه حاصل سعيه وقدم تحقيقه فى محله نسأل الله الوصول الى غاية المطالب بحرمة اسمه الواهب (وان سعيه) اى سعى الانسان وهو عمله كما فى قوله تعالى ان سعيكم لشتى وهو مع خبره معطوف على ما قبله من الا تزر الخ على معنى ان المذكورات كلها فى الصحف (سوف يرى) اى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة فى صحيفة وميزانه من أريته الشئ عرضته عليه وفيه اشارة الى ان الانسان له مراتب فى السعى و بحسب كل مرتبة يجد سعيه فى الحال لا يزيد ولا ينقص وايضا فى المآل واول مراتبه فى السعى مرتبة النفس وسعيه فى هذه المرتبة تزكية النفس عن المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية بالموافقات الشرعية والمخالفات الطبيعية اذ العلاج بضدها واثر هذا السعى ونتيجته حصول الجنات التى تجرى من تحتها الانهار والحور والقصور والغلمان كما اخبر الكتاب العزيز فى غير موضع والمرتبة الثانية

والسعى فيها تصفية القلب عن صداء الظلمات البشرية وغطاء الكدورات الطبيعية واثر هذا السعى ونتيجته ترك حب الدنيا وشهواتها ولذاتها وزخارفها ومالها وجاهها والمرتبة الثالثة والسعى فيها تحلية السر بالصفات الالهية والاخلاق الربانية واثر هذا السعى ونتيجته حصول شواهد التجليات الصفاتية والاسمائية والمرتبة الرابعة والسعى فيها تحلية الروح بالتجليات الذاتية والمشاهدات الحقانية واثر هذا السعى ونتيجته هو الفناء عن انانيته والبقاء بهويته الاحدية المطلقة عن التقييد والاطلاق واللا تقيد واللا اطلاق وقال الواسطى فى الاية انه لم يكن مما يستجلب به شئ من الثواب وقال سهل سوف يرى سعيه فيعلم انه لا يصلح للحق ويعلم ما الذى يستحق بسعيه وانه لو لم يلحقه فضل ربه لهلك بسعيه (ثم يجزاه) اى يجزى الانسان بسعيه اى جزاء عمله يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وايصال الفعل (الجزاء الاوفى) اى الاوفر الاتم ان خيرا فخير وان شرا فشر وهو مفعول مطلق مبين للنوع قال الوراق وان ليس للانسان الا ما سعى ذلك فى بدايته وان سعيه سوف يرى ذلك فى توسط اموره ثم يجزاه الجزاء الاوفى ذلك فى نهاياته ولنهاياته باعتبار الفناء والبقاء ففى الفناء يحصل الجزاء الذى هو الشهود وفى البقاء يحصل الجزاء الذى هو تربية الجسد والوجود وذلك باستيفاء ما ترك فى بداية سلوكه من المباحات المشروعة من الاكل والشرب والملبس والمنكح والتوسعة فى معايش الدنيا واسبابها فبعد تحققه بعالم الوحدة يرد الى عالم الكثرة ولكن لا تضره الكثرة اذا اصلا

(وان الى ربك المنتهى) مصدر بمعنى الانتهاء اى انتهاء الخلق فى رجوعهم الى الله تعالى بعد الموت لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازيهم باعمالهم وفى الحقيقة انتهاء الخلق اليه تعالى فى البداية والنهاية الا الى الله تصير الامور اذ لا اله الا هو (وفى المثنوى) دست بربالاى دست اين تاكجا * تابيزدان كه اليه المنتهى * كان يكى درياست بى غور وكران * جمله درياها چوسيلى پيش آن * حيلها وچارها كرا ژدها ست * پيش الا الله انها جمله لاست * قال ابن عطاء من كان منه مبدأه كان اليه منتهاه واذا وصل العبد الى معرفة الربوبية ينحرف عند كل فتنة ولا يكون له مشيئة غير اختيار الله له قيل للحسين ما التوحيد قال ان تعتقد انه معلل الكل بقوله هو الاول وعند ذلك تطلب المعلولات منه الابتداء واليه الانتهاء ذهبت المعلولات وبقى المعلل بها قال بعض الكبار من ادل دليل على توحيد الله تعالى عند من لا كشف عنده كونه تعالى عند النظار والفلاسفة علة العلل وهذا توحيد ذاتى ينتفى معه الشريك بلاشك غير ان اطلاق هذا اللفظ عليه تعالى لم يرد به الشرع فلا تدعوه به ولا تطلقه عليه فاعلم ذلك (وانه) تعالى (هو) وحده (اضحك وابكى) الضحك انبساط الوجه وتكشر الاسنان من سرور النفس ولظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان الضواحك والبكاء بالمد سيلان الدمع عن حزن وعويل يقال اذا كان الصوت اغلب كالرغاء وسائر هذه الابنية الموضوعة للصوت وبالقصر يقال اذا كان الحزن اغلب وقوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اشارة الى الفرح والترح وان لم يكن مع الضحك قهقهة ولا مع البكاء اسالة دمع كما فى المفردات والمعنى هو خلق قوتى الضحك والبكاء فى الانسان منهما ينبعث الضحك والبكاء والانسان لا يعلم ما تلك القوة وهما كائنتان عن السرور والحزن كأنه قيل افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء او عما يسر ويحزن وهو الاعمال الصالحة والاعمال الطالحة او اضحك فى الدنيا اهل النعمة وابكى اهل الشدة والمصيبة او اضحك فى الجنة اهلها وابكى فى النار اهلها او اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر او الاشجار بالانوار والسحاب بالامطار او القراطيس بالارقام والاقلام بالمداد او اضحك القرد وابكى البعير او اضحك بالوعد وابكى بالوعيد او اضحك المطيع بالرضى وابكى العاصى بالسخط او اضحك قلوب العارفين بالحكمة وابكى عيونهم بالحزن والحرقة او اضحك قلوب اوليائه بانوار معرفته وابكى قلوب اعدائه بظلمات سخطه او اضحك المستأنسين بنرجس مودته وياسمين قربته وطيب شمال جماله وابكى المشتاقين بظهور عظمته وجلاله او اضحك بالاقبال على الحق وابكى بالادبار عنه او اضحك الاسنان وابكى الاجفان او بالعكس قال الشاعر

السن تضحك والاحشاء تحترق * وانما ضحكها زور ومختلق

يارب باك بعين لا دموع لها * ورب ضاحك سن ما به رمق

اواضحك بتجليه اللطفى الجمالى القلب المنور بنور اللطف والجمال وابكى بتجليه القهرى الجلالى النفس المظلمة

بظلمة القهر والجلال اواضحك بتجليه الجلالى النفس على القلب عند استيلاء ظلمة النفس على القلب وابكى بتجليه الجمالى القلب على النفس عند غلبة انوار القلب على النفس وفى الآية دلالة على ان كل مايعمله الانسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء قالت عائشة رضى الله عنها مر النبى عليه السلام على قوم يضحكون فقال لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول وانه هو اضحك وابكى فرجع اليهم فقال ما خطوت اربعين خطوة حتى اتانى جبريل فقال ائت هؤلاء فقل لهم أن الله يقول هو اضحك وابكى وسئل طاهر المقدسى اتضحك الملائكة فقال ماضحك من دون العرش منذ خلقت جهنم وقال النبى عليه السلام لجبرائيل مالى لم ارميكائيل ضاحكا قط قال ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار وقيل لعمر رضى الله عنه هل كان اصحاب رسول الله عليه السلام يضحكون قال نعم والله والايمان اثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى وعن سماك بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة رضى الله عنه اكنت تجالس النبى عليه السلام قال نعم وكان اصحابه يجلسون فيتناشدون الشعر ويذكرون اشياء من امر الجاهلية فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعنى النبى عليه السلام ولقى يحيى عيسى عليهما السلام فتبسم عيسى فى وجه يحيى فقال مالى اراك لاهيا كأنك آمن فقال مالى اراك عابسا كأنك آيس فقالا لانبرح حتى ينزل علينا الوحى فاوحى الله تعالى احبكما الى احسنكما ظنا بى (وروى) احبكما الى الطلق البسام وقال الحسن يا ابن آدم تضحك ولعل كفنك خرج من عند القصار و بكى نوح عليه السلام ثلاثمائة سنة بقوله ان ابنى من اهلى وقال كعب لان ابكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجنتى احب الى من ان اتصدق بجبل ذهب والنافع بكاء القلب لا العين فقط * بران ازدوسر چشمهٔ ديده جوى * ورا لايشى دارى ازخود بشوى (وانه هو امات واحيى) لايقدر على الاحياء والاماتة غيره لاخلقا ولا كسبا فان اثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله على العادة فلاعبد نقض البنية كسبا دون الاماتة وبالفارسية قادر براماته واحيا اوست وبس مى ميراند بوقت اجل دردنيا وزنده ميسازد درقبر باوسازندهٔ اسباب موت وحياتست وكفته اند مرده ميسازد كافرانرا بشكرت وزنده ميكند مؤمنانرا بمعرفت و بقول بعض اماته واحيا بجهل وعلم است يابخل وجود يا بعدل وفضل يابه منع واعطا وقيل الخصب والجدب اوالاباء والابناء اوايقظ وانام اوالنطفة والنسمة وزد محققان بميت وانس يا باستتار وتجلى وامام قشيرى فرموده كه ميراند نفوس زاهدانرا باثار مجاهدت وزنده كرداند قلوب عارفانرا بانوار مشاهدت ياهركه رامرتبهٔ فنافى الله رساند جرعهٔ ازساغر بقابالله چشاند اوامات النفس عن الشهوات الجسمانية واللذات الحيوانية واحيى القلب بالصفات الروحانية والاخلاق الربانية اوامات النفس بغلبة القلب عليها واحياها اوامات القلب باستيلاء النفس عليه واحياها وهذه الاحكام المختلفة مادام القلب فى مقام التلوين فاما اذا ترقى الى مقام الاطمئنان والتمكين فلا يصير القلب مغلوبا للنفس بل تكون النفس مغلوبة للقلب ابد الآباد الى ان تموت تحت قهره بامر ربه يقول الفقير قدم الاماتة على الاحياء رعاية للفاصلة ولان النطفة قبل النسمة ولان موت القلب قبل حياته ولان موت الجسد قبل حياته فى القبر وايضا فى تقديم الاماتة تعجيل لاثر القهر لينتبه المخاطبون وايضا ان العدم قبل الوجود ثم ان مآل الوجود الى الفناء والعدم فلا ينبغى الاغترار بحياة بين الموتين ووجود بين العدمين والله الموفق (وانه) وآنكه خداى تعالى (خلق الزوجين) بيافريد ازانسان دوصنف وفى بعض التفاسير من كل الحيوان وفيه ان كل حيوان لايخلق من النطفة بل بعضه من الريح كالطير فان البيضة المخلوقة منها الدجاجة مخلوقة من ريح الديك (الذكر والانثى) نروماده (من نطفة) هى الماء الصافى و يعبر بها عن ماء الرجل كما فى المفردات (اذا تمنى) تدفق فى الرحم وتصب وبالفارسية ازآب منى وقتى كه ريخته شود دررحم وآدم وحوا وعيسى عليهم السلام ازين مستثنى اند فهو من امنى بمعنى امناء وهو بالفارسية منى آوردن قال تعالى افرأيتم ماتمنون وفى القاموس منى وامنى ومنى بمعنى اومعنى تمنى يقدر منها الولد من مناه الله يمنيه قدره اذليس كل منى يصير ولدا وفيه اشارة الى انه تعالى خلق زوج ذكر الروح موصوفا بصفة الفاعلية وخلق زوجة انثى النفس موصوفة بصفة القابلية ليحصل للقلب من مقدمتى الروح والنفس نتيجة صادقة صالحة لحصول المطالب الدنيوية والاخروية من نطفة

واقعة كائنة مستقرة فى رحم الارادة الازلية اذا تمنى اذا تحرك وتدفق فى رحم الارادة القديمة اواذا قدر المقدر بالحكمة البالغة قدم الذكر رعاية للفاصلة ولشرفه الرتبى وان كان الاصل فى العالم الانوثة ولذلك سرت فيه باسره ولكن لما كانت فى النساء اظهر حببت الاكابر حتى آجر موسى عليه السلام نفسه فى مهر امرأة عشر سنين وحتى ان اعاظم ملوك الدنيا يكون عند الجماع كهيئة الساجد فاعلم ذلك فلما كان لايخلو العوالم عن نكاح صورى اومعنوى كان نصف الخلق الذكر ونصفه الانثى وان شئت قلت الفاعل والقابل والانسان برزخ هاتين الحقيقتين (وان عليه) اى على الله تعالى (النشأة الاخرى) اى الخلقة الاخرى وهو الاحياء بعد الموت وفاء بوعده لالانه يجب على الله كايزعمه ظاهر كلمة على وفيه تصريح بان الحكمة الآلهية اقتضت النشأة الثانية الصورية للجزاء والمكافاة وايصال المؤمنين بالتدريج الى كمالهم اللائق بهم ولواراد تعجيل اجورهم فى هذه الدار لضاقت الدنيا باجر واحد منهم فاطلب بالباقى ومن طلب تعجيل نتائج اعماله واحواله فى هذه الدار فقداساء الأدب وعامل الموطن بمالا يقتضيه حقيقته واما اذا استقام العبد فى مقام عبوديته وعجل له الحق نتيجة ما اوكرامة فان من الادب قبولها ان كانت مطهرة من شوائب الحظوظ وبالجملة فالخير فيما اختاره الله لك ثم ان النشأة الاخرى الصورية مترتبة على كمال الفناء الصورى مع الاستعداد والتهيؤ لقبول الروح فكذا النشأة الاخرى المعنوية وهى البقاء والاتصاف بالصفات الآلهية موقوفة على تمام الفناء المعنوى والانسلاخ عن الاوصاف البشرية بالكلية مع الاستعداد والتهيؤ لقبول الفيض وبالجملة فلا بد فى كلتا النشأتين من صحة المزاج الاترى ان الجنين اذا فسد فى الرحم سقط بل الرحم اذا فسدت لم تقبل العلوق والى الولادة الثانية التى هى النشأة الاخرى اشار عيسى عليه السلام بقوله لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين ومعنى ملكوت السموات حقائقها وانوارها واسرارها فكل نبى وولى وارث متحقق بهذا الوالوج والولادة الثانية (وانه هو اغنى) اعطى الغنى للناس بالاموال (واقنى) واعطى القنية وهى ما يتأثل من الاموال اى يتخذ اصلا ويدخر بان يقصد حفظه استثمارا واستنماء وان لايخرج عن ملكه وفى المثل لاتقتن من كلب سوء جروا يقال قنوت الغنم وغيرها وقنيتها قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لاللتجارة وفى تاج المصادر الاقناء سرمايه دادن وخشنود كردن قال بعضهم اغنى الناس بالكفاية والاموال واعطى القنية ومايدخرونه بعد الكفاية وقال الضحاك اغنى بالذهب والفضة والثياب والمسكن واقنى بالابل والبقر والغنم والدواب وافراد القنية بالذكر اى بعد قوله اغنى لانها اشرف الاموال وافضلها اومعنى اقنى ارضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية والاوفق لما تقدمه من الآى المشتملة على مراعاة صنعة الطباق ان يحمل على معنى افقر على ان تكون الهمزة اى فى اقنى للازالة كما قاله سعدى المفتى قال الجنيد قدس سره اغنى قوما به وافقر قوما منه وقال بعضهم فيه اشارة الى افاضة الفيض الآلهى على القلب السليم المستقيم الثابت على دين الله كما قال عليه السلام اللهم ثبت قلبى على دينك وابقاء ذلك الفيض الالهى عليه بحيث لايستهلك ذلك الفيض ولا يضمحل تحت غلبة ظلمة النفس الامارة بالسوء لتمكن ذلك القلب وعدم تلونه بخلاف القلب المتلون فانه لعدم تمكنه فى بعض الاوقات يتكدر بظلمة النفس ويزول عنه ذلك النور المفاض عليه المضاف اليه وهو المعنى بقوله اقنى اى جعل فيه ذلك النور قنية ثم ان الآية دلت على اباحة التأثل من الاموال النافعة دون غيرها ولذا نهى عن اقتناء الكلب اى امساكه بلافائدة من جهة حفظ الزرع او الضرع اونحو ذلك والنفس الامارة اشد من الكلب العقور ففى اقتناء الروح النامى مندوحة عن اقتنائها لانها ابتر عقيم لاخير فيها الاترى ان مرتبة النفس والطبيعة تبقى هنا ولاتستصحب الانسان الكامل فى النشأة الجنانية اذا الجنان كالمرعى الطيب والروض الانف فلا يرعى فيها الاالروح الطيب والجسد النظيف (وانه هو رب الشعرى) اى رب معبود هم فاعبدوا الرب دون المربوب والشعرى كوكب نير خلف الجوزاء يقال لها العبور بالمهملة كالصبور وهى اشد ضياء من الغميصاء بالغين المعجمة المضمومة وفتح الميم والصاد المهملة وهى احدى الشعريين يعنى ان الشعرى شعريان احدهما الشعرى اليمانية وتسمى ايضا الشعرى العبور وثانيتهما الشعرى الشامية وتسمى ايضا الشعرى الغميصاء فصلت المجرة بينهما تزعم العرب ان الشعريين اختا سهيل وان الثلاثة كانت مجتمعة فانحدر سهيل نحو اليمن وتبعته العبور فعبرت المجرة ولقيت سهيلا واقامت الغميصاء فبكت

افقد سهيل فغمصت عينها اى كانت اقل نورا من العبور واخفى والغمص فى العين ماسال من الرمص يقال غمصت عينه بالكسر غمصا وكانت خزاعة تعبد الشعرى سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم فقال لقومه ان النجوم تقطع السماء عرضا وهذه تقطعها طولا فليس شئ مثلها فعبدتها خزاعة وخالف ابو كبشة قريشا فى عبادة الاوثان ولذلك كانت قريش يسمون الرسول عليه السلام ابن ابى كبشة لا يريدون بذلك الاتصال نسبة اليه وان كان الامر كذلك اى لان اباكبشة احد اجداد النبى عليه السلام من قبل امه بل يريدون به موافقته عليه السلام له فى ترك عبادة الاوثان واحداث دين جديد فالنبى عليه السلام كما وافق اباكبشة فى مخالفة قريش بترك عبادة الاصنام خالفه ايضا بترك عبادة الشعرى وهو اشارة الى شعرى النفس المسماة بكلب الجبار التى عبدها خزاعة اهل الاهواء وابو كبشة اهل البدع من الفلاسفة والزنادقة (وانه اهلك عادا الاولى) هى قوم هود عليه السلام اهلكوا بريح صرصر وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح اى المراد بعاد اى جميع من انتسب الى عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح ووصفهم بالاولية ليس للاحتراز عن عاد الاخيرة بل لتقدم هلاكهم بحسب الزمان على هلاك سائر الامم بعد قوم نوح قال فى التكملة وصف عاد بالاولى يدل على ان لها ثانية فالاولى هى عاد بن ارم قوم هود والثانية من ولدها وهى التى قاتلها موسى عليه السلام باريحاء كانوا تناسلوا من الهزيلة بنت معاوية وهى التى نجت من قوم عاد مع بنيها الاربعة عمرو وعمرو وعامر والعتيد وكانت الهزيلة من العماليق (وثمود) عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيما قبله لما ان النافية عن العمل وهم قوم صالح عليه السلام اهلكهم الله بالصيحة (فما ابقى) اى احدا من الفريقين ويجوز ان يكون المعنى فما ابقى عليهما فالابقاء على هذا المعنى الترحم وهو بالفارسية بخشودن والعالم يترحم عليهم لكونهم من اهل الغضب ورحمة الله لاهل اللطف دون القهر وفيه اشارة الى التربية فاولا باللطف وثانيا بالعتاب وثالثا بالعقاب فان لم يحصل التنبه فبالازالة والاهلاك وهكذا عادة الله فى خلقه فلينتبه العباد وليحافظوا على المراتب فى تربية عبيدهم وامائهم وخدمهم مطلقا (وقوم نوح) عطف عليه ايضا (من قبل) اى من قبل اهلاك عاد وثمود (انهم) اى قوم نوح (كانوهم اظلم) لنبيهم (واطغى) من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لا يكون به حراك وما اثرت فيهم دعوته قريبا من الف سنة وما آمن من معه الا القليل * باسيه دل چه سود كفتن وعظ * نرود ميخ آهنين درسنك * وفيه اشارة الى اهلاك صفات القلب من قبل ان تمكن فى سفينة التوحيد فانهم كانوا مذبذبين منقلبين بين القلب وبين النفس ظالمين على القلب بمشاهدة الكثرة طاغين عليه بالميل الى النفس وصفاتها (والمؤتفكة) هى قرى قوم لوط عليه السلام يعنى شهرستان قوم لوط عليه السلام ائتفكت باهلها اى انقلبت بهم وهو منصوب عطفا على عادا اى واهلك المؤتفكة وقيل هو منصوب بقوله (اهوى) اى اسقطها الى الارض مقلوبة بعد ان رفعها على جناح جبريل الى السماء فالاهواء بمعنى انداختن وقال الزجاج القاها فى الهاوية (فغشاها ماغشى) من فنون العذاب (وقال الكاشفى) پس بپوشانيد آن شهرهارا آنچه بپوشانيد يعنى سنكهاء نشان داده بران بارانيد وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه قوله ماغشى مفعول ثان ان قلنا ان التضعيف للتعدية اى البس الله المؤتفكة ما البسها اياه من العذاب كالحجارة المنضودة المسومة فهو لا الفعل الاول مذكوران والثانى محذوفان وان قلنا انه للمبالغة والتكثير فهو فاعل كقوله فغشيهم من اليم ماغشيهم وفى الآية اشارة الى قرية القالب وانقلابها من اعلى الكمال الى اسفل النقصان ومن اعتدال المزاج الى انحرافه وذلك سبب ظلم النفس الامارة عليها باستيفاء الحظوظ والشهوات كما قال تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها الآية (فباى آلاء ربك تتمارى) الآلاء النعم واحدها الى والى كما فى القاموس والتمارى والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية اى شك وتردد قال فى تاج المصادر التمارى بشك شدن وبايكديكر بستيهيدن واسناد فعل التمارى الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه والخطاب للرسول عليه السلام فهو من باب الالهاب والتعريض بالغير على طريقة قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك اولكل واحد وجعل الامور المعدودة آلاء مع ان بعضها نقم لما انها ايضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات

وعبر للمعتبرين قال فى بحر العلوم وهلاك اعدآء الله والنجاة من صحبتهم وشرهم والعصمة من مكرهم من اعظم الآلاء الواصلة الى المؤمنين قال المتنبى

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وقدام نوحا بالحمد على ذلك فى قوله فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقد حمد هو نفسه على ذلك فى موضع آخر تعليما لعباده حيث قال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقد سجد عليه السلام سجدة الشكر حين رأى رأس ابى جهل قد قطعت فى غزوة بدر * وفى التأويلات النجمية يشير الى استحقاق الشكر الجزيل على آلائه التى عددها وسماها آلاء لاشتمالها على نعم المواعظ ونعم الزواجر واستبعاد الشك والمماراة فيها والخطاب لافراد الامة لاشتمال النبى عليه السلام على امته كما قال ان ابراهيم كان امة قانتا انتهى ومعنى الآية اذا عرفت يا محمد هذه المذكورات فأى نعمة من نعم ربك تتشكك بانها ليست من عند الله او فى كونها نعمة وبالفارسية پس بكدامين از نعمتهاء آفريد كارخود شك مى آرى وجدال ميكنى فكما نصرت اخوانك من الانبياء الماضين ونصرت اولياءهم واهلكت اعداءهم فكذلك افعل بك فلا يكن قلبك فى ضيق وحرج مما رأيت من اصرار هؤلاء القوم وعنادهم واستكبارهم (هذا نذير من النذر الاولى) هذا اما اشارة الى القرآن والنذير مصدر اى هذا القرآن الذى تشاهدونه انذار كائن من قبيل الانذارات المتقدمة التى سمعتم عاقبتها اوالى الرسول والنذير بمعنى المنذر اى هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين والاولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين وفى التأويلات النجمية يشير الى القرآن اوالى الرسول وشبه انذارهما بانذار الكتب الماضية والرسل المتقدمة يقول الفقير فيه اشارة الى نذارة كل ورثته عليه السلام فان كل نذير متأخر فهو من قبيل النذر الاولى لاتحاد كلهم ودعوتهم الى الله على بصيرة وكذا ما الهموا به من الانذارات بحسب الاعصار والمشارب فطوبى لاهل المتابعة وويل لاهل المخالفة بكوى انچه دانى سخن سود مند * وكر هيچ كس رانيايد پسند * كه فردا پشيمان برآرد خروش * كه آوخ چرا حق نكردم بكوش * بكمراه كفتن نكو ميروى * كناه بزركست وجور قوى * مكو شهد شيرين شكر فايقست * كسى راكه سقمونيا لايقست * چه خوش كفت يكروز دارو فروش * شفا بايدت داروى تلخ نوش (ازفت الآزفة) فى ايراده عقيب المذكورات اشعار بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيامة تعظيما للنبى عليه السلام وان كانوا معذبين فى الدنيا ايضا فى الجملة واللام للعهد فلذا صح الاخبار بدونها ولو كانت للجنس لما صح لانه لا فائدة فى الاخبار بقرب آزفة ما فان قلت الاخبار بقرب الآزفة المعهودة لا فائدة فيه ايضا قلت فيه فائدة وهو التأكيد وتقرير الانذار والازف ضيق الوقت لقرب وقت الساعة وعلى ذلك عبر عن القيامة بالساعة يقال ازف الترحل كفرح ازفا وازوفا دنا والازف محركة الضيق كما فى القاموس والمعنى دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله تعالى اقتربت الساعة اى فى الدلالة على كمال قربها لما فى صيغة الافتعال من المبالغة ففى الآية اشارة الى كمال قربها حيث نسب القرب الى الموصوف به (ليس لها من دون الله كاشفة) اى ليس لها نفس قادرة على كشفها اى ازالتها وردها عند وقوعها فى وقتها المقدر لها الا الله لكنه لا يكشفها من كشف الضر اى ازاله بالكلية فالكاشفة اسم فاعل والتاء للتأنيث والموصوف مقدر او ليس لها الآن نفس كاشفة بتأخيرها الا الله فانه المؤخر لها يعنى لو وقعت الآن لم يردها الى وقتها احد الا الله فالكشف بمعنى الازالة لا بالكلية بل بالتأخير الى وقتها او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اى عالمة به من كشف الشئ اذا عرف حقيقته او مبينة له متى تقوم وفى القرآن لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها من غير الله كشف على ان كاشفة مصدر كالعاقبة والخائنة واما جعل التاء للمبالغة كتاء علامة فالمقام يأباه لايهامه ثبوت اصل الكشف لغيره وفى الآية اشارة الى قرب القيامة الكبرى ووقوع الطامة العظمى وهى ظهور الحقيقة المثلى لاهل الفناء عن نفوسهم والاقبال على الله بجمع الهمة وقوة العزيمة ليس لها من دون الله كاشفة بالنسبة الى اهل الحجاب لانهم مستغرقون فى بحر الغفلة مستهلكون فى اسر الشهوة والانسان فان فى كل آن وزمان وماله شعور بذلك فبالية كشف عن غطائه وتشرف برؤية الله ولقائه وقد قالوا قيامة العارفين دائمة اى لانهم فى شهود الامر على ما كان عليه ولا يتوقف شهودهم على وقوع القيامة الظاهرة ومن هنا قال الامام على كرم الله وجهه لو كشف الغطاء

ما ازددت يقينا فطوبى لمن زاد يقينه ووصل الى حق اليقين وتمكن فى مقام التحقيق والله المعين
(افمن هذا الحديث) آيا ازين سخن كه قرآنست (تعجبون) انكارا قال الراغب العجب والتعجب حالة
تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشئ ولهذا قال بعض الحكماء العجب مالا يعرف سببه (وتضحكون)
استهزاء مع كونه ابعد شئ من ذلك قال الراغب واستعير الضحك للسخرية فقيل ضحكت منه (ولا تبكون)
حزنا على مافرطتم فى شانه وخوفا من ان يحيق بكم ماحاق بالامم المذكورة (روى) انه عليه السلام لم ير ضاحكا بعد
نزول هذه الآية وعن ابى هريرة رضى الله عنه لما نزلت هذه الآية بكى اهل الصفة حتى جرت دموعهم على
خدودهم فلما سمع رسول الله عليه السلام حنينهم بكى معهم فبكينا لبكائه فقال عليه السلام لا يلج النار من بكى
من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ثم يغفر لهم (وروى)
ان النبى عليه السلام نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكى فقال له من هذا فقال فلان فقال جبرائيل انا نزن
اعمال بنى آدم كلها الا البكاء فان الله ليطفئ بالدمعة بحورا من نيران جهنم وفى الحديث (ان هذا القرآن نزل
بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا) وذلك فان الحزن يؤدى الى السرور والبكاء الى الضحك
(قال الصائب) مثال اى ساكن بيت الحزن ازچشم تاريكى * كه خواهد صيقلى كشت ازجمال روشن
يوسف (وقال) خنده كردن رخنه درقصر حيات افكندنست * خانهٔ دربسته باشد تاغمين باشد كسى
(وانتم سامدون) اى لاهون او مستكبرون من سمد البعير فى مسيره اذا رفع رأسه قال الراغب السامد اللاهى
الرافع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير وكانوا اذا سمعوا القرآن
عارضوه بالغناء واللهو ليشغلوهم عن الاستماع او خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع والجملة
حال من فاعل لاتبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للمنفى والانكار وارد على نفى البكاء والسمود
معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفى والانكار متوجه الى نفى البكاء ووجود السمود والاول اوفى بحق المقام
فتدبر كما فى الارشاد (فاسجدوا لله واعبدوا) الفاء لترتيب الامر او موجبه على ماتقرر من بطلان مقابلة
القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع اى واذا كان الامر كذلك
فاسجدوا لله الذى انزله واعبدوه ولا تعبدوا غيره من ملك او بشر فضلا عن جماد لايضر ولا ينفع كالاصنام
والكواكب قال فى عين المعانى فاسجدوا اى فى الصلاة والاصح انه على الانفراد وهى سجدة التلاوة انتهى
وهذا محل سجود عند ابى حنيفة والشافعى واحمد وهو قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لانه صح عن رسول
الله عليه السلام انه سجد بالنجم يعنى بعد تلاوته هذه السورة على قريش سجد وسجد معه المؤمن والمشرك
والانس والجن كما سبق وليس يراها مالك لما روى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه انه قرأ على النبى عليه السلام
والنجم فلم يسجد فيها (قال الكاشفى) اين سجدهٔ دوازدهم است ازسجدات قرآنى درفتوحات اين را سجدهٔ
عبادت كفته كه امر الهى بذلت ومسكنت مقترنست بوى وجز سالكان طريقت عبادت وعبوديت بسر
منزل سراين سخن نرسيده اند وفى تأويلات البقلى اى اذا قرب ايام الوصال فاشتاقوا وسارعوا فى بذل الوجود
ووضع الخدود على التراب واعبدوا رب الارباب لوجود كشف النقاب قال شيخى وسندى روح الله روحه
فى كتاب البرقيات له يعنى اسجدوا لله واعبدوا الله بالله لا بالنفس اذا سجدتم وعبدتم له بسجدة القالب بالانقياد
وعبادته بالاذعان فى مرتبة الشريعة وبسجدة القلب بالفناء وعبادته بالاستهلاك فى مرتبة الحقيقة حتى
تكون سجدتكم وعبادتكم محض قربة الى الله فى المرتبة الاولى وصرف وصلة الى الله فى المرتبة الثانية وتكونوا
من المقربين اولا ومن الواصلين ثانيا هذا شان عباد الله الموحدين المخلصين الفانين فى الله الباقين بالله
واما طاعة من عداهم فبانفسهم وهواهم لعدم تخلصهم من الشوائب النفسانية فى مقام الشريعة
ومن الشوائب الغيرية فى مقام الحقيقة واعلم ان سجدة القالب وعبادته منقطعة لانقطاع سببها ومحلها
وموطنها لانها حادثة فانية زائلة واما سجدة القلب وعبادته وهى فناوه فى الله ازلا وابدا بحسب نفسه وان كان
باقيا بالله بحسب تحلية الوجود فغير منقطعة بل هى دائمة لدوام سببها وباقية لبقاء محلها وموطنها ازلا وابدا
والمقصود من وضع السجدة والعبادة القالبية هو الوصول الى شهود السجدة والعبادة القلبية ولذا احب
الى النبى عليه السلام ثلاث الطيب والنساء والصلاة اما الاول فلانه يوجد فى نفسه ذوق الانس والمحاضرة

واما الثانى فلأنه يوجد فيه ذوق القربة والوصلة واما الثالث فلأنه يوجد فيه ذوق المكاشفة والمشاهدة وهذه الاذواق انما يتحقق بها من الانس من هو الانسان الحقيقى المتحقق بسر الحضرة الاحدية والمتنور بنور الحضرة الواحدية وهو المنتفع بانسانيته انتفاعا تاما واما الانسان الحيوانى فلا حظ له من ذلك التحقق ولا نصيب له من هذا الانتفاع بل حظه ونصيبه انما هو الشهوات الطبيعيه والانسان الاول فى اعلى عليين والثانى فى اسفل السافلين وبينهما بون بعيد كما بين الاوج والحضيض وبكمال علو الاول قد يستغنى عن الاكل والشرب كالملائكة بالاذواق الروحانية والتجليات الربانية وذلك مدة كثيرة كما وقع لبعضهم ولتمام تسفل الثانى يأكل كما تأكل الانعام فلا يقنع فى اليوم والليلة بمرة من الاكل بل يحتاج الى مرات منها والا يقع فى الاضطراب والذبول والنحول وربما تؤدى قلة الاكل الى هلاكه كما حكى ان شخصين احدهما سمين والآخر هزيل حبسا فى تهمة ومنع عنهما الغذاء اسبوعا فبعد الاسبوع تبين ان ليس لهما جرم فاذا السمين قد مات والهزيل حى وذلك لان من اعتاد الاكل اذا لم يجده هلك

تمت سورة النجم بعون الله تعالى فى الحادى عشر من شهر رمضان المنتظم فى سلك شهور سنة اربع عشرة ومائة والف ويتلوها سورة القمر وآيها خمس وخمسون وهى مكية عند الجمهور والله اعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة) الاقتراب نزديك آمدن والساعة جزء من اجزاء الزمان عبربها عن القيامة تشبيها لها بذلك لسرعة حسابها اولانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا اولانها ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم اولغير ذلك كما بين فيما سبق والمعنى دنت القيامة وقرب قيامها ووقوعها لانه مابقى من الدنيا الاقليل كما قال عليه السلام ان الله جعل الدنيا كلها قليلا فمابقى منها قليل من قليل ومثل مابقى مثل الثغب اى الغدير شرب صفوه وبقى كدره فالاقتراب يدل على مضى الاكثر وبقى الاقل عن قريب كما مضى الاكثر وبيانه انه مضى من يوم السنبلة وهو سبعة آلاف سنة وقد صح ان مدة هذه الامة تزيد على الف بنحو اربعمائة سنة الى خمسمائة سنة ولا يجوز الزيادة الى خمسمائة سنة بعد الالف لعدم ورود الاخبار فى ذلك ولاقتضاء البراهين والشواهد عند اهل الظواهر والبواطن من اهل السنة وقد قال عليه السلام الآيات بعد المائتين والمهدى بعد المائتين فتنتهى دورة السنبلة بظهور عيسى عليه السلام فيكون آدم فاتحها وعيسى خاتمها فعلى هذا فآدم ونبينا عليهما السلام اى وجودهما من اشراط الساعة كما قال عليه السلام مثلى ومثل الساعة كفرسى رهان فاذا كان وجوده من اشراط الساعة فمعجزاته من انشقاق القمر ونحوه تكون كذلك يقول الفقير فان قلت فكم عمر الدنيا باسرها وماقول العلماء فيه قلت اتفقوا على حدوث الدنيا وماقطعوا بشئ فى مدتها والذى يلوح لى والله اعلم بحقيقة المدة انها ثلاثمائة وستون الف سنة وذلك لانه قد مثل دور السنبلة بجمعة من جمع الآخرة اى سبعة ايام وكل يوم من ايام الآخرة الف سنة كما قال تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة ولاشك ان بالجمعة اى الاسبوع يتقدر الشهر وبالشهر تتقدر السنة وعليه يحمل ماورد عن ابن عباس رضى الله عنهما الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة فقد مضى ستة آلاف سنة ومائة سنة وليأتين عليها زمن من سنين ليس عليها من يوحد وقد خاطبت الدنيا آدم عليه السلام فقالت يا آدم جئت وقد انقضى شبابى يعنى انقضى من عمرها ستون الف سنة تقريبا وهى اجمال ماذكرنا من المدة ولاشك ان مابين الستين والسبعين دقاقة الرقاب فآدم انما جاء الى الدنيا وقد انقضى عمرها وبقى شئ قليل منها وعلى هذا المعنى يحمل قول من قال ان عمر الدنيا سبعون الف سنة فاعرف جدا فالساعة مقتربة عند الله وعند الناس لان كل آت قريب وان طالت مدته فكيف اذا قصرت واما قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا فبالنسبة الى الغافلين المنكرين ولاعبرة بهم والحكمة فى ذكر اقتراب الساعة تحذير المكلف وحثه على الطاعة تنبيها لعباده على ان الساعة من اعظم الامور الكونية على خلقه من اهل السموات والارض واما تعيين وقت الساعة فقد انفرد الحق تعالى بعلمه واخفاه عن عباده لانه اصلح لهم ولذا كان كل نبى قد انذر امته الدجال وفى الحديث (ان بين يدى الساعة كذابين فاحذروهم والمراد بالكذابين الدجاجلة وهم الائمة المضلون يقول الفقير لاشك ان انذار الانبياء عليهم السلام حقيقة من امثال هؤلاء الدجاجلة من اممهم اذلم يخل قرن منهم والافهم يعرفون ان الساعة

انما تقوم بعد ظهور ختم النبيين وختم الامم وان الدجال الاعور الكذاب متأخر عن زمانه وانما يخرج فى الالف الثانى بعد المائتين والله اعلم فكل كذاب بين يدى الساعة سواء كان قبل مبعث النبى عليه السلام او بعده فانما هو من مقدمات الدجال المعروف كما ان كل اهل صدق من مقدمات المهدى رضى الله عنه (وانشق القمر) الانشقاق شكافته شدن دلت صيغة الماضى على تحقق الانشقاق فى زمن النبى عليه السلام ويدل عليه قرآءة حذيفة رضى الله عنه وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق وقد خطب حذيفة بالمدائن ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم وحذيفة ابن اليمان رضى الله عنه صاحب سر رسول الله عليه السلام كابن مسعود رضى الله عنه وعلى هذا القول عامة الصحابة ومن بعدهم وبه اخذ اكثر المفسرين فلا عبرة بقول من قال انه سينشق يوم القيامة كما قال تعالى اذا السماء انشقت والتعبير بالماضى للدلالة على تحققه على انا نقول يجوز ان يكون انشقاقه مرتين مرة فى زمانه عليه السلام اشارة الى قرب الساعة ومرة يوم القيامة حين انشقاق السماء وفى فتح البارى لابن حجر حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث انتهى وقال الطيبى اسند ابو اسحق الزجاج عشرين حديثا الا واحدا فى تفسيره الى رسول الله عليه السلام فى انشقاق القمر وفى شرح الشريف للمواقف هذا متواتر رواه جمع كثير من الصحابة كابن مسعود وغيره قال سعدى المفتى فيه انهم لم يجعلوا حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقد رواه ستون او اكثر من الصحابة وفيهم العشرة من المتواتر فكيف يجعل هذا منه انتهى * يقول الفقير قد جعل ابن الصلاح ومن تبعه ذلك الحديث اى حديث من كذب الخ من المتواتر كما فى اصول الحديث على انه يجوز ان لا يكون بعض ما رواه جمع كثير من المتواتر لعدم استجماع شرآئطه (امام زاهد رحمه الله) آورده كه شبى ابو جهل وجهودى بحضرت پيغمبر عليه السلام رسيدند ابو جهل كفت اى محمد آيتى بمن نماى والا سر تو بشمشير برميدارم آن حضرت فرمود كه چه ميخواهى ابو جهل بچپ وراست نكريست كه چه خواهد كه وقوع آن متعذر باشد يهودى كفت اوساحرست اورا بكوى كه ماه را بشكافد كه سحر در زمين محقق ميشود وساحررا درآسمان تصرف نيست ابو جهل كفت اى محمد ماه را براى ما بشكاف ان حضرت انكشت شهادت برآورد واشارت فرمود ماه رابشكافت فى الحال دونيم شد يك نيم برجاى خود قرار كرفت ويكى ديكر جايى ديكر رفت وباز كفت بكوى تا ملتئم شود اشارت كرد هر دو نيمه بهم پيوستند * شق كشت ماه چارده برلوح سبز چرخ * چون خامهٔ دبير زنيع بنان او (قال العطار قدس سره) ماه را انكشت او بشكافته * مهر از فرمانش ازپس تافته (وفى المثنوى) پس قمر كه امر بشنيد وشتافت * پس دونيمه كشت برچرخ وشكافت (وقال الجامى) چو مه دار سر تير اشارت * زد از سبابهٔ معجز بشارت * دو نون شد ميم دور حلقهٔ ماه * چهل راساخت اوشصت ازدو پنجاه * بلى چون داشت دستش برقلم پشت * رقم زد خط شق برمه زانكشت * يهودى ايمان اورد وابو جهل لعين كفت جشم ما به سحر رفته است وقمررا منشق بما نموده وقال بعض المفسرين اجتمع بعض صناديد قريش فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ووعدوا الايمان وكانت ليلة البدر فرفع عليه السلام اصبعه وامر القمر بان ينشق نصفين فانفلق فلقتين اى شقين فلقة ذهبت عن موضع القمر وفلقة بقيت فى موضعه وقال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت حراء بين فلقى القمر فعلى هذا فالنصفان ذهبا جميعا عن موضع القمر فقال بعضهم نصف ذهب الى المشرق ونصف الى المغرب واظلمت الدنيا ساعة ثم طلعا والتقيا فى وسط السماء كما كان اول مرة فقال عليه السلام اشهدوا اشهدوا وعند ذلك قال كفار قريش سحركم ابن ابى كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر جميع اهل الارض فاسألوا من يأتيكم من البلاد هل رأوا هذا يعنى از جماعت مسافران كه از اطراف آفاق برسند سؤال كنيد تا ايشان ديده اند يانه فسألوا اهل الآفاق فاخبروا كلهم بذلك يعنى چون از آينده ورونده پرسيدند همه جواب دادند كه درفلان شب ماه را دونيمه ديديم وهذا الكلام كما لا يخفى يدل على انه لم يختص برؤية القمر منشقا اهل مكة بل رآه كذلك جميع اهل الآفاق وبه يرد قول بعض الملاحدة لو وقع انشقاق القمر لاشترك اهل الارض كلهم فى معرفته ولم يختص بها اهل مكة ولا يحسن الجواب عنه بانه طلبه

جماعة فاختصت رؤيته بمن اقترح وتوعد ولانه قديكون القمر حينئذ فى بعض المنازل التى تظهر لبعض اهل الآفاق دون بعض ولا يقول بعضهم ان انشقاق القمر آية ليلية جرى مع طائفة فى جنح ليلة ومعظم الناس نيام كما فى انسان العيون وقال فى الاسئلة المتحمة لايستبعد اختفاؤه عن قوم دون قوم بسبب غيم اوغيره يمنع من رؤيته اى فكان انشقاق القمر صحيحا لكنه لم ينقل بطريق التواتر ولم يشترك فيه العرب والعجم فى جميع الاقطار القاصية والدانية ولذا وقع فيه الاختلاف كما وقع فى المعراج والرؤية والى انشقاق القمر اشار الامام السبكى فى تائيته بقوله وبدر الدياجى انشق نصفين عندما * ارادت قريش منك اظهار آية وصاحب القصيدة البردية بقوله أقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم يعنى لو أقسم احد ان للقمر المنشق نسبة وشبها بقلبه المنشق يكون بارا وصادقا وصاحب الهمزية بقوله شق عن صدره وشق له البد * رومن شرط كل شرط جزاء

اى شق عن صدره عليه السلام وشق لاجله القمر ليلة اربع عشرة وانما شق له لان من شرط كل شرط جزاء لانه لماشق صدره جوزى على ذلك باعظم مشابه له فى الصورة وهو شق القمر الذى هو من اظهر المعجزات بل اعظمها بعد القرآن (كما قال الصائب) هر محنتى مقدمهٔ راحتى بود * شد همزبان حق چوزبان كليم سوخت * موسى كليم را انفلاق بحر بود ومصطفى حبيب را انشقاق قمر بود چه عجب كر بحر بر موسى بضرب عصا شكافته شد كه بحر مركوب وملموس است دست آدمى بدو رسد وقصد آدمى بوى اثر دارد اعجوبهٔ مملكت انشقاق قمرست كه عالميان ازدريافت آن عاجزودست جن وانس از رسيدن بوى قاصر وبيان شق الصدر انه قالت حليمة امه عليه السلام من الرضاعة وهى من بنات بنى سعد بن بكر اسلمت مع اولادها وزوجها بعد البعثة لما كان يوم من الايام خرج محمد مع اخوته من الرضاعة وكان يومئذ ابن خمس سنين على ماقال ابن عباس رضى الله عنهما فلما انتصف النهار اذا اتانى حمزة يعدو وقد علاه العرق باكيا ينادى ياأماه ياأبتاه ادركا اخى القرشى فما اراكما تلحقانه الاميتا قلت وماقصته قال بينا نحن نترامى بالجلة اذا اتاه رجل فاختطفه من بيننا وعلابه ذروة الجبل وشق صدره الى عانته فما اراه الامقتولا قالت فاقبلت انا وزوجى نسعى سعيا فاذا انا به قاعد على ذروة الجبل شاخص بعينه نحو السماء يتبسم فانكببت عليه وقبلت بين عينيه فقلت له فداك نفسى ماالذى دهاك قال خيرا يا امه بينا انا الساعة قائم مع اخوتى نتقاذف بالجلة اذ اتانى رجلان عليهما ثياب بيض وفى رواية فاقبل الى طيران ابيضان كانهما نسران وفى رواية كركيان والمراد ملكان وهما جبرآئيل وميكائيل وفى رواية اتانى ثلاثة رهط اى وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل لان جبريل ملك الوحى الذى به حيات القلوب وميكائيل ملك الرزق الذى به حياة الاجساد واسرافيل مظهر الحياة مطلقا فى يد احدهم ابريق من فضة وفى يد الثانى طست من زمرد اخضر مملوء ثلجا وهو ثلج اليقين فاخذونى من بين اصحابى وانطلقوابى الى ذروة الجبل وفى رواية الى شفير الوادى فاضجعنى بعضهم على الجبل اضجاعا لطيفا ثم شق صدرى وانا انظر اليه فلم اجد لذلك حسا ولا الما ثم ادخل يده فى جوفى فاخرج احشاء بطنى فغسلها بذلك الثلج فانعم غسلها اى بالغ فى غسلها ثم اعادها مكانها وقام الثانى وقال للاول تنح فقد انجزت ماامرك الله فدنا منى فادخل يده فى جوفى فانتزع قلبى وشقه باثنين فاخرج منه علقة سوداء فرمى بها وقال هذا حظ الشيطان اى محل غمزه ومحل مايلقيه من الامور التى لاتنبغى لان تلك العلقة خلقها الله فى قلوب البشر قابلة لمايلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه وبعض ورثته الكمل يقيء دما اسود محترقا من نور التوحيد فيحصل به شرح الصدر وشق القلب ايضا ولايلزم من وجود القابل لمايلقيه الشيطان حصول الالقاء بالفعل قبل هذا الشق فانه عليه السلام معصوم على كل حال فان قلت فلم خلق الله هذا القابل فى هذه الذات الشريفة وكان من الممكن ان لايخلق فيها قلت لانه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانسانى ثم نزعت تكرمة له اى لانه لوخلق خاليا عنها لم تظهر تلك الكرامة وفيه انه يرد على ذلك ولادته عليه السلام من غير قلفة وهى جلدة الذكر التى يقطعها الخاتن واجيب بالفرق بينهما لان القلفة لما كانت تزال ولابد من كل احد مع مايلزم على ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال قال عليه السلام ثم حشا قلبى بشئ كان معه وهو الحكمة والايمان ورده مكانه ثم ختمه بخاتم من نور يحار الناظرون

دونه وفي رواية واقبل الملك وفي يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه ولامانع من تعدد الختم فختم القلب لحفظ مافيه وبين الكتفين مبالغة في حفظ ذلك لان الصدر وعاؤه القريب وجسده وعاؤه البعيد وخص بين الكتفين لانه اقرب اليه من القلب من بقية الجسد وهو موضع نفوذ خرطوم ابليس لان العدو يجيئ من وراء ولذا سن الحجامة فيه ثم قال عليه السلام انا الساعة اجد برد الخاتم في عروقي ومما صلى وقام الثالث فقال تنحيا فقد انجزتما ما امر الله فيه فدنامني وامر يده على مفرق صدري الى منتهى الشق فالتأم وانا انظر اليه وكانوا يرونه اثرا كالخيط في صدره وهو اثر ورد جبريل ثم انهضني من الارض انهاضا لطيفا ثم قال الاول الذي شق صدري زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم قال زنه بعشرين فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فرجحتهم ثم قال زنه بالف فرجحتهم ثم قال دعه فلو وزنتموه بامته كلهم لرجحهم يقول الفقير هذا يدل على انه عليه السلام كانه افضل من كل فرد فرد من افراد الموجودات فكذا افضل من المجموع ولا عبرة بقول من قال في كونه افضل من المجموع توقف لانه جهل بشأنه العالي وانه احدية مجموع الاسماء الالهية ورزخيتها فاعرف قال عليه السلام ثم انكبوا على وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا ياحبيباه انك لوتدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وتركوني قاعدا في مكاني هذا وجعلوا يطيرون حتى دخلوا خلال السماء وانا انظر اليهم ولوشئت لاريتك موضع دخولهم * واعلم ان صدره الشريف شق مرارا مرة لاخراج حظ الشيطان كامر لانه لايليق به وعند مجيئ الوحي لتحمل ثقله وعند المعراج لتحمل اسراره ففي شرح الصدر مرارا مزيد تقوية لباطنه وهذا الشرح معنوى لأكامل امته ولابدمنه في حصول الفيض الالهي بسره الله لي ولكم ثم انه بقي هنامعنى آخر كاقاله البعض وهو ان انشقاق القمر مجاز عن وضوح الامر ولايبعدان يحمل بيت المثنوى على ذلك وهو * سايه خواب آرد ترا همچون سمر * چون برآيد شمس انشق القمر * اى وضح الامر واستبان وذلك لانه عند اقتراب الساعة ينكشف كل خفي ويظهر كل مستور ويستبين الحق من الباطل من كل وجه ويدل على هذا المعنى قوله عليه السلام اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب فان المراد وضوح الامر في آخر الزمان وظهور حقيقته ولذا يصير الناس بحيث ينكشف لادنى سالك منهم في مدة قليلة مالم ينكشف للامم الماضية في مدة طويلة وذلك لان الله تعالى قال في حق يوم القيامة يوم تبلى السرائر فاذا قرب الزمان من ذلك اليوم يأخذ حكمه فيكون كشف الامور اكثر والخفايا اظهر وقال البقلي رحمه الله علم الله انتظار ارواح الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين والاولياء العارفين وجميع الصالحين كشف جماله وقرب وصاله والدخول في جواره فبشرهم الله تعالى بانه مقرون بقدوم محمد عليه السلام فلما خرج بالنبوة شك فيه المشركون فاراهم الله صدق وعده بانشقاق القمر حتى يعرفوا ان الله تعالى يريد بالعالمين اتيان الساعة التي فيها كشوف العجائب وظهور الغرائب من آيات الله وصفاته وذاته وفي التأويلات النجمية اعلم ان الساعة اى القيامة ساعتان الكبرى وهي عامة بالنسبة الى جميع الخلائق وهي التي اقتربت والصغرى وهي خاصة بالنسبة الى السالكين الى الله برفع الاوصاف البشرية وقطع العلائق الضيعية السائرين في الله بالتجلي بالاوصاف الالهية والاخلاق الربانية الراجعين من الحق الى الخلق بالبقاء الحقاني بعد الفناء الخلقاني وبالجمع بعد الفرق وهي اعني الساعة الصغرى واقعة اليوم في كل آن ولله تجلي جلالي يفني وجمالي يبقي واليه اشارة قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته فقد انشق قمر قلب السالك عن ظلمة النفس المظلمة باستيلاء نور شمس فلك الروح عليها فلاجرم وقعت الساعة بالنسبة الى القلب الحي المنور بالنور الالهي ووقعت القيامة الخاصة الشاملة على الموت والحشر والنشور فافهم ولا تعجب لئلا تكون ممن قال تعالى فيهم افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولاتبكون والله الموفق والمعين (وان يروا) يعني قريشا (آية) من آيات الله دالة على قدرته وصدق نبوة حبيبه عليه السلام مثل انشقاق القمر ونظائره ومعنى تسمية ماجاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها (يعرضوا) عن التأمل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها فيؤمنوا (ويقولوا) هذا (سحر مستمر) مطرد دائم يأتي به محمد عليه السلام على مر الزمان لايكاد يختلف بحال كسائر انواع السحر فالاستمرار بمعنى الاطراد يقال اطرد الشيء تبع بعضه بعضا وجرى وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة حتى قالوا ذلك وفيه تأييد ان انشقاق القمر قدوقع لانه سينشق يوم القيامة كما قاله بعضهم وذلك لانه لولم يكن

الا نشقاق من جنس الايات لم يكن ذكر هذا القول مناسبا للمقام او مطردا بالنسبة الى جميع الاشخاص والبلاد حيث رأوه منشقا وقال بعضهم آن جاد و بيست دائم ورونده ازز مين تا باسمان ويجوز ان يكون مستمر من المرة بالكسر بمعنى القوة امر ر نه فاستمر اذا احكمته فاستحكم فالاستمرار بمعنى الاستحكام اى قوى مستحكم لا يمكن ازالته اوقوى شديد يعلوكل سحر وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى عن قريب تمنية لانفسهم وتعليلا فهو من المرور (وكذبوا) اى بالنبى عليه السلام وما عاينوه من المعجزات التى اظهرها الله على يده (واتبعوا اهواءهم) التى زينها الشيطان لهم من رد الحق بعد ظهوره اوكذبوا الآية التى هى انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر اوسحر اعيننا والقمر بحاله ولم يصبه شئ اوانه خسوف فى القمر وظهور شئ من جانب آخر من الجو يشبه نصف القمر فهذه اهوآؤهم الباطلة * بدكانى لازم بدباطنان افتاده است * كوشه ازخلق جاكردم كين بند اشتند * وذكرهما بلفظ الماضى اى بعد يعرضوا ويقولوا بلفظ المستقبل الاشعار بانهما من عادتهم القديمة وفيه اشارة الى المحجوبين المستغرقين فى بحر الدنيا وشهواتها فانهم اذا ظهر لهم خاطر رحمانى بالاقبال على الله ومتابعة الرسول وترك حب الدنيا ورفع شهواتها يعرضوا عن هذا الخاطر الرحمانى وينفروه ولا يلتفتوا اليه ولا يعتبروه بل يزدادوا فيما هم عليه من حب الدنيا ومتابعة النفس وهوا فقة الهوى ويرموه بالكذب ورءاى بعضهم فى منامه انه لبس خرقة الفقرآء من خارج ولكن تحتها قميص حرير فهذا يدل على ان تجرده لبس من باطنه فتجرده الظاهرى وملاحظة الفناء القشرى ليس بنافع له جدا (وكل امر مستقر) اى وكل امر من الامور مستقر اى منته الى غاية يستقر عليها لامحالة ومن جملتها امر النبى عليه السلام فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيقته وعلوشانه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به اوكل امر من امرهم وامره عليه السلام مستقر اى سيثبت ويستقر على حالة خذلان اونصرة فى الدنيا وشقاوة اوسعادة فى الآخرة فان الشئ اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر يعنى ان الاستقرار كناية عن ملزومه وهو الانتهاء الى الغاية فان عنده يتبين حقيقة كل شئ من الخير والشر والحق والباطل والهوى والحجة وينكشف جلية الحال ويضمحل الشبه والالتباس فان الحقائق انما تظهر عند العواقب فهذا وعيد للمشركين ووعد وبشارة للرسول والمؤمنين ونظيره لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون اى كل نبأ وان طالت مدته فلابد ان ينتهى الى غايته وتنكشف حقيقته من حق وباطل وفى عين المعانى وكل امر وعدهم الله كائن فى وقته اى لا يتغير شئ عن مراد الله ولا يغيره احد دون الله فهو وعيد على الخلق فى وقته لانه مستقر لا يزول وفيه اشارة الى ان امر محمد الروح وامر ابى جهل النفس له نهاية وغاية يستقر فيها اما الى السعادة الابدية بواسطة التخلق بالاخلاق الالهية واما الى الشقاوة السرمدية بسبب الاتصاف بالصفات البشرية الحيوانية (ولقد جاءهم) اى وبالله لقد جاء اهل مكة فى القرآن (من الانباء) جمع نبأ وهو خبر ذوفائدة عظيمة يحصل به علم اوغلبة ظن ولا يقال للخبر فى الاصل نبأ حتى يتضمن هذه الاشياء الثلاثة اى انباء القرون الخالية اوانباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار فاللام عوض عن المضاف اليه وهو حال مما بعده (مافيه مزدجر) اى ازدجار من تعذيب ان اريد بالانباء انباء القرون الخالية اووعيد ان اريد بها انباء الآخرة اوموضع ازدجار على ان فى تجريدية والمعنى انه فى نفسه موضع ازدجار ومظنة له كقوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة اى هو فى نفسه اسوة حسنة وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب فى المخرج اولتحصيل التناسب فان التاء مهموسة وهذه الحروف مجهورة يعنى ان اصله مزتجر لانه مفتعل من الزجر قلبت التاء دالا لان الزاى حرف مجهور والتاء حرف مهموس والدال تناسب الزاى فى الجهر وتناسب التاء فى المخرج يقال زجره وازدجره اى نهاه عن السوء ووعظه غيران افتعل ابلغ فى المعنى من فعل قال الراغب الزجر طرد بصوت يقال زجرته فانزجر ثم يستعمل فى الطرد تارة وفى الصوت تارة وقوله تعالى مزدجر اى طرد ومنع عن ارتكاب المأثم (حكمة بالغة) غايتها متناهية فى كونها حكمة لاخلل فيها اوقد بلغت الغاية فى الانذار والنهى والموعظة وهو بدل من ما اوخبر لمحذوف وفى القاموس الحكمة بالكسر العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن وفى المفردات الحكمة اصابة الحق بالعلم والفعل فالحكمة من الله معرفة الاشياء او ايجادها على غاية الاحكام ومن الانسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات واذا وصف القرآن بالحكيم فلتضمنه

الحكمة وهي علمية وعملية والحكمة المنطوق بها هي العلوم الشرعية والطريقة والحكمة المسكوت عنها
هي اسرار الحقيقة التي لايطلع عليها علماء الرسوم والعوام على ماينبغي فتضرهم اوتهلكهم (فما تغنى النذر)
نفي للاغناء فمفعول تغنى محذوف اى لم تغن النذر شيئا او استفهام انكار فما منصوبة على انها مفعول مقدم
لتغنى اى فاى اغناء تغنى النذر اذاخالفوا وكذبوا اى لاتنفع كقوله وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون
جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار وفيه اشارة الى عدم انتفاع النفوس المتمردة بانذار منذر الروح
وانذار منذر القلب اذ الروح مظهر منذر القرآن والقلب مظهر منذر الحقيقة (فتول عنهم) لعلمك بان الانذار
لايؤثر فيهم البتة ولاينفع فالفاء للسببية وبالفارسية پس روى بكردان از ايشان تا وقت امر بقتال
ومنتظر باش جزاء ايشانرا (يوم يدع الداع) اصله يوم يدعو الداعي بالواو والياء لما حذف الواو من يدعو
في التلفظ لاجتماع الساكنين حذفت في الخط ايضا اتباعا للفظ واسقطت الياء من الداعي الاكتفاء بالكسرة
تخفيفا قال بعضهم حذفت الياء من الداعي مبالغة في التخفيف اجراء لأل مجرى ماعاقبها وهو التنوين
فكما يحذف الياء مع التنوين كذلك مع ماعاقبه ويوم منصوب بيخرجون او باذكر والداعي اسرافيل
عليه السلام ينفخ في الصورة قائما على صخرة بيت المقدس ويدعو الاموات وينادي قائلا ايتها العظام البالية
واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء اوان اسرافيل ينفخ
وجبريل يدعو وينادي بذلك وعلى كلا القولين فالدعاء على حقيقته وقال بعضهم هو مجاز كالامر في قوله
تعالى كن فيكون يعني ان الدعاء في البعث والاعادة مثل كن في التكوين والابتداء بأن لايكون ثمة داع
من اسرافيل اوغيره بل يكون الدعاء عبارة عن نفاذ مشيئته وعدم تخلف مراده عن ارادته كما لايتخلف
اجابة دعاء الداعي المطاع يقول الفقير الاولى بقاؤه على حقيقته لان اسرافيل مظهر الحياة وبيده الصور والله
تعالى ربط الاشياء بعضها ببعض وان كان الكل بارادته ومشيئته (الى شئ نكر) بضمتين صفة على فعل وقرئ
بسكون الكاف وكلاهما بمعنى المنكر اى منكر فظيع ينكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول يوم القيامة
ومنه منكر ونكير لفتاني القبر لانه لم يعهد عند الميت مثلهما (خشعا ابصارهم) حال من فاعل (يخرجون)
والتقديم لان العامل فعل متصرف اى يخرجون (من الاجداث) جمع جدث محركة وهو القبر اى من
قبورهم حال كونهم اذلة ابصارهم من شدة الهول خاضعة عند رؤية العذاب والخشوع ضراعة واكثر
مايستعمل فيما يوجد في الجوارح والضراعة اكثر ماتستعمل فيما يوجد في القلب كما روى اذاضرع القلب
خشعت الجوارح وخص الابصار بالخشوع لانه فيها اظهر منه في سائر الجوارح وكذلك سائر مافي نفس
الانسان من حياء اوخوف ونحوه انما يظهر في البصر (كأنهم جراد) اى يشبهون الجراد وهو بالفارسية
ملخ سمي بذلك لجرده الارض من النبات يقال ارض مجرودة اى اكل ماعليها حتى تجردت كما في المفردات
(منتشر) في الكثرة والتموج والتفرق في الاقطار ومثله قوله كالفراش المبثوث (مهطعين الى الداع) حال
ايضا اى مسرعين الى جهة الداعي مادى اعناقهم اليه اوناظرين اليه لايقلعون بابصارهم يقال هطع الرجل
اذا اقبل ببصره على الشئ لايقلع عنه واهطع اذا مد عنقه وصوب رأسه واهطع في عدوه اذا اسرع
كما في الجوهري وفيه اشارة الى ذلة ابصار النفوس وعلتها فانها مدت من حب الدنيا وانطفاء ابصار القلوب
عن شواهد الحق وانطماس ابصار الارواح عن شهود الحق والى ان هذه النفوس الردية تخرج من قبور
صفاتها الرذيلة كالجراد الحريص على اكل زروع مزارع القلب من الاخلاق الروحانية منتشرين في مزارع
الروح ومغارس القلب بالفساد والافساد وترى هذه النفوس الخبيثة مسرعة الى اجابة داعي الشهوات
النفسانية واللذات الجسمانية راغبة الى دعوته مقبلة على طلبه (يقول الكافرون) استئناف وقع جوابا
عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال واهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون
(هذا يوم عسر) اى صعب شديد علينا فيمكثون بعد الخروج من القبور واقفين اربعين سنة يقولون ارحنا
من هذا ولو الى النار ثم يؤمرون بالحساب وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا
في تلك المرتبة من الشدة بل ذلك اليوم يوم يسير لهم ببركة ايمانهم واعمالهم بل المطهرون المحفوظون الذين
ماتدنست بواطنهم بالشبه المضلة ولا ظواهرهم ايضا بالمخالفات الشرعية آمنون يغبطهم النبيون

في الذي هم عليه من الامن لماهم والنبيون عليه من الخوف على اممهم يعني ان الانبياء والرسل عليهم السلام يخافون على اممهم للشفقة التي جبلهم الله عليها للخلق فيقولون في ذلك اليوم سلم سلم وان كان لا يحزنهم الفزع الاكبر لانهم آمنون من خوف العاقبة وفيه اشارة الى كفار النفوس اللئيمة يقولون بلسان الحال ولا ينفعهم المقال يوم قيامة اضطرابهم لما رأوا الفضيحة والقطيعة هذا يوم عسر صعب خلاصنا ومناصنا منه لانجاة لنا ولامنجاة الا الاستمساك بعروة وثقى الروح والقلب ومايقدرون على مايقولون لافساد استعدادهم بيد الاماني الكاذبة واختيار تلك الاماني الفاسدة الدنيوية على المطالب الصالحة الاخروية فعلى العاقل ان يختار الباقي على الفاني ولا يغتر بالاماني بل يجتهد قبل الموت باسباب الخلاص والنجاة لكي يحصل له في الآخرة النعيم والدرجات والا فاذا خرج الوقت من اليد وبقيت اليد صفرا في الغد فلا ينفع الاسف والويل نسأل الله سبحانه ان يجعلنا من الذين اجابوا داعي الله ورسوله وتشرفوا بالعمل بالقرآن وقبوله وييسر لنا الفناء المعنوي قبل الفناء الصوري ويهيئ لنا من امرنا رشدا فانا آمنا به ولم نشرك بربنا احدا وهو المعين في الآخرة والاولى وبيده الامور رداوقبولا (كذبت قبلهم قوم نوح) اى فعل التكذيب قبل قومك يا محمد قوم نوح او كذبوا نوحا فالمفعول محذوف وهو شروع في تعداد بعض الانباء الموجبة للازدجار وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فكذبوا عبدنا) نوحا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ فالمكذب في المقامين واحد والفاء تفسيرية تفصيلية تعقيبية في الذكر فان التفصيل يعقب الاجمال وفي ذكره بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه فان تكذيب عبد السلطان اشنع من تكذيب عبد غيره وفيه اشارة الى انه لاشئ اشرف من العبودية فان الذلة الحقيقية التي يقابلها مقام الربوبية مختصة بالله تعالى فكذا العبودية مختصة بالعبد وهي المرادة بالتواضع وهي غير التملق فان التملق لاعبرة به وفي الحديث (انا سيد ولد آدم ولا فخر) اى ليس الفخر لي بالرسالة وانما الفخر لي بالعبودية وخصوصا بالفقر الذي هو الخروج عن الوجود المجازي بالكلية (وقالوا) في حقه هو اوقالوا له انك (مجنون) اى لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون واختلال العقل وهو مبالغة في التكذيب لان من الكاذبين من يخبر بما يوافق العقل ويقبله والمجنون لايقول الامالايقبله العقل ويأباه (وازدجر) عطف على قالوا فهو من كلام الله اى وزجر عن التبليغ بانواع الاذية مثل الشتم والضرب والخنق والوعيد بالرجم قال الراغب وازدجر اى طرد واستعمال الزجر فيه لصياحهم بالمطرود نحو ان يقال اعزب عني وتنح ووراءك وقيل هو من جملة ماقالوه اى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته اى افسدته وتصرفت فيه وذهبت بلبه وطارت بقلبه وفيه اشارة الى ان كل داع حق لابد وان يكذب لكثرة اهل البطلان وغلبة اهل البدع والاهواء والطغيان وذلك في كل عصر وزمان وايضا قوم نوح الروح وهم النفس الامارة وصفاتها لايقبلون دعوته الى الله لانهماكهم في الشهوات واللذات وصعوبة الفطام عن المألوفات والله المعين في جميع الحالات والمقامات * اين جهان شهوتى بتخانه ايست * انبيا وكافران رالانه ايست * ليك شهوت بندهٔ پاكان بود * زرنسوزد زانكه نقدكان بود * ذلة الارواح من اشباحها * عزة الاشباح من ارواحها * كم نشين براسب توسن بى لكام * عقل ودين را پيشواكن والسلام (فدعا ربه) اى لما زجروا نوحا عن الدعوة وبلغ مدة التبليغ تسعمائة وخمسين سنة دعا ربه (انى) اى بانى (مغلوب) من جهة قومى مالى قدرة على الانتقام منهم (فانتصر) اى فانتقم لى منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون فلما اذن الله له في الدعاء للاهلاك دعا فاجيب كما قال في الصافات ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون (ففتحنا ابواب السماء) اى طرقها وبالفارسية پس بكشاديم براى عذاب ايشان درهاء آسمانرا ازطرف مجره كما قال علي رضي الله عنه (بماء منهمر) الهمر صب الدمع والماء يقال همره يهمره وبهمره صبه فهمر هو وانهمر اى انسكب وسال والمعنى بماء كثير منصب انصبابا شديدا كما ينصب من افواه القرب لم ينقطع اربعين يوما وكان مثل الثلج بياضا و بردا وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها سواء جعل الباء في قوله بماء للاستعانة و جعل الماء كالآلة لفتح ابواب السماء وهو ظاهر او للملابسة (وفجرنا الارض عيونا) اى جعلنا الارض كلها كأنها عيون

منفجرة اى جارية وكان ماء الارض مثل الحميم حرارة واصله وفجرنا عيون الارض فغير عن المفعولية الى التميز قضاء لحق المقام من المبالغة لان قولنا فجرنا عيون الارض يكفى فى صحة تفجرنا ما فيها من العيون ولا مبالغة فيه بخلاف فجرنا الارض عيونا فان معناه فجرنا اجزآء الارض كلها بجعلها عيون الماء ولا شك فى انه ابلغ (فالتقى الماء) اى ماء السماء وماء الارض وارتفع على اعلى جبل فى الارض ثمانين ذراعا والافراد حيث لم يقل الماآن لتحقيق ان التقاء المائين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد (على امر قد قدر) اى كائنا على حال قد قدره الله من غير تفاوت او على حالة قدرت وسويت وهو ان قدر ما نزل من السماء على قدر ما خرج من الارض او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان فكلمة على على هذا للتعليل يقول الفقير انما وقع العذاب بالطوفان العام لان الماء اشارة الى العلم فلما لم ينتفعوا بعلم نوح عليه السلام فى المدة الطويلة ولم تغرق ارواحهم فيه اخذوا بالماء حتى غرقت اجسادهم وتأثير الطوفان يظهر فى كل ثلاثين سنة مرة واحدة لكن على الخفة فيقع مطر كثير ويغرق بعض القرى والبيوت من السيل (وحملناه) اى نوحا ومن آمن معه (على ذات الواح) اى سفينة صاحبة اخشاب عريضة فان الالواح جمع لوح وهو كل صحيفة عريضة خشبا او عظما وكانت سفينة نوح من ساج وهو شجر عظيم ينبت فى ارض الهند او من خشب شمشاد ويقال من الجوز (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد بقهر يقال دسره بالرمح (وروى) انه ليس فى العنبر زكاة انما هو شئ دسره البحر سمى به المسمار لانه يدسر به منفذه اى يدفع قال فى عين المعانى دسرت بها السفينة اى شدت او لانها تدسر اى تدفع بالدق فقوله ذات الواح ودسر صفة للسفينة اقيمت مقامها بأن يكنى بها عنها كما يكنى عن الانسان بقولهم هو مستوى القامة عريض الاظفار (تجرى بأعيننا) اى تجرى السفينة وتسير بمرأى منا اى محفوظة بحفظنا ومنه قولهم للمودع عين الله عليك وقيل بأوليائنا يقال مات عين من عيون الله اى ولى من اوليائه (جزاء لمن كان كفر) مفعول له لما ذكر من فتح ابواب السماء وما بعده وكفر من كفران النعمة اى فعلنا ذلك المذكور اجرا وثوابا لنوح لانه كان نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله على امته ورحمة اى نعمة ورحمة فكان نوح نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما حكى ان رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام فقال انت نعمة حمدت الله عليها (ولقد تركناها) اى السفينة (آية) يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله بباقردى من بلاد الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها اوآئل هذه الامة وكم من سفينة كانت بعد قد صارت رمادا وفى تفسير ابى الليث قال بعضهم يعنى ان تلك السفينة كانت باقية على الجبل قريبا من خروج النبى عليه السلام وقيل بقيت خشبة من سفينة نوح هى فى الكعبة الآن وهى ساجة غرست حتى ترعرعت اربعين سنة ثم قطعت فتركت حتى يبست اربعين سنة وقيل بقى بعض خشبها على الجودى الى هذه الاوقات يقول الفقير لعل بقاء بعض خشبها لكونها آية وعبرة والافهو ليس بافضل من اخشاب منبر نبينا صلى الله عليه وسلم فى المدينة وقد احترقت او اكلتها الارضة فاتخذت مشطا ونحوه مما يتبرك به الا ترى ان مقام ابراهيم عليه السلام مع كونه حجرا صلدا لم يبق اثره بكثرة مسح الايدى ثم لم يبق نفسه ايضا على ما هو الاصح والمعروف بالمقام الآن هو مقام ذلك المقام فاعرف وفى عين المعانى ولقد تركناها اى الغرق العام وهو اضمار الآية قبل الذكر كقوله انها تذكرة وقال بعضهم يعنى جنس السفينة صارت عبرة لان الناس لم يعرفوا قبل ذلك سفينة واتخذوا السفن بعد ذلك فى البحر فلذلك كانت اية للناس يقول الفقير كيف يعرفونها ولم يكن فى الدنيا قبل الطوفان الا البحر المحيط وذلك ان الله تعالى امر الارض بعد الطوفان فابتلعت ماءها وبقى ماء السماء لم تبتلعه الارض فهذه البحور على وجه الارض منها واما البحر المحيط فغير ذلك بل هو جزر عن الارض حين خلق الله الارض من زبده واليه الاشارة بقوله وكان عرشه على الماء اى العذب والبحور سبعة منها البحر المحيط وبعضهم لم يعد المحيط منها بل هو غير السبعة وكان نوح عليه السلام نجارا فجاء جبريل وعلمه صنعة السفينة (فهل من مدكر) اى معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار فيخاف من الله ويترك المعصية واصله مذتكر على وزن مفتعل من الذكر فادغمت الذال فى التاء ثم قلبت دالا مشددة (فكيف كان عذابى ونذر) استفهام تعظيم وتعجيب اى كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار اصله نذرى بالياء حذفت

اكتفاء بالكسرة ووحد العذاب وجمع الانذارات اشارة الى غلبة الرحمة لان الانذار اشفاق ورحمة فقال الانذارات التى هى نعم ورحمة تواترت عليهم فلما لم تنفع وقع العذاب وقعة واحدة فكانت النعم كثيرة والنقمة واحدة (ولقد يسرنا القرآن) الخ جملة قسمية وردت فى اواخر القصص الاربع تنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية فى الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة فى حيز الاعتبار اى وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن انزلناه على لغتهم كما قال فانما يسرناه بلسانك ووشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد (للذكر) اى للتذكير والاتعاظ وعن الحسن عن النبى عليه السلام لولا قول الله ولقد يسرنا القرآن للذكر لما اطاقت الالسن ان تتكلم به (فهل من مدكر) انكار ونفى للمتعظ على ابلغ وجه وآكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قرأت على النبى عليه السلام فهل من مذكر بالذال فقال عليه السلام فهل من مدكر بالدال قال فى برهان القرآن قوله فكيف كان الخ ختم به قصة نوح وعاد وثمود ولوط لما فى كل واحدة منها من التخويف والتحذير وما حل بهم فيتعظ به حافظ القرآن وتاليه ويعظ غيره * وفى الآيات اشارة الى مغلوبية نوح القلب فى يد النفس الامارة بغلبات الصفات البشرية عليه حتى دعا ربه فاجابه الله حتى غلبت صفاته الروحانية النورانية على صفاتها الحيوانية الظلمانية وافاض من سماء الارواح العلوية مياه الرأفة والرحمة والكرامة ومن ارض البشرية عيون المعارف والحقائق فاهلك قومه المعبر عنهم بالنفس وصفاتها ونجاه على سفينة صفاته الروحانية وفيه اشارة اخرى وهى انه اذا زاد الكشف والعيان تستشرف الارواح على الفناء فيدخلها الله فى سفن العصمة ويجريها بشمال العناية وايضا ان الانبياء والاولياء سفن عناية تعالى يتخلص العباد بهم من الاستغراق فى بحار الضلالة وظلمات الشقاوة لانهم محفوظون بحسن عنايته وعين كلاءته ومن استن بسنتهم نجا من الطغيان والنيران ودخل فى جوار الرحمن (وفى المثنوى) اينچنين فرمود آن شاه رسل * كه منم كشتى درين درياى كل * ياكسى كو در بصيرتهاى من * شد خليفه راستى بر جاى من * كشتىء نوحيم دردريا كه تا * رونكردانى زكشتى اى فتى * نسأل الله سبحانه ان يحفظنا فى سفينة الشريعة من الاعتماد على العقل والخيال ويعصمنا من الزيغ والضلال (كذبت عاد) اى هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم لهودا للاختصار ومسارعة الى بيان مافيه الازدجار من العذاب (فكيف كان عذابى ونذر) هو لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى مايلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله ومابعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم اوفاسمعوا كيف كان عذابى وانذاراتى لهم فالنذر جمع نذير بمعنى الانذار (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) استئناف ببيان ما اجمل اولا وصرصر من الصر وهو البرد او من صر الباب والقلم اى صوت اى ارسلنا وسلطنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت والهبوب وهى ريح الدبور وتقدم تفصيله فى فصلت وغيرها (فى يوم نحس) النحس ضد السعد اى شؤم (مستمر) صفة ليوم اونحس اى مستمر شؤمه عليهم اوابد الدهر فان الناس يتشاءمون باربعاء آخر الشهر قال ابن الشيخ واشتهر بين بعض الناس التشاؤم بالاربعاء الذى يكون فى آخر الشهر بناء على قوله تعالى فى يوم نحس مستمر ومعلوم انه ليس المراد انه نحس على المصلحين بل على المفسدين حيث لم تظهر نحوسته فى حق الانبياء والمؤمنين وفى الروضة الاربعاء مشؤم عندهم والذى لا يدور وهو آخر اربعاء فى الشهر اشأم وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه آخر اربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر قال الشاعر

لقاؤك للمبكر فال سوء * ووجهك اربعاء لا يدور

وقيل يحمد فى الاربعاء الاستحمام فانه يقال يختلط فى ذلك اليوم ماء من الجنة مع المياه وكذا يحمد ابتداء الامور والمعنى مستمر عليهم شؤمه ونحوسته ازمنة ممتدة الى ان اهلكهم فاليوم بمعنى الحين والا فاليوم الواحد لا يمكن ان يستمر سبع ليال وثمانية ايام والاستمرار على هذين الوجهين بحسب الزمان اوالمعنى شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم فالمستمر بمعنى المطرد بالنسبة الى الاشخاص اومشتد مرارته اى بشاعته وكان ابتداؤه يوم الاربعاء آخر الشهر يعنى كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء آخر الشهر الى غروب الاربعاء الآخر (وروى) انه كان آخر ايامهم الثمانية فى العذاب يوم الاربعاء وكان سلخ صفر وهى الحسوم فى سورة الحاقة

(تنزع الناس) صفة لريحا اى ريحا تقلعهم روى انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح
وصرعتهم موتى وقال مقاتل تنزع ارواحهم من اجسادهم وقال السهيلى دامت عليهم سبع ليال وثمانية ايام
كيلا ينجو منهم احد ممن فى كهف اوسرب فاهلكت من كان ظاهرا بارزا وانتزعت من البيوت من كان فى البيوت
اوهدمتها عليهم واهلكت من كان فى الكهوف والاسراب بالجوع والعطش ولذلك قال فهل ترى لهم من باقية
اى فهل يمكن ان يبقى بعد هذه الثمانية الايام باقية منهم (كأنهم اعجاز نخل منقعر) حال من الناس والاعجاز
جمع عجز وعجز الانسان مؤخره وبه شبه مؤخر غيره ومنه العجز لانه يؤدى الى تأخر الامور والنخل من الجنس الذى
يفرق بينه وبين واحده بالتاء واللفظ مفرد ولكنه كثيرا ما يسمى جمعا نظرا الى المعنى الجنسى والمنقعر المنقلع عن اصله
يقال قعرت النخلة قلعتها من اصلها فانقعرت اى انقلعت وفى المفردات منقعر اى ذاهب فى قعر الارض وانما اراد
تعالى ان هؤلاء اجتثوا كما اجتث النخل الذاهب فى قعر الارض فلم يبق لهم رسم ولا اثر انتهى والمعنى منقلع
عن مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل وهى اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤسهم فتبقى اجسادا وجثثا
بلا رؤس وقال بعضهم كانت الريح تقلعهم وتصرعهم على رؤسهم فتدق رقابهم فيبين الرأس من الجسد
وفيه اشارة الى قوتهم وثباتهم فى الارض فكأنهم بحسب قوتهم وجسامتهم يجعلون ارجلهم غائرة نافذة
فى الارض ويقصدون به المقاومة على الريح ثم ان الريح لما صرعتهم فكأنها قلعت اعجاز نخل منقعر
وقال ابو الليث صرعتهم وكبتهم على وجوههم كأنهم اصول نخل منقلعة من الارض فشبههم لطولهم بالنخل
الساقطة قال مقاتل كان طول كل واحد منهم اثنى عشر ذراعا وقال فى رواية الكلبى كان طول كل واحد منهم
سبعين ذراعا فاستهزؤا حين ذكر لهم الريح فخرجوا الى الفضاء وضربوا بارجلهم وغيبوا فى الارض الى قريب
من الركبة فقالوا قل للريح حتى ترفعنا فجاءت الريح فدخلت تحت الارض وجعلت ترفع كل اثنين وتضرب
احدهما بالآخر بعد ما ترفعهما فى الهوآء ثم تلقيهما فى الارض والباقون ينظرون اليهما حتى رفعتهم كلهم
ثم رمت بالرمل والتراب عليهم وكان يسمع انينهم من تحت التراب كذا وكذا يوما وتذكير صفة نخل للنظر
الى اللفظ كما ان تأنيثها فى قوله اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وكذا قوله جاءتها ريح عاصف ولسليمان الريح
عاصفة (فكيف كان عذابى ونذر) تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار
كما فى الارشاد وقال فى برهان القرآن اعاد فى قصة عاد فكيف كان عذابى ونذر مرتين لان الاول فى الدنيا
والثانى فى العقبى كما قال فى هذه القصة لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى
وقيل الاول لتحذيرهم قبل هلاكهم والثانى لتحذير غيرهم بعد هلاكهم انتهى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر) الكلام فيه كالذى مر فيما سبق وفيه اشارة الى اهل النفوس الامارة فانهم بواسطة انهماكهم
فى الشهوات الجسمانية احتجبوا عن الله وموائد كرمه فارسل الله عليهم صرصر ريح اهوآئهم الظلمانية
وبدعهم الشيطانية فى يوم نحوسة الاحتجاب وسلطها عليهم فسقطوا على ارض الهوان والخذلان كأنهم
اعجاز نخل منقلع عن تخوم الارض ساقط على وجه الارض مثل اجساد جامدة بلا رؤس نعوذ بالله من تجليات
قهره وتسلط عذابه وغضبه فى يومه وشهره فعلى العاقل ان يتذكر بهذه الذكرى ويعتبر بهذه الآية الكبرى
چو بركشته بختى در افتد به بند * از و نيكبختان بكيرند پند * تو پيش از عقوبت در عفو كوب *
كه سودى ندارد فغان زير چوب * فلو آمن ايمان بأس اوتاب توبة يأس لم يقبل * فرا شو چو بينى
در صلح باز * كه ناكه در توبه كردد فراز * مرو زير بار كناه اى پسر * كه حمال عاجز بود در سفر *
كاورد خفف الحمل فان العقبة كؤود * پى نيك مردان ببايد شتافت * كه هر كين سعادت طلب
كرد يافت * وليكن تو دنبال ديو خسى * ندانم كه در صالحان كى رسى * ثم ان سبب هلاك عاد بالريح
اعتمادهم على قوتهم والريح اشد الاشياء قوة فاستأصلهم الله بها حتى يحصل الاعتبار لمن بعدهم من القرون
فلا يعتمدوا على قواهم وفيه اشارة الى ان الريح هو الهواء المتحرك فالخلاص من ذلك الهواء انما هو بترك
الهوى ومتابعة الهدى نسأل الله من فضله ذلك (كذبت ثمود بالنذر) اى الانذارات والمواعظ التى سمعوها
من صالح عليه السلام او بالرسل فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على الشرائع (فقالوا ابشرا منا)
اى كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده فاداة الاستفهام داخلة على الفعل وان كان تقديرا

كما هو الاصل (واحدا) اى منفردا لاتبع له اوواحدا من آحادهم لامن اشرافهم وتأخيرهذه الصفة عن منا للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدمت عليه لفاتت هذه النكتة (نتبعه) فى امره (انا اذن) اى على تقدير اتباعنا اياه وهو منفرد ونحن امة جمة وايضا ليس بملك لما كان فى اعتقاد الكفرة من التنافى بين الرسالة والبشرية (لفى ضلال) عن الصواب (وسعر) اى جنون فان ذلك بمعزل عن مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر اى نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول (ءالقى الذكر) اى الكتاب والوحى (عليه من بيننا) وفينا من هو احق بذلك والاستفهام للانكار ومن بيننا حال من ضمير عليه اى اخص بالرسالة منفردا من بين آل ثمود والحال ان فيهم من هو اكثر مالا واحسن حالا (بل هو كذاب اشر) اى ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه واشر اسم فاعل مثل فرح بمعنى خود پسند وستيزنده وسبكسار وبابه علم والاشر التجبر والنشاط يقال فرس اشر اذا كان مرحا نشيطا (سيعلمون غدا من) كيست فهو استفهام (الكذاب الأشر) حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعداله ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والغد اليوم الذى يلى يومك الذى انت فيه والمراد به وقت نزول العذاب فى الزمان المستقبل لايوم بعينه ولا يوم القيامة لان قوله انا مرسلوا الناقة استئناف لبيان مبادى الموعود حتما والمعنى سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذى حمله اشره وبطره على الترفع والتجبر اصالح ام من كذبه وفيه تشريف لصالح حيث ان الله تعالى سلب عنه بنفسه الوصف الذى اسندوه اليه من الكذب والاشر فان معناه لست انت بكذاب اشر بل هم (انا مرسلوا الناقة) مخرجوها من الهضبة التى سألوا والهضبة الجبل المنبسط على الارض او جبل خلق من صخرة واحدة او الجبل الطويل الممتنع المنفرد ولايكون الا فى حمر الجبال كما فى القاموس (روى) انهم سألوه متعنتين ان يخرج من صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لها الكاثبة ناقة حمراء جوفاء وبراء عشراء وهى التى اتت عليها عشرة اشهر من يوم ارسل عليها الفحل فاوحى الله اليه انا مخرجوا الناقة على ما وصفوا (فتنة لهم) اى امتحانا فان المعجزة محنة واختبار اذ بها يتميز المثاب من المعذب (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ما يصنعون (واصطبر) على اذيتهم صبرا بليغا (ونبئهم) اخبرهم (ان الماء قسمة بينهم) مقسوم لها يوم ولهم يوم فالماء قسمة من قبيل تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وبينهم لتغليب العقلاء (كل شرب) اى كل نصيب من الماء ونوبة الانتفاع منه (محتضر) يحضره صاحبه فى نوبته فليس معنى كون الماء مقسوما بين القوم والناقة انه جعل قسمين قسم لها وقسم لهم بل معناه جعل الشرب بينهم على طريق المناوبة يحضره القوم يوما وتحضره الناقة يوما وقسمة الماء اما لان الناقة عظيمة الخلق ينفر منها حيوانا تهم اولقلة الماء (فنادوا) پس بخواندند قوم ثمود (صاحبهم) هو قدار بن سالف بضم القاف والدال المهملة وهو مشئوم آل ثمود ولذا كانت العرب تسمى الجزار قدارا تشبيها له بقدار بن سالف لانه كان عاقر الناقة كما سيجئ وكان قصيرا شريرا ازرق اشقر احمر وكان يلقب باحيمر ثمود تصغير احمر تحقيرا وفى كشف الاسرار يقال له احمر ثمود وقيل اشأم عاد يعنى عادا الآخرة وهى ارم تشاءم به العرب الى يوم القيامة ومن هذا يظهر الجواب عما قال السجاوندى فى عين المعانى وقد ذكره زهير فى شعره

فتنتج لكم غلمان اشأم كلهم * كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم

قيل هو غلط وهو احمر ثمود انتهى (فتعاطى فعقر) التعاطى مجاز عن الاجتراء لان التعاطى هو تناول الشئ بتكلف وما يتكلف فيه لابد ان يكون امرا هائلا لايباشره احد الا بالجراءة عليه وبهذا المجاز يظهر وجه التعقيب بالفاء فى فعقر والا فالعقر لايتفرع على نفس مباشرة القتل والخوض فيه والعقر بالفارسية پى كردن يقال عقر البعير والفرس بالسيف فانعقر اى ضرب به قوائمه وبابه ضرب والمعنى فاجترأ صاحبهم قدار على تعاطى الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة (قال الكاشفى) محرك عقر ناقه دو زن بودند عنيزه ام غنم وصدوق بنت المختار وفى التفاسير صدقة بدل صدوق وذلك لما كانت الناقة قد اضرت بمواشيها پس صدوق ابن عم خود مصدع بن دهر را بوصال خود وعده داد وعنيزه يكى از دختران خود را نامزد قدار كرده وهرد و براه كذر ناقه كمين كردند چون ناقه از آب باز كشت اول بمصدع رسيده اوتيرى

بيفكند كه پايهاى ناقه بهم دوخت قدار تيراز كمين كاه بيرون آمده بشمشير ناقه را پى كرد فمعنى فنادوا صاحبهم فنهوه على تجيئها وقربها من حكمه اوانه لماهم بها هابها فناداه اصحابه فشجعوه اونادى مصدع بعدمارماها بسهم دونك الناقة فاضربها فضربها وچون از پاى درآمد اورا قطعه قطعه كردند وميان قوم منقسم ساختند وبچه اوبحو برآمده سه بانك كرد واز انجا بآسمان رفت وكفتند اونيز كشته شد وبعد ازسه روز عذاب ثمود نازل شد (فكيف كان عذابى ونذر) الكلام فيه كما الذى مر فى صدر قصة عاد (انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة) هى صيحة جبريل عليه السلام وذلك لانها هى اجزاء الوفاق لفعلهم فانهم صاروا سببا لصيحة الولد بقتل امه وفى الحديث (لاتوله والدة بولدها) اى لاتجعل والهة وذلك فى السبايا بأن يفرق بينها وبين ولدها وفى الحديث (من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين احبته يوم القيامة) كما فى المقاصد الحسنة للسخاوى (فكانوا) اى فصاروا لاجل تلك الصيحة بعدان كانوا فى نضارة وطيب عيش (كهشيم المحتظر) الهشم كسر الشئ الرخو كالنبات والهشيم بمعنى المهشوم اى المكسور وهو اليابس المتكسر من الشجر وغيره والحظر جمع الشئ فى حظيرة والمحظور الممنوع والمحتظر بكسر الظاء الذى يعمل الحظيرة ويتخذها قال الجوهرى الحظيرة التى تعمل للابل من الشجر لتقيها البرد والريح والمعنى كالشجر اليابس الذى يتخذه من يعمل الحظيرة اوكالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وفى الآيات اشارة الى ثمود النفس الامارة بالسوء ومعاملتها مع نذر القلب فانه يدعوها الى الانسلاخ عن الصفات البشرية والتلبس بالصفات الروحانية وهى تدعى المجانسة معه اذالنفس والقلب والروح بل النفس اخت القلب من جانب ايسر البطن وكذا تدعى تقدم رتبتها على القلب وتصرفها فى القالب ومايحتوى عليه من القوى البشرية والطبيعية وتأخرية القلب لانه حصل بعد ازدواج الروح مع النفس فبسبب تقدم رتبة النفس على القلب استنكفت النفس عن اتباعه والامتثال لاوامره وما عرفت ان تقدم الشرف والحسب اعلى وافضل من تقدم الشرف والنسب ولذا قالت الحكماء توانكرى بهنرست نه بمال وبزركى بعقلست نه بسال وقال بعضهم

وماينفع الاصل من هاشم * اذا كانت النفس من باهله

وهى قبيلة عرفت بالدناءة والخساسة جدا فخطأت النفس نذر القلب مع ان الخاطئة نفسها واقترحت باخراج الناقة وذلك ان حقيقة النفس واحدة غير متعددة لكن بحسب توارد الصفات المختلفة عليها تسمى بالاسماء المختلفة فاذاتوجهت الى الحق توجها كليا تسمى بالمطمئنة واذاتوجهت الى الطبيعة البشرية توجها كليا تسمى بالامارة واذاتوجهت الى الحق تارة والى الطبيعة اخرى تسمى اللوامة فثمود النفس الامارة طلبت على جهة المكر والاستكبار من صالح رسول القلب المرسل من حضرة الروح ان يظهر ناقة النفس المطمئنة من شاهق جبل النفس الامارة بان يبدل صفتها من الامارية الى الاطمئنان فسأل صالح رسول القلب من حضرة الروح مسئولها فاجابته اظهارا للقدرة والحكمة حتى غلب انوار الروح وانطمست ظلمة النفس كما ينطمس عند طلوع الشمس ظلام الليل وكان للنفس المطمئنة شرب خاص من المعارف والحقائق كما كان للنفس الامارة شرب خاص من المشارب الجسمانية فنادى الهوى واعوانه بعضهم بعضا باستخلاص النفس الامارة من استيلاء نور الروح عليها مخافة ان ينغمس الهوى ايضا تحت هذا النور فتعاطى بعض اصحاب الهوى ذلك وكانت النفس الامارة ماتمكنت فى مقام الاطمئنان تمكنا مستحكما بحيث لاتتأثر بل كان لها بقية تلوين فقتلوها بابطال طمأنينتها فرجعت القهقرى فانقهرت النفس والهوى تحت صيحة القهر وصارت متلاشية فى حضرت القهر والخذلان محترقة بنار القطيعة والهجران كما قال فكيف كان عذابى ونذر فمن كان اهل الذكر والقرآن اى الشهود الجمعى يعتبر بهذا الفراق ويجتهد الى ان يصل الى نهاية الاطمئنان على الاطلاق فان النفس وان تبدلت صفتها الامارية الى المطمئنة لايؤمن من مكرها وتبدلها من المطمئنة الى الامارية ولووكلت الى نفسها طرفة عين لعادت المشؤمة الى طبعها وجبلتها كما كان حال بلعام وبرصيصا ولذا قال عليه السلام لاتكلنى الى نفسى طرفة عين ولااقل من ذلك وقال الجنيد قدس سره لاتألف النفس الحق ابدا الاترى ان الذمى وان قبل الخراج فانه لايألف المسلم الفة مسلم وفرح

الغراب وان ربى من الصغر وعلم فانه لايخلو من التوحش فالنفس لبست باهل الاصطناع والمعروف والملاطفة ابدا وانما شأنها تضييقها ومجاهدتها وارياضتها الى مفارقة الروح من الجسد (ولذا قال فى المثنوى) اندرين رهمى خراش ومى تراش * تادم آخر دمى فارغ مباش * ومنه يعلم سر قولهم ان ورد الاستغفار لايسقط بحال ولذا قال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره مع ظهور الفتح المطلق نسأل الله تعالى ان يجعلنا من العلماء العاملين والادباء الكاملين بسر النبى الامين (كذبت قوم لوط بالنذر) اى بالانذارات او بالمنذرين كما سبق (انا ارسلنا عليهم حاصبا) اى ريحا تحصبهم اى ترميهم بالحصباء وهى حجارة دون ملئ الكف فالحصب الرمى بالحصى الصغار ومنه المحصب موضع الجمار وقول عمر رضى الله عنه حصبوا المسجد والحاصب اسم فاعل بمعنى رامى الحصباء وتذكيره مع اسناده الى ضمير الريح وهى مؤنث سماعى لتأويلها بالعذاب يقول الفقير لعل سر تعذيبهم بالحجارة لانهم حجروا ومنعوا من اللواطة فلم يمتنعوا بل رموا نطفهم الى غير محل الحرث فرماهم الله بالحجر ومن ثمة ذهب احمد بن حنبل رحمه الله الى ان حكم اللوطى ان يرجم وان كان غير محصن وايضا انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم اصابه كان اولى به واما الريح فلانهم كانوا يضرطون فى مجالسهم علانية ولا يتحاشون واما انقلاب قراهم فلانهم كانوا يقلبون المرد عند اللواطة فجازاهم الله بحسب اعمالهم وايضا قلبوا الحقيقة وعكسوها بان تركوا محل الحرث واتوا الادبار (الا آل لوط) وهم اهل بيته الذين نجوا من العذاب وكانوا ثلاثة عشر وقيل يعنى لوطا وابنتيه وفى كشف الاسرار يعنى بناته ومن آمن به من ازواجهن (نجيناهم بسحر) اى فى سحر من الاسحار وهو آخر الليل او السدس الاخير منه وفى المفردات السحر اختلاط ظلام آخر الليل بصفاء النهار وجعل اسما لذلك الوقت ويجوز ان يكون حالا اى ملتبسين بسحر (روى) ان الله امره حتى خرج بهم بقطع من الليل فجاء العذاب قومه وقت السحر والاستثناء منقطع لانه مستثنى من الضمير فى عليهم وهو للمكذبين من قوم لوط ولا يدخل فيهم آل لوط لان المراد به من تبعه على دينه (نعمة من عندنا) اى انعاما كائنا منا وهو علة لنجينا و يجوز ان يكون مصدرا من فعله او من معنى نجيناهم لان تنجيتهم انعام (كذلك) اى مثل ذلك الجزاء العجيب (نجزى من شكر) نعمتنا بالايمان والطاعة يعنى كذلك نجى المؤمنين (ولقد انذرهم) لوط (بطشتنا) اى اخذتنا الشديدة بالعذاب (فتماروا) فكذبوا (بالنذر) متشاكين فتماروا ضمن معنى التكذيب فعدى تعديته من المرية واصله تماريوا على وزن تفاعلوا (ولقد راودوه عن ضيفه) المراودة ان تنازع غيرك فى الارادة فترود غير ما يروده وسبق تحقيقها فى سورة يوسف والضيف بالفارسية مهمان والمعنى ولقد ارادوا من لوط تمكينهم ممن اتاه من اضيافه وهم الملائكة فى صورة الشبان ومعهم جبريل وقصدوا الفجور بهم ظنا منهم انهم بشر (فطمسنا اعينهم) الطمس المحو واستئصال اثر الشئ اى فسخناها وسويناها كسائر الوجه بحيث لم يرلها شق (روى) انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط والصفق الضرب الذى ليس له صوت (فذوقوا) اى فقلنا لهم على السنة الملائكة ذوقوا (عذابى ونذر) والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب وفيه اشارة الى ان طمس الابصار كان من نتائج مسخ الابصار ولذا ورد فى القرآن ونحشره يوم القيامة اعمى لانه اعرض عن ذكر الله ولم يلتفت اليه اصلا (ولقد صبحهم بكرة) التصبيح بامداد بنزديك كسى آمدن اى جاءهم وقت الصبح (عذاب) اى الخسف والحجارة (مستقر) يستقر بهم ويثبت لايفارقهم حتى يفضى بهم الى النار يعنى عذاب دائم متصل بعذاب الاخرة وفى وصفه بالاستقرار ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهى به والحاصل ان العذاب الذى هو قلب قريتهم عليهم وجعل اعلاها اسفلها ورميهم بالحجارة غير العذاب الذى نزل بهم من طمس الاعين فانه عذاب دنيوى غير موصول بعذاب الآخرة واما عذاب الخسف والحجارة فموصول به لانهم بهذا العذاب ينتقلون الى البرزخ الموصول بالآخرة كما اشار اليه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته اى من حيث اتصال زمان الموت بزمان القيامة كما ان ازمنة الدنيا تتصل بعضها ببعض (فذوقوا عذابى ونذر) حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب (ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر) مر ما فيه من الكلام وفيه استئناف للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وكذا تكرير قوله تعالى

فبأى آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما من الانباء والقصص والمواعيد والزواجر والقواطع فان فى التكرير تقريرا للمعانى فى الاسماع والقلوب وتثبيتا لها فى الصدور وكلما زاد تكرير الشئ وترديده كان اقرله فى القلب وامكن فى الصدر وارسخ فى الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان وفى القصة اشارة الى معاملة لوط الروح مع قوم النفس الامارة ومعاملة الله بهم من انجاء لوط الروح بسبب صفاته الروحانية واهلاك قومه بسبب صفاتهم البشرية الطبيعية وكل من غلب عليه الشهوة البهيمية التى هى شهوة الجماع يجب عليه ان يقهر تلك الصفة ويكسرها باجار ذكر لا اله الا الله ويعالج تلك الصفة بضدها وهو العفة التى هى هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذى هو افراط هذه القوة والخمود الذى هو تفريطها فالعفيف من يباشر الامور على وفق الشرع والمروءة بخلاف اهل الشهوة فان الشهوة حركة للنفس طلبا للملائم وحال النفس اما افراط او تفريط فلابد من اصلاحها من جميع القوى والصفات فانها هى التى حملت الناس على الفجور وايقاع الفتنة بينهم وتحريك الشرور * نمى نازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان * نسأل الله العون والتوفيق والثبات فى طريق التحقيق (ولقد جاء آل فرعون النذر) اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بالنذر اى وبالله لقد جاءهم الانذارات من جهة موسى وهرون عليهما السلام كأنه قيل فاذا فعلوا حينئذ فقيل (كذبوا باياتنا كلها) يعنى الآيات التسع وهى اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وحل عقدة من لسانه وانفلاق البحر (فأخذناهم) بالعذاب عند التكذيب (اخذ عزيز) لا يغالب يعنى كرفتن غالبى كه مغلوب نكردد دركرفتن (مقتدر) لا يعجزه شئ والمقصود ان الله تعالى هو العزيز المقتدر ولذا اخذهم بتكذيبهم ولم يمنعه من ذلك مانع والمراد بالعذاب هو الاغراق فى بحر القلزم او النيل يقول الفقير لعل سر الغرق ان فرعون وصل الى موسى بسبب الماء الذى ساقه اليه فى تابوته فلم يشكر لا نعمة الماء ولا نعمة موسى فانقلب الحال عليه بضد ذلك حيث اهلكه الله وقومه بالماء الذى هو سبب الحياة لغيرهم ووجه ادخال الطمس فى العذاب بالنسبة الى قوم لوط ودرج الطوفان ونحوه فى الآيات بالاضافة الى آل لوط ظاهر لان المقصود هو العذاب المتعلق بالوجود والطمس كذلك دون بعض آيات فرعون (اكفاركم) يامعشر العرب (خير) عند الله قوة وشدة وعدة وعدة (من اولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون والمعنى انه اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيرتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوء حالا (ام لكم براءة فى الزبر) اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر اى بل الكم براءة وامن من عذاب الله بمقابلة كفركم ومعاصيكم نازلة فى الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما انتم عليه وتأمنون بتلك البراءة والمعنى به الانكار يعنى لم ينزل لكم فى الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو فى امن من عذاب الله (ام يقولون) جهلا منهم (نحن جميع منتصر) تبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم يقال نصره من عدوه فانتصر اى منعه فامتنع اى بل ايقولون واثقين بشوكتهم نحن اولو حزم ورأى امرنا مجتمع لا نرام ولا نضام او منتصر من الاعداء منتقم لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا على ان يكون افتعل بمعنى تفعل كالختصم والافراد فى منتصر باعتبار لفظ الجميع قال ابو جهل وقد ركب يوم بدر فرسا كميتا كان يعلفه كل يوم فرقا من ذرة وقد حلف انه يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فقتل يومئذ وجر رأسه الى رسول الله ابن مسعود رضى الله عنه وفيه اشارة الى كفار صفات النفس واختلاف انواعها مثل البهيمية والسبعية والشيطانية والهوائية والحيوانية وتناصر بعضها ينصر بعض وتعاون بعض بمعاونة بعض (سيهزم الجمع) رد وابطال لذلك والسين للتأكيد اى سيهزم جمع قريش البتة (ويولون الدبر) اى الادبار والتوحيد لارادة الجنس يعنى ينصرفون عن الحرب منهزمين وينصر الله رسوله والمؤمنين وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادرى اى جمع فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله عليه السلام يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وهذا من معجزات رسول الله عليه السلام لانه اخبر عن غيب فكان كما اخبر قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين نزول هذه الآية وبين يوم بدر سبع سنين فالآية على هذا مكية

(بل الساعة موعدهم) اى ليس هذا تمام عقوبتهم بل القيامة موعد اصل عذابهم وهذا من طلائعه (والساعة
اظهارها فى موقع اضمارها التربية تهويلها (ادهى) اعظم داهية وفى اقصى غاية من الفظاعة والداهية الامر
الفظيع لايهتدى الى الخلاص منه (وامر) اشد مرارة وفى اقصى نهاية من المرارة وحاصله ان موقف القيامة
اهول من موقف بدر وعذابها اشد واعظم من عذابه لان عذاب الدنيا مثل الاسر والقتل والهزيمة ونحوها
انموذج من عذاب الآخرة كما ان نارها جزؤ من سبعين جزأ من نارها (ان المجرمين) اى المشركين من الاولين
والآخرين (فى ضلال وسعر) اى فى هلاك ونيران مسعرة والتسعير آتش نيك آفروختن وقيل فى ضلال
عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة (يوم يسحبون) منصوب اما بما يفهم من قوله فى ضلال اى كائنون
فى ضلال وسعر يوم يجرون (فى النار على وجوههم) واما بقول مقدر بعده اى يوم يسحبون يقال لهم
(ذوقوا مس سقر) سقر علم لجهنم ولذلك لم ينصرف وقيل اسم لطبقتها الخامسة من سقرته النار اذا لوحته
اى غيرته والمس كاللمس وهو ادراك بظاهر البشرة والمعنى قاسوا حرها وآلمها فان مسها سبب للتألم بها فمس سقر
مجاز عن ألمها بعلاقة السببية وفى القاموس ذوقوا مس سقر اى اول ماينالكم منها كقولك وجد مس الحمى
انتهى وعن النبى صلى الله عليه وسلم اول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل استشهد اتى به فعرفه نعمه
فعرفها فقال ماعملت فيها قال قاتلت فى سبيلك حتى استشهدت قال كذبت انما اردت ان يقال فلان جرئ
فقد قيل فامر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن فاتى به فعرفه نعمه فعرفها
فقال ماعملت فيها فقال تعلمت العلم وقرأت القرآن وعلمت قال كذبت انما اردت ان يقال فلان عالم
وفلان قارئ فقد قيل فامر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار ورجل آتاه الله تعالى من انواع المال فاتى به
فعرفه نعمه فعرفها فقال ماعملت فيها قال ما تركت من شئ يجب ان ينفق فيه لك قال كذبت انما اردت
ان يقال فلان جواد فقد قيل فامر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار وعن عطاء السلمى قال خرجت يوما
مع اصحابى نستسقى فلقينى سعدون فقال ياعطاء هل خرجتم بقلوب سماوية او بقلوب ارضية قلت بل بقلوب
سماوية فقال ياعطاء لاتتعوج فان الناقد بصير فخجلت منه فلما دعونا ولم نمطر قلت له ادع الله حتى يسقينا
فرفع رأسه الى السماء فقال بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال بحرمة ماكان بينى و بينك البارحة ان تسقينا
فلم يفرغ من كلامه حتى مطرنا ثم بكى ورجع والكلام فى تصحيح النية وتطهير القلب عن الغير والاخلاص لله
تعالى ومن بقى فى صفات نفسه واعرض عن الحق واقبل على الدنيا وشهواتها فهو يجر فى نار جهنم البعد
والطرد و يذوق حر نار الهجران والخذلان (انا كل شئ) من الاشياء وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده
(خلقناه) حال كون ذلك الشئ ملتبسا (بقدر) متعين اقتضته الحكمة التى عليها يدور امر التكوين
فقدر بمعنى التقدير وهو تسوية صورته وشكله وصفاته الظاهرة والباطنة على مقدار مخصوص اقتضته
الحكمة وترتبت عليه المنفعة المنوطة بخلقه اوخلقناه مقدرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه لايغير ولا يبدل
(مصرع) قضى الله امرا وجف القلم * سر برخط لوح ازلى دار وخموش * كر هرچه قلم رفته
قلم در نكشند * فالمراد بالقدر تقديره فى علمه الازلى وكتبه فى اللوح المحفوظ وهو القدر المستعمل
فى جنب القضاء فالقضاء وجود جميع المخلوقات فى اللوح المحفوظ مجتمعة والقدر وجودها فى الاعيان
بعد حصول شرائطها واذا عبر بالخلق فانه انما يتعلق بالوجود الظاهرى فى الوقت المعين وفى الحديث (كتب الله
مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء) وعنه عليه السلام
(كل شئ بقدر الله حتى العجز والكيس) وعنه عليه السلام (لايؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله
وانى رسول الله بعثنى بالحق و يؤمن بالبعث بعد الموت و يؤمن بالقدر خيره وشره اى حلوه ومره
قال فى كشف الاسرار مذهب اهل سنت انست كه نيكى و بدى هرچند فعل بنده است و بنده بدان مثاب
ومعاقب است اما بخواست الله است و بقضا وتقدير او چنانكه رب العزت كفت (قل كل من عندالله)
وقال تعالى (انا كل شئ خلقناه بقدر) وقال عليه السلام القدر خيره وشره من الله ففى الآية رد على القدرية
والمعتزلة والخوارج وفى التأويلات النجمية خلقنا كل شئ اى موجود علمى وعينى فى الازل بمقدار معين
مثل ماقال الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى اى كل شئ مخلوق على مقتضى استعداده الذاتى وقابليته

الاصلية الازلية لازائد فيه ولا ناقص كما قال الغزالى رحمه الله ليس فى الامكان ابدع من هذا الوجود لانه لو كان ولم يظهر لكان بخيلا وهو جواد ولو كان عاجزا وهو قادر (وما امرنا) لشئ نريد تكوينه (الا واحدة) اى كلمة واحدة لا تثنى سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن اوالا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة (كلمح بالبصر) فى اليسر والسرعة فان اللمح النظر بالعجلة فمعنى كلمح كنظر سريع قال فى القاموس لمح اليه كمنع اختلس النظر كالمح وفى المفردات اللمح لمعان البرق ورأيته لمحة برق قال ابن الشيخ لما اشتملت الآيات السابقة على وعيد كفار اهل مكة بالاهلاك عاجلا وآجلا والوعد للمؤمنين بالانتصار منهم جيئ بقوله انا كل شئ خلقناه بقدر تأكيدا للوعيد والوعد يعنى ان هذا الوعيد والوعد حق وصدق والموعود مثبت فى اللوح مقدر عند الله لا يزيد ولا ينقص وذلك على الله يسير لان قضاءه فى خلقه اسرع من لمح البصر وقيل معنى الآية معنى قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر قال بعض الكبار ليس المراد بكلمة كن حرف الكاف والنون انما المراد بها المعنى الذى به كان ظهور الاشياء فكن حجاب للمعنى لمن فهم وكل انسان له فى باطنه قوة كن وما له فى ظاهره الاالمعتاد وفى الآخرة يكون حكم كن منه فى الظاهر وقد يعطى الله ذلك لبعض الرجال فى هذه الدار بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه تصرف بها فى عدة مواطن منها قوله فى غزوة تبوك كن ابا ذر فكان ابا ذرثم لا يخفى انه لم يعط احد من الملائكة وغيرهم حرف كن انما هى خاصة بالانسان لما انطوى عليه من الخلافة والنيابة وفى التأويلات النجمية وما امر تجلينا للاشياء كلها علويها وسفليها الا تجل واحد اى وحدانى الوصف لا كثرة فيه لكن يتكثر بحسب المتجلى له ويظهر فيه بحسبه ظهور الصورة الواحدة فى المرآئى المتكثرة يظهر فى الكبير كبيرا وفى الصغير صغيرا وفى المستطيل مستطيلا وفى المستدير مستديرا والصورة على حالها المخلوقة عليها باقية لا تغير ولا تبدل بها كما يلمح الناظر ويرى فى اللمحة الواحدة ما يحاذى بصره (ولقد اهلكنا اشياعكم) اى اشباهكم فى الكفر من الامم جمع شيعة وهو من يتقوى به الانسان وينتشر عنه كما فى المفردات وقال فى القاموس شيعة الرجل بالكسر اتباعه وانصاره والفرقة على حدة ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث (فهل من مدكر) متعظ يتعظ بذلك فيخاف وفيه اشارة الى انا بقدرتنا الازلية وحكمتنا البالغة اهلكنا وافنينا اشباهكم وامثالكم يا ارباب النفوس الامارة ويا اصحاب القلوب الجوالة اما بالموت الطبيعى واما بالموت الارادى فهل من معتبر يعتبر هذا وهذا ويختار لنفسه الأليق والاحرى (وكل شئ فعلوه) من الكفر والمعاصى مكتوب على التفصيل (فى الزبر) اى فى ديوان الحفظة جمع زبور بمعنى الكتاب فهو بمعنى مزبور كالكتاب بمعنى مكتوب وقال الغزالى رحمه الله كل شئ فعله الامم فى كتب انبيائهم المنزلة عليهم كافعال كفار زماننا فى كتابنا (وكل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) مسطور فى اللوح المحفوظ بتفاصيله يقال استطره كتبه كما فى القاموس قال يحيى بن معاذ رحمه الله من علم ان افعاله تعرض عليه فى مشهد الصدق وانه مجازى عليها اجتهد فى اصلاح افعاله واخلاص اعماله ولزم الاستغفار لما سلف من افراطه وقد روى ان النبى عليه السلام ضرب لصغائر الذنوب مثلا فقال انما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بفلاة من الارض وحضر جميع القوم فانطلق كل واحد منهم يحطب فجعل الرجل يجيئ بالعود والآخر بالعود حتى جمعوا سوادا واججوا نارا فشووا خبزهم وان الذنب الصغير يجتمع على صاحبه فيهلكه الا ان يغفر الله اتقوا محقرات الذنوب فان لها من الله طالبا ولقد احسن من قال

خل الذنوب صغيرها * وكبيرها ذاك التقى * واصنع كماش فوق ار * ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة * ان الجبال من الحصى

(ان المتقين) اى من الكفر والمعاصى (فى جنات) اى بساتين عظيمة الشأن بحيث لا يوصف نعيمها وما اعد فيها لاهلها (ونهر) اى انهار كذلك يعنى انهار الماء والخمر والعسل واللبن والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل (فى مقعد صدق) خبر بعد خبر وهو من اضافة الموصوف الى الصفة والصدق بمعنى الجودة والمعنى فى مكان مرضى ومجلس حق سالم من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل ان سلمت من ذلك (عند مليك) المراد من العندية قرب المنزلة والمكانة دون قرب المكان والمسافة والمليك ابلغ من المالك وهو بالفارسية پادشاه والتنكير للتعظيم والمعنى حال كونهم مقربين عند عزيز الملك واسعه لا يقادر قدر ملكه فلا شئ

الا وهو تحت ملكوته فاى منزلة اكرم من تلك واجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها (مقتدر) قادر لايعجزه شئ عال امره فى الاقتدار وفى التأويلات النجمية يعنى المتقين بالله عما سواه فى جنات الوصلة وانهار مياه المعرفة والحكمة يغمسون فيها و يخرجون منها درر المعارف ولآلئ العوارف فى مقعد صدق هو مقام الوحدة الذاتية فى مقام العندية كما قال عليه السلام ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ودر كشف الاسرار آورده كه كلمهٔ عندر قم تقريب وتخصيص داردیعنی اهل قرب فرداد ران سرابدان اختصاص خواهند داشت وحضرت پيغمبر عليه السلام امروز درين سرا مخصوص بآن بوده كه (ابيت عند ربى) وچون رتبهٔ كه فردا خواص بآن نازند امروز پاى ادناى وى بوده پس ازمرتبهٔ اعلاى فرداى او كه نشان تواند داد * اى محرم سر لايزالى * مرآت جمال ذى الجلالى * مهمان ابيت عند ربى * صاحب دل لاينام قلبى * ازقربت حضرت الهى * هستى بمثابهٔ كه خواهى * قربى عبارتش نسنجد * درخوصلهٔ خرد نگنجد * كم كشته بود عبارت آنجا * بلكه نرسد عبارت آنجا - وفى الآية اشارة الى ان التقوى توصل العبد الى جنات الدرجات وانهار العلوم والمعارف الحقيقية الالهية ثم الى مقام الصديقين ثم الى مقام الوحدة الذاتية المشار اليها بالعندية قال الامام جعفر الصادق رضى الله عنه مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق وهو المقام الذى يصدق الله فيه وعده لاوليائه بان يبيح لهم النظر الى وجهه الكريم قيمت وعزآن بقعه نه بمرغ بريان وجوى روان وخيرات حسان است بلكه بديدار چنانكه قيمت صدف بدر شاهوار كما قيل

وما عهدى بحب تراب ارض * ولكن من يحل بها حبيب

اى حوشا عيشا كه مؤمنا نراست دران مجلس انس وحظيرهٔ قدس باديهٔ انتظار بريده بكعبهٔ وصال رسيده خلعت رضا پوشيده شربت سروراز چشمهٔ وفا نوشيده عيش بى عتاب ونعمت بى حساب وديدار بى حجاب يافته (روى) صالح بن حبان عن عبدالله بن بريدة انه قال فى هذه الآية ان اهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار تعالى فيقرأون عليه القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذى له و مجلسى على منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة باعمالهم فلم تقراعينهم بشئ قط كما تقراعينهم بذلك ولم يسمعوا شيأ اعظم ولا احسن منه ثم ينصرفون الى رحالهم ناعمين قريرة اعينهم الى مثلها من الغد قال بعضهم المرادون فى الآية هم الذين لا يحجبهم الجنة ولا النعيم ولاشئ عنه تعالى قال البقلى يا اخى هؤلاء غرباء الله فى الدنيا والآخرة ادخلهم فى اغرب المنازل وهو مقام المجالسة معه بحيث لايطلع عليه الا اهل الصدق فى طلبه وهم فقراء المعرفة الذين قال عليه السلام فيهم الفقراء جلساء الله * سئل ابو يزيد البسطامى قدس سره عن الغريب قال الغريب من اذا طالبه الخلق فى الدنيا لم يجدوه ولو طالبه مالك فى النار لم يجده ولو طالبه رضوان فى الجنة لم يجده فقيل اين يكون يا ابا يزيد فقال ان المتقين فى جنات الخ فلا بد من الصدق وخدمة الصادقين حتى يصل الانسان الى هذا المطلب الجليل وهو على وجوه ومراتب اما الصدق فى القول فبصون اللسان عن الكذب الذى هو اقبح الذنوب قال عليه السلام التجار هم الكفار فقيل اليس الله قد احل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال عليه السلام الكذب ينقص الرزق وفى الحديث (اربع من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر) واما الصدق فى الحال فبصون الحال عما ينقصه مثلا اذا عزم على امر وحال من التسليم والتوكل وغيرهما فصدقه بالاستمرار على عزيمته والاحتراز عن النقض واهل السلوك يهتمون فى صدق الحال اشد الاهتمام (روى) ان واحدا منهم كان كثير الوجد والزعقات فجاء يوما واودع خرقته عند الشيخ فى الحرم الشريف وقال ان صيحتى الآن لامرأة عشقتها فانا لا اريد ان اكون كاذبا فى حالى بان البس لباس العشاق وانا على تلك الحال ثم انه بعد ايام جاء واخذ خرقته وقال الحمد الذى خلصنى منها وعدت الى حالى ومن قبيل الصدق فى الحال صدق المريد فى ارادته فانه اذا وقع منه حركة مخالفة لارادة الشيخ فهو كاذب فى ارادته فان المريد من افنى ارادته فى ارادة الشيخ ففى اى مرتبة من القال والحال وجد الصدق كان سبب النجاة وباعثا لرفع الدرجات قال الشاعر

سيعطى الصادقين بفضل صدق * نجاة فى الحياة وفى الممات

وسبب هذا الشعر ان ثلاثة اخوة من الشام كانوا يغزون فاسرهم الروم مرة فقال لهم الملك انى اجعلكم ملوكا

وا زوجكم بناتى ان قبلتم النصرانية فابوا وقالوا يا محمداه فادخل اثنين فى الزيت المغلى واخذ الثالث علج وساط عليه ابنته وكانت من اجمل النساء فاخذ الشاب فى صيام النهار وقيام الليل فآمنت البنت وخرجا الى الشام فجاء اخواه الشهيد ان مع الملائكة ليلة وزوجاه المرأة وسألهما اخوهما عن حالهما فقالا ما كانت الا التى رأيت حتى دخلنا فى الفردوس وان الله تعالى ارسلنا اليك نشهد تزويجك بهذه الفتاة وكانا مشهورين بالشام حتى قال الشعراء فيهما ابياتا منها ما ذكرنا (وروى) جنيد البغدادى قدس سره عن امير المؤمنين على رضى الله عنه قال الصوف ثلاثة احرف فالصاد صدق وصبر وصفاء والواو ودوورد ووفاء والفاء فقر وفرد وفناء فاذا لم توجد هذه الصفات فى الصوفى لايكون صوفيا قال سهل رحمه الله اول خيانة الصديقين حديثهم مع انفسهم وسئل فتح الموصلى رحمه الله عن الصدق فادخل يده فى كير الحديد واخرج حديدة محماة و وضعها على كفه وقال هذا هو الصدق قال جنيد البغدادى رحمه الله الصادق ينقلب فى اليوم اربعين مرة والمرآئى يثبت على حالة واحدة اربعين سنة وذلك لان مطلب العارفين من الله الصدق والعبودية والقيام بحق الربوبية من غير مراعاة حظ النفس وكل من عداهم من العابد والزاهد والعالم لايقار قون الحظوظ والاغراض نسأل الله العافية

تمت سورة القمر بعون خالق القوى والقدر فى العشر الثالث من العشر الثالث من شوال المنتظم فى سلك شهور سنة اربع عشرة ومائة والف وتليها سورة الرحمن وتسمى عروس القرآن مكية اومدنية وآيها ست او سبع او ثمان وسبعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الرحمن) مبتدأ خبره ما بعده اى الذى له الرحمة الكاملة الشاملة كما جاء فى بعض الدعاء رحمان الدنيا ورحيم الآخرة لانه عم الرزق فى الدنيا كما قيل * اديم زمين سفرهٔ عام او ست * برين خوان يغما چه دشمن چه دوست * وخص المؤمنين بالعفو فى الآخرة وبا فسار سية خدا وند بخشايش بسيار كه رحمت او همه چيز را رسيده * والرحمة فى الحقيقة العطف والحنو اى الميل الروحانى ومنه الرحم لانعطافها الحسى على ما فيها واريد بها بالنسبة الى الله تعالى ارادة الخير اوالانعام لان من عطف على احد اصابه باحدهما قال الامام الغزالى رحمه الله الرحمن هو العطوف على العباد بالايجاد اولا وبالهداية الى الايمان واسباب السعادة ثانيا والاسعاد بالآخرة ثالثا والانعام بالنظر الى وجهه الكريم رابعا انتهى ولما كانت هذه السورة الكاملة شاملة لتعداد النعم الدنيوية والاخروية والجسمانية والروحانية طرزها بطراز اسم الرحمن الذى هو اسم الذات المشتمل على جميع الاسماء والصفات ليسند اليه النعم المختلفة بعده ولما كان القرآن اعظم النعم شأنا لانه مدار لجميع السعادات ولذا قال عليه السلام اشراف امتى حملة القرآن اى ملازموا قراءته واصحاب الليل وقال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وفيه جميع حقائق الكتب السماوية وكان تعليمه من آثار الرحمة الواسعة واحكامها بدأ به فقال (علم) محمدا صلى الله عليه وسلم (القرآن) بواسطة جبريل عليه السلام و بواسطة محمد عليه السلام غيره من الامة (قال الكاشفى) يعنى آسان كردانيده مراورا آموختن وديكر انرا آموز انيدن قال ابن عطاء رحمه الله لما قال الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها اراد ان يخص امة محمد بخاصة مثله فقال الرحمن علم القرآن اى الذى علم آدم الاسماء وفضله بها على الملائكة هو الذى علمكم القرآن وفضلكم به على سائر الامم فقيل له متى علمهم قال علمهم حقيقة فى الازل واظهر لهم تعليمه وقت الايجاد وفيه اشارة الى ان تعليم القرآن وان كان فى الصورة بواسطة جبريل من الوجه العام لكنه كان بلا واسطة فى المعنى من الوجه الخاص على ما سيزيد وضوحا فى محله ان شاء الله تعالى وقال بعضهم علم القرآن اى اعطى الاستعداد الكامل فى الازل لجميع المستعدين ولذلك قال علم القرآن ولم يقل علم الفرقان كما فى قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان فان الكلام الالهى قرآن باعتبار الجمع والبداية وفرقان باعتبار الفرق والنهاية فهو بهذا المعنى لايتوقف على خلق الانسان وظهوره فى هذا العالم وانما الموقوف عليه تعليم البيان ولذا قدم تعليم القرآن على خلق الانسان وخلقه على تعليم البيان انتهى وفى الآية اشارة الى ان التعليم والتسهيل انما هو من الله تعالى لامن المعلمين والحافظين وقد علم آدم الاسماء ووفقه لتعلمها وسهله باذنه وعلم داود صنعة الدرع كما قال وعلمناه صنعة لبوس

لكم وعلم عيسى علم الطب كما قال ويعلمه الكتاب والحكمة وعلم الخضر العلم اللدني كما قال وعلمناه من لدنا علما وعلم نبينا عليه السلام القرآن واسرار الالوهية كما قال وعلمك مالم تكن تعلم وعلم الانسان البيان قال في فتح الرحمن ومن الدليل على ان القرآن غير مخلوق ان الله تعالى ذكره في كتابه العزيز في اربعة وخمسين موضعا مافيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق ولا اشار اليه وذكر الانسان في ثمانية عشر موضعا كلها يدل على خلقه وقد اقترنا في هذه السورة على هذا النحو قاله المولى ابو السعود رحمه الله ثم قيل (خلق الانسان علمه البيان) تبيينا للعلم وكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ماهو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير قال الراغب البيان الكشف عن الشيء وهو اعم من النطق لان النطق مختص بالانسان ويسمى الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود واظهاره انتهى وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والمراد به جنس الانسان الشامل لجميع اصنافه وافراده وفي بحر العلوم خلق الانسان اي آدم وعلمه الاسماء واللغات كلها وكان آدم يتكلم بسبعمائة الف لغة افضلها العربية انتهى * يقول الفقير فيه اشارة الى ان الله تعالى قد تكلم بجميع اللغات سواء كان التعليم بواسطة ام لا فان قلت كيف يتكلم الله باللغات المختلفة والكلام النفسي عار عن جميع الاكسية قلت نعم ولكنه في مراتب التنزلات والاسترسالات لابد له من الكسوة فالعربية مثلا كسوة عارضة بالنسبة الى الكلام في نفسه وقد ذقنا في انفسنا انه يجيء الالهام والخطاب تارة باللفظ العربي واخرى بالفارسي وبالتركي مع كونه بلا واسطة ملك لان الاخذ عن الله لا ينقطع الى يوم القيامة وذلك بلا واسطة وان كان الغالب وساطة الملك من حيث لا يرى فاعرف ذلك (الشمس والقمر بحسبان) مبتدأ وخبر والحسبان بالضم مصدر بمعنى الحساب كالغفران والرجحان يقال حسبه عده وبابه نصر حسابا بالكسر وحسبانا بالضم واما الحسبان بالكسر فبمعنى الظن من حسب بالكسر بمعنى ظن والمعنى يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب فالسنة القمرية ثلاثمائة واربعة وخمسون يوما والشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم اواقل وفيه اشارة الى شمس فلك البروج وقر كرة القلب وسيرانهما في بروج التجليات الذاتية ومنازل التجليات الاسمائية والصفاتية وكل ذلك السيران بحسب استعداد كل واحد منهما بحساب معلوم وامر مقسوم (والنجم) اى النبات الذى ينجم اى يطلع من الارض ولا ساق له مثل الكرم والقرع ونحو ذلك (والشجر) الذى له ساق وفي المنتقى كل نابت اذا ترك حتى يبرز انقطع فليس بشجر وكل شيء يبرز ولا ينقطع من سنته فهو شجر (يسجدان) اى ينقادان لله تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا اويسجد ظلاهما على مابين في قوله تعالى يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وكفته اندمارا سجود ايشان وقوف نيست چنانچه بر تسبيح ايشان كما قال تعالى (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) ذكر في مقابلة النعمتين السماويتين اللتين هما الشمس والقمر نعمتين ارضيتين وهما النجم والشجر وكلاهما من قبيل النبات الذى هو اصل الرزق من الحبوب والثمار والحشيش للدواب واخلاء الجمل الاولى عن العطف لورودها على منهاج التعديد تنبيها على تقاعده في الشكر كما في قولك زيدا غناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك مالم يفعل احد باحد واما عطف جملة والنجم على ماقبلها فلتناسبهما من حيث التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله تعالى ولما كانت هذه الاربعة مغايرة لجنس الانسان في ذاته وصفاته غير النظم بايرادها في صورة الاسمية تحقيقا للتغاير بينهما وضعا وطبعا صورة ومعنى وفيه اشارة الى سجود نجم العقل الذى به يهتدى الى معرفة الاشياء واستهلاكه وتلاشيه عند النظر الى الحقائق الالهية والمعارف الربانية لعدم قوة ادراكه اياها مستعدا بنفسه غير مستفيض من الفيض الالهى بطريق الكشف والشهود والى سجود شجر الفكر المتشجر بالقوى الطبيعية والقوى الوهمية والخيالية وانحصاره في القوة المزاجية العنصرية وعدم تمكنه من ادراك الحقائق على ماهي عليه كما قيل العقل والفكر جالاحول سرادق الكون فاذا نظر الى المكون ذابا وكيف لا وهما مخلوقان محصوران تحت حصر الخلقية والحدوث وانى للخلق المحدث

معرفة الخالق القديم وما قدروا الله حق قدره (والسماء رفعها) انتصابه بمضمر يفسره المذكور اى خلقها مرفوعة محلا كما هو محسوس مشاهد وكذا رتبة حيث جعلها منشأ احكامه وقضاياه وتنزل اوامره ومحل ملائكته وقال بعضهم رفعها من السفل الى العلو سقفا لمصالح العباد وجعل ما بينهما مسيرة خمسمائة عام وذلك لان السماء دخان فار به موج الماء الذى كان فى الارض (ووضع الميزان) اى شرع العدل وامر به بان وفر كل مستحق لما استحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان هو القرآن وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما فالمعنى خلق كل ما توزن به الاشياء ويعرف مقاديرها موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل فى اخذهم واعطائهم قال سعدى المفتى وانت خبير بان قوله ان لا تطغوا فى الميزان واقيموا الوزن اشد ملاءمة لهذا المعنى ولهذا اقتصر عليه الزمخشرى (قال الكاشفى) ووضع الميزان وبيافريد يا بمنزل كردانيد تراز ورا يا الهام داد خلق را بكيفيت ايجاد آن ليتوصل به الى الانصاف والانتصاف وكان ذلك فى زمان نوح عليه السلام اذ لم يكن قبله كيل ووزن وذرع قال قتادة فى هذه الآية اعدل يا ابن آدم كما تحب ان يعدل عليك واوف كما تحب ان يوفى لك فان العدل صلاح الناس (ان لا تطغوا فى الميزان) ان ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بوضع الميزان اى وضعه لئلا تطغوا فيه ولا تعتدوا ولا تتجاوزوا الانصاف وبالفارسية از حد نكذريد در ترازو بوقت داد وستد يعنى از عدل تجاوز نكنيد وبراستى معامله نماييد قال ابن الشيخ الطغيان مجاوزة الحد فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذى هو آلة التسوية قال طغيانه البخس اى النقص * چون ترازوى تو كج بود ودغا * راست چون جويى ترازوى جزا (واقيموا الوزن بالقسط) قوموا وزنكم بالعدل اى اجعلوه مستقيما به وفى المفردات الوزن معرفة قدر الشئ والمتعارف فى الوزن عند العامة ما يقدر بالقسطاس والقبان وقوله واقيموا الوزن بالقسط اشارة الى مراعاة المعدلة فى جميع ما يتحراه الانسان من الافعال والاقوال ولا تخسروا الميزان) يقال خسرت الشئ بالفتح واخسرته نقصته وبابه ضرب واما خسر فى البيع فبالكسر كما فى المختار وقال فى القاموس خسر كفرح وضرب ضل والخسر والاخسار النقص اى لا تنقصوه لان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه قال سعدى المفتى المراد لا تنقصوا الموزون فى الميزان لا الميزان نفسه امر اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتأكيدا للامر باستعماله والحث عليه (قال الكاشفى) اين همه تأكيد اهل ترازو جهت آنست كه بوقت وضع ميزان قيامت شرمنده نشوند * هر جوو هر حبه كه بازوى تو * كم كند از كيسهٔ ترازوى تو * هست يكايك همه برجاى خويش * روز جزا جمله بيارند پيش * با تو نمايند نهانيت را * كم دهى وبيش ستانيت را * روى ان مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان من نار بين يدى اكلف الصعود عليهما قال فسألت اهله فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت احدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال ما يزداد الامر على الا عظما وفى المفردات قوله ولا تخسروا الميزان يجوز ان يكون اشارة الى تحرى العدالة فى الوزن وترك الحيف فيما يتعاطاه فى الوزن ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى تعاطى ما لا يكون ميزانه به يوم القيامة خاسرا فيكون ممن قال فيه فمن خفت موازينه وكلا المعنيين يتلازمان وكل خسران ذكره الله فى القرآن فهو على هذا المعنى الاخير دون الخسران المتعلق بالقنيات الدنيوية والتجارات البشرية يقول الفقير وجه توسيط الميزان بين رفع السماء ووضع الارض هو الاشارة الى انه بالعدل قامت السموات والارض كما ورد فى الحديث والى انه لا بد من ميزان العقل بين الروح والجسد حتى يعتدلا ولا يتجاوز احدهما الآخر والاعتدال الحقيقى هو الوقوف بين طرفى الافراط والتفريط المذمومين عقلا وشرعا وعرفا والموزونات هى الامور العلمية والعملية المعدلة بالعقل المبنى على الاستعداد الذاتى (والارض وضعها) اى خفضها مدحوة على الماء اى مبسوطة (للانام) اى لمنافع الانام وهو جمع لا واحد له من لفظه بمعنى الخلق والجن والانس مما على الارض كما فى القاموس فهى كالمهاد والفراش لهم يتقلبون عليها ويتصرفون فوقها

وقال ابن عباس رضي الله عنهما الناس ويدل عليه قوله

مبارك الوجه يستسقى الغمام به * ما فى الانام له عدل ولا مثل

وقال قتادة كل ذى روح لانه ينام وقيل من ونم الذباب همس وفيه اشارة الى بسط ارض البشرية لتنتعش كل قبيلة بما يلائم طبعها اما انتعاش اهل النفوس البشرية فباستيفاء الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية واما انتعاش اصحاب القلوب المعنوية فبالواردات القلبية والالهامات الغيبية واما انتعاش ارباب الارواح العلوية فبالتجليات الروحانية والمحاضرات الربانية واما انتعاش صناديد الاسرار اللاهوتية القدسية فبالتجليات الذاتية الاحدية المفنية لكل ماسواه (فيها فاكهة) ضروب كثيرة مما يتفكه به ويتلذذ ففاكهة تشعر باختلاف الانواع (والنخل ذات الاكمام) وهى اوعية الثمر وغلافها قبل التفتق يعنى خوشهاء آن درغلاف جمع كم بالكسر وهو الغلاف الذى يكون فيه الثمر اول ظهوره تامادامكه منشق نشده درغلاف باشد ومعنى النخل بالفارسية يعنى درخت خرما او هو اى الكم كل مايكم بضم الكاف من باب نصر اى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ممايتفع به كما ينتفع من المكموم من ثمره وجماره وجذوعه فالليف يغطى الجذع والسعف الجمار وهو كرمان شحم النخل بالفارسية دل درخت خرما والكفرى الثمر (والحب) ودر زمين دانهاست وهو كل مايتغذى به ويقتات كالحنطة والشعير وغيرهما (ذو العصف) هو ورق الزرع او ورق النبات اليابس كالتين (قال الكاشفى) وعصف كيا هيست كه ازو دانه جدا ميشود وفى المفردات العصف والعصيفة الذى يعصف من الزرع قال فى تاج المصادر العصف برك كشت ببريدن (والريحان) قال فى المفردات الريحان ماله رائحة وقيل الرزق ثم يقال للحب المأكول ريحان كما فى قوله والحب ذو العصف وقيل لاعرابى الى اين قال اطلب ريحان الله اى رزقه والاصل ماذكرنا انتهى قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق بلغة حمير فالمراد بالريحان هنا اما الرزق او المشموم كما قال الحسن الريحان هو ريحانكم هذا الذى يشم وهو كل ماطابت رائحته من النبات اوالشاهسفرم وعند الفقهاء الريحان ماساقه رائحة طيبة كما اورقة كالآس والورد ماورقه رائحة طيبة فقط كالياسمين كذا فى المغرب قال ابن الشيخ كل بقلة طيبة الرائحة سميت ريحانا لان الانسان يراح لهارائحة طيبة اى يشم يقال راح الشئ يراحه ويريحه واراح الشئ يريحه اذاوجد ريحه وفى الحديث (من قتل نفسا معاهدة لم يرح رائحة الجنة) وروى لم يرح من راحه يريحه والريحان فى الاصل ريوحان كفيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف بحذف عين الكلمة كما فى ميت اوكفوعلان قلبت واوه ياء للتخفيف اوللفرق بينه وبين الروحان وهو ماله روح (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام لعمومه لهما واشتماله عليهما وسينطق به قوله تعالى ايها الثقلان وكذا فى ذكرابوى الفريقين بقوله خلق الانسان وخلق الجان اشعار بان الخطاب لهما جميعا والآلاء النعم واحدها الى والى والو والى كما فى القاموس قال فى بحر العلوم الآلاء النعم الظاهرة والباطنة الواصلة الى الفريقين وبهذا يظهر فساد ماقيل من ان الآلاء هى النعم الظاهرة فحسب والنعماء هى النعم الباطنة والصواب انهما من الالفاظ المترادفة كالاسود والليوث والفلك والسفن وفى التأويلات النجمية الآلاء هى النعمة الظاهرة والنعماء الباطنة والآيات المتوالية تدل على هذا لانها كل نعمة ظاهرة بالنسبة الى اهل الظاهر ومعنى تكذيبهم بالآلاء كفرهم بها والتعبير عن الكفر بالتكذيب لما ان دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لامحالة اى فاذا كان الامر كما فصل فبأى فردمن افراد الاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق فالاستفهام للتقرير اى للحمل على الاقرار بتلك النعم ووجوب الشكر عليها (روى) عن جابر رضي الله عنه انه قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها قال مالى اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ماقرأت عليهم هذه الآية مرة فبأى آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولابشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد قال فى بحر العلوم وفيه دلالة بينة على ان الآلاء اريد بها النعم المطلقة الشاملة للظاهرة والباطنة لا المقيدة بالظاهرة كما سبق اليه بعض الاوهام انتهى قال فى آكام المرجان دلت الآية على ان الجن كلهم مكلفون ولاخلاف فيه بين اهل النظر وزعمت الحشوية انهم مضطرون الى افعالهم وانهم ليسوا مكلفين

والدليل على انهم مكلفون مافى القرآن من ذم الشياطين ولعنهم والتحذير من غوائلهم وشرهم وذكر ماأعده الله لهم من العذاب وهذه الخصال لايفعلها الله الالمن خالف الامر والنهى وارتكب الكبائر وهتك المحارم مع تمكنه من ان لايفعل ذلك وقدرته على فعل خلافه ويدل على ذلك ايضا انه كان من دين النبى عليه السلام لعن الشياطين والبيان عن حالهم وانهم يدعون الى الشر والمعاصى ويوسوسون بذلك وتكرار هذه الآية فى هذه السورة لطرد الغفلة وتأكيد الحجة وتذكير النعمة وتقرير الكرامة من قولهم كم نعمة كانت لكم كم وكم وكقولك لرجل احسنت اليه بانواع الايادى وهو ينكرها الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن عريانا فكسوتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا وقال الشاعر

لاتقطعن الصديق ماطرفت * عيناك من قول كاشح اشر

ولا تملن من زيارته * زره وزره زرثم زر وزر

وقال فى برهان القرآن تكررت الآية احدى وثلاثين مرة ثمان منها ذكرها عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبع منها عقيب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد ابواب جهنم وحسن ذكر الآلاء عقيبها لان فى خوفها ودفعها نعما توازى النعم المذكورة او لانها حلت بالاعداء وذلك يعد من اكبر النعماء وبعد هذه السبع ثمان فى وصف الجنات واهلها على عدد ابواب الجنة وثمان اخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما فمن اعتقد الثمانى الاولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله ووقاه الله السبع السابقة يقول الفقير من لطائف اسرار هذا المقام ان لفظ ال فى اول اسم الرحمن المعنون به هذه السورة الجليلة دل على تلك الاحدى والثلاثين (خلق الانسان من صلصال كالفخار) يا فريد انسانرا اركل خشك مانند سفال پخته كه دست بروى زنى آواز كند الصلصال الطين اليابس الغير المطبوخ الذى له صلصلة اى صوت يسمع من يبسه وصح عن رسول الله عليه السلام انه قال اذا تكلم الله بالوحى سمع اهل السموات لصوته صلصلة كصلصلة الجرس على الصفوان والفخار الخزف اى الطين المطبوخ بالنار وتشبيهه بالفخار لصوته بالييس اذا نقر كأنه صور بصورة من يكثر التفاخر اولانه اجوف وقد خلق الله آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا ثم صب عليه ماء الاحزان فلاترى ابن آدم الايكابد حزنا فلاتنافى بين الآية الناطقة باحدها وبين ما نطق بأحد الآخرين (وخلق الجان) اى الجن اوابا الجن اوابليس وبه قال الضحاك وفى الكشف الجان ابو الجن كان الانسان ابو الانس وابليس ابو الشياطين (من مارج) اى من لهب صاف من الدخان وقال مجاهد المارج هو المختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذى يعلو النار اذا اوقدت من مرج امر القوم اذا اختلط واضطرب فمعنى من مارج من لهب مختلط (من نار) بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب وفى كشف الاسرار خلق الجن من مارج من نار والملائكة من نورها والشياطين من دخانها وقال بعضهم من النار التى بين الكلة الرقيقة وبين السماء وفيها يكون البرق ولاترى السماء الامن وراء تلك الكلة درباب نهم ازسفر ثانى فتوحات مذكورست كه مارج آتشست ممتزج بهوا كه انراهواى مشتعل كويند پس جان مخلوقست ازدو عنصر آتش وهوا وآدم آفريده شده ازدو عنصر آب وخاك چون آب وخاك بهم شوند انراطين كويند وچون هوا وآتش مختلط كردد انرامارج خوانند وچنانكه تناسل در بشر بالقاء آبست دررحم تناسل درجن بالقاء هواست در رحم انثى وميان آفرينش جان وآدم شصت هزار سال بود (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما افاض عليكما فى تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات وفيه اشارة الى ان الحق سبحانه تجلى لحقيقة انسان الروح بصورة صفة صلصال اللطف والجمال ولحقيقة ابليس النفس بصورة صفة مارج القهر والجلال فصار احدهما مظهرا لصورة لطفه والآخر لصورة قهره فبأى الاء ربكما تكذبان ايها الروح اللطيف والنفس الخبيثة لان كل واحد منكما قد ذاق ما جبل عليه من اللطف والقهر والطيب والخبث (رب المشرقين ورب المغربين) خبر مبتدأ محذوف اى الذى فعل ماذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة يعنى ان ذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما اشارة الى ان الطرفين يتناولان ما بينهما كما اذا قلت فى وصف ملك عظيم الملك له المشرق

والمغرب فانه يفهم منه ان له مابينهما ايضا * قال فى كشف الاسرار احد المشرقين هو الذى تطلع منه الشمس فى اطول يوم من السنة والثانى الذى تطلع منه فى اقصر يوم وبينهما مائة وثمانون مشرقا وكذا الكلام فى المغربين وقيل احد المشرقين للشمس والثانى للقمر وكذا المغربان واما قول عبدالله بن عمر رضى الله عنهما مابين المشرق والمغرب قبلة يعنى لاهل المشرق وهو ان تجعل مغرب الصيف على يمينك ومشرق الشتاء على يسارك فتكون مستقبل القبلة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما فى ذلك من فوائد لاتحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فى وقته الى غير ذلك (مرج البحرين) اى ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها وخليتها للرعى والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب وبالفارسية راه داد دو دريارا كه يكى خوش وشيرين ويكى تلخ وشور (يلتقيان) حال من البحرين قريبة من الحال المقدرة اى يتجاوران ويتماس سطوحهما لافصل فى مرأى العين وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لايتغير طعمها وقيل ارسل بحر فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه قال سعدى المفتى وعلى هذا فقوله يلتقيان اما حال مقدرة ان كان المراد ارسالهما الى المحيط او المعنى اتحاد اصليهما ان كان المراد ارسالهما منه فلكل وجه (بينهما برزخ) اى حاجز من قدرة الله او من الارض والبرزخ الحائل بين الشيئين ومنه سمى القبر برزخا لانه بين الدنيا والآخرة وقيل للوسوسة برزخ الايمان لانها طائفة بين الشك واليقين (لايبغيان) اى لايبغى احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية مع ان شأنهما الاختلاط على الفور بل يبقيان على حالهما زمانا يسيرا مع ان شأنهما الاختلاط وانفعال كل واحد منهما عن الآخر على الفور اولا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما من الارض لتكون الارض بارزة يتخذها اهلها مسكنا ومهادا فقوله لايبغيان اما من الابتغاء وهو الطلب اى لايطلبان غير ما قدر لهما او من البغى وهو مجاوزة كل واحد منهما ما حد له (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وليس من البحرين شئ يقبل التكذيب لما فيه من الفوائد والعبر (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور يقال يلقيه الجن فى البحر وقال فى خريدة العجائب اللؤلؤ يتكون فى بحر الهند وفارس والمرجان ينبت فى البحر كالشجر واذا كلس المرجان عقد الزيبق فمنه ابيض ومنه احمر ومنه اسود وهو يقوى البصر كحلا وينشف رطوبة العين اشهى وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره واعلم انه ان اريد بالبحرين هنا بحر فارس وبحر الروم فلاحاجة فى قوله منهما الى التأويل اذ اللؤلؤ والمرجان بعينيه يخرجان منهما لان كلا منهما ملح ولاعذب فى البحار السبعة الا على قول من قال فى الآية يخرج من مالح بحرى فارس والروم ومن عذب بحر الصين وفى بحر العلوم ان اللؤلؤ يخرج من بحر فارس والمرجان من بحر الروم يعنى لامن كليهما وان اريد بهما البحر الملح والبحر العذب فنسبة خروجهما حينئذ الى البحرين مع انهما انما يخرجان من البحر الملح اومع انهما لايخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه كما يقال يخرج الولد من الذكر والانثى وانما تلده الانثى وهو الاظهر اولانهما لايخرجان الا من ملتقى الملح والعذب وهذا يحتمل معنيين احدهما ان الملتقى اسم مكان والخروج بمعنى الانتقال من الباطن الى الظاهر فانه قال الجمهور يخرج من الاجاج من المواضع التى يقع فيها الانهار والمياه العذبة فناسب اسناد ذلك اليهما وهذا مشهور عند الغواصين والثانى انه مصدر ميمى بمعنى الالتقاء والخروج بمعنى الحدوث والحدوث بمعنى الوجود فانه يحدث ويتكون من التقائهما واجتماعهما كما قال الرازى يكون العذب كاللقاح للملح ونقل عن ابن عباس وعكرمة مولاه ان تكون هذه الاشياء فى البحر بنزول المطر لان الصدف تفتح افواهها للمطر فيكون الاصداف كالارحام للنطف وماء البحر كالجسد الغاذى ويدل على انه من المطر ما اشتهر من ان السنة اذا اجدبت هزلت الحيتان وقلت الاصداف والجواهر وعلى هذا فضمير منهما للبحرين باعتبار الجنس فتأمل (فبأى الاء ربكما تكذبان) زيرا آن جوهرها كه بدان آرايش كنيد وازخريد وفروخت آن فوائد يابيد نعم ظاهره است پس بكدام ازين نعمتهاء پروردكار خود تكذيب ميمايد وكفته اند مراد بحر آسمان وبحر زمين است كه هرسالى متلاقى شوند وبرزخ جرمست كه منع ميكند درياء آسمانرا ازنزول ودرياء زمين راازصعود ودرياء فلك قطرات بردرياء زمين ريخته بدهان صدف درمى آيد وازان درمنعقد كردد وقيل البحران على وفاطمة رضى الله عنهما والبرزخ النبى صلى الله عليه وسلم ويخرج منهما الحسن والحسين رضى الله عنهما وقيل هما العقل والهوى والبرزخ بينهما

لطف الله و يخرج منهما التوفيق والعصمة وقيل هما المعرفة والمعصية والحاجز العصمة ويخرج منهما
التوق والتوبة لايبغيان لاتؤثر المعصية فى المعرفة وقيل هما الدنيا والآخرة والبرزخ القبر وقيل الحياة
والوفاة والبرزخ الاجل وقيل الحجة والشبهة والبرزخ النظر ويخرج منهم الحق والصواب امام قشيرى رحمه الله
فرموده كه بحرين خوف ورجاست يا قبض وبسط و برزخ قدرت بى علت ولؤ لؤا حوال صافيه ومرجان
لطايف وافيه صاحب كشف الاسرار شرح ميكند كه بحر خوف ورجا نامهٔ سلمان راست وازان كوهر زهد
وورع وطاعت وتقوى بيرون آيد وبحر قبض وبسط خواص مؤمنان راست وازان جواهر فقر و وجد زايد
وبحر انس وهيبت انبيا وصديقان راكه ازان كوهر فنا روى نمايد تا صاحبش بمنزل بقا بيا سايد * زقعر
بحر فنا كوهر فنا يابى * وكر نه غوطه خورى اين كهر بجا يابى * وقال بعض الكبار يشير الى مروج
بحر الروح وحر كته بالتجليات الذاتية والى مروج بحر القلب وحر كته بالتجليات الصفاتية والتقائهما
فى مقام الوحدة مع بقاء برزخ معنوى بين هذين البحرين المتشابر بهما الى ما ذكر بحيث لايبغى بحر الروح
على بحر القلب لعدم نزوله بالكلية لئلا يفنى خاصية بحر القلب ولا يغلب بحر القلب على بحر الروح لعدم عروجه
بالكلية لئلا يفنى خاصية بحر الروح كما قال وما منا الا له مقام معلوم يخرج لؤلؤ التجليات الذاتية من باحة
بحر الروح ومرجان التجليات الصفاتية من لجة بحر القلب ويجوز ان يخرجا مجتمعين من اتحاد بحر الروح
وبحر القلب مع بقاء امتياز ما بينهما وقال بعضهم يشير الى بحر القدم والحدوث وبحر القدم عذب من حيث
القدم وبحر الحدوث ملح من حيث علل الحدوثية وبينهما حاجز عزة وحدانيته بحيث لايختلط احدهما بالآخر
لانه منزه عن الحلول فى الاماكن والاستقرار فى المواطن يخرج من بحر القدم القرآن والاسماء والنعوت
ومن بحر الحدوث العلم والمعرفة والفطنة وايضا يشير الى بحر القلب الذى هو بحر الاخلاق المحمودة وبحر النفس
الذى هو بحر الاخلاق المذمومة ولا يختلطان بحيث يصير القلب نفسا والنفس قلبا لان بينهما العقل والعلم
والشريعة والطريقة فاذا صارت النفس مطمئنة يخرج منها ومن القلب الايمان والايقان والصفاء والنور
والطمأنينة وقال ابن عطاء رحمه الله بين العبد وبين الرب بحران عميقان احدهما بحر النجاة وهو القرآن
من تعلق به نجا لان الله تعالى يقول واعتصموا بحبل الله جميعا وبحر الهلاك وهو الدنيا من ركن اليهما
هلك انتهى (وله الجوار) هذه اللام لها معنيان احدهما انها لام الملك والثانى انها لام الاستحسان والتعجب
كقولهم لله انت لله درك كما فى كشف الاسرار والجوار بكسر الراء اصله الجوارى بالياء بمعنى السفن جمع جارية
اقيمت الصفة مقام الموصوف قال ابن الشيخ اعلم ان الاركان اربعة التراب والماء والهواء والنار فالله تعالى
بين بقوله خلق الانسان من صلصال ان التراب اصل لمخلوق شريف مكرم عجيب الشان وبين بقوله وخلق
الجان من مارج من نار ان النار ايضا اصل لمخلوق آخر عجيب الشان وبين بقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
ان الماء ايضا اصل لمخلوق آخر له قدر وقيمة ثم ذكر ان الهواء له تأثير عظيم فى جرى السفينة كالاعلام فقال
وله الجوار وخصها بالذكر لان جريانها فى البحر لاصنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك فيقولون لك الفلك
ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله خاصة وسميت السفينة جارية لان شأنها الجرى فى البحر وان كانت واقفة
فى الساحل والمراسى كما تسمى المملوكة ايضا جارية لان شانها الجرى والسعى فى حوائج سيدها (المنشآت)
المرفوعات الشرع على ان يكون من انشأه اذا رفعه والشرع بضمتين جمع شراع وهو الذى يسمى بالفارسية
بادبان ولا يبعد ان يكون المنشآت بمعنى المرفوعات على الماء فتكون جارية على ماهى له كما فى حاشية سعدى
المفتى او معنى المنشآت المصنوعات اى المخلوقات على ان يكون من انشأه الله اى خلقه (فى البحر كالاعلام)
جمع علم وهو الجبل الطويل اى كالجبال الشاهقة عظما وارتفاعا وهو حال من ضمير المنشآت والسفن فى البحر
كالجبال فى البر كما ان الابل فى البر كالسفن فى البحر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من خلق مواد السفن والارشاد
الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر باسباب لقطع المسافات الكثيرة فى الاوقات القليلة
وحصول المعاملات والتجارات لايقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه وفيه اشارة الى جريان
سفن الشريعة والطريقة المرفوعات الشرع باحكام الشريعة وآداب الطريقة فى بحر الوحدة الحقيقية
كالجبال العظام مشحونات بمنافع كثيرة من الطاعات والعبادات على مقتضى علم الشريعة والواردات القلبية

والالهامات الغيبية على قانون ارباب الطريقة كما فى التأويلات النجمية (كل من عليها فان) الهاء كناية عن غير مذكور كقولهم اذانهى السفيه جرى اليه والمعنى كل من على الارض من الحيوانات والمركبات ومن للتغليب على الوجهين اومن الثقلين فان اى هالك لامحالة يعنى سرانجام كار فانى شوند ولما نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلكت بنوا آدم فلما نزلت كل نفس ذائقة الموت ايقنوا بهلاك انفسهم فان لهم اجساما لطيفة وارواحا متعلقة بتلك الاجسام كارواح الانسان واما الارواح المجردة المهيمة العالية فلا تفنى (ويبقى وجه ربك) اى ذاته ومنه كرم الله وجهه اى ذاته فالوجه العضو المعروف استعير للذات لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخشوع قال القاضى ولوا ستقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية فى حد ذاتها الاوجه الله الذى يلى جهته انتهى قال سعدى المفتى فى حاشية هذا المحل هذا اشارة الى وجه آخر وهوان يكون الوجه بمعنى القصد اى ما يقصد وينوى به الله والجهات بمعنى المقاصد وفى العبارة نوع تسامح وقوله يلى جهته اى مقصده والاضافة للبيان اى يتوجه اليه انتهى وقال ابن الشيخ اشارة الى ان الوجه يجوز ان يكون كناية عن الجهة بناء على ان كل جهة لاتخلو عن وجه يتوجه اليها كما ذكر فى قوله فى جنب الله اى كل من عليها من الثقلين وما اكتسبوه من الاعمال هالك الاما توجهوا به جهة الله وعملوه ابتغاء لمرضاته انتهى وقال الشيخ ابن نور الدين رحمه الله الماهيات تنقسم الى ثلاثة اقسام واجب الوجود وممتنع الوجود وممكن الوجود اما الواجب فهو وجود بحت واما الممتنع فهو عدم محض واما الممكن فهو مركب منهما وذلك لان له وجودا وماهية عارضة على وجوده فماهيته امر اعتبارى معدوم فى الخارج لايقبل الوجود فيه من حيث هو هو ووجوده موجود لايقبل العدم من حيث هو هو فكان الممكن موجودا ومخلوقا من وجود وعدم وهذه الجمعية تقبل الوجود والعدم ومن هذا ظهر حقيقة ماقال البيضاوى واواستقريت الخ وماقاله الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى تفسير قوله تعالى كل شئ هالك الاوجهه حيث قال الضمير راجع الى الشئ انتهى (ذوالجلال والاكرام) صفة وجه اى ذو الاستغناء المطلق اوالعظمة فى ذاته وصفاته وذو الفضل التام وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال عليه السلام الظوا بياذا الجلال والاكرام يعنى ملازم بكوييد ياذا الجلال والاكرام وفى تاج المصادر الالظاظ ملازم كرفتن ودائم شدن باران والالحاح ايضا وفى القاموس اللظ اللزوم والالحاح وعنه عليه السلام انه مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال استجيب لك الدعاء فالدعاء بهاتين الكلمتين مرجو الاجابة وفى وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء قال الطيبى كيف افرد الضمير فى قوله وجه ربك وثناه فى ربكما والمخاطب واحد قلت اقتضى الاول تعميم الخطاب لكل من يصلح للخطاب لعظم الامر وفخامته فيندرج فيه الثقلان اندراجا اوليا ولا كذلك الثانى فتركه على ظاهره وفى قوله كل من عليها فان اشارة الى فناء كل من على ارض البشرية امابالموت الطبيعى منغمسا فى بحر الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية واما بالموت الارادى منسلخا عن الصفات البشرية ملتبسا بالصفات الروحانية وتغليب من اشارة الى ذوى العقول السليمة عن آفات القوة الوهمية والخيالية فانهم بذكاء فطرتهم ونقاء طينتهم يفنون عن الاحكام الطبيعية ويبقون بالتجليات الالهية وبقوله ويبقى وجه الخ اشارة الى فناء الكثرة النسبية الاسمائية وبقاء الوحدة الحقيقية الذاتية الموصوفة بالصفة الجلالية القهرية والجمالية اللطفية فبأى آلاء ربكما تكذبان مما ذكرنا من افناء الحياة المجازية وابقاء الحياة الحقيقية واظهار الصفة اللطفية فى حق مستحق اللطف واظهار الصفة القهرية فى حق مستحق القهر لعلمه المحيط باستحقاقهما وقال بعضهم لونظرت بنظر التحقيق فى الكون واهله لرأيت حقيقة فنائه وفناء اهله وان كان فى الظاهر على رسم الوجود لان من يكون قيامه بغيره فهو فان فى الحقيقة اذلايقوم بنفسه ولانفس له فى الحقيقة فان الوجود الحقيقى وجود القدم لذلك اثنى على نفسه بقوله ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام (قال الشيخ المغربى) سايه هستى مينمايد ليك اندر اصل نيست — نيست راازهست بشناختى يابى نجات (وقال المولى الجامى) تودرميانه هيچ نه هرچه هست اوست *

هم خود الست كويد وهم خود بلى كند * وفى ذكر وجهه الباقى تسلية لقلوب الغشاق اى انا ابقى لكم ابدا لا تغتموا فان لكم ماوجدتم فى الدنيا من كشف جمالى ويتسرمد ذلك لكم بلا حجاب ابدا وفى ذكر الجلال تهييج لاهل المحبة والهيبة وفى كاف الوحدة اشارة الى حبيبه عليه السلام يعنى كشف الوجه باق لك ابدا اريتك وجهى خاصة ثم العشاق اتباع لك فى النظر الى وجهى فاول الكشف لك ثم للعموم واعلم ان وجود الباقى جميعه وجه وبين التجليات تفاوت وفى الحديث ان الله يتجلى لابى بكر خاصة ويتجلى للمؤمنين عامة (يسأله) ميخوا هند اورا يعنى ميطلبند ازوى (من فى السموات والارض) قاطبة مايحتاجون اليه فى ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال وبلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لوا نقطع مابينهم وبين العناية الالهية من العلائق لم يشموا رائحة الوجود اصلا فهم فى كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وعن ابن عباس رضى الله عنهما فاهل السماء يسألونه المغفرة واهل الارض يسألونه الرزق والمغفرة وفى كشف الاسرار مؤمنان دو كروه اند عابدان وعارف فان هر سؤال بريكى برقدر همت اوو نواخت هر يكى سزاى حوصلة او * هر كسى ازهمت والاى خويش * سود برددر خور كالاى خويش * عابد همه ازوخواهد عارف خود اورا خواهد احمد بن ابى الجوارى حق را بخواب ديد كفت جل جلاله ياحمد كل الناس يطلبون منى الا ابا يزيد فانه يطلبنى

فسرت اليك فى طلب المعالى * وسار سواى فى طلب المعاش

(كل يوم) اى كل وقت من الاوقات وهو اليوم الالهى الذى هو الآن الغير المنقسم وهو بطن الزمان فى الحقيقة (هو) تعالى (فى شأن) من الشؤن التى من جملتها اعطاء ماسألوه فانه تعالى لايزال ينشئ اشخاصا ويفنى آخرين ويأتى بأحوال ويذهب بأحوال من الغنى والفقر والعزة والذلة والنصب والعزل والصحة والمرض ونحو ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح البالغة وفى الحديث (من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين) قال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال خلق الله تعالى لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شأن وهو مأخوذ من قوله عليه السلام ان الرب لينظر الى عباده كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يبدئ ويعيد وذلك من حبه خلقه ويدل على هذا الحب مايقال من ان الله تعالى يحيى كل يوم الفسا واحدا ويميت الفا فالحياة الفانية اذا كانت خير التحصيل الحياة الباقية فاظنك بفضيلة الحياة الباقية وعن عيينة الدهر كله عندالله يومان احدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى والامانة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب والثواب والعقاب قال مقاتل نزلت الآية فى اليهود حين قالوا ان الله لايقضى يوم السبت شيأ ففيها ردلهم وقوله كل ظرف لمادل عليه هو فى شأن اى يقلب الامور كل يوم او يحدثها كل يوم او نحوه كما فى بحر العلوم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع مشاهدتكم لماذكر من احسانه وفى بحر الحقائق يشير الى تجلى الحق فى كل زمن فرد ونفس فرد على حسب المتجلى له واستعداده ولانهاية للتجليات فبأى آلاء ربكما تكذبان من تجلى الحق بصور مطلوبكم وايجاده من كتم العدم ووجود محبوبكم *كل يوم هو فى شأن چه شانست بدو * هر زمان جلوهٔ ديكر شوداز پرده عيان * جلوهٔ حسن تراغايت ويايانى نيست * يعنى اوصاف كمال تو ندارد پايان * قال البقلى يسأله من فى السموات من الملائكة كلهم على قدر مقاماتهم يسأله الخائف النجاة من البعد والحجاب ويسأله الراجى الوصول الى محل الفرح ويسأله المطيع قوة عبادته وثواب طاعته ويسأله المحب ان يصل اليه ويسأله المشتاق ان يراه ويسأله العاشق ان يقرب منه ويسأله العارف ان يعرفه بمزيد المعرفة ويسأله الموحد ان يفنى فيه ويستغرق فى بحر شهوده ويسأله الجاهل علم مايحجبه عنه ويسأله العالم مايعرفه به وكذا كل قوم على قدر مراتبهم ودرجاتهم وهو تعالى فى كل يوم هو فى شأن والشأن الحال والامر العظيم (سنفرغ لكم) اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو فى شأن فلا يبقى

حينئذ الاشأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم على المجاز المرسل فان الفراغ يلزمه التجرد والا فليس المراد الفراغ من الشغل لانه تعالى لايشغله شأن عن شأن وقيل هو مستعار من قول المهدد لصاحبه سأفرغ لك اى سأتجرد للايقاع بك من كل مايشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه فالخطاب للمجرمين منهما بخلافه على الاول (ايه الثقلان) قال الراغب الثقل والخفة متقابلان وكل مايترجح على مايوزن به او يقدر به يقال هو ثقيل واصله فى الاجسام ثم يقال فى المعانى اثقله الغرم والوزر انتهى والمراد هنا الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض يعنى انهما شبها بثقلى الدابة وفى حواشى ابن الشيخ شبه الارض بالحمولة التى تحمل الاثقال والانس او الجن جعلا اثقالا محمولة عليها وجعل ماسواهما كالعلاوة اولرزانة آرآئهما اولانهما مثقلان بالتكليف اولعظم قدرهما فى الارض كما فى الحديث (انى خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى) وقال الصادق رضى الله عنه سميا ثقلين لانهما يثقلان بالذنوب اولما فيهما من الثقل وهو عبن تأخرهما بالوجود لان من عادة الثقيل الابطاء كما ان من عادة الخفيف الاسراع والانس اثقل من الجن للركن الاغلب عليهم (فبأى آلاء ربكما) التى من جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدى الى سوء الحساب (تكذبان) باقوالكما واعمالكما قال فى كشف الاسرار اعلم ان بعض هذه السورة ذكر فيه الشدآئد والعذاب والنار والنعمة فيهما من وجهين احدهما فى صرفها عن المؤمنين الى الكفار وتلك النعمة عظيمة تقتضى شكرا عظيما والثانى ان فى التخويف منها والتنبيه عليها نعمة عظيمة لان اجتهاد الانسان رهبة مما يؤلمه اكثر من اجتهاده رغبة فيما ينعمه (يامعشر الجن والانس) هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لاتفى بما كلفوه والمعشر الجماعة العظيمة سميت به لبلوغه غاية الكثرة فان العشر هو العدد الكامل الكثير الذى لاعدد بعده الابتركيبه بما فيه من الاحاد تقول احدعشر واثنا عشر وعشرون وثلاثون اى اثنتاعشرات وثلاث عشرات فاذا قيل معشر فكأنه قيل محل العشر الذى هو الكثرة الكاملة وقدم الجن على الانس فى هذه الآية لتقدم خلقه والانس على الجن فى قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن لفضله فان التقديم يقتضى الافضلية قال ابن الشيخ لما بين الله تعالى انه سيجيء وقت يتجرد فيه لمحاسبتهم ومجازاتهم وهددهم بما يدل على شدة اهتمامه بها كان مظنة ان يقال فلم ذلك مع ماله من كمال الاهتمام به فاشار الى جوابه بما محصوله انهم جميعا فى قبضة قدرته وتصرفه لايفوته منهم احد فلم يتحقق باعث يبعثه على الاستعجال لان مايبعث المستعجل على الاستعجال انما هو خوف الفوت وحيث لم يخف ذلك قسم الدهر كله الى قسمين احدهما مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيامة وجعل المدة الاولى ايام التكليف والابتلاء والمدة الثانية للحساب والجزاء وجعل كل واحدة من الدارين محل الرزايا والمصائب ومنبع البلايا والنوائب ولم يجعل لواحد من الثقلين سبيلا للفرار منهما والهرب مماقضاه فيهما فقوله يامعشر الجن متعلق بقوله سنفرغ لكم فكانا بمنزلة كلام واحد (ان استطعتم) لم يقل ان استطعتما لان كل واحد منهما فريق كقوله فاذاهم فريقان يختصمون اى كل فريق منهم يختصم فجمع الضمير هنا نظرا الى معنى الثقلين وثناه فى قوله يرسل عليكما كما سيأتى نظرا الى اللفظ اى ان قدرتم على (ان تنفذوا من اقطار السموات والارض) قال فى القاموس النفاذ جواز الشئ عن الشئ والخلوص منه كالنفوذ ومخالطة السهم جوف الرمية وخروج طرفه من الشق الاخر وسائره فيه كالنفذ ونفذهم جازهم وتخلفهم كانفذهم والنافذ الماضى فى جميع اموره انتهى والاقطار جمع قطر بالضم وهو الجانب والمعنى ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه (فانفذوا) فاخرجوا منها وخلصوا انفسكم من عقابى وهو امر تعجيز والمراد انهم لايفوتونه ولايعجزونه حتى لايقدر عليهم (لاتنفذون) لاتقدرون على النفوذ (الابسلطان) اى بقوة وقهر وانتم من ذلك بمعزل بعيد (روى) ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فيهرب الانس والجن فلايأتون وجها الاوجدوا الملائكة احاطت به فتقول لهم الملائكة ذلك فكما لايقدر احد على الفرار يوم القيامة كذلك لايقدر فى الدنيا فيدركه الموت والقضاء لامحالة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة (يرسل عليكما شواظ) هو لهب خالص لادخان فيه او دخان النار وحرها

كما فى القاموس قال سعدى المفتى والله اعلم انها استئناف جوابا عن سؤال الداعى الى الهرب والفرار وان ذلك حين يساق الى المحشر كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما اى يرسل عليكما لهب بلا دخان ليسوقكم الى المحشر (من نار) متعلق بيرسل والتنوين فيهما للتفخيم (ونحاس) اى دخان اوصفر مذاب يصب على رؤسهم وفى المفردات النحاس اللهب بلا دخان وذلك تشبيه فى اللون بالنحاس وفى القاموس النحاس مثلثة عن ابى العباس الكواشى القطر والنار وماسقط من شرار الصفر اوالحديد اذا طرق (فلا تنتصران) اى لا تمتنعان من ذلك العذاب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من بيان عاقبة الكفر والمعاصى والتحذير عنها فانها لطف ونعمة واى لطف ونعمة (فاذا انشقت السماء) اى انصدعت يوم القيامة وانفك بعضها من بعض لقيام الساعة او انفرجت فصارت ابوابا لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وفى الخبر من نار جهنم اذا كشف عنها (فكانت وردة) كوردة حمراء فى اللون وهى الزهرة المعروفة التى تشم والغالب على الورد الحمرة قال

ولو كنت وردا لونه لعشقتني * ولكن ربى شانني بسواديا

وقيل لان اصل لون السماء الحمرة وانما ترى زرقاء للبعد والحوائل ولان لون النار اذا خالط الازرق كساه حمرة (كالدهان) خبر ثان لكانت اى كدهن الزيت فكانت وفى حمرة الوردة وفى جريان الدهن اى تذوب وتجرى كذوبان الدهن وجريه فتصير حمراء من حرارة جهنم وتصير مثل الدهن فى رقته وذوبانه وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به كالادام لما يؤدم به وجواب اذا محذوف اى يكون من الاحوال والاهوال مالا يحيط به دائرة المقال قال سعدى المفتى ناصب اذا محذوف اى كان ما كان من الامر الهائل الذى لا يحيط به نطاق العبارة او رأيت امرا عظيما هائلا وبهذا الاعتبار تسبب هذه الجملة عما قبلها لان ارسال الشواظ يكون سببا لحدوث الامر الهائل اورؤيته فى ذلك الوقت (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع عظم شأنها (فيومئذ) اى يوم اذ انشقت السماء حسب ما ذكر (لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) لانهم يعرفون بسيماهم ولا يحتاج فى تمييز المذنب عن غيره الى ان يسأل عن ذنبه ان اراد احد ان يطلع على احوال اهل المحشر وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف فوجا فوجا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه ففى موقف المناقشة والحساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا فانه اعلم بذلك منهم ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا وعنه ايضا لا يسألون سؤال شفاء وراحة وانما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان المراد فرد من الانس كأنه قيل لا يسأل عن ذنبه انسى ولا جنى واراد بالجان الجن كما يقال تميم ويراد ولده (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدى اليه وفيه اشارة الى شعاشع انوار الطاعة والعبادة على صفحات وجنات انس الروح والى تراكم ظلمات المعصية والتمرد وسلاسل الطغيان واغلال العصيان على صفحات وجوه جن النفس المظلمة واعناقهم المتمردة الآبية عن الطاعة والانقياد فباى آلاء ربكما تكذبان مما انعم الله على عباده المنقادين فى هذا اليوم ومما انتقم من عباده المتمردين فى ذلك اليوم فان الانتقام من الاعداء نعمة على الاحباب ولذا ورد الحمد عقيبه كما قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وكمال الانتقام بافناء اوصاف النفس الامارة بالكلية (يعرف المجرمون بسيماهم) السيما والسيماء بالكسر والقصر والمد العلامة والجملة استئناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن كما يعرف الصالحون باضداد ذلك (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) النواصى جمع ناصية وهى مقدم الرأس والمراد هنا شعرها والجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه وأخذ به اذا كان المأخوذ شيأ من ملابسات المقصود بالاخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى وقول المستغيث خذ بيدى اخذ الله بيدك والمعنى تأخذ الملائكة بنواصيهم اى بشعور مقدم رؤسهم واقدامهم فيقذفونهم فى النار او تسحبهم الملائكة الى النار تارة تأخذ بالنواصى وتجرهم على وجوههم او يجمع بين نواصيهم واقدامهم فى سلسلة من وراء ظهورهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من المواعظ والزواجر (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) على ارادة القول اى يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ (يطوفون بينها) اى يدورون بين النار يحرقون بها (وبين حميم آن)

اى ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون منه اى يطوفون من النار الى الحميم ومن الحميم الى النار دهشا وعطشا ابدا من انى أنى فهو آن مثل قضى يقضى فهو قاض اذا انتهى فى الحر والفيح قال ابو الليث يسلط عليهم الجوع فيؤتى بهم الى الزقوم الذى طلعها كرؤس الشياطين فأكلوا منها فأخذت فى حلوقهم فاستغاثوا بالماء فأوتوا به من الحميم فاذا قربوه الى وجوههم تناثر لحم وجوههم ويشربون فتغلى اجوافهم ويخرج جميع مافيها ثم يلقى عليهم الجوع فيذهب بهم الى الجحيم ومرة الى الزقوم وقال كعب الاحبار ان واديا من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد اشير الى سر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الآلاء مرارا فالآلاء فى امثالها حكاياتها فقط للانزجار عما يؤدى الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصى بخلاف ما فصل فى اول السورة الى قوله كل يوم الخ فانها نعم واصلة اليهم فى الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدى الى استدامتها وفى الآية اشارة الى الكاسبين بقدم مخالفة الشرع وموافقة الطبع الصفات الذميمة والاخلاق الرذيلة وهم يطوفون بين نار المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية وبين حميم الجهل فانه لايقطع العطش ولا يروى الظمآن وانما ينفع الانسان فى الدنيا والآخرة العلم القطعى والكشف الصحيح الا ترى الى علوم اهل الجدل فانها فى حكم الجهل لان اهلها منغمسون فى الشهوات واللذات مستغرقون فى الاوهام والخيالات ولما نبه الله الامام الغزالى رحمه الله وايقظه ونظر فاذا علومه التى صرف شطرا من عمره فى تعلمها وتعليمها لاتنقذه فى الآخرة رجع الى كتب الصوفية فتيقن انه ليس انفع من علومهم لكون معاملاتها ذات الله وصفاته وافعاله وحقائق القرآن واسراره فترك التدريس ببغداد وخرج الى طلب اهل تلك العلوم حتى يكون منها على ذوق بسبب صحبتهم فوفقه الله فكان من امره ما كان وقد قال ابو يزيد البسطامى قدس سره اخذتم علمكم ميتا عن ميت واخذنا علمنا عن الحى الذى لايموت وقال الامام فخر الدين للشيخ نجم الدين قدس سره بم عرفت ربك قال بواردات ترد على القلوب فتعجز النفوس فى تكذيبها فالنفس كجهنم فيها نار الشهوات وحميم الجهالات فمن زكاها فى الدنيا عن اوصافها نجا يوم القيامة من الاحتراق والافتراق نعوذ بالله من سوء الحال وسيئات الاعمال وقبائح الاحوال * نمى تازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان * كه بانفس وشيطان برآيد بزور * مصاف پلنكان نيايد زمور (ولمن خاف مقام ربه) وبراى كسى كه بترسد از ايستادن پيش خداى تعالى وهو شروع فى تعداد النعم الفائضة عليهم فى الآخرة بعد تعداد ماوصل اليهم فى الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية والمقام اسم مكان ومقامه تعالى موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين فالاضافة للاختصاص الملكى اذلا ملك يومئذ الا لله تعالى قال فى عين المعانى نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه حين شرب لبنا على ظمأ فاعجبه ثم اخبر انه من غير حل فاستقاء فقال صلى الله عليه وسلم لما سمعه رحمك الله لقد انزلت فيك آية ودخل فيه من يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله (جنتان) جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى على طريق التوزيع فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما اولكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله اوجنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصى اوجنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه اوروحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد وقال فى الموضح دوباغ دهد ايشانرا در بهشت كه يكى از ايشان صدساله راه طول وعرض داشته باشد ودرميان هرباغ سراهاى خوش وحوران دلكش وقال الاستاذ القشيرى رحمه الله جنة معجلة هى لذة المناجاة والتلذذ بحقائق المشاهدات وما يرد على قلوبهم من صدق الواردات وجنة مؤجلة وهى الموعودة فى الآخرة وفى بحر العلوم قيل جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى لان الخطاب للثقلين وفيه نظر لقوله عليه السلام ان مؤمنى الجن لهم ثواب وعليهم عقاب وليسوا من اهل الجنة مع امة محمد هم على الاعراف حائط الجنة تجرى فيه الانهار وتنبت فيه الاشجار والثمار يقول الفقير قد سبق فى اواخر الاحقاف ان المذهب ان الجن فى حكم بنى آدم ثوابا وعقابا لانهم مكلفون مثلهم وان لم نعلم كيفية ثوابهم فارجع الى التفصيل فى تلك السورة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قال محمد بن الحسن رحمه الله بينا كنت نائما ذات ليلة اذا انا بالباب يدق ويقرع

فقالت انظروا من هو فقالوا رسول الخليفة يدعوك فخفت على روحى فقمت ومضيت اليه فلما دخلت عليه قال دعوتك فى مسألة ان ام محمد يعنى زبيدة قلت لها انى امام العدل وامام العدل فى الجنة فقالت انك ظالم عاص قد شهدت لنفسك بالجنة فكذبت بذلك على الله تعالى وحرمت عليك فقلت له يا امير المؤمنين اذا وقعت فى معصية فهل تخاف الله فى تلك الحال او بعدها فقال اى والله اخافه خوفا شديدا فقلت له انا اشهد ان لك جنتين لا جنة واحدة قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فلاطفنى وامرنى بالانصراف فلما رجعت الى دارى رأيت البدر متبادرة الى قال بعضهم هو المقام الذى يقوم بين يدى ربه يوم القيامة عند كشف الستور وظهور حقائق الامور وسكوت الكل من الانبياء والاولياء لظهور القدرة والجبروت فلا بد من الخوف من القيام فى ذلك المقام الهائل مالك بن دينار كفته دلى كه در وخوف نه همچون خانهٔ كه در وخداوندنه خانهٔ كه در وخدا وند نبود عنقريب آن خانه خراب شود ودلى كه در وخوف بود علامتش آنست كه خاطررا ازحرمت پر كند واخلا قرا مهذب كرداند واطراف بادب دارد ابو القاسم حكيم كفته كه ترس ازخالق ديكراست وترس ازمخلوق ديكر هر كه ازمخلوق ترسد ازوى بكريزد وهر كه ازخالق ترسد باوى كريزد يقول الله تعالى (ففروا الى الله) ترس از الله باشهوت ودينار نسازد هر كه اسير شهوت كشت ترس ازدل وى رخت برداشت ودردست ديوافتاد بهر درى كه ميخواهد اورامى كشد درآثار بيا رند كه يحيى عليه السلام برابليس رسيده ودر دست ابليس بندها ديد ازهر جنس وهررنك كفت اى شقى اين چه بندها ست كه در دست تومى بينم كفت اين انواع شهوات فرزند آدم است كه ايشان رابان دربند آرم وبمراد خويش مى درام كفت يحيى را هيچ چيز شناسى كه بآن در وى طمع كنى كفت نه مكر يك چيز كه هر كه طعام سير خورد كرانى طعام اورا ساعتى ازنماز وذكر الله مشغول دارد يحيى كفت ازخداى عزوجل پذيرفتم وباوى عهد بستم كه هركز طعام سير نخورم بزركى را پرسيدند كه خداى تعالى باندوه كنان وترسندكان چه خواهد كفت اكر اندوه براى اودارند ومحمل ترس ازبهر او كشند هنوز نفس ايشان منقطع نشده باشد كه جام رحيق بردستشان نهند بران نبشته كه ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة * اندوه غريبان بسر آيد روزى * دركار غريبان نظر آيد روزى * ترسند كارا واندوه كارا چهار بهشت است دو بهشت سيمين ودو بهشت زرين كما قال عليه السلام جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وفى التأويلات النجمية يشير الى من يخاف مقام الشهود ابقاء على نفسه لان الشهود الحقيقى يفنى الشاهد عن شاهديته فى المشهود ويبقيه بالمشهود من آخر مراتب المشاهدة اذ لا لذة فى اوائل المشاهدة واليه اشار عليه السلام بقوله اللهم ارزقنا لذة النظر الى لقائك وبهذا المعنى كان يقول لعائشة رضى الله عنها حين يغيب عن حسه كلمينى يا حميراء للتبليغ والارشاد وقوله جنتان اى جنة الفناء فى نعمة المشهود وجنة البقاء بالمشهود وقوله مقام ربه اى مقام شهود ربه بحذف المضاف فبأى الاء ربكما تكذبان من نعمة الفناء فى الله ونعمة البقاء بالله (ذواتا افنان) صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ وذواتا تثنية ذات بمعنى صاحبة وفى تثنيتها لغتان الرد على الاصل فان اصلها ذوية لانها مؤنثة ذوى والتثنية على اللفظ ان يقال ذاتا والافنان جمع فن اى ذواتا انواع من الاشجار والثمار اوجمع فنن وهو الغصن المستقيم طولا اوالذى يتشعب من فروع الشجرة اى ذواتا اغصان متشعبة من فروع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق وتثمر وتمد الظل وتجتنى منها الثمار يعنى ان فى الوصف تذكيرا لها على سبيل الكناية كأنه قيل ذواتا اوراق وثمار واظلال (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وليس فيهما شئ يقبل التكذيب (فيهما عينان تجريان) صفة اخرى لجنتان فصل بينهما بقوله فبأى الاء الخ مع انه لم يفصل به بين الصفات الكائنة من قبيل العذاب حيث قال يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس مع ان ارسال النحاس غير ارسال الشواظ اى فى كل واحدة منهما عين من ماء غير آسن تجرى كيف يشاء صاحبها فى الاعالى والاسافل لما علم من وصف انهار الجنة لا من حذف المفعول وقيل تجريان من جبل من مسك عن ابن عباس والحسن رضى الله عنهم تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقال ابو بكر الوراق رحمه الله فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من مخافة الله تعالى بران ازدوسر چشمهٔ ديده جوى * ورآلايشى دارى ازخود بشوى * زريزد خداآب روى كسى *

كه ريزد كناه آب حشمش بسى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فيه اشارة الى ان فى جنة الفناء عينا يجرى فيها ماء الحياة وهى البقاء بعد الفناء وفى جنة البقاء عينا يجرى فيها ماء العلم والمعرفة والحكمة والبقاء بعد الفناء يستلزم انواع المعارف والحكم واصناف الموائد والنعم فبأى الاء ربكما تكذبان يااصحاب السكر والغيبة ويا ارباب الصحو والحضور كما فى التأويلات النجمية (فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان معهود وغريب لم يره احد ولم يسمع او رطب ويابس اوحلو وحامض و يقال لونان وقيل فى المنظر دون المطعم وعن ابن عباس رضى الله عنهما مافى الدنيا حلوة ولا مرة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل الا انه حلو وذلك لان مافى الجنة خلق من حلاوة الطاعات فلايوجد فيها المر المخلوق من مرارة السيئات كنز قوم جهنم ونحوه ولكون الجنة دار الجمال لايوجد فيها اللون الاسود ايضا لانه من آثار الجلال والجملة صفة اخرى لجنتان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى من هذه النعم اللذيذة (متكئين) حال من الخائفين لان من خاف فى معنى الجمع والمعنى يحصل لهم جنتان متكئين اى جالسين جلسة الملوك جلوس راحة ودعة معتمدين (على فرش) جمع فراش بالكسر وهو مايفرش ويبسط ويستمهد للجلوس والنوم (بطائنها) جمع بطانة وهى بالكسر من الثوب خلاف ظهارته بالفارسية آستر (من استبرق) قرأ ورش عن نافع ورويس عن يعقوب من استبرق بحذف الالف وكسر النون لالقاء حركة الهمزة عليها والباقون باسكان النون وكسر الالف وقطعها والاستبرق ماغلظ من الديباج قيل هو استفعل من البريق وهو الاضاءة وقيل من البرقة وهو اجتماع الوان وجعل اسما فاعرب اعرابه وقدسبق شرحه فى الدخان والمعنى من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فماظنك بظهائرها يعنى ان الظهارة كانت اشرف واعلى كما قال عليه السلام لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة احسن من هذه الحلة فذكر المنديل دون غيره تنبيها بالأدنى على الأعلى وقيل ظهائرها من سندس اومن نور اوهو مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين (وجنى الجنتين دان) جنى اسم بمعنى المجنى كالقبض بمعنى المقبوض لقول على رضى الله عنه هذا جناى وخياره فيه * وكل جان يده الى فيه * ودان من الدنو وهو القرب اصله دانو مثل غازواى مايجتنى من اشجارها من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع وبالفارسية وميوه درختان آن دو بهشت نزديكست كه دست قائم وقاعد ومضطجع بدان رسد وقال ابن عباس رضى الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقال قتادة لايرده بعد ولاشوك وكفته اند كسانى كه تكيه دارند وميوه اروز كند شاخ درخت سر فرود آرد وآن ميوه كه خواهد بدهان وى درآيد يقول الفقير ان البعد انما نشأ من كثافة الجسم ولا كثافة فى الجنة واهلها اجسام لطيفة نورانية فى صور الارواح وقدقال من قال (مصرع) بعد منزل نبود درسفر روحانى * وايضا ان الطاعات فى الدنيا كانت فى مشيئة المطيع فثمراتها ايضا فى الجنة تكون كذلك فيتناولها بلامشقة بل لاتناول اصلا فان سهولة التناول تصور برلسهولة الاكل فتلك الثمار تقع فى الفم بلا اخذ على ماقال البعض (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من هذه الآلاء اللذيذة الباقية (فيهن) اى فى الجنان المدلول عليها بقوله جنتان لما عرفت انهما لكل خائفين من الثقلين اولكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية فى قوله متكئين (قاصرات الطرف) من اضافة اسم الفاعل الى منصوبه تخفيفا ومتعلق القصر وهو على ازواجهن محذوف للعلم به والمعنى نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن لاينظرن الى غيرهم وتقول كل منهن لزوجها وعزة ربى مااري فى الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجك وقصر الطرف ايضا من الحياء والغنج وچون قصر الطرف برمعناى حيا وغنج بود معنى قاصرات الطرف انست كه كنيزكان بهشتى نازنينان اندازنازفروشكسته چشمان اند * وقديقال المعنى قاصرات طرف غيرهن عليهن اى اذا رآهن احد لم يتجاوز طرفه الى غيرهن لكمال حسنهن (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) الجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية يقال طمث المرأة من باب ضرب اذا افتضها بالتدمية اى اخذ بكارتها فالطمث الجماع المؤدى الى خروج دم البكر ثم اطلق على كل جماع طمث وان لم يكن معه دم وفى القاموس الطمث المس والمعنى لم يمس الانسيات احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف يعنى حوران كه براى انس مقرراند دست آدمى بدامن ايشان نرسيده باشد وانانكه براى جن مقرراند جن

ثم ذرا يشان تصرف نكرد باشد فهن كالرياض الانف وهي التي لم ترعها الدواب قط وفيه ترغيب لتحصيلهن اذ الرغبة للابكار فوق الرغبة للثيبات ودليل على ان الجن من اهل الجنة وانهم يطمثون كما يطمث الانس فان مقام الامتنان يقتضي ذلك اذ لولم يطمثوا لكن قبلهم لم يحصل لهم الامتنان به ولكن ليس لهم ماء كماء الانسان بل لهم هواء يدل الماء وبه يحصل العلوق في ارحام اناثهم كما في الفتوحات المكية وهذا يستدعى ان لا تصح المناكحة بين الانس والجن وكذا العكس وقد ذهب الى صحتها جم غفير من العلماء منهم صاحب آكام المرجان واما قول ابن عباس رضى الله عنهما المخنثون اولاد الجن لان الله ورسوله نهيا ان يأتى الرجل امرأته وهي حائض فاذا اتاها سبقه اليها الشيطان فحملت فجاءت بالمخنث وكذا قول مجاهد اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه فلا يدل دلالة قطعية على ان جماعهم كجماع الانس وان من جماعهم الانس يحصل العلوق بل فيه دلالة على شركة الجن معه بسبب الحيض وعدم التسمية كشركة الشيطان في الطعام الذى لم يسم عليه ونحوه فهو افساد بالخاصية واضرار بما يليق بمقامه والعلم عند الله تعالى ثم ان هؤلاء اى قاصرات الطرف من حور الجنة المخلوقات فيها ما يتذلن ولم يمسسن وهذا قول الجمهور وقال الشعبي والكلبي من نساء الدنيا اى لم يجامعهن بعد النشأة الثانية احد سواء كن في الدنيا ثيبات او ابكارا (فبأى الاء ربكما تكذبان) من هذه النعم التي هي لتمتع نفوسكم وفيه اشارة الى ان في الجنات للفانين في الله الباقين به حورا من التجليات الذاتية والمعارف الالهية والحكم الربانية مستورات عن عيون الاغيار لايتبرجن ولايظهرن على غير اربابهن لم يطلع عليهن انس الروح ولاجان النفس لبقائهم بهم وظلمة نفسهم وكثافة طينتهم (كأنهن الياقوت والمرجان) صفة لقاصرات الطرف قد سبق بيان المرجان واما الياقوت فهو حجر صلب شديد اليبس رزين صاف منه احمر وابيض واصفر واخضر وازرق وهو حجر لا تعمل فيه النار لقلة دهنيته ولا يثقب لغلظة رطوبته ولا تعمل فيه المبارد لصلابته بل يزداد حسنا على مر الليالى والايام وهو عزيز قليل الوجود سيما الاحمر وبعده الاصفر اصبر على النار من سائر اصنافه واما الاخضر منه فلا صبر له على النار اصلا وفى الطب اجود اليواقيت واعلاها قيمة الياقوت الرمانى وهو الذى يشابه النار في لونه ومن تختم بهذه الاصناف امن من الطاعون وان عم الناس وامن ايضا من اصابة الصاعقة والغرق ومن حمل شيأ منها او تختم به كان معظما عند الناس ووجيها عند الملوك واكل معجون الياقوت يدفع ضرر السم ويزيد في القوة ومعنى الآية مشبهات بالياقوت في حمرة الوجنة والمرجان اى صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من كباره وقال قتادة في صفاء الياقوت وبياض المرجان (روى) عن ابى سعيد في صفة اهل الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحمها ودمها وجلدها وعنه عليه السلام اول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على آثارهم كاشد كوكب اضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يتمخطون ولا يبصقون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ووجور مجامرهم الالوة ورشحهم المسك وعنه عليه السلام ان المرأة من اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها ان الله يقول كأنهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه وقال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من قدامها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء (فبأى الاء ربكما تكذبان) من النعم المتعلقة بالنظر والتمتع وفيه اشارة الى ان هذه الحوراء العرفانية والحسناء الاحسانية ياقوت تجليات البسط والانشراح ومرجان تجليات الجمال والكمال من لطافة الوجنة كالياقوت الاحمر ومن طراوة الفطرة كالمرجان الابيض فبأى الاء ربكما تكذبان ابالمشبه ام بالمشبه به (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) هل يجيء على اربعة اوجه الاول بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى والثانى بمعنى الامر كقوله تعالى فهل انتم منتهون اى فانتهوا والثالث بمعنى الاستفهام كقوله تعالى فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا والرابع بمعنى ما الجحد كما في هذه الآية اى ما جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب وعن انس رضى الله عنه انه قال قرأ رسول الله عليه السلام هل جزاء الخ ثم قال

هل تدرون ماقال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الاان اسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي (قال الكاشفي) حاصل آيت آنست جزاء نيكى نيكست پس جزا دهند طاعات را درجات ومكافات كنند شكرها بزياده ونفوس را بفرح وتوبه را بقبول ودعا را باجابت وسؤال بعطا واستغفار را بمغفرت وخوف دنيارا بأمن آخرت وجزاء فنا فى الله بقا بالله ــ هركه درراه محبت شد فنا * يافت از بحر لقا دربقا * هركرا شمشير شوقش سر بريد * ميوهٔ وصل از درخت شوق چيد * فغاية الاحسان من العبد الفناء فى الله ومن المولى اعطاء الوجود الحقانى اياه فعليك بالاحسان كل آن وحين فان الله لايضيع اجر المحسنين (حكى) ان ذا النون المصرى قدس سره رأى عجوزا كافرة تنفق الحبوب للطيور وقت الشتاء فقال انه لايقبل من الاجنبى فقالت افعل قبل اولم يقبل ثم انه رآها فى حرم الكعبة فقالت ياذا النون احسن الى نعمة الاسلام بقبضة من الحبة (وروى) ان مخلوقا مهيبا اعترض فى طريق الحج فمنع القافلة عن المرور فقال بعضهم لعله عطشان فأخذ بيده سيفا وبيده قربة ماء حتى دنا اليه فصب فى فمه قربة الماء حتى ارتوى وغاب ثم انه نام فى الرجوع من الحج فلما استيقظ رأى القافلة قد ذهبت فبقى وحيدا فى البرية وفى تلك الحيرة جاءه رجل معه راحلة وامره بالقيام فركبها حتى لحق الحجاج فاقسم عليه من هو فقال انا الذى رفعت عطشى بقربة الماء (وروى) ان امرأة اعطت لقمة للسائل فاخذ ذئب ولدها فى الصحراء فظهر شخص فاخرجه من فم الذئب واعطاها اياه وقال هذه اللقمة بتلك اللقمة قال الحسن الاحسان ان يعم ولا يخص فيكون كالمطر والريح والشمس والقمر قال بعض اهل التحقيق الجنة جزاء الاعمال واما جزاء التوحيد فرؤية الملك المتعال فذكر الله تعالى احسن صنوف الاحسان (يروى) ان العبد اذا قال لااله الا الله اتت اى هذه الكلمة الى صحيفته فلاتمر على خطيئة الامحتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وعن ابى ذر رضى الله عنه قال يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار فقال عليه السلام اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فانها بعشر امثالها فقال يارسول الله لااله الا الله من الحسنات فقال عليه السلام هى احسن الحسنات ويكفى فى شرف التوحيد ان الايمان الذى هو اصل الطاعات وتنوير القلب الذى هو محل نظر الحق وتصفية الباطن من اكدار السوى انما يحصل به (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من نعمه الواصلة فى الدنيا والآخرة (ومن دونهما جنتان) مبتدأ وخبر اى ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فالخائفون قسمان المقربون واصحاب اليمين وهم دون المقربين بحسب الفضائل العلمية والعملية فدون بمعنى الادنى مرتبة ومنزلة لابمعنى غير فالجنتان الاوليان افضل من الاخريين كفضل المقربين على الابرار وقيل ليس دون من الدناءة بل من الدنو وهو القرب اى ومن دون هاتين الجنتين الى العرش اى اقرب اليه وارفع منهما وحمله بعض المفسرين على معنى الغير (كما قال الكاشفى) وبجزاين بوستان كه مذكور شد دو بوستان ديكرست وكفته اند دو بوستان اول از زرست براى سابقان واين دو بوستان از نقره براى اصحاب يمين واطلقهما صاحب كشف الاسرار حيث قال ومن دون الجنتين الاوليين جنتان اخريان جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ولكل رجل وامرأة من اهل الجنة جنتان احداهما جزاء عمله والاخرى ورثوها عن الكفار وقيل لكل واحد منهم اربع جنان فى الجهات الاربع ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة الى جنة ويكون امتع لانه ابعد من الملل فيما طبع عليه البشر وجملة معانى من دونهما افوقهما اومن دون صفتيهما اومن دونهما فى الدرج اوامامهما اوقبلهما (وفلاة من دونها سفرطا * ل وميل يفضى الى اميال) ويؤيد معنى الادنى مرتبة قول الشيخ نجم الدين فى تأويلاته يشير الى جنتى الابرار القائمين بالاعمال الصحيحة والاقوال المستقيمة الناظرين الى المراتب السنية الطالبين للمراتب والمقامات العلية يعنى ان لهم جنتين من دون جنتى المذكورين اعنى الفانين عن ناسوتيتهم والباقين بلاهوتيته (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما ذكر من الجنتين (مدهامتان) صفة لجنتان يقال ادهام الشئ يدهام ادهيماما فهو مدهام اسود وفى تاج المصادر فى باب الافعيلال الادهيمام سياه شدن لان الدهمة بالضم السواد والادهم الاسود ومنه قوله تعالى مدهامتان اى سوداوان يعنى علاولهما دهمة وسواد من شدة الخضرة والرى وان شئت قلت خضر اوان تضربان

الى السواد من شدة الخضرة وبالفارسية دو بهشت سبز از بسيارى سبزى بسياهى رسيده والنظر
الى الخضرة يجلو البصر كما قال عليه السلام ثلاث يجلون البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجارى والى الوجه
الحسن قال ابن عباس رضى الله عنهما والاثمد عند النوم وهو الكحل الاسود واجوده الاصفهانى وهو بارد
يابس ينفع العين اكتحالا ويقوى اعصابها ويمنع عنها كثيرا من الآفات والاوجاع سيما الشيوخ والعجائز
وان جعل معه شئ من المسك كان غاية فى النفع وينفع من حرق النار طلاء مع الشحم ويقطع النزف ويمنع
الرعاف اذا كان من اغشية الدماغ وفى الحديث (خير اكحالكم الاثمد ينبت الشعر ويجلو البصر) كما فى خريدة
العجائب وفى قوله مدهامتان اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه
الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه ودل هذا على فضل الاوليين على الاخريين قال فى التأويلات النجمية
يشير به الى غلبة القوة النباتية على اصحاب هاتين الجنتين وهم اصحاب اليمين والى غلبة القوة الروحانية على اصحاب
الجنتين الاوليين لان فيهما كثرة الاشجار والفواكه وهم المقربون (فبأى آلاء ربكما تكذبان) حيث تتمتع
ابصاركم بخضرة نباتات هاتين الجنتين وتنتفع انوفكم بشم رياحينهما قال الفقهاء اذا قرأ فى الصلاة
آية واحدة هى كلمة واحدة نحو قوله تعالى مدهامتان اوحرف واحد نحو ق وص ون فان كل حرف منها آية
عند البعض فالاصح انه لا يجزى عن فرض القراءة لانه لا يسمى قارئا لان القراءة ضم الحروف والكلمات
بعضها الى بعض فى الترتيل (فيهما عينان نضاختان) يقال نضخه كمنعه رشه ونضخ الماء اشتد فورانه من ينبوعه
كما فى القاموس اى فوارتان بالماء لا تنقطعان وبالفارسية جوشنده بآب يعنى هر چند از وبردارند ديكر
جوشد وهذا يدل ايضا على فضل الاوليين على الاخريين لانه تعالى قال فى الاوليين عينان تجريان وفى الاخريين
نضاختان والنضخ دون الجرى لان النضخ هو الفوران وهو يتحقق بان يكون الماء بحيث كلما اخذ منه شئ فار
آخر مكانه ولا يكفى هذا القدر فى جريانه فلا شك ان الجرى ابلغ منه وقال ابن عباس رضى الله عنهما نضاختان
بالمسك والعنبر وقال الكلبى بالخير والبركة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) حيث يحصل لكم الرى من شراب تينك
العينين (فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطف الاخيرين على الفاكهة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة
بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان بالفارسية انار فاكهة ودواء يعنى بحسب حال الدنيا
والا فالكل فى الجنة للتفكه ومن هذا قال ابو حنيفة رحمه الله من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمانا اورطبا
لم يحنث خلافا لصاحبيه يعنى ان ابا حنيفة لا يجعلهما من الفاكهة بخلاف صاحبيه وغيرهما فلا يحنث
من حلف ان لا يأكل فاكهة فأكل تمرا اورمانا عنده وكذا الحكم عنده فى العنب ومن جعلهما من الفاكهة
حملهما على التخصيص بذكرهما بيانا لفضلهما كما مر آنفا وقد سبق بيان النخل مفصلا قال ابن عباس
رضى الله عنهما نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها
مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال اوالدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس
له عجم كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجرى فى غير اخدود والرمان من الاشجار التى لا تقوى
الا بالبلاد الحارة (روى) عن ابن عباس رضى الله عنهما ما لقحت رمانة قط الا بحبة من الجنة وقال الامام على
رضى الله عنه اذا اكلتم الرمان فكلوه ببعض شحمه فانه دباغ للمعدة وما من حبة منه تقع فى جوف مؤمن
الا انارت قلبه واخرجت شيطان الوسوسة منه اربعين يوما وفى الحديث (من اكل رمانا انار الله قلبه اربعين
يوما) ولا يخفى ما فى جمع الرمان مع انار من اللطافة واجوده الكبار الحلو الملس وهو حار رطب يلين الصدر
والحلق ويجلو المعدة وينفع من الخفقان ويزيد فى الباءة وقشره تهرب منه الهوام وفى التأويلات النجمية يشير
الى ضعف استعداد اصحاب اليمين بالنسبة الى المقربين لان الرمان للدواء لا للتفكه وتهيئة الدواء فى البيت
تدل على ضعف مزاج ساكن البيت (فبأى آلاء ربكما تكذبان) حيث هيأ لكم ما به تتلذذون من الفواكه
(فيهن خيرات حسان) صفة اخرى لجنتان كالجملة التى قبلها والكلام فى جمع الضمير كالذى مر فيما مر
وخيرات مخففة من خيرات جمع خيرة لان خير الذى بمعنى اخير لا يجمع فلا يقال فيه خيرون ولا اخيرات ومعناه
بالفارسية زنان بركزيده وقيل فى تفسير الخيرات اى لسن بذفرات ولا بخرات الذفر النتن والبخر بالتحريك
النتن فى الفم والابط وغيرهما ولا متطلعات التطلع چشم داشتن وقولهم عافى الله من لم يتطلع فى فمك

اى لم يتعقب كلامك (ولا متشوفات) التشوف خويشتن آراستن وچشم داشتن ويعدى بالى وفى القاموس شفته شوفا جلوته وشيفت الجارية تشاف زينت وتشوف تزين والى الخبر تطلع ومن السطح تطاول ونظر واشرف (ولا ذربات) يقال ذرب كفرح ذربا وذرابة فهو ذرب حدو الذربة بالكسر السليطة اللسان (ولا سليطات) السلط والسليط الشديد والطويل اللسان (ولا طماحات) يقال طمح بصره اليه كمنع ارتفع والمرأة طمحت فهى طامح وكتاب النشوز (ولا طوافات فى الطرق) اى دوارات (حسان) جمع حسنة وحسناء اى حسان الخلق والخلق يعنى نيكور وبان ونيكو خوبان وهن من الحور وقيل من المؤمنات الخيرات ويدل على الاول مابعد الآية وفى الحديث (لو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت على السموات والارض لاضاءت مابينهما ولملأت مابينهما ريحا ولعصابتها على رأسها خير من الدنيا ومافيها (وروى لو ان حوراء بزقت فى بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها (وروى انهن يقلن نحن الناعمات فلا بأس) يعنى مايم بانعمت كه درويش نمى شويم (الراضيات فلا نسخط) يعنى مايم راضى كه غضب نمى كنيم (نحن الخالدات فلا نبيد) يعنى مايم جاويد كه هلاك نمى شويم (طوبى لمن كنا له وكان لنا) وفى الاثر اذا قلن هذه المقالة اجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن فغلبتهن والله غلبتهن وفيه بيان ان هاتين الجنتين دون الاولين لانه تعالى قال فى الاولين فى صفة الحور العين كأنهن الياقوت والمرجان وفى الاخريين فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان قال فى التأويلات النجمية فيهن خيرات حسان من المعاملات الفاضلات والمكاشفات العاليات وهذا الوصف ايضا يدل على ان جنة المقربين افضل من جنة الابرار واصحاب اليمين لان ثمرة تلك الجنة الفناء والبقاء وثمرة هذه الجنة المعاملات وتحسين الاخلاق (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد انعم عليكم بما به تستمتعون من النساء (حور) بدل من خيرات جمع حوراء وهى البيضاء ووصفت فى غير هذه الآية بالعين وهى جمع عيناء بمعنى عظيمة العين وقال بعضهم شديدة سواد العين يعنى سياه چشمانند (مقصورات فى الخيام) قصرن فى خدورهن وحبسن (قال الكاشفى) از چشمهاء بيگانكان نگاه داشته ودرخيمها بداشته وفيه اشارة الى انهن لا يظهرن لغير المحارم وان لم تكن الجنة دار التكليف وذلك لانهن من قبيل الاسرار وهى تصان عن الاغيار غيرة عليها يقال امرأة قصيرة وقصورة اى مخدرة مستورة لا تخرج ومقصورات الطرف على ازواجهن لا يبغين بهم بدلا والخيام جمع خيمة وهى القبة المضروبة على الاعواد هكذا جمع خيام الدنيا وهى لا تشبه خيام الجنة الا بالاسم فانه قد قيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها اهلون ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون وقال ابن مسعود لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلا وكفته اند مراد خانها ست يعنى مستورات فى الحجال وحجله خانه بود براى داماد وعروس قال فى القاموس الحجلة محركة كالقبة موضع يزين بالثياب والستور للعروس والجمع حجل وحجال قال البقلى رحمه الله وصف الله جوارى جنانه التى خلقهن لخدمة اوليائه والبسهن لباس نوره واجلسهن على سرير انسه فى حجاب قدسه وضرب عليهن خيام الدر والياقوت ينتظرن ازواجهن من العارفين والمؤمنين المتقين لا يصرفن ابصارهن فى انتظارهن عن مسالك الاولياء من ازواجهن الى غيره وفى الآية اشارة الى ان الاسماء تنقسم بالقسمة الاولى قسمين بعضها كونية اى لها مظاهر فى الكون وبعضها غير كونية اى ليس لها مظاهر فى الكون بل هى من المستأثرات الغيبية كما جاء فى دعاء النبى عليه السلام اللهم انى أسألك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته فى كتابك او علمته احدا او استأثرت به فى علم غيبك المكنون وقوله حور مقصورات يعنى ان من خصائص هاتين الجنتين ان فيهما معانى وحقائق ما ظهرت مظاهرها فى هذا العالم بل بعد فى خيام الغيب المكنون فى جنة السر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد خلق من انعم ما هى مقصورة ومحبوسة لكم (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) كالذى مر فى نظيره فى جميع الوجوه وقال بعضهم اى قبل اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين قال فى كشف الاسرار كرر ذلك زيادة فى التشويق وتأكيدا للرغبة وفيه انه ليس بتكرير لان الاول فى ازواج المقربين وهذا فى ازواج الابرار قال محمد بن كعب ان المؤمن يزوج الف ثيب والف بكر والف حوراء (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع انها ليست كنعم الدنيا اذ قد تطمث المرأة فى الدنيا ثم يتزوجها آخر ثانيا فهن ثم باكورة

ذواتها من طيب وصالها وبالها من حسنها وراعتها الايقدر احد على حكايتها ولا يبلغ وصف الى نهايتها والعقول فيها حيارى والقلوب سكارى (متكئين) حال صاحبه محذوف يدل عليه الضمير فى قبلهم (على رفرف) اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ماتدلى من الاسرة من عالى الثياب او ضرب من البسط او الوسائد قال فى المفردات الرفرف ضرب من الثياب مشبه بالرياض انتهى ومن معانى الرفرف الرياض وكان بساط انوشروان ستين ذراعا فى ستين ذراعا يبسط له فى ايوانه منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على الوان زهر الربيع وينشر اذا عدمت الزهور وفى القاموس الرفرف ثياب خضر تتخذ منها المحابس وتبسط وفضول المحابس والفرش وكل مافضل فثنى والفراش والرقيق من الديباج (خضر) نعت لرفرف جمع اخضر والخضرة احد الالوان بين البياض والسواد وهو الى السواد اقرب فلذا سمى الاسود اخضر والاخضر اسود (وعبقرى) عطف على رفرف والمراد الجنس ولذا وصف بالجمع وهو قوله (حسان) حملا على المعنى وهو جمع حسن والعبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد كثير الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب وقال قطرب ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسى وبختى قال فى القاموس عبقر موضع كثير الجن وقرية ثيابها فى غاية الحسن والعبقرى ضرب من البسط كالعبقرى انتهى وفى المفردات قيل هو موضع للجن ينسب اليه كل نادر من انسان وحيوان وثوب قال الله تعالى وعبقرى حسان وهو ضرب من الفرش جعله الله مثلا لفرش الجنة وفى التكملة عبقر اسم موضع يصنع فيه الوشى كانت العرب اذا رأت شيأ نسبته اليه فخاطبهم الله على عادتهم وفى فتح الرحمن العبقرى بسط حسان فيها صور وغير ذلك والعرب اذا استحسنت شيأ واستجادته قالت عبقرى قال ابن عطية ومنه قول النبى عليه السلام رأيت عمر بن الخطاب فى المنام يستقى من بئر فلم ار عبقريا يفرى فريه اى سيدا يعمل عمله وقيل عبقر اسم رجل كان بمكة يتخذ الزرابى ويجيدها فنسب اليه كل شئ جيد حسن وبالفارسية وبساطى قيمتى در غايت نيكويى قوله تعالى فى الاولين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وترك ذكر الظهارة لرفعة شانها وخروجها عن كونها مدركة بالعقول والافهام وفى الآخرين متكئين على رفرف خضر وعبقرى وبه يعلم تفاوت ما بينهما وقيل الاستبرق ديباج والعبقرى موشى والديباج اعلى من الموشى قال ابن الشيخ الرفرف فراش اذا استقر عليه الولى طار به من فرحه وشوقه اليه يمينا وشمالا وحيثما يريده الولى (وروى) فى حديث المعراج ان رسول الله عليه السلام لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبرائيل وطار به الى سيد العرش فذكر عليه السلام انه طار بى يخفضنى ويرفعنى حتى وقف بى على ربى ولما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوى به حتى اداه الى جبرائيل فالرفرف خادم بين يدى الله من جملة الخدم مختص بخواص الامور فى محل الدنو والقربة كما ان البراق دابة يركبها الانبياء مخصوصة بذلك فهذا الرفرف الذى سخره لاهل الجنتين هو متكاهم وفرشهم يرفرف بالولى ويطير به على حافات تلك الانهار وحيث يشاء من خيامه وازواجه وقصوره انتهى وهذا التقرير على تقدير ان يكون دون من الدنو ومعنى من دونهما ارفع منهما كما لايخفى ويدل عليه ان الرفرف اعظم خضرة من الفرش المذكورة فى قوله متكئين على فرش (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد هيأ لكم ما تتكئون عليه فتستريحون (تبارك اسم ربك) تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر فى السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الانام اى تعالى اسمه الجليل الذى من جملته ما صدرت به الصورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الآلاء المفصلة وارتفع عما لايليق بشأنه من الامور التى من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه كذلك فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم مثل ثم اسم السلام عليكما اى ثم السلام عليكما قال فى فتح الرحمن وهذا الموضع مما اريد فيه بالاسم مسماه وفى التأويلات النجمية هذا يدل على ان الاسم هو المسمى لان المتعالى هو المسمى فى ذاته لا الاسم وان كان فتبعيته وكذا الموصوف بالقهر واللطف والجلال والاكرام هو المسمى فحسب انتهى وفى الامالى وليس الاسم غيرا للمسمى وفى شرح الاسماء الحسنى للزروقى الصحيح ان الاسم غير المسمى واباه قوم وفصل آخرون وتوقف آخرون امتناعا لكن السلف لم يتكلموا فى الاسم والمسمى ولا فى الصفة والموصوف ولا فى التلاوة والمتلو طلبا للسلامة وحذرا على الغير وهو الورع (ذى الجلال والاكرام) وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير كفته اند اول چيزى كه

از قرآن در مکه بر قريش آشكارا خواندند بعضى آيات از اول اين سوره بود روايت كرده اند از عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه كفت صحابۀ رسول عليه السلام مجتمع شدند كفتند تااين غايت مردم قريش از قرآن هيچ نشنيده اند در ميان ما كيست كه ايشانرا قرآن اشنواند آشكارا عبد الله بن مسعود كفت انكس من باشم كه قرآن آشكارا برايشان خوانم اكرچه ازان رنج وكزند آيد پس بيامد ودرانجمن قريش بيستاد وابتداء سورۀ رحمن دركرفت وتحتى ازان آيات برخواند قريش چون آن بشنيدند از سر غيظ وعداوت اورا زخمها كردند ورنجانيدند پس چون بعضى خوانده اورا فرا كذاشتند وبنزديك اصحاب باز كشت فقالوا هذا الذى خشينا عليك يا ابن مسعود وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار مايقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام كما فى كشف الاسرار قال الزروقى ذوالجلال والاكرام هو الذى له العظمة والكبرياء والافضال التام المطلق من عرف انه ذوالجلال والاكرام هابه لمكان الجلال وانس به لمكان الاكرام فكان بين خوف ورجاء وهو اسم الله الاعظم وقال بعضهم اسماء الله تعالى كلها اعظم لدلالتها على العظيم فانه اذا اعظم الذات والمسمى عظم الاسماء والصفات وانما الكلام فى ذكرها بالحضور والشهود والاستغراق فى بحر الجود وهو ذكر الكمل من افراد الانسان نسأل الله تعالى ان يجعلنا من الذاكرين له ظاهرا وباطنا اولا وآخرا

تمت سورة الرحمن بعون الملك المنان فى اواخر ذى القعدة الشريف من شهور سنة اربع عشرة ومائة والف

(سورة الواقعة مكية وآيها تسع وتسعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا وقعت الواقعة) انتصاب اذا بمضمر اى اذا قامت القيامة وحدثت وذلك عند النفخة الثانية يكون من الاهوال مالا يفى به المقال سماها واقعة مع ان دلالة اسم الفاعل على الحال والقيامة مما سيقع فى الاستقبال لتحقق وقوعها ولذا اختير اذا وصيغة الماضى قالوا قعة من اسماء القيامة كالصاخة والطامة والآزفة (ليس لوقعتها كاذبة) قال الراغب يكنى عن الحرب بالوقعة وكل سقوط شديد يعبر عنه بذلك قال ابو الليث سميت القيامة الواقعة لصوتها والمعنى لايكون عند وقوعها نفس تكذب على الله وتفترى بالشريك والولد والصاحبة وبانه لايبعث الموتى لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كاذبة مكذبة فاللام للتوقيت والكاذبة اسم فاعل اوليس لاجل وقعتها اوفى حقها كذب بل كل ماورد فى شأنها من الاخبار حق صادق لاريب فيه فاللام للتعليل والكاذبة مصدر كالعاقبة (خافضة) اى هى خافضة لاقوام (رافعة) لآخرين وهو تقرير لعظمتها على سبيل الكناية فان الوقائع العظام يرتفع فيها اناس الى مراتب ويتضع اناس وتقديم الخفض على الرفع للتشديد فى التهويل قال بعضهم خافضة لاعداء الله الى النار رافعة لاولياء الله الى الجنة اوتخفض اقواما بالعدل وترفع اقواما بالفضل اوتخفض اقواما بالدعاوى وترفع اقواما بالحقائق وعن ابن عباس رضى الله عنهما تخفض اقواما كانوا مرتفعين فى الدنيا وترفع اقواما كانوا متضعين فيها آن روز بلال درويش را رضى الله عنه مى آرند باتاج وحله ومركب براد برد مى برند تا بفردوس اعلى برند وخواجۀ او راامية بن خلف باغلال وانكال وسلاسل بروى مى كشند تا بدرك اسفل برند ان طيلسان پوش منافق را باتش مى برند وان قبا بستۀ مخلص را به بهشت مى فرستند ان برمباحاتى مبتدع را باتش قهر مى سوزند وآن جوان خراباتى معتقد را برتخت بخت مى نشانند * بساپير مباحاتى كه بى مركب فروماند * بسارند خراباتى كه زين برشير نر بندد (اذا رجت الارض رجا) الرج تحريك الشئ وازعاجه والرجرجة الاضطراب اى خافضة رافعة اذا حركت الارض تحريكا شديدا بحيث ينهدم مافوقها من بناء وجبل ولا تسكن زلزلتها حتى تلقى جميع مافى بطنها على ظهرها (وبست الجبال بسا) اى فتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا لته والبسيسة سويق يلت فيتخذ زادا اوسيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذا ساقها (فكانت) اى فصارت بسبب ذلك (هباء) اى غبارا وهو مايسطع من سنابك الخيل اوالذى يرى فى شعاع الكوة اوالهباء مايتطاير من شرر النار اوما ذرته الريح من الاوراق (منبثا) اى منتشرا متفرقا وفى التفسير ان الله تعالى يبعث ريحا من تحت الجنة فتحمل الارض والجبال

وتضرب بعضها ببعض ولاتزال كذلك حتى تصير غبارا ويسقط ذلك الغبار على وجوه الكفار كقوله تعالى وجوه يومئذ عليها غبرة وقال بعضهم ان هذه الغبرة هي التراب الذي اشار اليه تعالى بقوله ياليتني كنت ترابا وسيجيء تحقيقه في محله وفي الآية اشارة الى قيامة العارفين وهي قيامة العشق وسطوته وجذبة التوحيد وصدمته وهي تخفض القوى الجسمانية البشرية المقتضية لاحكام الكثرة وترفع القوى الروحانية الالهية المستدعية لانوار الوحدة وصرصر هذه القيامة اذا ضربت على ارض البشرية ومرت على جبال الانانية الانسانية جعلت تعينهما لاشيا فانيا في ذاتهما وصفاتهما لااسم لهما ولارسم ولااثر ولاعين بل هباء منبثا لاحقيقة له في الوجود كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده واليه الاشارة بقولهم اذاتم الفقر فهو الله ولابد في سلوك طريق الحق من ارشاد استاذ حاذق وتسليك شيخ كامل مكمل حتى تظهر حقيقة التوحيد بتغليب القوى الروحانية على القوى الجسمانية كما قال العارف الرباني ابوسعيد الخراز قدس سره حين سئل عن التوحيد ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة اهلها اذلة (وكنتم) اما خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط (ازواجا) اى اصنافا (ثلاثة) اثنان في الجنة وواحد في النار وكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود او في الذكر فهو زوج فردا كان اوشفعا (فاصحاب الميمنة مااصحاب الميمنة واصحاب المشأمة مااصحاب المشأمة) تقسيم للازواج الثلاثة فاصحاب الميمنة مبتدأ خبره مااصحاب الميمنة على ان ما الاستفهامية مبتدأ ثان مابعده خبره والاصل ماهم اى اى شيء هم في حالهم وصفتهم والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة كأنه قيل ماعرفت حالهم اى شيء فاعرفها وتعجب منها فاصحاب الميمنة في غاية حسن الحال واصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال نحو زيد ومازيد حيث لايقال الافي موضع التعظيم والتعجب واصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب المشأمة اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم بالميامن اى بطرف اليمين وتشؤمهم بالشمائل اى بجانب الشمال كما تقول فلان منى باليمين والشمال اذا وصفته عندك بالرفعة والضعة تريد مايلزم من جهتى اليمين والشمال من رفعة القدر وانحطاطه اوالذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم اوالذين يكونون يوم القيامة على يمين العرش فيأخذون طريق الجنة والذين يكونون على شمال العرش فيفضى بهم الى النار واصحاب اليمن واصحاب الشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعاتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم اواصحاب الميمنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق قال الله تعالى في حقهم هؤلاء من اهل الجنة ولاابالى واصحاب المشأمة الذين كانوا على شماله وقال الله تعالى فيهم هؤلاء من اهل النار ولاابالى وفي القاموس اليمن البركة كالميمنة يمن فهو ميمون وايمن والجمع ميامين وايامن واليمين ضد اليسار والجمع ايمن وايمان وايامن وايامين والبركة والقوة والشؤم ضد اليمن والمشأمة ضد الميمنة (والسابقون السابقون) هم القسم الثالث من الازواج الثلاثة اخر ذكرهم ليقترن بيان محاسن احوالهم واصل السبق التقدم في السير ثم تجوزبه في غيره من التقدم والجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقوله انا ابو النجم وشعرى شعرى اوالسابقون الاول مبتدأ والثاني تأكيد له كرر تعظيما لهم والخبر جملة قوله اولئك الخ وفي البرهان التقدير عند بعضهم السابقون ماالسابقون فحذف ما لدلالة ماقبله عليه وهم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان فالمراد بالسبق هو السبق بالزمان اوالذين سبقوا في حيازة الكمالات الدينية والفضائل اليقينية فالمراد بالسبق هو السبق بالشرف كما قال الراغب يستعار السبق لاحراز الفضل وعلى ذلك والسابقون السابقون اى المتقدمون الى ثواب الله وجنته بالاعمال الصالحة (اولئك) الموصوفون بذلك النعت الجليل وهومبتدأ خبره قوله (المقربون) اى الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية يقول الفقير عرف هذا المعنى من قوله عليه السلام اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن فانه يظهر منه ان الفردوس مقام المقربين لقربه من العرش الذي هو سقف الجنة ولم يقل اولئك المتقربون لانهم بتقريب ربهم سبقوا لابتقرب انفسهم ففيه اشارة الى الفضل العظيم في حق هؤلاء يختص برحمته من يشاء والله ذوالفضل العظيم (في جنات النعيم) متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اى كائنين في جنات النعيم يعني در بوستانها مشتمل برانواع نعمت قبل السابقون

اربعة سابق امة موسى عليه السلام وهو خربيل مؤمن آل فرعون وسابق امة عيسى وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقا امة محمد عليه السلام وهما ابو بكر وعمر رضى الله عنهما وقال كعب هم اهل القرآن المتوجون يوم القيامة فانهم كادوا ان يكونوا انبياء الا انه لا يوحى اليهم والمراد باهل القرآن الملازمون لقراءته والعاملون به وكان خلق النبي عليه السلام القرآن وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير فى حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر فى حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال وقال حضرة شيخى وسندى قدس سره فى بعض تحريراته العباد ثلاثة اصناف صنف هم اهل النسيان وصنف هم اهل الذكر وصنف هم اهل الاحسان والصنف الاول اهل الفتور مطلقا وليس فيه بوجه من الحضور شئ اصلا وهم اهل البعد قطعا وليس لهم من القرب شئ جدا وهم اصحاب المشأمة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة وهم ارباب الغضب والقهر والجلال ولهم فى نار الجحيم عذاب اليم وماء حميم والصنف الثانى اهل الفتور من وجه واهل الحضور من وجه وهم اهل البعد بوجه واهل القرب بوجه وهم اصحاب الميمنة واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة وهم ارباب الرحمة واللطف والجمال ولهم فى نور النعيم ثواب عظيم وسرور مقيم والصنف الثالث اهل الحضور مطلقا وليس فيهم بوجه من الفتور شئ اصلا وهم اهل القرب مطلقا وليس لهم من البعد شئ اصلا وهم السابقون والسابقون السابقون اولئك المقربون وهم اصحاب كمال الرضى والاجتباء والاصطفاء ولهم فى سر نعيم جنة الوصال دوام الصحبة والمشاهدة والمعاينة وبقاء تجلى الوجه الحق والجمال المطلق وهم ارباب الكمال المتوجه بوجه الجمال والجلال والصنف الاول قفا بلا وجه فى الظاهر والباطن والثانى وجه بلا قفا فى الظاهر وقفا بلا وجه فى الباطن والثالث وجه بلا قفا فى الظاهر والباطن لكونهم على تعين الوجه المطلق وفى رسالته العرفانية اصحاب اليمين ممن سوى المقربين وجه بلا قفا فى الظاهر لحصول الرؤية لهم وقفا بلا وجه فى الباطن اى لعدم انكشاف البصيرة لهم واصحاب الشمال قفا بلا وجه فى الظاهر اى باعتبار البداية ووجه بلا قفا فى الباطن اى باعتبار النهاية وقال فى اللائحات البرقيات لذكر بعضهم بمجرد اللسان فقط وهم فريق الغافلين من الفجار ولهم رد مطلقا فانهم يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل فقط وهم فريق المتيقظين من الابرار ولهم قول بالنسبة الى من تحتهم لا بالنسبة الى من فوقهم وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل والقلب فقط وهم فريق اهل البداية من المقربين وقبولهم نسبى ايضا وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل والقلب والروح فقط وهم اهل الوسط من المقربين وقبولهم اضافى ايضا وذكر بعضهم كان مطلقا حيث تحقق لهم ذكر اللسان وفكر المذكور ومطالعة الآثار بالعقل وحضور المذكور ومكاشفة الاطوار بالقلب وانس المذكور ومشاهدة الانوار بالروح والفناء فى المذكور ومعاينة الاسرار بالسر فلهم قبول مطلقا وليس لهم رد اصلا لان كمالهم وتمامهم كان حقيقيا جدا وهم ارباب النهاية من المقربين من الانبياء والمرسلين والاولياء الكاملين الاكملين وفى التأويلات النجمية يشير الى مراتب اعاظم المملكة الانسانية ومقامات اكابرها وصناديدها وهم الروح السابق المقرب وجودا ورتبة والقلب المتوسط صاحب الميمنة والنفس الاخيرة صاحبة المشأمة اما تسمية الروح بالسابق فلسبقه بالتجليات الذاتية الرحمانية والتنزلات الربانية وبقاء طهارته ونزاهته ابتداء وانتهاء ووصف القلب بصاحب الميمنة لينه واتيمن به وغلبة التجليات الصفاتية والاسمائية عليه ووصف النفس بصاحبة المشأمة لشؤمها وميشومها وتلعثمها عند اجابة دواعى الحق بالانقياد من غير عناد واعتناد واما تقديم القلب والنفس على الروح فلسعة الرحمانية الواسعة كل شئ كما قال ورحمتى وسعت كل شئ وقال رحمتى سبقت غضبى اذ جعل النفس برزخا بين القلب والروح لتستفيد برحمته مرة من هذا واخرى من هذا وتصير منصبغة بنورانيتهما وتؤمن بهما ان شاء الله تعالى كما قال تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وبقوله فى جنات النعيم يشير الى جنة الذات وجنة الصفات وجنة الافعال لان السابقين المقربين هم الفانون فى الله بالذات والصفات والافعال والباقون بالله بالذات والصفات والافعال ولصاحب كل مقام من هذه المقامات الثلاثة جنة مختصة به جزاء وفاقا وهذه الجنات كلها شاملة للنعيم الدنيوى والاخروى ان فهمت الرموز الالهية فزت بالكنوز الرحمانية (ثلة من الاولين) اى هم امم كثيرة من الاولين غير محصورة

العدد وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهما السلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام وهذا التفسير مبنى على ان يراد بالسابقين غير الانبياء واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر وجماعة السابقين مع كثرتهم مقطوعة مكسورة من جملة بنى آدم وقال الراغب الثلة قطعة مجتمعة من الصوف ولذلك قيل للغنم ثلة ولاعتبار الاجتماع قيل ثلة من الاولين اى جماعة (وقليل من الآخرين) اى من هذه الامة ولايخالفه قوله عليه السلام (ان امتى يكثرون سائر الامم) اى يغلبونهم بالكثرة فان اكثرية سابقى الامم السالفة من سابقى هذه الامة لاتمنع اكثرية تابعى هؤلاء من تابعى اولئك مثل ان يكون سابقوهم الفين وتابعوهم الفا فالمجموع ثلاثة آلاف ويكون سابقوا هذه الامة الفا وتابعوهم ثلاثة آلاف فالمجموع اربعة آلاف فرضا وهذا المجموع اكثر من المجموع الاول وفى الحديث (انا اكثر الناس تبعا يوم القيامة) ولايرده قوله تعالى فى اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين فى انفسهما لاتنافى اكثرية احدهما من الآخر وسيأتى ان الثلثين من هذه الامة وقد روى مرفوعا ان الاولين والآخرين ههنا ايضا متقدموا هذه الامة ومتأخروهم وهو المختار كما فى بحر العلوم فالمتقدمون مثل الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ولما نزلت بكى عمر رضى الله عنه فنزل قوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين يعنى كريان شد وكفت يا نبى الله ما باتو كرويديم وتصديق كرديم وازما اهل نجات نيا مد مكر اندك اين آيت آمد كه وثلة من الآخرين حضرت صلى الله عليه وسلم آيت بروى خواند وعمر فرمود كه رضينا من ربنا وفى الحديث (ارضون ان تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال أترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذى نفس محمد بيده انى لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك ان الجنة يعنى كونكم نصف اهلها بسبب انها لايدخلها الانفس مسلمة وماانتم فى اهل الشرك الا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود وكالشعرة السوداء فى جلد الثور الاحمر اى فلايستبعد دخول كلهم الجنة وقد ترقى عليه السلام فى حديث آخر من النصف الى الثلثين وقال ان اهل الجنة مائة وعشرون صفا وهذه الامة منها ثمانون قال السهيلى رحمه الله فى كتاب التعريف والاعلام قال عليه السلام نحن الآخرون السابقون يوم القيامة فهم اذا محمد صلى الله عليه وسلم وامته واول سابق الى باب الجنة محمد عليه السلام وفى الحديث (انا اول من يقرع باب الجنة فادخل ومعى فقراء المهاجرين) واما آخر من يدخل الجنة وآخر اهل النار خروجا منها رجل اسمه جهينة فيقول اهل الجنة تعالوا نسأل جهينة فعنده الخبر اليقين فيسألونه هل بقى احد فى النار ممن يقول لا اله الا الله * نماند بدان دوزخ اسير * كسى را كه باشد چنين دستكير * يقول الفقير هذه خلاصة ما اورده اهل التفسير فى هذا المقام والذى يلوح لى ان المقربين وان كانوا داخلين فى اصحاب اليمين الا ان المراد بقوله تعالى وثلة من الآخرين هى الثلة التى من اصحاب اليمين وهم هنا غير المقربين بقرينة تقسيم الازواج وتبيين كل فريق منهم على حدة وكلامنا فى المقربين خصوصا اعنى السابقين من هذه الامة هل هم اقل من سابقى الامم كما يدل عليه ظاهر قوله تعالى وقليل من الآخرين او هم اكثر كما يدل عليه بعض الشواهد والظاهر انهم اكثر مثل اصحاب اليمين والآية محمولة على متقدمى هذه الامة ومتأخريها كما اشير اليه سابقا وذلك لان النبى عليه السلام شبه علماء هذه الامة بانبياء بنى اسرائيل ولاشك ان الانبياء كلهم من المقربين وعلماء هذه الامة لانهاية لهم دل عليه ان الاولياء فى كل عصر من اعصار هذه الامة عدد الانبياء وهم مائة الف واربعة وعشرون الفا وقد يزيد عددهم على عدد الانبياء بحسب نورانية الزمان وقد ثبت ان كل اربعين مؤمنا فى قوة ولى عرفى فاذا كان صفوف هذه الامة يوم القيامة ثمانين فظاهر ان عددهم يزيد على عدد الاولين وزيادة العدد يزيد الاولياء اصحاب اليمين وبزيادتهم يزيد الاولياء المقربون السابقون فان فى العدد المذكور منهم الغوث والاقطاب والكمل فاعرف وفى التأويلات النجمية يشير بقوله ثلة من الاولين الى كثرة ارباب القلوب صواحب التجليات الجزئية الصفاتية والاسمائية وكثرة اصحاب اللذات النفسانية الظلمانية وبقوله وقليل من الآخرين المحمديين يشير الى ارباب الارواح الطاهرة صواحب التجليات الذاتية المقدسة عن كثرات الاسماء والصفات الاعتبارية (على سرر موضونة) حال اخرى من المقربين والسرر جمع سرير بالفارسية تخت والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع ثم استعير لكل نسج محكم (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر والتقابل ان يقبل بعضهم على بعض

اما بالذات واما بالعناية والمودة اى مستقرين على سرر متكئين عليها اى قاعدين قعود الملك للاستراحة متقابلين لا ينظر بعضهم من اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب وقال ابو الليث متقابلين فى الزيادة (وقال الكاشفى) برابر يكديكر يعنى روى بار وى تا بديدار يكديكر مستأنس ومسرور باشند (يطوف عليهم) اى يدور حولهم للخدمة حال الشرب وغيره (ولدان) جمع وليد وخدمة الوليد امتع من خدمة الكبير يعنى خدمة كودك زيبا ترست ازخدمت كبار (مخلدون) مبقون ابدا على شكل الولدان وطرا وتهم لا يتحولون عنها لانهم خلقوا للبقاء ومن خلق للبقاء لا يتغير قال فى الاسئلة المقحمة هؤلاء هل يدخلون تحت قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت والجواب انهم لا يموتون فيها بل يلقى عليهم بين النفختين نوم انتهى واز ين معلوم شدكه اين كودكان راحق تعالى بمحض كرم خود آفريده باشد براى خدمت بهشتيان فهم للخدمة لاغير والحور العين للخدمة والمتعة وقيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها وسيئات فيعاقبون عليها وفى الحديث (اولاد الكفار خدام اهل الجنة) ولفظ الولدان يشهد لابى حنيفة رحمه الله فى ان اطفال المشركين خدم اهل الجنة لان الجنة لا ولادة فيها ويجوز ان يكون معنى مخلدون مقرطون يعنى آراستكان بكوشوارهاى زرين والخلد السوار والقرط كالخلدة محركة والجمع كقردة وولدان مخلدون مقرطون اومسورون اولا يهرمون ابدا ولا يجاوزون حد الوصافة كما فى القاموس وقال فى كشف الاسرار الخلادة القلادة لغة قحطانية (بأكواب) من الذهب والجواهر اى بآنية لاعرى لها ولا خراطيم وهى الاباريق الواسعة الرأس لاخرطوم لها ولا يعوق الشارب منها عائق عن شرب من اى موضع ارادمنها فلا يحتاج ان يحول الاناء من الحالة التى تناوله بها ليشرب (واباريق) جمع ابريق وهو الذى له عروة وخرطوم يبرق لونه من صفائه وقيل انها اعجمية معربة آبريزاى بآنية ذات عرى وخراطيم ويقال الكوب للماء وغيره والابريق لغسل الايدى والكأس لشرب الخمر كما قال (وكأس من معين) اى وبكأس من خمر جارية من العيون اخبر ان خمر الآخرة ليست كخمر الدنيا تستخرج بتكلف وعلاج وتكون فى اوعية بل هى كثيرة جارية كما قال وانهار من خمر والكأس القدح اذا كان فيها شراب والافهو قدح يقال معن الماء اذا جرى فهو فعيل بمعنى الفاعل اوظاهرة تراها العيون فى الانهار كالماء المعين وهو الظاهر الجارى فيكون بمعنى مفعول من المعاينة من عانه اذا شخصه وميزه بعينه قال فى القاموس المعن الماء الظاهر ومعن الماء اساله وامعن الماء جرى والمعنان بالضم مجارى الماء فى الوادى فان قلت كيف جمع الاكواب والاباريق وافرد الكأس فالجواب ان ذلك على عادة اهل الشرب فانهم يعدون الخمر فى الاوانى المتعددة ويشربون بكأس واحدة (لا يصدعون عنها) الصدع شق فى الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما ومنه استعير الصداع وهو الانشقاق فى الرأس من الوجع ومنه الصديع للفجر اى لا ينالهم بسبب شربها صداع كما ينالهم ذلك من خمر الدنيا وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها قال ابن عباس رضى الله عنهما فى الخمر اربع خصال السكر والصداع والقئ والبول وليست فى خمر الجنة بل هى لذة بلا اذى (ولا ينزفون) اى لا يسكرون يعنى لا تذهب عقولهم او لا ينفد شرابهم من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه فالنفاد اما للعقل وهو من عيوب خمر الدنيا او للشراب فان بنفادها تختل الصحبة (وفاكهة مما يتخيرون) يقال تخيرت الشئ اخذت خيره اى يختارونه ويأخذون خيره وافضله من الوانها وكلها خيار وهو عطف على بأكواب اى يطوف عليهم ولدان بفاكهة وهو ما يؤكل من الثمار تلذذا لا لحفظ الصحة لاستغنائهم عن حفظ الصحة بالغذاء فى الجنة وليس ذلك كقوت الدنيا الذى يتناوله من يضطر اليه ويضيق عليه لتأخره عنه وهو اشارة الى انه يتناول المأكولات التى يتنعم بها ثم ذكر اللحم الذى هو سيد الادام وكانت العرب يتوسعون بلحمان الابل ويعز عندهم لحم الطير الذى هو اطيب اللحوم ويسمعون بها عند الملوك فوعدوها فقيل (ولحم طير مما يشتهون) اى يتمنون مشويا او مطبوخا يتناولونها مشتهين لها لا مضطرين ولا كارهين وآرآن بودكه مؤمنان برخوان نشسته باشند مرغ بيايد ودرپيش ايشان برشاخ طوبى نشيند وآوازدهدكه منم كه هيچ چشمه نيست در بهشت كه ازان نچشيده ام وهيچ درختى نيست كه من ازميوهٔ آن نخورده ام كوشت من خوشترين همه كوشتهاست پس بهشتى كوشت وى را آرزو كند مرغ ازان شاخ طوبى دركردد و برسر خوان افتد قسمت شود يكى پخته ويكى قديد ويكى بريان

پس بهشتی چندانکه خواهد بخورد دیگر باره بقدرت حق زنده شود و بپرد * وفى الاسئلة المقحمة ان قال وقال كهذ مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون فغاير بين اللفظين والجواب لان الفوا كه كما تكون للاكل تكون ايضا للنظر والشم واما لحم الطير فختلف الشهوات فى اكل بعض اجزائه دون البعض ولما لم يكن بعد الاكل والشرب اشهى من الجماع قال (وحور عين) عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اى وفيها او ولهم حور عين اى نساء وحور جمع حوراء وهى البيضاء او الشديدة بياض العين والشديدة سوادها وعين جمع عيناء وهى الواسعة الحسنة العين ومن خلقن من تسبيح الملائكة كما فى عين المعانى (كأمثال اللؤلؤ المكنون) صفة لحور او حال اى الدر المخزون فى الصدف لم تمسه الايدى ولم تر الاعين او المصون عما يضر به و يدنس فى الصفاء والنقاء ولما بالغ فى وصف جزائهم بالحسن والصفاء دل على ان اعمالهم كانت كذلك لان الجزاء من جنس العمل فقال (جزاء بما كانوا يعملون) مفعول له اى يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم الصالحة فى الدنيا فما جزاء الاحسان الا الاحسان فالمنازل منقسمة على قدر الاعمال واما نفس دخول الجنة فبفضل الله ورحمته لا بعمل عامل فمن طمع فى ان يدخل الجنة و يأكل من اللحم اللذيذ و يشرب من الشراب الهنيء ويستمتع بالحور العين اثر وجد زواجها (و يروى) ان الحوراء اذا مشت سمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك فى نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ تصران اى تصوتان بالتسبيح على كل امرأة سبعون حلة ليست منها حلة على لون الاخرى وسبعون لونا من الطيب ليس منها لون على لون الاخر لكل امرأة سبعون سريرا من ياقوت احمر منسوجة بالدر على كل سرير سبعون فراشا بطائنها من استبرق وفرق السبعين فراشا سبعون اريكة لكل امرأة منهن سبعون وصيفة بيد كل وصيفة صحفتان من ذهب فيهما لون من طعام يجد لآخر لقمة منه لذة لا يجدها لاولها و يعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت احمر عليه سواران من ذهب موشح بياقوت احمر وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول اخطب زوجة لا تسلبها منك المنايا واعرس بها فى دار لا تخربها دوران البلايا واسلك لها حلة لا تحرقها نيران الرزايا (وروى) انهن خلقن من الزعفران كما فى كشف الاسرار (لا يسمعون فيها لغوا) اى باطلا قال فى القاموس اللغو واللغا السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره وفى المفردات اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكر فيجرى مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور (ولا تأثيما) ولا نسبة الى الاثم اى لا يقال لهم اثمتم اى لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع والاثم اسم للافعال المبطئة عن الثواب والجمع آثام (الا قيلا) اى قولا (سلاما سلاما) بدل من قيلا والاستثناء منقطع اى لكنهم يسمعون فيها قولا سلاما سلاما او هو من باب لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى فى انه من التعليق بالمحال ومعنى سماعهم السلام انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الاسلام الآخر بدأ اوردا و فى الآية اشارة الى ان جنات السابقين المقربين صافية عن الكدورات المنغصة اساكنيها فارغة عن المعاملات المتعبة لقاطنيها لا يقول اهلها الا مع الحق ولا يسمعون الا من الحق تجلى الحق لهم عن اسمه السلام المشتمل على السلامة من النقائص والآفات المتضمن للقربات والكرامات اعلم ان اعز السلام سلام الله على عباده كما قال سلام قولا من رب رحيم ثم سلام الارواح العالية كما حكى عن بعض الصالحين انه قال كان لى ابن استشهد فلم اره فى المنام الا ليلة توفى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو سابع الخلفاء الاثنى عشر تراآى لى تلك الليلة فقلت يا بنى الم تكن ميتا فقال لا ولكنى استشهدت وانا حى عند الله ارزق فقلت له ما جاء بك فقال نودى فى اهل السماء الا لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد الا و يحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلاة ثم جئتكم لاسلم عليكم يقول الفقير شاهدت فى الحرمين الشريفين حضور الارواح للصلوات والطواف وسلام بعضهم على بعض حتى سلمت انا فى السحر الاعلى عند مقام جبرائيل على الخلفاء الاربعة والملائكة الاربعة ولله الحمد على ذلك

سلام من الرحمن نحو جنابه * لان سلامى لا يليق ببابه

(واصحاب اليمين) شروع فى تفصيل ما اجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة اثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدأ خبره جملة قوله (ما اصحاب اليمين) اى لا تدرى ما لهم من الخير والبركة بسبب فواضل صفاتهم وكوامل محاسنهم (فى سدر) اى هم فى سدر (مخضود) اى غير ذى شوك لا كسدر الدنيا فان سدر الدنيا

مخلوق بشوك وسدرالجنة بلاشوك كأنه خضد شوكه اى قطع ونزع عنه فقوله سدرمخضود امامن باب المبالغة في التشبيه اومجاز بعلاقة السببية فان الخضد سبب لانقطاع الشوك وقيل مخضود اى مثنى اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذاثناه وهورطب فمخضود على هذا الوجه من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والسدر شجر النبق وهوثمر معروف محبوب عند العرب يتخذون من ورقه الحرض وفي المفردات السدر شجر قليل الغذاء عندالاكل وقديخضد و يستظل به فجعل ذلك مثلالظل الجنة ونعيمها قال بعضهم ليس شئ من ثمر الجنة في غلف كمايكون في الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه (وطلح منضود) قدنضد حمله وتراكب بعضه على بعض من اسفله الى اعلاه ليست له سوق بارزة وهوشجر الموز وهو شجرله اوراق كبار وظل بارد كمان اوراق السدر صغار اوهو ام غيلان وله انوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة يتقصد العرب منه النزهة والزينة وان كان لايؤكل منه شئ وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن مجاهد كان لاهل الطائف وادمعجب فيه الطلح والسدر فقالوا ياليت لنا في الجنة مثل هذا الوادى فنزلت هذه الآية وقدقال تعالى وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذالاعين فذكر لكل قول مايعجبهم ويحبون مثله وفضل طلح الجنة وسدرها على مافي الدنيا كفضل سائرمافي الجنة على مافي الدنيا (وظل ممدود) ممتدلاينقص ولايتفاوت كظل مابين طلوع الفجر وطلوع الشمس والعرب تقول للشئ الذى لاينقطع ممدود وفي الحديث (في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها) وعن ابن عباس رضى الله عنهما شجرة في الجنة على ساق يخرج اليها اهل الجنة فيتحدثون في اصلها ويتذكر بعضهم و يشتهى لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا وقال في كشف الاسرار ويحتمل ان الظل عبارة عن الحفظ تقول فلان في ظل فلان اى في كنفه لانه لاشمس هناك انتهى * يقول الفقير بل المراد منه الراحة كما في قوله تعالى وندخلهم ظلاظليلا لانه انمايجلس المرء في الظل للاستراحة وكانت العرب يرغبون فيه لقلته في بلادهم وغلبة حرارة الشمس ومنه قوله عليه السلام السلطان ظل الله في ارضه يأوى اليه كل مظلوم اى يستريح عند عدله ومنه قولهم مدالله ظلاله اى ظلال عدله ورأفته حتى يصل اثر الاستراحة الى الناس كلهم (وماء مسكوب) يسكب لهم ويصب اين شاؤا وكيفما ارادوا بلاتعب اومصبوب سائل يجرى على الارض في غيراخدود لاينقطع يعنى كون الماء مسكوبا كثيرا اماعبارة عن كونه ظاهرا مكشوفا غير مختص ببعض الاماكن والكيفيات اوعن كونه جاريا واكثر ماء العرب من الآبار والبرك فلاينسكب فلايصلون الى الماء الا بالدلو والرشاء فوعدوا بالماء الكثير الجارى حتى يجرى في الهواء على حسب الاشتهاء كأنه مثل حال السابقين بأقصى مايتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين باكمل مايتصور لاهل البوادى ايذانا بالتفاوت بين الحالين فكما ان بينهما تفاوتا فكذا بين حاليهما (وفاكهة كثيرة) بحسب الانواع والاجناس (لامقطوعة) في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا (ولاممنوعة) عن متناوليها بوجه من الوجوه كبعد المتناول وانعدام ثمن يشترى به وشوك في الشجر يؤذى من يقصد تناولها وحائط يمنع الدخول ونحوها من المحظورات وفي الحديث (ماقطعت ثمرة من ثمار الجنة الاابدل الله مكانها ضعفين) (وفرش) جمع فراش وهومايبسط ويفرش اى هم في بسط (مرفوعة) اى رفيعة القدر اومرتفعة وارتفاعها كمابين السماء والارض وهو مسيرة خمسمائة عام اومرفوعة على الاسرة وقيل الفرش هى النساء حيث يكنى بالفراش واللباس والازار عن المرأة وفي الحديث (الولد للفراش) فسمى المرأة فراشا وارتفاعها كونهن على الارائك دل عليه قوله تعالى (انا انشأناهن انشاء) وعلى الاول اضمرهن لدلالة ذكر الفرش التى هى المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غيرولاد ابداء واعادة اماالابداء فكما في الحور لانهن انشأهن الله في الجنة من غير ولادة واماالاعادة فكما في نساء الدنيا المقبوضة عجائز وفي الحديث (هن اللواتى قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا) جمع شمطاء والشمط بياض شعر الرأس يخالطه سواد (رمصا) جمع رمصاء والرمص بالتحريك وسخ يجتمع في الموق جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة رضى الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال عليه السلام ليس هناك وجع وقد فعل الله في الدنيا بزكريا عليه السلام فقال تعالى واصلحناله زوجه سئل الحسن عن ذلك الصلاح فقال جعلها

شابة بعدان كانت عجوزا وولودا بعدان كانت عقيما وذلك قوله تعالى (فجعلناهن) بعدان كن عجائز (ابكارا) اى عذارى جمع بكر والمصدر البكارة بالفتح قال الراغب البكرة اول النهار وتصور منهامعنى التعجيل لتقدمهاعلى سائر اوقات النهار فقيل لكل متعجل بكر وسميت التى لم تفتض بكرا اعتبارا بالثيب لتقدمها عليها فيما يراد له النساء قال سعدى المفتى ان اريد بالانشاء معنى الابداء فالجعل بمعنى الخلق وقوله ابكارا حال وان اريد به الاعادة فهو بمعنى التصيير وابكارا مفعوله الثانى قال بعضهم دل قوله فجعلنا هن ابكارا على ان المراد بهن نساء الدنيا لان المخلوقة ابتداء معلوم انهاابكر وهن افضل واحسن من حور الجنة لانهن عملن الصالحات فى الدنيا بخلاف الحور وعن الحسن رضى الله عنه قال اتت عجوز عند عائشة رضى الله عنها من بنى عامر يارسول الله ادع الله ان يدخلنى الجنة فقال ياام فلان ان الجنة لايدخلها عجوز فولت وهى تبكى فقال عليه السلام اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية (عربا) جمع عروب كرسل جمع رسول وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل واشتقاقه من اعرب اذابين والعرب تبين محبتها لزوجها بشكل وغنج وحسن وفى المفردات امرأة عروبة معربة بحالها عن عفتها ومحبة زوجها وفى بعض التفاسير عربا اى كلامهن عربى (اترابا) جمع ترب بالكسر وهى اللدة والسن ومن ولد معك وهى تربى اى مستويات فى سن بنت ثلاث وثلاثين سنة وكذا ازواجهن والقامة ستون ذراعا فى سبعة اذرع على قامة ابيهم آدم شباب جرد مرد محكولون احسنهم كالقمر ليلة البدر وآخرهم كالكوكب الدرى فى السماء يبصر وجهه فى وجهها وتبصر وجهها فى وجهه لايبزقون ولايتمخطون وماكان فوق ذلك من الاذى فهو ابعد وفى الحديث (ان الرجل ليفتض فى الغداة سبعين عذراء ثم ينشئهن الله ابكارا وقال عليه السلام (ان الرجل من اهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء واربعة آلاف ثيب وثمانية آلاف بكر يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا ودرتبيان آورده كه جمله رابهشت آرند بدين سن سازند وبشوهر دهند وعجوزه را نيز زدكنند بدين سن اكر شوهر نداشته باشد در دنيا بعضى از اهل بهشت دهند واكر شوهر داشته باشد اما شوهر او از اهل بهشت نبوده چون امرأة فرعون او رابيكى از بهشتيان دهند واكر زوج او بهشتى بود باز بدو ارزانى دارند واكر زياده از يك شوهر داشته باشد وهمه بهشتى باشند بزوج آخرين نامزد كنند وفى الحديث (ادنى اهل الجنة الذى له ثمانون الف خادم واثنان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء) الجابية بالجيم بلد بالشام وصنعاء بلد باليمن كثيرة الاشجار والمياه تشبه دمشق وفى الحديث ((تقول الحوراء لولى الله كم من مجلس من مجالس ذكر الله قد اكرمك به العزيز اشرفت عليك بدلالى وغنجى واترابى وانت قاعد بين اصحابك تخطبنى الى الله فترى شوقك كان يعدل شوقى اوجدك كان يعدل جدى والذى اكرمنى بك واكرمك بى ماخطبتنى الى الله مرة الاخطبتك الى الله سبعين مرة فالحمد لله الذى اكرمنى بك واكرمك بى (لاصحاب اليمين) متعلقة بانشأنا (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) اى هم امة من الاولين وامة من الآخرين وفى الحديث (هم جميعا من امتى) اى الثلتان من امتى فعلى هذا التابعون باحسان ومن جرى مجراهم ثلة اولى وسائر الامة ثلة اخرى فى آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يومافقال عرضت على الامم فجعل يمر النبى معه الرجل والنبى معه الرجلان والنبى معه الرهط والنبى ليس معه رهط والنبى ليس معه احد ورأيت سوادا كثيرا سد الافق فقيل لى انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا سد الافق فقيل لى هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب وفى رواية عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الانبياء الليلة باتباعها حتى اتى على موسى فى كبكبة من بنى اسرائيل اى فى جماعة منهم فلما رأيتهم اعجبونى فقلت اى رب من هؤلاء قيل هذا اخوك موسى ومن معه من بنى اسرائيل فقلت فأين امتى قيل انظر عن يمينك فاذا ظراب مكة قدسدت بوجوه الرجال وهو جمع ظرب ككتف وهو ماتنأ من الحجارة وحد طرفه والجبل المنبسط او الصغير كما فى القاموس قيل هؤلاء امتك ارضيت قلت رب رضيت رب رضيت قيل انظر عن يسارك فاذا الافق سد بوجوه الرجال قيل هؤلاء امتك ارضيت قلت رب رضيت فقيل ان مع هؤلاء سبعين الفا يدخلون الجنة بلا حساب عليهم فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ان استطعتم ان تكونوا من السبعين

فكونوا وان عجزتم وقصرتم فكونوا من اهل الطراب وان عجزتم فكونوا من الافق فانى قد رأيت ثمة اناسا يتهاوشون كثيرا يعنى اكر عاجز آييد بس باشيد از اهل افق كه من ديدم آنجا مردم بسيار مختلط بودند قال فى القاموس الهوش العدد الكثير والهوشة الاختلاط والهو يشة الجماعة المختلطة والهوا شات بالضم الجماعات من الناس والتهاوش فى الحديث جمع تهواش مقصور من التهاويش تفعال من الهوش وتهوشوا اختلطوا كتهاوشوا وعليه اجتمعوا وهاوشهم خالطهم (وروى) انه قال صلى الله عليه وسلم انى لارجوان تكونوا شطر اهل الجنة ثم ثلاثة من الاولين وثلة من الآخرين يقول الفقير الذى يتحصل من هذا ان الابرار كثير من هذه الامة فى اوائلها واواخرها وكذا من الامم السابقة واما السابقون فكثير من هذه الامة فى اوائلها دون اواخرها كما دلت عليه الآية المتقدمة وكذا قول الحسن البصرى رحمه الله حيث قال رأيت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وكانوا بالبلاء اشد منكم فرحا بالرخاء لورأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا اخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا اشراركم حكموا بانهم لايؤمنون بيوم الحساب ان عرض عليهم الحلال من المال تركوه خوفا من فساد قلوبهم انتهى واما السابقون من الامم السالفة فان انضم اليهم الانبياء فهم اكثر من سابقى هذه الامة والا فلا كما حققناه سابقا وذلك ان زهاد الامم وان كانوا اكثر من زهاد هذه الامة لكنهم لعدم استقرار اكثرهم على اليقين قلوا واما هذه الامة فن قلتهم بالنسبة اليهم كثروا لثباتهم على اليقين والاعتقاد والاعتصام بالقرآن كما ورد فى بعض الاخبار (واصحاب الشمال) شروع فى تفصيل احوالهم وهم الكفار لقوله تعالى والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة (ما اصحاب الشمال) اى لاتدرى ما لهم من الشر وشدة الحال يوم القيامة (فى سموم) اى هم فى حرنار تنفذ فى المسام وهى ثقب البدن وتحرق الاجساد والكباد قال فى القاموس السموم الريح الحارة تكون غالبا فى النهار والحرور الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار (وحميم) وهو الماء المتناهى فى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان اسود بهيم فان اليحموم الدخان والاسود من كل شئ كما فى القاموس يقول من الحمة بالضم وهو الفحم تقول العرب اسود يحموم اذا كان شديد السواد قال الضحاك النار سوداء واهلها سود وكل شئ فيها اسود ولذا لايكون فى الجنة الاسود الا الخال واشفار العين والحاجب يقول الفقير فيه تحذير عن شرب الدخان الشايع فى هذه الاعصار فانه يرتفع حين شربه ويكون كالظل فوق شاربه مع ما لشربه من الغوائل الكثيرة ليس هذا موضع ذكرها فنسأل الله العافية لمن ابتلى به اذهو مما يستخبثه الطباع السليمة وهو حرام كما عرف فى التفاسير (لابارد) كسائر الظلال (ولا كريم) ولانافع من اذى الحر لمن يأوى اليه نفى بذلك ما اوهم الظل من الاستزواح يعنى انه ظل لاكما نفى عنه وصفية البرد والكرم الذى عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل والكرم صفة لكل ما يرضى ويجرى فى بابه والظل يقصد لفائدتين لبرودته ودفع اذى الحر وان لم تحصل الاستراحة بالبرد لعدمه كما فى البيوت المسدودة الاطراف بحيث لايتحرك فيها الهواء فان من يأوى اليها يتخلص بها من اذى حر الشمس وان لم يستروح ببردها وفيه تهكم باصحاب المشأمة وانهم لايستأهلون للظل البارد والكريم الذى هو لاضدادهم فى الجنة (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب يقال ترف كفرح تنعم واترفته النعمة اطغته وانعمته وفلان اصر على البغى والمترف كمكرم المتروك يصنع ما يشاء فلا يمنع كما فى القاموس اى انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب فى الدنيا منعمين بانواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين فى الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) اى الذنب العظيم الذى هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف برفيها وقال بعضهم الحنث هنا الكذب لانهم كانوا يحلفون بالله مع شركهم لايبعث الله من يموت يقول الفقير يدل على هذا ما يأتى من قوله ثم انكم ايها الضالون المكذبون، والحكمة فى ذكر سبب عذابهم مع انه لم يذكر فى اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين التنبيه على ان ذلك الثواب منه تعالى فضل لاتستوجبه طاعة مطيع وشكر شاكر وان العقاب منه تعالى عدل فاذا لم يعلم سبب العقاب يظن ان هناك ظلما وفى الآية اشارة الى سموم نار البعد والحجاب وحميم القهر والغضب وظل شجرة الجهل مافيه برد اليقين كسائر الظلال ولا يسكن حرارة عطشهم

من طلب الدنيا ولذاتها وما فيه كرم النفس ايضا حتى بعثهم على ترك الدنيا وزينتها وزخارفها بل لا يزالون يطلبون
من الدنيا ما ليس فيها من الاستراحة والاسترواح انهم كانوا قبل ذلك مترفين يعنى ما كان استظلالهم بشجرة
الجهل المركب التى ليس فيها برد اليقين ولا كرم النعمة الا بسبب استعداداتهم الذاتية المجبولة على حب الشهوات
واللذات قبل دخولهم فى الوجود العينى وايضا كان استظلالهم بشجرة الجهل لانهم كانوا فى محبة النفس
والدنيا متمكنين فى الازل اذ الحنث العظيم هو حب النفس وحب الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم (حب الدنيا
رأس كل خطيئة * مرا طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتش قبله ديكرست
برو هشيار دنيا خسست * كه هر مدتى جاى ديكر كسست (وكانوا) مع شركهم (يقولون)
لغاية عتوهم وعنادهم (أئذا متنا) آيا وقتى كه بميريم (وكنا ترابا وعظاما) اى كان بعض اجزائنا من اللحم
والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية
واذا محضة الظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى (أئنا لمبعوثون) لا نفسه لان ما بعد ان واللام
والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو البعث وهو المرجع للانكار وتقييدها بالوقت المذكور ليس لتخصيص
انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه
فى حالة منافية له بالكلية وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم ترابا وعظاما
بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة (أوآباؤنا الاولون)
الواو للعطف على المستكن فى لمبعوثون يعنى آيا پدران وپدران پيشين ما نيز مبعوث شوند (قل)
ردا لانكارهم وتحقيقا للحق (ان الاولين والآخرين) من الامم الذين من جملتهم انتم وآباؤكم وبالفارسية
بدرستى كه پيشينيان از اباى شما وغير آن وپسينيان از شما وغير شما وفى تقديم الاولين مبالغة فى الرد حيث كان
انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى (لمجموعون) بعد الموت
وكأنه ضمن الجمع معنى السوق فعدى تعديته بالى ولذا قال (الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقتت به الدنيا
وحدت من يوم معلوم لله معين عنده وهو يوم القيامة والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات هو الوقت
المضروب للشئ ينتهى عنده او يبتدأ فيه ويوم القيامة ميقات تنتهى الدنيا عنده واول جزء منه فالميقات
الوقت المحدود وقد يستعار للمكان ومنه مواقيت الاحرام للحدود التى لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما
(ثم انكم) الخطاب لاهل مكة واضرابهم عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخى زمانا اورتبة
(ايها الضالون) عن الحق والهدى (المكذبون) اى البعث (لآكلون) بعد البعث والجمع ودخول جهنم
(من شجر من زقوم) من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اى مبتدئون الاكل من شجر
هو الزقوم وهو شجر كريه المنظر والطعم حار فى اللمس منتن فى الرائحة وهى الشجرة الملعونة فى القرآن قال
اهل الحقيقة سدرة المنتهى اغصانها نعيم لاهل الجنة واصولها زقوم لاهل النار فهو مبدأ اللطف والقهر
والجمال والجلال (فمالئون) پس پركنند كان باشيد يقال ملأ الاناء فهو مملوء من باب قطع والملئ بالكسر
مقدار ما يأخذه الاناء اذا امتلأ (منها) اى من ذلك الشجر والتأنيث باعتبار المعنى (البطون) اى بطونكم
من شدة الجوع او بالقسر وفيه بيان لزيادة العذاب وكماله اى لا يكتفى منكم بنفس الاكل كما لا يكتفى
من يأكل الشئ تحلة القسم بل تلزمون بان تملأوا منها البطون اى يملأ كل واحد منكم بطنه او بطون الامعاء
والاول اظهر والثانى ادخل فى التعذيب (فشاربون عليه) اى على شجر الزقوم اى عقيب ذلك بلا ريث
لعطشكم الغالب وتذكير ضمير الشجر باعتبار اللفظ (من الحميم) اى الماء الحار فى الغاية (فشاربون شرب
الهيم) كالتفسير لما قبله اى لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهى الابل التى بها الهيام
وهو داء يصيبها يشبه الاستسقاء فتشرب ولا تروى الى ان تموت او تسقم سقما شديدا جمع اهيم وهيماء فاصله
هيم كاحمر وحمر فقلبت الضمة كسرة لتصح الياء والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار فى احشائهم
ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملأوا منه بطونهم وهو فى غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم
من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الابل العطاش وفيه بيان لزيادة
العذاب ايضا اى لا يكون شربكم ايها الضالون كشرب من يشرب ماء حارا منتنا فانه يمسك عنه اذا وجده

مؤلما معذبا بخلاف شربكم فانكم تلزمون بان تشربوا منه مثل مايشرب الجمل الاهيم فانه يشرب ولا يروى وفى الآية اشارة الى افراط النفس والهوى فى شرب ماء حميم الجهل والضلال وفى اكل زقوم الشهوات الموزثة للوبال و لغاية حرصها لاتزيد الاجوعا وعطشا ولايملأ جوف ابن آدم الاالتراب + بجا ذكر كنجدر انبان از * بسختى نفس ميكند پادراز (هذا) الذى ذكر من الزقوم والحميم اول مايلقونه من العذاب (نزلهم) اى رزقهم المعد لهم اى كالنزل الذى يعد للنازل مما حضر مكرمة له (يوم الدين) اى يوم الجزاء فاذاكان ذلك نزلهم فاظنك بحالهم بعد مااستقرلهم القرار واطمأنت بهم الدار فى النار وفيه من التهكم مالايخفى كما فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم لان مايعدلهم فى جهنم ليس مكرمة لهم والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) اى فهلا تصدقون ايها الكفرة بالخلق فان مالايحققه العمل ولايساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق فى شئ او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة اعلم ان الله تعالى اذا اخبر عن نفسه بلفظ الجمع يشير به الى ذاته و صفاته واسمائه كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكما قال انا انزلناه واذا اخبر عن نفسه بلفظ المفرد يشير الى ذاته المطلقة كما قال انى انا الله رب العالمين هذا اذاكان القائل المخبر هوالله تعالى و اما اذا كان العبد فينبغى ان يقول انت يارب لاانتم لايهامه الشرك المنافى لتوحيد القائل ولذا يقال اشهد ان لا اله الا الله ليدل على شهادته بخصوصه فيتعين توحيده و يظهر تصديقه (افرايتم ماتمنون) اى تقذفونه وتصبونه فى ارحام النساء من النطف التى يكون منها الولد فقوله افرايتم بمعنى اخبرونى وماتمنون مفعوله الاول والجملة الاستفهامية مفعوله الثانى يقال امنى الرجل يمنى لاغير ومنيت الشئ امنيه اذاقضيته وسمى المنى منيا لان الخلق منه يقضى (ءانتم تخلقونه) اى تقدرونه وتصورونه بشرا سويا فى بطون النساء ذكرا اوانثى (ام نحن الخالقون) له من غير دخل شئ فيه وام قيل منقطعة لان مابعدها جملة فالمعنى بل انحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجئ الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لابطريق الخبرية اصالة وفيه اشارة الى معنى ان وقوع نطف الاعمال والافعال وموادها فى ارحام قلوبكم ونفوسكم بخلقى وارادتى لابخلقكم وارادتكم ففيه تخصيص موادالخواطر المقتضية للافعال والاعمال والاقوال الى نفسه وقدرته وسلبها عن الخلق (نحن قدرنا بينكم الموت) اى قسمناه عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة فمنهم من يموت صغيرا ومنهم من يموت كبيرا يقول الفقير قبل لى فى بعض الاسحار اصبر ولايكون الاما قدر الله تعالى فرضت بعد ايام ابنتى امة الله حتى ماتت جعلها الله فرطا وذخرا وشافعة ومشفعة وقد ثبت ان ابراهيم عليه السلام تعلق باسمعيل فابتلى بذبحه وكذا يعقوب عليه السلام تعلق بيوسف فابتلى بالفراق فهذه كلها مقادير يجب الرضى بها (ومانحن بمسبوقين) اى انا قادرون (على ان نبدل) منكم (امثالكم) لايغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتى مكانكم باشباهكم من الخلق يقال سبقته على كذا اى غلبته عليه وغاب فلان فلانا على الشئ اذا اخذه منه بالغلبة (وننشئكم فيما لاتعلمون) من الخلق والاطوار لاتعهدون بمثلها قال الحسن البصرى رحمه الله اى نجعلكم قردة وخنازير كمن مسخ قبلكم ان لم تؤمنوا برسلنا يعنى لسناعاجزين عن خلق امثالكم بدلامنكم ومسخكم من صوركم الى غيرها ويحتمل ان الآية تنحو الى الوعيد فالمراد امانشاؤهم فى خلق لايعلمونها اوصفات لايعلمونها يعنى كيفيات من الالوان والاشكال وغيرها وفى الحديث (ان اهل الجنة جردمرد وان الجهنمى ضرسه مثل احد) وفى الآية اشارة الى ان الله تعالى ليس بعاجز عن تبديل الصفات البشرية بالصفات الملكية وجعل السالكين مظهر الصفات غير صفاتهم التى هم عليها اذتوارد الصفات المختلفة المتباينة على نفس واحدة على مقتضى الحكمة البالغة ليس من المحال الاترى الى الجوهر الواحد فانه يصير تارة فضة واخرى ذهبا بطرح الاكسير (ولقد علمتم النشأة) اى الخلقة (الاولى) هى خلقتهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هى فطرة آدم من التراب (فلولا تذكرون) فهلا تتذكرون ان من قدر عليها اقدر على النشأة الاخرى حتما فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصص الاجزاء وسبق المثال * آنكه ماراز خلوت نابود * مى كشد تا بجلوه كاه وجود * بار ديكر كه از سموم هلاك * روى پوشيم زير پردهٔ خاك * هم تواند

بامر كن فيكون * كار دازكوشة خديرون * وفى الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور وفى الآية دليل على صحة القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى وترك القياس اذا كان جهلا كان القياس علما وكل ماكان من قبيل العلم فهو صحيح (وفى المثنوى) مجتهد هركه كه باشد نص شناس * اندران صورت نينديشد قياس * چون نيابد نص اندر صورتى * ازقياس آنجا نمايد عبرتى * اين قياسات وتحرى روزابر * تابشب مر قبله را كردست حبر * ليك باخرشيد وكعبه پيش رو * اين قياس واين تحرى رامجو * ومنه يعلم بطلان قياس ابليس فانه قياس على خلاف الامر عند وروده (كما قال فى المثنوى) اول آنكس كين قياسكها نمود * پيش انوار خدا ابليس بود * كفت ناراز خاك بى شك بهترست * من زنار وا وزخاك اكدرست * پس قياس فرع براصلش كنيم * اوزظلمت مازنور روشنيم * كفت حق نى بلكه لا انساب شد * زهد وتقوى فضل را محراب شد *
وفيه اشارة الى انا اذا قدرنا على انشاء النشأة الاولى البشرية الطبيعية الدنيوية مع عدم مادة من المواد الصفاتية فمن استعجز قدرة الله فقد كفر الاترى الى محرومى البداية مرزوقى النهاية مثل ابراهيم بن ادهم وفضيل بن عياض ومالك بن دينار وغيرهم قدس الله اسرارهم فان الله تعالى انشأهم نشأة اخرى ولو بعد حين (افرأيتم) اخبرونى وبالفارسية اخبار كنيد (ما تحرثون) اى تبذرونه من الحب وتعملون فى ارضه بالسقى ونحوه والحرث القاء البذر فى الارض وتهيئتها للزرع (ءانتم تزرعونه) تنبتونه وترد ونه نباتا يربو وينمو الى ان يبلغ الغاية (ام نحن الزارعون) اى المنبتون لا انتم والزرع الانبات وحقيقة ذلك يكون بالامور الآلهية دون البشرية ولذا نسب الحرث اليهم ونفى عنهم الزرع ونسبه الى نفسه وفى الحديث (لايقولن احدكم زرعت وليقل حرثت فان الزارع هو الله) والحاصل ان الحرث فعلهم من حيث ان اختيارهم له مدخل فى الحرث والزرع خالص فعل الله فان انبات السنبل والحب لا مدخل فيه لاختيار العبد اصلا واذا نسب الزرع الى العبد فلكونه فاعلا للاسباب التى هى سبب الزرع والانبات وفى الاسئلة المقحمة الاصح ان الحرث والزرع واحد كقوله تعالى ولا تسقى الحرث فهلا اضاف الحرث الى نفسه ايضا والجواب ان اضافة الحرث الينا اضافة الاكتساب واضافته الى نفسه اضافة الخلق والاختراع كقوله تعالى ومارميت اذ رميت قال الحليمى يستحب لكل من القى فى الارض بذرا ان يقرأ بعد الاستعاذة افرأيتم الى قوله بل نحن محرومون ثم يقول الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لانعمك من الشاكرين ويقال ان هذا القول امان لذلك الزرع من جميع الآفات الدود والجراد وغير ذلك وفى الآية امتنان ليشكروا على نعمة الزرع واستدلال بان من قدر على الانبات قدر على الاعادة فكما انه ينبت الحب فى الارض وينبت بذر النطفة فى الرحم فكذا ينبت من حب عجب الذنب فى القبر فان كلها حب وذلك لان بذر النطفة وكذا عظم عجب الذنب شئ لخرد لة كما اسلفناه (لونشاء) لو للمضى وان دخل على المضارع ولذا لايجزمه فهو شرط غير جازم اى لو اردنا (لجعلناه) اى الزرع بمعنى المزروع (حطاما) الحطم كسر الشئ مثل الهشم ونحوه ثم استعمل لكل كسر متناهى والمعنى هشيما اى يابسا متكسرا متفتتا بعد ما انبتناه وصار بحيث طمعتم فى حيازة غلاله وجمعها (فظلتم) اى فصرتم بسبب ذلك (تفكهون) تتعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما يكون من الحال او تندمون على مافعلتم فيه من الاجتهاد وانفقتم عليه او تندمون على ما اصبتم لاجله من المعاصى فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون بالنون والتفكن التعجب والفكر والتندم ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعدا ويتركها القرباء فبيناهم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم يتفكنون اى يتندمون والحمة العين الحارة من الجحيم وهو الماء الحار يستشفى به الاعلاء والمرضى (انا لمغرمون) حال من فاعل تفكهون اى قائلين انا لملزمون غرامة ما انفقنا والغرامة ان يلزم الانسان ماليس فى ذمته وعليه كما فى المغرب او مهلكون بهلاك رزقنا او بشؤم معاصينا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن محرومون) حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون اى ممنوعون من الحد وهو المنع لا حظ لنا ولا جدولا بخت ولو كنا مجدودين لما فسد علينا هذا (روى) عن انس

ابن مالك رضى الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بارض الانصار فقال مايمنعكم من الحرث قالوا الجدوبة قال افلا تفعلون فان الله تعالى يقول انا الزارع ان شئت زرعت بالماء وان شئت زرعت بالريح وان شئت زرعت بالبذر ثم تلا رسول الله عليه السلام افرأيتم ماتحرثون الآية في الحديث اشارة الى ان الله تعالى هو الذى يعطى ويمنع باسباب وبغيرها فالتوحيد هو ان يعتقد ان التأثير من الله تعالى لا من غيره كالكوكب ونحوه فانه يتهم النفس بالمعصية القاطعة للرزق وفى الحديث ماسنة بامطر من اخرى ولكن اذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافى والبحار وفى الحديث (دم على الطهارة يوسع عليك الرزق) فاذا كان توسيع الرزق فى الطهارة فتضييقه فى خلافها والرزق ظاهر وباطن وكذا الطهارة والنجاسة فلابد لطالب الرزق مطلقا ان يكون على طهارة مطلقة دائما فان قلت فاحال اكثر السلف فانهم كانوا فقراء مع دوام الطهارة قلت كان السلف فى الرزق المعنوى اكثر من الخلف وهو المقصود الاصلى من الرزق وانما كانوا فقراء فى الظاهر لكمال افتقارهم الحقيقى كما قال عليه السلام اللهم اغننى بالافتقار اليك فنعوا عن الغنى الصورى تطبيقا لكل من الظاهر والباطن بالآخر فهم اغنى الاغنياء فى صورة الفقراء وماعداهم ممن ليس على صفتهم افقر الفقراء فى صورة الاغنياء فالمرزوق من رزق غذاء الروح من الواردات والعلوم والفيوض والمحروم من حرمه فاعرفه (وفى المثنوى) فهم نان كردن نه حكمت اى رهى * زانكه حق كفتت كلوا من رزقه * رزق حق حكمت بوددر مرتبت * كان كلو كيرت نباشد عاقبت * ان دهان بستى دهانى بازشد * كه خورنده لقمهاء رازشد * كرز شير ديو تن راببرو رى * درفطام او بسى نعمت خورى (افرأيتم) خبرنماييد (الماء الذى تشربون) عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به (ءانتم انزلتموه من المزن) اى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب (ام نحن المنزلون) له بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فعلقة بالاستفهام وان كانت بمعنى الابصار او المعرفة فالجملة الاستفهامية استئناف وهذا هو اختيار الرضى (لو نشاء جعلناه اجاجا) ملحا زعاقا لايمكن شربه وحذف اللام ههنا مع اثباتها فى الشرطية الاولى للفرق بين المطعوم والمشروب فى الاهمية وصعوبة الفقد يعنى ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون ماذكر جميعا من المطعوم والمشروب بتوحيد منعمه واطاعة امره اوفلولا تشكرون على ان جعلناه عذبا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان تحت العرش بحرا تنزل منه ارزاق الحيوانات يوحى الله اليه فيمطر ماشاء من سماء الى سماء حتى ينتهى الى سماء الدنيا ويوحى الى السماء ان غربليه فتغربله فليس من قطرة تقطر الا ومعها ملك يضعها موضعها ولاينزل من السماء قطرة الا بكيل معلوم ووزن معلوم الا ماكان من يوم الطوفان فانه نزل بغير كيل ولاوزن وقال بعض الحكماء ان المطر يأخذه قوس الله من البحر الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض قال بعضهم هو ادخل فى القدرة لان ماء البحر مر فيصعد ملحا وينزل عذبا وفى الآية اشارة الى ان بعض بلاد العرب ليس لها آبار ولا انهار جارية فلا يشرب اهلها الا من المطر فى المصانع فنها القدس الشريف وينبع وجدة المحروسة ونحوها وللماء العذب مزيد فضل فى هذه البلاد ولذا امتن الله به على العباد وفيها اشارة الى ماء المعرفة والعلم الالهى فانه ليس بالكسب والاجتهاد بل بمحض عطاء الله تعالى ولو شاء الله لجعل الماء العذب الجارى من مشرب الكشف والشهود ماء ملحا جاريا من مشرب الحجاب والاحتجاب والجهالة والضلالة فلابد من الشكر على نعم المعارف والحقائق والحكم واعلم ان من حفر بئرا فاما ان يصل الى الماء اولا فان وصل فاما ان يكون ذلك الماء مالحا اوعذبا فعلى تقدير كونه عذبا ليس كالمطر الحاصل بلا اسباب فانه طيب طاهر خالص فهذا مثل علم علماء الرسوم ومثل علم علماء الحقيقة فان الانبياء والاولياء ملهمون من عند الله تعالى ولاخطأ فى الوحى والالهام اصلا ولذا نقول ان علم الصوفية هو العلم الصواب كله فعلمهم تذكرى ليس لهم احتياج الى ترتيب المقدمات بخلاف علماء الرسوم فان علمهم تفكرى محتاج الى ذلك ولابد لطالب الفيض من تهيئة المحل قبل وروده الاترى الى صاحب الحرث فانه يشتغل بتهيئة الارض والقاء البذر

ولايدرى متى ينزل المطر فاذا نزل اصاب بحرثه ثم اعلم ان الروح ينزل بالمطر وله تعين فى كل نشأة بما يناسبه فعند تمام الخلقة فى الرحم ينفخ الله تعالى الروح وهو عبارة عن تعين الروح وظهوره لكن عبر عنه بالنفخ لان العقل قاصر عن دركه وكان عليه السلام يكشف رأسه عند نزول المطر ويقول حديث عهد بربه فالروح اى روح كان سبب للحياة مطلقا فينبغى تلقى التجليات الواردة من قبل الحق بتهيئة المحل كما كان النبى عليه السلام كشف رأسه وهيأ محل نزول المطر وذلك لان المطر ينزل من العلو فيلقى على اعلى شئ فى الانسان وهو الرأس (افرأيتم النار التى تورون) الايراء آتش ازآتش زنه بيرون كردن اى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة يقال ناقة طروقة اى بلغت ان يضرب بها الفحل لان الطرق الضرب (ءأنتم انشأتم شجرتها) التى منها الزناد وهى المرخ والعفار كما مر فى سورة يس (ام نحن المنشئون) لها بقدرتنا (نحن جعلناها تذكرة) استئناف مبين لمنافعها اى جعلنا نار الزناد تذكيرا لنار جهنم من حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم اوتذكرة وموعظة وانموذجا من جهنم لما روى عن النبى عليه السلام (ناركم هذه التى يوقد بها بنو آدم جزؤ من سبعين جزأ من حر جهنم) وقيل تبصرة فى امر البعث فانه ليس ابدع من اخراج النار من الشئ الرطب وفى عين المعانى وهو حجة على منكرى عذاب القبر حيث تضمن الشجر النار ما لا يحرق ظاهره (ومتاعا) ومنفعة وبلغة لان حمل النار يشق (للمقوين) للذين ينزلون القواء بالفتح وهو القفر الخالى عن الماء والكلاء والعمارة وهم المسافرون وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها ليهرب منها السباع ويصطلوا من البرد ويجففوا ثيابهم ويصلحوا طعامهم فان المقيمين اوالنازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروى يقال اقوى الرجل اذا نزل فى الارض القواء كاصحر اذا دخل فى الصحراء وفى الحديث (قال النبى عليه السلام لجبريل مالى لم ار ميكائيل ضاحكا قط قال ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار) وعن انس رضى الله عنه يرفعه ان ادنى اهل النار عذابا الذى يجعل له نعلان يغلى منهما دماغه فى رأسه وفيه بيان شدة نار جهنم وانها ليست كنار الدنيا وقانا الله واياكم منها وفى الآية اشارة الى نار المحبة المشتعلة الموقدة بمقدح الطلب فى حراقة قلب المحب الصادق فى سلوك طريق الحق وشجرتها هى العناية الالهية السرمدية يدل على هذا التأويل قول العارف ابى الحسين النصور قدس سره حين سئل عن حقيقة المحبة هى العناية الالهية السرمدية لولاها ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان نحن جعلناها تذكرة لارباب النفوس البشرية ليهتدوا بنورها الى سلوك طريق الحق ومتاعا للمقوين اى غذاء لارواح المحبين الطاوين اياما وليالى عن الطعام والشراب كما حكى عن سهل التسترى رحمه الله انه كان يطوى ثلاثين يوما وعن ابى عقيل المغربى قدس سره انه ما اكل ستين وهو مجاور بمكة وعن كثير من المرتاضين السالكين وانما رفع ادريس عليه السلام الى السماء الرابعة لمبالغته فى التجريد والترويح حتى ان الروحانية غلبت عليه فخلع بدنه وخالط الملائكة واتصل بروحانية الافلاك وترقى الى عالم القدس وقد اقام ستة عشر عاما لم ينم ولم يطعم شيئا ولم يتزوج قط لزوال الشهوة بالكلية حتى صار عقلا مجردا من كثرة الرياضة ورفع الى اعلى الامكنة وهو المكان الذى يدور عليه رحى عالم الافلاك وهو فلك الشمس ثم ان نار المحبة اشد النيران قال الجنيد قدس سره قالت النار يارب لولم اطعك هل كنت تعذبنى بشئ هو اشد منى قال نعم كنت اسلط عليك نارى الكبرى قالت هل نار اعظم منى قال نعم نار محبتى اسكنها قلوب اوليائى المؤمنين كما فى فتح القريب * مهرجانان آتش است عشاق را * مى بسوزد هستى مشتاق را (فسبح باسم ربك العظيم) لم يقل فسبح ربك لان سبح منزل منزلة اللازم ولم يعتبر تعلقه بالمفعول ومعناه فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى على اضمار المضاف شكرا على تلك النعم وان جحدها الجاحدون او بذكره على المجاز فان اطلاق الاسم للشئ ذكر له والباء للاستعانة اوللملابسة والمراد بذكر ربه هنا تلاوة القرآن والعظيم صفة للاسم اوالرب قال ابن العطاء رحمه الله سبحه ان الله اعظم من ان يلحقه تسبيحك او يحتاج الى شئ منك لكنه شرف عبيده بان امرهم ان يسبحوه ليطهروا انفسهم بما يذكرونه به (فلا اقسم) اى فاقسم ولا مزيدة للتأكيد وتقوية الكلام كما فى قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وما قيل ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم خصوصا الى مثل هذا القسم العظيم فيأباه تعيين المقسم به

وتفخيم شأن المقسم به (بمواقع النجوم) اى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لايتغير اولان ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم اوبمنازلها ومجاريها فان له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته مالايحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها واليه ذهب ابن عباس رضى الله عنهما وقيل النجوم الصحابة والعلماء الهادون بعدهم ومواقعهم القبور وقيل غيرذلك (وانه) اى القسم بالمذكور (لقسم لوتعلمون عظيم) لما فى المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لايترك عباده سدى بغير كتاب قوله لوتعلمون اعتراض بين الصفة والموصوف لتأكيد تعظيم المحلوف به وجوابه متروك اريد به نفى علمهم اومحذوف ثقة بظهوره اى لعظمتموه اولعملتم بموجبه ففيه تنبيه على تقصير المخاطبين فى الامر وعظيم صفة قسم وهذه الجملة ايضا اعتراض بين القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى (انه لقرآن كريم) هو المقسم عليه اى لكتاب كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد على ان يستعار الكرم ممن يقوم به الكرم من ذوى العقول الى غيرهم اوحسن مرضى فى جنسه من الكتب اوكريم عندالله وقال بعضهم كريم لانه يدل على مكارم الاخلاق ومعالى الامور وشرائف الافعال وقيل كريم لنزوله من عند كريم بواسطة الكرام الى اكرم الخلق (فى كتاب مكنون) اى مصون عن غير المقربين من الملائكة اى لايطلع عليه من سواهم وهو اللوح المحفوظ (لايمسه الا المطهرون) اما صفة اخرى للكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية واوضار الاوزار اوللقرآن فالمراد المطهرون من الاحداث مطلقا فيكون نفيا بمعنى النهى اى لاينبغى ان يمسه الامن كان على طهارة من الادناس كالحدث والجنابة ونحوهما على طريقة قوله عليه السلام المسلم اخو المسلم لايظلمه ولايسلمه اى لاينبغى له ان يظلمه اويسلمه الى من يظلمه فالمراد من القرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو واراد به المصحف وفى الفقه لايجوز لمحدث بالحدث الاصغر وهو مايوجب الوضوء مس المصحف الا بغلافه المنفصل الغير المشرز كالخريطة ونحوها لان مسه ليس مس القرآن حقيقة لاالمتصل فى الصحيح وهو الجلد المشرز لانه من المصحف يعنى تبع له حتى يدخل فى بيعه بلاذكر وهذا اقرب الى التعظيم وكره المس بالكم لانه تابع للحامل فلا يكون حائلا ولهذا لوحلف لايجلس على الارض فجلس وذيله بينه وبين الارض حنث وانما منع الاصغر عن مس المصحف دون تلاوته لانه حل اليد دون الفم ولهذا لم يجب غسله فى الوضوء * والجنابة كانت حالة كليهما ولا يرد العين لان الجنب حل نظره الى مصحف بلا قراءة وكذا لايجوز لمحدث مس درهم فيه سورة الا بصرته ولا لجنب دخول المسجد الالضرورة فان احتاج الى الدخول تيمم ودخل لانه طهارة عند عدم الماء ولاقراءة القرآن واودون آية لان مادونها شئ من القرآن ايضا الاعلى وجه الدعاء اوالثناء كالبسملة والحمدلة وفى الاشباه لوقرأ الفاتحة فى صلاته على الجنازة ان قصد الدعاء والثناء لم يكره وان قصد التلاوة كره وفيه اشارة الى ان حكم القراءة يتغير بالقصد ويجوز للجنب الذكر والتسبيح والدعاء * والحائض والنفساء كالجنب فى الاحكام المذكورة ويدفع المصحف الى الصبى اذفى الامر بالوضوء حرج بهم وفى المنع تضيع حفظ القرآن اذا لحفظ فى الصغر كالنقش فى الحجر وفى الاشباه ويمنع الصبى من مس المصحف انتهى والتوفيق ظاهر وفى كشف الاسرار واما الصبيان فلاصحابنا فيهم وجهان احدهما انهم يمنعون منه كالبالغين والثانى انهم لايمنعون لمعنيين احدهما ان الصبى لومنع ذلك ادى الى ان لايتعلم القرآن ولا يحفظه لان وقت تعلمه وحفظه حال الصغر والثانى ان الصبى وان كانت له طهارة فليست بكاملة لان النية لاتصح منه فاذا جاز ان يحمله على غير طهر كامل جاز ان يحمله محدثا ودرانوار مذكورست كه جنب وحائض رابقول ابى يوسف جائزست كتابت قرآن وقتى كه لوح برزمين بودنه بركنار ونزد محمد بهيچ وجه روانيست ومحمد بن فضل رحمه الله فرموده كه مراد ازين طهارت توحيد ست يعنى بايد كه ازغير موحدان كسى قرآن نخواند وابن عباس رضى الله عنه نهى ميكرد ازانكه يهود ونصارى را تمكين دهند ازقراءت قرآن وقال بعضهم يجوز للمؤمن تعليم القرآن للكافر رجاء هدايته الى الاسلام و محققا كفته اند مراد ازمس اعتقاد ست يعنى معتقد نباشد قرآنرا اكرپاكيزه دلان كه مؤمنانند ويا تفسير وتأويل آن

نداند الا آنها كه سر ايشان پاك باشد از ماسوى الله * جمال حضرت قران نقاب انكه براندازد * كه دار الملك معنى را مجرد بيند ازغوغا * ودربحر الحقائق فرموده كه مكاشف نشود باسرار قرآن مگر كسى كه پاكيزه كردد ازلوث توهم غير وبرسد بمقام شهود حق درمرآى خلق واين معنى ميسر نشود جز بفناى مشاهد وشهود درمشهود * چون تجلى كردد اوصاف قديم * پس بسوزد وصف حادث را كليم * وتحقيقه ان الهاء اشارة الى الهوية الالهية فانه لايمس سرها الا المطهرون عن جنابة كل مقام من المقامات الوجودية وهى التعلق به والبعد بواسطته عن الحق المطلق والمطهر بالفتح لابدله من المطهر بالكسر وهو الله تعالى فالعبد لا يطهر نفسه ولا يزكيها وانما يطهره الله ويزكيه فاذا طهره الله وزكاه فهم مراد القرآن ولذا قال بعض الكبراء ان القرآن بكر اى بالنسبة الى علماء الظاهر والرسم فان الذى فهموه من القرآن انما هو ظاهره ومزاياه المتعلقة به وانما حل عقدته علماء الباطن والحقيقة لان الله تعالى قال واتقوا الله ويعلمكم الله فهم اهل التقوى الحقيقى ولذا علمهم الله مالم يعلم احدا من العالمين وان كان القرآن لاتنقضى عجائبه وقس عليه الحديث فان مراد رسول الله عليه السلام على الحقيقة لايفهمه الا اهل الحقيقة ومن ثمة اقتصر علماء الحديث وشراحه على بيان الاعراب والمفهوم الظاهرى من غير ان يتعرضوا لحقائقه فاين شرح النووى والكرمانى وابن حجر ونحوهم من شرح الصدر القنوى ونحوه رضى الله عنهم (تنزيل من رب العالمين) صفة اخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه يعنى ان التنزيل بمعنى المنزل سمى المنزل تنزيلا على اتساع اللغة كما يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق على قول من يجيزه (افبهذا الحديث) الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن الكريم وسماه حديثا لان فيه ذكر حوادث الامور كما فى كشف الاسرار وهو متعلق بقوله مدهنون وجاز تقديمه على المبتدأ لان عامله يجوز فيه ذلك والاصل افأنتم مدهنون بهذا الحديث (انتم) يا اهل مكة (مدهنون) الادهان فى الاصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة وترك الجد والمعنى مهاونون به ومستحقرون كمن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وفى تاج المصادر الادهان مداهنت كردن و غسل كردن قال فى الاحياء الفرق بين المداهنة والمداراة بالغرض الباعث على الاغضاء فان اغضبت لسلامة دينك ولماترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء فأنت مدار وان اغضبت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن قال ابو الدرداء رضى الله عنه انا لنبش فى وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع شر من يخاف شره (وتجعلون رزقكم) اى شكر رزقكم بتقدير المضاف ليصح المعنى والرزق فى الاصل مصدر سمى به ما يرزق والمراد نعمة القرآن (انكم تكذبون) اى تضعون التكذيب لرازقه موضع الشكر او تجعلون شكر رزقكم الصورى انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى الانواء وكان عليه السلام يقول لو حبس الله القطر عن امتى عشر سنين ثم انزل لاصبحت طائفة منهم يقولون سقينا بنوء كذا وقال عليه السلام اخوف ما اخاف على امتى حيف الائمة والتكذيب بالقدر والايمان بالنجوم (وروى) انه عليه السلام صلى صلاة الصبح بالحديبية فى اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب وفى الحديث (ثلاث من امر الجاهلية الطعن فى الانساب والنياحة والانواء) فالطعن معروف والنياحة البكاء على الميت مع تعديد محاسنه والانواء جمع نوء المنازل الثمانى والعشرون للقمر والعرب كانت تعتقد ان الامطار والخير كله يجيئ منها وفى حواشى ابن الشيخ فى سورة الفرقان الانواء النجوم التى يسقط واحد منها فى جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه فى جانب المشرق من ساعته والعرب كانت تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقيل الى الطالع منها انتهى وفى القاموس النوء النجم مال للغروب اوسقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق انتهى فظهر ان التأثير من الله تعالى فى الاشياء فيجب على المؤمن ان يعتقده منه تعالى لامن الافلاك والنجوم والدهر ونحوها وفى هداية المهديين لو صاحت الهامة اوطير آخر فقال رجل يموت المريض يكفر ولو خرج الى السفر ورجع فقال ارجع لصياح العقعق كفر

عند بعضهم وقيل لاولو قال عند صياح الطير غله كران مى خواهد شد فقد اختلف المشايخ فى كفره وجه الكفر ظاهر لانه ادعى الغيب انتهى والناس يتشاءمون باصوات بعض الطيور كالهامة والبوم (كما قال الشيخ سعدى) بلبلا مژده بهار بيار * خبرى بد ببوم بازگذار * فان يكن هناك اعتقاد التأثير منها فذلك كفر والا فمجرد التشاؤم لايوجب الكفر خصوصا اذا كان القول بطريق الاستدلال من الامارات والاليق بحال المؤمن حمل مثل ذلك على التنبيهات الالهية فان الله فى كل شئ حكمة لاالقطع على المقدورات والجزم فيما لايبلغ علمه كنهه فان الله يحيى ويميت ويوقظ وينيم باسباب وبغيرها (فلولا) پس چرا (اذا بلغت الحلقوم) لولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفية والحلقوم مجرى الطعام وفى كشف الاسرار مجرى النفس والبلعوم مجرى الطعام اى فهلا اذا بلغت النفس اى الروح اونفس احدكم وروحه الحلقوم وتداعت الى الخروج وهو كناية عن غير مذكور وفى الحديث (ان لملك الموت له اعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيأ فشيأ حتى ينتهى بها الى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت (وانتم) الواو للحال من فاعل بلغت اى والحال انتم ايها الحاضرون حول صاحبها (حينئذ) انهنگام (تنظرون) الى ماهو فيه من الغمرات ولكم تعطف عليه ووفور رغبة فى انجائه من المهالك (ونحن اقرب اليه) اى الى المحتضر علما وقدرة وتصرفا قال بعضهم عبر عن العلم بالقرب الذى هو اقوى سبب الاطلاع (منكم) حيث لاتعرفون حاله الا امارات تشاهدونه من آثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفياتها واسبابها ولا ان تقدروا على دفع ادنى شئ منها ونحن المتولون لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت الذين يقبضون روحه (ولكن لاتبصرون) لاتدركون كنه مايجرى عليه لجهلكم بشؤ ونناقوله لاتبصرون من البصيرة لامن البصر والاقرب تفسيره بقوله لاتدركون كوننا اعلم به منكم كما فى حواشى سعدى المفتى قال البقلى رحمه الله قرب الله بالتفاوت قرب بالعلم وقرب بالاحاطة وقرب بالفعل وقرب بالصفة وقرب بالقهر وقرب باللطف والمسافة والمكان منفى عن ذاته وصفاته ولكن يتجلى لقلوب من عين العظمة لاذابتها برؤية القهر ولقلوب من عين الجمال ليعرفها الاصطفائية وذلك القرب لايبصره الا اهل القرب وشواهده ظاهرة لاهل المعرفة وفى الخطاب تحذير وترهيب (فلولا) بمعنى هلا (ان كنتم غير مدينين) اى غير مربوبين مملوكين اذلاء من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم وفى المفردات اى غير مجزيين فان الدين الجزاء ايضا وهو ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعى عدم المحضض عليه حتما (ترجعونها) اى النفس الى مقرها وتردون روح ميتكم الى بدنه من الرجع وهو الرد وهو العامل فى اذا والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية مكررة للتأكيد وهى مع مافى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم (ان كنتم صادقين) فى اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم اى فاذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به وهو تكرير للتأكيد لامن اعتراض الشرط اذ لامعنى له هنا (فاما ان كان من المقربين) هو قرب درجاتهم من العرش لامن الله من حيث الجهة حسبما قال به الحشوية وهو شروع فى بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اى فاما ان كان المتوفى من المقربين وهم اجل الازواج الثلاثة (فروح) اى فله استراحة وقرئ بضم الراء وفسر بالرحمة لانها سبب لحياة المرحوم فاطلاقه على الرحمة استعارة تصريحية وبالحياة الدائمة التى لاموت فيها قال بعضهم الروح يعبر به عن معان فالروح روح الاجسام الذى يقبض عند الممات وفيه حياة النفس والروح جبرائيل لانه كان يأتى الانبياء بمافيه حياة القلوب وعيسى روح الله لانه كان من نفخ جبرائيل واضيف الى الله تعظيما وكلام الله روح لانه حياة من الجهل وموت الكفر ورحمة الله روح كقوله تعالى وايدهم بروح منه اى برحمة والروح الرزق لانه حياة الاجساد وفى القاموس الروح بالضم مابه حياة الانفس وبالفتح الراحة والرحمة ونسيم الريح ومكان روحانى طيب والروحانى بالضم مافيه الروح وفى كتاب الملل والنحل الروحانى بالضم من الروح والروحانى بالفتح من الروح والروح والروح متقاربان فكان الروح جوهر والروح حالته الخاصة به انتهى (وريحان) ورزق اوهو مايشم وعن ابى العالية لايفارق احد

من المقربين الدنيا حتى يؤتى ببعض من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض روحه وقال الزجاج الريحان هنا التحية لأهل الجنة يكى از بزركان دين كفته است كه روح وريحان هم دردنياست هم درعقبى روح دردنياست وريحان درعقبى روح آنست كه دل بندهٔ مؤمن رابنظر خويش بيارايد تاحق از باطل واشناسد انكه بعلم فراخ كند تاقدرت دران جاى يابد انكه بينا كند تابنور منت مى بيند شنوا كند تابند ازلى مى شنود پاك كند تاهمه صحبت اوجويد بعطر وصال خوش كند تادران مهر دوست رويد بنور خويش روشن كند تازوباز ديكر بصيقل عنايت بزدايد تادر هرچه نكرد اورا بيند بنده چون بدين صفت بسراى سعادت رود انجار يحان كرامت بيند نسيم انس از باغ قدس دميده ز پردرخت وجود تخت رضانهاده بساط انس كسترده شمع عطف افروخته و برفلك نشسته ودوست ازلى پرده بركرفته بسمع بنده سلام رسانيده وديدار ذوالجلال نموده (وجنة نعيم) اى ذات تنعم فالاضافة لأدنى الملابسة (وقال الكاشفى) بوستان پرنعمت قال بعض اهل الحقيقة فله روح الوصال وريحان الجمال وجنة الجلال لروحه روح الانس ولقلبه ريحان القدس ولنفسه جنة الفردوس اوالروح النظر الى وجه الجبار وازيحان الاستماع لكلامه وجنة النعيم هوان لايحجب العبد فيها عن مولاه اذاقصد زيارته وللمقربين ذلك فى دار الدنيا وروحهم المشاهدة وريحانهم سرور الخدمة وجنة النعيم السرور بذكره وقال بعضهم الروح للعابدين والريحان للعارفين وجنة النعيم لعوام المؤمنين اوفله روح الشهود الذاتى وريحان السرور وجنة نعيم اللذات بالوصول اليها والدخول فيها يقول الفقير الروح للنفوس والاجساد لانها تستريح بعد الموت برفع التكاليف عنها وان كان اهل الله على نشاط دائم فى باب الخدمة لان التعب يرتفع بالوصول الى الله لكونه من آثار النفس والطبيعة ولانفس ولاطبيعة بعد الوصول والريحان للقلوب والارواح ولذا حبب الى النبى عليه السلام الطيب لانه يوجد فيه ذوق الانس والمحاضرة وجعل عليه السلام الولد من الريحان لانه يشم كما يشم المشموم وانه من تنزلات ابيه كما ان القلوب من تنزلات الارواح والارواح من تنزلات الاسرار ووجد عليه السلام نفس الرحمن من قبل اليمن وانما وجده قلبه وروحه وكان ذلك النفس عصام الدين عم اويس القرنى وكان حينئذ قطب الابدال وكان عليه السلام يستنشق بحس شمه ايضا روائح الجنة ونحوها وجنة نعيم للاسرار وهى الجنة المضافة الى الله تعالى فى قوله وادخلى جنتى وعند دخولهم هذه الجنة لايراهم احد ابدا لعلوطبقتهم ورفعة درجتهم فلا يعرفهم احد لافى الدنيا ولافى العقبى فهم من قبيل المعلوم المجهول (واما ان كان من اصحاب اليمين) عبر عن السابقين بالمقربين لكونه اجل اوصافهم وعبر عن اصحاب اليمين بالعنوان السابق اذلم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبئ عن شانهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين واستعير اليمين للتيمن والسعادة قاله الراغب (فسلام لك) ياصاحب اليمين (من اصحاب اليمين) من اخوانك يسلمون عليك عند الموت وبعده فيكون السلام اشارة له انه من اهل الجنة قال فى الارشاد هذا اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لاحكاية لانشاء سلام بعضهم على بعض والاقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف قال سهل رحمه الله اصحاب اليمين هم الموحدون اى العاقبة لهم بالسلامة لانهم امناء الله قد ادوا الامانة يعنى امره ونهيه لم يحدثوا اشيا من المعاصى والزلات قد امنوا الخوف والهول الذى ينال غيرهم وحقيقته ان المقربين اصحاب الشهود الذاتى واصحاب اليمين اصحاب الشهود الاسمائى والصفاتى فله السلامة من اسمه السلام على لسان اخوانه الاسمائية نسأل الله لى ولكم السلامة والنجاة والانس والحضور والشهود فى اعلى المقامات والدرجات (واما ان كان من المكذبين الضالين) وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب وهو تكذيب البعث ونحوه والضلال عن الحق والهدى (فنزل) اى فله نزل كائن (من حميم) يشرب بعداكل الزقوم كما فصل فيما قبل وبالفارسية پس مر اوراست پيشكش درقبر از آب كرم كرده دردوزخ باداود آتش دوزخ (وتصلية جحيم) اى ادخال فى النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك ما يجده فى القبر من سموم النار ودخانها يقال اصلاه النار وصلاه اى جعله يصلاها والمصدر هنا مضاف الى المفعول (ان هذا) اى الذى ذكر فى هذه السورة الكريمة (لهو حق اليقين) اى حق الخبر اليقين فهو من قبيل

اضافة الموصوف الى الصفة على الاتساع والمجاز وقيل الحق الثابت من اليقين اى الحق الثابت الذى لايطرأ عليه التبدل والتغير وقال ابو الليث اى يقين حق اليقين انتهى واليقين علم يحصل به ثلج الصدور ويسمى برد اليقين فهو العلم الذى يحصل به اطمئنان النفس ويزول ارتيابها واضطرابها والمراد هنا المعلوم المتيقن به لان المبتدأ عبارة عن المعلوم فيجب ان يكون الخبر ايضا كذلك والتقدير ان هذا لهو ثابت الخبر المتيقن به اى الثابت منه على ان الاضافة بمعنى من وفى فتح الرحمن هذه عبارة فيها مبالغة لانها بمعنى واحد كما تقول فى امر توكده هذا يقين اليقين وصواب الصواب بمعنى انه نهاية الصواب فهى عبارة مبالغة وتأكيد معناه ان هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته انتهى قال ابن الملك اضافة العلم الى اليقين اضافة الشئ الى مرادفه كما فعلوا مثل ذلك فى العطف وفى شرح النصوص بالنون العلم اليقينى هو العلم الحاصل بالادراك الباطنى بالفكر الصائب والاستدلال وهذا للعلماء الذين يوقنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية الا مناسبة الارواح القدسية فاذا يكون العلم عينا ولا مرتبة للعين الا اليقين الحاصل من مشاهدة المعلوم ولا تزيد هذه المرتبة الا بزوال حجاب الاثنينية فاذا يكون العين حقا ولا مرتبة للحق الا الادراك باحدية جمعك اى بحقيقتك المشتملة على المدركات الظاهرة والباطنة والجامعة بين روحانيتك وجسمانيتك اى يدركها بها ادراكا يستوعب معرفة كل ما اشتملت عليه حقيقة المدرك من الامور الظاهرة والباطنة وهو حال الكامل وصفة من صار قلبه مستوى الحق الذى قد وسعه كما اخبره لانه حال جمع الجمع وزيادة هذه المرتبة اى حق اليقين عدم ورود الحجاب بعده وعينه للاولياء وحقه للانبياء واما حقيقة اليقين وهو باطن حق اليقين فهو لنبينا عليه السلام وهذه الدرجات والمراتب لا تحصل الا بالمجاهدة مثل دوام الوضوء وقلة الاكل والذكر والسكوت بالفكر فى ملكوت السموات والارض وباداء السنن والفرائض وترك ماسوى الحق والغرض وتقليل المنام والعرض واكل الحلال وصدق المقال والمراقبة بقلبه الى الله تعالى فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة انتهى وقال ابن عطاء رحمه الله ان هذا القرآن لحق ثابت فى صدور الموقنين واهل اليقين وهو الحق من عند الحق فلذلك تحقق فى قلوب المحققين واليقين ما استقر فى قلوب اوليائه وقد قال سيدنا على رضى الله عنه وكرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا * حال خلد وجحيم دانستم * بيقين آنچنانكه مى بايد * كر حجاب ازميانه بركيرند * آن يقين ذرهٔ نيفزايد يعنى اكر احوال آخرت منكشف شود وجله رامعاينه كنم يك ذره در يقين من زياده نشود كه علم اليقين من امروز چو عين اليقين منست در فردا وقال عليه السلام اللهم انى اسألك ايمانا يباشر قلبى ويقينا ليس بعده كفر وهو اليقين الحاصل بالعيان وظهور الحقيقة ولذا نقول اهل علم اليقين ذو خطر لا يحصل منه الارشاد بخلاف اهل عين اليقين فانه قطب ارشاد وبخلاف اهل حق اليقين فانه قطب الاقطاب فالتجليات ثلاثة تجل علمى وتجل عينى وتجل حقى فالاول كعلم الكعبة علما ضروريا من غير رؤية والثانى مثل رؤيتها من بعيد والثالث كدخولها قال قتادة ان الله ليس تاركا احدا من الناس حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن اما المؤمن فايقن فى الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة واما الكافر فايقن يوم القيامة حين لا ينفعه (قال مولى الجامى) سيراب كن زبحر يقين جان تشنه را * زين بيش خشك لب منشين برسراب ريب (فسبح) يا محمد (باسم ربك العظيم) الفاء لترتيب التسبيح او الامر به على ماقبلها فان حقية مافصل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لايليق بشانه الجليل من الامور التى من جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق وقال ابو عثمان قدس سره فسبح شكرا لما وفقناك اليه من التمسك بسنتك وفى فتح الرحمن هذه عبارة تقتضى الامر بالاعراض عن اقوال الكفار وسائر امور الدنيا المختصة بها وبالاقبال على امور الآخرة وعبادة الله والدعاء اليه (روى) انه لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكان عليه السلام يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وسر اختصاص سبحان ربى العظيم بالركوع والاعلى بالسجود ان الاول اشارة الى مرتبة الحيوان والثانى اشارة الى مرتبة النبات والجماد فلا بد من الترقى فى التنزيه والحق سبحانه فوق التحت كما انه فوق الفوق ونسبة الجهات اليه على السواء لنزاهته عن التقيد بالجهات فلهذا شرع التسبيح فى الهبوط واختلف الائمة فى التسبيح المذكور فى الصلاة فقال احمد هو واجب تبطل

الصلاة بتركه عمدا ويسجد لتركه سهوا والواجب عنده مرة واحدة وادنى الكمال ثلاث وقال ابو حنيفة والشافعى هو سنة وقال مالك يكره لزوم ذلك لئلا يعد واجبا فرضا والاسم هنا بمعنى الجنس اى بأسماء ربك والعظيم صفة ربك درخبرست كه عثمان بن عفان رضى الله عنه عيادت كرد عبد الله بن مسعو درا رضى الله عنه در بيمارئ مرك كفت يا عبد الله اين ساعت ازچه مى نالى كفت اشتكى ذنوبى يعنى بر كناهان خود مى نالم عثمان كفت چه آرزو وست ترا درين وقت كفت رحمة ربى يعنى ارزوى من آنست كه الله تعالى برمن رحمت كند و برضعف وعجزمن ببخشايد عثمان كفت افلا ندعوا الطبيب يعنى طبيب را خوانيم تا درد ترا مداوا ت كند كفت الطبيب امرضنى يعنى طبيب مرا برو زبيمارى افكند كفت خواهى تا ترا عطا بى فرمايم كه ببعضى حاجتهاء خود صرف كنى كفت لاحاجة لى به يعنى وقتى مرا باين حاجت نيست وهيچ در بايست نيست كفت دستورى هست تا بد ختران تو دهم ناچار ايشانرا حاجت بود كفت نه كه ايشانرا حاجت نيست واكر حاجت بود به ازين من ايشانرا عطايى داده ام كفته ام كه بوقت حاجت وضرورت سورة الواقعة برخوانيد كه من ازرسول خدا شنيدم كه عليه السلام من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا قال سعدى المفتى هو حديث صحيح وفى حديث آخر من داوم على قراءة سورة الواقعة لم يفتقر ابدا قال ابن عطية فيها ذكر القيامة وحظوظ الناس فى الآخرة وفهم ذلك غنى لافقر معه ومن فهمه يشتغل بالاستعداد قال الغزالى رحمه الله فى منهاج العابدين قراءة هذه السورة عند الشدة فى امر الرزق والخصاصة شئ وردت به الاخبار المأثورة عن النبى عليه السلام وعن الصحابة رضى الله عنهم حتى ابن مسعود رضى الله عنه حين عوتب فى امر ولده اذلم يترك لهم الدنيا قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة فان قلت ارادة متاع الدنيا بعمل الآخرة لاتصح قلت مراده ان يرزقهم الله تعالى قناعة اوقوتا يكون لهم عدة على عبادة الله تعالى وقوة على درس العلم وهذه من جملة ارادة الخير دون الدنيا فلارياء انتهى كلامه وعن هلال بن يساف عن مسروق قال من اراد ان يعلم نبأ الاولين والآخرين ونبأ اهل الجنة واهل النار ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة فليقرأ سورة الواقعة

تمت سورة الواقعة بعون الله تعالى فى اوائل صفر الخير من سنة خمس عشرة ومائة والف

(سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما فى السموات والارض) التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لايليق بجنابه سبحانه بدأ الله بالمصدر فى الاسراء لانه الاصل ثم بالماضى فى الحديد والحشر والصف لانه اسبق الزمانين ثم بالمستقبل فى الجمعة والتغابن ثم بالامر فى الاعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها ففيه تعليم عباده استمرار وجود التسبيح منهم فى جميع الازمنة والاوقات والحاصل ان كلا من صيغتى الماضى والمضارع جردت عن الدلالة على مدلولها من الزمان المخصوص فاشعر باستمراره فى الازمنة لعدم ترجيح البعض على البعض فالمكونات من لدن اخراجها من العدم الى الوجود مسبحة فى كل الاوقات لايختص تسبيحها بوقت دون وقت بل هى مسبحة ابدا فى الماضى وتكون مسبحة ابدا فى المستقبل وفى الحديث (افضل الكلام اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لايضرك بايهن بدأت) وسئل على رضى الله عنه عن سبحان فقال كلمة رضى الله لنفسه وسبح متعد بنفسه كما فى قوله تعالى وتسبحوه واللام امامزيدة للتأكيد كما فى نصحته ونصحت له وشكرته وشكرت له او للتعليل والفعل منزل منزلة اللازم اى فعل التسبيح واوقعه واحدثه لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه والمراد بما فى السموات والارض جميع المخلوقات من حى وجماد وجاء بما تغليبا للاكثر مع ان اكثر العلماء على ان ما يعم العقلاء وغيرهم والمراد بتسبيح الكل تسبيح عبادة ومقال كما قال بعض الكبار قد اخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله والاشياء كلها انما خلقت له سبحانه لتسبيح بحمده واما انتفاعنا بها انما هو بحكم التبعية لابالقصد الاول قال الحسن البصرى رحمه الله لولا ما يخفى عليكم من تسبيح من معكم فى البيوت ماتقاررتم وقال بعضهم لايصدر عن الحى الا حى ولو وجد من العالم موجود غير حى لكان غير مستند الى حقيقة آلهية وذلك محال فالجماد ميت فى نظر المحجوب حى فى نفس الامر لا ميت لان حقيقة الموت مفارقة حى مدبر لحى مدبر والمدبر والمدبر حى والمفارقة نسبة عدمية

لاوجودية فان الشان انما هو عزل عن ولاية وانتقال من دار الى دار وليس من شرط الحى ان يحس لان الاحساس والحاس امر معقول زائد على كونه حيا وانما هما من شرط العلم وقد يحس وقد لايحس وتأمل صاحب الآكلة اذا اكل مايغيب به احساسه كيف يقطع عضوه ولايحس به مع انه حى ليس بميت وقال بعضهم كل شئ فى العالم يسبح الله بحمده الذى اطلعه الله على انه حمد به نفسه ويختلف ذلك باختلافهم الاالانسان خاصة فان بعضه يسبح بغير حمده ولايقبل من الحق بعض ما اثنى به على نفسه فهو يؤمن ببعض وهو قوله ليس كمثله شئ ويكفر ببعض وهو تنزيه الله عما اضافه الى نفسه ووصف نفسه به من التشبيه بالمحدثات فقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده اى بالثناء الذى اثنى به الحق على نفسه وانزله على السنة رسله لا بما ولده العقل فان الله تعالى قال فى حق من سبح الحق بعقله سبحان ربك رب العزة عما يصفون اعلاما لنا انه وراء كل ثناء واهل الله تعالى لابد لهم فى سلوكهم من سماع تسبيح كل شئ بلسان طلق لالسان حال كما يعتقده بعضهم ثم ان الله تعالى من رحمته يأخذ اسماعهم بعد تحققهم ذلك ويبقى معهم العلم لانه لواسمعهم ذلك على الدوام لطاشت عقولهم وفى الحديث (ان كل شئ من الجماد والحيوان يسمع عذاب القبر الا الثقلين فثبت ان السموات والارض بجميع اجزائهما ومافيهما من الملك والشمس والقمر والنجوم والانس والجن والحيوان والنبات والجماد لها حياة وفهم وادراك وتسبيح وحمد كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم واعلم ان الله تعالى هو المسبح اسم مفعول فى مقام التفصيل والمسبح اسم فاعل فى مقام الجمع فالتسبيح تنزيه الحق بحسب مقام الجمع والتفصيل من النقائص الامكانية ومن الكمالات الانسانية المختصة من حيث التقيد والتعين (وهو العزيز) بقدرته وسلطانه لايمانعه ولاينازعه شئ (الحكيم) بلطفه وتدبيره لايفعل الاماتقتضيه الحكمة والمصلحة وفيه اشعار بعلية الحكم فان العزة وهى الغلبة على كل شئ تدل على كمال القدرة والحكمة تدل على كمال العلم والعقل يحكم بان الموصوف بهما يكون منزها عن كل نقص كالعجز والجهل ونحوهما ولذا كان الامن كفرا لان فيه نسبة العجز الى الله تعالى وكذا اليأس لان فيه نسبة البخل الى الله الجواد (له ملك السموات والارض) اى التصرف الكلى ونفوذ الامر فيهما ومافيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلم ومالانعلم يقول الفقير فان قلت كيف اضاف الملك الى ماهو متناه وكمال ملكه تعالى غير متناه قلت ان السموات والارض ظاهرا وهو ماكان حاضرا ومرئيا من عالم الملك وهو متناه لانه من قبيل الاجسام والصور وباطنا وهو ماكان غائبا غير محسوس من اسرارهما وحقائقهما وهو غير متناه لانه من عالم الملكوت والمعانى فاضافة الملك الى الله تعالى اضافة مطلقة يندرج تحتها الملك والملكوت وهما غير متناهيين فى الحقيقة الاترى ان القرآن لاتنقضى عجائبه فهو بحر لاساحل له من حيث اسراره ومن حيث ان المتكلم به هو الذى لانهاية له وان كان اى القرآن متناهيا فى الظاهر والحس فالمراد بالملك هو الملك الحقيقى لان ملك البشر مجاز كما سيتضح بيانا فى هذه السورة (يحيى ويميت) استئناف مبين لبعض احكام الملك اى يحيى الموتى والنطف والبيض ويميت الاحياء ومعنى الاحياء والاماتة جعل الشئ حيا وجعله ميتا وقد يستعاران للهداية والاضلال فى نحو قوله اومن كان ميتا فأحييناه وهو يحيى القلوب بتجلى اسم المحيى ويميت النفوس بتجلى اسم المميت او يحيى النفوس بموت القلوب ويميت القلوب بحياة النفوس على طريق المغالبة وقال ابن عطاء رحمه الله هو مالك الكل وله الملك اجمع يميت من يشاء بالاشتغال بالملك ويحيى من يشاء بالاقبال على الملك (وهو على كل شئ) من الاشياء التى من جملتها ماذكر من الاحياء والاماتة على مقتضى الحكمة والارادة (قدير) تام القدرة فان الصيغة للمبالغة (هو الاول) السابق على سائر الموجودات بالذات والصفات لما انه مبدئها ومبدعها فالمراد بالسبق والاولية هو الذاتى لاالزمانى فان الزمان من جملة الحوادث ايضا (والآخر) الباقى بعد فنائها حقيقة اونظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهى فانية * اول او اول بى ابتدا * آخرا و آخر بى انتها بود ونبود اين چه بلند ست وپست * باشد واين نيز نباشد كه هست (والظاهر) وجودا لكثرة دلائله الواضحة (والباطن) حقيقة فلا يحوم العقل حول ادراك كنهه وليس يعرف الله الا الله وتلك الباطنية سواء فى الدنيا والآخرة فاضمحل مافى الكشاف من ان فيه حجة على من جوز ادراكه فى الآخرة بالحاسة وذلك

فان كونه باطنا بكنه حقيقته لاينافى كونه مرئيا فى الآخرة من حيث صفاته (وهو بكل شئ عليم) لايعزب عن علمه شئ من الظاهر والخفى فان عليم صيغة مبالغة تدل على انه تعالى تام العلم بكل شئ جليله وحقيه وفى هذا المقام معان اخر هو الاول الذى تبتدأ منه الاسباب والآخر الذى تنتهى اليه المسببات اى اذا نظرت الى سلسلة الموجودات المتكونة بعضها من بعض وجدت الله مبدأ ترتب السلسلة ومنتهاها تبتدئ منه سلسلة الاسباب وتنتهى اليه سلسلة المسببات ولذا قالوا لاتعتمد على الريح فى استواء السفينة وسيرها وهذا شرك فى توحيد الافعال وجهل بحقائق الامور ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح لا يتحرك بنفسه بل له محرك الى ان ينتهى الى المحرك الاول الذى لامحرك له ولايتحرك هو فى نفسه ايضا بل هو منزه عن ذلك وعما يضاهيه والظاهر اى الغالب على كل شئ والباطن اى العالم بباطن كل شئ على ان يكون الظاهر من ظهر عليه اذا علاه وغلب والباطن من بطنه اذا علم باطنه ولم يرتض الزمخشرى لفوات المطابقة بين الظاهر والباطن حينئذ (وروى) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال دخلت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته خادما فقال لها عليه السلام الا ادلك على ماهو خير لك من ذلك ان تقولى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ منزل التوراة والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى اعوذبك من شر كل ذى شر انت آخذ بناصيته انت الاول فليس قبلك شئ وانت الآخر فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن فليس دونك شئ اقض عنى الدين واغننى من الفقر عنى بالظاهر الغالب والباطن العالم ببواطن الاشياء يعنى انه الغالب الذى يغلب كل شئ ولايغلب عليه فيتصرف فى المكونات على سبيل الغلبة والاستيلاء اذليس فوقه احد يمنعه والعالم ببواطن الاشياء فهو الملجأ والمنجى يلتجئ اليه كل ملتجئ لاملجأ ولامنجى دونه اى غيره وقال الامام احتج كثير من العلماء فى اثبات ان الاله واحد بقوله هو الاول قالوا الاول هو الفرد السابق ولهذا لوقال اول مملوك اشتريته فهو حر ثم اشترى عبدين لم يعتقا لان شرط كونه اولا حصول الفردية وهنا لم تحصل فلو اشترى بعد ذلك عبدا واحدا لم يعتق لان شرط الاولية كونه سابقا وهنا لم يحصل فثبت ان الشرط فى كونه اولا ان يكون فردا فكانت الآية دالة على ان صانع العالم واحد فرد وايضا هو الاول خارجا لانه موجد الكل والآخر ذهنا كما يدل عليه براهين اثبات الصانع او بحسب ترتيب سلوك العارفين فاذا نظرت الى ترتيب السلوك ولاحظت منازل السالكين السائرين اليه تعالى فهو آخر مايرتقى اليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهى مرقاة الى معرفته والمنزل الاقصى هو معرفة الله فهو آخر بالاضافة الى السلوك فى درجات الارتقاء فى باب المعارف واول بالاضافة الى الوجود الخارجى فمنه المبدأ اولا واليه المرجع آخرا وقال بعض الكمل هو الاول باعتبار بدء السير نزولا والآخر باعتبار ختم السير عروجا والظاهر بحسب النظر الى وجود الحق والباطن بحسب النظر الى وجود الخلق وهذا ماقالوا ان ظاهر الحق باطن الخلق وباطن الخلق ظاهر الحق لان الهوية برزخ بينهما لايبغيان وبالنظر الى الحق هوية الهية وبالنظر الى الخلق هوية كونية وهذه مرتبة قاب قوسين وفوقهما مرتبة او ادنى وتكلم يوما عند الشبلى رحمه الله فى الصفات فقال اسكتوا فان ثمة متاهات لاتخرقها الاوهام ولاتحويها الافهام وكيف يمكن الكلام فى صفات من تجتمع فيه الاضداد من قوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن خاطبنا على قدر افهامنا وقال الراغب الاول هو الذى يترتب عليه غيره ويستعمل على اوجه اولها المتقدم بالزمان كقولك عبد الملك اولا ثم منصور والثانى المتقدم بالرياسة فى الشئ وكون غيره محتذيا به نحو الامير اولا ثم الوزير والثالث المتقدم بالوضع والنسبة كقولك للخارج من العراق القادسية اولا ثم فيد وهى قرية فى البادية على طريق الحاج وللخارج من مكة فيد اولا ثم القادسية والرابع المتقدم بالنظام الصناعى نحو ان يقال الاساس اولا ثم البناء واذا قيل فى صفة الله هو الاول فمعناه الذى لم يسبقه فى الوجود شئ والى هذا يرجع قول من قال هو الذى لايحتاج الى غيره ومن قال هو المستغنى بنفسه والظاهر والباطن فى صفة الله لايقال مزدوجين كالاول والآخر فالظاهر قيل اشارة الى معرفتنا البديهية فان الفطرة تقضى فى كل مانظر اليه الانسان انه تعالى موجود كما قال تعالى وهو الذى فى السماء آله وفى الارض آله ولذلك قال بعض الحكماء مثل طالب معرفته مثل من طوف الآفاق فى طلب ما هو معه والباطن اشارة الى معرفته الحقيقية

وهى التى اشار اليها ابوبكر الصديق رضى الله عنه بقوله يامن غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل ظاهر بآياته باطن بذاته وقيل ظاهر بانه محيط بالاشياء مدرك لها باطن فى ان يحاط به كما قال لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وقد روى عن امير المؤمنين مادل على تفسير اللفظين حيث قال تجلى لعباده من غير ان رأوه واراهم نفسه من غير ان تجلى لهم ومعرفة ذلك تحتاج الى فهم ثاقب وعقل واقد كما فى المفردات وايضا هوالاول فى عين آخريته والآخر فى عين اوليته والظاهر فى عين باطنيته والباطن فى عين ظاهريته من حيثية واحدة وباعتبار واحد فى آن واحد لاقتضاء ذاته المطلقة عن هذه الاعتبارات المختلفة والحيثيات المتنافرة المتباينة لاحاطته بالكل واستغنائه عن الكل قيل للعارف الربانى ابى سعيد الخراز قدس سره بم عرفت الله قال بجمعه بين الاضداد فتلا هوالاول والآخر والظاهر والباطن ولايتصور الجمع بين الاضداد الامن حيثية واحدة واعتبار واحد فى آن واحد وهو بكل شئ من الاولية والآخرية والظاهرية والباطنية عليم اذ علمه عين ذاته وذاته محيط بالاشياء كما قال والله بكل شئ محيط كما فى التأويلات النجمية وقال الواسطى رحمه الله لم يدع للخلق نفسا بعد ما اخبر عن نفسه هوالاول والآخر والظاهر والباطن وقال ايضا من كان حظه من اسمه الاول كان شغله بماسبق ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مربوطا بمايستقبل ومن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ماجرى فى السر من انواره وقال ايضا حظوظ الانبياء عليهم السلام مع تباينها من اربعة اسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها فمن جمعها كلها فهو اوسطهم ومن فنى عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام وهى قوله هوالاول الخ وقال ايضا من البسه الاولية فالتجلى له فى الآخرية محال لانه لايتجلى الالمن فقده اوكان بعيدا عنه فقربه وقال الجنيد قدس سره نفى القدم عن كل اول بأوليته ونفى البقاء عن كل آخر باخريته اضطر الخلق الى الاقرار بربوبيته بظاهريته وحجب الافهام عن ادراك كنهه وكيفيته بباطنيته وقال السدى هوالاول بره اذعرفك بتوحيده والآخر بجوده اذعرفك التوبة عن ماجنيت والظاهر بتوفيقه اذوفقك للسجود له والباطن بستره اذاعصيته يستر عليك وقال ابن عمر رضى الله عنه هوالاول بالخلق والآخر بالرزق والظاهر بالاحياء والباطن بالاماتة وايضا الاول بلاأويل احد والآخر بلاأخير احد والظاهر بلااظهار احد والباطن بلاابطان احد والاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم والاول يكشف احوال الدنيا حتى لايرغبوا فيها والآخر يكشف احوال العقبى حتى لايشكوا فيها والظاهر على قلوب اوليائه حتى يعرفوه والباطن على قلوب اعدآئه حتى ينكروه والاول بالازلية والآخر بالأبدية والظاهر بالأحدية والباطن بالصمدية والاول بالهيبة والآخر بالرحمة والظاهر بالحجة والباطن بالنعمة والاول بالعطاء والآخر بالجزاء والظاهر بالثناء والباطن بالوفاء والاول بالهداية والآخر بالكفاية والظاهر بالولاية والباطن بالرعاية صاحب كشف الاسرار فرموده كه زبان رحمت ازروى اشارت ميكويد اى فرزند آدم خلق درحق توجهار كروه اند اول كروهى كه دراول حال ترابكار آيند چون پدر ومادر دوم جمعى كه درآخر زندكانى دست كيرند چون اولاد واحفاد سوم زمره كه آشكار اباتو باشند چون دوستان وياران * چهارم فرقه كه بنهان باتو معاش كنند چون زنان وكنيزان * رب العالمين ميفرمايد كه اعتماد برينها مكن وكار سازخود ايشانرا مپندار كه اول منم كه ترا ازعدم بوجود آوردم اخر منم كه بازكست تو بمن خواهد بود ظاهر منم كه صورت تونحو بتروجهى بياراستم باطن منم كه اسرار وحقايق درسينهٔ تو وديعت نهادم * اول وآخر توبى كبست حدوث وقدم * ظاهر وباطن توبى چيست وجود وعدم * اول بى انتقال آخر بى ارتحال * ظاهر بى چند وچون باطن بى كيف وكم * ويقال هوالاول خالق الاولين والآخر خالق الآخرين والظاهر خالق الآدميين وهم ظاهرون والباطن خالق الجن والشياطين وهم لايظهرون وقال الترمذى هوالاول بالتأليف والآخر بالتكليف والظاهر بالتصريف والباطن بالتعريف والاول بالانعام والآخر بالاتمام والظاهر بالاكرام والباطن بالالهام وقال بعض المحققين من اهل الاصول هذا مبالغة فى نفى التشبيه لان كل من كان اولا لايكون آخرا وكل من كان ظاهرا لايكون باطنا فأخبر انه الاول الآخر الظاهر الباطن ليعلم انه لايشبه شيأ من المخلوقات والمصنوعات وقال بعض المكاشفين هوالاول اذكان هوولم تكن صور العالم كما قال عليه السلام كان الله ولاشئ معه فهو متقدم عليها

وهذا التقدم هو المراد بالاولية وهو الآخر اذ كان عين صور العالم عند ظهورها ولها التأخر فهو باعتبار
ظهوره بها له الآخرية فالآخر عين الظاهر والباطن عين الاول هذا باعتبار التنزل من الحق الى الخلق
واما باعتبار الترقي من الخلق الى الحق فالآخر عين الباطن والظاهر عين الاول وقال الامام الغزالي رحمه الله
لاتعجبن من هذا في صفات الله فان المعنى الذي به الانسان انسان ظاهر باطن فانه ظاهر ان استدل عليه
بافعاله المرتبة المحكمة باطن ان طلب من ادراك الحس فان الحس انما يتعلق بظاهر بشريته وليس الانسان
انسانا ببشريته المرئية منه بل لو تبدلت تلك البشرية بل سائر اجزائه فهو هو والاجزاء متبدلة ولعل اجزاء
كل انسان بعد كبره غير الاجزاء التي كانت فيه عند صغره فانها تحللت بطول الزمان وتبدلت بامثالها بطريق
الاغتذاء وهويته لم تتبدل فتلك الهوية باطنة عن الحواس ظاهرة للعقل بطريق الاستدلال عليها بآثارها
وافعالها وقال الزروقي الاول الآخر هو الذي لا افتتاح لوجوده ولا اختتام له بثبوت قدمه واستحالة عدمه وكل شيء
منه بدأ واليه يعود وانما عطف بالواو لتباعد ما بين موقعي معنيهما ومن عرف انه الاول غاب عن كل شيء به
ومن عرف انه الآخر رجع بكل شيء اليه * وخاصية الاول جمع الشمل فاذا واظب عليه المسافر في كل يوم جمعة
انجمع شمله * وخاصية الآخر صفاء الباطن عما سواه تعالى فاذا واظب عليه الانسان في كل يوم مائة مرة خرج
من قلبه سوى الحق والظاهر الباطن هو الواضح الربوبية بالدلائل المحتجب عن الكيفية والاوهام فهو الظاهر
من جهة التعريف الباطن من جهة التكييف ومجراهما في العطف مجرى الاسمين السابقين ومن عرف انه
الظاهر لم يستدل بشيء عليه ورجع بكل شيء اليه ومن عرف انه الباطن استدل بكل شيء عليه ورجع به اليه
وخاصية الظاهر اظهار نور الولاية على قلب قارئه اذا قرأه عند الاشراق وخاصية الباطن وجود الانس لمن قرأه
في اليوم ثلاث مرات في كل ساعة زمانية ومن قال بعد صلاة ركعتين خمسا واربعين مرة هو الاول والآخر
والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم حصل له ما طلبه اياكان وقال بعض الكبار حقيقة الاول هو الذي افتتح
وجوده عن عدم وهذا منتف في حق الحق بلا شك فهو الاول لا باولية تحكم عليه ولاجل ذلك سمى نفسه
الآخر ولو كانت اوليته مثل اولية الموجودات لم يصح ان يكون آخرا اذ الآخر عبارة عن انتهاء الموجودات
المقيدة فهو الآخر لا بآخرية تحكم عليه اذ آخريته عبارة عن فناء الموجودات كلها ذاتا وصفة وفعلا في ذاته
وصفاته وافعاله تعالى بظهور القيامة واما غير الحق فله اولية تحكم عليه مثل قوله عليه السلام اول ما خلق الله
العقل اي اول ما افتتح به من العدم الى الوجود العقل الذي هو نور محمد صلى الله عليه وسلم وله آخرية تحكم عليه
مثل قوله عليه السلام نحن الآخرون الاولون وفي رواية السابقون يعني الآخرون في الظهور من حيث النشأة
العنصرية الجسمانية الاولون في العلم الالهي من حيث الظهور في النشأة الروحانية ومن صلى في اول الوقت
من حيث اولية الحق المنزهة عن ان يتقدمها اولية لشيء فهو المصلي الصلاة لاول وقتها فتصحب عبادة هذا
المصلي من هنالك الى وقت وجود هذا المصلي فمن بادر لاول هذا الوقت فقد حاز الخير كله بيديه وهو شهيد نفس
اشاروا فيه بتلك الاولية الى معنى اصطلحوا عليه لا الى ما يتبادر لذهن غيرهم كما في كتاب الجواهر للشعراني
رحمه الله يقول الفقير عمل الشافعي رحمه الله بقوله عليه السلام اول الوقت رضوان الله فصلى الفجر في اول وقته
وعمل ابو حنيفة رضي الله عنه بقوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وفي الاولية الآخرية وبالعكس
ولكل وجهة بحسب الفناء والبقاء وقد اشير الي في بعض الاسحار ان الكعبة وضعت عند الفجر اي عند
انفجار الصبح الصادق على ما بينت وجهه في كتاب الواردات الحقية نسأل الله النور (هو الذي خلق السموات
والارض) بقدرته الكاملة وحكمته البالغة (في ستة ايام) من ايام الآخرة او من ايام الدنيا قال ابن عطية
هو الاصوب اولها الاحد واخرها الجمعة تا ملائكه مشاهده كنند حدوث اشيارا چيزى پس از چيزى
وسنت تدريج وتأنى درهر كار حاصل آيد وكذا وقع الاختلاف في الاربعين التي خمر الله فيها طينة آدم هل هي
بأيام الدنيا او بأيام الآخرة وفيه اشارة الى مراتب الصفات الست وهي الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع
والبصر اي هو الذي تجلى للاشياء كلها بذاته الموصوفة بالصفات الست اذ تجلى الوجود لا يكون الا مع لوازمه
ولواحقه كما قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده والتسبيح يستلزم الحياة وما يترتب عليها من العلم بالتسبيح
وبالمسبح ومن القدرة على التسبيح والارادة بتخصيص المسبح ومن السمع اذ كل مسبح لابد له من استماع تسبيحه

ومن البصر اذلابد لكل مسبح ان يشاهد المسبح فى بعض مراتب الشهود كما فى التأويلات النجمية (ثم استوى) اى استولى (على العرش) المحيط بجميع الاجسام برحمانيته لان استوى متى عدى بعلى اقتضى معنى الاستيلاء واذا عدى بالى اقتضى معنى الانتهاء اليه اما بالذات او بالتدبير قال بعض الكبار هو محمول على التمثيل وقدسبق بيانه مرارا (قال الكاشفى) پس قصد كرد بتدبير عرش واجرآء امور متعلقه بدو بروفق ارادت وفى التأويلات النجمية يعنى استتم وتمكن تجليه على عرش استعدادات المظاهر السماوية الروحانية والمظاهر الارضية الجسمانية ماتجلى لعرش استعداد شئ الابحسب قابليته وقبوله لازائد ولاناقص (كما قال العارف) بكى موى ازين كم نبايد همى * وكر بيش باشد نشايد همى (يعلم مايلج فى الارض) كالكنوز والدفائن والموتى والبذور وكالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى الآخر والولوج الدخول فى مضيق وفى المناسبات الدخول فى الساتر الجملة الداخلة (ومايخرج منها) كالجواهر من الذهب والفضة والنحاس وغيرها والزروع والحيوانات والماء وكالكنوز والموتى يوم القيمة وفى التأويلات النجمية يعنى يعلم بعلمه المحيط مايدخل فى ارض البشرية من بذور النباتات النفسانية مثل مخالفات الشرع وموافقات الطبع وزروع الاحوال القلبية من مخالفات الطبع وموافقات الشرع والواردات القلبية والالهامات الغيبية وزروع الاذواق والوجدانيات من التجليات الرحمانية والتنزلات الربانية لترتب الاعمال على النيات كما قال عليه السلام انما الاعمال بالنيات وقال ايضا لكل امرئ مانوى اذالنية بمرتبة البذر والعمل بمرتبة الزرع والقلب والنفس والروح بمنزلة الارض المستعدة لكل نوع من البذر وقال بعضهم يعلم مايلج فى ارض قلب المؤمن من الاخلاص والتوحيد وفى ارض قلب الكافر من الشك والشرك ومايخرج منها بحسب حالهما (وماينزل من السماء) كالكتب والملائكة والاقضية والصواعق والامطار والثلوج (ومايعرج فيها) كالملائكة الذين يكتبون الاعمال والدعوات والاعمال والارواح السعيدة والابخرة والادخنة وقال بعضهم وماينزل من السماء على قلوب اوليائه من الالطاف والكشوف وفنون الاحوال العزيزة ومايعرج فيها من انفاس الاولياء المشتاقين اذاتصاعدت حسراتهم وعلت زفراتهم (وهومعكم اينما كنتم) فى الارض وهوتمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا وفى الحديث افضل ايمان المرء ان يعلم ان الله معه حيث كان يار با تست هر كجا هستى * جاى د يكر چه خواهى اى اوباش * با تو در زير يك كليم چو اوست * پس بروای حريف خودرا باش * قال موسى عليه السلام اين اجدك يارب قال ياموسى اذا قصدت الى فقد وصلت الى وفى التأويلات النجمية وهو معكم لابالمعية المفهومة للعوام والخواص ايضا اين معيت مى نكنجد در بيان * نى زمان دارد خبر زونى مكان * بل بالمعية المذوقة بالذوق الكشفى الشهودى اى انامعكم بحسب مراتب شهودكم ان كنتم فى المشهد الفعلى فانامعكم بالتجلى الذاتى ماتقدم ولاتأخر عنكم وقال بعض الكبار تلك المعية ليست هى مثل مايتصور بالعقل حسا اووهما اوخيالا او وهما تعالى شأنه عن ذلك علوا كبيرا وانماهى معية تفرد الحق سبحانه بعينها وتحققها وعلمها لايعلم سرها الاالله ومن اطلعه عليه من الكمل ويحرم كشفها ترحما على العقول القاصرة عن درك الاسرار الخفية كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ابهموا ماابهمه الله وبينوا مابين الله يعنى اذا اقتضى المقام الابهام كما اذاطلب بيان المبهم على ماهو عليه فى نفسه وعقل الطالب قاصر عن دركه فلاجرم انه حرام لمافيه من هلاكه واما اذاطلب بيان المبهم لاعلى ماهو عليه فى نفسه بل على وجه يدركه عقله بضرب تأويل يستحسنه الشرع ففيه رخصة شرعية اعتبرها المتأخرون دفعا لانقلاب قلب الطالب وترسيخا على عقيدته حتى تندفع عن صدره الوساوس والهواجس والمراد على هذا امامعية حفظه اومعية امره اوغير ذلك ممالااضطراب فيه لاشرعا ولاعقلا ولاخارجا والاين المذكور فى الآية متناول لجميع الاينات الازلية والابدية من المعنوية والروحانية والمثالية والحسية والدنيوية والبرزخية والنشرية والحشرية والنيرانية والجنانية والغيبية والشهادية مطلقا كلية كانت اوجزئية وهذه الاينية كالمعية من المبهمات والمتشابهات ومايعلم تأويلها الاالله ومايذكر سرها الااولوا الالباب قال بعضهم فى هذه الآية بشارة للعاشقين حيث هومعهم اينما كانوا وتوفيق للمتوكلين وسكينة للعارفين وبهجة للمحبين ويقين للمراقبين ورعاية للمقبلين واشارة الى سر الوحدة للموحدين قال الحسين

رحمه الله ماقارب الحق الاكوان ولافارقها كيف يفارقها وهو موجدها وحافظها وكيف يقارب القدم الحدوث به قوام الكل وهو بائن عن الكل انتهى (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه ثوابا وعقابا وهو عبارة عن احاطته باعمالهم فتأخيره عن الخلق لما ان المراد مايدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لاماقيل من ان الخلق دليل على العلم فبالخلق يستدل على العلم والدليل يتقدم على المدلول وفى الآية ايقاظ للغافلين وتنشيط للمتيقظين ودلالة لهم على الخشية والحياء من رب العالمين واشارة لهم الى ان اعمالهم محفوظة وانهم مجزيون بها ان خيرا فخير وان شرا فشر قال بعض الكبار والله بما تعملون بصير لانه العامل بكم وفيكم ولابد لكل عامل ان يبصر عمله ومايتعلق به (له ملك السموات والارض) تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى (والى الله ترجع الامور) على البناء للمفعول من رجع رجعا اى رددا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمعنى اليه تعالى وحده لاالى غيره استقلالا واشتراكا ترد جميع الامور فاستعدوا للقائه باختيار ارشد الامور واحسنها عندالله يس تكرير كلام جهت آنست كه اول تعلق بابداء دارد وثانى باعاده ولذا قرن بالاول يحيى ويميت وبالثانى مايكون فى الآخرة من رد الخلق اليه وجزائه اياهم بالثواب والعقاب وفيه اشارة الى انه له ملك علوم السموات الروحانية وهى العلوم الكشفية اللدنية الموهوبة بالاسم الوهاب من غير تحصيل الاسباب لعباده المخلصين بافاضته عليهم وله ايضا ملك العلوم الرسمية الكسبية الارضية بالسعى والاجتهاد للعلماء بافاضة توفيق الكسب والاجتهاد فامور العلوم الكشفية والكسبية ترجع الى عناية الله الازلية والابدية (يولج الليل فى النهار) الايلاج الادخال يعنى اززمان شب در روز افزايد حتى يصير النهار اطول مايكون خمس عشرة ساعة والليل اقصر مايكون تسع ساعات (ويولج النهار فى الليل) يعنى اززمان روز بشب زياده كند باختلاف الفصول وبحسب مطالع الشمس ومغاربها حتى يصير الليل اطول مايكون خمس عشرة ساعة والنهار اقصر مايكون تسع ساعات والليل والنهار ابدا اربع وعشرون ساعة قال فى فتح الرحمن فيه تنبيه على العبرة فيما يجاذبه الليل والنهار من الطول والقصر وذلك متشعب مختلف حسب اختلاف الاقطار والازمان الاربعة وذلك بحر من بحار الفكرة لمن تأمله (وهو عليم) اى مبالغ فى العلم (بذات الصدور) اى بمكنوناتها اللازمة لها من الاسرار والمعتقدات وذلك اغمض مايكون وهو بيان لاحاطة علمه تعالى بمايضمرونه فى نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التى يظهرونها وفى الآية اشارة الى انه يستهلك ظلمة ليل البشرية والطبيعة فى نور نهار الروح بطريق تغليب نور نهار الروح وهو تعالى عالم بكل مايصدر من اصحاب ليل النفوس من السيئات ومن ارباب نهار الارواح من الحسنات لايفوته منهما شئ قال ابن عباس رضى الله عنهما اسم الله الاعظم فى اول سورة الحديد فى ست آيات من اولها فاذا علقت على المقاتل فى الصف لم ينفذ اليه حديد كما فى فتح الرحمن (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) روى ان الآية نزلت فى غزوة ذى العشيرة وهى غزوة تبوك وفى عين المعانى يحتمل الزكاة والنفقة فى سبيل الله والمعنى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة عبر عما بأيديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم فى الانفاق فان من علم انها لله وانه بمنزلة الوكيل والنائب بحيث يصرفها الى ماعينه الله من المصارف هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به قال الشاعر

ويكفيك قول الناس فيما ملكته * لقد كان هذا مرة لفلان

فلابد من انفاق الاموال التى هى للغير وستعود الى الغير فكما ان الانفاق من مال الغير يهون على النفس اذا اذن فيه صاحبه فكذا من المال الذى على شرف الزوال * مكن تكيه برملك وجاه وحشم * كه پيش ازتو بودست وبعد ازتوهم * خور وپوش وبخشاى وراحت رسان * نگه مى چه دارى زبهر كسان * بخيل توانگر بدينار وسيم * طلسم است بالاى گنجى مقيم * ازان سالهامى بماند زرش * كه لرزد طلسم چنين برسرش * بسنك اجل ناگهان بشكنند * باسودگى گنج قسمت كنند (فالذين آمنوا منكم وانفقوا) حسبما امروا به (وقال الكاشفى) ونفقه كردند مال خودرا بزكاة وجهاد وساير خيرات (لهم) بسبب ذلك (اجر كبير) مزدى بزرك وثوابى عظيم كه جنت ونعيم است قال فى فتح الرحمن الاشارة فيه الى عثمان رضى الله عنه وحكمها باق يندب الى هذه الافعال بقية الدهر وفى التأويلات النجمية

يخاطب كل واحد من المشايخ والعلماء ويأمرهم بالايمان بالله ورسوله ايمانا كليا جامعا شرائط الايمان الحقيقى الشهودى العيانى ويوصيهم بافاضة علوم الوهب على مستحقيها وتعليم علوم الدراسة لمستعديها اذ العلماء فى العلوم الكسبية والمشايخ فى المعرفة والحكمة الوهبية خلفاء فيهما فعليهم ان ينفقوا على الطالبين المستحقين الذين ينفق الله ورسوله عليهم كما قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى انفق انفق عليك وقال عليه السلام لاتوكى فيوكى عليك وفى الحديث من كتم علما يعلمه الجم يوم القيامة بلجام من نار ويشمل هذا الوعيد حبس الكتب عمن يطلبها للانتفاع بها لاسيما مع عدم التعدد لنسخها الذى هو اعظم اسباب المنع وكون المالك لايهدى لراجيه منها والابتلاء بهذا كثير كما فى المقاصد الحسنة للامام السخاوى رحمه الله فالذين آمنوا من روح القلب والايمان الشهودى وانفقوا من تلك العلوم الوهبية والكسبية على النفس وصفاتها بالارشاد الى موافقات الشرع ومخالفات الطبع وفى التسليك فى طريق السير والسلوك بالاتصاف بصفات الروحانية والانسلاخ عن صفات البشرية النفسانية لهم اجر كبير كما قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها (ومالكم لا تؤمنون بالله) لا تؤمنون حال من الضمير فى لكم لما فيه من معنى الفعل اى اى شئ ثبت لكم وحصل حال كونكم غير مؤمنين وحقيقته ماسبب عدم ايمانكم بالله على توجيه الانكار والنفى الى السبب فقط مع تحقق المسبب (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق مايوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم مايوجبه اى واى عذر فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه بالحجج والآيات فان الدعوة المجردة لاتفيد فلولم يجب الداعى دعوة مجردة وترك ما دعاه اليه لم يستحق الملامة والتوبيخ فلام لتؤمنوا بمعنى الى ولا يبعد حملها على التعليلية اى يدعوكم الى الايمان لاجل ان تؤمنوا (وقد اخذ ميثاقكم) حال من مفعول يدعوكم والميثاق عقد يؤكد بيمين وعهد والموثق الاسم منه اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان من قبل دعوة الرسول اياكم اليه وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وحمله بعض العلماء على المأخوذ يوم الذر اى حين آخرجهم من صلب آدم فى صورة الذر وهى النمل الصغير (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا موجب لاموجب وراءه وفى عين المعانى اى ان كنتم مصدقين بالميثاق وفى فتح الرحمن اى ان دمتم على ما بدأتم به (هو الذى ينزل) بواسطة جبرائيل عليه السلام (على عبده) المطلق محمد عليه السلام (آيات بينات) واضحات من الامر والنهى والحلال والحرام (ليخرجكم) الله باقوم محمد او العبد بسبب تلك الآيات (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر والشرك والشك والجهل والمخالفة والحجاب الى نور الايمان والتوحيد واليقين والعلم والموافقة والتجلى (وان الله بكم لرؤف رحيم) حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية (وقال الكاشفى) مهربانست كه قرآن ميفرستد بخشاينده است كه رسول را بدعوت ميفرمايد وقال بعضهم لرؤف بافاضة نور الوحى رحيم بازالة ظلمة النفس البشرية (ومالكم لا تنفقوا فى سبيل الله) اى واى شئ لكم من ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله ما هو له فى الحقيقة وانما انتم خلفاؤه فى صرفه الى ما عينه من المصارف فقوله فى سبيل الله مستعار لما يكون قربة اليه وقال بعضهم معناه لاجل الله (ولله ميراث السموات والارض) حال من فاعل لا تنفقوا او مفعوله المحذوف اى ومالكم فى ترك انفاقها فى سبيل الله والحال انه لايبقى لكم منها شئ بل تبقى كلها لله بعد فناء الخلق واذا كان كذلك فانفاقها بحيث تستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى من الامساك لانها اذا تخرج من ايديكم مجانا بلاعوض وفائدة قال الراغب وصف الله نفسه بانه الوارث من حيث ان الاشياء كلها صائرة اليه وقال ابو الليث انما ذكر لفظ الميراث لان العرب تعرف ان ما ترك الانسان يكون ميراثا فخاطبهم بما يعرفون فيما بينهم قال بعض الكبار لولا ان القلوب مجبولة على حب المال مافرضت الزكاة ومن هنا قال بعضهم ان العارف لازكاة عليه والحق ان عليه الزكاة كما ان عليه الصلاة والطهارة من الجنابة ونحوهما لانه يعلم ان نفسه مجموع العالم ففيها من يحب المال فيوفيه حقه من ذلك الوجه باخراجها فهو زاهد من وجه وراغب من وجه آخر وقد اخرج رسول الله عليه السلام صدقة ماله فالكامل من جمع بين الوجهين اذ الوجوب حقيقة فى المال لا على المكلف لانه انما كلف باخراج الزكاة من المال لكون المال لايخرج بنفسه فالعارفين المحبة فى جميع العالم كله وان تفاضلت وجوهها فيحبون جميع ما فى العالم

بحب الله تعالى فى ايجاد ذلك لامن جهة عين ذلك الموجود فلابد للعارف ان يكون فيه جزء يطلب مناسبة
العالم ولولا ذلك الجزء ماكانت محبة ولا محبوب ولاتصور وجودها وفى كلام عيسى عليه السلام قلب
كل انسان حيث ماله فاجعلوا اموالكم فى السماء تكن قلوبكم فى السماء فحث اصحابه على الصدقة لما علم
ان الصدقة تقع بيد الرحمن وهو يقول ءآمنتم من فى السماء فانظر ما اعجب كلام النبوة وما اذا قدوا حلاوة وكذلك
لما علم السامرى ان حب المال ملصق بالقلوب ساغ لهم العجل من حليهم برأى منهم لعلمه ان قلوبهم تابعة
لاموالهم ولذلك لما سارعوا الى عبادة العجل دعاهم اليها فعلم ان العارف من حيث سره الربانى مستخلف فيما بيده
من المال كالوصى على مال المحجور عليه يخرج عند الزكاة وليس له فيه شئ ولكن لما كان المؤمن لحجابه يخرجها
بحكم الملك فرضت عليه الزكاة لينال بركات ثواب من رزئ فى محبوبه والعارف لايخرج شيأ بحكم الملك والمحبة
كالمؤمن انما يخرج امتثالا للامر ولاتؤثر محبته للمال فى محبته لله تعالى لانه ما احب المال الا بتحبيب الله
ومن هنا قال سليمان عليه السلام هب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب فاطلب الامن نسبة
فاقة فقير الى غنى ثم اعلم ان المال انما سمى مالا لميل النفوس اليه فان الله تعالى قد اشهد النفوس ما فى المال من قضاء
الحاجات المجبول عليها الانسان اذهو فقير بالذات ولذلك مال الى المال بالطبع الذى لاينفك عنه ولو كان الزهد
فى المال حقيقة لم يكن مالا ولكان الزهد فى الآخرة اتم مقاما من الزهد فى الدنيا وليس الامر كذلك فان الله تعالى
قد وعد بتضعيف الجزاء الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف فلو كان القليل منه حجابا لكان الكثير منه
اعظم حجابا فالدنيا للعارف صفة سليمانية كمالية وما الطف قوله انك انت الوهاب اراد عليه السلام سأل ما يحجبه
عن الله تعالى اوسأل ما يبعده من الله تعالى كلا ثم انظر الى تتميم النعمة عليه بدار التكليف بقوله تعالى له هذا
عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فرفع عنه الحرج فى التصرف بالاسم المانع والمعطى واختصه بجنة معجلة
فى الدنيا وما حجبه ذلك المال عن ربه فانظر الى درجة العارف كيف جمع بين الجنتين وتحقق بالحقيقتين واخرج
زكاة المال الذى بيده عملا بقوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فجعله مالكا للانفاق من حقيقة
الهبة فيه فى مال هو ملك لحقيقة اخرى فيه هو وليها من حيث الحقيقة الالهية (لايستوى منكم) يامعشر
المؤمنين (روى) ان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم انفقوا نفقات كثيرة حتى قال ناس هؤلاء اعظم اجرا من
كل من انفق قديما فنزلت الآية مبينة ان النفقة قبل فتح مكة اعظم اجرا (من انفق من قبل الفتح) اى فتح مكة
الذى ازال الهجرة وقال عليه السلام فيه لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وهذا قول الجمهور وقال الشعبى
هو صلح الحديبية فانه فتح كما سبق فى سورة الفتح (وقاتل) العدو تحت لواء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والاستواء يقتضى شيئين فقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه اى لايستوى فى الفضل
من انفق من قبل الفتح وقاتل ومن انفق من بعده وقاتل والظاهر ان من انفق فاعل لايستوى وقيل من مبتدأ
ولايستوى خبره ومنكم حال من ضمير لايستوى لامن ضمير انفق لضعف تقديم ما فى الصلة على الموصول
او الصفة على الموصوف ولضعف تقديم الخبر على منكم لان حقه ان يقع بعده ثم فى انفق اشارة الى انفاق المال
وما قدر عليه من القوى وفى قاتل اشارة الى انفاق النفس فان الجهاد سعى فى بذل الوجود ليحصل بالفناء
كمال الشهود ولذا قال تعالى ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء عند ربهم يرزقون فهذه الحياة
حياة اخروية باقية عندية فكيف تساويها الحياة الدنيوية الفانية الخلقية مع ان رزق الحياة الفانية ينفد
وما عند الله باق ولذا قال اكلها دائم وظلها اى راحتها فالانسان العاقل يترك الراحة الدنيوية اليسيرة لله
تعالى ليصل الى الراحة الكثيرة الاخروية فشأنه يقتضى الجهاد والقتال (اولئك) المنفقون المقاتلون
قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار (اعظم درجة) وارفع منزلة عند الله وبعظم
الدرجة يكون عظم صاحبها فالدرجة بمعنى المرتبة والطبقة وجمعها درجات واذا كانت بمعنى المرقاة فجمعها
درج (من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا) لانهم انما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله
عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس افواجا
وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وقد صرح عليه السلام ايضا بفضل الاولين بقوله لوانفق احدكم مثل احد
ذهبا ما بلغ مد احدهم ولانصيفه قال فى القاموس المد بالضم مكيال وهو رطلان اورطل وثلث اوملئ كفى

الانسان المعتدل اذا ملأ هما ومديده بهما وبه سمي مدا وقد جربت ذلك فوجدته صحيحا والنصيف والنصف واحد وهو احد شقي الشيء والضمير في نصيفه راجع الى احدهم لا الى المد والمعنى ان احدكم ايها الصحابة الحاضرون لا يدرك بانفاق مثل جبل احد ذهبا من الفضيلة ما أدرك احدهم بانفاق مد من الطعام او نصيف له وفيه اشارة الى ان صحبة السابقين الاولين كاملة بالنسبة الى صحبة اللاحقين الآخرين لسبقهم وتقدمهم وفي الحديث سيأتي قوم بعدكم تحقرون اعمالكم مع اعمالهم قالوا يارسول الله نحن افضل ام هم قال لو أن احدهم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك فضل احدكم ولا نصفه فرقت هذه الآية بينكم وبين الناس لا يستوى منكم الآية ذكره ابو الليث في تفسيره وفيه اشارة الى ان الصحابة متفاوتون في الدرجة بالنسبة الى التقدم والتأخر واحراز الفضائل فكذا الصحابة ومن بعدهم فالصحابة مطلقا افضل ممن جاء بعدهم مطلقا فانهم السابقون من كل وجه (وكلا) اى كل واحد من الفريقين وهو مفعول اول لقوله (وعد الله الحسنى) اى المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط ولكن الدرجات متفاوتة (والله بما تعملون خبير) بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه قال في المناسبات لما كان زكاء الاعمال انما هو بالنيات وكان التفضيل مناط العلم قال مرغبا في حسن النيات مرهبا من التقصير فيها والله بما تعملون اى تجددون عمله على ممر الاوقات خبير اى عالم بباطنه وظاهره علما لامزيد عليه بوجه فهو يجعل جزاء الاعمال على قدر النيات التى هي ارواح صورها * عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد بى مغز پوست * وقال الكلبي نزلت هذه الآية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفيها دلالة ظاهرة وحجة باهرة على تفضيل ابي بكر وتقديمه فانه اول من اسلم وذلك فيما روى ان ابا امامة قال لعمر بن عينة باى شيء تدعى انك ربع الاسلام قال اني كنت ارى الناس على الضلالة ولا ارى للاوثان شيأ ثم سمعت عن رجل يخبر عن اخبار مكة فركبت راحلتي حتى قدمت عليه فقلت من انت قال انا نبي قلت وما نبي قال رسول الله قلت باى شيء ارسلك قال اوحد الله لا اشرك به شيأ واكسر الاوثان واصل الارحام قلت من معك على هذا قال حر وعبد واذا معه ابو بكر وبلال فاسلمت عند ذلك فرأيتني ربع الاسلام يعني بس دانستم خود را ربع اسلام وانه اى ابابكر اول من اظهر الاسلام على ماروى عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال كان اول من اظهر الاسلام رسول الله عليه السلام وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد وانه اول من قاتل على الاسلام وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك على ماقاله ابن مسعود رضي الله عنه اول من اظهر الاسلام بسيفه النبي عليه السلام وابو بكر رضي الله عنه وانه اول من انفق على رسول الله وفي سبيل الله قال ابن عمر رضي الله عنهما كنت عند النبي عليه السلام وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال يعني بروى كليمى بود كه استوار كرده او برادر سينهٔ خود بخلال قال في القاموس خل الكساء شده بخلال وذو الخلال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لانه تصدق بجميع ماله وخل كساءه بخلال انتهى فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال مالى أرى ابابكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال انفق ماله على قبل الفتح قال فان الله تعالى يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر أسخط على ربي اني عن ربي راض اني عن ربي راض ولهذا قدمه الصحابة رضي الله عنهم على انفسهم واقروا له بالتقدم والسبق وذلك فيما روى عبد الله بن سلمة عن علي رضي الله عنه قال سبق رسول الله عليه السلام وثنى ابو بكر وثلث عمر يعني سابقست رسول الله ودر پى وى ابو بكراست وسوم عمراست فلا اوتى برجل فضلني على ابي بكر وعمر الا جلدته جلد المفترى واطرح شهادته يعني طرح شهادت وى كنم ودرصفت وى كفته اند * صاحب قدم مقام تجريد * سردفتر جمله اهل توحيد * درجمع مقربان سابق * حقاكه چواونبود صادق * وفي الآية اشارة الى ان من تقدمت مجاهدته على مشاهدته وهو المريد المراد والسالك المجذوب والمحب المحبوب اعلى واجل واسبق درجة ومرتبة من درجات المشاهدة ومراتبها ممن تقدمت مشاهدته على مجاهدته وحين يقعد ارباب المشاهدة في مقعد صدق عند مليك مقتدر لمشاهدة وجهه ورؤية جماله في جنة وصاله يفوقه ويسبقه ويتقدمه وهو المراد المريد والمجذوب السالك والمحبوب المحب فان المجاهدة قدمت على المشاهدة في قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فيصير سلوك الاول واقعا على وفق العادة الالهية والسنة الربانية وسلوك الثاني

على خارقها والمعتبر فى الترتيب الالهى تقدما وتأخرا باعتبار الاكمل انما هو وفق العادة والسنة الالهية وهما وان كانا متحدين باعتبار اصل حسن المشاهدة لكنهما متفاوتان باعتبار قدرها ودرجتها فانهم الصافون وما منا الا له مقام معلوم كذا فى كتاب اللائحات البرقيات لحضرة شيخى وسندى روح الله روحه (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) من مبتدأ خبره ذا والذى صفة ذا او بدله والاقراض حقيقة اعطاء العين على وجه يطلب بدله وقرضا حسنا مفعول مطلق له بمعنى اقراضا حسنا وهو الاخلاص فى الانفاق اى الاعطاء لله وتحرى اكرم المال وافضل الجهات والمعنى من ذا الذى ينفق ماله فى سبيل الله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وقال فى كشف الاسرار كل من قدم عملا صالحا يستحق به مثوبة فقد اقرض ومنه قولهم الايادى قروض وكذلك كل من قدم عملا سيئا يستوجب به عقوبة فقد أقرض فلذلك قال تعالى قرضا حسنا لان المعصية قرض سيئ قال امية

لا تخلطن خبيثات بطيبة * واخلع ثيابك منها وانج عريانا

كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا * اوسيئا ومدين مثل مادانا

وقيل المراد بالقرض الصدقة انتهى وههنا وجه آخر وهو ان القرض فى الاصل القطع من قرض الثوب بالمقراض اذا قطعه به ثم سمى به ما يقطعه الرجل من امواله فيعطيه عينا بشرط رد بدله فعلى هذا يكون قرضا حسنا مفعولا به والمعنى من ذا الذى يقرض الله مالا حسنا اى حلالا طيبا فانه تعالى لا يقبل الا الحلال الطيب (فيضاعفه له) بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له اى فيعطيه اجره اضعافا من فضله وانما قلنا باعتبار المعنى لان الفاء انما تنصب فعلا مردودا على فعل مستفهم عنه كما قاله ابو على الفارسى وههنا السؤال لم يقع عن القرض بل عن فاعله (وله اجر كريم) اى وذلك الأجر المضموم اليه الاضعاف كريم حسن مرضى فى نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة (وروى انه لما نزلت هذه الآية جعل ابو الدحداح يتصدق بنصف كل شئ يملكه فى سبيل الله حتى انه خلع احدى نعليه ثم جاء الى ام الدحداح فقال انى بايعت ربى فقالت ربح بيعك فقال النبى عليه السلام كم من نخلة مدلاة عذوقها فى الجنة لأبى الدحداح قال بعضهم سأل الله منهم القرض ولو كانوا على نعت المروءة لخرجوا من وجودهم قبل سؤاله فضلا عن المال فان العبد وما يملكه لمولاه فاذا بذلوا الوجود المجازى وجدوا من الله بدله الوجود الحقيقى وله اجر كريم بحسب الاجتهاد فى السير الى الله والتوجه الى عتبة بابه الكريم * هر كسى از همت والاى خويش * سود برد درخور كالاى خويش * وفى الآية اشارة الى القرض الشرعى لمن يستقرض كما دل عليه قوله تعالى عبدى استطعمتك فلم تطعمنى فاعطاء القرض للعبد اعطاء لله تعالى والقرض افضل من الصدقة لانه ربما سأل سائل وعنده ما يكفيه واما المستقرض فلا يستقرض الا من حاجة وقال بعضهم هذا القرض هو ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وهو افضل الاذكار وعن الحسن هو التطوعات وفى المرفوع النافلة هدية المؤمن الى ربه فليحسن احدكم هديته وليطيبها والحاصل ان الكريم يرد القرض باحسن ما يكون من الرد ويحسن ايضا فى مقابلة الهدية (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم اى اذكر وقت رؤيتهم يوم القيامة على الصراط (يسعى نورهم) حال من مفعول ترى اى نور ايمانهم وطاعتهم والسعى المشى السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد فى الامر خيرا كان اوشرا واكثر ما يستعمل فى الافعال المحمودة (بين ايديهم وبأيمانهم) جمع يمين بمعنى الجارحة والمراد جهة اليمين وبين ظرف للسعى قال ابو الليث يكون النور بين ايديهم وبأيمانهم وعن شمائلهم الا ان ذكر الشمال مضمر وقال فى فتح الرحمن وخص بين الايدى بالذكر لانه موضع حاجة الانسان الى النور وخص ذكر جهة اليمين تشريفا وناب ذلك مناب ان يقول وفى جميع جهاتهم وفى كشف الاسرار لان طريق الجنة يمنة وتجاههم وطريق اهل النار يسرة ذات شمال وفى الحديث (بينا انا على حوضى انادى هلم اذا اناس اخذتهم ذات الشمال فاختلجوا دونى فأنادى الاهلم فيقال انك لا تدرى ما احدثوا بعدك فأقول سحقا يقول الفقير ذكر بين الايدى اشارة الى المقربين الذين هم وجه بلا قفا ظاهرا وباطنا فلهم نور مطلق يضيئ من جميع الجهات وذكر الايمان اشارة الى اصحاب اليمين الذين هم وجه من وجه

وفقامن وجد آخر فنورهم نور مقيد بايمانهم واما اصحاب الشمال فلا نور لهم اصلا لانهم الكفرة الفجرة فلذا طوى ذكر الشمال من البين اراين مسعود منقولست كه نور هركسى بقدر عمل وى بود نور يكى ازصنعا باشد تابعدن وادنى نورى آن بود كه صاحبش قدم خودرا بيندبارى هيچ مؤمن بى نور نباشد وقال منهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا يؤتى نوره على ابهام قدميه فيطفأ مرة ويتقد اخرى فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعى نورهم جنبا لهم ومتقدما ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذى اعطى نوره على ابهام قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه ويقف مرة ويمشى اخرى وتصيب جوارح النار فلا يزال كذلك حتى يخلص وكما ان لهم يوم القيامة نورا يسعى بين ايديهم وبايمانهم فاليوم لهم فى قلوبهم نور يهتدون به فى جميع الاحوال ويبدو ايضا فى بشرتهم فمن ظهر له ذلك النور انقاد له وخضع وكان من المقربين ومن لم يظهر له ذلك تكبر عليه ولم يستسلم وكان من المنكرين وحين تعلق نظر عبدالله بن سلام الى وجه النبى عليه السلام آمن به وقال ماهو بوجه كذاب وكذا اضرابه بخلاف ابى جهل واحزابه قال بعض الكبار نور الايمان كناية عن تمكن اجتهادهم وسعيهم الى الله بالسير والسلوك وذلك لان قوة الانسان فى يمينه وبها يعرف اليمين من الشمال (بشراكم اليوم جنات) اى تقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم بشراكم اى ماتبشرون به اليوم جنات اوبشراكم دخول جنات فحذف المضاف واقيم مقامه المضاف اليه فى الاعراب (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك) اى ماذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة (هو الفوز العظيم) الذى لاغاية وراءه لكونهم ظفروا بكل ماارادوا (قال الكاشفى) رستكارئ بزركست چه ازهمه اهوال قيامت ايمن شده بدار الجلال ميرسند وديدار ملك متعال مى بينند (مصراع) هزار جان مقدس فداى ديدارت (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من يوم ترى (للذين آمنوا) اى اخلصوا الايمان بكل مايجب الايمان به (انظرونا) اى انتظرونا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة اوانظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين ايديهم فانظرونا على هذا الوجه من باب الحذف والايصال لان النظر بمعنى الابصار لايتعدى بنفسه وانما يتعدى بالى وقرا حمزة انظرونا من النظرة وهى الامهال على ان تأنيهم فى المضى ليلحقوا بهم انظار لهم وامهال (نقتبس من نوركم) اى نستضئ منه ونمش فيه معكم واصله اتخاذ القبس وهو محركة شعلة نار تقتبس من معظم النار كالمقباس قال الراغب القبس المتناول من الشعلة والاقتباس طلب ذلك ثم يستعار لطلب العلم والهداية قال بعضهم النار والنور من اصل واحد وهو الضوء المنتشر يعين على الابصار وكثيرا مايتلازمان لكن النار متاع للمقوين فى الدنيا والنور متاع لهم فى الدنيا والآخرة ولاجل ذلك استعمل فى النور الاقتباس وقيل نقتبس من نوركم اى نأخذ من نوركم قبسا سراجا وشعلة وقيل ان الله يعطى المؤمنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطى المنافقين ايضا نورا خديعة لهم وهو قوله تعالى وهو خادعهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فأطفأ نور المنافقين فذلك قوله يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافه ان يسلبوا نورهم كماسلب المنافقون وقال الكلبى بل يستضئ المنافقون بنور المؤمنين ولايعطون النور فاذا سبقهم المؤمنين وبقوا فى الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل) طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين اومن جهة الملائكة (ارجعوا وراءكم) اى الى الموقف (فالتمسوا نورا) اى فاطلبوا نورا فانه من ثمة يقتبس اوالى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة * كار اينجا كن كه تشو يشست در محشر بسى * آب ازينجا بركه در عقبى بسى شور وشرست * وروى عن ابى امامة الباهلى رضى الله عنه انه قال بينا العباد يوم القيامة عند الصراط اذغشيهم ظلمة يقسم الله النور بين عباده فيعطى الله المؤمن نورا ويبقى المنافق والكافر لايعطيان نورا فكما لايستضئ الاعمى بنور البصير لايستضئ الكافر والمنافق بنور المؤمن فيقولون انظرونا نقتبس من نوركم فيقولون لهم ارجعوا حيث قسم النور فيرجعون فلايجدون شيأ فيرجعون وقدضرب بينهم بسور اوارجعوا خائبين خاسئين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا

آخر وقد علموا ان لانور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم اواراد وا بالنور ماوراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم وقال بعض اهل الاشارة كان استعداد انهم الفطرية الفائتة عنهم تقول بلسان الحال ارجعوا الى استعداداتكم الفطرية التى افسدتم بحب الدنيا ولذاتها وشهواتها واقتبسوا منها نورا اذ ما تصلون الى مطلوباتكم الابحسب استعداداتكم وهى فائتة عنكم باشتغالكم بالامور الدنيوية واعراضكم عن الاحكام الاخروية والتوجهات المعنوية (فضرب بينهم) اى بين الفريقين وهم المؤمنون والمنافقون يعنى ملائكة بحكم الهى بزنند ولما كان البناء ممايحتاج الى ضرب باليد ونحوها من الآلات عبر عنه بالضرب ومثله ضرب الخيمة لضرب اوتادها بالمطرقة (بسور) اى حائط بين شق الجنة وشق النار فان سور المدينة حائطها المشتمل عليها والباء زائدة وبالفارسية ديوارى نزديك چون بارهٔ شهرى قال بعضهم هو سور بين اهل الجنة والنار يقف عليه اصحاب الاعراف يشرفون على اهل الجنة واهل النار وهو السور الذى يذبح عليه الموت يراه الفريقان معا (له) اى لذلك السور (باب) يدخل فيه المؤمنون فيكون السور بينهم باعتبار ثانى الحال اعنى بعد الدخول لاحين الضرب (باطنه) اى باطن السور اوالباب (فيه الرحمة) لانه يلى الجنة (وظاهره من قبله) اى من جهته وعنده (العذاب) لانه يلى النار وقال بعضهم هو سور بيت المقدس الشرقى باطنه فيه المسجد الاقصى وظاهره من قبله العذاب وهو واد يقال له وادى جهنم وكان كعب يقول فى الباب الذى يسمى باب الرحمة فى بيت المقدس انه الباب الذى قال الله فضرب بينهم بسور له باب الآية يعنى ان هذا الموضع المعروف بوادى جهنم موضع السور قال ابن عطية وهذا القول فى السور بعيد يعنى بل المراد بالسور الاعراف يقول الفقير لابعد فيه بالنسبة الى من يعرف الاشارة وقد روى ان عبادة قام على سور بيت المقدس الشرقى فبكى فقال بعضهم مايبكيك يا ابا الوليد فقال ههنا اخبرنا رسول الله عليه السلام انه رأى جهنم وفى الحديث (بيت المقدس ارض المحشر والمنشر) فيجوز ان يكون الموضع المعروف بوادى جهنم موضع السور على انه سور الاعراف بعينه لكن على كيفية لايعرفها الا الله لانه تبدل الارض غير الارض يوم القيامة وقد صح ان مواضع العبادات تلحق بارض الجنة فلا بعد فى ان يكون المسجد الاقصى من الجنة وخارجه من النار وبينها السور (ينادونهم) كأنه قيل فاذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادى المنافقون المؤمنين من وراء السور (وقال الكاشفى) منافقون چون باز پس نكرند ونورى نه بينند بازمتوجه مؤمنان شوند ديوارى بينند ميان خود وايشان حاجز شده ازان در بنكرند مؤمنانرا مشاهده نمايند كه خرامان متوجه رياض شده‌اند بخوانند ايشانرا بزارى كويند اى مؤمنان (ألم نكن) فى الدنيا (معكم) يريدون به موافقتهم لهم فى الامور الظاهرة كالصلاة والصوم والمناكحة والموارثة ونحوها (قالوا بلى) كنتم معنا بحسب الظاهر (ولكنكم فتنتم انفسكم) محنتموها بالنفاق واهلكتموها اضافة الفتنة الى النفس اضافة الميل والشهوة والى الشيطان فى قوله لايفتننكم الشيطان اضافة الوسوسة والى الله تعالى فى قوله قال فانا قد فتنا قومك اضافة الخلق لانه خلق الضلال فيه ليفتتن (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر والتربص الانتظار وقال مقاتل وتربصتم بمحمد عليه السلام الموت وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه وهو وصف قبيح لان انتظار موت وسائط الخير ووسائط الحق من عظيم الجرم والقباحة اذ شأنهم ان يرجى طول حياتهم ليستفاد منهم ويغتنم بمجالستهم (وارتبتم) وشككتم فى امر الدين اوفى النبوة اوفى هذا اليوم (وغرتكم الامانى) الفارغة التى من جملتها الطمع فى انتكاس امر الاسلام جمع امنية كاضحية بالفارسية آرزو وفى عين المعانى وغرتكم خدع الشيطان وقال ابو الليث اباطيل الدنيا (حتى جاء امر الله) اى الموت (وغركم بالله) الكريم (الغرور) اى غركم الشيطان بانه عفو كريم لايعذبكم قال قتادة مازالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار قال الزجاج الغرور على ميزان فعول وهو من اسماء المبالغة يقال فلان اكول كثير الاكل وكذا الشيطان الغرور لانه يغر ابن آدم كثيرا قال فى المفردات الغرور كل مايغر الانسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وقد فسر بالشيطان اذ هو اخبث الغارين بالدنيا لما قيل الدنيا تغر وتضر وتمر (فاليوم لايؤخذ منكم) ايها المنافقون (فدية) اى فداء تدفعون به العذاب عن انفسكم يعنى چيزى كه فداى خود كنيد تا از عذاب برهيد والفداء حفظ الانسان من النائبة بمايبذله عنه من مال اونفس اى لايؤخذ

منكم دية ولا نفس اخرى مكان انفسكم (ولا من الذين كفروا) اى ظاهرا وباطنا وفيه دلالة على ان الناس ثلاثة اقسام مؤمن ظاهرا وباطنا وهو المخلص ومؤمن ظاهرا لا باطنا وهو المنافق وكافر ظاهرا وباطنا (مأواكم) مرجعكم (النار) لا ترجعون الى غيرها ابدا (هى) اى النار (مولاكم) تتصرف فيكم تصرف المولى فى عبيده لما اسلفتم من المعاصى او اولى بكم فالمولى مشتق من الاولى بحذف الزوائد وحقيقته مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اى مكان لقول القائل انه كريم فهو مفعل من اولى كما ان مئنة مفعلة من ان التى للتأكيد والتحقيق غير مشتقة من لفظها لان الحروف لا يشتق منها بل ربما تتضمن الكلمة حروفها دلالة على ان معناها فيها او ناصركم على طريقة قوله (تحية بينهم ضرب وجيع) فان مقصوده نفى التحية فيما بينهم قطعا لان الضرب الوجيع ليس بتحية فيلزم ان لا تحية بينهم البتة فكذا اذا قيل لاهل النار هى ناصركم يراد به ان لا ناصر لكم البتة او متوليكم اى المتصرف فيكم تتولاكم كما توليتم فى الدنيا موجباتها (وبئس المصير) اى المرجع النار وفى التأويلات النجمية اى نار القطيعة والهجران مولاكم ومتسلطة عليكم وبئس الرجوع الى تلك النار وعن الشبلى قدس سره انه رأى غصنا طريا قد قطع عن اصله فبكى فقال اصحابه ما يبكيك فقال هذا الفرع قد قطع عن اصله وهو طرى بعد ولا يدرى ان مآله الى الذبول واليبس شلى ديدزنى راكه ميكريد وميكويد ياويلاه من فراق وادى شبلى كريست وكفت ياويلاه من فراق الاخدان زن كفت چرا چنين ميكويى شبلى كفت توكريه ميكنى بر مخلوقى كه هرآينه فانى خواهد شد من چرا كريه نكنم بر فراق خالق كه باقى باشد * فرزند ويار چونكه بميرند عاقبت * اى دوست دل مبند بجز حى لا يموت (ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله) من انى الامر يأنى انيا واناء وإناء اذا جاء اناه اى وقته وحان حينه وادرك والخشوع ضراعة وذل اى ألم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال لاوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور قال بعضهم الذكر ان كان غير القرآن يكون المعنى ان ترق وتلين قلوبهم اذا ذكر الله فان ذكر الله سبب لخشوع القلوب اى سبب فالذكر مضاف الى مفعوله واللام بمعنى الوقت وان كان القرآن فهو مضاف الى الفاعل واللام للعلة اى لمواعظ الله تعالى التى ذكرها فى القرآن ولآياته التى تتلى فيه وبالفارسية اياوقت نيايد مر انارا كه كرويده اند انكه بترسد ونرم شود دلهاء ايشان براى ياد كردن خداى (وما نزل من الحق) اى القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كأنه حق نازل من السماء والا فالعطف كما فى قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التى من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق فى سبيل الله روى ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه من الخشوع فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية اربع سنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن وعن الحسن رحمه الله والله لقد استبطأهم وهم يقرؤن من القرآن اقل مما تقرأون فانظروا فى طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وقولى آنست كه مزاح ومضاحك درميان اصحاب بسيار شد آيت نازل كشت كما قال الامام الغزالى رحمه الله فى منهاج العابدين ثم الصحابة الذين هم خير قرن كان يبدو منهم شئ من المزاح فنزل قوله تعالى ألم يأن الخ وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب قال السهروردى فى العوارف حتى قست القلوب اى تصلبت وادمنت سماع القرآن والفت انواره فما استغربته حتى تتغير والواجد كالمستغرب ولهذا قال بعضهم حالى قبل الصلاة كحالى فى الصلاة اشارة منه الى استمرار حال الشهود انتهى فقوله حتى قست القلوب ظاهره تقبيح للقلوب بالقسوة والتلوين وحقيقته تحسين لها بالشهود والتمكين قال البقلى رحمه الله فى الآية هذا فى حق قوم من ضعفاء المريدين الذين فى نفوسهم بقايا الميل الى الحظوظ حتى يحتاجوا الى الخشوع عند ذكر الله واهل الصفوة احترقوا فى الله بنيران محبة الله ولو كان هذا الخطاب للاكابر لقال ان تخشع قلوبهم لله لان الخشوع لله موضع فناء العارف فى المعروف وارادة الحق بنعت الشوق اليه فناؤهم فى بقائه بنعت الوله والهيمان

والخشوع للذكر موضع الرقة من القلب فاذا رق القلب خشع بنور ذكر الله لله كأنه تعالى دعاهم بلطفه
الى سماع ذكره بنعت الخشوع والخضوع والمتابعة لقوله والاستلذاذ بذكره حتى لا يبقى فى قلوبهم لذة فوق لذة
ذكره قال ابو الدرداء رضى الله عنه استعيذ بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال ان ترى
الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع * ور آوازه خواهى دراقليم فاش * برون حله كن كو درون
حشو باش * اكر بيخ اخلاص در بوم نيست * ازين دركسى چون تو محروم نيست *
زراندود كارا باتش برند * پديد آيد آنكه كه مس يا زرند (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل) عطف
على تخشع والمراد النهى عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله (فطال عليهم الامد) اى الاجل والزمان
الذى بينهم وبين انبيائهم اوالاعمار والآمال وغلبهم الجفاء والقسوة وزالت عنهم الروعة التى كانت تأتيهم
من التوراة والانجيل اذ اتلوهما وسمعوهما (فقست قلوبهم) فهى كالحجارة او اشد قسوة والقسوة غلظ القلب
وانما تحصل من اتباع الشهوة فان الشهوة والصفوة لا تجتمعان (وكثير منهم فاسقون) اى خارجون عن
حدود دينهم رافضون لما فى كتابهم بالكلية لفرط الجفاء والقسوة ففيه اشارة الى ان عدم الخشوع
فى اول الامر يفضى الى الفسق فى آخر الامر وكفته اند نتيجه سختى دل غفلت است ونشأه نرمى دل توجه
بطاعت * دلى كز نور معنى نيست روشن * مخوانش دل كه ان سنكست وآهن * دلى كز كرد
غفلت زنك دارد * ازان دل سنك وآهن ننك دارد * روى ان عيسى عليه السلام قال لا تكثروا الكلام
بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم فان القلب القاسى بعيد من الله ولا تنظروا فى ذنوب العباد كأنكم ارباب وانظروا
فى ذنوبكم كأنكم عبيد فانما الناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا اهل البلاء واحمدوا الله على العافية
(اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها) تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة
بالغيث للترغيب فى الخشوع والتحذير عن القساوة (وقال الكاشفى) بدانيد اى منكر ان بعث ان الله يحيى
الارض بعد موتها وهمان منوال زنده خواهد ساخت اموات را (قد بينا لكم الآيات) التى من جملتها
هذه الآيات (لعلكم تعقلون) كى تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين سبب توبت
فضيل بن عياض رحمه الله ميكويند كه سماع اين آيت يعنى المريأن الخ بود در بدو كار مرد راهزن
و رناشا بسته قدم نهاده وقتى سوداى عشق صاحب جمالى درسر وى افتاد باوى ميعادى نهاد
درميانه شب اسر آن وعده بازشد بديوار برمى شد كه كوينده كفت المريأن للذين الخ اين ايت تيروار در نشانه
دل وى نشست دردى وسوزى ازدرون وى سر بر زد كين عنايت روكشاد اسير كند توفيق كشت ازانجا
بازكشت وهمى كفت بلى والله قد آن ازانجا بركشت ودر خرابه شد جماعتى كاروانيان
انجا بودند وبايكديكر ميكفتند فضيل درراه هست اكر برويم راه برما زند ورخت ببرد فضيل خود را ملامت
كرد كفت اى بدمرد اكه منم اين چه شقاوتست كه روى بمن نهاده درميانه شب بقصد معصيت ازخانه بدر آمده
وقومى مسلمانان از بيم من درين كنج كريخته روى سوى اسمان كرد وازدل صافى توبت نصوح كرد كفت
اللهم انى تبت اليك وجعلت توبتى اليك جوار بيتك الحرام الهى از بدسراى خود بدردم وآزناكسىء خود
بفغان دردمرا درمان سازاى درمان سازهمه دردمندان اى باك صفت ازعيب اى عالى صفت آزشوب اى
بى نياز ازخدمت من اى بى نقصان ازخيانت من من بجاى رحمتم بخشاى برمن اسير بند هواى خويشم
بكشاى مرا ازين بند الله تعالى دعاء وى را مستجاب كردو بوى كرامتها كرد وازانجا بركشت وروى بخانه
كعبه نهاد سالها آنجا مجاور شد واز جمله اوليا كشت * كداى كوى تواز هشت خلد مستغنيست *
اسير عشق تواز هردو كون آزادست * وقال ابن المبارك رحمه الله كنت يوما فى بستان وانا شاب وكان معى
اصحابى فأكلنا وشربنا وكنت مولعا بضرب العود فأخذت العود فى الليل لاضرب به فنطق العود وقال المريأن
للذين الخ فضربت به الارض وكسرته وتركت الامور الشاغلة عن الله تعالى وعن مالك بن دينار رحمه الله انه سئل
عن سبب توبته فقال كنت شرطيا وكنت منهمكا على شرب الخمر ثم انى اشتريت جارية نفيسة ووقعت منى
احسن موقع فولدت لى بنتا فشغفت بها فلما دبت على الارض ازدادت فى قلبى حبا والفتنى والفتها فكنت
اذا وضعت المسكر جاءت الى وجاذبتنى اياه واراقته على ثوبى فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدنى الحزن عليها فلما كانت

ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة جمعة بت ثملا من الخمر ولم اصل صلاة العشاء فرأيت كأن اهل القبور قد خرجوا وحشر الخلائق وانا معهم فسمعت حسا من ورآئي فالتفت فاذا انا بتنين عظيم اعظم مايكون اسود ازرق قد فتح فاه مسرعا نحوى فمررت بين يديه هاربا فزعا مرعوبا فمررت فى طريقى بشيخ نقى الثياب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له أجرنى واغثنى فقال انا ضعيف وهذا اقوى منى ومااقدر عليه ولكن مر واسرع فلعل الله يسبب لك ماينجيك منه فوليت هاربا على وجهى فصعدت على شرف من شرف القيامة فاشرفت على طبقات النيران فنظرت الى اهلها فكدت اهوى فيها من فزع التنين وهو فى طلبى فصاح بى صائح ارجع فلست من اهلها فاطمأ ننت الى قوله ورجعت ورجع التنين فى طلبى فأتيت الشيخ فقلت ياشيخ سألتك ان تجيرنى من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال انا ضعيف ولكن سر الى هذا الجبل فان فيه ودآئع للمسلمين فان كان لك فيه وديعة فستنصرك فنظرت الى جبل مستدير فيه كوى مخرقة وستور معلقة على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الاحمر مفصلان باليواقيت مكللان بالدر وعلى كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت الى الجبل هربت اليه والتنين ورائى حتى اذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع واشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه واذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت فاشرف على اطفال بوجوه كالاقمار وقرب التنين منى فتحيرت فى امرى فصاح بعض الاطفال ويحكم اشرفوا كلكم فقد قرب منه فاشرفوا فوجا بعد فوج فاذا بابنتى التى ماتت قد أشرفت على معهم فلما رأتنى بكت وقالت ابى والله ثم وثبت فى كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدى فمدت يدها الشمال الى يدى اليمنى فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى فولى هاربا ثم اجلستنى وقعدت فى حجرى وضربت بيدها اليمنى الى لحيتى وقالت ياابت ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فبكيت وقلت يابنية وانتم تعرفون القرآن فقالت ياابت نحن اعرف به منكم قلت فاخبرينى عن التنين الذى اراد ان يهلكنى قالت ذلك عملك السوء قويته فأراد ان يغرقك فى نارجهنم قلت فاخبرينى عن الشيخ الذى مررت به فى طريقى قالت ياابت ذلك عملك الصالح اضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء قلت يابنية وما تصنعون فى هذا الجبل قالت نحن اطفال المسلمين قد اسكنا فيه الى ان تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم فانتبهت فزعا فلما اصبحت فارقت ماكنت عليه وتبت الى الله تعالى وهذا سبب توبتى * سراز جيب غفلت برآرر كنون * كه فردا نماند بخجلت نكون * كنون بايد اى خفته بيدار بود * چو مرك اندرارد زخوابت چه سود * زهجران طفلى كه در خاك رفت * چه نالى كه پاك آمد و پاك رفت * تو پاك آمدى برحذر باش وپاك * كه ننكست ناپاك رفتن بخاك (ان المصدقين والمصدقات) اى المتصدقين والمتصدقات (واقرضوا الله قرضا حسنا) عطف على الصلة من حيث المعنى اى ان الناس الذين تصدقوا وتصدقن واقرضوا الله قرضا حسنا واقرضن والاقراض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة ففيه دلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص فيندفع توهم التكرار لان هذا تصدق مقيد وماقبله تصدق مطلق وفى الحديث (يامعشر النساء تصدقن فانى اريتكن اكثر اهل النار) وفيه اشارة الى زيادة احتياجهن الى التصدق (وروى) مسلم عن جابر رضى الله عنه انه قال شهدت مع رسول الله عليه السلام صلاة العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير اذان ولااقامة ثم قام متوكئا على بلال رضى الله عنه فامر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى الى النساء فوعظهن وذكرهن فقال تصدقن فان اكثركن حطب جهنم قالت امرأة لم يارسول الله فقال لانكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير اى المعاشر وهو الزوج فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين فى ثوب بلال حتى اجتمع فيه شئ كثير قسمه على فقراء المسلمين (يضاعف لهم) على البناء للمفعول مسند الى مابعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما فى حيز الصلة على حذف مضاف اى ثواب التصدق (ولهم اجر كريم) وهو الذى يقترن به رضى واقبال * بدنيا توانى كه عقبى خرى * بخرجان من ورنه حسرت خورى (والذين آمنوا بالله ورسله) كافة وهو مبتدأ (اولئك) مبتدأ ثان (هم) مبتدأ ثالث خبره قوله (الصديقون والشهداء) وهو مع خبره خبر للاول اوهم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك والجملة خبر للموصول اى اولئك (عند ربهم) بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين

بعلو المرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله قال فى فتح الرحمن الصديق نعت لمن كثر منه الصدق وهم ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض فى زمانهم الى الاسلام ابو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب رضى الله عنهم الحقه الله بهم وان تم به الاربعون لما عرف من صدق نيته وقيل الشهداء على ثلاث درجات الدرجة الاولى الشهيد بين الصفين وهو اكبرهم درجة ثم كل من قضى بقارعة اوبلية وهى الدرجة الثانية مثل الغرق والحرق والهالك فى الهدم والمطعون والمبطون والغريب والميتة فى نفاسها والميتة بالوضع والميت يوم الجمعة وليلة الجمعة والميت على الطهارة والدرجة الثالثة مانطقت به هذه الآية العامة للمؤمنين وقال بعضهم فى معنى الآية هم المبالغون فى الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله بالوحدانية ولهم بالايمان اوعلى الامم يوم القيامة وقال بعض الكبار يعنى الذين آمنوا بالله ايمانا حقيقيا شهوديا عيانيا لاعلميا بيانيا وذلك بطريق الفناء فى الله نفسا وقلبا وسرا وروحا والبقاء به وآمنوا برسله بفناء صفات القلب والبقاء بصفات الروح اولئك هم المتحققون بصفة الصديقية البالغون اقصى مراتب الصدق والشهداء على نفوسهم بالصدق والوفاء بالعهد لترشح رشحات الصدق عنهم لاجرم لهم اجر الصديقين ونور الشهداء مختص بهم لا بمن آمن بالتقليد وصدق وشهد باللسان من غير العيان والعيان يترتب على الفناء وفرقوا بين الصادق والصديق بان الصادق كالمخلص بالكسر من تخلص من شوائب الصفات النفسانية مطلقا والصديق كالمخلص بالفتح من تخلص ايضا عن شوائب الغيرية والثانى اوسع فلكا واكثر احاطة فكل صديق ومخلص بالفتح صادق ومخلص بالكسر من غير عكس قال ابو على الجرجانى قدس سره قلوب الابرار متعلقة بالكون مقبلين ومدبرين وقلوب الصديقين معلقة بالعرش مقبلين بالله لله (لهم اجرهم ونورهم) مبتدأ وخبر والجملة خبر ثان للموصول والضمير الاول على الوجه الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء ولا بأس بالفك عند الامن اى لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ماللفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ماللآخرين من الاصل بدون الاضعاف ليحصل التفاوت واما على الوجه الثانى فرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم قال بعض الكبار لايكون الاجر الامكتسبا فان اعطاك الحق تعالى ماهو خارج عن الكسب فهو نور وهبات ولا يقال له اجر ولهذا قال تعالى لهم اجرهم ونورهم فان اجرهم مااكتسبوه ونورهم ماوهبه الحق لهم من ذلك حتى لاينفرد الاجر من غيران يختلط به الوهب لان الاجر فيه شائبة الاستحقاق اذهو معارضة عن عمل المتقدم يضاف الى العبد فاتم اجر الاويخالطه نور وذلك لتكون المنة الالهية مصاحبة للعبد حيث كان فان تسمية العبد اجيرا مشعر بان له نسبة فى الطاعات والاعمال الصادرة عنه فتكون الاجارة من تلك النسبة ولذلك طلب العبد العون على خدمة سيده فان قلت من اى جهة قبل العبد الاجرة والعبد واجب عليه الخدمة لسيده من غير ان يأخذ اجرة وان جعلناه اجنبيا فمن اى جهة تعين الفرض عليه ابتداء قبل الاجرة والاجير لايفترض عليه الاحين يؤجر نفسه قلت الانسان مع الحق تعالى على حالتين حالة عبودية وحالة اجارة فمن كونه عبدا فهو مكلف بالفرض كالصلاة والزكاة وجميع الفرائض ولا اجر له على ذلك جملة واحدة ومن كونه اجيرا له الاجرة بحكم الوعد الالهى ولكن ذلك مخصوص بالاعمال المندوبة لا المفروضة فعلى تلك الاعمال التى ندب الحق اليها فرضت الاجور فان تقرب العبد بها الى سيده اعطاه اجارته وان لم يتقرب لم يطلب بها ولا عوتب عليها ومن هنا كان العبد حكمه حكم الاجنبى فى الاجارة للفرض الذى يقابله الجزاء اذ هو العهد الذى بين الله وبين عباده واما النوافل فلها الاجور المنتجة للمحبة الالهية كما قال لايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه والحكمة فى ذلك ان المتنفل عبد اختيارى كالاجير فاذا اختار الانسان ان يكون عبد الله لاعبد هواه فقد آثر الله على هواه وهو فى الفرائض عبد اضطرار لاعبد اختيار وبين عبودية الاضطرار وعبودية الاختيار مابين الاجير والعبد المملوك اذ العبد الاصلى ماله على سيده استحقاق الا ما لابد منه من مأكل وملبس ثم يقوم بواجبات مقام سيده ولايزال فى دار سيده لايبرح ليلا ولا نهارا الا اذا وجهه فى شغل آخر فهو فى الدنيا مع الله وفى القيامة مع الله وفى الجنة مع الله لانها جميعا ملك لسيده فيتصرف فيها

تصرف الملاك والاجير ماله سوى ما عين له من الاجرة منها نفقته وكسوته وماله دخول على حرم سيده ومؤجره ولا له اطلاع على اسراره ولا تصريف فى ملكه الا بقدر ما استؤجر عليه فاذا انقضت مدة اجارته واخذ اجرته فارق مؤجره واشتغل باهله وليس له من هذا الوجه حقية ولا نسبة تطلب ممن استأجره الا ان يمن عليه رب المال بان يبعث خلفه و يجالسه و يخلع عليه فذلك من باب المنة وقد ارتفعت عنه فى الآخرة عبودية الاختيار فان تفطنت لهذا نبهك على مقام جليل تعرف منه من اى مقام قالت الانبياء عليهم السلام مع كونهم عبيدا خلصا لم يملكهم هوى نفوسهم ولا احد من خلق الله ومع هذا قالوا ان اجرى الا على الله وذلك لان قولهم هذا راجع الى تحققهم بدخولهم تحت حكم الاسماء الالهية بخلاف غيرهم ومن هناك وقعت الاجارة فهم فى حال الاضطرار والاختيار عبيد للذات وهم اجراء الاسماء الالهية تطلبهم لتظهر آثارها فيهم وهم مخيرون فى الدخول تحت اى اسم الهى شاؤا وقد علمت الاسماء الالهية ذلك فعينت لهم الاجور وكل اسم ينادبهم ادخلوا تحت امرى وانا اعطيكم كذا وكذا فلا يزال احدهم فى خدمة ذلك الاسم حتى يناديه السيد من حيث عبودية الذات فيترك كل اسم الهى و يقوم ادعوة سيده فاذا فعل ما امر به حينئذ رجع الى اى اسم شاء ولهذا يتنفل الانسان و يتعبد بما شاء حتى يسمع اقامة الصلاة المفروضة فيؤمر بها و يترك النافلة فهو دائما مع سيده بحكم عبودية الاضطرار كذا فى كتاب الجواهر للامام الشعرانى قدس سره (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك) الموصوفون بالصفات القبيحة (اصحاب الجحيم) بحيث لا يفارقونها ابدا وفيه دليل على ان الخلود فى النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا واراد بالكفر الكفر بالله فهو فى مقابلة الايمان بالله و بتكذيب الآيات تكذيب ما بايدى الرسل من الآيات الالهية وتكذيبها تكذيبهم فهو فى مقابلة الايمان والتصديق بالرسل وفيه وصف لهم بالوصفين القبيحين اللذين هما الكفر والتكذيب وفيه اشارة الى ان الذين كفروا بالذات وكذبوا بصفاتنا الكبرى كفراصر يحا بينا قلبا وسرا وروحا اولئك اصحاب جحيم البعد والطرد واللعن المخصوص بالخلود وعبر عن الصفات بالآيات لان الكتب الالهية صفات الله تعالى وايضا الانبياء عليهم السلام صفات الله من حيث انهم مظاهر اسمائه الحسنى وصفاته العليا وقس عليهم سائر المجالى والمرائى لكنهم متفاوتون فى الظهور بالكمال واذا كان تكذيب الانبياء وآياتهم مما يوجب الوعيد فكذا تكذيب الاولياء وآياتهم فان العلماء العاملين ورثة الانبياء والمرسلين والمراد بآيات الاولياء الكرامات العلية والكونية فالذين من معاصريهم وغير معاصريهم صدقوهم اولئك اصحاب النعيم والذين كذبوهم اولئك اصحاب الجحيم وهذه الآيات واصحابها لا تنقطع الى قيام الساعة فان باب الولاية مفتوح نسأل الله سبحانه ان يتولانا بعميم افضاله بحرمة النبى وآله (اعلموا) بدانيد اى طالبان دنيا (انما الحياة الدنيا) لفظ الحياة زائد والمضاف مضمر اى امور الدنيا و يجوز ان تجعل الحياة الدنيا مجازا عن امورها بعلاقة اللزوم وفى كشف الاسرار الحياة القربى فى الدار الاولى و بالفارسية زندكانىء اين سراى وماصلة فان المقصود الحياة فى هذه الدار فكل ما قبل الموت دنيا وكل ما تأخر عنه اخرى (لعب) اى عمل باطل تتعبون فيه انفسكم اتعاب اللاعب بلا فائدة * بازيچه ايست طفل فريب اين متاع دهر * بى عقل مردمانكه بدو مبتلا شوند (ولهو) تلهون به انفسكم وتشغلونها عما يهمكم من اعمال الآخرة (وزينة) من الملابس والمراكب والمنازل الحسنة تزينون بها (وتفاخر بينكم) بالانساب والاحساب تتفاخرون بها والفخر المباهة فى الاشياء الخارجة عن الانسان كالمال والجاه و يعبر عن كل نفيس بالفاخر كما فى المفردات (وتكاثر فى الاموال والاولاد) بالعدد والعدد يعنى ومباهات بكثرت اموال واولاد لاسيما التطاول بها على اولياء الله و بدانيد كه درانك زمانى آن بازى بر طرف شود ولهو وفرح بغم وترح مبدل كردد وريشها ازهمه فرو ريزد وتفاخر وتكاثر چون شرارهٔ آتش نابود شود وقيل لعب كلعب الصبيان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان قال على لعمار رضى الله عنهما لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاكبر طعامها العسل وهو ريقة ذبابة واكبر شرابها الماء و يستوى فيه جميع الحيوان واكبر الملبوس الديباج وهو نسج دودة واكبر المشموم المسك وهو دم ظبية واكبر المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال

واكبر المنكوح النساء و هو مبال وفى الحديث (مالى وللدنيا انما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب قام فى ظل شجرة فى يوم صائف ثم راح وتركها * جهان اى پسر ملك جاويد نيست * زدنيا وفادارى اميد نيست (كمثل غيث) محل الكاف النصب على الحالية من الضمير فى لعب لان فيه معنى الوصف اى تثبت لهاهذه الاوصاف مشبهة غيثا اوخبر مبتدأ محذوف اى هى كمثل او خبر بعد خبر للحياة الدنيا والغيث مطر محتاج اليه يغيث الناس من الجدب عند قلة المياه فهو مخصوص بالمطر النافع بخلاف المطر فانه عام (اعجب الكفار) اى الحراث قال الازهرى العرب تقول للزارع كافر لانه يكفر اى يستر بذره بتراب الارض والكفر فى اللغة التغطية ولهذا يسمى الكافر كافرا لانه يغطى الحق بالباطل والكفر القبر لسترها الناس وفى الحديث (اهل الكفور اهل القبور) و الليل كافر لستره الاشخاص (نباته) اى النبات الحاصل منه والمراد الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذارأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فأعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا وقد منع فى بعض المواضع عن اظهار الزينة صونا لقلوب الضعفاء كما فى الاعراس ونحوها (ثم يهيج) اى يجف بعد خضرته ونضارته بآفة سماوية اوارضية يقال هاج النبت يهيج هيجا وهيجانا وهياجا بالكسر يبس والهائجة ارض يبس بقلها اواصفر واهاجه أيبسه وأهيجها وجدها هائجة للنبات (فتراه مصفرا) بعدمارأيته ناضرا مونقاوانمالم يقل فيصفر ايذانابأن اصفراره مقارن لجفافه وانما المرتب عليه رؤيته كذلك (ثم يكون) پس كردد بعداززردى (حطاما) درهم شكسته وكوفته و ريزه ريزه شده قال فى القاموس الحطم الكسر اوخاص باليابس فالآية تحقير لامور الدنيا اعنى مالايتوصل به الى الفوز الآجل ومنه المثل و بيان انها امور خيالية اى باطلة لاحقيقة لها وعن على رضى الله عنه الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا قليلة النفع سريعة الزوال لايركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بهاوتمثيل لحالها فى سرعة تقضيها وقلة نفعها بحال النبات المذكور زينة الحياة الدنيا هى زينة الله الاانها تختلف بالقصد وهى محبوبة بالطبع فاذا تحرك العبد اليها بطبعه كانت زينة الحياة الدنيا فذم بذلك وان كانت غير محرمة شرعا واذا تحرك اليها بامر من ربه كانت زينة الله وحمد بها وذلك لان امر الله وكل مايرجع اليه جد كله والحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر وفخر الانسان على مثله انما هو من جهله بحقيقته فهذا سبب الذم قال بعض الكبار الشهوات سبع وهى ماذكر فى قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وقدانزلها الله الى خمس فى هذه الآية وهى اعلموا انما الحياة الدنيا الخ ثم انزل هذه الخمس الى امرين فى آية اخرى كما قال فى سورة محمد انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم جعل هذين الامرين امرا واحدا فى قوله تعالى فامامن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فالهوى جامع لانواع الشهوات فمن تخلص من الهوى من كل قيد و برزخ بلغ مسالك الوصول الى المطلب الاعلى والمقصد الاقصى (وفى الآخرة عذاب شديد) لمن اقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة وقدم ذكر العذاب لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من احوال الحياة الدنيا (ومغفرة) عظيمة كائنة (من الله ورضوان) كثير لايقادر قدره لمن اعرض عنها وقصد بها الآخرة بل لله تعالى فان الدنيا والآخرة حرامان على اهل الله اى طالب دنيا تو بسى مغرورى * وى مائل عقبى تو يكى مزدورى * وى انكه زميل هردو عالم دورى * توطلب نور بلكه عين نورى * وفيه اشارة الى فضل النية الحسنة وانها تحيل المباح ونحوه طاعة قال بعض الكبار من استقامت سريرته وصلحت نيته ادرك جميع ماتمناه من الاعمال الصالحة وفى الخبر من نام على طهارة وفى عزمه انه يقوم من الليل فأخذ الله بنفسه الى الصباح كتب الله له قيام ليلة وورد مثل ذلك فيمن خرج لجهاد اوحج وتأمل الطباخ والخباز يقوم من الليل يهيئ الطعام والخبز للآكلين وهم نائمون وهو طالب للربح ناسيا حاجة الناس ولو كان ذابصيرة لفعل ذلك بقصد مصالح العباد وجعل ربحه ونفعه بحكم التبع والحاصل ان اهل الكسب سواء كانوا من اهل السوق اومن غيرهم ينبغى ان تكون نيتهم السعى فى مصالح العباد والتقوى بكسبهم على طاعة الله حتى يكونوا مأجورين فى ذلك ومن استرقه الكون بحكم مشروع كالسعى فى مصالح العباد والشكر لاحد من المخلوقين من جهة نعمة اسداها اليه فهو لم يبرح عن عبوديته لله تعالى لانه فى اداء واجب اوجبه الحق عليه وتعبد العبد لمخلوق عن امر الله لايقدح فى العبودية بخلاف من استرقه

الكون لغرض نفسى ليس للحق فيه رائحة امر فان ذلك يقدح فى عبوديته لله ويجب عليه الرجوع الى الحق تعالى قال بعض الكبار من ذم الدنيا فقد عق امه لان جميع الانكاد والشرور التى ينسبها الناس الى الدنيا ليس هو فعلها وانما هو فعل اولادها لان الشر فعل المكلف لافعل الدنيا فهى مطية العبد عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فهى تحب ان لايشقى احد من اولادها لانها كثيرة الحنو عليهم وتخاف ان تأخذهم الضرة الاخرى على غير اهبة مع كونها ماولدتهم ولا تعبت فى تربيتهم فمن عقوق اولادها كونهم ينسبون جميع افعال الخير الى الآخرة ويقولون اعمال الآخرة والحال انهم ماعملوا تلك الاعمال الافى الدنيا فللدنيا اجر المصيبة التى فى اولادها ومن اولادها فمن انصف من ذمها بل هو جاهل بحق امه ومن كان كذلك فهو بحق الآخرة اجهل وفى الحديث (اذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه) وقال بعضهم طلب الثواب على الاعمال بحسن النيات والرغبة فيه لايختص بالعامة بل لايتحاشى عنه الكمل لعلمهم ان الله تعالى انشأهم على امور طبيعية وروحانية فهم يطلبون ثواب ماوعد الله به ويرغبون فيه اثباتا للحكم الالهى فان المكابرة بالربوبية غير جائزة فهم مشاركون للعامة فى طلب الرغبة ويتميزون فى الباعث على ذلك فكان طلب العارفين ذلك لاعطاء كل ذى حق حقه ليخرجوا عن ظلم انفسهم اذا وفوها حقها فمن لم يوف نفسه حقها فقد نزل عن درجة الكمال وكان غاشا لنفسه (وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور) اى كالمتاع الذى يتخذ من نحو الزجاج والخزف مما يسرع فناؤه يميل اليه الطبع اول مارآه فاذا اخذه واراد ان ينتفع به ينكسر ويفنى (حكى) انه حمل الى بعض الملوك قدح فيروزج مرصعا بالجواهر لم يرله نظير وفرح به الملك فرحا شديدا فقال لمن عنده من الحكماء كيف ترى هذا قال اراه فقرا حاضرا ومصيبة عاجلة قال وكيف ذلك قال ان انكسر فهو مصيبة لاجبرلها وان سرق صرت فقيرا اليه وقد كنت قبل ان يحمل اليك فى امن من المصيبة والفقر فاتفق انه انكسر القدح يوما فعظمت المصيبة على الملك وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا ثم كونها متاع الغرور والخدعة انما هو لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة واما من اشتغل فيها بطلب الآخرة فهى له متاع بلاغ الى ماهو خير منها وهى الجنة فالدنيا غير مقصودة لذاتها بل لأجر الآخرة وفى الحديث (نعم المال الصالح للرجل الصالح (وفى المثنوى) مال راكز بهر حق باشى حمول * نعم مال صالح كفتش رسول * فاشغل العبد عن الآخرة فهو من الدنيا ومالا فهو من الآخرة قال بعض الكبار ورد خطاب الهى يقول فيه خلقت الخلق لينظروا الى مفاتيح الدنيا ومحاسن الناس فيؤديهم النظر فى مفاتيح الدنيا الى الزهد فيها ويؤديهم النظر فى محاسن الناس الى حسن الظن بهم فعكسوا القضية فنظروا الى محاسن الدنيا فرغبوا فيها ونظروا الى مساوى الناس فاغتابوهم (حكى) ان الشيخ اباالفوارس شاهين بن شجاع الكرمانى رحمه الله خرج للصيد وهو ملك كرمان فأمعن فى الطلب حتى وقع فى برية مقفرة وحده فاذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سباع فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب عنه فلما دنا اليه سلم عليه وقال له ياشاه ماهذه الغفلة عن الله اشتغلت بدنياك عن آخرتك وبلذتك وهواك عن خدمة مولاك انما اعطاك الله الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة الى الاشتغال عنه فبينما الشاب يحدثه اذ خرجت عجوز وبيدها شربة ماء فناولتها الشاب فشرب ودفع باقية الى الشاه فشربه فقال ماشربت شيأ الذمنه ولا ابرد ولا اعذب ثم غابت العجوز فقال الشاب هذه الدنيا وكلها الله الى خدمتى فما احتجت الى شئ الا احضرته الى حين يخطر ببالى اما بلغك ان الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يادنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه فلما رأى ذلك تاب واجتهد الى ان كان من اهل الله تعالى فان قلت ان الله تعالى خلق للانسان جميع مافى الارض ولاينبغى للعروس ان تجمع مانثر عليها بطريق الاعزاز والاكرام فمن عرف شأنه الجليل مانظر الى الامر الحقير القليل بل كان من اهل المروءة والهمة العالية فى الاعراض عما سوى الله تعالى والاقبال والتوجه الى الله تعالى (سابقوا) اى سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم فى المضمار وهو الميدان (الى مغفرة) عظيمة كائنة (من ربكم) اى الى اسبابها وموجباتها كالاستغفار وسائر الاعمال الصالحة اى بحسب وعد الله والا فالعمل نفسه غير موجب وفى دعائه عليه السلام اسألك عزائم مغفرتك اى ان توفقنى للاعمال التى تغفر لصاحبها لامحالة ويدخل فيها المسابقة الى التكبيرة الاولى مع الامام ونحوها سلمى قدس سره كفت كه وسيلهٔ مغفرت حضرت رسالت است عليه السلام بس حق

سبحانه وتعالى ميفرمايد كه شتاب نمايد بمتابعت او كه سبب آمرزش است * پيبر كسى را شفاعت كرست كه برجادهٔ شرع پيغمبرست * قال الشيخ الشهير بافتاده قدس سره ان الله تعالى ارسلنا من عالم الامر الى عالم الارواح ثم منه الى عالم الاجسام وخلقنا فى احسن تقويم واعطانا اختيارا جزئيا وقال ان كنتم صرفتم ذلك الاختيار الى جانب العبادات والطاعات والى طريق الوصول الى الحسنات ادخلكم الجنة واوصلكم الوصال ورؤية الجمال وامرنا بالاسراع الى تلك الطريق على وجه المبالغة فان صيغة المفاعلة للمبالغة وانما امر بمبالغة الاسراع لقلة عمر الدنيا وقد ذهب الانبياء والاولياء ونحن نذهب ايضا فينبغى ان نسرع فى طريق الحق لئلا يفوت الوصول الى الدرجات العالية بالاهمال والتكاسل وطريق الاسراع فى مرتبة الطبيعة الامتثال بالاوامر والاجتناب عن النواهى وفى مرتبة النفس تزكيتها عن الاخلاق الرديئة كالكبر والرياء والعجب والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه وتحليتها بالاخلاق المحمودة كالتواضع والاخلاص ورؤية التوفيق من الله والحلم والصبر والرضى والتسليم والعشق والارادة ونحوها وفى مرتبة الروح بتحصيل معرفة الله تعالى وفى مرتبة السر بنفى ماسوى الله تعالى وقال البقلى قدس سره دعاء المريدين الى مغفرته بنعت الاسراع ودعاء المشتاقين الى جماله بنعت الاشتياق وقد دخل الكل فى مضمنة الخطاب لان الكل قد وقعوا فى بحار الذنوب حين لم يعرفوه حق معرفته ولم يعبدوه حق عبادته فدعاهم جميعا الى التطهير فى بحر رحمته حتى صاروا متطهرين من غرورهم بانهم عرفوه فاذا وصلوا الى الله عرفوا انهم لم يعرفوه فيأخذ الله بايديهم بعد ذلك و يكرمهم بأنواع الطافه ثم ان المسابقة انما تكون بعد القصد والطلب (وفى المثنوى) كركران وكرشتابنده بود * آنكه كوينده است يابنده بود (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) اى كعرض سبع سموات وسبع ارضين لووصل بعضها ببعض على ان يكون اللام فى السماء والارض للاستغراق واذا كان عرضها كذلك فاظنك بطولها فان طول كل شئ اكثر من عرضه قال اسمعيل السدى رحمه الله لوكسرت السموات والارض وصرن خردلا فبكل خردلة لله جنة عرضها كعرض السموات والارض ويقال هذا التشبيه تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى نفوسهم مقدار السموات والارض وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية (اعدت) هيئت (للذين آمنوا بالله ورسله) فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل كما هو مذهب اهل السنة وان الايمان وحده كاف فى استحقاقها اذ لم يذكر مع الايمان شئ آخر ولكن الدرجات بالاعمال وفيه شئ فان الايمان بالرسل انما يكمل بالايمان بما فى ايديهم من الكتب الالهية والعمل بما فيها (ذلك) الذى وعد من المغفرة والجنة (فضل الله) وعطاؤه وهو ابتداء لطف بلاعلة (يؤتيه) تفضلا واحسانا (من يشاء) ايتاءه اياه من غير ايجاب لا كما زعم اهل الاعتزال (والله ذو الفضل العظيم) ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل الذى لاغاية وراءه والمراد منه التنبيه على ان عطاء العظيم عظيم والاشارة الى ان احدا لايدخل الجنة الابفضل الله نبيا اووليا قال عليه السلام خرج من عندى خليلى جبرآئيل عليه السلام آنفا فقال يا محمد والذى بعثك بالحق ان عبدا من عباد الله عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل يحيط به بحر فأخرج الله له عينا عذبة فى اسفل الجبل وشجرة رمان كل يوم تخرج رمانة فاذا امسى نزل واصاب من الوضوء واخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام للصلاة فسأل ربه ان يقبض روحه ساجدا وان لايجعل للارض ولا لشئ على جسده سبيلا حتى يبعثه الله وهو ساجد ففعل ونحن نمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا وهو على حاله فى السجود قال جبريل فنحن نجد فى العلم انه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدى الله فيقول له الرب ادخلوا عبدى الجنة برحمتى فيقول العبد بل بعملى فيقول الله قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد احاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت عليه النعم الباقية بلاعبادة فى مقابلتها فيقول الله ادخلوا عبدى النار فيجر الى النار فينادى ويقول برحمتك ادخلنى الجنة فيقول الله ردوه الى فيوقف بين يديه فيقول عبدى من خلقك ولم تك شيأ فيقول انت يارب فيقول اكان ذلك بعملك اوبرحمتى فيقول بل برحمتك فيقول من قواك على عبادة خمسمائة سنة فيقول انت يارب فيقول من انزلك فى جبل وسط البحر واخرج الماء العذب من بين المالح واخرج لك رمانة كل ليلة وانما تخرج فى السنة مرة واحدة وسألتنى ان اقبضك ساجدا من فعل بك ذلك كله فيقول انت يارب قال فذلك كله برحمتى وبرحمتى ادخلك الجنة * چورو بى بخدمت نهى برزمين * خدا را ثنا كوى

وخودرا مبين * اميدى كه دارم بفضل خداست * كه برسعى خودتكيه كردن خطاست *
همين اعتمادم بيارئ حق * اميدم بامر زكارئ حق * (مااصاب من مصيبة فى الارض) مانافية
والمصيبة اصلها فى الرمية يقال اصاب السهم اذا وصل الى المرمى بالصواب ثم اختص بالنائبة اى ماحدث
من حادثة كائنة فى الارض كجدب وعاهة فى الزروع والثمار (ولا فى انفسكم) كمرض وآفة وموت ولد وخوف
عدو وجوع (الا فى كتاب) اى الامكتوبة مثبتة فى علم الله اوفى اللوح المحفوظ (من قبل ان نبرأها)
نخلق الانفس اوالمصائب اوالارض فان البرء فى اللغة هو الخلق والبارئ الخالق وذكر ربيع بن صالح الاسلمى
قال دخلت على سعيد بن جبير حين جئ به الى الحجاج حين اراد قتله فبكى رجل من قومه فقال سعيد مايبكيك
قال مااصابك قال فلا تبك قد كان فى علم الله ان يكون هذا الم تسمع قول الله تعالى مااصاب من مصيبة
فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها * قال فى الروضة رؤى الحجاج فى المنام بعد وفاته فقيل
مافعل الله بك فقال قتلنى بكل قتيل قتلة وبسعيد بن جبير سبعين قتلة وفى الآية دليل على ان جميع الحوادث
الارضية قبل دخولها فى الوجود وكذا جميع اعمال الخلق بتفاصيلها مكتوبة فى اللوح المحفوظ ليستدل
الملائكة بذلك المكتوب على كونه تعالى عالما بجميع الاشياء قبل وجودها وليعرفوا جلاله فانه تعالى مع علمه
انهم يقومون على المعاصى خلقهم ورزقهم وامهلهم وليحذروا من امثال تلك المعاصى وليشكروا الله
على توفيقه اياهم للطاعات وعصمته اياهم من المعاصى وفيها دليل ايضا انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها
لان اثباتها فى الكتاب محال ولوسأل سائل ان الله تعالى هل يعلم عدد انفاس اهل الجنة يقال له ان الله يعلم
انه لاعدد لانفاسهم (ان ذلك) اى اثباتها فى كتاب مع كثرتها (على الله) متعلق بقوله (يسير) لاستغنائه
فيه عن العدة والمدة وان كان عسيرا على العباد قال الجنيد قدس سره من عرف الله بالربوبية وافتقر اليه
فى اقامة العبودية وشهد بسره ما كشف الله له من آثار القدرة بقوله مااصاب الخ فسمع هذا من ربه وشهد
بقلبه وقع فى الروح والراحة وانشرح صدره وهان عليه مايصيبه فان قلت كان الله قادرا على ان يوصل
العباد اليه بلا تعب ولا مصيبة فكيف اوقعهم فى المحن والبلايا قلت اراد ان يعرفهم بامتحان القهر حقائق
الربوبية وغرائب الطرق اليه حتى يصلوا اليه من طريق الجلال والجمال ففى الآية توطين للنفوس على الرضى
بالقضاء والصبر على البلاء وحملها على شهود المبتلى فى عين البلاء فانه يسهل التحمل والا فمن كان غافلا
من مبدأ اللطف والقهر فهو غافل فى اللطف والقهر ولذا تعظم عليه المصيبة بخلاف حال اهل الحضور
فانهم يلتذون بالبلاء التذاذهم بالعافية بل ولذة البلاء فوق لذة العافية * ازدست تومشت بردهانم
خوردن * خوشتركه بدست خويش نانم خوردن * ومن امثال العرب ضرب الحبيب زبيب اى لذيذ
(لكيلا تأسوا) يقال اسى على مصيبته يأسى أسى من باب علم اى حزن اى اخبرناكم باثباتها وكتابتها فى كتاب
كيلا يحصل لكم الحزن والألم (على مافاتكم) من نعم الدنيا كالمال والخصب والصحة والعافية (ولا تفرحوا
بما آتاكم) اى اعطاكم الله منها فان من علم ان كلا من المصيبة والنعمة مقدر يفوت ماقدر فواته و يأتى ماقدر
اتيانه لامحالة لا يعظم جزعه على مافات ولا فرحه بما هو آت اذ يجوزان يقدر ذهابه عن قريب وقيل لبزرجمهر
ايها الحكيم مالك لاتحزن على مافات ولا تفرح بما هو آت قال لان الفائت لايتلافى بالعبرة والآتى لايستدام
بالحبرة اى بالحبور والسرور ولا التأسف يرد فائتا ولا الفرح يقرب معدوما قال ابن مسعود رضى الله عنه
لأن امس جمرة احرقت مااحرقت وابقت ماابقت احب الى من ان اقول لشئ لم يكن ليته كان (قال الكاشفى)
اخبارست بمعنى نهى يعنى ازاد بار دنيا ملول واز اقبال او مسرور مشو بدكه نه آنرا قرار يست ونه اين را اعتبارى
كردست دهد كراى شادى نكند * ورفوت شودنيز زدبغمى * وازمرتضى رضى الله عنه منقولست كه
هركه بدين آيت كاركند هرآينه فراكيرد هدا ورا بهردو طرف او يعنى زاهدى تمام باشد وچه زيبا كفته اند
مال ار بتوروى نهد مشوشادازان * ورفوت شود مشو بفريادازان * پندست پسنديده بكن يادازان
ازان * تادنى ودينت شودا باد ازان * والمراد بالآية نفى الأسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح
الموجب للبطر والاختيال ولذا عقب بقوله تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) فان من فرح بالحظوظ
الدنيوية وعظمت فى نفسه اختال وافتخر بها لامحالة والمختال المتكبر المعجب وهو من الخيلاء وهو التكبر

من تخيل فضيلة تتراءى للانسان من نفسه ومنها بتأول لفظ الخيل لما قيل انه لا يركب احد فرسا الا وجد فى نفسه نخوة و بالفارسية وبخداى تعالى دوست ندارد هر متكبرى را كه برنعمت دنيا برديكرى تطاول كند فخور نازنده بدنيا وفخر كننده بدان بر اكفاء واقران قال فى بحر العلوم المختال ذو الخيلاء والكبر وهو من العام المخصوص بدليل قول النبى عليه السلام ان من الخيلاء ما يحبها الله ومنها ما يبغضها الله اما الخيلاء التى يحبها الله الاختيال عند الصدقة واختيال الرجل بنفسه عند اللقاء واما الخيلاء التى يبغضها الله فالاختيال فى البغى والفجور اى لا يحب كل متكبر بما اوتى من الدنيا فخور مبالغ فى الفخر به على الناس انتهى وصف بعض البلغاء متكبرا فقال كأن كسرى حامل غاشيته وقارون وكيل نفقته و بلقيس احدى دايانه وكأن يوسف لم ينظر الا بمقلته ولقمان لم ينطق الا بحكمته وكأن الخضراء له عرشت والغبراء باسمه فرشت وفى تخصيص التذييل بالنهى عن الفرح المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى وفى الآية اشارة الى انه يلزم ان يثبت الانسان على حال فى السراء والضراء فان كان لابدله من فرح فليفرح شكرا على عطائه لا بطرا وان كان لابد من حزن فليحزن صبرا على قضائه لا ضجرا قال قتيبة بن سعيد دخلت على بعض احياء العرب فاذا انا بفضاء مملوء من الابل الميتة بحيث لا تحصى ورأيت شخصا على تل يغزل صوفا فسألته فقال كانت باسمى فارتجعها من اعطاها ثم انشاء يقول

لا والذى انا عبد من خلائقه * والمرء فى الدهر نصب الرزء والمحن

ما سرنى ان ابلى فى مباركها * وماجرى من قضاء الله لم يكن

قال البقلى قدس سره طالب الله بهذه الآية اهل معرفته بالاستقامة والاتصاف بصفاته اى كونوا فى المعرفة بان لا يؤثر فيكم الفقدان والوجدان والقهر واللطف والاتصال والانفصال والفراق والوصال لان من شرط الاتصاف ان لا يجرى عليه احكام التلوين والاضطراب فى اليقين والاعوجاج فى التمكين قال القاسم رحمه الله ولا تأسوا على ما فاتكم من اوقاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم من توبتكم وطاعتكم فانك لا تدرى ما قدر الله فيك وقضى وقال الواسطى رحمه الله الفرح بالكرامات من الاغترارات والتلذذ بالافضال نوع من الاغفال والجمود تحت جريان الامور زين لكل مأمور وقال شيخى وسندى رحمه الله فى كتاب اللائحات البرقيات لا تحزنوا بما فاتكم مما سوى الله ولا تفرحوا بما آتاكم مما عدا الله حتى لا تظلموا الحزن والفرح بوضعهما فى غير موضعهما واحزنوا بما فاتكم من الله وافرحوا بما آتاكم من الله حتى تعدلوا فيهما بوضعهما فى موضعهما لان الله تعالى حق وما خلاه باطل فكما ان الحزن والفرح بالحق حق وعدل لهما والفاعل للحق محق وعادل فكذلك ان الحزن والفرح بالباطل باطل وظلم لهما والفاعل بالباطل مبطل وظالم ولا يفرح ولا يحزن بالله الا المهاجرون الى الله ولا يحزن ولا يفرح بما سوى الله الا المعرضون عن الله فعليك بسبيل العادلين فى جميع احوالك واياك وطريق الظالمين ومما سوى الله المال والملك قال الحسن رضى الله عنه لصاحب المال فى ماله مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما يسلب عن كله ويسأل عن كله * همه تخت وملكى پذيرد زوال * بجز ملك فرمان ده لا يزال * هنر بايد وفضل ودين وكمال * كه كاه آيد وكه رود جاه ومال *

(حكى) ان طيرا فى عهد سليمان عليه السلام كان له صورة حسنة وصوت حسن اشتراه رجل بالف درهم وجاء طير آخر فصاح صيحة فوق قفصه وطار فسكت الطير وشكا الرجل الى سليمان فقال احضروه فلما احضروه قال سليمان لصاحبك عليك حق فقد اشتراك بثمن غال فلم سكت قال يا نبى الله قل له حتى يرفع قلبه عنى انى لا اصيح ابدا ما دمت فى القفص قال لم قال لان صياحى كان من الجزع الى الوطن والاولاد وقد قال لى ذلك الطير انما حبسك لاجل صوتك فاسكت حتى تنجو فقال سليمان للرجل ما قال الطير فقال الرجل ارسله يا نبى الله فانى كنت احبه لصوته فاعطاه سليمان الف درهم ثم ارسل الطير فطار وصاح سبحان من صورنى وفى الهواء طيرنى ثم فى القفص صيرنى ثم قال سليمان ان الطير ما دام فى الجزع لم يفرج عنه فلما صبر فرج عنه وبسببه خلص الرجل من التعلق به ففيه اشارة الى الفناء عن اوصاف النفس فاذا فنى العبد عنها تخلص من الاضطراب وجاز الى عالم السكون ومعرفة سر القدر وفى الحديث (الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن) قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم قدس سره ولقد مرضت فى سالف ايامى مرضة فلما شفانى الله منها مثلت نفسى بين ما دبر الله لى

من هذه العلة فى مقدار هذه المدة وبين عبادة الثقلين فى مقدار ايام علتى فقلت او خيرت بين هذه العلة وبين ان تكون لى عبادة الثقلين فى مقدار مدتها الى ايهما تميل اختيارا فصح عزمى ودام يقينى ووقعت بصيرتى على ان مختار الله تعالى لى اكثر شرفا واعظم خطرا وانفع عاقبة وهى العلة التى دبرها لى ولا شوب فيها اذ كان فعله فشتان بين فعله بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو به فلما رأيت هذا دق فى عينى عبادة الثقلين مقدار تلك المدة فى جنب ما آتانى الله فصارت العلة عندى نعمة وصارت النعمة منة وصارت المنة املا وصار الامل عطفا فقلت فى نفسى بهذا كانوا يسترون فى البلاء على طيب النفوس مع الحق وبهذا الذى انكشف كانوا يفرحون بالبلاء انتهى (قال الصائب) ترك هستى كن كه آسود دست ازتاراج سيل * هركه پيش ازسيل رخت خودبرون ازخانه ريخت (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به وهذا غاية الذم انه يبخل الانسان ويأمر غيره بالبخل والمعنى يمسكون اموالهم ولا يخرجون منها حق الله فان البخل امساك المقتنيات عما يحق اخراجها فيه ويقابله الجود يقال بخل فهو باخل واما البخيل فالذى يكثر منه البخل كالرحيم من الراحم والبخل ضربان بخل بقنيات نفسه وبخل بقنيات غيره وهو اكثرهما وعلى ذلك قوله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل كما فى المفردات وبالفارسية مختال وفخور انانند كه باوجود دنيا دارى وجمع اسباب آن بخل كنند ومال خود درراه خدا صرف نمى كنند وباوجود بخل خود امر مى كنند مردمان را به بخيلى كردن وعن النبى عليه السلام انه قال لبنى سلمة من سيدكم قالوا الجد بن قيس وانا نبخله فقال واى داء ادوأ من البخل بل سيدكم الجعد الابيض عمر بن الجموح وفى الحديث اربعة لا يجدون ريح الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام البخيل والمنان ومدمن الخمر والعاق للوالدين (ومن) وهركه (يتول) يعرض عن الانفاق (فان الله هو الغنى) عنه وعن انفاقه (الحميد) المحمود فى ذاته لا يضره الاعراض عن شكره ولا ينفعه التقرب اليه بشىء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق واشارة الى ان من اعرض عن الاقبال على الله والادبار عن الانفاق فان الله غنى بحسب ذاته عن اقباله وبحسب صفاته عن ادباره بل هو حميد فى ذاته وصفاته لا ينفعه اقباله ولا يضره ادباره اذ الضار النافع هو لا غيره وايضا الى النفوس البشرية الامارة بالسوء بالتقاعد عن الاقدام على الطاعة والعبادة ودعوة القلوب والارواح الى الارتكاب للمعاصى والاجتناب عن الطاعات بحسب الغلبة فى بعض الاوقات لاستهلاك القوى الروحانية بحسب ظلمات القوى الجسمانية قال بعض الكبار الانسان من حيث نشأته الطبيعية سعيد وكذلك من حيث نفسه الناطقة ما دامت كل نشأة منفردة عن صاحبتها فاظهرت الخلقة الا بالمجموع ولما جبل الانسان على الامساك لان اصله التراب وفيه يبس وقبض لم يرض بذهاب مال نفسه وغيره فلذا بخل وامر بالبخل * زراز بهر خوردن بود اى پدر * زبهر نهادن چه سنك وچه زر (لقد ارسلنا رسلنا) اى الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر كما فى الارشاد (بالبينات) بحجتهاء روشن كه معجزاتست باشر يعتهاء واضحه فان قلت المعجزات يخلقها الله على يدى مدعى النبوة كاحياء الموتى وقلب العصا واليد البيضاء وشق القمر من غير نزول الملك بها نعم معجزة القرآن نزل بها الملك ولكن نزوله بها على كل رسول غير ثابت قلت معنى نزول الملك بها ان الله يخبره على لسانه بوقوع تلك المعجزة على يده (وانزلنا معهم الكتاب) اى جنس الكتاب الشامل للكل لتبيين الحق وتمييز صواب العمل اى لتكميل القوة النظرية والعملية * قوله معهم يحمل على تفسير الرسل بالانبياء حالا مقدرة من الكتاب اى مقدرا كونه معهم والا فالانبياء لم ينزلوا حتى ينزل معهم الكتاب فالنزول مع الكتاب شأن الملائكة والانزال اليهم شأن الانبياء ولذا قدم الوجه الاول اذ لو كان المعنى لقد ارسلنا الانبياء الى الامم لكان الظاهر ان يقال وانزلنا اليهم الكتاب (والميزان) بالفارسية ترازو (ليقوم الناس بالقسط) ليتعاملوا بينهم بالعدل ايفاء واستيفاء ولا يظلم احد احدا فى ذلك وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده والا فالميزان من مصنوعات البشر وليس بمنزل من السماء (وروى) ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان نفسه فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به يعنى تا آنرا وسيله حقوق كنند بدان درميان يكديكر بوقت معاملات وقال الامام الغزالى رحمه الله اتظن ان الميزان المقرون بالكتاب هو ميزان البر والشعير والذهب والفضة ام تتوهم انه هو الطيار والقبان

مالبعد هذا الحسبان واعظم هذا البهتان فاتق الله ولا تتعسف فى التأويل واعلم يقينا ان هذا الميزان هو ميزان معرفة الله ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته ليتعلم كيفية الوزن به من انبيائه كما تعلموا من ملائكته فالله هو المعلم الاول والثانى جبرائيل والثالث الرسول والخلق كلهم يتعلمون من الرسول مالهم طريق فى المعرفة سواه والكل عبارته بلا تغيير وليت شعرى مادليله على ماذهب اليه من العدول عن الظاهر كذا فى بحر العلوم يقول الفقير لعل دليله قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط اى حاكما بالعدل او مقيما للعدل فى جميع اموره فاذا كان الله قائما بالعدل فى جميع الامور كان الواجب على العباد ان يقوموا به ايضا ولن يقوموا به حقيقة الا بعد العلم الشامل والمعرفة الكاملة وهى معرفة الله فهى الميزان الكلى وماعداه من جميع الامور مبنى عليه وموزون به (وانزلنا الحديد) قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد الاول السندان وهو سندان الحداد بالفتح كما فى القاموس واياه عنى الشيخ سعدى فى قوله

چو سندان كسى سخت روبى نبرد * كه خايسك تأديب برسر نخورد *

والثانى الكلبتان وهو ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى كما فى القاموس والثالث الميقعة بكسر الميم بعدها ياء مثناة تحتانية اصله موقعة قال فى القاموس الميقعة خشبة القصار يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل وقد وقعته بالميقعة فهو وقيع حددته بها والرابع المطرقة وهى آلة الطرق اى الضرب والخامس الابرة وهى مسلة الحديد وروى ومعه المر والمسحاة قال فى القاموس المر بالفتح المسحاة وهى ماسحى به اى قشر وجرف وفى الحديث ان الله انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثلاثة اشياء نزلت مع آدم عليه السلام الحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج وعصا موسى وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع والحديد وعن الحسن رحمه الله وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره وقضاياه واحكامه تنزل من السماء قال بعضهم واخرجنا الحديد من المعادن لان العدل انما يكون بالسياسة والسياسة مفتقرة الى العدة والعدة مفتقرة الى الحديد واصل الحديد ماء وهو منزل من السماء (فيه) اى فى الحديد (بأس شديد) وهو القتال به او قوة شديدة يعنى السلاح للحرب لان آلات الحرب انما تتخذ منه وبالفارسية كارزار سخت است يعنى آلتها كه دركار زار بكار آيد از وسازند خواه از براى دفع دشمن چون سنان ونيزه وشمشير وپيكان وخنجر وامثال آن وخواه براى حفظ نفس خود چون زره وخود وجوشن وغير آن وفيه اشارة الى ان تمشية قوانين الكتاب واستعمال آلة التسوية يتوقفان على دال صاحب سيف ليحصل القيام بالقسط فان الظلم من شيم النفوس والسيف حجة الله على من عنده ظلم (ومنافع للناس) كالسكين والفأس والمر والابرة ونحوها وما من صنعة الا والحديد اوما يعمل بالحديد آلتها وفيه اشارة الى ان القيام بالقسط كما يحتاج الى القائم بالسيف يحتاج ايضا الى مابه قوام التعايش من الصنائع وآلات المحترفة والى سيف الجذبة المتخذ من حديد القهر اذ لابد لكل تجلى جلالى من كون التجلى الجمالى فيه وبالعكس وهم الاولياء وهم يميلون الى الحق بكثرة الالطاف والاعطاف الربانية كما قال تعالى يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين (وليعلم الله من ينصره ورسله) عطف على محذوف يدل عليه ماقبله فانه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة فى مجاهدة اعدائه (بالغيب) حال من فاعل ينصر اى غائبين عنه تعالى كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه وانما يحمد ويثاب من اطاع بالغيب من غير معاينة للمطاع اومن مفعوله اى حال كونه تعالى غائبا عنهم غير مرئى لهم (ان الله قوى) على اهلاك من اراد اهلاكه (عزيز) لا يفتقر الى نصرة الغير وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه والقوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف وهى فى حق الله بمعنى القدرة وهى الصفة التى بها يتمكن الحى من الفعل وتركه بالارادة والعزة الغلبة على كل شئ قال الزروقى رحمه الله القوى هو الذى لا يلحقه ضعف فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله فلا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز فى نقض ولا ابرام وخاصية هذا الاسم ظهور القوة فى الوجود فما تلاه ذو همة ضعيفة الا وجد القوة ولا ذو جسم ضعيف الا كان له ذلك ولو ذكره مظلوم بقصد اهلاك الظالم الف مرة كان له ذلك وكفى امره وخاصية الاسم العزيز وجود الغنى والعز صورة اومعنى لمن ذكره

اربعين يوما فى كل يوم اربعين مرة اعانه الله واعزه فلم يحوجه لأحد من خلقه وفى الاربعين الادر يسية ياعزيز المنيع الغالب على امره فلاشئ يعادله قال السهر وردى رحمه الله من قرأه سبعة ايام متواليات كل يوم الفا اهلك خصمه وان ذكره فى وجه العسكر سبعين مرة ويشير اليهم بيده فانهم ينهزمون (ولقد ارسلنا) اى وبالله قد بعثنا (نوحا) الى قومه وهم بنو قابيل وهو الأب الثانى (وابراهيم) الى قومه ايضا وهم نمرود ومن تبعه ذكر الله رسالتهما تشريفا لهما بالذكر ولانهما من اول الرسل وابوان للانبياء عليهم السلام فالبشر كلهم من ولد نوح والعرب والعبرانيون كلهم من ولد ابراهيم (وجعلنا فى ذريتهما) اى فى نسلهما (النبوة والكتاب) بأن استنبأنا بعض ذريتهما واوحينا اليهم الكتب مثل هود وصالح وموسى وهرون وداود وغيرهم فلا يوجد نبي ولا كتاب الا وهو مدلى اليهما بأمتن الاسباب واعظم الانساب (فمنهم) اى فمن ذرية هذين الصنفين اومن المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين يعنى بس بعضى ازانها كه انبياء از ايشان آمدند (مهتد) الى الحق يعنى ايمان آورده بكتاب ونبى وثابت شد بردين خود (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الطريق المستقيم فيكونون ضالين لامحالة (ثم قفينا على آثارهم رسلنا) اى ثم ارسلنا بعدهم رسلنا والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم من الامم يعنى بعد از نوح وهود صالح را وبعد از ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف را اومن عاصرهما من الرسل ولا يعود الى الذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية يقال قفا اثره اتبعه وقفى على اثره بفلان اى اتبعه اياه وجاء به بعده والآثار جمع اثر بالكسر تقول خرجت على اثره اى عقبه فالمعنى اتبعنا من بعدهم واحدا بعد واحد من الرسل قال الحريرى فى درة الغواص يقال شفعت الرسول بآخر اى جعلتهما اثنين فاذا بعثت بالثالث فوجه الكلام ان يقال عززت بثالث اى قويت كما قال تعالى فعززنا بثالث فان واترت الرسل فالاحسن ان يقال قفيت بالرسل كما قال تعالى ثم قفينا على آثارهم رسلنا (وقفينا بعيسى ابن مريم) اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى ابن مريم فأتينا به بعدهم يعنى وازپى درآورديم اين رسل را وتمام كرديم انبياء بنى اسرآئيل را بعيسى ابن مريم فأول انبياء بنى اسرآئيل موسى وآخرهم عيسى (وآتيناه الانجيل) دفعة واحدة (وجعلنا فى قلوب) المؤمنين (الذين اتبعوه) اى عيسى فى دينه كالحواريين واتباعهم (رأفة) وهى اللين (ورحمة) وهى الشفقة اى وفقنا رأفة اى اشد رقة على من كان يتسبب الى الاتصال بهم ورحمة اى رقة وعطفا على من لم يكن له سبب فى الصلة بهم كما كان الصحابة رضى الله عنهم رحماء بينهم حتى كانوا اذلة على المؤمنين مع ان قلوبهم فى غاية الصلابة فهم اعزة على الكافرين قيل امروا فى الانجيل بالصفح والاعراض عن مكافأة الناس على الاذى * بدى را بدى سهل باشد جزا * اگر مردى احسن الى من اسا * وقيل لهم من لطم خدك الأيمن فوله خدك الأيسر ومن سلب رداءك فأعطه قميصك ولم يكن لهم قصاص على جناية فى نفس اوطرف فاتبعوا هذه الاوامر واطاعوا الله وكانوا متوادين ومتراحمين ووصفوا بالرحمة خلاف اليهود الذين وصفوا بالقسوة (ورهبانية) منصوب اما بفعل مضمر يفسره الظاهر اى وابتدعوا اى اتباع عيسى رهبانية (ابتدعوها) اى حملوا انفسهم على العمل بها واما بالعطف على ماقبلها وابتدعوها صفة لها اى وجعلنا فى قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها قال فى فتح الرحمن المعتزلة تعرب رهبانية على انها نصب باضمار فعل يفسره ابتدعوها وليست بمعطوفة على رأفة ورحمة ويذهبون فى ذلك الى ان الانسان يخلق افعاله فيعربون الآية على مذهبهم انتهى والرهبانية المبالغة فى العبادة بمواصلة الصوم ولبس المسوح وترك اكل اللحم والامتناع عن المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد فى الغيران ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان بالفتح وهو الخائف فان الرهبة مخافة مع تحرز واضطراب كما فى المفردات فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرئ بضم الراء كأنها نسبة الى الرهبان جمع راهب كراكب وركبان ولعل التردد لاحتمال كون النسبة الى المفتوح والضم من تغيير النسب يعنى ان الرهبان لما كان اسما لطائفة مخصوصة صار بمنزلة العلم وان كان جمعا فى نفسه فالحق بانصار واعراب وفرائض فقيل رهبانى كما قيل انصارى واعرابى وفرائضى بدون رد الجمع الى واحده فى النسبة وقال الراغب فى المفردات الرهبان يكون واحدا وجمعا فمن جعله واحدا جمعه على رهابين ورهبانية بالجمع أليق انتهى وهى الخصال المنسوبة الى الرهبان

وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى فقاتلوا ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانية فى قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة منتظرين البعثة النبوية التى وعدها لهم عيسى عليه السلام كما قال تعالى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد الآية (وروى) ان الله لما غرق فرعون وجنوده استأذن الذين كانوا آمنوا من السحرة موسى عليه السلام فى الرجوع الى الاهل والمال بمصر فاذن لهم ودعا لهم فترهبوا فى رؤس الجبال فكانوا اول من ترهب وبقيت طائفة منهم مع موسى عليه السلام حتى توفاه الله ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدعها بعد ذلك اصحاب المسيح عليه السلام (ما كتبناها عليهم) جملة مستأنفة والنفى متوجه الى اصل الفعل اى ما فرضنا عليهم تلك الرهبانية فى كتابهم ولا على لسان رسولهم (الا) استثناء منقطع اى لكن ابتدعوها (ابتغاء رضوان الله) اى لطلب رضاه تعالى (فما رعوها حق رعايتها) اى فما رعوا جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه السلام ونحوها اليه قال عليه السلام من آمن بى وصدقنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون قال مقاتل لما استضعفوا بعد عيسى التزموا الغيران فاصبروا واكلوا الخنازير وشربوا الخمور ودخلوا مع الفساق وفى المناسبات فما رعوها اى لم يحفظها المقتدون بهم بعدهم كما اوجبوا على انفسهم حق رعايتها اى بكمالها بل قصروا فيها ورجعوا عنها ودخلوا فى دين ملوكهم ولم يبق على دين عيسى عليه السلام الا القليل ذمهم الله بذلك من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه سيما اذا قصد رضاه تعالى (فآتينا الذين آمنوا منهم) اى من العيسيين ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله عليه السلام بعد رعاية رهبانيتهم لا بمجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها استتباع الاجر قال فى كشف الاسرار لما بعث النبى عليه السلام ولم يبق منهم الا القليل حط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير وديره فآمنوا به والصومعة كل بناء متصومع الرأس اى متلاصقه والدير خان النصارى وصاحبه ديار (اجرهم) اى ما يحسن ويليق بهم من الاجر وهو الرضوان (وكثير منهم) اى من العيسيين وهم الذين ابتدعوا فضيعوا وكفروا بمحمد عليه السلام (فاسقون) خارجون عن حد الاتباع وهم الذين تهودوا وتنصروا قال فى تفسير المناسبات وكذلك كان فى هذه الامة فانه لما توفى رسول الله تبعه خلفاؤه باحسان فلما مضت الخلافة الراشدة وتراكمت الفتن كما اخبر عليه السلام واشتد البلاء على المتمسكين بصريح الايمان ورجم البيت بحجارة المنجنيق وهدم وقتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنه واستبيحت مدينة رسول الله عليه السلام ثلاثة ايام وقتل فيها خيار المسلمين رأى المؤمنين العزلة واجبة فلزموا الزوايا والمساجد وبنوا الربط على سواحل البحر واخذوا فى الجهاد للعدو والنفوس وعالجوا تصفية اخلاقهم ولزموا الفقر اخذا من احوال اهل الصفة وتسموا بالصوفية وتكلموا على الورع والصدق والمنازل والاحوال والمقامات فهؤلاء وزان اولئك انتهى وفى الحديث يا ابن ام معبد اتدرى ما رهبانية امتى قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع (روى) ان نفرا من الصحابة رضى الله عنهم اخذهم الخوف والخشية حتى أراد بعضهم ان يعتزل عن النساء وبعضهم الاقامة فى رؤوس الجبال وبعضهم ترك الاكل والشرب وبعضهم غير ذلك فنهاهم عليه السلام عن ذلك كله وقال لا رهبانية فى الاسلام وقال رهبانية امتى فى المسجد يعنى المتعبدون من امتى لا يأخذون مأخذ النصارى بل يعتكفون فى المساجد دون رؤوس الجبال وقال فى نفى صوم الوصال انى لست كهيئتكم انى ابيت لى مطعم يطعمنى وساق يسقينى (وفى المثنوى) هين مكن خودرا خصى رهبان مشو * زانكه عفت هست شهوت راكرو * بى هواى ازهوا ممكن نبود * غازبى برمرد كان نتوان نمود * پس كلوا ازبهر دام شهوتست * بعد ازان لا تسرفوا آن عفتست * چونكه رنج صبر نبود مر ترا * شرط نبود پس فروناید جزا * حبذا آن شرط وشادا آن جزا * آن جزاى دلنواز جان فزا * قال الشافعى رحمه الله اربعة لا يعبأ الله بهم يوم القيامة زهد خصى وتقوى جندى وامانة امرأة وعبادة صبى وهو محمول على الغالب كما فى المقاصد الحسنة ثم ذكر لا تنبغى الخلوة والعزلة قال فى الاحياء لما بنى عروة قصره بالعقيق وهو كأمير موضع بالمدينة لزمه فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله فقال رأيت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة فى فجاجكم عالية وفيما هناك عما انتم

عما اثم فيه عافية (وحكى) ان جماعة من السلف مثل مالك وغيره تركوا اجابة الدعوات وعيادة المرضى والجنائز بل كانوا احلاس بيوتهم لايخرجون الا الى الجمعة و زيارة القبور و بعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل واختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات فى الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضى لزوم الهجرة وفى الآية دليل على ان الشروع فى نفل العبادة ملزم وان من شرع فيما ليس عليه ثم تركه استحق اسم الفسق والوعيد فيجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لايحل نكثه (وروى) عن بعض الصحابة رضى الله عنهم عليكم باتمام هذه التراويح لانها لم تكن واجبة عليكم وقد اوجبتموها على انفسكم فانكم ان تركتم صرتم فاسقين ثم قرأ هذه الآية وكثير منهم فاسقون يقول الفقير وهكذا شأن الصلاة المعروفة بالرغائب والبراءة والقدر فانها ملحقة بالتراويح لكونها من صلاة الليل وقد كانت سنة مسلوكة للعلماء بالله فلا تترك ابدا عند من اعتقد اعتقادهم قال فى فتح الرحمن واختلف الائمة فيما اذا انشأ صوما اوصلاة تطوعا فقال ابو حنيفة لم يجز له الخروج منه فان افسده فعليه القضاء لقوله تعالى ولاتبطلوا اعمالكم وقال مالك رحمه الله كذلك الا انه اعتبر العذر فقال ان خرج منه لعذر فلا قضاء والا وجب وقال الشافعى واحمد رحمهما الله متى انشأ واحدا منهما استحب اتمامه فان خرج منه لم يجب عليه قضاء على الاطلاق واما اذا كان التطوع حجا او عمرة فيلزم اتمامه فان افسده وجب قضاؤه لوجوب المضى فى فاسده انتهى قال بعض الكبار جميع ما ابتدع من السنة الحسنة على طريق القربة الى الله تعالى داخل فى الشريعة التى جاءت بها الرسل عن امر الله قال تعالى ورهبانية الخ فأقرهم تعالى عليها ولم يعب عليهم فعلها انما عاب عليهم عدم رعايتهم لها فى دوام العمل فقط وخلع عليها اسم البدعة فى حقهم بخلاف هذه الامة خلع على ما استحسنوه اسم السنة تشريفا لهم كما قال عليه السلام من سن سنة حسنة وما قال من ابتدع بدعة حسنة فافهم فاجاز لنا ابتداع ما هو حسن وسماه سنة وجعل فيه اجرا لمن ابتدعه ولمن عمل به واخبر ان العابد لله تعالى بما يعطيه نظره اذا لم يكن على شرع من الله معين انه يحشر امة وحده بغير امام يتبعه كما قال تعالى فى ابراهيم ان ابراهيم كان امة قانتا لله وذلك لنظره فى الادلة قبل ان يوحى اليه وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فمن كان عليها فهو على شرع من ربه وان لم يعلم وقال بعضهم جميع ما ابتدعه العلماء والعارفون مما لم تصرح الشريعة بالامر به لايكون بدعة الا ان خالف صريح السنة فان لم يخالفها فهو محمود وذلك كحلق الرأس ولبس المرقعات والرياضة بقلة الطعام والمنام والمواظبة على الذكر والجهر به على الهيئة المشهورة ونحو ذلك من جميع اوصافهم فانها كلها نواميس حكمية لم يجئ بها رسول الله عليه السلام فى عموم الناس من عند الله لكونها طريقة اهل الخصوص السالكين طريق الحق وهذه الطريق لا تحتمل العامة الامر بها ولاتجب هى عليهم فقد علمت ان طريق القوم صادرة عن الله ولكن من غير الطريق الصريح النبوى ولولا انه عليه السلام فتح لامته باب الاستنان ما اجترأ احد منهم على ان يزيد حكما ولا وضعا ففى الصحيح من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها وقال بعضهم المقصود بالوضع الشرعى الالهى هو تكميل النفوس علما وعملا وهم اتوا بامور زائدة على الطريقة النبوية موافقة لها فى الغاية والغرض كالامور التى التزمها الصوفية فى هذه الامة بغير ايجاب من الله كتقليل الطعام وكثرة الصيام والاجتناب عن مخالطة الانام وقلة المنام والذكر على الدوام وقال بعضهم ما يصدر عن الواصل من الافعال شريعة وكذا الباقى فلابد من الاعتدال ولذلك قال عليه السلام الشريعة اقوالى والطريقة اطوارى والمعرفة رأس مالى والحقيقة نتيجة حالى وقال بعضهم لاتبتدع فيوجب الله ذلك الابتداع عليك وفى شرعنا من سن سنة حسنة فاسماها بدعة فان شرعنا قد قررها فليشكر الله صاحب هذه البدعة وليلزمها حيث الحقه تعالى بانبيائه ورسله واباح له ان يسن ما سنته الرسل مما يقرب الى الله تعالى ولايخفى ان الكامل من عباد الله من سد باب الابتداع ولم يزد فى التكاليف حكما واحدا موافقة لمراد الله ومراد رسول الله من طلب الرفق والرحمة وقال بعضهم لاتجعل وردك غير ما ورد فى الكتاب والسنة تكن من العلماء الادباء لانك حينئذ تجمع بين الذكر والتلاوة فيحصل لك اجر التالين والذاكرين فترك الكتاب والسنة مرتبة يطلبها الانسان من خير الدنيا والآخرة الا وقد ذكرها فمن وضع من الفقراء وردا من غير الوارد

في السنة فقد اساء الادب مع الله ورسوله الا ان يكون ذلك بتعريف من الله فيعرفه خصائص كلمات يجمعها
فيكون حينئذ متبعا لا مخترعا وذلك مثل حزب البحر للشاذلي رحمه الله ونحوه فانه رحمه الله صرح بأنه ما وضع
حرفا منه الا باذن الله ورسوله وقال من دعا بغير ما دعا به رسول الله فهو مبتدع وقال بعضهم العبد
في اداء الفرائض عبد اضطرار وفي فعل النوافل عبد اختيار وعبودية الاضطرار اشرف واسلم في حقه
من عبودية الاختيار لما قد يخطر بباله في عبودية الاختيار من شائبة الامتنان ومن ههنا ترك اكابر الرجال
من الملامية فعل النوافل واقتصروا على اداء الفرائض خوفا من خطور ذلك على قلوبهم فيجرح عبوديتهم
وفي الحكم العطائية من علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بحقوق
الواجبات وهذا حال غالب الخلق الا من عصمه الله ترى الواحد منهم يقوم بالنوافل الكثيرة ولا يقوم بفرض
واحد على وجهه (يا ايها الذين آمنوا) اي بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله)
اي بمحمد عليه السلام وفي اطلاقه ايذان بأنه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره (يؤتكم كفلين) نصيبين
واجرين نقل عن الراغب الكفل الحظ الذي فيه الكفالة كأنه تكفل بأمره والكفلان هما النصيبان المرغوب
فيهما بقوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة (من رحمته) از بخشايش خود وذلك
لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل لكن لا على ان شريعتهم باقية بعد البعثة بل على انها كانت حقا قبل
النسخ وعن ابي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين الرجل
يكون له الامة فيعلمها فيحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن تأديبها ثم يعتقها ويتزوجها فله اجران ومؤمن
اهل الكتاب الذي كان مؤمنا ثم آمن بالنبي فله اجران والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسيده ولهذا بكى
بعض العبيد حين اعتق لانه ذهب اجر النصح لسيده وبقي اجر اداء حق الله * تا دلت هست اسير عشق
سليم * سر منه تحت سلطنت مطلب (وقال الشيخ سعدي) اسيرش نخواهد رهايي زبند *
شكارش نجويد خلاص از كمند (وقال المولى الجامي) مريض عشق تو چون مايل شفا گردد *
اسير قيد تو كي طالب نجات شود (ويجعل لكم نورا تمشون به) يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى
يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم فهو الضياء الذي يمشون به على الصراط الى ان يصلوا الى الجنة وذلك لان
جهنم خلقت من الظلمة اذ هي صورة النفس الامارة وهي ظلمانية فنور الايمان والتقوى يدفعها ويزيلها
(ويغفر لكم) ما اسلفتم من الكفر والمعاصي فاما حسنات الكفار فمقبولة بعد اسلامهم على ما ورد في الحديث
الصحيح (والله غفور رحيم) اي مبالغ في المغفرة والرحمة وفيه اشارة الى مغفرة الذنب الذي هو ملاحظة النفس
فانه من اكبر الذنوب والمعاصي كما قالوا وجودك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر (مصراع) چو مرد راه شدي
بكذر از سرو دستار (لئلا يعلم اهل الكتاب) متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة معنى الشرط اذ التقدير
ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة كهي
في ما منعك ان لا تسجد كما ينبئ عنه قراءة ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء قال في كشف الاسرار
وانما يحسن ادخالها في كلام يدخل في اوآخره او اوله جحد (ان لا يقدرون على شيء من فضل الله) ان مخففة
من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة في حيز النصب على انها مفعول يعلم اي ليعلموا انهم
لا ينالون شيأ مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذي
هو الايمان برسوله (وان الفضل بيد الله) عطف على ان لا يقدرون يعني افزوني ثواب وجزاء وامثال آن
بدست قدرت خداست (يؤتيه) عطا كند (من يشاء) هر كرا خواهد وهو خبر ثان لان
(والله ذو الفضل العظيم) والعظيم لا بد ان يكون احسانه عظيما (قال الكاشفي) وخداى تعالى خداوند
فضل بزركست يعني نعمتي تمام كه خواص وعوام را فرا رسيده * فيض كرم رسانده از شرق تا بغرب *
خوان نعم نهاده از قاف تا بقاف * هستند بيش وكم زنوال تو بهره مند * دارند نيك وبد بعطاء
تو اعتراف * وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا
على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم
مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين ولا تفرقون بين احد من رسله (وروى) ان مؤمني

اهل الكتاب افتخروا على سائر المومنين بأنهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وفى الحديث (انما مثلنا ومثل الذين اوتوا الكتاب من قبلنا مثل رجل استأجر اجراء فقال من يعمل الى آخر النهار على قيراط قيراط فعمل قوم ثم تركوا العمل نصف النهار ثم قال من يعمل نصف النهار الى آخر النهار على قيراط قيراط فعمل قوم الى العصر على قيراط قيراط ثم تركوا العمل ثم قال من يعمل الى الليل على قيراطين قيراطين فعمل قوم الى الليل على قيراطين قيراطين فقال الطائفتان الاوليان مالنا اكثر عملا واقل اجرا فقال هل نقصتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال ذلك فضلى اوتيه من اشاء ففيه اشارة الى ان اهل الكتاب اطول زمانا وعمرا واكثر اجتهادا واقل اجرا وهذه الامة اقصر مدة واقل سعيا واعظم اجرا والى ان الثواب على الاعمال ليس من جهة الاستحقاق لان العبد لا يستحق على مولاه بخدمته اجرة بل من جهة الفضل ولله ان يتفضل على من يشاء بما يشاء قال البقلى رحمه الله اخرج فضله من الاكتساب وعلل الجهد والطلب يؤتى كرامانه من يشاء من عباده المصطفين وهو ذو العطاء فى الازل الى الابد والفضل العظيم مالا ينقطع عن المنعم عليه ابدا (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد ويقول ان فيهن آية افضل من الف آية ويعنى بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن يقول الفقير انما اخفى عليه السلام تلك الآية ولم يصرح بها لتجتهد الامة بتلاوة جميع السور كما اخفى الله ساعة الاجابة وليلة القدر ونحوهما بعثا للعباد على الاجتهاد واحياء الليالى (قال الشيخ سعدى) چوهر كوشه تيرنياز افكنى * اميدست ناكه كه صيدى زنى * همه سنكها پاس داراى پسر * كه لعل ازميانش نباشد بدر * غم جمله خور درهواى يكى * مراعات صدكن براى يكى *

تمت سورة الحديد بعون الملك المجيد فى اواخر شهر ربيع الاول من سنة خمس عشرة ومائة والف من الهجرة

(سورة المجادلة اثنان وعشرون آية مدنية)

(الجزء الثامن والعشرون)

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) سمع مجاز مرسل عن اجاب بعلاقة السببية والمجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة يعنى كار زاندن باكسى وستيزه نزاع واصله من جدلت الحبل اى احكمت فتله فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه والمراد هنا المكالمة ومراجعة الكلام اى معاودته والمعنى قد اجاب الله دعاء المرأة التى تكالمك فى حق زوجها استفتاء وتراجعك الكلام فى شانه وفيما صدر عنه فى حقها من ظهاره اياها بغير وجه مشروع وسبب مقبول (وتشتكى الى الله) عطف على تجادلك اى تتضرع الى الله تعالى وتظهر ما بها من المكروه قال فى المفردات الشكاية والشكاة والشكوى اظهار البث يقال شكوت واشتكيت واصل الشكوى فتح الشكوة واظهار ما فيها وهى سقاء صغير يجعل فيه الماء وكان فى الاصل استعارة كقولك بثثت له ما فى وعائى ونفضت ما فى جرابى اذا اظهرت ما فى قلبك وفى كشف الاسرار الاشتكاء اظهار ما يقع بالانسان من المكروه والشكوى اظهار ما يصنعه غيره به وفى تاج المصادر الاشتكاء كله كردن وشكوه كرفتن وهى قربة صغيرة والمجادلة هى خولة بنت ثعلب بن مالك ابن خزاعة الخزرجية وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة روى انها كانت حسنة البدن رآها اوس وهى تصلى فاشتهى مواقعتها فلما سلمت راودها فأبت وكان به خفة فغضب عليها بمقتضى البشرية وقال انت على كظهر امى وكان اول ظهار وقع فى الاسلام ثم ندم على ما قال بناء على ان الظهار والايلاء كانا من طلاق الجاهلية فقال لها ما اظنك الا وقد حرمت على فشق ذلك عليها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله ان زوجى اوس بن الصامت ابو ولدى وابن عمى واحب الناس الى ظاهر منى وما ذكر طلاقا وقد ندم على فعله فهل من شئ يجمعنى واياه فقال عليه السلام ما اراك الا وقد حرمت عليه فقالت لا تقل ذلك يا رسول الله وذكرت فاقتها ووحدتها بتفانى اهلها وان لها صبية صغارا فقالت ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا فاعاد النبى عليه السلام قوله الاول وهو حرمت عليه فجعلت تراجع رسول الله مقالتها الاولى وكلما قال لها رسول الله حرمت عليه هتفت وقال اشكوا الى الله

م اليت من زوجى حال فاقتى ووحدتى وقد طالت معه صحبتى ونفضت له بطنى تريد بذلك انى قد بلغت عنده سن الكبر وصرت عقيما لا الد بعد وكانت فى كل ذلك ترفع رأسها الى السماء على ماهو عادة الناس انتظارا للامر الالهى من جانب العرش وتقول اللهم انزل على لسان نبيك فقامت عائشة تغسل الشق الآخر من رأسه عليه السلام وهى مازالت فى مراجعة الكلام مع رسول الله وبث الشكوى الى الله حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات الاربع سمعا لدعائها وقبولا لشكواها فكانت سببا لظهور امر الظهار وفى قد اشعار بان الرسول والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله حكم الحادثة ويفرج عنها كربها لانها انما تدخل على ماض متوقع (والله يسمع تحاوركما) اى يعلم تراجعكما الكلام وتخاطبكما وتجاوبكما فى امر الظهار فان التحاور بمعنى التجاوب وهو رجع الكلام وجوابه يعنى يكند يكررا جواب دادن من الحور بمعنى الرجوع وذلك كان برجوع الرسول الى الحكم بالحرمة مرة بعد اخرى ورجوع المجادلة الى طلب التحليل كذلك ومثله المحاورة فى البحث ومنه قولهم فى الدعاء نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى الرجوع الى النقصان بعد الوصول الى الزيادة اوالى الوحشة بعد الانس وقال الراغب الحور التردد امابالذات واما بالتفكر وقيل نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من التردد فى الامر بعد المضى فيه اومن نقصان وتردد فى الحال بعد الزيادة فيها وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفى نظمها فى سلك الخطاب مع افضل البريات تغليب اذ القياس تحاورها وتحاورك تشريفا لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها فى المسألة ومبالغتها فى التضرع الى الله ومدافعته عليه السلام اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحى وعلمه تعالى بحالهما من دواعى الاجابة وفى كشف الاسرار ليس هذا تكرارا لان الاول لماحكته عن زوجها والثانى لما كان يجرى بينها وبين رسول الله لان الاول ماض والثانى مستقبل (ان الله سميع بصير) مبالغ فى العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاورهما ويرى مايقارنه من الهيئات التى من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع

يامن يرى مافى الضمير ويسمع * انت المعد لكل مايتوقع

يامن يرجى للشدائد كلها * يامن اليه المشتكى والمفزع

مالى سوى قرعى لبابك حيلة * ولئن رددت فأى باب اقرع

حاشى للطفك ان تقنط عاصيا * الفضل اجزل والمواهب اوسع

وفى الآية دليل على ان من انقطع رجاؤه عن الخلق ولم يبق له فى مهمه احد سوى ربه وصدق فى دعائه وشكواه كفاه الله ذلك ومن كان اضعف فالرب به الطف * دعاى ضعيفان اميد وار * ز بازوى مردى به آيد بكار * وفيها ان من استمع الله ورسوله والورثة الى كلامه فسائر الناس اولى (روى) ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بهذه المرأة فى خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت ياعمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله ياعمر فانه من ايقن الموت خاف الفوت ومن ايقن الحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له ياامير المؤمنين اتقف لهذه العجوز هذا الوقوف الطويل فقال والله لوحبستنى من اول النهار الى آخره مازلت الا للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هى خولة بنت ثعلب سمع الله قولها من فوق سبع سموات ان يسمع رب العالمين قولها ولايسمعه عمر وهذه الفوقية لايلزم منها الجهة لان الله هو العلى المتعال فاعرف ثم انه اكبر الذنوب ان يقول الرجل لاخيه اتق الله فيقول فى جوابه عليك نفسك اى الزم نفسك انت تأمرنى بهذا وذلك لانه اذا ذكر اسم الله يلزم التعظيم له سواء صدر من مسلم اوكافر واعلم الناس لايستغنى عن تنبيه وايقاظ * بكوى آنچه دانى سخن سود مند * وكر هيچ كس رانيايد پسند * يقال اللائق بالعاقل ان يكون كالنحل يأخذ من كل شئ ثم يخرجه عسلا فيه شفاء من كل داء وشمعا له منافع لاسيما الضياء فطالب الحكمة يأخذها من كل مقام سواء قعد اوقام (المرء لولاعرفه فهو الدمى * والمسك لولاعرفه فهو الدم) العرف الاول بالضم بمعنى المعروف والثانى بالفتح الرائحة والدمى بضم الدال وفتح الميم جمع دمية وهى الصورة المنقشة من رخام اوعاج (الذين يظاهرون منكم) ايها المؤمنون فلايلحق بهم الذمى لانه ليس من اهل الكفارة لغلبة جهة العبادة فيها فلايصح ظهاره (من نسائهم)

هذا شروع في بيان الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار لغة مصدر ظاهر الرجل اى قال لزوجته انت على كظهر امى والظهر العضو والجارحة و يعبر عن البطن بالظهر اى انت على حرام كبطن امى فكنى عن البطن بالظهر الذى هو عمود البطن لئلا يذكر مايقارب الفرج تأدبا ثم قيل ظاهر من امرأته فعدى بمن لتضمين معنى التجنب لاجتناب اهل الجاهلية من المرأة المظاهر منها اذالظهار طلاق عندهم كما فى قولهم آلى منها لما تضمنه من معنى التباعد من الالية بمعنى الحلف وفى القرآن واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام اى بعدنى واياهم من عبادة الاصنام فمعنى البعد انماهو فى الاجتناب ونحوه المتعدى بمن لان معنى الابتدآء الذى هو معنى من لايخلو عن البعد فانه من معانى عن لامن ثم انه الحق الفقهاء بالظهر نحو البطن والفخذ والفرج ممايحرم النظر اليها من الام فمن قال انت على كبطن امى او فخذها اوفرجها كان ظهارا بخلاف مثل اليد اوالرجل وكذا الحقوا بالام سائر المحارم فلووضع المظاهر مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب كالخالة والعمة اورضاع اوصهر كان ظهارا مثل ان يقول انت على كظهر خالتى اوعمتى اواختى نسبا اورضاعا او كظهر امرأة ابنى اوابى ولوشبهها بالخمر اوالخنزير اوالدم اوالميتة اوقتل المسلم اوالغيبة اوالنميمة اوالزنى اوالربا اوالرشوة فانه ظهار اذانوى وفى انت على كامى صح نية الكرامة اى استحقاق البر فلايقع طلاق ولاظهار وصح نية الظهار بأن يقصد التشبيه بالام فى الحرمة فيترتب عليه احكام الظهار لاغير ونية الطلاق بأن يقصد ايجاب الحرمة فان لم ينو شيألغا وانت على حرام كامى صح فيه مانوى من ظهار اوطلاق اوايلاء ولوقال انت امى اواختى اوبنتى بدون التشبيه فهو ليس بظهار يعنى ان قال ان فعلت كذا فانت امى وفعلته فهو باطل وان نوى التحريم ولوقالت لزوجها انت على كظهر امى فانه ليس بشئ وقال الحسن انه يمين وفى ايراد منكم مع كفاية من نسائهم مزيد توبيخ للعرب وتقبيح لعادتهم فى الظهار فانه كان من ايمان جاهليتهم خاصة دون سائر الامم فلايليق بهم بعد الاسلام ان يراعوا تلك العادة المستهجنة فكأنه قيل منكم على عادتكم القبيحة المستنكرة ويحتمل ان يكون لتخصيص نفع الحكم الشرعى للمؤمنين بالقبول والاقتدآء به اى منكم ايها المؤمنون المصدقون بكلام الله المؤتمرون بأمر الله اذالكافرون لايستمعون الخطاب ولايعملون بالصواب وفى من نسائهم اشارة الى ان الظهار لايكون فى الامة ومن ذلك قالوا ان للظهار ركنا وهو التشبيه المذكور وشرطا وهو ان يكون المشبه منكوحة حتى لايصح من الامة واهلا وهو من كان من اهل الكفارة حتى لايصح للذمى والصبى والمجنون وحكما وهو حرمة الوطئ حتى يكفر مع بقاء اصل الملك (ماهن امهاتهم) خبر للموصول اى مانساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت يعنى ان من يقول لامرأته انت على كظهر امى ملحق فى كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين وكانوا يريدون بالتشبيه الحرمة فى المظاهر منها كالحرمة فى الام تغليظا وتشديدا فان قيل فحاصل الظهار مثلا انت محرمة على كما حرمت على امى وليس فيه دعوى الامومة حتى تنفى وتثبت للوالدات يقال ان ذلك التحريم فى حكم دعوى الامومة اوان المراد نفى المشابهة لكن نفى الامومة للمبالغة فيه (ان) نافية بمعنى ما (امهاتهم) فى الحقيقة والصدق (الااللائى) جمع التى اى النساء اللاتى (ولدنهم) اى ولدن المظاهرين فلاتشبه بهن فى الحرمة الامن الحقها الشرع بهن من ازواج النبى عليه السلام والمرضعات ومنكوحات الآباء لكرامتهن وحرمتهن فدخلن بذلك فى حكم الامهات واما الزوجات فأبعد شئ من الامومة فلاتلحق بهن بوجه من الوجوه (وانهم) اى وان المظاهرين منكم (ليقولون) بقولهم ذلك (منكرا من القول) على ان مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اى عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره وذلك لان زوجته ليست بامه حقيقة ولاممن الحقه الشرع بها فكان التشبيه بها الحاقا لاحد المتباينين بالآخر فكان منكرا مطلقا غير معروف (وزورا) اى كذبا باطلا منحرفا عن الحق فان الزور بالتحريك الميل فقيل للكذب زور بالضم لكونه مائلا عن الحق قال بعضهم ولعل قوله وزورا من قبيل عطف السبب على المسبب فان قلت قوله انت على كظهر امى انشاء لتحريم الاستمتاع بها وليس بخبر والانشاء لايوصف بالكذب قلت هذا الانشاء يتضمن الحاق الزوجة المحللة بالام المحرمة ابدا وهذا الحاق مناف لمقتضى الزوجية فيكون كاذبا وعن ابى بكر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر

اكبائر قالنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس وقال الاوقول الزور وشهادة الزور الاوقول الزور وشهادة الزور الاوقول الزور وشهادة الزور فمازال يقولها حتى قلت لايسكت رواه البخارى قال بعضهم لما كان مبنى طلاق الجاهلية الامر المنكر الزور لم يجعله الله طلاقا ولم تبق الحرمة الاالى وقت التكفير وقال الظهار الذى هو من طلاق الجاهلية ان كان فى الشرع بمقدار من الزمان اولا طلاقا كانت الآية ناسخة والافلا لان النسخ انما يدخل فى الشرآئع وماقاله عليه السلام انها حرمت فلا يعين شيأ من الطرفين الاان بعض المفسرين جعله مؤيدا للوجه الاول (وان الله لعفو غفور) اى مبالغ فى العفو والمغفرة لماسلف منه على الاطلاق على المذهب الحق اوبالمتاب عنه على مذهب الاعتزال وذلك ان مادون الشرك حكمه موكول الى مشيئة الله ان شاء يغفره وان لم يتب العبد عنه وان شاء يغفره بعد التوبة واما اذا لم يتب عنه فعذبه عليه فانما يعذبه على حسب ذنبه لكن الظاهر هنا الحث على التوبة لكون الكلام فى ذم الظهار وانكاره (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اللام والى يتعاقبان كثيرا نحو يهدى للحق والى الحق فالمعنى والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون الى ماقالوا والى مافات عنهم بسببه من الاستمتاع بالتدارك والتلافى بالتقرر والتكرر ومنه قولهم عاد الغيث على ماافسد اى تداركه بالاصلاح فافساده امساكه واصلاحه احياؤه ففيه اطلاق اسم السبب على المسبب فان العود الى الشئ من اسباب التدارك والوصول اليه فيكون مجازا مرسلا قال ابن الشيخ العود يستعمل على معنيين احدهما ان يصير الى شئ قد كان عليه قبل ذلك فتركه فيكون بمعنى الرجوع الى مافارق عنه والآخر ان يصير ويتحول الى شئ وان لم يكن على ذلك قبل والعود بهذا المعنى لايلزم ان يكون رجوعا الى مافارق عنه والعود الذى هو سبب للتدارك والوصول هو العود بهذا المعنى وهو العود الى شئ مطلقا فحاصل المعنى ثم يعودون الى تدارك ماقالوا ودفع مالزم عليهم به من الفساد من حرمة الحلال ويجوز ان يكون المعنى ثم يريدون العود الى ماحرموا على انفسهم بلفظ الظهار من الاستمتاع ففيه تنزيل للقول منزلة المقول فيه (فتحرير رقبة) التحرير جعل الانسان حرا وهو خلاف العبد والرقبة ذات مرقوق مملوك سوآء كان مؤمنا اوكافرا ذكرا اوانثى صغيرا اوكبيرا هنديا اوروميا فالمعنى فتداركه اوفالواجب اعتاق رقبة اى رقبة كانت وان كان تحرير المؤمن اولى والصالح احسن فيعتقها مقرونا بالنية وان كان محتاجا الى خدمتها فلونوى بعد العتق اولم ينو لم يجزئ وان وجد ثمن الرقبة وهو محتاج اليه فله الصيام كما فى الكواشى ولايجزئ ام الولد والمدبر والمكاتب الذى ادى شيا فان لم يؤد جاز ويجب ان تكون سليمة من العيوب الفاحشة بالاتفاق وعند الشافعى يشترط الايمان قياسا على كفارة القتل كما قال تعالى فتحرير رقبة مؤمنة قلنا حمل المطلق على المقيد انما هو عند اتحاد الحادثتين واتحاد الحكم ايضا وهنا ليس كذلك والفاء للسببية ومن فوآئدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار لان تكرر السبب يوجب تكرر المسبب كقرآءة آية السجدة فى موضعين فلوظاهر من امرأته مرتين اوثلاثا فى مجلس واحد اومجالس متفرقة لزمه بكل ظهار كفارة (من قبل ان يتماسا) اى من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا وتقبيلا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وذلك لان اسم التماس يتناول الكل وان وقع شئ من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر لانه ارتكب الحرام ولايعود حتى يكفر وليس عليه سوى الكفارة الاولى بالاتفاق وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستأنف عند ابى حنيفة رحمه الله ولاتسقط الكفارة بل يأتى بها على وجه القضاء كما لو اخر الصلاة عن وقتها فانه لايسقط عنه اتيانها بل يلزمه قضاؤها وفى الآية دليل على ان المرأة لايسعها ان تدع الزوج ان يقربها قبل الكفارة لانه نهاهما جميعا عن المسيس قبل الكفارة قال القهستانى لها مطالبة التكفير والحاكم يجبر عليه بالحبس ثم بالضرب فالنكاح باق والحرمة لاتزول الابالتكفير وكذا لوطلقها ثم تزوجها بعد العدة اوزوج آخر حرم وطئها قبل التكفير ثم العود الموجب لكفارة الظهار عند ابى حنيفة رحمه الله هو العزم على جماعها فمتى عزم على ذلك لم تحل له حتى يكفر ولوماتت بعد مدة قبل ان يكفر سقطت عنه الكفارة لفوت العزم على جماعها (ذلكم) اى الحكم بالكفارة ايها المؤمنون (توعظون به) الوعظ زجر يقترن بتخويف اى تزجرون به من ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر من تعاطى الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم

للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذى هو علم فى استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والحاصل ان فى المؤاخذة الدنيوية نفعا لكل من المظاهر وغير المظاهر بان يحصل للمظاهر الكفارة والتدارك ولغير المظاهر الاحتياط والاجتناب كما قيل * نرود مرغ سوى دانه فراز * چون دگر مرغ بيند اندر بند (والله بما تعملون) من جناية الظهار والتكفير ونحو ذلك من قليل وكثير (خبير) اى عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشئ منها (فمن لم يجد) اى فالمظاهر الذى لم يجد الرقبة وعجز عنها بان كان فقيرا وقت التكفير وهو من حين العزم الى ان تقرب الشمس من الغروب من اليوم الاخير مما صام فيه من الشهرين فلا يتحقق العجز الحقيقى الا به والاعتبار بالمسكن والثياب التى لا بد منها فان المعتبر فى ذلك هو الفضل والذى غاب ماله فهو واجد (فصيام شهرين) اى فعليه صيام شهرين (متتابعين) ليس فيهما رمضان ولا الايام الخمسة المحرم صومها اى يوما العيد وايام التشريق فيصلهما بحيث لا يفصل يوما عن يوم ولا شهرا عن شهر بالافطار فان افطر فيهما يوما واكثر بعذر اوبغير عذر استأنف ولم يحسب ما صام الا بالحيض كما سيجئ (من قبل ان يتماسا) ليلا اونهارا عمدا اوخطأ اوجامع زوجة اخرى ناسيا لا يستأنف ولو افطرت المرأة للحيض فى كفارة القتل اوالفطر فى رمضان لا تستأنف لكنها تصل صومها بايام حيضها ثم انه ان صام بالاهلة اجزأه وان صام ثمانية وخمسين بان كان كل من الشهرين ناقصا وان صامها بغيرها فلا بد من ستين يوما حتى لوافطر صبيحة تسعة وخمسين وجب عليه الاستئناف (فمن لم يستطع) اى الصيام بسبب من الاسباب كالهرم والمرض المزمن اى الممتد الغير المرجو برؤه فانه بمنزلة العاجز من الكبر السن وان كان يرجى برؤه واشتدت حاجته الى وطئ امرأته فالمختار ان ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام ولو كفر بالاطعام ولم ينتظر القدرة على الصيام اجزأه ومن الاعذار الشبق المفرط وهو ان لا يصبر على الجماع فانه عليه السلام رخص للاعرابى ان يعطى الفدية لاجله (فاطعام ستين مسكينا) الاطعام جعل الغير طاعما ففيه رمز الى جواز التمليك والاباحة فى الكفارة والمسكين ويفتح ميمه من لا شئ له اوله ما لا يكفيه واسكنه الفقر اى قلل حركته والذليل والضعيف كما فى القاموس قال القهستانى فى شرح مختصر الوقاية قيد المسكين اتفاقى لجواز صرفه الى غيره مصارف الزكاة يقول الفقير انما خص المسكين بالذكر لكونه احق بالصدقة من سائر مصارف الزكاة كما ينبئ عنه ما سبق آنفا من تفسير القاموس واطعام ستين مسكينا يشمل ما كان حقيقيا وحكميا بان يطعم واحدا ستين يوما فانه فى حكم ستين مسكينا وان اعطاه فى يوم واحد ولو بدفعات لا يجوز على الصحيح فيطعم لكل مسكين نصف صاع من بر اوصاعا من غيره كما فى الفطرة والصاع اربعة امداد ونصفه مدان ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف ان مس فى خلال الاطعام لان الله تعالى لم يذكر التماس مع الاطعام هذا عند ابى حنيفة رحمه الله واما عند الآخرين فالاطعام محمول على المقيد فى العتق والصيام ويجوز دفع الكفارة للكافر واخراج القيمة عند ابى حنيفة رحمه الله خلافا للثلاثة وفى الفقه هذا اذا كان المظاهر حرا فلو كان عبدا كفر بالصوم وان اعطاه المولى المال وليس له منعه عن الصوم فان اعتق وايسر قبل التكفير كفر بالمال (ذلك) اى ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها واقع اوفعلنا ذلك (لتؤمنوا بالله ورسوله) وتعملوا بشرآئعه التى شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه فى جاهليتكم ان قيل اذا كان ترك الظهار مفروضا فما بال الفقهاء يجعلونه بابا فى الفقه اجيب بان الله وان انكر الظهار وشنع على من تعود به من الجاهلين الا انه تعالى وضع له احكاما يعمل بها من ابتلى به من الغافلين فبهذا الاعتبار جعلوه بابا ليبينوا تلك الاحكام وزادوا قدر ما يحتاج اليه مع ان المحققين قالوا ان اكثر الاحكام الشرعية للجهال فان الناس لو احترزوا عن سوء المقال والفعال لما احتيج الى تكثير القيل والقال ودلت الآية على ان الظهار اكثر خطأ من الحنث فى اليمين لكون كفارته اغلظ من كفارة الحنث واللام فى لتؤمنوا الحكمة والمصلحة لانها اذا قارنت فعل الله تكون للمصلحة لانه الغنى المطلق واذا قارنت فعل العبد تكون للغرض لانه المحتاج المطلق فاهل السنة لا يقولون لتلك المصلحة غرضا اذ الغرض فى العرف ما يستكمل به طالبه استدفاعا لنقصان فيه يتنفر عنه طبعه والله منزه عن هذا بلا خلاف والمعتزلة يقولون بناء على انه هو الشئ الذى لاجله يراد المراد ويفعل عندهم ولو قلنا بهذا المعنى لكنا قائلين بالغرض وهم لو قالوا بالمعنى لما كانوا قائلين به (وتلك) اشارة الى الاحكام المذكورة من تحريم الظهار وايجاب العتق للواجد

وايجاب الصوم لغير الواجد ان استطاع وايجاب الاطعام لمن لم يستطع (حدود الله) التى لايجوز تعديها
وشرائعه الموضوعة لعباده التى لايصح تجاوزها الى مايخالفها جمع حد وهو فى اللغة المنع والحاجز بين
الشيئين الذى يمنع اختلاط احدهما بالآخر وحد الزنى وحد الخمر سمى بذلك لكونه مانعا لمتعاطيه عن المعاودة
لمثله وجميع حدود الله على اربعة اضرب اماشئ لايجوز ان يتعدى بالزيادة عليه والاالقصور عنه كأعداد ركعات
صلاة الفرض واما شئ يجوز الزيادة عليه ولايجوز النقصان منه واماشئ يجوز النقصان منه ولايجوز
الزيادة عليه واماشئ يجوز الزيادة عليه والنقصان منه كما فى المفردات (وللكافرين) اى الذين لايعملون بها
ولايقبلونها (عذاب اليم) عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين
يعنى ان اطلاق الكفر لتأكيد الوجوب والتغليظ على تارك العمل لالانه كفر حقيقة كما يزعمه الخوارج
قال بعضهم فى قوله عليه السلام من ترك الصلاة فقد كفر اى قارب الكفر يقال دخل البلدة لمن قاربها قال
فى برهان القرآن قوله وللكافرين عذاب اليم وبعده وللكافرين عذاب مهين لان الاول متصل بضده
وهو الايمان فتوعدهم على الكفر العذاب الاليم هو جزاء الكافرين والثانى متصل بقوله كبتوا وهو الاذلال
والاهانة فوصف العذاب مثل ذلك فقال وللكافرين عذاب مهين انتهى والاليم بمعنى المؤلم اى الموجع
كالبديع بمعنى المبدع اوبمعنى المتألم لكن اسند مجازا الى العذاب مبالغة كأنه فى الشدة بدرجة تتألم بها نفسه
وفى اثبات العذاب للكافرين حث للمؤمنين على قبول الطاعة ولما نزلت هذه الآيات الاربع تلاها
عليه السلام فقال لاوس بن الصامت رضى الله عنه هل تستطيع عتق رقبة قال اذن يذهب جل مالى قال
فصيام شهرين متتابعين قال يارسول الله اذالم آكل فى اليوم ثلاث مرات كل بصرى وخشيت ان تعشو عينى
قال فاطعام ستين مسكينا قال لاالاان تعينني عليه قال اعينك بخمسة عشر صاعا واناداع لك بالبركة وتلك
البركة بقيت فى آله كما فى عين المعانى يقول الفقير فى وجوه الاحكام المذكورة اماوجه العتق فلان العاصى
استحق النار بعصيانه العظيم فجعل عتق المملوك فدآء لنفسه من النار كما قال عليه السلام من اعتق رقبة
مؤمنة اعتق الله بكل ارب منها اربا منه من النار ودل تقييد الرقبة بالمؤمنة على افضلية اعتاق المؤمن وايضا
ان ثمن العبد اكثر غالبا من فدية الاطعام والمال يعد من النفس لشدة علاقة النفس به ففى بذله تخليص لها من
رذيلة البخل وتنحية لها عن النار واما الوجه فى الصيام فلان الاصل فيه صيام شهر رمضان وهو ثلاثون يوما
ففى صيام ستين يوما تضعيف المشقة وتشديد المحنة على النفس واما الوجه فى اطعام المساكين اما فى نفس
الاطعام فلان الصوم التخلق بوصف الصمدية فاذافات عنه ذلك لزم المعالجة بضده وهو الاطعام لان فى بذل المال
اذابة النفس كما فى الصوم ومن هذا يعرف سر التنزيل من الرقبة الى الصوم ثم منه الى الإطعام واما فى عدد
المساكين فلان الاطعام بدل من الصيام وخلف له فروعى فيه من العدد ماروعى فى الصيام ويجوز ان يقال
ان الله تعالى خلق آدم عليه السلام من ستين نوعا من طبقات الارض فامر باطعام ستين مسكينا من اولاد آدم
حتى تقع المكافأة لجميع اولاده لانه لايخرج احدمنهم على هذه الستين نوعا وايضا سر العدد كون عمر هذه الامة
بين الستين والسبعين فمن راعى العدد فكانما عبد الله ستين سنة التى هى مبلغ عمره ومنتهى امده بحسب
الغالب فيتخلص من النار ولكن فيه اشارة الى فضيلة الوقت فانه اذافات العمل من محله لاينجبر بالقضاء بكماله الاولى
بل يصير ساقطا عن درجة الكمال الاولى بستين درجة ولذا وجب صيام ستين واطعامها (قال المولى الجامى)

هردم از عمر گرامى هست گنج بى بدل * ميرود گنجى چنين هرلحظه برباد آخ آخ (وقال الشيخ سعدى)

مكن عمر ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزست والوقت سيف * وفى الآية اشارة الى ان
النفس مطية الروح وزوجته فاذا ظاهر زوج الروح من زوجة النفس بقطع الاستمتاع عنها لغلبة الروحانية
عليها ثم بحسب الحكمة الالهية المقتضية لتعلق زوج الروح مع زوجة النفس اراد ان يستمتع منها فعلى زوج
الروح يجب من طريق الكفارة تحرير رقبة عن ذلك الاستمتاع والتصرف فيها بان لايستمتع ولايتصرف
فيها لابامر الحق ومقتضى حكمته لابمقتضى طبعه ومشتهيات هواه فانه لايجوز له وعلى تقدير شدة اشتباك زوج
الروح زوجة النفس وقوة ارتباطهما الذاتية وارتباط الركب بالمركوب وارتباط ربان السفينة بالسفينة
ان لم يقدر على تحرير رقبة عن هذا الارتباط فيجب على زوج الروح ان يصوم شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا

يعنى ان يمسك نفسه من الالتفات الى الكونين على الدوام والاستمرار من غير تخلل التفات وان لم يتمكن من قطع هذا الالتفات لبقاء بقية من بقايا انانيته فيه فيجب عليه اطعام ستين مسكينا من مساكين القوى الروحانية المستهلكة تحت سلطنة النفس وصفاتها ليقيمهم على التخلق بالاخلاق الالهية والتحقق بالصفات الروحانية (ان الذين يحادون الله ورسوله) اى يعادونهما و يشاقونهما وكذا اولياء الله فان من عادى اولياء الله فقد عادى الله وذلك لان كلا من المتعادين كما انه يكون فى عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون فى حد غير حد الآخر غير ان لورود المحادة فى اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه و بالفارسية مخالفت ميكنند باخدا ورسول اوازحدود امر ونهى تجاوز مينما يند وقال بعضهم المحادة مفاعلة من لفظ الحديد والمراد المقابلة بالحديد سواء كان فى ذلك حديد حقيقة اوكان ذلك منازعة شديدة شبيهة بالخصومة بالحديد وقال بعضهم فى معنى الآية يحادون اى يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما ففيه وعيد عظيم للملوك والامراء السوء الذين وضعوا امورا خلاف ماحده الشرع وسموها القانون ونحوه * پادشاهى كه طرح ظلم افكند * پاى ديوار ملك خويش بكند (كبتوا) اى اخزوا يعنى خوار ونكونسار كرده شوند وفى المفردات الكبت الرد بعنف وتذليل وفى القاموس كبته يكبته صرعه واخزاه وصرفه وكسره ورد العدو بغيظه واذله قال ابن الشيخ وهو يصلح لان يكون دعاء عليهم واخبارا عما سيكون بالماضى لتحققه اى سيكبتون و يدخل فيهم المنافقون والكافرون جميعا اما الكافرون فمحادتهم فى الظاهر والباطن واما المنافقون ففى الباطن فقط (كما كبت الذين من قبلهم) من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام مثل اقوام نوح وهود وصالح وغيرهم *وكان السرى رحمه الله يقول عجبت من ضعيف عصى قويا فيقال له كيف ذلك فيقول وخلق الانسان ضعيفا (وقد انزلنا آيات بينات) حال من واو كبتوا اى كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم او آيات بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به والسؤال بان الانزال نقل الشئ من الاعلى الى الاسفل وهو انما يتصور فى الاجسام والآيات التى هى من الكلام من الاعراض الغير القارة فكيف يتصور الانزال فيها مجاب عنه بان المراد منه انزال من يتلقف من الله و يرسل الى عباده تعالى فيسند اليها مجازا لكونها المقصودة منه او المراد منه الايصال والاعلام على الاستعارة (وللكافرين) بتلك الآيات او بكل ما يجب الايمان به (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم من الاهانة بمعنى التحقير والمراد عذاب الكبت الذى هو فى الدنيا فيكون ابتداء كلام او عذاب الآخرة فيكون للعطف بمعنى ان لهم الكبت فى الدنيا ولهم عذاب مهين فى الآخرة فهم معذبون فى الدارين قال بعضهم وصف الله العذاب الملحق بالكافرين اولا بالايلام وثانيا بالاهانة لان الايلام يلحق بهم اولا ثم يهانون به واذا كانت الاهانة ما فى الآخرة فالتقديم ظاهر وقد سبق غير هذا وفى الآية اشارة الى ان من يعادون مظاهر الله وهم الاولياء المتحققون بالله المجتمعون باسماء الله و يشاقون مظاهر رسوله وهم العلماء القائمون باحكام الشرائع حجوا واخصموا بابلغ الحجج واظهر البراهين من الكرامات الظاهرة ونشر العلوم الباهرة وكيف لا وقد انزلنا بحجة ولايتهم وآثار وراثتهم آيات بينات فمن سترها باستار ظلمات انكاره فله عذاب القطيعة الفظيعة والاهانة من غير ابانة (يوم يبعثهم الله) منصوب باذكر المقدر تعظيما لليوم وتهويلا له والمراد يوم القيامة اى يحييهم الله بعد الموت للجزاء (جميعا) اى كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث فيكون تأكيدا للضمير او مجتمعين فى حالة واحدة فيكون حالا منه (فينبئهم بما عملوا) من القبائح ببيان صدورها منهم او بتصويرها فى تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤس الاشهاد وتخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم والا فلا فائدة فى نفس الانباء لينبهوا على ما صدر منهم (احصاه الله) كأنه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهى اعراض منقضية متلاشية فقيل احصاه الله اى احاط به عددا وحفظه كما عمله لم يفت منه شئ ولم يغب قال الراغب الاحصاء التحصيل بالعدد يقال احصيت كذا وذلك من لفظ الحصى واستعمال ذلك فيه لانهم كانوا يعتمدون اعتمادنا فيه على الاصابع وقال بعضهم الاحصاء عد باحاطة وضبط اذ اصله العدد بآحاد الحصى للتقوى فى الضبط فهو اخص من العد لعدم لزوم الاحاطة فيه (ونسوه) اى والحال انهم قد نسوه لكثرته اولتهاونهم حين ارتكبوه لعدم اعتقادهم (والله على كل شئ شهيد) لا يغيب عنه امر

من الامور فالشهيد بمعنى الشاهد من الشهود بمعنى الحضور وكفته اند كواهست ومناسب آن مكافات
خواهد فرمود وكسى كواهى اورد نتواند كرد * حاكم زحكم دم نزند كركواه نيست * حاكم كه خود
كواه بود قصه مشكلست * فلابد من استحضار الذنوب والبكاء عليها وطلب التوبة من الله الذى يحصى
كل شئ ولاينساه قبل ان يجئ يوم يفتضح فيه المصر على رؤس الاشهاد ولايقبل الدعاء والمعذرة من العباد
واعلم ان القول بانه تعالى شهيد قول بانه حاضر لكن بالحضور العلمى لابالحضور الجسمانى فانه منزه عن ذلك فقول
من قال الله حاضر محمول على الحضور العلمى فلاوجه لاكفار قائله مع وجوده فى القرآن (ألم تر ان الله يعلم
مافى السموات ومافى الارض) استشهاد على شمول شهوده تعالى والهمزة للانكار التقريرى والرؤية لما ان الانكار
نفى معنى ونفى النفى يقرر الاثبات فتكون الرؤية ثابتة مقررة والخطاب للرسول عليه السلام اولكل من يستحق
الخطاب والمعنى الم تعلم علما يقينيا بمرتبة المشاهدة انه تعالى يعلم مافى السموات ومافى الارض من الموجودات
سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما (روى) عن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى ربيعة
وحبيب ابنى عمرو وصفوان بن امية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم اترى الله يعلم مانقول فقال الآخر
يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضه فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها
كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم فنزلت الآية (مايكون من نجوى ثلاثة) مانافية ويكون
تامة بمعنى يوجد ويقع ومن مقحم ونجوى فاعله وهو مصدر بمعنى التناجى كالشكوى بمعنى الشكاية يقال
نجاه نجوى ونجوى ساره كناجاه مناجاة والنجوى السر الذى يكتم اسم ومصدر كما فى القاموس واصله ان تخلو
فى نجوة من الارض اى مكان مرتفع منفصل بارتفاعه عما حوله كأن المتناجى بنجوة من الارض لئلا يطلع عليه
احد والمعنى مايقع من تناجى ثلاثة نفر ومسارتهم فالنجوى مصدر مضاف الى فاعله (الا هو) اى الله تعالى
(رابعهم) اى جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم فى الاطلاع عليها كما قال الحسين النورى قدس سره
الا هو رابعهم علما وحكما لانفسا وذاتا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى مايوجد فى حال ما الا فى هذه
الحال وفى الكلام اعتبار التصيير قال النصر ابادى من شهد معية الحق معه زجره عن كل مخالفة
وعن ارتكاب كل محذور ومن لايشاهد معيته فانه متخط الى الشبهات والمحارم (ولاخمسة) اى ولانجوى
خمسة نفر (الا هو سادسهم) اى الا هو تعالى جاعلهم ستة فى الاطلاع على ماوقع بينهم وتخصيص العددين
بالذكر لخصوص الواقعة لان المنافقين المجتمعين فى النجوى كانوا مرة ثلاثة واخرى خمسة ويقال ان التشاور غالبا
انما يكون من ثلاثة الى ستة ليكونوا اقل لفظا واجدر رأيا واكتم سرا ولذا ترك عمر رضى الله عنه حين علم بالموت
امر الخلافة شورى بين ستة اى على ان يكون امر الخلافة بين ستة ومشاورتهم واتفاق رأيهم وفى الثلاثة
اشارة الى الروح والسر والقلب وفى الخمسة اليها باضافة النفس والهوى ثم عمم الحكم فقال (ولاادنى من ذلك)
اى اقل مما ذكر كالاثنين والواحد فان الواحد ايضا يناجى نفسه وبالفارسية ونه كمتر باشد ازين عدد
(ولااكثر) كالستة ومافوقها (الا هو معهم) اى الله مع المتناجين بالعلم والسماع يعلم مايجرى بينهم ولايخفى
عليه ماهم فيه فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المشاهدة والحضور معهم حضورا جسمانيا
(اينما كانوا) اى فى اى مكان كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب
مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا * اين معيت درنيابد عقل وهوش * زين معيت
دم مزن بنشين خموش * قرب حق بابنده دورست ازقياس * برقياس خودمنه آنرا اساس *
قال بعض العارفين اكرمؤمنان امت احمد را خود اين تشريف بودى كه رب العالمين درين سوره ميكويد كه
مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الى قوله هو معهم تمام بودى اصحاب كهف را باجلال رتبت ايشان
وكمال منزلت ميكويد ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم فانظركم من فرق بين من كان الله
رابعهم وسادسهم وبين من كان اخس الحيوانات رابعهم وسادسهم وحظية المؤمن من المعية ان يعلم ان الخير
فى ان يكون جليسه صالحا وكلامه نافعا ولايتكلم بما لاطائل تحته فيكون عيبا فى صحيفته وعيبا فى صحبته
ومعية الله تعالى على العموم كما صرح به قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم ثم انه قد يكون له تعالى معية
مخصوصة ببعض عباده بحسب فيضه وايصال لطفه اليه ونحو ذلك (ثم ينبئهم بما عملوا) اى يخبرهم بالذى عملوه

فى الدنيا (يوم القيامة) تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم (ان الله بكل شئ عليم) لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سوآء يعنى نسبت علم او باهمه معلومات يكسانست حالات اهل اسمانرا چنان داندكه حالات اهل زمين را وعلم او بخفيات امور بدان وجه احاطه كندكه بجليات * نهان وآشكار اهردو يكسانست برعلمت * نهاى رازونه تربيني نه آزاديرتردانى * من عرف انه العالم بكل شئ راقبه فى كل شئ واكتفى بعلمه فى كل شئ فكان واثقابه عندكل شئ ومتوجها له بكل شئ قال ابن عطاء الله متى علمت عدم اقبال الناس عليك اوتوجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك فان كان لايقنعك علمه فيك فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه اشد من مصيبتك بوجود الاذى منهم انتهى والتخلق بهذا الاسم تحصيل العلم وافادته للمحتاجين اليه ومن ادمن ذكر ياعلام الغيوب بصيغة النداء الى ان يغلب عليه منه حال فانه يتكلم بالمغيبات ويكشف مافى الضمائر وترقى روحه الى ان يرقى فى العالم العلوى ويتحدث بامور الكائنات والحوادث قال الفقهاء من قال بان الله تعالى عالم بذاته اى لاعالم بعلمه قادر بذاته اى لاقادر بقدرته يعنى لايثبت له صفة العلم القائمة بذاته ولا صفة القدرة كالمعتزلة والجهمية يحكم بكفره لان نفى الصفات الالهية كفر قال الرهاوى من اقر بوحدانية الله وانكر الصفات كالفلاسفة والمعتزلة لايكون ايمانه معتبرا كذا قالوا وفيه شئ بالنسبة الى المعتزلة فانهم من اهل القبلة ومن ثمة قال فى شرح العقائد والجمع بين قولهم لايكفر احد من اهل القبلة وقولهم يكفر من قال بخلق القرءآن واستحالة الرؤية وسب الشيخين وامثال ذلك مشكل انتهى (الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتحلقون ثلاثة وخمسة ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين يريدون ان يغيظوهم فنهاهم رسول الله عليه السلام ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة قال الخدرى رضى الله عنه خرج علينا السلام ذات ليلة ونحن نتحدث فقال هذه النجوى الم تنهوا عن النجوى فقلنا تبنا الى الله اناكنا فى حديث الدجال قال الا اخبركم بما هو اخوف عليكم منه هو الشرك الخفى يعنى المراآة (ويتناجون) ورازميكويند (بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) عطف على قوله يعودون داخل فى حكمه وبيان لما نهوا عنه لضرره فى الدين اى بما هو اثم فى نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول والعدوان الظلم والجور والمعصية خلاف الطاعة (واذا جاؤك) وچون برتو آيند يعنى اهل النجوى (حيوك) تراتحيت وسلام كنند والتحية فى الاصل مصدر حياك على الاخبار من الحياة فمعنى حياك الله جعل لك حياة ثم استعمل للدعاء بها ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام فكل دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول حياة اوسبب حياة امافى الدنيا واما فى الآخرة (بما لم يحيك به الله) اى بشئ لم يقع من الله ان يحييك به فيقولون السام عليك والسام بلغة اليهود مرك است يا قتل بشمشير وهم يوهمون انهم يقولون السلام عليك وكان عليه السلام يرد عليهم فيقول عليكم بدون الواو وفى رواية وعليكم بالواو خطأ كذا فى عين المعانى او يقولون انعم صباحا وهو تحية الجاهلية من النعومة اى ليصر صباحك ناعما لينا لابؤس فيه والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين واختلفوا فى رد السلام على اهل الذمة فقال ابن عباس والشعبى وقتادة هو واجب لظاهر الامر بذلك وقال مالك ليس بواجب فان رددت فقل عليك وقال بعضهم يقول فى الرد علاك السلام اى ارتفع عنك وقال بعض المالكية يقول فى الرد السلام عليك بكسر السين يعنى الحجارة (ويقولون فى انفسهم) اى فيما بينهم اذا خرجوا من عندك (لولا يعذبنا الله بما نقول) لولا تحضيضية بمعنى هلا اى هلا يعذبنا الله ويغضب علينا ويقهرنا بجرآتنا على الدعاء بالشر على محمد لو كان نبيا حقا (حسبهم) بس است ايشانرا (جهنم) عذابا مبتدأ وخبر اى محسبهم وكافيهم جهنم فى التعذيب من احسبه اذا كفاه (يصلونها) يدخلونها ويقاسون حرها لا محالة وان لم يجعل تعذيبهم لحكمة والمراد الاستهزاء بهم والاستخفاف بشأنهم لكفرهم وعدم ايمانهم (فبئس المصير) اى جهنم قال فى برهان القرءآن الفاء لما فيه من معنى التعقيب اى فبئس المصير ما صاروا اليه وهو جهنم انتهى قال بعض المفسرين وقولهم ذلك من جملة ما غفلوا عما عندهم من العلم فانهم كانوا اهل كتاب يعلمون ان بعض الانبياء قد عصاه امته وآذوه ولم يعجل تعذيبهم لحكمة ومصلحة علمها عند الله تعالى انتهى * ثم ان الله يستجيب دعاء رسول الله عليه السلام كما روى ان عائشة رضى الله عنها سمعت قول اليهود فقالت عليكم السام

والذام واللعن فقال عليه السلام ياعائشة ارفقى فان الله يحب الرفق فى كل شئ ولا يحب الفحش والتفحش الاسمعت مارددت عليهم فقلت عليكم فيستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم فى وقس عليه حال الورثة الكاملين فان انفاسهم مؤثرة فمن تعرض لواحد منهم بالسوء فقد تعرض لسوء نفسه وفى البستان * بزركى بچاهى درافتاده بود * كه ازهول اوشير نرماده بود * همه شب زفرياد وزارى نخفت * يكى برسرش كوفت سنكى وكفت * توهر كز رسيدى بفرياد كس * كه ميخواهى امروز فرياد رس * كه برجان ريشت نهد مرهمى * كه جانها بنالد زدستت همى * تومارا همى چاه كندى براه * بسر لاجرم رفتادى بچاه (ياايها الذين آمنوا) بألسنتهم وقلوبهم (اذا تناجيتم) چون رازكوييد بايكديكر يعنى فى انديتكم وخلواتكم (فلا تتناجوا بالاثم والعدوان) كما يفعله المنافقون واليهود (وتناجوا بالبر والتقوى) اى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول قال سهل رحمه الله بذكر الله وقرآءة القرآن والامر بالمعروف والنهى عن المنكر (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تأتون وماتذرون يعنى بسوى اوجمع كرده خواهيد شد پس ازموت دلت الآية على ان التناجى ليس بمنهى عنه مطلقا بل مأمور به فى بعض الوجوه ايجابا واستحبابا واباحة على مقتضى المقام ان قيل كيف يأمر الله بالاتقاء عنه وهو المولى الرحيم والقرب منه الذ المطالب والانس به اقصى المآرب فالتقوى توجب الاجتناب والحشر اليه يستدعى الاقبال اليه يجاب بأن فى الكلام مضافا اذ التقدير واتقوا عذاب الله وقهر الله اوغيرهما فان قيل ان العبد لوقدر على الخلاص من العذاب والقهر لأسرع اليه لكنه ليس بقادر عليه كما قال تعالى ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله والامر انما يكون بالمقدور لا يكلف الله نفسا الا وسعها اجيب بأن المراد الاتقاء عن السبب من الذنوب والمعاصى الصادرة عن العبد العاصى فالمراد واتقوا ما يفضى الى عذاب الله ويقتضى قهره فى الدارين من الاثم والعدوان ومعصية الرسول التى هى السبب الموجب لذلك فالمراد النهى عن مباشرة الاسباب والامر بالاجتناب عنها ان قيل ان ذلك الاتقاء انما يكون بتوفيق الله له فان وفق العبد له فلا حاجة الى الامر به وان لم يوفقه فلا قدرة له عليه والامر انما يحسن فى المقدور اجيب بانه تعالى علمه الحق اولا ووهب له ارادة جزئية يقدر بها على اختيار شئ فله الاختيار السابق على ارادة الله تعالى ووجود الاختيار فى الفاعل المختار امر يطلع عليه كل احد حتى الصبيان (انما النجوى) المعهودة التى هى التناجى بالاثم والعدوان بقرينة ليحزن (من الشيطان) لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها فكأنها منه (ليحزن الذين آمنوا) خبر آخر من الحزن بالضم بعده السكون متعد من الباب الاول لا من الحزن بفتحتين لازما من الرابع كقوله تعالى ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيكون الموصول مفعوله وفى القاموس الحزن بالضم ويحرك الهم والجمع احزان وحزن كفرح والحزنه الامر حزنا بالضم واحزنه جعله حزينا وحزنه جعل فيه حزنا وقال الراغب الحزن والحزن خشونة فى الارض وخشونة فى النفس لما يحصل فيها من الغم ويضاده الفرح ولاعتبار الخشونة بالغم قيل خشنت بصدره اذا احزنته والمعنى انما هى ليجعل الشيطان المؤمنين محزونين بتوهمهم انها فى نكبة اصابتهم فى سريتهم يعنى ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا متألمين بذلك فاترين فى تدبير الغزو الى غير ذلك مما يشوش قلوب المؤمنين وفى الحديث (اذا كنتم ثلاثة) فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه (وليس) اى الشيطان او التناجى (بضارهم) بالذى يضر المؤمنين (شيأ) من الاشياء اوشيأ من الضرر يعنى ضرر رساننده مؤمنان بچيزى (الا باذن الله) اى بمشيئته وارادته اى ما اراده من حزن اووسوسة كما روى ان فاطمة رضى الله عنها رأت كأن الحسن والحسين رضى الله عنهما اكلا من اطيب جزور بعثه رسول الله اليهما فماتا فلما غدت سألته عليه السلام وسأل هو جبريل وجبريل ملك الرؤيا فقال لا علم لى به فعلم انه من الشيطان وفى الكشاف الا باذن الله اى بمشيئته وهو ان يقضى الموت على اقاربهم اوالغلبة على الغزاة قال فى الاسئلة المقحمة اين ضرر الحزن قلت ان الحزن اذا سلمت عاقبته لا يكون حزنا فى الحقيقة وهذه نكتة اصولية اذ الضرر اذا كانت عاقبته الثواب لا يكون ضررا فى الحقيقة والنفع اذا كانت عاقبته العذاب لا يكون نفعا فى الحقيقة (وعلى الله) خاصة (فليتوكل المتوكلون) ليفوضوا امورهم اليه وليثقوا به ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شرها وضررها ذكر بما نحن خصم تندخوى مكوى كه

اهل مجلس مارا ازان حسابى نيست وفى الآية اشارة الى ان الشيطان يناجى النفس الامارة ويزين لها المعارضات ونحوها ليقع القلب والروح فى الحزن والاضطراب وضيق الصدر ويتقاعدان من شوم المعارضة عن السير والطير فى عالم الملكوت ويحرمان من مناجاة الله تعالى فى عالم السر لكنهما محروسان برعاية الحق وتأييده ومنه يعلم ان كل مخالفة فهى فى النفس والطبيعة والشيطان لانها ظلمانية وان كل موافقة فهى فى القلب والروح والسر لانها نورانية الا ان يغلب عليها ظلمة اهل الظلمة وتختفى انوارها تحت تلك الظلمة اختفاء نور الشمس تحت ظلمة السحاب الكثيف فليكن العبد على المعالجة دائما لكن ينبغى له التوكل التام فان المؤثر فى كل شئ هو الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا) يعنى المخلصين (اذا قيل لكم) من اى قائل كان من الاخوان (تفسحوا) التفسح جاى فراخ كردن وفراخ نشتن درمجلس وكذا الفسح لكن التفسح يعدى بفى والفسح باللام اى توسعوا ليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عنى اى تنح وانت فى فسحة من دينك اى فى وسعة ورخصة وفلان فسيح الخلق اى واسع الخلق (فى المجالس) قال فى الارشاد متعلق بقيل يقول الفقير الظاهر انه متعلق بقوله تفسحوا لان البيهقى صرح فى تاج المصادر بان التفسح يعدى بفى على ما اشرنا اليه آنفا (فافسحوا) پس جاى كشاده كنيد بر مردم (يفسح الله لكم) اى فى كل ما يريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها فان الجزاء من جنس العمل والآية عامة فى كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والاجر سواء كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون تنافسا فى القرب منه عليه السلام وحرصا على استماع كلامه او مجلس حرب وكانوا يتضامون فى تمر اكز الغزاة ويأتى الرجل الصف ويقول تفسحوا ويأبون لحرصهم على الشهادة او مجلس ذكر او مجلس يوم الجمعة وان كل واحد وان كان احق بمكانه الذى سبق اليه لكنه يوسع لاخيه مالم يتأذ لذلك فيخرجه الضيق من موضعه وفى الحديث (لا يقيمن احدكم الرجل من مجلسه ثم يخالفه فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وفى رواية لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا) وقيل ان رجلا من الفقراء دخل المسجد واراد ان يجلس بجنب واحد من الاغنياء فلما قرب منه قبض الغنى اليه ثوبه فرأى رسول الله عليه السلام ذلك فقال للغنى اخشيت ان يعديه غناك او يعديك فقره وفيه حث على التواضع والجلوس مع الفقراء والتوسعة لهم فى المجالس وان كانوا شعثا غبرا (واذا قيل انشزوا) يقال نشز الرجل اذا نهض وارتفع فى المكان نشزا والنشز كالفلس وكذا النشز بفتحتين المكان المرتفع من الارض ونشز فلان اذا قصد نشزا ومنه نشز فلان عن مقره وقلب ناشز ارتفع عن مكانه رعبا والمعنى واذا قيل لكم قوموا للتوسعة على المقبلين اى على من جاء بعدكم (فانشزوا) فارتفعوا وقوموا يعنى اذا كثرت المزاحمة وكانت بحيث لا تحصل التوسعة بتنحى احد الشخصين عن الآخر حال قعود الجماعة وقيل قوموا جميعا وتفسحوا حال القيام فانشزوا ولا تثاقلوا عن القيام او اذا قيل لكم قوموا عن مواضعكم فانتقلوا منها الى موضع آخر لضرورة داعية اليه اطيعوا من امركم به وقوموا من مجالسكم وتوسعوا لاخوانكم ويؤيده انه عليه السلام كان يكرم اهل بدر فاقبلت جماعة منهم فلم يوسعوا لهم فقال عليه السلام قم يا فلان ويا فلان فاقام من المجلس بعدد المقبلين من اهل بدر فتغامز به المنافقون انه ليس من العدل ان يقيم احدا من مجلسه وشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف رسول الله عليه السلام الكراهية فى وجوههم فانزل الله الآية فالقائل هو الرسول عليه السلام ويقال واذا قيل انشزوا اى انهضوا عن مجلس رسول الله اذا امرتم بالنهوض عنه فانهضوا ولا تملوا رسول الله بالارتكان فيه او انهضوا الى الصلاة او الى الجهاد او الشهادة او غير ذلك من اعمال الخير فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا فالقائل يعم الرسول وغيره (يرفع الله الذين آمنوا منكم) جواب للامر اى من فعل ذلك طاعة للامر وتوسعة للاخوان يرفعهم الله بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا والايواء الى غرف الجنان فى الآخرة لان من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه فالمراد الرفعة المطلقة الشاملة للرفعة الصورية والمعنوية (والذين اوتوا العلم) اى ويرفع العلماء منهم خاصة فهو من عطف الخاص على العام للدلالة على علو شأنهم وسمو مكانهم حتى كأنهم جنس آخر (درجات) اى طبقات عالية ومراتب مرتفعة بسبب ما جمعوا من العلم والعمل فان العلم لعلو درجته يقتضى للعمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العارى عنه وان كان فى غاية الصلاح ولذا يقتدى بالعالم فى افعاله ولا يقتدى بغيره فعلم من هذا التقرير انه لا شركة

المعطوف عليه فى الدرجات كما قال ابن عباس رضى الله عنهما تم الكلام عند قوله منكم وينتصب الذين اوتوا العلم بفعل مضمر اى ويرفعهم درجات وانتصاب درجات اما على اسقاط الخافض اى الى درجات او على المصدرية اى رفع درجات فحذف المضاف او على الحالية من الموصول اى ذوى درجات (والله بما تعملون) اى بعملكم او بالذى تعملونه (خبير) عالم لا يخفى عليه شئ منه لا ذاته جنسا ونوعا ولا كيفيته اخلاصا ونفاقا ورياء اوسمعة ولا كميته قلة او كثرة فهو خبير بتفسحكم ونشوزكم ونيتكم فيهما فلا تضيع عندالله وجعله بعضهم تهديدا لمن لم يمتثل بالامر او استكرهه فلابد من التفسح والطاعة وطلب العلم الشريف ويعلم من الآية سر تقدم العالم على غيره فى المجالس والمحاضر لان الله تعالى قدمه واعلاه حيث جعل درجاته عالية وفى الحديث (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب) اى فضل العالم الباقى بالله على العابد الفانى فى الله كما فى التأويلات النجمية وقال فى عين المعانى المراد علم المكاشفة فى ماورد فضل العالم على العابد كفضلى على امتى اذ غيره وهو علم المعاملة تبع للعمل لثبوته شرطاله اذ العمل انما يعتد به اذا كان مقرونا بالعلم المعاملة قال بعضهم المتعبد بغير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يقطع المسافة * علم جندانكه بيشتر خوانى * جون عمل درتونيست نادانى * وحيث يمدح العلم فالمراد به العلم المقرون بالعمل * رفعت آدمى بعلم بود * هركه راعلم بيش رفعت بيش * قيمت هركسى بدانش اوست * سازدافزون بعلم قيمت خويش (وقال بعضهم) من التجربه معلوم كشت آخر حال * كه عزمرد بعلم است وازعلم بمال * وعن بعض الحكماء ليت شعرى اى شئ ادرك من فاته العلم واى شئ فات من ادرك العلم وكل عالم يوطد بعمل قال ذل بصير وعن الزهرى رضى الله عنه العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال قال مقاتل اذا انتهى المؤمن الى باب الجنة يقال له لست بعالم ادخل الجنة بعملك ويقال للعالم قف على باب الجنة واشفع للناس وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال لان اعلم مسألة احب الى من ان اصلى مائة ركعة ولان اعلم مسألة احب الى من ان اصلى الف ركعة قال ابو هريرة وابو ذر رضى الله عنهما سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جاء الموت طالب العلم على هذه الحال مات وهو شهيد واعلم ان جميع الدرجات اما باعتبار تعدد اصحابها فان لكل عالم ربانى درجة عالية او باعتبار تعددها لقوله عليه السلام بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجة حضر الجواد المضمر سبعين سنة الحضر بضم الحاء المهملة ارتفاع الفرس فى عدوه والجواد الفرس السريع السير وتضمير الفرس ان تعلفه حتى يسمن ثم رده الى القوت وذلك فى اربعين يوما والمضمار الموضع يضمر فيه الخيل وغاية الفرس فى السباق (يا ايها الذين آمنوا) بالايمان الخالص (اذا ناجيتم الرسول) المناجاة باكسى راز كفتن اى اذا كالمتموه سرا فى بعض شؤ ونكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه السلام ومكالمته سرا وبالفارسية جون خواهيدكه راز كوييد بارسول وفى بعض التفاسير اذا كالمتموه سرا استفسارا لحال ما يرى لكم من الرؤيا ففيه ارشاد للمقتدين الى عرضها على المقتدى بهم ليعبرها لهم ومن ذلك عظم اعتبار الواقعات وتعبيرها بين ارباب السلوك حتى قيل ان على المريد ان يعرض واقعته على شيخه سواء عبر الشيخ اولم يعبر فان الله تعالى قال ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وهى من جملة الامانة عند المريد لابد ان يؤديها الى الشيخ لما فيها من فائدة جليلة له وقوة لسلوكه وفى التعبير اثر قوى على ما قاله عليه السلام الرؤيا على ما اولت (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) اى فتصدقوا قبلها على المستحق كقول عمر رضى الله عنه افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته فهو مستعار ممن له يدان على سبيل التخييل فقوله نجواكم استعارة بالكناية وبين يدى تخييلية وفى بعض التفاسير اذا اردتم عرض رؤياكم عليه ليعبرها لكم فتصدقوا قبل ذلك بشئ ليكون ذلك قوة لكم ونفعا فى اموركم والآية نزلت حين اكثر الناس عليه السؤال حتى اسأموه واملوه فامرهم الله بتقديم الصدقة عند المناجاة فكف كثير من الناس اما الفقير فلعسرته واما الغنى فلشحه وفى هذا الامر تعظيم الرسول ونفع الفقراء والزجر عن الافراط فى السؤال والتميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى ءاشفقتم الآية وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخى عنه نزولا على ما هو شأن الناسخ واختلف فى مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ فقيل كان ساعة من النهار والظاهر انه عشرة ايام لما روى عن على رضى الله عنه انه قال ان فى كتاب الله لآية ما عمل بها احد قبلى

ولا يعمل بها احد بعدى كان لى دينار فصرفته وفى رواية فاشتريت به عشرة دراهم فكنت اذا ناجيته عليه السلام تصدقت بدرهم يعنى كنت اقدم بين يدى نجواى كل يوم درهما الى عشرة ايام واسأله خصلة من الخصال الحسنة كما قال الكلبى تصدق به فى عشر كلمات سألهن رسول الله عليه السلام وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدته وهى عشرة ايام فى بعض الروايات اما لعدم المحوج اليها او للاشفاق وعلى التقديرين لا يلزم مخالفة الامر وان كان للاشفاق وفى بعض التفاسير ولا يظن ظان ان عدم عمل غيره من الصحابة رضى الله عنهم بهذا لعدم الاقدام على التصدق كلا كيف ومن المشهور صدقة ابى بكر وعثمان رضى الله عنهما بالوف من الدراهم والدنانير مرة واحدة فهلا يقدم من هذا شأنه على تصدق دينار او دينارين وكذا غيرهما فلعله لم يقع حال اقتضت النجوى حينئذ وهذا لا ينافى الجلوس فى مجلسه المبارك والتكلم معه لمصلحة دينية او دنيوية بدون النجوى اذ المناجاة تكلم خاص وعدم الخاص لا يقتضى عدم العام كما لا يخفى وعن على رضى الله عنه قال لما نزلت الآية دعانى رسول الله فقال ما تقول فى دينار قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد اى رجل قليل المال زهدك فيه فقدرت على حالك وما فى بالك من الشفقة على المؤمنين وقوله حبة او شعيرة اى مقدارها من ذهب وعن ابن عمر رضى الله عنه كان لعلى رضى الله عنه ثلاث لو كانت لى واحدة منهن كانت احب الى من حمر النعم تزويجه فاطمة رضى الله عنها واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قوله حمر النعم بسكون ميم الحمر وهى من انفس اموال العرب يضربون بها المثل فى نفاسة الشئ وانه ليس هناك اعظم منه قال بعضهم ان رسم النثارات للملوك والرؤساء مأخوذ من ادب الله تعالى فى شأن رسوله حيث قال يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة (ذلك) التصدق (خير لكم) ايها المؤمنون من امساكه وبالفارسية بهترست مر شمارا زيرا كه طاعت بيفزايد (واطهر) لانفسكم من دنس الريبة ودرن البخل الناشئ من حب المال الذى هو من اعظم حب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبالفارسية وپاكيزه تر براى آنكه كناهان محو كند وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) منبئ عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد فى المناجاة بلا تصدق والمعنى بالفارسية پس اگر نيابيد چيزى كه صدقه دهيد پس خداى تعالى آمرزنده است مر كسى را كه اين كناه كند مهربانست بنده را كه تكليف ما لا يطاق نفرمايد قال بعض اهل الاشارة ان الله تعالى ادب اهل الارادة بهذه الآية ان يناجوا شيوخهم فى تفسير الالهام واستفهام علم المكاشفة والاسرار الابعد بذل وجودهم لهم والايمان بهم بشرط المحبة والارادة فان الصحة بهذه الصفة خير لقلوبهم واطهر لنفوسهم فان ضعفوا عن بعض القيام بحقوقهم ومعهم الايمان والارادة وعلموا قصورهم فى الحقيقة فان الله تعالى يتجاوز عن ذلك التقصير وهو رحيم بهم يبلغهم الى درجة الاكابر (قال المولى الجامى) چه سوداى شيخ هر ساعت فزون خرمن طاعت * چو نتوانى كه يك جو از وجود خويشتن كاهى (أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) الاشفاق الخوف من المكروه ومعنى الاستفهام التقرير كان بعضهم ترك المناجاة للاشفاق لا لمخالفة الامر وجمع صدقات لجمع المخاطبين قال فى بعض التفاسير افرد الصدقة اولا لكفاية شئ منها وجمع ثانيا نظرا الى كثرة التناجى والمناجى والمعنى اخفتم الفقر يا اهل الغنى من تقديم الصدقات فيكون المفعول محذوفا للاختصار وان قدموا فى تقدير لان تقدموا او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر قال الشاعر

هون عليك ولا تولع باشفاق * فانما مالنا للوارث الباقى

(فاذ لم تفعلوا) ما امرتم به وشق عليكم ذلك وبالفارسية پس چون نكرديد اين كاررا (وتاب الله عليكم) بأن رخص لكم فى ان لا تفعلوه واسقط عنكم تقديم الصدقة وذلك لانه لا وجه لحملها على قبول التوبة حقيقة اذ لم يقع منهم التقصير فى حق هذا الحكم بان وقعت المناجاة بلا تصدق وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على بابها يعنى لظرفية والمضى بمعنى انكم تركتم ذلك فيما مضى وتجاوز الله عنكم بفضله فتداركوه بما تؤمرون به بعد هذا وقيل بمعنى اذا للمستقبل كما فى قوله اذ الاغلال فى اعناقهم او بمعنى ان الشرطية وهو قريب مما قبله الا ان ان يستعمل فيما يحتمل وقوعه واللاوقوعه (فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) مسبب عن قوله فاذ لم تفعلوا اى فاذ فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات

فتداركوه بالمواظبة على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة المفروضة (واطيعوا الله ورسوله) فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع فى ذلك من التفريط وهو تعميم بعد التخصيص لتتميم النفع (والله خبير بما تعملون) عالم بالذى تعملونه من الاعمال الظاهرة والباطنة لا يخفى عليه خافية فيجازيكم عليه فاعملوا ما امركم به ابتغاء لمرضاته لا رياء وسمعة وتضرعوا اليه خوفا من عقوباته خصوصا بالجماعة يوم الجمعة ومن الادعية النبوية اللهم طهر قلبى من النفاق وعملى من الرياء ولسانى من الكذب وعينى من الخيانة انك تعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وفى تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر من بين العبادات المرادة بالامر بالاطاعة العامة اشارة الى علو شأنهما وانافة قدرهما فان الصلاة رئيس الاعمال الدينية جامعة لجميع انواع العبادات من القيام والركوع والسجود والقعود ومن التعوذ والبسملة والقراءة والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة على النبى عليه السلام ومن الدعاء الذى هو مخ العبادة ومن ذلك سميت صلاة وهى الدعاء لغة فهى عبادة من عبد الله تعالى بها فهو محفوظ بعبادة العابدين من اهل السموات والارضين ومن تركها فهو محروم منها فطوبى لاهل الصلاة وويل لتاركها وان الزكاة هى ام الاعمال المالية بها يطهر القلب من دنس البخل والمال من خبث الحرمة فعلى هذا هى بمعنى الطهارة وبها ينمو المال فى الدنيا بنفسه لانه يمحق الله الربا ويربى الصدقات وفى الآخرة باجره لانه تعالى يضاعف لمن يشاء وفى الحديث) من تصدق بقدر تمرة من كسب حلال ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل) فعلى هذا هى من الزكاء بمعنى النماء اى الزيادة وفى البستان * بدنيا توانى كه عقبى خرى * بخرجان من ورنه حسرت خورى * زرو نعمت آيد كسى رابكار * كه ديوار عقبى كند زرنكار * (المتر) تعجيب من حال المنافقين الذين يتخذون اليهود اولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين والخطاب للرسول عليه السلام اولكل من يسمع ويعقل وتعدية رؤية بالى لكونها بمعنى النظر اى المنتظر يعنى ايا نمى نكرى (الى الذين تولوا) من التولى بمعنى الموالاة لا بمعنى الاعراض اى والوا يعنى دوست كرفتند (قوما غضب الله عليهم) وهم اليهود كما انبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والغضب حركة للنفس مبدءها ارادة الانتقام وهو بالنسبة اليه تعالى نقيض الرضى او ارادة الانتقام او تحقيق الوعيد او الاخذ الاليم والبطش الشديد او هتك الاسرار والتعذيب بالنار او تغيير النعمة (ماهم) اى الذين تولوا (منكم) فى الحقيقة (ولا منهم) اى من القوم المغضوب عليهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك فهم وان كانوا كفارا فى الواقع لكنهم ليسوا من اليهود حالا لعدم اعتقادهم بما اعتقدوا وعدم وفائهم لهم ومآلا لان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار والجملة مستأنفة (ويحلفون على الكذب) الحلف العهد بين القوم والمحالفة المعاهدة والحلف اصله اليمين التى يأخذ بعضهم من بعض بها العهد ثم عبر به عن كل يمين اى يقولون والله انا مسلمون فالكذب المحلوف عليه هو دعاء الاسلام وهو عطف على تولوا وادخل فى حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه (وهم يعلمون) ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وهو الحلف على فعل او ترك ماض كاذبا عمدا سمى بالغموس لانه يغمس صاحبه فى الاثم ثم فى النار ولم يجعل حلفهم غموسا لان الغموس حلف على الماضى وحلفهم هذا على الحال والجملة حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب فى غاية القبح وفى هذه التقييد دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه فيكون حجة على النظام والجاحظ (وروى) انه عليه السلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق بتقديم النون على الباء الموحدة كجعفر وكان ازرق فقال له عليه السلام علام تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت فالكذب المحلوف عليه على هذه الرواية هو عدم شتمهم (اعد الله لهم) بسبب ذلك (عذابا شديدا) دردنيا بخوارى ورسوايى ودر آخرت بآتش دوزخ والمراد نوع من العذاب عظيم فالنوعية مستفادة من تنكير عذابا والعظيم من توصيفه بالشدة (انهم ساء ما كانوا يعملون) اى تمرنوا عليه واصروا وتمرنهم اى اعتيادهم واستمراهم على مثل ما عملوه فى الحال من العمل السوء مستفاد من كان الدالة على الزمان الماضى اى العمل السئ دأبهم (اتخذوا ايمانهم) الفاجرة التى يحلفون بها عند الحاجة واليمين فى الحلف

مستعارا من اليد اعتبارا بما يفعله المخالف والمعاهد عنده (جنة) وهى الترس الذى يجن صاحبه اى يستره والمعنى وقاية وسترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم ونهب اموالهم يعنى پناهى كه خون ومال ايشان درامان ماند فالاتخاذ عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة لاعن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لابد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما تعرب عنه الفاء فى قوله (فصدوا) اى منعوا الناس وصرفوهم (عن سبيل الله) اى عن دينه فى خلال امنهم وسلامتهم وتثبيط من لقوا عن الدخول فى الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم (فلهم) بسبب كفرهم وصدهم (عذاب مهين) مخز بين اهل المحشر وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة (لن تغنى عنهم اموالهم ولااولادهم من الله) اى من عذابه تعالى (شيأ) قليلا من الاغناء يقال اغنى عنه كذا اذا كفاه يعنى انهم يحلفون كاذبين للوقاية المذكورة ولاتنفعهم اذا دخلوا النار اموالهم ولااولادهم التى صانوها وافتخروا بها فى الدنيا او يقولون ان كان مايقول محمد حقا لندفعن العذاب عن انفسنا باموالنا واولادنا فأكذبهم الله بهذه الآية فان يوم القيامة يوم لاينفع فيه مال ولابنون ولايكفى احد احدا فى شأن من الشؤون (اولئك) الموصوفون بماذكر من الصفات القبيحة قال فى برهان القرآن بغيرواو موافقة للجمل التى قبلها ولقوله أولئك حزب الله (اصحاب النار) اى ملازموها ومقارنوها ومالكوها لكونها حاصلهم وكسبهم الذى اكتسبوه فى الدنيا بالسيئة المردية المؤدية الى التعذيب (هم فيها خالدون) لايخرجون منها ابدا وضميرهم لتقوية الاسناد ورعاية الفاصلة لاللحصر لخلود غيرالمنافقين فيها من الكفار (يوم يبعثهم الله جميعا) يادكن روزى راكه برانكيزد خداى تعالى همه منافقان ازقبور وزنده كند بس ازمرك وجميعا حال من ضمير المفعول بمعنى مجموعين (فيحلفون) فى ذلك اليوم وهو يوم القيامة (له) اى لله تعالى على انهم مسلمون مخلصون كما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا (ويحسبون) فى الآخرة مصدره الحسبان وهوان يحكم لاحد النقيضين من غير ان يخطر الآخر بباله فيحسبه ويعقد عليه الاصبع ويكون بعرض ان يعتريه فيه شك ويقاربه الظن لكن الظن ان يخطر النقيضين بباله فيغلب احدهما الآخر (انهم) بتلك الأيمان الكاذبة (على شئ) من جلب منفعة اودفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن انفسهم واموالهم ويستجرون بها فوآئد دنيوية (الاانهم هم الكاذبون) المبالغون فى الكذب الى غاية لامطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدى علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين والاحرف تنبيه والمراد التنبيه على توغلهم فى النفاق وتعودهم به بحيث لاينفكون عنه موتا ولاحياة ولوردوا لعادوا لمانهوا عنه وانهم لكاذبون (استحوذ عليهم الشيطان) من حاذ الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وسقتها سوقا عنيفا اى استولى عليهم الشيطان وملكهم لطاعتهم له فى كل مايريد منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه وهومما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اى على خلاف القياس فان القياس ان يقال استحاذ فهو فصيح استعمالا وشاذ قياسا (وحكى) ان عمر رضى الله عنه قرأ استحاذ (فانساهم ذكر الله) المصدر مضاف الى المفعول اى كان سببا بالاستيلاء لنسيانهم تعالى فلم يذكروه بقلوبهم ولابألسنتهم (اولئك) المنافقون الموصوفون بماذكر من القبائح (حزب الشيطان) اى جنوده واتباعه الساعون فيما امرهم به والحزب الفريق الذى يجمعه مذهب واحد (الاان حزب الشيطان هم الخاسرون) اى الموصوفون بالخسران الذى لاغاية وراءه حيث فوتوا على انفسهم النعيم المقيم واخذ وابدله العذاب الأليم قال بعض المشايخ بوأه الله الدرجات الشوامخ علامة استحواذ الشيطان على العبد ان يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ويشغل قلبه عن التفكر فى آلاء الله ونعمه عليه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب واللغو والغيبة والبهتان وسمعه عن الحق بسماع اللهو والهذيان قال بعض اهل الاشارة اذا اراد الشيطان ان ينبت فى سبخة ارض النفس الامارة حنظل الشهوة يثب اليها ويغريها على انفاذ مرادها فتكون النفس مركبه فيهجم الى بلد القلب ويخربه بأن يدخل فيه ظلمة الطبيعة فلاترى عين القلب مسالك الذكر وصفائه فلما احتجب عن الذكر صار وطن ابليس وجنوده وغلب الملعون عليه وهذا يكون

بارادة الله تعالى وسببه استحواذ غرور اللعون وتزيينه بان يلبس امر الدين بامر الدنيا ويغويه من طريق العلم فاذا لم يعرف دقيقه صار قرينه الشيطان دون الملك والرحمن اذ لا يجتمع الحق مع الباطل * نظر دوست نادر كند سوى تو * چو در روى دشمن بود روى تو * ندانى كه كمتر نهد دوست پاى * چو بيند كه دشمن بود درسراى (ان الذين يحادون الله ورسوله) اى يعادونهما ويخالفون امرهما ويتعدون حدودهما ويتعاونون معهما افعل من ينازع آخر فى ارض فيغلب على طائفة منها فيجعل لها حدا لا يتعداه خصمه ولما كانوا لا يفعلون ذلك الا لكثرة اعوانهم واتباعهم فيظن من رآهم انهم الاعزاء الذين لا احد اعز منهم قال تعالى نفيا لهذا الغرور الظاهر (اولئك) الاباعد والاسافل بما فعلوا من المحادة (فى الاذلين) اى فى جملة من هو اذل خلق الله من الاولين والآخرين لا ترى احدا اذل منهم لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك وذلك بالسبى والقتل فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة سواء كانوا فارس والروم اواعظم منهم سوقة كانوا اوملوكا كفرة كانوا اوفسقة (كتب الله) استئناف وارد لتعليل كونهم فى الاذلين اى قضى واثبت فى اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به (لاغلبن انا ورسلى) اكده لما لهم من ظن الغلبة بالكثرة والقوة والمراد الغلبة بالحجة والسيف اوباحدهما والغلبة بالحجة ثابتة لجميع الرسل لانهم الفائزون بالعاقبة الحميدة فى الدنيا والآخرة واما الغلبة بالسيف فهى ليست بثابتة للجميع لان منهم من لم يؤمر بالحرب قال الزجاج غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة واذا انضم الى الغلبة بالحجة الغلبة بالسيف كان اقوى * مجالست چون دوست دارد ترا * كه در دست دشمن كذارد ترا * وعن مقاتل انه قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال رئيس المنافقين عبد الله بن ابى بن سلول اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التى غلبتم عليها والله انهم لاكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزل قوله تعالى كتب الله الآية قال البقلى رحمه الله كتب الله على نفسه فى الازل ان ينصر اولياءه على اعدائه من شياطين الظاهر والباطن ويعطيهم رايات نصرة الولاية فحيث تبدو راياتهم التى هى سطوع نور هيبة الحق من وجوههم صار الاعداء مغلوبين بتأييد الله ونصرته قال ابو بكر بن طاهر رحمه الله اهل الحق لهم الغلبة ابدا ورايات الحق تسبق رايات غيره جميعا لان الله تعالى جعلهم اعلاما فى خلقه واوتادا فى ارضه ومفزعا لعباده وعمارة لبلاده فمن قصدهم بسوء كبه الله لوجهه واذله فى ظاهر عزه (ان الله) تعليل للقهر والغلبة اكده لان افعالهم مع اوليائه افعال من يظن ضعفه (قوى) على نصر انبيائه قال بعضهم القوى هو الذى لا يلحقه ضعف فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله ولا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز فى نقض ولا ابرام والقوة فى الاصل عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف ويراد بها القدرة بالنسبة الى الله تعالى (عزيز) لا يغلب عليه فى مراده * حكيمى كه آن زبار كه كبريا بود * كس راد ران مجال تصرف كجا بود * فان قلت فاذا كان الله قويا عزيزا غير عاجز فما وجه انهزام المسلمين فى بعض الاحيان وقد وعد النصرة قلت ان النصرة والغلبة منصب شريف فلا يليق بالكافر لكن الله تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار واخرى على المؤمنين لانه لو شدد المحنة على الكفار فى جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين فى جميع الاوقات لحصل العلم الضرورى بأن الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على اهل الايمان واخرى على اهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر فى الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله ولان المؤمن قد يقدم على بعض المعاصى فيكون تشديد المحنة عليه فى الدنيا تمحيصا لذنوبه وتطهيرا لقلبه واما تشديد المحنة على الكافر فهو من قبيل الغضب الا ترى ان الطاعون مثلا رحمة للمؤمنين ورجز للكافرين ومامن سابق عدل الا له لاحق فضل ولا سابق فضل الا له لاحق عدل غير ان اثرى العدل والفضل قد يتعلقان بالبواطن خاصة وقد يتعلق احدهما بالظاهر والآخر بالباطن وقد يكون اختلاف تعلقهما فى حالة واحدة وقد يكون على البدل وعلى قدر تعلق الاثر السابق يكون تعلق الاثر اللاحق وقد اجرى الله سبحانه آثار عدله على ظواهر اصفيائه دون بواطنهم ثم عقب ذلك بايراد آثار فضله على بواطنهم وظواهرهم حتى صار من قاعدة

الحكمة الالهية تفويض ممالك الارض للمستضعفين فيها كالنجاشي حيث بيع فى صغره وذلك كثير موجود بالاستقراء فمن كمال تربية الحكيم لمن يريد اعلاء شأنهم ان يجرى على ظاهرهم من آثار العدل مافيه تكميل لهم وتنوير لمداركهم وتطهير لوجودهم وتهذيب وتأديب الى غير ذلك من فوائد التربية ومن تتبع احوال الاكابر من آدم عليه السلام وهلم جرا رأى من احسن بلاء الله مايشهد لما قرر بالصحة والمبتلى به يصبر على ذلك بل يتلذذ كما هو شأن الكبار * هرچه ازدست تو آيد خوش بود * كرهمه در پاى پر آتش بود * وفى الآية اشارة الى اعداء النفوس الكافرة فانها تحمل القلوب والارواح على مخالفات الشريعة وموافقات الطبيعة وتمحو الذكر من الواحها بغلبة محبة الدنيا وشهواتها لكن الله تعالى ينصرها ويؤيدها حتى تغلب على النفوس الكافرة بسطوات الذكر فيحصل لها غاية الذلة كاهل الذمة فى بلدة المسلمين وذلك لان الله تعالى كتب فى صحائف الاستعدادات غلبتها على النفوس وذلك من باب الفضل والكرم (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) الخطاب للنبى عليه السلام اولكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى (يوادون من حاد الله ورسوله) مفعوله الثانى اوالى واحد بان كان بمعنى صادف فهو حال من مفعوله لتخصيصه بالصفة وهو يؤمنون والموادة المحابة مفاعلة من المودة بمعنى المحبة وهى حالة تكون فى القلب اولا ويظهر آثارها فى القالب ثانيا والمراد بمن حاد الله ورسوله المنافقون واليهود والفساق والظلمة والمبتدعة والمراد بنفى الوجدان نفى الموادة على معنى انه لاينبغى ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد فى طلبه كل احد وجعل مالا ينبغى وجوده غير موجود لشركته فى فقد الخير ويجوز ان يقال لا تجد قوما كاملى الايمان على مايدل عليه سياق النظم فعدم الوجدان على حقيقته قال فى كشف الاسرار اخبران الايمان يفسد بموادة الكفار وكذا بموادة من فى حكمهم وعن سهل بن عبد الله التسترى قدس سره من صحح ايمانه واخلص توحيده فانه لايأنس الى مبتدع ولايجالسه ولايؤاكله ولايشاربه ولايصاحبه ويظهر من نفسه العداوة والبغضاء ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن تحبب الى مبتدع لطلب عز فى الدنيا اوعرض منها اذله الله بتلك العزة وافقره الله بذلك الغنى ومن ضحك الى مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب واما المعاملة للبايعة العادية اوللمجاورة اوالمرافقة بحيث لا تضر بالدين فليست بمحرمة بل قدتكون مستحبة فى مواضعها قال ابن الشيخ المعنى لا يجتمع الايمان مع وداد اعداء الله فان قيل اجتمعت الامة على ان يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحرمة فالجواب ان المودة المحرمة هى ارادة منافعه دينا ودنيا مع كونه كافرا وماسوى ذلك جائز (روى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر عندى نعمة فانى وجدت فيما اوحى الى لا تجد قوما الخ فعلم منه ان الفساق واهل الظلم داخلون فى من حاد الله ورسوله اى خالفهما وعاداهما واستدل مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم وهم القائلون بنفى كون الخير والشركله بتقدير الله ومشيئته يعنى هم الذين يزعمون ان كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصى بتقدير الله وسموا بذلك لمبالغتهم فى نفيه وكثرة مدافعتهم اياه وقيل لاثباتهم للعبد قدرة الايجاد وليس بشئ لان المناسب حينئذ القدرى بضم القاف (ولوكانوا) اى من حاد الله ورسوله وبالفارسية واكرچه باشند از مخالفان خدا ورسول والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها (آباءهم) اى آباء الموادين (اوابناءهم) قدم الاقدم حرمة ثم الاحكم محبة (اواخوانهم) نسبا (اوعشيرتهم) العشيرة اهل الرجل الذين يتكثر بهم اى يصيرون بمنزلة العدد الكامل وذلك ان العشرة هو العدد الكامل فصار العشيرة لكل جماعة من اقارب الرجل يتكثر بهم والعشير المعاشر قريبا اومعارفا وفى القاموس عشيرة الرجل بنو ابيه الادنون او قبيلته انتهى يعنى ان المؤمنين المتصلبين فى الدين لايوالون هؤلاء الاقرباء بعد ان كانوا محادين الله ورسوله فكيف بغيرهم فان قضية الايمان بالله ان يهجر الجميع بالكلية بل ان يقتلهم ويقصدهم بالسوء كما روى ان ابا عبيدة قتل اباه الجراح يوم بدر وان عبد الله بن عبد الله بن ابى بن سلول جلس الى جنب رسول الله عليه السلام فشرب رسول الله الماء فقال عبد الله رضى الله عنه يارسول الله ابق فضلة من شرابك قال فما تصنع بها فقال اسقيها ابى لعل الله يطهر قلبه ففعل فأتاها اباه فقال ماهذا قال فضلة من شراب رسول الله جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك فقال له ابوه هلا جئتنى ببول امك فرجع الى النبى عليه السلام فقال يارسول الله ائذن لى فى قتل ابى

فقال عليه السلام بل ترفق به وتحسن اليه وان ابا قحافة قبل ان اسلم سب النبى عليه السلام فصكه ابو بكر رضى الله عنه صكة اى ضربه ضربة سقط منها فقال عليه السلام اوفعلته قال نعم قال فلا تعد اليه قال والله لو كان السيف قريبا منى لقتلته قال فى التكملة فى هذه الرواية نظر لان هذه السورة مدنية وابو بكر مع ابيه الآن بمكة انتهى * يقول الفقير اعله على قول من قال ان العشر الاول من هذه السورة مدنى والباقى مكى وان ابا بكر رضى الله عنه دعا ابنه عبد الرحمن الى البراز يوم بدر فأمره عليه السلام ان يقعد قال يارسول الله دعنى اكن فى الرعلة الاولى وهى القطعة من الفرسان فقال عليه السلام متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك بمنزلة سمعى وبصرى يقول الفقير يعلم منه فضل ابى بكر على على رضى الله عنهما فان هذا فوق قوله عليه السلام لعلى انت منى بمنزلة هرون من موسى فتفطن لذلك وان مصعبا رضى الله عنه قتل اخاه عبيد بن عمير بأحد وان عمر رضى الله عنه قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وان عليا وحمزة وعبيد بن الحارث رضى الله عنهم قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة وكانوا من عشيرتهم وقرابتهم وكل ذلك من باب الغيرة والصلابة كما قال عليه السلام الغيرة من الايمان والمنية من النفاق ومن لاغيرة له لادين له (وروى) عن الثورى انه قال كانوا يرون ان هذه الآية نزلت فيمن يصحب السلطان ففيه زجر عن مصاحبتهم وعن عبد العزيز بن ابى دؤاد انه لقيه المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وفى الحديث (من مشى خلف ظالم سبع خطوات فقد اجرم) وقد قال الله تعالى انا من المجرمين منتقمون (اولئك) اشارة الى الذين لايوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم واسهم رحما (كتب) الله سبحانه (فى قلوبهم الايمان) اى اثبته فيها وهو الايمان الوهبى الذى وهبه الله لهم قبل خلق الاصلاب والارحام اذ لايزال بحال ابدا كالايمان المستعار وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان الجزء الثابت فى القلب ثابت فيه قطعا ولاشئ من الاعمال الجوارح يثبت فيه وهو حجة ظاهرة على القدرية حيث زعموا ان الايمان والكفر يستقل بعملهما العبد (وايدهم) اى قواهم واصله قوى يدهم (بروح منه) اى من عند الله فمن لابتداء الغاية وهو نور القرآن او النصر على العدو او نور القلب وهو بادراك حقيقة الحال والرغبة فى الارتقاء الى المدارج الرفيعة الروحانية والخلاص من درك عالم الطبيعة الدنية وكل ذلك سمى روحا لكونه سببا للحياة قال سهل رحمه الله حياة الروح بالتأييد وحياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة الذكر بالذاكر وحياة الذاكر بالمذكور (ويدخلهم) فى الآخرة (جنات تجرى من تحتها) اى من تحت اشجارها او قصورها (الانهار) الاربعة يعنى جويها از آب وشير وخمر وعسل (خالدين فيها) ابد الآباد لايقرب منهم زوال ولا موت ولا مرض ولافقر كما قال عليه السلام ينادى مناد آن لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وآن لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وآن لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وآن لكم ان تنعموا فلا تبأسوا آبدا (رضى الله عنهم) خشنود شد خداى ازايشان بطاعتى كه در دنيا كردند وفى الارشاد استئناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة والرضى ترك السخط (ورضوا عنه) وخشنود شدند ايشان از خداى بكرامتى كه وعده كرده ايشانرا در عقبى وفى الارشاد بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا (اولئك حزب الله) تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل اى جنده وانصار دينه قال سهل رضى الله عنه الحزب الشيعة وهم الابدال وارفع منهم الصديقون (الا ان حزب الله هم المفلحون) الناجون من المكروه والفائزون بالمحبوب دون غيرهم المقابلين لهم من حزب الشيطان المخصوصين بالخذلان والخسران وهو بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين وخير الدارين وقال بعض اهل الاشارة حزب الله اهل معرفته ومحبته واهل توحيده هم الفائزون بنصرة الله من مهالك القهريات ومصارع الامتحانات وجدوا الله بالله اذا ظهر واحد منهم ينهزم المبطلون ويتفرق المغالطون لان الله تعالى اسبل على وجوههم نور هيبته واعطى لهم اعلام عظمته يفر منهم الاسود ويخضع لهم الشامخات كلأهم الله بحسن رعايته ونورهم بسناقدرته ورفع لهم اذكارهم فى العالمين وعظم اقدارهم وكتم اسرارهم وامام ثعلبى از جرجانى كه او از مشايخ خود شنيده كه داود عليه السلام از حق تعالى پرسيد كه حزب تو كيست خطاب آمد از حضرت عزت كه الغاضة ابصارهم والسليمة اكفهم والنقية قلوبهم اولئك حزبى وحول عرشى هر كه چشم او از محارم فرو بسته بود ودست او از آزار خلق واخذ حرام كوتاه باشد ودل خود از ماسوى پاكيزه كرده از جملهٔ حزب حضرت الله است

ودرين باب كفته اند * ازهر چه نارواست بروديد هابينند * وزهر چه ناپسند بود دست بازدار * لوح دل ازغ بار تعلق بشوى پاك * تا باشدت بخلفه اهل قلوب بار * وفى الآية اشارة الى ابوة الروح بالنسبة الى السر والخفى والى القلب والنفس والهوى وصفاتها لولادة الكل عن مادة ازدواج الروح مع القالب والى بنوة الكل الى الروح والى اخوة السر مع النفس واخوة القلب مع الهوى وعشيرة صفاتهما مع الخفى لكون الكل من واد واحد واصل متحد هو الروح فمن قطع ارتباط التعلق مع النفس والهوى وصفاتهما الظلمانية الشيطانية بالتوجه الكلى الروحى والسرى والقلبى والخفى الى الحضرة الالهية فهم الذين كتب الله فى الواح قلوبهم وصفاح اسرارهم الايمان الحقيقى الشهودى العيانى وايدهم بروح الشهود الكلى الجمعى الجامع بين شهود الوحدة الذاتية الحقيقية وبين شهود الكثرة الاسمائية النسبية والجمع بين الشهودين دفعة واحدة من غير تخلل بينهما ومن غير احتجاب احدهما عن الآخر و يدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار مياه التجليات الذاتية والصفاتية والاسمائية المشتملة على العلوم والمعارف والحقائق والحكم على الدوام والاستمرار رضى الله عنهم بفنائهم عن الناسوتية ورضوا عنه ببقائهم بلاهوتيته اولئك حزب الله اى مظاهر ذاته وصفاته واسمائه الان حزب الله هم المفلحون لقيامهم بقيومية الحق تعالى واعلم انه كأن الدنيا والآخرة يومان متعاقبان متلاصقان فمن ذلك يعبر عن الدنيا باليوم وعن الآخرة بغد ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فانكم اليوم فى دار العمل ولا حساب وانتم غدا فى دار الآخرة ولا عمل ونعيم الدنيا منقطع دون نعيم الآخرة ثم ان هذا شأن الابرار واما المقربون فهم اهل الله لا اهل الدارين ونعيمهم ما ذكر من التجليات فهم حزب الله حقيقة الكمال نصرتهم فى الدين ظاهرا وباطنا

تمت سورة المجادلة بعون الله تعالى فى اواخر جمادى الاولى من شهور سنة خمس عشرة ومائة والف

* (سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض) التسبيح تبعيد الله عن السوء وتطهيره عما لا يليق بشأن الوهية ويكون بالجنان واللسان والحال والاول اعتقاد العبد بتعاليه عما لا يليق بالالوهية وذلك لان من معانى التفعيل الاعتقاد بشئ والحكم به مثل التوحيد والتمجيد والتعظيم بمعنى الاعتقاد بالوحدة والمجد والعظمة والحكم بها وعلى هذا المعنى مثل التكفير والتضليل ومثل التجويز والترجيح والثانى القول بما يدل على تعاليه مثل التكبير والتهليل والتأمين بمعنى ان يقول الله اكبر ولا اله الا الله وآمين وهو المشهور عند الناس والثالث دلالة المصنوعات على ان صانعها متصف بنعوت الجلال متقدس عن الامكان ومايتبعه والمفسرون فسروا ما فى القرآن من امثال الآية الكريمة على كل من الثانى والثالث ليعم تسبيحا لكل كذا فى بعض التفاسير وجمهور المحققين على ان هذا التسبيح تسبيح بلسان العبارة والاشارة لا بلسان الاشارة فقط فجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم سبحه تعالى يعنى تسبيح ميكو يد كه وبه پاكى مستأنس ميكنند مر خدايرا كه مستحق ثناست كما سبق تحقيقه فى اول سورة الحديد وفى مواضع آخر من القرآن * بذكرش هرچه بينى در خروش است * دلى داند درين معنى كه كوش است * نه بلبل بر كلش تسبيح خوانست * كه هرخارى به توحيدش زبانست * وفى الحديث (انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان أبعث انى لاعرفه الآن) وعن ابن مسعود رضى الله عنه ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل على ان شهادة الجوارح والجلود مما نطق به القرآن الكريم وقال مجاهد كل الاشياء تسبح لله حيا كان اوجمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده وهذا على الاطلاق واما بالنسبة الى كل موجود فالتسابيح مختلفة فلكل موجود تسبيح مخصوص به من حيث ما يقتضيه نشأته كما قال بعض الكبار فاذا رأيت هؤلاء العوالم مشتغلين بالذكر الذى انت عليه فكشفك خيالى غير صحيح لاحقيقى وانما ذلك خيالك اقيم لك فى الموجودات فاذا شهدت فى هؤلاء بتنوعات الاذكار فهو الكشف الصحيح انتهى (وهو العزيز) ذو العزة القاهرة (الحكيم) ذو الحكمة الباهرة وفى ايراد الوصفين بعد التسبيح اشارة الى الباعث له والداعى اليه لان العزة اثر الجلال والحكمة أثر الجمال فله الاتصاف بصفات الكمال وفى التأويلات النجمية سبح لله ما فى سموات العقول عن معقولاتهم المقتنصة بشبكة الفكر بطريق ترتيب

المقدمات وتركيب القياسات واقامة البراهين القطعية والادلة الفكرية لعدم جدواها في تحصيل المطلوب فان ذاته منزهة عن التنزيهات العقلية المؤدية الى التعطيل وما في شهوات النفوس من التشبيه بل ذاته المطلقة جامعة للتنزيه العقلي والتشبيه النفسي كما قال ليس كمثله شيء وهو التنزيه وهو السميع البصير وهو التشبيه فجمعت ذاته المطلقة بالخاصية الجمعية بين التنزيه والتشبيه دفعة واحدة بحيث يكون التنزيه عين التشبيه والتشبيه عين التنزيه كما قال العارف المحقق قدس سره (فان قلت بالامرين كنت مسددا * وكنت اماما في المعارف سيدا) فان التنزيه نتيجة اسمه الباطن والتشبيه نتيجة اسمه الظاهر فافهم جدا وهو العزيز المنيع جنابه ان يتنزه من غير التشبيه الحكيم الذي تقتضي حكمته ان لا يشبه من غير التنزيه (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صالح بني النضير كامير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون اخي موسى عليه السلام قال السهيلي رحمه الله ونسبتهم الى هرون صحيحة لان النبي عليه السلام قال لصفية رضي الله عنها بنت حيي بن اخطب سيد بني النضير وقد وجدها تبكي لكلام قيل لها ابوك هرون وعمك موسى وبعلك محمد عليهم السلام والحديث معروف مشهور وفي بعض الكتب من اولاد الكاهن بن هرون ونزلوا قريبا من المدينة في فتن بني اسرائيل انتظار البعثة النبي عليه السلام وكان يقال لهم ولبني قريظة الكاهنان لانهم من اولاده ايضا وكان بنو النضير وقريظة وبنو قينقاع في وسط ارض العرب من الحجاز وان كانوا يهودا والسبب في ذلك ان بني اسرائيل كانت تغير عليهم العماليق في ارض الحجاز وكانت منازلهم يثرب والجحفة الى مكة فشكت بنو اسرائيل ذلك الى موسى عليه السلام فوجه اليهم جيشا وامرهم ان يقتلوهم ولا يبقوا منهم احدا ففعلوا ذلك وترك منهم ابن ملك لهم كان غلاما حسنا فرقوا له ثم رجعوا الى الشأم وموسى قد مات فقالت بنوا اسرائيل قد عصيتم وخالفتم فلا نؤويكم فقالوا نرجع الى البلاد التي غلبنا عليها ونكون بها فرجعوا الى يثرب فاستوطنوها وتناسلوا بها الى ان نزل عليهم الاوس والخزرج بعد سيل العرم فكانوا معهم الى الاسلام فلما هاجر عليه السلام عاهد بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام اي غلب يوم بدر قالوا فيما بينهم النبي الذي نعته في التورية لا ترد له راية يعني نتوان بود كه كسى بروى ظفر يابد يار ايت اقبال وى كسى بيفكند فلما كان يوم احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه السلام وعاهدوا على الاضرار به ناقضين العهد كعب اشرف باقوم خود بمدينه باز آمد وجبريل امين رسول را خبر دادازان عهد وپيمان كه درميان ايشان رفت فامر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصاري بفتح الميم وكان اخا كعب من الرضاعة فقتل كعب غيلة بالكسر اي خديعة فان الغيلة ان يخدعه فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله وذلك انه اتاه ليلا فاستخرجه من بيته بقوله اني اتيتك لاستقرض منك شيأ من التمر فخرج اليه فقتله ورجع الى النبي عليه السلام واخبره ففرح به لانه اضعف قلوبهم وسلب قوتهم وفي بعض الاخبار انه عليه السلام ذهب الى بني النضير لاستعانة في دية في نفر من اصحابه اي دون العشرة فيهم ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فقالوا له نعم يا ابا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك وكان عليه السلام جالسا الى جنب جدار من بيوتهم فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فهل من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فقال احد ساداتهم وهو عمرو بن جحاش انا لذلك فقال لهم احد ساداتهم وهو سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به انه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه فلما صعد الرجل ليلقي الصخرة اتى رسول الله الخبر من السماء بما اراد القوم فقام عليه السلام مظهرا انه يقضي حاجته وترك اصحابه في مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ولم يعلم من كان معه من اصحابه فقاموا في طلبه لما استبطأوه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه فقال رأيته داخل المدينة فاقبل اصحابه حتى انتهوا اليه فاخبرهم بما ارادت بنو النضير فندم اليهود وقالوا قد اخبر بامرنا فارسل عليه السلام اليهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه ان اخرجوا من بلدي اي لان قريتهم زاهرة كانت من اعمال المدينة فلا تساكنوني بها فلقد هممتم بما هممتم من الغدر فسكتوا ولم يقولوا حرفا فارسل اليهم المنافقون ان اقيموا في حصونكم فانا نمدكم فارسلوا الى رسول الله انا لا نخرج من ديارنا فافعل ما بدا لك وكان المتولى امر ذلك سيد بني النضير حيي بن اخطب والد صفية ام المؤمنين فاغتر بقول المنافقين فسار رسول الله عليه السلام مع المؤمنين وهو على حمار مخطوم بليف وحمل رايته على

رضى الله عنه حتى نزل بهم وصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون النبل والحجارة وزربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبى عليه السلام احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله فى قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ماشاؤا من متاعهم الا السلاح بس ششنصد شتر بارخودرا برآراستند واظهار جلادت نموده دفعها ميزدند وسرور كويان ازبازار مدينه كذشتند فجاؤا الشأم الى اريحا من فلسطين والى اذرعات من دمشق الا اهل بيتين منهم آل ابى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة وهى بالكسرة بلد بقرب الكوفة ولم يسلم من بنى النضير الا رجلان احدهما سفيان بن عمير بن وهب والثانى سعد بن وهب اسلما على اموالهم فأحرزاها فأنزل الله تعالى سبح لله الى قوله والله على كل شئ قدير قال محمد جلاء بنى النضير كان مرجع النبى عليه السلام من احد سنة ثلاث من الهجرة وكان فتح بنى قريظة مرجعه من الاحزاب فى سنة خمس من الهجرة وبينهما سنتان وفى انسان العيون كانت غزوة بنى النضير فى ربيع الاول من السنة الرابعة والجلاء بالفتح الخروج من البلد والتفرق منه يقال اجليت القوم عن منازلهم وجلوتهم فاجلوا عنها وجلوا اى ابرزتهم عنها فان اصل الجلو الكشف الظاهر ومنه الطريقة الجلوتية بالجيم فانها الجلاء والظهور بالصفات الالهية كما عرف فى محله والجلاء اخص من الخروج لانه لا يقال الجلاء الا لخروج الجماعة اولا خراجهم والخروج والاخراج يكون للجماعة والواحد وقيل فى الفرق بينهما ان الجلاء كان مع الاهل والولد بخلاف الخروج فانه لا يستلزم ذلك قال العلماء مصالحة اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شئ لا يجوز الآن وانما كان ذلك فى اول الاسلام ثم نسخ والآن لابد من قتالهم او سبيهم او ضرب الجزية عليهم (هو الذى) اوست خداوندى كه ازروى اذلال (اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب) بيان لبعض آثار عزته واحكام حكمته اى امر باخراج اهل التوراة يعنى بنى النضير (من ديارهم) جمع دار والفرق بين الدار والبيت ان الدار دار وان زالت حوائطها والبيت ليس ببيت بعد ما انهدم لان البيت اسم مبنى مسقف مدخله من جانب واحد بنى للبيتوتة سواء كان حيطانه اربعة او ثلاثة وهذا المعنى موجود فى الصفة الا ان مدخلها واسع فيتنا ولها اسم البيت والبيوت بالمسكن اسم اخص والابيات بالشعر كما فى المفردات (لاول الحشر) اللام تتعلق باخرج وهى للتوقيت اى عند اول حشرهم الى الشأم وفى كشف الاسرار اللام لام العلة اى اخرجوا ليكون حشرهم الى الشام اول الحشر والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط اذ كان انتقالهم من بلاد الشام الى جانب المدينة عن اختيار منهم وهم اول من اخرج به من جزيرة العرب الى الشأم فعلى هذا الوجه ليس الاول مقابلا للآخر وسميت جزيرة لانه احاط بها بحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات قال الخليل بن احمد مبدأ الجزيرة من حفر ابى موسى الى اليمن فى الطول ومن رمل يبرين وهو موضع بحذاء الاحساء الى منقطع السماوة فى العرض والسماوة بالفتح موضع بين الكوفة والشام اوهذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى الشأم وذلك حين بلغه الخبر عن النبى عليه السلام لا يبقين دينان فى جزيرة العرب وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر يكون بالشام (ما ظننتم) ايها المسلمون (ان يخرجوا) من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعددهم (وظنوا) اى هؤلاء الكافرون ظنا قويا هو عرتبة اليقين فانه لا يقع الا بعد فعل اليقين اوما نزل منزلته (انهم مانعتهم حصونهم من الله) الحصون جمع حصن بالكسر وهو كل موضع حصين لا يوصل الى جوفه والقلعة الحصن الممتنع على الجبل فالاول اعم من الثانى وتحصن اذا اتخذ الحصن مسكنا ثم تجوز به فقيل درع حصينة لكونها حصنا للبدن وفرس حصان لكونه حصنا لراكبه والمعنى ظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وقهره وقدم الخبر واسند الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة لا يبالى بسببها فتقديم المسند يفيد قصر المسند اليه على المسند فان معنى قائم زيد ان زيدا مقصور على القيام لا يتجاوزه الى القعود وكذا معنى الآية ان حصونهم ليس لها صفة غير المانعية ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ فان قيل ما المانع من جعل مانعتهم مبتدأ وحصونهم خبرا فان كليهما معرفة قلت كون مانعتهم نكرة لان اضافتها غير محضة وان القصد الى الاخبار عن الحصون (فأتاهم الله)

اى امر الله وقدره المقدور لهم (من حيث لم يحتسبوا) ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه فانه مما اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب والفاء اما للتعقيب اشارة الى ان البأس لم يكن متراخيا عن ظنهم او للسبب اشارة الى انهم انما اخذوا بسبب اعجابهم بأنفسهم وقطعهم النظر الى قدرة الله وقوته (وقذف فى قلوبهم الرعب) القذف الرمى البعيد والمراد هنا الالقاء قال فى الكشاف قذف الرعب اثباته وركزه ومنه قالوا فى صفة الاسد مقذف لما ان قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه والرعب الانقطاع من امتلاء الخوف ولتصور الامتلاء منه قيل رعبت الحوض اى ملأته وباعتبار القطع قيل رعبت السنام اى قطعته قال بعضهم الرعب خوف يملأ القلب فيغير العقل و يعجز النفس و يشوش الرأى و يفرق التدبير ويضر البدن والمعنى اثبت فيها الخوف الذى يرعبها و يملأها لان المعتبر هو الثابت وما هو سريع الزوال فهو كغير الواقع وقال بعضهم فلا يلزم التكرار لان الرعب الذى اشتمله قوله فأتاهم الله هو اصل الرعب وفرق بين حصول اصله وبين ثباته ودلت الآية على ان وقوع ذلك الرعب صار سببا فى اقدامهم على بعض الافعال و بالجملة فالفعل لا يحصل الا عند حصول داعية متأكدة فى القلب وحصول تلك الداعية لا يكون الا من الله فكانت الافعال باسرها مستندة الى الله بهذا الطريق كذا فى اللباب (يخربون بيوتهم بايديهم) الجملة استئناف لبيان حالهم عند الرعب اى يخربونها بايديهم ليسدوا بما انقضوا منها من الخشب و الحجارة افواه الازقة ولئلا تبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين و لينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل والاخراب والتخريب واحد يقال خرب المكان خرابا وهو ضد العمارة وقد اخربه وخربه اى افسده بالنقض والهدم غيران فى التشديد مبالغة من حيث التكثير لكثرة البيوت وهو قرآءة ابى عمرو وفرق ابو عمرو بين الاخراب والتخريب فقال خرب بالتشديد بمعنى هدم ونقض وافسد واخرب بالهمزة ترك الموضع وقال اى ابو عمرو وانما اخترت التشديد لان الاخراب ترك الشئ خرابا بغير ساكن و بنوا النضير لم يتركوها خرابا وانما خربوها بالهدم كما يدل عليه قوله بايديهم وايدى المؤمنين ان قيل البيوت هى الديار فلم يقل يخربون ديارهم على وفق ما سبق وايضا كيف ما كان الاخراج من ديارهم وهى مخربة اجيب بان الدار ماله بيوت فيجوز اخراب بعضها وابقاء بعضها على مقتضى الرأى فيكون الخروج من الباقى على ان الاخراج لا يقتضى العمارة اذ يجوز ان يكون باخراب المساكن والطرح منها قال سهل رحمه الله يخربون بيوتهم بأيديهم اى قلوبهم بالبدع وفى كشف الاسرار نحست دين ودل خويش از روى باطن خراب كردند تا خرابى باطن بظاهر سرايت كرد وخانهٔ خود نيز خراب كردند (وايدى المؤمنين) حيث كانوا يخربونها ازالة لمحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال واضرارا بهم واسناد هذا اليهم لما انهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم اياه وامروهم به وهذا كما فى قوله عليه السلام لعن الله من لعن والديه وهو كقوله عليه السلام من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه فقالوا وكيف يسب الرجل والديه فقال يساب الرجل فيسب أباه فيسب أباه و يسب أمه فيسب أمه يقول الفقير فيه اشارة الى ان استناد الكفار الى الحصون والاحجار وان اعتماد المؤمنين على الله الملك الغفار ولاشك ان من اعتمد على المأمن الحقيقى ظفر بمراده فى دنياه وآخرته ومن استند الى ماسوى الله تعالى خسر خسرانا مبينا فى تجارته وان الانسان بنيان الرب فر بما قتل المرء نفسه اوتسبب له فهدم بنيان الله فصار ملعونا وقس على هذا حال القلب فانه بيت الله واجتهد حتى لا يغلب عليه النفس والشيطان (قال الحافظ) من آن نكير سليمان بهيچ نستانم * كه گاه گاه برو دست اهرمن باشد (فاعتبروا) پس عبرت گيريد (ياأولى الابصار) اى يااولى الالباب والعقول والبصائر يعنى اتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدى اليه الافكار واتقوا مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصى وانتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا على تعاضد الاسباب كبنى النضير الذين اعتمدوا على حصونهم ونحوها بل توكلوا على الله تعالى وفى عين المعانى فاعتبروا بها خراب جميع الدنيا * جهان اى پسر ملك جاويد نيست * زدنيا وفادارى اميد نيست * والاعتبار مأخوذ من العبور وهو المجاوزة من شئ الى شئ ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمى اهل التعبير لان صاحبه ينتقل من المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعانى من لسان القائل الى عقل المستمع و يقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله

من حال ذلك الغير الى حال نفسه * چو بر كشته بختى درافتد ببند * ازو نيك بختان بكيرند پند * والبصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة التى فيهما ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر ولايكاد يقال للجارحة بصيرة كما فى المفردات قال بعض التفاسير الابصار جمع بصر وهومايكون فى الرأس وبه يشاهدعالم الملك وهوعالم الشهادة حتى لوكان بين الرآئى والمرئى مقدار عدة آلاف سنة يشاهده فى طرفة عين بوصول نور من حدقة العين الى المرئى حكاية للرآئى والبصيرة فى القلب كالبصر فى الرأس وبها يشاهد عالم الملكوت وهو عالم الغيب حتى لوكان المشاهد فى العالم الاعلى وفى اللوح المحفوظ بل فى علم الله تعالى مماتعلق مشيئة الله بمشاهدة احد اياه من عباده لشاهده فى آن واحد وقد يشاهد الممتنع والمحال وغير المتناهى بنوع مشاهدة كما نجده فى وجداننا وكل ذلك من غرآئب صنع الله وجعل البعض البصر ههنا مجازا عن المشاهدة لانه كثيرا مايكون آلة لمشاهدتها ويكون هو معتبرا باعتبارها حتى لولاها يكون هو فى حكم المفقود وبهذا الاعتبار اورد الابصار فى مقام البصائر فقال فى تفسيره فاتعظوا وانظروا فيمانزل بهم ياذوى العقول والبصائر وهذا هو الاليق بشأن الاتعاظ والاوفق بقوله تعالى فاعتبروا يااولى الالباب اذاللب وهوالعقل الخالص عن الكدورات البشرية والبصيرة التى هى عين القلب حين ماكانت مجلوة خاصة بالعقلاء اللائقين للخطاب بالامر بالاعتبار واما البصر فيوجد فى البهائم والبصيرة الغير المجلوة فتوجد فى العوام وجعله البعض الآخر على حقيقته فقال فى تفسيره فاعتبروا يامن عاين تلك الوقائع لكن مآل القولين واحد اذ مجرد البصر المعاين لايفيد الاعتبار بلابصيرة صحيحة وفى الوسيط معنى الاعتبار النظر فى الامور ليعرف بها شئ آخر من جنسها قال يحيى بن معاذ رحمه الله من لم يعتبر بالمعاينة استغنى عن الموعظة وقداستدل بالآية على حجية القياس من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لمابينهما من المشاركة المقتضية له كما فصل فى الكتب الاصولية واشار بأهل الكتاب الى يهودى النفس ونصرانى الهوى وانمانسبنا التنصر الى الهوى والتهود الى النفس لغلبة عطالة النفس فان الهوى بالنسبة الى النفس كالروح بالنسبة الى الجسم البدنى ولهذا المعنى قيل الهوى روح النفس ينفخ فيهما هوى الشهوات الحيوانية ويهوى الى هوية الجحيم والله تعالى يستأصلها من ديار صفاتهما الظلمانية بالصدمة الاولى من قتال الحشر الاول وظنوا ان حصون طباعهم الرديئة تمنعهم عن الانسلاخ من صفاتهم الخسيسة فأتاهم الله بالتجلى القهرى وقذف فى قلوب النفس والهوى رعب المفارقة بينهما فان كل واحد منهما كان متمسكا بالآخر تمسك الروح بالبدن وقيام البدن بالروح يخربون بيوت صفاتهم بأيدى اهوآئهم المضلة وبقوة أيدى الروح والسر والقلب لغلبة نوريتهم عليها فاعتبروا يااولى الابصار الذين صار الحق تعالى بصرهم كما قال فبى يبصر وبى يسمع وبى يبطش الحديث بطوله (ولولاان كتب الله) حكم (عليهم) اى على بنى النضير (الجلاء) اى الخروج من اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع وقد سبق الكلام فى الجلاء ولولا امتناعية ومابعدها مبتدأ فان ان مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشأن المقدر اى ولولا انه وكتب الله خبرها والجملة فى محل الرفع بالابتدآء يعنى ولولا كتاب الله عليهم الجلاء واقع فى علمه اوفى لوحه (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة من اليهود قال بعضهم لماستحقوا بجرمهم العظيم قهرا عظيما اخذوا بالجلاء الذى جعل عديلا لقتل النفس لقوله تعالى ولوانا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم اواخرجوا من دياركم مافعلوه الا قليل منهم مع ان فيه احتمال ايمان بعضهم بعد مدة وايمان من يتولد منهم (ولهم فى الآخرة عذاب النار) استئناف غير متعلق بجواب لولا اذ لوكان معطوفا عليه لزم ان ينجوا من عذاب الآخرة ايضا لان لولا تقتضى انتفاء الجزآء لحصول الشرط وانماجيئ به لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لانجاة لهم من عذاب الآخرة يقول الفقير لايلزم من نجاتهم من عذاب الدنيا ان لايكون جلاؤهم من قبيل العذاب وانما لم يكن منه بالنسبة الى عذاب الاستئصال والوجه فى جلائهم انهم قصدوا قتل النبى عليه السلام وقتله شر من الف قتل فأخذوا بالجلاء ليموتوا كل يوم الف مرة لان انقطاع النفس عن مألوفاتها بمنزلة موتها فجاء الجزآء من جنس العمل قال بعض اهل الاشارة ولولا ان كتب الله على يهودى النفس ونصرانى الهوى جلاء الانسلاخ من ديار وجوداتهم لعذبهم فى طلب الدنيا ومحبتها ولهم فى آخر الامر عذاب نار القطيعة عن مألوفاتهم الطبيعية ومستحسناتهم الحسية (ذلك) اى ماحاق بهم وسيحيق (بأنهم) اى بسبب انهم (شاقوا الله ورسوله)

خالفوا امرهما وفعلوا مافعلوا مما حكى عنهم من القبائح والمشاقة كون الانسان فى شق ومخالفه فى شق
(ومن يشاق الله) كائنا من كان (فان الله شديد العقاب) له فهو نفس الجزآء بحذف العائد اوتعليل للجزآء
المحذوف اى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب فاذالهم عقاب شديد ايضا لكونهم من المشاقين واياما كان
فالشرطية تحقيق للسببية بالطريق البرهانى وفيه اشعار بأن المخالفة تقتضى المؤاخذة بقدر قوتها وضعفها
فليحذر المؤمنون من العصيان مطلقا * همينت بسندست اكر بشنوى * كه كرخار كارى سمن
ندروى * اعلم ان الله الذى هو الاسم الاعظم جامع لجميع الاسماء الالهية المنقسمة الى الأسماء الجلالية
القهرية والجمالية اللطفية والتشاقق فيه استدعاء احد الشقين من التجليين الجمالى والجلالى بأن يطلب الطالب
منه اللطف والجمال وهو ممن يستحق القهر والجلال لا ممن يستحق اللطف والجمالى فهو يستدعى من الحق شيأ
لاتقتضى حكمته البالغة اعطاءه اياه وهو من قبيل التحكم الذى لايجوز بالنسبة الى الله تعالى كما قال تعالى
ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه (قال الحافظ)
درين چمن نكنم سرزنش بخودروبى * چنانكه پرورشم ميدهند ميرويم * والمشاقة مع الرسول
عليه السلام المنازعة فى حكمة امره ونهيه مثل اسرار الصلوات الخمس واختلاف اعدادها وقرآءتها
جهرا وسرا ومثل اسرار الزكاة واختلاف احكامها ومثل احكام الحج ومناسكه ونحن امرنا بمحض الامتثال
والانقياد وما كلفنا بمعرفة اسرارها وحقائقها والنبى عليه السلام مع كمال عرفانه وجلال برهانه يقول ان
اتبع الا ما يوحى الى وقال نحن نحكم بالظواهر والله يعلم السرآئر قوله فان الله شديد العقاب ومن شدة عقابه
ابتلاء عبده بامتثال هذه الاشياء مع عدم تكليفه اياه بمعرفة حقائقها والمراد بالعقاب الاتعاب
والا فالاحكام من قبيل الرحمة لا العذاب ولذا من قال هذه الطاعات جعلها الله علينا عذابا من غيرتأويل كفر
(ماقطعتم من لينة) ماشرطية نصب بقطعتم واللينة فعلة نحو حنطة من اللون على ان اصلها لونة فياؤها
مقلوبة عن واو لكسرة ماقبلها نحو ديمة وقيمة وتجمع على الوان وهى ضروب النخل كلها وقيل من اللين وتجمع
على لين والليان وهى النخلة الكريمة الشجرة بكونها قريبة من الارض والطيبة الثمرة قال الراغب فى المفردات
اللين ضد الخشونة ويستعمل ذلك فى الاجسام ثم يستعار للخلق ولغيره من المعانى فيقال فلان لين وفلان خشن
وكل واحد منهما يمدح به طورا ويذم به طورا بحسب اختلاف المواضع وقوله ماقطعتم من لينة اى من نخلة ناعمة
ومخرجه مخرج فعلة نحو حنطة ولايختص بنوع منه دون نوع انتهى والمعنى اى شئ قطعتم من نخلة
من نخيلهم بأنواعها وقيل اللينة ضروب النخل كلها ماخلا العجوة والبرنية وهما اجود النخل (اوتركتموها)
الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما فى قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها (قائمة) حال من ضمير
المفعول (على اصولها) كما كانت من غير ان تتعرضوا لها بشئ من القطع جمع اصل وهو ما يتشعب منه
الفرع (فباذن الله) فذاك اى قطعها وتركها بأمر الله فلا جناح عليكم فيه فان فى كل من القطع والترك
حكمة ومصلحة (وليخزى الفاسقين) اى وليذل اليهود الخارجين عن دآئرة الاسلام اذن فى قطعها وتركها
فهو علة لمحذوف يقال خزى الرجل لحقه انكسار امامن نفسه وهو الحياء المفرط ومصدره الخزاية واما من غيره
وهو ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزى اذن الله فى قطعها وتركها لانهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون
فى اموالهم كيف احبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة
وذلك ان رسول الله عليه السلام حين امر ان تقطع نخيلهم وتحرق قالت اليهود وهم بنوا النضير يا محمد قد كنت
تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخيل واحراقها فشق ذلك على النبى عليه السلام وكان فى انفس
المؤمنين ايضا من ذلك شئ فنزلت وجعل امر رسول الله امره تعالى لانه عليه السلام ما ينطق عن الهوى
واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم مثمرة كانت اوغير مثمرة واحراق زروعهم زيادة لغيظهم
وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الالوان ليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت
هى الكرام ليكون غيظهم اشد ويقال ان العتيق والعجوة كانتا مع نوح فى السفينة والعتيق الفحل وكانت
العجوة اصل الاناث كلها فلذا شق على اليهود قطعها وظهر من هذا ان اللون هو ماعدا العجوة والبرنى من انواع
التمر بالمدينة والبرنى بالفارسية حمل مبارك اوجيد لان اصله برنيك فعرب ومن انواع تمر المدينة الصيحانى

وفى شرح مسلم للنووى ان انواع التمر مائة وعشرون وفى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى ان انواع التمر بالمدينة التى امكن جمعها بلغت مائة و بضعا وثلاثين و يوافقه قول بعضهم اختبرناها فوجدناها اكثر مما ذكره النووى قال ولعل مازاد على ماذكر حدث بعد ذلك واما انواع التمر بغير المدينة كالمغرب فلاتكاد تنحصر فقد نقل ان عالم فاس محمد بن غازى ارسل الى عالم سجلماسة ابراهيم بن هلال يسأله عن حصر انواع التمر بتلك البلدة فارسل اليه حملا اوحملين من كل نوع تمرة واحدة وأرسل اليه هذا ماتعلق به علم الفقير وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها وفى نسق الازهار ان بهذه البلدة رطبا يسمى البتونى وهو اخضر اللون واحلى من عسل النحل ونواه فى غاية الصغر وكانت العجوة خيراموال بنى النضير لانهم كانوا يقتاتونها وفى الحديث (العجوة من الجنة وتمرها يغذى احسن الغذاء) روى ان آدم عليه السلام نزل بالعجوة من الجنة وفى البخارى من تصبح كل يوم على سبع تمرات عجوة لم يصبه فى ذلك اليوم سم ولاسحر وقد جاء فى العجوة العالية شفاء وانها ترياق اول البكرة وفى كلام بعضهم العجوة ضرب من التمر اكبر من الصيحانى تضرب الى السواد وهى مما غرسه النبى عليه السلام بيده الشريفة وقد علمت انها فى نخل بنى النضير وعن ابن عباس رضى الله عنهما هبط آدم من الجنة بثلاثة اشياء بالآسة وهى سيدة ريحان الدنيا والسنبلة وهى سيدة طعام الدنيا والعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا وفى الحديث (ان العجوة من غرس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق اول البكرة وعليكم بالتمر البرنى فكلوه فانه يسبح فى شجره و يستغفر لآكله وانه من خير تمركم وانه دواء وليس بداء) وجاء بيت ولاتمر فيه جياع اهله قال ذلك مرتين ولما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل كما فى انسان العيون قال بعض اهل الاشارة يشير الى من قطع نخلة محبة الدنيا من ارض قلبه بأمر الله وحكمته المقتضية لذلك الامر بالقطع وهم المحرومون المنقطعون عن الدنيا ومحبتها وشهواتها ولذاتها المتوجهون الى طريق السلوك الى الله بتزكية النفس وتصفية القلب وتخلية السر وتحلية الروح والى من ترك الدنيا فى ارض قلبه قائمة على اصولها على حالها باذن الله وحكمته البالغة المقتضية لابقائها وهم الكاملون المكملون الواصلون المواصلون الذين ليس للدنيا ولا للآخرة عندهم قدرومقدار مازاغ نظرظاهرهم ولابصر باطنهم اليهما لاشتغالهم بذكر الله اى بذكر ذاته وصفاته واسمائه كما قال فى حقهم رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وليخزى الفاسقين الذين خرجوا من مقام المعرفة والعرفان وماعرفوا ان للحق عبادا ليس للدنيا والآخرة عندهم قدرومقدار وماذاغ بصر ظاهرهم ونظر باطنهم اليهما وطعنوا فيهم بمحبة الدنيا ونسبوا اليهم حب الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية فأخزاهم الله بشؤم هذا الطعن والله يشهد انهم لكاذبون (قال الحافظ) بس تجربه كرديم درين دير مكافات * بادرد كشان هركه درافتاد برافتاد (وماافاء الله على رسوله) شروع فى بيان حال اخذ من اموالهم بعد بيان ماحل بانفسهم من العذاب العاجل والآجل ومافعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع وماموصولة مبتدأ وقوله فما اوجفتم خبره و يجوز جعلها شرطية وقوله فما اوجفتم جوابا والفيئ فى الاصل بمعنى الرجوع وافاءه اعادوا رجع فهو على اصل معناه هنا والمعنى ما اعاده اليه من مالهم اى جعله عائدا ففيه اشعار بانه كان حقيقا بان يكون له عليه السلام وانما وقع فى ايديهم بغير حق فرجعه الله الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ماخلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين وهو عليه السلام رأسهم ورئيسهم و بهاطاع من اطاع فكان احق به فالعود على هذا بمعنى ان يتحول الشئ الى مافارق عنه وهو الاشهر و يجوز ان يكون معناه صيره له فالعود على هذا بمعنى ان يتحول الشئ الى مافارق عنه وان لم يكن ذلك التحول مسبوقا بالحصول له والحمل هنا على هذا المعنى لايحوج الى تكلف توجيه بخلاف الاول وكلمة على تؤيد الثانى وقال بعضهم افاء الله مبنى على ان الفيئ الغنيمة فمعنى افاء الله على رسوله جعله فيئاله خاصة وقال الراغب الفيئ والفيئة الرجوع الى حالة محمودة وقيل للغنيمة التى لايلحق فيها مشقة فيئ قال بعضهم سمى ذلك بالفيئ تشبيها بالفيئ الذى هو الظل تنبيها على ان اشرف اعراض الدنيا يجرى مجرى ظل زائل والفئة الجماعة المتظاهرة التى يرجع بعضهم الى بعض فى التعاضد وقال المطرزى فى المغرب فى الفرق بين الغنيمة والفيئ والنفل ان الغنيمة عن ابى عبيد مانيل من اهل الشرك عنوة والحرب قائمة وحكمها ان تخمس وسائرها بعد الخمس للغانمين خاصة والفيئ مانيل منهم بعد ماتضع الحرب اوزارها وتصير الدار دار اسلام وحكمه ان يكون لكافة المسلمين

ولا يخمس والنفل ما ينفله الغازى اى يعطاه زائدا على سهمه وهو ان يقول الامام اوالامير من قتل قتيلا فله سلبه اوقال للسرية ما اصبتم فلكم ربعه اونصفه ولا يخمس وعلى الامام الوفاء به وعن على بن عيسى الغنيمة اعم من النفل والفيء اعم من الغنيمة لانه اسم لكل ماصار للمسلمين من اموال اهل الشرك قال ابو بكر الرازى فالغنيمة فيء والجزية فيء ومال اهل الصلح فيء والخراج فيء لان ذلك كله مما افاء الله على المسلمين من المشركين وعند الفقهاء كل ما يحل اخذه من اموالهم فهو فيء (منهم) اى بنى النضير (فما) نافية (اوجفتم عليه) اى فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير يقال اوجفت البعير اسرعة وفى القاموس الوجيف ضرب من سير الخيل والابل وقيل اوجف فاعجف (من خيل) من زائدة بعد النفى اى خيلا وهو جماعة الافراس لا واحد له او واحده خائل لانه يختال والجمع اخيال وخيول كما فى القاموس وقال الراغب الخيلاء التكبر من تخيل فضيلة تترا اى للانسان من نفسه ومنها تأول لفظة الخيل لما قيل انه لا يركب احد فرسا الاوجد فى نفسه نخوة والخيل فى الاصل اسم للافراس والفرسان جميعا قال تعالى ومن رباط الخيل ويستعمل فى كل واحد منهما منفردا نحو ماروى ياخيل الله اركبى فهذا للفرسان وقوله عليه السلام عفوت لكم عن صدقة الخيل يعنى الافراس انتهى * والخيل نوعان عتيق وهجين فالعتيق ما ابوه عربيان سمى بذلك لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه من الامور المنقصة وسميت الكعبة بالبيت العتيق لسلامتها من عيب الرق لانه لم يملكها ملك قط واذا ربط الفرس العتيق فى بيت لم يدخله شيطان والهجين الذى ابوه عربى وامه عجمية والفرق ان عظم البرذونة اعظم من عظم الفرس وعظم الفرس اصلب واثقل والبرذونة احمل من الفرس والفرس اسرع منه والعتيق بمنزلة الغزال والبرذونة بمنزلة الشاة والفرس يرى المنامات كبنى آدم ولا طحال له وهو مثل لسرعته وحركته كما يقال للبعير لا مرارة له اى لاجسارة (ولا ركاب) هى ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لاغير واما راكب الفرس فانهم يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة قال فى المفردات الركوب فى الاصل كون الانسان على ظهر حيوان وقد يستعمل فى السفينة والراكب اختص فى التعارف بممتطى البعير جمعه ركب وركبان وركوب واختص الركاب بالمركوب والمعنى ماقطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت قرى بنى النضير على ميلين من المدينة وهى ساعة واحدة بحساب الساعات النجومية فذهبوا اليها مشيا وماكان فيهم راكب الا النبى عليه السلام وكان يركب جمارا مخطوما بليف على ماسبق اوجملا على ماقاله البعض فافتتحها صلحا من غيران يجرى بينهم مسايفة كأنه قال وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) اى سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبى عليه السلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غيران تقحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلاحق لكم فى اموالهم يعنى ان الامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء فلا يقسم قسمة الغنائم التى قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا وذلك انهم طلبوا القسمة كخيبر فنزلت (والله على كل شئ قدير) فيفعل مايشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة واخرى على غيرها * تيغى كه آسمانش ازفيض خود دهدآب * تنها جهان بكيردبى منت سپاهى * اعلم ان الفيض الالهى الفائض من الله على ساحة قلب السالك على قسمين امابالوهب المحض من خزانة اسمه الوهاب من غير تعمل من العامل فيه من ركض خيل النية الصالحة ومن سوق ركاب العمل الصالح من الفرائض والنوافل فهو مقطوع الروابط من جانب السالك العامل فليس للسالك ان يضيف ذلك الفيض والوارد القلبى الى نفسه بوجه من الوجوه ولا الى الاعمال الصادرة منه بسبب الاعضاء والجوارح بل يتركه على صرافة الوهب الربانى وطراوة العطاء الامتنانى والآية الكريمة دالة على هذا القسم واما مشوب بعمله فهو من خزانة اسمه الجواد فله ان يضيفه الى نفسه واعضائه وجوارحه ليظهر آثاره عليها كلها والآية الثالثة الآتية تشير الى القسم الثانى وقد جمع بينهما قوله تعالى لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فان الاول اشارة الى الاول والثانى الى الثانى واراد برسوله رسول القلب وانما سمى القلب بالرسول لان الرسالة من حضرة الروح الى النفس الكافرة والهوى الظالم بدعوتهما الى الحق تعالى بالايمان والهدى (ما افاء الله على رسوله من اهل القرى) بيان لمصارف الفيء بعد بيان افاءته عليه صلى الله عليه وسلم من غير

لبس لهم ملة المقامات ولبسوا بتلكين فى الحالات وابن السبيل هم الذين سافروا من الحدثان الى القدم (كيلا يكون) علة لقوله فلله وللرسول اى تولى الله قسمة الفيء وبين قسمته لئلا يكون اى الفيء الذى حقه ان يكون للفقراء يعيشون به (دولة) بضم الدال وقرئ بفتحها وهى مايدول للانسان اى يدور من الغنى والجد والغلبة اى كيلا يكون جدا (بين الاغنياء منكم) يتكاثرون به والخطاب للانصار لانه لم يكن فى المهاجرين فى ذلك الوقت غنى كما فى فتح الرحمن اوكيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عزيز اى من غلب سلب فيجعلون الاستقلال بمال الغنيمة والانفراد به منوطا بالغلبة عليه فكل من غلب على شئ منه يستقل به ولا يعطى الفقراء والضعفاء شيأ منه (قال الكاشفى) در معالم آورده كه اهل جاهليت چون غنيمتى كرفتندى مهتر ايشان ربعى برداشتى وازباقى نيز براى خود تحفة اختيار كردى وآنرا صفى كفتندى وباقى راباقوم كذاشتى وتوانكران قوم بردرويشان دران قسمت حيف كردندى جمعى ازرؤساى اهل ايمان درغنايم بنى النضير همين خيال بسته كفتند يارسول الله شمار بعى ونصفى مغنم رابرداريد وبكذاريد تاباقى راقسمت كنيم حق سبحانه وتعالى انرا خاصه حضرت پيغمبر عليه السلام كردانيد وقسمت انرا بروجهى كه مذكور شد مقرر ساخت وفرمود كه حكم فئ پيدا كرديم تانباشد آن فئ كردان دست بدست ميان توانكران ازشما كه زياده ازحق خود بردارند وفقرارا اندك دهند يامحروم سازند چنانكه درزمان جاهليت بوده وقيل الدولة بالضم مايتداول كالغرفة اسم مايغترف اى ان الدولة اسم للشئ الذى يتداوله القوم بينهم فيكون مرة لهذا ومرة لهذا والتداول بالفارسية ازيكديكر فرا كرفتن وتداول القوم كذا وداول الله بينهم كذا فالمعنى كيلا يكون الفيء شيأ يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح مصدر بمعنى التداول وفيه اضمار محذوف فالمعنى كيلا يكون ذاتداول بينهم اوكيلا يكون امساكه واخذه تداولا لايخرجونه الى الفقراء وقيل هى بالفتح بمعنى انتقال حالة سارة الى قوم عن قوم وتستعمل فى نفس الحالة السارة التى تحدث للانسان يقال هذه دولة فلان وقيل الضم للاغنياء والفتح للفقراء وفى الحديث (اغتنموا دولة الفقراء) كما فى الكواشى وفى الآية اشارة الى اعطاء كل ذى حق حقه كيلا يحصل بين الاغنياء والفقراء نوع من الجور والدولة الجاهلية يقال كان الفقراء فى مجلس سفيان الثورى امراء اى كالامراء فى التقديم والاكرام والعزة (وما آتاكم الرسول) ماموصولة والعائد محذوف والايتاء الاعطاء والمناولة اى مااعطاكموه ايها المؤمنون من الفيء (فخذوه) فانه حقكم (وما نهاكم عنه) اى عن اخذه (فانتهوا) عنه (واتقوا الله) فى مخالفته عليه السلام (ان الله شديد العقاب) فيعاقب من يخالف امره ونهيه والاولى حمل الآية على العموم فالمعنى وما آتاكم الرسول من الامر مطلقا فيأ اوغيره اصولا اعتقادية اوفروعا عملية فخذوه اى فتمسكوا به فانه واجب عليكم — هرشربتى ازدست اودرآيد بستانيد كه حيات شمادرآنست وآن لوح راخوانيد كه نويسد زيرا ضروريات شمادر صفحه اوپيدانست * ومانهاكم عن تعاطيه اياكان فانتهوا عنه زيرا امر ونهى اوبحق است هركه ممتثل امراوكردد نجات يابد وهركه ازنهى اواجتناب ننمايد درورطۀ هلاك افتد * آنكس كه شد متابع امرتو قد نجا * وانكوخلاف اى توورزيد قد هلك * وفيه دليل على ان كل ماامر به النبى عليه السلام امر من الله تعالى قال العلماء اتباع الرسول عليه السلام فى الفرائض العينية فرض عين وفرض كفاية فى الفروض على سبيل الكفاية وواجب فى الواجبات وسنة فى السنن فما علمنا من افعاله واقعا على جهة نقتدى به فى ايقاعه على تلك الجهة ومالم نعلم على اى جهة فعله فلنا فعله على ادنى منازل افعاله وهو الاباحة (روى) ان ابن مسعود رضى الله عنه لقى رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ على بهذا آية من كتاب الله قال نعم وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا (وروى) عن ابن مسعود رضى الله عنه (قال لعن الله الواشمات) اى فاعلات الوشم وهو مايوشم به البدن من نؤور أونيلج قال فى القاموس الوشم كالوعد غرز الابرة فى البدن وذر النيلج عليه والنؤور كصبور النيلج ودخان الشحم وحصاة كالاثمد تدق فيسفها اللثة (والمستوشمات) يقال استوشمت الجارية طلبت ان يوشم بها (والمتنمصات للحسن) وهى اى المتنمصة التى تنتف شعرها يعنى بركننده موى ازبراى حسن قال فى القاموس النمص نتف الشعر ولعنت النامصة وهى مزينة النساء بالنمص والمتنمصة وهى المزينة به (المغيرات خلق الله)

آن زنانى كه تغيير كنند آفريده خدا را و يدخل فيه تحديد الاسنان واصلاحها ببعض الآلات وثقب الانف
واما ثقب الاذن فمباح للنساء لاجل التزيين بالقرط وحرام على الرجال كحلق اللحية (فبلغ ذلك امرأة من بنى اسد
يقال لها ام يعقوب فجاءت) پس آمد آن زن نزد (ابن مسعود رضى الله عنه فقالت قد بلغنى انك قلت كيت
وكيت) يعنى مرا رسيده است كه تو گفته چنين وچنين (فقال ومالى لا العن من لعن رسول الله ومن هو
فى كتاب الله) يعنى ابن مسعود گفت چگونه لعنت نكنم ازرا كه لعنت كرده است رسول الله وازرا كه دركتاب
الله است (فقالت لقد قرأت ما بين اللوحتين فاوجدت فيه ماتقول قال لئن كنت قرأته لقد وجدته اما قرأت
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه عليه السلام قد نهى عنه) ولذلك قرأ
ابن عباس رضى الله عنه هذه الآية للنهى عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت والدباء بالضم والمد القرعة والحنتم
بفتح الحاء والتاء وسكون النون قبلها جرة خضراء والنقير ما نقب من حجر وخشب ونحوهما والمزفت بالضم
والتشديد جرة اوخابية طليت ولطخت بالزفت بالكسر اى القار وحل عند الامام الاعظم اتخاذ نبيذ التمر
والذرة ونحوه بأن يلقى فى هذه الاوعية وان حصل الاشتداد بسببها وفى الحديث (القرآن صعب عسر
على من كرهه ميسر على من تبعه وحديثى صعب مستصعب و هو الحكمة فمن استمسك بحديثى وحفظه
كان مع القرآن ومن تهاون بحديثى خسر الدنيا والآخرة وامرتم ان تأخذوا بقولى وتتبعوا سنتى فمن رضى
بقولى فقد رضى بالقرآن ومن استهزأ بقولى فقد استهزأ بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا وسئل سهل رحمه الله عن شرائع الاسلام فقال ما آتاكم الرسول من خبر الغيب
ومكاشفة الرب فخذوه باليقين وما نهاكم عنه من النظر الى غير الله فانتهوا عنه وفى التأويلات النجمية يخاطب به
ذوى الحقوق من المراتب الاربع ويقال لهم ما اعطاكم رسول القلب من الفيض الذى حصل له بمددكم
الصورى ومعونتكم المعنوية من قبل قتل النفس الكافرة والهوى الظالم فاقبلوه منه بحسن التلقى ولطف
القبول فانه اعطاكم على حسب استعدادكم ومامنع عنه فامتنعوا عن الاعتراض عليه واتقوا الله فى الاعتراض
فان الله شديد العقاب بحرمانكم من حسن التوجه اليه ولطف الاستفاضة عنه (للفقراء المهاجرين)
بدل من لذى القربى وما عطف عليه لامن الله والرسول والا يلزم دخول الرسول فى زمرة الفقراء وهو لايسمى
فقيرا لانه يوهم الذم والنقصان لان اصل الفقر كسر فقار الظهر من قولهم فقرته ولهذا سميت الحاجة
والداهية فاقرة لانهما تغلبان الانسان وتكسران فقار ظهره واذا لم يصح تسمية الرسول فقيرا فلأن لايصح
تسميته تعالى فقيرا اولى مع ان الله تعالى اخرجه عليه السلام من الفقراء هنا بقوله وينصرون الله ورسوله
وفى ان ابن السبيل الذى له مال فى وطنه لايسمى فقيرا نص عليه فى التلويح وغيره ومن اعطى اغنياء ذوى القربى
كالشافعى خص الابدال بما بعده بخلاف ابى حنيفة رحمه الله فان استحقاق ذوى القربى الفيئ مشروط
عنده بالفقر واما تخصيص اعتبار الفقر بفيئ بنى النضير فتعسف ظاهر كما فى الارشاد (الذين اخرجوا
من ديارهم) از سراهاء ايشان كه در مكه داشتند (واموالهم) ودور افتاده اند از مالهاى خود حيث
اضطرهم كفار مكة الى الخروج واخذوا اموالهم وكانوا مائة رجل فخرجوا منها والافهم هاجروا باختيارهم
حبا لله ورسوله واختاروا الاسلام على ماكانوا فيه من الشدة حتى كان الرجل يعصب الحجر على بطنه ليقيم
صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرها وصح عن رسول الله عليه السلام انه كان
يستفتح بصعاليك المهاجرين وقال عليه السلام ابشروا يامعشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة
تدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة عام (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) اى حال
كونهم طالبين منه تعالى رزقا فى الدنيا ومرضاة فى الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفيئ من
الاخراج من الديار وقد اعاد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده فهو حال من واو اخرجوا وفى ذكر حالهم
ترق من العالى الى الاعلى فان رضوان الله اكبر من عطاء الدنيا (وينصرون الله ورسوله) عطف على يبتغون
فهى حال مقدرة اى ناوين نصرة الله باعلاء دينه ونصرة رسوله ببذل وجودهم فى طاعته اومقارنة
فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واى نصرة (اولئك) المهاجرون
الموصوفون بما ذكر من الصفات الحميدة (هم الصادقون) الراسخون فى الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا واظهروا

يعنا كأن الصدق مقصور عليهم لكمال آثاره الصدق صدقة السر يعنى صدقة ملك سر است وصداق الجنة يعنى صداق سراى سرورست وصديق الحق يعنى صديق پادشاه حق است * راست كارى پيشه كن كاندر مصاف رستخيز * نيستند ازخشم حق جز راستكاران رستكار * مصطفى عليه السلام كفت ما مهتر كاينات عالميم و بهتر ذريت آدم ومارا بدين فخر نه شربتها كرم بردست ما نهادند وهديهاى شريف بحجرهٔ ما فرستادند ولباسهاى نفيس درما پوشيدند وطراز اعزاز برآستين ما كشيدند ومارا بدان هيچ فخر نه كفتند مهترا پس اختيار تو چيست وافتخار تو بچيست كفت اختيار ما آنست وافتخار ما بدانست كه روزى ساعتى جوييم وباين فقراى مهاجرين چون بلال وصهيب وسلمان وعمار ساعتى حديث او كوييم * بردل زكر امتش نثارست مرا * وز فقر لباس اختيارست مرا * دنيا رود رم بچه كارست مرا * باحق همه كار چون بكارست مرا * بدانكه فقر دواست يكى آنست كه رسول خدا ازان استعاذه كرده وكفته اعوذبك من الفقر وديكر آنست كه رسول خدا كفته الفقر فخرى آن يكى نزديك بكفر واين يكى نزديك بحق اما آن فقر كه بكفر نزديك است فقر دلست كه علم وحكمت واخلاص وصبر ورضا وتسليم وتوكل ازدل ببرد تادل ازين ولايتها درويش كردد وچون زمين خراب شود دل خراب شود منزل شيطان كردد آنكه چون شيطان فرود آمد سپاه شيطان روى بوى نهند شهوت وغضب وحسد وشرك وشك وشبه ونفاق ونشان اين فقر آن بود كه هرچه بيند همه كژ بيند سمع او همه مجاز شنود زبان همه دروغ وغيبت كويد قدم بكوى همه ناشايست نهد اين آن فقرست كه رسول خدا كفت كاد الفقر ان يكون كفرا اللهم انى اعوذبك من الفقر والكفر اما آن فقر كه كفت الفقر فخرى آنست كه مرد از دنيا برهنه كردد ودرين برهنكى بدين نزديك كردد وفى الخبر الايمان عريان ولباسه التقوى همانست كه متصوفه آنرا تجريد كويند كه مرد مجرد شود از رسوم انسانيت چنانكه تيغ مجرد شود از نيام خويش وتيغ مادامكه درنيام باشد هنرش آشكارا نكردد وفعل او پيدا نيايد همچنين دل تا درغلاف انسانيت است هنر وى آشكارا نكردد وازوى كارى نكشايد چون ازغلاف انسانيت برهنه كردد صورتها وصفتها در وى بنمايد وقال الشيخ نجم الدين الكاشفى رحمه الله الافتقار على ثلاثة اقسام افتقار الى الله دون الغير واليه الاشارة بقوله عليه السلام الفقر سواد الوجه فى الدارين انتهى وفى كل من الاحاديث المذكورة معانى اخر جلية على اولى الالباب وطعن اهل الحديث فى قوله الفقر فخرى لكن معناه صحيح اللهم اغنى بالافتقار اليك وسئل الحسين رحمه الله من الفقراء قال الذين وقفوا مع الحق راضين على جريان ارادته فيهم وقال بعضهم هم الذين تركوا كل سبب وعلاقة ولم يلتفتوا من الكونين الى شئ سوى ربهم فجعلهم الله ملوكا وخدمهم الاغنياء تشريفا لهم وفى التأويلات النجمية ابدل الله من ذوى القربى المهاجرين الى الله اى ذووا القربى هم المهاجرون من قرية النفس الى مدينة الروح والقلب بالسير والسلوك وقطع المفاوز النفسانية والوادى الحيوانية المخرجون من ديار وجوداتهم واموال صفاتهم واخلاقهم الى حضرة خالقهم ورازقهم طالبين من فضله وجوده وجوده ونور رضوان صفاته ونعوته ناصرين الله بمظهريتهم لله الاسم الجامع ورسوله بمظهريتهم لاحكامه وشرائعه الطاهرة اولئك هم الصادقون فى مقام الفناء عنهم فى ذواتهم وصفاتهم وافعالهم والبقاء به اى بذاته وصفته وافعاله جعلنا الله واياكم هكذا بفضله (والذين تبوأوا الدار والايمان) كلام مستأنف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيئ بهم احسن رضى واكمله والانصار بنو الاوس والخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان قال فى القاموس قحطان بن عامر بن شالخ ابو حى انتهى وهو اصل العرب العرباء ومن الانصار غسان كشداد ماء قرب الجحفة نزل عليه قوم من ولد الازد فشربوا منه فنسبوا اليه واصل البواء مساواة الاجزاء فى المكان خلاف النبو الذى هو منافاة الاجزاء يقال مكان بواء اذا لم يكن نابيا بنازله وبوأت له مكانا سويت (وروى) انه عليه السلام كان يتبوأ لبوله كما يتبوأ لمنزله وتبوؤ المنزل اتخاذه منزلا والتمكن والاستقرار فيه فالمتبوأ فيه لابد ان يكون من قبيل المنازل والامكنة والدار هى المدينة وتسمى قديما يثرب وحديثا طيبة وطابة كذلك بخلاف الايمان فانه ليس من هذا القبيل فمعنى تبوئهم الدار والايمان انهم ذوا الخ

المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوؤ معنى اللزوم وقيل تبوأوا الدار واخلصوا الايمان اوقبلوه او آثروه كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا * اى وسقيتها ماء باردا فاختصر الكلام وقيل غير ذلك يقول الفقير لعل اصل الكلام والذين تبوأوا دار الايمان فان المدينة يقال لها دار الايمان لكونها مظهره ومأوى اصله كما يقال انها دار الهجرة وانما عدل الى ماذكر من صورة العطف تنصيصا على ايمانهم اذ مجرد التبوء لايكفى فى المدح (من قبلهم) اى من قبل هجرة المهاجرين فقدر المضاف لان الانصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين بل منهم من امن قبل الهجرة ومنهم من آمن بعدها قال بعضهم مراد انصارند كه در ديار خود ايمان آوردند وبدو سال پيش از قدوم حضرت مساجد ساختند ور بو الاسلام كما بر بى الطير الفرخ قال فى الارشاد يجوزان يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه عبارة عن اقامة كافة حقوقه التى من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولاريب فى تقدم الانصار فى ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها الاعن اخلاصه قلبا واعتقادا اذلايتصور تقدمهم عليهم فى ذلك وفى الآية اشارة الى دار القلب التى هى دار الصدق والاخلاص والى الايمان الاختصاصى الوهبى بتحقيقه وتثبيته (يحبون من هاجر اليهم) خبر للموصول اى يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ولان الله وحبيبه احباهم وحبيب الحبيب حبيب وفى كشف الاسرار كما پيوست از مهمان دوستئ انصار (ولا يجدون فى صدورهم) اى فى نفوسهم (حاجة) اى شيأ محتاجا اليه (مما اوتوا) اى مما اوتى المهاجرون من الفيئ وغيره ومن بيانية يقال خذ منه حاجتك اى ماتحتاج اليه والمراد من نفى الوجدان نفى العلم لان الوجدان فى النفس ادراك علمى وفيه من المبالغة ماليس فى يعلمون وقال بعضهم طلب محتاج اليه يعنى ان نفوسهم لم تبتغ مااوتوا ولم تطمح الى شئ منه يحتاج اليه وقيل وجدا على تقديمهم عليهم وغيظا وحسدا ونحو ذلك قال الراغب الحاجة الى الشئ الفقر اليه مع محبته (ويؤثرون) اى يقدمون المهاجرين فالمفعول محذوف (على انفسهم) فى كل شئ من اسباب المعاش جودا وكرما حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم والايثار عطاؤك ماانت تحتاج اليه وفى الخبر لم يجتمع فى الدنيا قوم قط الا وفيهم اسخياء وبخلاء الا فى الانصار فان كلهم اسخياء مافيهم من بخيل (ولو كان بهم خصاصة) اى حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهى فرجة شبه حالة الفقر والحاجة ببيت ذى فرج فى الاشتمال على مواضع الحاجة قال الراغب عبر عن الفقر الذى لايسد بالخصاصة كما عبر عنه بالخلة والخص بيت من قصب وشجر وذلك لما يرى منه من الخصاصة وكان عليه السلام قسم اموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابادجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة رضى الله عنهم وروى لم يعط الارجلين سهلا واباد جانة فان الحارث بن الصمة قتل فى بئر معونة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شئ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولانشاركهم فيها فنزلت وكان عليه السلام اعطى بعض الاراضى وابقى بعضها يزرع له ولما اعطى المهاجرين امرهم برد ماكان للانصار لاستغنائهم عنهم ولانهم لم يكونوا ملكوهم وانما كانوا دفعوا لهم تلك النخيل لينتفعوا بثمرها ويدخل فى ايثارهم المهاجرين بالفيئ سائر الايثارات وعن انس رضى الله عنه انه قال اهدى لرجل من الانصار رأس شاة وكان مجهودا فوجه به الى جار له زعما انه احوج اليه منه فوجه جاره ايضا الى آخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداول ذلك الرأس سبعة بيوت الى ان رجع الى المجهود الاول قال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لى ومعى شئ من الماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته فاذا انابه فقلت اسقيك فأشار برأسه ان نعم فاذا برجل يقول آه آه فأشار الى ابن عمى ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فأشار ان نعم فسمع اخر يقول آه آه فأشار هشام ان انطلق اليه فجئت اليه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات وهذا من قبيل الايثار بالنفس وهو فوق الايثار بالمال * فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ * كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد * وقال فى التكملة الصحيح ان الآية نزلت فى ابى طلحة الانصارى رضى الله عنه حين نزل برسول الله عليه السلام ضيف ولم يكن عنده مايضيفه به فقال الا رجلا يضيف هذا رحمه الله فقام

ابو طلحة فانطلق به الى رحله و قال لامرأته اكرمى ضيف رسول الله فنومت الصبية واطفأت السراج وجعل الضيف يأكل وهما يريان انهما يأكلان معه ولا يفعلان فنزلت الآية وكان قناعة الالف اوفر ونفوسهم اقنع و بركتهم اكثر ونحن نؤثر انفسنا على الغير فاذا وضعت مائدة بين ايدينا يريد كل منا ان يأكل قبل الآخر ويأخذ اكثر مما يأخذ الرفيق ولذلك لم توجد بركة الطعام و ينفد سريعا و يروى انه وقع بين ملك ووزيره انه قال الملك ان العلماء احسن حالا واصلح بالامن الفقراء وقال الوزير بخلاف ذلك ثم قال الوزير امتحنهما فى امر بن فبعث احدا بعدة آلاف درهم الى اهل المدرسة فقال اذهب وقل لهم ان الملك امرنى ان اعطى هذه الدراهم افضلكم واكملكم فمن هو فقال واحد منهم انا وقال الآخر كذب بل هو انا وهكذا ادعى كل منهم الافضلية فقال الرسول لم يتميز الافضل عندى ولم اعرفه ولم يعط شيأ فعاد واخبر بما وقع ثم ارسل الوزير تلك الدراهم الى اهل الخانقاه ففعلوا عكس مافعله العلماء واعطى بيده سيفا فقال اذهب فقل لهم ان الملك امرنى ان اضرب عنق رئيسكم فمن هو فقال واحد منهم انا وقال الآخر بل انا وهكذا قال كل منهم ايثار ابقاء اخيه واختيار فدآء رفيقه بنفسه فقال الرسول لم يتميز ماهو الواقع عندى فرجع واخبر بما وقع فارسل السيف الى العلماء ففعلوا عكس مافعله الفقراء فحج بذلك الوزير على الامير وانت تشاهد ان فقراء زماننا على عكس هؤلاء الفقراء فى البلاد والممالك قال ابو يزيد البسطامى قدس سره غلبنى رجل شاب من اهل بلخ حيث قال لى ماحد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هذا فعل كلاب بلخ عندنا بل اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا * كريم كامل آرامى شناسم اندرين دوران * كه كرنانى رسد از اسياى چرخ كردانش * زاستغناى همت باوجود فقرو بى بركى * زخود واكيرد وسازد نثار بى نوايانش

وفى العوارف من اخلاق الصوفية الايثار والمواساة وحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا لانهم يؤثرون الموجود و يصبرون على المفقود قال يوسف بن الحسين رحمه الله من رأى لنفسه ملكا لا يصح له الايثار لانه يرى نفسه احق بالشئ برؤية ملكه انما الايثار لمن يرى الاشياء للحق فمن وصل اليه فهو احق به فاذا وصل شئ من ذلك اليه يرى نفسه و يده فيه يد غصب او يد امانة يوصلها الى صاحبها ويؤديها اليه معاذ بن جبل راديد ند كه در بازار كه ميكرديد وزيره تره ميخريد و ميكفت هذا ملكك مع رضاك وملك الدنيا مع سخطك * خيز تاراتا بحجانه زمانى دم زنيم * آتش اندر ملكت آل بنى آدم زنيم * هرچه اسبابست جمع آييم و بس جمع آوريم * پس بحكم حال بيزارى همه برهم زنيم (ومن يوق شح نفسه) وهركه نكاه داشته شود از بخل نفس او يعنى منع كند نفس را ازحب مال و بغض انفاق والوقاية حفظ الشئ ممايؤذيه و يضره والشح بالضم والكسر بخل مع حرص فيكون جامعا بين ذميمتين من صفات النفس واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل اى ومن يوق بتوفيق الله شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال و بغض الانفاق (فاولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه والفلاح اسم لسعادة الدارين والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم فان الفتوة هى الاوصاف المذكورة فى حقهم فلهم جلائل الصفات ودقائق الاحوال ولذا قال عليه السلام آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار وقال عليه السلام اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار وابناء ابناء الانصار قال السهروردى فى العوارف السخاء صفة غريزية فى مقابلة الشح والشح من لوازم صفة النفس حكم الله بالفلاح لمن يوقى الشح اى لمن انفق و بذل والنبى عليه السلام نبه بقوله ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فجعل احدى المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل انما يكون مهلكا اذا كان مطاعا فاما كونه موجودا فى النفس غير مطاع لاينكر ذلك لانه من لوازم النفس مستمد من اصل جبلتها الترابى وفى التراب قبض وامساك وليس ذلك بالعجب من الآدمى وهو جبلى فيه وانما العجب وجود السخاء فى الغريزة وهو فى نفوس الصوفية الداعى لهم الى البذل والايثار والسخاء اتم واكمل من الجود وفى مقابلة الجود البخل وفى مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء اذكانا من ضرورة الغريزة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا والحق تعالى لايوصف بالسخاء لان السخاء من نتيجة الغرائز والله تعالى منزه عن الغريزة والجود يتطرق اليه الرياء و يأتى به الانسان متطلعا الى عوض

من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لايتطرق اليه الرياء لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة
عن الاعواض دنيا وآخرة لان طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا بالعوض فاتمحض سخاء فالسخاء
لاهل الصفاء والايثار لاهل الانوار وقال الحسن رحمه الله الشح هو العمل بالمعاصى كأنه يشح بالطاعة
فدخل فيه ماقيل الشح ان تطمح عين الرجل الى ماليس له وقال عليه السلام من الشح نظرك الى امرأة غيرك
وذلك فان الناظر يشح بالغض والعفة فلا يفلح (وروى) ان رجلا قال لعبدالله بن مسعود رضى الله عنه انى
اخاف ان اكون قد هلكت قال وماذاك قال اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل
شحيح لايكاد يخرج من يدى شئ فقال عبد الله ليس المراد بالشح الذى ذكرالله فى القرآن ان تأكل مال اخيك
ظلما ولكن ذاك البخل وبئس الشئ البخل وفسر الشح بغير ذلك وعن الحكيم الترمذى قدس سره الشح اضر
من الفقر لان الفقير يتسع اذا وجد بخلاف الشحيح وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله
عليه السلام يقول لايجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد ابدا ولايجتمع الشح والايمان
فى قلب عبد ابدا وقال عليه السلام من ادى الزكاة المفروضة وقرى الضيف واعطى فى النائبة فقد برئ
من الشح والشح اقبح البخل وقال عليه السلام اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فانه اهلك
من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم (قال الحافظ) احوال كنج قارون كايام
داد برباد * باغنچه بازكو يدتازرنهان ندارد (وقال المولى الجامى فى ذم الخسيس الشحيح) هرچند زند
لاف كرم مرددرم دوست * دريوزه احسان زدراو نتوان كرد * درين مثلى هست كه ازفضله حيوان *
نارنج توان ساخت ولى بو نتوان كرد (والذين جاؤا من بعدهم) هم الذين هاجروا بعد ماقوى الاسلام فالمراد
جاؤا الى المدينة اوالتابعون باحسان وهم الذين بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية
قد استوعبت جميع المؤمنين فالمراد حينئذ جاؤا الى فضاء الوجود وفى الحديث (مثل امتى مثل المطر لايدرى
اوله خير ام آخره يعنى درمنفعت وراحت همچون باران بهاراند بارارا نداند كه اول آن بهترست يا آخر
نفعى است عام اوعامه خلق راحال امت من همچنين است همان درويشان آخر الزمان آن شكستكان
سرافكنده وهمين عزيزان وبزركواران صحابه همه برادرانند ودر مقام منفعت وراحت همه يكدست
ويكسانند هم كالقطر حيث ماوقع نفع برمثال باراند باران هركجا كه رسد نفع رساند هم در بوستان
هم درخارستان هم بريحان وهم برام غيلان همچنين اهل اسلام در راحت يكديكر ورأفت بريكديكر
يكسانند ويك نشانند (يقولون) خبر للموصول والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين
ومراعاتهم لحقوق الاخوة فى الدين والسبق بالايمان اى يدعون لهم قائلين (ربنا اغفرلنا) مافرط منا
(ولاخواننا) اى فى الدين الذى هو اعز واشرف عندهم من النسب (الذين سبقونا بالايمان) وصفوهم بذلك
اعترافا بفضلهم * چو خواهى كه نامت بود جاودان * مكن نام نيك بزركان نهان * قدموا انفسهم
فى طلب المغفرة لما فى المشهور من ان العبد لابد ان يكون مغفوراله حتى يستجاب دعاؤه لغيره وفيه حكم بعدم
قبول دعاء العاصين قبل ان يغفر لهم وليس كذلك كما دلت عليه الاخبار فلعل الوجه ان تقديم النفس كونها
اقرب النفوس مع ان فى الاستغفار اقرارا بالذنب فالاحسن للعبد ان يرى اولا ذنب نفسه كذا فى بعض التفاسير
يقول الفقير نفس المرء اقرب اليه من نفس غيره فكل جلب اودفع فهو انما يطلبه اولا لنفسه لاعطاء حق
الاقدم واما غيره فهو بعده ومتأخر عنه وايضا ان ذنب نفسه مقطوع بالنسبة اليه واما ذنب غيره فمحتمل
فلعل الله قد غفرله وهو لايدرى وايضا تقديمهم فى مثل هذا المقام لايخلو عن سوء ادب وسوء ظن فى حق السلف
(ولاتجعل فى قلوبنا غلا) اى حقدا وهو ذمية فاحشة فورد المؤمن ليس بحقود يعنى كينه كش قال الراغب
الغل والغلول تدرع الخيانة والعداوة لان الغلالة اسم مايلبس بين الشعار والدثار وتستعار للدرع كما تستعار
الدرع لها (للذين آمنوا) على الاطلاق صحابة اوتابعين وفيه اشارة الى ان الحقد على غيرهم لائق لغيرة الدين
وان لم يكن الحسد لائقا (قال الشيخ سعدى) دلم خانه مهر يارست وبس * ازان مى نكنجد درو كين كس
(ربنا انك رؤف رحيم) اى مبالغ فى الرأفة والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا وفى الآية دليل على ان الترحم
والاستغفار واجب على المؤمنين الآخرين للسابقين منهم لاسيما لآبائهم ولمعلميهم امور الدين قالت عائشة

رضى الله عنها امروا ان يستغفروا لهم فسبوهم وفى الحديث (لاتذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها اولها)
وعن عطاء قال قال عليه السلام من حفظنى فى اصحابى كنت له يوم القيامة حافظا ومن شتم اصحابى فعليه
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فالرافضة والخوارج ونحوهم شرالخلائق خارجون من اقسام المؤمنين
لان الله تعالى رتبهم على ثلاثة منازل المهاجرين والانصار والتابعين الموصوفين بما ذكر الله فمن لم يكن
من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسامهم قال حجة الاسلام الغزالى رحمه الله يحرم على الواعظ وغيره
رواية مقتل الحسين رضى الله عنه وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فانه يهيج بغض
الصحابة والطعن فيهم وهم اعلام الدين وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة فلعل ذلك لخطأ
فى الاجتهاد لا لطلب الرياسة او الدنيا كما لا يخفى وقال فى شرح الترغيب والترهيب المسمى بفتح القريب والحذر
ثم الحذر من التعرض لما شجر بين الصحابة فانهم كلهم عدول خير القرون مجتهدون مصيبهم له اجران ومخطئهم له
اجر واحد وقال الشيخ عزالدين بن عبد السلام فى فصل آفات اللسان الخوض فى الباطل هو الكلام
فى المعاصى كحكاية احوال الوقاع ومجالس الخمور وتجبر الظلمة وحكاية مذاهب اهل الاهواء وكذا حكاية
ماجرى بين الصحابة رضى الله عنهم * اى دل ازمن اكر بجويى پند * رو باصحاب مصطفى دل بند *
همه ايشان آمده زيشان * خواهشى كن شفاعتى زيشان * وقال بعض اهل الاشارة
ربنا اغفرلنا اى استر ظلمة وجودنا بنور وجودك واستر وجودات اخواننا الذين سبقونا بالايمان وهم الروح
والسر والقلب السابقون فى السلوك من قرية النفس الى مدينة الروح المؤمنين بان الفناء الوجودى الامكانى
يستلزم الوجود الواجبى الحقانى ولا تجعل فى قلوبنا شك الاثنينية والغيرية للذين آمنوا باخوانية المؤمنين
لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة انك رؤف بمن شاهد الكثرة قائمة بالوحدة رحيم بمن شاهد الوحدة ظاهرة
بالكثرة وفى تكرير ربنا اظهار لكمال الضراعة وفى الاثر من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله
مما يخاف قال الامام الرازى اعلم ان العقل يدل على تقديم ذكر الله فى الدعاء لان ذكر الله تعالى بالثناء والتعظيم
بالنسبة الى جوهر الروح كالاكسير الاعظم بالنسبة الى النحاس فكما ان ذرة من الاكسير اذا وقعت على عالم
النحاس انقلب الكل ذهبا ابريزا فكذا اذا وقعت ذرة من اكسير معرفة جلال الله تعالى على جوهر الروح
قوى صفاء وكمل اشراقا ومتى صار كذلك كانت قوته اقوى وتأثيره اكمل وكان حضور الشئ المطلوب عنده
اقوى واكمل وهذا هو السبب فى تقديم الدعاء بالثناء انتهى والوارد فى القرآن من الدعاء مذكور غالبا بلفظ
الرب فان على العبد ان يذكر اولا ايجاد الله واخراجه من العدم الى الوجود الذى هو اصل المواهب ويتفكر
فى تربية الله تعالى اياه ساعة فساعة واما دعوات رسول الله عليه السلام فاكثرها الابتداء بقوله اللهم لانه مظهر
الاسم الجامع وقد كان يجمع بينهما ويقول اللهم ربنا كما جمع عيسى عليه السلام وقال اللهم ربنا انزل علينا
مائدة من السماء والله سميع الدعاء وقابل الرجاء (الم تر) استئناف لبيان التعجب مما جرى بين الكفرة والمنافقين
من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة والمعنى آيا نكاه نكرده يا محمد او يامن له حظ من الخطاب
(الى الذين نافقوا) من اهل المدينة قال الراغب النفق الطريق النافذ والسرب فى الارض النافذ ومنه نافقاء
اليربوع وقد نافق اليربوع ونفق ومنه النفاق وهو الدخول فى الشرع من باب والخروج عنه من باب وعلى هذا
نبه بقوله ان المنافقين هم الفاسقون اى الخارجون عن الشرع (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل
الكتاب) اللام للتبليغ والمراد بالاخوان بنو النضير وباخوتهم اما توافقهم فى الكفر فان الكفر ملة واحدة
او صداقتهم وموالاتهم (لئن اخرجتم) اللام موطئة للقسم وهى اللام الداخلة على حرف الشرط بعد تمام القسم
ظاهرا او مقدرا ليؤذن ان الجواب له لا للشرط وقد تدخل على غير الشرط والمعنى والله لئن اخرجتم ايها الاخوان
من دياركم وقراكم قسرا باخراج محمد واصحابه اياكم منها (لنخرجن معكم) البتة ونذهبن فى صحبتكم اينما ذهبتم
لتمام المحبة بيننا وبينكم وهو جواب للقسم وجواب الشرط مضمر ولما كان جواب القسم وجواب الشرط
متماثلين اقتصر على جواب القسم واضمر جواب الشرط وجعل المذكور جوابا للقسم بسعة وكذا قوله
لايخرجون معهم وقوله لاينصرونهم كل واحد منهما جواب القسم ولذلك رفعت الافعال ولم تجزم وحذف
جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه و(ولا نطيع فيكم) اى فى شأنكم (احدا) يمنعنا من الخروج معكم

(ابدا) وان طال الزمان ونصبه على الظرفية وهو لاستغراق المستقبل كما ان الازل لاستغراق الماضى ولاستعمالها فى طول الزمانين جدا قديضا فان الى جمعهما فيقال ابدا لآباد وازل الآزال واما السرمد فلاستغراق الماضى والمستقبل يعنى لاستمرار الوجود لاالى نهاية فى جانبهما (ومنه قول المولى الجامى) دردت زازل آيدتا رو زابد پايد * چون شكر كزاردكس اين دولت سرمدرا (وان قوتلتم) اى قاتلكم محمدواصحابه حذفت منه اللام الموطئة (لننصرنكم) اى لنعاونكم على عدوكم ولانخذلكم (والله يشهد انهم لكاذبون) فى مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة (لئن اخرجوا) قهرا واذلالا (لايخرجون معهم) الخ تكذيب لهم فى كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم فى الكل على الاجمال (ولئن قوتلوا لاينصرونهم) وكان الامر كذلك فان ابن ابى واصحابه ارسلوا الى بنى النضير وذلك سرا ثم اخلفوهم يعنى ان ابن ابى ارسل اليهم لاتخرجوا من دياركم واقيموا فى حصونكم فان معى الفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون حصنكم ويموتون عن آخرهم قبل ان يوصل اليكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنو النضير فيما قاله اللعين وهو جالس فى بيته حتى قال احد سادات بنى النضير وهو سلام بن مشكم لحيى بن اخطب الذى كان هو المتولى لامر بنى النضير والله ياحيى ان قول ابن ابى لباطل وليس بشئ وانما يريد ان يورطك فى الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس فى بيته ويتركك فقال حيى نأبى الاعداوة محمد والاقتاله فقال سلام فهو والله جلاؤنا من ارضنا وذهاب اموالنا وشرفنا وسبى زرارينا مع قتل مقاتلينا فكان ماكان كما سبق فى اول السورة وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن اما الاول فلانه اخبر عما سيقع فوقع كما اخبر وذلك لان نزول الآية مقدم على الواقعة وعليه يدل النظم فان كلمة ان للاستقبال واما الثانى فمن حيث الاخبار عن الغيب (ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولن الادبار) فرارا وانهزاما جمع دبر ودبر الشئ خلاف القبل اى الخلف وتولية الادبار كناية عن الانهزام الملزوم لتولية الادبار قال فى تاج المصادر التولية روى فراكردن و پشت بكردانيدن وهى من الاضداد (ثم لاينصرون) اى المنافقون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولاينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم بنصرهم اليهود اوليهزمن اليهود ثم لاتنفعهم نصرة المنافقين وفى الآية تنبيه على ان من عصى الله ورسوله وخالف الامر فهو مقهور فى الدنيا والآخرة وان كان سلطانا ذامنعة ومايقع احيانا من الفرصة فاستدراج وغايته الى الخذلان * صعوه كو باعقاب ساز دجنك * دهدا زخون خود پرش را رنك * واشارة الى ان الهوى وصفاته كالمنافقين والنفس الكافرة واتباعها كاليهود وبينهما اخوة وهى الظلمة الذاتية والصفاتية وبين حقائقهما وحقائق الروح والسر والقلب تنافر كتنافر النور والظلمة فالهوى وصفاته يقولون للنفس وصفاتها لان اخرجكم الروح والسر والقلب من ديار وجوداتكم وانانياتكم بسبب غلبة انوارهم على ظلمات وجوداتكم لنخرجن معكم ولانخالفكم وان قوتلتم بسيف الرياضة ورمح المجاهدة نقويكم بالقوى الشهوانية الحيوانية البهيمية السبعية وهم لايقدرون على شئ بغير اذن الله فهم كاذبون فى قولهم ولايخرج الهوى وصفاته معهم لان الهوى والنفس وان كانا متحدين بالذات لكنهما مختلفان بالصفات كاختلاف زيد وعمرو فى الصفات واتحادهما فى الذات وهو الانسانية وارتفاع احدهما لايستلزم ارتفاع الآخر والهوى بسبب غلبة روحانية القلب عليه يميل الى الروح تارة وبسبب غلظته ايضا يميل الى النفس اخرى فلا ينصر النفس دائما ولئن نصرها بنفخ نار الظلمة فى حطب وجودها لينهزم بسبب سطوات اشعة انوار الروح والسر والقلب انهزام النور من الظلمة ونفار الليل من النهار الاان حزب الله هم الغالبون (لانتم) يامعشر المسلمين وبالفارسية هرآينه شماكه مؤمنانيد (اشد رهبة) الرهبة مخافة مع تحزن واضطراب وهى هنا مصدر من المبنى للمفعول وهو رهب اى اشد مرهوبية وذلك لان انتم خطاب للمسلمين والخوف ليس واقعامنهم بل من المنافقين فالمخاطبون مرهوبون غير خائفين (فى صدورهم) اى صدور المنافقين (من الله) اى من رهبة الله بمعنى مرهوبيته قال فى الكشاف قوله فى صدورهم دال على نفاقهم يعنى انهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وانتم اهيب فى صدورهم من الله فان قلت كانهم كانوا يرهبون من الله حتى يكون رهبتهم منه اشد قلت معناه ان رهبتهم فى السر منكم اشد من رهبتهم من الله التى يظهرونها لكم وكانوا يظهرون رهبة شديدة من الله يقول الفقير انما ارهبوا من المؤمنين

المنور بنور الله فيهم فكما ان الظلمة تنفر من النور ولا تقاومه فكذا اهل الظلمة ينفر من اهل النور ولا يقاومهم
ومرادنا بالظلمة ظلمة الشرك والكفر والرياء والنفاق وبالنور نور التوحيد والايمان والاخلاص والتقوى
ولذلك قال تعالى اعلموا ان الله مع المتقين حيث ان الله تعالى اثبت معيته لاهل التقوى فنصرهم على مخالفيهم
(ذلك) اى ماذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله (بأنهم) اى بسبب انهم (قوم لا يفقهون)
اى شيأ حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته قال بعض الكبار ليس العظمة بصفة للحق تعالى
على التحقيق وانما هى صفة للقلوب العارفة به فهى عليها كالرداء على لابسه ولو كانت العظمة وصفا للعظيم
لعظم كل من رآه ولم يعرفه وفى الحديث (ان الله يتجلى يوم القيامة لهذه الامة وفيها منافقوها فيقول انا ربكم
فيستعيذون منه ولا يجدون له تعظيما وينكرونه لجهلهم به فاذا تجلى لهم فى العلامة التى يعرفونه بها وجدوا
عظمته فى قلوبهم وخروا له ساجدين والحق اذا تجلى لقلب عبد ذهب منه اخطار الاكوان وما بقى الا عظمة
الحق وجلاله وفيه تنبيه على ان من علامات الفقه ان يكون خوف العبد من الله اشد من خوفه من الغير
وتقبيح لحال اكثر الناس على ما نرى ونشاهد قال عليه السلام من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين قال بعض
العارفين الفقيه عند اهل الله هو الذى لا يخاف الا من مولاه ولا يراقب الا اياه ولا يلتفت الى ما سواه
ولا يرجو الخير من الغير ويطير فى طلبه طيران الطير قال بعض الكبار لا ينقص الكمل من الرجال خوفهم
من سبع اوظالم اونحو ذلك لان الجزع فى النشأة الانسانية اصلى فالنفوس ابدا مجبولة على الخوف ولذة
الوجود بعد العدم لا يعدلها لذة وتوهم العدم العينى له الم شديد فى النفوس لا يعرف قدره الا العلماء بالله
فكل نفس تجزع من العدم ان يلحق بها او بما قاربها وتهرب منه وترتاع وتخاف على ذهاب عينها فالكامل
اضعف الخلق فى نفسه لما يشهده من الضعف فى تألمه بقرصة برغوث فهو أدم ملآن بذله وفقره مع شهوده اصله
علما وحالا وكشفا ولذلك لم يصدر قط من رسول ولا نبى ولا ولى كامل فى وقت حضوره انه ادعى دعوى تناقض
العبودية ابدا (لا يقاتلونكم) اى اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم ولا يجترئون عليه (جميعا)
اى مجتمعين متفقين فى موطن من المواطن (الا فى قرى) جمع قرية وهى مجتمع الناس للتوطن (محصنة)
محكمة بالدروب والخنادق وما اشبه ذلك قال الراغب اى مجعولة بالاحكام كالحصون (اومن وراء جدر)
دون ان يحضروا لكم ويبارزوكم اى يشافهوكم بالمحاربة لفرط رهبتهم جمع جدار وهو كالحائط الا ان الحائط
يقال اعتبارا بالاحاطة بالمكان والجدار يقال اعتبارا بالنتوء والارتفاع ولذا قيل جدر الشجر اذا اخرج ورقه
كأنه حمص وجدر الصبى اذا اخرج جدريه تشبيها بجدر الشجر (بأسهم بينهم شديد) استئناف سيق لبيان ان ماذكر
من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم فى انفسهم فان بأسهم وحربهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم
بالنسبة اليكم بما قذف الله فى قلوبهم من الرعب وايضا ان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله
قال فى كشف الاسرار اذا اراد الله نصرة قوم استأسد ارنبهم واذا اراد الله قهر قوم استرنب اسدهم
اكر مردى ازمردى خود مكوى * نه هرشهسوارى بدر برد كوى * ان قيل ان البأس شدة الحرب
فالحاجة الى الحكم عليه بشديد اجيب بانه اريد من البأس هنا مطلق الحرب فاخبر بشدته لتصريح الشدة
اواريد المبالغة فى اثبات الشدة لبأسهم مبالغة فى شدة بأس المؤمنين لغلبته على بأسهم بتأييد الله ونصرته
لهم عليهم والظرف متعلق بشديد والتقديم للحصر ويجوز ان يكون متعلقا بمقدر صفة اوحالا اى بأسهم الواقع
بينهم اوواقعا بينهم فقولهم الظرف الواقع بعد المعرفة يكون حالا البتة ليس بمرضى فان الامرين جائزان
بل قد ترجح الصفة (تحسبهم) يا محمد اويا كل من يسمع ويعقل (جميعا) مجتمعين متفقين ذوى الفة واتحاد
(وقلوبهم شتى) اى والحال ان قلوبهم متفرقة لا الفة بينها فهم بخلاف من وصفهم بقوله ولكن الله الف بينهم
جمع شتيت كمرضى ومريض وبالفارسية پراكنده وپريشان يقال شت يشت شتا وشتاتا وشتيتا فرق
وافترق كانشت وتشتت وجاؤا اشتاتا اى متفرقين فى النظام وفى الآية تشجيع لقلوب المؤمنين على قتالهم
وتجسير لهم وان اللائق بالمؤمن الاتفاق والاتحاد صورة ومعنى كما كان المؤمنون متفقين فى عهد النبى
عليه السلام ويقال الاتفاق قوة والافتراق هلكة والعدو ابليس يظفر فى الافتراق بمراده قال سهل اهل الحق
مجتمعون ابدا موافقون وان تفرقوا بالابدان وتباينوا بالظواهر واهل الباطل متفرقون ابدا وان اجتمعوا

بالابدان وتنوا فقوا بالظواهر لان الله تعالى يقول تحسبهم الخ (ذلك بانهم) اى ماذكر من تشتت قلوبهم بسبب انهم (قوم لا يعقلون) اى لا يعقلون شيأ حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون فى تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه وتشتت القلوب يوهن قواهم لان صلاح القلب يؤدى الى صلاح الجسد وفساده الى فساده كما قالوا كل اناء يترشح بما فيه اعلم ان الله تعالى ذم الكفار فى القرآن بكل من عدم الفقه والعلم والعقل قال الراغب الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم والعلم ادراك الشئ بحقيقته وهو نظرى وعملى وايضا عقلى وسمعى والعقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ولهذا قال امير المؤمنين على رضى الله عنه (وان العقل عقلان * فمسموع ومطبوع * ولا ينفع مطبوع * اذا لم يك مسموع كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع) والى الاول اشار عليه السلام بقوله ما خلق الله شيأ اكرم عليه من العقل والى الثانى اشار بقوله ما كسب احد شيأ افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى وهذا العقل هو المعنى بقوله وما يعقلها الا العالمون وكل موضع ذم الكفار بعدم العقل فاشارة الى الثانى دون الاول وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فاشارة الى الاول انتهى وفى الحديث العقل نور فى القلب يفرق به بين الحق والباطل وعن انس رضى الله عنه قيل يا رسول الله الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب قال وما من آدمى الا وله ذنوب وخطايا يقترفها فمن كان سجيته العقل وغريزته اليقين لم تضره ذنوبه قيل كيف ذلك يا رسول الله قال لانه كلما اخطأ لم يلبث ان يتدارك ذلك بتوبة وندامة على ما كان منه فيمحو ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وعنه ايضا رضى الله عنه اثنى قوم على رجل عند رسول الله حتى بالغوا فى الثناء بخصال الخير فقال رسول الله كيف عقل الرجل فقالوا يا رسول الله نخبرك عنه باجتهاده فى العبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال نبى الله ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم قال على بن عبيدة العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه اعرابى فقال هذا الكلام يقطر عسله وقال بعضهم اذا كمل العقول نقص الفضول اى لان العقل يعقله ويمنعه عما لا يعنيه وكل شئ اذا كثر رخص غير العقل فانه اذا كثر غلا وقال اعرابى لو صور العقل لاظلمت معه الشمس ولو صور الحمق لاضاء معه الليل فالعقل انور شئ والحمق اظلمه وقيل العاقل يعيش بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته اى فى العقل قوة شجاعة الاسد ويعلم منه بالمقايسة ان فى الحمق ضعف حال الارنب ونحوه * كشتى بى لنكر آمد مرد شر * كه زباد كژ نيابد او حذر * لنكر عقلست عاقل را امان * لنكرى در يوزه كن از عاقلان (كمثل الذين من قبلهم) خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم اى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين وصفتهم العجيبة وحالهم الغريبة كمثل اهل بدر وهم مشركوا اهل مكة او كمثل بنى قينقاع على ما قيل انهم اخرجوا قبل بنى النضير وبنوا قينقاع مثلثة النون والضم اشهر كانوا اشجع اليهود واكثرهم اموالا فلما كانت وقعة بدر اظهروا البغى والحسد ونبذوا العهد كبنى النضير فاخرجهم رسول الله من المدينة الى الشام اى لان قريتهم كانت من اعمالها ودعا عليهم فلم يدر الحول عليهم حتى هلكوا اجمعوا وقد عرفت قصتهم فى الجلد الاول (قريبا) انتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الذين الخ يعنى بدلالة المقام لا لاقتضاء الاقرب اى فى زمان قريب قال مجاهد كانت وقعة بدر قبل غزوة بنى النضير بستة اشهر فلذلك قال قريبا فتكون قبل وقعة احد وقيل بسنتين فتكون تلك الغزوة فى السنة الرابعة لان غزوة بنى النضير كانت بعد احد وهى كانت بعد بدر بسنة (ذاقوا وبال امرهم) قال الراغب الوبل والوابل المطر الثقيل القطار ولمراعاة الثقل قيل للامر الذى يخاف ضرره وبال وطعام وبيل والامر واحد الامور لا الاوامر اى ذاقوا سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا وهو عذاب القتل ببدر وكانت غزوة بدر فى رمضان من السنة الثانية من الهجرة قبل غزوة بنى النضير (ولهم) فى الآخرة (عذاب اليم) مؤلم لا يقادر قدره حيث يكون ما فى الدنيا بالنسبة اليه كالذوق بالنسبة الى الاكل والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك فى الدنيا والآخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهو ما نطق به قوله تعالى (كمثل الشيطان) فانه خبر ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهى اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم آخرا

وقد اجمل فى النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كأنه قيل مثل اليهود فى حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين فى اغرائهم اياهم على القتال حسبما حكى عنهم كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) قول الشيطان مجاز عن الاغواء والاغرآء اى اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور على المأمور به (فلما كفر) الانسان المذكور اطاعة لاغوائه وتبعا لاهوآئه (قال) الشيطان (انى برئ منك) اى بعيد عن عملك واملك غير راض بكفرك وشركك وبالفارسية من بيزارم ازتو يقال برئ يبرأ فهو برئ واصل البرء والبراءة والتبرى التفصى مما يكره مجاورته قال العلماء ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبرى من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله تعالى (انى اخاف الله رب العالمين) وان اريد ابو جهل على ان يكون اللام للعهد فقوله تعالى اكفر اى دم على الكفر پس چون برآن ثبات ورزيد ونهال شرك در زمين دل او استحكام يافت قال انى الخ عبارة عن قول ابليس له يوم بدر لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى ارى مالا ترون انى اخاف الله والله شديد العقاب يعنى لما تقاتلوا ورأى ابليس جبرائيل مع محمد عليهما السلام خافه فتبرأ منهم وانهزم قال بعضهم هذا من كذبات اللعين فانه لو خاف حقيقة وقال صدقا لما استمر على ماادى الى الخوف بعد ذلك كيف وقد طلب الانظار الى البعث للاغوآء وقال ابو الليث قال ذلك على وجه الاستهزاء ولا بعد ان يقول له ليوقعه فى الحسرة والحرقة انتهى * يقول الفقير الظاهر ان الشيطان يستشعر فى بعض المواد جلال الله تعالى وعظمته فيخافه حذرا من المؤآخذة العاجلة وان كان منظرا ولا شك ان كل احد يخاف السطوة الالهية عند ظهور اماراتها الا ترى الى قوله تعالى وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين على ان نحو قاطع الطريق وقاتل النفس ربما فعل مافعل وهو خائف من الاخذ (فكان عاقبتهما) اى عاقبة الشيطان وذلك الانسان وهو بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله (انهما فى النار) وقرئ بالعكس وهو اوضح (خالدين فيها) مقيمين لايبرحان وهو حال من الضمير المقدر فى الجار والمجرور المستقر وروى خالدان على انه خبران وفى النار لغو لتعلقه بخالدان (وذلك) اى الخلود فى النار (جزآء الظالمين) على الاطلاق دون هؤلاء خاصة وقال بعض اهل التفسير المراد بالانسان برصيصا الراهب من بنى اسرائيل در روزكار فترت صومعة ساخته بود هفتاد سال دران صومعه مجاور كشته وخدايرا پرستيده وابليس دركار وى فرومانده روزى مردة شياطين را جمع كرد وكفت من يكفينى امر هذا الرجل يكى كفت من اين كار كفايت كنم ومراد توازوى حاصل كنم بدر صومعة وى رفت بزى راهبان ومتعبدان كفت من مردى ام عزلت وخلوت مى طلبم تراچه زيان اكر من بصحبت تو بيايم ودرخلوت خدايرا عبادت كنم برصيصا بصحبت وى تن درنداد وكفت انى لفى شغل عنك يعنى مرا در عبادت الله چندان شغلست كه پرواى صحبت تونيست وعادت برصيصا ان بود كه چون درنماز شدى ده روز ازنماز بيرون نيامدى وروزه دار بودو هرده روز افطار كردى شيطان برابر صومعة وى درنماز ايستاد وجهد وعبادت خود برجهد وعبادت برصيصا بيفزود چنانكه بچهل روز ازنماز بيرون نيامدى وبهر چهل روز افطار كردى آخر برصيصا اورا بخود راه دادچون آن عبادت وجهد فراوان وى ديد وخودرا درجنب وى قاصر ديدانكه شيطان بعدازيك سال كفت مرا رفيقى ديكراست وظن من چنان بود كه تعبد واجتهاد توازوى زيادتست اكنون كه تراديدم نه چنانست كه مى پنداشتم وبازنزديك وى ميروم برصيصا مفارقت وى كراهيت داشت وبصحبت وى رغبتى تمام مى نمود شيطان كفت مرا ناچارست رفتن اما ازادعايى آموزم كه بيمار ومبتلى وديوانه كه بروى خوانى دروقت الله تعالى اورا شفا دهدو ترا اين به باشد ازهزار عبادت كه كنى كه خلق خدايرا ازتو نفع بود وراحت برصيصا كفت اين نه كارمنست كه آنكه ازوقت ورد خود بازمانم وسيرت وسريرت من در شغل مردم شود شيطان تا آنكه ميكوشيد كه آن دعا ويرا درآموخت واورا برسرآن شغل داشت شيطان ازوى بازكشت وباابليس كفت والله لقد اهلكت الرجل پس برفت ومردى راتخنيق كرد چنانكه ديو بامردم كند آنكه بصورت طبيبى برآمد بردر آن خانه كفت ان بصاحبكم جنونا فأعالجه چون او راديد كفت انى لااقوى على جنه يعنى من باديو او برنيايم لكن شمارا ارشاد كنم بكسى كه اورادعا كند دروقت شفايابد

واو برصيصاى راهب است كه در صومعه نشيند اورا بروى برند ودعا كرد وآن ديو ازوى بازشد وصحت يافت پس اين شيطان برفت وزنى رااز دختران ملوك بنى اسرائيل رنجه وديوانه كرد وآن زن جمال باكمال داشت واورا سه برادر بودند شيطان بصورت طبيب پيش ايشان رفت وآن دختر را بوى نمودند كفت ان الذى عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى من يدعو له يعنى برآن رهت شويد كه دعا كند وشفا يابد كفتند نرسيم كه فرمان ما نبرد كفت صومعهٔ سازيد در جنب صومعهٔ وى وزن رادران صومعه بخوابانيد وباوى كوييد اين امانت است بنزديك تو نهاديم ومارفتيم از بهر خدا واميد ثواب نظر ازوى بازمكير ودعائى كن تاشفا يابد ايشان همچنان كردند وراهب ازصومعهٔ خود فرو برآمد واورا ديد زنى بغايت جمال وازجمال وى درفتنه افتاد شيطان اورا آن ساعت وسوسه كرد كه واقع بها ثم تب زيرا كه در توبه كشاده ورحمت خدا فراوانست راهب بفرمان شيطان كام خود ازوى برداشت وزن باركرفت راهب پشيمان كشت وازفضيحت ترسيد همان شيطان دردل وى افكند كه اين زن رابايد كشت وپنهان بايد كرد چون بردران آيند كويم كه ديو اورا ببرد وايشان مرا راست دارند وازفضيحت ايمن كردم آنكه از زنا واز قتل توبه كنم برصيصا اورا كشت ودفن كرد چون برادران آمدند وخواهر را نديدند كفت جاء شيطانها فذهب بها ولم اقو عليه ايشان اوراراست داشتند وباز كشتند شيطان آن برادرانرا بخواب نمود كه راهب خواهر شما كشت ودرفلان جايكه دفن كرد سه شب پيايى ايشانرا چنين خواب مى نمود تا ايشان رفتند وخواهر را كشته ازخاك برداشتند برادران اورا ازصومعه بزير آوردند وصومعه خراب كردند واورا پيش پادشاه وقت بردند تابفعل وكناه خود مقرآمد وپادشاه بفرمود تااورا بر دار كنند دران ساعت شيطان برا بروى آمد وكفت اين همه ساخته وآراستهٔ منست اكر آنچه من فرمايم بجاى آرى ترا نجات وخلاص پديد آيد كفت هرچه فرمايى ترا طاعت كنم كفت مرا سجده كن آن بدبخت اورا سجده كرد وكافر كشت واورا ركفر بردار كردند وشيطان آنكه كفت انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما يعنى الشيطان وبرصيصا العابد كان آخر امرهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين * خيالات نادان خلوت نشين * بهم بركنند عاقبت كفر ودين * كز ودست بايد كز و برخورى * نبايد كه فرمان دشمن برى * پى نيك مردان ببايد شتافت * كه هركين سعادت طلب كرديافت * وليكن تودنبال ديو خسى * ندانم كه درصالحان كى رسى * والمراد من هذا الشيطان هو الشيطان الابيض الذى يأتى الصلحاء فى صورة الحق (قال الكاشفى) آن بى سعادت بعد از عبادت هفتاد سال بورطهٔ شقاوت ابدى كرفتار كشت * غافل مشو كه مركب مردان مردرا * درسنكلاخ وسوسه پيها بريده اند وفى زهرة الرياض غير الله الايمان على برصيصا بعد ما عبد الله مائتين وعشرين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وكان ستون الفا من تلامذته يمشون فى الهواء ببركته وعبد الله حتى تعجبت الملائكة من عبادته قال الله تعالى لهم لماذا تتعجبون منه انى لاعلم ما لا تعلمون ففى علمى انه يكفر ويدخل النار ابدا فسمع ابليس وعلم ان هلاكه على يده فجاء الى صومعته على شبه عابد وقد لبس المسح فناداه فقال له برصيصا من انت وما تريد قال انا عابد اكون لك عونا على عبادة الله قال له برصيصا من اراد عبادة الله فالله يكفيه صاحبا فقام ابليس يعبد الله ثلاثة ايام ولم يأكل ولم يشرب قال برصيصا انا افطر وانام وآكل واشرب وانت لا تأكل ثم قال انى عبدت الله مائتين وعشرين سنة فلا اقدر على ترك الاكل والشرب قال ابليس انا اذنبت ذنبا فمتى ذكرته يتنغص على النوم والاكل والشرب قال برصيصا ما حيلتى حتى اصير مثلك قال اذهب واعص الله ثم تب اليه فانه رحيم حتى تجد حلاوة الطاعة قال كيف اعصيه بعد ما عبدته كذا وكذا سنة قال ابليس الانسان اذا اذنب يحتاج الى المعذرة قال اى ذنب تشير به قال الزنى قال لا افعله قال ان تقتل مؤمنا قال لا افعله قال اشرب الخمر المسكر فانه اهون وخصمك الله قال اين اجده قال اذهب الى قرية كذا فذهب فرأى امرأة جميلة تبيع خمرا فاشترى منها الخمر وشربها وسكر وزنى بها فدخل عليهما زوجها فضربه وقتله ثم ان ابليس تمثل فى صورة الانسان وسعى به الى السلطان فأخذه وجلده للخمر ثمانين جلدة وللزنى مائة وامر بالصلب لاجل الدم فلما صلب جاء اليه ابليس فى تلك الصورة قال كيف ترى حالك قال من اطاع قرين السوء فجزاؤه هكذا قال ابليس كنت فى بلائك مائتين وعشرين سنة حتى صلبتك فلو اردت النزول انزلتك قال اريد واعطيك ما تريد قال اسجد لى مرة واحدة قال كيف اسجد

على الخشب قال اسجد بالايماء فسجد وكفر فذلك قوله تعالى كمثل الشيطان الخ قال ابن عطية هذا اى كون المراد بالانسان برصيصا العابد ضعيف والتأويل الاول هو وجه الكلام وفى القصة تحذير عن فتنة النساء (روى) انه عليه السلام كان يصلى فى بيت ام سلمة رضى الله عنها فقام عمر بن ام سلمة ليمر بين يديه فاشار اليه ان قف فوقف ثم قامت زينب بنت ام سلمة لتمر بين يديه فاشار اليها ان قفى فابت ومرت فلما فرغ من صلاته نظر اليها وقال ناقصات العقل ناقصات الدين صواحب يوسف صواحب كرسف يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام قال الخازى فى حواشى الهداية قال مولانا حميد الدين رحمه الله كرسف اسم زاهد وقع فى الفتنة بسبب امرأة وقال المطرزى فى المغرب كرسف رجل من زهاد بنى اسرائيل كان يقوم الليل ويصوم النهار فكفر بسبب امرأة عشقها ثم تداركه الله بما سلف منه فتاب عليه هكذا فى الفردوس ومنه الحديث صاحبات يوسف صاحبات كرسف انتهى * قال ابن عباس رضى الله عنهما وكانت الرهبان فى بنى اسرائيل لا يمشون الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفجور والفسق فى الاخيار فرموهم بالبهتان والقبيح حتى كان امر جريج الراهب فلما برأه الله مما رموه به انبسطت بعدها الرهبان وظهروا للناس وفى الحديث (كان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة وكان فيها فأتته امه وهو يصلى فقالت يا جريج فقال اى بقلبه اى رب امى وصلاتى فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان الغد أتته وهو يصلى فقالت يا جريج فقال اى رب امى وصلاتى فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان الغد أتته فقالت يا جريج فقال اى رب امى وصلاتى فاقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر الى وجوه المومسات فتذاكر بنوا اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال اى النبى عليه السلام فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان يأوى الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال اين الصبى فجاؤا به فقال دعونى حتى اصلى فصلى فلما انصرف اتى بالصبى فطعن فى بطنه وقال يا غلام من ابوك فقال فلان الراعى قال اى النبى عليه السلام فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبنى لك صومعتك من ذهب قال لا اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبى يرضع من امه فمر رجل راكبا على دابة فارهة وهيئته حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الثدى واقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلنى مثله ثم اقبل على ثديه فجعل يرتضع قال اى الراوى وهو ابو هريرة رضى الله عنه فكأنى انظر الى رسول الله عليه السلام وهو يحكى ارتضاعه باصبعه السبابة فى فمه فجعل يمصها قال اى النبى عليه السلام ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل فقالت امه اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلنى مثلها فهناك تراجعا الحديث فقالت امه قد مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لا تجعلنى مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت فقلت اللهم لا تجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها قال اى الرضيع ان ذاك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلنى مثله وان هذه يقولون لها زنيت سرقت ولم تزن ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها انتهى الحديث وفيه اشارة الى انه ينبغى للمؤمن ان لا يمد عينيه الى زخارف الدنيا ولا يدعو الله فيما لا يدرى اهو خير له ام شر بل ينبغى له ان يطلب منه البراءة من السوء وخير الدارين كما قال تعالى ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار نسأل الله سبحانه العفو والعافية مطلقا (يا ايها الذين آمنوا) ايمانا خاصا (اتقوا الله) فى كل ما تأتون وما تذرون فتحرزوا عن العصيان بالطاعة وتجنبوا عن الكفران بالشكر وتوقوا عن النسيان بالذكر واحذروا عن الاحتجاب عنه بافعالكم وصفتكم بشهود افعاله وصفاته (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) ما شرطية اى اى شئ قدمت من الاعمال ليوم القيامة تا اكر تقديم خيرات وطاعات كنند شكر كزارى نمايد ودر زيادتى آن كوشد واكر معاصى فرستاده توبه كند وپشيمان شود عبر عن يوم القيامة بالغد لدنوه لان كل آت قريب يعنى سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له وعن الحسن رحمه الله لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله تعالى كأن لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضى اوعبر عنه به لان الدنيا اى زمانها كيوم والآخرة كغده لاختصاص كل منهما باحوال واحكام متشابهة وتعقيب الثانى الاول فقوله لغد استعارة

يقول الفقير انما كانت الآخرة كالغد لان الناس فى الدنيا نيام ولا انتباه الا عند الموت الذى هو مقدمة القيامة كما ورد به الخبر فكل من الموت والقيامة كالصباح بالنسبة الى الغافل كما ان الغد صباح بالنسبة الى النائم فى الليل ودل هذا على ان الدنيا ظلمانية والآخرة نورانية وتنكيره لتفخيمه وتهويله كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واصله غدو حذفوا الواو بلا عوض واستشهد عليه بقول لبيد

وما الناس الا كالديار واهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

اذ جاء به على اصله والبيت من ابيات العبرة واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كأنه قيل ولتنظر نفس واحدة فى ذلك قال بعضهم الاستقلال يكون بمعنى عد الشئ قليلا و بمعنى الانفراد فى الامر فعلى الاول يكون المراد استقلال الله النفوس الناطقة كما قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولكن اكثرهم يجهلون فكأنه اقيم الاكثر مقام الكل مبالغة فأمر على الوحدة فلا يضره وجود النفس الكاملة العاقلة الناظرة الى العواقب بالنظر الصائب والرأى الثاقب وعلى الثانى يكون المراد انفراد النفوس فى النظر واكتفاءها فيه بدون انضمام نظر الاخرى فى الاطلاع على ما قدمت خيرا او شرا قليلا او كثيرا وجودا اوعدما وفيه حث عظيم * جهل من وعلم تو فلك راچه تفاوت * آنجا كه بصر نيست چه خوبى و چه زشتى (واتقوا الله) تكرير للتأكيد والاهتمام فى شأن التقوى واشارة الى ان اللائق بالعبد ان يكون كل امره مسبوقا بالتقوى ومختوما بها والاول فى اداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل والثانى فى ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله سبحانه (ان الله خبير بما تعملون) اى عالم بما تعملونه من المعاصى فيجزيكم يوم الجزاء عليها ودر كشف الاسرار فرموده كه اول اشارتست باصل تقوى ودوم بكمال آن يا اول تقواى عوامست وآن پرهيز كردنست از محرمات وسوم تقواى خواص وآن اجتناب بود از هرچه ما دون حقست * اصل تقوى كه زاد اين راهست * ترك مجموع ماسوى اللهست * والتقوى هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وقال بعض الكبار التقوى وقاية النفس فى الدنيا عن ترتب الضرر فى الآخرة فتقوى العامة عن ضرر الافعال وتقوى الخاصة عن ضرر الصفات وتقوى اخص الخواص عن جميع ماسوى الله تعالى عزيزى گفته كه است دنيا سفالى است وآن نيز در خواب وآخرت نيز جوهرى است يافته در بيدارى مرد نه انست كه در سفال بخواب ديده متقى شود مرد آن آنست كه در گوهر در بيدارى يافته متقى شود ولا بد من التقوى مع وجود العمل (قال الصائب) بى عمل دامن تقوى زمناهى چيدن * احتراز سك سلخ بود از شاشهٔ خويش * وفى الآية ترغيب فى الاعمال الصالحة وفى الاثر ان ابن آدم اذا مات قالت الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم وعن مالك بن دينار رحمه الله مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا　　بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلى سهر الليالى

(وحكى) عن مالك بن دينار رحمه الله ايضا انه قال دخلت جبانة البصرة فاذا انا بسعدون المجنون فقلت له كيف حالك وكيف انت فقال يا مالك كيف حال من اصبح وامسى يريد سفرا بعيدا بلا اهبة ولا زاد ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد ثم بكى بكاء شديدا فقلت ما يبكيك قال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت والبلى ولكن بكيت ليوم مضى من عمرى ولم يحسن فيه عملى ابكانى والله قلة الزاد وبعد المسافة والعقبة الكؤود ولا ادرى بعد ذلك اصير الى الجنة ام الى النار فقلت ان الناس يزعمون انك مجنون فقال وانت اغتررت بما اغتر به بنو الدنيا زعم الناس انى مجنون وما بى جنة ولكن حب مولاى قد خالط قلبى وجرى بين لحمى ودمى فأنا من حبه هائم مشغوف فقلت يا سعدون فلم لا تجالس الناس ولا تخالطهم فأنشد

كن من الناس جانبا * وارض بالله صاحبا

قلب الناس كيف شئت تجدهم عقاربا

وفى التأويلات النجمية يا ايها الذين آمنوا بالايمان الحقيقى الشهودى الوجودى اجعلوا الله وقاية نفوسكم فى اضافة الكمالات اليه ولتنظر نفس كاملة عارفة بذات الله وصفاته ما هيأت لغد يوم الشهود واتقوا الله عن الالتفات الى غيره ان الله خبير بما تعملون من الاقبال على الله والادبار عن الدنيا ومن الادبار عن الله والاقبال على الدنيا انتهى ويدخل فى قوله نفس النفوس الجنية لانهم من المكلفين فلهم من التقوى والعمل

ما بالانس كما عرف فى مواضع كثيرة (ولاتكونوا) ايها المؤمنون (كالذين) اى كاليهود والمنافقين فالمراد بالموصول المعهودون بمعونة المقام اوالجنس كائنا من كان من الكفار امواتا او احياء (نسوا الله) فيه حذف المضاف اى نسوا حقوقه تعالى وماقدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب اموره ونواهيه حق رعايتها (فأنساهم) بسبب ذلك (انفسهم) اى جعلهم ناسين لها فلم يسمعوا ماينفعها ولم يفعلوا مايخلصها فالمضى على اصله اوارائهم يوم القيامة من الاهوال ما انساهم انفسهم فالمضى باعتبار التحقق قال الراغب النسيان ترك الانسان ضبط ما استودع اما لضعف قلبه واما عن غفلة او عن قصد حتى يحذف عن القلب ذكره وكل نسيان من الانسان ذمه الله به فهو ما كان اصله من تعمد وماعذر فيه نحو ماروى عن النبى عليه السلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان فهو مالم يكن سببه منه فقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا هو ما كان سببه عن تعمد منهم وتركه على طريق الاهانة واذا نسب ذلك الى الله فهو تركه اياهم استهانة بهم ومجازاة لما تركوه كما قال فى اللباب قد يطلق النسيان على الترك ومنه نسوا الله فنسيهم اى تركوا طاعة الله ترك الناسى فتركهم الله وقال بعض المفسرين ان قيل النسيان يكون بعد الذكر وهو ضد الذكر لانه السهو الحاصل بعد حصول العلم فهل كان الكفار يذكرون حق الله و يعترفون بربوبيته حتى ينسوا بعدا جيب بأنهم اعترفوا وقالوا بلى يوم الميثاق ثم نسوا ذلك بعد ماخلقوا والمؤمنون اعترفوا بها بعد الخلق كما اعترفوا قبله بهداية الله وراعوا حقها قل او كثر جل اوصغر (سئل ذوالنون المصرى قدس سره) عن سر ميثاق مقام الست بربكم هل تذكره فقال كأنه الآن فى اذنى ودرنفحات مذكورست كه على سهل اصفهانى را كفتندكه روز بلى را ياد دارى كفت چون ندارم كو يى دى بو شيخ الاسلام خواجه انصارى فرمودكه درين سخن نقص است صوفى را دى وفردا چه بود ان روز را هنوز شب درنيامده وصوفى درهمان روزست و يدل عليه قوله الآن انه على ما كان عليه ثم ان قوله تعالى ولاتكونوا الخ تنبيه على ان الانسان بمعرفته لنفسه يعرف الله فنسيانه هو من نسيانه لنفسه كما قال فى فتح الرحمن لفظ هذه الآية يدل على انه من عرف نفسه ولم ينسها عرف ربه وقد قال على رضى الله عنه اعرف نفسك تعرف ربك وقال سهل رحمه الله نسوا الله عند الذنوب فأنساهم الله انفسهم عند الاعتذار وطلب التوبة ومن لطائف العرفى * ما اب آلوده بهر توبه بكشاييم ليك * بانك عصيان ميزند نا قوس استغفار ما (اولئك) الناسون المخذولون بالانساء (هم الفاسقون) الكاملون فى الفسوق والخروج عن طريق الطاعة وهم للحصر فافادان فسقهم كان بحيث ان فسق الغير كانه ليس بفسق بالنسبة اليه فالمراد هنا الكافرون لكن على المؤمن الغافل عن رعاية حق ربوبية الله ومراعاة حظ نفسه من السعادة الابدية والقربة من الحضرة الاحدية خوف شديد وخطر عظيم وفيه اشارة الى ان الذين نسوا الله هم الخارجون عن شهود الحق فى جميع المظاهر الجمالية والجلالية وحضوره الداخلون فى مقام شهود انفسهم فى اشتغال بقضاء حظوظ نفسه نسى طيب العيش مع الله وكان من الغافلين عن الملذات الحقيقية ومن فنى عن شهوات نفسه بقى مع تجليات ربه (لايستوى اصحاب النار) الذين نسوا الله فاستحقوا الخلود فى النار والنار باللام من اعلام جهنم كالساعة للقيامة ولذا كثيرا ماذكر فى مقابلة الجنة كما فى هذا المقام وجاء فى الشعر

الجنة الدار فاعلم ان عملت بما * يرضى الاله وان فرطت فالنار

هما محلان ما للناس غيرهما * فانظر لنفسك ماذا انت تختار

والصحبة فى الاصل اقتران الشئ بالشئ فى زمان ما قل او كثر وبذلك يكون كل منهما صاحب الآخر وان كانت على المداومة والملازمة يكون كمال الصحبة ويكون الصاحب المصاحب عرفا وقد يطلق على الطرفين حينئذ صاحب ومصاحب ايضا ومن ذلك يكنى عن الزوجة بالصاحبة وقد يقال للمالك لكثرة صحبته بمملوكه كما قيل له الرب اولوقوع تربية المالك على مملوكه فيقال صاحب المال كما يقال رب المال فاطلاق اصحاب النار واصحاب الجنة على اهلهما اما باعتبار الصحبة الابدية والاقتران الدائم حتى لايقال للعصاة المعذبين بالنار مقدار ما شاء الله اصحاب النار اوباعتبار الملك مبالغة ورمزا الى انهما جزاء لاهلهما باعتبار كسبهما باعمالهم الحسنة والسيئة (واصحاب الجنة) الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة قال فى الارشاد لعل تقديم اصحاب النار فى الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذى ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم

لامن جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتنا وتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوى الاعمى والبصيرام هل تستوى الظلمات والنور الى غير ذلك من المواضع واما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة والاعدام مسبوقة بملكاتها وقال بعضهم قدم اصحاب النار لذكر الذين نسوا الله قبله ولكثرة اهلها ولان اول طاعة اكثر الناس بالخوف ثم بالرجاء ثم بالمحبة فى البعض ولادلالة فى الآية الكريمة على ان المسلم لايقتص بالكافر وان الكفار لايملكون اموال المسلمين بالقهر كما هو مذهب الشافعى لان المراد عدم الاستواء فى الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير من الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى (اصحاب الجنة هم الفائزون) فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين فالفوز الظفر مع حصول السلامة اى هم الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه فهم اهل الكرامة فى الدارين واصحاب النار اهل الهوان فيهما وفيه تنبيه للناس بانهم لفرط غفلتهم ومحبتهم العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لايعرفون الفرق بين الجنة والنار وبين اصحابهما حتى احتاجوا الى الاخبار بعدم الاستواء كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لايعرفه فتنبه بذلك على حق الابوة الذى يقتضى البر والتعطف فكذا نبه الله تعالى الناس بتذكير سوء حال اهل النار وحسن حال اهل الجنة على الاعتبار والاحتراز عن الغفلة ورفع الرأس عن المعاصى والتحاشى من عدم المبالاة قال عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال عليه السلام ان اهون اهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل مايرى ان احدا اشد منه عذابا وروى الشيخ الحجازى ليلة يردد قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض ويبكى فقيل له قد ابكتك آية مايبكى عند مثلها فقال فما ينفعنى عرضها اذا لم يكن لى فيها موضع قدم وخرج على سهل الصعلوكى من مستحن حمام يهودى فى طمر اسود من دخانه فقال الستم ترون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فقال سهل على البداهة اذا صرت الى عذاب الله كانت هذه جنتك واذا صرت الى نعيم الله كانت هذه سجنى فتعجبوا من كلامه (قال الشيخ سعدى) چومارا بدنيا توكردى عزيز * بعقبى همان چشم داريم نيز * عزيزى وخوارى تو بخشى وبس * عزيزتو خوارى نه بيند زكس * خدايا بعزت كه خوارم مكن * بذل كنه شرمسارم مكن * قال بعض اهل الاشارة اصحاب النار فى الحقيقة اصحاب المجاهدات الذين احترقوا بنيرانها واصحاب الجنة اصحاب المواصلات الذين وقعوا فى روح المشاهدات وفى الظاهر اصحاب النار اصحاب النفوس والاهواء الذين اقبلوا على الدنيا واصحاب الجنة اصحاب القلوب والمراقبات قال الحسين النورى قدس سره اصحاب النار اصحاب الرسوم والعادات واصحاب الجنة اصحاب الحقائق والمشاهدات والمعاينات (لو انزلنا هذا القرآن) العظيم الشان المنزل عليكم ايها الناس المنطوى على فنون القوارع او المنزل عليك يا محمد او على محمد بحسب الالتفات فى الخطاب قال ابن عباس رضى الله عنهما ان السماء اطت يعنى آوازداد من ثقل الالواح لما وضعها الله عليها فى وقت موسى فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها على موسى وكذلك الانجيل على عيسى والفرقان على محمد عليهم السلام ثم انه لايلزم فى الاشارة وجود جملة المشار اليه ذى الابعاض المترتبة وجودا بل يكفى وجود بعض الاشارة حقيقة ووجود بعض آخر حكما ويحتمل ان يكون المشار اليه هنا الآية السابقة من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا الخ فان لفظ القرآن كما يطلق على المجموع يطلق على البعض منه حقيقة بالاشتراك او باللغة اومجازا بالعلاقة فيكون التذكير باعتبار تذكير المشار اليه (على جبل) من الجبال وهى ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلا سوى التلول كما فى زهرة الرياض وهى محركة كل وتد الارض عظم وطال فان انفرد فاكمة وقنة بضم القاف واعتبر معانيه فاستعيروا واشتق منه بحسبه فقيل فلان جبل لايتدحرج تصور المعنى الثبات وجبله الله على كذا اشارة الى ماركب فيه من الطبع الذى يأبى على الناقل نقله (لرأيته) يامن من شأنه الرؤية او يا محمد مع كونه علما فى القسوة وعدم التأثر مما يصادمه (خاشعا) خاضعا ذليلا وهو حال من الضمير المنصوب فى قوله لرأيته

لانه من الرؤية البصرية قال بعضهم الخشوع انقياد الباطن للحق والخضوع انقياد الظاهر له وقال بعضهم الخضوع فى البدن والخشوع فى الصوت والبصر قال الراغب الخشوع ضراعة واكثر ما يستعمل فيما يوجد فى الجوارح والضراعة اكثر ما تستعمل فيما يوجد فى القلب ولذلك قيل فيما روى اذا ضرع القلب خشعت الجوارح (متصدعا من خشية الله) اى متشققا منها ان يعصيه فيعاقبه والصدع شق فى الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما ومنه استعير الصداع وهو الانشقاق فى الرأس من الوجع قال العلماء هذا بيان وتصوير لعلو شأن القرآن وقوة تأثير مافيه من المواعظ اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه والمعنى لو ركب فى الجبل عقل وشعور كما ركب فيكم ايها الناس ثم انزل عليه القرآن ووعد واوعد حسب حالكم لخشع وخضع وتصدع من خشية الله حذرا من ان لايؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرآن والامتثال لما فيه من امره ونهيه والكافر المنكر اقسى منه ولذا لايتأثر اصلا (مصراع) اى دل سنكين تو يك ذره سوهان كير نيست * وهو كما تقول لمن تعظه ولايجع فيه وعظك لو كلمت هذا الحجر لاثر فيه ونظيره قول الامام مالك للشافعى لو رأيت ابا حنيفة رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقامت بحجته * دلرا اثر روى تو كل پوش كند * جانرا سخن خوب تو مدهوش كند * آتش كه شراب وصل تو نوش كند * از لطف تو سوختن فراموش كند * يقول الفقير فيه ذهول عن ان الله تعالى خلق الاشياء كلها ذات حياة وادراك فى الحقيقة والا لما اندك الجبل عند التجلى ولما شهد للمؤذن كل رطب ويابس سمع صوته ونحو ذلك وقد كاشف عن هذه الحيوة اهل الله وغفل عنها المحجوبون على ماحقق مرارا نعم فرق بين الجبل عند التجلى وعند ما انزل عليه القرآن وبينه عند الاستتار وعدم الانزال فان اثر الحياة فى الصورة الاولى محسوس مشاهد للعامة والخاصة واما فى الصورة الثانية فمحسوس للخاصة فقط فاعرف (وتلك الامثال) اشارة الى هذا المثل والى امثاله فى مواضع من التنزيل اى هذا القول الغريب فى عظمة القرآن ودناءة حال الانسان وبيان صفتهما العجيبة وسائر الامثال الواقعة فى القرآن فان لفظ المثل حقيقة عرفية فى القول السائر ثم يستعار لكل امر غريب وصفة عجيبة الشأن تشبيها له بالقول السائر فى الغرابة لانه لايخلو عن غرابة (نضربها للناس) بيان ميكنيم مر انسانرا قد جاء فى سورة الزمر ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل بالاخبار على المضى مع انها مكية وقال هنا نضربها بالاستقبال مع ان السورة مدنية فلعل الاول من قبيل عد ما سيحقق مما حقق لتحققه بلاخلف والثانى من قبيل التعبير عن الماضى بالمضارع لاحضار الحال او لارادة الاستمرار على الاحوال بمعنى ان شأننا ان نضرب الامثال للناس (لعلهم يتفكرون) اى لمصلحة التفكر ومنفعة التذكر يعنى شايد كه انديشه كنند دران وبهره بردارند ازان بايمان ولا يقتضى كون الفعل معللا بالحكمة والمصلحة ان يكون معللا بالغرض حتى تكون افعاله تعالى معللة بالاغراض اذ الغرض من الاحتياج والحكمة اللطف بالمحتاج وعن بعض العلماء انه قال من عجز عن ثمانية فعليه بثمانية اخرى لينال فضلها من اراد فضل صلاة الليل وهو نائم فلايعص بالنهار ومن اراد فضل صيام التطوع وهو مفطر فليحفظ لسانه عما لايعنيه ومن اراد فضل العلماء فعليه بالتفكر ومن اراد فضل المجاهدين والغزاة وهو قاعد فى بيته فليجاهد الشيطان ومن اراد فضل الصدقة وهو عاجز فليعلم الناس ماسمع من العلم ومن اراد فضل الحج وهو عاجز فليلزم الجمعة ومن اراد فضل العابدين فليصلح بين الناس ولايوقع العداوة ومن اراد فضل الابدال فليضع يده على صدره ويرضى لاخيه مايرضى لنفسه قال عليه السلام اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا وما حظها من العبادة يارسول الله قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه (وفى المثنوى) خوش بيان كرد آن حكيم غزنوى * بهر محجوبان مثال معنوى * كه زقرآن كرنه بيند غير قال * اين عجب نبود ز اصحاب ضلال * كز شعاع آفتاب پر زنور * غير كرمى مى نيابد چشم كور * وعن ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلاقلب وعن الحسن البصرى رحمه الله من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره عبرة فهو لهو وعن ابى سليمان رحمه الله الفكرة فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكرة فى الآخرة تورث الحكمة وتحيى القلب وكثيرا ما ينشد سفيان بن عيينة و يقول

اذا المرء كانت له فكرة * ففى كل شئ له عبرة

والتفكر اما ان يكون فى الخالق او الخلق والاول اما فى ذاته او فى صفاته او فى افعاله اما فى ذاته فممنوع لانه لايعرف الله الا الله الا ان يكون التفكر فى ذاته باعتبار عظمته و جلاله وكبريائه من حيث وجوب الوجود ودوام البقاء وامتناع الامكان والفناء والصمدية التى هى الاستغناء عن الكل واما فى صفاته فهو فيها باعتبار كمالها بحيث يحيط علمه بجميع المعلومات وقدرته بجميع الاشياء وارادته بجميع الكائنات وسمعه بجميع المسموعات و بصره بجميع المبصرات ونحو ذلك واما فى افعاله فهو فيها بحسب شمولها وكثرتها ومتانتها ووقوعها على الوجه الاتم كل يوم هو فى شأن والثانى اما ان يكون فيما كان من العلويات والسفليات او فيما سيكون من اهوال القيامة واحوال الآخرة الى ابد الآباد قال بعض العارفين الفكر اما فى آيات الله وصنائعه فيتولد منه المعرفة واما فى عظمة الله وقدرته فيتولد منه الحياء واما فى نعم الله ومننه فيتولد منه المحبة واما فى وعد الله بالثواب فيتولد منه الرغبة فى الطاعة واما فى وعيد الله بالعقاب فيتولد منه الرهبة من المعصية واما فى تفريط العبد فى جنب الله فيتولد منه الحياء والندامة والتوبة ومن مهمات التفكر ان يتفكر المتفكر فى امر نفسه من مبدأه ومعاشه ومن اطاعته لربه ببدنه ولسانه وفؤاده ولو صرف عمره فى فكر نفسه نظرا الى اول امره واوسطه وآخره لما تم وفى الآية اشارة الى ان الله لو تجلى بصورة القرآن الجمعى المشتمل على حروف الموجودات العلوية وكلمات المخلوقات السفلية على جبل الوجود الانسانى لتلاشى من سطوة التجلى والى ان العارف ينبغى ان يذوب تحت الخطاب الالهى من شدة التأثير والى ان هذه الامة حملوا بهمتهم مالم تحمله الجبال بقوتها كما قال تعالى فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان (هو الله الذى لا اله الا هو) هو فى اصل وضعه كناية عن المفرد المذكر الغائب وهى كناية عن المفردة المؤنثة الغائبة وكثيرا مايكنى به عمن لايتصور فيه الذكورة والانوثة كما هو ههنا فانه راجع الى الله تعالى للعلم به ولك ان تقول هو موضوع لمفرد ليس فيه تأنيث حقيقة وحكما وهى لمفرد يكون فيه ذلك وهو مبتدأ خبره لفظة الله بمعنى هو المعبود بالحق المسمى بهذا الاسم الاعظم الدال على جلال الذات وكمال الصفات فلا يلزم ان يتحد المبتدأ والخبر بان يكون التقدير الله الله اذ لافائدة فيه او والله بدل من هو والموصول مع صلته خبر المبتدأ او هو واشارة الى الشان والله مبتدأ والذى لا اله الا هو خبره والجملة خبر ضمير الشان ولا فى كلمة التوحيد لنفى افراد الجنس على الشمول والاستغراق واله مبنى على الفتح بها مرفوع المحل على الابتداء والمراد به جنس المعبود بالحق لا مطلق جنس المعبود حقا او باطلا والا فلا يصح فى نفسه لتعدد الآلهة الباطلة ولا يفيد التوحيد الحق والا هو مرفوع على البدلية من محل المنفى او من ضمير الخبر المقدر للا والخبر قد يقدر موجود فيتوهم ان التوحيد يكون باعتبار الوجود لا الامكان فان نفى وجود اله غير الله لايستلزم نفى امكانه وقد يقدر ممكن فيتوهم ان اثبات الامكان لايقتضى الوقوع فكم من شئ ممكن لم يقع وقد يقدر لنا فيتوهم انه لابد من مقدر فيعود الكلام والجواب انه اذا كان المراد بالاله المعبود بالحق كما ذكر فهو لايكون الا رب العالمين مستحقا لعبادة المكلفين فاذا نفيت الالوهية على هذا المعنى عن غيره تعالى واثبت له سبحانه يندفع التوهم على التقادير كلها ان قيل ان اراد القائل لا اله الا الله شمول النفى له تعالى ولغيره فهو مشكل نعوذ بالله مع ان الاستثناء يكون كاذبا وان اراد شموله لغيره فقط فلا حاجة الى الاستثناء اجيب بان مراده فى قلبه هو الثانى الا انه يرى التعميم ظاهرا فى اول الامر ليكون الاثبات بالاستثناء آكد فى اخر الامر فالمعنى لا اله غيره وهذا حال الاستثناء مطلقا قال الشيخ ابو القاسم هذا القول وان كان ابتداؤه النفى لكن المراد به الاثبات ونهاية التحقيق فان قول القائل لا اخ لى سواك ولا معين لى غيرك آكد من قوله انت اخى ومعينى وكل من لا اله الا الله ولا اله الا هو كلمة توحيد اورده فى القرآن بخلاف لا اله الا الرحمن فانه ليس بتوحيد مع ان اطلاق الرحمن على غيره تعالى غير جائز واطلاق هو جائز نعم ان الاولى كونه توحيدا الا انه لم يشتهر به التوحيد اصالة بخلافهما اعلم ان هو من اسماء الذات عند اهل المعرفة لانه بانفراده عن انضمام لفظ آخر اشارة الى الله المستجمع لجميع الصفات المدلول عليها بالاسماء الحسنى فهو من جملة الاذكار عند الابرار قال الامام القشيرى رحمه الله هو للاشارة وهو عند هذه الطائفة اخبار عن نهاية التحقيق فاذا قلت هو لايسبق الى فاوبهم غيره تعالى فيكتفون به عن كل بيان تلوه لاستهلاكهم فى حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على اسرارهم وقال الامام الفاضل محمد بن ابى بكر الرازى

رحمه الله فى شرح الاسماء الحسنى اعلم ان هذا الاسم عند اهل الظاهر مبتدأ يحتاج الى خبر ليتم الكلام وعند اهل الطريق لا يحتاج بل هو مفيد وكلام تام بدون شئ آخر يتصل به او يضم له لاستهلاكهم فى حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على اسرارهم وقال الشيخ العارف احمد الغزالى اخو الامام محمد الغزالى رحمه الله كاشف القلوب بقول لا اله الا الله وكاشف الارواح بقول الله وكاشف الاسرار بقول هو هو لا اله الا الله قوت القلوب والله قوت الارواح وهو قوت الاسرار فلا اله الا الله مغناطيس القلوب والله مغناطيس الارواح وهو مغناطيس الاسرار والقلب والروح والسر بمنزلة درة فى صدفة فى حقة فانظر انه رحمه الله فى اى درجة وضع هو وعن بعض المشايخ رأيت بعض الوالهين فقلت له ما اسمك فقال هو فقلت من انت قال هو قلت من اين تجيئ قال هو قلت من تعنى بقولك هو قال هو فسألته عن شئ الا قال هو فقلت العلك تريد الله فصاح وخرجت روحه فكن من الذاكرين بهو ولا تلتفت الى المخالفين فانهم من اهل الاهواء ولكل من العقل والنفس والقلب والروح معنيان اما العقل فيطلق على قوة دراكة توجد فى الانسان بها يدرك مدركاته وعلى لطيفة ربانية هى حقيقة الانسان المستخدمة للبدن فى الامور الدنيوية والاخروية وهى العالم والعارف والعاقل وهى الجاهل والقاصر والغافل الى غير ذلك وكذا النفس تطلق على صفة كائنة فى الانسان جامعة للاخلاق المذمومة داعية الى الشهوات باعثة على الاهواء والآفات وتطلق على تلك اللطيفة المذكورة كما قال بعض الافاضل

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته * وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

وكذا القلب يطلق على قطعة لحم صنوبرية تكون فى جوف الانسان وعلى تلك اللطيفة وكذا الروح يطلق على جسم لطيف وعلى اللطيفة الربانية المذكورة فكل من الالفاظ الاربعة يطلق على نفس الانسان الذى هو المتكلم والمخاطب والمثاب والمعاقب بالاصالة وبتبعيتها يقع الثواب والعقاب للجسد الذى هو القفص لها فالتغاير على هذا اعتبارى فان النفس نفس باعتبار انها نفس الشئ وذاته وعقل باعتبار ادراكها وقلب باعتبار انقلابها من شئ الى شئ وروح باعتبار استراحتها بما يلايمها وتستلذ به وعلى المعانى الأخر لهن حقيق ثم ان النفس اما ان تكون تابعة للهوى فهى الامارة لمبالغة امرها للاعضاء بالسيئات فذكر دائرة النفس لا اله الا الله واما ان يهب الله لها الانصاف والندامة على تقصيرانها والميل الى التدارك لمافات من المهمات فهى اللوامة للومها صاحبها بل نفسها على سوء عملها فذكر هذه الدائرة الله ويقال لها دائرة القلب لانقلابها الى جانب الحق واما ان تطمئن الى الحق وتستقر فى الطاعة وتتلذذ بالعبادة فهى المطمئنة لاطمئنانها تحت امر الله بحب الله ويقال لهذه الدائرة دائرة الروح لاستراحتها بعبادة الله وذكره وتلذذها بشكره وذكر هذه الدائرة هو هو واما ما قال بعض الكبار من ان الذكر بلا اله الا الله افضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو من حيث انها جامعة بين النفى والاثبات ومحتوية على زيادة العلم والمعرفة فبالنسبة الى حال المبتدى فكلمة التوحيد تطهر مرآت النفس بنارها فتوصل السالك الى دائرة القلب وكلمة الله تنور القلب بنورها فتوصل الى دائرة الروح وكلمة هو تجلى الروح فتوصل من شاء الله الى دائرة السر والسر لفظ استأثره المشايخ للحقيقة التى هى ثمرة الطريقة التى هى خلاصة الشريعة التى هى لازمة القبول لكل مؤمن اما اخذا مما روى عن النبى عليه السلام انه قال حكاية عن الله بينى وبين عبدى سر لا يسعه ملك مقرب ولا نبى مرسل واما لكونه مستورا عن اكثر الناس ليس من لوازم الشريعة والطريقة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يشهد الله انما يبدو انه لا اله الا هو

هست هر ذره بوحدت خويش * پيش عارف كواه وحدت او * پاك كن جامى ازغبار دوبى *
لوح خاطر كه حق يكيست نه دو (عالم الغيب والشهادة) اللام للاستغراق فيعلم كل غيب وكل شهادة اى ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها ومن المعدوم والموجود فالمراد بالغيب حينئذ ما غاب عن الوجود ومن السر والعلانية ومن الآخرة والاولى ونحو ذلك قال الراغب ما غاب عن حواس الناس وبصائرهم وما شهدوه بهما والمعلومات اما معدومات يمتنع وجودها او معدومات يمكن وجودها واما موجودات يمتنع عدمها او موجودات لا يمتنع عدمها ولكل من هذه الاقسام الاربعة احكام

وخواص والكل معلوم لله تعالى وقدم الغيب على الشهادة لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به من حيث كونه موجودا واعلم ان ماورد من اسناد علم الغيب الى الله فهو الغيب بالنسبة الينا لا بالنسبة اليه تعالى لانه لايخفى على الله شئ فى الارض ولا فى السماء واذا انتفى الغيب بالنسبة اليه انتفى العلم به ايضا وايضا لما سقطت جميع النسب والاضافات فى مرتبة الذات البحت والهوية الصرفة انتفت النسبة العلمية مطلقا فانتفى العلم بالغيب فافهم (هو الرحمن الرحيم) كرر هو لان له شأنا شريفا ومقاما منيفا من اشتغل به ملك ومن اعرض عنه هلك والله تعالى رحمته الدنيوية عامة لكل انسى وجنى مؤمنا كان اوكافرا * اديم زمين سفرۀ عام اوست * برين خوان يغما چه دشمن چه دوست * على ماقال عليه السلام ايها الناس ان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وان الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر يحق فيها الحق ويبطل الباطل كونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان كل ام يتبعها ولدها ولذلك يقال يارحمن الدنيا لان مافيه زيادة حرف يراد به زيادة فى المعنى ورحمته الاخروية خاصة بالمؤمنين ولذا يقال يارحيم الآخرة فعلى هذا فى معنى الرحمن زيادة باعتبار المنعم عليه ونقصان باعتبار الانواع والافراد وفى تخصيص هذين الاسمين المنبئين عن وفور رحمته فى الدارين تنبيه على سبق رحمته وتبشير للعاصين ان لا يقنطوا من رحمة الله وتنشيط للمطيعين بأنه يقبل القليل ويعطى الجزيل وحظ العبد من اسم الرحمن الرحيم ان يكون كثير الرحمة بأن يرحم نفسه اولا ظاهرا وباطنا ثم يرحم غيره بتحصيل مراده وارشاده والنظر اليه بعين الرحمة كما قال بعض المشايخ

وارحم بنى جميع الخلق كلهمو * وانظر اليهم بعين اللطف والشفقه

وقر كبيرهمو وارحم صغيرهمو * وراع فى كل خلق حق من خلقه

قال الزروقى رحمه الله كل الاسماء يصح التخلق بمعانيها الا الاسم الله فانه للتعلق فقط وكل الاسماء راجعة اليه فالمعرفة به معرفة بها ولابد للعبد من قلب مفرد فيه توحيد مجرد وسر مفرد وبه يحصل جميع المقاصد سئل الجنيد قدس سره كيف السبيل الى الانقطاع الى الله تعالى قال بتوبة تزيل الاصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل واهانة النفس بقربها من الاجل وبعدها من الامل قيل له بماذا يصل العبد الى هذا قال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد انتهى وهو عجيب وفى التأويلات النجمية تشير الآية الى هويته الجامعة عالم غيب الوجود المسمى باسم الباطن وعالم شهادة الوجود المسمى باسم الظاهر هو الرحمن الرحيم اى هو المتجلى بالتجلى الرحمانى العام وهو المتجلى بالتجلى الرحيمى الخاص وهو المطلق عن العموم والخصوص فى عين العموم والخصوص بغير اعتباراته وحيثياته (هو الله الذى لا اله الا هو) كرر هو لابراز الاعتناء بامر التوحيد يعنى اوست خداى كه بهيچ وجه نيست خداى سزاى پرستش مكروى (الملك) پادشاهى كه جلال ذاتش ازوجه احتياج مصونست وكمال صفاتش باستغناء مطلق مقرون يعنى ذو الملك والسلطان والملك بالضم هو التصرف بالامر والنهى فى الجمهور وذلك يختص بسياسة الناطقين ولهذا يقال ملك الناس ولا يقال ملك الاشياء فقوله تعالى ملك يوم الدين تقديره الملك فى يوم الدين كما فى المفردات وعبد الملك هو الذى يملك نفسه وغيره بالتصرف فيه بماشاء الله وامره به فهو اشد الخلق على خليقته قال الامام الغزالى قدس سره مملكة العبد الخاصة به قلبه وقالبه وجنده شهوته وغضبه وهواه ورعيته لسانه وعيناه ويداه وسائر اعضائه فاذا ملكها ولم تملكه ولم يطعها فقد نال درجة الملك فى عالمه (قال الشيخ سعدى) وجود توشهريست برنيك وبد * توسلطان ودستور دانا خرد * همانا كه دونان گردن فراز * درين شهر كبرست وسود اوآز * چوسلطان عنايت كند بابدان * كجاماند آسايش بخردان * فان انضم اليه استغناؤه عن كل الناس واحتياج الناس كلهم اليه فى حياتهم العاجلة والآجلة فهو الملك فى العالم العرضى وتلك رتبة الانبياء عليهم السلام فانهم استغنوا فى الهداية الى الحياة الآخرة عن كل احد الا عن الله تعالى واحتاج اليهم كل احد ويليهم فى هذا الملك العلماء الذين هم ورثة الانبياء وانما ملكهم بقدر مقدرتهم على ارشاد العباد واستغنائهم عن الاسترشاد وهذا الملك عطية للعبد من الملك الحق الذى لامثنوية فى ملكه والا فلا ملك للعبد كما قيل لبعض العارفين الك ملك فقال انا عبد لمولاى فليس لى نملة فمن انا حتى اقول لى شئ هذا كلام من استغرق فى ملاحظة ملكية الله ومالكيته فاحكى ان بعض الامراء قال لبعض الصلحاء سلنى حاجتك قال اولى تقول

هذا ولى عبدان هما سيداك قال من هما قال الشهوة والغضب وفى بعض الرواية الحرص والهوى
غلبتهما وغلبا لك وملكتهما وملكاك فهو اخبار عن لطف الله وتمليكه من ضبط نفسه واستخدمهما فيما يرضاه الله
نصحا لذلك الامير ولغيره من السامعين شاهدين او غائبين قال بعضهم لبعض الشيوخ اوصنى فقال كن ملكا
فى الدنيا تكن ملكا فى الآخرة معناه اقطع طمعك وشهوتك فى الدنيا فان الملك فى الحرية والاستغناء
ومن مقالات ابى يزيد البسطامى قدس سره فى مناجاته الهى ملكى اعظم من ملكك وذلك لان الله تعالى
ملك ابا يزيد وهو فان متناه وابا يزيد ملك الله وهو باق غير متناه وخاصية اسم الملك صفاء القلب وحصول
الغناء والامرة ونحوها فمن واظب عليه وقت الزوال كل يوم مائة مرة صفا قلبه وزال كدره ومن قرأه بعد الفجر
مائة واحدى وعشرين مرة اغناه الله من فضله اما باسباب او بغيرها (القدوس) هو من صيغ المبالغة
من القدس وهو النزاهة والطهارة اى البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا ما او عن كل عيب وهو بالعبرى قديسا
ونظيره السبوح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح قال الزمخشرى ان الضفادع تقول
فى نقيقها سبحان الملك القدوس قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول الا السبوح والقدوس
فان الضم فيهما اكثر وقد يفتحان وقال بعضهم المفتوح قليل فى الصفات كثير فى الاسماء مثل التنور والسمور
والسفود وغيرها قال بعض المشايخ حقيقة القدس الاعتلاء عن قبول التغير ومنه الارض المقدسة لانها
لا تتغير بملك الكافر كما يتغير غيرها من الارضين واتبع هذا الاسم اسم الملك لما يعرض للملوك من تغير احوالهم
بالجور والظلم والاعتداء فى الاحكام وفيما يترتب عليها فان ملكه تعالى لا يعرض له ما يغيره لاستحالة ذلك
فى وصفه وقال بعضهم التقديس التطهير وروح القدس جبريل عليه السلام لانه ينزل بالقدس من الله
اى ما يطهر به نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الالهى والبيت المقدس هو المطهر من النجاسة
اى الشرك ولانه يتطهر فيه من الذنوب وكذلك الارض المقدسة وحظيرة القدس الجنة (قال الكاشفى
قدوس يعنى پاك از شوائب مناقص ومعايب ومنزه از طرق آفات ونوايب وقال الامام الغزالى رحمه الله
هو المنزه عن كل وصف يدركه حس او يتصوره خيال او يسبق اليه وهم او يختلج به ضمير او يقضى به تفكر ولست
اقول منزه عن العيوب والنقائص فان ذلك يكاد يقرب من ترك الادب فليس من الادب ان يقول القائل
ملك البلد ليس بحائك ولا حجام ولا حذاء فان نفى الوجود يكاد يوهم امكان الوجود وفى ذلك الايهام نقص
بل اقول القدوس هو المنزه عن كل وصف من اوصاف الكمال الذى يظنه اكثر الخلق كما لا قال الزروقى رحمه الله
كل تنزيه توجه الخلق به الى الخالق فهو عائد عليهم لان الحق سبحانه فى جلاله لا يقبل ما يحتاج للتنزيه منه
لاتصافه بعلى الصفات وكريم الاسماء وجليل الافعال على الاطلاق فليس لنا من تقدسه الا معرفة انه
القدوس فافهم وعبد القدوس هو الذى قدسه الله عن الاحتجاب فلا يسع قلبه غير الله وهو الذى وسع قلبه
الحق كما قال لا يسعنى ارضى ولا سمائى ويسعنى قلب عبدى ومن وسع الحق قدس عن الغير اذ لا يبقى عند
تجلى الحق شئ غيره فلا يسع القدوس الا القلب المقدس من الاكوان قال بعضهم حظ العارف منه ان يتحقق
انه لا يتحقق الوصول الا بعد العروج من عالم الشهادة الى عالم الغيب وتنزيه السر عن المتخيلات والمحسوسات
والتطواف حول العلوم الالهية والمعارف الزكية عن تعلقات الحس والخيال وتطهير القصد عن ان يحوم
حول الحظوظ الحيوانية واللذائذ الجسمانية فيقبل بشراشره على الله سبحانه شوقا الى لقائه مقصورا الهم
على معارفه ومطالعة جماله حتى يصل الى جناب العز وينزل بحبوحة القدس وخاصية هذا الاسم انه اذا كتب
سبوح قدوس رب الملائكة والروح على خبز اثر صلاة الجمعة واكله يفتح الله له العبادة ويسلمه من الآفات وذلك
بعد ذكر عدد ما وقع عليه وفى الاربعين الادريسية يا قدوس الطاهر من كل آفة فلا شئ يعادله من خلقه قال
السهروردى من قرأه كل يوم الف مرة فى خلوة اربعين يوما شمله بما يريد وظهرت له قوة التأثير فى العالم
(السلام) ذو السلامة من كل آفة ونقص (وبفارسية) سالم از عيوب وعلل ومبرا از ضعف وعجز وخلل
وهو مصدر بمعنى السلامة وصف به للمبالغة لكونه سليما من النقائص او فى اعطائه السلامة فيكون بمعنى
التسليم كالكلام بمعنى التكليم فما ورد من قوله انت السلام معناه انت الذى سلم من كل عيب وبرئ من كل نقص
وقوله ومنك السلام اى الذى يعطى السلامة فيسلم العاجز من المكاره ويخلصه من الشدائد فى الدارين

ويستر ذنوب المؤمنين وعيوبهم فيسلمون من الخزى يوم القيامة او يسلم على المؤمنين فى الجنة لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقوله واليك يرجع السلام اشارة الى ان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وقوله وحينا ربنا بالسلام طلب السلامة منه فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال الامام الغزالى رحمه الله هو الذى يسلم ذاته من العيب وصفاته من النقص وافعاله من الشر يعنى ليس فى فعله شر محض بل فى ضمنه خير اعظم منه فالمقضى بالاصالة هو الخير وهو والقدوس من الاسماء الدالة السلبية الا ان يكون بمعنى المسلم قال الراغب السلام والسلامة التعرى من الآفات الظاهرة والباطنة قيل وصف الله بالسلام من حيث لا تلحقه العيوب والآفات التى تلحق الخلق انتهى وعبد السلام هو الذى تجلى له اسم السلام فسلمه من كل نقص وآفة وعيب فكل عبد سلم من الغش والحقد والحسد وارادة الشر قلبه وسلم من الآثام والمحظورات جوارحه وسلم من الانتكاس والانعكاس صفاته فهو الذى يأتى الله بقلب سليم وهو السلام من العباد القريب فى وصفه من السلام المطلق الحق الذى لا مثنوية فى صفاته واعنى بالانتكاس فى صفاته ان يكون عقله اسير شهوته وغضبه اذ الحق عكسه وهو ان تكون الشهوة والغضب اسيرى العقل وطوعه فاذا انعكس فقد انتكس ولا سلامة حيث يصير الامير مأمورا والملك عبدا ولن يوصف بالسلام والاسلام الامن سلم المسلمون من لسانه ويده وخاصية هذا الاسم صرف المصائب والآلام حتى انه اذا قرئ على مريض مائة واحدى عشرة مرة برئ بفضل الله مالم يحضر اجله او يخفف عنه (المؤمن) اى الموحد نفسه بقوله شهد الله انه لا اله الا هو قاله الزجاج او واهب الأمن وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الذى آمن الناس من ظلمه وآمن من آمن من عذابه وهو من الايمان الذى هو ضد التخويف كما فى قوله تعالى وآمنهم من خوف وعنه ايضا انه قال اذا كان يوم القيامة اخرج اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق اسمه اسم نبى حتى اذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبى قال الله لباقيهم انتم المسلمون وانا السلام وانتم المؤمنون وانا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين (قال الكاشفى) ايمن كننده مؤمنان از عقوبت نيران يا داعئ خلق بايمان وامان يا مصدق رسل باظهار معجزه وبرهان قال الامام الغزالى رحمه الله المؤمن المطلق هو الذى لا يتصور امن وامان الا ويكون مستفادا من جهته وهو الله تعالى وليس يخفى ان الاعمى يخاف ان يناله هلاك من حيث لا يرى فعينه البصيرة تفيد امنا منه والاقطع يخاف آفة لا تندفع الا باليد واليد السليمة امان منها وهكذا جميع الحواس والاطراف والمؤمن خالقها ومصورها ومقومها ولو قدرنا انسانا وحده مطلوبا من جهة اعدآئه وهو ملقى فى مضيق لا تتحرك عليه اعضاؤه لضعفه وان تحركت فلا سلاح معه وان كان معه سلاح لم يقاوم اعدآءه وحده وان كانت له جنود لم يأمن ان تنكسر جنوده ولا يجد حصنا يأوى اليه فجاء من عالج ضعفه فقواه وامده بجنود واسلحة وبنى حوله حصنا فقد افاده امنا وامانا فبالحرى ان يسمى مؤمنا فى حقه والعبد ضعيف فى اصل فطرته وهو عرضة الامراض والجوع والعطش من باطنه وعرضة الآفات المحرقة والمغرقة والجارحة والكاسرة من ظاهره ولم يؤمنه من هذه المخاوف الا الذى اعد الادوية دافعة لامراضه والاطعمة مزيلة لجوعه والاشربة مميطة لعطشه والاعضاء دافعة عن بدنه والحواس جواسيس منذرة بما يقرب من مهلكاته ثم خوفه الاعظم من هلاك الآخرة ولا يحصنه منها الا كلمة التوحيد والله هاديه اليها ومرغبه فيها حيث قال لا اله الا الله حصنى فمن دخله امن من عذابى فلا امن فى العالم الا وهو مستفاد من اسباب هو منفرد بخلقها والهداية الى استعمالها وعبد المؤمن هو الذى آمنه الله من العقاب وآمنه الناس على ذواتهم واموالهم واعراضهم من المصطلحات فحظ العبد من هذا الوصف ان يأمن الخلق كلهم جانبه بل يرجو كل خائف الاعتضاد به فى دفع الهلاك عن نفسه فى دينه ودنياه كما قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليؤمن جاره بوآئقه وفى ترجمة وصايا الفتوحات واكر خواهى كه از هيچكس نترسى هيچ كس را مترسان تا ازهمه آمن باشى چون همه كس از تو آمن باشند شيخ اكبر قدس سره الاطهر فرموده كه درعنفوان شباب كه هنوز بدين طريق رجوع نكرده بودم درصحبت والده وجمعى در سفر بودم ناكاه ديدم كلهٔ كورخر در مرعى ومن بر صيد ايشان عظيم حريص بودم وكودكان من پاره دور بودند در نفس من اين فكر افتاد كه ايشانرا نرنجانم ودل بران نهادم وخاطررا بترك تعرض

وايذاء ايشان تسكين كردم وحصانى كه بروى سوار بودم بجانب ايشان ميل ميكرد سرا ومحكم كردم ونيزه بدست من بود چون بديشان رسيدم ودر ميانهٔ ايشان در آمدم وقت بود كه سنان نيزه ببعضى ميرسيد واودر چرا كردن خود بود والله هيچ يكى سر برنداشت تامن ازميان ايشان كذشتم بعد ازان كودكان وغلامان رسيدند وان جماعات حمر وحش ازايشان رميدند ومتفرق شدند ومن سبب آن نمى دانستم تاوقتى كه بطريق الله رجوع كردم ومرا در معامله نظر افتاد دانستم كه آن امان كه در نفس من بود در نفوس ايشان سرايت كرد واحق العباد باسم المؤمن من كان سببا لامن الخلق من عذاب الله بالهداية الى طريق الله والارشاد الى سبيل النجاة وهذه حرفة الانبياء والعلماء ولذلك قال عليه السلام انكم تتهافتون فى النار تهافت الفراش وانا آخذ بحجزكم لعلك تقول الخوف من الله على الحقيقة فلا مخوف الا هو فهو الذى خوف عباده وهو الذى خلق اسباب الخوف فكيف ينسب اليه الامن فجوابك ان الخوف منه والامن منه وهو خالق سبب الامن والخوف جميعا وكونه مخوفا لايمنع كونه مؤمنا كان كونه مذلا لم يمنع كونه معزا بل هو المعز والمذل وكونه خافضا لم يمنع كونه رافعا بل هو الرافع والخافض فكذلك هو المؤمن المخوف لكن المؤمن ورد التوقيف به خاصة دون المخوف وخاصية هذا الاسم وجودا أمين وحصول الصدق والتصديق وقوة الايمان فى العموم لذا كره ومن ذلك ان يذكره الخائف منه وثلاثين مرة فانه يأمن على نفسه وماله ويزاد فى ذلك بحسب القوة والضعف (المهيمن) قال بعض المشايخ هذا الاسم من اسمائه التى علت بعلو معناها عن مجارى الاشتقاق فلا يعلم تأويله الا الله تعالى وقال بعضهم هو المبالغ فى الحفظ والصيانة عن المضار من قولهم هيمن الطائر اذا نشر جناحه على فرخه حماية له وفى الارشاد الرقيب الحافظ لكل شئ وقال الزروقى هو الشاهد ومنه قوله تعالى ومهيمنا عليه يعنى شاهدا عالما وقال بعضهم مفيعل من الامن ضد الخوف واصله مؤأمن بهمزتين فقلبت الهمزة الثانية ياء لكراهة اجتماعهما فصار مؤيمن ثم صيرت الاولى هاء كما قالوا فى اراق الماء هراقه فيكون فى معنى المؤمن (حكى) ان ابن قتيبة لما قال فى المهيمن انه مصغر من مؤمن والاصل مؤيمن فابدلت الهمزة هاء قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قائله وذلك لان فيه ترك التعظيم وقال الامام الغزالى رحمه الله معنى المهيمن فى حق الله انه القائم على خلقه باعمالهم وارزاقهم وآجالهم وانما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه وكل مشرف على كنه الامر مستول عليه حافظ له فهو مهيمن عليه والاشراف يرجع الى العلم والاستيلاء الى كمال القدرة والحفظ الى الفعل فالجامع بين هذه المعانى اسمه المهيمن ولن يجمع ذلك على الاطلاق والكمال الا الله تعالى ولذلك قيل انه من اسماء الله تعالى فى الكتب القديمة وعبد المهيمن هو الذى شاهد كون الحق رقيبا شهيدا على كل شئ فهو يرقب نفسه وغيره بايفاء حق كل ذى حق عليه لكونه مظهر الاسم المهيمن يعنى حظ العارف منه ان يراقب قلبه ويحفظ قواه وجوارحه ويأخذ حذره من الشيطان ويقوم بمراقبة عباد الله وحفظهم فمن عرف انه المهيمن خضع تحت جلاله وراقبه فى كل احواله واستحيى من اطلاعه عليه فقام بمقام المراقبة لديه (حكى) ان ابراهيم بن ادهم رحمه الله كان يصلى قاعدا فجلس ومد رجليه فهتف به هاتف هكذا تجالس الملوك وان الحريرى كان لايمد رجليه فى الخلوة فقيل له ليس يراك احد فقال حفظ الادب مع الله احق يقول الفقير يقرب من هذا ما وقع لى عند الكعبة فانى بعد ماطفت بالبيت استندت الى مقام ابراهيم حياله فقيل لى من قبل الله تعالى ماهذا البعد فى عين القرب فعلمت ان ذلك من ترك الادب فى مجالسة الله معى فلم ازل الازم باب الكعبة فى الصف الاول مدة مجاورتى بمكة وخاصية هذا الاسم الاشراف على البواطن والاسرار ومن قرأه مائة مرة بعد الغسل والصلاة فى خلوة يجمع خاطره نال ماراد ومن نسبته المعنوية علام الغيوب عند التأمل وفى الاربعين الادريسية يا علام الغيوب فلا يفوت شئ من علمه ولا يؤوده قال السهروردى من داوم عليه قوى حفظه وذهب نسيانه (العزيز) غالب درحكم يا بخشندهٔ عزت قال بعضهم من عز اذا غلب فرجعه القدرة المتعالية عن المعارضة والممانعة او من عز عزازة اذا قل فالمراد عديم المثل كقوله تعالى ليس كمثله شئ وقال الامام الغزالى رحمه الله العزيز هو الخطير الذى يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فما لم يجمع هذه المعانى الثلاثة لم يطلق عليه العزيز فكم من شئ يقل وجوده ولكن اذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزا وكم من شئ يعظم

خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره ولكن اذا لم يصعب الوصول اليه لم يسم عزيزا كالشمس مثلا فانها لا نظير لها
والارض كذلك والنفع عظيم فى كل واحدة منهما والحاجة شديدة اليهما ولكن لا توصفان بالعزة لانه
لا يصعب الوصول الى مشاهدتهما فلابد من اجتماع المعانى الثلاثة ثم فى كل واحد من المعانى الثلاثة كمال
ونقصان فالكمال فى قلة الوجود ان يرجع الى الواحد اذ لا اقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله
وليس هذا الا الله تعالى فان الشمس وان كانت واحدة فى الوجود فليست واحدة فى الامكان فيمكن وجود
مثلها والكمال فى النفاسة وشدة الحاجة ان يحتاج اليه كل شئ فى كل شئ حتى فى وجوده وبقائه وصفاته
وليس ذلك الكمال الا لله تعالى وعبد العزيز هو الذى اعزه الله بتجلى عزته فلا يغلبه شئ من ايدى الحدثان
والاكوان وهو يغلب كل شئ قال الغزالى رحمه الله العزيز من العباد من يحتاج اليه عباد الله فى مهام امورهم
وهى الحياة الاخروية والسعادة الابدية وذلك مما يقل لا محالة وجوده ويصعب ادراكه وهذه رتبة الانبياء
عليهم السلام ويشاركهم فى العز من يتفرد بالقرب منهم اى من درجتهم فى عصرهم كالخلفاء وورثتهم من
العلماء وعزة كل واحد بقدر علو رتبته عن سهولة النيل والمشاركة وبقدر غنائه فى ارشاد الخلق وقال بعضهم
حظ العبد من هذا الاسم ان يعز نفسه فلا يستهينها بالمطامع الدنية ولا يدنسها بالسؤال من الناس والافتقار اليهم
قيل انما يعرف عزيزا من اعز امر الله بطاعته فاما من استهان باوامره فمن المحال ان يكون متحققا بعزته
وقال الشيخ ابو العباس المرسى رحمه الله والله ما رأيت العز الا فى رفع الهمة عن المخلوقين فمن عرف انه
العزيز لا يعتقد لمخلوق جلالا دون جلال الله تعالى فالعزيز بين الناس فى المشهور من جعله الله ذا قدر ومنزلة
بنوع شرف باق اوفان فمنهم من يكون عزيزا بطاعة الله تعالى ومنهم من يكون بالجاه ومنهم من يكون
عزيزا بالعلم والمعرفة والكمال ومنهم من يكون بالسطوة والشوكة والمال ثم منهم من يكون عزيزا فى الدارين
ومنهم من يكون فى الدنيا لا فى العقبى ومنهم من يكون على العكس فكم من ذليل عند الناس عزيز عند الله وكم
من عزيز عند الناس ذليل عند الله والعزيز عند المولى هو الاصل والاولى قال فى ابكار الافكار غير رسول الله
عليه السلام اسم العزيز لان العزة لله وشعار العبد الذلة والاستكانة وخاصية هذا الاسم وجود الغنى والعز
صورة وحقيقة ومعنى فمن ذكره اربعين يوما فى كل يوم اربعين مرة اعانه الله واعزه فلم يحوجه الى احد
من خلقه وفى الاربعين الادريسية يا عزيز المنيع الغالب على امره فلا شئ يعادله قال السهروردى رحمه الله
من قرأه سبعة ايام متواليات كل يوم الفا اهلك خصمه وان ذكره فى وجه العسكر سبعين مرة ويشير اليهم بيده
فانهم ينهزمون (الجبار) الذى جبر خلقه على ما أراد اى قهرهم واكرههم عليه اوجبر احوالهم اى اصلحها
فعلى هذا يكون الجبار من الثلاثى لا من الافعال وجبر بمعنى اجبر لغة تميم وكثير من الحجازيين واستدل
بورود الجبار من يقول ان امثلة المبالغة تأتى من المزيد على الثلاثى فانه من اجبره على كذا اى قهره وقال الفرآء
لم اسمع فعال من افعل الا فى جبار ودراك فانهما من اجبر وأدرك قال الراغب اصل الجبر اصلاح الشئ بضرب
من القهر وقد يقال فى الاصلاح المجرد نحو قول على رضى الله عنه يا جابر كل كسير ومسهل كل عسير
والاجبار فى الاصل حمل الغير على ان يجبر الامور لكن تعورف فى الاكراه المجرد وسمى الذين يدعون ان الله
تعالى يكره العباد على المعاصى فى تعارف المتكلمين مجبرة وفى قول المتقدمين جبرية والجبار فى صفة
الانسان يقال لمن يجبر نقيصته بادعاء منزلة من المعالى لا يستحقها وهذا لا يقال الا على طريقة الذم
وفى وصف الله لانه الذى يجبر الناس بفائض نعمه اويقهرهم على ما يريده من مرض وموت وبعث ونحوها
وهو لا يقهر الا على ما تقتضى الحكمة ان يقهر عليه فالجبار المطلق هو الذى ينفذ مشيئته على سبيل الاجبار
فى كل احد ولا ينفذ فيه مشيئة احد (روى) ان فى بعض الكتب الالهية عبدى تريد وأريد ولا يكون
الا ما أريد فان رضيت بما أريد كفيتك ما تريد وان لم ترض بما اريد ابقيتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد
وعبد الجبار هو الذى يجبر كسر كل شئ ونقصه لان الحق جبر حاله وجعله بتجلى هذا الاسم جابر الحال كل شئ
مستعليا عليه ومن علم انه الجبار دق فى عينه كل جبار وكان راجعا اليه فى كل امر بوصف الافتقار بجبر
المكسور من اعماله وترك الناقص من آماله فتم له الاسلام والاستسلام وارتفعت همته عن الاكوان فيكون
جبارا على نفسه جابرا لكسر عباده وقال بعضهم حظ العارف من هذا الاسم ان يقبل على النفس ويجبر

تقاتصفيا باستكمال الفضائل وتحملها على ملازمة التقوى والمواظبة على الطاعة ويكسر منها الهوى والشهوات بانواع الرياضات ويترفع عما سوى الحق غير ملتفت الى الخلق فيتحلى بحلى السكينة والوقار بحيث لايزلزله تعاور الحوادث ولايؤثر فيه تعاقب النوازل بل يقوى على التأثير فى الانفس والآفاق بالارشاد والاصلاح وقال الامام الغزالى رحمه الله الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء ومتابعته فى سمته وسيرته فيفيد الخلق ولايستفيد ويؤثر ولايتأثر ويستتبع ولايتبع ولايشاهده احد الاويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى الهم غير ملتفت الى ذاته ولايطمع احد فى استدراجه واستتباعه وانما حظى بهذا الوصف سيد الاولين والآخرين عليه السلام حيث قال لوكان موسى بن عمران حيا ماوسعه الااتباعى وانا سيد ولد آدم ولافخر وخاصية هذا الاسم الحفظ من ظلم الجبابرة والمعتدين فى السفر والاقامة يذكر بعدقرآءة المسبعات عشر صباحا ومساء احدى وعشرين مرة ذكره الزروقى فى شرح الاسماء الحسنى (المتكبر) الذى تكبر عن كل مايوجب حاجة اونقصانا اوالبليغ الكبرياء والعظمة يعنى ان صيغة التفعل للتكلف بمالم يكن فاذاقيل تكبر وتسخى دل على انه يرى ويظهر الكبر والسخاء وليس بكبير ولاسخى والتكلف بمالم يكن لما كان مستحيلا فى حق الله تعالى حمل على لازمه وهو ان يكون ماقام به من الفعل على اتم مايكون واكمله من غير ان يكون هناك تكلف واعتمال حقيقة ومنه ترحمت على ابراهيم بمعنى رحمته كمال الرحمة واتممتها عليه فاذا قيل انه تعالى متكبر كان المعنى انه البالغ فى الكبر اقصى المراتب (روى) عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال رأيت رسول الله عليه السلام قائما على هذا المنبر يعنى منبر رسول الله فى المدينة وهو يحكى عن ربه تعالى فقال ان الله عزوجل اذاكان يوم القيامة جمع السموات والارضين فى قبضته تبارك وتعالى ثم قال هكذا وشد قبضته ثم بسطها ثم يقول اناالله انا الرحمن انا الرحيم انا الملك انا القدوس انا السلام انا المؤمن انا المهيمن انا العزيز انا الجبار انا المتكبر انا الذى بدأت الدنيا ولم تك شيأ انا الذى اعدتها اين الملوك اين الجبابرة * قهار بى منازع وغفاربى ملال * ديان بى معادل وسلطان بى سپاه * باغير اواضافت شاهى بودچنان * برك دوچوب پاره زشطرنج نام شاه * قال الراغب التكبر يقال على وجهين احدهما ان تكون الافعال الحسنة كثيرة فى الحقيقة وزآئدة على محاسن غيره وعلى هذا وصف الله بالمتكبر وهو ممدوح والثانى ان يكون متكلفا لذلك متشبعا وذلك فى وصف عامة الناس والموصوف به مذموم • فى الحديث (الكبرياء ردآئى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى شئ منهما قصمته) قال بعضهم الفرق بين المتكبر والمستكبر ان المتكبر عام لاظهار الكبر الحق كما فى اوصاف الحق تعالى ولاظهار الكبر الباطل كما فى قوله سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق والكبر ظن الانسان انه اكبر من غيره والتكبر اظهاره ذلك كما فى العوارف والاستكبار اظهار الكبرياء باطلا كما فى قوله تعالى فى حق ابليس استكبر وغير ذلك كما تجده فى موارد استعمالاته فى القرآن والحديث وقال فى الاسئلة المقحمة مامعنى المتكبر من اسماء الله فان التكبر مذموم فى حق الخلق والجواب معناه هو المتعظم عما لايليق به سبحانه وهو من الكبرياء لامن التكبر ومعناه المبالغة فى العظمة والكبرياء فى الله وهو الامتناع عن الانقياد فلهذا كان مذموما فى حق الخلق وهو صفة مدح فى حق الله تعالى انتهى فان قلت ماتقول فى قوله عليه السلام حين قال له عمه ابوطالب ماطوعك ربك يامحمد وانت ياعم لواطعته اطاعك قلت هذه الاطاعة والانقياد للمطيع لاللخارج عن امره فلاينافى عدم انقياده لغيره فهو المتكبر للمتكبر كما انه المطيع للمطيع قال بعضهم المتكبر هوالذى يرى غيره حقيرا بالاضافة الى ذاته فينظر الى الغير نظر المالك الى عبده وهو على الاطلاق لايتصور الالله تعالى فانه المتفرد بالعظمة والكبرياء بالنسبة الى كل شئ من كل وجه ولذلك لايطلق على غيره تعالى الافى معرض الذم لما انه يفيد التكلف فى اظهار مالايكون قال عليه السلام تحاجت النار والجنة فقالت هذه يدخلنى الجبارون المتكبرون وقالت هذه يدخلنى الضعفاء والمساكين فقال الله لهذه انت عذابى اعذب بك من اشاء وقال لهذه انت رحمتى ارحم بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها ومن عرف علوه تعالى وكبرياءه لازم طريق التواضع وسلك سبيل التذلل قيل الفقير فى خلقه احسن منه فى جديد غيره فلاشئ احسن على الخدم من لباس التواضع بحضرة السادة قال بعض الحكماء مااعز الله

عبدا بمثل مايدل على ذل نفسه وماذله بمثل مايدل على عز نفسه (حكى) ان بعضهم قال رأيت رجلا فى الطواف و بين يديه خادمان يطردان الناس ثم بعد ذلك رأيته يتكفف على جسر فسألته عن ذلك فقال انى تكبرت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله فى موضع يترفع فيه الناس وعبد المتكبر هوالذى فنى تكبره بتذلله للحق حتى قام كبرياء الله مقام كبره فيتكبر بالحق على ماسواه فلا يتذلل للغير قال الامام الغزالى قدس سره المتكبر من العباد هوالزاهد ومعنى زهد العارف ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق و يتكبر فى كل شئ سوى الله تعالى فيكون مستحقرا للدنيا والآخرة مرتفعا عن ان يشغله كلتاهما عن الحق وزهد العارف معاملة ومعاوضة فهوانما يشترى بمتاع الدنيا متاع الآخرة فيترك الشئ عاجلا طمعا فى اضعافه آجلا وانما هو سلم ومبايعة ومن استعبدته شهوة المطعم والمنكح فهو حقير وانما المتكبر من يستحقر كل شهوة وحظ يتصور ان تشاركه فيها البهائم وخاصية هذا الاسم الجلالة ظهور الخير والبركة حتى ان من ذكره ليلة دخوله بزوجته عند دخوله عليها وقرأه قبل جماعها عشرا رزق منها ولدا صالحا ذكرا وفى الار بعين الادر يسية ياجليل المتكبر على كل شئ فالعدل امره والصدق وعده قال السهروردى رحمه الله مداومه بلا فترة يجل قدره و يعز امره ولا يقدر احد على معارضته بوجه ولا بحال (سبحان الله عما يشركون) تنزيه له تعالى عما يشركون به تعالى اوعن اشراكهم به اثر تعداد صفات لا يمكن ان يشاركه تعالى فى شئ منها شئ ما اصلا اى سبحوا الله تسبيحا ونزهوه تنزيها عما يشركه الكفار به من المخلوقات فالله تعالى اورده لاظهار كمال كبريائه اوللتعجب من اثبات الشريك بعد ما عاينوا آثار اتصافه بجلال الكبرياء وكمال العظمة وفى التأويلات النجمية قوله سبحانه هوالله الذى لا اله الاهو الملك الخ يشير الى وحدانية ذاته وفردانية صفاته وتصرفه فى الاشياء على مقتضى حكمته الازلية والى نزاهته عن النقائص الامكانية و وصف الامن من العدم المحض بسبب التحقق بالوجود المطلق والى حفظ الاشياء فى عين شيئيته واعزازه اولياءه وقهره واذلاله اعداءه والى كمال كبريائه بظهوره فى جميع المظاهر والى نزاهة ذاته عما يشركون معنى فى ذاته وفى صفاته وفى عرائس البقلى سبحان الله عما يشركون اليه بالنواظر والخواطر انتهى (هوالله الخالق) اى المقدر للاشياء على مقتضى حكمته ووفق مشيئته فان اصل معنى الخلق التقدير كما يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بمقياس وان شاع فى معنى الايجاد على تقدير واستواء سواء كان من مادة كخلق الانسان من نطفة ونحوه اومن غير مادة كخلق السموات والارض وعبد الخالق هوالذى يقدر الاشياء على وفق مراد الحق لتجليه له بوصف الخلق والتقدير فلا يقدر الا بتقديره تعالى وخاصية هذا الاسم ان يذكر فى جوف الليل ساعة فما فوقها فيتنور قلب ذاكره ووجهه وفى الار بعين الادر يسية خالق من فى السموات ومن فى الارض وكل اليه معاده قال السهروردى يذكر لجمع الضائع والغائب البعيد الغيبة خمسة آلاف مرة (البارئ) الموجد للاشياء بريئة من التفاوت فان البرء الايجاد على وجه يكون الموجد بريئا من التفاوت والنقصان عما يقتضيه التقدير على الحكمة البالغة والمصلحة الكاملة وعبد البارئ هوالذى يبرأ عمله من التفاوت والاختلاف فلا يفعل الا ما يناسب حضرة الاسم البارئ متعادلا متناسبا بريئا من التفاوت كقوله تعالى ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت وخاصية هذا الاسم ان يذكره سبعة ايام متوالية كل يوم مائة مرة للسلامة من الآفات حتى من تعدى التراب عليه فى القبر وفى الار بعين الادر يسية يابارئ النفوس بلا مثال خلا من غيره قال السهروردى يفتح لذاكره ابواب الغنى والعز والسلامة من الآفات واذا كتب فى لوح من قير وعلق على المجنون نفعه وكذلك اصحاب الامراض الصعبة (المصور) الموجد لصور الاشياء وكيفياتها كما اراد يعنى بخشنده صورت هر مخلوق كما يصور الاولاد فى الارحام بالشكل واللون المخصوص فان معنى التصوير تخصيص الخلق بالصور المتميزة والاشكال المتعينة قال الراغب الصورة ما تميز به الاعيان عن غيرها وهى محسوسة كصورة الانسان ومعقولة كالعقل وغيره من المعانى وقوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته اراد بالصورة ما خص الانسان به من الهيئة المدركة بالبصر و بالبصيرة و بها فضله على كثير من خلقه واضافته الى الله على سبيل الملك لا على سبيل البعضية والتشبيه بل على سبيل التشريف له كقوله بيت الله وناقة الله وروح الله يقول الفقير الضمير المجرور فى صورته يرجع الى الله لا الى آدم والصورة الالهية عبارة عن الصفات السبع المرتبة وهى الحياة والعلم والارادة والقدرة

والسمع والبصر والكلام وآدم مظهر هذه الصفات بالفعل بخلاف سائر الموجودات واطلاق الصورة على الله تعالى مجاز عند اهل الظاهر اذ لا تستعمل فى الحقيقة الا فى المحسوسات واما عند اهل الحقيقة فحقيقة لان العالم الكبير باسره صورة الحضرة الالهية فرقا وتفصيلا وآدم صورته جمعا واجمالا * اى زهمه صورت خوب تو به * صورك الله على صورته * روى تو آيينهٔ حق بينى است * در نظر مردم خود بين منه * بلكه حق آينه وتو صورتى * وهم تو بى را بميان ره مده * صورت از آينه نباشد جدا * انت به متحد فانتبه * هركه سر رشتهٔ وحدت نيافت * پيش وى اين نكته بود مشتبه * رشته يكى دان وكره صد هزار * كيست كزين نكته كشايد كره * هركه چو جامى بكره بند شد * كر بسر رشته رود باز به * والحاصل ان الخالق هنا المقدر على الحكمة الملائمة لنظام العالم والبارئ الموجد على ذلك التقدير والمصور المبدع اصور الكائنات واشكال المحدثات بحيث يترتب عليها خواصهم ويتم بها كمالهم وبها ظهر وجه الترتيب بينها واستلزام التصوير البرء والبرء الخلق استلزام الموقوف للموقوف عليه كما قال الامام الغزالى رحمه الله وقدس سره قد يظن ان هذه الاسماء مترادفة وان الكل يرجع الى الخلق والاختراع ولا ينبغى ان يكون كذلك بل كل ما يخرج من العدم الى الوجود يفتقر الى التقدير اولا والى الايجاد على وفق التقدير ثانيا والى التصوير بعد الايجاد ثالثا والله تعالى خالق من حيث انه مقدر وبارئ من حيث انه مخترع موجد ومصور من حيث انه مرتب صور المخترعات احسن ترتيب وهذا كالبناء مثلا فانه محتاج الى مقدر يقدر ما لا بد منه من الخشب واللبن ومساحة الارض وعدد الابنية وطولها وعرضها وهذا يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره ثم يحتاج الى بناء يتولى الاعمال التى عندها تحدث وتحصل اصول الابنية ثم يحتاج الى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته فيتولاه غير البناء هذه هى العادة فى التقدير والبناء والتصوير وليس كذلك فى افعال الله تعالى بل هو المقدر والموجد والمزين فهو الخالق البارئ المصور فقدم ذكر الخالق على البارئ لان الارادة والتقدير متقدمة على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات متقدم على ايجاد الصفات وعن حاطب بن ابى بلتعة رضى الله عنه انه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء الذى يبرأ المصور اى يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات واختلاف الاشكال وعبد المصور هو الذى لا يتصور ولا يصور الا ما طابق الحق ووافق تصويره لان فعله يصدر عن مصوريته تعالى ولذا قال بعضهم حظ العارف من هذه الاسماء ان لا يرى شيأ ولا يتصور امرا الا ويتأمل فيما فيه من باهر القدرة وعجائب الصنع فيترقى من المخلوق الى الخالق وينتقل من ملاحظة المصنوع الى ملاحظة الصانع حتى يصير بحيث كلما نظر الى شئ وجد الله عنده وخاصية الاسم المصور الاعانة على الصنائع العجيبة وظهور الثمار ونحوها حتى ان العاقر اذا ذكرته فى كل يوم احدى وعشرين مرة على صوم بعد الغروب وقبل الافطار سبعة ايام زال عقمها وتصور الولد فى رحمها باذن الله تعالى (له الاسماء الحسنى) لدلالتها على المعانى الحسنة كما سبق فى سورة طه (قال الكاشفى) مراوراست نامهاء نيكى كه در شرع وعقل پسنديده ومستحسن باشد والحسنى صيغة تفضيل لانها تأنيث الاحسن كالعليا فى تأنيث الاعلى وتوصيف الاسماء بها للزيادة المطلقة اذ لا نسبة لاسمائه الى غير الاسماء من اسماء الغير كما لا نسبة لذاته المتعالية الى غير الذوات من ذوات الغير واسماء الله تسعة وتسعون على ما جاء فى الحديث ونقل صاحب اللباب عن الامام الرازى انه قال رأيت فى بعض كتب الذكر ان لله تعالى اربعة آلاف اسم الف منها فى القرآن والاخبار الصحيحة والف فى التوراة والف فى الانجيل والف فى الزبور (روى) ان من دعاء رسول الله عليه السلام اسألك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته فى كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به فى علم الغيب فلعل كونها تسعة وتسعين بالنظر الى الاشهر الاشرف الاجمع وتعدد الاسماء لا يدل على تعدد المسمى لان الواحد يسمى اباً من وجه وجدا من وجه وخالا من وجه وعالما من وجه وذاته متحدة قال عبد الرحمن البسطامى قدس سره فى ترويح القلوب اعلم ان من السر المكتوم فى الدعاء ان تأخذ حروف الاسماء التى تذكر بها مثل قولك الكبير المتعال ولا تأخذ الالف واللام بل تأخذ كبير متعال وتنظر كم لها من الاعداد بالجمل الكبير فتذكر ذلك العدد فى موضع خال من الاصوات بالشرائط المعتبرة عند اهل الخلوة لا تزيد على العدد ولا تنقص منه فانه يستجاب لك بالوقت وهو الكبريت الاحمر باذن الله

تعالى فان الزيادة على العدد المطلوب اسراف والنقص منه اخلال والعدد فى الذكر بالاسماء كاسنان المفتاح لانها ان زادت اونقصت لاتفتح الباب وقس عليه باب الاجابة فافهم السر وصن الدر ثم اعلم ان العارفين بلا حظون فى الاسماء آلة التعريف واصل الكلمة واللامية يطرحون منها آلة التعريف لانها زائدة على اصل الكلمة قال العلماء الاسم هو اللفظ الدال على المعنى بالوضع والمسمى هو المعنى الموضوع له والتسمية وضع اللفظ له اواطلاقه عليه واطلاق الاسم على الله تعالى توقيفى عند البعض بحيث لايصح اطلاق شئ منه عليه الابعد ان كان واردا فى القرآن اوالحديث الصحيح وقال آخرون كل لفظ دل على معنى يليق بجلال الله وشأنه فهوجائز الاطلاق والافلا ومن ادلة الاولين ان الله عالم بلامرية فيقال له عالم وعليم وعلام لوروده فى الشرع ولايقال له عارف اوفقيه اومتيقن الى غيرذلك ممايفيد معنى العلم ومن ادلة الآخرين ان اسماء الله وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية والهندية وغيرها مع انها لم ترد فى القرآن والحديث ولا فى الاخبار وان المسلمين اجمعوا على جواز اطلاقها ومنها ان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها والاسم لايحسن الالدلالته على صفات الكمال ونعوت الجلال فكل اسم دل على هذه المعانى كان اسما حسنا وانه لافائدة فى الالفاظ الارعاية المعانى فاذا كانت المعانى صحيحة كان المنع من اطلاق اللفظ المفيد غيرلائق غاية مافى الباب ان يكون وضع الاسم علماله مستحدثا وذكر مايوهم معنى غيرلائق به تعالى ليس بأدب اماذكر ماهو دال على معنى حسن ليس فيه ايهام معنى مستنكر مستنفر فليس فيه من سوء الادب شئ (يسبح له مافى السموات والارض) ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزها ظاهرا قال فى كشف الاسرار يسبح له جميع الاشياء امابيانا ونطقا وامابرهانا وخلقا وقدم الكلام فى هذا التسبيح مرارا وجمهور المحققين على انه تسبيح عبارة وهولاينافى تسبيح الاشارة وكذا العكس (وهوالعزيز الحكيم) الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم قال الامام الغزالى رحمه الله الحكيم ذوالحكمة والحكمة عبارة عن معرفة افضل الاشياء باجل العلوم واجل الاشياء هوالله تعالى واجل العلوم هوالعلم الازلى الدائم الذى لايتصور زواله فليس يعلم الله حقيقة الا الله ومن عرف جميع الاشياء ولم يعرف الله بقدر الطاقة البشرية لم يستحق ان يسمى حكيما فمن عرف الله فهوحكيم وان كان ضعيف القوة فى العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها الاان نسبة حكمة العبد الى حكمة الله كنسبة معرفته الى معرفته بذاته وشتان بين المعرفتين فشتان بين الحكمتين ولكنه مع بعده عنه هو انفس المعارف واكثرها خيرا ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ومايذكر الا اولوا الالباب وعبدالحكيم هوالذى بصره الله بمواقع الحكمة فى الاشياء ووفقه للسداد فى القول والصواب فى العمل فلايرى خللا فى شئ الايسده ولافسادا الايصلحه وخاصية هذا الاسم دفع الدواهى وفتح باب الحكمة فمن اكثر ذكره صرف الله عنه مايخشاه من الدواهى وفتح له باب الحكمة وانمامدح الله نفسه بهذه الصفات العظام تعليما لعباده المدح بصفاته العلى بعدفهم معانيها ومعرفة استحقاقه بذلك طلبا لزيادة تقربهم اليه قال ابو الليث فى تفسيره فان قال قائل قدقال الله فلاتزكوا انفسكم فما الحكمة فى ان الله تعالى نهى عباده عن مدح انفسهم ومدح نفسه قيل له عن هذا السؤال جوابان احدهما ان العبد وان كان فيه خصال الخير فهوناقص واذاكان ناقصا لايجوزله ان يمدح نفسه والله تعالى تام الملك والقدرة فيستوجب بهما المدح فمدح نفسه ليعلم عباده فيمدحوه والجواب الآخران العبدوان كان فيه خصال الخيرفتلك افضال من الله تعالى ولم يكن ذلك بقوة العبد فلهذا لايجوزان يمدح نفسه ونظيرهذا ان الله تعالى نهى عباده ان يمنوا على احد بالمعروف وقدمن على عباده للمعنى الذى ذكر فى المدح قال بعض الكبار تزكية الانسان لنفسه سم قاتل وهى من باب شهادة الزور لجهله بمقامه عندالله الاان يترتب على ذلك مصلحة دينية فللانسان ذلك كماقال عليه السلام اناسيدولدآدم يوم القيامة ولافخر اى لاافتخر عليكم بالسيادة انما الفخر بالعبودية والفخر بالذات لايكون الالله وحده واماالفخر فى عباده فانما هو للرتب فيقال صفة العلم افضل من صفة الجهل ونحوذلك ولايخفى ان الرتب نسبة عدمية فما افتخر من افتخر الابالعدم ولذلك امرالله نبيه ان يقول انما انابشر مثلكم فلم يرلذاته فضلا على غيره ثم ذكر شرف الرتبة بقوله يوحى الى اعلم ان الاولى لك ان تسكت عن بحثين وتكل العلم فيهما الى الله العليم الخبير احدهما مايكون بين العلماء من ان صفات الله الثابتة هل هى موجودات

بوجودات مستقلة غير وجوده تعالى اولابد الايمان باتصافه تعالى بها وكمالها ودوامها والثانى مايكون
بين المشايخ من ان الوجود هل هو واحد والله سبحانه وتعالى هو ذلك الوجود وسائر الموجودات مظاهر له
لاوجود لها بالاستقلال اوله تعالى وجود زائد على ذاته واجب لها مقتضية هى اياه ولغيره تعالى من
الموجودات وجودات اخر غير الوجود الواجب على ماهو البحث الطويل بينهم والى ذلك يرشدك ماقالوا
من ان مااتصف الله به فهو واجب لايتغير اصلا ومالم يتصف به فهو ممتنع لايكون قطعا فاذا اختلف اثنان
فى ذاته وصفاته تعالى فلاجرم ان واحدا منهما اماينفى الواجب او يثبت الممتنع وكلاهما مشكل وان ماابهم
علمه فالادب فيه السكوت بعد الايمان بماظهر من القرآن والحديث واتفاق الصحابة رضى الله عنهم فان المرء
لايسأل الاعن علم لزمه فى اقامة الطاعة وادامة العبادة لمولاه قال صاحب الشرعة ولايناظر احد فى ذات الله
وصفاته المتعالى عن القياس والاشباه والاوهام والخطرات وفى الحديث ان هلاك هذه الامة اذا نطقوا
فى ربهم وان ذلك من اشراط الساعة فقد كان عليه السلام يخر ساجدا لله تعالى متى ماسمع مايتعالى عنه
رب العزة ولايجيب السائل عن الله الابمثل ماجاء به القرآن فى آخر سورة الحشر من ذكر افعاله وصفاته
ولايدقق الكلام فيه تدقيقا فان ذلك من الشيطان وضرر ذلك وفساده اكثر من نفعه قال بعض الكبار
مافى الفرق الاسلامية اسوء حالا من المتكلمين لانهم ادعوا معرفة الله بالعقل على حسب مااعطاهم نظرهم
القاصر فان الحق منزه عن ان يدرك او يعلم باوصاف خلقه عقلا كان او علما روحا كان اوسرا فان الله ماجعل
الحواس الظاهرة والباطنة طريقا الا الى معرفة المحسوسات لاغير والعقل بلاشك منها فلا يدرك الحق بها لانه تعالى
ليس بمحسوس ولا بمعلوم معقول وقد تبين لك بهذا خطأ جميع من تكلم فى الحق وصفاته بما لم يعلمه من الحق ولا من
رسله عليهم السلام وقال بعض العارفين سبب توقف العقول فى قبول ماجاء فى الكتاب والسنة من آيات الصفات
واخبارها حتى يؤول ضعفها وعدم ذوقها فلو ذاقوا كاذاقة الانبياء وعملوا على ذلك بالايمان كما عملت
الطائفة لاعطاهم الكشف ماحاله العقل من حيث فكره ولم يتوقفوا فى نسبة تلك الاوصاف الى الحق فاعلم ذلك
واعمل به تعرف ان علم القوم هو الفلك المحيط الحاوى على جميع العلوم (حكى) ان الفاضل محمد الشهرستانى
صاحب كتاب الملل والنحل كان من كبار المتكلمين وفحولهم وكان له بحث كثير فى علم الكلام ربما لم يسبق اليه سواه
حتى جمع فى ذلك الكتاب تلك المباحث القطعية ثم انتهى امره الى العجز فيه والتحير فى ذاته حتى رجع الى مذهب
العجائز فقال عليكم بدين العجائز فانه من اسنى الجوائز وانشد

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها * وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم ار الا واضعا كف حائر * على ذقن او قارعا سن نادم

ثم قال والوجه ان يعتقد العبد الدين الذى جاء به محمد عليه السلام ودعا اليه واليه اناب ولايدخل فى ذلك شيأ
من نظر عقله لافى تنزيه ولافى تشبيه بل يؤمن بكل آية جاءت فى ذات الله وصفاته على بابها ويكل علمها الى الله
الذى وصف ذاته بها هذا هو طريق السلامة والدين الصحيح وعلى ذلك كانت الصحابة والسلف الصالحون
رضى الله عنهم واليه ينتهى الراسخون فى العلم والعقلاء المحققون عند آخر امرهم ومن وفقه الله كان عليه وآل
نظره اليه ومن بقى على مااعطاه نظره واجتهاده فليس ذلك بمتبع محمدا عليه السلام فيما جاء به مطلقا لانه ادخل
فيه حاصل نظره وتأويله واتكل على رأيه وعقله وهذه وصيتى اليكم ان اردتم السلامة وعدم المطالبة ومن اراد
غير ذلك لم ينج من السؤال وكان على خطر فى المآل لان القطع بما اراد الله عسير فانا رأينا العقلاء اختلفت ادلتهم
فى الله فالمعتزلى يخالف الاشعرى وبالعكس وهم يخالفون الحكماء وبالعكس كل طائفة تجهل الاخرى وتكفرها
فعلمنا ان سبب ذلك هو اختلاف نظرهم وعدم عثورهم على الدليل الصحيح اما كلهم او بعضهم ورأينا الانبياء
عليهم السلام لم يختلف منهم اثنان فى الله قط عزوجل وكل دعوا اليه تعالى على باب واحد وكان اختلافهم
فى فروع الاحكام بحكم الله تعالى لافى اصولها قط قال الله تعالى سبحانه شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا
والذى اوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه فقوله ولاتتفرقوا فيه
دليل على اجتماعهم على امر واحد فى الاصول لان الفروع معلومة بوقوع الاختلاف فيها وذلك لايضر
وانما يضر الاختلاف فى الاصول اذ لووقع الاختلاف فيها لم يقع الاتفاق ولكانت الدعوة لاتصح لان الاله

الذي يدعو اليه هذا غير الاله الذي يدعو ذلك اليه والله تعالى قال والهكم اله واحد وعم الطوائف كلها من آدم عليه السلام بالخطاب وهلم جرا الى يوم القيامة الى هنا من كلامه اورده حضرة الشيخ صدر الدين قدس سره في رسالته المعمولة وصية للطالبين وعظة للراغبين ثم اعلم ان من شرف هذه الاسماء المذكورة في الآخر ما قال ابو هريرة رضي الله عنه سألت حبيبي رسول الله عليه السلام عن اسم الله الاعظم فقال هو في آخر الحشر وفي عين المعاني قال عليه السلام سألت جبريل عن اسم الله الأعظم فقال عليك بآخر الحشر فاكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد علي وعنه عليه السلام من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه وفي بعض الروايات يحرسونه حتى يمسى فان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة رواه معقل بن يسار رضي الله عنه وانما جمع بين الاستعاذة وقراءة آخر الحشر والله اعلم لان في الاستعاذة الاشعار بكمال العجز والعبودية وفي آخر الحشر الاقرار بجلال القدرة والعظمة والربوبية فالاول تخلية عن العجب والثاني تحلية بالايمان الحق وبهما يتحقق منزل قوله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فيترتب عليه قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا الآية كما في تفسير الفاتحة للمولى الفناري رحمه الله وعن ابي امامة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ خواتيم الحشر من ليل اونهار فقبض من ذلك اليوم اوالليلة فقد استوجب الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا حجاب ولا السموات السبع والارضون السبع والهوام والطير والريح والشجر والدواب والجبال والشمس والقمر والملائكة الا صلوا عليه فان مات اى من يومه اوليلته مات شهيدا كما في كشف الاسرار وقوله مات شهيدا اى يثاب ثواب الشهادة على مرتبة وللشهادة مراتب قدمت

تمت سورة الحشر في اواخر شهر الله رجب المنتظم في سلك شهور سنة خمس عشرة ومائة والف

* (سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

لعل الممتحنة مأخوذة من قول الله تعالى فيما بعد يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن امر الله المؤمنين هناك بالامتحان فهم الممتحنون بكسر الحاء مجازا للمبالغة واضيفت السورة اليها وسميت بسورة الممتحنة مثل سورة الفاتحة قيل ان اضافة السورة الى الفاتحة من قبيل اضافة العام الى الخاص ولا بعد أن تكون من قبيل اضافة المسمى الى اسمه مثل كتاب الكشاف فان الفاتحة من جملة اسماء سورة الفاتحة وقس على ذلك سورة الممتحنة ويحتمل ان يكون المراد الجماعة الممتحنة اى الأمور بامتحانها ويؤيده ماروى انه قد تفتح الحاء فيكون المراد النساء المختبرة فالاضافة بمعنى اللام التخصيصية اى سورة ذكر فيها النساء الممتحنة مثل سورة البقرة وامثالها ويحتمل ان يكون مصدرا ميميا بمعنى الامتحان على ما هو المشهور من ان المصدر الميمي واسماء المفعول والزمان والمكان فيما زاد على الثلاثي تكون على صيغة واحدة اى سورة الامتحان مثل سورة الاسراء وغيرها (يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء) نزلت في حاطب ابن ابي بلتعة العبسي وحاطب بالحاء المهملة قال في كشف الاسرار ولد في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصله من الازد وهو حي باليمن واعتقه عبيد الله بن حميد بن زهير الذي قتله علي رضي الله عنه يوم بدر كافرا وكان حاطب يبيع الطعام ومات بالمدينة وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان من المهاجرين وشهد بدرا وبيعة الرضوان وعمم الله الخطاب في الآية تعميما للنصح والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد والمراد هنا كفار قريش وذلك انه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح في السنة الثامنة من الهجرة كتب حاطب الى اهل مكة ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فانه قد توجه اليكم في جيش كالليل وارسل الكتاب مع سارة مولاة بني عبد المطلب اى معتقتهم واعطاها عشرة دنانير وبردة وكانت سارة قدمت من مكة وكانت مغنية فقال لها عليه السلام لماذا جئت فقالت جئت لتعطيني شيأ فقال ما فعلت بعطيا تك من شبان قريش فقالت مذ قتلتهم ببدر لم يصل الى شئ

الا القليل فأعطاها شيأ فرجعت الى مكة ومعها كتاب حاطب فنزل جبرآئيل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله عليه السلام عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابامرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ موضع بين الحرمين وخاخ بالمعجمتين يصرف ويمنع فان بها ظعينة وهى المرأة مادامت فى الهودج واذالم تكن فيه فهى المرأة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها فخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت فسل على رضى الله عنه سيفه فأخرجته من عقاصها اى من ضفائرها (روى) ان رسول الله عليه السلام امن جميع الناس يوم فتح مكة الا اربعة هى احدهم فأمر بقتلها فاستحضر رسول الله حاطبا فقال ماحملك على هذا فقال يارسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك الغش ترك النصح والنصح عبارة عن التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لأوامره ونواهيه ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش اى حليفا ولم اكن من انفسهم ومن معك من المهاجرين كان له فيهم قرابات يحمون اهاليهم واموالهم وليس فيهم من يحمى اهلى فأردت ان آخذ عندهم يدا اى اجعل عندهم نعمة ولم افعله كفرا وارتدادا عن دينى وقد علمت ان كتابى لايغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله وقبل عذره فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله دعنى اضرب عنق هذا المنافق فقال ياعمر انه شهد بدرا ومايدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضى الله عنه وفى القصة اشارة الى جواز هتك ستر الجواسيس وهتك استار المفسدين اذا كان فيه مصلحة اوفى ستره مفسدة وان من تعاطى امرا محظورا ثم ادعى له تأويلا محتملا قبل منه فان العذر مقبول عند كرام الناس (روى) ان حاطبا رضى الله عنه لما سمع ياايها الذين آمنوا غشى عليه من الفرح بخطاب الايمان لما علم ان الكتاب المذكور ماخرجه عن الايمان لسلامة عقيدته ودل قوله وعدوكم على اخلاصه فان الكافر ليس بعدو للمنافق بل للمخلص (تلقون اليهم بالمودة) الود محبة الشئ وتمنى كونه ويستعمل فى كل واحد من المعنيين اى توصلون محبتكم بالمكاتبة ونحوها من الاسباب التى تدل على المودة على ان الباء زائدة فى المفعول كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة اوتلقون اليهم اخبار النبى عليه السلام بسبب المودة التى بينكم وبينهم فيكون المفعول محذوفا للعلم به والباء للسببية والجملة حال من فاعل لاتتخذوا اى لاتتخذوا حال كونكم ملقين المودة فان قلت قد نهوا عن اتخاذهم اولياء مطلقا فى قوله تعالى ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء والتقييد بالحال يوهم جوازا تخاذهم اولياء اذا انتفى الحال قلت عدم جوازه مطلقا لما علم من القواعد الشرعية تبين انه لامفهوم للحال هنا البتة فان قلت كيف قال لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء والعداوة والمحبة لكونهما متنافيين لايجتمعان فى محل واحد والنهى عن الجمع بينهما فرع امكان اجتماعهما قلت انما كان الكفار اعداء للمؤمنين بالنسبة الى معاداتهم لله ورسوله ومع ذلك يجوز ان يتحقق بينهم الموالاة والصداقة بالنسبة الى الامور الدنيوية والاغراض النفسانية فنهى الله عن ذلك يعنى فلم يتحقق وحدة النسبة من الوحدات الثمان وحيث لم يكتف بقوله عدوى بل زاد قوله وعدوكم دل على عدم مروءتهم وفتوتهم فانه يكفى فى عداوتهم لهم وتركهم موالاتهم كونهم اعداء الله سواء كانوا اعداءهم ام لا (وقد كفروا بماجاءكم من الحق) حال من فاعل تلقون والحق هو القرآن اودين الاسلام اوالرسول عليه السلام (يخرجون الرسول واياكم) حال من فاعل كفروا اى مخرجين الرسول واياكم من مكة والمضارع لاستحضار الصورة (ان تؤمنوا بالله ربكم) تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب اى على الرسول والالتفات من التكلم الى الغيبة حيث لم يقل ان تؤمنوا بى للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية (ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) متعلق بلا تتخذوا كأنه قيل لاتتولوا اعدائى ان كنتم اوليائى وانتصاب جهادا وابتغاء على انهما مفعول لهما لخرجتم اى ان كنتم خرجتم عن اوطانكم لاجل هذين فلا تتخذوهم اولياء ولا تلقوا اليهم بالمودة والجهاد بالكسر القتال مع العدو كالمجاهدة وفى التعريفات هو الدعاء الى الدين الحق وفى المفردات الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع فى مدافعة العدو وهو جهاد العدو والظاهر وجهاد الشيطان وجهاد النفس ويكون باليد واللسان والمرضاة مصدر كالرضى وفى عطف وابتغاء مرضاتى على جهادا فى سبيلى تصريح بماعلم التزاما فان الجهاد فى سبيل الله انما هو لاعلاء دين الله لالغرض آخر واسناد الخروج اليهم معللا بالجهاد والابتغاء يدل على ان المراد من اخراج الكفرة كونهم سببا لخروجهم باذيتهم لهم

ذلا ينافى تلك السببية كون ارادة الجهاد والابتغاء علة له (تسرون اليهم بالمودة) استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ كأنهم سألوا ماذا صدر عنا حتى عوتبنا فقيل تلقون اليهم المودة سرا على ان الباء صلة تجيئ بالتأكيد التعدية او الاخبار بسبب المودة و يجوز ان يكون تعدية الاسرار بالباء لحمله على نقيضه الذى هو الجهر (وانا اعلم) حال من فاعل تسرون اى والحال انى اعلم منكم (بما اخفيتم وما اعلنتم) من مودة الاعداء او الاعتذار وغير ذلك فاذا كان بينهما تساو فى العلم فاى فائدة فى الاسرار والاعتذار (ومن) وهركه (يفعله منكم) اى الاتخاذ المنهى عنه اى ومن يفعل ما نهيت عنه من موالاتهم والاقرب ومن يفعل الاسرار (فقد ضل سواء السبيل) فقد اخطأ طريق الحق والصواب الموصل الى الفوز بالسعادة الابدية و بالفارسية پس بدرستى كه او از راه راست كم شد وهو من اضافة الصفة الى الموصوف وضل متعد وسواء السبيل مفعوله و يجوز ان يجعل قاصرا و ينتصب سواء السبيل على الظرفية قال القرطبى هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله ونصيحته لرسول الله وصدق ايمانه فان المعاتبة لاتكون الا من حبيب لحبيب كما قيل اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب والعتاب اظهار الغضب على احد لشئ مع بقاء المحبة بالترك وفى الآية اشارة الى عداوة النفس والهوى و الشيطان فانها تبغض عبادة الله وتبغض عباد الله ايضا اذا لم يكونوا مطيعين لها فى انفاذ شهواتها وتحصيل مراداتها واصل عداوة النفس ان تقطعهما من مألوفاتها وتحبسها فى محبس المجاهدة وعلامة حب الله بغض عدو الله قال عليه السلام افضل الايمان الحب فى الله والبغض فى الله قال ابو حفص رحمه الله من احب نفسه فقد اتخذ عدو الله وعدو وليا وان النفس تخالف ما أمرت به وتعرض عن سبيل الرشد وتهلك محبها ومتبعها فى اول قدم وجاء فى اخبار داود عليه السلام يادا ود عاد نفسك فليس لى فى المملكة منازع غيرها وفى كشف الاسرار بلشكراندك روم ازقيصر بتوان ستد و بجملهٔ اولياى روى زمين نفس را ازيكى نتوان ستد زيرا نفس راحيل بسيارست احمد حضرويه بلخى رحمه الله كويد نفس خود را بانواع رياضات ومجاهدات مقهور كرده بودم روزى نشاط غزا كرد عجب داشتم كه از نفس نشاط طاعت نيايد كفتم درزير اين كوبى چه مكر باشد مكر در كرسنكى طاقت نمى دارد كه پيوسته اورا روزه همى فرمايم خواهد در سفر روزه بكشايد كفتم اى نفس اكر اين سفر پيش كيرم روزه نكشايم كفت روادارم كفتم مكر از انست كه طاقت نماز شب نميدارد ميخواهد كه درسفر بخسبد كفتم د رسفر قيام شب كم نكنم چنانكه درحضر كفت روادارم تفكر كردم كه مكر ازان نشاط سفر غزا كرده كه درحضر باخلق مى نيامير د كه اورادر خلوت وعزلت ميدارم مرادش آنست كه باخلق صحبت كند كفتم اى نفس هرجاكه روم درين سفرترا بخرابهٔ فرو آرم كه هيچ خلق را نه بينى كفت روادارم ازدست وى عاجز ماندم بالله تعالى زاريدم وتضرع كردم تاازمكروى مرا آكاهى داد كه درغزا كشتن يكبارگى باشد و بهمه جهان شود كه احمد حضرويه بغزا شهادت يافت كفتم سبحان الله آن خداونديكه نفسى آفريند بدين معيوبى كه بدنيا منافق باشد و بعد ازمرك مرايى باشد نه درين جهان حقيقت اسلام خواهد نه دران جهان آنكه كفتم اى نفس اماره والله كه باين غزا روم تاتودرز بر طاعت زنار بندى پس در حضرآن رياضات ومجاهدات كه دران بودم زيادت كردم قوله بما اخفيتم اى من دعوى الانانية وما اعلنتم من العبودية كما هو شأن النفس وقال ابو الحسين الوراق رحمه الله بما اخفيتم فى باطنكم من المعصية وما اعلنتم فى ظاهركم للخلق من الطاعة انتهى (ان يثقفوكم) اى يظفروا بكم و يتمكنوا منكم والثقف الحذق فى ادراك الشئ وفعله وثقفت كذا اذا ادركته ببصرك لحذق فى النظر ثم قد تجوز به فاستعمل فى الادراك وان لم يكن معه ثقافة كما فى هذا الموضع ونحوه (يكونوا لكم اعداء) اى يظهروا ما فى قلوبهم من العداوة و يرتبوا عليها احكامها ولا ينفعكم القاء المودة اليهم (و يبسطوا) و يطيلوا (اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء) اى بما يسوءكم من القتل والاسر والشتم (وودوا لو تكفرون) اى تمنوا ارتدادكم وكونكم مثلهم كقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم فكلمة لو هنا مصدرية وصيغة الماضى للايذان بتحقق ودادتهم قبل ان يثقفوهم ايضا فهو معطوف على يبسطوا (لن تنفعكم ارحامكم) اى قراباتكم قال الراغب الرحم رحم المرأة وهى فى الاصل وعاء الولد فى بطن امه ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة (ولا اولادكم) الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم جمع ولد بمعنى المولود

يعم الذكر والانثى (يوم القيامة) بجلب نفع اودفع ضر ظرف لقوله لن تنفعكم فيوقف عليه و يبتدأ بما بعده (يفصل بينكم) استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اى يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه الآية فمالكم ترفضون حق الله لمراعاة حق من يفر منكم غدا وقيل يفرق بين الوالد وولده وبين القريب وقريبه فيدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم به وهو ابلغ من خبير لانه جعله كالمحسوس بحس البصر مع ان المعلوم هنا اكثره المبصرات من الكتاب والاتيان بمن يحمل الكتاب واعطاء الاجرة للحمل وغيرها وفى الآية اشارة الى عداوة النفس وصفاتها للروح واخلاقه فان النفس ظلمانية سفلية كثيفة والروح وقواه نورانية علوية لطيفة ولاشك ان بين النور والظلمة تدافعا ولذا تجتهد النفس ان تغلب الروح بظلمانيتها حتى يكون الحكم لها فى مملكة الوجود وهو وتصرفها باليد واما بسط لسانها بالسوء فبمدح الاخلاق الذميمة وذم الاخلاق الحميدة فالقالب كبلد فيه اشراف واراذل كل من بطن واحد لان القوى الخيرة والشريرة انما حصلت من ازدواج الروح مع القالب فالنفس وصفاتها من الاراذل وعلى مشرب قابيل وكنعان ولدى آدم ونوح عليهما السلام فليست من الاهل فى الحقيقة والروح وقواه من الاشراف وعلى مشرب هابيل ونحوه فهى من الاهل فى الحقيقة ولذا تنقطع هذه النسبة يوم القيامة فيكون الروح فى النعيم والنفس فى الجحيم عند تجلى اللطف والجمال والقهر والجلال جعلنا الله واياكم من اهل الكمال والنوال (قد كانت لكم) ايها المؤمنون (اسوة حسنة) قال الراغب الاسوة والاسوة كالقدوة والقدوة هى الحالة التى يكون الانسان عليها فى اتباع غيره ان حسنا وان قبيحا وان سارا وان ضارا والاسى الحزن وحقيقته اتباع الفائت بالغم والمعنى خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها ويتبع اثرها قوله اسوة اسم كانت ولكم خبرها وحسنة صفة اسوة مقيدة ان عمت الاسوة المحمودة والمذمومة وكاشفة مادحة ان لم تعم (فى ابراهيم والذين معه) اى من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة وقولهم لى فى فلان اسوة اى قدوة من باب التجريد لان فلانا نفسه هو القدوة ويجوز ان يكون على حذف المضاف اى لى فى سننه وافعاله واقواله وقيل المراد الانبياء الذين كانوا فى عصره وقريبا منه قال ابن عطية وهذا القول ارجح لانه لم يرد ان ابراهيم كان له اتباع مؤمنون فى مكافحة نمرود وفى البخارى انه قال لسارة حين رحل بها الى الشام مهاجرا بلاد نمرود وما على الارض من يعبد الله غيرى وغيرك (اذ قالوا) ظرف لخبر كان ومعمول له اولكان نفسها عند من جوز عملها فى الظرف وهو الاصح (لقومهم) الكفار (انا برآء منكم) جمع برئ كظريف وظرفاء يعنى ما بيزاريم ازشما (ومما تعبدون من دون الله) من الاصنام اظهروا البراءة اولا من انفسهم مبالغة وثانيا من عملهم الشرك اذ المقصود من البراءة من معبودهم هو البراءة من عبادته ويحتمل ان تكون البراءة منهم ان لا يصاحبوهم ولا يخالطوهم ومن معبودهم ان لا يقربوا منه ولا يلتفتوا نحوه ويحتمل ان تكون البراءة منهم بمعنى البراءة من قرابتهم لان الشرك يفصل بين القرابات ويقطع الموالاة وحاصل الآية هلا فعلتم كما فعل ابراهيم حيث تبرأ من ابيه وقومه لكفرهم وكذا المؤمنون (كفرنا بكم) اى بدينكم على اضمار المضاف والكفر مجاز عن عدم الاعتداد والجحد والانكار فان الدين الباطل ليس بشئ اذ الدين الحق عند الله هو الاسلام (وبدا) بدا الشئ بدوا وبداء اى ظهر ظهورا بينا والبادية كل مكان يبدو ما يعن فيه اى يعرض (بيننا) ظرف لبدا (وبينكم العداوة والبغضاء ابدا) اى هذا دأبنا معكم لا نتركه والبغض ضد الحب (وقال الكاشفى) وآشكارا شد ميان ما وشما دشمنى بدل ودشمنى بدست يعنى محاربه ابدا هميشه يعنى پيوسته دشمنى قائم خواهد بود درميان بدل ودست (حتى) غاية لبدا (تؤمنوا بالله وحده) وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة والمقت مقة والوحشة الفة فالبغض نفور النفس من الشئ الذى ترغب عنه والحب انجذاب النفس الى الشئ الذى ترغب فيه فان قلت ما وجه قوله حتى تؤمنوا بالله وحده ولابد فى الايمان من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر قلت الايمان بالله فى حال وحدته يستلزم الايمان بالجميع مع ان المراد الوحدة الالهية ردا للاصنام قال بعض المشايخ اسوة ابراهيم خلة الله والتبرى مما دون الله والتخلق بخلق الله والتأوه والبكاء من شوق الله وقال ابن عطاء رحمه الله الاسوة القدوة بالخليل فى الظاهر من الاخلاق الشريفة وهو السخاء وحسن الخلق واتباع

ما امر به على الكرب وفى الباطن الاخلاص فى جميع الافعال والاقبال عليه فى كل الاوقات وطرح الكل فى ذات الله تعالى واسوة رسول الله عليه السلام فى الظاهر العبادات دون البواطن والاسرار لان اسراره لايطيقها احد من الخلق لانه باين الامة بالمكان ليلة المعراج ووقع عليه تجلى الذات * سپهدار رسل سرخيل دركاه * سرير افروز ملك لى مع الله (الاقول ابراهيم لابيه) آزر (لاستغفرن لك) بأبى استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام لأبيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغى ان يؤتسى به اصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتى من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فاستثناؤه من الاسوة انما يفيد عدم استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا او حمل الادب على العم يخالف العقل والنقل لان الله تعالى يخرج الحى من الميت والعبرة بالحسب لا بالنسب وعن على رضى الله عنه شرف المرء بالعلم والادب لا بالاصل والنسب * هنر بنماى اكردارى نه كوهر * كل ازخار ست وابراهيم ازآزر (وما املك لك من الله من شئ) من تمام القول المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك اى استغفر لك وليس فى طاقتى الا الاستغفار دون منع العذاب ان لم تؤمن فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويض الامر الى الله تعالى وفى هذه الآية دلالة بينة على تفضيل نبيه محمد عليه السلام وذلك انه حين امر بالاقتدآء به امر على الاطلاق ولم يستثن فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحين امر بالاقتدآء بابراهيم استثنى وايضا قال تعالى فى سورة الاحزاب لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا فأطلق الاقتدآء ولم يقيده بشئ (قال الصائب) هلال حسن خداداد او شوم كه سراپا * چوشعر حافظ شيرازى انتخاب ندارد (ربنا) الخ من تمام ما نقل عن ابراهيم ومن معه من الاسوة الحسنة (عليك توكلنا) اعتمدنا يعنى ازخلق بريديم واعتماد كلى بركرم تونموديم (واليك انبنا) رجعنا بالاعتراف بذنوبنا وبالطاعة (واليك المصير) اى الرجوع فى الآخرة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى * سوى تو كرديم روى ودل بتوبستيم * زهمه بازآمديم وباتو نشستيم * هرچه نه پيوند يار بود بريديم * هرچه نه پيمان دوست بود شكستيم * قالوه بعد المجاهدة وشق العصا التجاء الى الله تعالى فى جميع امورهم لا سيما فى مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه فالفتنة بمعنى المفعول وربنا بدل من الاول وكذا قوله ربنا فيما بعده وقال بعضهم ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا فتقتر علينا الرزق وتبسطه عليهم فيظنوا انهم على الحق ونحن على الباطل (واغفر لنا) ما فرط منا من الذنوب والا كان سببا لظهور العيوب وباعثا للابتلاء المهروب (ربنا) تكرير النداء للمبالغة فى التضرع والجؤار فيكون لاحقا بما قبله ويجوز ان يكون سابقا لما بعده توسلا الى الثناء باثبات العزة والحكمة والاول اظهر وعليه ميل السجاوندى حيث وضع علامة الوقف الجائز على ربنا وهو فى اصطلاحه ما يجوز فيه الوصل والفصل باعتبارين وتلك العلامة الجيم بمسماه وهو ج (انك انت العزيز) الغالب الذى لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وقال بعض اهل الاشارة تعز اولياءك بالفناء فيك وتحييهم ببقائك بلطائف حكمتك فيكون المراد بالفتنة غلبة ظلمة النفس والهوى وبالمغفرة الستر بالهوية الاحدية عن الانيات وبالصفات الواحدية عن التعينات (لقد كان لكم فيهم) اى فى ابراهيم ومن معه (اسوة حسنة) تكرير للمبالغة فى الحث على الائتساء به عليه السلام ولذلك صدر بالقسم وجعله الطيبى من التعميم بعد التخصيص وفى برهان القرآن كرر لان الاول فى القول والثانى فى الفعل وفى فتح الرحمن الاولى اسوة فى العداوة والثانية فى الخوف والخشية وفى كشف الاسرار الاولى متعلقة بالبراءة من الكفار ومن فعلهم والثانية امر بالائتساء بهم لينالوا من ثوابهم ما نالوا وينقلبوا الى الآخرة كما انقلبوا بهم (لمن كان يرجوا الله) بالايمان بلقائه (واليوم الآخر) بالتصديق بوقوعه وقيل يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة لان الرجاء والخوف يتلازمان والرجاء ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة وفى المفردات الرجاء والطمع

توقع محبوب عن امارة مظنونة اومعلومة والخوف توقع مكروه عن امارة مظنونة اومعلومة وفى بعض التفاسير الرجاء يجيء بمعنى توقع الخير وهو الامل وبمعنى توقع الشر وهو الخوف وبمعنى التوقع مطلقا وهو فى الاول حقيقة وفى الاخيرين مجاز وفى الثانى من قبيل ذكر الشئ وارادة ضده وهو جاز وفى الثالث من قبيل ذكر الخاص وارادة العام وهو كثير قوله لمن كان الخ بدل من لكم وفائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لايترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كاينبئ عنه قوله تعالى (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) فانه مما يوعد بامثاله الكفرة اى ومن يعرض عن الاقتداء بهم فى التبرى من الكفار والاهم فان الله هو الغنى وحده عن خلقه وعن موالاتهم ونصرتهم لاهل دينه لم يتعبدهم لحاجته اليهم بل هو ولى دينه وناصر حزبه وهو الحميد المستحق للحمد فى ذاته ومن صحاح الاحاديث القدسية ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ياعبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيأ ياعبادى لوان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيأ ياعبادى لوان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان مسألته مانقص ذلك من عندى الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر ياعبادى انما هى اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه قوله هى ضمير القصة يعنى ماجزاء اعمالكم الامحفوظ عندى لاجلكم ثم أؤديها اليكم وافية ثم الحميد فعيل بمعنى المفعول وجوز الامام القشيرى رحمه الله ان يكون بمعنى الفاعل اى حامد لنفسه وحامد للمؤمنين من عباده قال شارح المشكاة وحظ العبد من اسم الحميد ان يسعى لينخرط فى سلك المقربين الذين يحمدون الله لذاته لا لغيره قال الشيخ ابو القاسم رحمه الله حمد الله الذى هو من شكره يجب ان يكون على شهود المنعم لان حقيقة الشكر الغيبة بشهود المنعم عن شهود النعمة (روى) ان داود عليه السلام قال فى مناجاته كيف اشكرك وشكرى لك نعمة منك على فأوحى الله اليه الآن قد شكرتنى وقال بعض اهل الاشارة لقد كان فى ابراهيم الخفى ومن معه من قواه الروحانية المجردة من المواد الحسية والمثالية والعقلية اسوة حسنة وهى البراءة من قومه اى النفس الامارة والهوى المتبع فمن تأسى واستمر على ذلك بلغ المطلوب المحبوب ومن اعرض عن ذلك التأسى فان الله غنى عن تأسيه حميد فى ذاته وان لم يكن حمده انتهى كلامه (عسى الله ان يجعل) شايد آنكه خداى تعالى پيدا كند (بينكم وبين الذين عاديتم منهم) اى من اقاربكم المشركين وعسى من الله وعد على عادة الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى ولعل فلا يبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك وقال الراغب ذكر الله فى القرآن عسى ولعل تذكرة ليكون الانسان منه على رجاء لا على ان يكون هو تعالى راجيا اى كونوا راجين فى ذلك والمعاداة والعداء باكسى دشمنى كردن (مودة) اى بان يوافقوكم فى الدين وعدهم الله بذلك لمارأى منهم من التصلب فى الدين والتشدد فى معاداة آبائهم وابنائهم وسائر اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اباح لهم الفتح فأسلم قومهم كابى سفيان وسهل بن عمرو وحكيم بن حزام والحارث ابن هشام وغيرهم من صناديد العرب وكانوا اعداء اشد العداوة فتم بينهم من التحاب والتصافى ماتم (والله قدير) اى مبالغ فى القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة (والله غفور رحيم) فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم بقلب معاداة اقاربهم موالاة وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم قال ابن عطاء رحمه الله لاتبغضوا عبادى كل البغض فانى قادر على ان انقلكم من البغض الى المحبة كنقلى من الحياة الى الموت ومن الموت الى النشور كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر الى خالد بن الوليد وعكرمة بن ابى جهل قرأ يخرج الحى من الميت لانهما من خيار الصحابة وابواهما اعدى عدو الله ورسوله وكان بعضهم يبغض عكرمة ويسب اباه لما سلف منه من الاذى حتى ورد النهى عنه بقوله عليه السلام لاتؤذوا الاحياء بسب الاموات فقلب الله ذلك محبة فكانوا اخوانا فى الله وفى الحديث (من نظر الى اخيه نظر مودة لم يكن فى قلبه احنة لم يطرف حتى يغفر الله له ماتقدم من ذنبه وقال سقراط اثن على ذى المودة خيرا عند من لقيت فان رأس المودة حسن الثناء كما ان رأس العداوة سوء الثناء وعنه لاتكون كاملا حتى يأمنك عدوك فكيف بك اذا لم يأمنك صديقك قال داود عليه السلام

اللهم انى اعوذبك من مال يكون على فتنة ومن ولد يكون على ربا ومن حليلة تقرب المشيب واعوذ بك من جار ترانى عيناه وترعانى اذناه ان رأى خيرا دفنه وان سمع شرا طار به ومن بلاغات الزمخشرى محك المودة والاخاء حال الشدة دون الرخاء (قال الحافظ) وفا مجوى زكس ورسخن نمى شنوى * بهرزه طالب سيمرغ وكيميامى باش (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين) اى على الدين اوفى حق الدين واطفاء نوره (ولم يخرجوكم من دياركم) اى لاينهاكم الله عن مبرة هؤلاء فان قوله تعالى (ان تبروهم) بدل من الموصول بدل الاشتمال لان بينهم وبين البر ملابسة بغير الكلية والجزئية فكان المنهى عنه برهم بالقول وحسن المعاشرة والصلة بالمال لانفسهم وبالفارسية ازآنكه نيكويى كنيد با ايشان (وتقسطوا اليهم) تفسير لتبروا وضمن تقسطوا معنى الافضاء فعدى تعديته اى تفضوا اليهم بالقسط والعدل ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين ويتحاموا ظلمهم مرجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم كما فى الكشاف وقال الراغب القسط النصيب بالعدل كالنصف والنصفة فالمعنى عدل كنيد وبفرستيد قسطى وبهرهٔ براى ايشان ازطعام وغيراو (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين فى المعاملات كلها (روى) ان قتيلة بنت عبد العزى على زنة التصغير قدمت فى المدة التى كانت فيها المصالحة بين رسول الله عليه السلام وبين كفار قريش مشركة على بنتها اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنها بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وكانت قتيلة زوجة ابى بكر وكان طلقها فى الجاهلية واورده آندكه قوم خزاعه را باحضرت رسول عليه السلام عهد وپيمان بودوهر كزقصد مسلمانان نكردند ودشمنان دين رايارى ندادند حق تعالى دربارهٔ ايشان اين آيت فرستاد يا مراد زنان وكودكانند كه ايشانرا در قتل واخراج چندان مدخلى نيست وفى فتح الرحمن نسختها اقتلوا المشركين والاكثر على انها غير منسوخة وفى بعض التفاسير القسوط الجور والعدول عن الحق والقسط بالكسر العدل فالاقساط اما من الاول بمعنى ازالة القسوط فهمزته للسلب كاشكيته بمعنى ازلت عنه الشكاية وسلبتها فمن ازال الظلم اتصف بالعدل واما من الثانى بمعنى ان يصير ذا قسط فهمزته للصيرورة مثل اورق الشجر اى صار ذاورق وفى الآية مدح للعدل لان المرء به يصير محبوبا لله تعالى ومن الاحاديث الصحيحة قوله عليه السلام ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا (قال الحافظ) شاهرا به بود ازطاعت صدساله وزهد * قدر يكساعته عمرى كه د روداد كند * وقال خطابا لبعض الملوك * جويبار ملك را آب ازسر شمشير تست * خوش درخت عدل بنشان بيخ بدخواهان بكن (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين) واطفاء نوره (واخرجوكم من دياركم) وهم عتاة اهل مكة وجبابرتهم (وظاهروا على اخراجكم) وهم سائر اهلها يعنى معاونت كردند وهم بشت شدند باعادى (ان تولوهم) بدل اشتمال من الموصول اى انما ينهاكم عن ان تتولوهم والتولى دوستى داشتن باكسى (ومن يتولهم) وهركه دوست دارد ايشانرا (فاولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية فى موضع العداوة وهم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب وحساب المتولى اكبر وفساد التولى اكثر ولذلك اورد كلمة الحصر تغليظا وجمع الخبر باعتبار معنى المبتدأ * بكسل زدوستان دغا باز وحيله ساز * يارى طلب كه طالب نقش بقا بود * جعلنا الله واياكم من الذين يطلبون الباقى لاالفانى يقول الفقير كان الظاهر من امر المقابلة فى الآيتين ان يقال فى الاولى ان تولوهم كما فى الثانية اويعكس ويقال فى الثانية ان تبروهم كما فى الاولى اويذكر كل منهما فى كل من الآيتين لكن الدلائل العقلية والشواهد النقلية دلت على ان موالاة الكافر غير جائزة مقاتلا كان اوغيره بخلاف المبرة فانها جائزة لغير المقاتل غير جائزة للمقاتل كالموالاة فحيث اثبت المبرة بناء على امر ظاهر فى باب الصلة نفى الموالاة ضمنا وحيث نفى الموالاة نفى المبرة ضمنا وانما لم تجز المبرة للمقاتل لغاية عداوته ونهاية بغضه ان قيل ان الاحسان الى من اساء من اخلاق الابرار قلنا ان المبرة تقتضى الالفة فى الجملة والاحسان يقطع اللسان ويثلم السيف فيكون حائلا بين المجاهد والجهاد الحق وقدامر الله باعلاء الدين (يا ايها الذين آمنوا) بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقى الكافرين (اذا جاءكم المؤمنات) اى بدلالة ظاهر حالهن اواقرارهن بلسانهن

اوالمشارفات للايمان ولابعد ان تكون التسمية بالمؤمنات لكونهن كذلك فى علم الله وذلك لا ينافى امتحان غيره تعالى (مهاجرات) من بين الكفار حال من المؤمنات (فامتحنوهن) فاختبروهن بما نغلب به على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن فى الايمان قيل انه من ارادت منهن اضرار زوجها قالت سأل هاجر الى محمد عليه السلام فلذلك امر النبى بامتحانهن وكان عليه السلام يقول للتى يمتحنها بالله الذى لا اله الا هو ماخرجت عن بغض زوج اى غير بغض فى الله لحب الله بالله ماخرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ماخرجت التماس دنيا بالله ماخرجت عشقا لرجل من المسلمين بالله ماخرجت لحدث احدثه بالله ما خرجت الارغبة فى الاسلام وحبا لله ولرسوله فاذا حلفت بالله الذى لا اله الا هو على ذلك اعطى النبى عليه السلام زوجها مهرها وماانفق عليها ولايردها الى زوجها قال السهيلى نزلت فى ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وهى امرأة عبدالرحمن بن عوف ولدت له ابراهيم بن عبد الرحمن وكانت ام كلثوم اخت عثمان بن عفان رضى الله عنه لامه اروى وافادت الآية ان الامتحان فى محله حسن نافع ولذا تمتحن المنكوحة ليلة الزفاف وتستوصف الاسلام مع سهولة فى السؤال واشارة الى الجواب لانها لوقالت ماعرف بانت من زوجها * خوش بود كر محك تجربه آمد بميان * تاسيه روى شود هركه دروغش باشد (الله اعلم بايمانهن) منكم لانه المطلع على مافى قلوبهن فلاحاجة له الى الامتحان وليس ذلك للبشر فيحتاج اليه والجملة اعتراض (فان علمتموهن) بعد الامتحان (مؤمنات) العلم الذى يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بأنه جار مجرى العلم فى وجوب العمل به ففى علمتموهن استعارة تبعية (فلاترجعوهن الى الكفار) من الرجع بمعنى الرد لامن الرجوع ولذلك عدى الى المفعول اى لاتردوهن الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) فانه تعليل للنهى عن رجعهن اليهم يعنى لاتحل مؤمنة لكافر لشرف الايمان ولانكاح كافر لمسلمة لخبث الكفر وبالفارسية نه ايشان يعنى زنان حلالند مر كافرانرا ونه كافران حلال ميشوند مر ين زنانرا چه تباين دارند جدايى افكند ميان ايشان والتكرير اما لتأكيد الحرمة والا فيكفى نفى الحل من احد الجانبين اولان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثانى لبيان امتناع النكاح الجديد (وآتوهم ما انفقوا) هذا هو الحكم الثانى اى واعطوا ازواجهن مثل مادفعوا اليهن من المهور وذلك اى بيان المراد بما انفقوا هو المهور ان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبى عليه السلام بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومى طالبا لها فقال يامحمد اردد على امرأتى فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان فى الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله فحلف فاعطى زوجها ما انفق وهو المهر بالاتفاق وتزوج بها عمر رضى الله عنه وانما رد الرجال دون النساء لضعف النساء عن الدفع عن انفسهن وعجزهن عن الصبر على الفتنة وفى اللباب ان المخاطب بهذا هو الامام ليؤتى من بيت المال الذى لايتعين له مصرف وان المقيمة منهن على شركها مردودة عليهم وان المؤمن يحل له ان ينكح كتابية فان الرجال قوامون على النساء فليس تسلطه عليها كتسلط الكافر على المسلمة ولعل المراد بايتاء ما انفقوا رعاية جانب المؤمنين بالحث على اظهار المروءة وايثار السخاء والاقرب المسائل المشهورة ان المرأة تملك تمام المهر بخلوة صحيحة فى قطعة من اليوم او الليلة وان لم يقع استمتاع اصلا وايضا ان فى الانفاق تأليف القلوب واما لتها الى جانب الاسلام وافادت الآية ان اللائق بالولى كائنا من كان ان يحذر تزويج مؤمنة له ولاية عليها بمبتدع تفضى بدعته الى الكفر وللحاكم ان يفرق بينه وبينها ان ظهرت منه تلك البدعة الا ان يتوب ويجدد ايمانه ونكاحه سئل الرستغفنى عن المناكحة بين اهل السنة وبين اهل الاعتزال فقال لا تجوز كما فى مجمع الفتاوى وقس عليه سائر الفرق الضالة التى لم يكن اعتقادهم كاعتقاد اهل السنة ولزمهم بذلك الاعتقاد اكفار او تضليل ولهم كثرة فى هذه الاعصار جدا قال فى بعض التفاسير اخاف ان يكون من تلك المبتدعة بعض المتصوفة من اهل زماننا الذى يدعى ان شيخه قطب الزمان يجب الاقتداء به على كل مسلم حتى ان من لم يكن من جملة مريديه كان كافرا وان مات لم يمت مؤمنا فيستدل بقوله عليه السلام من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ويقول المراد بالامام هو القطب وشيخنا هو القطب فمن لم يعرف قطبيته ولم يتبعه مات على سوء الحال وجوابه ان المراد بالامام

هو الخليفة والسلطان وقريش اصل فيه لقوله عليه السلام الامام من قريش ومن عداهم تبع لهم كشريف الكعبة مع آل عثمان فالشريف احدى الذات ولذا الاقوة له وآل عثمان واحدى الذات ولذا صار مظهر سرقوله تعالى هو الذى ايدك بنصره و بالمؤمنين فاعرف الاشارة وايضا المراد من الامام نبى ذلك الزمان وهو فى آخر الزمان رسولنا محمد عليه السلام ولا شك ان من لم يعرفه ولم يصدقه مات ميتة جاهلية وائن سلم ان المراد بالامام هو القطب من طريق الاشارة فلا شك ان للقطبية العظمى شرائط لايوجد واحد منها فى الكذابين فلايثبت لهم القطبية اصلا على ان التصديق بالقطب لايستلزم صحبته لان مبنى هذا الامر على الباطن فالاقطاب لم يهتد اليهم الا اقل الافراد فاظهارهم لقطبيتهم خارج عن الحكمة ولما قربت القيامة وقع ان يتغير احوال كل طائفة عاما فعاما شهرا فشهرا اسبوعا فاسبوعا يوما فيوما لايزال هذا التغيير الى انقراض الاخيار لانه لاتقوم الساعة الا على الاشرار وفى المرفوع لا يأتيكم زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم (قال الحافظ) روزى اكرغمى رسدت تنك دل مباش * روشكركن مبادكه از بد بترشود * وفى الحديث مامن نبى بعثه الله فى امة قبلى الا كان له من امته حواريون واصحاب يأخذون بسنته و يقتدون بامره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لايفعلون و يفعلون مالا يؤمرون ومن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل رواه مسلم وقال عليه السلام يذهب الصالحون الاول فالاول و يبقى حفالة كحفالة الشعير او التمر لايبالى بهم الله واول التغير كان فى الامراء ثم فى العلماء ثم فى الفقراء ففى كل طائفة اهل هدى واهل هوى فكن من اهل الهدى اوالمتشبهين بهم فان من تشبه بقوم فهو منهم ومن كثر سواد قوم فهو منهم وفى الحديث من احب قوما على عملهم حشر فى زمرتهم وحوسب بحسابهم وان لم يعمل بعملهم (ولاجناح عليكم) هذا هو الحكم الثالث يقال جنحت السفينة اى مالت الى احد جانبيها وسمى الاثم المائل بالانسان عن الحق جناحا ثم سمى كل اثم جناحا (ان تنكحوهن) اى تنكحوا المهاجرات وتتزوجوهن وان كان لهن ازواج كفار فى دار الحرب فان اسلامهن حال بينهن و بين ازواجهن الكفار (اذا آتيتموهن اجورهن) اذا ظرفية محضة اوشرطية جوابها محذوف دل عليه ماتقدمها شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بان مااعطى ازواجهن لايقوم مقام المهر لان ظاهر النظم يقتضى ايتاءين ايتاء الى الازواج وايتاء اليهن على سبيل المهر وفى التيسير التزمتم مهورهن ولم يرد حقيقة الاداء كما فى قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد اى يلتزموها استدل بالآية ابو حنيفة رحمه الله على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة و بقى الآخر حربيا وقعت الفرقة ولايرى العدة على المهاجرة ولا على الذمية المطلقة ولا على المتوفى عنها زوجها ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا لانه تعالى نفى الجناح من كل وجه فى نكاحهن بعد ايتاء المهور ولم يقيد بمضى العدة وقالا عليها العدة وفى الهداية قول ابى حنيفة فيما اذا كان معتقدهم انه لاعدة واما اذا كانت حاملا فقد قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايسقين ماءه زرع غيره (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) هذا هو الحكم الرابع والامساك چنك در زدن و يعدى بالباء والعصم جمع عصمة وهى ما يعتصم به من عقد و سبب والكوافر جمع كافرة والكوافر طائفتان من النساء طائفة قعدت عن الهجرة وثبتت على الكفر فى دار الحرب وطائفة ارتدت عن الهجرة ولحقت بازواجها الكفار والمعنى لايكن بينكم و بين المشركات عصمة ولاعلقة زوجية وقال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلايعتدن بها من نسائه كما قال بعض اهل التفسير المراد بالعصمة هنا النكاح يعنى من كانت له زوجة كافرة بمكة او ارتدت ورجعت اليها فلا يعتدبها ولا يعدها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه فجازله ان يتزوج باربع سواها و برابعة و باختها من غير تربص وعدة و بالفارسية ومايستيد بنكه داشتن زنان كافره وايشانرا بزنان خود مشمريد فيكون اشارة الى حكم اللاتى بقين فى دار الكفر وما اسلمن ولاهاجرن بعد اسلام ازواجهن وهجرتهم وعن النخعى هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر فيكون قوله ولا تمسكوا بمقابلة قوله اذا جاءكم المؤمنات يعنى ان قوله اذا جاءكم الخ اشارة الى حكم اللاتى اسلمن وخرجن من دار الكفر وقوله ولا تمسكوا الخ اشارة الى حكم المسلمات اللاتى ارتددن وخرجن من دار الاسلام الى دار الكفر وعلى التفسيرين زال عقد

النكاح بينهن و بين ازواجهن وانقطعت عصمتهن عنهم باختلاف الدارين فالعصمة هى المنع اريد بها
فى الآية عقد النكاح الذى هو سبب لمنع ازواجهن اياهن عن الاطلاق اى لاتعتدوا بما كان بينكم وبينهن
من العقد الكائن قبل حصول اختلاف الدارين والفرقة عند الحنفية تقع بنفس الوصول الى دار الاسلام
فلا حاجة الى الطلاق بعد وقوع الفرقة وكانت زينب بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام امرأة ابى العاص
ابن الربيع فلحقت بالنبى عليه السلام واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة فاسلم فردها عليه رسول الله
عليه السلام واذا اسلم الزوجان معا واسلم زوج الكتابية فهما على نكاحهما بالاتفاق واذا اسلمت المرأة
فان كان مدخولا بها فاسلم فى عدتها فهى امرأته بالاتفاق وان كانت غير مدخول بها وقعت الفرقة بينهما
وكان فسخا عند الثلاثة وقال ابو حنيفة يعرض عليه الاسلام فان اسلم فهى امرأته والافرق القاضى بينهما
بابائه عن الاسلام وتكون هذه الفرقة طلاقا عند ابى حنيفة ومحمد وفسخا عند ابى يوسف ولها المهران كانت
مدخولا بها والا فلا بالاتفاق واما اذا ارتد احد الزوجين المسلمين فقال ابو حنيفة ومالك تقع الفرقة حال
الردة بلا تأخير قبل الدخول و بعده وقال الشافعى واحمد ان كانت الردة من احدهما قبل الدخول انفسخ النكاح
وان كانت بعده وقعت الفرقة على انقضاء العدة فان اسلم المرتد منهما فى العدة ثبت النكاح والا انفسخ
بانقضائها ثم ان كان المرتد الزوجة بعد الدخول فلها المهر وقبله لاشئ لها وان كان الزوج فلها الكل بعده
والنصف قبله بالاتفاق كذا فى فتح الرحمن وقال سهل رحمه الله فى الآية ولا توافقوا اهل البدع فى شئ من آرائهم
(واسألوا ما انفقتم) هذا هو الحكم الخامس اى واسألوا الكفار ايها المؤمنون ما انفقتم يعنى آنچه خرج كرده آيد
من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار اى اذا ارتدت امرأة احدكم ولحقت بدار الحرب فاسألوا مهرها
ممن تزوجها ولعل هذا لتطرية قلوب بعض المؤمنين بالمقابلة والمعادلة والافظاهر حال الكرام الاستغناء عنه
(وليسألوا) اى الكفار منكم (ما انفقوا) من مهور ازواجهم المهاجرات اى يسأل كل حربى اسلمت امرأته
وهاجرت الينا ممن تزوجها منا مهرها و بالفارسية چون عصمت زوجيه منقطع شد ميان مؤمن
وكافره وميان كافر ومؤمنه پس هر يك بايد كه رد كند مهر راكه بصاحبه خود داده اند وظاهر قوله وليسألوا
يدل على ان الكفار مخاطبون بالاحكام وهو امر للمؤمنين بالاداء مجازا من قبيل اطلاق الملزوم وارادة اللازم
كما فى قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة فانه بمعنى واغلظوا عليهم (ذلكم) الذى ذكر فى هذه الآية من الاحكام
(حكم الله) ما حكم الله به لان يراعى وقوله تعالى (يحكم بينكم) كلام مستأنف للتأكيد والحث على الرعاية
والعمل به قال فى فتح الرحمن ثم نسخ هذا الحكم بعد ذلك الا قوله لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن (والله عليم)
بمصالحكم (حكيم) يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة قال ابن العربى كان حكم الله هذا مخصوصا بذلك
الزمان فى تلك النازلة خاصة وقال الزهرى ولولا هذه الهدنة والعهد الذى كان بين رسول الله وبين قريش
يوم الحديبية لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذا كان يصنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد روى انه لما نزلت
الآية ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا
من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين وقالوا نحن لانعلم لكم عندنا شيأ فان كان لنا عندكم شئ فوجهوا به
فنزل قوله تعالى (وان فاتكم) الفوت بعد الشئ عن الانسان بحيث يتعذر ادراكه وتعديته بالى لتضمنه معنى
السبق او الانفلات دل عليه قوله فآتوا الذين ذهبت ازواجكم اى الى الكفار والمعنى سبقكم وانفلت منكم
اى خرج و فرمنكم فجأة من غير تردد ولا تدبر و بالفارسية واگر فوت شود از شما اى مؤمنان
(شئ من ازواجكم الى الكفار) اى احد من ازواجكم الى الكفار ودرهم ومهر او بدست شما نيايد وقد قرئ
به وايقاع شئ موقعه للتحقير والاشباع فى التعميم لان النكرة فى سياق الشرط تفيد العموم والشئ لكونه اعم
من الاحد اظهر احاطة لاصناف الزوجات اى اى نوع وصنف من النساء كالعربية او العجمية او الحرة او الامة
او نحوها او فاتكم شئ من مهور ازواجكم على حذف المضاف ليتطابق الموصوف وصفته والزوج هنا
هى المرأة (روى) انها نزلت فى ام الحكم بنت ابى سفيان فرت فتزوجها ثقفى ولم ترتد امرأة من قريش غيرها واسلمت
مع قريش حين اسلموا وسيأتى غير ذلك (فعاقبتم) من العقبة وهى النوبة والمعاقبة المناوبة يقال عاقب الرجل
صاحبه فى كذا اى جاء فعل كل واحد منهما بعقب فعل الآخر والمعنى فجاءت عقبتكم ونوبتكم

من اداء المهر بان هاجرت امرأة الكافر مسلمة الى المسلمين ولزمهم اداء مهرها الى زوجها الكافر بعد ما فاتت امرأة المسلم الى الكفار ولزم ان يسأل مهر زوجته المرتدة ممن تزوجها منهم شبه ماحكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب ونحوه اى يتناوب والاقادآء كل واحد من المسلمين والكفار لايلزم ان يعقب اداء الآخر لجواز ان يتوجه الاداء لاحد الفريقين مرارا متعددة من غير ان يلزم الفريق الآخر شئ وبالعكس فلا يتعاقبون فى الاداء (فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا) اى من المهاجرة التى تزوجتموها ولا تؤتوا زوجها الكافر يعنى ان فاتت امرأة مسلم الى الكفار ولم يعط الكفار مهرها فاذا فاتت امرأة كافر الى المسلمين اى هاجرت اليهم وجب على المسلمين ان يعطوا المسلم الذى فاتت امرأته الى الكفار مثل مهر زوجته الفائتة من مهر هذه المرأة المهاجرة ليكون كالعوض لمهر زوجته الفائتة ولا يجوز لهم ان يعطوا مهر هذه المهاجرة زوجها الكافر قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت أبى سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت امية كانت تحت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهى اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبى جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر رضى الله عنه واعطاهم رسول الله عليه السلام مهور نسائهم من الغنيمة كما فى الكشاف (واتقوا الله الذى انتم به) لابغيره من الجبت والطاغوت (مؤمنون) فان الايمان به تعالى يقتضى التقوى منه تعالى قال بعضهم حكم اين آيات تابقاء عهد باقى بود چون مرتفع كشت اين احكام منسوخ كشت وفى الآية اشارة الى المكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر (حكى) ان اخوين فى الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا فى ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته اليهما فقالا ان هذا لمن كنز فأقاما عليه ثلاثة ايام كل يوم تخرج لهما دينارا فقال احدهما للآخر الى متى ننتظر هذه الحية الا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز فنأخذه فنهاه اخوه وقال ماتدرى لعلك تعطب ولاتدرك المال فأبى عليه فأخذ فأسا معه ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها فبادرت الحية فقتلته ورجعت الى جحرها فدفنه اخوه واقام حتى اذا كان الغد خرجت الحية معصوبا رأسها ليس معها شئ فقال ياهذه انى والله مارضيت بما اصابك ولقد نهيت أخى عن ذلك فهل لك ان تجعل الله بيننا لاتضرين بى ولا أضربك وترجعين الى ماكنت عليه فقالت الحية لافقال ولم قالت لانى اعلم ان نفسك لاتطيب لى ابدا وانت ترى قبر أخيك ونفسى لاتطيب لك وانا اذكر هذه الشجة فظهر من هذه الحكاية سر المكافاة وشرف التقوى فانه لو اتقى الله ولم يضع الشر موضع الخير بل شكر صنيع الحية لازداد مالا وعمرا * كرم كن نه پرخاش وجنك آورى * كه عالم بزير نكين آورى * چو كارى برآيد بلطف وخوشى * چه حاجت بتندى وكردن كشى * نمى ترسى اى كرك ناقص خرد * كه روزى پلنكيت برهم درد (ياايها النبى) نداء تشريف وتعظيم (اذا جاءك المؤمنات) چون بيايند بتوزنان مؤمنه (يبايعنك) اى مبايعات لك اى قاصدات للمبايعة فهى حال مقدرة نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع فى بيعة النساء سميت البيعة لان المبايع يبيع نفسه بالجنة فالمبايعة مفاعلة من البيع ومن عادة الناس حين المبايعة ان يضع احد المتبايعين يده على يد الآخر لتكون معاملتهم محكمة مثبتة فسميت المعاهدة بين المعاهدين مبايعة تشبيها لها بها فى الاحكام والابرام فبايعة الامة رسولهم التزام طاعته وبذل الوسع فى امتثال اوامره واحكامه والمعاونة له ومبايعته اياهم الوعد بالثواب وتدبير امورهم والقيام بمصالحهم فى الغلبة على اعدائهم الظاهرة والباطنة والشفاعة لهم يوم الحساب ان كانوا ثابتين على تلك المعاهدة قائمين بما هو مقتضى المواعدة كما يقال بايع الرجل السلطان اذا اوجب على نفسه الاطاعة له وبايع السلطان الرعية اذا قبل القيام بمصالحهم واوجب على نفسه حفظ نفوسهم واموالهم من ايدى الظالمين (على ان لايشركن بالله شيأ) اى شيأ من الاشياء اوشيأ من الاشراك والظاهر ان المراد الشرك الاكبر ويجوز التعميم له وللشرك الاصغر الذى هو الرياء فالمعنى على ان لايتخذن الها غير الله ولا يعملن الا خالصا لوجهه * مرائى هركسى معبود سازد * مرائى را ازان كفتند مشرك

(قال الحافظ) كويـا باورنمى دارند روز داورى * كين همه قلب ودغل دركار داور ميكنند (ولايسرقن) السرقة اخذ ماليس له اخذه فى خفاء وصار ذلك فى الشرع لتناول الشئ من موضع مخصوص وقدر مخصوص اى لايأخذن مال احد بغير حق ويكفى فى قبح السرقة ان النبى عليه السلام لعن السارق (ولايزنين) الزنى وطئ المرأة من غير عقد شرعى يقصر واذا مد يصح ان يكون مصدر المفاعلة قال مظهر الدين الزنى فى اللغة عبارة عن المجامعة فى الفرج على وجه الحرام ويدخل فيه اللواطة واتيان البهائم تم كلامه قال عليه السلام يقتل الفاعل والمفعول به وثبت ان عليا رضى الله عنه احرقهما وان ابابكر رضى الله عنه هدم عليهما حائطا وذلك بحسب ماراٰيا من المصلحة وقال عليه السلام ملعون من أتى امرأته فى دبرها واما الاتيان من دبرها فى قبلها فمباح قال فى اللباب اتفق المسلمون على حرمة الجماع فى زمن الحيض واختلفوا فى وجوب الكفارة على من جامع فيه فذهب اكثرهم الى انه لاكفارة عليه فيستغفر وذهب قوم الى وجوب الكفارة عليه تم كلامه وقال عليه السلام من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه قيل لابن عباس رضى الله عنهما ماشأن البهيمة قال ماسمعت فيها من رسول الله شيأ ولكن اكره ان يحل لحمها وينتفع بها كذلك (ولايقتلن اولادهن) أريد به وأد البنات اى دفنهن احياء خوف العار والفقر كما فى الجاهلية قال عليه السلام لاتنزع الرحمة الا من شقى (قال الحافظ) هيچ رحمى نه برادر به برادر دارد * هيچ شوقى نه پدر را نه بپسر مى بينم * دختران را همه جنگست وجدل با مادر * پسران را همه بدخواه پدر مى بينم * حكى ان هرون الرشيد زوج اخته من جعفر بشرط ان لايقرب منها فلم يصبر عنها فظهر حملها فدفنهما هرون حين غضب عليهما ويقال ولايشربن دوآء فيسقطن حملهن كما فى تفسير ابى الليث وفى نصاب الاحتساب تمنع القابلة من المعالجة لاسقاط الولد بعد مااستبان خلقه ونفخ فيه الروح ومدة الاستبانة والنفخ مقدرة بمائة وعشرين يوما واما قبله فقيل لابأس به كالعزل وقيل يكره لان مآل الماء الحياة كما اذا اتلف محرم بيضة صيد الحرم ضمن لان مآلها الحياة فلها حكم الصيد بخلاف العزل لان ماء الرجل لاينفخ فيه الروح الابعد صنع آخر وهو الالقاء فى الرحم فلايكون مآله الحياة ولعل اسناد الفعل الى النساء امابعتبار الرضى به او بمباشرته بأمر زوجها (ولايأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن) الباء للتعدية والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه اى يدهشه ويجعله متحيرا فيكون اقبح انواع الكذب وهو فى الاصل مصدر يقال بهت زيد عمرا بهتا وبهتانا اى قال عليه السلام مالم يفعله فزيد باهت وعمرو مبهوت والذى بهت به مبهوت به واذا قالت لزوجها هذا ولدى منك لصبى التقطته فقد بهتته به اى قالت عليه مالم يفعله جعله نفس البهتان ثم وصفه بكونه مفترى مبالغة فى وصفهن بالكذب والافتراء الاختلاق يقال فرى فلان كذبا اذا خلقه وافتراه اختلقه قوله يفترينه امافى موضع جر على انه صفة لبهتان اونصب على انه حال من فاعل يأتين وقوله بين ايديهن متعلق بمحذوف هو حال من الضمير المنصوب فى يفترينه اى يختلقنه مقدرا وجوده بين ايديهن وارجلهن على ان يكون المراد بالبهتان الولد المبهوت به كما ذهب اليه جمهور المفسرين وليس المعنى على نهيهن عن ان يأتين بولد من الزنى فينسبنه الى الازواج لان ذلك نهى بقوله ولايزنين بل المراد نهيهن عن ان يلحقن بأزواجهن ولدا التقطنه من بعض المواضع وكانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك فى بطنى الذى بين يدى ووضعته من فرجى الذى هو بين رجلى فكنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها والمعنى ولايجئن بصبى ملتقط من غير ازواجهن فانه افتراء وبهتان لهم والبهتان من الكبائر التى تتصل بالشرك (ولايعصينك فى معروف) اى لايخالفن امرك فيما تأمرهن به وتنهاهن عنه على ان المراد من المعروف الامور الحسنة التى عرف حسنها فى الدين فيؤمر بها والشؤون السيئة التى عرف قبحها فيه فينهى عنها كما قيل كل ماوافق فى طاعة الله فهلا اوتركا فهو معروف وكما روى عن بعض اكابر المفسرين من انه هو النهى عن النياحة والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه ونشره وخمش الوجه وان تحدث المرأة الرجال الا ذارحم محرم وان تخلو برجل غير محرم وان تسافر الا مع ذى رحم محرم فيكون هذا للتعميم بعد التخصيص ويحتمل ان يكون المراد من المعروف مايقابل المنكر فيكون ماقبله للنهى عن المنكر وهذا للامر بالمعروف لتكون الآية جامعة لهما والتقييد

بالمعروف مع ان الرسول عليه السلام لا يأمر الا به للتنبيه على انه لا تجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق لانه لما شرط ذلك فى طاعة النبى عليه السلام فكيف فى حق غيره وهو كقوله الا ليطاع باذن الله كما قال فى عين المعانى فدل على ان طاعة الولاة لا تجب فى المنكر ولم يقل ولا يعصين الله لان من اطاع الرسول فقد اطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله وتخصيص الامور المعدودة بالذكر فى حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن ووجه الترتيب بين هذه المنهيات انه قدم الاقبح على ما هو ادنى قبحا منه ثم كذلك الى آخرها ولذا قدم ما هو الاظهر والاغلب فيما بينهن وقال صاحب اللباب ذكر الله تعالى فى هذه الآية لرسول الله عليه السلام فى صفة البيعة خصالا لا ستاهن اركان ما نهى عنه فى الدين ولم يذكر اركان ما امر به وهى ايضا ست الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهى عنها دائم فى كل زمان وكل حال فكان التنبيه على اشتراط الدائم اهم وآكد (فبايعهن) جواب لاذا فهو العامل فيها فان الفاء لا تكون مانعة وهو امر من المبايعة اى فبايعهن على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته فى المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام اى بايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء فان المبايعة من جهة الرسول هو الوعد بالثواب ومن جهة الآخر التزام طاعته كما سبق وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها (واستغفر لهن الله) زيادة على ما فى ضمن المبايعة من ضمان الثواب والاستغفار طلب المغفرة للذنوب والستر للعيوب (ان الله غفور رحيم) اى مبالغ فى المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه بزركى فرمود مردمان ميكويند رحمت موقوفست بر ايمان يعنى تا بنده ايمان نيارد مستحق رحمت نشود ومن ميكويم كه ايمان موقوفست بر رحمت يعنى تا رحمت خود توفيق نبخشد كسى بدولت ايمان نرسد (مصراع) توفيق عزيزست بهر كس ندهند * يقول الفقير الامر بالاستغفار لهن اشارة الى قبول شفاعة حبيبه عليه السلام فى حقهن فهو من رحمته الواسعة وقد عمم هذا الامر فى سورة الفتح فاستفاد جميع عباده وامائه الى يوم القيامة من بحر هذا الفضل ما يغنيهم ويرويهم وهو الفياض قال الامام الطيبى لعل المبالغة فى الغفور باعتبار الكيفية وفى الغفار باعتبار الكمية كما قال بعض الصالحين انه غافر لانه يزيل معصيتك من ديوانك وغفور لانه ينسى الملائكة افعالك السوء وغفار لانه تعالى ينسيك ايضا ذنبك كيلا تستحيى وحظ العارف منه ان يستر من اخيه ما يحب ان يستر منه ولا يفشى منه الا احسن ما كان فيه ويتجاوز عما يندر عنه ويكافئ المسيء اليه بالصفح عنه والانعام عليه نسأل الله سبحانه ان يجعلنا متخلقين باخلاقه الكريمة ومتصفين بصفاته العظيمة انه هو الغفور الرحيم واختلف فى كيفية مبايعته عليه السلام لهن يوم الفتح فروى انه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا وشرع فى بيعة النساء ودعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن فجاءت هند بنت عتبة امرأة ابى سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله ان يعرفها لما صنعته بحمزة رضى الله عنه يوم احد من المثلة فلما قال عليه السلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيأ رفعت هند رأسها فقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فلما قال عليه السلام ولا يسرقن قالت ان اباسفيان رجل شحيح وانى اصبت من ماله هنات اى شيأ يسيرا فما ادرى ايحل لى فقال ابو سفيان ما اصبت فهو لك حلال فضحك عليه السلام وقال انت هند قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك فعفا عنها فقال ولا يزنين فقالت وهل تزنى الحرة فقال عمر رضى الله عنه لو كان قلب نساء العرب على قلب هند ما زنت امرأة قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابى سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك فى معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى شئ (وروى) انه عليه السلام بايعهن وبين يديه وايديهن ثوب قطرى والقطر بالكسر ضرب من البرود يأخذ بطرف منه ويأخذن بالطرف الآخر توقيا عن مساس ايدى الاجنبيات (وروى) انه جلس على الصفا ومعه عمر رضى الله عنه اسفل منه فجعل عليه السلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن

(وروى) ان عمر رضى الله عنه كان يبايع النساء بامره عليه السلام ويبلغهن عنه وهو اسفل منه عند الصفا (وروى) انه عليه السلام كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وهى اميمة اخت خديجة رضى الله عنها خالة فاطمة رضى الله عنها والاظهر الاشهر ماقالت عائشة رضى الله عنها والله ما اخذ رسول الله على النساء قط الا بما امر الله وما مست كف رسول الله كف امرأة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن على كلها وكانت المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله يمتحنهن بقول الله يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات الخ فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن يقول الفقير انما بايع عليه السلام الرجال مع مس الايدى دون النساء لان مقام الشارع يقتضى الاحتياط وتعليم الامة والا فاذا جاز مصافحة عمر رضى الله عنه لهن كما فى بعض الروايات جاز مصافحته عليه السلام لهن لانه اعلى حالا من عمر من كل وجه وبالجملة كانت البيعة مع النساء والرجال امرا مشروعا بامر الله وسنته بفعل رسول الله ومن ذلك كانت عادة مستحسنة بين الفقراء الصوفية حين ارادة التوبة تثبيتا للايمان وتجديدا لنور الايقان على ما اشبعنا الكلام عليه فى المبايعة فى سورة الفتح وذكرنا كل طرف منها فيها فارجع وفى التأويلات النجمية قوله تعالى يا ايها النبى اذا جاءك الخ يخاطب نبى الروح ويشير الى النفوس المؤمنة الداخلة تحت شريعة نبى الروح يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيأ من حب الدنيا وشهواتها ولذاتها وزينتها وزخارفها ولا يسرقن من اخلاق الهوى المتبع وصفاته الرديئة ولا يزنين اى مع الهوى بالاتفاق معه والاتباع له ولا يقتلن اولادهن اى لا يمنعن ولا يردن اولاد الخواطر الروحانية والالهامات الربانية ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يعنى لا يدعين بما لم يحصل لهن من المواهب العلوية من المشاهدات والمعاينات والتجريد والتفريد ولا من العطايا السفلية من الزهد والورع والتوكل والتسليم لانهن ما بلغن بعد اليها ولا يعصينك فى معروف اى فى كل ما تأمرهن من الاخلاق والاوصاف فبايعهن اى فاقبل مبايعتهن بين يديك بالصدق والاخلاص واستغفر لهن الله مما وقع منهن قبل دخولهن فى ظل انوارك من المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية ان الله غفور يسترها بالموافقات الشرعية رحيم بهن يرحمهن بالمخالفات الطبيعية (يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما) دوستى مكنيد باكروهى كه فالتولى هنا بمعنى الموالاة والموادة (غضب الله عليهم) صفة لقوما وكذا قد يئسوا وهم جنس الكفار لان كلهم مغضوب عليهم لا رحمة لهم من الرحمة الاخروية وقيل اليهود لما روى انها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم وهو قول الاكثرين وقد قال تعالى فى حق اليهود وغضب الله عليهم وجعل منهم القردة والخنازير والقوم الرجال وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع لان قوم كل نبى رجال ونساء (قد يئسوا من الآخرة) اليأس انقطاع الطمع يعنى نوميد شدند از آخرت لكفرهم بها وعدم ايقانهم على ان يراد بقوما عامة الكفرة ومن لابتداء الغاية او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات على ان يراد به اليهود والتقدير من ثواب الآخرة يعنى انهم اهل الكتاب يؤمنون بالقيامة لكنهم لما اصروا على الكفر حسدا وعنادا يئسوا من ثوابها قال عليه السلام يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون انى رسول الله حقا وانى جئتكم بحق فاسلموا (كما يئس الكفار من اصحاب القبور) من بيان للكفار اى كائنين منهم اى كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها قال مقاتل ان الكافر اذا وضع فى قبره اتاه ملك شديد الانتهار ثم يسأله من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادرى فيقول الملك ابعدك الله انظر الى منزلتك من النار فيدعو بالويل والثبور ويقول هذا لك فيفتح باب الجنة فيقول هذا لمن آمن بالله فلو كنت آمنت بربك نزلت الجنة فيكون حسرة عليه وينقطع رجاؤه ويعلم انه لا حظ له فيها ويأس من خير الجنة وقيل من متعلقة بيئس فالمعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار فى موضع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم وهو الكفر والقبر مقر الميت والمقبرة موضع القبور وفى الآية اشارة الى الابدان المربضة المعتلة النجسة الخبيثة المظلمة فان الكفار ايسوا من خروج ضيق قبور اخلاقهم السيئة الى سعة فضاء صفاتهم الحسنة وكذا سائرهم من اهل الحجب الكثيفة ومن اصحاب القبور من حاله على عكس هذا كما اشار النبى عليه السلام بقوله كن فى الدنيا كأنك غريب او عابر سبيل وعد نفسك

من اصحاب القبور وهم من ماتوا بالاختيار قبل الموت بالاضطرار وذلك بالفناء التام فكانت اجسادهم لارواحهم كالقبور للموتى نسأل الله الختم بالسعادة بحرمة من له كمال السيادة والدفن فى احب البقاع اليه والقدوم بكمال البشرى عليه والقيام بمزيد الفخر لديه * خدايا بحق بنى فاطمه * كه برقول ايمان كنم خاتمه خداوندكار انظر كن بجود * كه جرم آيد از بند كان در وجود * جو مارا بدنيا توكردى عزيز * بعقبى همين چشم داريم نيز

تمت سورة الممتحنة فى العشر الاخير من شهر رمضان المنتظم فى سلك شهور سنة خمس وعشرة ومائة والف

* (سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة بلاخلاف) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله) نزهه عن كل مالايليق بجنابه العلى العظيم (مافى السموات) من العلويات الفاعلة (ومافى الارض) من السفليات القابلة آفاقا وانفسا اى سبحه جميع الاشياء من غير فرق بين موجود وموجود كما قال تعالى وان من شئ الايسبح بحمده (وهو العزيز) الغالب الذى لايكون الاما يريد (الحكيم) الذى لايفعل الا بالحكمة فلا عزيز ولا حكيم على الاطلاق غيره فلذا يجب تسبيحه قال فى كشف الاسرار من اراد ان يصفوله تسبيحه فليصف عن آثار نفسه قلبه ومن اراد ان يصفوله فى الجنة عيشه فليصف عن اوضار الهوى دينه (يا ايها الذين آمنوا) ايمانا رسميا (لم تقولون مالاتفعلون) روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت تعييرا لهم بترك الوفاء ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما فى عم وفيم ونظائرهما معناها لاى شئ تقولون نفعل مالاتفعلون من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ فى الحقيقة عدم فعلهم وانما وجهه الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لاتفعلون ماتقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود فليس المراد من ماحقيقة الاستفهام لان الاستفهام من الله محال لانه عالم بجميع الاشياء بل المراد الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان من نفسه مالايفعله من الخير لانه ان اخبر انه فعل فى الماضى والحال ولم يفعله كان كاذبا وان وعد ان يفعله فى المستقبل ولا يفعله كان خلفا وكلاهما مذموم كما قال فى الكشاف هذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد وهذا الخلاف ماذا وعد فلم يف بميعاده لعذر من الاعذار فانه لااثم عليه وفى عرآئس البقلى حذر الله المريدين ان يظهروا بدعوى المقامات التى لم يبلغوا اليها لئلا يقعوا فى مقت الله وينقطعوا عن طريق الحق بالدعوى بالباطل وايضا زجر الاكابر فى ترك بعض الحقوق ومن لم يوف بالعهود ولم يأت بالحقوق لم يصل الى الحق والحقيقة وايضا ليس للعبد فعل ولاتدبير لانه اسير فى قبضة العزة يجرى عليه احكام القدرة وتصاريف المشيئة فمن قال فعلت او أتيت او شهدت فقد نسى مولاه وادعى ماليس له ومن شهد من نفسه طاعة كان الى العصيان اقرب لان النسيان من العمى وفى التأويلات النجمية يا ايها المؤمنون المقلدون لم تذمون الدنيا بلسان الظاهر وتمدحونها بلسان الباطن شهادة ارتكابكم انواع الشهوات الحيوانية واصناف اللذات الجسمانية او تمدحون الجهاد بلسانكم وتذمونه بقلوبكم وذلك يدل على اعراضكم عن الحق واقبالكم على النفس والدنيا وهذا كبر مقتا عند الله تعالى كما قال (كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالاتفعلون) كبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم والمقت البغض الشديد لمن يراه متعاطيا القبيح يقال مقته فهو مقيت وممقوت وكان يسمى تزوج امرأة الاب نكاح المقت وعند الله ظرف للفعل بمعنى فى علمه وحكمته والكلام بيان لغاية قبح مافعلوه اى عظم بغضا فى حكمته تعالى هذا القول المجرد فهو اشد ممقوتية ومبغوضية فمن مقته الله فله النار ومن احبه الله فله الجنة (قال الكاشفى) ونزد بعضى علما آيت عامست يعنى هركه سخنى كويد ونكند در ين عتاب داخلست وبآن علما نيزكه خلق رابعمل خبر فرمايند وخود ترك نمايند اين سياست خواهد بود

لاتنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

واوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى وحضرت پيغمبر عليه السلام درشب معراج ديد كه لبهاء چنين كسان بمقراض آتشين مى بريدند *

ازمن بكوى عالم تفسير كوى را * كردر عمل نكوشى نادان مفسرى * باردرخت علم ندانم بجز عمل * باعلم اكر عمل نكنى شاخ بى برى * قيل لبعض السلف حد ثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال اتهم تأمروننى ان اقول مالاافعل فاستعجل مقت الله قال القرطبى رحمه الله ثلاث آيات منعتنى ان اقص على الناس اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ياايها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون وقد ورد الوعيد فى حق من يترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ايضا اى كما ورد فى حق من يترك العمل فالحوف اذا كان على كل منهما فى درجة متناهية فكيف على من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف واكثر الناس فى هذا الزمان هكذا والعياذ بالله تعالى قال فى اللباب ان الآية توجب على كل من الزم نفسه عملا فيه طاعة الله ان يفى به فان من التزم شيئا لزم شرعا اذ الملتزم اما نذر تقرب مبتدأ كقوله لله على صلاة اوصوم اوصدقة ونحوه من القرب فيلزمه الوفاء اجماعا اونذر مباح وهو ما علق بشرط رغبة كقوله ان قدم غائبى فعلى صدقة او بشرط رهبة كقوله ان كفانى الله شر كذا فعلى صدقة ففيه خلاف فقال مالك وابو حنيفة يلزمه الوفاء به وقال الشافعى فى قول لايلزم وعموم الآية حجة لنا لانها بمطلقها تتناول ذم من قال مالايفعله على اى وجه كان من مطلق اومقيد بشرط (ان الله يحب الذين يقاتلون) اعداء الله (فى سبيله) فى طريق مرضاته واعلاء دينه اى يرضى عنهم ويثنى عليهم (صفا) صف زده در برابر خصم وهو بيان لما هو مرضى عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح فى ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال وصفا مصدر وقع موقع الفاعل اوالمفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اى صافين انفسهم اومصوفين والصف ان يجعل الشئ على خط مستو كالناس والاشجار (كأنهم بنيان مرصوص) حال من المستكن فى الحال الاولى والبنيان الحائط وفى القاموس البناء ضد الهدم بناه بنيا وبناء وبنيانا وبنية وبناية والبناء المبنى والبنيان واحد لاجمع دل عليه تذكير مرصوص وقال بعضهم بنيان جمع بنيانة على حد نخل ونخلة وهذا النحو من الجمع يصح تأنيثه وتذكيره والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه كما قال فى تاج المصادر الرص استوار بر آوردن بنا قال ابن عباس رضى الله عنهما يوضع الحجر على الحجر ثم يرص باحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فيسميه اهل مكة المرصوص والمعنى حال كونهم مشبهين فى تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقال الراغب بنيان مرصوص اى محكم كأنما بنى بالرصاص يعنى كويا ايشان در استحكام بنا اندر يختنه ازارزيز وكاينست ازثبات قدم ايشان درمعركهٔ حرب وبيك ديكر باز چسبيدن وهو قول الفراء وتراصوا فى الصلاة اى تضايقوا فيها كما قال عليه السلام تراصوا بينكم فى الصلاة لايتخللكم الشياطين فالرحمة فى مثل هذا المقام رحمة فلا بد من سد الخلل اوالمحاذاة بالمناكب كالبنيان المرصوص ولاينافيه قول سفيان ينبغى ان يكون بين الرجلين فى الصف قدر ثلثى ذراع فذلك فى غيره كما فى المقاصد الحسنة وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لايصطفون على هذه الصفة كما فى الكشاف يقول الفقير الدليل على فضل الراكب على الراجل ان له سهمين من الغنيمة والمحاث عليه السلام على التراص لان المسلمين يومئذ كانوا راجلين غالبا ولم يجدوا راحلة ونحوها الاقليلا قال سعيد ابن جبير رضى الله عنه هذا تعليم من الله للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم ولذلك قالوا لايجوز الخروج من الصف الالحاجة تعرض للانسان اوفى رسالة يرسله الامام اومنفعة تظهر فى المقام المنتقل اليه كفرصة تنتهز ولاخلاف فيها وفى الخروج عن الصف للمبارزة خلاف لابأس بذلك ارهابا للعدو وطلبا للشهادة وتحريضا على القتال وقيل لايبرز احد لذلك لان فيه رياء اوخروجا الى مانهى الله عنه وانما تكون المبارزة اذا طلبها الكافر كما كانت فى حروب النبى عليه السلام يوم بدر وفى غزوة خيبر قال فى فتح الرحمن اما حكم الجهاد فهو فرض كفاية على المستطيع بالاتفاق اذا فعله البعض سقط عن الباقين وعند النفير العام وهو هجوم العدو يصير فرض عين بلاخلاف ففى الآية زجر عن التباطئ وحث على التسارع ودلالة على فضيلة الجهاد وروى فى الخبر انه لما كان يوم مؤتة بالضم موضع بمشارف الشام قتل فيه جعفر ابن ابى طالب وفيه كانت تعمل السيوف كما فى القاموس وكان عبد الله بن رواحة رضى الله عنه احد الامراء الذين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداهم يااهل المجلس هذا الذى وعدكم ربكم فقاتل حتى قتل

وكان عبدالله بن رواحة الانصارى شاعر رسول الله وكان يقص على اصحاب رسول الله فى مسجده صلى حياته وجلس اليه رسول الله يوما وقال امرت ان اجلس اليكم وامر ابن رواحة ان يمضى فى كلامه كما فى كشف الاسرار ثم ان الجهاد امامع الاعدآء الظاهرة كالكفار والمنافقين وامامع الاعدآء الباطنة كالنفس والشيطان وقال عليه السلام المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله والمهاجر من هاجر الخطايا والذنوب واعظم المجاهدة فى الطاعة الصلاة لان فيها سر الفناء وتشق على النفس (واذقال موسى لقومه) كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه السلام بطريق التلوين اى اذكر لهؤلاء المؤمنين المتقاعدين عن القتال وقت قول موسى لبنى اسرآئيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بأمره وعصوه اشدعصيان حيث قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك وآذوه عليه السلام كل الأذية كذا فى الارشاد يقول الفقير لاشك ان قتل الاعدآء من باب التسبيح لانهم الذين قالوا اتخذالله ولدا وعبدوا معه الاصنام فكان فى مقاتلتهم توسيع ساحة التنزية ولذا بدأ الله تعالى فى عنوان السورة بالتسبيح واشار بلفظ الحكيم الى ان القتل من باب الحكمة وانه من باب دفع القضاء بالقضاء على مايعرفه اهل الله وبلفظ العزيز الى غلبة المؤمنين المقاتلين ثم انهم كرهوا ذلك كأنهم لم يثقوا بوعدالله بالغلبة ووقعوا من حيث لم يحتسبوا فى ورطة نسبة العجز الى الله سبحانه ولذا تقاعدوا عن القتال وبهذا التقاعد حصلت الأذية له عليه السلام لان مخالفة اولى الامر اذية لهم فأشار الحق تعالى بقصة موسى الى ان الرسول حق وان الخروج عن طاعته فسق وان الفاسق مغضوب الله تعالى لان الهداية من باب الرحمة وعدمها من باب السخط والعياذ بالله تعالى من سخطه وغضبه واليم عذابه وعقابه (ياقوم) اى كروه من فأصله ياقومى ولذا تكسر الميم ولولا تقدير الياء لقيل ياقوم بالضم لانه حينئذ يكون مفردا معرفة فيبنى على الضم وهو ندآء بارفق والشفقة كما هو شأن الانبياء ومن يليهم (لم تؤذوننى) چرامى رنجانيد مرا اى بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به والاذى مايصل الى الانسان من ضرر امافى نفسه اوفى جسمه اوقنيانه دنيويا كان اواخرويا قال فى القاموس آذى فعل الأذى وصاحبه اذى واذاة واذية ولاتقل ايذاء انتهى فلفظ الايذآء فى افواه العوام من الاغلاط وربما تراه فى عبارات بعض المصنفين (وقد تعلمون انى رسول الله اليكم) جملة حالية مؤكدة لانكار الأذية ونفى سببها وقد لتحقيق العلم لاللتوقع ولاللتقريب ولاللتقليل فانهم قالوا ان قد اذادخلت على الحال تكون للتحقيق واذا دخلت على الاستقبال تكون للتقليل وصيغة المضارع للدلالة على استمرار العلم اى والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ماظهر بيدى من المعجزات انى مرسل من الله اليكم لارشدكم الى خيرالدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا فى تعظيمى وتسارعوا الى طاعتى فان تعظيمى تعظيم لله واطاعتى اطاعة له وفيه تسلية للنبى عليه السلام بأن الأذية قدكانت من الامم السالفة ايضا لانبيائهم والبلاء اذاعم خف وفى الحديث (رحمة الله على اخى موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر) وذلك انه عليه السلام لما قسم غنائم الطائف قال بعض المنافقين هذه القسمة ماعدل فيها وماأريد بها وجه الله فتغير وجهه الشريف وقال ذلك (فلما زاغوا) الزيغ الميل عن الاستقامة والتزايغ التمايل اى اصروا على الزيغ عن الحق الذى جاء به موسى واستمروا عليه (ازاغ الله قلوبهم) اى صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغى والضلال وقال الراغب فى المفردات اى لما فارقوا الاستقامة عاملهم بذلك وقال جعفر لما تركوا اوامر الخدمة نزع الله من قلوبهم نور الايمان وجعل للشيطان اليهم طريقا فأزاغهم عن طريق الحق وادخلهم فى مسالك الباطل وقال الواسطى لما زاغوا عن القربة فى العلم ازاغ الله قلوبهم فى الخلقة وقال بعضهم لما ازاغوا عن العباد ازاغ الله قلوبهم عن الارادة يقول الفقير لما زاغوا عن رسالة موسى ونبوته أزاغ الله قلوبهم عن ولايته وجعيته فهم رأوا موسى على انه موسى لاعلى انه رسول نبى فحرموا من رؤية الحق تعالى (والله لايهدى القوم الفاسقين) اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ماقبله من الازاغة ومؤذن بعليته اى لايهدى القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق

الآمرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لاهداية موصلة الى مايوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد جنس الفاسقين وهم داخلون فى حكمهم دخولا اوليا ووصفهم بالفسق نظرا الى قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين قال الامام هذه الآية تدل على عظم اذى الرسول حتى انه يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى انتهى * ويتبعد اذى العالمين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لان العلماء ورثة الانبياء فاذاهم فى حكم اذاهم فكما ان الانبياء والاولياء داعون الى الله تعالى على بصيرة فكذلك رسل القلوب فانهم يدعون القوى البشرية والطبيعية من الصفات البشرية السفلية الى الاخلاق الروحانية العلوية ومن ظلمة الخلقية الى نور الحقية فمن مال عن الحق وقبول الدعوة لعدم الاستعداد الذاتى ضل بالتوجه الى الدنيا والاقبال عليها فأنى يجد الهداية الى حضرة الحق سبحانه (واذ قال عيسى ابن مريم) امامعطوف على اذالاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها وابن هنا وفى عزير ابن الله باثبات الالف خطا لندرة وقوعه بين رب وعبد وذكر وانثى (يابنى اسرائيل) اى فرزندان يعقوب ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه فى قوله (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة) فان تصديقه عليه السلام اياها من اقوى الدواعى الى تصديقهم اياه اى ارسلت اليكم لتبليغ احكامه التى لابد منها فى صلاح اموركم الدينية والدنيوية درحالتى كه باوردارنده ام من آنجيز راكه پيش منست ازكتاب تورات يعنى قبل ازمن نازل شده ومن تصديق كرده ام كه آن ازنزد خداست وقال ابو الليث يعنى اقرأ عليكم الانجيل موافقا للتوراة فى التوحيد وبعض الشرآئع قال القاضى فى تفسيره ولعله لم يقل ياقوم كما قال موسى لانه لانسب له فيهم اذالنسب الى الآباء والافرع من بنى اسرآئيل لان اسرآئيل لقب يعقوب ومريم من نسله ثم ان هذا دل على ان تصديق المتقدم من الانبياء والكتب من شعائر اهل الصدق ففيه مدح لامة محمد عليه السلام حيث صدقوا الكل (ومبشرا) التبشير مژده دادن (برسول يأتى من بعدى) معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام من حيث ان البشارة به واقعة فى التوراة والعامل فيهما مافى الرسول من معنى الارسال لاالجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل عن تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اى ارسلت اليكم حال كونى مصدقا لماتقدمنى من التوراة ومبشرا بمن يأتى من بعدى من رسول وكان بين مولده وبين الهجرة ستمائة وثلاثون سنة وقال بعضهم بشرهم به ليؤمنوا به عند مجيئه اوليكون معجزة لعيسى عندظهوره والتبشير به تبشير بالقرآن ايضا وتصديق له كالتوراة (اسمه احمد) اى محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان دينى التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر فذكر اول الكتب المشهورة الذى يحكم به النبيون والنبى الذى هو خاتم النبيين وعن اصحاب رسول الله انهم قالوا اخبرنا يارسول الله عن نفسك قال انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورأت امى رؤيا حين حملتنى انه خرج منها نور اضاء لها قصور بصرى فى ارض الشام وبصرى كحبلى بلد بالشام وكذا بشر كل نبى قومه بنبينا محمد عليه السلام والله تعالى افرد عيسى عليه السلام بالذكر فى هذا الموضع لانه آخر نبى قبل نبينا فبين ان البشارة به عمت جميع الانبياء واحدا بعد واحد حتى انتهت الى عيسى كما فى كشف الاسرار وقال بعضهم كان بين رفع المسيح ومولد النبى عليه السلام خمسمائة وخمس واربعون سنة تقريبا وعاش المسيح الى ان رفع ثلاثا وثلاثين سنة وبين رفعه والهجرة الشريفة خمسمائة وثمان وتسعون سنة ونزل عليه جبريل عشر مرات وامته النصارى على اختلافهم ونزل على نبينا عليه السلام اربعة وعشرين الف مرة وامته امة مرحومة جامعة لجميع الملكات الفاضلة قيل قال الحواريون لعيسى ياروح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة محمد حكماء علماء ابرار اتقياء كأنهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل واحمد اسم نبينا صلى الله عليه وسلم قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى كتاب تلقيح الاذهان سمى من حيث تكرر حمده محمد ومن حيث كونه حامل لوآء الحمد احمد انتهى قال الراغب احمد اشارة للنبى عليه السلام باسمه تنبيها على انه كما وجد اسمه احمد يوجد جسمه وهو محمود فى اخلاقه وافعاله واقواله وخص لفظ احمد فيما بشر به عيسى تنبيها انه احمد منه ومن الذين قبله انتهى ويوافقه مافى كشف الاسرار من ان الالف فيه للمبالغة فى الحمد وله وجهان احدهما انه مبالغة من الفاعل اى الانبياء كلهم حامدون لله تعالى وهو اكثر

حمدا من غيره والثانى انه مبالغة من المفعول اى الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مناقب واجمع للفضائل والمحاسن التى يحمد بها انتهى * زصد هزار محمد كه درجهان آيد
يكى بمنزلت وفضل مصطفى نرسد * قال ابن الشيخ فى حواشيه يحتمل ان يكون احمد منقولا من الفعل المضارع وان يكون منقولا من صفة وهى افعل التفضيل وهو الظاهر وكذا محمد فانه منقول من الصفة ايضا وهو فى معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فانه محمود فى الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة ومحمود فى الآخرة بالشفاعة وقال الامام السهيلى فى كتاب التعريف والاعلام احمد اسم علم منقول من صفة لا من فعل وتلك الصفة افعل التى يراد بها التفضيل فمعنى احمد احمد الحامدين لربه عزوجل وكذلك قال هو فى المعنى لانه يفتح عليه فى المقام المحمود بمحامد لم تفتح على احد قبله فيحمد ربه بها وكذلك يعقد لواء الحمد واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو فى معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فمحمد هو الذى حمد مرة بعد مرة كما ان المكرم من اكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله تعالى سماه به قبل ان يسمى به نفسه فهذا علم من اعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود فى الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد ربه فنبأه وشرفه ولذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذى هو محمد فذكره عيسى عليه السلام فقال اسمه احمد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلنى من امة احمد فباحمد ذكره قبل ان يذكره بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك فى الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التى يفتحها عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف كان ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر فى الذكر وفى الوجود وفى الدنيا وفى الآخرة تلح لك الحكمة الالهية فى تخصيصه بهذين الاسمين وانظر كيف انزلت عليه سورة الحمد وخص بها دون سائر الانبياء وخص بلواء الحمد وخص بالمقام المحمود وانظر كيف شرع له سنة وقرءآنا ان يقول عند اختتام الافعال وانقضاء الامور الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقال ايضا وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين تنبيها لنا على ان الحمد مشروع عند انقضاء الامور وسن عليه السلام الحمد بعد الاكل والشرب وقال عند انقضاء السفر آيبون تائبون لربنا حامدون ثم انظر لكونه عليه السلام خاتم الانبياء ومؤذنا بانفصال الرسالة وانقطاع الوحى ونذيرا بقرب الساعة وتمام الدنيا مع ان الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الامور مشروع عندها تجد معانى اسمه جميعا وما خص به من الحمد والمحامد مشاكلا لمعناه مطابقا لصفته وفى ذكره برهان عظيم وعلم واضح على نبوته وتخصيص الله له بكرامته وانه قدم له هذه المقامات قبل وجوده تكرمة له وتصديقا لامره عليه السلام انتهى كلام السهيلى يقول الفقير الذى يلوح بالبال ان تقدم الاسم احمد على الاسم محمد من حيث انه عليه السلام كان اذ ذاك فى عالم الارواح متميزا عن الاحد بميم الامكان فدل قلة حروف اسمه على تجرده التام الذى يقتضيه موطن عالم الارواح ثم انه لما تشرف بالظهور فى عالم العين الخارجى وخلع الله عليه من الحكمة خلعة اخرى زائدة على الخلع التى قبلها ضوعف حروف اسمه الشريف فقيل محمد على ما يقتضيه موطن العين ونشأة الوجود الخارجى ولا نهاية للاسرار والحمد لله تعالى قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى كتاب مواقع النجوم ما انتظم من الوجود شئ بشئ ولا انضاف منه شئ الى شئ الا لمناسبة بينهما ظاهرة اوباطنة فالمناسبة موجودة فى كل الاشياء حتى بين الاسم والمسمى ولقد اشار ابو زيد السهيلى وان كان اجنبيا عن اهل هذه الطريقة الى هذا المقام فى كتاب المعارف والاعلام له فى اسم النبى عليه السلام محمد واحمد وتكلم على المناسبة التى بين افعال النبى عليه السلام واخلاقه وبين معانى اسميه محمد واحمد انتهى كلام الشيخ اشار رضى الله عنه الى ما قدمناه من كلام السهيلى وقال بعض العارفين سمى عليه السلام باحمد لكون حمده اتم واشمل من حمد سائر الانبياء والرسل اذ محامدهم لله انما هى بمقتضى توحيد الصفات والافعال وحمده عليه السلام انما هو بحسب توحيد الذات المستوعب لتوحيد الصفات والافعال انتهى * قال فى فتح الرحمن لم يسم باحمد احد غيره ولا دعى به مدعو قبله وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده اى من الكهان

والاحبار ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسى ومحمد بن مسلمة الانصارى ومحمد بن البراء البكرى ومحمد بن سفيان ابن مجاشع ومحمد بن حمد الجعفى ومحمد بن خزاعة السلمى فهم ستة لاسابع لهم ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعى النبوة اويدعيها احد له اويظهر عليه سبب يشكك احدا فى امره حتى تحققت السمتان له عليه السلام ولم ينازع فيهما انتهى * واختلف فى عدد اسماء النبى عليه السلام فقيل له عليه السلام الف اسم كما ان الله تعالى الف اسم وذلك فانه عليه السلام مظهر تام له تعالى فكما ان اسماءه تعالى اسماء له عليه السلام من جهة الجمع فله عليه السلام اسماء اخر من جهة الفرق على ما تقتضيه الحكمة فى هذا الموطن فن اسمائه محمد اى كثير الحمد لان اهل السماء والارض حمدوه فى الدنيا والآخرة ومنها احمد اى اعظم حمدا من غيره لانه حمد الله تعالى بمحامد لم يحمد بها غيره ومنها المقفى بتشديد الفاء وكسره لانه اتى عقب الانبياء وفى قفاهم وفى التكملة هو الذى قفى على اثر الانبياء اى اتبع آثارهم ومنها نبى التوبة لانه كثير الاستغفار والرجوع الى الله اولان التوبة فى امته صارت اسهل الا ترى ان توبة عبدة العجل كانت بقتل النفس اولان توبة امته كانت ابلغ من غيرهم حتى يكون التائب منهم كمن لاذنب له لايؤاخذ به فى الدنيا ولا فى الآخرة وغيرهم يؤاخذ فى الدنيا لا فى الآخرة ومنها نبى الرحمة لانه كان سبب الرحمة وهو الوجود لقوله تعالى لولاك لما خلقت الافلاك وفى كتاب البرهان للكرمانى لولاك يا محمد لما خلقت الكائنات خاطب الله النبى عليه السلام بهذا القول انتهى قيل الاولى ان يحترز عن القول بانه لولا نبينا عليه السلام لما خلق الله آدم وان كان هذا شيأ يذكره الوعاظ على رؤوس المنابر يرون به تعظيم محمد عليه السلام لان النبى عليه السلام وان كان عظيم المرتبة عند الله لكن لكل نبى من الانبياء مرتبة ومنزلة وخاصية ليست لغيره فيكون كل نبى اصلا لنفسه كذا فى التاتارخانية يقول الفقير كان عليه السلام نبى الرحمة لانه هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية على وجه الزمان قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال امير المؤمنين على رضى الله عنه كان فى الارض امانان فرفع احدهما وبقى الآخر فاما الذى رفع فهو رسول الله عليه السلام واما الذى بقى فالاستغفار وقرأ بعد هذه الآية ومنها نبى الملحمة اى الحرب لانه بعث بالقتال فان قلت المبعوث بالقتال كيف يكون رحمة قلت كان امم الانبياء يهلكون فى الدنيا اذا لم يؤمنوا بهم بعد المعجزات ونبينا عليه السلام بعث بالسيف ليرتدعوا به عن الكفر ولا يستأصلوا وفى كونه عليه السلام نبى الحرب رحمة ومنها الماحى وهو الذى محا الله به الكفر اوسيئات من اتبعه ومنها الحاشر وهو الذى يحشر الناس على قدمه اى على اثره ويجوز ان يراد بقدمه عهده وزمانه فيكون المعنى ان الناس يحشرون فى عهده اى فى دعوته من غير ان تنسخ ولا تبدل ومنها العاقب وهو الذى ليس بعده نبى لامشرعا ولا متابعا اى قد عقب الانبياء وانقطعت النبوة قال عليه السلام ياعلى انت منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لانبى بعدى اى بالنبوة العرفية بخلاف النبوة التحقيقية التى هى الانباء عن الله فانها باقية الى يوم القيامة الا انه لايجوز ان يطلق على اهلها النبى لايهامه النبوة العرفية الحاصلة بمجئ الوحى بواسطة جبرائيل عليه السلام ومنها الفاتح فان الله فتح به الاسلام ومنها الكاف قيل معناه الذى ارسل الى الناس كافة وليس هذا بصحيح لان كافة لايتصرف منه فعل فيكون منه اسم فاعل وانما معناه الذى كف الناس عن المعاصى كذا فى التكملة يقول الفقير هذا اذا كان الكاف مشددا واما اذا كان مخففا فيجوز ان يشار به الى المعنى الاول كما قال تعالى يس اى ياسيد البشر ومنها صاحب الساعة لانه بعث مع الساعة نذير الناس بين يدى عذاب شديد ومنها الرؤف والرحيم والشاهد والمبشر والسراج والمنير وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وقثم اى الجامع للخير ومنها ن اشارة الى اسم النور والناصر ومنها المتوكل والمختار والمحمود والمصطفى واذا اشتقت اسماؤه من صفاته كثرت جدا ومنها الخاتم بفتح التاء اى احسن الانبياء خلقا وخلقا فكانه جمال الانبياء كالخاتم الذى يتجمل به اى لما اتقنت به النبوة وكملت كان كالخاتم الذى يختم به الكتاب عند الفراغ منه واما الخاتم بكسر التاء فمعناه انه آخر الانبياء فهو اسم فاعل من ختم ومنها راكب الجمل سماه به شعيا النبى عليه السلام فان قلت لم خص بركوب الجمل وقد كان يركب غيره كالفرس والحمار قلت كان عليه السلام من العرب لامن غيرهم كما قال احب العرب لثلاث لانى عربى والقرآن عربى

ولسان اهل الجنة عربي والجمل مركب العرب مختص بهم لا ينسب الى غيرهم من الامم ولا يضاف اسواهم ومنها صاحب الهراوة سماه به سطيح الكاهن والهراوة بالكسر العصا فان قلت لم خص بالعصا وقد كان غيره من الانبياء يمسكها قلت العصا كثيرا ما تستعمل فى ضرب الابل وتخص بذلك كما قال به كثير فى صفة البعير

ينوخ ثم يضرب بالهراوى * فلا عرف لديه ولا نكير

فركوبه الجمل وكونه صاحب هراوة كناية عن كونه عربيا وقيل هى اشارة الى قوله فى الحديث فى صفة الحوض اذود الناس عنه بعصاى ومنها روح الحق سماه به عيسى عليه السلام فى الانجيل وسماه ايضا المنحنا بمعنى محمد يا خود آنكه خداى بفرستداو را بعد از مسيح و فى التكملة هو بالسريانية ومنها حياطى بالعبرانية وبرقليطس بالرومية بمعنى محمد وماذماذ بمعنى طيب طيب وفارقليطا مقصورا بمعنى احمد وروى فارقليط بالباء وقيل معناه الذى يفرق بين الحق والباطل وروى ان معناه بلغة النصارى ابن الحمد فكأنه محمد واحمد (وروى) انه عليه السلام قال اسمى فى التوراة احيد لانى احيد امتى عن النار واسمى فى الزبور الماحى محا الله بى عبدة الاوثان واسمى فى الانجيل احمد وفى القرآن محمد لانى محمود فى اهل السماء والارض فان قلت قال رسول الله عليه السلام لى خمسة اسماء فذكر محمدا واحمد والماحى والحاشر والعاقب وقد بلغت اكثر من ذلك قلت تخصيص الوارد لا ينافى ما سواه فقد خص الخمسة اما لعلم السامع بما سواها فكأنه قال لى خمسة زائدة على ما تعلم او افضل فيها كأنه قال لى خمسة اسماء فاضلة معظمة او لشهرتها كأنه قال لى خمسة اسماء مشهورة اولغير ذلك مما يحتمله اللفظ من المعانى وقيل لان الموحى اليه فى ذلك الوقت كان هذه الاسماء وقيل كانت هذه الاسماء معروفة عند الامم السابقة ومكتوبة فى الكتب المتقدمة وفيه ان اسماءه الموجودة فى الكتب المتقدمة تزيد على الخمسة كما فى التكملة لابن عسكر (فلما جاءهم) اى الرسول المبشر به الذى اسمه احمد كما يدل عليه الآيات اللاحقة واما ارجاعه الى عيسى كما فعله بعض المفسرين فبعيد جدا وكون ضمير الجمع راجعا الى بنى اسرائيل لا ينافى ما ذكرنا لان نبينا عليه السلام مبعوث الى الناس كافة (بالبينات) اى بالمعجزات الظاهرة كالقرآن ونحوه والباء للتعدية ويجوز ان تكون للملابسة (قالوا هذا) مشيرين الى ما جاء به اواليه عليه السلام (سحر مبين) ظاهر سحريته بلا مرية وتسميته عليه السلام سحرا للمبالغة ويؤيده قرآءة من قرأ هذا ساحر وفى الآية اشارة الى عيسى القلب واسرائيل الروح وبنيه النفس والهوى وسائر القوى الشريرة فانها متولدة من الروح والقالب منسلخة عن حكم ابيها فدعاها عيسى القلب من الظلمات الطبيعية الى الانوار الروحانية وبشرها باحمد السر لكونه احمد من عيسى القلب لعلو مرتبته عليه فلما جاءها بصور التجليات الصفاتية والاسمائية قالت هذا امر وهمى متخيل لا وجود له ظاهر البطلان وهكذا براهين اهل الحق مع المنكرين (ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب) وكيست ستمكارتر ازان كس كه دروغ مى سازد بر الله والفرق بين الكذب والافتراء هو ان الافتراء افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه (وهو) اى والحال ان ذلك المفترى (يدعى) من لسان الرسول (الى الاسلام) الذى به سلامة الدارين اى اى الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذى يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر فاللام فى الكذب للعهد اى هو اظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفى المساوى ومن الافتراء على الله الكذب فى دعوى النسب والكذب فى الرؤيا والكذب فى الاخبار عن رسول الله عليه السلام واعلم ان الداعى فى الحقيقة هو الله تعالى كما قال تعالى والله يدعو الى دار السلام بامره الرسول عليه السلام كما قال ادع الى سبيل ربك وفى الحديث عن ربيعة الجرشى (قال اتى نبى الله عليه السلام فقيل له لتنم عينك ولتسمع اذنك وليعقل قلبك) قال فنامت عيناى وسمعت اذناى وعقل قلبى قال فقيل لى سيد بنى دارا فصنع مأدبة وارسل داعيا فمن اجاب الداعى دخل الدار واكل من المأدبة ورضى عنه السيد ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة وسخط عليه السيد قال فالله السيد ومحمد الداعى والدار الاسلام والمأدبة الجنة ودخل فى دعوة النبى دعوة ورثته لقوله ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى ولا بد ان يكون الداعى اميرا او مأمورا وفى المصابيح فى كتاب العلم قال عوف بن مالك رضى الله عنه لا يقص الا امير او مأمور او مختال رواه ابو داود وابن ماجه قوله

اومختال هو المتكبر والمراد به هنا الواعظ الذى ليس بامير ولا مأمور مأذون من جهة الامير ومن كانت هذه
صفته فهو متكبر فضولى طالب للرياسة وقيل هذا الحديث فى الخطبة خاصة كما فى المفاتيح (والله لا يهدى
القوم الظالمين) اى لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه (يريدون ليطفئوا نور الله) الاطفاء
الاخماد وبالفارسية فرو كشتن آتش وچراغ اى يريدون أن يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام
مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها فى لا ابا لك
او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله وقال الراغب فى المفردات الفرق ان فى قوله تعالى يريدون ان يطفئوا
نور الله يقصدون اطفاء نور الله وفى قوله تعالى ليطفئوا يقصدون امرا يتوصلون به الى اطفاء نور الله
(بافواههم) بطعنهم فيه وبالفارسية بدهنهاء خود يعنى بگفتار نا پسنديده وسخنان بى ادبانه مثلت
حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس ليطفئه (والله متم نوره) اى مبلغه الى غايته بنشره فى الآفاق واعلائه
جملة حالية من فاعل يريدون او يطفئوا (ولو كره الكافرون) اتمامه ارغاما لهم وزيادة فى مرض قلوبهم
ولو بمعنى ان وجوابه محذوف اى وان كرهوا ذلك فالله يفعله لا محالة (قال الكاشفى) وكراهت ايشانرا
اثرى نيست در اطفاء چراغ صدق وصواب همچون ارادت خفاش كه غير مؤثرست در نابودن آفتاب *
شب پره خواهد كه نبود آفتاب * تا نبيند ديدۀ او مرز و بوم * دست قدرت هر صباحى شمع مهر *
مى فروزد كورئ خفاش شوم (وفى المثنوى) شمع حق را پف كنى تو اى عجوز * هم تو سوزى هم سرت
اى كنده پوز * كى شود دريا ز پوز سگ نجس * كى شود خرشيد از پف منطمس * هر كه بر شمع خدا
آرد پفو * شمع كى ميرد بسوزد پوز او * چون تو خفاشان بسى بينند خواب * كين جهان ماند
يتيم از آفتاب * اى بريده آن لب وحلق ودهان * كه كند تف سوى مه يا آسمان *
تف برويش باز گردد بى شكى * تف سوى گردون نيابد مسلكى * تا قيامت تف برو بارد ز رب *
همچو تبت بر روان بولهب * قال ابن الشيخ اتمام نوره لما كان من اجل النعم كان استكراه الكفار اياه
اى كافر كان من اصناف الكفرة غاية فى كفران النعمة فلذلك اسند كراهة اتمامه الى الكافرين فان لفظ الكافر
اليق بهذا المقام واما قوله ولو كره المشركون فانه قد ورد فى مقابلة اظهار دين الحق الذى معظم اركانه التوحيد
وابطال الشرك وكفار مكة كارهون له من اجل انكارهم للتوحيد واصرارهم على الشرك فالمناسب لهذا
المقام التعرض لشركهم لكونه العلة فى كراهتهم الدين الحق قال بعضهم جحدوا ما ظهر لهم من صحة نبوة النبى
عليه السلام وانكروه بالسنتهم واعرضوا عنه بنفوسهم فقيض الله لقبوله انفسا اوجدها على حكم السعادة
وقلوبا زينها بانوار المعرفة واسرارا نورها بالتصديق فبذلوا له المهج والاموال كالصديق والفاروق واجلة
الصحابة رضى الله عنهم يقول الفقير هكذا احوال ورثة النبى عليه السلام فى كل زمان فان الله تعالى تجلى لهم
بنور الازل والقدم فكرهه المنكرون وارادوا ان يطفئوه لكن الله اتم نوره وجعل لاهل تجليه اصحابا واخوانا
يذبون عنهم وينفذون امورهم الى ان يأتيهم امر الله تعالى ويقضوا نحبهم وفى الآية اشارة الى ان النفس
لابد وان تسعى فى ابطال نور القلب واطفائه لان النفس والهوى من المظاهر القهرية الجلالية المنسوبة
الى اليد اليسرى والروح والقلب من المظاهر الجمالية اللطفية المنسوبة الى اليد اليمنى كما جاء فى الحديث
الربانى) ان الله مسح بيده اليمنى على ظهر آدم الايمن فاستخرج منه ذرارى كالفضة البيضاء وقال هؤلاء
للجنة ومسح يده اليسرى على ظهر آدم الايسر فاستخرج منه كالحممة السوداء وقال هؤلاء للنار
فلابد للنفس من السعى فى اطفاء نور القلب وللقلب ايضا من السعى فى اطفاء نار النفس ولو كره الكافرون
الساترون القلب بالنفس الزارعون بذر النفس فى ارض القلب (هو الذى ارسل رسوله) محمدا صلى الله عليه وسلم
(بالهدى) بالقرآن او بالمعجزة فالهدى بمعنى ما به الاهتداء الى الصراط المستقيم (ودين الحق) والملة
الحنيفية التى اختارها لرسوله ولامته وهو من اضافة الموصوف الى صفته مثل عذاب الحريق (ليظهره على
الدين كله) ليجعله ظاهرا اى عاليا وغالبا على جميع الاديان المخالفة له (ولو كره المشركون) ذلك الاظهار
ولقد انجز الله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام فليس المراد
انه لا يبقى دين آخر من الاديان بل العلو والغلبة والاديان خمسة اليهودية والنصرانية والمجوسية والشرك

والاسلام كما فى دين المعانى للسجاوندى وقال السهيلى فى كتاب الامالى فى بيان فائدة كون ابواب النار سبعة وجدنا الاديان كما ذكر فى التفسير سبعة واحد للرحمن وستة للشيطان فالتى للشيطان اليهودية والنصرانية والصابئية وعبادة الاوثان والمجوسية وامم لاشرع لهم ولايقولون بنبوة وهم الدهرية فكأنهم كلهم على دين واحد اعنى الدهرية وكل من لايصدق برسول فهؤلاء ستة اصناف والصنف السابع هو من اهل التوحيد كالخوارج الذين هم كلاب النار وجميع اهل البدع المضلة والجبابرة الظلمة والمصرون على الكبائر من غير توبة ولا استغفار فان فيهم من ينفذ فيه الوعيد ومنهم من يعفوالله عنه فهؤلاء كلهم صنف واحد غير انه لايحتم عليهم بالخلود فيها فهؤلاء سبعة اصناف ستة مخلدون فى النار وصنف واحد غير مخلدوهم منتزعون يوم القيامة من اهل دين الرحمن ثم يخرجون بالشفاعة فقد وافق عدد الابواب عدد هذه الاصناف وتبينت الحكمة فى ذكرها فى القرآن لمافيها من التخويف والارهاب فنسأل الله العفو والعافية والمعافاة وفى بعض التفاسير الاشراك هو اثبات الشريك لله تعالى فى الالوهية سواء كانت بمعنى وجوب الوجود اواستحقاق العبادة لكن اكثر المشركين لم يقولوا بالاول لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فقد يطلق ويراد به مطلق الكفر بناء على ان الكفر لايخلو عن شرك مايدل عليه قوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك فان من المعلوم فى الدين انه تعالى لايغفر كفر غير المشركين المشهورين من اليهود والنصارى فيكون المراد لايغفر ان يكفر به وقد يطلق ويراد به عبدة الاصنام وغيرها فان أريد الاول فى قوله ولوكره المشركون يكون ايراده ثانيا لوصفهم بوصف قبيح آخر وان أريد الثانى فلعل ايراد الكافرين اولا لما ان اتمام الله نوره يكون بنسخ غير الاسلام والكافرون كلهم يكرهون ذلك وايراد المشركين ثانيا لما ان اظهار دين الحق يكون باعلاء كلمة الله واشاعة التوحيد المنبئ عن بطلان الآلهة الباطلة واشد الكارهين لذلك المشركون والله اعلم بكلامه وفى التأويلات النجمية هو الذى ارسل رسول القلب الى امة العالم الاصغر الذى هو المملكة الانفسية الاجمالية المضاهية للعالم الاكبر وهو المملكة الآفاقية التفصيلية بنور الهداية الازلية ودين الحق الغالب على جميع الأديان وهو الملة الحنيفية السهلة السمحاء ولوكره المشركون الذين اشركوا مع الحق غيره وماعرفوا ان الغير والغيرية من الموهومات التى اوجدتها قوة الوهم والا ليس فى الوجود الا الله وصفاته انتهى (قال الكمال الخجندى)

له فى كل موجود علامات وآثار * دوعالم پرزمعشوقست كويك عاشق صادق (وقال المولى الجامى)

كرتو بى جله درفضاى وجود * هم خود انصاف ده بكوحق كو * درهمه اوست پيش چشم شهود * چيست پندارى هستئ من وتو *

يقول الفقير هذه الكلمات المنبئة عن وحدة الوجود قد اتفق عليها اهل الشهود قاطبة فالطعن لواحد منهم بأنه وجودى طعن لجميعهم وليس الطعن الا من الحجاب الكثيف والجهل العظيم والا فالامر اظهر على البصير (ياايها الذين آمنوا هل ادلكم) آياد لالت كنم شمارا (على تجارة) سيأتى بيان معناها (تنجيكم) اى تكون سببا لانجاء الله اياكم وتخليصه وافادت الصفة المقيدة ان من التجارة مايكون على عكسها كما اشار اليها قوله تعالى يرجون تجارة لن تبور فان بوار التجارة وكسادها يكون لصاحبها عذابا اليما بجمع المال وحفظه ومنع حقوقه فانه وبال فى الآخرة فهى تجارة خاسرة وكذا الاعمال التى لم تكن على وجه الشرع والسنة اوأريد بها غير الله (من عذاب اليم) اى مؤلم جسمانى وهو ظاهر وروحانى وهو التحسر والتضجر كأنهم قالوا كيف نعمل اوماذا نصنع فقيل (تؤمنون بالله ورسوله) مراد انست كه ثابت باشيد برايمان كه داريد (وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم) بمالهاء خود كه زاد وسلاح مجاهدان خريد (وانفسكم) وبنفسهاء خود كه متعرض قتل وحرب شويد قدم الاموال لتقدمها فى الجهاد اوللترقى من الأدنى الى الأعلى وقال بعضهم قدم ذكر المال لان الانسان ربما يضن بنفسه ولانه اذا كان له مال فانه يؤخذ به النفس لتغزو وهذا خبر فى معنى الامر جيئ به للايذان بوجوب الامتثال فكأنه وقع فأخبر بوقوعه كما تقول غفر الله لهم ويغفر الله لهم جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت وقس عليه نحو سلمكم الله وعافاكم الله واعاذكم الله وفى الحديث جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم ومعنى الجهاد بالالسنة اسماعهم مايكرهونه ويشق عليهم سماعه من هجو وكلام غليظ

ونحو ذلك واخر الجهاد بالألسنة لانه اضعف الجهاد وادناه ويجوز ان يقال ان اللسان احد واشد تأثيرا من السيف والسنان قال على رضى الله عنه جراحات السنان لها التيام * ولا يلتام ما جرح اللسان فيكون من باب الترقى من الادنى الى الاعلى وكان حسان رضى الله عنه يجلس على المنبر فيهجو قريشا باذن رسول الله عليه السلام ثم ان التجارة التصرف فى رأس المال طلبا للربح والتاجر الذى يبيع ويشترى وليس فى كلام العرب تاء بعدها جيم غير هذه اللفظة واما تجاه فاصلها وجاه وتجوب وهى قبيلة من حمير فالتاء للمضارعة قال ابن الشيخ جعل ذلك تجارة تشبيها له فى الاشتمال على معنى المبادلة والمعاوضة طمعا لنيل الفضل والزيادة فان التجارة هى معاوضة المال بالمال لطمع الربح والايمان والجهاد شبها بها من حيث ان فيهما بذل النفس والمال طمعا لنيل رضى الله تعالى والنجاة من عذابه (قال الحافظ) فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ * كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد (ذلكم) اى ماذكر من الايمان والجهاد بقسميه (خير لكم) على الاطلاق او من اموالكم وانفسكم (ان كنتم تعلمون) اى ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون فعلى العاقل تبديل الفانى بالباقى فانه خير له وجاء رجل بناقة مخطومة وقال هذه فى سبيل الله فقال عليه السلام لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة بزركى فرموده كه اصل مرابحه درين تجارت انيست كه غير حق رابدهى وحق را بستانى ودر نفحات از ابى عبد الله البسرى قدس سره نقل ميكند كه بسروى آمد وكفت سبوى روغن داشتم كه سرمايهٔ من بود از خانه بيرون مى آوردم بيفتاد وبشكست وسرمايهٔ من ضايع شد كفت اى فرزند سرمايهٔ خود آن سازكه سرمايهٔ پدر تست والله كه پدر ترا هيچ نيست در دنيا وآخرت غير الله شيخ الاسلام عبد الله الانصارى قدس سره فرمودكه سود تمام آن بودى كه پدرش هم نبودى اشارة بمرتبهٔ فناست درباختن سود وسرمايهٔ دربازار شوق لقا * تاچند ببازار خودى بست شوى * بشتاب كه ازجام فنامست شوى * ازمايهٔ سود دوجهان دست بشوى * سود تو همان به كه تهى دست شوى * ودخل فى الآية جهاد اهل البدعة وهم ثنتان وسبعون فرقة ضالة آن كافر خرابى حصن اسلام خواهد اين مبتدع ويرانى حصار سنت جويد آن شيطان درتشويش ولايت دل كوشد اين هواى نفس زيروزبرى دين تو خواهد حق تعالى ترا هر يكى ازين دشمنان سلاحى داده تا اورا بدان قهر كنى قتال با كافران بشمشير سياست است وبا مبتدعان بتيغ زبان وحجت وبا شيطان بمداومت ذكر حق وتحقيق كلمه وبا هواى نفس بتير مجاهده وسنان رياضت اينست بهين اعمال بنده وكزيدهٔ طاعات رونده چنانچه رب العزة كفت ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وقال بعض الكبار يا ايها الذين آمنوا بالايمان التقليدى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله اى تحقيقا ويقينا استدلاليا وبعد صحة الاستدلال تجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم لان بذل المال والنفس فى سبيل الله لا يكون الا بعد اليقين واعلم ان التوحيد امالسانى واما عيانى اما التوحيد اللسانى المقترن بالاعتقاد الصحيح فأهله قسمان قسم بقوا فى التقليد الصرف ولم يصلوا الى حد التحقيق فهم عوام المؤمنين وقسم تشبثوا بذيل الحجج والبراهين النقلية والعقلية فهؤلاء وان خرجوا عن حد التقليد الصرف لكنهم لم يصلوا الى نور الكشف والعيان كما وصل اهل الشهود والعرفان واما التوحيد العيانى فعلى مراتب المرتبة الاولى توحيد الافعال والثانية توحيد الصفات والثالثة توحيد الذات فمن تجلى له الافعال توكل واعتصم ومن تجلى له الصفات رضى وسلم ومن وصل الى تجلى الذات فنى فى الذات بالمحو والعدم (يغفر لكم ذنوبكم) فى الدنيا وهو جواب الامر المدلول عليه بلفظ الخبر ويجوز ان يكون جوابا لشرط اولاستفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون وتفعلون ما دللتكم عليه يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة (ويدخلكم) فى الآخرة (جنات) اى كل واحد منكم جنة ولا بعد من لطفه تعالى ان يدخله جنات بان يجعلها خاصة له داخلة تحت تصرفه والجنة فى اللغة البستان الذى فيه اشجار متكاثفة مظلة تستر ما تحتها (تجرى من تحتها) اى من تحت اشجارها بمعنى تحت اغصان اشجارها فى اصولها على عروقها او من تحت قصورها وغرفها (الانهار)

من اللبن والعسل والخمر والماء الصافى (ومساكن طيبة) اى ويدخلكم مساكن طيبة ومنازل نزهة كائنة (فى جنات عدن) اى اقامة وخلود بحيث لايخرج منها من دخلها بعارض من العوارض وهذا الظرف صفة مختصة بمساكن وهى جمع مسكن بمعنى المقام والسكون ثبوت الشئ بعد تحرك ويستعمل فى الاستيطان يقال سكن فلان فى مكان كذا استوطنه واسم مكان مسكن فمن الاول يقال سكنت ومن الثانى يقال سكنته قال الراغب اصل الطيب مايستلذه الحواس وقوله ومساكن طيبة فى جنات عدن اى طاهرة زكية مستلذة وقال بعضهم طيبتها سعتها ودوام امرها وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه المساكن الطيبة فقال قصر من لؤلؤ فى الجنة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة قال فيعطى الله المؤمن من القوة فى غداة واحدة مايأتى على ذلك كله قال فى الكبير اراد بالجنات البساتين التى يتنا ولها الناظر لانه تعالى قال بعده ومساكن طيبة فى جنات عدن والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم فى جنات عدن ومناظرهم الجنات التى هى البساتين ويكون فائدة وصفها بانها عدن انها تجرى مجرى الدار التى يسكنها الانسان واما الجنات الآخر فهى جارية مجرى البساتين التى قديذهب الانسان اليها لاجل التنزه وملاقاة الاحباب وفى بعض التفاسير تسمية دارالثواب كلها بالجنات التى هى بمعنى البساتين لاشتمالها على جنات كثيرة مترتبة على مراتب بحسب استحقاقات العالمين من الناقصين والكاملين و لذلك اتى بجنات جمعا منكرا ثم اختلفوا فى عدد الجنات المشتملة على جنات متعددة فالمروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انها سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفى كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على تفاوت الاعمال والعمال (وروى) عنه انها ثمان دار الجلال ودار القرار ودار السلام وجنة عدن وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم وقال ابو الليث الجنان اربع كما قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذلك جنان اربع احداهن جنة الخلد والثانية جنة الفردوس والثالثة جنة المأوى والرابعة جنة عدن وابوابها ثمانية بالخبر وخازن الجنة يقال له رضوان وقد البسه الله الرأفة والرحمة كما ان خازن النار ويقال له مالك قد البسه الله الغضب والهيبة وميل الامام الغزالى رحمه الله الى كون الجنان اربعا فلعل الجنات فى الآية باعتبار الافراد لاباعتبار الاسماء ومايستفاد من قلتها بحسب ان الجمع السالم من جموع القلة ليس بمراد فانها فى الوجود الانسانى اربع جنان فالغالب فى الجنة الاولى التنعم بمقتضى الطبيعة من الاكل والشرب والوقاع وفى الثانية التلذذ بمقتضى النفس كالتصرفات وفى الثالثة التلذذ بالاذواق الروحانية كالمعارف الالهية وفى الرابعة التلذذ بالمشاهدات وذلك اعلى اللذات لانها من الخالق وغيرها من المخلوق ان قلت لم لم تذكر ابواب الجنة فى القرآن وانها ثمانية كما ذكرت ابواب النار كما قال تعالى لها سبعة ابواب قلت ان الله سبحانه انما يذكر من اوصاف الجنة مافيه تشويق اليها وترغيب فيها وتنبيه على عظم نعيمها وليس فى كونها ثمانية او اكثر من ذلك او اقل زيادة فى معنى نعيمها بل او دخلوا من باب واحد او من الف باب لكان ذلك سواء فى حكم السرور بالدخول ولذلك لم يذكر اسم خازن الجنة اذلا ترغيب فى ان يخبر عن اهل الجنة انهم عند فلان من الملائكة اوفى كرامة فلان وقد قال وسقاهم ربهم شرابا طهورا ولاشك ان من حدثت عنه انه عند الملك يسقيه ابلغ فى الكرامة من ان يقال هو عند خادم من خدام الملك اوفى كرامة ولى من اوليائه بخلاف ذكر ابواب النار وذكر مالك فان فيه زيادة ترهيب قال سهل قدس سره اطيب المساكن مازال عنهم جميع الاحزان واقر اعينهم بمجاورته فهذا الجوار فوق سائر الجوار وقال بعضهم ومساكن طيبة برؤيه الحق تعالى فان المساكن انما تطيب بملاقاة الاحباب ورؤية العاشق جمال المعشوق ووصول المحب الى صحبة المحبوب وكذا مساكن القلوب انما تطيب بتجلى الحق ولقاء جماله جعلنا الله واياكم من اهل الوصول واللقاء والبقاء (ذلك) اى ماذكر من المغفرة وادخال الجنات المذكورة بما ذكر من الاوصاف الجميلة (الفوز العظيم) الذى لافوز وراءه قال بعض المفسرين الفوز يكون بمعنى النجاة من المكروه وبمعنى الظفر بالبغية والاول يحصل بالمغفرة والثانى بادخال الجنة والتنعم فيها وعظمه باعتبار انه نجاة لاالم بعده وظفر لانقصان فيه شانا وزمانا ومكانا لانه فى غاية الكمال على الدوام فى مقام النعيم

اعلم ان الآية الكريمة افادت ان التجارة دنيوية واخروية فالدنيا موسم التجارة والعمر مدتها والاعضاء والقوى رأس المال والعبد هو المشترى من وجه والبائع من وجه فمن صرف رأس ماله الى المنافع الدنيوية التى تنقطع عند الموت فتجارته دنيوية كاسدة خاسرة وان كان بتحصيل علم دينى اوكسب عمل صالح فضلا عن غيرهما فانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى ومن صرفه الى المقاصد الاخروية التى لاتنقطع ابدا فتجارته رابحة حرية بان يقال فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ولعل المراد من التجارة هنا بذل المال والنفس فى سبيل الله وذكر الايمان لكونه اصلا فى الاعمال ووسيلة فى قبول الآمال وتوصيف التجارة بالانجاء لان النجاة يتوقف عليها الانتفاع فيكون قوله تعالى يغفر لكم بيان سبب الانجاء وقوله ويدخلكم بما يتعلق به بيان المنفعة الحاصلة من التجارة معان التجارة الدنيوية تكون سببا للنجاة من الفقر المنقطع والتجارة الاخروية تكون سببا للنجاة من الفقر الغير المنقطع قال عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ يعنى ان نعمتى الصحة والفراغ كرأس المال للمكلف فينبغى ان يعامل الله بالايمان به وبرسوله ويجاهد مع النفس لئلا يغبن ويربح فى الدنيا والآخرة ويجتنب معاملة الشيطان لئلا يضيع رأس ماله مع الربح (قال الحافظ) كارى كنيم ورنه خجالت براورد * روزى كه رخت جان بجهان دكر كشيم (وقال ايضا) كوهر معرفت اندوز كه با خود ببرى * كه نصيب دكر انست نصاب زروسيم (وقال ايضا) دلا دلالت خيرت كنم براه نجات * مكن بفسق مباهات وزهد هم مفروش (وقال المولى الجامى) ازكسب معارف شده مشغوف زخارف * در هاى ثمين داده وخرمهره خريده (وقال) جان فداى دوست كن جامى كه هست * كمترين كارى درين ره بذل روح (واخرى) اى ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة اخرى عاجلة فاخرى مبتدأ حذف خبره والجملة عطف على يغفر لكم على المعنى (تحبونها) وترغبون فيها وفيه تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وتوبيخ على محبته وهو صفة بعد صفة لذلك المحذوف (نصر من الله) بدل اوبيان لتلك النعمة الاخرى يعنى نصر من الله على عدوكم قريش وغيرهم (وفتح قريب) اى عاجل عطف على نصر (قال الكاشفى) مراد فتح مكه است يافتح روم وفارس ابن عطا فرموده كه نصر توحيد است وفتح نظر بجمال ملك مجيد وقدبين انواع الفتوح فى سورة الفتح فارجع * اشارة الآية الى ان الايمان الاستدلالى اليقينى وبذل المال والنفس بمقتضاه فى طريق الجهاد الاصغر وان كان تجارة رابحة الا ان اصحابها لم يتخلصوا بعد من الاعواض والاغراض فللسالك الى طريق الجهاد الاكبر تجارة اخرى فوق تلك التجارة اربح من الاولى هى نصر من الله بالتأييد الملكوتى والكشف النورى وفتح قريب الوصول الى مقام القلب ومطالعة تجليات الصفات وحصول مقام الرضى وانما سماه تجارة لان صفاتهم الظلمانية تبدل هناك بصفات الله النورانية وانما قال تحبونها لان المحبة الحقيقية لا تكون الا بعد الوصول الى مقام القلب ومن دخل مقام المحبة بالوصول الى هذا المقام فقد دخل فى اول مقامات الخواص فالمعتبر من المنازل منزل المحبة واهله عبيد خلص لايترقبون الاجرة بعملهم بخلاف من تنزل عن منزلة المحبة فانهم اجراء يعملون للاجرة قال بعض العارفين من عبد الله رجاء للثواب وخوفا من العقاب فمعبوده فى الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة فالعبادة لاجل تنعم النفس فى الجنة والخلاص من النار معلول ولهذا قال المولى جلال الدين الرومى قدس سره * هشت جنت هفت دوزخ پيش من * هست پيدا همچوبت پيش شمن (وقال بعضهم) طاعت از بهر جزا شرك خفيست * يا خدا اجو باش ويا عقبى طلب * واعلم ان من جاهد فانما يجاهد لنفسه لانه يتخلص من الحجاب فيصل الى الملك الوهاب (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل ياايها الذين آمنوا وبشرهم يا اكمل الرسل بانواع البشارة الدنيوية والاخروية فلهم من الله فضل واحسان فى الدارين وكان فى هذا دلالة على صدق النبى لانه اخبرعما يحصل ويقع فى المستقبل من الايام على ما اخبره وفى التأويلات النجمية يشير الى تواتر النعم وتواليها وفتح مكة القلب بعد النصر بخراب بلدة النفس وبشر المؤمنين المحبين الطالبين بالنصر على النفس وفتح مكة القلب انتهى وفيه اشارة الى ان بلدة النفس انما تخرب بعد التأييد الملكوتى وامداد جنود الروح بان تغلب القوى الروحانية على القوى النفسانية كما يغلب اهل الاسلام على اهل الحرب فيخلصون القلعة

من ايدى الكفار و يزيلون آثار الكفر والشرك بجعل الكنائس مساجد و بيوت الاصنام معابد ومساكن الكفار مقار المؤمنين المخلصين والله المعين على الفتح المطلق كل حين (يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله) اى انصار دينه جمع نصير كشريف واشراف (كما قال عيسى بن مريم للحواريين) سيأتى بيانهم (من) كيست (انصارى الى الله) قال بعض المفسرين من يحتمل ان يكون استفهاما حقيقة ليعلم وجود الانصار و يتسلى به و يحتمل العرض والحث على النصرة وفيه دلالة على ان غير الله تعالى لا يخلو عن الاحتياج والاستنصار وانه فى وقته جائز حسن اذا كان لله فى الله والمعنى من جندى متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى (قال الحواريون نحن انصار الله) فان قول عيسى لا يطابق جواب الحواريين بحسب الظاهر فان ظاهر قول عيسى يدل على انه يسأل من ينصره فكيف يطابقه جواب الحواريين بانهم ينصرون الله وايضا لا وجه لابقاء قول عيسى على ظاهره لان النصرة لا تتعدى بالى فحمل الانصار على الجند لانهم ينصرون ملكهم و يعينونه فى مراده ومراده عليه السلام نصرة دين الله فسأل من يتبعه و يعينه فى ذلك المراد و يشاركه فيه فقوله متوجها حال من ياء المتكلم فى جندى والى متعلق به لا بالنصرة والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص يعنى الملابسة المصححة للاضافة المجازية لظهور ان الاختصاص الذى تقتضيه الاضافة حقيقة غير محقق فى اضافة انصارى والاضافة الثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اى كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم عيسى من انصارى الى الله اوقل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص وهم اول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا قال مقاتل قال الله لعيسى اذا دخلت القرية فائت النهر الذى عليه القصارون فأسألهم النصرة فاتاهم عيسى وقال من انصارى الى الله فقالوا نحن ننصرك فصدقوه ونصروه (وقال الكاشفى) وفى الواقع نصرت كردند دين عيسى را بعد از رفع وى وخلق را بخدا دعوت نمودند فالحواريون كانوا قصارين وقيل كانوا صيادين قال بعض العلماء انما سموا حواريين لصفاء عقائدهم عن التردد والتلوين اولانهم كانوا يطهرون نفوس الناس بافادتهم الدين والعلم المشار اليه بقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا وانما قيل كانوا قصارين على التمثيل والتشبيه وانما قيل كانوا صيادين لاصطيادهم نفوس الناس وقودهم الى الحق وقوله عليه السلام الزبير ابن عمتى وحواريى وقوله يوم الاحزاب من يأتينى بخبر القوم فقال الزبير انا فقال عليه السلام ان لكل نبى حواريا وحواريى الزبير فشبههم بهم فى النصرة وقال بعض المفسرين دل الحديث على ان الحواريين ليسوا بمختصين بعيسى اذ هو فى معنى الاصحاب الاصفياء وقال معمر رضى الله عنه كان بحمد الله لنبينا عليه السلام حواريون نصروه حسب طاقتهم وهم سبعون رجلا وهم الذين بايعوه ليلة العقبة وقال السهيلى كونوا انصار الله فكانوا انصارا وكانوا حواريين والانصار الاوس والخزرج ولم يكن هذا الاسم قبل الاسلام حتى سماهم الله به وكان له عليه السلام حواريون ايضا من قريش مثل الخلفاء الاربعة والزبير وعثمان بن مظعون وحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن ابى طالب ونحوهم (فآمنت طائفة) اى جماعة وهى اقل من الفرقة لقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة (من بنى اسرائيل) اى آمنوا بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين (وكفرت طائفة) اخرى به وقاتلوه (فأيدنا الذين آمنوا) اى قوينا مؤمنى قومه بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى (على عدوهم) اى على الذين كفروا وهو الظاهر فايراد العدو اعلام منه ان الكافرين عدو للمؤمنين عداوة دينية وقيل لما رفع عيسى عليه السلام تفرق القوم ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه الله اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه الله وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم (فأصبحوا) صاروا (ظاهرين) غالبين عالين يقال ظهرت على الحائط علوته وقال قتادة فأصبحوا ظاهرين بالحجة والبرهان كما سبق لانهم قالوا فيما روى الستم تعلمون ان عيسى عليه السلام كان ينام والله تعالى لا ينام وانه يأكل و يشرب والله منزه عن ذلك وفى الآية اشارة الى غلبة القوى الروحانية

على القوى النفسانية لان القوى الروحانية مؤمنون متنورون بنور الله متقون عما سوى الله تعالى والقوى النفسانية كافرون مظلمون بظلمة الاكوان متلوثون بالعلاقات المختلفة ولا شك ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فبنور الاسلام والايمان والتقوى والهدى يزيل ظلمة الشرك والكفر والتعلق والهوى مع ان اهل الايمان وان كانوا اقل من اهل الكفر فى الظاهر لكنهم اكثر منهم فى الباطن فهم السواد الاعظم والمظاهر الجمالية واعلم ان الجهاد دائم باق ماض الى يوم القيامة انفسا وآفاقا لان الدنيا مشتملة على اهل الجمال والجلال وكذا الوجود الانسانى مادام فى هذا الموطن فاذا صار الى الموطن الآخر فاما اهل جمال فقط وهو فى الجنة واما اهل جلال فقط وهو فى النار والله يحفظنا واياكم

تمت سورة الصف بعون الله تعالى فى اواسط ذى الحجة من شهور سنة خمس عشرة ومائة والف

(سورة الجمعة احدى عشرة آية مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض) جميعا من حى وجامد تسبيحات مستمرة فما فى السموات هى البدائع العلوية وما فى الارض هى الكوائن السفلية فللكل نسبة الى الله تعالى بالحياة والتسبيح (الملك) پادشاهى كه ملك اوداعست وبى زوال (القدوس) پاك ازسمت عيب وصفت اختلال (العزيز) الغالب على كل ما اراد (الحكيم) صاحب الحكمة البديعة البالغة وقد سبق معانى هذه الاسماء فى سورة الحشر والجمهور على جر الملك وما بعده على انها صفات لاسم الله عزوجل يقول الفقير بدأ الله تعالى هذه السورة بالتسبيح لما فيها من ذكر البعثة اذ اخلاء العالم من المرشد مناف للحكمة ويجب تنزيه الله عنه ولما اشتملت عليه من بيان ادعاء اليهود كونهم ابناء الله واحباءه ولما ختمت به من ذكر ترك الذكر واستماع الخطبة المشتملة على الدعاء والحمد والتسبيح ونحو ذلك وفى التأويلات النجمية يعنى ينزه ذاته المقدسة ما فى سموات المفهوم من مفهومات العامة ومفهومات الخاصة ومفهومات اخص الخاصة وما فى ارض المعلوم من معلومات العامة ومعلومات الخاصة ومعلومات اخص الخاصة وانما اضفنا السموات الى المفهوم واضفنا الارض الى المعلوم لفوقية رتبة الفهم على رتبة العلم وذلك قوله ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما يدل على ذلك اصابة سليمان حقيقة المسألة المخصوصة بحسب نور الفهم لا بحسب قوة العلم وهو العزيز الذى يعز من يشاء بخلعة نور الفهم الحكيم الذى يشرف من يشاء بحكمته بلبسه ضياء العلم (هو الذى بعث فى الاميين) جمع امى منسوب الى امة العرب وهم قسمان فعرب الحجاز من عدنان وترجع الى اسماعيل عليه السلام وعرب اليمن ترجع الى قحطان وكل منهم قبائل كثيرة والمشهور عند اهل التفسير ان الامى من لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعند اهل الفقه من لا يعلم شيأ من القرآن كأنه بقى على ما تعلمه من امه من الكلام الذى يتعلمه الانسان بالضرورة عند المعاشرة والنبى الامى منسوب الى الامة الذين لم يكتبوا لكونه على عادتهم كقولك عامى لكونه على عادة العامة وقيل سمى بذلك لانه لم يكتب ولم يقرأ من كتاب وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه واعتماده على ضمان الله له عنه بقوله سنقرئك فلا تنسى وقيل سمى بذلك لنسبته الى ام القرى وفى كشف الاسرار سمى العرب اميين لانهم كانوا على نعت امهاتهم مذ كانت بلا خط ولا كتاب نسبوا الى ما ولدوا عليه من امهاتهم لان الخط والقراءة والتعليم دون ما جبل الخلق عليه ومن يحسن الكتابة من العرب فانه ايضا امى لانه لم يكن لهم فى الاصل خط ولا كتابة قيل بدئت الكتابة بالطائف تعلمها ثقيف واهل الطائف من اهل الحيرة بكسر الحاء وسكون المثناة من تحت بلد قرب الكوفة واهل الحيرة اخذوها من اهل الانبار وهى مدينة قديمة على الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ولم يكن فى اصحاب رسول الله عليه السلام كاتب الا حنظلة الذى يقال له غسيل الملائكة ويسمى حنظلة الكاتب ثم ظهر الخط فى الصحابة بعد فى معاوية بن ابى سفيان وزيد بن ثابت وكانا يكتبان لرسول الله عليه السلام وكان له كتاب ايضا غيرهما واختلفوا فى رسول الله عليه السلام انه هل تعلم الكتابة بآخرة من عمره اولا للعلماء فيه وجهان وليس فيه حديث صحيح ولما كان الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية لم يحتج اليه من كان القلم الاعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره وعدم كتابته مع علمه بها معجزة باهرة له عليه السلام اذ كان يعلم الكتاب علم الخط واهل الحرف حرفهم وكان اعلم بكل كمال

اخروى اودنيوى من اهله ومعنى الآية هو الذى بعث فى الاميين اى فى العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرأون من بين الامم فغلب الاكثر وانما قلنا اكثرهم لانه كان فيهم من يكتب ويقرأ وان كانوا على قلة (رسولا) كائنا (منهم) اى من جملتهم ونسبهم عربيا اميا مثلهم تارسالت اوازتهمت دور باشد فوجه الامتنان مشاكلة حاله لاحوالهم ونفى التعلم من الكتب فهم يعلمون نسبه واحواله ودركتاب شعيا عليه السلام مذكورست كه انى ابعث اميا فى الاميين واختم به النبيين (قال الكاشفى) ودرابيت آن حضرت عليه السلام نكتهاست اينجابه بيت اختصار ميرود * فيض ام الكتاب پروردش * لقب امى ازان خدا كردش * لوح تعليم ناكرفته ببر * همه زاسرار لوح داده خبر * برخط اوست انس وجان راسر * كه نخواند ست خط ازان چه خطر * والبعث فى الاميين لا ينافى عموم دعوته عليه السلام فالتخصيص بالذكر لا مفهوم له ولو سلم فلا يعارض المنطوق مثل قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس على انه فرق بين البعث فى الاميين والبعث الى الاميين فبطل احتجاج اهل الكتاب بهذه الآية على انه عليه السلام كان رسول الله الى العرب خاصة ورد الله بذلك ما قال اليهود للعرب طعنا فيه نحن اهل الكتاب وانتم اميون لا كتاب لكم (يتلو عليهم آياته) اى القرآن مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم والفرق بين التلاوة والقراءة ان التلاوة قراءة القرآن متتابعة كالدراسة والاوراد الموظفة والقراءة اعم لانها جمع الحروف باللفظ لا اتباعها (ويزكيهم) صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلو اى يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من خبائث العقائد والاعمال وفيه اشارة الى قاعدة التسليك فان المزكى فى الحقيقة وان كان هو الله تعالى كما قال بل الله يزكى من يشاء الا ان الانسان الكامل مظهر الصفات الالهية جميعا ويؤيد هذا المعنى اطلاق نحو قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله (ويعلمهم الكتاب والحكمة) قال فى الارشاد صفة اخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصلة بالعلم المترتب على التلاوة للايذان بأن كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة وهو السر فى التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة انتهى وقال بعضهم ويعلمهم القرآن والشريعة وهى ما شرع الله لعباده من الاحكام اولفظه ومعناه اوالقرآن والسنة كما قاله الحسن اوالكتاب الخط كما قاله ابن عباس اوالخير والشر كما قاله ابن اسحق والحكمة الفقه كما قاله مالك اوالعظة كما قاله الاعمش اوكتاب احكام الشريعة واسرار آداب الطريقة وحاصل معانيه الحكمية والحكمية ولكن تعليم حقائق القرآن وحكمه مختص بأولى الفهم وهم خواص الاصحاب رضى الله عنهم وخواص التابعين من بعدهم الى قيام الساعة لكن معلم الصحابة عموما وخصوصا هو النبى عليه السلام بلا واسطة ومعلم التابعين قرنا بعد قرن هو عليه السلام ايضا لكن بواسطة ورثة امته وكل اهل دينه وملته ولو لم يكن سوى هذا التعليم معجزة لكفاه قال البوصيرى فى القصيدة البردية

كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

اى كفاك العلم الكائن فى الامى فى وقت الجاهلية وكفاك ايضا تنبيهه على الآداب لعلمه بها فى وقت اليتم معجزة (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) ان ليست شرطية ولا نافية بل هى المخففة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والمعنى وان الشأن كان الاميون من قبل بعثة ومجيئه لفى ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية لا ترى ضلالا اعظم منه وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه السلام من الغير فان المبعوث فيهم اذا كانوا فى ضلال قبل البعثة زال توهم انه تعلم ذلك من احد منهم قال سعدى المفتى والظاهر ان نسبة الكون فى الضلال الى الجميع من باب التغليب والا فقد كان فيهم مهتدون مثل ورقة بن نوفل وزيد بن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهم ممن قال رسول الله عليه السلام فى كل منهم يبعث امة وحده يقول الفقير هو اعتراض على معنى الازاحة المذكورة لكنه ليس بشئ فان اهتداء من ذكره من نحو ورقة انما كان فى باب التوحيد فقط فقد كانوا فى ضلال من الشرائع والاحكام الا ترى الى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى مع انه عليه السلام لم يصدر منه قبل البعثة شرك ولا غيره من شرب الخمر والزنى واللغو واللهو

وكونهم مهتدين من وجه لاينافى كونهم ضالين من وجه اخر دل على هذا المعنى قوله تعالى يتلو عليهم الخ فان بالتلاوة وتعليم الاحكام والشرآئع حصل تزكية النفس والنجاة من الضلال مطلقا فعرفه (وآخرين منهم) جمع آخر بمعنى غير وهو عطف على الاميين اى بعثه فى الاميين الذين على عهده وفى آخرين من الاميين او على المنصوب فى يعلمهم اى يعلمهم ويعلم آخرين منهم وهم الذين جاؤا من العرب فمنهم متعلق بالصفة لآخرين اى وآخرين كائنين منهم مثلهم فى العربية والامية وان كان المراد العجم فمنهم يكون متعلقا بآخرين (قال الكاشفى) اصح اقوال آنست كه هر كه باسلام درآمده ودرمى آيد بعد از وفات آن حضرة عليه السلام همه درين آخرين داخلند فيكون شاملا لكل من اسلم وعمل صالحا الى يوم القيامة من عربي وعجمى وفى الحديث (ان فى اصلاب رجال من امتى رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب) ثم تلا الآية (لما يلحقوا بهم) صفة لآخرين اى لم يلحقوا بالاميين بعد ولم يكونوا فى زمانهم وسيلحقون بهم ويكونون بعدهم عربا وعجما وذلك لما ان منفى لما لابد ان يكون مستمر النفى الى الحال وان يكون متوقع الثبوت بخلاف منفى لم فانه يحتمل الاتصال نحو ولم اكن بدعائك رب شقيا والانقطاع مثل لم يكن شيأ مذكورا ولهذا جاز لم يكن ثم كان ولم يجز لما يكن ثم كان بل يقال لما يكن وقد يكون (روى) سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه ان النبى عليه السلام قال رأيتنى اسقى غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا اولها يا ابا بكر فقال يا نبى الله اما السود فالعرب واما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال عليه السلام كذلك اولها الملك يعنى جبرآئيل عليه السلام يقال شاة عفراء يعلو بياضها حمرة ويجمع على عفر مثل سوداء وسود وقيل لما يلحقوا بهم فى الفضل والمسابقة لان التابعين لايدركون شيأ مع الصحابة وكذلك العجم مع العرب ومن شرآئط الذين معرفة فضل العرب على العجم وحبهم ورعاية حقوقهم وفى الآية دليل على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول نفسه وبلاغه حجة لاهل زمانه ومن بلغ لقوله تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده (وهو العزيز) المبالغ فى العزة والغلبة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم (الحكيم) المبالغ فى الحكمة ورعاية المصلحة ولذلك اصطفاه من بين كافة البشر (ذلك) الذى امتاز به من بين سائر الافراد وهو ان يكون نبى ابناء عصره ونبى ابناء العصور الغوابر (فضل الله) واحسانه (يؤتيه من يشاء) تفضلا وعطية لاتأثير للاسباب فيه فكان الكرم منه صرفا لاتمازجه العلل ولاتكسبه الحيل (والله ذو الفضل العظيم) الذى يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة وفى كشف الاسرار والله ذو الفضل العظيم على محمد وذو الفضل العظم على الخلق بارسال محمد اليهم وتوفيقهم لمبايعته انتهى * يقول الفقير وايضا والله ذو الفضل العظيم على اهل الاستعداد من امة محمد بارسال ورثة محمد فى كل عصر اليهم وتوفيقهم للعمل بموجب اشاراتهم ولولا اهل الارشاد والدلالة لبقى الناس كالعميان لايدرون اين يذهبون وانما كان هذا الفضل عظيما لان غايته الوصول الى الله العظيم وقال بعض الكبار والله ذو الفضل العظيم اذ جميع الفضائل الاسمائية تحت الاسم الاعظم وهو جامع احدية جميع الاسماء وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور فقال قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم فقالوها وقالها الاغنياء فقيل انهم شاركونا فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وفى بعض الروايات اذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مخلصا وقال الغنى مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير فى فضله وتضاعف الثواب وان انفق الغنى معها عشرة آلاف درهم وكذلك اعمال البر كلها (قال الشيخ سعدى قدس سره) بقنطار زر بخش كردن زكنج * نباشد چو قيراطى از دست رنج (مثل الذين حملوا التوراة) اى علموها وكلفوا العمل بها وهم اليهود ومثلهم صفتهم العجيبة (ثم لم يحملوها) اى لم يعملوا بما فى تضاعيفها من الآيات التى من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله عليه السلام واقتنعوا بمجرد قراءتها (كمثل الحمار) الكاف فيه زآئدة كما فى الكواشى والحمار حيوان معروف يعبر به عن الجاهل كقولهم هو اكفر من الحمير اى اجهل لان الكفر من الجهالة فالتشبيه به لزيادة التحقير والاهانة ولنهاية التهكم والتوبيخ بالبلادة اذ الحمار يذكر بها والبقر وان كان مشهورا بالبلادة الا انه لايلائم الحمل

تعلم يافتى فالجهل عار * ولايرضى به الا الحمار

(يحمل اسفارا) اى كتبا من العلم يتعب بحملها ولاينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل

اوصفة للحمار اذليس المراد معينا فان المعرف بلام العهد الذهنى فى حكم النكرة كما فى قول من قال
واقدام على اللئيم يسبنى والاسفار جمع سفر بكسر السين وهوا لكتاب كشبر واشبار قال الراغب السفر الكتاب
الذى يسفر عن الحقائق اى يكشف وخص لفظ الاسفار فى الآية تنبيها على ان التوراة وان كانت تكشف
عن معانيها اذاقرئت وتحقق مافيها فالجاهل لايكاد يستبينها كالحمار الحامل لها وفى القاموس السفر الكتاب
الكبير اوجزء من اجزاء التوراة وفى هذا تنبيه من الله على انه ينبغى لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعلم مافيه
ويعمل به لئلا يلحقه من الذم مالحق هؤلاء (قال الشيخ سعدى) مراد ازنزول قرآن تحصيل سيرت خوبست
نه ترتيل سورهٔ مكتوب * علم چند انكه بيشتر خوانى * چون عمل درتو نيست نادانى * نه محقق بود
نه دانشمند * چار پايى بروكتابى چند * آن تهى مغزرا چه علم وخبر * كه بروهيزمست يادفتر *
(وقال الكاشفى) كفت ايزد بحمل اسفاره * بار باشد علم كان نبود زهو * علماء اهل دل حمالشان *
علماء اهل تن احمالشان * علم چون بردل زند يارى بود * علم چون برگل زند بارى بود *
چون بدل خوانى زحق كيرى سبق * چون بكل خوانى سيه سازى ورق * وفى التأويلات النجمية
يعنى مثل يهود النفس فى حمل توراة العلم والمعرفة بصحة رسالة القلب وعدم اتباع رسومه واحكامه كمثل حمار
البدن فى حمله اثقال الامتعة النفيسة والاقمشة الشريفة والملابس الفاخرة والطيالس الناعمة فكما ان حمار
البدن لايعرفها ولايعرف شرفها ولا كرامتها كذلك يهود النفس لاتعرف رفعة رسول القلب ولارتبته
ونعم ما يحكى عن بعض الظرفاء انه حضر دعوة لطعام فلم يلتفتوا اليه واجلسوه فى مكان نازل ثم انه خرج
واستعار البسة نفيسة وعاد الى المجلس فلما راوه على زى الاكابر عظموه واجلسوه فوق الكل فلما حضر الطعام
قال ذلك الظريف خطابا الكمه كل والكم لايدرى ما الطعام وما اللذة لكن نظر اهل الصورة مقصور على الظاهر
لايرون الفضل الا بالزخارف والزين فما ابعد هؤلاء عن ادراك المعانى والحقائق (بئس مثل القوم الذين كذبوا
بآيات الله) اى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر له مستتر
والمذكور هو المخصوص بالذم وهم اليهود الذين كفروا بما فى التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد
عليه السلام (والله لايهدى القوم الظالمين) الواضعين للتكذيب فى موضع التصديق اوالظالمين لانفسهم
بتعريضها للعذاب الخالد باختيار الضلالة على الهداية والشقاوة على السعادة والعداوة على العناية كاليهود
ونظائرهم وفيه تقبيح لهم بتشبيه حالهم بحال الحمار والمشبه بالقبيح قبيح وقدقال تعالى ان انكر الاصوات لصوت
الحمير فصوت الجاهل والمدعى منكر كصوت الحمار واضل وازل فهو ضار محض وفى الحمار نفع لانه يحمل الاثقال
ويركبه النساء والرجال وقدقال فى حياة الحيوان ان اتخذ خاتم من حافر الحمار الاهلى ولبسه المصروع لم يصرع
ثم ان فى الحمار شهوة زائدة على شهوات سائر الحيوانات وهى من الصفات الطبيعية البهيمية فمن ابدلها بالعفة
تخلص من التشبيه المذكور وكم نرى من العلماء الغيرا لعاملين ان اعينهم تدور على نظر الحرام ومع مالهم
من النكاح يتجاوزون الى الزنى لعدم اصلاح قوتهم الشهوية بالشريعة فان الشريعة اقوالهم لااعمالهم
واحوالهم نسأل الله العصمة مما يوجب المقت والنقمة انه ذو المنة والفضل والنعمة (قل يا ايها الذين هادوا)
من هاد يهود اذا تهود اى تهودوا والتهود جهودشدن ودين جهودداشتن وبالفارسية ايشان كه جهود
شديدوازراه راست بكشتيد فان المهاداة الممايلة ولذا قال بعض المفسرين اى مالوا عن الاسلام والحق
الى اليهودية وهى من الاديان الباطلة كما سبق قال الراغب الهود الرجوع برفق وصار فى التعارف التوبة
قال بعضهم يهود فى الاصل من قولهم انا هدنا اليك اى تبنا وكان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم
لازما لهم وان لم يكن فيه معنى المدح كما ان النصارى فى الاصل من قولهم نحن انصار الله ثم صار لازما لهم
بعد نسخ شريعتهم ثم ان الله تعالى خاطب الكفار فى اكثر المواضع بالواسطة ومنها هذه الآية لانهم ادخلوا
الواسطة بينهم وبين الله تعالى وهى الاصنام واما المؤمنون فان الله تعالى خاطبهم فى اغلب المواضع بلا واسطة
مثل يا ايها الذين آمنوا لانهم اسقطوا الوسائط فاسقط الله بينه وبينهم الواسطات (ان زعمتم) الزعم هو القول
بلادليل والقول بان الشئ على صفة كذا قولا غير مستند الى وثوق نحو زعمتك كريما وفى القاموس الزعم مثلثة
القول الحق والباطل والكذب ضده واكثر مايقال فيما يشك فيه انتهى * فبطل ماقال بعضهم من ان الزعم بالضم

بمعنى اعتقاد الباطل وبالفتح بمعنى قول الباطل قال الراغب الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلون به وقيل للمتكفل والرئيس زعيم للاعتقاد في قولهم انه مظنة للكذب (انكم اولياء لله) جمع ولى بمعنى الحبيب (من دون الناس) صفة اولياء اى من دون الاميين وغيرهم ممن ليس من بنى اسرائيل وقال بعضهم من دون المؤمنين من العرب والعجم يريد بذلك ما كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله خالصة وقالوا لن يدخل الجنة الامن كان هودا فامر رسول الله عليه السلام بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك (فتمنوا الموت) اى فتمنوا من الله ان يميتكم من دار البلية الى دار الكرامة وقولوا اللهم امتنا والتمنى تقدير شئ فى النفس وتصويره فيها وبالفارسية آرزو خواستن قال بعضهم الفرق بين التمنى والاشتهاء ان التمنى اعم من الاشتهاء لانه يكون فى الممتنعات دون الاشتهاء (ان كنتم صادقين) جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان كنتم صادقين فى زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من ايقن انه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التى هى قرارة الاكدار ولا يصل اليها احد الا بالموت قال البقلى جرب الله المدعين فى محبته بالموت وافرز الصادقين من بينهم لما غلب عليهم من شوق الله وحب الموت فتبين صدق الصادقين ههنا من كذب الكاذبين اذ الصادق يختار اللحوق اليه والكاذب يفر منه قال عليه السلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن ابغض لقاء الله ابغض الله لقاءه قال الجنيد قدس سره المحب يكون مشتاقا الى مولاه ووفاته احب اليه من البقاء اذ علم ان فيه الرجوع الى مولاه فهو يتمنى الموت ابدا (ولا يتمنونه ابدا) اخبار بما سيكون منهم وابدا ظرف بمعنى الزمان المتطاول لا بمعنى مطلق الزمان والمراد به ما داموا فى الدنيا وفى البقرة ولن يتمنوه لان دعواهم فى هذه السورة بالغة قاطعة وهى كون الجنة لهم بصفة الخلوص فبالغ فى الرد عليهم بلن وهو ابلغ الفاظ النفى ودعواهم فى الجمعة قاصرة مترددة وهى زعمهم انهم اولياء لله فاقتصر على لا كافى برهان القرآن (بما قدمت ايديهم) الباء متعلقة بما يدل عليه النفى اى يأبون التمنى بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصى الموجبة لدخول النار نحو تحريف احكام التوراة وتغيير النعت النبوى وهم يعرفون انهم بعد الموت يعذبون بمثل هذه المعاصى ولما كانت اليدين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بهما تارة عن النفس واخرى عن القدرة يعنى ان الايدى هنا بمعنى الذوات استعملت فيها لزيادة احتياجها اليها فكانها هى (والله عليم بالظالمين) وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم فى كل امورهم اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم احد موته وفى الحديث (لا يتمنين احدكم الموت اما محسنا فان يعش يزدد خيرا فهو خير له واما مسيئا فلعله ان يستعتب) اى يسترضى ربه بالتوبة والطاعة وما روى عن بعض ارباب المحبة من التمنى فلغاية محبتهم وعدم صبرهم على الاحتراق بالافتراق ولا كلام فى المشتاق المغلوب المجذوب كما قال بعضهم * غافلان از مرك مهلت خواستند * عاشقان كفتند نى زودباد * فالتمنى اوقات واحوال يجوز باعتبار ولا يجوز بآخر اما الحال فكما فى الاشتياق الغالب واما الوقت فكما اشار اليه قوله عليه السلام اللهم انى اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين فاذا اردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون (روى) انه عليه السلام قال فى حق اليهود لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى ثم ان الموت هو الفناء عن الارادات النفسانية والاوصاف الطبيعية كما قال عليه السلام موتوا قبل ان تموتوا فمن له صدق ارادة وطلب يحب ان يموت عن نفسه ولا يبالى سقط على الموت ام سقط الموت عليه وان كان ذلك مرا فى الظاهر لكنه حلو فى الحقيقة وفيه حياة حقيقية وشفاء للمرض القلبى * چه خوش كفت بكر و زدار وفروش * شفا بايدت دار وى تلخ نوش * واما من ليس له صدق ارادة وطلب فانه يهرب من المجاهدة مع النفس ويشق ان يذبح بقرة الطبيعة فهو عند الموت الطبيعى يقاسى من المرارات ما لا تفى ببيانه العبارات والله الحفيظ (قل ان الموت الذى تفرون منه) ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم (فانه ملاقيكم) البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه يعنى بكير دشعارا وشربت آن بچشيد وفرار سودى ندارد والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف اى باعتبار كون الموصوف بالموصول

فى حكم الموصول اى ان فررتم من الموت فانه ملاقيكم كأن الفرار سبب لملاقاته وسرعة لحوقه اذ لا يجد الفار بركة فى عمره بل يفر الى جانب الموت فيلاقيه الموت ويستقبله وقد قيل اذا ادبر الامر كان العطب فى الحيلة (ثم) اى بعد الموت الاضطرارى الطبيعى (تردون) الرد صرف الشئ بذاته او بحالة من احواله يقال رددته فارتد والآية من الرد بالذات مثل قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومن الرد الى حالة كان عليها قوله تعالى يردوكم على ادباركم (الى عالم الغيب والشهادة) الذى لا تخفى عليه احوالكم اى ترجعون الى حيث لا حاكم ولا مالك سواه وانما وصف ذاته بكونه عالم الغيب والشهادة باعتبار احوالهم الباطنة واعمالهم الظاهرة وقد سبق تمام تفسيره فى سورة الحشر (فينبئكم) پس خبر دهد شمارا (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصى والفواحش الظاهرة والباطنة بأن يجازيكم بها وفى التأويلات النجمية يشير الى الموت الارادى الذى هو ترك الشهوات ودفع المستلذات الذى تجتنبون منه لضعف همتكم الروحانية ووهن تهمتكم الربانية فانه ملاقيكم لا يفارقكم ولكن لا تشعرون به لانهماككم فى بحار الشهوات الحيوانية واستهلاككم فى تيار مشتهياتكم الظلمانية فانكم فى لبس من خلق جديد ولا تزالون فى الحشر والنشر كما قال وجاءهم الموج من كل مكان اى موج الموت فى كل لذة شهية ونعمة نعية ثم تردون الى عالم الغيب غيب النيات وغيب الطويات القلبية السرية والشهادة شهادة الطاعات والعبادات فينبئكم اى فيجازيكم بما كنتم تعملون بالنية الصالحة القلبية او بالنية الفاسدة النفسية انتهى وفيه اشارة الى انه كما لا ينفع الفرار من الموت الطبيعى كذلك لا ينفع الفرار من الموت الارادى لكن ينبغى للعاقل ان يتنبه لفنائه فى كل آن ويختار الفناء حبا للبقاء مع الله الملك المنان اعلم ان الفرار الطبيعى من الموت بمعنى استكراه الطبع وتنفره منه معذور صاحبه لان الخلاص منه عسير جدا الا للمشتاقين الى لقاء الله تعالى (حكى) انه كان ملك من الملوك اراد ان يسير فى الارض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذا طلب دابة فلم تعجبه حتى اتى بدواب فركب احسنها فجاء ابليس فنفخ فى منخره فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت امرا عظيما قال ان لى اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الا الآن فقهره على لجام دابته قال اذكرها قال هو سر فدنا اليه فساره وقال انا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعنى حتى ارجع الى اهلى واقضى حاجتى واودعهم قال لا والله لا ترى اهلك ومالك ابدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم مضى فلقى عبدا مؤمنا فى تلك الحال فسلم فرد عليه السلام فقال ان لى اليك حاجة اذكرها فى اذنك فقال هات فساره انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته فوالله ما كان فى الارض غائب احب الى ان القاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت لها فقال مالى حاجة اكبر عندى ولا احب من لقاء الله قال فاختر على اى حالة شئت ان اقبض روحك فقال اتقدر على ذلك قال نعم انى امرت بذلك قال فدعنى حتى اتوضأ واصلى فاقبض روحى وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد (وفى المثنوى) پس رجال از نقل عالم شادمان * وز بقايش شادمان اين كودكان * چونكه آب خوش نديد آن مرغ كور * پيش او كوثر نمايد آب شور * واما الفرار العقلى بمعنى استكراهه الموت او بمعنى الانتقال من مكان الى مكان فالاول منهما ان كان من الانهماك فى حظوظ الدنيا فمذموم وان كان من خوف الموقف فصاحبه معذور كما حكى ان سليمان الدارانى قدس سره قال قلت لامى اتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لانى لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف احب لقاءه وقد عصيته وقس عليه الاستكراه لرجاء الاستعداد لما بعد الموت واما الثانى منهما فغير موجه عقلا ونقلا اذ المشاهدة تشهد ان لا تخلص من الموت فاينما كان العبد فهو يدركه واما الفرار من بعض الاسباب الظاهرة للموت كهجوم النار المحرقة للدور والسيل المفرط فى الكثرة والقوة وحمل العدو الغالب والسباع والهوام الى غير ذلك فالظاهر انه معذور فيه بل مأمور واما الفرار من الطاعون فاريجه العقل والنقل عدم جوازه * اما العقل فما قاله الامام الغزالى رحمه الله من ان سبب الوباء فى الطب الهواء المضر واظهر طرق التداوى الفرار من المضر ولا خلاف انه غير منهى عنه الا ان الهواء لا يضر من حيث انه يلاقى ظاهر البدن من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرئة والقلب وباطن الاحشاء اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر الا بعد

طول التأثير فى الباطن فالخروج من البلد لايخلص غالبا من الاثر الذى استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما وانه اورخص للاصحاء فى الخروج لما بقى فى البلد الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم ولم يبق فى البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهما بانفسهم فيكون ذلك سعيا فى اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما ان خلاص الاصحاء منتظر فلو اقاموا لم تكن الاقامة قاطعة لهم بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع فى اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى الى الاشتكاء سائر اعضائه هذا هو الذى يظهر عندنا فى تعليل النهى وينعكس هذا فيما اذا لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهواء فى باطنه وليس له حاجة اليهم * واما النقل فقوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فانه انكار لخروجهم قرارا منه وتعجيب بشأنهم ليعتبر العقلاء بذلك ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله فالمنهى عنه هو الخروج فرارا فان الفرار من القدر لايغنى شيأ وفى الحديث (الفار من الطاعون كالفار من الزحف والصابر فيه له اجر شهيد) وفى الحديث يختصم الشهداء والمتوفون على فراشهم الى ربنا عزوجل فى الذين يتوفون فى الطاعون فيقول الشهداء اخواننا قتلوا كما قتلنا ويقول المتوفون اخواننا ماتوا على فراشهم كما متنا فيقول ربنا انظروا الى جراحهم فان اشبهت جراحهم جراح المقتولين فانهم منهم فاذا جراحهم قد اشبهت جراحهم يقول الفقير دل عليه قوله عليه السلام فى الطاعون انه وخز اعدائكم من الجن والوخز طعن ليس بنافذ والشيطان له ركض وهمز ونفث ونفخ ووخز والجنى اذا وخز العرق ومن مراق البطن اى مارق منها ولان خرج من وخزه الغدة وهى التى تخرج فى اللحم فيكون وخز الجنى سبب الغدة الخارجة فحصل التوفيق بين حديث الوخز وبين قوله عليه السلام غدة كغدة البعير تخرج من مراق البطن وباقى ما يتعلق بالطاعون سبق فى سورة البقرة وقد تكفل بتفاصيله رسالة الشفاء لادواء الوباء لابن طاش كبرى فارجع (يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة) النداء رفع الصوت وظهوره ونداء الصلاة مخصوص فى الشرع بالالفاظ المعروفة والمراد بالصلاة صلاة الجمعة كما دل عليه يوم الجمعة والمعنى فعل النداء لها اى اذن لها والمعتبر فى تعلق الامر الآتى هو الاذان الاول فى الاصح عندنا لان حصول الاعلام به لا الاذان بين يدى المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام الصلاة ثم كان ابو بكر وعمر رضى الله عنهما على ذلك حتى اذا كان عثمان رضى الله عنه وكثرت الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين الاول على دار له بالسوق يقال لها الزوراء ليسمع الناس فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن الثانى فاذا نزل اقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه (من يوم الجمعة) بضم الميم وهو الاصل والسكون تخفيف منه ومن بيان لاذا وتفسير لها اى لا بمعنى ان البيان الجنس على ماهو المتبادر فأن وقت النداء جزء من يوم الجمعة لايحمل عليه فكيف يكون بيانا له بل المقصود انها البيان ان ذلك الوقت فى اى يوم من الايام اذ فيه ابهام فتجامع كونها بمعنى فى كما ذهب اليه بعضهم وكونها للتبعيض كما ذهب اليه البعض الآخر وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة فهو على هذا اسم اسلامى وقيل اول من سماه جمعة كعب بن لؤى بالهمزة تصغير لأى سماه بها لاجتماع قريش فيه اليه وكانت العرب قبل ذلك تسميه العروبة بمعنى الظهور وعروبة وبالعروبة باللام يوم الجمعة كما فى القاموس وقال ابن الاثير فى النهاية الافصح انه لايدخلها الالف واللام وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجمعون فيه فى كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة رضى الله عنه بضم الزاى فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه وحين اجتمعوا ذبح لهم شاة فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم وبقى فى اكثر القرى التى يقال فيها الجمعة عادة الاطعام بعد الصلاة الى يومنا هذا فانزل الله آية الجمعة فهى اول جمعة فى الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله عليه السلام فهى انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين امتد الضحى ومن تلك السنة يعد التاريخ الاسلامى فأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة

فادركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن وادى لهم قد اتخذ القوم فى ذلك الموضع مسجدا فخطب وصلى الجمعة وهى اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله واستعينه واستهديه وأومن به ولا اكفره واعادى من يكفر به واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فان خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة وان يأمره بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقوى من عمل به ومخافته من ربه عنوان صدق على ما يبغيه من الآخرة ومن يصلح الذى بينه وبين الله من امره فى السر والعلانية لا ينوى به الا وجه الله يكون له ذكرا فى عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد هو الذى صدق قوله وانجز وعده ولا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله فى عاجل امركم وآجله فى السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته وتوقى سخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله فقد علمكم فى كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فان من يصلح ما بينه وبين الله يكفر الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انتهت الخطبة النبوية ثم ان هذه الآية رد لليهود فى طعنهم للعرب وقولهم لنا السبت ولا سبت لكم (فاسعوا الى ذكر الله) قال الراغب السعى المشى السريع وهو دون العدو اى امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة لاشتمال كل منهما على ذكر الله وما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو فى حكم ذكر الله واما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل كما فى الكشاف وبالفارسية رغبت كنيد بدان وسعى نماييد دران وعن الحسن رحمه الله اما والله ما هو بالسعى على الاقدام ولقد نهوا ان يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنيات والخشوع والابتكار ولقد ذكر الزمخشرى فى الابتكار قولا وافيا حيث قال وكانت الطرقات فى ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة اى مملوءة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وفى الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بأيديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم فاذا خرج الامام طويت الصحف واجتمعوا للخطبة والمهجر الى الصلاة كالمهدى بدنة ثم الذى يليه كالمهدى بقرة ثم الذى يليه كالمهدى شاة حتى ذكر الدجاجة والبيضة وفى عبارة السعى اشارة الى النهى عن التثاقل وحث على الذهاب بصفاء قلب وهمة لا بكسل نفس وغمة وفى الحديث اذا اذن المؤذن اى فى الاوقات الخمسة ادبر الشيطان وله حصاص وهو بالضم شدة العدو وسرعته وقال حماد بن سلمة قلت لعاصم بن أبى النجود ما الحصاص قال اما رأيت الحمار اذا صر باذنيه اى ضمهما الى رأسه ومصع بذنبه اى حركه وضرب به وعدا اى اسرع فى المشى فذلك حصاصه وفيه اشارة الى ان ترك السعى من فعل الشيطان وهذا بالنسبة الى غير المريض والاعمى والعبد والمرأة والمقعد والمسافر فانهم ليسوا بمكلفين فهم غير منادين اى لا سعى من المرضى والزمنى والعميان وقد قال تعالى فاسعوا واما النسوان فهن امرن بالقرار فى البيوت بالنص والعبد والمسافر مشغولان بخدمة المولى والنقل قال النصر آبادى العوام فى قضاء الحوائج فى الجمعات والخواص فى السعى الى ذكره لعلمهم بأن المقادير قد جرت فلا زيادة ولا نقصان وقال بعضهم الذكر عند الذكر حجاب والسعى الى ذكر الله مقام المريدين يطلبون من المذكور محل القربة اليه والدنو منه واما المحقق فى المعرفة فقد غلب عليه ذكر الله اياه بنعت تجلى نفسه لقلبه (وذروا البيع) يقال فلان يذر الشئ اى يقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه وهو وذر اى اتركوا المعاملة

فالبيع مجاز عن المعاملة مطلقا كالشرآء والاجارة والمضاربة وغيرها ويجوز ابقاء البيع على حقيقته ويلحق به غيره بالدلالة وقال بعضهم النهى عن البيع يتضمن النهى عن الشرآء لانهما متضايفان لا يعقلان الامعا فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر واراد الامر بترك مايذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع والشرآء من بينها لان يوم الجمعة يوم تجمع فيه الناس من كل ناحية فاذا دنا وقت الظهيرة يتكاثر البيع والشرآء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول عن ذكر الله والمضى الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذى لاشئ انفع منه واربح وذروا البيع الذى نفعه يسير وربحه قليل (ذلكم) اى السعى الى ذكر الله وترك البيع (خيرلكم) من مباشرته فان نفع الآخرة اجل وابقى (ان كنتم تعلمون) الخير والشر الحقيقيين روى انه عليه السلام خطب فقال ان الله افترض عليكم الجمعة فى يوم هذا وفى مقامى هذا فمن تركها فى حياتى وبعد مماتى وله امام عادل اوجائر من غير عذر فلا بارك الله له ولا جمع الله شمله الا فلا حج له الا فلا صوم له ومن تاب تاب الله عليه (فاذا قضيت الصلاة) التى نوديتم لها اى اديت وفرغ منها (فانتشروا فى الارض) لاقامة مصالح الحكم والتصرف فى حوائجكم اى تفرقوا فيها بأن يذهب كل منكم الى موضع فيه حاجة من الحوائج المشروعة التى لابد من تحصيلها للمعيشة فان قلت مامعنى هذا الامر فانه اولبث فى المسجد الى الليل يجوز بل هو مستحب فالجواب ان هذا امر الرخصة لاامر العزيمة اى لاجناح عليكم فى الانتشار بعد ماأديتم حق الصلاة (وابتغوا من فضل الله) اى الربح يعنى اطلبوا لانفسكم واهليكم من الرزق الحلال بأى وجه يتيسر لكم من التجارة وغيرها من المكاسب المشروعة وعدل على هذا المعنى سبب نزول قوله واذا رأوا تجارة الخ كما سيأتى فالامر للاطلاق بعد الحظر اى للاباحة لاللايجاب كقوله واذا حللتم فاصطادوا وذكر الامام السرخسى ان الامر للايجاب لماروى انه عليه السلام قال طلب الكسب بعد الصلاة هوالفريضة بعد الفريضة وتلا قوله تعالى فاذاقضيت الصلاة وقيل انه للندب فعن سعيد بن جبير اذا انصرفت من الجمعة فساوم بشئ وان لم تشتره وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شئ من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ فى الله وعن الحسن وسعيد ابن المسيب طلب العلم (كما قال الكاشفى) وكفته اند انتشارهم در زمين مسجد ست جهت رفتن بمجلس علما ومذكران وقيل صلاة التطوع والظاهر ان مثل هذا ارشاد للناس الى ماهو الاولى ولاشك فى اولوية المكاسب الاخروية مع ان طلب الكفاف من الحلال عبادة وربما يكون فرضا عند الاضطرار (واذكروا الله) بالجنان واللسان جميعا (كثيرا) اى ذكرا كثيرا اوزمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة يقول الفقير انما امر تعالى بالذكر الكثير لان الانسان هو العالم الاصغر المقابل للعالم الاكبر وكل مافى العالم الاكبر فانه يذكر الله تعالى ذكرا مخصوصا له فوجب على اهل العالم الاصغر ان يذكروا الله تعالى بعدد اذكار اهل العالم الاكبر حتى تتقابل المرءآتان وينطبق الاجمال والتفصيل فان قلت فهل فى وسع الانسان ان يذكر الله تعالى بهذه المرتبة من الكثرة قلت نعم اذا كان من مرتبة السر باشهود التام والحضور الكامل كما قال ابو يزيد البسطامى قدس سره الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه بالحضور انتهى وقد يقيم الله القليل مقام الكثير كما روى ان عثمان رضى الله عنه صعد المنبر فقال الحمد لله فارتج عليه فقال ان ابابكر وعمر رضى الله عنهما كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل ومنه قال امامنا الاعظم ابوحنيفة رحمه الله ان اقتصر الخطيب على مقدار مايسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وذلك لان الله تعالى سمى الخطبة ذكر الله على انا نقول قول عثمان ان ابابكر وعمر الخ كلام اى كلام فى باب الخطبة لاشتماله على معنى جليل فهو يجامع قول صاحبيه والشافعى لابد من كلام يسمى خطبة وهذا ممالا يتنبه له احد والحمد لله على الهامه وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه الذكر طاعة الله فمن اطاع الله فقد ذكر ومن لم يطعه فليس بذاكروان كان كثير التسبيح والذكر بهذا المعنى يتحقق فى جميع الاحوال قال تعالى رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والذكر الذى امر بالسعى اليه اولا هو ذكر خاص لايجامع التجارة اصلا اذ المراد منه الخطبة والصلاة امر به اولا ثم قال اذا فرغتم منه فلا تتركوا طاعته فى جميع ماتأتونه وتذرونه (لعلكم تفلحون) كى تفوزوا بخير الدارين الحاصل ذكر وى موجب جمعيت ظاهر وباطن وسبب نجات دنيا

وآخر نست * از ذكر خدا مباش يكدم غافل * كز ذكر بود خيردو عالم حاصل * ذكر است كه اهل شوق رادرهمه حال * سايش جان باشدوآرامش دل * وفى التأويلات النجمية اذا حصلت لكم يااهل كمال الايمان الذوقى العيانى صلاة الوصلة والجمعية والبقاء والفناء فسيروا فى ارض البشرية بالاستمتاع بالشهوات المباحة والاسترواح بالروائح الفائحة والمراتعة فى المراتع الارضية وابتغوا من فضل الله من التجارات المعنوية الرابحة واذكروا نعم الله عليكم الظاهرة من الفناء من ناسوتيتكم الظلمانية والباطنة من البقاء بلاهوتيته النورانية لعلكم تفوزون بهذه النعم الظاهرة والباطنة بارشاد الطالبين الصادقين المتوجهين الى الله بالروح الصافى والقلب الوافى قال فى الاشباه والنظائر اختص يوم الجمعة باحكام لزوم صلاة الجمعة واشتراط الجماعة لها وكونها ثلاثة سوى الامام والخطبة لها وكونها قبلها شرط وقرآءة السورة المخصوصة لها وتحريم السفر قبلها بشرطه واستنان الغسل لها والطيب ولبس الاحسن وتقليم الاظفار وحلق الشعر ولكن بعدها افضل والبخور فى المسجد والتبكير لها والاشتغال بالعبادة الى خروج الخطيب ولايسن الابراد بها و يكره افراده بالصوم وافراد ليلته بالقيام وقرآءة الكهف فيه ونفى كراهة النافلة وقت الاستواء على قول ابى يوسف المصحح المعتمد وهو خير ايام الاسبوع و يوم عيد وفيه ساعة اجابة وتجتمع فيه الارواح وتزار فيه القبور و يأمن الميت فيه من عذاب القبر ومن مات فيه اوفى ليلته امن من فتنة القبر وعذابه ولاتسجر فيه جهنم و فيه خلق آدم وفيه اخرج من الجنة وفيه تقوم الساعة وفيه يزوراهل الجنة ربهم سبحانه وتعالى انتهى واذا وقعت الوقفة بعرفة يوم الجمعة ضوعف الحج سبعين لان حج الوداع كان كذلك ذكره فى عقد الدرروالالآلى (واذا رأوا) اى علموا (تجارة) هى تجارة دحية بن خليفة الكلبى (او سمعوا (لهوا) هومايشغل الانسان عمايعنيه و يهمه يقال الهى عن كذا اذاشغله عما هو اهم والمراد هنا صوت الطبل و يقال له اللهو الغليظ وكان دحية اذاقدم ضرب الطبل ليعلمه (كما قال الكاشفى) وكاروان چون رسيدى طبل شادى زدندى كما يرمى اصحاب السفينة فى زماننا البنادق وما يقال له بالتركى طوب اوكانوا اذااقبلت العير استقبلوها اى اهلها بالطبول والدفوف والتصفيق وهوالمراد باللهو (انفضوا اليها) الفض كسر الشئ وتفريق بين بعضه و بعض كفض ختم الكتاب ومنه استعير انفض القوم اى تفرقوا وانتشروا كما فى تاج المصادر الانفضاض شكسته شدن و پرا كنده شدن وحد الضمير لان العطف باولايثنى معه الضمير وكان المناسب ارجاعه الى احد الشيئين من غير تعيين الاان تخصيص التجارة بردالكناية اليها لانها المقصودة اوللدلالة على ان الانفضاض اليها مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فماظنك بالانفضاض الى اللهووهو مذموم فى نفسه و يجوز ان يكون الترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته فاذاكان الطبل من اللهو وان كان غليظا فماظنك بالمزمار ونحوه وقد يقال الضمير للرؤية المداول عليها بقوله رأوا وقرئ اليهما على ان او للتقسيم (روى) ان دحية بن خليفة الكلبى قدم المدينة بتجارة من الشام وكان ذلك قبل اسلامه وكان بالمدينة مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع مايحتاج اليه من برودقيق وزيت وغيرها والنبى عليه السلام يخطب يوم الجمعة فلما علم اهل المسجد ذلك قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه يعنى تابيشى كيرند ازيكديكر بخريدن طعام فابقى معه عليه السلام الاثمانية اواحد عشر اواثناعشر اوار بعون فيهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص وعبدالرحمن بن عوف وابوعبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد و بلال وعبدالله بن مسعود وفى رواية عمار بن ياسر بدل عبدالله وذكر مسلم ان جابرا كان فيهم وكان منهم ايضا امرأة فقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده لوخرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وفى عين المعانى اولا الباقون لنزلت عليهم الحجارة (وتركوك) حال كونك (قائما) اى على المنبر (روى) عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال كان النبى عليه السلام يخطب يوم الجمعة خطبتين قائما يفصل بينهما بجلوس ومن ثمة كانت السنة فى الخطبة ذلك وفيه اشعار بان الاحسن فى الوعظ على المنبر يوم الجمعة القيام وان جاز القعود لانه والخطبة من واد واحد لاشتمالها على الحمد والثناء والتصلية والنصيحة والدعاء قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره ان الخطبة عبارة عن ذكر الله والوعظة للناس وكان عليه السلام مستغرقا فى ذكر الله تعالى ثم لما اراد التنزل لارشاد الناس بالموعظة جلس جلسة خفيفة غايته

ان ماذكره الفقهاء من معنى الاستراحة لازم لما ذكرنا وكان عليه السلام يكتفى فى الاوائل بخطبة واحدة من غيران يجلس اماله لعظم قدره كان يجمع بين الوصاء والفرقة اولان افعاله كانت على وفق الوحى ومقتضى امر الله فيجوز ان لايكون مأمورا بالجلسة فى الاوائل ثم صار على قياس انسخ وايضا وجد عدم جلوسه عليه السلام فى الخطبة فى بعض الاوقات هوانه عليه السلام كان يرشد اهل الملكوت كما يرشد اهل الملك فحتى كان ارشاده فى الملكوت لايتنزل ولايجلس ومتى كان فى الملك بان لم يكن فى مجلس الخطبة من هو من اهل الملكوت يتنزل ويجلس مجلس الملك فان معشر الانبياء يكلمون الخلق على قدر عقولهم ومراتبهم وكان عليه السلام متى اراد الانتقال من ارشاد اهل الملك الى ارشاد اهل الملكوت يقول ارحنى يابلال ومتى اراد التنزل من ارشاد اهل الملكوت الى ارشاد اهل الملك يقول لعائشة رضى الله عنها كلمينى ياحميراء اعلم انه كان من فضل الاصحاب رضى الله عنهم وشأنهم ان لايفعلوا مثل ماذكر من التفرق من مجلس النبى عليه السلام وتركه قائما فذكر بعضهم وهومقاتل بن حيان ان الخطبة يوم الجمعة كانت بعد الصلاة مثل العيدين فظنوا انهم قدقضوا ماكان عليهم وليس فى ترك الخطبة شئ فحولت الخطبة بعد ذلك فكانت قبل الصلاة وكان لايخرج واحد لرعاف اواحداث بعدالنهى حتى يستأذن النبى عليه السلام يشير اليه باصبعه التى تلى الابهام فيأذن له النبى عليه السلام يشير اليه بيده قال الامام السهيلى رحمه الله وهذا الحديث الذى من اجله ترخصوا لانفسهم فى ترك سماع الخطبة وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل باصحاب رسول الله عليه السلام موجب لانه كان صحيحا يقول الفقير هب انهم ظنوا انهم قدقضوا ماكان عليهم من فرض الصلاة فكيف يليق بهم ان يتركوا مجلس النبى عليه السلام ومن شانهم ان يستمعوا ولم يتحركوا كان على رؤسهم الطير ولعل ذلك من قبيل سائر الهفوات التى تضمنت المصالح والحكم الجليلة ولولم يكن الا كونه سبب النزول هذه الآية التى هى خير من الدنيا ومافيها لكفى وفيها من الارشاد الالهى لعباده مالايخفى (قل ماعند الله) من الثواب يعنى ثواب نماز واستماع خطبه ولزوم مجلس حضرت پيغمبر عليه السلام وماموصولة خاطبهم الله بواسطة النبى عليه السلام لان الخطاب مشوب بالعتاب (خير) بهترست وسود مندتر (من اللهو) ازاستماع لهو (ومن التجارة) وازنفع تجارت فان نفع ذلك محقق مخلد بخلاف مافيهما من النفع المتوهم فنفع اللهو ليس بمحقق ونفع التجارة ليس بمخلد ومالبس بمخلد فمن قبيل الظن الزائل ومنه يعلم وجه تقديم اللهو فان للاعدام تقدما على الملكات قال البقلى وفيه تأديب المريدين حيث اشتغلوا عن صحبة المشايخ بخلواتهم وعباداتهم لطلب الكرامات ولم يعلموا ان مايجدون فى خلواتهم بالاضافة الى مايجدون فى صحبة مشايخهم لهو وقال سهل رحمه الله من شغله عن ربه شئ من الدنيا والآخرة فقد اخبر عن خسة طبعه ورذالة همته لان الله فتح له الطريق اليه واذن له فى مناجاته فاشتغل بمايفنى عمالم يزل ولايزال وقال بعضهم ماعندالله للعباد والزهاد غدا خير مما نالوه من الدنيا نقدا وماعندالله للعارفين نقدا من واردات القلوب وبوادر الحقيقة خير مما فى الدنيا والعقبى (والله خير الرازقين) لانه موجد الارزاق فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق (وقال الكاشفى) وخداى تعالى بهترين روزى دهند كانست يعنى آنانكه وسائط ايصال رزقند وقت باشدكه بخيلى كنند وشايدنيز مصلحت وقت ندانند نقلست كه يكى ازخلفاء بغداد بهلول راكفت بيا تاروزى هر روز تومقرر كنم تاوقت متعلق بدان نباشد بهلول جواب داد كه چنين ميكردم اكرچند عيب نبودى اول آنكه تو ندانى كه مراچه بايد دوم نشناسى كه مرا كى بايد سوم معلوم ندارى كه مرا چند بايد وحق تعالى كافل رزق منست اين همه ميداند وازروى حكمت بمن ميرساند وديكر شايدكه برمن غضب كنى وآن وظيفه ازمن باز كيرى وحق سبحانه وتعالى بكناه ازمن روزى باز نميدارد * خدايى كه اوساخت ازنيست هست * بعصيان در رزق بركس نبست * ازو خواه روزى كه بخشنده اوست * برانده كارهر بنده اوست * وقيل لبعضهم من اين تأكل فقال من خزانة ملك لايدخلها اللصوص ولايأكلها السوس وقال حاتم الاصم قدس سره لامرأته انى اريد السفر فكم اضع لك من النفقة قالت بقدر ماتعلم انى اعيش بعد سفرك فقال وماندرى كم نعيش قالت فكله الى من يعلم ذلك فلما سافر حاتم دخل النساء عليها يتوجعن لها من كونه سافر وتركها بلانفقة فقالت انه كان اكالا ولم يكن رزاقا قال بعضهم قوله تعالى خير من اللهو وقوله خير الرازقين من قبيل الفرض والتقدير اذلاخيرية

فى اللهو ولا رازق غير الله فكان المعنى ان وجد فى اللهو خير فاعند الله اشد خيرية منه وان وجد رازقون غير الله فالله خيرهم واقواهم قوة واولاهم عطية والرزق هو المنتفع به مباحا كان او محظورا وفى التأويلات النجمية والله خير الرازقين لاحاطته على رزق النفس وهو الطاعة والعبادة بمقتضى العلم الشرعى ورزق القلب وهو المراقبة والمواظبة على الاعمال القلبية من الزهد والورع والتوكل والتسليم والرضى والبسط والقبض والانس والهيبة ورزق الروح بالتجليات والتنزلات والمشاهدات والمعاينات ورزق السر برفع رؤية الغير والغيرية ورزق الخفاء بالفناء فى الله والبقاء به وهو خير رزق فهو خير الرازقين (وفى المثنوى) هرچه از يارت جدا اندازد آن * مشنو آنرا كه زيان دارد زيان * كر بود آن سود صد در صد مكير * بهر زر مكسل ز كنجوراى فقير * آن شنو كه چند يزدان زجر كرد * كفت اصحاب نبى را كرم وسرد * زانكه در بانك دهل درسال تنك * جمعه را كردند باطل بى درنك * تانبايد ديكرآن ارزان خرند * زان سبب صرفه زما ايشان برند * ماند پيغمبر بخلوت درنماز * با دوسه درويش ثابت پرنياز * كفت طبل ولهو وبازركانى * چونتان ببريد از ربانى * قد فضضتم نحو قمح هائما * ثم خليتم نبيا قائما * بهر كندم تخم باطل كاشتند * وآن رسول حق رابكذا شتند * صحبت اوخير من لهو است ومال * بين كرا بكذاشتى چشمى بمال * خود نشد حرص شمارا اين يقين * كه منم رزاق وخير الرازقين * آنكه كندم راز خود روزى دهد * كى توكلهات را ضايع كند * از پى كندم جدا كشتى ازان * كه فرستادست كندم زآسمان * وفى الاحياء يستحب ان يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك فيقال من داوم على هذا الدعاء اغناه الله تعالى عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب وفى الحديث من قال يوم الجمعة اللهم اغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك سبعين مرة لم تمر به جمعتان حتى يغنيه الله رواه انس بن مالك رضى الله عنه

تمت سورة الجمعة فى ثانى صفر الخير يوم الخميس من سنة ست عشرة ومائة والف

(سورة المنافقين احدى عشرة آية مدنية بلا خلاف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا) چون (جاءك المنافقون) اى حضروا مجلسك وبالفارسية بتو آيند دورويان والنفاق اظهار الايمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب فالمنافق هو الذى يضمر الكفر اعتقادا ويظهر الايمان قولا وفى المفردات النفاق الدخول فى الشرع من باب والخروج منه من باب من النافقاء احدى جحرة اليربوع والثعلب والضب يكتمها ويظهر غيرها فاذا اتى من قبل القاصعاء وهو الذى يدخل منه ضرب النافقاء برأسه فانتفق والنفق هو السرب فى الارض النافذ (قالوا) مؤكدين كلامهم بأن واللام للايذان بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم والظاهر انه الجواب لاذا لان الآية نظير قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وقيل جوابه مقدر مثل ارادوا ان يخدعوك وقيل استئناف لبيان طريق خدعتهم وقيل جوابه قوله فاحذرهم (نشهد) الآن او على الاستمرار (انك لرسول الله) والشهادة قول صادر عن علم حصل بشهادة بصر او بصيرة (والله يعلم انك لرسوله) اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم لكونه مطابقا للواقع ولازالة ايهام ان قولهم هذا كذب لقوله والله يشهد الخ وفيه تعظيم للنبى عليه السلام وقال ابو الليث والله يعلم انك لرسوله من غير قولهم وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله اعلم ان كل ماجاء فى القرآن بعد العلم من لفظة ان فهى بفتح الهمزة لكونها فى حكم المفرد الا فى موضعين احدهما والله يعلم انك لرسوله فى هذه السورة والثانى قد يعلم انه ليحزنك الذى يقولون فى سورة الانعام وانما كان كذلك فى هذين الموضعين لانه يأتى بعدهما لام الخبر فانكسرا اى لان اللام لتأكيد معنى الجملة ولا جملة الا فى صورة المكسورة وقال بعضهم اذا دخلت لام الابتداء على خبرها تكون مكسورة لاقتضاء لام الابتداء الصدارة كما يقال لزيد قائم وتؤخر اللام لئلا يجتمع حرفا التأكيد واختير تأخيرها الترجح ان فى تقديم لعامليته فكسرت لاجل اللام (والله يشهد) شهادة حقة (ان المنافقين لكاذبون) اى انهم والاظهار فى موضع الاضمار لذمهم والاشعار

بعلية الحكم اى لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب فان الشهادة وضعت
للاخبار الذى طابق فيه اللسان اعتقاد القلب واطلاقها على الزور مجاز كاطلاق البيع على الفاسد نظيره
قولك لمن يقول انا اقرأ الحمد لله رب العالمين كذبت فالتكذيب بالنسبة الى قراءته لابالنسبة الى المقروء الذى
هو الحمد لله رب العالمين ومن هنا يقال ان من استهزأ بالمؤذن لايكفر بخلاف من استهزأ بالاذان فانه يكفر
قال بعضهم الشهادة حجة شرعية تظهر الحق ولا توجبه فهى الاخبار بما علمه بلفظ خاص ولذلك صدق
المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله والله يعلم الخ دلت الآية على ان العبرة بالقلب والاخلاص وبخلوصه
يحصل الخلاص وكان عليه السلام يقبل من المنافقين ظاهر الاسلام واما حكم الزنديق فى الشرع وهو الذى
يظهر الاسلام ويسر الكفر فانه يستتاب وتقبل توبته ولاتقبل عند ابى حنيفة والشافعى رحمهما الله قال
سهل رحمه الله اقروا بلسانهم ولم يعترفوا بقلوبهم فلذلك سماهم الله منافقين ومن اعترف بقلبه واقر بلسانه
ولم يعمل باركانه مافرض الله من غير عذر ولاجهل كان كابليس وسئل حذيفة من المنافق قال الذى يصف
الاسلام ولايعمل به وهم اليوم شر منهم لانهم كانوا يومئذ يكتمونه وهم اليوم يظهرونه وفى الآية اشارة
الى ان المنافقين الذامين للدنيا وشهواتها باللسان المقبلين عليها بالقلب وان كانوا يشهدون بصحة الرسالة
لظهور انوارها عليهم من المعجزات والكرامات لكنهم كاذبون فى شهادتهم لاعراضهم عنه عليه السلام
ومتابعته واقبالهم على الدنيا وشهواتها لحقيقة الشهادة انما تحصل بالمتابعة وقس عليه شهادة اهل الدنيا عند ورثة
الرسول قال الحسن البصرى رحمه الله ياابن آدم لايغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لاتلحق الابرار
الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم وهذه اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة
فى بعض الاعمال اوكلها لاينفع كما فى احياء العلوم ولذا قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر المرء
مع من احب فى الدنيا بالطاعة والادب الشرعى وفى الآخرة بالمعاينة والقرب المشهدى انتهى فاذا كانت المحبة
المجردة بهذه المثابة فما ظنك بالنفاق الذى هو هدم الاس والاصل وبناء الفرع فلا اعتداد بدعوى المنافق
ولا بعمله وفى التأويلات القاشانية المنافقون هم المذبذبون الذين يجذبهم الاستعداد الاصلى الى نور الايمان
والاستعداد العارضى الذى حدث برسوخ الهيئات الطبيعية والعادات الرديئة الى الكفر وانهم كاذبون
فى شهادة الرسالة لان حقيقة معنى الرسالة لايعلمها الا الله والراسخون فى العلم الذين يعرفون الله ويعرفون
بمعرفته رسول الله فان معرفة الرسول لاتمكن الا بعد معرفة الله وبقدر العلم بالله يعرف الرسول فلا يعلمه
حقيقة الا من انسلخ عن علمه وصار عالما بعلم الله وهم محجوبون عن الله بحجب ذواتهم وصفاتهم وقد اطفأوا
نور استعداداتهم بالغواشى البدنية والهيئات الظلمانية فانى يعرفون رسول الله حتى يشهدوا برسالته انتهى
قال الشيخ ابو العباس معرفة الولى اصعب من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى يعرف مخلوقا
مثله يأكل كما يأكل ويشرب كما يشرب (اتخذوا) اى المنافقون (ايمانهم) الفاجرة التى من جملتها ماحكى
عنهم لان الشهادة تجرى مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان اشهد يمين
واليمين فى الحلف مستعار من اليمين التى بمعنى اليد اعتبارا بما يفعله الحالف والمعاهد عنده واليمين بالله
الصادقة جائزة وقت الحاجة صدرت من النبى عليه السلام كقوله والله والذى نفسى بيده ولكن اذا لم يكن
ضرورة قوية يصان اسم الله العزيز عن الابتذال (جنة) اى وقاية وترسا عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل
والسبى اوغير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا
من المؤاخذة لاعن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ
الجنة لابد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء فى قوله (فصدوا عن سبيل الله) يقال
صده عن الامر صدا اى منعه وصرفه وصد عنه صدودا اى اعرض والمعنى فمنعوا وصرفوا من اراد الدخول
فى الاسلام بانه عليه السلام ليس برسول ومن اراد الانفاق فى سبيل الله بالنهى عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب
فى ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل واصل الجن ستر الشئ عن الحاسة يقال جنه الليل واجنه
والجنان القلب لكونه مستورا عن الحاسة والمجن والجنة الترس الذى يجن صاحبه والجنة كل بستان
ذى شجر يستر باشجاره الارض (انهم ساء ماكانوا يعملون) اى ساء الشئ الذى كانوا يعملونه من النفاق

والصد والاعراض عن سبيله تعالى وفى ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين (ذلك) القول الشاهد بأنهم اسوأ الناس اعمالا وبالفارسية اين حكم حق بدئ اعمال ايشان (بأنهم) اى بسبب انهم (آمنوا) اى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل الاسلام (ثم كفروا) اى ظهر كفرهم بماشوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله من قولهم ان كان مايقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم فى غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان يفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات فثم للتراخى او كفروا سرا فثم الاستبعاد ويجوز ان يراد بهذه الآية اهل الردة منهم كما فى الكشاف (فطبع على قلوبهم) ختم عليها يعنى مهر نهاده شد حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وصارت بحيث لايدخلها الايمان جزاء على نفاقهم ومعاقبة على سوء افعالهم فليس لهم ان يقولوا ان الله ختم على قلوبنا فكيف نؤمن والطبع ان يصور الشئ بصورة ما كطبع السكة وطبع الدراهم وهو اعم من الختم واخص من النقش كما فى المفردات (فهم لايفقهون) حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيته اصلا كما يعرفه المؤمنون والفقه لغة الفهم واصطلاحا علم الشريعة لانه الاصل فيما يكتسب بالفهم والدراية وان كان سائر العلوم ايضا لاينال الا بالفهم دل الكلام على ان ذكر بعض مساوى العاصى عند احتمال الفائدة لايعد من الغيبة المنهى عنها بل قد يكون مصلحة مهمة على ماروى عنه عليه السلام اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس وفى المقاصد الحسنة ثلاثة ليست لهم غيبة الامام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذى يدعو الناس الى بدعته وقال القاشانى ذلك بسبب انهم آمنوا بالله بحسب بقية نور الفطرة والاستعداد ثم كفروا اى ستروا ذلك النور بحجب الرذائل وصفات نفوسهم فطبع على قلوبهم برسوخ تلك الهيئات وحصول الرين من المكسوبات فحجبوا عن ربهم بالكلية فهم لايفقهون معنى الرسالة ولاعلم التوحيد والدين (واذا رأيتهم) وچون به بينى منافقا نرا چون ابن ابى وامثال او والرؤية بصرية (تعجبك اجسامهم) بشگفت آرد ترا اجسام ايشان لضخامتها و رونق منظرهم لصباحة وجوههم واصله من العجب والشئ العجيب هو الذى يعظم فى النفس امره لغرابته والتعجب حيرة تعرض للنفس بواسطة مايتعجب منه (وان يقولوا) وچون سخن كويند (تسمع لقولهم) لفصاحتهم وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم واللام صلة وقيل تصغى الى قولهم وكان ابن ابى جسيما صبيحا فصيحا يحضر مجالس رسول الله عليه السلا فى نفر من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم فان الصباحة وحسن المنظر لايكون الا من صفاء الفطرة فى الاصل ولذا قال عليه السلام اطلبوا الخير عند حسان الوجوه اى غالبا وكم من رجل قبيح الوجه قضاء للحوائج قال بعضهم
يدل على معروفه حسن وجهه * ومازال حسن الوجه احدى الشواهد) وفى الحديث اذا بعثتم الى رجلا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم ثم لمارأى عليه السلام غلبة الرين على قلوب المنافقين وانطفاء نور استعدادهم وابطال الهيئات الدنية العارضية خواصهم الاصلية ايس منهم وتركهم على حالهم (وروى) عن بعض الحكماء انه رأى غلاما حسنا وجهه فاستنطقه لظنه ذكاء فطنته فما وجد عنده معنى فقال مااحسن هذا البيت لوكان فيه ساكن وقال آخر طست ذهب فيه خل (كأنهم خشب مسندة) فى حيز الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم كأنهم اوكلام مستأنف لامحل له والخشب بضمتين جمع خشبة كأكم واكمة اوجمع خشب محركة كاسد واسد وهو ماغلظ من العيدان والاسناد الامالة ومسندة للتكثير فان التسنيد تكثير الاسناد بكثرة المحال اى كأنها اسندت الى مواضع والمعنى بالفارسية كويا ايشان چوبهاء خشك شده اند بديوار بازنهاده شبهوا فى جلوسهم فى مجالس رسول الله مستندين فيها باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم اشباحا خالية عن العلم و الخير و الانتفاع ولذا اعتبر فى الخشب التسنيد لان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف اوجدار اوغيرهما من مظان الانتفاع فكما ان مثل هذا الخشب لانفع فيه فكذا هم لا نفع فيهم وكان الروح النامية قدزالت عنهم فهم فى زوال استعداد الحياة الحقيقية و الروح الانسانى بمثابتها يقول الفقير فيه اشارة الى ان الاستناد فى مجالس الاكابر او فى مجالس العلم من ترك الادب ولذا منع الامام مالك رحمه الله هرون الرشيد من الاستناد حين سمع منه الموطأ حكى ان ابراهيم بن ادهم قدس سره كان يصلى ليلة فأعيى فجلس ومد رجليه فهتف به هاتف اهكذا تجالس الملوك وكان الحريرى لايمد رجليه فى الخلوة ويقول حفظ الادب مع الله احق

وهذا من ادب من عرف معنى الاسم المهيمن فان من عرف معناه يكون مستحيا من اطلاعه تعالى عليه ورؤيته له وهو المراقبة عند اهل الحقيقة ومعناه علم القلب باطلاع الرب ودلت الآية وكذا قوله عليه السلام انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة على ان العبرة فى الكمال والنقصان بالاصغرين اللسان والقلب لا بالاكبرين الرأس والجسد فان الله تعالى لا ينظر الى الصور والاموال بل الى القلوب والاعمال فرب صورة مصغرة عند الله بمثابة الذهب والمؤمن لايخلو من قلة او علة اوذلة ولاشك ان بالقلة يكثر الهم الذى يذيب اللحم والشحم وكذا بالعلة يذوب البدن ويطرأ عليه الذبول وفى الحديث مثل المؤمن مثل السنبلة يحركها الريح فتقوم مرة وتقع اخرى ومثل الكافر مثل الارزة لاتزال قائمة حتى تنقعر قوله الارزة بفتح الهمزة وراء مهملة ساكنة ثم زاى شجر يشبه الصنوبر يكون بالشام وبلاد الارمن وقيل هو شجر الصنوبر والانقعار از بن بركنده شدن يعنى مثل منافق مثل صنو براست كه بلند واستوار برزمين تا كه افتادن واز بيخ برآمدن وفيه اشارة الى ان المؤمن كثير الابتلاء فى بدنه وماله غالبا فيكفر عن سيئاته والكافر ليس كذلك فيأتى بسيئاته كاملة يوم القيامة (يحسبون) يظنون (كل صيحة) كل صوت ارتفع فان الصيحة رفع الصوت وفى القاموس الصوت باقصى الطاقة وهو مفعول اول ليحسبون والمفعول الثانى قوله (عليهم) اى واقعة عليهم ضارة لهم ومراد از صيحه هر فريادى كه برآيد وهر آوازى كه در مدينه بركشند وقال بعضهم اذا نادى مناد فى العسكر لمصلحة اوانفلتت دابة اوانشدت ضالة او وقعت جلبة بين الناس ظنوه ايقاعا بهم لجبنهم واستقرار الرعب فى قلوبهم والخائن خائف وقال القاشانى لان الشجاعة انما تكون من اليقين من نور الفطرة وصفاء القلب وهم منغمسون فى ظلمات صفات النفوس محجوبون بالملذات والشهوات كاهل الشكوك والارتياب فلذلك غلب عليهم الجبن والخور انتهى وفى هذا زيادة تحقيرلهم وتخفيف لقدرهم كما قيل اذا رأى غير شئ ظنه رجلا) وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم مايهتك استارهم ويبيح دمائهم واموالهم (هم العدو) اى هم الكاملون فى العداوة الراسخون فيها فان اعدى الاعادى العدو المكاسر الذى يكاسرك وتحت ضلوعه داء لايبرح بل يلزم مكانه ولم يقل هم الاعداء لان العدو لكونه بزنة المصادر يقع على الواحد وما فوقه (فاحذرهم) اى فاحذر ان تثق بقولهم وتميل الى كلامهم اوفاحذر ممايلتهم لاعدائك وتخذيلهم اصحابك فانهم يفشون سرك للكفار (قاتلهم الله) دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم ويخزيهم ويميتهم على الهوان والخذلان كما قال ابن عباس رضى الله عنهما اى لعنهم قال سعدى المفتى ولاطلب هناك حقيقة بل عبارة الطلب للدلالة على ان اللعن عليهم ممالابد منه قال الطيبى يعنى انه من اساليب التجريد كقراءة ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله ومن كفر فامتعه يا قادر ويجوز ان يكون تعليما للمؤمنين بان يدعوا عليهم بذلك ففيه دلالة على ان الدعاء على اهل الفساد محلا يحسن فيه فقاتل الله المبتدعين الضالين المضلين فانهم شر الخصماء واضر الاعداء وايراده فى صورة الاخبار مع انه انشاء معنى للدلالة على وقوعه ومعنى الانشاء بالفارسية هلاك كناد خداى ايشانرا يالعنت كناد بر ايشان وقال بعضهم اهلكهم وهو دعاء يتضمن الاقتضاء والمنابذة وتمنى الشر لهم ويقال هى كلمة ذم وتوبيخ بين الناس وقد تقول العرب قاتله الله ماأشعره فيضعونه موضع التعجب وقيل احلهم محل من قاتله عدو قاهر لكل معاند (انى يؤفكون) تعجيب من حالهم اى كيف يصرفون عن الحق والنور الى ماهم عليه من الكفر والضلال والظلمة بعد قيام البرهان من الافك بفتح الهمزة بمعنى الصرف عن الشئ لان الافك بالكسر بمعنى الكذب قال فى التأويلات النجمية اذا رأيتهم من حيث صورهم المشكلة تعجبك اجسام اعمالهم المشوبة بالرياء والسمعة الخالية عن ارواح النيات الخالصة الصافية وان يقولوا قولا بالحروف والاصوات مجردا عن المعانى المصفات تصغ الى قولهم المكذوب المردود كان صورهم المجردة عن المعنى المخيلة صورتها القوة الخالية بصورة الخشب المسندة الى جدار الوهم لاروح فيها ولامعنى يحسبون كل صيحة صاح بها صور القهر واقعة عليهم لضعف قلوبهم بمرض النفاق وعلة الشقاق هم الكاملون فى العداوة الذاتية والبغضاء الصفاتية فاحذرهم بالصورة والمعنى قاتلهم الله بالخزى والحرمان والسوء والخذلان انى يعدلون عن طريق الدين الصدق (واذا قيل لهم) عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة در علم آورده كه بعد ازنزول اين آيتها قوم ابن ابى ويرا كفتند

اين آيتها در بارهٔ تو نازل شده روز ديك رسول خداى تا براى تو آمرزش طلبد آن منافق كردن تاب داد وكفت مرا كفتند ايمان آور آوردم تكليف كرديد كه زكاة مال بده دادم همين مانده است كه محمد را سجده مى بايد كرد آيت آمد كه واذا قيل لهم (تعالوا) اصله تعاليوا فأعل بالقلب والحذف الاان واحد الماضى تعالى باثبات الالف المقلوبة عن الياء المقلوبة عن الواو الواقعة رابعة وواحد الامر تعال بحذفها وقفا وفتح اللام واصل معنى التعالى الارتفاع فاذا امرت منه قلت تعال وتعالا وتعالوا فتعالوا جمع امر الحاضر فى صورة الماضى ومعناه ارتفعوا فيقوله من كان فى مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثروا تسع فيه حتى عم يعنى ثم استعمل فى كل داع بطلب المجئ فى المفرد وغيره لما فيه من حسن الادب اى هلموا وائتوا وبالفارسية بيايد باعتذار ومن الأدب ان لايقال تعالى فلان وتعاليت يافلان اوانا اوفلان متعال باى معنى أريد لانه مما اشتهر به الله فتعالى الله الملك الحق (يستغفر لكم رسول الله) بالجزم جواب الامر اى يدع الله لكم ويطلب منه ان يغفر بلطفه ذنوبكم ويستر عيوبكم وهو من اعمال الثانى لان تعالوا يطلب رسول الله مجرورا بالى اى تعالوا الى رسول الله ويستغفر يطلب فاعلا فاعمل الثانى ولذلك رفعه وحذف من الاول اذالتقدير تعالوا اليه (لووا رؤوسهم) يقال لوى الرجل رأسه اماله والتشديد للتكثير لكثرة المحال وهى الرؤوس قال فى تاج المصادر التلوية نيك پيچانيدن اى عطفوها استكبارا چنانچه كسى ازمكروهى روى بتابد وقال القاشانى اضمرا وتهم بالامور الظلمانية فلا يألفون النور ولايشتاقون اليه ولاالى الكمالات الانسانية لمسخ الصورة الذاتية (ورأيتهم يصدون) من الصدود بمعنى الاعراض اى يعرضون عن القائل اوعن الاستغفار (وقال الكاشفى) اعراض ميكنند ازرفتن بخدمت حضرت پيغمبر صلى الله عليه وسلم وذلك لانجذابهم الى الجهة السفلية والزخارف الدنيوية فلاميل فى طباعهم الى الجهة العلوية والمعانى الاخروية (وفى المثنوى) صورت رفعت بود افلاك را * معنئ رفعت روان پاك را * صورت رفعت براى جسمهاست * جسمها در پيش معنى اسمهاست (وهم مستكبرون) عن ذلك لغلبة الشيطنة واستيلاء القوة الوهمية واحتجابهم بالانانية وتصور الخيرية وفى الحديث (اذرأيت الرجل لجوجا معجبا برايه فقد تمت خسارته) (سواء عليهم استغفرت لهم) كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وفى كشف الاسرار كان عليه السلام يستغفر لهم على معنى سؤاله لهم بتوفيق الايمان ومغفرة العصيان وقيل لما قال الله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال عليه السلام لأزيدن على السبعين فأنزل الله سواء الخ وهو اسم بمعنى مستو خبر مقدم وعليهم متعلق به ومابعده من المعطوف عليه والمعطوف مبتدأ بتأويل المصدر لاخراج الاستفهام عن مقامه فالهمزة فى استغفرت للاستفهام ولذا فتحت وقطعت والاصل ءاستغفرت فحذفت همزة الوصل التى هى الف الاستفعال للتخفيف ولعدم اللبس (ام لم تستغفر لهم) كما اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار (لن يغفر الله لهم) ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم فى الكفر وخروجهم عن دين الفطرة القيم (ان الله لايهدى القوم الفاسقين) الكاملين فى الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين فى الكفر والنفاق اوالخارجين عن دائرة المحقين الداخلين فى دائرة الباطلين المبطلين وفى الآية اشارة الى عدم استعدادهم لقبول الاستغفار لكثافة طباعهم المظلمة وغلاظة جبلتهم الكدرة ولوكان لهم استعداد لقبوله لخرجوا عن محبة الدنيا ومتابعة النفس والهوى الى موافقة الشرع ومتابعة الرسول والهدى ولما بقوا فى ظلمة الشهوات الحيوانية والاخلاق البهيمية والسبعية (قال الحافظ) عاشق كه شد كه يار بحالش نظر نكرد * اى خواجه درد نيست وكرنه طبيب هست * ومنه يعلم ان الجذبة من جانب المرشد وان كان لها تأثير عظيم لكن اذاكان جانب المريد خاليا عن الارادة لم ينفعه ذلك الاترى ان استغفار النبى عليه السلام ليس فوقه شئ معانه لم يؤثر فى الهداية واصل هذا عدم اصابة رشاش النور فى عالم الارواح ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور (حكى) ان شيخا مرمع مريد له خدمه عشرين سنة على قرية فيها شيخ فان يضرب الطبل فأشار اليه الشيخ فطرح الطبل وتبعه حتى اذاكانوا على ساحل البحر ألقى الشيخ سجادته على البحر وقعد عليها مع الطبال وبقى المريد العتيق فى الساحل يصيح كيف ذلك فقال الشيخ هكذا اقتضاء الله تعالى (هم الذين يقولون) اى للانصار وهو استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم اولعدم مغفرته تعالى لهم وهو حكاية نص كلامهم (لاتنفقوا) لاتعطوا النفقة

التى يتعيش بها (على من عند رسول الله) يعنون فقرآء المهاجرين وقولهم رسول الله اما للهزؤ والتهكم اولكونه كاللقب له عليه السلام واشتهاره به فلو كانوا مقرين برسالته لما صدر عنهم ما صدر ويجوزان ينطقوا بغيره لكن الله تعالى عبر به اكراما له واجلالا (حتى ينفضوا) اى يتفرقوا عنه ويرجعوا الى قبائلهم وعشائرهم (وقال الكاشفى) تامتفرق كردند غلامان بنزد خواجكان روند و پسران بدران پيوندند * والانفضاض شكسته شدن و پرا كنده شدن وانما قالوه لاحتجابهم بافعالهم عن رؤية فعل الله وبما فى ايديهم عما فى خزائن الله فيتوهمون الانفاق منهم لجهلهم (ولله خزآئن السموات والارض) رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدى الى انفضاض الفقراء من حوله عليه السلام ببيان ان خزآئن الارزاق بيد الله خاصة يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ومن تلك الخزآئن المطر والنبات قال الراغب قوله تعالى ولله خزآئن السموات والارض اشارة منه الى قدرته تعالى على ما يريد ايجاده اوالى الحالة التى اشير اليها بقوله عليه السلام فرغ ربكم من الخلق والاجل والرزق والمراد من الفراغ اتمام القضاء فهو مذكور بطريق التمثيل يعنى اتم قضاء هذه الكليات فى علمه السابق والخزآئن جمع خزانة بالكسر كعصائب وعصابة وهى ما يخزن فيه الاموال النفيسة ويحفظ وكذا المخزن بالفتح وقد سبق فى قوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزآئنه (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك لجهلهم بالله وبشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون * خواجه پندارد كه روزى اودهد * لاجرم برايى وآن منت نهد * زان سببها او بكى شدبس اكر * كم شود هستند اسباب دكر * حكم وروزى برسببها مى نهد * بى سببها نيز روزى ميدهد * قال رجل لحاتم الاصم رحمه الله من اين تأكل قال من خزانة ربى فقال الرجل ايلقى عليك الخبز من السماء فقال لولم تكن الارض له فيها خزآئن لكان يلقى على الخبز من السماء فقد خلق الله فى الارض الاسباب ومنها فتح الابواب قال بعض الكبار مراعاة حق ام الوالد من الرضاع اولى من مراعاة ام الولادة لان ام الولادة حملته على جهة الامانة فتكون فيها وتغذى بدم طمثها من غير ارادة لها فى ذلك فما تغذى الا بما لولم يخرج منها لاهلكها وامرضها فللجنين المنة على امه فى ذلك واما المرضعة فانما قصدت برضاعه حياته وابقاءه ولهذا المعنى الذى اشرنا اليه جعل الله المرضعة لموسى ام ولادته حتى لا يكون لامرأة عليه فضل غيرامه فلما كبر وبلغ اقامة الحجة عليه جعله الله كلا على بنى اسرائيل امتحانا له فتقلق من تغير الحال عليه وقال يارب اغننى عن بنى اسرائيل فاوحى الله اليه اما ترضى ياموسى ان افرغت لعبادتى واجعل مؤونتك على غيرك فسكت ثم سأل ثانيا فاوحى الله اليه لا يليق بنبى ان يرى فى الوجود شيأ لغير سيده فكل من رزق ربك ولا منة لاحد عليك فسكت ثم سأل ثالثا فاوحى الله اليه ياموسى اذا كانت هذه شكاسة خلقك على بنى اسرائيل وانت محتاج اليهم فكيف لو اغنيتك عنهم فما سأل بعد ذلك شيأ فالله تعالى يوصل الرزق الى عبده بيد من يشاء من عباده مؤمنا اوكافرا وكل ذلك من الحلال الطيب اذا لم يسبق اليه خاطرة اوتعرض ما ولا منة لاحد عليه وانما ابن الجاهل وابتلاؤه تعالى لاوليائه بالفقر ليس من عدم قدرته على الاعطاء والاغناء ولا من عدم محبته لهم وكرامتهم عنده بل هو من انعامه عليهم ليكونوا ازهد الناس فى الدنيا واوفر اجرا فى الآخرة ولذا قال عليه السلام فى حق فقرآء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة باربعين خريفا وكان عليه السلام يستفتح بصعاليك المهاجرين اى فقرآئهم لقدرهم وقبولهم وجاههم عند الله تعالى على ان الاغنياء ان خصوا بوجود الارزاق فالفقرآء خصوا بشهود الرزاق وهو خير منه وصاحبه انعم فمن سعد بوجود الرزاق لم يضره ما فاته من وجود الارزاق قال الجنيد قدس سره خزائنه فى السموات الغيوب وخزائنه فى الارض القلوب فما انفصل من الغيوب وقع على القلوب وما انفصل من القلوب صار الى الغيوب والعبد مرتهن بشيئين تقصير الخدمة وارتكاب الزلة وقال الواسطى قدس سره من طالع الاسباب فى الدنيا ولم يعلم ان ذلك يحجبه عن التوفيق فهو جاهل وفى التأويلات النجمية ولله خزآئن الارزاق السماوية من العلوم والمعارف والحكم والعوارف المخزونة لخواص العباد يرزقهم حيث يشاء ولله خزآئن الارزاق الارضية من المأكولات والمشروبات والملبوسات والخيول والبغال المخزونة لعوام العباد ينفق عليهم من حيث لا يحتسبون ولكن المنافقين بسبب افساد استعدادتهم وعدم نور ايمانهم

وغلبة ظلمانيتهم مايفهمون الاسرار الالهيــة والاشــارات الربانية (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) روى ان رســول الله صلى الله عليه وسلم حين لقى بنى المصطلق وهم بطن من خزاعة على المريسيع مصغر مرسوع وهو ماءلهم فى ناحية قديد على يوم من الفرع بالضم موضع من اضخم اعراض المدينة وهزمهم وقتل منهم واستاق الفى بعير وخمسة الاف شاة وسبى مائتى اهل بيت اواكثر وكانت فى السبى جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق اعتقها النبى عليه السلام وتزوجها وهى ابنة عشرين سنة ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد الغفارى رضى الله عنه وهو اجير لعمر رضى الله عنه يقود فرسه وسنان الجهنى المنافق حليف ابن ابى رئيس المنافقين واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فاعان جهجاه جعال بالكسر من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابى فقال لجعال وانت هناك قال ماصحبنا محمدا الالنلطم والله مامثلنا ومثلهم الاكاقيل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا من هذا السفر الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين فاسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لوامسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولا وشكوا ان يتحولوا عنكم فلاتنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال ابن ابى اسكت فانما كنت العب فأخبر زيد رسول الله بما قال ابن ابى فتغيروجه رسول الله فقال عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال اذا ترغم انوفا كثيرة بيثرب يعنى المدينة ولعل تسميته لها بذلك ان كان بعد النهى لبيان الجواز قال عمر رضى الله عنه فان كرهت ان يقتله مهاجرى فأمر به انصاريا فقال اذاتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه السلام لابن ابى انت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى انزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فقال الحاضرون شيخنا وكبيرنا لانصدق عليه كلام غلام وعسى ان يكون قدوهم فروى ان رسول الله قال له لعلك غضبت عليه قال لاقال فلعله اخطأ سمعك قال لاقال فلعله شبه عليك قال لا فلمانزلت هذه الآية لحق رسول الله زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وفت اذنك ياغلام ان الله صدقك وكذب المنافقين ورد الله عليهم مقالتهم بقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) اى ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لالغيرهم كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من المنافقين والكافرين * وعن بعض الصالحين وكان فى هيئة رثة الست على الاسلام وهو العز الذى لاذل معه والغنى الذى لافقر معه وعن الحسن بن على رضى الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها اى كبرا فقال ليس ذلك بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية وقال بعض الكبار من كان فى الدنيا عبدا محضا كان فى الآخرة ملكا محضا ومن كان فى الدنيا يدعى الملك لشئ ولو من جوارحه نقص من ملكه فى الآخرة بقدر ماادعاه فى الدنيا فلااعز فى الآخرة ممن بلغ فى الدنيا غاية الذل فى جناب الحق ولااذل فى الآخرة ممن بلغ فى الدنيا غاية العزة فى نفسه ولو كان مصفوعا فى الاسواق ولا أريدبعز الدنيا أن يكون من جهة الملوك فيها انما أريد أن يكون صفته فى نفسه العزة وكذا القول فى الذلة وقال الواسطى رحمه الله عزة الله أن لايكون شئ الابمشيئته وارادته وعزة المرسلين انهم آمنون من زوال الايمان وعزة المؤمنين انهم آمنون من دوام العقوبة وقال عزة الله العظمة والقدرة وعزة الرسول النبوة والشفاعة وعزة المؤمنين التواضع والسخاء والعبودية دل عليه قوله عليه السلام اناسيد ولدآدم ولافخر اى لاافتخر بالسيادة بل مفتخر بالعبودية وفيها عز لى اذلاعزة الافى طاعة الله ولاذل الافى معصية الله وقال بعضهم عزة الله قهره من دونه وعزة رسوله بظهور دينه على سائر الأديان كلها وعزة المؤمنين باستذلا لهم اليهود والنصارى كما قال وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقيل عزة الله الولاية لقوله تعالى هنالك الولاية لله الحق وعزة رسوله الكفاية لقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين وعزة المؤمنين الرفعة لقوله تعالى وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين يقول الفقير أشار تعالى بالترتيب الى ان العزة له بالاصالة والدوام وصار الرسول عليه السلام مظهرا له فى تلك الصفة ثم صار المؤمنون مظاهر له عليه السلام فيها فعزة الرسول بواسطة عزة الله وعزة المؤمنين بواسطة عزة الرسول سواء أعاصروه عليه السلام ام أتوا بعده الى ساعة القيام وجميع العزة لله لان عزة الله له تعالى صفة وعزة الرسول وعزة المؤمنين

لله فعلا ومنة وفضلا كما قال القشيري قدس سره العزالذى للرسول وللمؤمنين هو لله تعالى خلقا وملكا وعزه سبحانه له وصفا فاذا العزة كلها لله وهو الجمع بين قوله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا وقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ومن ادب من عرف انه تعالى هوالعزيز ان لايعتقد لمخلوق اجلالا ولهذا قال عليه السلام من تواضع لغنى لاجل غناه ذهب ثلثا دينه قال ابوعلى الدقاق رحمه الله انما قال ثلثا دينه لان التواضع يكون بثلاثة اشياء بلسانه و بدنه وقلبه فاذا تواضعله بلسانه و بدنه ولم يعتقدله العظمة بقلبه ذهب ثلثا دينه فان اعتقدها بقلبه ايضاذهب كل دينه ولهذا قيل اذاعظم الرب فى القلب صغر الخلق فى العين ومتى عرفت انه معز لم تطلب العز الامنه ولايكون العز الافى طاعته قال ذوالنون قدس سره لواراد الخلق ان يثبتوا لاحد عزا فوق مايثبته بسير طاعته لم يقدروا ولو ارادوا ان يثبتوا لاحد ذلة اكثر ممايثبته اليسير من ذلته ومخالفته لم يقدروا (حكى) عن بعضهم انه قال رأيت رجلا فى الطواف وبين يديه خدم يطردون الناس ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغدادية كفف ويسأل فحدقت النظر اليه لأعرفه هل هو ذلك الرجل اولا فقال لى مالك تطيل النظر الى فقلت انى اشبهك برجل رأيته فى الطواف من شأنه كذا وكذا فقال اناذاك انى تكبرت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى فى موضع يترفع فيه الناس (ولكن المنافقين لايعلمون) من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون مايهذون ولعل ختم الآية الاولى بلا يفقهون والثانية بلا يعلمون للتفنن المعتبر فى البلاغة مع ان فى الاول بيان عدم كياستهم وفهمهم وفى الثانى بيان حماقتهم وجهلهم وفى برهان القرآن الاول متصل بقوله ولله خزائن السموات والارض وفيه غموض يحتاج الى فطنة والمنافق لافطنة له والثانى متصل بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون ان الله معز اوليائه ومذل اعدائه (روى) ان عبدالله بن ابى لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبدالله بن عبدالله بن ابى وكان مخلصا وسل سيفه ومنع اباه من الدخول وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال عليه السلام لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا ولما كان عليه السلام بقرب المدينة هاجت ريح شديدة كادت تدفن الراكب فقال عليه السلام مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة اى لاجل ذلك عصفت الريح فكان كما قال مات فى ذلك اليوم زيد بن رفاعة وكان كهفا للمنافقين وكان من عظماء بنى قينقاع وكان ممن اسلم ظاهرا والى ذلك اشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

وقدعصفت ريح فأخبرانها * لموت عظيم فى اليهود بطيبة

ولما دخلها ابن ابى لم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات و استغفر له رسول الله وألبسه قميصه فنزل لن يغفر الله لهم وروى انه مات بعد القفول من غزوة تبوك قال بعض الكبار ما أمر الله عباده بارفق بالخلق والشفقة الا تأسيا به تعالى فيكونون مع الخلق كما كان الحق معهم فينصحونهم ويدلونهم على كل مايؤدى الى سعادتهم وليس بيد العبد الا التبليغ قال تعالى ماعلى الرسول الا البلاغ فعلى العارف ايضاح هذا الطريق الموصل الى هذا المقام والافصاح عن دسائسه وليس بيده اعطاء هذا المقام فان ذلك خاص بالله تعالى قال تعالى انك لاتهدى من احببت فوظيفة الرسل والورثة من العلماء انماهو التبليغ بالبيان والافصاح لاغير ذلك وجزاؤهم جزاء من اعطى ووهب والدال على الخير كفاعل الخير وفى التأويلات النجمية ولله العزة اى القوة لله الاسم الاعظم ولرسول القلب المظهر الاتم الاعم ولمؤمنى القوى الروحانية ولكن منافقى النفس والهوى وصفتهما الظلمانية الكدرة لايعلمون لاستهلاكهم فى الظلمة وانغماسهم فى الغفلة (يا ايها الذين آمنوا) ايمانا صادقا (لاتلهكم اموالكم ولااولادكم عن ذكرالله) فى الصحاح لهيت عن الشئ بالكسر الهى لهيا ولهيانا اذاسلوت وتركت ذكره واضربت عنه وفى القاموس لها كدعا سلاوغفل وترك ذكره كتلهى والهاه اى شغله ولهوت بالشئ بالفتح ألهو لهوا اذالعبت به والمعنى لايشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره تعالى من الصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود ففى ذكر الله مجاز اطلاق المسبب وأريد السبب قال بعضهم الذكر بالقلب خوف الله وباللسان قراءة القرآن والتسبيح والتهليل و التمجيد والتكبير وتعلم علم الدين وتعليمه وغيرها و بالابدان الصلاة وسائر الطاعات والمراد نهيهم عن التلهى بها اى عن ترك ذكرالله بسبب الاشتغال بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة بالتجوز بالسبب

عن المسبب كقوله تعالى فلا يكن فى صدرك حرج وقد ثبت ان المجاز ابلغ وقال بعضهم هو كناية لان الانتقال من لاتلهكم الى معنى قولنا لا تلهوا انتقال من اللازم الى الملزوم وقد كان المنافقون بخلاء باموالهم ولذا قالوا لاتنفقوا على من عند رسول الله ومتعززين بأولادهم وعشائرهم مشغولين بهم وباموالهم عن الله وطاعته وتعاونون رسوله فنهى المؤمنون ان يكونوا مثلهم فى ذلك (ومن يفعل ذلك) اى التلهى بالدنيا عن الدين والاشتغال بما سواه عنه ولو فى اقل حين (فاؤلئك هم الخاسرون) اى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى (قال الكاشفى) مقتضاى ايمان آنست كه دوستى خداى تعالى غالب بود بردوستى همه اشيا تاحدى كه اكر تمام نوال دنيا ومجموع نعم آخرت روى عرض كنند بنظر درهيج كدام ننكرد * چشم دل ازنعيم دوعالم به بسته ايم * مقصود مازد نبى وعقبى تو يى وبس * وفى الحديث ماطلعت الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان ويسمعان الخلائق غير الثقلين ياايها الناس هلموا الى ربكم ماقل وكفى خير مما كثر والهى وفى الآية اشارة الى كل ارباب الايمان الحقيقى الشهودى يقول الله لهم لاتشغلكم رؤية اموال اعمالكم الصالحة من الصلاة والزكاة والحج والصوم ولا اولاد الاحوال التى هى نتيجة الاعمال من المشاهدات والمكاشفات والمواهب الروحانية والعطايا الربانية عن ذكر ذاته وصفاته واسمائه وظهوره فى صورة الاعمال والاحوال ومن يفعل ذلك فانما يشغل بالخلق عن الحق ويحجب بالنعمة عن المنعم فاؤلئك هم الخاسرون خسروا رأس مال التجارة وماربحوا الا الخسران وهو حجاب عن المشهود الحقيقى قال بعضهم فى الآية بيان ان من لم يبلغ درجة التمكين فى المعرفة لايجوز له الدخول فى الدنيا من الاهل والمال والولد فانها شواغل قلوب الذاكرين عن ذكر الله ومن كان مستقيما فى المعرفة وقرب المذكور فذكره قائم بذكر الله اياه فيكون محفوظا من الخطرات المذمومة والشاغلات الحاجبة واما الضعفاء فلا يخرجون من بحر هموم الدنيا فاذا باشرت قلوبهم الحظوظ والشهوات لايكون ذكرهم صافيا عن كدورات الخطرات وقال سهل قدس سره لايشغلكم اموالكم ولا اولادكم عن اداء الفرائض فى اول مواقيتها فان من شغله عن ذكر الله وخدمته عرض من عروض الدنيا فهو من الخاسرين (وانفقوا مما رزقناكم) اى بعض مااعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة يعنى حقوق واجب را اخراج نماييد فالمراد هو الانفاق الواجب نظرا الى ظاهر الامر كما فى الكشاف ولعل التعميم اولى وانسب بالمقام (من قبل أن يأتى احدكم الموت) بأن يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام بما تقدم والتشويق الى ما تأخر ولم يقل من قبل ان يأتيكم الموت فتفوتوا اشارة الى ان الموت يأتيهم واحدا بعد واحد حتى يحيط بالكل (فيقول) عند تيقنه بحلوله (رب) اى آفريدكار من (لولا اخرتنى) هلا امهلتنى فلولا للتحضيض وقيل لا زائدة للتأكيد ولو للتمنى بمعنى لو اخرتنى (الى اجل قريب) اى امد قصير وساعة اخرى قليلة وقال ابو الليث ياسيدى ردنى الى الدنيا وابقنى زمانا غير طويل وفى عين المعانى مثل ما اجلت لى فى الدنيا (فاصدق) تاتصدق كنم وزكاة ادا نمايم وهو بقطع الهمزة لانها للتكلم وهمزته مقطوعة وبتشديد الصاد لان اصله اتصدق من التصدق فادغمت التاء فى الصاد وبالنصب لانه مضارع منصوب بان مضمرة بعد الفاء فى جواب التمنى فى قوله لولا اخرتنى (واكن من الصالحين) بالجزم عطفا على محل فاصدق كأنه قيل ان اخرتنى اصدق واكن وفيه اشارة الى ان التصدق من اسباب الصلاح والطاعة كما ان تركه من اسباب الفساد والفسق والفرق بين التصدق والهدية ان التصدق للمحتاج بطريق الترحم والهدية للحبيب لاجل المودة ولذا كان عليه السلام يقبل الهدية لا الصدقة فرضا كانت اونفلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما من كان له مال يجب فيه الزكاة فلم يزكه اومال يبلغه الى بيت الله فلم يحج يسأل عند الموت الرجعة فقال رجل اتق الله ياابن عباس انما سأل الكفار الرجعة قال ابن عباس رضى الله عنهما انى اقرأ عليك هذا القرآن فقال ياايها الذين آمنوا الى قوله فأصدق واكن من الصالحين فقال الرجل ياابن عباس وما يوجب الزكاة قال ما تادرهم فصاعدا قال فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة فالآية فى المؤمنين واهل القبلة لكن لاتخلو عن تعريض بالكفار وان تمنى الرجوع الى الدنيا لايختص بالكفار بل كل قاصر مفرط يتمنى ذلك قال بعض العلماء فى الآية دلالة على وجوب تعجيل الزكاة لان اتيان الموت محتمل فى كل ساعة وكذا غيرها من الطاعات اذا جاء وقتها لعل الاولى استحبابه

فى اغلب الاوقات ولذا اختار بعض المجتهدين اول الوقت عملا بقوله عليه السلام اول الوقت رضوان الله
اى لان فيه المسارعة الى رضى الله والاهتمام بالعمل اذ لا يدرى المرء أن يدرك آخر الوقت (ولن يؤخر الله نفسا)
اى ولن يمهلها مطيعة او عاصية صغيرة او كبيرة (اذا جاء اجلها) اى آخر عمرها اوانتهى ان اريد بالاجل
الزمان الممتد من اول العمر الى آخره يعنى چون عمر بآخر رسيد چيزى بر آن نيفزايند وازان كم نكنند
(قال الشيخ سعدى) كمك لحظه صورت نه بندد امان * چو پيمانه پرشد بدور زمان * واستنبط بعضهم عمر
النبى عليه السلام من هذه الآية فالسورة رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن فى فقده قال
بعضهم الموت على قسمين اضطرارى وهو المشهور فى العموم والعرف وهو الاجل المسمى الذى قيل فيه اذا جاء
اجلهم لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والموت الآخر موت اختيارى وهو موت فى الحياة الدنيا
وهو الاجل المقضى فى قوله ثم قضى اجلا ولا يصح للانسان هذا الموت فى حينه الا اذا وحد الله تعالى توحيد
الموتى الذين انكشفت لهم الاغطية وان كان ذلك الكشف فى ذلك الوقت لا يعطى سعادة الالمن كان من العامة
عالما بذلك فاذا انكشف الغطاء يرى ماعلم عينا فهو سعيد فصاحب هذا التوحيد ميت لاميت كالمقتول
فى سبيل الله نقله الله الى برزخ لاعن موت فالشهيد مقتول لاميت وكذلك هذا المعتنى به لما قتل نفسه
فى الجهاد الاكبر الذى هو جهاد النفس رزقه الله تعالى حكم الشهداء فولاه النيابة فى البرزخ فى حياته
الدنيا فموته معنوى وقتله مخالفة نفسه (والله خبير بما تعملون) فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر
فسارعوا فى الخيرات واستعدوا لما هو آت قال القاشانى قضية الايمان غلبة حب الله على محبة كل شئ فلا تكن
محبتهم ومحبة الدنيا من شدة التعلق بهم وبالاموال غالبة فى قلوبكم على محبة الله فتحجبون بهم عنه فتصيرون
الى النار فتخسرون نور الاستعداد الفطرى باضاعته فيما يفنى سريعا وتجردوا عن الاموال بانفاقها وقت الصحة
والاحتياج اليها لتكون فضيلة فى انفسكم وهيئة نورية لها فان الانفاق انما ينفع اذا كان عن ملكة السخاء
وهيئة التجرد فى النفس فاما عند حضور الموت فالمال للوارث لاله فلا ينفعه انفاقه وليس له الا التحسر
والندم وتمنى التأخير فى الاجل بالجهل فانه لو كان صادقا فى دعوى الايمان وموقنا بالآخرة لتيقن ان الموت
ضرورى وانه مقدر فى وقت معين قدره الله فيه بحكمته فلا يمكن تأخره ولتدارك امره قبل حلول المنية فانه
لا يدرى المرء كيف تكون العاقبة ولذا قيل لا تغتر بلباس الناس فان العاقبة مبهمة * مسكين دل
منكر چه فراوان داند * دردانش عاقبت فرومى ماند * وفى الحديث (لان يتصدق المرء فى حياته
بدرهم خير من ان يتصدق بمائة عند موته وقال عليه السلام الذى يتصدق عند موته او يعتق كالذى يهدى
اذا شبع وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رجل يارسول الله اى الصدقة اعظم اجرا قال ان تصدق
وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا
وقد كان لفلان يعنى اهمال نكنى تاآن زمان كه جان بحلقوم رسد كويى فلانرا اين وفلانرا اين باشد وخود
ازان فلان شود بمرك تو (روى) الامام الغزالى رحمه عن عبد الله المزنى انه قال جمع رجل من بنى اسرائيل
مالا كثيرا فلما اشرف على الموت قال لبنيه ائتونى باصناف اموالى فاتى بشئ كثير من الخيل والابل والدقيق
وغيره فلما نظر اليها بكى عليها تحسرا فرآه ملك الموت وهو يبكى فقال ما يبكيك فوالذى خولك ماخولك
ما انا بخارج من منزلك حتى افرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى افرقها قال هيهات انقطع عنك المهلة
فهلا كان ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه قال السلطان ولد قدس سره * بكذار جهان راكه
جهان آن تو نيست * وين دم كه همى زنى وفرمان تو نيست * كرمال جهان جمع كنى شاد مشو
ورتكيه بجان كنى جان آن تو نيست * وفى الآية اشارة الى انفاق الوجود المجازى الخلقى بالارادة الروحانية
لنيل الوجود الحقيقى من غير ان يأتى الموت الطبيعى بلا ارادة فيموت ميتة جاهلية من غير حياة ابدية لان النفس
لم تزل جاهلة غير عارفة بربها ولا شك ان الحياة الطيبة انما هى فى معرفة الله وهى لا تحصل الا بموت النفس
والطبيعة وحياة القلب والروح فمن لم يكن على فائدة من هذا الموت الارادى يتمنى الرجوع الى الدنيا عند الموت
الطبيعى لتصدق الوجود المجازى بالارادة والرغبة والكون من الصالحين لقبول الوجود الحقيقى وكل من كان
مستعدا لبذل الوجود الاضافى لقبول الوجود الاطلاقى وجاء زمانه باستيفائه احكام الشريعة الزهراء

واستقصائه آداب الطريقة البيضاء لا يمكن له على الحجاب والا حتجاب كما اذا جاء زمان نفخ الروح في الجنين باستكمال المدة يشتغل بنور الروح البتة اللهم الا ان تعرض آفة تمنعه عن ذلك والله خبير بما تعملون من بذل الوجود الا مكاني ونيل الوجود الواجبي الحقاني كما قال تعالى اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة جعلنا الله واياكم من الباذلين وجوده والمستفيضين منه تعالى فضله وجوده وان يختم لنا بالخير بان يوفقنا للاعراض عن الغير

تمت سورة المنافقين بعون الله المعين في اوائل شهر ربيع الاول من شهور سنة ست عشرة ومائة والف

(سورة التغابن مختلف في كونها مكية اومدنية وآيها ثمان عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما في السموات) من الروحانيات (وما في الارض) من الجسمانيات اى ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا والمراد اما تسبيح الاشارة الذى هو الدلالة فعم ما كل حي وجماد او تسبيح العبارة الذى هو ان يقول سبحان الله فتعمهما ايضا عند اهل الله وعن بعضهم سمعت تسبيح الحيتان في البحر المحيط يقلن سبحان الملك القدوس رب الاوقات والارزاق والحيوانات والنباتات ولولا حياة كل شئ من رطب ويابس ما اخبر عليه السلام انه يشهد للمؤذن وكم بين الله ورسوله مما جميع المخلوقات عليه من العلم بالله والطاعة له والقيام بحقه فآمن بعضهم وصدق وقبل ما اضافه الله الى نفسه وما اضاف اليه رسوله وتوقف بعضهم فلم يؤمنوا ولم يسمعوا وتأولوا الامر بخلاف ما هو عليه وقصدهم بذلك ان يكونوا من المؤمنين وهم في الحقيقة من المكذبين لترجيحهم حسهم على الايمان بما عرفه لهم ربهم لما لم يشاهد واذلك مشاهدة عين وعن بعض العارفين في الآية اى يسبح وجودك بغير اختيارك وانت غافل عن تسبيح وجودك وذلك ان وجودك قائم في كل لمحة بوجوده يحتاج الى كينونة بتكوينه اياه اين قلبك ولسانك اذا اشتغل بذكر غيرنا وفي الحقيقة لم يتحرك الوجود الا بامره ومشيئته وتلك الحركة اجابة داعي القدم في جميع مراده وذلك محض التقديس ولكن لا يعرفه الا العارف بالوحدانية (له الملك) الدائم الذى لا يزول وهو كمال القدرة ونفاذ التصرف وبالفارسية مرورا ست پادشاهى كه ارض وسما ومابينهما بيافريد (وله الحمد) اى حمد الحامدين وهو الثناء بذكر الاوصاف الجميلة والافعال الجزيلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على تأكيد الاختصاص وازاحة الشبهة بالكلية فان اللام مشعر باصل الاختصاص قدم او اخراى له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شئ وهو القائم به والمهيمن عليه المتصرف فيه كيف يشاء وهو المولى لاصول النعم وفروعها ولولا انه انعم بها على عباده لما قدر احد على ادنى شئ فالمؤمنون يحمدونه على نعمه وله الحمد في الاولى والآخرة واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وتسليط منه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده فلا بشر ملك وحمد من حيث الصورة لا من حيث الحقيقة * باغير او اضافة شاهى بود چنان * بربك دو چوب پاره زشطرنج نام شاه (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء فهو القادر على الايجاد والاعدام والاسقام والابراء والاعزاز والاذلال والتبييض والتسويد ونحو ذلك من الامور الغير المتناهية قال بعضهم قدرة الله تصلح للخلق وقدرة العبد تصلح للكسب فالعبد لا يوصف بالقدرة على الخلق والحق لا يوصف بالقدرة على الكسب فمن عرف انه تعالى قادر خشى من سطوات عقوبته عند مخالفته واملى لطائف نعمته ورحمته عند سؤال حاجته لا بوسيلة طاعته بل بكرمه ومنته وفي التأويلات النجمية ينزه ذاته المسبحة المقدسة عن الامثال والاضداد والاشكال والانداد ما في سموات القوى الروحانية وما في ارض القوى الجسمانية له ملك الوجود المطلق وله الحمد على نعمة ظهوره في الوجود المقيد وهويته المطلقة قادرة على ظهورها بالاطلاق والتقييد وهي في عينها منزهة عنهما وهما نسبتان اعتباريتان (هو الذى خلقكم) خلقا بديعا حاويا لجميع مبادى الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك (فمنكم كافر) اى فبعضكم اوفبعض منكم مختار للكفر كاسب له حسبما تقتضيه خلقته ويندرج فيه المنافق لانه كافر مضمر وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليهما من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا قال في فتح الرحمن الكفر

فعل الكافر والايمان فعل المؤمن والكفر والايمان اكتساب العبد لقول النبي عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة وقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله تعالى اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر عليه ذلك وعلمه منه وهذا طريق اهل السنة انتهى وفي الآية رد للدهرية والطبيعية فانهم ينكرون خالقية الله تعالى والخالق هو المخترع للاعيان المبدع لها (حكى) ان سنيا ناظر معتزليا في مسألة القدر فقطف المعتزلي تفاحة من شجرة وقال للسني أليس انا الذي قطفت هذه فقال له السني ان كنت الذي قطفتها فردها على ما كانت عليه فافحم المعتزلي وانقطع وانما الزمه بذلك لان القدرة التي يحصل بها الايجاد لابدان تكون صالحة للضدين فلو كان تفريق الاجزاء بقدرته لكان في قدرته وصلها ومن ادب من عرف انه سبحانه هو المنفرد بالخلق والايجاد ان لا يجحد كسب العبد ولا يطوي بساط الشرع في الابتلاء بالامر والنهي ولا يعتقدان للعبد على الله حجة بسبب ذلك (حكى) ان بعض الاكابر تعجب من تجاسر الملائكة في قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ثم قال ما عليهم شئ هو انطقهم فبلغ قوله يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه فقال صدق هو انطقهم ولكن انظر كيف افحمهم بين بذلك ان مجرد الخلق من جهة الحق لا يكون عذرا للعبيد في سقوط اللوم عنهم (ومنكم مؤمن) مختار للايمان كاسب له ويندرج فيه مرتكب الكبيرة الغير التائب والمبتدع الذي لا تفضي بدعته الى الكفر وتقديم الكفر عليه لانه الانسب بمقام التوبيخ والاغلب فيما بينهم ولذا يقول الله في يوم الموقف يا آدم اخرج بعث النار يعني ميز اهلها المبعوث اليها قال وما بعث النار اي عدده قال الله من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون وفي التنزيل ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وقليل من عبادي الشكور والايمان اعظم شعب الشكر (روى) ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال له عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فانما ادعو ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر يقول الفقير هذا القول من عمر من قبيل كسر النفس واستقصار العلم والمعرفة واستقلالهما على ما هو عادة الكمل فلا ينافي كماله في الدين والمعرفة حتى يكون ذلك سببا لجرحه في باب الخلافة كما استدل به الطوسي الخبيث على ذلك في كتاب التجريد له وفي الحديث الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت مؤمنا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا ومنهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت كافرا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت مؤمنا ومن هنا قال بعضهم قوم طلبوه فخذلهم وقوم هربوا منه فادركهم ابراهيم خواص قدس سره كفت در باديه وقتى بتجريد مى رفتم پيرى را ديدم دركوشهٔ نشسته وكلاهى برسر نهاده وبزارى وخوارى مى كريست كفتم يا هذا توكيستى كفت من ابو مره ام كفتم چرامى كريى كفت كريستن بكريستن سزاوار ترازمن جهل هزار سال بدان دركاه خدمت كرده اموده درافق اعلى ازمن مقدم تركس نبود اكنون تقدير الهى وحكم غيبى نكر كه مرا بچه روز آورد آنكه كفت اى خواص نكر تا بدين جهد وطاعت خويش غره نباشى كه بعنايت واختيار اوست نه بجهد وطاعت بنده بمن يك فرمان آمد كه آدم راسجده كن نكردم وآدم رافرمان آمد كه ازان درخت مخور خورد ودر كار آدم عنايت بود عذرش بنهادند وزلت اودر حساب نياوردند ودر كار من عنايت نبود طاعت درينهٔ من زلت شمردند

من لم يكن للوصال اهلا * فكل احسانه ذنوب

ومن هنا يعرف سر قول الشيخ سعدى * هركه درسايهٔ عنايت اوست * كنهش طاعتست ودشمن دوست *
(والله بما تعملون) مطلقا (بصير) فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان قال القاسم رحمه الله خاطبهم مخاطبة حال كونهم ذرا فسماهم كافرين ومؤمنين في ازله واظهرهم حين اظهرهم على ما سماهم وقدر عليهم فاخبر بانه عالم بما يعملونه من خير وشر واعلم ان الله تعالى يعلم لكنه يحكم ويقدر لكنه يغفر الا ان من اقصته السوابق لم تدنه الوسائل ومن اقعده جده لم ينفعه كده قيل ان بعض الاكابر بلغه ان يهوديا اوصى ان يحمل من بلده اذا مات ويدفن في بيت المقدس فقال ابكار الازل اما علم انه لو دفن في فراديس العلى لجاءت جهنم بانكالها وحملته الى نفسها والناس على اربعة اقسام

اصحاب السوابق وهم الذين تكون فكرتهم ابدا فيما سبق لهم من الله لعلمهم ان الحكم الازلى لايتغير باكتساب العبيد و اصحاب العواقب وهم الذين يكفرون ابدا فيما يختم به امرهم فان الامور بخواتيمها والعاقبة مستورة ولهذا قيل لايغرنكم صفاء الاوقات فان تحتها غوامض الآفات و اصحاب الوقت وهم الذين لايتفكرون فى السوابق ولافى المواحق اى العواقب بل يشتغلون بمراعاة الوقت و اداء ماكلفوا من احكام ولهذا قيل العارف ابن وقته وقيل الصوفى من لاماضى له ولا مستقبل (وفى المثنوى) صوفى ابن الوقت باشداى رفيق * نيست فرد اكفتن ازشرط طريق * و القسم الرابع هم الذين غلب عليهم ذكر الحق فهم مشغولون بشهود الموقت عن مراعاة الوقت وفى الآية اشارة الى هويته المطلقة عن النسب و الاضافات خلقكم اى تجلى لتعيناتكم الجنسية و النوعية والشخصية من غير تقييد و انحصار فمنكم اى فمن بعض هذه التعينات كافر بستر الحق المطلق بالخلق المقيد ويقول بالتفرقة دفعا لطعن الطاعن ومن بعض هذه التعينات مؤمن يؤمن بظهور الحق فى الخلق ويستر الخلق بالحق و يقول بالجمعية تأنيسا للمكاشفين بالحقائق و الله بما تعملون بصير من ستر الحق بالخلق دفعا للطاعن و من ستر الخلق بالحق تأنيسا للطالب الواجد (خلق السموات والارض بالحق) اى بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية و الدنيوية والمراد السموات السبع و الارضون السبع كما يدل عليه التصريح فى بعض المواضع قال تعالى خلق سبع سموات طباقا وقال تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن فان قلت ماوجه عدم ذكر العرش والكرسى فى امثال هذه المواضع مع عظم خلقهما قلت انهما وان كانا من السماء لان السماء هو الفلك والفلك جسم شفاف محيط بالعالم وهما اوسع الافلاك احاطة الا ان آثارهما غير ظاهرة مكشوفة بخلاف السموات و الارض ومابينهما فانهما أقرب الى المخاطبين المكلفين و معلوم حالها عندهم و مكشوفة آثارها ومنفعتها ولهذا قالوا ان الشمس تنضج الفواكه و القمر يلونها و الكواكب تعطيها الطعم الى غير ذلك ممالايتناهى على ان التغيرات فيها اظهر فهى على عظم القدرة أدل وقد قال تعالى كل يوم هو فى شأن واكثر هذه الشؤون فى عالم الكون و الفساد الذى هو عبارة عن السموات و الارض اذ هما من العنصريات بخلاف العرش و الكرسى فانهما من الطبيعيات ولهذا لايفنيان (وصوركم فأحسن صوركم) الفاء للتفسير اى صوركم احسن تصوير وخلقكم فى احسن تقويم و اودع فيكم من القوى و المشاعر الظاهرة و الباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته فى هذه النشأة فلكم جمال الصورة واحسن الاشكال ولذا لايتمنى الانسان ان يكون صورته على خلاف ماهو عليه لكون صورته احسن من سائر الصور ومن حسن صورته امتداد قامته وانتصاب خلقته واعتدال وجوده ولايقدح فى حسنه كون بعض الصور قبيحا بالنسبة الى بعض لان الحسن وهو الجمال فى الخلق والخلق على مراتب كما قالت الحكماء شيئان لاغاية لهما الجمال والبيان ولكم ايضا جمال المعنى وكمال الخصال * بدرون تست مصرى كه تو بى شكرستانش * چه غمست اكر زبيرون مددشكر ندارى * شدهٔ غلام صورت بمثال بت پرستان * توچو يوسفى وليكن سوى خود نظرندارى * بخدا جمال خود را چو درآينه ببينى * بت خويش هم تو باشى بكسى كذر ندارى * والمعتد به هو الحسن المعنوى لان الله خلق آدم على صورته اى على الصورة الالهية التى هى عبارة عن صفاته العليا واسمائه الحسنى والا فالحسن الصورى يوجد فى الكافر ايضا * ره راست بايدنه بالاى راست * كه كافرهم ازروى صورت چوماست * نعم قد يوجد سيرة حسنة وخلق حميد فى الكافر كعدل انوشروان مثلا لكن المعتد به مايكون مقارنا بالايمان الذى هو احسن السير قال بعض الكبار كل من كان فيه صفة العدل فهو ملك وان كان الحق تعالى ما استخلفه بالخطاب الالهى فان من الخلفاء من اخذ المرتبة بنفسه من غير عهد الهى اليه بها وقام بالعدل فى الرعايا استنادا الى الحق كما قال عليه السلام ولدت فى زمن الملك العادل يعنى كسرى فسماه ملكا ووصفه بالعدل ومعلوم ان كسرى فى ذلك العدل على غير شرع منزل لكنه نائب للحق من وراء الحجاب وخرج بقولنا وقام بالعدل فى الرعايا من لم يقم بالعدل كفرعون وامثاله من المنازعين لحدود الله والمغالبين لجنابه بمغالبة رسله فان هؤلاء ليسوا بخلفاء الله تعالى كالرسل ولانوابه كالملوك العادلة بل هم اخوان الشياطين قال الحسين رحمه الله احسن الصور

صورة اعتقت من ذل كن وتولى الحق تصويرها بيده ونفخ فيها من روحه والبسها شواهد النعت وحلاها بالتعليم شفاها واسجد لها الملائكة المقربين واسكنها فى جواره وزين باطنها بالمعرفة وظاهرها بفنون الخدمة والجمع فى قوله فاحسن صوركم باعتبار الانواع لان صورة الرومى ليست كصورة الهندى الى غير ذلك والافراد وهو ظاهر (واليه المصير) اى والى الله الرجوع فى النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له حتى يجازيكم بالانعام لا بالانتقام فكم من صورة حسناء تكون فى العقبى شوهاء بقبح السريرة والسيرة وكم من صورة قبيحة تكون حسناء بحسنهما * چه غم زنقصت صورت اهل معنى را * چوجان زروم بود كوتن ازحبش مى باش * وقد ثبت ان ضرس الكافر يوم القيامة مثل جبل احد وان غلظ جسده مسافة ثلاثة ايام وانه يسوء خلقه فتغلظ شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته وان اهل الجنة ضوء وجوههم كضوء القمر ليلة البدر او على احسن كوكب درى فى السماء وهم جرد مرد مكحلون ابناء ثلاث وثلاثين فطوبى لاهل اللطافة وويل لاهل الكثافة اعلم ان الله تعالى خلق سموات الكليات وارض الجزئيات بمظهرية الحق وظهوره فيهما بحسب استعداد الكل لا بحسبه وتجلى فى مظاهر صور الانسان بحسبه اى بجميع الاسماء والصفات ولذا قال تعالى فاحسن صوركم اى جعل صوركم احدية جمع جميع المظهريات الجامعة لجمع المظاهر السماوية العلوية والارضية السفلية كما قال عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته يعنى اورد الاسم الجامع فى عنوان الخلق اشارة الى تلك الجمعية فكان مصير الانسان الى الهوية الجامعة لجميع الهويات لكن حصل التفاوت بين افراده بحسب التجلى والاستتار والفعل والقوة فليس لاهل الحجاب ان يدعى كمالات اهل الكشف للتفاوت المذكور فيا عجبا من انسان خفى عليه مادفن فى ارض وجوده من كنز الهى غنى من نال اليه لم يفتقر ابدا وكيف قنع بقشر مع امكان تحصيل اللب وكيف اقام فى الحضيض مع سهولة العروج الى الاوج * چه شكرهاست درين شهركه قانع شده اند * شاهبازان طريقت بمقام مكسى (يعلم مافى السموات والارض) من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية (ويعلم ماتسرون وماتعلنون) اى ماتسرونه فيما بينكم وماتظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذى يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما قال فى برهان القرآن انما كرر مافى اول السورة لاختلاف تسبيح اهل الارض واهل السماء فى الكثرة والقلة والبعد والقرب من المعصية والطاعة وكذلك اختلاف ماتسرون وماتعلنون فانهما ضدان ولم يكرر مافى السموات والارض لان الكل بالاضافة الى علم الله جنس واحد لا يخفى عليه شئ (والله عليم بذات الصدور) اى هو محيط بجميع المضمرات المستكنة فى صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه مايسرونه وما يعلنونه وبالفارسية وخداى تعالى داناست بانچه در سينهاست از خواطر وافكار وانما قيل لها ذات الصدور وصاحبتها لملابستها لها وكونها مخزونة فيها فى الآية ترقى من الاظهر الى الاخفى لانه عالم بما فى السموات ومافى الارض وبما يصدر من بنى آدم سرا وعلنا وبما لم يصدر بعد بل هو مكنون فى الصدور واظهار الجلالة للاشعار بعلية الحكم وتأكيد استقلال الجملة قبل وتقديم القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الجهات الظاهرة مثل كون السماء فى العلو والارض فى السفل او الباطنة مثل ان يكون السماء متحركة والارض ساكنة الى غير ذلك فان للمتكلمين مسلكين فى اثبات العلم الاول ان فعله تعالى متقن اى محكم خال عن وجوه الخلل ومشتمل على حكم ومصالح متكثرة وكل من فعله متقن فهو عالم والثانى انه فاعل بالقصد والاختيار لتخصيص بعض الممكنات ببعض الانحاء ولا يتصور ذلك الا مع العلم وفى قوله ماتسرون اشارة الى علماء الظاهر من الحكماء والمتكلمين والى علومهم الفكرية النظرية ومايسرون فيها من عقائدهم الفاسدة ومقاصدهم الكاسدة وفى قوله وماتعلنون اشارة الى علماء الباطن من المشايخ والصوفية والى معارفهم ومواجيدهم الذوقية الكشفية ومايظهرون منها من الكرامات وخوارق العادات والله عليم بصدور عمل كل واحد من صدور قلوبهم بحسب الرياء والاخلاص والحق والباطل (ألم يأتكم) ايها الكفرة والالف للاستفهام ولم للجحد ومعناه التحقيق (نبأ الذين كفروا) اى خبر قوم نوح ومن بعدهم

من الامم المصرة على الكفر (من قبل) اى قبلكم فيكون متعلقا بكفروا اوقبل هذا الوقت اوهذا العصيان والمعاداة فيكون ظرفا لاتيانكم (فذاقوا وبال امرهم) عطف على كفروا والذوق وان كان فى التعارف للقليل لكنه مستصلح للكثير والوبال الثقل و الشدة المترتبة على امر من الامور والوبل والوابل المطر الثقيل القطار مقابل الطل وهوالمطر الخفيف وامرهم كفرهم فهو واحد الامور عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة والمعنى فذاقوا فى الدنيا من غير مهلة مايستتبعه كفرهم من الضرر والعقوبة واحسوه احساس الذائق المطعوم يعنى پس چشيدن كران بارئ خود ودشوارئ سرانجام خويش و ضرر كفر وعقوبت اودردنيا بغرق وريح صرصر وعذاب يوم الظلة وامثال آن وفى ايراد الذوق رمز الى ان ذلك المذوق العاجل شئ حقير بالنسبة الى ماسيرون من العذاب الآجل ولذلك قال تعالى (ولهم) فى الآخرة (عذاب اليم) اى مؤلم لايقادر قدره وفيه اخبار بان مااصابهم فى الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم والالم يعذبوا فى الآخرة بخلاف المؤمنين فان مااصابهم فى الدنيا من الآلام والاوجاع والمصائب كفارة لذنوبهم على ماورد فى الاخبار الصحيحة (ذلك) اى ماذكر من العذاب الذى ذاقوه فى الدنيا وماسيذوقونه فى الآخرة (بانه) اى بسبب ان الشان (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) اى بالمعجزات الظاهرة والباء اماللملابسة اوللتعدية (فقالوا) عطف على كانت (ابشر) آيا آدميان مثل ما (يهدوننا) راه نمايند مارا اى قال كل قوم من المذكورين فى حق رسولهم الذى اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر وآدمى مثلنا يهدينا ويرشدنا الى الدين او الى الله والتقرب منه كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه انكروا ان يكون الرسول بشرا ولم ينكروا ان يكون المعبود حجرا وقداجمل فى الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر فى قوله تعالى ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وارتفاع بشر على انه فاعل فعل مضمر يفسره مابعده فيكون من باب الاشتغال وهو اولى من جعله مبتدأ ومابعده خبرا لان اداة الاستفهام تطلب الفعل ظاهرا اومضمرا قال القاشانى لما حجبوا بصفات نفوسهم عن النور الذى هو به يفضل عليهم بالايقاس ولم يجدوا منه الاالبشرية انكروا هدايته فان كل عارف لايعرف معروفه الابالمعنى الذى فيه فلايوجد النور الكمالى الابالنور الفطرى ولايعرف الكمال الاالكامل ولهذا قيل لايعرف الله غيرالله وكل طالب وجد مطلوبه بوجه ما والالماامكنه التوجه نحوه وكذا كل مصدق بشئ فانه واجد للمعنى المصدق به بمافى نفسه من ذلك المعنى فلما لم يكن فيهم شئ من النور الفطرى اصلا لم يعرفوا منه الكمال فانكروه ولم يعرفوا من الحق شيأ ولم يحدث فيهم طلب حتى يحتاجوا الى الهداية فانكروا الهداية وقال بعض العارفين معرفة مقام الاولياء اصعب من الممكن من معرفة الله تعالى لان الله تعالى معروف بكماله وجماله وجلاله وقهره بخلاف الولى الكامل فانه ملآن من شهود الضعف يأكل ويشرب ويبول مثل غيره من الخلق ولا كرامة له تظهر الابان يناجى ربه وانى للخلق معرفة مقامه والله اوكشف للخلق عن حقيقة الولى لعبد كما عبد عيسى عليه السلام واوكشف لهم عن مشرقات نوره لانطوى نورالشمس والقمر من مشرقات نور قلبه ولكن فى ستر الحق تعالى لمقام الولى حكم واسرار وادنى مافى الستر ان لايتعرض احد لمحاربة الله تعالى اذا آذاهم بعدان عرفهم انهم اولياء الله فكان ستر مقامهم عن الخلق رحمة بالخلق وفتح لباب اعتذار من آذاهم من غالب الخلق فان الاذى لم يزل من الخلق لهم فى كل عصر لجهلهم بمقامهم (فكفروا) اى بالرسل بسبب هذا القول لانهم قالوه استصغارا لهم ولم يعلموا الحكمة فى اختيار كون الرسل بشرا (وتولوا) عن التدبير فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم (واستغنى الله) اى اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولاغناه تعالى عنهما لمافعل ذلك وقال سعدى المفتى هو حال بتقدير قدوهو بمعنى غنى الثلاثى والمراد كمال الغنى اذ الطلب يلزمه الكمال (والله غنى) عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم (حميد) يحمده كل مخلوق بلسان الحال و يدل على اتصافه بالصفات الكمالية او يحمده اولياؤه وان امتنع اعداؤه والحمد هو ذكر اوصاف الكمال من حيث هو كمال ومن عرف انه الحميد فى ذاته وصفاته وافعاله شغله ذكره والثناء عليه فان العبد وان كثرت محامده من عقائده واخلاقه وافعاله واقواله فلايخلو عن مذمة ونقص الاالنبى عليه السلام فانه محمد واحمد ومحمود من كل وجه وله المحمدة والكمال وفى الاربعين الادريسية

ياحميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه قال السهروردي رحمه الله من داومه يحصل له من الاموال مالايمكن ضبطه (زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم يعني ازعم زيدا قائما اقول انه كذا في تصدير الجملة بقوله ازعم اشعار بانه لاسند للحكم سوى ادعائه اياه وقوله به و يتعدى الى مفعولين تعدى العلم وقد قام مقامهما ان المخففة مع مافي حيزها فان مخففة لاناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله والمراد بالموصول كفار مكة اي زعموا وادعوا ان الشان لن يبعثوا بعد موتهم ابدا ولن يقاموا و يخرجوا من قبورهم وعن شريح رضى الله عنه لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا قال بعض المخضرمين لابنه هب لي كلامك كثنين زعم وسوف انتهى ويكره للرجل ان يكثر لفظ الزعم وامثاله فانه تحديث بكل ماسمع وكفى بذلك كذبا واذا اراد ان يتكلم تكلم بما هو محقق لابما هو مشتبه و بذلك يتخلص من ان يحدث بكل ماسمع فيكون معصوما من الكذب كذا في المقاصد الحسنة (قل) ردا لهم وابطالا لزعمهم باثبات مانفوه (بلى) اي تبعثون فان بلى لايجاب النفي الذي قبله وقوله (وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) اي لتحاسبن وتجزون باعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتأكيد ماافاده كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق امر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقيق البعث بوجهين فقوله وربي قسم اهل اختياره ههنا لما ان في البعث اظهار كمال الربوبية المفيدة لتمام المعرفة وايثار دوام التربية بالنعم الجسمانية الظاهرة والنعم الروحانية الباطنة وقوله لتبعثن اصله لتبعثون حذفت واوه لاجتماع الساكنين تجيئ نون التأكيد وان كان على حده طلبا للخفة واكتفاء بالضمة وهو جواب قسم قبله مؤكد باللام المؤكدة للقسم وثم لتراخي المدة لطول يوم القيامة اولتراخي الرتبة وظاهر كلام اللباب ان يكون وربي قسما متعلقا بماقبله قد تم الكلام عنده وحسن الوقف عليه و يجعل لتبعثن بما عطف عليه جواب قسم آخر مقدر مستأنف لتأكيد الاول لعل فائدة الاخبار بالقسم مع ان المشركين ينكرون الرسالة كما ينكرون البعث ابطال لزعمهم بالتشديد والتأكيد ليتأثر من قدر الله له الانصاف وتتأكد الحجة على من لم يقدر له وكان محروما بالكلية (وذلك) اي ماذكر من البعث والجزاء (على الله يسير) اي سهل على الله لتحقق القدرة التامة وقبول المادة واذا كان الامر كذلك (فآمنوا) بصرف ارادتكم الجزئية الى اسباب حصول الايمان (بالله) الباعث من القبور المجازي على كل عمل ظاهرا ومستور (ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم الذي اخبر عن شؤون الله تعالى وصفاته (والنور الذي انزلنا) اي انزلناه على رسولنا وهو القرآن فانه باعجازه بين بنفسه انه حق نازل من عند الله مبين لغيره ومظهر للحلال والحرام كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية (والله بما تعملون) من الامتثال بالامر وعدمه (خبير) فمجازيكم عليه (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤن ومابينهما اعتراض اومفعول لاذكر الظاهر ان الخطاب لمن خوطب اولا بقوله الم يأتكم (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون من الجن والانس واهل السماء والارض اي لاجل مافيه من الحساب والجزاء وهو يوم القيامة فاللام للعهد اي جمع هذا اليوم عن النبي عليه السلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل المراد جمع الله بين العبد وعمله وقيل بين الظالم والمظلوم اوبين كل نبي وامته (ذلك) اليوم (يوم التغابن) تفاعل من الغبن وهو ان تخسر صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الاخفاء والتغابن ان يغبن بعضهم بعضا ويوم القيامة يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لوكانوا سعداء وبالعكس وفيه تهكم لان نزولهم ليس بغبن يعني ان كون نزول الاشقياء منازل السعداء من النار لوكانوا اشقياء غبنا باعتبار الاستعارة التهكمية والافهم بنزولهم في النار لم يغبنوا اهل الجنة وفي الحديث مامن عبد يدخل الجنة الااري مقعده من النار لواساء ليزداد شكرا ومامن عبد يدخل النار الااري مقعده من الجنة لواحسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه مالايقع في امور الدنيا فاللام للعهد الذي يشار به عند عدم المعهود الخارجي الى الفرد الكامل اي التغابن الكامل العظيم الذي لاتغابن فوقه قال القاشاني ليس التغابن في الامور الدنيوية فانها امور فانية سريعة

الزوال ضرورية الفناء لايبقى شئ منها لاحد فان فات شئ من ذلك اوافاته احدواو كان حياته فانمافات اوافيت مالزم فواته ضرورة فلاغبن ولاحيف حقيقة وانما الغبن والتغابن فى افاتة شئ اولم يفته لبقى دائما وانتفع به صاحبه سرمدا وهو النور الكمالى والاستعدادى فتظهر الحسرة والتغابن هناك فى اضاعة الربح ورأس المال فى تجارة الفوز والنجاة كما قال فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فمن اضاع استعداده اواكتسب منه شيأولم يبلغ غايته كان مغبونا بالنسبة الى الكمال التام وكلما ظفر ذلك الكامل بمقامه ومرامه وبقى هذا متحسرا فى نقصانه انتهى وقال الراغب يوم التغابن يوم القيامة لظهور الغبن فى المبايعة المشار اليها بقوله ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله وبقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقوله الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فلعلهم غبنوا فيما تركوا من المبايعة وفيما تعاطوا من ذلك جميعا وسئل بعضهم عن يوم التغابن فقال تبدو الاشياء بخلاف مقاديرها فى الدنيا وقال بعضهم يظهر يومئذ غبن الكافر بترك الايمان وغبن المؤمن بتقصيره فى الاحسان واذادخل العارف الجنة ورآه صاحب الحال فانه يراه كما يرى الكوكب الدرى فى السماء فيتمنى ان يكون له مثل مرتبة العارف فلا يقدرعليها فيتحسر على تفويته اسباب ذلك فى الدنيا وقد ورد لايتحسر اهل الجنة فى الجنة الاساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها قيل اشد الناس غبنا يوم القيامة ثلاثة نفر عالم علم الناس فعملوا بعلمه وخالف هو علمه فدخل غيره الجنة بعلمه ودخل هو النار بعمله وعبد اطاع الله بقوة مال سيده وعصى الله سيده فدخل العبد الجنة بقوة مال مالكه ودخل مالكه النار بمعصية الله وولد ورث مالا من ابيه وابوه شح به وعصى الله فيه فدخل ابوه بخله النار ودخل هو بانفاقه فى الخير الجنة * بخورا ى نيك سيرت وسره مرد * كان نكون بخت كرد كردو نخورد * وفى الحديث لايلقى الله احد الانادما ان كان مسيئا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزدد وقال بعض العارفين لايجوز الترقى فى الآخرة الافى مقام حصله المكلف فى هذه الدار فمن عرف شيأ وتعلقت همته بطلبه كان له اما عاجلا واما آجلا فان ظفر به فى حياته كان ذلك اختصاصا واعتناء وان لم يظفر به فى حياته معجلا كان مدخراله بعد المفارقة له ثم ضرورة لازمة ومن لم يتحقق بمقام فى هذا الموطن لم يظفر به ثم ولذلك سمى يوم التغابن لانقطاع الترقى فيه فاعلم ذلك وقال بعضهم الغبن كل الغبن ان لايعرف الصفاء فى الكدورة واللطف فى صورة القهر فتوحش عن الحق بالتفرقة وهو فى عين الجمع والانس وايضا يقع الغبن لمن كان مشغولا بالجزآء والعطاء ورؤية الاعواض واما من كان مشغولا بمشاهدة الحق فقد خرج عن حد الغبن وايضا يقع الكل فى الغبن اذا عاينوا الحق بوصفه وهم وجدوه اعظم واجل مما وجدوه فى مكاشفاتهم فى الدنيا فيكونون مغبونين حيث لم يعرفوه حق معرفته ولم يعبدوه حق عبادته وان كانوا لايعرفونه ابدا حق معرفته واى غبن اعظم من هذا اذ يرونه ولا يصلون الى حقيقة وجوده وقال ابن عطاء رحمه الله تغابن اهل الحق على مقادير الضياء عند الرؤية والتجلى وقال بعض الكبار يوم شهود الحق فى مقام الجمعية يوم غبن اهل الشهود والمعرفة على اهل الحجاب والغفلة فانهم فى نعيم القرب والجمع واهل الحجاب فى جحيم البعد والفراق (ومن يؤمن بالله) بالصدق والاخلاص بحسب نور استعداده (ويعمل صالحا) اى عملا صالحا بمقتضى ايمانه فان العمل انما يكون بقدر النظر وهو اى العمل الصالح ماينبغى به وجه الله فرضا اونفلا (روى) ان ابراهيم بن ادهم رحمه الله اراد ان يدخل الحمام فطلب الحمامى الاجرة فتأوه وقال اذالم يدخل احد بيت الشيطان بلااجرة فانى يدخل بيت الرحمن بلاعمل (يكفر) اى يغفر الله ويمح (عنه سيئاته) يوم القيامة فلا يفضحه بها (ويدخله) بفضله وكرمه لابالايجاب (جنات) على حسب درجات اعماله (تجرى من تحتها) اى من تحت قصورها واشجارها (الانهار) الاربعة (خالدين فيها) حال من الهاء فى يدخله وحدا ولاحملا على لفظ من ثم جمع حملا على معناه (ابدا) نصب على الظرف وهو تأكيد للخلود (ذلك) اى ماذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات (الفوز العظيم) الذى لافوز وراءه لانطوائه على النجاة من اعظم الهلكات والظفر باجل الطيبات فيكون اعلى حالا من الفوز الكبير لانه يكون بجلب المنافع كما فى سورة البروج والفوز العظيم فى الحقيقة هو الانخلاع عن الوجود المجازى والتلبس بلباس الوجود الحقيقى وذلك موقوف على الايمان الحقيقى الذوقى والعمل الصالح المقارن بشهود العامل فان نور الشهود حينئذ يستر ظلمات وجوده الاضافى وينوره بنور الوجود

الحقيق ويدخله جنات الوصول والوصال التي تجري من تحتها الانهار مملوءة من ماء المعارف والحكم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) تصريح بما علم التزاما والمراد بالآيات اما القرآن او المعجزات فان كلا منهما آية لصدق الرسول (اولئك اصحاب النار) اى اهلها اى ملازموها ابدا بمعنى مصاحبوها لخلودهم فيها ومالكوها تنزيلا لهم منزلة الملاك للتهكم حال كونهم (خالدين فيها) اى ابدا بقرينة المقابلة (وبئس المصير) اى النار كأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن وانما قلنا كأن لان الواو مانع الحمل على البيان كما عرف فى المعانى وفى الآية اشارة الى المحجوبين عن الله المحرومين من الايمان الحقيقى بان يكون ذلك بطريق الذوق والوجدان لا بطريق العلم والبرهان المكذبين آيات الله الظاهرة فى خواص عباده بحسب التجليات فانهم اصحاب نار الحجاب وجحيم الاحتجاب على الدوام والاستمرار وبئس المصير هذه النار فعلى العاقل ان يجتهد حتى يكشف الله عمى قلبه وغشاوة بصيرته فيشاهد آثار الله وآياته فى الانفس والآفاق ويتخلص من الحجاب على الاطلاق فنى نظر العارفين عبرة وحكمة وفى حركاتهم شأن ومصلحة (حكى) ان اباحفص النيسابورى رحمه الله خرج مع اصحابه فى الربيع للتنزه فر بدار فيها شجرة مزهرة فوقف ينظر اليه معتبرا فخرج من الدار شيخ مجوسى فقال له يا مقدم الاخيار هل تكون ضيفا لمقدم الاشرار فقال نعم فدخلوا وكان معهم من يقرأ القرآن فقرأ فلما فرغ قال لهم المجوسى خذوا هذه الدراهم واشتروا بها طعاما من السوق من اهل ملتكم لانكم تتنزهون عن طعامنا ففعلوا فلما ارادوا الخروج قال المجوسى للشيخ لا افارقك بل اكون احد اصحابك ثم اسلم هو واولاده ورهطه وكانوا بضع عشرة نفسا فقال ابو حفص لاصحابه اذا خرجتم للتنزه فاخرجوا هكذا * چون نظر ميداشت ارباب شهود * مؤمن آمد بى نفاق اهل جحود (ما) نافية ولذا زاد من المؤكدة (اصاب) الخلق يعنى نرسد بهيچ كس (من مصيبة) من المصائب الدنيوية فى الابدان والاولاد والاموال (الا باذن الله) استثناء مفرغ منصوب المحل على الحال اى ما اصاب مصيبة ملتبسة بشئ من الاشياء الا باذن الله اى بتقديره وارادته كأنها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ان تصيبه وهذا لا يخالف قوله تعالى فى سورة الشعرآء وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير اى بسبب معاصيكم ويتجاوز عن كثير منها ولا يعاقب عليها اما اولا فلان هذا القول فى حق المجرمين فكم من مصيبة تصيب من اصابته لامر آخر من كثرة الاجر للصبر وتكفير السيئات لتوفية الاجر الى غير ذلك وما اصاب المؤمنين فمن هذا القبيل واما ثانيا فلان ما اصاب من ساء بسوء فعله فهو لم يصب الا باذن الله وارادته ايضا كما قال تعالى قل كل من عند الله اى ايجادا او ايصالا فسبحان من لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء وكان الكفار يقولون لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب فى اموالهم وابدانهم فى الدنيا فبين الله ان ذلك انما يصيبهم بتقديره ومشيئته وفى اصابتها حكمة لا يعرفها الا هو منها تحصيل اليقين بان ليس شئ من الامر فى يديهم فيبرؤن بذلك من حولهم وقوتهم الى حول الله وقوته ومنها ما سبق آنفا من تكفير ذنوبهم وتكثير مثوباتهم بالصبر عليها والرضى بقضاء الله الى غير ذلك ولولم يصب الانبياء والاولياء محن الدنيا وما يطرأ على الاجسام لافتتن الخلق بما ظهر على ايديهم من المعجزات والكرامات على ان طريان الآلام والاوجاع على ظواهرهم لتحقق بشريتهم لا على بواطنهم لتحقق مشاهدتهم والانس بربهم فكأنهم معصومون محفوظون منها لكون وجودها فى حكم العدم بخلاف حال الكفار والاشرار نسأل العفو والعافية من الله الغفار وفى الآية اشارة الى اصابة مصيبة النفس الامارة بالاستيلاء على القلب والى اصابة مصيبة القلب السيار بالغلبة على النفس فانهما باذن تجليه القهرى للقلب الصافى بحسب الحكمة او باذن تجليه اللطفى الجمالى للنفس الجانية بحسب النقمة (ومن يؤمن بالله) يصدق به ويعلم انه لا يصيبه مصيبة الا باذن الله والاكتفاء بالايمان بالله لانه الاصل (يهد قلبه) عند اصابتها للثبات والاسترجاع فيثبت ولا يضطرب بان يقول قولا او يظهر وصفا يدل على التضجر من قضاء الله وعدم الرضى به ويسترجع ويقول انا لله وانا اليه راجعون ومن عرف الله واعتقد انه رب العالمين يرضى بقضائه ويصبر على بلائه فان التربية كما تكون بما يلائم الطبع تكون بما ينفر عنه الطبع وقيل يهد قلبه اى يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه فيرضى بقضائه ويسلم لحكمه وقيل يهد قلبه اى يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وبالفارسية الله راه نمايد دل اورا به پسند كارى ومن يدطاعت

وقال ابو بكر الوراق رحمه الله ومن يؤمن بالله عند الشدة والبلاء فيعلم انهما من عدل الله يهد قلبه الى حقائق الرضى وزوائد اليقين وقال ابو عثمان رحمه الله من صحح ايمانه بالله يهد قلبه لاتباع سنن نبيه عليه السلام وعلامة صحة الايمان المداومة على السنن وملازمة الاتباع وترك الآراء والاهواء المضلة وقال بعضهم ومن يؤمن بالله تحقيقا يهد قلبه الى العمل بمقتضى ايمانه حتى يجد كمال مطلوبه الذى امر به ويصل الى محل نظره وقال بعضهم ومن يؤمن بالله بحسب ذاته نور قلبه بنور المعرفة باسمائه وصفاته اذ معرفة الذات تستلزم معرفة الصفات والاسماء من غير عكس وباعتبار سبق الهداية ولحوقها فان الايمان بالله انما هو بهداية سابقة وهداية القلب انما هى هداية لاحقة يندفع توهم ان الايمان موقوف على الهداية فاذا كانت هى موقوفة عليه كما تفيده من الشرطية لما ان الشرط مقدم على المشروط لدار فان للهداية مراتب تقدما وتأخرا لاتنقطع ولذلك ندعوا الله كل يوم ونقول مرارا اهدنا الصراط المستقيم بناء على ان فى كل عمل نريده صراطا مستقيما يوصل الى رضى الله تعالى وقيل انه مقلوب ومعناه من يهد قلبه يؤمن بالله * وروى فى يهد سبع قراآت المختار من السبع يهد مفردا غائبا راجعا ضميره الى الله مجزوم الآخر ليكون جواب الشرط المجزوم من الهداية وقرئ نهد بالنون على الالتفات منها ايضا ويهد مجهولا برفع قلبه على انه قائم مقام الفاعل منها ايضا ويهد بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ورفع قلبه ايضا بمعنى يهتد كقوله تعالى امن لايهدى الا ان يهدى ويهدأ من باب يسأل ويهدا بقلبها الفا ويهد بحذفها تخفيفا فيهما والمعنى يطمئن ويسكن الى الحق (والله بكل شئ) من الاشياء التى من جملتها القلوب واحوالها كتسليم من انقاد لامره وكراهة من كرهه وكما فانها وخلوصها من الآفات (عليم) فيعلم ايمان المؤمن وخلوصه ويهدى قلبه الى ماذكر (واطيعوا الله) اطاعة العبد لمولاه فيما يأمره (واطيعوا الرسول) اطاعة الامة لنبيها فيما يؤديه عن الله اى لايشغلكم المصائب عن الاشتغال بطاعته والعمل بكتابه وعن الاشتغال بطاعة الرسول واتباع سنته وليكن جل همتكم فى السراء والضراء العمل بما شرع لكم قال القاشانى واطيعوا الله واطيعوا الرسول على حسب معرفتكم بالله وبالرسول فان اكثر التخلف عن الكمال والوقوع فى الخسران والنقصان انما يقع من التقصير فى العمل وتأخر القدم لامن عدم النظر كرر الامر للتأكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين فى الكيفية وتوضيح مورد التولى فى قوله (فان توليتم) اى اعرضتم عن اطاعة الرسول (فانما على رسولنا البلاغ المبين) تعليل للجواب المحذوف اى فلا بأس عليه اذ ماعليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لامزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة فى مقام اضماره لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولى عنه وفى التأويلات النجمية اطيعوا الله بتهيئة الاسباب بمظهرية ذاته وصفاته واطيعوا الرسول بتحصيل القابلية لمظهرية احكام شريعته الظاهرة وآداب طريقته الباطنة فان اعرضتم عن تهيئة الاسباب والاستعداد وتصفية هذين الامرين الكليين بالاقبال على الدنيا والاستهلاك فى بحر شهواتها فانما على رسولنا البلاغ المبين وعليكم العذاب المهين (الله لا اله) فى الوجود (الا هو) جملة من مبتدأ وخبر اى هو المستحق للمعبودية لاغيره وهو القادر على الهداية والضلالة لاشريك له فى الارشاد والاضلال وليس بيد الرسول شئ من ذلك (وعلى الله) اى عليه تعالى خاصة دون غيره لااستقلالا ولا اشتراكا (فليتوكل المؤمنون) فى تثبيت قلوبهم على الايمان والصبر على المصائب واظهار الجلالة فى موضع الاضمار للاشعار بعلية التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة وفى الآية بعث رسول الله وللمؤمنين وحثلهم على الثبات على التوكل والازدياد فيه حتى ينصرهم على المكذبين وعلى من تولى عن الطاعة وقبول احكام الدين واعلم ان التوكل من المقامات العالية وهو اظهار العجز والاعتماد على الغير وفى الحدائق التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس عما فى ايدى الناس وظاهر الامر يفيد وجوب التوكل مع انه غير موجود فى اكثر الناس فيلزم ان يكونوا عاصين ولعل المأمور به هو التوكل العقلى وهو ان يعتقد العبد انه مامن مراد من مراداته الدنيوية والاخروية الا وهو يحصل من الله فيثق به فى حصوله ويرجو منه وان كانت النفس تلتفت الى الغير وتتوقع منه نظرا الى اعتقاد سببيته والله مسبب الاسباب واما التوكل الطبيعى الذى لايكون ثقة صاحبه طبعا الا بالله وحده ولا اعتماده الا عليه فى جميع مقاصده مع قطع النظر عن الاغيار

كلها رأسا فهو عسير فلما يوجد الا فى الكمل من الاولياء كما حكى عن بشر الحافى رحمه الله انه جاءه جماعة من الشام وطلبوا منه ان يحج معهم فقال نعم ولكن بثلاثة شروط ان لانحمل معنا شيأ ولا نسأل احدا شيأ ولانقبل من احد شيأ فقالوا اما الاول والثانى فقدر عليه واما الثالث فلا نقدر فقال انتم الذين تحجون متوكلين على زاد الحاج وقيل من ادعى التوكل ثم شبع فقد حمل زادا وعن بعضهم انه قال حججت اربع عشرة مرة حافيا متوكلا وكان يدخل الشوك فلا اخرجه لئلا ينقص توكلى وعن ابراهيم الخواص رحمه الله بينا انا اسير فى البادية اذ قال لى اعرابى يا ابراهيم التوكل عندنا فاقم عندنا حتى يصح توكلك ماتعلم ان رجاءك دخول بلد فيه اطعمة يحملك ويقويك اقطع رجاءك عن دخول البلدان فتوكل فاذا كان رجاء دخول البلدان مانعا عن التوكل التام فظنك بالاقامة فى بلاد خصبة واذا اوقع الله التوكل على الجلالة لانها جامعة لجميع الاسماء فالتوكل عليه توكل تام والتوكل على الاسماء الجزئية توكل ناقص فمن عرف الله وكل اليه اموره وخرج هو من البين ومن جعل الله وكيله لزمه ايضا ان يكون وكيلا لله على نفسه فى استحقاق حقوقه وفرائضه وكل مايلزمه فيخاصم نفسه فى ذلك ليلا ونهارا اى لا يفتر لحظة ولا يقصر طرفة فان الاوقات سريعة المرور خاك دردستش بودچون بادهنگام اجل * هركه اوقات كرامى صرف آب وكل كند (يا ايها الذين آمنوا) ايمانا خالصا (ان من ازواجكم) جمع زوج يعم الحليل والحليلة وسيجيئ مافى اللباب (واولادكم) جمع ولد يعم الابن والبنت (عدوا لكم) يشغلونكم عن طاعة الله وان لم يكن لهم عداوة ظاهرة فان العدو لايكون عدوا بذاته وانما يكون عدوا بفعله فاذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدوا ولا فعل اقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة او يخاصمونكم فى امور الدين اوالدنيا واشد المكر مايكون فى الدين فان ضرره اشد من ضرر مايكون فى الدنيا وجاء فى الخبر ليس عدوك الذى لقيته فقتلته وآجرك الله على قتله ولكن اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وامرأتك تضاجعك على فراشك وولدك من صلبك قدم الازواج لانها مصادر الاولاد ولانها لكونها محل الشهوات الصق بقلوب الناس واشد اشغالا لهم عن العبودية ولذا قدمها الله تعالى فى قوله زين للناس حب الشهوات من النساء وفى اللباب ان قوله ان من ازواجكم يدخل فيه الذكر فكما ان الرجل تكون زوجته وولده عدواله كذلك المرأة يكون زوجها عدوا لها بهذا المعنى فيكون الخطاب هنا عاما على التغليب ويحتمل ان يكون الدخول باعتبار الحكم لاباعتبار الخطاب (فاحذروهم) الحذر احتراز عن مخيف والضمير للعدو فانه يطلق على الجمع قال بعضهم احذروهم اى احفظوا انفسكم من محبتهم وشدة التعلق والاحتجاب بهم ولاتؤثروا حقوقهم على حقوق الله تعالى وفى الحديث (اذا كان امراؤكم خياركم واغنياؤكم اسخياءكم وامركم شورى بينكم اى ذا تشاور لايتفرد احد برأى دون صاحبه فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كان امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم وامركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها وفى الحديث (شاوروهن وخالفوهن) وقد استشار النبى عليه السلام ام سلمة رضى الله عنها كما فى قصة صلح الحديبية فصار دليلا لجواز استشارة المرأة الفاضلة ولفضل ام سلمة ووفور عقلها حتى قال امام الحرمين لانعلم امرأة اشارت برأى فأصابت الا ام سلمة كذا قال وقد استدرك بعضهم ابنة شعيب فى امر موسى عليهما السلام (حكى) ان خسرو كان يحب اكل السمك فكان يوما جالسا فى المنظرة وشيرين عنده اذجاء صياد ومعه سمكة كبيرة فوضعها بين يديه فأعجبته فأمر له بأربعة آلاف درهم فقالت شيرين بئس مافعلت لانك اذا اعطيت بعد هذا احدا من عسكرك هذا القدر احتقره وقال اعطانى عطية الصياد فقال خسرو لقد صدقت لكن يقبح على الملوك ان يرجعوا فى عطياتهم فقالت شيرين تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر او انثى فان قال ذكر فقل انما اردنا انثى وان قال انثى فقل انما اردنا ذكرا فنودى الصياد فعاد فقال له الملك هذه السمكة ذكر او انثى فقال هذه السمكة خنثى فضحك خسرو من كلامه وامر له بأربعة آلاف درهم اخرى فقبض ثمانية آلاف درهم ووضعها فى جراب معه وحملها على كاهله وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب وانحنى على الدرهم فأخذه والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين للملك ارأيت الى خسة هذا الرجل وسفالته سقط منه درهم واحد فألقى عن كاهله ثمانية آلاف درهم وانحنى على ذلك الدرهم وأخذه ولم يسهل عليه ان يتركه فغضب الملك وقال لقد صدقت ياشيرين ثم امر باعادة الصياد فقال يادنيئ الهمة لست

بانسان ماهذا الحرص والتهالك على درهم واحد فقبل الصياد الارض وقال انى لم ارفع ذلك الدرهم لخطره عندى وانما رفعته عن الارض لان على احد وجهيه اسم الملك وعلى الآخر صورته فخشيت ان يأتى احد بغير علم فيضع عليه قدمه فيكون ذلك استخفافا بالملك وصورته فتعجب خسرو من كلامه فامر له باربعة آلاف درهم اخرى وكتب وصية للناس بان لا تطيعوا النساء اصلا ولا تعملوا برأيهن قطعا (وحكى) ان رجلا من بنى اسرائيل اتى سليمان عليه السلام وقال يانبى الله اريد ان تعلمنى لسان البهائم فقال سليمان ان كنت تحب ان تعلم لسان البهائم انا اعلمك ولكن اذا اخبرت احدا تموت من ساعتك فقال لا اخبر احدا فقال سليمان قد علمتك وكان للرجل ثور وحمار يعمل عليهما فى النهار فاذا امسى ادخل عليهما علفا فخلط العلف بين يديهما فقال الحمار للثور اعطنى الليلة عشاءك حتى يحسب صاحبنا انك مريض فلا يعمل عليك ثم انى اعطيك عشائى فى الليلة القابلة فرفع الثور رأسه من علفه فضحك الرجل فقالت امرأته لم تضحك قال لاشئ فلما جاءت الليلة القابلة اعطى الرجل للحمار علفه وللثور علفه وقال الثور اقضنى السلف الذى عندك فانى امسيت مغلوبا من الجوع والتعب فقال له الحمار انك لاتدرى كيف كان الحال قال الثور وماذاك قال ان صاحبنا البارحة ذهب وقال للجزار ثورى مريض اذبحه قبل ان يجف فاصبر الليلة واسلفنى ايضا عشاءك حتى اذا جاءك الجزار صباحا وجدك نحيفا ولايذبحك فتنجو من الموت ولوتعشيت يمتلئ بطنك فيخشى عليك ان يحسبك سمينا فيذبحك انى اردلك ما اسلفتنى الليلتين فرفع رأسه عن علفه ولم يأكل فضحك الرجل فقالت المرأة لم تضحك اخبرنى والا طلقنى فقال الرجل اذا اخبرتك بما ضحكت اموت من ساعتى فقالت لاابالى فقال ائتينى بالدواة والقرطاس حتى اكتب وصيتى ثم اخبر ثم اموت فناولته فبينما هو يكتب اذ طرحت المرأة كسرة من الخبز الى الكلب فسبق الديك واخذ هابمنقاره قال الكلب ظلمتنى قال الديك صاحبنا يريد الموت فتكون انت شبعانا من وليمة المأتم ولكن نحن نبقى فى مبيتنا الى ثلثة ايام لايفتح لنا الباب وان يمت برضى امرأته ابعده الله واسخطه فان لى تسع نسوة لاتقدر واحدة منهن ان تسأل عن سرى ولو كنت انا مكانه لاضربنها حتى تموت اوتتوب وبعد ذلك لاتسأل عن سر زوجها فاخذ الرجل عصا ولم يزل يضربها حتى تابت من ذلك * زنى راكه جهلست ونارا ستى * بلا برسر خودنه زن خواستى * وافادت من التبعيضية فى قوله ان من ازواجكم الخ ان منها ماليس بعدو كما قال عليه السلام الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقال عليه السلام ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراله من زوجة صالحة ان امرها اطاعته وان نظر اليها سرته وان اقسم عليها ابرته وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله فاذا كانت المرأة على هذه الاوصاف فهى ميمونة مباركة والا فهى مشؤمة منحوسة * كرا خانه آباد وهمخوابه دوست * خدارا برحمت نظر سوى اوست (وان تعفوا) عن ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة (وتصفحوا) بترك التثريب والتعيير يقال صفحت عن فلان اذا اعرضت عن ذنبه والتثريب عليه (وتغفروا) باخفائها وتمهيد عذرها (فان الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وهذا كقوله وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا نزلت فى عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق ويقيم * واراد الحطيئة وهو شاعر مشهور سفرا فقال لامرأته

عدى السنين لغيبتى وتصبرى * وذرى الشهور فانهن قصار

فاجابته

واذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

وقيل ان ناسا من المؤمنين ارادوا الهجرة من مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم فزينوا لهم القعود قيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة قال القاشانى وان تعفوا بالمداراة وتصفحوا عن جرائمهم بالحلم وتغفروا جناياتهم بالرحمة فلا ذنب ولا حرج انما الذنب فى الاحتجاب بهم وافراط المحبة وشدة التعلق لا فى مراعاة العدالة والفضيلة ومعاشرتهم بحسن الخلق فانه مندوب بل اتصاف بصفات الله فان الله غفور رحيم فعليكم بالتخلق باخلاقه وفى الحث على العفو والصفح اشارة الى ان ليس المراد

من الامر بالحذر تركهم بالكلية والاعراض عن معاشرتهم ومصاحبتهم كيف والنساء من اعظم نعم الجنة و بهانظام العالم فانه لولا الازواج لماوجد الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء وقدخلق المخلوقات لاجلهم ومن الله على عباده تذكير النعمة حيث قال خلق لكم من انفسكم ازواجا وهذا كما روى عنه عليه السلام انه كان يقول اتقوا الدنيا والنساء فان الامر بالاتقاء انما هو للتحذير عما يضر فى معاشرتها لالامر تركها بالكلية فكما ان الدنيا لاتترك بالكلية مادام المرء حيا وانما يحذر من التعلق بها ومحبتها الشاغلة عن محبة الله تعالى فكذا النساء ولامر ما حبب الله اليه عليه السلام النساء وقال عليه السلام اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الامن ثلاث صدقة جارية اوعلم ينتفع به اوولد صالح يدعوله كما سبق بيانه فى سورة النجم فقد حث عليه السلام على وجود الولد الصالح ولم يعده من الدنيا بل عده من الخير الباقى فى الدنيا وبه يحصل العمر الثانى وفى الآية اشارة الى ان النفوس الامارة اواللوامة واولادها وهى صفات تلك النفوس واخلاقها الشهوانية عدو للانسان يمنعه عن الهجرة الى مدينة القلب فلابد من الحذر عن متابعتها ومخالطتها بالكلية وتصرفاتها فى جميع الاحوال وان تعفوا عن هفواتهم الباطلة الواقعة منهم فى بعض الاوقات لكونهم مطية لكم وتصفحوا بعدالتوبيخ والتعيير وتغفروا بان تستروا ظلماتهم بنور ايمانكم وشعاع معرفة قلوبكم فان الله غفور ساتر لكم بستر لطفه رحيم بكم بافاضة رحمته عليكم جعلنا الله واياكم من اهل تقواه ومغفرته وتغمدنا بانواع رحمته (انما اموالكم واولادكم فتنة) بلاء ومحنة يوقعونكم فى الاثم والعقوبة من حيث لاتحتسبون (وقال الكاشفى) آزمايش است تاظاهر كردد كه كدام ازايشان حق رابرايشان ايثارميكند وكدام دل درمال وولدبسته آزمحبت الهى كرانه ميكيرد وجئ بانما للحصر لان جميع الاموال والاولاد فتنة لانه لايرجع الى مال او ولد الا وهو مشتمل على فتنة واشتغال قلب وتأخير الاولاد من باب الترقى من الادنى الى الاعلى لان الاولاد الصق بالقلوب من الاموال لكونهم من اجزاء الآباء بخلاف الاموال فانها من توابع الوجود وملحقاته ولذا جعل توحيد الافعال فى مقابلة الفناء عن الاولاد وتوحيد الذات فى مقابلة الفناء عن النفس (والله عنده اجر عظيم) لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والتدبير فى مصالحهم زهدهم فى الدنيا بان ذكر عيبها ورغبهم فى الآخرة بذكر نعيمها وعن ابن مسعود رضى الله عنه لايقولن احدكم اللهم اعصمنى من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى مال وولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم انى اعوذبك من مضلات الفتن نظيره ما حكى عن محمد ابن المنكدر رحمه الله انه قال قلت ليلة فى الطواف اللهم اعصمنى واقسمت على الله تعالى فى ذلك كثيرا فرأيت فى المنام كان قائلا يقول لى انه لايفعل ذلك قلت لم قال لانه يريد ان يعصى حتى يغفر وهذا من الاسرار المصونة والحكم المسكوت عنها وفى مشكاة المصابيح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب اذجاء الحسن والحسين رضى الله عنهما عليهما قميصان احمران يمشيان و يعثران فنزل عليه السلام من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان و يعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما ثم اخذ عليه السلام فى خطبته قال ابن عطية وهذه ونحوها هى فتنة الفضلاء فاما فتنة الجهال الفسقة فمؤدية الى كل فعل مهلك يقال ان اول ما يتعلق بالرجل يوم القيامة اهله واولاده فيوقفونه بين يدى الله تعالى و يقولون يا ربنا خذ بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لانعلم فيقتص لهم منه وتأكل عياله حسناته فلايبقى له حسنة ولذا قال عليه السلام يؤتى برجل يوم القيامة فيقال له اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وهو دود يقع فى الطعام والثوب وغيرهما ومن ثم ترك كثير من السلف المال والاهل رأسا واعرضوا عنهما بالكلية لان كل شئ يشغل عن الله فهو مشؤم على صاحبه ولذا كان عليه السلام يقول فى دعائه اللهم من احبنى واجاب دعوتى فاقلل ماله وولده ومن ابغضنى ولم يجب دعوتى فاكثر ماله وولده وهذا للغالب عليهم النفس واما قوله عليه السلام فى حق انس رضى الله عنه اللهم اكثر ماله وولده وبارك فيما اعطيته فهو لغيره (فاتقوا الله ما استطعتم) اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم قال بعضهم اى ان علمتم ذلك وامتحنتم به فاتقوا ما يكون سببا لمؤاخذة الله اياكم من تدبير امورهما ولاترتكبوا ما يخالف امره تعالى من فعل اوترك وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته لما اشتد عليهم بان قاموا حتى ورمت اقدامهم وتقرحت جباههم فنزلت تيسيرا للعباد الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها آية

محكمة لاناسخ فيها لعله رضى الله عنه جمع بين الآيتين بان يقول هنا وهنالك فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم
واجتهدوا فى الاتصاف به بقدر طاقتكم فانه لايكلف الله نفسا الا وسعها وحق التقوى مايحسن ان يقال
ويطلق عليه اسم التقوى وذلك لايقتضى ان يكون فوق الاستطاعة وقال ابن عطاء رحمه الله هذا لمن رضى
عن الله بالثواب فامامن لم يرض عنه الايه فان خطابه فاتقوا الله حق تقاته اشار رضى الله عنه الى الفرق بين
الابرار والمقربين فى حال التقوى فقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ناظر الى الابرار وقوله تعالى فاتقوا الله
حق تقاته ناظر الى المقربين فان حالهم الخروج عن الوجود المجازى بالكلية وهو حق التقوى وقال القاشانى
فاتقوا الله فى هذه المخالفات والآفات فى مواضع البليات ما استطعتم بحسب مقامكم ووسعكم على قدر
حالكم ومرتبتكم قال السرى قدس سره المتقى من لايكون رزقه من كسبه ودر كشف الاسرار آورده كه
درين آيت اشارت ميكند بواجب امر ودر ديكرى بواجب حق چون واجب امر بيامد واجب حق را رقم
نسخ بركشيد زيرا كه حق بنده راكه مطالبت كند بواجب امر كند تافعل او در دائرهٔ عفو داخل تواند شد
واكر اورا بواجب حق بكيرد طاعت ومعصيت هزار ساله آنجا يكرنك دارد * بى نيازى بين واستغنا نكر *
خواه مطرب باش وخواهى نوحه كر * اكر همه انبيا واوليا بهم آيندان كيست كه طاقت آن دارد كه بحق
اوجل جلاله قيام نمايد ياجواب حق اوبازدهد امر اومتناهيست اما حق اومتناهى نيست زيراكه بقاى امر
ببقاى تكليف است وتكليف در دنياست كه سراى تكليف است اما بقاى حق ببقاى ذاتست وذات متناهى
نيست پس حق متناهى نيست واجب امر برخيزد اما واجب حق برنخيزد دنيا در كذرد ونوبت امر باوى در
كذرد امانوبت حق هر كز درنكذرد امروز هر كسى راسودايى درسرست كه درامرمى نكرند انبيا ورسل بنبوت
ورسالت خويش مى نكرند فرشتكان بطاعت وعبادت خودمى نكرند موحدان ومجتهدان ومؤمنان
ومخلصان بتوحيد وايمان واخلاص خويش مى نكرند فردا چون سرادقات حق ربوبيت بازكشند انبيا
باكمال حال خويش حديث علم خودطى كنند كويند لاعلم لنا ملائكة ملكوت صومعهاى عبادت خود
آتش درزنند كه ماعبدناك حق عبادتك عارفان وموحدان كويند ماعرفناك حق معرفتك (واسمعوا)
مواعظه (واطيعوا) اوامره (وانفقوا) ممارزقكم فى الوجوه التى امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه عن ابن
عباس رضى الله عنهما ان المراد انفاق الزكاة والظاهر العموم وهو مندرج فى الاطاعة ولعل افراده بالذكر
لما ان الاحتياج اليه كان اشد حينئذ وان المال شقيق الروح ومحبوب النفس ومن ذلك قدم الاموال على
الاولاد فى المواضع حتى قال الامام الغزالى رحمه الله انه قديكون حب المال من اسباب سوء العاقبة فانه
اذاكان حب المال غالبا على حب الله فحين علم محب المال ان الله يفرقه عن محبوبه عقد فى قلبه البغض لله نعوذ
بالله من ذلك وهذا كما ترى ان احدا اذا احب دنياه حبا غالبا على حب ابنه فلو قصد الابن ان يأخذها منه
لابغض الابن واحب هلاكه (خيرا لانفسكم) خبر لكان المقدر جوابا للاوامر اى يكن خيرا لانفسكم او مفعول
لفعل محذوف اى ائتوا وافعلوا خيرا لانفسكم واقصدوا ما هو انفع لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه
الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم من الاموال والاولاد وماهم عاكفون عليه من حب
الشهوات وزخارف الدنيا (ومن يوق شح نفسه) اى ومن يقه الله ويعصمه من بخل نفسه الذى هى الرذيلة
المعجونة فى طينة النفس وقد سبق بيانه فى سورة الحشر وبالفارسية وهركه نكاه داشت ازبخل نفس
خوديعنى حق خدايرا امساك نكند ودر راه وى بذل مى نمايد وهو مجهول مجزوم الآخر بمن الشرطية
من الوقاية المتعدية الى المفعولين وشح مفعول ثان له اى على النصب والاول ضمير من القائم مقام الفاعل
(فاولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مرام وفى الحديث (كفى بالمرء من الشح ان يقول آخذ حقى لاأترك منه
شيأ) وفى حديث الاصمعى اتى اعرابى قوما فقال لهم هذا فى الحق او فيما هو خير منه قالوا وما خير من الحق قال
التفضل والتغافل افضل من اخذ الحق كله كذا فى المقاصد الحسنة (روى) عن النبى عليه السلام انه كان يطوف
بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لى وقال عليه السلام وماذنبك
صفه لى قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال بل ذنبى يارسول الله قال ويحك
ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبى يارسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبى قال فذنبك اعظم

ثم اعرض فقال ما ذنبي اعظم قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك صف لى ذنبك قال
يا رسول الله انى ذو ثروة من المال وان السائل ليأتينى ليسألنى فكأنما يستقبلنى بشعلة من نار فقال
عليه السلام عنى يعنى دورشو از من لا تحرقنى بنارك فوالذى بعثنى بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن
والمقام ثم بكيت الفى عام حتى تجرى من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لكبك الله
فى النار اما علمت ان البخل كفر وان الكفار فى النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون * فرومايه كارا درون شادكن * زروز فروماندكى يادكن *
نه خواهنده بردر ديكران * بشكرانه خواهنده ازدر مران * وفى الآية اشارة الى ان الانفاق
على الغير عليه اوما الانفاق على نفسك بالحقيقة والناس كنفس واحدة لانتفاء الغيرية فى الاحدية وان من وفق
لانفاق الوجود المجازى فى الله فاز بالوجود الحقيقى من الله تعالى (ان تقرضوا الله) بصرف اموالكم
الى المصارف التى عينها وبالفارسية اكر قرض دهيد خدايرا يعنى صرف كنيد درآنچه فرمايد وذكر
القرض تلطف فى الاستدعاء كما فى الكشاف قال فى المباب القرض القطع ومنه المقراض لما يقطع به وانقرض
القوم اذا هلكوا وانقطع اثرهم وقيل للقرض قرض لانه قطع شئ من المال هذا اصل الاشتقاق ثم اختلفوا فيه
فقيل اسم لكل ما يلتمس الجزآء عليه وقيل ان يعطى احدا شيأ ليرجع اليه ثم قيل لفظ القرض هنا حقيقة
على المعنيين وقيل مجاز على الثانى لان الراجع ليس مثله بل بدله واليه يميل ما فى الكشاف فى سورة البقرة
اقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب ثوابه لعله الوجه فيكون تقرض استعارة تصريحية تبعية وقوله
(قرضا حسنا) تصريحية اصلية اى مقرونا بالاخلاص وطيب النفس قال سهل رضى الله عنه القرض
الحسن المشاهدة بقلوبكم لله فى اعمالكم كما قال ان تعبد الله كأنك تراه وقرضا ان كان بمعنى اقراضا كان نصبه
على المصدرية وان كان بمعنى مقرضا من النفقة كان مفعولا ثانيا لتقرضوا لان الاقراض يتعدى الى مفعولين
فى التعبير عن الانفاق بالاقراض وجعله متعلقا بالله الغنى مطلقا والتعبير عن النفقة بالقرض اشارة الى حسن
قبول الله ورضاه والى عدم الضياع وبشارة باستحقاق المنفق ببركة انفاقه لتمام الاستحقاق (يضاعفه لكم)
من المضاعفة بمعنى التضعيف اى التكثير فليس المفاعلة هنا للاشتراك اى يجعل لكم اجره مضاعفا ويكتب
بالواحد عشرة وسبعين وسبعمائة واكثر بمقتضى مشيئته على حسب النيات والاوقات والمحال (ويغفر لكم)
ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب (والله شكور) يعطى الكثير بمقابلة اليسير من الطاعة
او يجازى العبد على الشكر وهو الاعتراف بالنعمة على سبيل الخضوع فسمى جزآء الشكر شكرا او الله شكور
بمعنى انه كثير الثناء على عبده بذكر افعاله الحسنة وطاعته فالشكر الثناء على المحسن بذكر احسانه وهذا المعنى
مختار الامام القشيرى رحمه الله والشكور مبالغة الشاكر والشاكر من له الشكر سئل بعضهم من اشكر الشاكرين
فقال الطاهر من الذنوب يعد نفسه من المذنبين والمجتهد فى النوافل بعد اداء الفرآئض يعد نفسه من المقصرين
والراضى بالقليل من الدنيا يعد نفسه من الراغبين والقاطع بذكر الله دهره يعد نفسه من الغافلين والراغب
فى العمل يعد نفسه من المفلسين فهذا اشكر الشاكرين ومن ادب من عرف انه تعالى شكور ان يجد فى شكره
ولا يفتر ويواظب على حمده ولا يقصر والشكر على اقسام شكر بالبدن وهو ان لا تستعمل جوارحك فى غير
طاعته وشكر بالقلب وهو ان لا تشغل قلبك بغير ذكره ومعرفته وشكر باللسان وهو ان لا تستعمله فى غير ثنائه
ومدحه وشكر بالمال وهو ان لا تنفقه فى غير رضاه ومحبته * نفس مى نيارم زد از شكر دوست *
كه شكرى نه دانم كه درخورد اوست * عطاييست هر موى از و برتنم * چكونه بهر موى شكرى
كنم * واحسن وجوه الشكر لنعم الله ان لا تستعملها فى معاصيه بل فى طاعته وخاصية اسم الشكور
التوسعة ووجود العافية فى البدن وغيره بحيث لو كتبه من به ضيق فى النفس وتعب فى البدن اى اعياء اشد
الاعياء وثقل فى الجسم وتمسح به وشرب منه برئ باذن الله تعالى وان تمسح به ضعيف البصر على عينيه وجد
بركة ذلك ويكتب احدى واربعين مرة (حليم) لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم من البخل والامساك
ونحوهما فيحلم حتى يظن الجاهل انه ليس يعلم ويستر حتى يتوهم الغافل انه ليس يبصر قال الامام الغزالى رحمه
الله الحليم هو الذى يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الامر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمله

على المسارعة الى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال الله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة (حكى) ان ابراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات والارض رأى عاصيا فى معصيته فقال اللهم اهلكه فاهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فاهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فاهلكه الله ثم رأى رابعا فدعا عليه فاوحى الله اليه ان قف يا ابراهيم فلو اهلكنا كل عاص رأيناه لم يبق احد من الخلق ولكنا بحلمنا لا نعذبهم بل نمهلهم فاما ان يتوبوا واما ان يصروا فلا يفوتنا شئ قيل الحلم حجاب الآفات وقيل الحلم ملح الاخلاق (وشتم الشعبى رجل فقال ان كنت كاذبا غفر الله لك وان كنت صادقا غفر الله لى وكان الاحنف يضرب به المثل فى الحلم وهو يقول انى صبور ولست بحليم والفرق بين الحليم والصبور ان المذنب لا يأمن العقوبة فى صفة الصبور كما يأمنها فى صفة الحليم يعنى ان الصبور يشعر بانه يعاقب فى الآخرة بخلاف الحليم كما فى المفاتيح والتخلق بالاسم الحليم انما هو بان يصفح عن جنايات الناس ويسامح لهم فيما يعاملونه به من السيئات بل يجازيهم بالاحسان تحقيقا للحلم والغفران وفى الاربعين الادريسية يا حليم ذا الاناة فلا يعادله شئ من خلقه قال السهروردى رحمه الله من ذكره كان مقبول القول وافر الحرمة قوى الجاش بحيث لا يقدر عليه سبع ولا غيره والاناة على وزن القناة هو التثبت والوقار (عالم الغيب والشهادة) خبر بعد خبر اى لا يخفى عليه خافية (وقال الكاشفى) ميداند آنچه ظاهر ميكنند از تصدق وآنچه پنهان ميدارند در رد لها از ريا واخلاص وقد سبق الكلام عليه فى اواخر سورة الحشر ولعل تقديم الغيب لان علم الغيب اعم والعلم به اتم (العزيز الحكيم) البالغ فى القدرة والحكمة (وقال الكاشفى) غالب است انتقام تواند كشيد از كسى كه صدقة او خالص نبود حكم كننده بكرامت انها راكه ازروى صدق تصدق نمايند والحكم سابق فالعبرة به لا بالصورة ولذا رد بلعم بن باعور وقبل كلب اصحاب الكهف قال ابو على الدقاق قدس سره لما صرفوا ذلك الكلب ولم ينصرف انطقه الله تعالى فقال لم تصرفوننى ان كان لكم ارادة فلى ايضا ارادة وان كان خلقكم فقد خلقنى ايضا فازدادوا بكلامه يقينا ولما سمعوا كلامه اتفقوا على استصحابه معهم الا انهم قالوا يستدل علينا بآثار قدمه فالحيلة ان نحمله بالحيلة فحمله الاولياء على اعناقهم وهم يمشون لما ادركه من العناية الازلية وكذا لم يكن فى الملائكة اكبر قدرا ولا اجل خطرا من ابليس الا ان الحكم الازلى بشقاوته كان خفيا عن العباد فلما ظهر فيه الحكم الازلى لعنه من عرفه ولم يعرفه * كليد قدر نيست در دست كس * توانا ى مطلق خدا يست وبس * ز زنبور كرد اين حلاوت بديد * همانكس كه در مار زهر آفريد * خدايا بغفلت شكستيم عهد * چه زور آورد با قضا دست جهد * چه برخيز دازدست تدبير ما * همين نكته بس عذر تقصير ما * همه هر چه كردم تو برهم زدى * چه قوت كند باخداى خودى * نه من سر ز حكمت بدر مى روم * كه حكمت چنين مى رود بر سرم * وقال الحافظ الشيرازى رحمه الله نقش مستورى ومستى نه بدست من وتست * آنچه سلطان ازل گفت بكن آن كردم (وقال ايضا) درين چمن نكنم سرزنش بخودرويى * چنانكه پرورشم ميدهند مى رويم * وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا فى شبابيك رأسه مكتوب خمس آيات من سورة التغابن يعنى نيست هيچ مولودى كه مولود مى شود مگر كه در مشبكهاى سرش مكتوبست پنج آيت ازسورة تغابن والشبابيك جمع شباك بالضم كزنار مثل خفافيش وخفاش او جمع شباكة بمعنى المشبك وهو ما تداخل بعضه فى بعض وفى الحديث (من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة وهى بالمد مع ضم الفاء وبالقصر مع فتح الفاء البغتة دون تقدم مرض ولا سبب

تمت سورة التغابن بالتيسير من الله والتعاون فى تاسع شهر ربيع الآخر من شهور سنة ست عشرة ومائة والف

(سورة الطلاق اثنتا عشرة آية مدنية وتسمى سورة النساء القصرى)

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(يا ايها النبى اذا طلقتم النساء) التطليق طلاق دادن يعنى عقدهٔ نكاح راحل كردن وكشادن قال فى المفردات اصل الطلاق التخلية من وثاق ويقال اطلقت البعير من عقاله وطلقته وهو طالق وطلق بلا قيد ومنه استعير طلقت المرأة اذا خليتها فهى طالق اى مخلاة عن حبالة النكاح انتهى والطلاق اسم بمعنى التطليق

كالسلام والكلام بمعنى التسليم والتكليم وفى ذلك قالوا المستعمل فى المرأة لفظ التطليق وفى غيرها لفظ الاطلاق حتى لوقال اطلقتك لم يقع الطلاق مالم ينو ولوقال طلقتك وقع نوى اولم ينو والمعنى اذا اردتم تطليق النساء المدخول بهن المعتدات بالاقرآء وعزمتم عليه بقرينة فطلقوهن فان الشئ لايترتب على نفسه ولايؤمر احد بتحصيل الحاصل ففيه تنزيل المشارف للشئ منزلة الشارع فيه والاظهر انه من ذكر السبب وارادة المسبب وتخصيص النداء به عليه السلام مع عموم الخطاب لامته ايضا لتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم فى الخطاب بطريق استتباعه عليه السلام اياهم وتغليبه عليهم ففيه تغليب المخاطب على الغائب والمعنى اذا طلقت انت وامتك وفى الكشاف خص النبى بالنداء وعم بالخطاب لان النبى امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يافلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبار الترؤسه وانه لسان قومه فكأنه هو وحده فى حكم كلهم لصدورهم عن رأيه كما قال البقلى اذا خاطب السيد بان شرفه على الجمهور ادرج الجميع فى اسمه ففيه اشارة الى سر الاتحاد وفى كشف الاسرار فيه اربعة اقوال احدها انه خطاب للرسول وذكر بلفظ الجمع تعظيما له كما يخاطب الملوك بلفظ الجمع والثانى انه خطاب له والمراد امته والثالث ان التقدير يا ايها النبى والمؤمنون اذا طلقتم فحذف لان الحكم يدل عليه والرابع معناه يا أيها النبى قل للمؤمنين اذا طلقتم انتهى * يقول الفقير هذا الاخير انسب بالمقام فيكون مثل قوله يا ايها النبى قل لازواجك قل للمؤمنين قل للمؤمنات ولان النبى عليه السلام وان كان اصيلا فى المأمورات كان امته اصيل فى المنهيات الا ان الطلاق لما كان ابغض المباحات الى الله تعالى كما سيجيئ كان الاولى ان يسند التطليق الى امته دونه عليه السلام مع انه عليه السلام قد صدر منه التطليق فانه طلق حفصة بنت عمر رضى الله عنهما واحدة فلما نزلت الآية راجعها وكانت علامة كثيرة الحديث قريبا منزلتها من منزلة عائشة رضى الله عنها فقيل له عليه السلام راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة حكاه الطبرى وفى الحديث بيان فضل العلم وحفظ الحديث ومحبة الله الصيام والقيام وكرامة اهلهما عنده تعالى واورده آنكه عبدالله بن عمر رضى الله عنهما زن خود را در حال حيض طلاق داد حضرت رسالت فرمود تا رجوع كند وآنكاه كه از حيض باك شود اكر خواهد طلاق دهد ودر بن باب آيت آمد والقول الاول هو الامثل والاصح فيه انه بيان لشرع مبتدأ كما فى حواشى سعدى المفتى (فطلقوهن لعدتهن) العدة مصدر عده يعده وسئل رسول الله عليه السلام متى تكون القيامة قال اذا تكاملت العدتان اى عدة اهل الجنة وعدة اهل النار اى عددهم وسمى الزمان الذى تتربص فيه المرأة عقيب الطلاق اوالموت عدة لانها تعد الايام المضروبة عليها وتنتظر أوان الفرج الموعود لها كما فى الاختيار والمعنى فطلقوهن مستقبلات لعدتهن متوجهات اليها وهى الحيض عند الحنفية فاللام متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام والمرأة اذا طلقت فى طهر يعقب القرء الاول من اقرآئها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن فى طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله فى السنة وابعده من الندم لانه ربما ندم فى ارسال الثلاث دفعة فالطلاق السنى هو ان يكون فى طهر لم يجامعها فيه وان يفرق الثلاث فى الاطهار الثلاثة وان يطلقها حاملا فانها اذا على طهر ممتد فتطليقها حلال وعلى وجه السنة والبدعى على وجوه ايضا منها ان يكون فى طهر جامع فيه لما فيه من تطويل العدة ايضا على قول من يجعل العدة بالاطهار وهو الشافعى حيث ان بقية الطهر لاتحتسب من العدة ومنها ماكان فى الحيض اوالنفاس لما فيه من تطويل العدة ايضا على قول من يجعل العدة بالحيض وهو ابو حنيفة رحمه الله لان بقية الحيض لاتحتسب الا ان تكون غير مدخول بها فانه لابدعة فى طلاقها فى حال الحيض اذ ليس عليها عدة اوتكون ممالا يلزمها العدة بالاقرآء فان طلاقها لايتقيد بزمان دون زمان ومنها ماكان بجمع الثلاث اى ان يطلقها ثلاثا دفعة اوفى طهر واحد متفرقة ويقع الطلاق المخالف للسنة فى قول عامة الفقهاء وهو مسيئ بل آثم ولذا كان عمر رضى الله عنه لايؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا اوجعه ضربا وطلق رجل امرأته ثلاثا بين يديه عليه السلام فقال اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم اى مقيم بينكم وفيه اشارة الى ان ترك الادب فى حضور الاكابر الفحش ينبغى ان يصفع صاحبه اشد الصفع وقال الشافعى اللام فى لعدتهن متعلقة بطلقوهن لانها للتوقيت بمعنى عند اوفى فيكون المعنى فى الوقت الذى يصلح لعدتهن وهو الطهر وقال ابو حنيفة رحمه الله الطلاق فى الحيض ممنوع

بالاجماع فلا يمكن جعلها للتوقيت فان قلت قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقرآء واليائسات والصغار والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقرآء المدخول بهن قلت لاعموم ثمة ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم فى كلهن وفى بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض فان قلت الطلاق موقوف على النكاح سابقا اولاحقا والنكاح موقوف على الرضى من المنكوحة اومن وليها فيلزم ان يكون الطلاق موقوفا على الرضى بالنكاح وهو واقع غير باطل لاموقوفا على الرضى نفسه الذى هو الباطل الغير الواقع فتفكر واعلم ان النكاح والطلاق امران شرعيان من الامور الشرعية العادية لهما حسن موقع وقبح موقع بحسب الاحوال والاوقات وقد طلق عليه السلام حفصة رضى الله عنها تطليقة واحدة رجعية كما سبق وكذا زوج سودة بنت زمعة بمكة بعد موت خديجة رضى الله عنها وقبل العقد على عائشة رضى الله عنها ثم طلقها بالمدينة حين دخل عليها وهى تبكى على من قتل من اقاربها يوم بدر فاستشفعت الى النبى عليه السلام ووهبت يومها لعائشة فراجعها فان قلت كيف فعل رسول الله ذلك وقد قال ابغض الحلال الى الله الطلاق وقال عليه السلام يامعاذ ماخلق الله شيأ على وجه الارض احب اليه من العتاق ولا خلق الله شيأ ابغض اليه من الطلاق وذلك لان النكاح يؤدى الى الوصال والطلاق يؤدى الى الفراق والله يحب الوصال ويبغض الفراق لاشمس ليوم الفراق ولانهار لليلة القطيعة رابعة عدويه كفته كه كرطعم فراق دارد وايمان لذت وصال وقس عليه الانكار والاقرار وآن طعم وابن لذت فرداى قيامت بديد آيد كه دران صحراى هيبت وعرصهٔ سياست قومى را كويند فراق لاوصال له وقومى را كويند وصال لانهاية له سوختكان فراق همى كويند * فراق او ززمانى هزار روز آرد * بلاى اوزشبى هم هزار سال كند * افروختكان وصال همى كويند سرا پردهٔ وصلت كشيد روز نواخت *بطبل رحلت برزد فراق يار دوال * وفى الحديث تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعنه عليه السلام لاتطلقوا النساء الامن ريبة فان الله لايحب الذواقين والذواقات وعنه عليه السلام ايما امرأة سألت زوجها طلاقا فى غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة قلت يحتمل ان يكون فى ذلك حكمة لانطلع عليها بعدان علمنا انه عليه السلام نبى حق لايصدر منه ماهو خلاف الحق وقد دل الحديث الآخران النهى انما يكون عما الاوجه فيه وان يكون لاظهار جواز الطلاق والرجعة منه كما وجهوا بذلك ماوقع من غلبة النوم عليه وعلى اصحابه ليلة التعريس الى ان طلعت الشمس وارتفعت بمقدار فان بذلك علم شرعية القضاء وان يصلى بالجماعة وان يصدر منه عليه السلام الاحاديث المذكورة بعد ماوقع قضية حفصة وسودة رضى الله عنهما وان يكون من قبيل ترك الاولى وقد جوزوا ذلك للانبياء عليهم السلام فان قلت لعل مافعله اولى من وجه وان كان ما امر الله به اولى من وجه آخر قلت لاشك ان ما امر الله به كان ارجح وترك الارجح ترك الاولى هذا ولعل ارجحية المراجعة فى وقت لايقتضى ارجحية ترك الطلاق على فعله فى وقت آخر لان فى كل وقت احتمال ارجحية امر والله اعلم يقول الفقير امده الله القدير ان النبى عليه السلام كان قد حبب اليه النساء لما يحب فى النكاح من ذوق القربة والوصلة فالنكاح اشارة الى مقام الجمع الذى هو مقام الولاية كما دل عليه قوله عليه السلام ارحنى يابلال والطلاق اشارة الى مقام الفرق الذى هو مقام النبوة كما دل عليه قوله عليه السلام كلمينى ياحميراء فالاول وصل الفصل والثانى فصل الوصل وان كان عليه السلام قد جمع بين الفصل والوصل والفرق والجمع فى مقام واحد وهو جمع الجمع كما دل عليه قوله تعالى الم نشرح لك صدرك (واحصوا العدة) الاحصاء دانستن وشمردن بر سبيل استقصاء اى واضبطوها بحفظ الوقت الذى وقع فيه الطلاق واكملوها ثلاثة اقرآء كوامل لانقصان فيهن اى ثلاث حيض كما عند الحنفية لان الغرض من العدة استبرآء الرحم وكماله بالحيض الثلاث لابالاطهار كما يغسل الشئ ثلاث مرات لكمال الطهارة والمخاطب بالاحصاء هم الازواج لاالزوجات ولا المسلمون والا يلزم تفكيك الضمائر ولكن الزوجات داخلة فيه بالالحاق وقال ابو الليث امر الرجال بحفظ العدة لان فى النساء غفلة فربما لاتحفظ عدتها واليه مال الكاشفى حيث قال وشمار كنيداى مردان عدت زنانراكه ايشان ازضبط عاجزند باز احصاء آن غافل

فالزوج يحصى ليتمكن من تفريق الطلاق على الاقرآء اذا اراد ان يطلق ثلاثا فان ارسال الثلاث فى طهر واحد مكروه عند أبى حنيفة واصحابه وان كان لابأس به عند الشافعى واتباعه حيث قال لااعرف فى عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح وليعلم بقاء زمان الرجعة ليراجع ان حدثت له الرغبة فيها وليعلم زمان وجوب الانفاق عليه وانقضائه وليعلم انها هل تستحق عليه ان يسكنها فى البيت اوله ان يخرجها وليتمكن من الحاق نسب ولدها به وقطعه عنه قالوا وعلى الرجال فى بعض المواضع العدة (منها انه اذا كان للرجل اربع نسوة فطلق احداهن لايحل له ان يتزوج بامرأة اخرى مالم تنقض عدتها ومنها انه اذا كان له امرأة ولها اخت فطلق امرأته لايحل له ان يتزوج باختها مادامت فى العدة (ومنها انه اذا اشترى جارية لايحل له ان يقربها مالم يستبرئها بحيضة (ومنها انه ان تزوج حربية لايحل له ان يقربها مالم يستبرئها بحيضة (ومنها انه اذابلغ المرأة وفاة زوجها فاعتدت وتزوجت وولدت ثم جاء زوجها الاول فهى امرأته لانها كانت منكوحته ولم يعترض شئ من اسباب الفرقة فبقيت على النكاح السابق ولكن لايقربها حتى تنقضى عدتها من النكاح الثانى ووجوب العدة لايتوقف على صحة النكاح اذا وقع الدخول بل تجب العدة فى صورة النكاح الفاسد ايضا على تقدير الدخول (ومنها انه اذا تزوج حربية مهاجرة الى دارنا بأمان وتركت زوجها فى دار الحرب فلاتحل له مالم يستبرئها بحيضة عند الامامين وقال ابوحنيفة لايجب عليه العدة (ومنها انه اذا تزوج امرأة حاملا لايحل له ان يطأها حتى تضع الحمل (ومنها انه اذا تزوج بامرأة وهى حائض لايحل له ان يقربها حتى تطهر من حيضها ومنها انه اذا تزوج بامرأة نفساء لايحل له ان يقربها حتى تطهر من نفاسها ومنها انه اذا زنى بامرأة ثم تزوجها لايحل له ان يقربها مالم يستبرئها بحيضة (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدة عليهن والاضرار بهن بايقاع طلاق ثان بعد الرجعة فالامر بالتقوى متعلق بما قبله وفى وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة فى ايجاب الاتقاء والتقوى فى الاصل اتخاذ الوقاية وهى مايقى الانسان مما يكرهه ويؤمل ان يحفظه ويحول بينه وبين ذلك المكروه كالترس ونحوه ثم استعير فى الشرع لاتخاذ مايقى العبد بوعد الله ولطفه من قهره ويكون سببا لنجاته من المضار الدائمة وحيازته بالمنافع الفائقة وللتقوى فضائل كثيرة ومن اتقى الله حق تقواه فى جميع المراتب كوشف بحقائق البيان فلايقع له فى الاشياء شك ولاريب (لاتخرجوهن) بيرون مكنيد زنان مطلقة (من بيوتهن) من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة اى لاتخرجوهن من مساكنكم عند الفراق الى ان تنقضى عدتهن وانما اضيفت اليهن مع انها لازواجهن لتأكيد النهى ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن وفى ذكر البيوت دون الدار اشارة الى ان اللازم على الزوج فى سكناهن ماتحصل المعيشة فيه لان الدار ماتشمل البيوت (ولايخرجن) ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج فى حكم الاخراج ولااثر عندنا لاتفاقهما على الانتقال لان وجوب ملازمة مسكن الفراق حق الشرع فلا يسقط باسقاط العبد كما قال فى الكشاف فان قلت مامعنى الاخراج وخروجهن قلت معنى الاخراج اى لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن اولحاجة لهم الى المساكن وان لا يأذنوا لهن فى الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بأن اذنهم لااثر له فى دفع الحظر ولايخرجن بأنفسهن ان اردن ذلك انتهى فان خرجت المعتدة لغير ضرورة اوحاجة اثمت فان وقعت ضرورة بأن خافت هدما اوحرقا لها ان تخرج الى منزل آخر وكذلك ان كانت لها حاجة من بيع غزل اوشرآء قطن فيجوز لها الخروج نهارا لاليلا كما فى كشف الاسرار (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) اى الزنى فيخرجن لاقامة الحد عليهن ثم يعدن وبالفارسية مكر بيارند كردار ناخوش كه روشن كننده حال زنان بود دربد كردارى وقال بعضهم مبينة هنا بالكسر لازم بمعنى متبينة كبين من الابانة بمعنى بين والفاحشة ماعظم قبحه من الافعال والاقوال وهو الزنى فى هذا المقام وقيل البذاء بالمد وهو القول القبيح واطالة اللسان فانه فى حكم النشوز فى اسقاط حقهن فالمعنى الا ان يبذون على الازواج واقاربهم كالاب والاخ فيحل حينئذ اخراجهن وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو كل معصية وهو استثناء من الاول اى لاتخرجوهن فى حال من الاحوال الاحال كونهن آتيات بفاحشة اومن الثانى للمبالغة فى النهى عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة اى لايخرجن الا اذا ارتكبن الفاحشة بالخروج يعنى ان من خرجت اتت بفاحشة كما يقال لاتكذب

الان تكون فاسقا يعنى ان تكذب تكن فاسقا (وتلك) الاحكام (حدود الله) التى عينها لعباده والحد الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط احدهما بالآخر (ومن يتعد) اصله يتعدى فحذفت اللام بمن الشرطية وهو من التعدى المتعدى بمعنى التجاوز اى ومن يتجاوز (حدود الله) حدوده المذكورة بان اخل بشئ منها على ان الاظهار فى حيز الاضمار لتهويل امر التعدى والاشعار بعلية الحكم فى قوله تعالى (فقد ظلم نفسه) اى اضربها قال البقلى قدس سره ان الله حد الحدود باوامره ونواهيه لنجاة سلاكها فاذا تجاوزوا عن حدوده يسقطون عن طريق الحق ويضلون فى ظلمات البعد وهذا اعظم الظلم على النفوس اذ منعوها من وصولها الى الدرجات والقرب قال بعضهم التهاون بالامر من قلة المعرفة بالآمر فلا بد من الخوف او الرجاء او الحياء او العصمة فى علم الله فهى اسباب اربعة لاخامس لها حافظة من الوقوع فيما لا ينبغى فمن ليس له واحد من هذه الاسباب فقد وقع فى المعصية وظلم النفس فالكامل يعطى نفسه حقها ظاهرا او باطنا ولا يظلمها (حكى) ان معروف الكرخى قدس سره رأى جارية من الحور العين فقال لمن انت يا جارية فقالت لمن لا يشرب الماء المبرد فى الكيزان وكان قد برد له كوز ماء ليشربه فتناولت الحوراء الكوز فضربت به الارض فكسرته قال السرى السقطى رحمه الله ولقد رأيت قطعه فى الارض لم ترفع حتى عفا عليها التراب فكانت الحوراء لمعروف حين امتنع من شرب الماء المبرد وكانت جزاء له فى اعطائه نفسه حقها فان فى جسده من يطلب ضد الجارية ونحوها فلا بد من اعطاء كل ذى حق حقه (لا تدرى) تعليل لمضمون الشرطية اى فانك ايها المتعدى لا تدرى عاقبة الامر وقال بعضهم لا تدرى نفس (لعل الله) شايد خداى تعالى (يحدث) يوجد فى قلبك فان القلوب بين اصبعين من اصابع الله يقلبها كيف يشاء والحدوث كون الشئ بعد ان لم يكن عرضا كان ذلك او جوهرا واحداثه ايجاده (بعد ذلك) الذى فعلت من التعدى (امرا) يقتضى خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه برجعة او استئناف نكاح فالامر الذى يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدى الى خلافه فالظلم عبارة عن ضرر دنيوى يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوى والاخروى ويخص التعليل بالدنيوى ليكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وفى الآية دلالة على كراهة التطليق ثلاثا بمرة واحدة لان احداث الرجعة لا يكون بعد الثلاث ففى الثلاث عون للشيطان وفى تركها رغم له فان الطلاق من اهم مقاصده كما روى مسلم من حديث جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان عرش ابليس على البحر فيبعث سراياه اى جنوده واعوانه من الشياطين فيفتنون الناس فاعظمهم عنده الاعظم فتنة يجئ احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا ثم يجئ احدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويقول نعم انت اى نعم المضل او الشرير انت فيكون نعم بكسر النون فعل مدح حذف المخصوص به او نعم انت ذاك الذى يستحق الاكرام فيكون بفتح النون حرف ايجاب (فاذا بلغن) پس چون برسد زنان (اجلهن) اى شارفن آخر عدتهن وهى مضى ثلاث حيض ولم تغتسل من الحيضة الثالثة وذلك لانه لا يمكن الرجعة بعد بلوغهن آخر العدة فحمل البلوغ على المشارفة كما قال فى المفردات البلوغ والبلاغ الانتهاء الى اقصى القصد والمبتغى مكانا كان او زمانا او امرا من الامور المقدرة وربما يعبر به عن المشارفة عليه وان لم ينته اليه مثل فاذا بلغن الخ فانه للمشارفة فانها اذا انتهت الى اقصى الاجل لا يصح للزوج مراجعتها وامساكها والاجل المدة المضروبة للشئ (فامسكوهن) اى فانتم بالخيار فان شئتم فراجعوهن والرجعة عند ابى حنيفة تحصل بالقول وكذا بالوطئ واللمس والنظر الى الفرج بشهوة فيهما (بمعروف) بحسن معاشرة وانفاق لائق وفى الحديث (اكمل المؤمنين احسنهم خلقا والطفهم باهله (او فارقوهن) يا جدا شويد از ايشان وبگذاريد (بمعروف) بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة (واشهدوا) گواه كيريد اى عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع اذ قد تنكر المرأة بعد انقضاء العدة رجعته فيها وربما يموت احدهما بعد الفرقة فيدعى الباقى منهما ثبوت الزوجية لاخذ الميراث وهذا امر ندب لا وجوب (ذوى عدل) تثنية ذا منصوب ذو بمعنى الصاحب اى اشهدوا اثنين (منكم) اى من المسلمين كما قال الحسن او من احراركم كما قاله قتادة يكونان عادلين لا ظالمين ولا فاسقين والعدالة هى

الاجتناب عن الكبائر كلها وعدم الاصرار على الصغائر وغلبة الحسنات على السيئات والالمام من غير اصرار لا يقدح في العدالة اذ لا يوجد من البشر من هو معصوم سوى الانبياء عليهم السلام كذا في فروع (واقيموا الشهادة) ايها الشهود عند الحاجة خالصة (لله) تعالى وذلك ان يقيموها للمشهود له وعليه لا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم فلو شهد لغرض لا لله برئ بهما من وبال كتم الشهادة لكن لا يثاب عليها لان الاعمال بالنيات والحاصل ان الشهادة امانة فلا بد من تأدية الامانة كما قال تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فلو كتمها فقد خان والخيانة من الكبائر دل عليه قوله تعالى ومن يكتمها فانه آثم قلبه (ذلكم) اشارة الى الحث على الشهادة والاقامة او على جميع ما في الآية من ايقاع الطلاق على وجه السنة واحصاء العدة والكف عن الاخراج والخروج والاشهاد واقامة الشهادة باداءها على وجهها من غير تبديل وتغيير (يوعظ به) الوعظ زجر يقترن بتخويف (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) اذهو المنتفع به والمقصود تذكيره ولم يقل ذلكم توعظون به كما في سورة المجادلة لتهييج المؤمنين على الغيرة فان من لا غيرة له لا دين له ومن مقتضى الايمان بالله مراعاة حقوق العبودية والربوبية وباليوم الآخر الخوف من الحساب والعذاب والرجاء للفضل والثواب فالمؤمن بهما يستحيي من الخالق والخلق فلا يترك العمل بما وعظ به ودلت الآية على ان الانسان يومين اليوم الاول هو يوم الدنيا واليوم الآخر هو يوم الآخرة واليوم عرفا زمان طلوع الشمس الى غروبها وشرعا زمان طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس وهذان المعنيان ليسا بمرادين هنا وهو ظاهر فيكون المراد مطلق الزمان ليلا كان اونهارا طويلا كان اوقصيرا وذلك الزمان اما محدود وهو زمان الدنيا المراد باليوم الاول اوغير محدود وهو زمان الآخرة المراد باليوم الآخر الذي لا آخر له لتأخره عن يوم الدنيا وجوزوا ان يكون المراد من اليوم الآخر مايكون محدودا ايضا من وقت النشور الى ان يستقر الفريقان في مقرهما من الجنة اوالنار فعلى هذا يمكن ان يكونا مستعارين من اليومين المحدودين بالطلوع والغروب اللذين بينهما زمان نوم ورقدة وربما بين ذينك الزمانين زمان القرار في القبور قبل النشور كما قال تعالى حكاية من بعثنا من مرقدنا وعلى هذا يقال ليوم الآخرة غد كما مر في اواخر سورة الحشر قال بعض الكبار علمك باليقظة بعد النوم وعلمك بالبعث بعد الموت والبرزخ واحد غير ان للبرزخ بالجسم تعلقا في النوم لا يكون بالموت وكما تستيقظ على مانمت عليه كذلك تبعث على مامت عليه فهو امر مستقر فالعاقل يسعى في اليوم المنقطع ليوم لا ينقطع ويحيي على الايمان والعمل ليكون موته ونشره عليهما (ومن يتق الله) في طلاق البدعة فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور (يجعل له مخرجا) مصدر ميمي اى خروجا وخلاصا مما عسى يقع في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب وبالفارسية بيرون شدن وقال بعضهم هو عام اى ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل له خروجا من كل ضيق يشوش البال ويكدر الحال وخلاصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا وعن النبي عليه السلام انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وفي الجلالين من الشدة الى الرخاء ومن الحرام الى الحلال ومن النار الى الجنة اواسم مكان بمعنى يخرجه الى مكان يستريح فيه وفي فتح الرحمن يجعل له مخرجا الى الرجعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عمن طلق امرأته ثلاثا اوالفا هل له من مخرج فقال لم يتق الله فلم يجعل له مخرجا بانت منه بثلاث والزيادة اثم في عنقه ويقال المخرج على وجهين احدهما ان يخرجه من تلك الشدة والثاني ان يكرمه بالرضى والصبر فانه من قبيل العافية ايضا كما قال عليه السلام واسأل الله العافية من كل بلية فالعافية على وجهين احدهما ان يسأله ان يعافيه من كل شئ فيه شدة فان الشدة مما يحل اكثرها من اجل الذنوب فكأنه سأل ان يعافيه من البلاء ويعفو عنه الذنوب التي من اجلها تحل الشدة بالنفس والثاني انه اذا حل به بلاء ان لا يكله الى نفسه ولا يخذله وان يكلأه ويرعاه وفي هذه الرتبة يصير البلاء ولاء والمحنة منحة والمقت مقة والالم لذة والصبر شكرا ولا يتحقق بها الا الكمل (ويرزقه) بعد ذلك الجعل (من حيث لا يحتسب) من ابتدائية متعلقة بيرزقه اى من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه فيوفي المهر ويؤدى الحقوق ويعطي النفقات قال في عين المعاني من حيث لا يرتقب من الخان او يعتد من الحساب

ازسببها بكذر وتقوى طلب * تاخدا روزى رساندبى سبب * حق رجايى بخشدت رزق حلال * كه نباشد دركان ودرخيال * قال عليه السلام انى لاعلم آية لوأخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها وعنه عليه السلام من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لايحتسب (وروى) ان عوف بن مالك الاشجعى رحمه الله اسر المشركون ابنه سالما فأتى رسول الله فقال اسرابنى وشكا اليه الفاقة فقال عليه السلام اتق الله واكثر لاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم ففعل فبينما هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت (وقال الكاشفى) عوف باذن خود بقول حضرت عليه السلام عمل نمود ند اندك فرصتى راپسر عوف اراهل شرك خلاص يافته وچهارهزار كوسفند ايشانرا رانده بسلامت بمدينه آمد واين آيت نازل شدكه هركه تقوى ورزد روزى حلال يابد وفى عين المعانى فأفلت ابنه بأربعة آلاف شاة وبالامتعة وفى الجلالين واصاب ابلالهم وغنما فساقها الى ابيه آورده اند كه درروزكار خلافت عمر رضى الله عنه مردى بيامد وازعمر توليت عمل خواست تادرديوان خلافت عامل باشد عمر كفت قرآن دانى كفت ندانم كه نياموخته ام عمر كفت ماعمل بكسى ندهيم كه قرآن نداند مرد بازكشت وجهدى ورنج عظيم برخودنهاد ردتعلم قرآن بطمع آنكه عمراورا عمل دهدچون قرآن بياموخت وياد كرفت بركات قرآن وخواندن ودانستن اورابدان جاى رسانيد كه دردل وى نه حرص ولايت ماند نه تقاضاى ديدار عمر * پس روزى عمر اوراديد كفت ياهذا هجرتنا اى جوانمرد چه افتاد كه بيكبارى هجرت مااختيار كردى كفت ياامير المؤمنين تو نه ازان مردان باشى كه كسى وادارد كه هجرت تواختيار كندليكن قرآن بياموختم وچنان توانكر دل كشتم كه ازخلق وازعمل بى نياز شدم عمر كفت آن كدام آيت است كه ترا بدين دركاه بى نيازى دركشيد كفت آن آيت كه درسورة الطلاق است (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) واعلم ان كل واحد من الضيق والرزق يكون دنيويا واخرويا جسمانيا وروحانيا وان أعسر الضيق مايكون اخرويا واوفر الرزق مايكون روحانيا فمن يتق الله حق التقوى يجعل له مخرجا من مضار الدارين ويرزقه من منافعهما فان قيل ان اتقى الاتقياء هم الانبياء والاولياء مع ان اكثرهم ابتلى بالمشقة الشديدة والفاقة المديدة كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل اجيب بأن اشد الشدة وامد المدة مايكون اخرويا وهم مأمونون من ذلك بلطف الله وكرمه الاان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون واما مااصابهم فى الدنيا باختيارهم للاجر الجليل وبغير اختيار للصبر الجميل فله غاية حميدة ومنفعة عظيمة والله عليم حكيم يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال بعضهم شكا اليه عليه السلام بعض الصحابة الفاقة فقال عليه السلام دم على الطهارة يوسع عليك الرزق فقال كم من مستديم للطهارة لايرتب له كفايته فضلا عن ان يوسع عليه ويوجه بان تخلف الاثر كالتوسيع مثلا لمانع لاينافى الاقتضاء اى اقتضاء العلة لمعلولها واثرها اما عند القائلين بتخصيص العلة فظاهر واما عند غيرهم فيجعل عدم المانع جزء العلة ومن المانع الغفلة وغلبة بعض الجنايات وعند غلبة احد الضدين لايبقى للآخر تأثير يقول الفقير والذى يقع فى قلبى ان اصحاب الطهارة الدائمة مرزوقون بأنواع الرزق المعنوى والغذاء الروحانى من العلوم والمعارف والحكم والحقائق والتضييق لبعضهم فى الرزق الصورى والغذاء الجسمانى انما هو لتطبيق الفقر الظاهر بالباطن والفقر الباطن هو الغنى المطلق لقوله عليه السلام اللهم اغننى بالافتقار اليك فأصحاب الطهارة الدائمة مرزوقون ابدا اما ظاهرا وباطنا معا واما باطنا فقط على ان لاهلها مراتب من حيث البداية والنهاية ولن ترى من اهل النهاية محروما من الرزق مطلقا الانادرا والله الغنى وفى التأويلات النجمية ومن يتق الله اى يجعل ذاته المطلقة جنة ذاته وصفاته وافعاله تعالى جنة افعاله باضافة الاشياء كلها خلقا وايجادا الى ذاته وصفاته وافعاله يجعل له مخرجا من مضايق ذاته وصفاته وافعاله الى وسائع ذاته وصفاته وافعاله ويرزقه من حيث لايحتسب من فيض اسمه الوهاب على طريق الوهب لاعلى طريق الكسب والاجتهاد (ومن يتوكل على الله) التوكل سكون القلب فى كل موجود ومفقود وقطع القلب عن كل علاقة والتعلق بالله فى جميع الاحوال (فهو) اى الله تعالى (حسبه) بمعنى محسب اى كاف يعنى كافى المتوكل فى جميع اموره ومعطيه حتى يقول حسبى فان قلت اذاكان حكم الله فى الرزق لايتغير فامعنى التوكل قلت معناه ان المتوكل يكون فارغ القلب

ساكن الجاش غير كاره لحكم الله فلهذا كان التوكل محمودا قال عليه السلام لوانكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ومعناه تذهب اول النهار خماصا اى ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطانا اى ممتلئة البطون وليس فى الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيه مايدل على طلب الرزق وهو قوله تغدو وتروح وانما التوكل بعد الحركة فى امر المعاش كتوكل الزارع بعد القاء الحب فى الارض وكان السلف يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم فى زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا فى جماعة جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك (وفى المثنوى) كر توكل ميكنى دركار كن * كشت كن پس تكيه برجبار كن * رمز الكاسب حبيب الله شنو * از توكل در سبب كاهل مشو * واما الذين قعدوا عن الحركة والكسب وهم الكمل فطريقتهم صعبة لايسلكها كل ضامر فى الدين ودل الحديث المذكور على ان التوكل الحقيقى ان لايرجع المتوكل الى رزق معين وغذاء موظف كالطير حتى لاينتقض التوكل اللهم الا ان يكون من الكمل فان المعين وغيره سواء عندهم لتعلق قلوبهم بالله لابغيره وفى التأويلات النجمية ومن يتوكل فى رزق نفسه من الاحكام الشرعية وفى رزق قلبه من الواردات القلبية وفى رزق روحه من العطايا والمنح الالهية الروحانية فالله الاسم الاعظم حسبه من حيث الاسماء الكافية اوالتوكل نفسه حسبه فيكون الضمير راجعا الى التوكل (ان الله بالغ امره) بالاضافة اى منفذ امره ومتم مراده وممضى قضائه فى خلقه فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا وفى التأويلات النجمية ان الله بالغ امره فى كل مأمور بما هو منتهاه واقصاه وقرئ بتنوين بالغ ونصب امره اى يبلغ مايريد ولايفوته مراد ولايعجزه مطلوب (كما قال الكاشفى) رساننده است كارخودرا بهرجا خواهد يعنى آنچه مراد حق سبحانه باشد ازوفوت نشود وقرئ بالغ امره على الفاعلية اى نافذ امره وفى القاموس امر الله بلغ اى بالغ نافذ يبلغ اين اريد به (قد جعل الله لكل شئ) من الشدة والرخاء والفقر والغنى والموت والحياة ونحو ذلك (قدرا) اى تقديرا متعلقا بنفس ذاته وبزمانه وقومه وبجميع كيفياته واوصافه وانه بالغ ذلك المقدر على حسب ماقدره وبالفارسية اندازه كه ازان درنكذرد او مقدار او حدا معينا اووقتا واجلا ونهاية ينتهى اليه لايتقدم عليه ولايتأخر عنه ولايتأتى تغييره يعنى بامقدارى اززمانكه پيش وپس نيفتد وفى التأويلات النجمية اى رتبة وكمالا يليق بذلك الشئ وقال القاشانى ومن يتوكل على الله بقطع النظر عن الوسائط والانقطاع اليه من الوسائل فهو كافيه يوصل اليه ماقدر له ويسوق اليه ماقسم لاجله من انصبة الدنيا والآخرة ان الله يبلغ ماأراد من امره لامانع له ولاعائق فمن تيقن ذلك ماخاف احدا ولارجا وفوض امره اليه ونجا قد عين الله لكل امر حدا معينا ووقتا معينا فى الازل لايزيد بسعى ساع ولاينقص بمنع مانع وتقصير مقصر ولايتأخر عن وقته ولايتقدم عليه والمتيقن لهذا الشاهد له متوكل بالحقيقة انتهى وفى المفردات تقدير الله الاشياء على وجهين احدهما باعطاء القدرة والثانى ان يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة وذلك ان فعل الله ضربان ضرب اوجده بالفعل ومعنى ايجاده بالفعل انه ابدعه كاملا دفعة لايعتريه الكون والفساد الى ان يشاء ان يغنيه او يبدله كالسموات ومافيها ومنه ماجعل اصوله موجودة بالفعل واجزاءه بالقوة وقدره على وجه لايتأتى غير ماقدر فيه كتقديره فى النوات ان ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون وتقدير منى الآدمى ان يكون منه الانسان دون سائر الحيوان فتقدير الله على وجهين احدهما بالحكم منه ان يكون كذا ولايكون كذا اما على سبيل الوجوب واما على سبيل الامكان وعلى ذلك قوله تعالى قد جعل الله لكل شئ قدرا والثانى باعطاء القدرة عليه انتهى والآية بيان لوجوب التوكل عليه وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شئ من الرزق وغيره لايكون الا بتقدير الله وتوفيقه لايبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله (قال الكاشفى) بناء اين آيت برتقوى وتوكلست تقوى نفحه بوستان قربست وازرتبه معيت خبر دهد كه ان الله مع الذين اتقوا وتوكل رائحه كلزار كفايتست واز بوى ريحان محبت رسد كه ان الله يحب المتوكلين وبى اين دوصفت قدم درطريق تحقيق نتوان نهاد * سلوك راه معنى را توكل بايد وتقوى * توكل مركب راهست وتقوى توشه رهرو * قال سهل قدس سره لايصح التوكل الا للمتقين ولاتتم التقوى الا بالتوكل ولذلك قرن الله بينهما فقال ومن يتق الله الخ وقال بعضهم من تحقق

فى التقوى هون الله على قلبه الاعراض عن الدنيا و يسر له امره فى الاقبال عليه والتزين بخدمته وجعله اماما لخلقه يقتدى به اهل الارادة فيحملهم على اوضح السنن واوضح المناهج وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله تعالى وذلك منزلة المتقين وقال سهل رحمه الله من يكل اموره الى ربه فان الله يكفيه هم الدارين اجمع قال الربيع رحمه الله ان الله قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به انجاه ومن دعاه اتاه وتصديق ذلك فى كتاب الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم اجيب دعوة الداع اذا دعان (واللائى) من الموصولات جمع التى يعنى آن زنان كه (يئسن من المحيض من نسائكم) اللائى دخلتم بهن لكبرهن و يئسهن وقدروه بستين سنة و بخمس وخمسين فلو رأته بعد ذلك لا يكون حيضا وقوله يئسن فعل ماض واليأس القنوط ضد الرجاء يقال يئس من مراده ييأس يأسا وفى معناه ايس يايس يأسا واياسا لاايسا وفاعلهما آيس لايائس يقال امرأة آيس اذا كان يأسها من الحيض دون آيسة لان التاء انما زيدت فى المؤنث اذا استعملت الكلمة للمذكر ايضا فرقا بينهما واذا لم تستعمل له فاى حاجة الى الزيادة ومن ذلك يقال امرأة حائض وطالق وحامل بلا تاء اذا كان حملها من الولد واما اذا كان يأسها وحملها من غير الحيض وحمل الولد يقال آيسة وحاملة وفى المغرب اليأس انقطاع الرجاء واما الاياس فى مصدر الآيسة من الحيض فهو فى الاصل ائياس على افعال حذفت منه الهمزة التى هى عين الكلمة تخفيفا والحيض الحيض وهو فى اللغة مصدر حاضت الانثى فهى حائض وحائضة اى خرج الدم من قبلها ويكون للارنب والضبع والخفاش كما ذكره الجاحظ وفى القاموس حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا ومحاضا فهى حائض وحائضة من حوائض وحيض سال دمها والمحيض اسم ومصدر قيل ومنه الحوض لان الماء يسيل اليه والحيضة المرة انتهى وفى الشرع دم ينفضه رحم امرأة بالغة لاداء بها ولا اياس لها اى يجعلها الشارع منقطعة الرجاء عن رؤية الدم ومن الاولى لابتداء الغاية ومتعلقة بالفعل قبلها والثانية للتبيين ومتعلقة بمحذوف (ان ارتبتم) من الارتياب بالفارسية بشك شدن اى شككتم واشكل عليكم حكمهن لانقطاع دمهن بكبر السن وجهلتم كيف عدتهن (فعدتهن ثلاثة اشهر) فقوله واللائى يئسن الخ مبتدأ خبره فعدتهن وقوله ان ارتبتم اعتراض وجواب الشرط محذوف اى ارتبتم فيها فاعلموا انها ثلاثة اشهر كذا قالوا والاشهر جمع شهر وهو مدة معروفة مشهورة باهلال الهلال او باعتبار جزء من اثنى عشر جزأ من دوران الشمس من نقطة الى تلك النقطة قال فى القاموس الشهر العدد المعروف من الايام لانه يشهر بالقمر (واللائى) وآن زنان كه (لم يحضن) اى ما رأين الدم لصغرهن اى فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه والشابة التى كانت تحيض فارتفع حيضها بعذر من الاعذار قبل بلوغها سن الآيسات فعند ابى حنيفة والشافعى لاتنقضى عدتها حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء او تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة اشهر وضع السجاوندى الطاء الدالة على الوقف المطلق على وضعه وقانونه فى لم يحضن لانقطاعه عما بعده وكان الظاهر ان يضع الميم الدالة على اللازم لان المتبادر الاتصال الموهم معنى فاسدا لعله نظر الى ظهور عدم حمل التى لم تحض لصغرها (واولات الاحمال) واحدتها ذات بمعنى صاحبة والاحمال جمع حمل بالفتح بالفارسية بار والمراد الحمل اى الثقل المحمول فى الباطن وهو الولد فى البطن والمعنى وذوات الاحمال من النساء والحبالى منهن (اجلهن) اى منتهى عدتهن (ان يضعن حملهن) سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن فلو وضعت المرأة حملها اى ولدت وحطت ما فى بطنها يعنى از بالا بزير آورد بعد طلاق الزوج او وفاته بلحظة انقضت عدتها وحلت للازواج فكيف بعد ساعة او يوم او شهر وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخى نزوله عن ذلك وقد صح ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام فقال قد حللت فتزوجى (ومن يتق الله) فى شأن احكامه وحقوقه (يجعل له من امره يسرا) اى يسهل عليه امره و يوفقه للخير ويعصمه من المعاصى والشر بسبب التقوى فمن للبيان قدم على المبين للفواصل او بمعنى فى (ذلك) المذكور من الاحكام وافراد الكاف مع ان الخطاب للجمع كما يفصح عنه ما بعده لما انها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى لالتعيين خصوصية المخاطبين (امر الله) حكمه الشرعى (انزله)

من اللوح المحفوظ (الحكيم) الى جانبكم وقال ابو الليث انزله فى القرآن على نبيكم لتستمدوا العمل به فايا كم ومخالفته (ومن يتق الله) بالمحافظة على احكامه (يكفر عنه سيأته) يسترها لرضاه عنه بانقائه و بالفارسية بپوشد خداى تعالى ازو بديهاء ويرا وربما يبدل لها حسنات (و يعظم له اجرا) بالمضاعفة و بالفارسية و بزرك سازد براى او مزد رابعنى اورامزد زياده دهد در آخرت قال بعضهم بعطيه اجرا عظيما اى اجركان ولذلك نكر فالتكير للتعميم المنبئ عن التميم قال فى برهان القرآن امر بالتقوى فى احكام الطلاق ثلاث مرات وعد فى كل مرة نوعا من الجزاء فقال اولا يجعل له مخرجا يخرجه مما دخل فيه وهو يكرهه و يهيئ له محبوبه من حيث لا يأمل وقال فى الثانى يسهل عليه الصعب من امره و يفتح له خيرا ممن طلقها و الثالث وعد عليه الجزاء بافضل الجزاء وهو ما يكون فى الآخرة من النعماء (اسكنوهن من حيث سكنتم) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل اسكنوهن من حيث سكنتم اى بعض مكان سكناكم والخطاب للمؤمنين المطلقين (من وجدكم) اى من وسعكم اى مما تطيقونه يعنى مسكن ايشان بقدر طاقت وتواناى خويش سازيد والوجد القدرة والغنى يقال افتقر فلان بعد وجده وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم و تفسير له وفى عين المعانى ومن لتبيين الجنس لما فى حيث من الابهام انتهى واعترض عليه ابو حيان بانه لم يعهد فى عطف البيان اعادة العامل انما عهد ذلك فى البدل فالوجه جعله بدلا قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد اسكنها فى بعض جوانبه قال صاحب اللباب ان كانت الدار التى طلقها فيها ملكه يجب عليه ان يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعليه الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكترى لها دارا تسكنها قال فى كشف الاسرار واما المعتدة من وطئ الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا (ولا تضاروهن) اى ولا تقصدوا عليهن الضرر فى السكنى باى وجه كان فان المفاعلة قد لا تكون للمشاركة و بالفارسية ورنج مرسانيد مطلقات را (لتضيقوا عليهن) فى المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن او بشغل مكانهن او غير ذلك وتلجئوهن الى الخروج و بالفارسية براى آنكه تنك كردانيد برايشان مساكن ايشان وفيه حث على المروءة والرحمة ودلالة على رعاية الحق السابق حتى يتيسر لها التدارك فى امر المعيشة من تزوج آخر اوغيره (وان كن) اى المطلقات (اولات حمل) ذوات حمل و بالفارسية خداوند بار يعنى حاملة واولات منصوب بالكسر على قانون جمع المؤنث وتنوين حمل للتعميم يعنى اى حمل كان قريب الوضع او بعيده (فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وتخلصوا من كلفة الاحصاء و يحل لهن تزوج غيركم اياشئن فالبائن بالطلاق اذا كانت حاملا لها النفقة والسكنى بالاتفاق واما البائن الحائل اى غير الحامل فتستحق النفقة والسكنى عند ابى حنيفة كالحامل الى ان تنقضى عدتها بالحيض او بالاشهر خلافا للثلاثة واما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لهن من التركة ولا سكنى بل تعتد حيث تشاء وان كن اولات حمل لوقوع الاجماع على ان من اجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة اوولد صغير لا يجب ان ينفق عليه من ماله بعد موته فكذا المتوفى عنها الحامل وهو قول الاكثرين قال ابو حنيفة تجب النفقة والسكنى لكل مطلقة سواء كانت مطلقة بثلاث اوواحدة رجعية او بائنة مادامت فى العدة اما المطلقة الرجعية فلانها منكوحة كما كانت وانما يزول النكاح بمضى العدة و كونه فى معرض الزوال بمضى العدة لا يسقط نفقتها كما لو آلى وعلق طلاقها بمضى شهر فالمطلقة الرجعية لها النفقة والسكنى بالاجماع واما المبتوتة فعندنا لها النفقة والسكنى مادامت فى العدة لقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم اذ المعنى اسكنوا المعتدات مكانا من المواضع التى تسكنونها وانفقوا عليهن فى العدة من سعتكم لما قرأ ابن مسعود رضى الله عنه اسكنوهن من حيث سكنتم وانفقوا عليهن من وجدكم وعند الشافعى لها السكنى لهذه الآية ولا نفقة لها الا ان تكون حاملا لقوله تعالى وان كن اولات حمل الخ فان قلت فاذا كانت كل مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فائدة الشرط فى قوله وان كن اولات حمل الخ قلت فائدته ان مدة الحمل ربما طالت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحامل فنفى ذلك الوهم كما فى الكشاف (فان ارضعن لكم) الرضاع لغة شرب اللبن من الضرع او الثدى وشريعة شرب الطفل حقيقة او حكما للبن خالص او مختلط غالبا من آدمية فى وقت مخصوص والارضاع شيردادن يعنى

هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية وعلاقة النكاح قال لكم
ولم يقل اولادكم لما قال تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة فالاب يجب
عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهى مندوبة الى ذلك
ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام عند ابى حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة معتدة من نكاح (فآتوهن
اجورهن) على الارضاع ان طلبن اورجون فان حكمهن فى ذلك حكم الاظآر حينئذ قال فى اللباب
فان طلقها فلا يجب عليها الارضاع الا ان لا يقبل الولد ثدى غيرها فيلزمها حينئذ فان اختلفا فى الاجرة
فان دعت الى اجرة المثل وامتنع الاب الا تبرعا فالام اولى باجر المثل اذا لم يجد الاب متبرعة وان دعا الاب
الى اجر المثل وامتنعت الام لتطلب شططا فالاب اولى به فان اعسر الاب باجرتها اجبرت على ارضاع ولدها
انتهى ان قيل ان الولد للاب فلم لا يتبعه فى الحرية والرقية بل يتبع الام لانها اذا كانت ملكا لغير الاب كان الولد
ملكا له وان كان الاب حرا واذا كانت حرة كان الولد حرا وان كان الاب رقيقا اجيب بان الفقهاء قالوا وجهه
رجح ماء الام لا على ماء الاب فى الملكية لان ماءها مستقر فى موضع وماء الاب غير معلوم افادت هذه المسألة
ان المالكية تغلب الوالدية والتحقيق ان الاحكام شرعية لا عقلية والعلم عند شارعها يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد (وأتمروا) ايها الآباء والامهات (بينكم) ميان يكديكر دركار فرزند (بمعروف) اى تشاوروا
وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر وهو المسامحة ولا يكن من الاب مماكسة ولا من
الام معاسرة لانه ولدهما وهما شريكان فيه فى وجوب الاشفاق عليه فالائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار
بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا امر بعضهم بعضا يعنى الافتعال قد يكون بمعنى التفاعل
وهذا منه (وان تعاسرتم) يقال تعاسر القوم اذا تحروا تعسير الامر اى تضايقتم وبالفارسية وا كر
دشوار كنيد ومضايقه نماييد اى پدر ومادر در رضاع ومزد دادن يعنى شوهر از اجرا باز كند يازن شير ندهد
(فسترضع له) اى للاب كما فى الكشاف وهو الموافق لقوله فان ارضعن لكم اوللصبى والولد كما فى الجلالين
وتفسير الكاشفى ونحوهما وفيه ان الظاهر حينئذ ان يقول فسترضعه (اخرى) اى فستوجد ولا تعوز
مرضعة اخرى غير الام ترضعه يعنى مرددايه كيرد براى رضيع خود وما در را باكراه وا جبار نفرمايد وفيه
معاتبة للام على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد ان تبقى غير مقضية
فانت ملوم قال سعدى المفتى ولا يخلو عن معاتبة الاب ايضا حيث اسقط فى الجواب عن حيز شرف الخطاب
مع الاشارة الى انه ان ضويقت الام فى الاجر فامتنعت من الارضاع لذلك فلا بد من ارضاع امرأة اخرى
وهى ايضا تطلب الاجر فى الاغلب الاكثر والام اشفق واحن فهى به اولى وبما ذكرنا يظهر كمال الارتباط بين
الشرط والجزاء (لينفق) لام الامر (ذوسعة) خداوند فراخى وتوانكرى (من سعته) از غناى خود
يعنى بقدر توانايى خويش برمطلقه ومرضعه نفقه كند ومن متعلقة بقوله لينفق (ومن قدر عليه رزقه)
اى ضيق وكان بمقدار القوت وبالفارسية وهركه تنك كرده شده است بروروزى او يعنى فقير وتنكدست است
ومن هذا المعنى اشتق الاقدر اى القصير العنق وفرس اقدر يضع حافر رجله موضع حافر يده وقوله تعالى
وعلى الموسع قدره وعلى المقتر قدره اى ما يليق بحاله مقدارا عليه (فلينفق مما آتاه الله) وان قل اى لينفق
كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه ويطيقه (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) من المال جل او قل
فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وبالفارسية وتكليف نفرمايد خداى تعالى هيچ تنى را مكر آنچه
بدو عطا كرده است از مال يعنى تكليف ما لا يطاق نفرمايد وقد اكد ذلك بالوعد حيث قال (سيجعل الله
بعد عسر يسرا) اى عاجلا او آجلا اذ ليس فى السين دلالة على تعين زمان وكل آت قريب ولو كان الآخرة
وبالفارسية زود باشد كه پديد آرد خداى تعالى بعد از دشوارى وتنكدستى آسانى وتوانكرى فلينتظر المعسر
اليسر والفرج من الله فان الانتظار عبادة وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له فى بذل مجهوده ووعد لفقراء
الازواج لا لفقراء ذلك الوقت عموما كما جوزه الزمخشرى حيث قال موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح ابواب
الرزق عليهم اولفقراء الازواج ان انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا يقول الفقير لا بعد فى ذلك من حيث
ان القرآن ليس بمحصور ولا التفات فى مثل هذا المقام الى سوق الكلام قال البقلى سيجعل الله بعد ضيق الصدر

من الاهتمام بالرزق وانفاقه سعة الصدر و يسر السخاء والطمأنينة والرضى بالله وايضا سيجعل الله بعد عسر الحجاب للمشتاقين يسر كشف النقاب وفى التأويلات النجمية يعنى كل ذى سعة مأمور بانفاق مايقدر على انفاقه فالخفى المنفق عليه من جانب الحق ينفق على الروح من سعته والروح ينفق على السر من سعته والسر ينفق على القلب من سعته والقلب ينفق على النفس من سعته والنفس ينفق على الصدر من سعته والصدر ينفق على الجسم من سعته ومن قدر عليه رزقه من الفيوض الالهية فلينفق مما آتاه الله بحسب استعداده لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فى استعدادها الازلى وقابليتها الغيبية سيجعل الله بعد عسر انقطاع الفيض يسر اتصال الفيض (وكأين من قرية) بمعنى كم الخبرية فى كونها للتكثير واقربتسامح للموضع الذى يجتمع فيه الناس والمعنى وكثير من اهل قرية وبالفارسية و بسيار از اهل ديهى وشهرى فهو من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثم وصفه بصفته اومن المجاز العقلى والاسناد الى المكان وهذه الآية تحذير للناس عن المخالفة فى الاحكام المذكورة وتأكيد لايجابها عليهم (عتت عن امر ربها ورسله) قال فى المفردات العتو النبو عن الطاعة وفى القاموس عتا عتوا وعتيا وعتيا استكبر وجاوز الحد فهو عات وعتى انتهى والعتو لا يتعدى بعن وانما عدى بها لتضمينه معنى الاعراض كأنه قيل اعرضت عن امر ربها وامر رسل ربها بسبب التجاوز عن الحد فى التكبر والعناد وفى ايراده صفة الرب توبيخ لهم وتجهيل لما ان عصيان العبيد لربهم ومولاهم طغيان وجهل بشأن سيدهم ومالكهم و بمرتبة انفسهم ودوام احتياجهم اليه فى التربية قوله وكأين مبتدأ ومن قرية بيان له وعتت خبر المبتدأ (فحاسبناها حسابا شديدا) اى ناقشناها فى الحساب وضيقنا وشددنا عليها فى الدنيا واخذنا ها بدقائق ذنوبها وجرائمها من غير عفو بنحو القحط والجوع والامراض والاوجاع والسيف وتسليط الاعداء عليها وغير ذلك من البلايا مقدما معجلا على استئصالها وذوقها العذاب الاكبر لترجع الى الله تعالى لان البلاء كالسوط للسوق فلم تفعل ولم ترفع رأسا فابتلاها الله بما فوق ذلك كما قال (وعذبناها عذابا نكرا) اى منكرا عظيما هائلا متنفرا عنه بالطبع لشدته وايلامه اوغير متوقع فانهم كانوا لا يتوقعونه ولو قيل لهم لما يصدقونه والقهر الغير المتوقع اشد المأ والعنف الغير المتوقع اتم لذة وبالفارسية وعذاب كرديم ايشانرا عذابى چنانكه نديده بودند ونشناخته وهو العذاب العاجل بالاستئصال بنحو الاغراق والاحراق والريح والصيحة فالنكر الامر الصعب الذى لا يعرف والانكار ضد العرفان يقول الفقير اضاف الله المحاسبة والتعذيب الى نفسه مع ان سببهما كان العتو عن امره وامر رسله لان الرسل كانوا فانين فى الله فاتخذوا الله وكيلا فى جميع امورهم وتركوا التصرف والتعرض للقهر ونحوه وذلك انهم قد بعثوا بعد رسوخهم ولهذا صبروا على تكذيب اممهم لهم ولو بعثوا قبل الرسوخ ربما بطشوا بمن كذبهم واهلكوه وقس عليهم احوال الكمل من الاولياء (فذاقت) پس بچشيد اهل آن ديه (وبال امرها) اى ضرر كفرها وثقل عقوبة معاصيها اى احسته احساس الذائق المطعوم (وكان عاقبة امرها خسرا) هائلا لاخسر وراءه يعنى زياكارى وكدام زيان ازان بدتركه ازحيات ومنافع آن محروم شدند و بعقوبات مبتلى كشتند فتجارتهم خسارة لاربح فيها لتضييعهم بضاعة العمر والصحة والفراغ بصرفها فى المخالفات قال فى المفردات الخسر والخسران انتقاص رأس المال وينسب الى الانسان فيقال خسر فلان والى الفعل فيقال خسرت تجارته ويستعمل ذلك فى القنيات الخارجية كالمال والجاه فى الدنيا وهو الاكثر وفى النفسية كالصحة والسلامة والعقل والايمان والثواب وفى الآية اشارة الى اهل قرية الوجود الانسانى وهو النفس والهوى وسائر القوى فانها اعرضت عن حكم الروح فلم تدخل فى حكم الشريعة وكذا عن متابعة امر القلب والسر والخفى فعذبت بعذاب الحجاب واستهلكت فى بحر الدنيا وشهواتها ولذاتها وكان عاقبة امرها خسران الضلالة ونيران الجهالة (اعد الله لهم) مع ذلك فى الآخرة ولام لهم لام التخصيص المحض لا لام النفع كما فى قولهم دعا له فى مقابلة دعا عليه (عذابا شديدا) اى قدره فى علمه على حسب حكمته اوهيأ اسبابه فى جهنم بحيث لا يوصف كنهه فهم اهل الحساب والعذاب فى الدنيا والآخرة لا فى الدنيا فقط فان ما اصابهم فى الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم لعدم رجوعهم عن الكفر فعذبوا بعذاب الآخرة ايضا وهذا المعنى من قوله فحاسبناها الى هنا هو اللائق بالنظم الكريم هكذا الهمت به حين المطالعة ثم وجدت فى تفسير الكواشى

وكشف الاسرار وابى الليث والاسئلة المقحمة مايدل على ذلك والحمد لله تعالى فلا حاجة الى ان يقال فيه تقديما وتأخيرا وان المعنى اناعذبناها عذابا شديدا فى الدنيا ونحاسبها حسابا شديدا فى الآخرة على ان لفظ الماضى للتحقيق كما كثر الفاظ القيامة فان فيه وفى نحوه تكلفا بينا على ماارتكبه من بعد من اجلاء المفسرين ودل قوله فى الاثر حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا على ان المحاسبة عامة لمافى الدارين وان المراد بها فى بعض المواضع هو التضييق والتشديد مطلقا (فاتقوا الله يا أولى الالباب) اى اعتبروا بحال الامم الماضين من المنكرين المعاندين ومانزل بهم من العذاب والوبال فاتقوا الله فى اوامره ونواهيه ان خلصت عقولكم من شوب الوهم فان اللب هو العقل الخالص من شوائب الوهم وذلك بخلوص القلب من شوائب صفات النفس والرجوع الى الفطرة الاولى واذا خلص العقل من الوهم والقلب من النفس كان الايمان يقينيا فلذلك وصفهم بقوله (الذين آمنوا) اى الايمان التحقيقى اليقينى العيانى الشهودى وفيه اشارة الى ان منشأ التقوى هو الخلوص المذكور ولاينافى ذلك زيادة الخلوص بالتقوى فكم من شئ يكون سببا لاصل شئ آخر يكون سببا فى زيادته وقوته على ذلك الآخر وبكمال التقوى يحصل الخروج من قشر الوجود المجازى والدخول فى لب الوجود الحقيقى والاتصاف بالايمان العيانى قال بعضهم الذين آمنوا حقا وصدقا ويجوز ان يكون صفة كاشفة لامقيدة فانه لايليق ان يعد غير المؤمنين من اولى الالباب اللهم الا ان يراد باللب العقل العارى عن الضعف بأى وجه كان من البلادة والبله والجنون وغيرها فتخصيص الامر بالتقوى بالمؤمنين من بينهم لانهم المنتفعون انتهى والظاهر ان قوله الذين آمنوا مبتدأ خبره قوله تعالى (قد انزل الله اليكم) والخطاب من قبيل الالتفات (ذكرا) هو النبى عليه السلام كأنه بأن ابدل منه قوله (رسولا) وعبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن اوتبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح اى للتجوز فيه عليه السلام بالذكر اولانه مسبب عن انزال الوحى اليه يعنى ان رسول الله شبه بالذكر الذى هو القرآن لشدة ملابسته به فأطلق عليه اسم المشبه به استعارة تصريحية وقرن به مايلائم المستعار منه وهو الانزال ترشيحا لها اومجازا مرسلا من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب فان انزال الوحى اليه عليه السلام سبب لارساله وقال بعضهم ان التقدير قد انزل الله اليكم ذكرا يعنى القرآن وارسل اليكم رسولا يعنى محمدا عليه السلام لكن الايجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول وقد دل عليه القرينة وهو قوله انزل نظيره قوله * علفتها تبنا وماء باردا * اى وسقيتها ماء باردا فيكون الوقف فى ذكرا تاما بخلافه اذا كان بدلا وقال القاشانى قد انزل الله اليكم ذكرا اى فرقانا مشتملا على ذكر الذات والصفات والاسماء والافعال والمعاد رسولا اى روح القدس الذى انزله به فأبدل منه بدل الاشتمال لان انزال الذكر هو انزاله بالاتصال بالروح النبوى والقاء المعانى فى القلب (يتلو) يقرأ ويعرض (عليكم) يااولى الالباب اويا ايها المؤمنون (آيات الله) اى القرآن (مبينات) اى حال كون تلك الآيات مبينات ومظهرات لكم ماتحتاجون اليه من الاحكام اومبينات بالفتح بمعنى واضحات لاخفاء فى معانيها عند الاهالى اولامرية فى اعجازها عند البلغاء المنصفين وانما يتلوها اوانزله (ليخرج) الرسول ويخلص اوالله تعالى قال بعضهم اللام متعلقة بأنزل لابقوله يتلو لان يتلو مذكور على سبيل التبعية دون انزل (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله والافاخراج الموصوفين بالايمان من الكفر لايمكن اذلاكفر فيهم حتى يخرجوا منه اى ليحصل لهم الرسول ماهم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح باخراجهم عماكانوا عليه اوليخرج الله من علم اوقدرانه سيؤمن ولم يقل ليخرجكم اظهار الشرف الايمان والعمل الصالح وبيانا لسبب الاخراج وحثا على التحقق بهما (من الظلمات الى النور) اى من الضلالة الى الهدى ومن الباطل الى الحق ومن الجهل الى العلم ومن الكفر الى الايمان ومن الشبهات الى الدلالات والبراهين ومن الغفلة الى اليقظة ومن الانس بغير الله الى الانس بالله على طبقاتهم ودرجاتهم فى السعى والاجتهاد بعناية الله تعالى وفى التأويلات النجمية ليخرج الذين آمنوا بالايمان العلمى وعملوا الصالحات بمقتضى العلم الظاهر لابمقتضى الحال من ظلمات التقييد بالاعمال والاحوال الى نور الاطلاق برؤية فاعلية الحق فى الاشياء انتهى * يقول الفقير انما جمع الظلمات لتراكمها وتكاثفها ولكثرة اسبابها وانواعها ولذا قال تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اى شدائدهما فانها كالظلمات وكذا الاعمال السيئة ظلمات يوم القيامة كما ورد فى حق الظلم

(ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) خالصا من الرياء والتصنع والغرض وهو استئناف لبيان شرف الايمان والعمل الصالح ونهاية امر من اتصف بهما تنشيطا وترغيبا لغيراهما فيهما قال بعض الكبار لو كان الايمان بذاته يعطى مكارم الاخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا وقد توجد مكارم الاخلاق بدونه والايمان وللمكارم آثار ترجع على اصحابها في اى دار كان كما ورد في حق أبي طالب فانه قال العباس رضى الله عنه يارسول الله ان أباطالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار وكما روى ان ابولهب في المنام وهو يمص ماء من ابهامه ليلة الاثنين لعتقه بعض جواريه حين بشرته بولادة رسول الله عليه السلام وكما قيل انه عليه السلام لما عرج به اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام مابال هذا الرجل في هذه الحظيرة لا تمسه النار فقال جبريل عليه السلام هذا حاتم طى صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده كما في انيس الوحدة وجليس الخلوة فاذا كانت المكارم بهذه المرتبة بلا ايمان فكيف مع ايمان وعطف العمل الصالح من الصلاة والزكاة وغيرهما على الايمان الذى هو تصديق القلب عند المحققين والتصديق مع الاقرار عند البعض يفيد المغايرة على ماهو المذهب الاصح وهو كاف في دخول الجنة بوعد الله وكرمه في القول الحق المثبت بالادلة القوية فذكر العمل الصالح بعده للاهتمام والحث عليه اخبارا بأن اهله يدخلون ابتداء بلاحساب اوبحساب يسير (يدخله جنات تجرى من تحتها) اى من تحت قصورها اواشجارها (الانهار) الاربعة المذكورة في سورة محمد عليه السلام (خالدين فيها) مقيمين في تلك الجنات دائمين فيها وهو حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها (ابدا) ظرف زمان بمعنى دائما غير منقطع فيكون تأكيدا للخلود لئلا يتوهم ان المراد به المكث الطويل المنقطع اخرا (قد احسن الله له رزقا) حال اخرى منه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب لان الجملة الخبرية اذا لم يحصل منها فائدة الخبر ولا لازمها تحمل على التعجب اذا اقتضاه المقام كأنه قيل ما احسن رزقهم الذى رزقهم الله وما اعظمه فرزقا ظاهره المفعولية لأحسن والتنوين للتعظيم لاعداده تعالى فيها ماهو خارج عن الوصف اوللتكثير عددا لما فيه. مما تشتهيه الانفس من الرزق والانفس اومددا لان اكلها دائم لا ينقطع ولا بعد في ان يكون له بمعنى اليه ويكون رزقا تمييزا بمعنى قد هيأ له واعد ما يحسن اليه به من جهة الرزق قال بعض الكبار الجزاء على الاعمال في حق العارفين من عين المنة فهو جزاء العمل لا جزاء العامل فافهم قال في الاسئلة المقحمة الظاهر ان الرزق الحسن مال في قدر الكفاية بلا زيادة تطغى ولا حاجة تنسى يقول الفقير هذا التفسير ليس في محله لان المراد رزق الآخرة كما دل عليه ماقبل الآية لا رزق الدنيا وفي التأويلات النجمية ومن يؤمن بالله ايمانا حقيقيا عينيا ويعمل عملا صالحا منزها عن رؤيته مقدسا عن نسبته الى العامل المجازى يدخله جنات المكاشفات والمشاهدات والمعاينات والمحاضرات من غير الفترة الحجابية قد احسن الله له رزقا فرزق الروح بالتفريد ورزق القلب بالتجريد ورزق السر بالتوحيد ورزق الخفى بالفناء والبقاء (الله الذى) الخ مبتدأ وخبر اى الملك القادر الذى (خلق سبع سموات) بيافريد هفت آسمان بعضى بالاى بعض * نكرها للتعظيم المفيد لكمال قدرة صانعها اولكفايته في المقصود من اثبات قدرته الكاملة على وفق حكمته الشاملة وذلك يحصل باخبار خلقه تعالى سبع سموات من غير نظر الى التعيين (ومن الارض) اى وخلق من الارض (مثلهن) اى مثل السموات السبع في العدد والطباق وبالفارسية وبيافريد اززمين مانند آسمانها بعضى درتحت بعض فقوله مثلهن منصوب بفعل مضمر بعد الواو دل عليه الناصب لسبع سموات وليس بمعطوف على سبع سموات لانه يستلزم الفصل بين حرف العطف وهو حرف واحد وبين المعطوف بالجار والمجرور وصرح سيبويه وابو على بكراهيته في غير موضع الضرورة واختلف في كيفية طبقات الارض فالجمهور على انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق وفرجة اى سواء كان بالبحار اوبغيرها بخلاف السموات قال القرطبي والاول الاصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذى فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبى عليه السلام لم ير قرية يريد دخولها الاقال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين

نسألك من خير هذه القرية وخير اهلها وخير من فيها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها (وروى) شيبان ابن عبد الرحمن عن قتادة عن الحسن عن ابى هريرة رضى الله عنه قال بينما النبى عليه السلام جالس اذاتى عليهم سحاب فقال هل تدرون ما هذا العنان قالوا الله ورسوله اعلم قال هذه زوايا الارض يسوقها الله الى قوم لايشكرونه ولايدعونه ثم قال هل تدرون ما الذى فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وبحر مكفوف ثم قال هل تدرون ما بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال فوقها العرش وبينه وبين السماء كبعد ما بين سماءين اوكما قال ثم قال هل تدرون ما تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال الارض وتحتها ارض اخرى بينهما خمسمائة عام ثم قال والذى نفس محمد بيده لوانكم ادليتم بحبل لهبطتم على الله ثم قرأ عليه السلام هوالاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم كما فى خريدة العجائب وفى المقاصد الحسنة لوانكم دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله فسره بعض اهل العلم فقال انما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف فى كتابه انتهى * قال شيخنا معناه ان علم الله شمل جميع الاقطار فالتقدير لهبط على علم الله والله تعالى منزه عن الحلول فى الاماكن فالله سبحانه كان قبل ان يحدث الاماكن انتهى كلام المقاصد الحسنة قال بعض العارفين فيه اشارة الى انه ما من جوهر فى العالم العلوى والسفلى الا وهو مرتبط بالحق ارتباط الرب بالمربوب وفى الحديث (اجتمع املاك عند الكعبة واحد نازل من السماء وواحد صاعد من الارض السفلى وثالث من ناحية المشرق ورابع من ناحية المغرب فسأل كل واحد صاحبه من اين جئت فكلهم قالوا من عند الله ثم نرجع ونقول فالارض بعضها فوق بعض وغلظ كل ارض مسيرة خمسمائة عام وكذا ما بينهما على ما دل عليه حديث ابى هريرة وفى الحديث من اخذ من الارض شبرا بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع ارضين قال ابن الملك وفيه اشعار بان الارض فى الآخرة ايضا سبع طباق وفى الكواشى قيل ما فى القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه الآية وان ما بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وكذا غلظ كل سماء والارضون مثل السموات فكما ان فى كل سماء نوعا من الملائكة يسبحون الله ويقدسونه ويحمدونه فكذا لكل ارض اهل على صفة وهيئة عجيبة ولكل ارض اسم خاص كما ان لكل سماء اسما خاصا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة اوجن وعن عطاء بن يسار فى هذه الآية فى كل ارض آدم كآدمكم ونوح مثل نوحكم وابراهيم مثل ابراهيمكم وعيسى كعيساكم قالوا معناه ان فى كل ارض خلقا لله لهم سادة يقومون عليهم مقام آدم ونوح وابراهيم وعيسى فينا قال السخاوى فى المقاصد الحسنة حديث الارضون سبع فى كل ارض من الخلق مثل ما فى هذه حتى آدم كآدمكم وابراهيم كابراهيمكم هو مجهول ان صح نقله عن ابن عباس رضى الله عنهما على انه اخذه عن الاسرائيليات اى اقاويل بنى اسرائيل مما ذكر فى التوراة اواخذه من علمائهم ومشايخهم كما فى شرح النخبة وذلك وامثاله اذا لم يخبر به ويصح سنده الى معصوم فهو مردود على قائله انتهى كلام المقاصد مع تفسير الاسرائيليات وقال فى انسان العيون قد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ومن الارض مثلهن قال سبع ارضين فى كل ارض نبى كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيساكم رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال البيهقى اسناد صحيح لكنه شاذ بالمرة اى لانه لايلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يكون فيه مع صحة اسناده ما يمنع صحته فهو ضعيف قال الجلال السيوطى ويمكن ان يؤول على ان المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن انبياء البشر ولايبعد ان يسمى كل منهم باسم النبى الذى يبلغ عنه هذا كلامه وحينئذ كان لنبينا عليه السلام رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور وهو محمد فليتأمل انتهى ما فى انسان العيون ونظير هذا المقام قول حضرة الشيخ الشهير بافتاده خطابا لحضرة محمود الهدائى قدس سرهما الآن عوالم كثيرة يتكلم فيها محمود وافتاده كثير قال فى خريدة العجائب وليس هذا القول اى خبر فى كل ارض آدم الخ باعجب من قول الفلاسفة ان الشموس شموس كثيرة والاقمار اقمار كثيرة ففى كل اقليم شمس وقمر ونجوم وقالت القدماء الارض سبع على المجاورة والملاصقة وافتراق الاقاليم لاعلى المطابقة والمكابسة واهل النظر من المسلمين يميلون الى هذا القول ومنهم من يرى ان الارض سبع على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقى

(وحكى) الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انها سبع ارضين متفرقة بالبحار يعني الحائل بين كل ارض وارض بحار لايمكن قطعها ولا الوصول الى الارض الاخرى ولا تصل الدعوة اليهم وتظل الجميع السماء قال الماوردى وعلى هذا اى وعلى انها سبع ارضين وفى كل ارض سكان من خلق الله تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم و يستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الارض مبسوطة والثانى انهم لايشاهدون السماء وان الله خلق لهم ضياء يشاهدونه وهذا قول من جعل الارض كرة قال سعدى المفتى وقد تؤول الآية تارة بالاقاليم السبعة اى فتكون الدعوة شاملة لجميعها وتارة بطبقات العناصر القوابل بالنسبة الى الاثيريات فهى ارضها التى ينزل عليها منها الصور الكائنة وهى النار الصرفة والطبقة الممتزجة من النار والهواء المسماة كرة الاثير التى فيها الشهب وذوات الاذناب وغيرها وطبقة الزمهرير وطبقة النسيم وطبقة الصعيد والماء المشحونة بالنسيم الشاملة للطبقة الطينية التى هى السادسة وطبقة الارض الصرفة عند المركز وان حملناها على مراتب الغيوب السبعة المذكورة من غيب القوى والنفس والعقل والسر والروح والخفى وغيب الغيوب اى عين جمع الذات فالارضون هى الاعضاء السبعة المشهورة وفى التأويلات النجمية هى طبقات القلوب من الصدر والقلب والفؤاد والروع والشغاف والمهجة والروح واراضى النفوس وهى النفس الامارة و اللوامة والملهمة والمطمئنة والنفس المعدنية والنباتية والحيوانية (يتنزل الامر) اى امر الله واللام عوض عن المضاف اليه (بينهن) اى بين السموات السبع والارضين السبع والظاهر ان الجملة استئنافية للاخبار عن شمول جريان حكمه ونفوذ امره فى العلويات والسفليات كلها فالامر عند الاكثرين القضاء والقدر بمعنى يجرى قضاؤه و ينفذ حكمه بين السماء السابعة التى هى اعلى السموات و بين الارض السابعة التى هى اسفل الارضين ولا يقتضى ذلك ان لايجرى فى العرش والكرسى لان المقام اقتضى ذكر ماذكره والتخصيص بالذكر لايقتضى التخصيص بالحكم كذا قالوا يقول الفقير تحقيق هذا المقام يستدعى تمهيد مقدمة وهى انه استوى الامر الارادى الايجادى على العرش كما استوى الامر التكليفى الارشادى على الشرع الذى هو مقلوب العرش والتجليات الايجادية الامرية المتنزلة بين السموات السبع والارضين السبع موقوفة على استواء امر تمام حصول الاركان الاربعة على العرش وتلك الامور الاربعة هى الحركة المعنوية الاسمائية والحركة النورية الروحانية والحركة الطبيعية المثالية والحركة الصورية الحسية وهى حركة العرش فالعرش مستوى امره الايجادى لامستوى نفسه تعالى عن ذلك ومنه يتنزل الامر الالهى بينهن وهى التجليات الالهية الدنيوية والبرزخية والحشرية والنيرانية والجنانية وكلها تجليات وجودية اشير اليها بقوله تعالى كل يوم هو فى شأن و بقوله يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها واما التجليات الشهودية فكانت وتكون فى الدنيا والآخرة لقلوب اهل الكمال وارواحهم واسرارهم من الانبياء العظام والاولياء الكرام فمعنى الآية يتنزل امر الله بالايجاد والتكوين وترتيب النظام والتكميل بين كل سماء وارض من جانب العرش العظيم ابدا دائما لان الله تعالى لم يزل ولايزال خالقا فى الدنيا والآخرة فيفنى ويعدم عوالم و يوجد و يظهر عوالم اخرى لانهاية لشؤونه فهو كل يوم وآن فى امر وشأن بحسب مقتضيات استعدادات اهل العصر وموجبات قابليات اصحاب الزمان (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير) متعلق بخلق او يتنزل او بما يعمهما اى فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ماذكر قادر على كل شئ ومنه البعث للحساب والجزاء فتطيعوا امره وتقبلوا حكمه وتستعدوا لكسب السعادة والخلاص من الشقاوة واللام لام المصلحة والحكمة لان فعله تعالى خال عن العبث (روى) عن الامام الاعظم انه قال ان هذه الآية من اخوف الآيات فى القرآن لالام الغرض فانه تعالى منزه عن الغرض اذ هو لمن له الاحتياج والله غنى عن العالمين (وان الله قد احاط بكل شئ علما) كما احاط به قدرة لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك والاحاطة العلم البالغ و بالفارسية و بدرستى كه فرا رسيده است بهمه چيز از روى علم يعنى علم وقدرت او محيط است بهمه اشيا از موجودات علمى وعينى هيچ چيز از دائرهٔ علم وقدرت او خارج نيست * رمزيست زسر قدرتش كن فيكون *

باداش او يكيست بيرون ودرون * در غيب وشهادة ذرة نتوان يافت * از دائرة قدرت وعلمش بيرون * ويجوز ان يكون العامل فى اللام بيان ماذكر من الخلق وتنزل الامر اى اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التى تشاهدونها والتى تتلقونها من الوحى من عجائب المصنوعات انه لايخرج عن علمه وقدرته شئ ما اصلا قوله علما نصب على التمييز اى أحاط علمه بكل شئ كما فى عين المعانى اوعلى المصدر المؤكد لان المعنى وان الله قد علم كل شئ علما كما فى فتح الرحمن قال البقلى قدس سره لوكان للانسان قدرة المعرفة كالارواح لم يخاطبه بالعلل والاستدلال ليعلم برؤية الاشياء وجود الحق وكان كالارواح فى الخطاب بلاعلة فى تعريف نفسه اياها بقول ألست بربكم اذهناك خطاب وشهود وتعريف بغير علة فلما علم عجزه وهو فى عالم الجسم عن حمل واردات الخطاب الصرف احاله الى الشواهد بقوله خلق سبع سموات الخ وليس بعارف فى الحقيقة من عرفه بشئ من الاشياء اوبسبب من الاسباب فمن نظر الى خلق الكون يعرف انه ذوقدرة واسعة وذواحاطة شاملة ويخاف من قهره ويذوب قلبه بعلمه فى رؤية اطلاع الحق عليه قال الشيخ نجم الدين فى تأويلاته وفى هذه الآية الكريمة غوامض من اسرار القرءآن مكنونة ويدل عليه قول ابن عباس رضى الله عنهما لما سئل عن هذه الآية وقال لوفسرتها لقطعوا حلقومى ورجمونى والمعنى الذى اشار اليه رضى الله عنه مما لايعبر عنه ولايشار اليه ولكن يذاق

تمت سورة الطلاق بعون الله الملك الخلاق فى خامس عشر جمادى الاولى من شهور سنة ست عشرة ومائة والف

(سورة التحريم ثنتاعشرة آية مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياايها النبى لم تحرم مااحل الله لك) اصل لم لما والاستفهام لانكار التحريم وهو بالفارسية حرام كردن كما ان الاحلال حلال كردن روى ان النبى عليه السلام خلا بسريته مارية القبطية التى اهداها اليه المقوقس ملك مصر فى يوم عائشة رضى الله عنها اونوبتها وعلمت بذلك حفصة رضى الله عنها فقال لها اكتمى على ولاتعلمى عائشة فقد حرمت مارية على نفسى وابشرك ان ابابكر وعمر رضى الله عنهما يملكان بعدى امر امتى فاخبرت به عائشة رضى الله عنها ولم تكتم وكانتا متصادقتين متظاهرتين على سائر ازواج النبى عليه السلام قال السهيلى رحمه الله امرها ان لاتخبر عائشة ولاسائر ازواجه بما رأت وكانت رأته فى بيت مارية بنت شمعون القبطية ام ولده ابراهيم المتوفى فى الثدى وهو ابن ثمانية عشر شهرا فخشى ان يلحقهن بذلك غيرة واسر الحديث الى حفصة فافشته وقيل خلا بها فى يوم حفصة كما قال بعض اهل التفسير كان رسول الله عليه السلام يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه استأذنت رسول الله فى زيارة ابيها فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله الى ام ولده مارية القبطية (قال فى كشف الاسرار) دربيرون مدينه در نخلستان درسرايى مقام داشت كه زنان رسول نمى خواستند كه درمدينه باايشان نشيند وكاه كاه رسول خدا از بهر طهارت بيرون شدى واورا ديدى انتهى فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى فقال مايبكيك فقالت انما أذنت لى من اجل هذا ادخلت امتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى على فراشى فلو رأيت لى حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله اليس هى جاريتى احلها الله لى اسكتى فهى حرام على التمس بذلك رضاك فلاتخبرى بهذا امرأة منهن فلماخرج رسول الله قرعت حفصة الجدار الذى بينها وبين عائشة فقالت الاابشرك ان رسول الله قد حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت فلم تكتم فطلقها رسول الله بطريق الجزاء على افشاء سره واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت مارية قال ابو الليث اقسم ان لايدخل عليهن شهرا من شدة مؤاخذته عليهن حتى نزلت الآية ودخل عمر رضى الله عنه على بنته حفصة وهى تبكى فقال اطلقكن رسول الله فقالت لاادرى هوذا معتزلا فى هذه المشربة وهى بفتح الراء وضمها الغرفة والعلية كما فى القاموس (وروى) انه قال لها لوكان فى آل الخطاب خير لما طلقك قال عمر فاتيته عليه السلام فدخلت وسلمت عليه فاذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر فى جنبه فقلت اطلقت نساءك يارسول الله فقال لافقلت الله اكبر لورأيتنا يارسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة

وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم وطفقن نساؤنا يتعلمن من نسائهم فتبسم رسول الله وقال عمر للنبي عليه السلام لاتكترث بامر نسائك والله معك وابو بكر معك وانا معك فنزلت الاية موافقة لقول عمر قالت عائشة رضى الله عنها لما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله فقلت يارسول الله انك اقسمت ان لاتدخل علينا وانك قد دخلت فى تسع وعشرين اعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر كذلك ونزل جبريل فقال لرسول الله عن امر الله راجع حفصة فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك فى الجنة وكان تحته عليه السلام يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت ابى بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابى سفيان وام سلمة بنت امية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيى بن اخطب الخيبرية وجويرة بنت الحارث المصطلقية ونقلست كه حضرت پيغمبر صلى الله عليه وسلم عسل وشربت اووهر چيز كه حلو باشد دوست داشتى وقتى زينب رضى الله عنها مقدارى عسل داشت كه بعضى خويشان وى در مكه بطريق هديه فرستاده بود هركاه آن حضرت عليه السلام بخانۀ وى آمدى زينب شربت فرمودى وآن حضرت را در خانۀ وى بسبب آن توقف بيشتر واقع شدى آن حال بر بعضى ازواج طاهرات كران آمد عائشه وحفصه اتفاق نمودندكه چون آن حضرت بعد از آشاميدن شربت عسل در خانۀ وى نزد هركدام ازما در آيد كوييم از تو بوى مغافير ميشنويم ومغفور بالضم صمغ درختيست كه عرفط خوانند ازدرختان باديه واكرچه شيرينست ولكن رايحۀ كريهه دارد و حضرت بوى خوش دوست ميداشت براى مناجات ملك وازروايح ناخوش محترزمى بود پس آن حضرت روزى شربت آشاميد ونزد هر كدام آمد از ازواج كفتند يارسول الله از شما رايحۀ مغفور مى آيد وايشان در جواب فرمودند كه مغفور نخورده ام اما درخانۀ زينب شربت عسل آشاميده ام كفتند جرست النحلة العرفط يعنى ان تلك النحلة اكلت العرفط و بالفارسية زنبور آن عسل ازشكوفۀ عرفط چريده بود والجرس خوردن منج چرارا وفى القاموس الجرس اللحس باللسان امام زاهد رحمه الله آورده كه چون اين صورت مكرر وجود كرفت حضرت عليه السلام فرمود حرمت العسل على نفسى فوالله لا آكله ابدا واين سوكند بدان خورد تاديكر كس و يرا ازان عسل نيارد فنزلت الآية قال ابن عطية والقول الاول و هو ان الآية نزلت بسبب مارية اصح واوضح وعليه تفقه الناس فى الآية وقال فى كشف الاسرار قصة العسل اسند كما قال فى اللباب ان هذا هو الاصح لانه مذكور فى الصحيحين انتهى وقصة مارية اشبه ومعنى الآية لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين اومن العسل اى تمتنع من الانتفاع به مع اعتقاد كونه حلالا لك لان اعتقاد كونه حراما بعد ما احل الله ممالايتصور من عوام المؤمنين فكيف من الانبياء قال الفقهاء من اعتقد من عند نفسه حرمة شئ قد احله الله فقد كفر اذ ما احله الله لايحرم الا بتحريم الله اياه بنظم القرآن او بوحى غير متلو والله تعالى انما احل لحكمة ومصلحة عرفها فى احلاله فاذا حرم العبد كان ذلك قلب المصلحة مفسدة (تبتغى مرضات ازواجك) الابتغاء جستن والمرضاة مصدر كالرضى وفى بعض التفاسير اسم مصدر من الرضوان قلبت واوها الفا والازواج جمع زوج فانه يطلق على المرأة ايضا بل هو الفصيح كما قال فى المفردات وزوجة لغة رديئة وجمع الازواج مع ان من ارضاها النبى عليه السلام فى هذه القصة عائشة وحفصة رضى الله عنهما اما لان ارضاءهما فى الامر المذكور ارضاء لكلهن اولان النساء فى طبقة واحدة فى مثل تلك الغيرة لانهن جبلن عليها على انه مضى مامضى من قول السهيلى اولان الجمع قد يطلق على الاثنين اوللتحذير عن ارضاء من تطلب منه عليه السلام مالايحسن وتلح عليه ايتهن كانت لانه عليه السلام كان حييا كريما والجملة حال من ضمير تحرم اى حال كونك مبتغيا وطالبا الرضى ازواجك والحال انهن احق بابتغاء رضاك منك فانما فضيلتهن بك فالانكار وارد على مجموع القيد والمقيد دفعة واحدة فمجموع الابتغاء والتحريم منكر نظيره قوله تعالى لاتأكلوا الربا اضعافا مضاعفة وفيه اشارة الى فضل مارية والعسل وفى الحديث (اول نعمة ترفع من الارض العسل) وقد بين فى سورة النحل (والله غفور) مبالغ فى الغفران قد غفر لك وستر ما فعلت من التحريم وقصدت من الرضى لان الامتناع من الانتفاع باحسان المولى الكريم يشبه عدم قبول احسانه (رحيم) قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محافظة على عصمتك (وقال الكاشفى) مهربان كه كفارت سوكند تو فرمود

قال فى كشف الاسرار هذا اشد ماعوتب به رسول الله فى القرآن وقال البقلى ادب الله نبيه ان لايستبد برأيه ويتبع مايوحى اليه كما قال بعض المشايخ فى قوله لتحكم بين الناس بما اراك الله ان المراد به الوحى الذى يوحى به اليه لامايراه فى رأيه فان الله قد عاتبه لما حرم على نفسه ماحرم فى قصة عائشة وحفصة فلو كان الدين بالرأى لكان رأى رسول الله اولى من كل رأى انتهى كلام ذلك البعض وفيه بيان ان من شغله شئ من دون الله وصل اليه منه ضرب لا تبرأ جراحته الابالله لذلك قال عقيب الآية والله غفور رحيم قال ابن عطاء لما نزلت هذه الآية على النبى عليه السلام كان يدعو دائما ويقول اللهم انى اعوذبك من كل قاطع يقطعنى عنك آزرده است كوشه نشين ازوداع خلق * غافل كه اتصال حقست انقطاع خلق (قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) الفرض هنا بمعنى الشرع والتبيين كما دل عليه لكم فان فرض بمعنى اوجب انما يتعدى بعلى والتحلة مصدر حلل بتضعيف العين بمعنى التحليل اصله تحللة كتكرمة وتولة وتبصرة وتذكرة من كرم وعال وبصر وذكر بمعنى التكريم والتعليل والتبصير والتذكير الا ان هذا المصدر من الصحيح خارج عن القياس فانه من المعتل اللام نحو سمى تسمية اومهموز اللام مثل جزأ تجزئة والمراد تحليل اليمين كان اليمين عقد والكفارة حل يقال حلل اليمين تحليلا كفرها اى فعل مايوجب الحنث وتحلل فى يمينه استثنى وقال ان شاء الله وقوله عليه السلام لايموت لرجل ثلاثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم اى قدر مايقول ان شاء الله كما فى المفردات اوقدر مايبر الله قسمه فيه بقوله تعالى وان منكم الا واردها قال فى تاج المصادر قوله فعلته تحلة القسم اى لم افعله الا بقدر ماحللت به يمينى ان لاافعله ولم ابالغ ثم قيل لكل شئ لم يبالغ فيه تحليل يقال ضربته تحليلا والباب يدل على فتح الشئ ومعنى الكفارة الاطعام اوالكسوة اوالعتق اوالصوم على مامر تفصيله فى سورة المائدة ومعنى الآية شرع الله لكم تحليل ايمانكم وبين لكم ماتحل به عقدتها من الكفارة وهى المرادة ههنا لاالاستثناء اى ان يقول ان شاء الله متصلا حتى لايحنث فان الاستثناء المتصل ماكان مانعا من انعقاد اليمين جعل كالحل فالتحليل لما عقدته الايمان بالكفارة اوبالاستثناء وبالفارسية بدرستى كه بيان كرد خداى تعالى براى شما فروكشادن سوكندهاى شمارا بكفارت يعنى آنچه بسوكند بنديد بكفارت توان كشاد قال فى الهداية ومن حرم على نفسه شيأ مما يملكه لم يصر محرما وعليه ان استباحه واقدم عليه كفارة فتحريم الحلال يمين عند ابى حنيفة رحمه الله ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله اوامة فعلى وطئها قال ابن عباس رضى الله عنهما التحريم هو اليمين فلو قال لامرأته انت على حرام فان نوى الطلاق طلقت وان نوى اليمين كان يمينا وان اراد الكذب لم يقع شئ وكذا لو حرم طعاما على نفسه ونوى اليمين كان يمينا خلافا للشافعى كما فى عين المعانى وقال بعضهم لم يثبت عن رسول الله عليه السلام انه قال لما احله الله هو حرام على وانما امتنع عن مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لااقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اى لم تمتنع منه بسبب اليمين يعنى اقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك وظاهر قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فان قلت هل كفر رسول الله لذلك قلت عن الحسن البصرى قدس سره انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل انه اعتق رقبة فى تحريم مارية وعاودها لانه لاينافى كونه مغفورا له ان يكفر فهو والامة سوآء فى الاحكام ظاهرا (والله مولاكم) سيدكم ومتولى اموركم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) المتقن فى افعاله واحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه الحكمة (واذ اسر النبى) الاسرار خلاف الاعلان ويستعمل فى الاعيان والمعانى والسر هو الحديث المكتتم فى النفس واسررت الى فلان حديثا افضيت به اليه فى خفية فالاسرار الى الغير يقتضى اظهار ذلك لمن يفضى اليه بالسر وان كان يقتضى اخفاءه من غيره فاذا قولهم اسررت الى فلان يقتضى من وجه الاظهار ومن وجه الاخفاء والنبى رسول الله عليه السلام فان اللام للعهد واذ ظرف اى اذكر الحادث وقت الاسرار والاكثر المشهور انه مفعول اى واذكر يا محمد وقت اسرار النبى واخفائه على وجه التأنيب والتعتب اوواذكروا ايها المؤمنون فالخطاب ان كان له عليه السلام فالاظهار فى مقام الاضمار بأن قيل واذ اسررت للتعظيم بايراد وصف ينبئ عن وجوب رعاية حرمته ولزوم حماية حرمه عما يكرهه وان كان لغيره عموما على الاشتراك اوخصوصا على الانفراد فذكره بوصف النبى للاشعار بصدقه

فى دعوى النبوة (الى بعض ازواجه) وهى حفصة رضى الله عنها تزوجها النبى عليه السلام فى شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة قبل احد بشهرين وكانت ولادتها قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبنى البيت وماتت بالمدينة فى شعبان سنة خمس واربعين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو امير المدينة يومئذ وحمل سريرها وحمله ايضا ابو هريرة وقد بلغت ثلاثا وستين سنة وابو حفص ابوها عمر رضى الله عنه كناه به رسول الله عليه السلام والحفص ولد الاسد (حديثا) قال الراغب كل كلام يبلغ الانسان من جهة السمع اوالوحى فى يقظته اومنامه يقال له حديث والمراد حديث تحريم مارية اوالعسل اوامر الخلافة قال سعدى المفتى فيه ان تحريم العسل ليس مما اسر الى حفصة بل كان ذلك عند عائشة وسودة وصفية رضى الله عنهن (فلما نبأت به) اى اخبرت حفصة صاحبتها التى هى عائشة بالحديث الذى اسره اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وافشته اليها (واظهره الله عليه) اى اطلع الله النبى على افشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبريل فالضمير راجع الى الحديث بتقدير المضاف واظهر ضمن معنى اطلع من ظهر فلان السطح اذا علاه وحقيقته صار على ظهره واظهره على السطح اى رفعه عليه فاستعير للاطلاع على الشئ وهو من باب الافعال بمعنى بر رسانيدن كسى را برنهانى وديده ور كردانيدن قال الراغب ظهر الشئ اصله ان يحصل شئ على ظهر الارض فلا يخفى وبطن اذا حصل فى بطنان الارض فيخفى ثم صار مستعملا فى كل بارز للبصر والبصيرة (عرف) النبى حفصة والتعريف بالفارسية بيا كاهيدن (بعضه) اى بعض الحديث الذى افشته الى صاحبتها على طريق العتاب بأن قال لها الم اك امرتك ان تكتمى سرى ولا تبديه لاحد وهو حديث الامامة (روى) انه عليه السلام لما عاتبها قالت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها اباها وبعض الشئ جزء منه (واعرض عن بعض) اى عن تعريف بعض تكرما وهو حديث مارية وقال بعضهم عرف تحريم الامة واعرض عن تعريف امر الخلافة كراهة ان ينتشر ذلك فى الناس وتكرما منه وحلما وفيه جواز اظهار الشيوخ الفراسة والكرامات لمريديهم لتزيد رغبتهم فى الطريقة وفيه حث على ترك الاستقصاء فيما جرى من ترك الادب فانه صفة الكرام قال الحسن البصرى قدس سره ما استقصى كريم قط وقال بعضهم مازال التغافل من فعل الكرام (فلما نبأها به) اى اخبر النبى حفصة بالحديث الذى افشته بما اظهره الله عليه من انها افشت سره (قالت من انبأك هذا) من اخبرك عنى هذا تعنى افشاءها للحديث ظنت ان عائشة اخبرته وفيه تعجب واستبعاد من اخبار عائشة بذلك لانها اوصتها بالكتم ولم يقل من نبأك ليوافق ما قبله للتفنن (قال) النبى عليه السلام (نبأنى) بفتح ياء المتكلم (العليم الخبير) الذى لا يخفى عليه خافية فسكتت وسلمت ونبأ ايضا من قبيل التفنن يقال انبأ ونبأ يتعديان الى مفعولين الى الاول بنفسهما والى الثانى بالباء وقد يحذف الاول للعلم به وقد يحذف الجار ويتعدى الفعل الى الثانى بنفسه ايضا فقوله تعالى فلما نبأها به على الاستعمال الاول وقوله فلما نبأت به على الاستعمال الثانى وقوله من انبأك على الاستعمال الثالث وقوله العليم هو والعالم والعلام من اسمائه سبحانه ومن ادب من علم انه سبحانه عالم بكل شئ حتى بخطرات الضمائر ووساوس الخواطر ان يستحيى منه ويكف عن معاصيه ولا يغتر بجميل ستره ويخشى بغتات قهره ومفاجأة مكره وعن بعضهم انه قال كنت جائعا فقلت لبعض معارفى انى جائع فلم يطعمنى شيأ فمضيت فوجدت درهما ملقى فى الطريق فرفعته فاذا عليه مكتوب اما كان الله عالما بجوعك حتى طلبت من غيره والخبير بمعنى العليم وقال الامام الغزالى قدس سره اذا اعتبر العلم المطلق فهو العليم مطلقا واذا اضيف الى الغيب والامور الباطنة فهو الخبير واذا اضيف الى الامور الظاهرة فهو الشهيد واذا علم العبد انه تعالى خبير بافعاله مطلع على سره علم انه تعالى احصى عليه جميع ما عمله اواخفى فى علمه وان كان هو قد نسيه فيخجل خجلا يكاد يهلكه (حكى) ان رجلا تفكر يوما فقال عمرى كذا كذا سنة يكون كذا كذا شهرا يكون منها كذا كذا يوما فبلغ عمره من الايام الوفا كثيرة فقال لولم اعص الله كل يوم الا معصية واحدة لكان فى ديوان عملى كذا كذا الف معصية وانى فى كل يوم عملت كثيرا من المعاصى ثم صاح وفارق الدنيا يقول الفقير * مذنبم كرچه ولى رب غفورم كرست * بمن افتاده دهداز كرمش شايد دست (ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة رضى الله عنهما فالالتفات من الغيبة الى الخطاب للمبالغة فى العتاب لكن العتاب يكون للاولياء كما ان العقاب

يكون للاعداء كما قيل اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

ففيه ارادة خير لحفصة وعائشة بارشادهما الى ما هو اوضح لهما (فقد صغت قلوبكما) الفاء للتعليل كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق والا فالجزاء يجب ان يكون مرتبا على الشرط مسببا عنه وصغو قلبهما كان سابقا على الشرط وكذا الكلام فى وان تظاهرا الخ والمعنى فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه من صغا يصغو صغوا مال واصغى اليه مال بسمعه قال الشاعر

تصغى القلوب الى اغر مبارك * من آل عباس بن عبد المطلب

وجمع القلوب لئلا يجمع بين تثنيتين فى كلمة فرارا من اجتماع المتجانسين وربما جمع (وان تظاهرا عليه) باسقاط احدى التاءين وهو تفاعل من الظهر لانه اقوى الاعضاء اى تتعاونا على النبى عليه السلام بما يسوءه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره وكانت كل منكما ظهيرا لصاحبتها فيه (فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) قوله هو مبتدأ ثان جيئ به لتقوى الحكم لا للحصر والا لانحصرت الولاية له عليه السلام فى الله تعالى فلا يصح عطف ما بعده عليه وقوله وجبريل عطف على موضع اسم ان بعد استكمالها خبرها وكذا قوله وصالح المؤمنين واليه مال السجاوندى رحمه الله اذ وضع علامة الوقف على المؤمنين والظاهر ان صالح مفرد ولذلك كتبت الحاء بدون واو الجمع ومنهم من جوز كونه جمعا بالواو والنون وحذفت النون بالاضافة وسقطت واو الجمع فى التلفظ لالتقاء الساكنين وسقطت فى الكتابة ايضا حملا للكتابة على اللفظ نحو يمح الله الباطل ويدع الانسان وسندع الزبانية الى غير ذلك والمعنى فلن يعدم هو اى النبى عليه السلام من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الملائكة المقربين قرينه ورفيقه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه فيكون جبريل وما بعده اى على تقدير العطف داخلين فى الولاية لرسول الله ويكون جبريل ايضا ظهيرا له بدخوله فى عموم الملائكة ويجوز ان يكون الكلام قد تم عند قوله مولاه ويكون جبريل مبتدأ وما بعده عطفا عليه وظهير خبر للجميع تختص الولاية بالله قال ابن عباس رضى الله عنهما اراد بصالح المؤمنين ابابكر وعمر رضى الله عنهما قال فى الارشاد هو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة فانه جمع بين الظهير المعنوى والظهير الصورى كيف لا وان جبريل ظهيره يؤيده بالتأييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه فى تدبير امور الرسالة وتمشية الاحكام الظاهرة ومعاون آن حضرت كه رضاء او بر رضاء فرزندان خود ايثار كنند ولان بيان مظاهرتهما له عليه السلام اشد تأثيرا فى قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد به جنس الصالحين كما هو المشهور وعن بعضهم ان المراد بصالح المؤمنين الاصحاب اوخيارهم وعن مجاهد هو على رضى الله عنه يقول الفقير يؤيده قوله عليه السلام يا على انت منى بمنزلة هرون من موسى فان الصالحين هم الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى وكلا جعلنا صالحين وقال حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام والحقنى بالصالحين فاذا كان على بمنزلة هرون فهو صالح مثله وقال السهيلى رحمه الله لفظ الآية عام فالاولى حملها على العموم قال الراغب الصلاح ضد الفساد الذى هو خروج الشئ عن الاعتدال والانتفاع قل او كثر وهما مختصان فى اكثر الاستعمال بالافعال وقوبل الصلاح فى القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة (وروى) ان رجلا قال لابراهيم بن ادهم قدس سره ان الناس يقولون لى صالح فبم اعرف انى صالح فقال اعرض اعمالك فى السر على الصالحين فان قبلوها واستحسنوها فاعلم انك صالح والا فلا وهذا من كلم الحكمة (والملائكة) مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم (وقال الكاشفى) وتمام فرشتكان آسمان و زمين (بعد ذلك) اى بعد نصرة الله وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين وفيه تعظيم لنصرتهم لانها من الخوارق كما وقعت فى بدر ولا يلزم منه افضلية الملائكة على البشر (ظهير) خبر والملائكة والجملة معطوفة على جملة فان الله هو مولاه وما عطف عليه اى فوج مظاهر له معين كأنهم يد واحدة على من يعاديه فاذا يخيب تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله ونصرة الله بهم وبمظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته يعنى ان نصرة الله اما نصرة ذاتية بلا آلة ولا سبب او نصرة بتوسط مخلوقاته والثانى يتفاوت بحسب تفاوت قدرة المخلوقات وقوتهم ونصرة الملائكة اعظم وابعد رتبة بالنسبة الى سائر المخلوقات على حسب تفاوت قدرتهم وقوتهم فانه تعالى مكن الملائكة على ما لم يمكن الانسان عليه

فالمراد بالبعدية ماكان بحسب الرتبة لا الزمان بان يكون مظاهرة الملائكة اعظم بالنسبة الى نصرة المؤمنين وجبريل داخل فى عموم الملائكة ولا يخفى ان نصرة جميع الملائكة وفيهم جبريل اقوى من نصرة جبريل وحده قال فى الارشاد هذا ماقالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة و يكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب من افضلية المقدم اى فى النصرة فكأنه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم و بعد منزلتها وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل قال بعضهم اول ذكر غير الله مع ان الاخبار بكونه تعالى مولاه كاف فى تهديدهما لتذكير كمال رفعة شأن النبى عليه السلام عند الله وعند الناس وعند الملائكة اجمعين يقول الفقير ايده الله القدير هذا ماقالوا والظاهر ان الله تعالى مع كفاية نصرته ذكر بعد نفسه من كان اقوى فى نصرته عليه السلام من المخلوقات لكون المقام مقام التظاهر لكون عائشة وحفصة متظاهرتين وزاد فى الظهير لكون المقام مقام التهديد ايضا وقدم جبريل على الصلحاء لكونه اول نصير له عليه السلام من المخلوقات وسفيرا بينه و بين الله تعالى وقدم الصلحاء على الملائكة لفضلهم عليهم فى باب النصرة لان نصرة الملائكة نصرة بالفعل الغالبى ونصرة الصلحاء نصرة به و بالهمة وهى اشد وما يفيده البعدية من افضلية تظاهرهم على تظاهر الصلحاء فمن حيث الظاهر اذهم اقدر على الافعال الشاقة من البشر فاقتضى مقام التهديد ذكر البعدية وفى قوله وصالح المؤمنين اشارة الى غريبة اطلعنى الله تعالى عليها وهى ان صالحا اسم النبى عليه السلام كما فى المفردات (فان قلت كيف هو ونصرة النبى لنفسه محال (قلت هذه نصرة من مقام ملكيته لمقام بشريته ومن مقام جمعه لمقام فرقه ومن مقام ولايته لمقام نبوته كالتسليم فى قوله عليه السلام عليك ايها النبى ان صح انه عليه السلام قاله فى تشهده ونظيره نصرة موسى عليه السلام لنفسه حين فر من القبط كما قال ففررت منكم وذلك لان فيه نصرة نفسه الناطقة لنفسه الحيوانية وفيه اشارة ايضا الى القلب والقوى الروحانية المنصورة على النفس بتأييد الله تعالى وتأييد ملك الالهام قال بعض الكبار ليس فى العالم اعظم قوة من المرأة بسر لا يعرفه الا من عرف فيم وجد العالم و باى حركة اوجده الحق تعالى وانه عن مقدمتين فانه نتيجة والناتج طالب والطالب مفتقر والمنتوج مطلوب والمطلوب له عزة الافتقار اليه والشهوة فى ذلك غالبة فقد بان لك محل المرأة من الموجودات وما الذى ينظر اليها من الحضرة الالهية و بماذا كانت لها القوة وقد نبه تعالى على ماخصها به من القوة بقوله وان تظاهرا الخ وماذكر الا مينا قويا من الملائكة الذين لهم الشدة والقوة فان صالح المؤمنين يفعل بالهمة وهو اقوى من الفعل فان فهمت فقدر ميتك على الطريق فانه تعالى نزل الملائكة بعد ذكره نفسه وجبريل وصالح المؤمنين منزلة المعينين ولا قوة الا بالله وقد اخبر الشيخ افضل الدين الاحدى قدس سره انه تفكر ذات ليلة فى قوله تعالى ومايعلم جنود ربك الا هو قال فقلت اين المنازع الذى يحتاج فى مقاتلته الى جنود السموات والارض وقد قال تعالى ولله جنود السموات والارض واذا كان هؤلاء جنوده فمن يقاتلون وما خارج عنهم شخص واحد فاذا بهاتف يقول لى لا تعجب فثمة ماهو اعجب فقلت وماهو فقال الذى قصه الله فى حق عائشة وحفصة قلت وماقص فتلا وان تظاهرا الخ فهذا اعجب من ذكر الجنود انتهى قال فتحرك خاطرى الى معرفة هذه العظمة التى جعل الله نفسه فى مقابلتها وجبريل وصالح المؤمنين فاخبرت بها فى واقعة فاسررت بشئ سرورى بمعرفة ذلك وعلمت من استندنا اليه ومن يقويهما وعلمت ان الله تعالى لولا ذكر نفسه فى النصرة مااستطاعت الملائكة والمؤمنون مقاومتهما وعلمت انهما حصل لهما من العلم بالله والتأثير فى العالم مااعطاهما هذه القوة وهذا من العلم الذى كهيئة المكنون فشكرت الله على ماولى انتهى وكان الشيخ على الخواص قدس سره يقول مااظن احدا من الخلق استند الى مااستند اليه هاتان المرأتان يقول لوط عليه السلام لوان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد فكان عنده والله الركن الشديد ولكن لم يعرفه وعرفتاه عائشة وحفصة فلم يعرف قدر النساء لاسيما عائشة وحفصة الاقليل فان النساء من حيث هن لهن القوة العظيمة حتى ان اقوى الملائكة المخلوقة من انفاس العامة الزكية من كان مخلوقا من انفاس النساء ولو لم يكن فى شرفهن الا استدعاؤهن اعظم ملوك الدنيا كهيئة السجود لهن عند الجماع لكان فى ذلك كفاية فان السجود اشرف حالات العبد فى الصلاة ولولا الخوف من اثارة امر فى نفوس السامعين يؤديهم الى امور يكون فيها حجابهم عما دعاهم الحق تعالى اليه

لاظهرت من ذلك عجبا ولكن اذ لك اهل والله عليم خبير (عسى ربه) سزاست وشايد پروردكار او يعنى النبى عليه السلام (ان طلقكن) اكر طلاق دهد شمارا كه زنان او يد وهو شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف اومتقدم اى ان طلقكن فعسى (ان يبدله) اى يعطيه عليه السلام بدلكن (ازواجا) مفعول ثان ليبدله وقوله (خيرامنكن) صفة للازواج وكذا ما بعده من قوله مسلمات الى ثيبات وفيه تغليب المخاطب على الغائبات فالتقدير ان طلقكما وغيركما اوتعميم الخطاب لكل الازواج بان يكن كلهن مخاطبات لما عاتبهما بانه قد صغت قلوبكما وذلك يوجب التوبة شرع فى تخويفهما بان ذكر لهما انه عليه السلام يحتمل ان يطلقكما ثم انه ان طلقكما لايعود ضرر ذلك الااليكما لانه يبدله ازواجا خيرامنكما وليس فى الآية مايدل على انه عليه السلام لم يطلق حفصة وان فى النساء خيرا منهن فان تعليق الطلاق للكل لاينافى تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لايجب وقوعه يعنى ان هذه الخيرية لما علقت بما لم يقع لم تكن واقعة فى نفسها وكان الله عالما بانه عليه السلام لايطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم فانه اخبار عن القدرة وتخويف لهم لاان فى الوجود من هو خير من اصحاب محمد عليه السلام قيل كل عسى فى القرآن واجب الا هذا وقيل هو ايضا واجب ولكن الله علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن فان المذهب انه ليس على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين الا انه عليه السلام اذا طلقهن لعصيانهن له واذا هن اياه كان غيرهن من الموصوفات بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله خيرا منهن وفى فتح الرحمن عسى تكون للوجوب فى الفاظ القرآن الا فى موضعين احدهما فى سورة محمد فهل عسيتم اى علمتم او تمنيتم والثانى هنا ليس بواجب لان الطلاق معلق بالشرط فلما لم يوجد الشرط لم يوجد الابدال (مسلمات مؤمنات) مقرات باللسان مخلصات بالجنان فليس من قبيل التكرار اومنقادات انقيادا ظاهريا بالجوارح مصدقات بالقلوب (قانتات) مطيعات اى مواظبات على الطاعة اومصليات (تائبات) من الذنوب (عابدات) متعبدات اومتذللات لامر الرسول عليه السلام (سائحات) صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح فى النهار بلازاد فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم فى امساكه الى ان يجئ وقت افطاره وقال بعضهم الصوم ضربان صوم حقيقى وهو ترك المطعم والمشرب والمنكح وصوم حكمى وهو حفظ الجوارح من المعاصى كالسمع والبصر واللسان والسائح هو الذى يصوم هذا الصوم دون الاول انتهى اومهاجرات من مكة الى المدينة اذ فى الهجرة مزيد شرف ليس فى غيرها كما قال ابن زيد ليس فى امة محمد سياحة الا الهجرة والسياحة فى اللغة الجولان فى الارض (ثيبات) شوهر ديدكان (وابكارا) ودختران بكر والثيب الرجل الداخل بامرأة والمرأة المدخول بها يستوى فيه المذكر والمؤنث فيجمع المذكر على ثيبين والمؤنث على ثيبات من ثاب اذا رجع سميت به المرأة لانها راجعة الى زوجها ان اقام بها والى غيره ان فارقها والى حالتها الاولى وهى انه لازوج لها فهى لاتخلو عن الثوب اى الرجوع وقس عليها الرجل وسميت العذرآء بالبكر لانها على اول حالتها التى طلعت عليها قال الراغب سميت التى لم تفتض بكرا اعتبارا بالثيب لتقدمها عليها فيما يراد له النساء ففى البكر معنى الاولية والتقدم ولذا يقال البكرة لاول النهار والباكورة للفاكهة التى تدرك اولا وسط بينهما العاطف دون غيرهما لتنافيهما وعدم اجتماعهما فى ذات واحدة بخلاف سائر الصفات فكأنه قيل ازواجا خيرا منكن متصفات بهذه الصفات المذكورة المحمودة كائنات بعضها ثيبات تعريضا لغير عائشة وبعضها ابكارا تعريضا لها فانه عليه السلام تزوجها وحدها بكرا وهو الوجه فى ايراد الواو الواصلة دون اوالفاصلة لانها توهم ان الكل ثيبات اوكلها ابكار قال السهيلى رحمه الله ذكر بعض اهل العلم ان فى هذا اشارة الى مريم البتول وهى البكر والى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وان الله سيزوجه عليه السلام اياهما فى الجنة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ابو الليث رحمه الله تكون وليمة فى الجنة ويجتمع عليها اهل الجنة فيزوج الله هاتين المرأتين يعنى آسية ومريم من محمد عليه السلام وبدأ بالثيب قبل البكر لان زمن آسية قبل زمن مريم ولان ازواج النبى عليه السلام كلهن ثيب الا واحدة وافضلهن خديجة وهى ثيب فتكون هذه القبلية من قبلية الفضل والزمان ايضا لانه تزوج الثيب منهن قبل البكر وفى كشف الاسرار (روى) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه

ان النبي عليه السلام دخل على خديجة وهي تجود بنفسها يعني وى وفات ميكند فقال اذكرهين مانزل بك ياخديجة وقدجعل الله في الكره خيرا كثيرا فاذاقدمت على ضرائك فاقرئيهن مني السلام فقالت يارسول الله ومن هن قال مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وحليمة اخت موسى فقالت بالرفاء والبنين اى اعرست ملتبسا بالرفاء وهو الالتئام والاتفاق والمقصود حسن المعاشرة وكان هذا دعاء الاوائل المعرس واحترز بالبنين عن البنات ثم نهى النبي عليه السلام عن هذا القول وامر بأن يقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير ثم ان المراد من الابدال ان يكون في الدنيا كما افاده قوله تعالى ان طلقكن لان نساء الجنة يكن ابكارا سوآء كن في الدنيا ثيبات اوابكارا وفي الحديث (ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حورآء واربعة آلاف ثيب وثمانية آلاف بكر يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا فان قلت فاذا يكون اكثر اهل الجنة النساء وهو مخالف لقوله عليه السلام يامعشر النساء تصدقن فاني اريتكن اكثر اهل النار قلت لعل المراد بالرجل بعض الرجال لان طبقات الابرار والمقربين متفاوتة كما دل عليه قوله عليه السلام ادنى اهل الجنة الذى له اثنتان وسبعون زوجة وثمانون الف خادم ولا يبعد في كثرة الخادم لما قال بعضهم ان اطفال الكفار خدام اهل الجنة على ان الخدام لا ينحصرون فيهم بل لاهل الجنة خدام اخر فان قلت كان عليه السلام يحب الاخف الا يسر في كل شئ فلماذا كثر من النساء ولم يكتف منهن بواحدة اوثنتين قلت ذلك من اسرار النبوة ولذا لم يشبع من الصلاة ومن النساء (روى) انه عليه السلام اعطى قوة اربعين رجلا في البطش والجماع وكل حلال يكدر النفس الا الجماع الحلال فانه يصفيها ويجلى العقل والقلب والصدر ويورث السكون باندفاع الشهوة المحركة على ان شهوة الخواص ليست كشهوة العوام فان نار الشهوة للخواص بعد نور المحبة وللعوام قبله ثم ان في الآيات المتقدمة فوآئد منها ان تحريم الحلال غير مرضي كما ان ابتغاء رضى الزوج بغير وجهه ليس بحسن ومنها ان افشاء السر ليس من المروءة خصوصا افشاء اسرار السلاطين الصورية والمعنوية لايبقى و * كل سر جاوز الاثنين شاع * اى المسر والمسر اليه اوالشفتين ومنها ان من الواجب على اهل الزلة التوبة والرجوع قبل الرسوخ واشتداد القساوة ومنها ان البكارة وجمال الصورة وطلاقة اللسان ونحوها كانت نفاسة جسمانية مرغوبة عند الناس لكن الايمان والاسلام والقنوت والتوبة ونحوها نفاسة روحانية مقبولة عند الله وشرف الحسب افضل من شرف النسب والعلم الديني والادب الشرعي هما الحسب المحبوب من الفضائل فعلى العاقل ان يتحلى بالورع وهو الاجتناب عن الشبهات والتقوى وهو الاجتناب عن المحرمات ويتزين بزين انواع المكارم والاخلاق الحسنة والاوصاف الشريفة المستحسنة (يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم) امر من الوقاية بمعنى الحفظ والحماية والصيانة اصله اوقيوا كاضربوا والمراد بالنفس هنا ذات الانسان لا النفس الامارة والمعنى احفظوا وبعدوا انفسكم وبالفارسية نكاه داريد نفسهاى خودرا ودور كنيد يعني بترك المعاصي وفعل الطاعات (واهليكم) بالنصح والتأديب والتعليم اصله اهلين جمع اهل حذفت النون بالاضافة وقد يجمع على اهالى على غير قياس وهو كل من في عيال الرجل ونفقته من المرأة والولد والاخ والاخت والعم وابنه والخادم ويفسر بالاصحاب ايضا ودلت الآية على وجوب الامر بالمعروف للاقرب فالاقرب وفي الحديث (رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم في الجنة وفي الحديث (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وهو من الرعاية بمعنى الحفظ يعني كلكم ملتزم بحفظ مايطالب به من العدل ان كان وليا ومن عدم الخيانة ان كان موليا عليه وكلكم مسئول عما التزم حفظه يوم القيامة فالامام على الناس راع والرجل راع على اهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وعبد الرجل راع على مال سيده والكل مسئول وقيل اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله وخص الاهلين بالنصيحة مع ان حكم الاجانب كحكمهم في ذلك لان الاقارب اولى بالنصيحة لقربهم كما قال تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين

ولان شرائط الامر والنهى قد لا توجد فى حق الاجانب بخلاف الاقارب لاسيما الاهل فان الرجل سلطان اهله
وقال بعض اهل الاشارة فى الآية طهروا انفسكم عن دنس محبة الدنيا حتى تكون اهاليكم صالحين بتا بعتكم
فاذا رغبتم فى الدنيا فهم يشتغلون بها فان زلة الامام زلة المأمومين وقال القاشانى رحمه الله الاهل بالحقيقة
هو الذى بينه و بين الرجل تعلق روحانى واتصال عشقى سواء اتصل به اتصالا جسمانيا ام لا وكل ما تعلق به تعلقا
عشقيا فبالضرورة يكون معه فى الدنيا والآخرة فوجب عليه وقايته وحفظه من النار كوقاية نفسه فان زكى
نفسه عن الهيئات الظلمانية وفيه ميل ومحبة لبعض النفوس المنغمسة فيها لم يزكها بالحقيقة لانه بتلك المحبة
ينجذب اليها فيكون معها فى الهاوية محجوبا بها سواء كانت قواه الطبيعية الداخلة فى تركيبه ام نفوسا
انسانية منتكسة فى عالم الطبيعة خارجة عن ذاته ولهذا يجب على الصادق محبة الاصفياء والاولياء ليحشر
معهم فان المرء يحشر مع من احب (نارا) نوعا من النار (وقودها) ما يوقد به تلك النار يعنى حطبها و بالفارسية
آتش انكيزوى فالوقود بالفتح اسم لما توقد به النار من الحطب وغيره والوقود بالضم مصدر بمعنى الاتقاد وقرئ به
بتقدير اسباب وقودها او بالحمل على المبالغة (الناس) كفار الانس والجن وانما لم يذكر الجن ايضا لان المقصود
فى الآية تحذير الانس ولان كفار الجن تابعة لكفار الانس لان التكذيب انما صدر اولا من الانس (والحجارة)
اى تتقد بها ايضا اتقاد غيرها بالحطب ففيه بيان لغاية احراقها وشدة قوتها فان اتقاد النار بالحجارة مكان
الحطب من الشجر يكون من زيادة حرها ولذلك قال عليه السلام ناركم جزء من سبعين جزأ من نار جهنم وعن
ابن عباس رضى الله عنهما هى حجارة الكبريت وهى اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها ولها سرعة الاتقاد ونتن
الرائحة وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالابدان فيكون العذاب بها اشد وقيل وقودها الناس اذا صاروا اليها
والحجارة قبل ان يصيروا اليها (قال الكاشفى) تا بتان سنكين كه كفار مى پرستند دليله قوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم وقرن الناس بالحجارة لانهم نحتوها واتخذوها اربابا من دون الله يا كنجها ازروسيم
كه منشأ آن سنكست * زروسپيد سنك زردوسفيد * اندرين سنكها مينداميد * دلى از سنك
سختتر بايد * كه زسنكيش راحت افزايد * دل از بن سنك اكرتو برنكنى * سرز حسرت بسى بسنك زنى *
وقيل اراد بالحجارة الذين هم فى صلابتهم عن قبول الحق كالحجارة كمن وصفهم بقوله فهى كالحجارة او اشد قسوة
كما قال فى التأويلات النجمية يا ايها الذين آمنوا بالايمان العلمى قوا انفسكم واهليكم من القوى الروحانية
نار حجاب البعد والطرد التى يوقدها حطب وجود الناسين ميثاق الست بربكم قالوا بلى وحجارة قلوبهم
القاسية وهم الصفات البشرية الطبيعية الحيوانية البهيمية السبعية الشيطانية انتهى وامر الله المؤمنين
باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة حيث قال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار
التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين للمبالغة فى التحذير ولان الفساق وان كانت دركاتهم
فوق دركات الكفار فانهم تبع للكفار فى دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق
مجاورة الذين اعدت لهم هذه النار اصالة ولا يبعد ان يأمرهم بالتوقى عن الارتداد كما فى التفسير الكبير
(عليها) اى على تلك النار العظيمة (ملائكة) تلى امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية التسعة عشر
واعوانهم فليس المراد بعلى الاستعلاء الحسى بل الولاية والقيام والاستيلاء والغلبة على ما فيها من الامور
قال القاشانى هى القوى السماوية والملكوتية الفعالة فى الامور الارضية التى هى روحانيات الكواكب
السبعة والبروج الاثنى عشر المشار اليها بالزبانية التسعة عشر وغيرها من المالك الذى هو الطبيعة
الجسمانية الموكلة بالعالم السفلى وجميع القوى والملكوت المؤثرة فى الاجسام التى لو تجردت هذه النفوس
الانسانية عنها ترقت من مراتبها واتصلت بعالم الجبروت وصارت مؤثرة فى هذه القوى الملكوتية ولكنها
لما انغمست فى الامور البدنية وقرنت انفسها بالاجرام الهيولانية المعبر عنها بالحجارة صارت متأثرة منها
محبوسة فى اسرها معذبة بايديها (غلاظ) غلاظ القلوب بالفارسية سطبر جكران جمع غليظ بمعنى خشن
خال قلبه عن الشفقة والرحمة (شداد) شداد القوى جمع شديد بمعنى القوى لانهم اقوياء لا يعجزون عن الانتقام
من اعداء الله على ما امروا به وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال اقوياء على الافعال الشديدة يعملون بارجلهم
كما يعملون بايديهم اذا استرحموا لم يرحموا لانهم خلقوا من الغضب وجبلوا على القهر لا لذة لهم الا فيه فمقتضى

جلتهم تعذيب الخلق بلا رحمة كما ان مقتضى الحيوان الاكل والشرب مابين منكبي احدهم مسيرة سنة اوكما بين المشرق والمغرب يضرب احدهم بمقمعته ضربة واحدة سبعين الفا فيهوون فى النار (لا يعصون الله ماامرهم) اى امره فى عقوبة الكفار وغيرها على انه بدل اشتمال من الله ومامصدرية اوفيما امرهم به على نزع الخافض ومماموصولة اى لايمتنعون من قبول الامر و يلتزمونه و يعزمون على اتيانه فليست هذه الجملة مع التى بعدها فى معنى واحد (وقال الكاشفى) برشوت فريفته نشوند تا مخالفت امر بايد كرد كاعوان ملوك الدنيا يعتمدون بالرشوة (ويفعلون مايؤمرون) اى و يؤدون مايؤمرون به من غير تثاقل وتوان وتأخير وزيادة ونقصان وقال القاضى لايعصون الله ماامرهم فيما مضى ويستمرون على فعل مايؤمرون به فى المستقبل قال بعضهم لعل التعبير فى الامر اولا بالماضى مع نفى العصيان بالمستقبل لما ان العصيان وعدمه يكونان بعد الامر وثانيا بالمستقبل لماامرهم بعذاب الاشقياء يكون مرة بعد مرة قال بعض الكبار فى هذه الآية دليل على عصمة جميع الملائكة السماوية وذلك لانهم عقول مجردة بلامنازع ولاشهوة فيهم مطيعون بالذات بخلاف البشر والملائكة الارضية الذين لايصعدون الى السماء فان من الملائكة من لايصعد من الارض الى السماء ابدا كما ان منهم من لاينزل من السماء الى الارض ابدا وفيها دليل ايضا على انه لانهى عند هؤلاء الملائكة فلاعبادة للنهى عندهم ففاتهم اجر ترك المنهيات بخلاف الثقلين وملائكة الارض فانهم جمعوا بين اجر عبادة الامر واجر اجتناب النهى قال الكرمانى فى شرح البخارى ان قلت التروك ايضا عمل لان الاصح ان الترك كف النفس فيحتاج الى النية قلت نعم اذا كان المقصود امتثال امر الشارع وتحصيل الثواب اما فى اسقاط العقاب فلافالتارك للزنى يحتاج فيه لتحصيل الثواب الى النية وماشتهر ان التروك لاتحتاج اليها يريدون به فى الاسقاط يعنى لواريد بالتروك تحصيل الثواب وامتثال امر الشارع لابدفيها من قصد الترك امتثالا لامر الشارع فتارك الزنى ان قصد تركه امتثال الامر يثاب (يا ايها الذين كفروا) اى يقال لهم عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما امروا به يعنى چون زبانيه كافران رابكناره دوزخ آرند ايشان آغاز اعتذار كرده داعيهٔ خلاصى نمايند بس حق تعالى باملائكه كويد ياايها الذين كفروا (لاتعتذروا اليوم) اى فى هذا اليوم يعنى عذر مكوييد امروز كه عذر مقبول نيست وفائده نخواهد داد قال القاشانى اذ ليس بعد خراب البدن ورسوخ الهيئات المظلمة الا الجزاء على الاعمال لامتناع الاستكمال ثمة والاعتذار بالفارسية عذر خواستن يقال اعتذرت الى فلان من جرمى و يعدى بمن والمعتذر قديكون محقا وغير محق قال الراغب العذر تحرى الانسان مايمحو به ذنوبه وذلك ثلاثة اضرب ان يقول لم افعل او يقول فعلت لاجل كذا فيذكر مايخرجه عن كونه مذنبا او يقول فعلت ولا اعود ونحو ذلك وهذا الثالث هو التوبة فكل توبة عذر وليس كل عذر توبة واعتذرت اليه اتيت بعذر وعذرته قبلت عذره (انما تجزون ماكنتم تعملون) فى الدنيا من الكفر والمعاصى بعد مانهيتم عنها اشد النهى وامرتم بالايمان والطاعة فلاعذر لكم قطعا اى حقيقة والنهى عن الاتيان بما هو عذر صورة وفى حسبانهم وفى بعض التفاسير لاتعتذروا اليوم لما انه ليس لكم عذر يعتد به حتى يقبل فينفعكم وهذا النهى لهم ان كان قبل مجئ الاعتذار منهم فيوافق ظاهر قوله تعالى ولايؤذن لهم فيعتذرون وان كان بعده فيؤول هذا القول ويقال لايؤذن لهم ان يتموا اعتذارهم ولا يسمع اليه وفى التأويلات النجمية قل للذين ستروا الحق بالباطل وحجبوا عن شهود الحق فى الدنيا لاتطلبوا مشاهدة الحق فى الآخرة انما تكافأون بعدم رؤية الحق اليوم لعدم رؤيتكم له فى يوم الدنيا كما قال ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا انتهى * قال بعض العارفين لايتحسر يوم القيامة على فوات الاعمال الصالحة الا العامة اما العارفون فلايرون لهم عملا يتحسرون على فواته بل ولايصح الفوات ابدا انما هى قسمة عادلة يجب على كل عبد الرضى بها وقول الانسان انا مقصر فى جنب الله هو من باب هضم النفس لا حقيقة اذ لايقدر احد ان ينقص مما قسم له ذرة ولايزيد عليه ذرة فلايصح الندم الا فى اعمال توهم العبد انها له ثم فوتها وذلك لايقوله عارف (مصراع) دردايرهٔ قسمت من نقطهٔ تسليم (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) التوبة ابلغ وجوه الاعتذار

بان يقول فعلت وأسأت وقد اقلعت وفى الشرع ترك الذنب لقبحه والندم على مافرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ماامكنه ان يتدارك من الاعمال بالاعادة فتى اجتمع هذه الاربعة فقد كملت شرائط التوبة كما فى المفردات والنصح تحرى فعل اوقول فيه صلاح صاحبه والنصوح فعول من ابنية المبالغة كقولهم رجل صبور وشكور اى بالغة فى النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا انفسهم بالتوبة فيأتوا بها على طريقتها وذلك ان يتوبوا من القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لايعودون فى قبيح من القبائح الى ان يعود اللبن فى الضرع وكذا لوحزوا بالسيف واحرقوا بالنار موطنين انفسهم على ذلك بحيث لايلويهم عنه صارف اصلا وعن على رضى الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم انى استغفرك واتوب اليك فقال ياهذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وماالتوبة قال ان التوبة يجمعها ستة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة اى القضاء صلاة اوصوما اوزكاة اونحوها ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لاتعود وان تذيب نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصى قال سعدى المفتى والمذهب السنى انه يكفى فى تحقق التوبة الندم والعزم على ان لايعود بخلاف اهل الاعتزال حيث يلزم فى تحققها عندهم رد المظالم وهو عندنا غير واجب فى التوبة قال بعض الكبار مالم تكن التوبة عامة من جميع المخالفات فهى ترك لاتوبة وقيل نصوحا من نصاحة الثوب بالفتح وهى بالفارسية جامه دوختن اى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خلالك وفى الحديث (المؤمن واه راقع فطوبى لمن مات على رقعه) ومعناه ان يخرق دينه ثم يرقعه بالتوبة ونحوه استقيموا ولن تحصوا اى لن تستطيعوا ان تستقيموا فى كل شئ حتى لاتميلوا ومنه يا حنظلة ساعة فساعة ومن بلاغات الزمخشرى مامنع قول الناصح ان يروقك وهو الذى ينصح خروقك شبه فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع شبه التوبة فى خلوصها بذلك وكذا تخلص قول الناصح من الغش بتخلص العسل من الخلط ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل بمقتضياتها وقال ذوالنون المصرى قدس سره التوبة ادمان البكاء على ماسلف من الذنوب والخوف من الوقوع فيها وهجران اخوان السوء وملازمة اهل الجنة وقال التسترى رحمه الله هى توبة السنى لاالمبتدع لانه لاتوبة له بدليل قوله عليه السلام حجر الله على كل صاحب بدعة ان يتوب وقال الواسطى قدس سره هى ان يتوب لالغرض وقال الشيخ ابو عبدالله بن حفيف قدس سره طالب عباده بالتوبة وهو الرجوع اليه من حيث ذهبوا عنه والنصوح فى التوبة الصدق فيها وترك مامنه تاب سرا وعلنا وقولا وفكرا وقال القاشانى رحمه الله مراتب التوبة كمراتب التقوى فكما ان اول مراتب التقوى هو الاجتناب عن المنهيات الشرعية وآخرها الاتقاء عن الانانية والبقية فكذلك التوبة اولها الرجوع عن المعاصى وآخرها الرجوع عن ذنب الوجود الذى هو من امهات الكبائر عند اهل التحقيق * توبه چون باشد پشيمان آمدن * بردر حق نو مسلمان آمدن * خدمتى ازسر كرفتن با نياز * باحقيقت روى كردن ازمجاز * وفى التأويلات النجمية يشير الى المؤمنين الذين لم تترسخ اقدامهم فى ارض الايمان ترسخ اقدام الكمل ويحثهم على التوبة الى الله بالرجوع عن الدنيا ومحبتها والاقبال على الله وطاعته توبة بحيث ترفو جميع خروق وقعت فى ثوب دينه بسبب استيفاء اللذات الجسمانية واستقصاء الشهوات الحيوانية ويقال توبة العوام عن الزلات والخواص عن الغفلات والاخص عن رؤية الحسنات وفى الحديث (ايها الناس توبوا الى الله فانى اتوب اليه فى اليوم مائة مرة) ودخل فى الناس الذكور والاناث وهى اى التوبة واجبة على الفور لما فى التأخير من الاصرار على المحرم وهو يجعل الصغيرة كبيرة وعلامة قبول التوبة ان لايذكره الله ذنبه لان التوبة لا تبقى للذنب وجودا فتى ذكر التائب ذنبه فتوبته معلولة وقد تكون التوبة مقبولة عندالله ومع ذلك فلا تدفع عن العاصى العذاب كما لو تاب السارق عند الحاكم لاترفع توبته عنه حد القطع وفى حديث ماعز كفاية فانه عليه السلام قال فى حقه انه تاب توبة لوقسمت على اهل مدينة لوسعتهم ومع ذلك فلم تدفع توبته عنه الحد بل امر عليه السلام برجمه فرجم فاعرف (وفى المثنوى) بود مردى پيش ازين نامش نصوح * بد زدلاكى زن

اورا نصوح * بود روی اوچو رخسار زنان * مردیٔ خودرا همی کرد اونهان * او بحمام زنان دلاك بود * در دغا وحيله بس چالاك بود * سالها می كرد دلاکی وکس * بونبرد ازحال وسر آن هوس * زانکه آوازو رخش زنوار بود * لیك شهوت کامل وبیدار بود * دختران خسروان از بن طریق * خوش همی مالید ومی شست آن عشیق * توبهامی کرد وپادر می کشید * نفس کافر توبه اش رامی درید * رفت پیش عارفی آن زشت کار * کفت مارا در دعائی یاد دار * سرا ودانست آن آزاد مرد * لیك چون حلم خدا پیدا نکرد * سست خندید وبکفت ای بدنهاد * زانکه دانی ایزدت توبه دهاد * آن دعا ازهفت کردون در کذشت * کار آن مسکین بآخر خوب کشت * یك سبب انکیخت صنع ذی الجلال * که رهانیدش ز نفرین ووبال * اندران حمام پرمی کرد طشت * کوهری ازدختر شه یاوه کشت * کوهری ازحلقهاء کوش او * یاوه کشت وهرزنی درجست وجو * پس درحمام رابستند سخت * تابجویند اولش در پیچ رخت * رختها جستند وآن پیدا نشد * دزد کوهر نیز هم رسوا نشد * پس بجد جستن کرفتند از کزاف * در دهان وکوش واندر هر شکاف * بانك آمد که همه عریان شوید * هر که هستید از عجوز وکر نوید * یك بیك راحاجبه جستن کرفت * تاپدید آید کهر دانه شکفت * آن نصوح ازترس شد درخلوتی * روی زردولب کبود ازخشیتی * کفت یارب بارها برکشته ام * توبها وعهدها بشکسته ام * کرده ام انها که ازمن می سزید * تاچنین سیل سیاهی دررسید * نوبت جستن اکر درمن رسد * وه که جان من چه سختیها کشد * این چنین اندوه کافر رامباد * دامن رحمت کرفتم داد داد * کرمرا این بار ستاری کنی * توبه کردم من زهرنا کردنی * من اکر این بار تقصیری کنم * پس دکر مشنو دعا وکفتنم * درمیان یارب ویارب بد و * بانك آمد ازمیان جست وجو * جمله راجستیم پیش آ ای نصوح * کشت بیهوش آن زمان پرید روح * بعد آن خوف وهلاك جان بده * مژدها آمد که اینك کم شده * ازغریو ونعره ودستك زدن * پرشده حمام قد زال الحزن * آن نصوح رفته بازآمد بخویش * دید چشمش تابش صدروز پیش * می حلال خواست ازوی هر کسی * بوسه می دادند بردستش بسی * بدکمان بودیم مارا کن حلال * لحم توخوردیم اندر قیل وقال * زانکه ظن جمله بروی بیش بود * زانکه درقربت زجمله پیش بود * کوهر از بردست اوردست وبس * زوملازم تر بخاتون نیست کس * اول اورا خواست جستن دربرد * بهر حرمت داشتش تأخیر کرد * تابود کانرا بیندازد بجا * اندرین مهلت رهاند خویش را * پس حلالیها ازو می خواستند * وزبرای عذر برمی خواستند * کفت بدفضل خدای دادکر * ورنه زانچم کفته شد هستم بتر * آنچه کفتندم زبد از صد یکیست * برمن این کشفست ازکس راشکیست * آفرینها برتو بادا ای خدا * ناکهان کردی مرا ازغم جدا * کرسرهرموی من کردد زبان * شکرهای تونیاید دربیان * بعدازان آمد کسی کزمرحمت * دختر سلطان ماای خواندت * دختر شاهست همی خواند بیا * تاسرش شویی کنون ای پارسا * کفت رورو دست من بی کار شد * وین نصوح تو کنون بیمارشد * روکسی دیکر بجو اشتاب وتفت * کهمرا والله دست ازکار رفت * بادل خود کفت کزحد رفت جرم * ازدل من کی رود آن ترس وکرم * من بمردم یکره وبازآمدم * من چشیدم تلخئ مرك وعدم * توبهٔ کردم حقیقت باخدا * نشکنم تاجان شدن ازتن جدا * بعد آن محنت کرا بارد کر * پارود سوی خطر الاکه خر (عسى ربكم) شايد پروردكار شما وفى كشف الاسرار الله برخود واجب كرد تائب را ازشما (ان يكفر عنكم سيئاتكم) يسترها بل يمحوها ويبدلها حسنات (ويدخلكم جنات) جمع جنات اما الكثرة المخاطبين لان لكل منهم جنة اولتعددها لكل منهم من الانواع (تجرى من تحتها الانهار) قال فى الارشاد ورود صيغة الاطماع والترجية للجرى على سنن الكبرياء فان الملوك يجيبون بلعل وعسى ويقع ذلك موقع القطع والاشعار بأنه تفضل والتوبة غير موجبة له وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ فى اقامة وظائف العبادة يقول الفقير التكفير اشارة الى الخلاص من الجحيم لان السيئات هى سبب العذاب

فاذازال السبب زال المسبب وادخال الجنات اشارة الى التقريب لان الجنان موضع القرب والكرامة وجريان الانهار اشارة الى الحياة الابدية لان الماء اصل الحياة وعنصرها فلابد للانسان فى مقابلة هذه الانهار من ماء العلم ولبن الفطرة وعسل الالهام وخمر الحال فكما ان الحياة المعنوية فى الدنيا انما تحصل بهذه الاسباب فكذا الحياة الصورية فى الآخرة انما تحصل بصورها (يوم لايخزى الله النبى) ظرف ليدخلكم والاخزاء دوركردن ورسواكردن وخواركردن وهلاك كردن * ومعانى هذه الكلمة يقرب بعضها من بعض كما فى تاج المصادر والنبى المعهود * يعنى روزى كه خجل نكند خداى تعالى پيغمبر را يعنى نه نفس او را عذاب كند ونه شفاعت او را در بارهٔ عاصيان مردود سازد * قال بعض اهل التفسير يخزى امامن الخزى وهو الفضاحة فيكون تعريضا للكفرة الذين قال الله تعالى فيهم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين اومن الخزاية بمعنى الحياء والخجل وهو الانسب هنا بالنظر الى شأن الرسول خصوصا اذا تم الكلام فى النبى وان اريد المعنى الاول حينئذ يجوز ان يكون باعتبار ان خزى الامة لا يخلو عن انشاء خزى مافى الرسول على مايشعر به قوله فى دعائه اللهم لاتخزنا يوم القيامة ولاتفضحنا يوم اللقاء بعض الاشعار حيث لم يقل لاتخزنى كما قال ابراهيم عليه السلام ولاتخزنى يوم يبعثون ليكون دعاؤه عاما لامته من قوة رحمته وادخل فيهم نفسه العالية من كمال مروءته قيل الخزى كناية عن العذاب للملازمة بينهما والاولى العموم لكل خزى يكون سببا من الاسباب من الحساب والكتاب والعقاب وغيرها (والذين آمنوا معه) عطف على النبى ومعه صلة لايخزى اى لايخزى الله معه الذين آمنوا اى يعمهم جميعا بان لايخزيهم اوحال من الموصول بمعنى كائنين معه اومتعلق بآمنوا وهو الموافق لقوله تعالى واسلمت مع سليمان اى ولايخزى المؤمنين الذين اتبعوه فى الايمان كما قال آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون وذلك بسوء الحساب والتعيير والعتاب وذل الحجاب ورد الجواب فيحاسبهم حسابا يسيرا بل ويرفع الحساب عن بعضهم ويلاطفهم ويكشف لهم جماله ويعطى مأمولهم من الشفاعة لاقاربهم واخوانهم ونحوهم وقال داود القيصرى رحمه الله فى قوله تعالى واسلمت مع سليمان اى اسلام سليمان اى اسلمت كما اسلم سليمان ومع فى هذا الموضع كمع فى قوله يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه وقوله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه ولاشك ان زمان ايمان المؤمنين ماكان مقارنا لزمان ايمان الرسول وكذا اسلام بلقيس ما كان عند اسلام سليمان فالمراد كما انه آمن بالله آمنوا بالله وكما انه اسلم اسلمت لله انتهى كلام القيصرى وتم الكلام عند قوله معه وفيه تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق كما سبق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم وقيل قوله والذين الخ مبتدأ خبره مابعده من قوله نورهم الخ اوخبره معه والمراد بالايمان هو الكامل حينئذ حتى لايلزم ان لايدخل عصاة المؤمنين النار (نورهم) اى نور ايمانهم وطاعتهم على الصراط قال فى عين المعانى نور الاخلاص على الصراط لاهل المعاملة بمنزلة الشمع ونور الصدق لارباب الاحوال بمنزلة القمر ونور الوفاء لاهل المحبة بمنزلة شعاع الشمس (يسعى) السعى المشى القوى السريع ففيه اشارة الى كمال اللمعان (بين ايديهم) اى يضئ بين ايديهم يعنى قدامهم جمع يد يراد بها قدام الشئ لكونه بين اليدين غالبا فالجمع اما باطلاقه على التثنية او بكثرة ايدى العباد (وبايمانهم) جمع يمين مقابل الشمال اى وعن ايمانهم وشمائلهم على وجه الاضمار يعنى جهة ايمانهم وشمائلهم اوعن جميع جهاتهم وانما اكتفى بذكرهما لانهما اشرف الجهات ومن ادعيته عليه السلام اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا وامامى نورا وخلفى نورا وفوقى نورا وتحتى نورا واجعلنى نورا وقال بعضهم تخصيص الايدى والايمان لان ارباب السعادة يؤتون صحائف اعمالهم منهما كما ان اصحاب الشقاوة يؤتون من شمائلهم ووراء ظهورهم فيكون ذلك علامة لذلك وقائدا على الصراط الى دخول الجنة وزينة لهم فيها وقال القاشانى نورهم يسعى بين ايديهم اى الذى لهم بحسب النظر والكمال العلمى وبايمانهم اى الذى لهم بحسب العمل وكماله اذ النور العلمى من منبع الوحدة والعملى من جانب القلب الذى هو يمين النفس اونور السابقين منهم يسعى بين ايديهم ونور الابرار منهم يسعى بايمانهم وقد سبق تمامه فى سورة الحديد وفى الحديث من المؤمنين من نوره ابعد مابيننا وبين عدن ابين ومنهم من نوره لايجاوز قدمه (يقولون) اى يقول المؤمنون وهو الظاهر او الرسول لامته والمؤمنون لانفسهم اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا اى يشفقون على العادة البشرية على نورهم ويتفكرون فيما مضى منهم من الذنوب فيقولون (ربنا)

اى پروردكارما (اتمم لنا نورنا) نكاه دار وباقى دار نورما تا بسلامت بكذريم فيكون المراد بالاتمام هو الادامة الى ان يصلوا الى دار السلام (واغفر لنا) يعنى ازظلمت كناه پاك كن (انك على كل شئ قدير) من الاتمام والمغفرة وغيرهما وقيل يدعون تقربا الى الله تعالى مع تمام نورهم كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له قال فى الكشاف كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب قلت لما كانت حالهم كحال المتقربين يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا وقيل يتفاوت نورهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا فيكون قوله يقولون من باب بنو فلان قتلوا زيدا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وقال سهل قدس سره لا يسقط الافتقار الى الله عن المؤمنين فى الدنيا والآخرة وهم فى العقبى اشد افتقارا اليه وان كانوا فى دار العز والغنى ولشوقهم الى لقائه يقولون اتمم لنا نورنا واعلم ان ما لهم فى هذه الدار لانهم هناك الاما كان متعلق النظر والهمة هنا فاعرف ثم ان الانوار كثيرة نور الذات ونور الصفات ونور الافعال ونور العبادات مثل الصلاة والوضوء وغيرهما كما قال عليه السلام فى حديث طويل والصلاة نور والسر فيه ان المصلى يناجى ربه ويتوجه اليه وقد قال عليه السلام ان العبد اذا قام يصلى فان الله ينصب له وجهه تلقاء والله نور وحقيقة العبد ظلمانية فالذات المظلمة اذا واجهت الذات النيرة وقابلتها بحذاء صحيحة فانها تكتسب من انوار الذات النيرة الا ترى ان القمر الذى هو فى ذاته جسم اسود مظلم كثيف صقيل كيف يكتسب النور من الشمس بالمقابلة وكيف يتفاوت اكتسابه النور بحسب التفاوت الحاصل فى المحاذاة والمقابلة فاذا تمت المقابلة وصحت المحاذاة كمل اكتساب النور وفى الحديث بشر المشائين فى الظلم الى المساجد بالنور التام فى يوم القيامة وفيه اشارة الى ان كل ظلمة ليست بعذر لترك الجماعة بل الظلمة الشديدة فان الاعذار التى تبيح التخلف عن الجماعة المرض الذى يبيح التيمم ومثله كونه مقطوع اليد والرجل من خلاف او مفلوجا ولا يستطيع المشى او اعمى او المطر والطين والبرد الشديد والظلمة الشديدة فى الصحيح وكذا الخوف من السلطان او غيره من المتغلبين وفى الحديث وددت انا قد رأينا اخواننا قالوا يا رسول الله ألسنا اخوانك قال انتم اصحابى واخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من امتك يا رسول الله فقال أرأيتم لو ان رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله قالوا بلى يا رسول الله قال فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وانا فرطهم على الحوض استعار عليه السلام لاثر الوضوء من البياض فى وجه المتوضى ويديه ورجليه بنور الوضوء يوم القيامة من البياض الذى فى وجه الفرس ويديه ورجليه فان الغر جمع الاغر والغرة بالضم بياض فى جبهة الفرس فوق الدرهم والتحجيل بتقديم الحاء المهملة بياض قوائم الفرس كلها ويكون فى رجلين ويد وفى رجلين فقط وفى رجل فقط ولا يكون فى اليدين خاصة الا مع الرجلين ولا فى يد واحدة دون الاخرى الا مع الرجلين والدهم جمع الادهم بمعنى الاسود فان الدهمة بالضم السواد والبهم جمع الابهم وفرس بهيم اذا كان على لون واحد لم يشبه غيره من الالوان ومنه استعير ما روى انه يحشر الناس يوم القيامة بهما بالضم اى ليس بهم شئ مما كان فى الدنيا نحو البرص والعرج والفرط بفتحتين المتقدم لاصلاح الحوض والدلو (يا ايها النبى) اى رسول خبر دهنده بلند قدر (جاهد الكفار) بالسيف يعنى جهاد كن با كافران بشمشير (والمنافقين) بالحجة او بالوعيد والتهديد او باقامة الحدود عليهم يوجه قهر او بافشاء سرهم وقال القاشانى جاهد الكفار والمنافقين لمضادة الحقيقية بينك وبينهم قبل النفاق مسترق القلب ولم يكن للنبى عليه السلام سبيل الى ما فى القلوب من النفاق والاخلاص الا بعد اعلام من قبل الله فامر عليه السلام بمجاهدة من علمه منافقا باعلام الله اياه باللسان دون السيف لحرمة تلفظه بالشهادتين وان يجرى عليه احكام المسلمين ما دام ذلك الى ان يموت (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وفيه اشارة الى ان الغلظة على اعداء الله من حسن الخلق فان ارحم الرحماء اذا كان مأمورا بالغلظة عليهم فما ظنك بغيره فهى لا تنافى الرحمة على الاحباب كما قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم (ومأواهم جهنم) يرون فيها عذابا غليظا يعنى ومقام بازكشت كافران ومنافقان اكر ايمان نيارند وخالص نشوند دوزخست قال القاشانى ما داموا على صفتهم او دائما ابدا لزوال استعدادهم او عدمه (وبئس المصير) اى جهنم او مصيرهم وفيه تصريح بما علم التزاما مبالغة فى ذمهم وفيه اشارة الى نبى القلب المجاهد فى سبيل الله

فانه مأمور بجهاد الكفار اى النفس الامارة بالسوء وصفاتها الحيوانية الشهوانية وبجهاد المنافقين اى الهوى المتبع وصفاته البهيمية والسبعية وبالغلظة عليهم بسيف الرياضة ورمح المجاهدة ومقامهم جهنم البعد والحجاب وبئس المصير اذ ذل الحجاب وبعد الاحتجاب اشد من شدة العذاب يقول الفقير اذا كان الاعداء الظاهرة يحتاجون الى الغلظة والشدة فاظنك باعدى الاعداء وهى النفس الامارة فى الغلظة عليها نجاة وفى اللين هلاك ولذا قال بعض الشعراء * هست نرمى آفت جان سمور * وزدرشتى مى بردجان خاربشت * وفى المثل العصا لمن عصى وقول الشيخ سعدى * درشتى ونرمى بهم دربهست * جوفصاد جراح ومرهم نهست * يشير الى ان للمؤمن صفة الجمال والجلال وبهاء الكمال فاول المعاملات الجمال لان الله تعالى سبقت رحمته ثم الجلال فلما لم تقبل الكفار الدعوة بالرفق واللين وكذا المنافقون الاخلاص واليقين امر الله تعالى نبيه عليه السلام بالغلظة عليهم ليظهر احكام كل من الاسماء المتقابلة ففيه اشارة الى ان من خلق للرحمة وهم المؤمنون لايغضب عليهم ولا يغلظ لانه قلب الحكمة وعكس المصلحة وان من خلق للغضب وهم الكفار والمنافقون لايرحم لهم ولا يرفق بهم لذلك ودخل فيهم اهل البدعة ولذا لا يجوزان يلقاهم السنى بوجه طلق وقد عاتب الله بعض من فعل ذلك فعلى المؤمن ان يجتهد فى طريق الحق حتى يدفع كيد الاعداء ومكر الشياطين عن الظاهر والباطن ويديم ذلك لان به يحصل الترقى الذى هو من خصائص الانسان ولذا خص الجهاد بالثقلين واما جهاد الملائكة فبالتبعية او بتكثير السواد فاعرف (ضرب الله مثلا للذين كفروا) ضرب المثل فى امثال هذه المواضع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها فى الغرابة اى جعل الله مثالا لحال هؤلاء الكفرة حالا وما لا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به (امرأة نوح وامرأة لوط) اى حالهما مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ماهو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء وامرأة نوح هى واعلة بالعين المهملة اووالعة وامرأة لوط هى واهلة بالهاء (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح والمراد بكونهما تحتهما كونهما فى حكمهما وتصرفهما بعلاقة النكاح والزواج وصالحين صفة عبدين اى كانتا تحت نكاح نبيين وفى عصمة رسولين عظيمى الشان متمكنين من تحصيل خير الدنيا والآخرة وحيازة سعادتهما واظهار العبدين المراد بهما نوح ولوط لتعظيمهما بالاضافة التشريفية الى ضمير التعظيم والوصف بالصلاح والا فيكفى ان يقول تحتهما وفيه بيان شرف العبودية والصلاح (فخانتاهما) بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيهما من صحبة النبى والخيانة ضد الامانة فهى انما تقال اعتبارا بالعهد والامانة اى فخانتاهما بالكفر والنفاق والنسبة الى الجنون والدلالة على الاضياف ليتعرضوا لهم بالفجور لا بالبغاء فانه ما بغت امرأة نبى قط فالبغى للزوجة اشد فى ايراث الانفة لاهل العار والناموس من الكفر وان كان الكفر اشد منه فى ان يكون جرما يؤاخذ به العبد يوم القيامة وهذا تصوير لحالهما المحاكية لهؤلاء الكفرة فى خيانتهم لرسول الله عليه السلام بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة (فلم يغنيا) الخ بيان لما ادى اليه خيانتهما اى فلم يغن النبيان (عنهما) اى عن تينك المرأتين بحق الزواج (من الله) اى من عذابه تعالى (شيأ) من الاغناء اى لم يدفعا العذاب عنهما زن نوح غرق شد بطوفان وبرسرزن لوط سنك باريد (وقيل) لهما عند موتهما او يوم القيامة وصيغة الماضى للتحقق قاله الملائكة الموكلون بالعذاب (ادخلا النار مع الداخلين) اى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء ذكر بلفظ جمع المذكر لانهن لا ينفردن بالدخول واذا اجتمعا فالغلبة للذكور وقطعت هذه الآية طمع من يرتكب المعصية ان ينفعه صلاح غيره من غير موافقة له فى الطريقة والسيرة وان كان بينه وبينه لحمة نسب او وصلة صهر قال القاشانى الوصل الطبيعية والاتصالات الصورية غير معتبرة فى الامور الاخروية بل المحبة الحقيقية والاتصالات الروحانية هى المؤثرة فحسب والصورية التى بحسب اللحمة الطبيعية والخلطة والمعاشرة لا يبقى لها اثر فيما بعد الموت اذ لا انساب بينهم يوم القيامة وقس عليه النسب الباطنى فان جميع القوى الخيرة والشريرة وان تولدت من بين زوجى الروح والجسد لكن الشريرة ليست من اهل الروح فى الحقيقة مثل ولد نوح فكل من السعداء والاشقياء مفترقون فى الدارين * جه نسبت است برندى صلاح وتقوى را * سماع وعظ كجا نغمهٔ رباب كجا (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) اى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين

فى ان وصلة الكفر لاتضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت اعدى اعداء الله وهى فى اعلى غرف الجنة والمراد آسية بنت مزاحم يقال رجل آسى وامرأة آسية من الأسى وهو الحزن قال بعض الكبار الحزن حلية الادباء ومن لم يذق طعام الحزن لم يذق لذة العبادة على انواعها اومن الاسو وهو المداواة والآسى بالمد الطبيب وفى هذا حث المؤمنين على الصبر فى الشدة حتى لايكونوا فى الصبر عند الشدة اضعف من امرأة فرعون التى صبرت على اذى فرعون كما سيجيئ (اذقالت) ظرف للمثل المحذوف اى ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذقالت (رب) اى پرور دكار من (ابن لى) على ايدى الملائكة اوبيد قدرتك فانه روى ان الله تعالى خلق جنة عدن بيده من غير واسطة وغرس شجرة طوبى بيده (عندك بيتا فى الجنة) اى قريبا من رحمتك على ان الظرف حال من ضمير المتكلم لان الله منزه عن الحلول فى مكان اوابن لى فى اعلى درجات المقربين فيكون عند ظرفا للفعل وفى الجنة صفة لبيتا وفى عين المعانى عندك اى من عندك بلا استحقاق منى بل كرامة منك (روى) انها لما قالت ذلك رفعت الحجب حتى رأت بيتها فى الجنة من درة بيضاء وانتزع روحها سئل بعض الظرفاء اين فى القرآن مثل قولهم الجار قبل الدار قال قوله ابن لى عندك بيتا فى الجنة فعندك هو المجاورة وبيتا فى الجنة هو الدار (ونجنى من فرعون) الجاهل (وعمله) الباطل اى من نفسه الخبيثة وسوء جوارها ومن عمله السيئ الذى هو كفره ومعاصيه (ونجنى من القوم الظالمين) اى من القبط التابعين له فى الظلم (روى) انه لما غلب موسى عليه السلام السحرة آمنت امرأة فرعون وقيل هى عمة موسى آمنت به فلما تبين لفرعون اسلامها طلب منها ان ترجع عن ايمانها فأبت فأوتد يديها ورجليها بأربعة اوتاد يعنى اورا چهار ميخ كرد وربطها والقاها فى الشمس حق تعالى ملائكه رابفرمود تا كرد وى درآمده بالهاخود اوراسايه كردند وارادها الله بيتها فى الجنة ونسيت ماهى فيه من العذاب فضحكت فعند ذلك قالوا هى مجنونة تضحك وهى فى العذاب وفى هذا بيان انها لم تمل الى معصية مع انها كانت معذبة فلتكن صوالح النساء هكذا وقال الضحاك امر بأن يلقى عليها حجر رحى وهى فى الاوتاد فقالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فاوصل الحجر اليها حتى رفع روحها الى الجنة فالقى الحجر عليها بعد خروج روحها فلم تجد المالم وقيل اشتاقت الى الجنة وملت من صحبة فرعون فسألت ذلك ودر اكثر تفاسير هست كه حق سبحانه وبرا باسمان ابرد بجسدوى وحالا دربهشت است كما قال الحسن البصرى قدس سره رفعت الى الجنة فهى فيها تأكل وتشرب وتنعم قال فى الكشاف وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين (وفى المثنوى) تافرود آيد بلايى دافعى * چون نباشد ازتضرع شافعى * جزخضوع وبندكى واضطرار * اندرين حضرت ندارد اعتبار * فعدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند اهل الطريقة لانه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه كما قال ابن الفارض قدس سره

ويحسن اظهار التجلد للعدى * ويقبح غير العجز عند الاحبة

(ومريم ابنة عمران) عطف على امرأة فرعون وجمع فى التمثيل بين التى لها زوج والتى لازوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وسميت مريم فى القرآن باسمها فى سبعة مواضع ولم يسم غيرها من النساء لانها اقامت نفسها فى الطاعة كالرجل الكامل ومريم بمعنى العابدة وقد سمى الله ايضا زيدا فى القرآن كما سبق فى سورة الاحزاب والمعنى وضرب الله مثلا للذين آمنوا حال مريم ابنة عمران والدة عيسى عليهما السلام وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا (التى احصنت فرجها) الاحصان العفاف يعنى بازايستادن ازرشتى كما فى تاج المصادر والفرج مابين الرجلين وكنى به عن السوءة وكثر حتى صار كالصريح فيه والمعنى حفظت فرجها عن مساس الرجال مطلقا حراما وحلالا على آكد الحفظ وبالفارسية آن زنا كه نكاه داشت دامن خودرا ازحرام وفاحشه كما فى تفسير الكاشفى قال بعضهم صانته عن الفجور كما صان الله آسية عن مباشرة فرعون لانه كان عنينا وهو من لايقدر على الجماع لمرض اوكبر سن اويصل الى الثيب دون البكر فالتعبير عن آسية بالثيب كما مر فى ثيبات لكونها فى صورة الثيب من حيث ان لها بعلا وقال السهيلى رحمه الله احصان الفرج معناه طهارة الثوب يريد فرج القميص اى لم يعلق بثوبها ريبة اى انها طاهرة الاثواب فكنى باحصان فرج القميص عن طهارة الثوب من الريبة وفروج القميص اربعة

الكمال والاعلى والاسفل فلابد هين وهمك الى غيرهذا لان القرآن انزه معنى واوجز لفظا والطف اشارة واحسن عبارة من ان يريد ماذ هب اليه وهم الجاهل انتهى قال فى الكشاف ومن بدع التفاسير ان الفرج هوجيب الدرع ومعنى احصنته منعته (فنفخنا فيه) الفاء للسببية والنفخ نفخ الريح فى الشئ اى فنفخنا بسبب ذلك فى فرجها على ان يكون المراد بالفرج هنا الجيب (كما قال الكاشفى) پس درد ميديم در كريبان جامة او وكذا السجاوندى فى عين المعانى اى فيما انفرج من جيبها وكذا ابو القاسم فى الاسئلة لم يقل فيها الان المراد بالكناية جيب درعها وهوالى التذكير اقرب فيكون قوله فيه من باب الاستخدام لان الظاهر ان المراد بلفظ الفرج العضو واريد بضميره معنى آخر للفرج و منه قوله تعالى ومالها من فروج وكذا يكون اسناد النفخ الى الضمير مجازيا اى نفخ جبريل بأمرنا وهوانما نفخ فى جيب درعها (من روحنا) اى من روح خلقناه بلاتوسط اصل واضاف الروح الى ذاته تعالى تفخيما لها ولعيسى كقوله وطهر بيتى وفى سورة الانبياء فنفخنا فيها اى فى مريم اى احيينا عيسى فى جوفها من الروح الذى هومن امرنا وقال بعضهم احيينا فى فرجها واوجدنا فى بطنها ولدا من الروح الذى هو بامرنا وحده بلا سببية اصل وتوسل نسل على العادة العامة او من جهة روحنا جبريل لانه نفخ من جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها وفعلنا النفخ فيه وقرئ فيها على وفاق ما فى سورة الانبياء اى فى مريم والمآل واحد انتهى * يقول الفقير يلوح لى ههنا سرخفى وهوان النفخ وان كان فى الجيب الا ان عيسى لما كان متولدا من الماء ين الماء المحقق وهوماء مريم والماء المتوهم وهو ما حصل بالنفخ كان النفخ فى الجيب بمنزلة صب الماء فى الفرج فالروح المنفوخ فى الجيب كالماء المصبوب فى الفرج والماء المصبوب وان لم يكن الروح عينه الا انه فى حكم الروح لانه يخلق منه الروح ولذا قال تعالى فنفخنا فيه اى فى الفرج سواء قلت انه فرج القميص او العضو فاعرف ولا يقبله الا الالباء الروحانيون (وصدقت) معطوف على احصنت (بكلمات ربها) اى بالصحف المنزلة على الانبياء عليهم السلام وفى كشف الاسرار يعنى الشرآئع التى شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة ويقال صدقت بالبشارات التى بشر بها جبريل (وكتبه) اى بجميع كتبه المنزلة الشاملة للصحف وغيرها من الكتب الالهية متقدمة او متأخرة (وكانت من القانتين) اى من عداد المواظبين على الطاعة فمن للتبعيض وفى عين المعانى من المطيعين المعتكفين فى المسجد الاقصى والتذكير لتغليب المذكر فان مريم جعلت داخلة فى ذلك اللفظ مع المذكرين والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او كانت من القانتين اى من نسلهم لانها من اعقاب هرون اخى موسى عليه السلام فمن لابتدآء الغاية وعن النبى عليه السلام كمل من الرجال كثير ولم تكمل من النساء الاربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد و فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام كان العرب لا يؤثرون على الثريد شيأ حتى سموه بحبوحة الجنة وذلك لان الثريد مع اللحم جامع بين الغذآء واللذة وسهولة التناول وقلة المؤونة فى المضغ فضرب به مثلا يؤذن بانها اعطيت مع حسن الخلق حلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورصانة العقل والتحبب الى البعل فهى تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والاصغاء اليها وحسبك انها عقلت من النبى عليه السلام مالم يعقل غيرها من النساء وروت مالم يروه مثلها من الرجال وقد قال عليه السلام فى حقها خذوا ثلثى دينكم من عائشة و لذا قال فى الامالى وللصديقة الرجحان فاعلم * على الزهراء فى بعض الخصال

لكن الكمال المطلق انما هو لفاطمة الزهرآء رضى الله عنها كما دل عليه الحديث المذكور وايضا دل تشبيه عائشة بالثريد على تشبيه غيرها من المذكورات باللحم وهو سيد الادام يقول الفقير رأيت فى بعض الليالى المنورة كأن النبى عليه السلام يقول لى عائشة ست النساء اللاتى اجتمعن ومعناه على ما الهمت وقتئذ ان عائشة رضى الله عنها هى السادسة من النساء الست اللاتى اجتمعن فى نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الست من التسع متساوية فى الفضيلة ومنها عائشة لكن اشتهرت عائشة بالفضل ونودى عليها بذلك وخفيت احوال الباقيات من الست لحكمة خفية الهية ولذا لم يعين لى رسول الله عليه السلام من بقيت من الست ودل الحديث على كثرة كمال الرجال وقلة كمال النساء فيما بعد عصر النبى عليه السلام وان كانت القرون متفاوتة والاعصار متباينة ولذا قال الحافظ * نشان اهل خدا عاشقيست باخوددار * كه درمشايخ شهر اين نشان نمى بينم * (وقال المولى الجامى) اسرار عاشقانرا بايد زبان ديكر * دردا كه نيست پيدا درشهر همزبانى * والله الهادى

(تمت سورة التحريم فى اوائل شهر الله رجب من الشهور المنتظمة فى سلك شهور سنة ست عشرة ومائة والف)

الجزؤ التاسع والعشرون — سورة الملك مكية وآيها ثلاثون بالاتفاق

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذى بيده الملك) البركة النماء والزيادة حسية اوعقلية ونسبتها الى الله تعالى باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وافعاله يعنى ان البركة تتضمن معنى الزيادة وهى تقتضى التعالى عن الغير كما قال ليس كمثله شئ اى فى ذاته لوجوب وجوده وفى صفاته وافعاله لكماله فيهما واما قوله تخلقوا باخلاق الله فباعتبار اللوازم و بقدر الاستعداد لاباعتبار الحقيقة والكنه فان الاتصاف بها بهذا الاعتبار مخصوص بالله تعالى فاين احياء عيسى عليه السلام الاموات من احياء الله تعالى فانه من الله بدعائه فالمعجزة استجابة مثل هذا الدعاء ومظهريته له بقدر استعداده و بهذا التقرير ظهر معنى قول بعض المفسرين تزايد فى ذاته فان التزايد فى ذاته لايكون الاباعتبار تعاليه بوجوده الواجب وتنزهه عن الفناء والتغير والاستقلال وصيغة تبارك بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره سبحانه ولااستعمال غيرها من الصيغ مثل يتبارك فى حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما فى حيز الصلة على تحقق مضمونها والموصولات معارف ولاشك ان المؤمنين يعرفونه بكون الملك بيده واما غيرهم فهم فى حكم العارفين لان الادلة القطعية لمادلت على ذلك كان فى قوة المعلوم عند العاقل واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل لما ان اثرها يظهر فى الاكثر من اليد يقال فلان بيده الامر والنهى والحل والعقد اى له القدرة الغالبة والتصرف العام والحكم النافذ (قال الحكيم السنائى) يدا وقدرتست و وجه بقاش * آمدن حكمش ونزول عطاش * اصبعينش نفاذ حكم قدر * قدمينش جلال وقهر وخطر * وفى عين المعانى اليد صلة والقدرة والمذهب انها صفة له تعالى بلا تأويل ولاتكييف والملك بمعنى التصرف والسلطنة واللام للاستغراق ولذا قال فى كشف الاسرار ملك هجده هزار عالم بدست اوست والمعنى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ماسواه ذاتا وصفة وفعلا الذى بقبضة قدرته التصرف الكلى فى كل الامور لابقبضة غيره فيأمر و ينهى ويعطى ويمنع و يحيى ويميت و يعز ويذل ويفقر ويغنى ويمرض ويشفى ويقرب و يبعد و يعمر و يخرب و يفرق و يصل و يكشف و يحجب الى غير ذلك من شؤون العظمة وآثار القدرة الالهية والسلطنة الازلية والابدية وقال بعضهم البركة كثرة الخير ودوامه فنسبتها الى الله تعالى باعتبار كثرة مايفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات اى تكاثر خير الذى بيده الملك وتزايد نعمه واحسانه كما قال وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها قال الراغب البركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ والمبارك مافيه ذلك الخير ولما كان الخير الالهى يصدر من حيث لايحس وعلى وجه لايحصى ولايحصر قيل لكل مايشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة والى هذه الزيادة اشير بماروى لاينقص مال من صدقة وقوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا تنبيه على مايفيضه علينا من نعمه بوساطة هذه البروج والنيرات المذكورة وكل موضع ذكر فيه لفظة تبارك فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك وفى الكواشى معنى تبارك تعالى عن صفات المحدثين وجميع المستعمل من (برك) و يعكسه يشتمل على معنى الثبوت اى ثبت الخير فى خزائن الذى وقال سهل قدس سره تعالى من تعظم عن الاشباه والاولاد والاضداد والانداد بيده الملك يقلبه بحوله وقوته يؤتيه من يشاء و ينزعه ممن يشاء وقيل يريد به النبوة يعز بها من اتبع ويذل بها من خالف وقال جعفر قدس سره هو المبارك على من انقطع اليه اوكان له اى فانه وارث النبى عليه السلام وخليفته وقد قيل فى حقه و بارك عليه وقال القاشانى قدس سره الملك عالم الاجسام كما ان الملكوت عالم النفوس ولذلك وصف ذاته باعتبار تصريفه فى عالم الملك بحسب مشيئته بالتبارك الذى هو غاية العظمة و نهاية الازدياد فى العلو والبركة و باعتبار تسخيره عالم الملكوت بمقتضى ارادته بالتسبيح الذى هو التنزيه كقوله فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ كلا بما يناسبه لان العظمة والازدياد والبركة تناسب الاجسام والتنزه يناسب المجردات عن المادة وفى الآية اشارة الى ان الملك اذا كان بيده فهو المالك وغيره المملوك فلابد للمملوك من خدمة المالك * خدمت اوكن مكرشاهان ترا خدمت كنند * چاكر اوباش تاسلطان تراكردد غلام * وفى الحديث القدسى يادنيا اخدمى من خدمنى قال فى كشف الاسرار ملك انسانيت جداست وملك دلها جداو ملك جانها

جدا ازيرا انسانيت ملك دردنيا راند انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وذل ملك درآخرت راند يحبهم ويحبونه
وجان ملك درعالم حقيقيت راند وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة آن عزيز راه كويد فردا كه علم كبرياى او
بقيامت برآيد كه لمن الملك اليوم من ازكوشة دل خويش بدستورى اودرى بركشايم ودردى ازدردهاى او
بيرون دهم تاكرد قيامت برآيد وكويم لمن الملك اكر معترضى براه آيد كويم اوكه چون ماضعفا ومساكين
داردميكويد لمن الملك ماچون اوملك جبارى داريم چرانكوييم لمن الملك اكراوراچون ما بندكانست
ماراچون اوخداوندست ومن هذا البيان يعرف سرقول عين العارفين ابى يزيد البسطامى قدس سره
الهى ملكى اعظم من ملكك اى فان ملك العبد هو القديم وملك الرب هو الحادث فاعرف جدا فان هذا المقام
من مزالق الاقدام (وهو) تعالى وحده (على كل شئ) من الاشياء وعلى كل مقدور من الانعام والانتقام
وغيرهما (قدير) مبالغ فى القدرة عليه ومنتهى الى اقصاها يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على
الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى فى جلائل الامور
ودقائقها قال بعضهم وهو على كل شئ قدير اى ما يمكن ان تتعلق به المشيئة من المعدومات الممكنة لان
الموجود الواجب لايحتاج فى وجوده الى شئ ويمتنع زواله ازلا وابدا والموجود الممكن لايراد وجوده
اذهو تحصيل الحاصل والمعدوم الممتنع لايمكن وجوده فلا تتعلق به المشيئة فتعلق القدرة بالمعدوم بالايجاد
وبالموجود بالابقاء والتحويل من حال الى حال قال القاشانى وهو القادر على كل ماعدم من الممكنات يوجد على
مايشاء فان قرينة القدرة تخص الشئ بالممكن اذ تعلق القدرة به فيقال انه مقدور لانه ممكن (وفى التأويلات
النجمية) تعالى وتعاظم فى ذاته وصفاته واسمائه وافعاله الذى بيده المطلقة الملائى السحاء سلطنة الوجود
المطلق الفائض على الوجودات المقيدة وهواى هويته المطلقة ظاهرة فى كل شئ قادرة على كل شئ (الذى
خلق الموت والحياة) شروع فى تحصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة والموصول بدل من الموصول الاول
فلاوقف على القدير والموت عند اهل السنة صفة وجودية مضادة للحيات كالحرارة والبرودة والحياة صفة
وجودية زائدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة مصححة لاتصاف الذات بهما وماروى عن ابن عباس
رضى الله عنهما من ان الموت والحياة جسمان وان الله خلق الموت على صورة كبش املح لايمر بشئ ولايجد رائحته
شئ الامات وخلق الحياة على صورة فرس انثى بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء عليهم السلام يركبونها
خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لاتمر بشئ ولايجد رائحتها شئ الاحى وهى التى اخذ السامرى
من اثرها قبضة فالقاها على العجل فحيى فكلام وارد على سبيل التمثيل والتصوير والافهما فى التحقيق من قبيل
الصفات لامن قبيل الاعيان هكذا قالوا وجوابه ان كون الموت والحياة صفتين وجوديتين لاينافى ان يكون
لهما صورة محسوسة كالاعيان فانهما من مخلوقات عالم الملكوت ولكل منهما صورة مثالية فى ذلك العالم يراهى
ويشاهده من يغيب عن عالم الملك وينسلخ عن البدن يؤيده قوله عليه السلام يذبح الموت
بين الجنة والنار على صورة كبش ولاشك ان الذبح انما يتعلق بالاعيان وايضا ان عالم الآخرة عالم الصفة يعنى
ان كل صفة باطنة فى الدنيا تتصور بصورة ظاهرة فى العقبى حسنة او قبيحة فلاشئ من المعانى الاوهو مجسم
مصور فقول ابن عباس رضى الله عنه محمول على هذا نعم ان قولهم ان الحياة فرس انثى يخالف قولهم ان البراق
حقيقة ثالثة لاذكر ولاانثى وقال بعضهم الموت عبارة عن عدم صفة الحياة عن محل يقبلها يعنى ان الموت والحياة
من باب العدم والملكة فان الحياة هى الاحساس والحركة الارادية والاضطرارية كالتنفس والموت عدم
ذلك عما من شأنه ان يكون له كما قال صاحب الكشاف الحياة مايصح بوجوده الاحساس والموت عدم ذلك
ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه انتهى * اى ايجاد اثر الموت بقطع ضوء الروح عن ظاهر
الحى وباطنه مع كونه فى غاية الاقتدار على الحركة والتقلب وبجعله جمادا كان لم تكن به حركة اصلا وكذا ايجاد
اثر الحياة بنفخ الروح واضاءة ظاهر البدن وباطنه به وبجعله قادرا على التقلب بنفسه بالارادة وعدم تلك الملكة
ليس عدما محضا بل فيه شائبة الوجود والالم يعتبر فيه المحل القابل الامر الوجودى فلذلك صح تعلق الخلق
بالموت كتعلقه بالحياة وبهذا التقرير اندفع ما اعترضوا به من ان العدم حال لايكون مخلوقا لان المخلوق حادث
وعدم الحوادث ازلى ولوكان مخلوقا لزم وجود الحوادث ازلا وهو باطل وقال بعضهم معنى خلق الموت على تقدير

ان يكون الموت عبارة عن عدم الحياة قدره فان الخلق يجيء بمعنى التقدير كما فى قوله تعالى فتبارك الله احسن
الخالقين ولا يبعد ان يقال ان تعلق الخلق بالموت بمعنى الايجاد انما هو بتبعية تعلقه بالحياة بذلك المعنى وقدم
على الحياة لان الموت فى عالم الملك ذاتى والحياة عرضية بمعنى ان الموت اسبق لان الاشياء كانت مواتا
ثم عرضت لها الحياة كالنطفة على ما دل عليه قوله تعالى وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون
ولانه ادعى الى احسان العمل واقرب الى قهر النفوس فمن جعله نصب عينيه افلح وفى الحديث (لولا ثلاث ما طأطأ
ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت) وفى الارشاد الاقرب ان المراد به الموت الطارى وبالحياة ما قبله وما بعده
لظهور مداريتهما كما ينطق به ما بعد الآية ليبلوكم الخ فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه
مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية انتهى * وظاهره يخالف قوله تعالى ولا يملكون موتا ولا حياة
ولا نشورا فان المراد بهذه الحياة هى الحياة الدنيوية بقرينة النشور والقرآن يفسر بعضه بعضا ثم ان الالف
واللام فى الموت والحياة عوض عن المضاف اليه اى موتكم وحياتكم ايها المكلفون لان خلق موت
غير المكلفين وحياتهم لابتلاء المكلفين لا معنى له قال بعض العارفين الموت والحياة عرضان والاعراض
والجواهر مخلوقة له تعالى واصل الحياة حياة تجليه واصل الموت موت استتاره وهما يتعاقبان للعارفين فى الدنيا
فاذا ارتفعت الحجب يرتفع الموت عنهم بأنهم يشاهدون عيانا بلا استتار ابدا لا يجرى عليهم طوارق الحجاب
بعد ذلك قال الله تعالى بل احياء عند ربهم خلق الموت والحياة يميت قوما بالمجاهدات ويحيى قوما بالمشاهدات
يميت قوما بنعت الفناء فى ظهور سطوات القدم ويحيى قوما بنعت البقاء فى ظهور انوار البقاء ولولا التجلى والاستتار
لم يظهر شوق المشتاقين وتفاوت درجات الشوق ولا يتبين وله العاشقين وتفاوت درجاتهم فى العشق وقال سهل
قدس سره الموت فى الدنيا بالمعصية والحياة فى الآخرة بالطاعة فى الدنيا وقال الجنيد قدس سره حياة الاجسام
مخلوقة وهى التى قال الله تعالى خلق الموت والحياة وحياة الله دائمة لا انقطاع لها اوصلها الى اوليائه
فى قديم الدهر الذى ليس له ابتداء فكانوا فى علمه احياء قبل ايجاده لهم ثم اظهرهم فاعارهم الحياة المخلوقة التى
احيى بها الخلق واماتهم فى سره فكانوا فى سره بعد الوفاة كما كانوا ثم اورد عليهم حياة الابد فكانوا احياء ابدا
وقال الواسطى قدس سره من احياه الله عند ذكره فى ازله لا يموت ابدا ومن اماته فى ذلك لا يحيى ابدا وكم حى غافل
عن حياته وميت غافل عن مماته (ليبلوكم ايكم احسن عملا) اللام متعلقة بخلق وظاهرها يدل على ان افعال
الله معللة بمصالح العباد وانه تعالى يفعل الفعل لغرض كما ذهب اليه المعتزلة وعند اهل السنة ليس هى
على ظاهرها بل معناها ان الله تعالى فعل فعلا لو كان يفعله من يراعى المصالح لم يفعله الا لتلك المصلحة والغرض
فمثل هذه اللام لام العلة عقلا ولام الحكمة والمصلحة شرعا وايكم مبتدأ واحسن خبره وعملا تمييز والجملة
الاسمية سادة مسد المفعول الثانى لفعل البلوى عدى اليه بلا واسطة لتضمنه معنى العلم باعتبار عاقبته والا فهو
لا يتعدى بلا واسطة الا الى مفعول واحد فليس هو من قبيل التعليق المشهور الذى يقتضى عدم ايراد المفعول
اصلا وقد ذكر المفعول الاول هنا وهو كم مع اختصاصه بافعال القلوب ولا من التضمين المصطلح بل هو مستعار
لمعنى العلم والبلوى الاختبار وليس هنا على حقيقته لانه انما يتصور ممن يخفى عليه عواقب الامور فالابتلاء
من الله ان يظهر من العبد ما كان يعلم منه فى الغيب والمعنى ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا
فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح
ولذلك فسره عليه السلام بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله يعنى اتم عقلا
عن الله وفهما لمراده فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثانى كذلك الحال
فى عمله كيف لا وعمله معرفة الله الواجبة على العباد اول كل شئ وانما طريقها النظر والتفكر فى بدائع
صنع الله والتدبر فى آياته المنصوبة فى الانفس والآفاق كما قال عليه السلام لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان
يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى امر الله الذى هو عمل القلب ضرورة ان احدا
لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض كذا فى الارشاد يقول الفقير لعل حال يونس
عليه السلام اشارة الى انه عمل قالبى مفضل على عمل اهل الارض فى زمانه بخواص قلبية فان اعمال المقربين
واحد منها مقابل بمائة الف بل بغير حساب باعتبار التفاوت فى الاحسان والشهود والخلوص ولذا قال تعالى

احسن فانه بعبارته اشارة الى احوال المقربين وباشارته الى احوال غيرهم من الابرار والكفار والمنافقين وذلك ان نية الانسان لاتخلو اما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الدنيا فهو سيئ نية وعملا وهو حال الكفار واما ان يكون متعلقها فى لسانه هو الآخرة وفى جنانه هو الدنيا فهو اسوأ نية وعملا وهو حال المنافقين واما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الاخرة فهو حسن نية وعملا وهو حال الابرار واما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو وجه الله تعالى فهو احسن نية وعملا وهو حال المقربين ولما كان المقصود الاعظم هو تحصيل هذا الاحسن صرح بذكره دون ذكر الحسن فانه مفهوم بطريق الاشارة وكذا غيره واقد اصاب من قال فى تفسير الآية تاباز مايد شمارا يعنى باشما معامله آزمايند كان كدتا ظاهر شود كه در دار تكليف كدام ازشما نيكوتر نداز جهت عمل يعنى اخلاص كدام بيشترست وكذا من قال احسن الاعمال ما كان اخلص بان يكون لوجه الله خالصا واصوب بان يكون موافقا للسنة اى واردا على النهج الذى ورد عن الشرع فالعمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ولذا قال عليه السلام للاعرابى قم صل فانك لم تصل وكذا اذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ايضا ولذا جعل الله اعمال اهل الرياء والنفاق هباء منثورا وقول من قال من العارفين حسن العمل نسيان العمل ورؤية الفضل هو من مراتب الاخلاص فان الاخلاص سر عظيم من اسرار الله تعالى لاينا له الا الخواص وفى الارشاد ايثار صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلى من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة فى الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فلكونه بمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام فى سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب انتهى * ثم ان المراد ايكم عمله احسن من عمل غيره ولامعنى لقول السجاوندى فى عين المعانى استفهام بمعنى الهمزة ولذا لم يعمل فيه الفعل تقديره أانتم احسن عملا ام غيركم انتهى فانه يشعر بان يكون التفاوت بالنسبة الى الانسان وغيره كالملائكة ومؤمنى الجن مثلا وليس بمراد وعبارة القرآن فى اسناد الحسن الى الانسان تدل على ان من كان عمله احسن كان هو احسن ولو انه ابشع الناس منظرا ومن كان عمله اسوأ كان بخلاف ذلك* ره راست بايدنه بالاى راست * كه كافرهم ازروى صورت چوماست * ولم يقل اكثر عملا لانه لاعبرة بالكثرة مع القبح قالوا والحسن انما يدرك بالشرع فما حسنه الشرع فهو حسن وماقبحه فهو قبيح وقال بعضهم ليبلوكم ايكم احسن اخذا من حياته لموته واحسن اهبة فى دنياه لآخرته قال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما خذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك فانك لاتدرى مااسمك غدا وسئل عليه السلام اى المؤمنين اكيس قال اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم له استعدادا فالاستعداد للموت وللآخرة بكثرة الاعمال المقارنة للاخلاص سواء كانت صلاة او صوما او زكاة او حجا او نحوها وان كان لبعض الاعمال تفاوت بالنسبة الى البعض الآخر كالصلاة فانها معراج الشهود وفيها كسر النفس واتعاب البدن ولذا كان السلف الصالح يكثرون منها حتى ان منهم من يصلى فى اليوم والليلة الف ركعة ونحوها وكالصوم وتقليل الطعام فانه سبب لورود الحكمة الالهية الى القلب ولذلك كان بعض السلف يواصلون فمنهم من يطوى ثلاثة ايام ومنهم من يطوى فوق ذلك الى السبعة الى ثلاثين الى اربعين فمن طوى اربعين يوما انفتح له باب الحكمة العظمى مع ان فى الصوم تهذيب الاخلاق ايضا فان اكثر المفاسد يجيئ من قبل الاكل والشرب فياايها المؤمنون سابقوا وسارعوا فالانفس مطية والدنيا مضمار والسابقون السابقون اولئك المقربون وقد قال عليه السلام قد سبق المفردون والتفريد هو تقطيع الموحد عن الانفس والآفاق وشهود الحق فى عالم الاطلاق فلابد من السير والسلوك ثم الطيران فى هواء الوحدة والهوية الذاتية فانه به يحصل الانفصال عن منازل الاكوان السفلية الحادثة و يتحقق العروج الى عالم الوجوب والقدم نسأل الله من فضله ان يرينا وجهه الكريم انه هو البر الرحيم (وهو) اى والحال انه وحده (العزيز) الذى لايفوته من اساء العمل (الغفور) لمن شاء منهم بالتوبة وكذا بالفضل قال بعضهم لما كان العزيز منايلك كل من خالفه اذا علم بمخالفته قال مرغبا للمسيئ فى التوبة حتى لايقول مثلى لايصلح للخدمة لما لى من القاطعة وابن التراب

ورب الارباب الغفور الذى يستر ذنوب المسيئ ويتلقى من اقبل اليه احسن تلق كما قال فى الحديث القدسى
ومن اتانى يمشى اتيته هرولة (الذى خلق سبع سموات) ابدعها من غير مثل سبق (طباقا) صفة لسبع سموات
وقرابهم الصفة فى الاعداد تكون للمضاف اليه كما فى قوله سبع بقرات سمان لايطرد و يجوز جعله حالا لان
سبع سموات معرفة لشمولها الكل وهو مصدر بمعنى الفاعل يقال طابقه مطابقة وطباق الشئ مثل كتاب
مطابقه بكسر الباء وطابقت بين الشيئين اذا جعلتهما على حذو واحد والزقتهما والباب يدل على وضع
شئ مبسوط على مثله حتى يغطيه والمعنى مطابقة بعضها فوق بعض وسماء فوق سماء غلظ كل سماء خمسمائة عام
وكذا جوها بلا علاقة ولا عماد ولا مماسة فالسماء الدنيا موج مكفوف اى ممنوع من السيلان والثانية من درة
بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس اوصفر والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة
من ياقوتة حمراء وبين السابعة وما فوقها من الكرسى والعرش بحار من نور قال القاشانى نهاية كمال عالم الملك
فى خلق السموات ان لا ترى احكم خلقا واحسن نظاما وطباقا منها قال الجمهور ان الارض مستديرة كالكرة
وان السماء الدنيا محيطة بها من كل جانب احاطة البيضة بالمح فالصفرة بمنزلة الارض و بياضها بمنزلة الماء
وجلدها بمنزلة السماء غير ان خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هى مستديرة كاستدارة الكرة
المستديرة الخرط حتى قال مهندسوهم لو حفر فى الوهم وجه الارض لادى الى الوجه الآخر ولو ثقب مثلا
بارض الاندلس لنفذ الثقب بارض الصين وان السماء الثانية محيطة بالدنيا وهكذا الى ان يكون العرش محيطا
بالكل والكرسى الذى هو اقربها اليه بالنسبة اليه كحلقة ملقاة فى فلاة فما ظنك بما تحته وكل سماء فى التى
فوقها بهذه النسبة (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) استئناف والخطاب للرسول اولكل احد ممن يصلح
للخطاب و وضع خلق الرحمن موضع الضمير اذ المقام مقام ان يقال فى خلقه وهى السموات على ان يكون
بمعنى المخلوق والاضافة بمعنى اللام للاشعار بانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا ومن لتأكيد النفى
والمعنى ماترى فيه شيأ من اختلاف واضطراب فى الخلقة وعدم تناسب بل هو مستو مستقيم قال القاشانى
سلب التفاوت عنها باسرها طبقها واستدارتها ومطابقة بعضها بعضا وحسن انتظامها وتناسبها وهو من الفوت
فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما فى الآخر فلا يناسبه ولا يلايمه قال الراغب التفاوت الاختلاف
فى الاوصاف كأنه يفوت وصف احدهما الآخر او وصف كل واحد منهما الآخر وجعل بعض العلماء خلق الرحمن
عاما فسئل بان المخلوقات باسرها على غاية التفاوت لان الليل غير النهار الى غير ذلك من الاضداد ثم اجاب بان
ليس فيها تناقص اوزيادة غير محتاج اليها او نقصان محتاج اليه بل الكل مستقيمة مستوية دالة على ان
خالقها عالم انتهى وفى الآية اشارة الى شمول رحمة الرحمانية الواسعة كل شئ كما قال يارحمن الدنيا ورحيم
الآخرة لان الموجودات كلها علوية كانت او سفلية نورانية كانت او ظلمانية روحانية كانت او جسمانية خلقت
من نور الرحمن و رحمته من غير تفاوت فى الخلقة واصل الرزق * اديم زمين سفرة عام اوست * برين
خوان يغما چه دشمن چه دوست (فارجع البصر) اى رده الى رؤية السماء حتى يتضح ذلك بمعاينة
ولا يبقى عندك شبهة ما ورجع يجيئ لازما ومتعديا يقال رجع بنفسه رجوعا وهو العود الى ما منه البدء مكانا
كان او فعلا او قولا وبذاته كان رجوعه او بجزء من اجزائه او بفعل من افعاله ورجعه غيره رجعا اى رده واعاده
(هل ترى) فيها (من فطور) جمع فطر كما فى القاموس وهو الشق (كما قال فى تاج المصادر) الفطر آفريدن
وابتدا كردن وشكافتن يقال فطره فانفطر اى شقه فانشق والمعنى من شقوق وصدوع لامتناع خرقها والتئامها
قال القاشانى ولو كان لها فروج لفاتت المنافع التى رتبت لها النجوم المفرقة فى طبقاتها او بعضها او كالها
كما فى المناسبات فاذا لم يرق السماء فطور وهى مخلوقة فالخالق اشد امتناعا من خواص الجسمانيات (ثم ارجع
البصر كرتين) اى رجعتين اخريين واعد النظر مرة بعد مرة فى طلب الخلل والعيب * يعنى اكر بيك
نكريستن معلوم نكردى تكرار كن نكريستن را * والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك
يريد اجابات كثيرة واعانات وفيرة بعضها فى اثر بعض وذلك لان الكلال الآتى لايقع بالمرتين اى رجعة بعد رجعة
وان كثرت قال الحسن رحمه الله لو كررته مرة بعد مرة الى يوم القيامة لم تر فيه فطورا وقال الواسطى رحمه الله
كرتين اى قلبا و بصرا لان الاول كان بالعين خاصة والحاصل ان تكرار النظر وتجوال الفكر مما يفيد تحقيق

الحقائق واذاكان ذلك النظر فيها عند طلب الخروق والشقوق لايفيد الاالكلال والحرمان تحقق الامتناع وماالتعب من طلب وجود الممتنع (ينقلب) ينصرف ويرجع وبالفارسية بازكردد (اليك) بسوى تو (البصر) چشم تو (خاسئا) اى ذليلا بعيدا محروما من اصابة ماالتمسه من العيب والخلل كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والذلة فقوله ينقلب مجزوم على انه جواب الامر وخاسئا حال من البصر وهو مع انه اسم فاعل من خسأ بمعنى تباعد وهرب ففيه معنى الصغار والذلة فاذاقيل خسأ الكلب خسوءا فمعناه تباعد من هو انه وخوفه كأنه زجر وطرد عن مكانه الاول بالصغار وخسأ يجيئ متعديا ايضا يقال خسأت الكلب خسأ اى باعدته وطردته وزجرته مستهينابه فانزجر وذلك اذاقيل له اخسأ قال الراغب ومنه خسأ البصر اى انقبض من مهانة وفى القاموس الخاسئ من الكلاب والخنازير المبعد لايترك ان يدنو من الناس ولايكون خاسئا فى الآية من المتعدى الا ان يكون بمعنى المفعول اى مبعدا (وهو حسير) اى كليل وبالغ غاية الاعياء لطول المعاودة وكثرة المراجعة وهو فعيل بمعنى الفاعل من الحسور الذى هو الاعياء كما فى تاج المصادر الحسور رنجه شدن وكند شدن چشم ازمسافت دور وقال الراغب يقال للمعيى حاسر ومحسور اما الحاسر فتصور انه قدحسر بنفسه قواه واما المحسور فتصور ان التعب قدحسره وقوله تعالى وهو حسير يصح ان يكون بمعنى حاسر وبمعنى محسور انتهى والجملة حال من البصر او من الضمير المستتر فى خاسئا فيكون من قبيل الاحوال المتداخلة قال بعضهم فاذاكان الحال هذا فى بعض المصنوع فكيف عند طلب العلم بالصانع فى كماله وجلاله وجماله فكيف بمن يتفوه بالحلول والاتحاد حسبه جهنم وبئس المهاد * سبحان من تحير فى ذاته سواه * فهم خرد بكنه كمالش نبرد راه * عمرى خرد چوچشمه ها حشمها كشاد * تاركمال كنه اله افكند نكاه * ليكن كشيد عاقبتش درد وديده ميل * شكل الف كه حرف نخست ست ازاله وفى التأويلات النجمية فارجع بصرك الظاهر من ظواهر الاشياء الى بصرك الباطن ومن بصرك الباطن الى بواطن الاشياء يعنى انظر باتحاد بصرك وبصيرتك الى ظواهر الاشياء وبواطنها هل ترى من شقوق الخلاف بحسب استعداد كل واحد من الموجودات لاعطائه كل ذى حق حقه ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير مبعد عن رؤية الخلل ومطالعة الزلل كما قال الامام حجة الاسلام قدس سره فى بعض كلماته ليس فى الامكان ابدع من هذا الوجود لانه لوكان ولم يظهر لكان بخلا وهو جواد ولكان عجزا وهو قادر كما قال تعالى الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقال بعضهم انما لم يكن فى الامكان ابدع مما كان اى اظهر من هذا العالم لانه ماثم الا رتبتان الحق فى المرتبة الاولى وهو القدم والعالم فى الثانية وهو الامكان والحدوث فلو خلق ماخلق الى مالايتناهى فلايزال فى المرتبة الثانية الامكانية (ولقد زينا السماء الدنيا) بيان لكون خلق السموات فى غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اى وبالله لقد زينا اقرب السموات الى الارض والناس وجعلناها فالزين والتزيين بالفارسية آراستن وهو ضد الشين بالفارسية معيوب كردن والدنيا تأنيث الأدنى بمعنى الاقرب وكون السماء قربى من سائر السموات انما هو بالاضافة الى ماتحتها من الارض لامطلقا لان الامر بالعكس بالاضافة الى مافوقها من العرش (بمصابيح) بچراغها جمع مصباح وهو السراج وتنكيره للتعظيم والمدح اى بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تترآءى كلها مركوزة فى السماء الدنيا مع ان بعضها فى سائر السموات لان السموات اذاكانت شفافة واجراما صافية فالكواكب سوآء كانت فى السماء الدنيا اوفى سموات اخرى فهى لابد وان تظهر فى السماء الدنيا وتلوح منها فعلى التقدير تكون السماء الدنيا مزينة بهذه المصابيح ودخل فى المصابيح القمر لانه اعظم نير يضئ بالليل واذاجعل الله الكواكب زينة السماء التى هى سقف الدنيا فليجعل العباد المصابيح والقناديل زينة سقوف المساجد والجوامع ولاسرف فى الخير وذكر ان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذاجاء العشاء يوقد فيه بسعف النخل فلماقدم تميم الدارى رضى الله عنه المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا وعلق تلك القناديل بسوارى المسجد واوقدت فقال عليه السلام نورت مسجدنا نورالله عليك اما والله لوكان لى ابنة لانكحتكها وسماه سراجا وكان اسمه الاول فتحا ثم اكثرها عمر رضى الله عنه حين جمع الناس على ابى بن كعب رضى الله عنه فى صلاة التراويح فلمارآها على رضى الله عنه تزهر قال نورت مسجدنا نورالله قبرك ياابن الخطاب

وعن بعضهم قال امرنى المأمون ان اكتب بالاستكثار من المصابيح فى المساجد فلم ادر ما اكتب لانه شئ لم اسبق اليه فرأيت فى المنام اكتب فان فيه انسا للمتهجدين ونفيا لبيوت الله عن وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك وفيه اشارة الى سماء القلب لدنوه منك من سماء الروح وزينة انوار المعارف والعلوم الالهية والواردات الرحمانية (وجعلناها) اى المصابيح المعبر بها عن النجوم اى بعضها كما فى تفسير ابى الليث (رجوما) جمع رجم بالفتح وهو ما رجم به ويرمى للطرد والزجر اوجمع راجم كسجود جمع ساجد (للشياطين) هم كفار الجن يخرجون الانس من النور الى الظلمات وجمع الشياطين على صيغة التكثير لكثرتهم فى الواقع فالمعنى وجعلناها فائدة اخرى هى رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من الكواكب لا بالكواكب نفسها فانها قارة فى الفلك على حالها فمنهم من يقتله الشهاب ومنهم من يفسد عضوا من اعضائه اوعقله والشهاب شعلة ساطعة من نار وهو ههنا شعلة نار تنفصل من النجم فاطلق عليها النجم ولفظ المصباح ولفظ الكوكب ويكون معنى جعلناها رجوما جعلنا منها رجوما وهى تلك الشهب ومما يؤيد ان الشعلة منفصلة من النجوم ماجاء عن سلمان الفارسى رضى الله عنه ان النجوم كلها كالقناديل معلقة فى السماء الدنيا كتعليق القناديل فى المساجد مخلوقة من نور وقيل انها معلقة بايدى الملائكة وينصر هذا القول قوله تعالى اذا السما انفطرت واذا الكواكب انتثرت لان انتثارها يكون بموت من كان يحملها من الملائكة وقيل ان هذه ثقب فى السماء وينصره قول بعض المكاشفين ان الكواكب ليست مركوزة فى هذا التعين وانما هى بانعكاس الانوار فى بعض عروق الطبقة والذى يرى كسقوط النجم وكدفع الشمس من موضع الى موضع وهذا لايطلع عليه الحكماء وانما يعرفه اهل السلوك انتهى وقال الفلاسفة ان الشهب انما هى اجزاء نارية تحصل فى الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها بالنار التى دون الفلك وقد سبق بيان هذا المقام مفصلا فى اوائل الصافات والحجر فلا نعيده والذى يلوح ان مذهب الفلاسفة قريب فى هذه المادة من مذهب اهل الحقائق ومر بيان مذهبهم فى الصافات والله اعلم بالخفيات (واعتدنا لهم) اى هيئنا للشياطين فى الآخرة بعد الاحراق فى الدنيا بالشهب ومنه العتاد اى العدة والاهبة (عذاب السعير) اى عذاب جهنم الموقدة المشتعلة فالسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا اوقدتها ولذلك لم يؤنث بالتاء فى آخره مع انه اسم الدركة الرابعة من دركات النار السبع وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولكن كل من هذه الاسماء يطلق على الآخر فيعبر عن النار تارة بالسعير وتارة بجهنم واخرى باخروا علمان فى كل دركة منها فرقة من فرق العصاة كعصاة اهل التوحيد والنصارى واليهود والصابئة والمجوس والمشركين والمنافقين ولم يذكروا الشياطين فى واحدة من الدركات السبع ولعلهم يقسمون على مراتب اضلالهم فيدخل كل قسم منهم مع قسم تبعه فى اضلاله فكان سببا لدخوله فى دركة من الدركات الست التحتانية جزاء لضلاله واضلاله واذية لمن تبعه فيما دعا اليه بمصاحبته ومقارنته كما قال تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين اى مع شياطينهم وفى الآية اشارة الى شياطين الخواطر النفسانية والهواجس الظلمانية وعذابها عذاب الرد والانقلاب بغلبة الخواطر الملكية والرحمانية (وللذين كفروا بربهم) من الشياطين وغيرهم وكفرهم به اما بالتعطيل او بالاشراك وقال سعدى المفتى الاظهر حمله على الكفرة غير الشياطين كما يشعر به مابعده ولئلا يلزم شبه التكرار (عذاب جهنم) اى الدركة النارية التى تلقاهم بالتجهم والعبوسة يقال رجل جهم الوجه كالح منقبض وفيه اشارة الى ان عذابه تعالى وانتقامه خارج عن العادة لكونه ليس بسيف ولاسوط ولاعصا ونحوها بل بالنار الخارجة عن الانطفاء وليس للكافر المعذب من الخلاص رجاء (وبئس المصير) اى جهنم وقال بعضهم جهنم من الجهنام وهى بئر بعيدة القعر ففيه اشارة الى ان اهل النار مبعدون عن جمال الله تعالى وعن نعيم الجنة محرقون فى نار البعد والقطيعة نسأل الله العافية قال فى فتح الرحمن تضمنت هذه الآية ان عذاب جهنم للكافرين المخلدين وقد جاء فى الاثر انه يمر على جهنم زمن تخفق ابوابها قد اخلتها الشفاعة فالذى فى هذه الآية هى جهنم باسرها اى جميع الطبقات والتى فى الاثر هى الطبقة العليا لانها مقر العصاة انتهى وهو مراد من قال من كبار المكاشفين يأتى زمان تبقى جهنم خالية عن اهلها وهم عصاة الموحدين ويأتى على جهنم زمان ينبت فى قعرها الجرجير وهى بقلة (اذا القوا) اى الذين كفروا اى فى جهنم وطرحوا كما يطرح الحطب فى النار العظيمة وفى ايراد الالقاء دون الادخال اشعار

بتحقيرهم وكون جهنم سفلية (سمعوا لها) اى لجهنم نفسها وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله (شهيقا)
لانه فى الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا اى سمعوا كائنا لها شهيقا اى صوتا كصوت الحمير الذى هو انكر
الاصوات وافظعها غضبا عليهم وهو حسيسها المنكر الفظيع كما قال تعالى لا يسمعون حسيسها قالوا
الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق اوشهيق الحمار آخر صوته والزفير اوله والشهيق رد النفس والزفير اخراجه
(وهى تفور) اى والحال انها تغلى بهم غليان المرجل بما فيها من شدة التلهب والتسعر فهم لا يزالون صاعدين
هابطين كالحب اذا كان الماء يغلى به لا قرار لهم اصلا والفور شدة الغليان ويقال ذلك فى النار و فى القدر
وفى الغضب وفوارات الماء سميت تشبيها بغليان القدر وفعلت كذا من فورى اى من غليان الحال و فارة
المسك تشبيها به فى الهيئة كما فى المفردات قال بعضهم نطقت الآية بان سماعهم يكون وقت الالقاء على ما هو المفهوم
من اذا وعلى المفهوم من قوله وهى تفور ان يكون بعده اللهم الا ان تغلى بما فيها كأنما كان ويؤول اذا القوا
باذا اريد الالقاء او اذا قربوا من الالقاء بناء على ان صوت الشهيق يقتضى ان يسمع قبل الالقاء انتهى (تكاد
تميز من الغيظ) الجملة خبر آخر وتميز اصله تتميز بتاءين والتميز الانقطاع والانفصال بين المتشابهات والغيظ اشد الغضب
يقال يكاد فلان ينشق من غيظه اذا وصف بالافراط فى الغضب والمعنى تكاد تتفرق جهنم من شدة الغضب
عليهم اى يقرب ان يتمزق تركيبها وينفصل بعضها من بعض و بالفارسية نزديكست كه پاره پاره شود دوزخ
از شدت خشم بركافران شبه اشتعال النار بهم فى قوة تأثيرها فيهم وايصال الضرر اليهم باغتياظ المغتاظ
على غيره المبالغ فى ايصال الضرر اليه فاستعير اسم الغيظ لذلك الاشتعال استعارة تصريحية قال الامام لعل
سبب هذا المجاز ان دم القلب يغلى عند الغضب فيعظم مقداره فيزداد امتلاء العروق حتى يكاد يتمزق
قال فى المناسبات وكان حذف احدى التاءين اشارة الى انه يحصل افتراق واتصال على وجه من السرعة
لا يكاد يدرك حق الادراك وذلك كله لغضب سيدها وتأتى يوم القيامة تقاد الى المحشر بألف زمام لكل زمام
سبعون الف ملك يقودونها به وهى من شدة الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الأزمة جميعا
وتحطم اهل المحشر وتقول لأنتقمن اليوم ممن اكل رزق الله وعبد غيره فلا يردها عنهم الا النبى صلى الله عليه وسلم
يقابلها بنوره فترجع مع ان لكل ملك من القوة ما لو أمر به ان يقتلع الارض وما عليها من الجبال و يصعد بها فعل
من غير كلفة وهذا كما اطفأها فى الدنيا بنفخة كما قال عليه السلام لقد أدنيت منى النار حتى جعلت انفثها
خشية ان تغشاكم قال بعضهم تلك المهواة لشدة منافاتها بالطبع لعالم النور واصل فطرة النفس اشتد غيظها
على النفوس كما ان شدة منافرة الطباع بعضها بعضا تستلزم شدة العداوة والبغض المقتضية لشدة الغيظ يقول
الفقير تقرر من هذا البيان ودل سائر الآثار الصحيحة ايضا ان جهنم لها حياة وشعور كسائر الاحياء ولذا يصدر
منها كما يصدر منهم فلا حاجة الى ارتكاب المجاز عند اهل الله تعالى فى امثال ذلك قال جعفر الطيار رضى الله عنه
كنت مع النبى عليه السلام فى طريق فاشتد على العطش فعلمه النبى عليه السلام وكان حذاءنا جبل فقال
عليه السلام بلغ منى السلام الى هذا الجبل وقل له يسقيك ان كان فيه ماء قال فذهبت اليه وقلت السلام عليك
ايها الجبل فقال الجبل بنطق فصيح لبيك يارسول الله فعرضت القصة فقال بلغ سلامى الى رسول الله وقل
منذ سمعت قوله تعالى فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة بكيت لخوف ان اكون من الحجارة التى
هى وقود النار بحيث لم يبق فى ماء (كلما القى) الالقاء بيفكندن (فيها) اى فى جهنم (فوج) جماعة
من الكفرة بدفع الزبانية لهم الذين هم اغيظ عليهم من النار وهو استئناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال
نفسها (سألهم) اى ذلك الفوج وضمير الجمع باعتبار المعنى (خزنتها) اى خزنة النار وهى مالك واعوانه من
الزبانية بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة اى ليزدادوا العذاب الروحانى على العذاب
الجسمانى جمع خازن بمعنى الحافظ والموكل يعرف ذلك من قولهم بالفارسية خزينه دار قال فى تاج المصادر
الخزن نگاه داشتن مال وسر (ألم يأتكم) اى وقالوا لهم ايها الكفرة الفجرة ألم يأتكم فى الدنيا (نذير) اى منذر يتلو
عليكم آيات ربكم و ينذركم لقاء يومكم هذا والانذار الابلاغ ولا يكون الا فى التخويف و يعدى الى مفعولين
كما فى تاج المصادر (قالوا) اعترافا بانه تعالى قد ازاح عللهم بالكلية ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم
لم يأتوا من قدره كما تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم و اختيارهم خلاف ما اختار الله فامر به واوعد

على ضده (بلى) لايجاب نفى اتيان النذير (قدجاءنا نذير) جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة فى الاعتراف وتحسرا على فوت سعادة التصديق وتمهيدا لبيان التفريط الواقع منهم اى قال كل فوج من تلك الافواج قدجاءنا نذير اى واحد حقيقة اوحكما كانبياء بنى اسرائيل فانهم فى حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا مانزل الله عليه من آياته روى ابوهريرة رضى الله عنه عن النبى عليه السلام انه قال انا النذير والموت المغير يعنى موت غارت كننده است والساعة الموعد يعنى قيامت وعده كاهست (فكذبنا) ذلك النذير فى كونه نذيرا من جهته تعالى فان قلت هذا يقتضى ان لايدخلها الفاسق المصر لانه لم يكذب النذير قلت قددلت الادلة السمعية على تعذيب العصاة مطلقا والمراد بالفوج هنا بعض من التى فيها وهم الكفرة كما سبق (وقلنا) فى حق ماتلاه من الآيات افراطا فى التكذيب وتماديا فى النكير بسبب الاشتغال بالامور الدنيوية والاحكام الرسومية الخلقية (مانزل الله) على احد (من شئ) من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم وقال بعضهم مانزل الله من كتاب ولا رسول (ان انتم) اى ماانتم يامعشر الرسل فى ادعاء ان الله تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها (الا فى ضلال كبير) بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة فى التكذيب وتماديا فى التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما (وقالوا) ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل (لوكنا) فى الدنيا (نسمع) كلاما (اونعقل) شيأ وفيه دليل على ان العقل حجة التوحيد كالسمع وقدم السمع لانه لابد اولا من سماع ثم تعقل المسموع وقال سعدى المفتى فواد لوكنا الخ يجوز ان يكون اشارة الى قسمى الايمان التقليدى والتحقيقى اى الاستدلالى لانه يحتاج الى النظر دون التحقيق العيانى لانه يحصل بالكشف لا العقل (ماكنا) اليوم (فى اصحاب السعير) اى فى عداد اهل النار الموقدة واتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم فى تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم من السنة الرسل ولم تعقلوا معنيها حتى لاتكذبوا بها فاجابوا بذلك وفى التأويلات النجمية لوكنا نسمع باسماع قلوبنا اونعقل بعقول ارواحنا ماكنا فى اصحاب السعير ولكنا سمعنا باسماع مختومة وعقول معلولة مقفولة (فاعترفوا) اضطرارا حين لاينفعهم الاعتراف وهو اقرار عن معرفة وفى عين المعانى عرفوا انفسهم بالجرم (بذنبهم) اختيارا بصرف قواهم الى سوء الاقتراف وهو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله وقال بعضهم افرد الذنب لانه يفيد فائدة الجمع بكونه اسم جنس شامل للقليل والكثير اوار يدبه الكفر وهووان كان على انواع فهو ملة واحدة فى كونه نهاية الجرم واقتضاء الخلود الابدى فى النار (فسحقا) مصدر مؤكد لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد اى فاسحقهم الله اى ابعدهم من رحمته سحقا اى اسحاقا وابعادا بسبب ذنبهم اولفعل مرتب على ذلك الفعل اى فاسحقهم الله فسحقوا اى بعدوا سحقا اى بعدا يقال سحق الشئ مثل كرم فهو سحيق اى بعد فهو بعيد قيل هو تحقيق وقيل هو على الدعاء وهو تعليم من الله لعباده ان يدعوا عليهم به كما فى التيسير ومعناه بالفارسية پس دور كرد خداى تعالى دور كردنى ايشان را از رحمت خود قال بعضهم دعاء عليهم من الله اشعار بان المدعو عليهم مستحقون لهذا الدعاء وسيقع عليهم المدعو به من البعد والهلاك (لاصحاب السعير) اللام للبيان كما فى هيت لك والمراد الشياطين والداخلون من الكفرة وفيه اشارة الى ان الله تعالى بعد اهل الحجاب من جنة القرب وقربهم من جهنم البعد (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) اى يخافون عذابه وهو عذاب يوم القيامة ويوم الموت ويوم القبر خوفا وراء عيونهم حال كون ذلك العذاب غائبا عنهم ولم يعاينوه بعد على ان بالغيب حال من المضاف المقدر اوغائبين عنه تعالى اى عن معاينة عذابه واحكام الآخرة اوعن اعين الناس لانهم ليسوا كالمنافقين الذين اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن على انه حال من الفاعل وهو ضمير يخشون او بما خفى منهم وهو قلوبهم فالباء للاستعانة متعلقة بيخشون والالف واللام اسم موصول وكانوا يشمون من كبد ابى بكر الصديق رضى الله عنه رائحة الكبد المشوى من شدة الخوف من الله تعالى وكان عليه السلام يصلى ولصدره ازيز كازيز المرجل من البكاء والازيز الغليان وقيل صوته والمرجل قدر من نحاس (لهم مغفرة) عظيمة تأتى على جميع ذنوبهم ولما كان السرور اتمها بالاعطاء قال (واجر كبير) اى ثواب عظيم فى الآخرة فضلا منه تعالى يكون لهم بدءا من الاكرام ماينسيهم ماقاسوه فى الدنيا من شدائد الآلام وتصغر فى جنبه لذائذ الدنيا وهو الجنة

ونعيمها وكفته اندامنی ازشداید ومکاره یعنی مزده ترسند کان امان باشد ازهرچه می ترسند * لاتخافوا
مژدهٔ ترسنده است * هرکه می ترسد مبارك بنده است * خوف وخشیت خاص دانایان بود *
هرکه دانانیست کی ترسان بود * ترسکاری رستکاری آورد * هرکه درد آرد عوض درمان بود *
فلابد من العقل اولا حتى يحصل الخوف ثانيا وكان بعض الاكاسرة وكانوا اعقل الملوك رتب واحدا
يكون وراءه بالقرب منه يقول اذا اجتمعت جنوده انت عبد لايزال يكرر ذلك والملك يقول له كلما قاله نعم وهكذا
حال من يعرف مكر النفس ويخاف الله بقلبه قال مسروق ان المخافة قبل الرجاء فان الله تعالى خلق جنة ونارا
فلن تخلصوا الى الجنة حتى تمروا بالنار قال تعالى وان منكم الاواردها قال فضيل قدس سره اذا قيل لك
اتخاف الله فاسكت فانك اذا قلت لافقد جئت بامر عظيم واذا قلت نعم فالخائف لايكون على ماانت عليه
الاترى ان الله تعالى لما اتخذ ابراهيم عليه السلام خليلا القى فى قلبه الوجل حتى ان خفقان قلبه يسمع من بعيد
كما يسمع خفقان الطير فى الهواء وقيل لفضيل لم يبلغ بك الخوف الذى بلغ قال بقلة الذنوب فالخوف اسباب
واول الامر العقل السليم ثم يحصل كماله بترك العصيان وذلك ان ترك المعصية وان كان نتيجة الخوف لكن القلب
يترقى فى الرقة بترك المعصية فحينئذ خوفه فقاسى القلب لايعرف الخوف لان عقله ضعيف مغلوب يقال العقل
كالبعل والنفس كالزوجة والجسم كالبيت فاذا سلط العقل على النفس اشتغلت النفس بمصالح الجسم
كما تشتغل المرأة المقهورة بمصالح البيت فصلحت الجملة وان غلبت النفس كان سعيها فاسدا كالمرأة التى قهرت
زوجها ففسدت الجملة * مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هرساعتش قبلهٔ ديكرست * كراجامه
پاكست وسيرت پليد * در دوزخش رانبايد كليد (واسروا قولكم اواجهروا به) وپنهان سازيد سخن
خود را در شان پيغمبر عليه السلام يا آشكارا كنيد مر اورا قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى المشركين
كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء يعنى در باب حضرت پيغمبر سخنان ناشايسته كفتندى فيظهر الله رسوله
عليها فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فيخبره بماتقولون فقيل لهم اسروا ذلك اواجهروا به
فان الله يعلمه واسرار الاقوال واعلانها مستويان عنده تعالى فى تعلق علمه والامر للتهديد لاللتكليف وتقديم
السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرون من اول الامر والمبالغة فى بيان شمول علمه المحيط
بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما فى الحقيقة على السوية
فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى اولان
مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذما من شئ يجهر به الا وهو اومباديه مضمر فى القلب يتعلق به الاسرار
غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية (انه عليم بذات الصدور) مبالغ فى الاحاطة
بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة فى صدورهم بحيث لاتكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه
ماتسرونه وتجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التى فى الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها
فلا يخفى عليه سر من اسرارها قال القاشانى انه عليم بذات الصدور لكون تلك السرائر عين علمه فكيف لايعلم
ضمائرها من خلقها وسواها وجعلها مرائى اسراره ولم يقل ذوات الصدور لارادة الجنس وذات هنا تأنيث
ذى بمعنى صاحب حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه اى عليم بالمضمرات صاحبة الصدور وهى الخواطر
القائمة بالقلب من الدواعى والصوارف الموجودة فيه وجعلت صاحبة الصدور بملازمتها لها وحلولها فيها
كما يقال للبن ذو الاناء ولولد المرأة وهو جنين ذو بطنها (الايعلم) آيانداند (من خلق) اى الايعلم السر والجهر
من اوجد بحكمته جميع الاشياء التى هما من جملتها فهو انكار ونفى لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر
ومن فاعل يعلم ويجوز ان يكون منصوبا على انه مفعول يعلم والعائد محذوف اى الايعلم الله من خلقه
(وهو) اى والحال انه تعالى وحده (اللطيف) العالم بدقائق الاشياء يرى اثر النملة السوداء على الصخرة الصماء
فى الليلة الظلماء (الخبير) العالم بواطنها قال القاشانى هو المحيط ببواطن ماخلق وظواهره بل هو هو فى الحقيقة
باطنا وظاهرا الافرق الا بالوجوب والامكان والاطلاق والتقييد واحتجاب الهوية بالعندية والحقيقة بالشخصية
فان قلت ذكر الخبير بعد اللطيف تكرار قلت لاتكرار فيه فانه قال الامام الغزالى رحمه الله انما يستحق اسم
اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها ومادق منها وما لطف ثم يسلك فى ايصالها الى المستصلح على سبيل

الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الادراك تم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل الا لله تعالى والخبير هو الذي لا يعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يجرى في الملك والملكوت شئ ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبها خبيرا قال بعضهم كنا جماعة من الفقراء فاصابتنا فاقة ومجاعة فذهبنا الى ابراهيم الخواص قدس سره وقلت في نفسي اباسط الشيخ في احوالي واحوال هؤلاء الفقراء فلما وقع بصره على قال لى الحاجة التي جئتني فيها الله عليم بها ام لا فارفعها اليه فسكت ثم انصرفنا فلما وصلنا الى المنزل فتح علينا بشئ واذا علم العبد انه مطلع على سره عليم بخفى ما في صدره يكتفى من سؤاله برفع همته اليه واحضار حاجته في قلبه من غير ان ينطق بلسانه والله لطيف بعباده ومن لطفه بهم انه يوصل اليهم ما يحتاجون اليه بسهولة فمن قوته رغيف لو تفكر فيه يعلم كم عين سهرت فيه من اول الامر حتى تم وصلح للاكل من الحارث والباذر للبذر والحاصد والدآئس والمذرى والطاحن والعاجن والخابز ويتشعب من ذلك الآلات التي تتوقف عليها هذه الاعمال من الاخشاب والحجارة والحديد والحبال والدواب بحيث لا تكاد تنحصر وهكذا كل شئ ينعم به على عبده من مطعوم ومشروب وملبوس فيه مقدمات كثيرة لو احتاج العبد الى مباشرتها بنفسه لعجز عن ذلك ومن سنة الله سبحانه حفظ كل لطيفة في طى كل كثيفة كصيانة الودآئع في المواضع المجهولة الا ترى انه جعل التراب الكثيف معدن الذهب والفضة وغيرهما من الجواهر والصدف معدن الدر والذباب معدن التشهد والدود معدن الحرير وكذا جعل قلب العبد محلا ومعدنا لمعرفته ومحبته وهو مضغة لحم فالقلب خلق لهذا لا لغيره فعلى العبد ان يطهره عن لوث التعلق بما سوى الله فان الله تعالى لطف به بايجاده ذلك القلب في جوفه ووصف نفسه بانه لطيف خبير مطلع على ما في الباطن فاذا كان هو المنظر الالهى وجب تخليته عن الافكار والاغيار وتحليته بانواع المعارف والعلوم والاسرار وتجليته بتجلى الله الملك العزيز الغفار بوجوه اسمائه وصفاته بل بعين ذاته نسأل الله تعالى نواله وان يرينا جماله (هو) وحده (الذى جعل لكم) اى لمنافعكم (الارض) اختلفوا في مبلغ الارض وكميتها فروى عن مكحول انه قال ما بين اقصى الدنيا الى ادناها مسيرة خمسمائة سنة مائتان من ذلك في البحر ومائتان ليس يسكنها احد وثمانون فيها يأجوج ومأجوج وعشرون فيها سائر الخلق وعن قتادة انه قال الدنيا اى بسيطها من حيث يحيط بها البحر المحيط اربعة وعشرون الف فرسخ فملك السودان منها اثناعشر الف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ وملك العرب الف فرسخ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال ربع من لا يلبس الثياب من السودان اكثر من جميع الناس وقد خرج بطليموس مقدار قطر الارض واستدارتها في المجسطى بالتقريب وهو كتاب له يذكر فيه القواعد التي يتوسل بها في اثبات الاوضاع الفلكية والارضية بادلتها التفصيلية قال استدارة الارض مائة الف وثمانون الف اسطار بوس وهي اربعة وعشرون الف ميل فتكون على هذا الحكم ثمانية آلاف فرسخ والفرسخ ثلاثة اميال والميل ثلاثة آلاف ذراع بالمكى والذراع ثلاثة اشبار وكل شبر اثنا عشرة اصبعا والاصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها الى بعض وعرض الشعيرة الواحدة ست شعرات من شعر بغل والاسطار بوس اربعمائة الف ذراع قال وغلظ الارض وهو قطرها سبعة آلاف وستمائة وثلاثون ميلا يكون الفين وخمسمائة فرسخ وخمسة واربعين فرسخا وثلثى فرسخ قال فبسيط الارض كلها مائة واثنان وثلاثون الف الف وستمائة الف ميل فيكون مائتى الف وثمانية آلاف فرسخ قال صاحب الخريدة فان كان ذلك حقا فهو وحى من الحق او الهام وان كان قياسا واستدلالا فهو قريب ايضا من الحق واما قول قتادة ومكحول فلا يوجب العلم اليقيني الذي يقطع على الغيب به انتهى (ذلولا) اى لينة منقادة غاية الانقياد لما تفهمه صيغة المبالغة يسهل عليكم السلوك فيها لتتوصلوا الى ما ينفعكم وبالفارسية نرم ومنقادتا آسان باشد سير شمابران ولو جعلها صخرة خشنة لعسر المشى عليها وجعلها لينة منبتة يمكن فيها حفر الآبار وشق العيون والانهار وبناء الابنية وزرع الحبوب وغرس الاشجار ولو كانت صخرة صلبة لتعذر ذلك ولكانت حارة في الصيف جدا وباردة في الشتاء فلا تكون كفاتا للاحياء والاموات وايضا ثبتها بالجبال الراسيات كيلا تمايل وتنقلب باهلها ولو كانت مضطربة متمايلة لما كانت منقادة لنا فكانت على صورة الانسان الكامل في سكوتها وسكونها وكانت هي وحقائقها في مقابلة القلم الاعلى والملائكة

المهينة والحاصل ان الله تعالى جعل الارض بحيث ينتفع بها وقسمها الى سهول وجبال و برارى و بحار وانهار وعيون وملح وعذب وزرع وشجر وتراب وحجر ورمال ومدر وذات سباع وحيات وفارغة وغير ذلك بحكمته وقدرته قال سهل قدس سره خلق الله الانفس ذلولا فمن اذلها بمخالفتها فقد نجاها من الفتن والبلاء والمحن ومن لم يذلها واتبعها اذلته نفسه واهلكته يقال دابة ذلول بينة الذل اوهو بالكسر اللين والانقياد وهو ضد الصعوبة فالذلول من كل شئ المنقاد الذى يذل لك و بالضم الهوان ضد العز قال الراغب الذل ما كان عن قهر يقال ذل يذل ذلا والذل ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر يقال ذل يذل ذلا وجعلهما البيهقى فى تاج المصادر من الباب الثانى حيث قال فى ذلك الكتاب والباب الذل خور شدن والذل رام شدن وكذا فى مختار الصحاح وجعل صاحب القاموس الذل ضد الصعوبة بالضم والكسر الذل بمعنى الهوان بالضم فقط والذلول فعول بمعنى الفاعل ولذا عرى عن علامة التأنيث مع ان الارض مؤنث سماعى (فامشوا فى مناكبها) الفاء لترتيب الامر على الجعل المذكور وهو امر اباحة عند بعض اى فاسلكوا فى جوانبها وخبر فى صورة الامر عند آخرين اى تمشون فى اطرافها من حيث ان منكبى الرجل جانباه فشبه الجوانب بالمناكب واذا مشوا وساروا فى جوانبها واطرافها فقد احاطوا بها وحصل لهم الانتفاع بجميع ما فيها قال الراغب المنكب مجتمع ما بين العضد والكتف ومنه استعير للارض فى قوله فامشوا فى مناكبها كاستعارة الظهر لها فى قوله ما ترك على ظهرها انتهى اوفى جبالها وشبهت بالمناكب من حيث الارتفاع وكان لبشر بن كعب سرية فقال لها ان اخبرتنى ما مناكب الارض فانت حرة فقالت مناكبها جبالها فصارت حرة فاراد ان يتزوجها فسأل ابا الدرداء رضى الله عنه فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وهو مثل لفظ التذليل ومجاوزته الغاية اى تذليل البعير لا مطلقا كما فى حواشى سعدى المفتى فان منكب البعير ارق اعضائه وانباها عن ان يطأها الراكب بقدمه فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يتأتى المشى فى مناكبها لم يبق منها شئ لم يتذلل فخرج الجواب عن وجه تخصيص المشى فى الجبال على تقدير ان يراد بالمناكب الجبال لكن من الجبال ما يتعذر سلوكها كجبل السد بيننا و بين يأجوج ومأجوج ورد فى الحديث انه تزالق عليه الارجل ولا تثبت ومنها ما يشق سلوكها وانما لم تعتبر لندرتها وقلتها وفى التأويلات النجمية هو الذى جعل لكم ارض البشرية ذلولا منقادة فخذوا من ارضها بقدر الحاجة من اعاليها واسافلها من اللذات الجسمانية المباحة لكم بحكم الشرع لتقوية ابدانكم وتهيئة اسباب طاعاتكم وعباداتكم لئلا تضعف بالكلية وتكل عن العبادة (وكلوا من رزقه) والتمسوا من نعم الله تعالى فيها من الحبوب والفواكه ونحوها والامر ان كان امر اباحة فالرزق ما يكون حلالا وان كان خبرا فى صورة الامر بمعنى تأكلون فيجوز ان يكون شاملا للحرام ايضا فانه من رزقه ايضا وان كان التناول منه حراما (واليه) اى الى الله وحده (النشور) اى المرجع بعد البعث فبالغوا فى شكر نعمه يقال نشر الله الميت نشرا احياه بعد موته ونشر الميت بنفسه نشورا فهو يتعدى ولا يتعدى كرجع رجعا ورجع بنفسه رجوعا الا ان الميت لا يحيى بنفسه بدون احياء الله اذ هو محال (ءامنتم) آيا ايمن شديد اى مكذبان وهو استفهام توبيخ فالهمزة الاولى استفهامية والثانية من نفس الكلمة (من) موصولة (فى السماء) اى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تأويل من فى السماء امره وقضاؤه وهو كقوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض وحقيقته ءامنتم خالق السماء ومالكها قال فى الاسئلة خص السماء بالذكر ليعلم ان الاصنام التى فى الارض ليست بآلهة لا لانه تعالى فى جهة من الجهات لان ذلك من صفات الاجسام واراد انه فوق السماء والارض فوقية القدرة والسلطنة لا فوقية الجهة انتهى على انه لا يلزم من الايمان بالفوقية الجهة فقد ثبت فانظر ما ذا ترى وكن مع اهل السنة من الورى كما فى الكبريت الاحمر للامام الشعرانى قدس سره واما رفع الايدى الى السماء فى الدعاء فلكونها محل البركات وقبلة الدعاء كما ان الكعبة قبلة الصلاة وجناب الله تعالى قبلة القلب ويجوز ان تكون الظرفية باعتبار زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى فى السماء اى ءامنتم من تزعمون انه فى السماء وهو متعال عن المكان وفى فتح الرحمن هذا المحل من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ونؤمن به ولا نتعرض لمعناه ونكل العلم فيه الى الله قوله من فى السماء فى موضع النصب على انه مفعول امنتم (ان يخسف بكم الارض) بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون فى مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة

اى يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من اى امنتم من فى السماء خسفه والباء للملابسة والخسف بزمين فرو بردن والخسف بزمين فرو شدن والمشهوران الباء فى مثل هذا الموضع التعدية اى يدخلكم و يذهبكم فيها و بالفارسية فرو برد شمارا بزمين قال الجوهرى خسف المكان يخسف خسوفا ذهب فى الارض وخسف الله به الارض خسفا غاب به فيها وفى القاموس ايضا خسف الله بفلان الارض غيبه فيها (فاذا هى) پس آنگاه زمين پس ازفرو بردن شمابوى (تمور) قال فى القاموس المور الاضطراب والجريان على وجه الارض والتحرك اى تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ماكانت عليه من الذل والاطمئنان وقال بعضهم فاذا الارض تدور بكم الى الارض السفلى و بعضهم تنكشف تارة للخوض فيها وتلتئم اخرى للتعذيب بها (ام امنتم) بل أامنتم شديد وهو انتقال الى التهديد بوجه اخر (من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا) اى حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل اى ام امنتم من فى السماء ارساله على ان قوله ان يرسل بدل من من ايضا والمعنى هل جعل لكم من هذين امان واذلا امان لكم منهما فما معنى تماديكم فى شركم (فستعلمون) عن قريب البتة (كيف نذير) اى انذارى عند مشاهدتكم للمنذر به اهو واقع ام لا اشديدام ضعيف يعنى حين حققتم المنذر به تعلمون انه لاخلف لخبرى وان عذابى لشديد وانه لادافع عنه ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ فالنذير وكذا النكير الاتى مصدران بمعنى الانذار والانكار واصلهما نذيرى ونكيرى بياء الاضافة فحذفت اكتفاء بكسر ماقبلها قال فى برهان القرآن خوفهم بالخسف اولا لكونهم على الارض وانها اقرب اليهم من السماء ثم بالحاصب من السماء فلذلك جاء ثانيا يقول الفقير اشارت الآية الاولى على ماالهمت فى جوف الليل الى ان الاستتار تحت اللحاف وعدم النهوض الى الصلاة والمناجاة وقت السحر عقوبة من الله تعالى على اهل الغفلة كالخسف ولذا الماقام بعض العارفين متهجدا فاخذه البرد وبكى من العرى قيل له من قبل الله تعالى اقمناك وانمناهم فتبكى علينا يعنى ان اقامتك وانامة الغافلين نعمة لك ونقمة لهم فاشكر عليها ولا تجزع من العرى فان بلاء العرى اهون من بلاء الغفلة واشارت الآية الثانية الى نزول المطر الشديد من السماء فانه ربما يمنع المتهجد عن القيام والاشتغال بالوضوء والطهارة فيكون غضبا فى صورة الرحمة فعلى العاقل ان لايضيع الوقت و يغتنم الفراغ قبل الشغل ايقظنا الله واياكم (ولقد كذب الذين من قبلهم) اى من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم (فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم بانزال العذاب اى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا مورد التأكيد القسمى لا لتكذيبهم فقط وانكار الله تعالى على عبده ان يفعل به امرا صعبا وفعلا هائلا لايعرف وفى الآية تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لقومه (اولم يروا) اى اغفلوا ولم ينظروا (الى الطير) فالرؤية بصرية لانها تعدى بالى واما القلبية فتعديتها بفى والطير يطلق على جنس الطائر وهو كل ذى جناح يسبح فى الهواء اما لكون جمعه فى الاصل كركب وراكب اومصدره جعل اسما لجنسه فباعتبار تكثره فى المعنى وصف بصافات وفى المفردات انه جمع طائر (فوقهم) يجوزان يكون ظرفا ليروا وان يكون حالا من الطير اى كائنات فوقهم (صافات) حال من الطير والصف ان يجعل الشئ على خط مستو كالناس والاشجار ونحو ذلك ومفعول صافات وكذا يقبضن انما هو اجنحة الطير لا انفسها والمعنى باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا وقوادم الطير مقاديم ريشه وهى عشر فى كل جناح الواحدة قادمة (و يقبضن) و يضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر فى ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات فان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء فكما ان الاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها فكذا الاصل فى الطيران صف الاجنحة و بسطها والقبض انما يكون تارة بعد تارة للاستظهار المذكور كما فى السابح قال ابن الشيخ ويقبضن عطف على صافات لانه بمعنى وقابضات والا لما عطف الفعل على الاسم (ما يمسكهن) فى الجو وما يأخذهن عن السقوط عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الجسمانى فانه يقتضى الهبوط الى السفل (الا الرحمن) الواسع رحمته كل شئ بان برأهن على اشكال وخصائص وهيأهن للجرى فى الهواء (انه بكل شئ بصير) يعلم ابداع المبدعات وتدبير العجائب والبصير هو الذى يشاهد و يرى حتى لايعزب عنه ماتحت الثرى وهو فى حقه تعالى عبارة عن الوصف الذى به ينكشف كمال

نعوت المبصرات فالبصر صفة زائدة على علمه تعالى خلافا للقدرية فمن عرف هذه الصفة كان المراد به دوام المراقبة ومطالبة النفس بدقيق المحاسبة والمراقبة احدى ثمرات الايمان (حكى) ان بعض الملوك كان له عبد يقبل عليه اكثر مما يقبل على امثاله ولم يكن احسن منهم صورة ولا اكثر منهم قيمة فكانوا يتعجبون من ذلك فركب الملك يوما الى الصحراء ومعه اصحابه وعبيده فنظر الى جبل بعيد عليه قطعة ثلج نظرة واحدة ثم اطرق فركض ذلك العبد فرسه من غير ان ينظر الملك اليه ولا اشار بشئ من ذلك ولم تعلم الجماعة لاى شئ ركض فرسه فالبث الا ساعة حتى عاد ومعه شئ من الثلج فقيل له بم عرفت ان الملك اراد الثلج فقال لانه نظر اليه ونظر الملوك الى شئ لا يكون عبثا فقال الملك لهذا اقربه واقدمه عليكم فانكم مشغولون بانفسكم وهو مشغول بمراقبة احوالى وفى التأويلات النجمية يشير الى طيران الارواح العلوية المخلوقة قبل الاجساد بالفى عام الباسطات الاجنحة الروحانية القابضات القوادم الجسمانية من العوالم الهيولانية ما يمسكهن الا الرحمن المشتمل على الاسم الحفيظ وبه يمسكها فى جو السماء القدرة انه بكل شئ بصير بعلم كيف يخلق الاشياء الغريبة وكيف يدبر الامور العجيبة (امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) اصله ام من على ان ام منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد فى ذلك والاستفهام متوجه الى تعيين الناظر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه ولا سبيل هنا الى تقدير الهمزة مع بل لان ما بعدها من الاستفهامية ولا يدخل الاستفهام على الاستفهام ومن مبتدأ وهذا خبر والموصول مع صلته صفته وايثار هذا لتحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه والجند جمع معد للحرب والمعنى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم وعسكر وعون من آلهتكم وغيرها ينصركم عند نزول العذاب والآفات متجاوزا نصر الرحمن فمن دون الرحمن حال من فاعل ينصركم ودون بمعنى غير او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى على انه نعت لمصدره او ينصركم من عذاب كائن من عند الله على انه متعلق بينصركم وقد يجعل من موصولة مبتدأ وهذا مبتدأ ثانيا والموصول مع صلته خبره والجملة صلة من بتقدير القول وينصركم خبره وام منقطعة او متصلة والقرينة محذوفة بدلالة السياق على ان يكون المعنى الله الذى له هذه الاوصاف الكاملة والقدرة الشاملة ينصركم وينجيكم من الخسف والحصب ان اصابكم ام الذى يشار اليه ويقال فى حقه هذا الذى تزعمون انه جند لكم ينصركم من دون الله وايثار الرحمن للدلالة على ان رحمة الله هى المنجية من غضبه لا غير قال القاشانى اى من يشار اليه ممن يستعان به من الاغيار حتى الجوارح والآلات والقوى وكل ما ينسب اليه التأثير والمعونة من الوسائط فيقال هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن فيرسل ما امسك من النعم الباطنة والظاهرة او يمسك ما ارسل من النعم المعنوية والصورية او يحصل لكم ما منع ولم يقدر لكم او يمنع ما اصابكم به وقدر عليكم (ان الكافرون الا فى غرور) ان نافية بمعنى ما اى ماهم فى زعمهم انهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط او ان آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا فى غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم فى ذلك شئ يعتد به فى الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم الاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار فى موضع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به (امن هذا الذى يرزقكم) يعطيكم الرزق (ان امسك) الرحمن وحبس (رزقه) بامساك المطر ومباديه ولو كان الرزق موجودا او كثيرا وسهل التناول فوضع الاكلة فى فمه فامسك الله عنه قوة الابتلاع عجز اهل السموات والارض عن ان يسوغوه تلك اللقمة واعرابه كاعراب ما سبق والمعنى على تقدير كون من موصولة الله الرازق ذو القوة المتين يرزقكم ام الذى يقال فى حقه هذا الحقير المهين الذى تدعون انه يرزقكم قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون عن الايمان ويعاندون الرسول عليه السلام معتمدين على شيئين احدهما اعتمادهم بمالهم وعددهم والثانى اعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل الله عليهم الاول بقوله امن هذا الذى هو جند لكم الخ ورد عليهم الثانى بقوله امن هذا الذى يرزقكم الخ (بل لجوا فى عتو ونفور) منبئ عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل اثر التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا فى عتو اى عناد واستكبار وطغيان ونفور اى شراد عن الحق وتباعد واعراض لمضادتهم الحق بالباطل الذى اقاموا عليه فاللجاج التمادى فى العناد

فى تعاطى الفعل المزجور عنه والعتو التجاوز عن الحد والنفور الفرار ففيه تحقير لهم واشارة الى انهم (حمر مستنفرة فرت قسورة) يعنى كوييا ايشان خران وحشى اند ميد كان كه كريخته باشند ازشير يا ازصياد ياريسمان دام يامردم تيرانداز ياآوازهاء مختلف * كسى راكه پندا ردر سر بود * مپندار هرگز كه حق بشنود (افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى) الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما والفاء لترتيب ذلك على ماظهر من سوء حالهم وتقديم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشى مكبا والمكب الساقط على وجهه وحقيقته صار ذاكب ودخل فى الكب وكبه قلبه وصرعه يعنى اسقطه على وجهه ولايقال اكبه فان اكب لازم وعند صاحب القاموس لازم ومتعد ومكبا حال من فاعل يمشى والمعنى فمن يمشى وهو يعثر فى كل ساعة ويخر على وجهه فى كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اشد هداية ورشدا الى المقصد الذى يؤمه قال فى المناسبات لم يسم سبحانه لمشيانه طريقا لانه لايستحق ذلك ولما كان ربما صادف السهل لاعن بصيرة بل عن اتفاق قال اهدى (امن) اى اهو اهدى ام من (يمشى سويا) اى قائما سالما من الخبط والعثار (على صراط مستقيم) مستوى الاجزاء لاعوج فيه ولاانحراف وقيل المكب كناية عن الاعمى لانه لايهتدى الى الطريق فيتعسف يعنى بى راه ميرود * فيلزمه ان يكب على وجهه بخلاف البصير السوى * فرقست ميان آنكه ازروى يقين * باديدۀ بينا رود اندره دين * باآنكه دو چشم بسته بى دست كسى * هر گوشه همى رود بظن وتخمين * وقال قتادة هو الكافر اكب على معاصى الله فى الدنيا فحشره الله على وجهه الى النار فى العقبى والمؤمن استقام على امر الله فى الدنيا فحشره الله على قدميه الى الجنة فى الآخرة وقيل للنبى عليه السلام وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وفيه اشارة الى ان الله تعالى يظهر للانسان يوم القيامة ماابطن اليوم خيرا اوشرا * سيرتى كاندر وجودت غالبست * هم بران تصوير حشرت واجبست * قال القاشانى افمن يمشى متكسا بالتوجه الى الجهة السفلية والمحبة للملاذ الحسية والانجذاب الى الامور الطبيعية أهدى امن يمشى مستويا منتصبا على صراط التوحيد الموصوف بالاستقامة التامة التى لاتوصف فالجاهل المحجوب الطالب للدنيا المعرض عن المولى الاعمى عن طريق الحق مكبوب على وجه الجبلة بواسطة ظلمة الغفلة والعارف المحقق التارك للدنيا المقبل على المولى المبصر البصير لطريق الحق ماش سويا بالظاهر والباطن على طريق التوحيد الذى لافيه امت ولاعوج (قل) يا افضل الخلق (هو) تعالى وحده (الذى انشأكم) ايها الكفار كما دل عليه السباق والسياق ويندرج فيه الانسان الغافل ايضا اى انشأكم انشاء بديعا قابلا لجمع جميع الحقائق الالهية والكيانية وابتدأ خلقكم على احسن خلق بأن صوركم فأحسن صوركم (وجعل لكم السمع) واعطى لكم الاذن لتسمعوا آيات الله وتعملوا بموجبها بل لتسمعوا الخطابات الغيبية من السنة الموجودات بأسرها فانها كلها تنطق نطق الانسان كما قال الله تعالى وان من شئ الايسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم قيل لبرزجهر من اكمل الناس قال من لم يجعل سمعه غرضا للفحشاء وقدم السمع لانه شرط النبوة ولذلك مابعث الله رسولا اصم ولان فوائد السمع اقوى بالنسبة الى العوام وان كانت فوائد البصر اعلى بالنسبة الى الخواص ولان السمع مرتبة الخطاب عند انفتاح باب القلب والبصر مرتبة الرؤية ولاشك ان مرتبة الخطاب اقدم بالنسبة الى مرتبة الرؤية لان مرتبة الرؤية هى مرتبة التجلى فهى نهاية الامر الاترى انه عليه السلام سمع قبل النبوة صوت اسرافيل ولم يرشخصه واما بعدها فقد رأى جميع الملائكة وأمامهم ليلة المعراج عند السدرة بل ورأى الله تعالى بلاكيف فترقى من مرتبة الخطاب التى هى مرتبة الوحى الى مرتبة التجلى التى هى مرتبة الموحى (والابصار) لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله تعالى ولتبصروا جميع مظاهره تعالى فى غاية الكمال ونهاية الاتقان (والافئدة) لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا فى معارج الايمان والطاعة بل لتقبلوا بها الواردات القلبية والالهامات الغيبية قال فى القاموس الفؤد التحرق والتوقد ومنه الفؤاد للقلب مذكر والجمع افئدة انتهى وخص هذه الثلاثة بالذكر لان العلوم والمعارف بها تحصل كما فى كشف الاسرار ولان القلب كالحوض حيث ينصب اليه ماحصل من طريق السمع والبصر (قليلا ماتشكرون) اى باستعمالها فيما خلقت لاجله من

الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف ومامزيدة لتأكيد القلة اى شكرا قليلا اوزمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قال سعدى المفتى القلة بمعنى النفى ان كان الخطاب للكفرة او بمعناها المعروف ان كان للكل يقال قلما فعل كذا اى لافعله قال بعض العارفين

لوعشت الف عام * فى سجدة لربى * شكر الفضل يوم * لم اقض بالتمام
والعام الف شهر * والشهر الف يوم * واليوم الف حين * والحين الف عام

قال بعضهم من وظائف السمع فى الشكر التعلم من العلماء والحكماء والاصغاء الى الموعظة ونصح العقلاء والتقليد لاهل الحق والصواب ورد اقوال اهل البدعة والهوى ومن وظائف الابصار فيه النظر الى المصاحف وكتب الدين ومعابد المؤمنين ومسالك المسلمين والى وجوه العلماء والصالحين والفقراء والمساكين بعين الرحمة والنفات المحسنين الى المصنوعات ونظر اصحاب اليقين وارباب الشوق والذوق والحنين الى غير ذلك مما فيه خير * زبان آمدازبهر شكر وسپاس * بغيبت نكر داندش حق شناس * كذر كاه قرآن و پند ست كوش * به بهتان وباطل شنيدن مكوش * دوچشم از پى صنع بارى نكوست * زعيب برادر فرو كيرودوست * بهايم خموشند وكويا بشر * پرا كنده كوى از بهايم بتر * بنطق است وعقل آدمى زاده فاش * چو طوطى سخن كوى ونادان مباش * بيد كفتن خلق چون دم زدى * اكر راست كويى سخن هم بدى * ترا آنكه چشم ودهان دادو كوش * اكر عاقلى درخلافش مكوش * مكن كردن از شكر منعم مپيچ * كه روز پسين سر برآرى بهيچ * ومن وظائف الافئدة الفكر فى جلال الله وكماله وجماله ونواله والخوف والرجاء منه والمحبة له والاشتياق الى لقائه والمحبة لانبيائه واوليائه والبغض لاعدائه والنظر فى المسائل والدلائل والاهتمام فى حوائج العيال ونحو ذلك مما فيه فائدة * صيقلى كن دلت بنور جمال * تاكه حاصل شودجميع كمال (قل) ياأكمل الخلق (هوالذى ذرأكم فى الارض) اى خلقكم وكثركم فيها لاغيره من الذرء وهو بالفارسية آفريدن قال فى القاموس ذرأ كجعل خلق والشئ كثره ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين (واليه) تعالى لاالى غيره اشتراكا او استقلالا (تحشرون) حشرا جسمانيا اى تجمعون وتبعثون للحساب والجزاء شيأ فشيأ الى البرزخ دفعة واحدة يوم البعث فابنوا اموركم على ذلك ختم الآية بقوله واليه تحشرون فبين ان جميع الدلائل المذكورة انما كان لاثبات هذا المطلوب (ويقولون) من فرط عنادهم واستكبارهم او بطريق الاستهزاء كما دل عليه هذا فى قوله (متى هذا الوعد) اى الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون فالوعد بمعنى الموعود والمشار اليه الحشر وقيل ماخوفوا به من الخسف والحاصب واختيار لفظ المستقبل اما لان المقصود بيان مايوجد من الكفار من هذا القول فى المستقبل واما لان المعنى وكانوا يقولون (ان كنتم صادقين) يخاطبون به النبى والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام فى الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف اى ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيئ الساعة والحشر فبينوا وقته (قل) يااعلم الخلق (انما العلم) بوقته (عندالله) الذى قدر الاشياء ودبر الامور لايطلع عليه غيره (وانما انا نذير مبين) مخوف ظاهر بلغة تعرفونها او مظهر الحق كاشف عن الواقع انذركم وقوع الموعود لامحالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه اخفى الله علمه فى عباده وعن عباده وكل يتبع امره على جهة الاشتباه لايعلم ماسبق له و بما ذايختم له وذلك قوله تعالى قل انما الخ (فلما رأوه) الفاء فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه قيل وقد أتاهم الموعود فرأوه اى رؤية بصرية فلما رأوه ونزل الامر الغير الواقع منزلة الواقع لتحققه (زلفة) حال من مفعول رأوا لان رأى من رؤية البصر كما اشير اليه آنفا اما بتقدير المضاف اى ذا زلفة وقرب اوعلى انه مصدر بمعنى الفاعل اى مزدلفا وقرب الحشر هو قرب ماعدلهم فيه (سيئت) بد كرد دوزشت شود (وجوه الذين كفروا) بان غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة وخص الوجوه بالذكر لان الوجه هوالذى يظهر عليه اثر المسرة والمساءة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به واصل الكلام ساءت رؤية الموعود وجوههم فكانت كوجه من يقاد الى القتل او يعرض على بعض العذاب والسياءة من ساءه الشئ يسوءه سوأ ومساءة نقيض سره كما فى تاج المصادر السوء غمكين كردن ثم بنى للمفعول وفى القاموس ساءه فعل به مايكره فيكون متعديا ويجوز ان يكون لازما بمعنى قبح ومنه ساء مثلا

وسيئ اذا قبح قال بعض المفسرين واهل اللغة ومنه الآية فالفعل في الحقيقة مسند الى اصحاب الوجوه بمعنى ساؤا وقبحوا قال بعضهم ان المحجوبين مع اعترافهم بالابداء منكرون للاعادة فلاجرم بسوء وجوههم رؤية ما ينكرونه وتداوها الكآبة ويأتيهم من العذاب الاليم مالا يدخل تحت الوصف (وقيل) توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم بالنار الروحانية قبل الاحراق بالنار الجسمانية والقائلون الزبانية وايراد المجهول لكون المراد بيان المقول لابيان القائل (هذا) مبتدأ اشير به الى مارأوه زلفة وخبره قوله (الذى كنتم به تدعون) اى تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه تفتعلون من الدعاء والباء على هذا صلة الفعل يقال دعا بكذا اذا استدعاه وقيل هو من الدعوى اى كنتم بسبب ذكر النبي عليه السلام والمؤمنين العذاب لكم يوم القيامة تدعون ان لابعث ولاحشر ولاعذاب فالباء للسببية ويجوز ان تكون للملابسة وعن بعض الزهاد انه تلاها في اول الليلة في صلاته فبقى يكررها وهو يبكى الى ان نودى لصلاة الفجر هذه معاملة العارفين بجلال الله مع الله عند ملاحظة جبروته وقهره (قل) ياخير الخلق (ارأيتم) اى اخبرونى خبرا انتم في الوثوق به على ما هو كالرؤية قال بعضهم لماكانت الرؤية سببا للاخبار عبر بها عنه وقال بعضهم لماكان الاخبار قويا بالرؤية شاع ارأيت في معنى اخبر (ان اهلكنى الله) اى اماتنى والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك ويتربصون به ريب المنون ويقولون ان امر محمد لايتم ولايبقى بل يزول عن قريب (ومن معى) من المؤمنين وحصل مقصودكم (اورحمنا) بتأخير آجالنا وحصل مقصودنا فنحن في جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك فننقلب الى الجنة اورحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فانتم ماتصنعون واى راحة لكم في موتنا واى منفعة وغايتكم الى العذاب كما قال تعالى (فمن) بس كيست آنكه او (يجير) ينجى ويخلص قال في تهذيب المصادر الاجارة زنهار دادن وفي القاموس اجاره انقذه واعاذه (الكافرين من عذاب اليم) مؤلم شديد الايلام اى لاينجيكم منه احد اذا نزل بكم سواء متنا او بقينا انما النجاة بالايمان والعمل الصالح ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفى الانجاء به وقال بعضهم كيف قال ان اهلكنى الله الخ بعد ان علم انه تعالى لايهلك الانبياء والمؤمنين قلت فيه مبالغة في التخويف كأنه قيل نحن معاشر الانبياء والمؤمنين نخاف الله ان يأخذنا بذنوبنا فمن يمنعكم من عذابه وانتم كافرون وكيف لاتخافون وانتم بهذه المثابة من الاجرام فيكون معنى اهلكنا عذبنا بعذاب ومعنى رحمنا غفر لنا كما في الجلالين (قل) ياشفق الخلق (هو الرحمن) اى الذى ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها وموصلها (آمنابه) وحده لما علمنا ان كل ماسواه فاما نعمة اومنعم عليه ولم نكفر به كما كفرتم على ان يكون وقوع آمنا مقدما على به تعريضا للكفار حيث ورد عقيب ذكرهم (وعليه توكلنا) فوضنا امورنا لاعلى غيره اصلا كما فعلتم انتم حيث توكلتم على رجالكم واموالكم لعلمنا بان ماعداه كائنا ماكان بمعزل من النفع والضر فوقوع عليه مقدما يدل على الاختصاص (فستعلمون) ياكفار مكة عن قريب البتة عند معاينة العذاب (من) استفهامية اوموصولة (هو في ضلال مبين) منا ومنكم اى خطأ ظاهر (وفى التأويلات النجمية) وعلى فيضه الاتم واطفه الاعم توكلنا بكليتنا لاعلى غيره فستعلمون من هو في ضلال مبين اى من توجه اليه بالاستفاضة منه اومن اعرض عنه بالانكار له (قل) ياكرم الخلق (ارأيتم) اى اخبرونى (ان اصبح) اكر كردد فهو بمعنى صار (ماؤكم) وكان ماء اهل مكة من بئرين بئر زمزم وبئر ميمون الحضرمى (غورا) خبر اصبح وهو مصدر وصف به اى غائرا في الارض بالكلية ذاهبا ونازلا فيها وقيل بحيث لاتناله الدلاء ولايمكن لكم نيله بنوع حيلة كما يدل عليه الوصف بالمصدر وبالفارسية فرو رفته بزمين چنانكه دست ودلو بدان نرسد يقال غار الماء نضب والنضب فرو شدن آب درزمين وفي المفردات الغور المنهبط من الارض (فمن يأتيكم) على ضعفكم حينئذ (بماء معين) جار وبالفارسية پس كيست آنكه بيارد براى شما اب جارى من عان الماء اومعن كلاهما جرى اوظاهر للعيون سهل المأخذ يعنى تناله الايدى فهو على هذا اسم مفعول من العين بمعنى الباصرة كمبيع من البيع لعل تكرير الامر بقل لتأكيد القول وتنشيط المقول له فان قلت كيف خص ذكر النعمة بالماء من بين سائر نعمه قلت لان الماء اهون موجود واعز مفقود كما في الاسئلة المقحمة ودر آثار آمده كه بعد از تلاوت اين آيت بايد كفت كه الله رب العالمين درتفسير زاهدى رحمه الله مذكورست كه زنديق شنيد كه معلمى شاكردخود راتلقين مى كرد فمن يأتيكم بماء معين واوجواب داد كه يأتى به

المعول والمعين قال فى القاموس المعول كمنبر الحديدة تنقر بها الجبال انتهى شبانه نابينا شدها تقى وهومن يسمع صوته ولايرى شخصه آوازداد كه اينك كه آب چشمه چشم تو غائر شد بكوتا بمعول ومعين بازآرند نعوذبالله من الجراءة على الله وبيناته وترك حرمة القرآن وآياته وانه اعوقب بذهاب ماء عينيه لان الجزاء من جنس العمل وفى المثنوى * فلسفئ منطقئ مستهان * مى كذشت ازسوى مكتب آن زمان * چونكه بشنيد آيت آوازنا پسند * كفت ماآريم آبى بربلند * تا بزخم بيل وتيزئ تبر * آب را آريم ازبستى زبر * شب بخفت وديداو يك شيرمرد * زد طبانچه هر دوچشمش كوركرد * كفت هان زين چشمهٔ چشم اى شقى * باتبر نورى برآر ارصادقى * روز برجست ودو چشمش كورديد * نور فائض ازدو چشمش نابديد * وفى الحديث سورة من كتاب الله ماهى الاثلاثون آية شفعت لرجل فاخرجته يوم القيامة من النار وادخلته الجنة وهى سورة تبارك قال فى التيسير هى ثلاثون آية وثلاثمائة وثلاث وثلاثون كلمة والف وثلاثمائة واحد وعشرون حرفا وفى حديث آخر وددت ان تبارك الذى بيده الملك فى قلب كل مؤمن وكان عليه السلام لاينام حتى يقرأ سورة الملك والم تنزيل السجدة وقال على رضى الله عنه من قرأها يجيئ يوم القيامة على اجنحة الملائكة وله وجه فى الحسن كوجه يوسف عليه السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما ضرب بعض الصحابة خباءه على قبر وهو لايشعر انه قبر فاذا فيه انسان يقرأ سورة الملك فاتى النبى عليه السلام فقال يارسول الله ضربت خبائى على قبر وانا لااعلم انه قبر فاذا انسان يقرأ سورة الملك فقال عليه السلام هى المانعة اى من عذاب الله تعالى هى المنجية تنجيه من عذاب القبر وكانوا يسمونها على عهد رسول الله عليه السلام المنجية وكانت تسمى فى التوراة المانعة وفى الانجيل الواقية قال ابن مسعود رضى الله عنه يؤتى الرجل فى قبره من قبل رأسه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه كان يقرأ على رأسه سورة الملك فيؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه كان يقوم فيقرأ سورة الملك فيؤتى من قبل جوفه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه وعى سورة الملك اى حفظها واودعها فى جوفه وبطنه من قرأها فى ليلة او يوم فقد اكثر واطاب يقول الفقير سورة الملك عند اهل الحقائق هى سورة الامام الذى يلى يسار القطب وينظر الى عالم الشهادة واليه الاشارة بقوله ملك الناس فسر هذه السورة فى اولها كما ان سر يس فى آخرها وهو قوله تعالى فسبحان الذى الخ ولذا تقرأ عند المحتضر لان وقت الموت قبض الملكوت الذى هو الروح وهو بيده تعالى بقى الكلام فى قراءة الموتى فى قبورهم وهل يصلون وهل يتعلمون العلم بعد الموت فدل حديث ابن عباس رضى الله عنهما على القراءة وكذا ما اخرج السيوطى رحمه الله عن عكرمة رضى الله عنه انه قال يعطى المؤمن مصحفا يقرأ فى القبر واخرج عن سعيد بن جبير رحمه الله انه رأى بعينه ثابتا البنانى رحمه الله يصلى فى قبره حين سقطت لبنة من قبره وكانوا يسمعون القرآن كثيرا من قبره واخرج عن الحسن البصرى قدس سره انه قال بلغنى ان المؤمن اذا مات ولم يحفظ القرآن امر حفظته ان يعلموه القرءان فى قبره حتى يبعثه الله يوم القيامة مع اهله وذكر اليافعى رحمه الله ان مالك بن دينار ماتت له قبل توبته بنت لها سنتان فرأها فى المنام وهى تقول له ياأبت الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فبكى وقال يابنية وانتم تعرفون القرءان فقالت ياابت نحن اعرف به منكم فكان ذلك سبب توبته ونقل الامام الشعرانى فى كتاب الجواهر له عن بعض اهل الله انه قال من اهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همتهم من يعمل فى قبورهم بغالب اعمالهم فى الدنيا ويكتب الله لعبده ثواب ذلك العمل الى اخر البرزخ كما وقع لثابت البنانى رحمه الله فانهم وجدوا فى قبره شخصا على صورته يصلى فظنوا انه هو وانما هو مخلوق من همته وكذلك المثالات المتخيلة فى صور اهل البرازخ لاهل الدنيا فى النوم واليقظة فاذا رؤى مثال احدهم فهو اما ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولى واما مثال اقامه الله تعالى على صورته لتنفيذ ماشاء الله تعالى من حوائج الناس وغيرها فارواح الاولياء فى البرزخ مالها خروج منه ابدا واما ارواح الانبياء عليهم السلام فانها مشرفة على وجود الدنيا والآخرة انتهى * وقال السيوطى رحمه الله نقلا عن بعض المحققين ان رسول الله عليه السلام رأى ليلة المعراج موسى عليه السلام قائما يصلى فى قبره ورآه فى السماء السادسة فالروح كانت هناك فى مثال البدن ولها اتصال بالبدن بحيث يصلى فى قبره ويرد على المسلم عليه وهو فى الرفيق الاعلى ولاتنافى بين الامرين فان شأن الارواح غير شأن الابدان وقد مثل بعضهم بالشمس فى السماء وشعاعها فى الارض كالروح المحمدى يرد على من يصلى

عليه عند قبره دائما مع القطع بان روحه فى اعلى عليين وهو لاينفك عن قبره كما ورد عنه قال الامام الغزالى رحمه الله تعالى والرسول عليه السلام له الخيار فى طواف العوالم مع ارواح الصحابة رضى الله عنهم لقد رآه كثير من الاولياء وقال صدر الدين القنوى قدس سره فمن ثبتت المناسبة بينه و بين ارواح الكمل من الانبياء والاولياء الماضين اجتمع بهم متى شاء وتوجه توجها وجدانيا يقظة ومناما انتهى

(تمت سورة الملك بعونه تعالى فى غرة شعبان المبارك من شهور سنة ست عشرة ومائة والف)

(سورة ن مكية و آيها ثنتان وخمسون بالاتفاق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن) اى هذه سورة ن او بحق ن وهى هذه السورة اقسم الله بها على سبيل التأكيد فى اثبات الحكم على ماعليه عادة الخلق مع ما فيه من بيان عظم شأن المقسم به والافكما انه تعالى لايليق القسم بشأنه العالى فكذا لايصح لغيره ان يكون مقسما به والنون حرف واحد فى الكتابة وثلاثة احرف فى التلفظ وقد قال عليه السلام من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله به حسنة والحسنة بعشر امثالها لااقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف اراد عليه السلام بالحرف ماينهجى به فيرجى ان يعطى الله بلفظ ن ثلاثين حسنة لانه مشتمل فى التلفظ على نونين بينهما واو وقال بعضهم هو مفتاح اسم النور والناصر او قسم بنصرة الله المؤمنين اعتبارا بقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقال سهل قدس سره النون اسم من اسماء الله تعالى وذلك انه اذا اجتمعت اوائل هذه السور الثلاث الر وحم ون يكون الرحمن وقيل فيه انه اسم من اسماء النبى عليه السلام كما فى التكملة لعل هذا القائل اشار الى قوله عليه السلام اول ماخلق الله نورى فيكون النور اسمه عليه السلام فان قلت فيلزم التكرار لان القلم ايضا من اسمائه كما قال اول ماخلق الله القلم قلت التغاير فى العنوان بمنزلة التغاير فى الذات فسمى عليه السلام باعتبار نورانيته نورا و باعتبار انه صاحب القلم قلما كما سمى خالد بن الوليد رضى الله عنه سيف الله المسلول لكونه صاحب سيف وقال بعضهم هو لوح من نور واسم نهر فى الجنة (وفى المفردات) النون الحوت العظيم ولذا قال عكرمة فى الآية اقسم الله بالحوت الذى لطخ سهم نمرود بدمه لان نمرود لما رمى السهم نحو السماء عاد السهم مختضبا بدم سمكة فى بحر معلق فى الهواء فاكرم الله ذلك الحوت بان اقسم به واحل جنسه من غير ذكاة فانه لايحل الاميتتان السمك والجراد وفى معناهما مايستحيل من الاطعمة كدود التفاح والجبن فان الاحتراز عنهما غير ممكن فاما اذا افردت واكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ماليس له نفس سائلة ولاسبب فى تحريمه الا الاستقذار ولو لم يكن لكان لايكره وان وجد شخص لايستقذره لايلتفت الى خصوص طبعه فانه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره اكله كالوجع المخاط وشربه كره كما فى الاحياء يقال لوار يدبه معنى الحوت كانت المناسبة بين المتعاطفين كما فيما بين كم الخليفة والف باذنجانة يقول الفقير المناسبة بينهما خفية لايدركها الا اهل الحقائق وهى ان كبد الحوت غذاء اهل الجنة قبل كل شئ فيجدون بعد اكله حياة ابدية فى ابدانهم كما ان القلم يكتب به من العلوم مافيه حياة باقية لارواحهم ولذا سمى جبريل روحا لانه كان يجيئ بالوحى الذى هو سبب لحياة القلوب والارواح فيكون ن والقلم كالماء والعلم ولاشك فى ثبوت المناسبة التامة بينهما فالقياس الذى ذكره القائل باطل وقائل الباطل جاهل وقال بعضهم هو اسم الحوت الذى احتبس يونس عليه السلام فى بطنه ولذا سماه الله تعالى ذا النون وقال بعضهم هو الحوت الذى على ظهره الارض وهو فى بحر تحت الارض السفلى اسمه ليوثا او يهموت بالياء المثناة التحتانية وفى عين المعانى اوثيا او برهوت كما قال على رضى الله تعالى عنه

مالى اراكم كلكم سكوتا * والله ربى خلق البرهوتا

(روى) ان الله تعالى لما خلق الارض كانت تتكفأ كما تتكفأ السفينة اى تضطرب وتميل فبعث الله ملكا فهبط حتى دخل تحت الارض فوضعها على كاهله وهو كما حب مابين الكتفين ثم اخرج يديه احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب ثم قبض على الارضين السبع فضبطها فاستقرت فلم يكن لقدمى الملك قرار فأهبط الله ثورا من الجنة له اربعون الف قرن وار بعون الف قائمة فجعل قرار قدمى الملك على سنامه فلم تستقر قدماه على سنامه فبعث الله ياقوتة خضراء من الجنة غلظها مسيرة كذا الف عام فوضعها على سنام الثور فاستقرت عليها قدما الملك وقرون الثور خارجة من اقطار الارض مشبكة الى تحت العرش ومنخرا الثور فى ثقبين من تلك الياقوتة الخضراء تحت البحر فهو يتنفس فى اليوم نفسين فاذا تنفس مد البحر واذا رد النفس جزر البحر وهو ضد مد ولم يكن لقوائمه

قرار فخلق الله كلكاما من الرمل كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقر عليه قوائم الثور ثم لم يكن للكمكام مستقر فخلق الله حوتا يقال له برحوت فوضع الكمكام على و برالحوت والو بر الجناح الذى يكون فى وسط ظهره وذلك من موم بسلسلة من القدرة كغلظ السموات والارض مرارا وانتهى ابليس لعنه الله الى ذلك الحوت فقال له ما خلق الله خلقا اعظم منك فلم لا تزيل الدنيا عن ظهرك فهم بشئ من ذلك فسلط الله عليه بقة فى انفه فشغلته وفى رواية بعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن لها فخرجت قال كعب فوالله الذى نفسى بيده انه لينظر اليها وانها لتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت قبل وانبت الله من تلك الياقوتة جبل قاف وهو من زمردة وله رأس ووجه واسنان وانبت من جبل قاف الجبال الشواهق كما نبت الشجر من عروق الشجر وزعم وهب ان الحوت والثور يبتلعان ما ينصب من مياه الارض فى البحر فلذلك لا يؤثر فى البحر زيادة فاذا امتلأت اجوافهما من المياه قامت القيامة وزعم قوم ان الارض على الماء والماء على الصخرة والصخرة على سنام الثور والثور على كمكام من الرمل متلبدا والكمكام على ظهر الحوت والحوت على الريح العقيم والريح على حجاب من ظلمة والظلمة على الثرى وقد انتهى علم الخلائق الى الثرى ولا يعلم ماوراء ذلك احد الا الله الذى له مافى السموات ومافى الارض ومابينهما وماتحت الثرى وهذه الاخبار مما تزيد المرء بصيرة فى دينه وتعظيما لقدرة ربه وتحيرا فى عجائب خلقه فان صحت فاخلقها على الصانع القدير بعزيز وان تكن من اختراع اهل الكتاب وتنميق القصاص فكلها تمثيل وتشبيه ليس بمنكر كذا فى خريدة العجائب (وقال فى كشف الاسرار) بعض مفسران كفتند ماهيست برآب زير هفت طبقهٔ زمين ماهى از كرانى بار زمين خم درخم كرديد برمثال نون شد شكم بآب فرو برده وسر ازمشرق برآورده وذنب ازمغرب وخواست كه از كران بارى بنالد جبريل بانك بروى زد چنان بترسيد كه كران بارئ زمين فراموش كرد وتا بقيامت نيارد كه بجنبد ماهى چون بار برداشت وننا ليد رب العالمين اورا دو تشريف داد يكى آنكه بدو قسم ياد كرد محل قسم خداوند جهان كشت ديكر تشريف آنست كه كارد ازحلق او برداشت همه جانورا نرابكارد ذبح كنند واورا نكنند تا عالميان بدانند كه هركه باركشد رنج اوضايع نكنند اى جوانمرد اكر ماهى بارزمين كشيد بندهٔ مؤمن بار امانت مولى كشيد كه وحملها الانسان ماهى كه بار زمين برداشت ازكارد رعقوبت ايمن كشت چه عجب كه اكر مؤمن بار امانت بر داشت ازكارد قطيعت ايمن كردد (والقلم) هو مايكتب به والواو للقسم على التقدير الاول وللعطف على الثانى والمراد قلم اللوح كما جاء فى الخبران اول ماخلق الله القلم ونظر اليه فانشق بنصفين ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك من الآجال والاعمال والارزاق وهو القدر الذى يجب ان يؤمن بخيره وشره ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض وبعد ماخلق القلم خلق النون اى السمكة فدحا الارض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السموات واضطرب النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال وان الجبال لتفخر على الارض الى يوم القيامة وقد عرفت المناسبة بين القلم وبين النون بمعنى السمكة وفى رواية الواحدى فى الوسيط اول چيزى كه خداى تعالى بيافريد قلم بود بس نون رابيافريد وآن دواتست وقلم ازان دوات نوشت آنچه بودو هست و باشد و برين تقدير خداى تعالى قسم فرمود بدوات وبقلم اعلى كه ازنور ست كما فى تفسير الكاشفى وفى القاموس النون من حروف الزيادة والدواة والحوت انتهى وعن عباس رضى الله عنهما ان المراد بالقلم قلم الكرام الكاتبين اوجنس القلم اقسم الله بالدواة والقلم لكثرة منافعهما وعظم فوائدهما فان التفاهم بالنطق والبيان انما يكون بين الحاضرين واما بالنسبة الى من غاب وبعد من اهل عصر واحد ومن اهل الزمان الآتى فانما يكون بالكتابة كما قال بعضهم البيان اثنان بيان لسان وبيان بنان ومن فضل بيان البنان ان ما تثبته الاقلام باق على الايام وبيان اللسان تدرسه الاعوام ولولم يكن للقلم مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه ومن تعظيمه تعظيم برايته فتوضع حيث لا تطأها الاقدام والا اورثت الآلام وعن بعض الحكماء قوام امور الدين والدنيا بشيئين القلم والسيف والسيف تحت القلم لولا القلم ماقام دين ولا صلح عيش قال بعضهم

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم

كذا قضى الله للاقلام مذ برئت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وقال بعضهم

انا اقسم الابطال يوما بسيفهم * وعدوه مما يجلب المجد و الكرم

كفى قلم الكتاب فخرا ورفعة * مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم

(وما يسطرون) ما موصولة والعائد محذوف والسطر الصف من الكتابة ومن الشجر المغروس ومن القوم الوقوف وسطر فلان كذا اى كتبه سطرا سطرا وضمير الجمع لاصحاب القلم المدلول عليه بذكره والمعنى بالفارسية ود بكر سو كند ياد فرمود بآنچه اصحاب قلم از آسمانيان وزمينيان مى نو يسند از كتاب، وكلام ودر تبيان از ابن هيضم رحمه الله نقل فرمود كه نون دهنست وقلم زبان وما يسطرون آنچه حفظه بر بنده مى نو يسند حق تعالى بد ينها سو كند فر موده قال بعض العارفين النون نون الذات والقلم قلم الصفات وما يسطرون هى الافعال والشؤون الالهية يكتبونها على لوح القدرة والارادة حرفا حرفا يقول الفقير فيه اشارة الى ان نون الجمع الذاتى اى دواته وهو اصل كتاب الوجود الذى هو ام الكتاب سمى بالنون لكونه مجتمع مداد مواد نقوش العالم وان شئت قلت الى نون النقطة التى هى مرتبة الاحدية وقد كان الامام على رضى الله عنه يقول فى خطبته على رؤس الاشهاد انا نقطة باء بسم الله انا جنب الله الذى فرطتم فيه انا القلم وانا اللوح المحفوظ وانا العرش وانا الكرسى وانا السموات السبع والارضون فاذا صحا وارتفع عنه تجلى الوحدة فى اثناء الخطبة يشرع معتذرا ويقر بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت الاحكام الالهية وفى التأويلات النجمية يشير بكلمة ن الى العلم الاجمالى المندمج فى الاحدية الذاتية الجمعية وبالقلم الى العلم التفصيلى فى الوحدة الاسمائية وانما نسبنا الاجمالى الروحى الى ن والتفصيلى القلبى الى القلم لان هذه الدواة مشتملة بما فى بطنها على جميع الحروف المجردة والكلمات المركبة اشتمال النواة على الشجرة واندماج الشجرة المفصلة فى النواة المجملة فبالقلم يسطر على لوح القلب بالتفصيل كل ما هو فى ضمير الدواة بالاجمال فاذا فهمت المقصود فاعلم ان الله تعالى اقسم بعلمه الاجمالى الكائن فى الاحدية وبعلمه التفصيلى الثابت فى الواحدية وبالتحقيق اقسم باحدية ذاته المطلقة وبواحدية اسمائه الجمعية اذ العلم من حيث هو عين ذاته واقسم ايضا بكل ما سطر قلمه الكريم من دواته القديم من الحروف الالهية المجردة العلوية والكلمات الربانية المركبة السفلية انتهى كما قال بعض الكبار فى بيان حروف كتاب الوجود الظلى وكلماته وآياته وسوره ان الشؤن الغيبية حروفه العاليات والاعيان الثابتة العلمية كلماته التامات والحقائق الارواحية والمثالية آياته المتعاليات والصور الحسية العينية سوره الكاملات واما كتاب الوجود الحقيقى فحروفه المجردة الاسماء الذاتية الاحدية وكلماته الاسماء الصفاتية الواحدية وآياته الاسماء الافعالية الواحدية وسوره الاسماء الآثارية المظهرية وكل منها كتاب مبين انتهى وهكذا قال بعض الكبار القلم علم التفصيل والنون علم الاجمال وتلك الحروف التى هى مظاهر تفصيل القلم مجملة فى مداد الدواة ولا تقبل التفصيل مادامت فيها فاذا انتقل المداد منها الى القلم تفصلت الحروف به فى اللوح وتفصل العلم بها الى غاية واما علم الاجمال المعبر عنه بالنون فى الرقم نصف دائرة محسوسة ونصف دائرة معقولة تشعر نقطتها فى الوسط بكونه مرادا لتتميم الدائرة الذاتية التى هى ظرف مداد الوجود ولذلك كان من الحروف الدورية عكسه كطرده فان النصف المحسوس ظرف مداد عالم الخلق والنصف المعقول ظرف مداد عالم الامر والخط الفاصل بينهما وهو خط الف قام بين تدويرالنونين برزخ جامع وهو مستوى الصحف الالهية والكتب المتفرقة من حيطة الكتاب المحيط بالمحيطات المقول فيه ما فرطنا فى الكتاب من شئ وهو كتاب ينطوى على العلوم الجمة المنطوى عليها ايضا مداد النون وتشتمل على مائة واربع عشرة سورة كما اشتمل النون على عدد يطابقها فان النونين والواو والالف الذى انتهى اليه اسم النون مائة وثلاثة عشر وكون مسماه حرفا واحدا متمم لاربعة عشر فاعلم ذلك فانه دقيق قل ان تجده فى كلام احد انتهى وقال القاشانى ن هو النفس الكلية والقلم هو العقل الكلى والاول من باب الكناية بالاكتفاء من الكلمة باول حروفها والثانى من باب التشبيه اذ تنتقش فى النفس صور الموجودات بتأثير العقل كما تنتقش الصور فى اللوح بالقلم وما يسطرون من صور الاشياء وماهياتها واحوالها المقدرة على ما تقع عليه وفاعل ما يسطرون الكتبة من العقول المتوسطة والارواح المقدسة وان كان الكاتب فى الحقيقة هو الله تعالى لكن لما كان فى حضرة

الاسماء نسب اليهما مجازا اقسم بهما و بما يصدر عنهما من مبادى الوجود وصور التقدير الالهى ومبدأ امره وخزن غيره لشرفهما وكونهما مشتملين على كل الوجود فى اول مرتبة التأثير والتأثر ولمناسبتهما للمقسم عليه وهو قوله (ما انت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير فى خبرما وهو مجنون والعامل فيها معنى النفى والجنون حائل بين النفس والعقل وجن فلان اى اصابه الجن اواصاب جنانه اوحيل بين نفسه وعقله فجن عقله ذلك كأنه قيل انتفى عنك الجنون يا محمد وانت برئ منه ملتبسا بنعمة الله التى هى النبوة والرياسة العامة والمراد تنزيهه عليه السلام عما كانوا ينسبونه عليه السلام اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه عليه السلام فى غاية الغايات من حصافة العقل ورزانة الرأى قال ابو حيان قوله بنعمة ربك قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التأكيد والتشديد والمبالغة فى انتفاء الوصف الذميم عنه عليه السلام وذهب الى القسم ايضا حضرة الشيخ نجم الدين فى تأويلاته روى انه عليه السلام غاب عن خديجة رضى الله عنها الى حراء فلم تجده فاذاهو قدطلع ووجهه متغير بلا غبار فقالت له مالك فذكر نزول جبرائيل عليه السلام وانه قال له اقرأ باسم ربك فهو اول مانزل من القرآن قال ثم نزل بى الى قرار الارض فتوضأ وتوضأت ثم صلى و صليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فذكر عليه السلام ذلك لخديجة فذهب خديجة الى ورقة بن نوفل وهوابن عمها وكان قدخالف دين قريش ودخل فى النصرانية فسألته فقال ارسلى الى محمد فأرسلته فأتاه فقال هل امرك جبرائيل ان تدعو احدا فقال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لأنصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول عليه السلام ووقعت تلك الوقعة فى السنة كفار قريش فقالوا انه مجنون فأقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون وهو خمس آيات من اول هذه السورة قال ابن عباس رضى الله عنهما اول مانزل قوله سبح اسم ربك وهذه الآية هى الثانية وفى التأويلات النجمية ماانت بنعمة ربك بمستور عما كان من الازل وما سيكون الى الابد لان الجن هو الستر وماسمى الجن جنا الالاستتاره من الانس بل انت عالم بما كان خبير بما سيكون و يدل على احاطة علمه قوله عليه السلام فوضع كفه على كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعلمت ماكان وماسيكون قال الامام القشيرى قدس سره فى شرح الاسماء الحسنى نصرة الحق لعبده اتم من نصرة العبد لنفسه قال تعالى لنبيه عليه السلام ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ثم انظر بماذا سلاه وبأى شئ خفف عليه تحمل اثقال الاذى حيث قال فسبح بحمد ربك يعنى اذا تأذيت بسماع السوء فيك منهم فاسترح بروح ثنائك علينا ولذة التنزيه والذكر لنا فان ذلك يريحك ويشغلك عنهم ثم انه عليه السلام لماقبل هذه النصيحة وامتثل بامر ربه تولى نصرته والرد عنه فلما قيل انه مجنون اقسم على نفى ذلك بقوله ن والقلم الخ تحقيقا لتنزيهه لما اشتغل عنهم بتنزيه ربه ثم عاب الله القادح فيه بالجنون بعشر خصال ذميمة بقوله ولا تطع كل حلاف مهين الى قوله اساطير الاولين وكان رد الله عنه وذبه اتم من رده عن نفسه حيث كان من جملة القرآن باقيا على الالسنة الى يوم القيامة (وان لك) بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة (لاجرا) لثوابا عظيما (غير ممنون) مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ اى غير منقوص ولامقطوع ومنه قيل المنون للمنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد و بالفارسية مزدى بردوا مكه هر كز انقطاع بدان راه نيابد ويقال اجر النبى مثل اجر الامة قاطبة غير منقوص و يجوز ان يكون معناه غير مكدر عليك بسبب المنة لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لاالاجور على الاعمال كما فى الكشاف (وقال الكاشفى) غير ممنون منت نانهاده يعنى حق تعالى بى واسطۀ كسى كه ازومنت بايد داشت بتو عطا كرد وفيه اشارة الى ان انوار المكاشفات والمشاهدات غير مقطوعة لكونها سرمدية فلا يزال العارف يترقى فى الشهود فى جميع المواطن ولاممنونة لان الفتح والفيض انما يجئ من عند الله لامن عند غيره فالله يمن على عباده لا العباد بعضهم على بعض وقال بعضهم اجره قبول شفاعته وهى غير منقطعة عن اهل الكبائر من امته لايخيب الله رجاءه عليه السلام فى غفرانهم جميعا بلاعتاب ولاعذاب يقول الفقير الظاهر ان اجره عليه السلام هو الله تعالى لانه عوض له عما سواه ولذا جاء اللهم انت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل والله تعالى مان لاممنون والى هذا المقام يشير قول الصديق رضى الله عنه الله ورسوله اى ابقيت الله ورسوله حين ماقال عليه السلام ماابقيت لاهلك يا ابا بكر فالله تعالى

عوض عن نفس البذل من نفسه ومن ولده وماله وهو الاجر العظيم لانه العظيم (وانك لعلى خلق عظيم)
لا يدرك شأوه احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر قال بعضهم لكونك متخلقا باخلاق
الله واخلاق كلامه القديم ومتأيدا بالتأييد القدسى فلا تتأثر بافترائهم ولا تتأذى باذاهم اذ بالله تصبر لا بنفسك
لا لذل واصبر وما صبرك الا بالله ولا احد اصبر من الله وكلمة على للاستعلاء فدلت على انه عليه السلام مشتمل
على الاخلاق الحميدة ومستول على الافعال المرضية حتى صارت بمنزلة الامور الطبيعية له ولهذا قال تعالى
قل لا اسألكم عليه اجرا وما انا من المتكلفين اى لست متكلفا فيما يظهر لكم من اخلاقى لان المتكلف لا يدوم
امره طويلا بل يرجع اليه الطبع وللانسان صورة ظاهرة لها هيئة يشاهدها البصر الذى هو فى الرأس وهى
من عالم الملك وهى الشكل وصورة باطنة لها سيرة يشاهدها البصيرة التى هى فى القلب وهى من عالم الملكوت
وهى الخلق فكما ان الهيئة الظاهرة حسنا او قبحا صور باعتبار اشكالها واوضاعها والوانها فكذلك
لسيرة الباطنة حسن او قبح معنوى باعتبار شمائلها وطبائعها ومن ذلك قسموا الخلق الى المحمود والمذموم تارة
والى الحسن والقبيح اخرى وكثيرا ما يطلق ويراد به المحمود فقط لانه اللائق بان يسمى خلقا ومن هذا قوله تعالى
خلق عظيم وعليه قول الامام الرازى الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة
ونفس الاتيان بالافعال الجميلة شئ وسهولة الاتيان بها شئ آخر فالحالة التى باعتبارها تحصل تلك السهولة
الخلق وسمى خلقا لانه لرسوخه وثباته صار بمنزلة الخلقة التى جبل عليها الانسان وان احتاج فى كونه ملكة راسخة
الى اعمال وطول رياضة ومجاهدة ولذا قالوا الخلق يتبدل بالمصاحبة والمعاملة فيكون الحسن قبيحا والقبيح
حسنا على حال المصاحبين والمعاملين كما فى الحديث (المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل) وفى حديث
آخر (لا تجالسوا اهل الاهواء والبدع فان لهم عرة كعرة الجرب) ومن ذلك كانت مصاحبة الاخيار مستحسنة
مرغبا فيها ومصاحبة الاشرار مستقبحة مرهبا عنها وكذلك يتبدل بالسعى فى اسبابه ولذلك صنف اطباء الارواح
ابوابا فى علم الاخلاق لبيان ما هو صحة روحانية وما هو مرض روحانى كما الف اطباء الاشباح فصولا فى علم
الابدان لبيان سبب كل مرض وعلاجه وانما افرد الخلق ووصفه بالعظمة كما وصف القرآن بالعظيم لينبه على
ان ذلك الخلق الذى هو عليه السلام عليه جامع لمكارم الاخلاق اجتمع فيه شكر نوح وخلة ابراهيم واخلاص
موسى وصدق وعد اسمعيل وصبر يعقوب وايوب واعتذار داود وتواضع سليمان وعيسى وغيرها من اخلاق
سائر الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى فبهداهم اقتده اذ ليس هذا الهدى معرفة الله تعالى لان ذلك تقليد وهو
غير لائق بالرسول عليه السلام ولا الشرائع لان شريعته ناسخة لشرائعهم ومخالفة لها فى الفروع والمراد منه
الاقتداء بكل منهم فيما اختص به من الخلق الكريم لو كان كل منهم مختصا بخلق حسن غالب على سائر
اخلاقه فلما امر بذلك فكأنه امر بجمع جميع ما كان متفرقا فيهم فهذه درجة عالية لم تتيسر لاحد من الانبياء
عليهم السلام فلا جرم وصفه الله بكونه على خلق عظيم كما قال بعض العارفين

لكل نبى فى الانام فضيلة * وجملتها مجموعة لمحمد

ولم يتصف عليه السلام بمقتضى قوته النظرية الا بالعلم والعرفان والايقان والاحسان ولم يفعل بمقتضى قوته
العملية الا ما فيه رضى الله من فرض او واجب او مستحب ولم يصدر منه حرام او مفسد او مكروه فكان
هو الملك بل اعلى منه ويجمع هذا كله قول عائشة رضى الله عنها لما سئلت عن خلقه عليه السلام فقالت كان
خلقه القرآن ارادت به انه عليه السلام كان متحليا بما فى القرآن من مكارم الاخلاق ومحاسن الاوصاف
ومتخليا عما يزجر عنه من السيئات وسفساف الخصال وفى رواية قالت للسائل الست تقرأ القرآن قد افلح
المؤمنون يعنى اقرأ الآى العشر فى سورة المؤمنين فذلك خلقه وفيه تنبيه للسامعين على عظام اخلاقه
من الايمان الذى هو اصل الاخلاق القلبية والصلاة التى هى عماد الاخلاق البدنية والزكاة التى هى رأس
الاخلاق المالية الى آخر ما فى الآيات وفى سلسلة الذهب للمولى الجامى رحمه الله * بود هم بحر مكرمت
هم كان * كوهرش كان خلقه القرآن * وصف خلق كسى كه قرآنست * خلق را نعت او چه امكانست
* وفى التأويلات النجمية كان خلقه القرآن بل كان هو القرآن كما قال العارف بالحقائق

انا القرآن والسبع المثانى * وروح الروح لا روح الاوانى

محمد بن حكيم الترمذى قدس سره فرموده كه هيچ خلقى بزركتراز خلق حضرت محمد عليه السلام نبوده چه زمشيت خود دست بازداشت وخودراكلى باحق كذاشت وامام قشيرى قدس سره كفته كه نه ازبلا منحرف شدونه ازعطا منصرف كشت وكفته كه آن حضرت را هيچ مقصدومقصودى جزخداى تعالى نبوده كما قال الجنيد قدس سره كان على خلق عظيم لجوده بالكونين

له همم لامنتهى لكبارها ــ وهمته الصغرى اجل من الدهر

وقال الحسين النورى قدس سره كيف لايكون خلقه عظيما وقد تجلى الله لسره بانوار اخلاقه يقول الفقير كان خلقه عظيما لانه مظهر العظيم فكان خلق العظيم عظيما فافهم جدا وفى تلقيح الاذهان لحضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر اوتى عليه السلام جوامع الكلم لانه مبعوث لتتميم مكارم الاخلاق كما قال عليه السلام ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وهو عين كونه على الصراط المستقيم قال صلى الله عليه وسلم ان لله ثلاثمائة وستين خلقا من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة قال ابو بكر رضى الله عنه هل فى منها يارسول الله قال كلها فيك ياابابكر واحبها الى الله السخاء انتهى ولذلك كان احسن اخلاق المرء فى معاملته مع الحق التسليم والرضى واحسن اخلاقه فى معاملته مع الخلق العفو والسخاء وانما قال مع التوحيد لانه قدتوجد مكارم الاخلاق ولاايمان كما انه قديوجد الايمان ولااخلاق اذلو كان الايمان يعطى بذاته مكارم الاخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا وللمكارم آثار ترجع على صاحبها فى اى دار كان كما ورد فى حق ابى طالب قال بعض الكبار من اراد ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يدركه من امته فلينظر الى القرآن فانه لافرق بين النظر فيه وبين النظر الى رسول الله فكأن القرآن انتشأ صورة جسدية يقال لها محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب والقرآن كلام الله وهو صفته فكأن محمدا عليه السلام خلعت عليه صفة الحق ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقال بعضهم من اراد ان يرى رسول الله فليعمل بسنته لاسيما فى مكان اميتت السنة فيه فان حياة رسول الله بعد موته هى حياة سنته ومن احياها فكأنما احيى الناس جميعا لانه المجموع الاتم الاكمل صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لم يبق بعد بعثة رسول الله سفساف اخلاق ابدا لانه صلى الله عليه وسلم ابان لنا عن مصارف فيها كلها من حرص وحسد وشره وبخل وخوف وكل صفة مذمومة فمن اجراها على تلك المصارف عادت كلها مكارم اخلاق وزال عنها اسم الذم قال صلى الله عليه وسلم لمن ركع دون الصف زادك الله حرصا ولاتعد وقال لاحسد الا فى اثنين وقال اكثروا من ذكر الله وقال تعالى فلا تخافوهم وخافون وقال تعالى فلا تقل لهما اف وقال اف لكم وغير ذلك من الآيات والاخبار فامر الله باجتناب بعض الاخلاق الالمن يعتقد انها سفساف اخلاق وجهل معنى قوله عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فمن الناس من علم ومنهم من جهل فالكامل لايرى فى العالم الا اخلاق الله تعالى التى به وجدت وفى كشف الاسرار فى تفسير الآية عرض عليه مفاتيح الارض فلم يقبلها ورقاه ليلة المعراج واراه جميع الملائكة والجنة فلم يلتفت اليها قال الله تعالى مازاغ البصر وماطغى ما لتفت يمينا وشمالا فقال تعالى انك لعلى خلق عظيم اى جوانمرد قدران مهتر كه داند وكدام خاطر بيدايت عزاورسد صدهزارو بيست وچهارهزار نقطهٔ نبوت كه رفتند در بر درجات اوكواكب بودندو باآنكه اوغائب بودهمه نورنبوت ازو كرفتند چنانكه آفتاب اكرچه غائب باشد كواكب نورازوى كيرندليكن چون آفتاب پيدا شود كواكب درنور او پيدا شوند همچنين همه انبيا نورازو كرفتند ليكن چون محمد عليه السلام بعالم صورت درآمد ايشان هم كم شدند

كأنك شمس والملوك كواكب * اذاطلعت لم يبد منهن كوكب

وفى القصيدة البردية فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن انوارها للناس فى الظلم

ومن اخلاقه عليه السلام ماشار اليه قوله صل من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء اليك فانه عليه السلام ما امر امته بشئ قبل الائتمار به وفى الحديث (ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار) وروى عن على بن موسى الرضى عن ابيه موسى بن جعفر عن ابيه جعفر بن محمد عن ابيه محمد ابن على عن ابيه على بن الحسين عن ابيه الحسين بن على عن ابيه على بن ابى طالب رضى الله عنهم قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بحسن الخلق فان حسن الخلق فى الجنة لا محالة واياكم وسوء الخلق
فان سوء الخلق فى النار لا محالة (فستبصر ويبصرون) يقال ابصرته و بصرت به علمته وادركته فان البصر
يقال للجارحة الناظرة وللقوة القلب المدركة ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة وفى تاج المصادر الابصار ديدن
بچشم و بدل فالمعنى فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقال القاشانى فستبصر
ويبصرون عند كشف الغطاء بالموت وقال مقاتل هذا وعيد بعذاب بدر (ولذا قال الكاشفى) بدان وقت كه
عذاب نازل شود برايشان معلوم كردد كه ديوانه تومى يا ايشان وهو الاوضح ففيه وعد لرسول الله عليه السلام
بغلبة الاسلام واهله وبالانتقام من الاعداء (بأيكم المفتون) اى ايكم الذى ابتلى بفتنة الجنون فأيكم مبتدأ
والمفتون بمعنى المجنون خبره والباء مزيدة فى المبتدأ كما فى بحسبك زيد او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر
بمعنى الفتون وهو الجنون كالمجلود بمعنى الجلادة والمعقول بمعنى العقل كما فى قوله (حتى اذا لم يتركوا لعظامه
لحما ولا لفؤاده معقولا) والباء للالصاق نحو به داء او باى الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق
الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم فالباء بمعنى فى والمفتون مبتدأ مؤخر والامة داخلة
فى خطاب فستبصر بالتبعية لايختص به عليه السلام كالسوابق وهو تعريض بابى جهل بن هشام والوليد
ابن المغيرة واضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر اى اصالح عليه السلام ام قومه
(ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) تعالى المؤدى الى سعادة الدارين وهام فى تيه الضلال متوجها
الى ما يفضيه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون الذى لايفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا
فيؤثره والنفع ضرا فيهجره (وهو اعلم بالمهتدين) الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل محذور
وهم العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير
والآية اشعار بان المجنون فى الحقيقة هو العاصى لا المطيع واشارة الى الضال عن سبيل الوصول
الى حضرة المولى بسبب محبة الدنيا والميل الى شهواتها والمهتدى الى طريق التوحيد والتوحدة بنور العناية
الازلية والهداية الابدية قال بعض الكبار وهو اعلم بالمهتدين اى القابلين للتوفيق فهداة البيان هم الرسل
وهادى التوفيق هو الحق تعالى فللهادى الذى هو الله الابانة والتوفيق وليس للهادى الذى هو المخلوق
الا الابانة خاصة ومن لاعلم له بالحقائق يظن ان العبد اذا صدق فى الارشاد والوعظ اثر ذلك القبول فى نفوس
السامعين واذا لم يصدق فى ذلك لم يؤثر وهذا من الوهم الفاسد فانه لا اقرب الى الله ولا اصدق فى التبليغ
عنه ولا احب للقبول لما جاء من عند الله تعالى من الرسل لغلبة الرحمة على قلوبهم ومع ذلك فاعم القبول
فى سمعهم بل قال الرسول الصادق فى التبليغ انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا فلم يعم
القبول مع تحققنا هذه الهمة العظيمة من اكابر اولى العزم من الرسل علمنا ان الهمة مالها اثر جملة واحدة
فى المدعو وان الذى قبل من السامعين ليس هو من اثر همة الداعى الهادى الذى هو المبلغ وانما هو قوة
الاستعداد فى محل القبول من حيث ما وهبه الله تعالى فى خلقه من مزاج يقتضى له قبولا مثل هذا وامثاله
وهو المزاج الخاص الذى لايعلمه الا الله الذى خلقهم عليه وهو قوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين قال الشيخ
سعدى قدس سره * كفت عالم بكوش جان بشنو * ورنماند بگفتنش كردار * باطلست آنكه
مدعى كويد * خفته را خفته كى كند بيدار * مرد بايد كه كيرد اندر كوش * ور نوشته است
پند بر ديوار (فلا تطع المكذبين) اى اذا تبين عندك ما تقدم قدم على ما انت عليه من عدم طاعتهم
فيما يدعونك اليه من الكف عنهم ليكفوا عنك وتصلب فى ذلك امره عليه السلام بالتشدد مع قومه وقوى قلبه
بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوائل ما نزل دلت الآية على ان الاطاعة للعاصى
عصيان والاقتداء بالطاغى طغيان (ودوا لو تدهن) لو للتمنى والادهان فى الاصل مثل التدهين واشتقاقهما
من الدهن لكن جعل عبارة عن الملاينة وترك الجد قال فى تاج المصادر الادهان مداهنت كردن * والتركيب
يدل على لين وسهولة وقلة والمعنى احبوا لو تلاينهم وتسامحهم فى بعض الامور وترك الدعوة (فيدهنون)
اى فهم يدهنونك حينئذ بترك الطعن (كما قال الكاشفى) فرمان مبر مشركان مكه را كه ترا بدين آبا دعوت
مى نمايند ودوست مى دارند كه تو نرمى كنى با ايشان وسرزنش نكنى برشرك تا ايشان نيز چرب ونرمى كنند

وبردين تو طعنه زنند فالفاء للعطف على تدهن فيكون يدهنون داخلا فى حيز لو ولذا لم ينصب يدهنون بسقوط النون جوابا للتمنى والفعل للاستقبال اوالفاء للسببية فهو مسبب عن تدهن ويجوز ان يكون الفعل للحال على معنى ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فى ادهانك فالتسبب عن التمنى وتقدير المبتدأ لانه لولا لكان الفعل منصوبا لاقتضاء التسبب عما فى حيز التمنى ذلك قال بعضهم لاتوافقهم فى الظاهر كما لا توافقهم فى الباطن فان موافقة الظاهر اثر موافقة الباطن وكذا المخالفة والا كان نفاقا سريع الزوال ومصانعة وشيكة الانقضاء واما هم فلانهما كهم فى الرذائل وتعمقهم فى التلون والاختلاف لتشعب اهوائهم وتفرق امانيهم يصانعون و يضعون تلك الرذيلة الى رذيلتهم طمعا فى مداهنتك معهم ومصانعتك اياهم قال بعضهم المداهنة بيع الدين بالدنيا فهى من السيئات والمداراة بيع الدنيا بالدين فهى من الحسنات و يقال الادهان الملاينة لمن لاينبغى له ذلك وهو لاينافى الامر بالمداراة كما قال عليه السلام امرت بمداراة الناس كما امرت بالتبليغ قال الامام الغزالى رحمه الله فى الاحياء الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء فانت مدار وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن قال ابو الدرداء رضى الله عنه انا لنبش فى وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل لجهله حرمة اليمين وعدم مبالاته من الحنث لسوء عقيدته وتقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه ادخل فى الزجر قال فى الكشاف وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم انتهى رلـ نزل فيه الحلف بغير الله تعالى فانه من الكبائر واصل الحلف اليمين الذى يأخذ بعضهم من بعض بها الحلف اى العهد ثم عبر به عن كل يمين (مهين) حقير الرأى والتدبير لانه لم يعرف عظمة الله ولذا اقدم على كثرة الحلف من المهانة وهى القلة والحقارة و يجوز ان يراد به الكذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان يعنى عيب كننده در عقب مردم يا طعنه زننده در روى با ايشان قال الحسن رحمه الله يلوى شدقيه فى اقفية الناس وفيه اشارة الى من يعيب ويطعن فى اهل الحق فى رياضاتهم ومجاهداتهم وانزوائهم وعزلتهم عن الناس (وفى الحديث لايكون المؤمن طعانا ولا لعانا) وفى حديث آخر (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس) يعنى من ينظر الى عيب نفسه يكون ذلك مانعا له عن النظر الى عيب غيره وتعييبه به و ذلك لا يقتضى ان لا ينهى العاصى عن معصيته اقتداء بامر الله تعالى بالنهى عن المنكر لا اعجابا بنفسه وازدراء لقدر غيره عند الله فانه العالم بيواطن الامور والهماز مبالغة هامز والهمز الطعن والضرب والكسر والعيب ومنه المهمز والمهماز بكسر الميم حديدة تطعن بها الدابة قيل لاعرابى اتهمز الفأرة قال السنور يهمزها واستعير للمغتاب الذى يذكر الناس بالمكروه و يظهر عيوبهم و يكسر اعراضهم كانه يضربهم باذاه اياهم (مشاء بنميم) مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية واظهار الحديث بالوشاية وهو من الكبائر واما نقل الكلام بقصد النصيحة فواجب كما قال من قال ياموسى ان الملأ يأمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين و فى التعريفات النمام هو الذى يتحدث مع القوم فينم عليهم فيكشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او الثالث وسواء كان الكشف بالعبارة او بالاشارة او بغيرهما و فى الحديث (لايدخل الجنة نمام) اى ماش بالسعاية وهى بالفارسية غمز كردن وفى التأويلات النجمية مشاء بنميم يحفظون كلام اهل الحق من هذه الطائفة الكريمة ثم يحكونه عند الجهال من اصحاب الحجب فيضحكون عليهم وينسبون ذلك الكلام الى السفسفة والسفه (مناع) مبالغة مانع (للخير) اى بخيل والخير المال اومناع الناس من الخير الذى هو الايمان والطاعة والانفاق ولارباب السلوك من ارشاد الطالبين المسترشدين فذكر الممنوع منه دون الممنوع وكان للوليد بن المغيرة عشرة من البنين وكان يقول لهم ولاقاربه من تبع منكم دين محمد لاانفعه بشئ ابدا وكان الوليد موسرا له تسعة آلاف مثقال فضة وكانت له حديقة فى الطائف (معتد) متجاوز فى الظلم اى يتجاوز الحق والحد بان يظلم على الناس و يمكن حمله على جميع الاخلاق الذميمة فان جميعها تجاوز عن حد الاعتدال وفى التأويلات النجمية متجاوز فى الظلم على نفسه بانغماسه فى بحر الشهوات وانهما كه فى ظلمة

المنهيات (اثيم) كثير الاسم وهو اسم للافعال المبطئة عن الثواب (وقال الكاشفى) بسيار كنا هكار زيا نكار
وفى التأويلات النجمية كثير الآثام بالركون الى الاخلاق الرديئة والرغبة فى الصفات المردودة (عتل)
جاف غليظ من عتله اذاقاده بعنف وغلظة قال الراغب العتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر كعتل البعير
وبالفارسية كشيدن بعنف (وقال الكاشفى) عتل يعنى سخت روى وزشت خوى انتهى ومن كان
جافيا فى المعاملة غليظ القلب والطبع بحيث لا يقبل الصفات الروحانية ولا يلين للحق اجترأ على كل معصية
قال فى القاموس العتل بضمتين مشددة اللام الاكول المنبع الجافى الغليظ (بعد ذلك) اى بعد ما عد
من مقابحه (زنيم) دعى ملصق بالقوم وملحق بهم فى النسب وليس منهم فالزنيم هو الذى تبناه احد اى اتخذه
ابنا وليس بابن له من نسبه فى الحقيقة قال تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم قال الراغب
الزنيم والمزنم الزائد فى القوم وليس منهم اى المنتسب الى قوم وهو معلق بهم لا منهم تشبيها بالزنمتين من الشاة
وهما المتدليتان من اذنها ومن الحلق وفى الكشاف الزنيم من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى
معلقة فى حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله وفى القاموس الزنمة محركة شئ يقطع من اذن البعير فيترك معلقا
يفعل بكرامها والظاهر من قول ابن عباس رضى الله عنهما الحقيقة حيث قال انه لم يعرف حتى قيل زنيم فعرف
انه كان له زنمة اى فى حلقه ويقال كان يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال العتبى لا نعلم ان الله وصف
احدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لا يفارقه ابدا وفى قوله بعد ذلك دلالة
على ان دعوته اشد معايبه واقبح قبائحه وكان الوليد دعيا فى قريش وليس من نسبهم وسنخهم اى اصلهم ادعاه ابوه
المغيرة بعد ثمان عشرة سنة من مولده يعنى وليد هژده ساله بود كه مغيره دعوى كرد كه من پدر اويم واورا بخود
كرفت فقوله بعد ذلك ههنا نظير ثم فى قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا من حيث انها للتراخى رتبة وفى الحديث
(لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظرى ولا العتل الزنيم) فالجواظ الجموع المنوع والجعظرى الفظ الغليظ والعتل
كل رحيب الجوف اكول شروب غشوم ظلوم وفى الحديث (ألا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف
لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر) وقيل بغت ام الوليد ولم يعرف حتى نزلت
هذه الآية فمعنى زنيم حينئذ ولد الزنى وبالفارسية حرام زاده كه پدر او معلوم نباشد قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من ابوه * بغى الام ذو حسب لئيم

در تفسير امام زاهد مذكورست كه چون حضرت رسول صلى الله عليه وسلم اين آيت در انجمن قريش بر وليد
خواند بهر عيبى كه رسيد درخود بازيافت مكر حرام زادكى باخود كفت من سيد قريشم و پدر من مردى
معروفست وميدانم كه محمد دروغ نكويد چكونه اين مهم رابر سر آرم شمشير كشيده نزد مادر آمد القصه
بعد از تهديد بسيار از و اقرار كشيد كه پدر تو در قصهٔ زنان جرأتى نداشت واورا برادرزاد كان بودند چشم
بر ميراث وى نهاده مرا رشك آمد غلام فلان را بمزد كرفتم وتو فرزند او يى ودليل روشن بر صدق قول زن شدت
خصومت وليدست وستيزهٔ او باآن حضرت صلى الله عليه وسلم ودرين باب كفته اند * جرم وكناه مدعى
از فعل مادرست * كورا خطاى مادر او خاكسار كرد * والغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد
الناشئ منها ومن ثمة قال رسول الله عليه السلام (لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده) كما فى الكشاف
وفى الحديث (لا تزال امتى بخير مالم يفش فيهم ولد الزنى فاذا فشا فيهم ولد الزنى اوالسكران يعمهم الله بعذابه
وفى حديث آخر (ولد الزنى شر الثلاثة) قال الرهاوى فى شرح المنار هذا فى مولود خاص لانا قد نشاهد ولد
الزنى اصلح من ولد الرشدة فى امر الدين والدنيا ويستحق جميع الكرامات من قبول شهادته وعبادته وصحة
قضائه وامامته وغير ذلك فالحديث ليس على عمومه انتهى * يقول الفقير اذا كان الرضاع بغير الطباع فان من
ارتضع امرأة فالغالب عليه اخلاقها من خير وشر فما ظنك بالزنى ولا عبرة باصلاح الظاهر والكرامات الصورية
وفى الحديث (ولدت من نكاح لا من سفاح) وكذا سائر الانبياء عليهم السلام وجميع الاولياء الكرام قدس الله
اسرارهم فالزنى اقبح من الكفر من وجه فان الله يخرج الحى من الميت اى المؤمن من الكافر بخلاف الرشيد
من الزانى فولد الزنى لا يصلح للولاية الحقيقية وان كان صالحا للولاية الصورية وقيل نزلت الآية فى الاخنس
ابن شريف واسمه ابى وكان ثقفيا مصطلقيا فى قريش فلذلك قال زنيم لا على جهة الذم لنسبه ولكن على جهة

التعريف به ذكره السهيلى قال ابن عطية وظاهر اللفظ عموم من بهذه الصفة والمخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقى الزمن لاسيما لولاة الامور وقال فى فتح الرحمن ثم هذا الترتيب انما هو فى قول الواصف لا فى حصول تلك الصفات فى الموصوف والا فكونه عتلا هو قبل كونه صاحب خير يمنعه وفى برهان القرآن قوله حلاف الى قوله زنيم اوصاف تسعة ولم يدخل بينها واو العطف ولا بعد السابع فدل على ان ضعف القول بواو الثمانية صحيح (ان كان ذامال وبنين) متعلق بقوله تعالى لا تطع على حذف الجار اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان متمولا ذامال كثير مستظهرا بالبنين (اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين) استئناف جار مجرى التعليل المنهى اى اذا تقرأ عليه آيات كلامنا القديم قال هى احاديث لا نظام لها اكتتبوها كذبا فيما زعموه لقوله اكتتبها فهى تملى عليه وبالفارسية افسانهاء پيشينيانست وقال السدى اساجيع الاولين اى جعل مجازاة النعم التى خولناها من المال والبنين الكفر بآياتنا قال المبرد الاساطير جمع اسطورة نحو احدوثة واحاديث وقدسبق غير هذا وفى التأويلات النجمية لا تطع الحلاف المهين الحقير فى نفسه بسبب ثروة اعماله المنسوبة الى الرياء والسمعة وبنين الاحوال المطعونة بالعجب والاعجاب اذا تتلى عليه آياتنا من الحقائق والدقائق قال اساطير الاولين ماسطره الصوفية المتقدمون وهى من ترهاتهم وخرافاتهم (سنسمه على الخرطوم) اصله سنوسمه من الوسم وهو احداث السمة بالكسر اى العلامة وبالفارسية داغ كردن والميسم بالكسر المكواة اى آلة الكى والخرطوم كزنبور الانف اومقدمه اوما ضممت عليه الحنكين كالخرطم كقنفذ كما فى القاموس والمعنى سنجعل له سمة وعلامة يعرف بها بالكى على اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله اذ الانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف بالانف وحمى انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا فى الذليل جدع انفه ورغم انفه ولقد وسم العباس رضى الله عنه اباعرة فى وجوهها فقال له رسول الله عليه السلام اكرموا الوجوه فوسمها فى جواعرها اى فى ادبارها وفى التعبير عن الانف بلفظ الخرطوم استهانة بصاحبه واستقباح له لانه لا يستعمل الا فى الفيل والخنزير وكلما كان الحيوان اخبث واقبح كانت الاستهانة والاستقباح اشدوا كثر قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها قال صاحب الكشف هو ضعيف فان الوليد مات قبله فلم يوسم بوسم بقى أثره مدة حياته وقال الراغب نلزمه عارا لا ينمحى عنه كما قال صاحب الكشاف هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال وذلك لان الوجه اكرم موضع والانف ابين عضو منه فالوسم على الانف غاية الاذلال والاهانة لان الوسم على الوجه شين فكيف اذا كان على اظهر موضع منه وكما قال العتبى وصف الله الوليد بالحلف والمهانة والهمز والمشى بالنميمة والبخل والظلم والاثم والجفوة والدعوة فالحق به عارا لا يفارقه فى الدنيا والآخرة قال والذى يدل على هذا ماروى عن الشعبى فى قوله عتل حيث قال العتل الشديد والزنيم الذى له زنمة من الشر يعرف بها كما تعرف الشاة وقيل سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها من سائر الكفرة بان نسود وجهه غاية التسويد اذ كان بالغا فى عداوة سيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام اقصى مراتب العداوة فيكون الخرطوم مجازا عن الوجه على طريق ذكر الجزء وارادة الكل وفى التأويلات النجمية نكوى خرطوم استعداده بكى نار الحجاب والبعد حتى لا يشم النفحات الالهية والنسمات الربانية (انا بلوناهم) يقال بلى الثوب بلى اى خلق وبلوته اختبرته كأنى اخلقته من كثرة اختبارى له والبلايا اختبارات والمعنى انا ابتلينا اهل مكة بالقحط والجوع سبع سنين بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكلوا الجيف والجلود والعظام والدم لتمردهم وكفرانهم نعم الله تعالى (كما بلونا اصحاب الجنة) اى ابتلاء مثل ابتلاء اصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم واللام للعهد والكاف فى موضع النصب على انها نعت لمصدر محذوف وما مصدرية والجنة البستان وبالفارسية باغ واصحاب الجنة قوم من اهل صنعاء وفى كشف الاسرار سه برادر بودند كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين وقال السهيلى هى جنة بضروان وضروان على فراسخ من صنعاء وفى فتح الرحمن الجنة بستان يقال له ضروان باليمن وكان اصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير وكانوا بخلاء وكان ابوهم يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقى وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل وما فى اسفل الاكداس وما اخطأه القطاف من العنب وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت (قال الكاشفى) وده ازيك

حاصل نيز برايشان قسمت كردى فكان يجتمع لهم شئ كثير و يتزودون به اياما كثيرة فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ماكان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى (اذ اقسموا) ظرف لبلونا والاقسام سوكند خوردن يعنى سوكند خوردند وارثان باغ كه پنهان ازفقرا (ليصرمنها) الصرام والصرم قطع ثمار النخيل و بالفارسية بارخرما بريدن من صرمه اذاقطعه اى ليقطعن ثمار ها من الرطب والعنب و يجمعن محصولها من الحرث وغيره (مصبحين) اى داخلين فى الصباح مبكرين وسواد الليل باق قوله ليصرمنها جواب القسم وجاء على خلاف منطوقهم ولوجاء على منطوقهم لقيل لنصرمنها بنون المتكلم ومصبحين حال من فاعل ليصرمنها (ولا يستثنون) اى لايقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولااخرج الا ان شاء الله بمعنى واحد والجملة مستأنفة اوحال بعدحال لعل ايراده بعد ايراد اقسامهم على فعل مضمر لمقصودهم مستنكر عندارباب المروة واصحاب الفتوة لتقبيح شأنهم بذكر السببين لحرمانهم وان كان احدهما كافيا فيه لكن ذكر الاقسام على امر مستنكر اولا وجعل ترك الاستثناء حالا منه يفيد اصالته وقوته فى اقتضاء الحرمان والاظهر ان المعنى ولا يستثنون حصة المساكين اى لا يميزونها ولايخرجونها كما كان يفعله ابوهم وقال ابو حيان ولا يثنون عما عزموا عليه من منع المساكين قال فى تاج المصادر الاستثناء ان شاء الله كفتن واستثنا كردن والباب يدل على تكرير الشئ مرتين اوجعله شيئين متواليين اومتباينين والاستثناء من قياس الباب وذلك ان ذكره يثنى مرة فى الجملة ومرة فى التفصيل لانك اذاقلت خرج الناس ففى الناس زيد وعمرو فاذا قلت الا زيدا فقد ذكرت زيدا مرة اخرى ذكرا ظاهرا انتهى قال الراغب الاستثناء ايراد لفظ يقتضى رفع بعض مايوجبه عموم لفظ متقدم او يقتضى رفع حكم اللفظ كما هو فمن الاول قوله تعالى *قل لااجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة *ومن الثانى قوله لافعلن كذا ان شاء الله وعبده عتيق وامرأته طالق ان شاء الله (فطاف عليها) اى على الجنة اى احاط بها (طائف) بلاء طائف كقوله واحيط بثمره وذلك ليلا اذلايكون الطائف الا بالليل وايضا دل عليه مابعده من ذكر النوم وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فاحرقتها (من ربك) مبتدئ من جهته تعالى قال الراغب الطوف الدوران حول الشئ ومنه الطائف لمن يدور حول البيت حافظا ومنه استعير الطائف من الجن والخيال والحادث وغيرها قال تعالى فطاف الخ تعريضا بما نالهم من النائبة انتهى (وهم نائمون) غافلون عما جرت به المقادير اوغافلون عن طوافه بالنوم الذى هو اخو الموت و بالفارسية وايشان خفتكان بودند والنوم استرخاء اعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد اليه او ان يتوفى الله النفس من غير موت اى ان يقطع ضوء الروح عن ظاهر الجسد دون باطنه اوالنوم موت خفيف والموت نوم ثقيل وكل هذه التعريفات صحيحة (فاصبحت) پس كشت جنت ايشان بان بلا (كالصريم) فعيل بمعنى مفعول اى كالبستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شئ لان النار السماوية احرقتها وقيل كالليل لان الليل يقال له الصريم اى صارت سوداء كالليل لاحتراقها (فتنادوا) اى نادى بعضهم بعضا (مصبحين) حال كونهم داخلين فى الصباح (ان اغدوا) اى اى اغدوا على ان ان مفسرة اوبان اغدوا على انها مصدرية اى اخرجوا غدوة واول النهار و بالفارسية بامداد بيرون ايد (على حرثكم) بستانكم وضيعتكم وفى كشف الاسرار دران بستان هم زرع بودهم درخت انكور انتهى يقول الفقير فالحرث يجوز ان يراد به الحاصل مطلقا وان يراد به الزرع خصوصا لانه اعز شئ يعيش به الانسان وتعدية الغدو بعلى لتضمنه معنى الاقبال والاستيلاء وقال بعضهم انه يتعدى بعلى كما فى القاموس غدا عليه غدوا وغدوة بالضم واغتدى بكر قال الراغب الحرث القاء البذر فى الارض وتهيئتها للزرع و يسمى المحروث حرثا قال تعالى ان اغدوا على حرثكم (ان كنتم صارمين) قاصدين للصرم وقطع الثمرة وجمع المحصول اى فاغدوا فجوابه محذوف (فانطلقوا) فمضوا اليها و بالفارسية پس برفتند بجانب باغ (وهم يتخافتون) التخافت بايكديكر پنهان راز كفتن اى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة والسر كيلا يسمع احد ولا يدخل عليهم (ان لا يدخلنها) اى الجنة (اليوم عليكم مسكين) من المساكين فضلا عن ان يكثروا وبالفارسية امر وز برشما يعنى در باغ شما در و يشى نابهره بكيرد و ازحصهٔ ماكم نكردد وان مفسرة

لما فى التخافت من معنى القول بمعنى اى لا يدخلنها تفسيرا لما يتخافتون والمسكين هو الذى لا شئ له وهو ابلغ من الفقير والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا ارينك هيهنا فان دخول المسكين عليهم لازم لتمكينهم اياه من الدخول كما ان رؤية المتكلم المخاطب لازم لحضوره عنده فذكرا للازم لينتقل منه الى الملزوم (وغدوا) مشوا بكرة وبالفارسية وبامداد برفتند (على حرد) الحرد المنع عن حدة وغضب يقال نزل فلان حريدا اى ممتنعا من مخالطة القوم وحاردت السنة منعت قطرها والناقة منعت درها وحرد غضب (قادرين) حال مقدرة من فاعل غدوا فان القدرة مع الفعل عند اهل الحق والمعنى وخرجوا اول الصباح على امتناع من ان يتناول المساكين من جنتهم حال كونهم قادرين على نفعهم اوعلى الاجتناء والصرم بزعمهم فلم يحصل الا النكد والحرمان وفى الكشاف وغدوا قادرين على نكد لاغير عاجزين عن النفع يعنى انهم عزموا ان ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة (فلما رأوها) پس آن هنكام كه ديدند باغ را بخلاف آنچه كذاشته بودند (قالوا) اى قال بعضهم لبعض (انا لضالون) اى طريق جنتنا وماهى بها لما رأوا من هلاكها (بل نحن محرومون) قالوه بعدما تأملوها ووقفوا على حقيقة الامر وانها هى مضربين عن قولهم الاول اى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها ومنعنا نفعها بجنايتنا على انفسنا بسوء نيتنا وهى ارادة حرمان المساكين وقصد منع حق الفقراء (قال اوسطهم) اى رأيا اوسنا وفى الكشاف اعدلهم وخيرهم من قولهم فلان من وسطة قومه واعطنى من وسطات مالك ومنه قوله تعالى امة وسطا (وقال الكاشفى) كفت فاضلترايشان ازروى عقل يابزركتر بسن يا صائب تر برأى قال الراغب الوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان كالجود الذى بين البخل والسرف فيستعمل استعمال القصد المصون عن الافراط والتفريط فيمدح به نحو السوآء والعدل ونحو وكذلك جعلناكم امة وسطا وعلى ذلك قال اوسطهم وتارة يقال فيماله طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر ويكنى به عن الرذل نحو قولهم وسط بين الرجال تنبيها على انه قدخرج من حد الخير (ألم اقل لكم لولا تسبحون) لولا تذكرون الله بالتسبيح والتهليل وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا وانتقامه من المجرمين وتوبوا اليه من هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم وفى الآية دليل على ان العزم على المعصية مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيرها قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وعلى هذا قوله تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه والعزم قوة قصد الفعل والجزم به والمحققون على انه يؤاخذ به واما الهم وهو ترجيح قصد الفعل فرفوع (قالوا) معترفين بالذنب والاعتراف به يعد من التوبة (سبحان ربنا) ننزه ربنا عن كل سوء ونقصان سيما عن ان يكون ظالما فيما فعل بنا (انا كنا ظالمين) بقصد حرمان المساكين اتباعا لشح النفس كانهم قالوا نستغفر الله من سوء صنيعنا ونتوب اليه من خبث نيتنا حيث قصدنا عدم اخراج حق المساكين من غلة بستاننا ولو تكلموا بهذه الكلمة قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنهم تكلموا بها بعد خراب البصرة (فاقبل بعضهم على بعض) پس روى آوردند بعضى از ايشان بر بعضى ديكر (يتلاومون) اللوم الملامة وبالفارسية نكوهيدن يعنى خوار داشتن اى يلوم بعضهم بعضا على مافعلوا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره وبالفارسية اين آنرا مى كفت تو چنين انديشيدى وآن عذرمى آورد كه توهم بدين راضى بودى (قالوا) يعنى بكناه خود اعتراف نمودند وازروى نياز كفتند (ياويلنا) اى واى برما ودر دزدكى (انا كنا طاغين) متجاوزين حدود الله تعالى وبالفارسية ازحد برنده كان در كنهكارى كه درويشانرا محروم ساختيم (عسى ربنا) شايد پروردكار ماكه ازكرم اوامّيد واريم (ان يبدلنا) ان يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة (خيرا منها) بهترى ازان باغ (انا الى ربنا راغبون) راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة لان الله منتهى رجائهم وطلبهم اولتضمنها معنى الرجوع والا فالمشهور ان تعدى الرغبة بكلمة فى اوعن دون الى روى انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله وتضرعوا اليه فابدلهم الله من ليلتهم

ماهو خير منها قالوا ان الله امر جبريل ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزعر من ارض الشام اى موضع قليل النبات ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا قال ابو خالد اليمانى دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم يعنى دران باغ خوشهٔ انكور ديدم برابر مردى سياه برپاى ايستاده محققان كفته اند هركه ببلايى مبتلا كردد مثال اوعرضهٔ تلف شود واو تأمل نمايد وداند كه باستحقاق بروى نازل شده پس بكناه اعتراف نموده بحضرت عزت بازكشت كند بهتر وخوشتر ازآنچه ازو بازستده بدو دهد چنانچه بوستان حيوان بعوض باغ ضروانى و پير رومى قدس سره ازين معنى خبر ميدهد انجا ميفرمايد * اولم خم شكست و سر كه بريخت - من نكويم كه اين زيانم كرد * صد خم شهد صافى ازپى آن * عوضم دادو شاد مانم كرد * وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن الحسن رحمه الله قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادرى ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف فى امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيرى قدس سره يقول الفقير ان كان ذلك القول منهم على حد ما يصدر من المضطر فابدال الله اياهم جنة خيرا من جنتهم يكون من قبيل الاستدراج وان كان عن توبة واخلاص فذلك الابدال من آثار تحقيق التوبة ونتائج الاخلاص فان للاخلاص ثمرات عجيبة وعن الشيخ ابى الربيع المالقى رحمه الله قال سمعت بامرأة من الصالحات فى بعض القرى اشتهر امرها وكان من دأبنا ان لا نزور امرأة فدعت الحاجة الى زيارتها للاطلاع على كرامة اشتهرت عنها وكانت تدعى بفضة فنزلنا القرية التى هى بها فذكر لنا ان عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شئ فمضينا اليها وسلمنا عليها ثم قلنا لها نريد ان نرى هذه البركة التى ذكرت لنا عن هذه الشاة التى عندكم فاعطتنا الشاة فحلبناها فى القدح فشربنا لبنا وعسلا فلما رأينا ذلك سألناها عن قصة الشاة فقالت نعم كانت لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن لنا شئ فحضر العيد فقال لى زوجى وكان رجلا صالحا نذبح هذه الشاة فى هذا اليوم فقلت له لا تفعل فانه قد رخص لنا فى الترك والله يعلم حاجتنا اليها فاتفق ان استضاف بنا فى ذلك اليوم ضيف ولم يكن عندنا قراه فقلت له يا رجل هذا ضيف وقد امرنا باكرامه فخذ تلك الشاة فاذبحها قالت فخفنا ان يبكى عليها صغارنا فقلت له اخرجها من البيت الى وراء الجدار فاذبحها فلما اراق دمها قفزت شاة على الجدار فنزلت الى البيت فخشيت ان تكون قد انفلتت منه فخرجت لانظرها فاذا هو سلخ الشاة فقلت له يا رجل عجبا وذكرت له القصة فقال لعل الله قد ابدلنا خيرا منها وكانت تلك الشاة تحلب اللبن وهذه تحلب اللبن والعسل ببركة اكرامنا الضيف ثم قالت يا اولادى ان شويهتنا هذه ترعى فى قلوب المريدين فاذا طابت قلوبهم طاب لبنها وان تغيرت تغير لبنها فطيبوا قلوبكم قال اليافعى عنت بالمريدين نفسها وزوجها ولكن اطلقت لفظا ظاهره العموم مع ارادة التخصيص تسترا وتحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم اذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الانوار والاسرار ولذة العيش بمنادمة الملك الغفار والمعنى لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب لكم ما عندكم ولو لم يكن الامر كذلك بل المراد عموم المريدين لكان بطيب اللبن من سائر الغنم ولو خبث قلبهما لما نفعهما طيب قلوب المريدين واذا طابا لم يضرهما خبث قلوب المريدين (كذلك العذاب) جملة من مبتدأ وخبر مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد اى مثل الذى بلوناهم به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا وفى كشف الاسرار كذلك افعل بامتك اذا لم تعطف اغنياؤهم على فقرائهم بان امنعهم القطر وارسل عليهم الجوائح وارفع البركة من زروعهم وتجاراتهم ففيه وعيد لمانعى الزكاة والصدقة باهلاك المال وانزال العذاب باى طريق كان * مكن بد كه بد بينى اى يار نيك * نيايد زتخم بدى بار نيك * كسى نيك بيند بهر دوسراى - كه نيكى رساند بخلق خداى (ولعذاب الآخرة اكبر) اعظم واشد وبالفارسية بزركترست چه اين عذاب زوال يابد وآن باقى باشد (لو كانوا يعلمون) انه اكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ويطرحهم ويرميهم عليه (ان للمتقين) اى من الكفر والمعاصى (عند ربهم) اى فى الآخرة وذكر عند للتشريف والتكريم وذلك لانه لا ملك فيها حقيقة وصورة الا لله فكأنها حاضرة عنده تعالى يتصرف فيها كيف يشاء والا فمحال كون عندية الجنة بالنسبة

الى الله تعالى مكانية وهى ظرف معمول للاستقرار الذى تعلق به للمتقين ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى فى قوله للمتقين ولا يجوز ان يكون حالا من جنات لعدم العامل والاظهر ان معنى عند ربهم فى جوار القدس فالمراد عندية المكانة المنزهة عن الجهة والتحيز لاعندية المكان كما فى قوله تعالى عند مليك مقتدر اذ للمقربين قرب معنوى من الله تعالى قال الراغب عند لفظ موضوع للقرب فتارة يستعمل فى المكان وتارة يستعمل فى الاعتقاد نحو عندى كذا وتارة فى الزلفى والمنزلة كقوله تعالى بل احياء عند ربهم وعلى ذلك قيل الملائكة المقربون (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ماينقصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا واستفيد الحصر من الاضافة اللامية الاختصاصية فانها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف اليه (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالنا وحالهم الا مثل ماهى فى الدنيا والالم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فردهم الله تعالى والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى أنحيف فى الحكم فنجعل المؤمنين كالكافرين فى حصول النجاة والوصول الى الدرجات فالمراد من المجرمين الكافرون على مادل عليه سبب النزول وهم المجرمون الكاملون الذين اجرموا بالكفر والشرك والا فالاجرام فى الجملة لاينافى الاسلام نعم المسلم المطيع ليس كالمسلم الفاسق ففيه وعظ للعاقل وزجر للمتبصر ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده (مالكم كيف تحكمون) تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل وما استفهامية فى موضع الرفع بالابتداء والاستفهام للانكار اى لانكار ان يكون لهم وجه مقبول يعتد به فى دعواهم حتى يتمسك به ولكم خبرها والمعنى اى شئ ظهر لكم حتى حكمتم هذا الحكم القبيح كأن امر الجزاء مفوض اليكم فتحكمون فيه بما شئتم ومعنى كيف فى اى حال أفى حال العلم ام فى حال الجهل فيكون ظرفا او أعالمين ام جاهلين فيكون حالا وفى التأويلات النجمية افنجعل المتقين لاحكام الشريعة وآداب الطريقة ورموز الحقيقة كالكاسبين للاخلاق الرديئة والاوصاف الرذيلة المخالفة للشريعة والطريقة والحقيقة مالكم كيف تحكمون بهذا الظلم الصريح والقول القبيح (ام لكم) اى بل الكم وبالفارسية آيا شما راست (كتاب) نازل من السماء (فيه) متعلق بقوله (تدرسون) اى تقرأون قال فى المفردات درس الشئ معناه بقى اثره ودرست العلم تناولت اثره بالحفظ ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبر عن ادامة القراءة بالدرس (ان لكم فيه لما تخيرون) تخير الشئ واختياره اخذ خيره قال الراغب الاختيار طلب ماهو خير فعله وقد يقال ماراه الانسان خيرا وان لم يكن خيرا وفى تاج المصادر التخير بركزيدن والمعنى ماتخيرونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فيكون مفعولا واقعا موضع المفرد فلا يكسر همزة ان ولكن لما جئ باللام كسرت فان لام الابتداء لاتدخل على ماهو فى حيز ان المفتوحة وهذه اللام للابتداء داخلة على اسم ان والمعنى تدرسون فى الكتاب ان لكم ما تختارونه لانفسكم وان يكون العاصى كالمطيع بل ارفع حالا منه فأتوا بكتاب ان كنتم صادقين ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين فيكون الموقع من مواقع كسر ان لعدم وقوعها موقع المفرد حكاه الله فى القرآن بصورته والفرق بين الوجهين ان المدروس فى الاول ماانسبك من الجملة وفى الثانى الجملة بلفظها وقوله فيه لايستغنى عنه بفيه اولا فقد يكتب المؤلف فى كتابه ترغيبا للناس فى مطالعته ان فى هذا الكتاب كذا وكذا قال سعدى المفتى لك ان تمنع كون الضمير للكتاب بل الظاهر انه ليوم القيام المعلوم بدلالة المقام (ام لكم ايمان علينا) قوله علينا صفة ايمان وكذا بالغة اى عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) اى متناهية فى التوكيد والصحة لان كل شئ يكون فى نهاية الجودة وغاية الصحة يوصف بانه بالغ يقال لفلان على يمين بكذا اذا ضمنت وكفلت له به وحلفت له على الوفاء به اى بل اضمنا لكم اواقسمنا بايمان مغلظة فثبت لكم علينا عهود مؤكدة بالايمان (الى يوم القيامة) متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم الى يوم القيامة لانخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه الذى هو التحكيم وانباعنا حكمهم (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم

لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم كما سبق (سلهم) امر من سال يسال بحذف العين وهمزة الوصل وهو تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب اى سلهم مبكتا لهم يعنى بپرس اى محمد مشركا نراكه (ايهم) كدام ايشان (بذلك) الحكم الخارج عن العقول (زعيم) اى قائم يتصدى لتصحيحه كما يقوم زعيم القوم باصلاح امورهم فقوله بذلك متعلق بزعيم والزعيم بمعنى القائم بالدعوى واقامة الحجة عليها قال الراغب قوله زعيم اما من الزعامة اى الكفالة اومن الزعم بالقول وهو حكاية قول يكون مظنة للكذب وقيل للمتكفل والرئيس زعيم للاعتقاد فى قولهم انه مظنة للكذب (ام لهم) آيا ايشانراست (شركاء) يشاركونهم فى هذا القول و يذهبون مذهبهم (فليأتوا بشركائهم) پس بكو بيا ريد شريكان خود فالباء للتعدية ويجوز أن تكون للمصاحبة (ان كانوا صادقين) فى دعواهم اذلا اقل من التقليد يعنى انه كما ليس لهم دليل عقلى فى اثبات هذا المذهب و هو التسوية بين المحسن والمسيء كما قال مالكم كيف تحكمون ولا دليل نقلى وهو كتاب يدرسونه ولاعهود موثقة بالايمان فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول حتى يقلدوهم وان كان التقليد لايفلح من تشبث بذيله فثبت ان ما زعموا باطل من كل الوجوه وفيه اشارة الى ان اللائق بالحاكم تحرى الصواب بقدر الوسع فيما ليس بحاضر عنده وان حكم بلا تحرى فلا يخلو عن خطأ وان اصاب مصل صلى فى ارض لم يعلم القبلة فيها فانه ان صلى بتحرى فصلاته صحيحة وان اخطأ القبلة وان صلى فيها بغير تحرى فغير صحيحة وان اصلها واذا كان الحكم بلا تحرى خطأ فكيف الحكم بشيء والادلة قائمة بخلافه (يوم يكشف عن ساق) يوم منصوب باذكر المقدر وعن ساق قائم مقام الفاعل ليكشف والمراد يوم القيامة اى اذكر يوم يشتد الامر و يصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك ولا كشف ولا ساق ثمة كما تقول الاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وانما هو مثل فى البخل بان شبهت حال البخيل فى عدم تيسر الانفاق له بحال من غلت يده وكذا شبهت حال من اشتد عليه الامر فى الموقف بالمخدرات اللاتى اشتد عليهن الامر فاحتجن الى تشمير سوقهن فى الهرب بسبب وقوع امر هائل بالغ الى نهاية الشدة مع انهن لايخرجن من بيوتهن ولا يبدين زينتهن لغير محارمهن لغاية خوفهن وزوال عقلهن من دهشتهن وفرارهن لخلاص انفسهن فاستعمل فى حق اهل الموقف من الاشقياء ما يستعمل فى حقهن من غير تصرف فى مفردات التركيب بل التصرف انما هو فى الهيئة التركيبية فكشف الساق استعارة تمثيلية فى اشتداد الامر وصعوبته قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة فالساق التى كشفت لهم عبارة عن امر عظيم من اهوال يوم القيامة تقول العرب كشفت الحرب عن ساقها اذا عظم امرها وتقول لمن وقع فى امر عظيم شديد يحتاج فيه الى جهد ومقاساة شمر عن ساقك وكذلك التفت الساق بالساق اى دخلت الاهوال والامور العظام بعضها فى بعض يوم القيامة وقيل ساق الشيء اصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان فان ساق الشجر مثلا اصله والاغصان تنبت على ذلك الاصل وتقوم به فالمعنى حينئذ يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره على الوجه الاول للتهويل لان يوم القيامة يوم يقع فيه امر فظيع هائل منكر خارج عن المألوف وعلى الثانى للتعظيم (و يدعون) اى الكفار والمنافقون (الى السجود) توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه فى الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم فى ذلك لا على سبيل التكليف والتعبد لان يوم القيامة لا يكون فيه تعبد ولا تكليف وسيأتى غير هذا (فلا يستطيعون) لزوال القدرة الحقيقية عليه وسلامة الاسباب والآلات وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم اصلابهم اى ترد عظاما بلا مفاصل لاتنثنى عند الرفع والخفض فيبقون قياما على حالهم حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على تفريطهم وفى الحديث (وتبقى اصلابهم طبقا واحدا) اى فقارة واحدة ودرخبرست كه پشت كافر ومنافق چون سرون كاو يك مهره شود (كأن سفافيد الحديد فى ظهورهم) عن ابى بردة عن ابى موسى رضى الله عنه قال حدثنى ابى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه فى الدنيا فذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون فى الدنيا ويبقى اهل التوحيد فيقال لهم كيف بقيتم فيقولون ذهب الناس فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده فى الدنيا ولم نره فيقال اتعرفونه اذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال لهم كيف ولم تروه قالوا لا شبه له شيء فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فيخرون له سجدا ويبقى

اقوام ظهور هم مثل صياصي البقر فيريدون السجود ولايستطيعون كقوله تعالى يوم يكشف الخ يقول الله ياعبادى ارفعوا رؤسكم قد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى فى النار قال ابو بردة فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبدالعزيز رحمه الله فقال والله الذى لااله الاهو احدثك ابوك بهذا الحديث فحلفت له بثلاث ايمان فقال عمر ماسمعت من اهل التوحيد حديثا هو احب الى من هذا الحديث وفى تفسير الفاتحة للفنارى رحمه الله يتجلى الحق فى ذلك اليوم فيقول لتتبع كل امة ما كانت تعبد حتى تبقى هذه الامة وفيها منافقوها فيتجلى لهم الحق فى ادنى صورة من الصور التى كان يتجلى لهم فيها قبل ذلك فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك نحن منتظرون حتى يأتينا ربنا فيقول لهم جل وعلا هل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها فيقولون نعم فيتحول لهم فى الصورة التى عرفوه فيها بتلك العلامة فيقولون انت ربنا فيأمرهم بالسجود فلا يبقى من كان يسجد لله الاسجد ومن كان يسجد اتقاء ورياء جعل ظهره طبقة نحاس كلما اراد ان يسجد خر على قفاه وذلك قوله تعالى يوم يكشف الخ وقال ايضا يكون على الاعراف من تساوت كفتا ميزانه فهم ينظرون الى النار وينظرون الى الجنة ومالهم رجحان بمايدخلهم احدى الدارين فاذادعوا الى السجود وهو الذى يبقى يوم القيامة من التكليف يسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة انتهى وكفته اندكه دران روز نورى عظيم بنمايد وخلق بسجده درافتند فيكون كشف الساق عبارة عن تجلى الالهى كما ذهب اليه البعض وفى الحديث (يوم يكشف عن ساق) قيل عن نور عظيم يخرون له سجدا كما فى كشف الاسرار وفيه ايضا عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ياخذ الله عزوجل للمظلوم من الظالم حتى لايبقى مظلمة عند احد حتى انه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه ان يخلص اللبن من الماء فاذافرغ من ذلك نادى مناد ليسمع الخلائق كلهم الاليلحق كل قوم بآلهتهم وماكانوا يعبدون من دون الله فلايبقى احد عبدشيأ من دون الله الامثلت له آلهته بين يديه ويجعل الله ملكا من الملائكة على صورة عزير ويجعل ملكا من الملائكة على صورة عيسى بن مريم فيتبع هذا اليهود ويتبع هذا النصارى ثم تلويهم آلهتهم الى النار وهم الذين يقول الله لوكان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيهاخالدون واذالم يبق الاالمؤمنون وفيهم المنافقون قال الله لهم ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله مالنا الهالاالله وما كنا نعبد غيره فينصرف الله عنهم فيمكث ماشاء ان يمكث ثم يأتيهم فيقول ايها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وماكنتم تعبدون فيقولون والله مالنا اله الاالله وماكنا نعبد غيره فيكشف لهم عن ساق ويتجلى لهم من عظمته مايعرفون به انه ربهم فيخرون سجدا على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه ويجعل اصلابهم كصياصى البقر ثم يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم انتهى واعلم ان حديث التحول مجمع عليه وهو من آثار الصفات الالهية كرؤيته فى المنام فى الصورة الانسانية والا فالله تعالى بحسب ذاته منزه عن الصورة وما يتبعها ومن مشى على المراتب لم يعثر ثم ان الآية دلت على جواز ورود الامر بتكليف مالا يطاق والقدرية لايقولون بذلك ففيها حجة عليهم كما فى الاسئلة المقحمة لكن ينبغى ان يعلم ان المراد بمالايطاق هو المحال العادى كنظر الاعمى الى المصحف ولانزاع فى تجويز التكليف به وكذا المحال العارضى كايمان ابى جهل فانه صار محالا بسبب عارض وهو اخبار الله تعالى بانه لايؤمن وقد اجاز الاشاعرة التكليف به ومنعه المعتزلة واما المحال العقلى وهو الممتنع لذاته كاعدام القديم فلم يذهب الى جواز التكليف به احد (خاشعة ابصارهم) حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها والا فالاعضاء ايضا خاشعة ذليلة متواضعة بل الخاشع فى الحقيقة هو القلب لكونه مبدأ الخشوع (وقال الكاشفى) يعنى خداوندان ابصار سردر پيش افكنده وشرمنده باشند قال ابو الليث وذلك ان المسلمين اذارفعوا رؤسهم من السجود صارت بيضاء كالثلج فلمانظر اليهم اليهود والنصارى والمنافقون وهم الذين لم يقدروا على السجود حزنوا واغتموا واسودت وجوههم كما قال تعالى (ترهقهم) تلحقهم وتغشاهم فان الرهق غشيان الشئ الشئ (ذلة) شديدة تعزيهم كأنه تفسير لخشوع ابصارهم يقال ذل يذل ذلا بالضم وذلة بالكسر وهو ذليل يعنى خوار (وقد كانوا) فى الدنيا (يدعون) دعوة التكليف (الى السجود) اى اليه والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير اولان المراد به الصلاة اومافيها من السجود وخص السجود بالذكر من حيث انه اعظم الطاعات

قال بعضهم يدعون بدعوة الله صريحا مثل قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا اوضمنا مثل قوله تعالى اقيموا الصلاة فان الدعوة الى الصلاة دعوة الى السجدة و بدعوة رسول الله عليه السلام صريحا كقوله عليه السلام اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء قالوا اى السجود اوضمنا كقوله عليه السلام صلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكاة اموالكم واطيعوا ذا امركم تدخلوا جنة ربكم و بدعوة علماء كل عصر ومن اعظم الدعوة الى السجود اذان المؤذنين واقاماتهم فان قولهم حى على الصلاة دعوة بالامر به فطوبى لمن اجاب دعوتهم بطوع لاباكراه امتثالا لقوله تعالى اجيبوا داعى الله والجملة حال من ضمير يدعون (وهم سالمون) حال من مرفوع يدعون الثانى اى اصحاء فى الدنيا سلمت اعضاؤهم ومفاصلهم من الآفات والعلل متمكنون من اداء السجدة وقبول الدعوة اقوى تمكن اى فلا يجيبون اليه و يأبونه وانما ترك ذكره ثقة بظهوره و بالفارسية وايشان تندرست بودند وقادر بران چون فرصت فوت كردند درين روز جز حسرت وندامت بهر ندارند * مده فرصت از دست كر بايدت * كه كوى سعادت زميدان برى * كه فرصت عزيزست چون فوت شد * بسى دست حسرت بدندان برى وفى الآية وعيد لمن ترك الصلاة المفروضة اوتخلف عن الجماعة المشروعة قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقنى مرافقتك فى الجنة فقال اعنى بكثرة السجود وكان السلف يعزون انفسهم ثلاثة ايام اذا فاتهم التكبير الاول وسبعة اذا فاتهم الجماعة قال ابو سليمان الدارانى قدس سره اقمت عشرين سنة ولم احتلم فدخلت مكة فاحدثت بها حدثا فاصبحت الاحتلام وكان الحدث ان فاتته صلاة العشاء بجماعة وقال الشيخ ابو طالب المكى قدس سره فى قوت القلوب ولابد من صلاة الجماعة سيما اذا سمع التأذين او كان فى جوار المسجد وحد الجوار ان يكون بينه وبين المسجد مائة دار واولى المساجد التى يصلى فيها اقربها اليه الا ان يكون له نية فى الابعد لكثرة الخطى اولفضل امام فيه فالصلاة خلف العالم الفاضل افضل او يريد ان يعمر بيتا من بيوت الله بالصلاة فيه وان بعد وقال سعيد ابن المسيب رحمه الله من صلى الخمس فى جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وقال ابو الدرداء رضى الله عنه حالفا بالله تعالى من احب الاعمال الى الله ثلاثة امر بصدقة وخطوة الى صلاة جماعة واصلاح بين الناس وفى الآية اشارة الى انه يرفع الحجاب ويبقى المحجوبون فى حجاب انانيتهم و يشتد عليهم الامر و يدعون الى الفناء فى الله فلا يستطيعون لافساد استعداد هم الفطرى بالركون الى الدنيا وشهواتها ذليلة ابصارهم متحيرة لذهاب قوتها النورية تلحقهم ذلة الحجاب وهو ان الاحتجاب وقد كانوا فى زمان استعدادهم يدعون الى سجود الفناء بترك اللذات والشهوات وهم نائمون فى نوم الغفلة لايرفعون له رأسا لفساد استعداد مزاجهم بالعلل النفسانية والامراض الهيولانية (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) من منصوب العطف على ضمير المتكلم اوعلى انه مفعول معه وهو مرجوح لامكان العطف من غير ضعف اى واذا كان حالهم فى الآخرة كذلك فدعنى ومن يكذب بالقرآن وخل بينى و بينه ولاتشغل قلبك بشأنه وتوكل على فى الانتقام منه فانى عالم بما يستحقه من العذاب و يطيق له وكافيك امره يقال ذرنى واياه يريدون كله الى فانى اكفيك قال فى فتح الرحمن وعيد ولم يكن ثمة مانع ولكنه كما تقول دعنى مع فلان اى سأعاقبه والحديث القرآن لان كل كلام يبلغ الانسان من جهة السمع اوالوحى فى يقظته اومنامه يقال له حديث (سنستدرجهم) يقال استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة درجة حتى يورطه فيه وفى تاج المصادر الاستدراج اندك اندك نزديك داشتن خداى بنده را بخشم وعقوبت خود والمعنى سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة حتى نوقعهم فيه فاستدراج الشخص الى العذاب عبارة عن هذا الاستنزال والاستدناء (من حيث لايعلمون) اى من الجهة التى لايشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم وفى الحديث (اذا رأيت الله ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج) وتلا هذه الآية وقال امير المؤمنين رضى الله عنه من وسع عليه دنياه فلم يعلم انه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله (وروى) ان رجلا من بنى اسرائيل قال يارب كم اعصيك ولم انت لاتعاقبنى فاوحى الله الى نبى زمانه ان قل له كم من عقوبة لى عليك وانت لاتشعر كونها عقوبة ان جمود عينك وقساوة قلبك استدراج منى وعقوبة لو عقلت قال بعض المكاشفين من المكر الالهى بالعبد ان يرزق العلم و يحرم العمل به او يرزق العمل و يحرم

الاخلاص فيه فمن علم اتصافه بهذا من نفسه فليعلم انه ممكور به واخفى مايكون المكر الالهى فى المتأولين من اهل الاجتهاد وغيرهم ومن يعتقد ان كل مجتهد مصيب يدعوا الناس على بصيرة وعلم قطعى وكذلك مكر الله بالخاصة خفى مستور فى ابقاء الحال عليهم وتأييدهم بالكرامات مع سوء الادب الواقع منهم فتراهم يتلذذون باحوالهم ويهجمون على الله فى مقام الادلال وماعرفوا ماادخر لهم من المؤاخذات نسأل الله العافية وقال بعض العارفين مكر الله فى نعمه اخفى منه فى بلائه فالعاقل من لا يأمن مكر الله فى شئ وادنى مكر بصاحب النعمة الظاهرة او الباطنة انه يخطر فى نفسه انه مستحق لتلك النعمة وانها من اجل اكرامه خلقت ويقول ان الله ليس بمحتاج اليها فهى لى بحكم الاستحقاق وهذا يقع فيه كثيرا من لا تحقيق عنده من العارفين لان الله انما خلق الاشياء بالاصالة لتسبح بحمده واما انتفاع عباده بها فبحكم التبعية لا بالاول وقال بعض المحققين كل علم ضرورى وجده العبد فى نفسه من غير تعمل فكر فيه ولا تدبر فهو عطاء من الله لوليه الخاص بلا واسطة ولكن لا يعرف ان ذلك من الله الا الكمل من الرجال ويحتاج صاحب مقام الفتوح الى ميزان دقيق لانه قد يكون فى الفتوح مكر خفى واستدراج ولذلك ذكره تعالى فى القرآن على نوعين بركات وعذاب حتى لا يفرح العاقل بالفتح قال تعالى ولو أن اهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء وقال تعالى فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد وتأمل قول قوم عاد هذا عارض ممطرنا لما حجبتهم العادة فقيل لهم بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم واعلم ان كل فتح اعطاك ادبا وترقيا فليس هو بمكر بل عناية من الله لك وكل فتح اعطى العبد احوالا وكشفا واقبالا من الخلق فليحذر منه فانه نتيجة عجلت فى غير موطنها فينقلب صاحبها الى الدار الآخرة صفر اليدين نسأل الله اللطف قال ابو الحسين رضى الله عنه المستدرج سكران والسكران لا يصل اليه الم فجع المعصية الابعد افاقته فاذا افاقوا من سكرتهم خلص ذلك الى قلوبهم فانزعجوا ولم يطمئنوا والاستدراج هو السكون الى اللذات والتنعم بالنعمة ونسيان ماتحت النعم من المحن والاغترار بحلم الله تعالى وقال ابو سعيد الخراز قدس سره الاستدراج فقدان اليقين فالمستدرج من فقد فوآئد باطنه واشتغل بظاهره واستكثر من نفسه حركاته وسعيه لغيبوبته عن المنة وقال بعضهم بالاستدراج تعرف العقوبة ويخاف المقت وبالانتباه تعرف النعمة ويرجى القرب (وأملى لهم) الاملاء مهلت دادن اى وامهلهم باطالة العمر وتأخير الاجل ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم (ان كيدى) اى اخذى بالعذاب (متين) قوى شديد لا يطاق ولا يدفع بشئ وبالفارسية وبدرستى كه عقوبت من محكم است بهر چيزى دفع نشود وگرفتن من سخت است كس راطاقت ان نباشد وفى الكشاف سمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للتورط فى الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه فى التسبب للهلاك قال بعضهم الكيد اظهار النفع وابطان الضر للمكيد وفى المفردات الكيد ضرب من الاحتيال وقد يكون محمودا ومذموما وان كان يستعمل فى المذموم اكثر وكذلك الاستدراج والمكر ولكون بعض ذلك محمودا قال تعالى كذلك كدنا ليوسف قال بعضهم اراد بالكيد العذاب والصحيح انه الامهال المؤدى الى العذاب انتهى وفى التعريفات الكيد ارادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السيئة ومن الله التدبير بالحق لمجازاة اعمال الخلق (ام تسألهم) آيا ميطلبى از ايشان برابلاغ وارشاد ودعوت ايمان وطاعت وهو معطوف على قوله ام لهم شركاء (اجرا) دنيويا (فهم) لاجل ذلك (من مغرم) اى من غرامة مالية وهى ماينوب الانسان فى ماله من ضرر لغير جناية منه (مثقلون) مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك اى لا تسأل منهم ذلك فليس لهم عذر فى اعراضهم وفرارهم (ام عندهم الغيب) اى اللوح او المغيبات (فهم يكتبون) منه مايحكمون من التسوية بين المؤمن والكافر ويستغنون به عن علمك (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن) فى التضجر والعجلة بعقوبة قومك وبالفارسية مباش درد لتنكى وشتاب زدكى (كصاحب الحوت) اى يونس عليه السلام يعنى يونس كه صبر نكرد براذيت قوم وبى فرمانى الهى ازميان قوم برفت تابشكم ماهى محبوس كشت (اذنادى) داعيا الى الله فى بطن الحوت بقوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين (وهو مكظوم) مملوء غيظا وغما يقال كظم السقاء اذا ملأه وسد رأسه وبالقيد الثانى قال تعالى والكاظمين الغيظ بمعنى الممسكين عليه وعليه قول النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو

يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهى لانها عبارة عن الضجرة والمغاضبة المذكورة صريحا فى قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا لا على النداء فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اى لايكن حالك كحاله وقت ندائه اى لايوجد منك ماوجد منه من الضجرة والمغاضبة فتبتلى ببلائه وهو التقام الحوت اونحو ذلك قال بعضهم فاصبر لحكم ربك بسعادة من سعد وشقاوة من شقى ونجاة من نجا وهلاك من هلك ولاتكن كصاحب الحوت فى استيلاء صفات النفس عليه وغلبة الطيش والغضب الا حتجاب عن حكم الرب حتى رد عن جناب القدس الى مقر الطبع فالتقمه حوت الطبيعة السفلية فى مقام النفس وابتلى بالاجتنان فى بطن حوت الرحم (لولا ان تداركه) ناله و بلغه ووصل اليه و بالفارسية اكرنه آنست كه در يافت اورا (نعمة) رحمة كائنة (من ربه) وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وان مع الفعل فى تأويل المصدر مبتدأ خبره مقدر يعنى ولولا تدارك نعمة من ربه اياه حاصل (لنبذ) اى طرح من بطن الحوت فان النبذ القاء الشئ وطرحه لقلة الاعتداد به (بالعرآء) اى بالارض الخالية من الاشجار قال الراغب العراء مكان لاسترة به (وهو مذموم) مليم مطرود من الرحمة والكرامة لكنه رحم فنبذ غير مذموم بل سقيما من جهة الجسد ومليم من الام الرجل بمعنى اتى مايلام عليه ودخل فى اللوم فان قلت فسر المذموم بالمليم وقد اثبته الله تعالى بقوله فالتقمه الحوت وهو مليم اجيب على ذلك التفسير بان الالامة حين الالتقام لاتستلزم الالامة حين النبذ اذ التدارك نفاها فالتفت على ماهو حكم لولا الامتناعية كما اشير اليه فى تصوير المعنى آنفا وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هى المنفية لا النبذ بالعراء كما فى الحال الاولى لانه نبذ غير مذموم بل محمود (فاجتباه ربه) عطف على مقدر اى فتداركته نعمة ورحمة من ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه بان رد اليه الوحى وارسله الى مائة الف او يزيدون يقال جبيت الماء فى الحوض جمعته والحوض الجامع له جابية والاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء وقيل استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة ومن انكر الكرامات والارهاص لابد ان يختار القول الاول لان اجتباسه فى بطن الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن ارهاصا ولا كرامة لابد ان يكون معجزة وذلك يقتضى ان يكون رسولا قبل هذه الواقعة (فجعله من الصالحين) من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روى انها نزلت باحد حين هم رسول الله عليه السلام ان يدعو على المنهزمين فتكون الآية مدنية وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف حق تعالى فرمود كه صبر كن وآن دعاء در توقف دار كه كارها بصبر نيكو شود * كارهـا از صبر كردد دلپسند * خرم آن كز صبر باشد بهره مند * چون در افـدى بكر داب حرج * صبر كن والصبر مفتاح الفرج * دلت الآيات على فضيلة الصبر وعلى ان ترك الاولى يصدر من الانبياء عليهم السلام والا لما كان يونس عليه السلام مليما وعلى ان الندم على مافرط من العبد والتضرع الى الله لذلك من وسائل الاكرام وعلى ان توفيق الله نعمة باطنة منه وعلى ان الصلاح درجة عالية لاينالها الا اهل الاجتباء وعلى ان فعل العبد مخلوق لله لدلالة قوله فجعله من الصالحين على ان الصلاح انما يكون بجعل الله وخلقه وان كان للعبد مدخل فيه بسبب الكسب بصرف ارادته الجزئية والمعتزلة يأولونه تارة بالاخبار بصلاحه وتارة باللطف له حتى صلح لكنه مجاز والاصل هو الحقيقة (وان) مخففة واللام دليلها (يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) يقال ازلقه ازل رجله يعنى بلغزانيد (لما سمعوا الذكر) لما ظرفية منصوبة بيزلقونك والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا اى نظر الغضبان بمؤخر العين بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك وقت سماعهم القرآن وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله اوانهم يكادون يصيبونك بالعين قال فى كشف الاسرار الجمهور على هذا القول روى انه كان فى بنى اسد عيانون والعيان والمعيان والعيون شديد الاصابة بالعين وكان الواحد منهم اذا اراد ان يعين شيأ يتجوع له ثلاثة ايام ثم يتعرض له فيقول تالله مارايت احسن من هذا فيتساقط ذلك الشئ وكان الرجل منهم ينظر الى الناقة السمينة اوالبقرة السمينة ثم يعينها ثم يقول للجارية خذى المكتل والدرهم فائتينا بلحم من لحم هذه فتبرح حتى تقع فتنحر والحاصل انه لايمر به شئ فيقول فيه لم اركاليوم مثله الا عانه وكان سببا لهلاكه وفساده فسأل الكفار من قريش من بعض من كانت له هذه الصفة

ان يقول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم مارايت مثله ولامثل حججه تاپرتو جمال ان حضرت باسبب عين الكمال ازساحت عالم محو سازد فقال فعصمه الله تعالى (وقال الكاشفى) حق تعالى براى عصمت وى ازچشم بداين آيت رافرستاد قال الحسن البصرى قدس سره دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية (كما قال الحافظ) حضور مجلس انس است دوستان جمعند * وان يكاد بخوانيد ودر فراز كنيد * وفى الاسرار المحمدية قد قيل ان فى هذه الآية خاصية لدفع العين تعليقا وغسلا وشربا انتهى وفى الحديث (العين حق) اى اثرها فى المعين واقع قالوا ان الشئ لا يعان الابعد كماله وكل كامل فانه يعقبه النقص بقضاء ولما كان ظهور القضاء بعد العين اضيف ذلك اليها ولماخاف يعقوب عليه السلام على اولاده من العين لانهم كانوا اعطوا جمالا وقوة و امتداد قامة وكانوا ولدرجل واحد قال يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة فامرهم ان يتفرقوا فى دخولها لئلا يصابوا بالعين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة و يقول هكذا كان يعوذ ابراهيم اسمعيل واسحق عليهم السلام وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله عليه الصلاة والسلام فى اول النهار فرايته شديد الوجع ثم عدت اليه آخر النهار فوجدته معافى فقال ان جبريل اتانى فرقانى فقال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك قال عليه السلام فافقت والرقية بالفارسية افسون كردن يقال رقاه الراقى رقيا ورقية اذا عوذه ونفث فى عوذته قالوا وانما تكره الرقية اذا كانت بغير لسان العرب ولا يدرى ماهو ولعله يدخله سحر اوكفر واما ماكان من القرآن اوشئ من الدعوات فلا بأس به كما فى المغرب للمطرزى ولاتختص العين بالانس بل تكون فى الجن ايضا وقيل عيونهم انفذ من اسنة الرماح وعن ام سلمة رضى الله عنها ان النبى عليه السلام رأى فى بيتها جارية تشتكى وفى وجهها صفرة فقال استرقوا لها فان بها النظرة واراد بها العين اصابتها من الجن كما فى شرح المصابيح وفى الحديث (لوكان شئ يسبق القدر لسبقته العين) اى لوكان شئ مهلكا اومضرا بغير قضاء الله وقدره لكان العين اى اصابتها لشدة ضررها وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ومما يدفع العين ماروى ان عثمان رضى الله عنه رأى صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين اى سودوا نقرة ذقنه قالوا ومن هذا القبيل نصب عظام الرؤس فى المزارع والكروم ووجهه ان النظر الشؤم يقع عليها اولا فتنكسر سورته فلا يظهر اثره ومن الشفاء من العين ان يقال على ماء فى اناء نظيف و يسقيه منه و يغسله عنس عابس بشهاب قابس رددت العين من المعين عليه والى احب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور والفاتحة وآية الكرسى وست آيات الشفاء وهى و يشف صدور قوم مؤمنين شفاء لما فى الصدور فيه شفاء للناس وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء * ومن الشفاء ان يؤمر العائن فيغتسل او يتوضأ بماء ثم يغتسل به المعين قيل وجه اصابة العين ان الناظر اذا نظر الى شئ واستحسنه ولم يرجع الى الله والى رؤية صنعه قد يحدث الله فى المنظور علة بجناية نظره على غفلة ابتلاء لعباده ليقول المحق انه من الله وغيره من غيره فيؤاخذ الناظر لكونه سببها و وجهها بعض بان العائن قد ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد كما قيل مثل ذلك فى بعض الحيات قال فى الاسرار المحمدية ذوات السموم تؤثر بكيفياتها الخبيثة الكامنة فيها بالقوة فتى قابلت عدوها انبعثت منها قوة غضبية وتكيفت نفسها بكيفية خبيثة مؤذية ومنها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر فى اسقاط الجنين ومنها مايؤثر فى طمس البصر ومنها مايؤثر فى الانسان كيفيتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك النفس وكيفيتها الخبيثة المؤثرة والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية بل بعضه بالمقابلة والرؤية كما اشتهر عن نوع من الافاعى انها اذا وقع بصرها على الانسان هلك فهو من هذا الجنس ولايستبعدان تنبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية فتتصل بالمعين و تتخلل مسام جسمه اى ثقبه كالفم والمنخر والاذن فيتضرر به واذا كانت النفوس مختلفة فى جواهرها وماهياتها لم يمتنع ايضا اختلافها فى لوازمها وآثارها فلا يستبعد ان يكون لبعض النفوس خاصية التأثير المذكور و به يحصل الجواب عمن انكر اصابة العين وقال انها لاحقيقة لها لان تأثير الجسم فى الجسم لايعقل الا بواسطة المماسة ولامماسة ههنا فامتنع حصول التأثير انتهى وعقلاء الامم على اختلاف

باللهم ونحاهم لاتدفع امر العين ولا تنكره و بعض النفوس لاتحتاج الى المقابلة بل بتوجه الروح ونحوه يحصل الضرر فربما يوصف الشئ للاعمى فتؤثر نفسه فيه بالوصف من غير مقابلة ورؤية واذا قتلت ذوات السموم بعد لسعها خف اثر لسعها لان الجسد تكيف بكيفية السم وصار قابلا للانحراف فادامت حية فان نفسها تمده بامتزاج الهواء بنفسها وانتشاق المسموع به قال الجاحظ علماء الفرس والهند واطباء اليونانيين ودهاة العرب واهل التجربة من المعتزلة وحذاق المتكلمين كانوا يكرهون الاكل بين يدى السباع يخافون عيونها فيها من النهم والشره لما ينحل عند ذلك من اجوافها من البخار الردئ وينفصل من عيونها ما اذا خالط الانسان نقصه وافسده وكانوا يكرهون قيام الخدم بالمذاب والاشربة على رؤسهم مخافة العين وكانوا يأمرون اتباعهم قبل ان يأكلوا ان يطردوا الكلب والسنور او يشغلوه بما يطرح له ومن هذا يعرف بعض اسرار قوله عليه السلام من اكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلى بداء لادواء له وفائدة الرقى ان الروح اذا تكيفت به وقويت واستعانت بالنفث والتفل قابلت ذلك الاثر الذى حصل من النفوس الخبيثة والخواص الفاسدة فأزالته والحاصل ان الرقية بما ليس بشرك مشروعة لكن التحرز من العين لازم وانه واجب على كل مسلم اعجبه شئ ان يبرك و يقول تبارك الله احسن الخالقين اللهم بارك فيه فانه اذا دعا بالبركة صرف المحذور لامحالة ومن عرف باصابة العين منع من مداخلة الناس دفعا لضرره قال بعض العلماء يأمره الامام بلزوم بيته وان كان فقيرا رزقه مايقوم به معاشه و يكف اذاه عن الناس وقيل ينفى والاحتياط الامر بلزوم بيته دون الحبس والنفى و بهذا التقرير يعرف حال المجذومين ولذا اتخذوا لهم فى بعض البلاد مكانا مخصوصا بحيث لايخالطون الناس ولايشار كونهم فى محلاتهم وذكر الجاحظ ان اعجب مافى الدنيا ثلاثة البوم لاتظهر بالنهار خوفا ان تصيبها العين لحسنها قال فى حياة الحيوان ولما تصور فى نفسه انه احسن الحيوان لم يظهر الابالليل والثانى الكركى لايطأ الارض بقدميه بل باحدهما فاذ اوطئها لم يعتمد عليها خوفا ان تخسف الارض والثالث الطائر الذى يعتد على سواقى الماء من الانهار يعرف بمالك الحزين شبيه الكركى لايشبع من الماء خشية ان يفنى فيموت عطشا ففى الاول اشارة الى ذم العجب وفى الثانى الى مدح الخوف وفى الثالث الى قدح الحرص فليعتبر العاقل من غير العاقل والسعيد من وعظ بغيره واخذ الاشارة من كل شئ نسأل الله البصيرة التامة بمنه (ويقولون) لغاية حيرتهم فى امره عليه السلام ونهاية جهلهم بمافى القرآن من بدائع العلوم ولتنفير الناس عنه والا فقد علموا انه اعقلهم (انه) عليه السلام (لمجنون) الظاهر انه مثل قولهم ياايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون (وقال الكاشفى) بدرستى كه اين مرد ديوكرفته يعنى باوجنى است كه اورا تعليم ميدهد كما قال الوليد ابن المغيرة معلم مجنون يعنى يأتيه رئى من الجن فيعلمه وحيث كان مدار حكمهم الباطل ماسمعوا منه عليه السلام رد ذلك ببيان علو شانه وسطوع برهانه فقيل (وماهو الا ذكر للعالمين) على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب للسامعين من جرائهم على التفوه بتلك العظيمة اى يقولون ذلك والحال ان القرآن ذكر للعالمين من الجن والانس اى تذكير و بيان لجميع مايحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا فى حقه من الجنون اى انه من اول الامور على كمال عقله وعلو شانه فمن نسب اليه القصور فانما هو من جهله وجنته فان الفاضل لايعرفه الاذووه

اذا لم يكن للمرء عين صحيحة ✤ فلا غرو ان يرتاب والصبح مسفر

وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وفيه اشارة الى الالهام فانه ذكر لصاحبه ولمن اعتقده واقتدى به اذالآثار باقية الى يوم القيامة وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه ذكرا وشرفا للعالمين لاريب فيه ✤ اى شرف جملهٔ عالم بتو ✤ روشنى ديدهٔ آدم بتو ✤ وفيه اشارة الى سادات امته واركان دينه

تمت سورة نون بعون خالق القلم ومايسطرون فى الخامس والعشرين يوم الاثنين من شعبان من سنة ست عشرة بعد المائة

(سورة الحاقة وآيها احدى وخمسون مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) هى من اسماء القيامة من حق يحق بالكسر اذا وجب وثبت لانها يحق اى يجب مجيئها و يثبت وقوعها

كما قال تعالى ان الساعة آتية لاريب فيها فالاسناد حقيقى وقال الراغب فى المفردات لانها يحق فيها الجزاء
فالاسناد مجازى كنهاره صائم ونحوه (ما الحاقة) الاصل ماهى اى اى شئ هى فى حالها وصفتها فان
ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيدا لهولها كما يقال زيد ما زيد على التعظيم
لشانه فقوله الحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان وما بعده خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط تكرير المبتدأ
بلفظه هذا ما ذكروه فى اعراب هذه الجملة ونظائرها ومقتضى التحقيق ان تكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها
فان مناط الفائدة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لابيان ان امرا بديعا الحاقة
كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا كذا فى الارشاد (وما ادراك) من الدراية بمعنى العلم يقال دراه
ودرى به اى علمه من باب رمى وادراه به اعلمه قال فى تاج المصادر الدراية والدرية والدرى دانستن و يعدى
بالباء وبنفسه قال سيبويه وبالباء اكثر قوله ما مبتدأ وادراك خبره ولامساغ ههنا للعكس والمعنى واى شئ
اعلمك يا محمد و بالفارسية وچه چيز دانا كرد ترا (ما الحاقة) جملة من مبتدأ وخبر فى موضع المفعول
الثانى لادراك والجملة الكبيرة تأكيد لهول الساعة وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علم المخلوقات على
معنى ان اعظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لايكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهى
اعظم من ذلك واعظم فلا يتسنى الاعلام قال بعضهم ان النبى عليه السلام وان كان عالما بوقوعها ولكن لم يكن
عالما بكمال كيفيتها ويحتمل ان يقال لعله عليه السلام اسماعا لغيره وفى التأويلات النجمية يشير بالحاقة الى التجلى
الاحدى الاطلاقى فى مرءآة الواحدية المفنى للكل كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بقهر سطوات انوار
الاحدية جميع ظلمات التعينات الساترة اطلاق الذات المطلقة وسمى بالحاقة لثبوته فى ذاته وتحققه فى نفسه
(كذبت ثمود) قوم صالح من الثمد وهو الماء القليل الذى لامادة له (وعاد) قوم هود وهى قبيلة ايضا وتمنع
كما فى القاموس (بالقارعة) من جملة اسماء الساعة ايضا لانها تقرع الناس اى تضرب بفنون الافزاع
والاهوال اى تصيبهم بها كانها تقرعهم بها والسماء بالانشقاق و لانفطار والارض والجبال بالدك والنسف
والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها زيادة فى وصف شدتها
فان فى القارعة ما ليس فى الحاقة من الوصف يقال اصابتهم قوارع الدهر اى اهواله وشدائده قيل منها قوارع
القرءآن للآيات التى تقرأ حين الفزع من الجن والانس لقرع قلوب المؤذين بذكر جلال الله والاستمداد
من رحمته وحمايته مثل آية الكرسى ونحوها وفى الآية تخويف لاهل مكة من عاقبة تكذيبهم بالبعث
والحشر (فاما ثمود) وكانوا عربا منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز يراها حجاج الشام ذهابا وايابا (فاهلكوا)
اى اهلكهم الله لتكذيبهم فاخبر عن الفعل لانه المراد دون الفاعل لانه معلوم (بالطاغية) اى بالصيحة التى
جاوزت عن حد سائر الصيحات فى الشدة فرجفت منها الارض والقلوب وتزلزلت فاندفع ما يرى من التعارض
بين قوله تعالى فاخذتهم الرجفة وبين قوله تعالى فاخذتهم الصيحة والقصة واحدة وفى الآية اشارة الى اهل
العلم الظاهر المحجوبين عن العلوم الحقيقية فانهم اهل العلم القليل كما ان ثمود اهل الماء القليل فلما كذبوا فناء اهل
العلم الباطن من طريق السلوك اهلكهم الله بصاعقة نار البعد والاحتجاب فليس لهم صلاح فى الباطن
وان كان لهم صلاح فى الظاهر وذلك لانهم لم يتبعوا صالحا من الصلحاء الحقيقيين فبقوا فى فساد النفس
(واما عاد) وكانت منازلهم بالاحقاف وهى الرمل بين عمان الى حضرموت واليمن وكانوا عربا ذوى بسطة
فى الخلق وكان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين واوسطهم ما بين ذلك وكان رأس الرجل منهم كالقبة يفرخ
فى عينيه ومنخره السباع وتأخيره عن ثمود مع تقدمهم زمانا من قبيل الترقى من الضلال الشديد الى الاضل
الاشد (فاهلكوا بريح) هى الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور (صرصر) اى
شديدة الصوت لها صرصرة فى هبوبها وهى بالفارسية بانك كردن بازو چرغ وآنچه بدان ماند او شديدة
البرد تحرق ببردها النبات والحرث فان الصر بالكسر شدة البرد (عاتية) مجاوزة للحد فى شدة العصف كانها
عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها والرياح مسخرة لميكائيل تهب باذنه وتنقطع باذنه وله اعوان
كاعوان ملك الموت (روى انه ما يخرج من الريح شئ الا بقدر معلوم ولما اشتد غضب الله على قوم عاد اصابتهم
ريح خارجة عن ضبط الخزان ولذلك سميت عاتية او المعنى عاتية على عاد فلم يقدروا على ردها بحيلة من استتار

يبناء اوليادن بجبل اواختفاء فى حفرة فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم (سخرها عليهم) التسخير سوق الشئ الى الغرض المختص به قهرا والمسخر هو المتيض للفعل والمعنى سلطالله تلك الريح الموصوفة على قوم عاد بقدرته القاهرة كما هو الظاهر انه صفة اخرى ويقال استئناف لدفع مايتوهم من كونها باتصالات فلكية مع انه لو كان كذلك لكان بتسبيبه وتقديره فلا يخرج من تسخيره تعالى (سبع ليال) منصوب على الظرفية لقوله سخرها انث العدد لكون الليالى جمع ليلة وهى مؤنث فتبع مفرد موصوفه يقال ليل وليلة ولا يقال يوم ويومة وكذا نهارة وتجمع الليلة على الليالى بزيادة الياء على غير القياس فيحذف ياؤها حالة التنكير بالاعلال مثل الاهالى والاهال فى جمع اهل الاحالة النصب نحو قوله تعالى سيروا فيها ليالى واياما آمنين لانه غير منصرف والفتح خفيف (وثمانية ايام) ذكر العدد لكون الايام جمع يوم وهو مذكر (حسوما) جمع حاسم كشهود جمع شاهد وهو حال من مفعول سخرها بمعنى حاسمات عبر عن الريح الصرصر بلفظ الجمع لتكثرها باعتبار وقوعها فى تلك الليالى والايام وقال بعضهم صفة لما قبله (كما قال الكاشفى) روزها وشبهاى متوالى والمعنى على الاول حال كون تلك الريح متتابعات ماخفق هبوبها فى تلك المدة ساعة حتى اهلكتهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على داء الدابة مرة بعد اخرى حتى يحسم ويقطع الدم كما قال فى تاج المصادر الحسم بريدن وپيوسته داغ كردن فهو من استعمال المقيد فى المطلق اذالحسم هو تتابع الكى او نحسات حسمت كل خير واستأصلته اوقاطعات قطعت دابرهم والحاصل ان تلك الرياح فيها ثلاث حيثيات الاولى تتابع هبوبها والثانية كونها قاطعة لكل خير ومستأصلة لكل بركة اتت عليها والثالثة كونها قاطعة دابرهم فسميت حسوما بمعنى حاسمات اما تشبيها لها بمن يحسم الداء فى تتابع الفعل واما لان الحسم فى اللغة القطع والاستئصال وسمى السيف حساما لانه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عداوته وهى كانت ايام برد العجوز من صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال ويقال آخر اسبوع من شهر صفر الى غروب الاربعاء الآخر وهو آخر الشهر وعن ابن عباس رضى الله عنه يرفعه آخر اربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت فى سرب اى فى بيت فى الارض فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هى ايام العجز وهى آخر الشتاء ذات برد ورياح شديدة فمن نظر الى الاول قال برد العجوز ومن نظر الى الثانى قال برد العجز وفى روضة الاخبار رغبت عجوز الى اولادها ان يزوجوها وكان لها سبعة بنين فقالوا الى ان تصبرى على البرد عارية لكل واحد منا ليلة ففعلت فلما كانت فى السابعة ماتت فسميت تلك الايام ايام العجوز واسماء هذه الايام الصن وهو بالكسر اول ايام العجوز كما فى القاموس والصنبر وهى الريح الباردة والثانى من ايام العجوز كما فى القاموس والوبر وهو ثالث ايام العجوز والمعلل كمحدث وهو الرابع من ايامها ومطفئ الجمر وهو خامس ايام العجوز اورابعها كما فى القاموس وقيل مكفئ الظعن اى مميلها وهو جمع ظعينة وهو الهودج فيه امرأة ام لا والآمر والمؤتمر قال فى القاموس آمر ومؤتمر آخر ايام العجوز قال الشاعر

كسع الشتاء بسبعة غبر * ايام شهلتنا من الشهر * فاذا انقضت ايام شهلتنا * بالصن والصنبر والوبر
وبآمر واخيه مؤتمر * ومعلل وبمطفئ الجمر * ذهب الشتاء موليا هربا * واتتك موقدة من الحر

قال فى الكواشى ولم يسم الثامن لان هلاكهم واهلاكها كان فيه وفى عين المعانى ان الثامن هو مكفئ الظعن ثم قال فى الكواشى ويجوز انها سميت ايام العجوز لعجزهم عما حل بهم فيها ولم يسم الثامن على هذا لاهلاكهم فيه والذى لم يسم هو الاول وان كان العذاب واقعا فى ابتدائه لان ليلته غير مذكورة فلم يسم اليوم تبعا لليلة لان التاريخ يكون بالليالى دون الايام فالصن ثانى الايام الثمانية اول الايام المذكورة لياليها انتهى يقول الفقير سر العدد ان عمر الدنيا بالنسبة الى الانس سبعة ايام من ايام الآخرة وفى اليوم الثامن تقع القيامة ويعم الهلاك ثم فى الليالى السبع اشارة الى الليالى البشرية الساترة للصفات السبع الالهية التى هى الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وفى الايام اشارة الى الايام الكاشفات للصفات الثمان الطبيعية وهى الغضب والشهوة والحقد والحسد والبخل والجبن والعجب والشره التى تقطع امور الحق واحكامه من الخيرات والمبرات يعنى قاطعات كل خير وبر وقال القاشانى واما عاد المغالون المجاوزون حد الشرائع بالزندقة والاباحة فى التوحيد فأهلكوا بريح هوى النفس الباردة بجمود الطبيعة وعدم حرارة الشوق والعشق المائلة

اى الشديدة الغالبة عليهم الذاهبة بهم فى اودية الهلاك سخرها الله عليهم فى مراتب الغيوب السبع التى هى لياليهم لاحتجابهم عنها والصفات الثمان الظاهرة لهم كالايام وهى الوجود والحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والتكلم على ماظهر منهم ومابطن تقطعهم وتستأصلهم (فترى) يا محمد او يامن شأنه ان يرى و يبصر ان كنت حاضرا حينئذ (القوم) اى قوم عاد فاللام للعهد و بالفارسية پس توميديدى قوم عادرا اكر حاضر مى بودى (فيها) اى فى محال هبوب تلك الريح اوفى تلك الليالى والايام ورجحه ابو حيان للقرب وصراحة الذكر (صرعى) موتى جمع صريع كقتلى وقتيل حال من القوم لان الرؤية بصرية والصريع بمعنى مصروع اى مطروح على الارض ساقطا لان الصرع الطرح وقد صرعوا بموتهم (كأنهم) كوييا ايشان ازعظم اجسام (اعجاز نخل) بخهاء درخت خرما اند الكاف فى موضع الحال اما من القوم على قول من جوز حالين من ذى حال واحد اومن المنوى فى صرعى عند من لم يجوز ذلك اى مصروعين مشبهين باصول نخل كما قال فى القاموس العجز مثلثة وكندس وكتف مؤخر الشئ واعجاز النخل اصولها انتهى والنخل اسم جنس مفرد لفظا وجمع معنى واحد نخلة (خاوية) اصل الخوى الخلاء يقال خوى بطنه من الطعام اى خلا والمعنى متأكلة الاجواف خالية لاشئ فيها يعنى انهم متساقطون على الارض امواتا طوالا غلاظا كأنهم اصول نخل محوفة بلا فروع شبهوا بهامن حيث ان ابدانهم خوت وخلت من ارواحهم كالنخل الخاوية وقيل كانت الريح تدخل من افواههم فتخرج ما فى اجوافهم من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية ففيه اشارة الى عظم خلقهم وضخامة اجسادهم ولذا كانوا يقولون من اشد منا قوة والى ان الريح ابلتهم فصاروا كالنخل الموصوفة وفيه اشارة الى ان اهل النفس موتى لاحياة حقيقية لهم لانهم قائمون بالنفس لابالله كما قال كأنهم خشب مسندة كأنهم اعجاز نخل اى اقوياء بحسب الصورة لامعنى فيهم ولاحياة ساقطة عن درجة الاعتبار والوجود الحقيقى اذلا تقوم بالله والى ان النفس وصفاتها مجوفة ليس لها بقاء لان البقاء انما هو بفيض الروح يعنى ان الذى رش عليه من رطوبة الروح تحى باذن الله وصلح قابلا للصفات الالهية والامات وفسد (فهل ترى لهم من باقية) الاستفهام لانكار الرؤية والباقية اسم كالبقية لاوصف والتاء للنقل الى الاسمية ومن زائدة وباقية مفعول ترى اى ماترى منهم بقية من صغارهم وكبارهم وذكورهم واناثهم غير المؤمنين ويجوزان يكون صفة موصوف محذوف بمعنى نفس باقية اومصدرا بمعنى البقاء كالكاذبة والطاغية والبقاء ثبات الشئ على الحالة الاولى وهو يضاد الفناء * مقررست كه بودند بزمانه بسى * شهان تخت نشين خسروان شاه نشان * چوعاصفات قضا ازمهب قهر وزيد * شدند خاك وازان خاك نيز نيست نشان * فعلى العاقل ان يجتهد حتى يبقى فى الدنيا بالعمر الثانى كما دل عليه قوله تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام واجعل لى لسان صدق فى الآخرين على ان الحياة الباقية الحقيقية هى ماحصلت بالتجلى الالهى والفيض المالى الكلى نسأل الله سبحانه ان يفيض علينا سجال فيضه وجوده بحرمة اسمائه وصفاته ووجوب وجوده (وجاء فرعون) اى فرعون موسى افرده بالذكر لغاية علوه واستكباره (ومن قبله) ومن تقدمه من الكفرة غير عاد وثمود فهو من قبيل التعميم بعد التخصيص ومن موصولة وقبل نقيض بعد وقرأ ابو عمرو و يعقوب والكسائى قبله بكسر القاف وفتح الباء بمعنى ومن معه من القبط من اهل مصر (والمؤتفكات) اى قرى قوم لوط اى اهلها لانها عطف على ماقبلها من فرعون ومن قبله يقال افكه عن الشئ اى قلبه وائتفكت البلدة باهلها اى انقلبت والله تعالى قلب قرى قوم لوط عليهم فهى المنقلبات بالخسف وهى خمس قريات صعبه وصعده وعمره ودوما وسدوم وهى اعظم القرى ثم هذا من قبيل التخصيص بعد التعميم للتتميم لان قوم لوط اتوا بفاحشة ماسبقهم بها من احد من العالمين (بالخاطئة) الباء للملابسة او التعدية وهو الاظهر اى بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ العظيم التى من جملتها تكذيب البعث والقيامة فالخاطئة على الاول مصدر كالعاقبة وعلى الاخيرين صفة لمحذوف والبناء للنسبة على التجريد والاظهر انه من المجاز العقلى كشعر شاعر (فعصوا رسول ربهم) اى فعصى كل امة رسولهم حين نهاهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح فالرسول هنا بمعنى الجمع لان فعولا وفعيلا يستوى فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع فهو من مقابلة الجمع بالجمع المستدعية لانقسام الآحاد على الآحاد فالاضافة ليست للعهد بل للجنس (فأخذهم) اى الله تعالى بالعقوبة اى كل قوم

منهم (اخذة رابية) اى زائدة فى الشدة على عقوبات سائر الكفار او على القدر المعروف عند الناس لما زادت معاصيهم فى القبح على معاصى سائر الكفرة اغرق من كذب نوحا وهم كل اهل الارض غير من ركب معه فى السفينة وحمل مدائن لوط بعد ان نتقها من الارض على متن الريح بواسطة من امره بذلك من الملائكة ثم قلبها واتبعها الحجارة وخسف بها وغمرها بالماء المنتن الذى ليس فى الارض ما يشبهه واغرق فرعون وجنوده ايضا فى بحر القلزم او فى النيل وهكذا عوقب كل امة عاصية بحسب اعمالهم القبيحة وجوزيت جزاء وفاقا وفى كل ذلك تخويف لقريش وتحذير لهم عن التكذيب وفيه عبرة موقظة لاولى الالباب قال ربا الشئ يربو اذا زاد ومنه الربا الشرعى وهو الفضل الذى يأخذه آكل الربا زائدا على ما اعطاه (انا لما طغى الماء) المعهود وقت الطوفان اى جاوز حده المعتاد حتى ارتفع على كل شئ خمسمائة ذراع وقال بعضهم ارتفع على ارفع جبل فى الدنيا خمسة عشر ذراعا او حده فى المعاملة مع خزانه من الملائكة بحيث لم يقدروا على ضبطه وذلك الطغيان ومجاوزة الحد بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومبالغتهم فى تكذيبه فيما اوحى اليه من الاحكام التى من جملتها احوال القيامة فانتقم الله منهم بالاغراق (حملناكم) ايها الناس اى حملنا آباءكم وانتم فى اصلابهم فكأنكم محمولون باشخاصكم وفيه تنبيه على المنة فى الحمل لان نجاة آبائهم سبب ولادتهم (فى الجارية) يعنى فى سفينة نوح لان من شانها ان تجرى على الماء والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم فى السفينة الجارية بامرنا وحفظنا من غير غرق وخرق وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم محض عصمته تعالى وانما السفينة سبب صورى (لنجعلها) اى لنجعل الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته فضمير لنجعلها الى الفعلة او القصة بدلالة ما بعد الآية من الوعى (وقال الكاشفى) تاكردانيم آن كشتى را براى شما پندى وعبرتى در نجات مؤمنان وهلاك كافران وفى كشف الاسرار تا آنرا يادكارى كنيم تا جهان بود وقد ادرك السفينة اوائل هذه الامة وكان الواحها على الجودى (وتعيها) اى تحفظها وبالفارسية ونكاه دارد اين پندرا والوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك يقال وعيت العلم ووعيت ما قلته ومنه ما قال عليه السلام لا خير فى العيش الا لعالم ناطق ومستمع واع والايعاء ان تحفظه فى غير نفسك من وعاء يقال اوعيت المتاع فى الوعاء ومنه ما قال عليه السلام لاسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهما لا توعى فيوعى الله عليك ارضخى ما استطعت وقال الشاعر

الخير يبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما اوعيت من زاد

(اذن واعية) اى اذن من شأنها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به تال الوعى فعل القلب ولكن الآذان تؤدى الحديث الى القلوب الواعية فنعت الآذان بنعت القلوب (وفى البستان) وكرنيستى سعى جاسوس كوش * خبركى رسيدى بسلطان هوش * والتنكير والتوحيد حيث لم يقل الآذان الواعية للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم يعنى ان من وعى هذه القصة انما يعيها ويحفظها لاجل ان يذكرها الناس ويرغبهم فى الايمان المنجى ويحذرهم عن الكفر المردى فيكون سببا للنجاة والادامة المذكورتين قال فى الكشاف الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهى السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالى بهم وان ملأوا ما بين الخافقين وفى الحديث (افلح من جعل الله له قلبا واعيا) وعن النبى عليه السلام انه قال لعلى رضى الله عنه عند نزول هذه الآية سألت الله ان يجعلها اذنك يا على قال على فما نسيت شيأ بعد وما كان لى ان انسى اذ هو الحافظ للاسرار الالهية وقد قال ولدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة وفى رواية اخذ باذن على بن ابى طالب وقال هى هذه ذكره النقاش كرچه ناصح را بود صد داعيه * پندرا اذنى بيايد واعيه * كر نبودى كوش هاء غيب كير * وحى ناوردى زكردون يك بشير * قال بعضهم تلك آذان اسمعها الله فى الازل خطابه فهى واعية تعى من الحق كل خطاب وعن ابى هريرة انه قيل لى انك تكثر رواية الحديث وغيرك لا يروى مثلك فقلت ان المهاجرين والانصار كان تشغلهم عمل اموالهم وكنت امرأ مسكينا الزم رسول الله واقنع بقوتى وقال عليه السلام يوما من الايام

انه لن يبسط احد ثوبه حتى اقضى مقالتى ثم يجمع اليه ثوبه الا وعى ما اقول فبسطت نمرة على حتى اذا قضى مقالته جمعتها الى صدرى فانسيت من مقالته عليه السلام شيأ وفيه اشارة الى تأثير حسن المقال وفائدته والالكان دعاؤه عليه السلام كافيا فى وعيه كما وقع لامير المؤمنين رضى الله عنه (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شأنها باهلاك مكذبيها والنفخ ارسال الريح من الفم وبالفارسية دميدن والصور قرن من نور اوسع من السموات ينفخ فيه اسرافيل بامر الله فيحدث صوت عظيم فاذا سمع الناس ذلك الصوت يصيحون ثم يموتون الا من شاء الله والمصدر المبهم هو الذى يكون لمجرد التأكيد وان كان لا يقام مقام الفاعل فلا يقال ضرب ضرب اذ لا يفيد امرا زائدا على مدلول الفعل الا انه حسن اسناد الفعل فى الآية الى المصدر وهو النفخة لكونها نفخا مقيدا بالوحدة والمرة لا نفخا مجردا مبهما والمراد بها ههنا النفخة الاولى التى لا يبقى عندها حيوان الا مات ويكون عندها خراب العالم لما دل عليه الحمل والدك الآتيان وفى الكشاف فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه انها لا تثنى فى وقتها انتهى يعنى ان حدوث الامر العظيم بالنفخة وعلى عقبها انما استعظم من حيث وقوع النفخ مرة واحدة لا من حيث انه نفخ فنبه على ذلك بقوله واحدة وفى كشف الاسرار ذكر الواحدة للتأكيد لان النفخة لا تكون الا واحدة (وحملت الارض والجبال) اى قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة والريح العاصفة فان الريح من قوة عصفها تحمل الارض والجبال كما حملت ارض وجود قوم عاد وجبال جثثهم مع هوادجها (فدكتا دكة واحدة) اى فضربت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال اثر رفعها بعضها ببعض ضربة واحدة بلا احتياج الى تكرار الضرب وتثنية الدق حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والا فالظاهر فدككن دكة واحدة لاسناد الفعل الى الارض والجبال وهى امور متعددة ونظيره قوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا حيث لم يقل كن والدك ابلغ من الدق وفى الصحاح الدك الدق وقد دكه اذا ضرب به وكسره حتى سواه بالارض وبابه رد وفى المفردات الدك الارض اللينة السهلة ودكت الجبال دكا اى جعلت بمنزلة الارض اللينة ومنه الدكان (فيومئذ) اى فحينئذ وهو منصوب بقوله (وقعت الواقعة) هى من اسماء القيامة بالغلبة لتحقق وقوعها وبهذا الاعتبار اسند اليه وقعت اى اذا كان الامر كذلك قامت القيامة التى توعدون بها او نزلت النازلة العظيمة التى هى صيحة القيامة وهو جواب لقوله فاذا نفخ فى الصور ويومئذ بدل من اذا كرر لطول الكلام والعامل فيهما وقعت (وانشقت السماء) وآسمان بشكافت ازطرف مجره يعنى انفرجت لنزول الملائكة لامر عظيم اراده الله كما قال يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا او بسبب شدة ذلك اليوم وهو معطوف على وقعت (فهى) اى السماء (يومئذ) ظرف لقوله (واهية) ضعيفة مسترخية ساقطة القوة جدا كالعزل المنقوض بعدما كانت محكمة مستمسكة وان كانت قابلة للخرق والالتيام يقال وهى البناء يهى وهيا فهو واه اذا ضعف جدا قال فى القاموس وهى كوعى وولى تخرق وانشق واسترخى رباطه وفى المفردات الوهى شق فى الاديم والثوب ونحوهما (والملك) اى الخلق المعروف بالملك وهو اعم من الملائكة الا ترى الى قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة (على ارجائها) اى جوانب السماء جمع رجى بالقصر وهى جملة حالية ويحتمل ان تعطف على ما قبلها كذا قالوا والمعنى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجأون الى اكنافها وحافاتها قالوا وقوفهم لحظة على ارجائها وموتهم بعدها فان الملائكة يموتون عند النفخة الاولى لا ينافى التعقيب المدلول عليه بالفاء وقد يقال انهم هم المستثنون بقوله الا من شاء الله اى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا الملائكة ونحوهم قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة فاذا وهت السماء نزلت ملائكتها على ارجائها فيرون اهل الارض خلقا عظيما اضعاف ما هم عليه عددا فيتخيلون ان الله نزل فيهم لما يرون من عظم الملائكة مما لم يشاهدوه من قبل فيقولون افيكم ربنا فيقول الملائكة سبحان ربنا ليس فينا وهو آت فيصطف الملائكة صفا مستديرا على نواحى الارض محيطين بعالمى الانس والجن وهؤلاء هم عمار السماء الدنيا ثم ينزل اهل السماء الثانية بعد ما يقبضها الله ايضا ويرمى بكوكبها فى النار وهو المسمى كاتبا وهم اكثر عددا من اهل السماء الدنيا فيقول الخلائق افيكم ربنا فيفزع الملائكة فيقولون سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فيفعلون فعل الاولين من الملائكة يصطفون خلفهم صفا ثانيا مستديرا ثم ينزل اهل السماء الثالثة ويرمى بكوكبها المسمى زهرة فى النار فيقبضها الله بيمينه فيقول

الخلائق افيكم ربنا فتقول الملائكة سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فلا يزال الامر هكذا سماء بعد سماء حتى ينزل
اهل السماء السابعة فيرون خلقا اكثر من جميع من نزل فيقول الخلائق افيكم ربنا فيقول الملائكة سبحان ربنا
قد جاء ربنا وان كان وعد ربنا لمفعولا فيأتى الله فى ظلل من الغمام والملائكة على المجنبة اليسرى منهم ويكون
اتيانه اتيان الملك فانه يقول ملك يوم الدين وهو ذلك اليوم فسمى بالملك ويصطف الملائكة عليه سبعة صفوف
محيطة بالخلائق فاذا ابصر الخلائق جهنم لها فوران وتغيظ على الجبابرة المتكبرين يفرون باجمعهم منها
لعظم ما يرونه خوفا وفزعا وهو الفزع الاكبر الا الطائفة التى لا يحزنهم الفزع الاكبر فتتلقاهم الملائكة هذا
يومكم الذى كنتم توعدون فهم الآمنون مع النبيين على انفسهم غير ان النبيين يفزعون على اممهم للشفقة التى
جبلهم الله عليها للخلق فيقولون فى ذلك سلم سلم وكان قدامهم ان ينصب للآمنين من خلقه منابر من نور متفاضلة
بحسب منازلهم فى الموقف فيجلسون عليها آمنين مبشرين وذلك قبل مجيء الرب تعالى فاذا فر الناس خوفا
من جهنم يجدون الملائكة صفوفا لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة وزعة الملك الحق سبحانه وتعالى الى المحشر
فيناديهم انبياؤهم ارجعوا ارجعوا او ينادى بعضهم بعضا فهو قول الله تعالى فيما يقول رسول الله عليه
السلام انى اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم انتهى يقول الفقير دل هذا
البيان على ان المراد بالوهى سقوط السماء على الارض التى تسمى بالساهرة وان نزول الملائكة على ارجاء
السماء لا يكون يوم يقوم الناس من قبورهم بالنفخة الثانية وان ذكر فى اثناء النفخة الاولى كما دل عليه
ما بعد الآية من حمل العرش والارض اللذين انما يكونان بعد النفخة الثانية وان معنى نزولهم طرد الخلق
ونحوه كما قال تعالى لا تنفذون الا بسلطان اى لا تقصدون مهربا الا وهنالك لى اعوان ولى به سلطان
(ويحمل عرش ربك) وهو الفلك التاسع وهو جسم عظيم لا يعلم عظمه الا الله تعالى لانه فى الآفاق بمنزلة القلب
فى الانفس والقلب اوسع شيء لما وسع الله كما فى الحديث وكان عرش الرحمن والفائدة فى ذكر العرش عقيب ما تقدم
ان العرش بحاله خلاف السماء والارض ولذلك لا يفنى وايضاحه وجه آخر سيأتى وعن على بن الحسن رضى
الله عنهما قال ان الله خلق العرش رابعا لم يخلق قبله الا ثلاثة الهوآء والقلم والنور ثم خلق العرش من انوار
مختلفة من ذلك نور اخضر منه اخضرت الخضرة ونور اصفر منه اصفرت الصفرة ونور احمر منه احمرت الحمرة
ونور ابيض وهو نور الانوار ومنه ضوء النهار قال بعض الكبار الانوار اربعة على عدد المراتب الاربع فاذا اعطى
الانوار يعطى فى مرتبة الطبيعة نورا اسود وفى مرتبة النفس نورا احمر وفى مرتبة الروح نورا اخضر وفى مرتبة
السر نورا ابيض (فوقهم) اى فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية اى يحملون العرش فوق انفسهم
فالمحمول لا يلزم ان يكون فوق الحامل فقد يكون فى يده وقد يكون فى جيبه فكل واحد من قوله فوقهم ويومئذ
ظرف لقوله يحمل حينئذ واما على التقدير الاول فالظاهر ان فوقهم حال من ثمانية قدمت عليها لكونها نكرة
(يومئذ) اى يوم القيامة (ثمانية) من الملائكة عن النبى عليه السلام هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة
ايدهم الله باربعة اخرى فيكونون ثمانية قال بعض العلماء الاربعة اللاحقة اشارة الى الائمة الاربعة الذين هم
ابو حنيفة والشافعى ومالك واحمد لانهم اليوم حملة الشرع فاذا كان يوم القيامة انقلب الشرع العرش فيكونون
من حملته حكما وروى ثمانية املاك ارجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون
مسبحون قال عليه السلام اذن لى ان احدث عن ملك من حملة العرش من شحمة اذنه الى عاتقه خفقان الطير
مسيرة سبعمائة سنة يقول سبحانك حيث كنت قال يحيى بن سلام بلغنى ان اسمه زوقيل وعن الحسن البصرى
قدس سره ثمانية اى ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله يقول الفقير الانسب هو الاول
لكونه ادخل فى العظمة والهيبة واظهار القدرة ولان الاركان اربعة كاركان الكعبة واركان القلب اذ فى يمين
القلب الروح والسر وفى يساره النفس والطبيعة وباعتبار الظاهر والباطن يحصل ثمانية آلاف اذ الالاف
تفصيل الواحد بحيث لا تفصيل وراءه الا باعتبار التضعيف والله اعلم ومر فى اوآئل سورة حم المؤمن بعض
ما يتعلق بهذا المقام فلا نعيده وفى التأويلات النجمية يشير الى عرش الذات الحاملة للصفات الثمانية الذاتية
الغيبية التى هى مفاتيح الغيب الموصوفة بحمل ذوات الصفات والصفات تحمل ظهورات الصفات فافهم
(يومئذ) العامل فيه قوله (تعرضون) على الله اى تسألون تحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان

العسكر لتعرف احوالهم يقال عرض الجند اذا امرهم عليه ونظر ما حالهم والخطاب عام للكل على التغليب روى) ان فى يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا العرض وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل كما تقول جئت عام كذا وانما كان مجيئك فى وقت واحد من اوقاته وذهب المشبهة من حمل العرش والعرض الى كونه تعالى محمولا حاضرا فى العرش واجيب بانه تمثيل لعظمة الله بما يشاهد من احوال السلاطين يوم بروزهم للقضاء العام فيكون المراد من اتيانه تعالى فى ظلل من الغمام اتيان امره وقضائه واما حديث التحول فمحمول على ظهوره تعالى فى مرتبة الصفات ولاما قشة فيه لان النبى عليه السلام رآه ليلة المعراج فى صورة شاب امرد لان الصورة الانسانية اجمع الصور ومثله الرؤيا المنامية والله تعالى منزه فى ذاته عن اوصاف الجسمانيات (لا تخفى منكم خافية) حال من مرفوع تعرضون ومنكم كان فى الاصل صفة لخافية قدم للفاصلة فتحول حالا اى تعرضون غير خاف عليه تعالى فعلة خفية اى سر من اسراركم وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة فى العدل وغير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر فقوله منكم يتعلق بما قبله وما بعده على التجاذب (قال فى الكشاف) خافية اى سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا بستر الله عليكم والسر والسريرة الذى يكتم ويخفى فتظهر يوم القيامة احوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر احوال غيرهم فيحصل الحزن والافتضاح ففى الآية زجر عظيم عن المعصية لتأديها الى الافتضاح على رؤس الخلائق فقلب الانسان ينبغى ان يكون بحال لو وضع فى طبق وادير على الناس لما وجد فيه ما يورث الخجالة وهو صفة اهل الاخلاص والنصيحة (فاما) تفصيل لاحكام العرض (من) موصولة (اوتى كتابه) اى مكتوبه الذى كتبت الحفظة فيه تفاصيل اعماله (بيمينه) تعظيما له لان اليمين يتيمن بها والباء بمعنى فى او للالصاق وهو الاوجه والمراد منهم الابرار فان المقربين لا كتاب لهم ولا حساب لهم لمكانتهم من الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه السلام قال اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر فقال هيهات زفته الملائكة الى الجنة يقول الفقير لعل هذا مكافاة له حين اخذ سيفه بيده وخرج من دار الارقم وهو يظهر الاسلام على ملأ من قريش فبسيفه ظهر الاسلام فرضى الله عنه وعن محبيه وفى الحديث اثبت احد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان وكان عليه رسول الله عليه السلام وابو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فتحرك فقاله دل الحديث على ان رتبة ابى بكر فوق رتبة غيره لان الصديقية تلى النبوة (فيقول) فرحا وسرورا فانه لما اوتى كتابه بيمينه علم انه من الناجين من النار ومن الفائزين بالجنة فاحب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله (هاؤم اقرأوا كتابيه) اى خذوا يا اهل بيتى وقرابتى واصحابى كتابى وتناولوه اقرأوا كتابى زيرا درا ينجا عملى نيست كه از اظهار ان شرم دارم ودر تبيان اورده كه اين كتاب ديكراست بغير كتاب اعمال كه نوشته ودراو بشارت جنت است و پس چه كتاب حفظ ميان بنده وخداوندست وكسى ازانه بيند ونه خواند وفى الخبر حسنات المؤمن فى ظاهر كتابه وسيئاته فى باطنه لايراها الا هو فاذا انتهى يرى مكتوبا فقد غفرتها لك فاقلب فيرى فى الظاهر قد قبلتها منك فيقول من فرط السرور هاؤم اقرأوا كتابيه اى هلموا اصحابى كما فى عين المعانى يقال هاء يا رجل بفتح الهمزة وهاء يا امرأة بكسرها وهاؤما يا رجلان او يا امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة بمعنى خذ خذا خذوا خذى خذا خذن ومفعوله محذوف وكتابى مفعول اقرأوا لانه اقرب العاملين فهو اقوى لكونه بمنزلة العلة القريبة واصله هاؤم كتابى اقرأوا كتابى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه ونظيره آتونى افرغ عليه قطرا والهاء للوقف والاستراحة والسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل كما هو الاصل فى هاء السكت لانها انما جيئ بها حفظا للحركة اى لتحفظ حركة الموقوف عليه اذ لولاها لسقطت الحركة فى الوقف فتثبت حال الوقف اذ لاحاجة اليها حال الوصل فلذلك كان حقها ان تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل الا ان القراء السبعة اتفقوا فى كل المواضع على اثباتها وقفا ووصلا اجراء للوصل مجرى الوقف واتباعا لرسم الامام فانها ثابتة فى المصحف فى كل المواضع وهى كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه وماهيه فى القارعة وما كان ثابتا فيه لابد ان يكون مثبتا فى اللفظ الا ان حمزة اسقط الهاء من ثلاث كلم وصلا وهى ماليه وسلطانيه وماهيه واثبتها وقفا على الاصل

ولم يعمل بالاصل فى كتابيه وحسابيه واثبتها فى الحالين جمعا بين اللغتين وتبين من هذا التقرير ان المستحب ايثار الوقف اتباعا للوصل وان اثباتها وصلا انما هو لاتباع المصحف قال فى القاموس هاء السكت هى اللاحقة لبيان حركة او حرف نحو ماهيه وهاهناه واصلها ان يوقف عليها او ربما وصلت بنية الوقف انتهى وهذه الهاء لا تكون الا ساكنة وتحريكها لحن اى خطأ لانه لا يجوز الوقف على المتحرك وهاء السكت فى القرآن فى سبعة مواضع فى لم يتسنه وفى فبهداهم اقتده وفى كتابيه وفى حسابيه وفى ماليه وفى سلطانيه وفى ماهيه وأما الهاء التى فى القاضية وفى هاوية وخاوية وثمانية وعالية ودانية وامثالها فللتأنيث فيوقف عليهن بالهاء ويوصلن بالتاء (انى ظننت انى ملاق حسابيه) الحساب بمعنى المحاسبة وهو عد اعمال العباد فى الآخرة خيرا وشرا للمجازاة اى علمت وايقنت انى مصادف حسابى فى ديوان الحساب الالهى وانى احاسب فى الآخرة يعنى دانستم وايمان آوردم كه مرا حساب خواهند كرد وازا آماده ومتهئ شدم قال الراغب الظن اسم لما يحصل من امارة ومتى قويت ادت الى العلم ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز حد التوهم انتهى ومنه يعلم قول من قال سمى اليقين ظنا لان الظن يلد اليقين انتهى وانما فسر الظن بالعلم لان البعث والحساب مما يجب بهما الايمان ولا ايمان بدون اليقين قال سعدى المفتى وفيه بحث فايمان المقلد ذو اعتبار وصرحوا بان الظن الغالب الذى لا يخطر معه احتمال النقيض يكفى فى الايمان ثم انه يجوز ان يكون المراد ما حصل له من حسابه اليسير ولا يقين به لوجوب ان يكون المؤمن بين الخوف والرجاء والمراد انى ظننت انى ملاق حسابى على الشدة والمناقشة لما سلف منى من الهفوات والآن ازال الله عنى ذلك وفرج همى انتهى يقول الفقير هذا عدول عما عليه ظاهر القرآن فان الظن فى مواضع كثيرة منه بمعنى اليقين كما فى قوله تعالى حكاية قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله وهم المؤمنون بالآخرة وفى قوله تعالى وظن داود انما فتناه اى علم وايقن بالعلامة القوية قال القاضى ولعل التعبير عن العلم بالظن للاشعار بانه لا يقدح فى الاعتقاد وما يهجس فى النفس من الخطرات التى لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا يعنى ان الظن استعير للعلم الاستدلالى لانه لا يخلوا عن الخطرات والوساوس عند الذهول عما افاد اليه من الدليل للاشعار المذكور واما العلوم الضرورية والكشفية فعارية عن الاضطراب وفى الكشاف وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم فى العادات والاحكام ويقال الظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت (فهو) اى من اوتى كتابه بيمينه (فى عيشة) نوع من العيش وهو بالفتح وكذا العيشة والمعاش والمعيش والعيشوشة بالفارسية زيستن قال بعض العلماء اذا كسر العين من العيش يلزمه التاء كما فى عيشة والعيش الحياة المختصة بالحيوان وهو اخص من الحياة لان الحياة تقال فى الحيوان وفى البارى وفى الملك ويشتق منه المعيشة لما يتعيش منه قال عليه السلام لا عيش الا عيش الآخرة (راضية) ذات رضى يرضاها من يعيش فيها على النسبة بالصيغة فان النسبة نسبتان نسبة بالحرف كمكى ومدنى ونسبة بالصيغة كلابن وتامر بمعنى ذى لبن وذى تمر ويجوزان يجعل الفعل لها وهو لصاحبها فيكون من قبيل الاسناد المجازى ومآل الوجهين كون العيشة مرضية والى ما ذكرنا يرجع قول من قال راضية فى نفسها فكانها لرغادتها قد رضيت بما هى فيه مجازا او بمعنى مرضية كماء دافق اى مدفوق انتهى وفى التأويلات النجمية راضية هنيئة مريئة صافية عن شوائب الكدر طاهرة عن نوائب الحذر وبالفارسية درزندكانى باشد پسنديده صافى از كدورت ومقرون بحرمت وحشمت وذلك اى كون العيشة مرضية لاشتمالها على امور ثلاثة الاول كونها منفعة صافية عن الشوائب والثانى كونها دائمة لا يترقب زوالها وانقطاعها والثالث كونها بحيث يقصد بها تعظيم من رضى بها واكرامه والا يكون استهزاء واستدراجا وعيشة من اعطى كتابه بيمينه جامعة لهذه الامور فتكون مرضيا بها كمال الرضى قال ابن عباس رضى الله عنهما يعيشون فلا يموتون ويصحون فلا يمرضون وينعمون فلا يرون بؤسا ابدا (فى جنة عالية) مرتفعة المكان لانها فى السماء كما ان النار سافلة لانها تحت الارض او الدرجات او الابنية والاشجار فيكون عالية من الصفات الجارية على غير من هى له وهو بدل من عيشة باعادة الجار ويجوز كونه متعلقا بعيشة راضية اى يعيش عيشا مرضيا فى جنة عالية (قطوفها) ثمارها جمع قطف بالكسر وهو ما يقطف ويجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر قال سعدى المفتى اعتبار السرعة فى مفهوم القطف محل كلام قال ابن الشيخ معنى السرعة قطع الكل بمرة وفى القاموس القطف بالكسر العنقود واسم للثمار المقطوفة انتهى فلا حاجة الى ان يقال غلب هنا فى جميع ما يجتنى من الثمرة عنبا كان او غيره (دانية)

من الدنو وهو القرب اى قريبة من مريدها يعنى خوشه هاى ان ازدست چيننده نزديك ينالها القائم والقاعد والمضطجع من غير تعب وقيل لايتأخر ادراكها انتهى واذا ارادان تدنو الى فيه دنت بخلاف ثمار الدنيا فان فى قطفها وتحصيلها تعبا ومشقة غالبا وكذا لاتؤكل الا بمزاولة اليد يقول الفقير اشجار الجنة على صورة الانسان يعنى ان اصل الانسان رأسه وهى فى طرف العلو ورجله فرعه مع انها فى طرف السفل فكذلك اصول اشجار الجنة فى طرف العلو واغصانها متدلية الى جانب السفل ولذا لايرون تعبا فى القطف على ان نعيم الجنة تابع لارادة المتنعم به فيتصرف فيه كيف يشاء من غير مشقة (كلوا واشربوا) باضمار القول والجمع بعد قوله فهو باعتبار المعنى والامر امر امتنان واباحة لاامر تكليف ضرورة ان الآخرة ليست بدار تكليف وجمع بين الاكل والشرب لان احدهما شقيق الآخر فلا ينفك عنه ولذا لم يذكر هنا الملابس وان ذكرت فى موضع آخر يقال لمن اوتى كتابه بيمينه كلوا من طعام الجنة وثمارها واشربوا من شرابها مطلقا (هنيئا) اكلا وشربا هنيئا اى سائغا لاتنغيص فيه فى الحلقوم وبالفارسية خوردنى وآشاميدنى كوارنده وجعل الهنيئ صفة لهما لان المصدر يتناول المثنى ايضا من هنؤ الطعام والشراب وهنئ يهنأ ويهنؤ ويهنئ هناءة وهناء اى صار هنيئا سائغا فهو هنيئ ومنه اليهنئ المشتهر فى اللسان التركى فى اللحم المطبوخ ويستعمله العجم بالخاء المعجمة بدل الهاء كما قال فى المثنوى * وين پزاز بهر ميان روزرا * يخنئ باشد شه فيروزرا * واسناد الهناءة الى الاكل والشرب مجاز للمبالغة لانها للمأكول والمشروب وقولهم هنيئا عند شرب الماء ونحوه بمعنى صحة وعافية لان السائغ محظوظ منه بسبب الصحة والعافية غالبا (بما اسلفتم) بمقابلة ماقدمتم من الاعمال الصالحة او بدله او بسببه ومعنى الاسلاف فى اللغة تقديم ماترجوأن يعود عليك بخير فهو كالاقراض ومنه يقال اسلف فى كذا اذا قدم فيه ماله (فى الايام الخالية) اى الماضية فى الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام فيكون المعنى كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله فى ايام الصيام لاسيما فى الايام الحارة وهو الاولى لان الجزاء لابد وان يكون من جنس العمل وملائماله كما قال بعض الكبار لم يقل اشهدوا ولا اسمعوا وانما جوزوا من حيث عملوا ونظيره فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وقوله ان تسخروا منا فانا نسخر منكم ونظائر ذلك وروى بعضهم فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال رحمنى وقال كل يامن لم يأكل واشرب يامن لم يشرب فلم يقل كل يامن قطع الليل تلاوة واشرب يامن ثبت يوم الزحف فان هذا مالا تعطيه الحكمة كما فى مواقع النجوم (وروى) يقول الله ياأوليائى طالما نظرت اليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية * قوله قلصت من الباب الثانى يقال قلص الظل اى نقص والماء اى ارتفع فى البئر والشفة اى انزوت والثوب اى انزوى بعد الغسل ومصدر الجميع القلوص والتركيب يدل على انضمام شئ بعضه الى بعض وخمصه الجوع خمصا ومخمصة من الباب الاول يعنى باريك ميان كردو يراكرسنكى وفيه اشارة الى ايام الازل الخالية عن الاعمال والعلل والاسباب اى كلوا من نعيم الوصال واشربوا من شراب الفيض بما اسلفه الله لكم فى الازل والقدم من العناية اذ بتلك العناية قمتم مع الحق فى جميع الاحوال * چون حسن عاقبت نه برندى وزاهد يست * آن به كه كار خود بعنايت رها كنندى (واما من اوتى كتابه بشماله) تحقيرا له لان الشمال يتشاءم بها بان تلوى يسراه الى خلف ظهره فيأخذه بها ويرى مافيه من قبائح الاعمال (فيقول) تحزنا وتحسرا وخوفا ممافيه وهو من قبيل الالم الروحانى الذى هو اشد من الالم الجسمانى (يا) هؤلاء يامعشر المحشر (ليتنى) كاشكى من وهو تمن للمحال (لم اوت) متكلم مجهول من الايتاء بمعنى لم اعط (كتابيه) هذا الذى جمع جميع سيئاتى (ولم ادر) متكلم من الدراية بمعنى العلم (ماحسابيه) لما شاهد من سوء العاقبة وبالفارسية كاشكى ندانستمى امروز چيست حساب من چه حاصلى نيست مرا از جز عذاب وشدت ومحنت فما استفهامية معلق بها الفعل عن العمل ويجوز ان تكون موصولة بتقدير المبتدأ فى الصلة (ياليتها) تكرير للتمنى وتجديد للتحسر أى ياليت الموتة التى متها وذقتها وذلك ان الموتة وان لم تكن مذكورة الا انها فى حكم المذكور بدلالة المقام (كانت القاضية) اى القاطعة لامرى وحياتى ولم ابعث بعدها ولم الق ما القى تمنى عند مطالعة كتابه ان تدوم عليه الموتة الاولى وانه لايبعث للحساب ولايلقى مااصابه من الخجالة وسوء العاقبة ويجوز ان يكون ضمير ليتها لما شاهد من الحالة اى ياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على يتمنى ان يكون بدل تلك الحالة الموتة القاطعة

للحياة لما انه وجد تلك الحالة امر من الموت فتمناه عندها وكان في الدنيا اشد كراهية للموت قال الشاعر

وشر من الموت الذى ان لقيته * تمنيت منه الموت والموت اعظم

(ما اغنى عنى) اى لم يدفع عنى شيأ من عذاب الآخرة على ان ما نافية والمفعول محذوف (ماليه) اى الذى كان لى فى الدنيا من المال والاتباع على ان ما موصولة واللام جارة داخلة على ياء المتكلم ليعم مثل الاتباع فانه اذا كان اسما مضافا الى ياء المتكلم لم يعم وفى الكشاف ما اغنى نفى واستفهام على وجه الانكار اى اى شئ اغنى عنى ما كان لى من اليسار انتهى حتى ضيعت عمرى فيه اى لم ينفعنى ولم يدفع عنى شيأ من العذاب فالاستفهامية منصوبة المحل على انها مفعول اغنى يقول الفقير الظاهر ان ماليه هو المال المضاف الى ياء المتكلم اى لم يغن عنى المال الذى جمعته فى الدنيا شيأ من العذاب بل الهانى عن الآخرة وضرنى فضلا عن ان ينفعنى وذلك ليوافق قوله تعالى ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ وقوله وما يغنى عنه ماله اذا تردى وقوله ما اغنى عنه ماله وما كسب ونظائر ذلك فما ذهب اليه اكثر اهل التفسير من التعميم عدول عما ورد به ظاهر القرآن (هلك عنى سلطانيه) قال الراغب السلاطة التمكن من القهر ومنه سمى السلطان والسلطان يقال فى السلاطة نحو قوله تعالى فقد جعلنا لوليه سلطانا وقد يقال لذى السلاطة وهو الاكثر وسميت الحجة سلطانا وذلك لما لحق من الهجوم على القلوب لكن اكثر تسلطه على اهل العلم والحكمة من المؤمنين وقوله هلك عنى سلطانيه يحتمل السلطانين انتهى والمعنى هلك عنى ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيرا ذليلا اوضلت عنى حجتى كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ومعناه بطلت حجتى التى كنت احتج بها عليهم فى الدنيا وبالفارسية كم كشت ازمن حجتى كه دردنيا چنك دران زده بودم ورجح هذا المعنى بان من اوتى كتابه بشماله لا اختصاص له بالملوك بل هو عام لجميع اهل الشقاوة يقول الفقير قوله تعالى ما اغنى عنى ماليه يدل على الاول على ان فيه تعريضا بنحو الوليد من رؤساء قريش واهل ثروتهم ويجوز ان يكون المعنى تسلطى على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها فى العبادات وذلك لان كل احد كان له سلطان على نفسه وماله وجوارحه يزول فى القيامة سلطانه فلا يملك لنفسه نفعا (خذوه) حكاية لما يقوله الله يومئذ لخزنة النار وهم الزبانية الموكلون على عذابه والهاء راجع الى من الثانى اى خذوا هذا العاصى لربه (فغلوه) بلا مهلة اى اجمعوا يديه الى عنقه بالقيد والحديد وشدوه به يقال غل فلان وضع فى عنقه او يده الغل وهو بالضم الطوق من حديد الجامع لليد الى العنق المانع عن تحرك الرأس وبالفتح دست باكردن بستن وفى الفقه وكره جعل الغل فى عنق عبده لانه عقوبة اهل النار وقال الفقيه ان فى زماننا جرت العادة بذلك اذا خيف من الاباق كما فى الكبرى بخلاف التقييد فانه غير مكروه لانه سنة المسلمين فى المتمردين (ثم الجحيم صلوه) دل التقديم على التخصيص والمعنى لا تصلوه اى لا تدخلوه الا الجحيم ولا تحرقوه الا فيها وهى النار العظمى ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس قال سعدى المفتى فيكون مخصوصا بالمتعظمين وفيه بحث انتهى وقدم جوابه (ثم فى سلسلة) من نار وهى حلق منتظمة كل حلقة منها فى حلقة والجار متعلق بقوله فاسلكوه والفاء ليست بمانعة عن التعلق (ذرعها) طولها وبالفارسية كزان والذراع ككتاب ما يذرع به حديدا اوقضيبا وفى المفردات الذراع العضو المعروف ويعبر به عن المذروع والممسوح يقال ذراع من الثوب والارض والذرع بيودن قوله ذرعها مبتدأ خبره قوله (سبعون) والجملة فى محل الجر على انها صفة سلسلة وقوله (ذراعا) تمييز (فاسلكوه) السلك هو الادخال فى الطريق والخيط والقيد وغيرها ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين العذابين الغل وتصلية الجحيم وما بينهما وبين السلك فى السلسلة فى الشدة لا على تراخى المدة يعنى ان ثم اخرج عن معنى المهلة لاقتضاء مقام التهويل ذلك اذ لا يناسب التوعد بتفرق العذاب قال ابن الشيخ ان كلتى ثم والفاء ان كانتا لعطف جملة فاسلكوه لزم اجتماع حرفى العطف وتواردهما على معطوف واحد ولا وجه له فينبغى ان يكون كلمة ثم لعطف مضمر على مضمر قبل قوله خذوه اى قيل لخزنة النار خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم قيل لهم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فيكون الفاء لعطف المقول على المقول مع افادة معنى التعقيب وكلمة ثم لعطف القول على القول مع الدلالة على ان الامر الاخير اشد واهول مما قبله من الاوامر مع تعاقب المأمور بها من الاخذ وجعل يده مغلولة الى عنقه وتصلية الجحيم وسلكهم اياه فى السلسلة الموصوفة والمعنى فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده وتجعلوه محاطا بها فهو فيما بينها مرهق مضيق عليه

لا يستطيع حرا كا ما كاروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اهل النار يكونون فى السلسلة كما يكون الثعلب فى الجلبة والثعلب طرف خشبة الرمح الداخل فى جلبة السنان وهى الدرع وذلك انما يكون رهقا اى غشية وبالفارسية پس درآريد اورادران يعنى درجسد او بپيچيد محكم تا حركت نتواند كرد وتقديم السلسلة على السلك كتقديم الجحيم على التصلية فى الدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان مايعذب به اى لا تسلكوه الافى هذه السلسلة لانها افظع من سائر مواضع الارهاق فى الجحيم وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد فهو كناية عن زيادة الطول لشيوع استعمال السبعة والسبعين و السبعمائة فى التكثير وقال سعد المفتى الظاهر انه لامنع من الحمل على ظاهره من العدد قال الكاشفى يعنى بذراع ملك كه هر ذراعى هفتاد باعست وهر باعى از كوفه تا مكه وقال بعض المفسرين هى بالذراع المعروفة عندنا وانما خوطبنا بما نعرفه ونحصله وقال الحسن قدس سره الله اعلم باى ذراع هى وعن كعب لوجمع حديد الدنيا ماوزن حلقة منها ولو وضعت منها حلقة على جبل لذاب مثل الرصاص تدخل السلسلة فى فيه وتخرج من دبره ويلوى فضلها على عنقه وجسده ويقرن بها بينه وبين شيطانه يقول الفقير هذا يقتضى ان يكون ذلك عذاب الكافر لان جسده يكون فى العظم مسيرة ثلاثة ايام وضرسه مثل جبل احد على ماجاء فى الحديث وعن النبى عليه السلام قال لوان رضراضة اى صخرة قدر رأس الرجل وفى رواية لوأن رضراضة مثل هذه واشار صخرة مثل الجمجمة سقطت من السماء الى الارض وهى خمسمائة عام لبلغت الارض قبل الليل ولوانها ارسلت من رأس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ اصلها وقعرها قال الشراح اللام فى السلسلة فى هذا الحديث للعهد اشارة الى السلسلة التى ذكرها الله فى قوله ثم فى سلسلة الخ (روى) ان شابا قد حضر صلاة الفجر مع الجماعة خلف واحد من المشايخ فقرأ ذلك الشيخ سورة الحاقة فلما بلغ الى قوله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه صاح الشاب وسقط وغشى عليه فلما اتم الشيخ صلاته قال من هذا قالوا هو شاب صالح خائف من الله تعالى وله والدة عجوز ليس لها غيره قال الشيخ ارفعوه واحملوه حتى نذهب به الى امه ففعلوا ما امر به الشيخ فلما رأت امه ذلك فزعت واقبلت وقالت مافعلتم بابنى قالوا مافعلنا به شيأ الا انه حضر الجماعة وسمع آية مخوفة من القرآن فلم يطق سماعها فكان هكذا بامر الله فقالت اية آية هى فاقرأوها حتى اسمع فقرأها الشيخ فلما وصلت الآية الى سمع الشاب شهق شهقة اخرى خرجت معها روحه بأمر الله فلما رأت الام ذلك خرت ميتة وفى التأويلات النجمية قوله ثم فى سلسلة الخ يشير الى كثرة اخلاقه السيئة واوصافه الرديئة واحكام طبيعته الظلمانية اذهى يوم القيامة كلها سلاسل العذاب واغلال الطرد والحجاب (انه) بدرستى كه اين كس كأنه قيل ماله يعذب بهذا العذاب الشديد فاجيب بانه (كان لايؤمن بالله العظيم) وصفه تعالى بالعظم للايذان بانه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات (ولا يحض على طعام المسكين) الحض الحث على الفعل بالحرص على وقوعه قال الراغب الحض التحريك كالحث الا ان الحث يكون بسير وسوق والحض لايكون بذلك واصله من الحث على الحضيض وهو قرار الارض والمعنى ولا يحث اهله وغيرهم على اعطاء طعام يطعم به الفقير فضلا عن ان يعطى ويبذل من ماله على ان يكون المراد من الطعام العين فاضمر مثل اعطاء او بذل لان الحث والتحريض لايتعلق بالاعيان بل بالاحداث واضيف الطعام الى المسكين من حيث ان له اليه نسبة اوالمعنى ولا يحثهم على اطعامه على ان يكون اسما وضع موضع الاطعام كما يوضع العطاء موضع الاعطاء فالاضافة الى المفعول وذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل يعنى يكون ترك الفعل اشد فى ان يكون سبب المؤاخذة الشديدة وجعل حرمان المسكين قرينة للكفر حيث عطفه عليه للدلالة على عظم الجرم ولذلك قال عليه السلام البخل كفر والكافر فى النار فتخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل والعطف للدلالة على ان حرمان المسكين صفة الكفرة كما فى قوله تعالى وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة فلا يلزم ان يكون الكفار مخاطبين بالفروع وفى عين المعانى وبه تعلق الشافعى فى خطاب الكفار بالشرائع ولا يصح عندنا لان توجيه الخطاب بالامر ولا امر ههنا على انه ذكر الايمان مقدما وبه نقول انتهى وقال ابن الشيخ فيه دليل على تكليف الكفار بالفروع على معنى انهم يعاقبون على ترك الامتثال بها كعدم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة

والانتهاء عن الفواحش والمنكرات لاعلى معنى انهم يطالبون بها حال كفرهم فانهم غير مكلفين بالفروع بهذا المعنى لانعدام اهلية الاداء فيهم لان مدارا هلية الاداء هو استحقاق الثواب بالاداء ولاثواب لاعمال الكفار واهلية الوجوب لا تستلزم اهلية الاداء كما تقرر فى الاصول انتهى والحاصل ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة لاغير وعن ابى الدرداء رضى الله عنه انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الآخر بالاطعام والحض عليه * جوى بازدارد بلاى درشت * عصايى شنيدى كه عوجى بكشت * كسى نيك بيند بهر دوسراى * كه نيكى رساند بخلق خداى (فليس له اليوم) وهو يوم القيامة (ههنا) اى فى هذا المكان وهو مكان الاخذ والغل (حميم) اى قريب نسبا اوودا يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه كقوله ولايسأل حميم حميما وقال فى عين المعانى قريب يحترق له قلبه من حميم الماء وقال القاشانى لاستيحاشه من نفسه فكيف لايستوحش غيره منه وهو من تتمة مايقال للزبانية فى حقه اعلاما بانه محروم من الرحمة وحثالهم على بطشه (ولاطعام الامن غسلين) قال فى القاموس الغسلين بالكسر ماينغسل من الثوب ونحوه كالغسالة ومايسيل من جلود اهل النار والشديد الحر وشجر فى النار انتهى والمعنى ولاطعام الامن غسالة اهل النار ومايسيل من ابدانهم من الصديد والدم بعصر قوة الحرارة النارية وبالفارسية زردابه وريمى كه از تنهاء ايشان ميرود (روى) انه لووقعت قطرة منه على الارض لافسدت على الناس معايشهم يقال للنار دركات ولكل دركة نوع طعام وشراب وسيجيئ وجه التلفيق بينه وبين قوله ليس لهم طعام الامن ضريع فى الغاشية وهو فعلين من الغسل فالياء والنون زائد تان وفى الكواشى اونونه غير زائدة وهو شجر فى النار وهو من اخبث طعامهم والظاهران الاستثناء متصل ان جعل الطعام شاملا للشراب كما فى قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه منى فانهم فسروه بمن لم يذقه من طعم الشيئ اذاذاقه مأكولا كان اومشروبا (لايأكله الا الخاطئون) صفة غسلين والتعبير بالاكل باعتبار ذكر الطعام اى لايأكل ذلك الغسلين الا الآثمون اصحاب الخطايا وهم المشركون كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد جوزان يرادبهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدودالله من خطئ الرجل من باب علم اذا تعمد الخطأ اى الذنب فالخاطئ هو الذى يفعل ضد الصواب متعمدا لذلك والمخطئ هو الذى يفعله غير متعمد اى يريد الصواب فيصير الى غيره من غير قصد كما يقال المجتهد قد يخطئ وقد يصيب وفى عين المعانى الخاطئون طريق التوحيد وفى التأويلات النجمية ولايحض مساكين الاعضاء والجوارح بالاعمال الصالحات والاقوال الصادقات والاحوال الصافيات فليس له اليوم ههنا من يعينه ويؤنسه لان المؤنس ليس الا الاعمال والاحوال ولاطعام لنفسه المشوهة الاغسالة اعماله وافعاله القبيحة الشنيعة لايأكله الاالمتجاوزون عن اعمال الروح والقلب القاصدون مراضى النفس والهوى متبعون للشهوات الجسمانية واللذات الحيوانية (فلااقسم) اى فأقسم على ان لامزيدة للتأكيد واماحمله على معنى نفى الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم فيرده تعيين المقسم به بقوله بما الخ وقال بعضهم هو جلتان والتقدير وماقاله المكذبون فلايصح اذهو قول باطل ثم قال اقسم (بماتبصرون ومالاتبصرون) قسم عظيم لانه قسم بالاشياء كلها على سبيل الشمول والاحاطة لانها لاتخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر فالمبصر المشاهدات وغير المبصر المغيبات فدخل فيهما الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة وغير ذلك ممايكون لائقا بأن يكون مقسما به اذمن الاشياء مالايليق بأن يكون مقسما به واليه الاشارة بقول القاشانى اى الوجود كله ظاهرا وباطنا وبقول ابن عطاء آثار القدرة واسرارها وبقول الشيخ نجم الدين بماتبصرون من المشهودات والمحسوسات بابصار الظواهر ومالاتبصرون من المغيبات ببصائر البواطن يعنى بالمظاهر الاسمائية والمظاهر الذاتية وبقول الحسين اى بما اظهر الله للملائكة والقلم واللوح وبما اختزن فى علمه ولم يجر القلم به ولم تشعر الملائكة بذلك وما اظهر الله للخلق من صفاته واراهم من صنعه وابدى لهم من علمه فى جنب مااختزن عنهم الاكذرة فى جنب الدنيا والآخرة ولواظهر الله مااختزن لذابت الخلائق عن آخرهم فضلا عن حمله وقال الشيخ ابوطالب المكى قدس سره فى قوت القلوب اذاكان العبد من اهل العلم بالله والفهم عنه والسمع منه والمشاهدة له شهد ماغاب عن غيره وابصر ماعمى عنه سواه كما قال تعالى فلااقسم بماتبصرون

وما لا تبصرون (انه) اى القران (لقول رسول) وقوله قول الحق كما قال وما ينطق عن الهوى وكما قال فأجره حتى يسمع كلام الله وفى كشف الاسرار اضاف القول اليه لانه لما قال قول رسول اقتضى مرسلا وكان معلوما ان ما يقرأه كلام مرسله وانما هو مبلغه فالاضافة الاختصاصية الى رسول الله تدل على اختصاص القول بالرسول من حيث التبليغ لبس الا اذ شأن الرسول التبليغ لا الاختراع وقد يأتى القول فى القرآن والمراد به القرآءة قال الله تعالى حتى تعلموا ما تقولون اى ما تقرأون فى صلاتكم (كريم) على الله تعالى يعنى بزركوار نزد خداى تعالى وهو النبى عليه السلام ويدل عليه مقابلة رسول بشاعر وكاهن لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن ولم يقولوا لجبريل شاعر ولا كاهن وقيل هو جبريل اى هو قول جبريل الرسول الكريم وما هو من تلقاء محمد كما تزعمون وتدعون انه شاعر او كاهن فالمقصود حينئذ اثبات حقية القرآن وانه من عند الله والحاصل ان القرآن كلام الله حقيقة اظهره فى اللوح المحفوظ وكلام جبريل ايضا من حيث انه انزله من السموات الى الارض وتلاه على خاتم النبيين وكلام سيد المرسلين ايضا من حيث انه اظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان وجعله حجة لنبوته (وما هو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قال الكاشفى) چنانچه ابوجهل ميكويد وسبق معنى الشعر فى يس (قليلا ما تؤمنون) ايمانا قليلا تؤمنون بالقرآن وكونه كلام الله او بالرسول وكونه مرسلا من الله والمراد بالقلة النفى اى لا تؤمنون اصلا كقولك لمن لا يزورك قلما تأتينا وانت تريد لا تأتينا اصلا يقول الفقير يجوز عندى ان تكون قلة الايمان باعتبار قلة المؤمن بمعنى ان القليل منكم يؤمنون وقس عليه نظائره (ولا بقول كاهن) كما تدعون ذلك تارة اخرى (قال الكاشفى) چنانچه عقبة بن ابى معيط كمان ميبرد كرر القول مبالغة فى ابطال اقاويلهم الكاذبة على القرآن الحق والرسول الصادق والكاهن هو الذى يخبر عن الكوائن فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الاسرار ومطالعة علم الغيب وفى كشف الاسرار الكاهن هو الذى يزعم ان له خدما من الجن يأتونه بضرب من الوحى وقد انقطعت الكهانة بعد نبينا محمد عليه السلام لان الجن حبسوا ومنعوا من الاستماع انتهى وقال الراغب فى المفردات الكاهن الذى يخبر بالاخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذى يخبر بالاخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هاتين الصناعتين مبنيتين على الظن الذى يخطئ ويصيب قال عليه السلام من أتى عرافا او كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما انزل الله على محمد ويقال كهن فلان كهانة اذا تعاطى ذلك وكهن اذا تخصص بذلك وتكهن تكلف ذلك انتهى وفى شرح المشارق لابن الملك العراف من يخبر بما خفى من المسروق ومكان الضالة والكاهن من يخبر بما يكون فى المستقبل وفى الصحاح العراف الكاهن (قليلا ما تذكرون) اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون اى لا تتذكرون اصلا (قال الكاشفى) اندكى پند ميكيريد يعنى پند كيرنمى شويد (وفى كشف الاسرار) اندك پند مى پذيريد ودرمى يابيد (وفى تاج المصادر) التذكر ياد كردن ويا ياد آوردن و پند كرفتن ومذكر شدن كلمة كه مؤنث بود وقال بعضهم المراد من الايمان القليل ايمانهم واستيقانهم بانفسهم وقد جحدوا بالسنتهم لا بمعنى النفى وقال بعضهم ان كان المراد منه الايمان الشرعى فالتقليل للنفى وان كان اللغوى فالتقليل على حاله لانهم كانوا يصدقون ببعض احكام القرآن كالصلة والخير والعفاف ونحوها ويكذبون ببعضها كالوحدة والحقانية والبعث ونحوها وعلى هذا التذكر قيل ذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لما ان عدم مشابهة القرآن الشعر امر بين لا ينكره الا معاند فلا مجال فيه لتوهم عذر لترك الايمان فلذلك وبخوا عليه وعجب منه بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احواله عليه السلام ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم فالكاهن ينصب نفسه للدلالة على الضوآئع والاخبار بالمغيبات يصدق فيها تارة ويكذب كثيرا ويأخذ جعلا على ذلك ويقتصر على من يسأله وليس واحد منها من دأبه عليه السلام والحاصل ان الكاهن من يأتيه الشياطين ويلقون اليه من اخبار السماء فيخبر الناس بما سمعه منهم وما يلقيه عليه السلام من الكلام مشتمل على ذم الشياطين وسبهم فكيف يمكن ان يكون ذلك بالقاء الشياطين فانهم لا يزالون شيئا فيه ذمهم وسبهم لاسيما على من يلعنهم ويطعن فيهم وكذا معانى ما يلقيه عليه السلام منافية لمعانى اقوال الكهنة فانهم لا يدعون الى تهذيب الاخلاق وتصحيح العقائد والاعمال المتعلقة بالمبدأ والمعاد بخلاف معانى قوله عليه السلام فلو تذكر اهل مكة معانى القرآن ومعانى اقوال الكهنة لما قالوا بانه كاهن وفى برهان القرآن خص ذكر الشعر بقوله

ماتؤمنون لان من قال القرآن شعر ومحمد عليه السلام شاعر بعد ماعلم اختلاف آيات القرآن فى الطول والقصر واختلاف حروف مقاطعه فلكفره وقلة ايمانه فان الشعر كلام موزون مقفى وخص ذكر الكهانة بقوله ماتذكرون لان من ذهب الى ان القرآن كهانة وان محمدا عليه السلام كاهن فهو ذاهل عن ذكر كلام الكهان فانه اسجاع لامعانى تحتها واوضاع تنبوا الطباع عنها ولايكون فى كلامهم ذكر الله انتهى قال المولى ابو السعود فى الارشاد وانت خبير بان ذلك ايضا مما لايتوقف على تأمل قطعا انتهى اى تعليلهم بالفرق غير صحيح وفيه ان الانابة شرط للتذكر كما قال تعالى ومايتذكر الامن ينيب والكافر ليس من اهل الانابة وايضا مايذكر الااولوا الالباب اى اولوا العقول الزاكية والقلوب الطاهرة والكافر ليس منهم فليس من اهل التذكر ولاشك ان كون الشئ امرا بينا لاينافى التذكر الاترى الى قوله تعالى ءاله مع الله قليلا ماتذكرون مع ان شواهد الالوهية ظاهرة لكل بصير باهرة عند كل خبير على انه يظهر من تقريراتهم انه لابد من التذكر فى نفى الكهانة لخفاء امرها فى الجملة بالنسبة الى الشعر والعلم عند الله العلام (تنزيل) اى هو منزل فعبر عن المفعول بالمصدر مبالغة (من رب العالمين) نزله على لسان جبريل تربية للسعداء وتبشيرا لهم وانذارا للاشقياء كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين وقال تعالى ومبشرا ونذيرا (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) كما يقوله الشعراء اى ولوا دعى محمد علينا شيأ لم نقله كما تزعمون كما قال تعالى ام يقولون تقوله بل لايؤمنون وفى ذكر البعض اشارة الى ان القليل كاف فى المؤاخذة الآتية فضلا عن الكثير سمى الافتراء تقولا وهو بناء التكلف لانه قول متكلف كما قال صاحب الكشاف التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسميت الاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها لان صيغة افعولة انما تطلق على محقرات الامور وغرائبها كالاعجوبة لما يتعجب منه والاضحوكة لما يضحك منه وكان الاقاويل جمع اقوولة من القول وان لم يثبت عن نقلة اللغة ولم يكن اقوولة مستعملا لكن كونه على صورة جمع افعولة كاف فى التحقير ويؤيد انه ليس جمع الاقوال لزوم ان لايعاقب بما دون ثلاثة اقوال فالاقاويل ههنا بمعنى الاقوال لانه جمعه وفى حواشى ابن الشيخ الطاهر ان الاقاويل جمع اقوال جمع قول كانا عيم جمع انعام جمع نعم (لاخذنا منه) حال من قوله (باليمين) اى بيمينه وقال سعدى المفتى هو من باب الم نشرح لك فى التفصيل بعد الاجمال (ثم لقطعنا منه الوتين) اى نياط قلبه بضرب عنقه والنياط عرق ابيض غليظ كالقصبة علق به القلب اذا انقطع مات صاحبه وفى المفردات الوتين عرق يسقى الكبد اذا انقطع مات صاحبه ولم يقل لاهلكناه اواضربنا عنقه لانه تصوير لاهلاكه بافظع مايفعله الملوك لمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه فانه اذا اراد ان يوقع الضرب فى قفاه اخذ بيساره واذا اراد أن يوقعه فى جيده وان يكفحه بالسيف اى يواجهه وهو اشد من المصبور انظره الى السيف اخذ بيمينه فلذا خص اليمين دون اليسار وفى المفردات لاخذنا منه باليمين اى منعناه ودفعناه فعبر عن ذلك بالاخذ باليمين كقولك خذ بيمين فلان انتهى وقيل اليمين بمعنى القوة فالمعنى لانتقمنا بقوتنا وقدرتنا وقيل المعنى حينئذ لاخذنا منه اليمين وسلبنا منه القوة والقدرة على التكلم بذلك على ان الباء صلة اى زائدة وعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ فى ميامنه فيكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال اوذكر الملزوم وارادة اللازم (فما منكم) ايها الناس (من احد عنه) اى عن القتل اوالمقتول وهو متعلق بقوله (حاجزين) دافعين وهو وصف لاحد فانه عام لوقوعه فى سياق النفى كما فى قوله عليه السلام لم تحل الغنائم لاحد اسود الرأس غيرنا فمن احد فى موضع الرفع بالابتداء ومن زائدة لتأكيد النفى ومنكم خبره والمعنى فما منكم قوم يحجزون عن المقتول اوعن قتله واهلاكه المدلول عليه بقوله ثم لقطعنا منه الوتين اى لايقدر على الحجز والدفع وهذا مبنى على اصل بنى تميم فانهم لايعملون ما لدخولها على القبيلتين وقد يجعل حاجزين خبرا لما على اللغة الحجازية ولعله اولى فتكون كلة ما هى المشبهة بليس فمن احد اسم ما وحاجزين منصوب على انه خبرها ومنكم حال مقدم كان فى الاصل صفة لاحد وفى الآية تنبيه على ان النبى عليه السلام لوقال من عند نفسه شيئا اوزاد اونقص حرفا واحدا على ما اوحى اليه لعاقبه الله وهو اكرم الناس عليه فما ظنك بغيره ممن قصد تغيير شئ من كتاب الله اوقال شيئا من ذات نفسه كما فعل ذلك بعض الفرق الضالة (وانه) اى القرآن (لتذكرة) موعظة وبالفارسية پنديست (للمتقين) لمن اتقى الشرك وحب الدنيا فانه يتذكر بهذا القرآن وينتفع به بخلاف المشرك ومن مال الى الدنيا وغلبه حبها

فانه يكذب به ولا ينتفع وفى تاج المصادر التذكير والتذكرة باياددادن وحرف رامذكر كردن ومنه الحديث فذكروه اى فاجلوه لان فى تذكير الشئ اجلالاله (وانا لنعلم ان منكم مكذبين) اى ان منكم ايها الناس مكذبين بالقرءآن فنجازيهم على تكذيبهم قال مالك رحمه الله ماشد هذه الآية على هذه الامة وفيه اشارة الى مكذبى الالهام ايضا فانهم ملحقون بمكذبى الوحى لان الكل من عند الله لكن اهل الاحتجاب لا يبصرون النور كالاعمى فكيف يقرون (وانه) اى القرءآن (لحسرة) وندامة يوم القيامة (على الكافرين) المكذبين له عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين المصدقين به وفى الدنيا ايضا اذا رأوا دولة المؤمنين ويجوز ان يرجع الضمير الى التكذيب المدلول عليه بقوله مكذبين (وانه) اى القرآن (لحق اليقين) اى لليقين الذى لاريب فيه فالحق واليقين صفتان بمعنى واحد اضيف احدهما الى الآخر اضافة الشئ الى نفسه كحب الحصيد للتأكيد فان الحق هو الثابت الذى لا يتطرق اليه الريب وكذا اليقين قال الراغب فى المفردات اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية واخواتهما يقال علم اليقين عين اليقين حق اليقين وبينها فرق مذكور فى غير هذا الكتاب انتهى وقد سبق الفرق من شرح الفصوص فى آخر سورة الواقعة فارجع وقال الامام معناه انه حق يقين اى حق لا بطلان فيه ويقين لاريب فيه ثم اضيف احد الوصفين الى الآخر للتأكيد وقال الزمخشرى لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم ويراد به البليغ الكامل فى شأنه وفى تفسير القاشانى محض اليقين وصرف اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم اى خلاصة العالم وحقيقته من غير شوب شئ آخر وقال الجنيدى قدس سره حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك معرفة بالحق وهوان يشاهد الغيوب كما شاهد المرئيات مشاهدة عيان ويحكم على المغيبات ويخبر عنها بالصدق كما اخبر الصديق الاكبر فى مشاهدة النبى عليه السلام حين سأله ماذا ابقيت لنفسك قال الله ورسوله فاخبر عن تحققه بالحق وانقطاعه عن كل ماسوى الله ووقوفه على الصدق معه ولم يسأله النبى عليه السلام عن كيفية ما اشار اليه لما عرف من صدقه وبلوغه المنتهى فيه ولما سأل عليه السلام حارثة كيف اصبحت قال اصبحت مؤمنا حقا فاخبر عن حقيقة ايمانه فسأله عليه السلام عن ذلك لما كان يجد فى نفسه من عظم دعواه ثم لما اخبر لم يحكم له بذلك فقال عرفت فالزم اى عرفت الطريق الى حقيقة الايمان فالزم الطريق حتى تبلغ اليه وكان يرى حال ابى بكر رضى الله عنه مستورا من غير استخبار عنه ولا استكشاف لاعلم من صدقه فيما ادعى وهذا مقام حق اليقين واليقين اسم للعلم الذى زال عنه اللبس ولهذا لا يوصف علم رب العزة باليقين (فسبح باسم ربك العظيم) اى فسبح الله بذكر اسمه العظيم بان تقول سبحان الله تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك فمفعول سبح محذوف والباء فى باسم ربك للاستعانة كما فى ضربته بالسوط فهو مفعول ثان بواسطة حرف الجر على حذف المضاف والعظيم صفة الاسم ويحتمل ان يكون صفة ربك ويؤيده ماروى ان رسول الله عليه السلام قال لما نزلت هذه الآية اجعلوها فى ركوعكم فالتزم ذلك جماعة من العلماء كما فى فتح الرحمن وقال فى التأويلات النجمية نزه وقدس تنزيها فى عين التشبيه اسم ربك اى مسمى ربك اذ الاسم عين المسمى عند ارباب الحق واهل الذوق وقال القاشانى نزه الله وجرده عن شوب الغير بذلك الذى هو اسمه الاعظم الحاوى للاسماء كلها بان لا يظهر فى شهودك تلوين من النفس او القلب فتحتجب برؤية الانينية او الاثنانية والا كنت مشبها لامسبحا روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال خرجت يوما بمكة متعرضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فجئت فوقفت وراءه فافتتح سورة الحاقة فلما سمعت سرد القرءآن قلت فى نفسى انه لشاعر كما يقول قريش حتى بلغ الى قوله انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين ثم مر حتى انتهى الى آخر السورة فادخل الله فى قلبى الاسلام

(تمت سورة الحاقة بعون الله تعالى فى السابع عشر من شهر رمضان من شهور سنة ست عشرة ومائة والف)

(سورة المعارج اربع واربعون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل بعذاب واقع) من السؤال بمعنى الدعاء والطلب يقال دعا بكذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة اى يطلبون فى الجنة كل فاكهة والمعنى دعا داع بعذاب واقع نازل لا محالة سواء طلبه

اولم يطلبه اى استدعاه وطلبه ومن التوسعات الشائعة فى لسان العرب حمل النظير على النظير وحمل النقيض على النقيض فتعدية سأل بالباء من قبيل التعدية بحمل النظير على النظير فانه نظير دعا وهو يتعدى بالباء لامن قبيل التعدية بالتضمين بان ضمن سأل معنى دعا فعدى تعديته كازعمه صاحب الكشاف لان فائدة التضمين على ماصرح به ذلك الفاضل فى تفسير سورة النحل اعطاء مجموع المعنيين ولا فائدة فى الجمع بين معنى سأل ودعا لان احدهما يغنى عن الآخر والمراد بهذا السائل على ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما واختاره الجمهور هو النضر بن الحارث من بنى عبد الدار حيث قال انكارا واستهزاء اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وصيغة الماضى وهو واقع دون سيوقع للدلالة على تحقق وقوعه امافى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا واما فى الآخرة وهو عذاب النار وعن معاوية انه قال لرجل من اهل سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومى قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له وقيل السائل هو الرسول عليه السلام استعجل بعذابهم وسأل ان ياخذهم الله اخذا شديدا ويجعله سنين كسنى يوسف وقيل ان قوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى متى هذا الوعد ونحوهما اذهو المعهود بالوقوع على الكافرين لامادعابه النضر فالسؤال بمعناه وهو التفتيش والاستفسار لان الكفرة كانوا يسألون النبى عليه السلام واصحابه انكارا واستهزاء عن وقوعه وعلى من ينزل ومتى ينزل والباء بمعنى عن كما فى قوله تعالى فاسأل به خبيرا اى فاسأل عنه لان الحروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض باتفاق العلماء وعن الامام الواحدى ان الباء فى بعذاب زائدة للتأكيد كما فى قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة اى عذابا واقعا كقولك سألته الشئ وسألته عن الشئ (للكافرين) اى عليهم فاللام بمعنى على كما فى قوله تعالى وان اسأتم فلها اى فعليها او بهم فاللام بمعنى الباء على ماذهب بعضهم فى قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله اى بان يعبدوا الله او على معناه اى نازل لاجل كفرهم ومتعلقه على التقادير الثلاثة هو واقع قال بعض العارفين بهذا وصف اهل الامل والظن الكاذب الذين يظنون انهم يتركون فى قبائح اعمالهم وهم لايعذبون (ليس له) اى لذلك العذاب (دافع من الله) اى من جهته تعالى اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه (ذى المعارج) صفة لله لانه من الاسماء المضافة مثل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا ونحوهما والمعارج جمع معرج بفتح الميم هنا بمعنى مصعد وهو موضع الصعود قال الراغب العروج ذهاب فى صعود والعارج المصاعد ومعنى ذى المعارج بالفارسية خداوند درجهاء بلندا ست والمراد الافلاك التسعة المرتبة بعضها فوق بعض وهى السموات السبع والكرسى والعرش (تعرج الملائكة) المأمورون بالنزول والعروج دون غيرهم من المهيمين ونحوهم لان من الملائكة من لاينزل من السماء اصلا ومنهم من لايعرج من الارض قطعا (والروح) اى جبريل افرده بالذكر لتميزه وفضله كما فى قوله تعالى تنزل الملائكة والروح فقد ذكر مع نزولهم فى آية وعروجهم فى اخرى (اليه) اى يعرجون من مسقط الامر الى عرشه والى حيث تهبط منه اوامره كقول ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى ربى بالذهاب اليه فجعل عروجهم الى العرش عروجا الى الرب لان العرش مجلى صفة الرحمانية فمنه تبتدأ الاحكام والى حيث شاء الله تعالى تهبط الملائكة باعمال بنى آدم الى الله تعالى والروح اليها ناظر فى ذلك المشهد (فى يوم) متعلق بتعرج (كان مقداره خمسين الف سنة) مما يعده الناس كما صرح به قوله تعالى فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وقوله خمسين خبر كان وهو من باب التشبيه البليغ والاصل كمقدار مدة خمسين الف سنة واعلم ان تحقيق هذه الآية يستدعى تمهيد مقدمة وهى ان البروج اثنا عشر على ماافاده هذا البيت وهو قوله * چون حمل چون ثور وچون جوزا وسرطان واسد * سنبله ميزان وعقرب قوس وجدى ودلو وحوت * وكان مبدأ الدورة العرشية من الميزان ومنه الى الحوت اوجد الله فيه الارواح السماوية والصور الاصلية الكلية المتعينة فى جوف العرش ولكل برج يوم مخصوص به ومدة هذه البروج الستة وهى الميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت احد وعشرون الف سنة ومن الحمل الى بروج السنبلة فى الحكم خمسون الف سنة ومدة دور السنبلة سبعة آلاف سنة وهى جمعة من جمع

الآخرة وفى اول هذه الدورة التى هى دور السنبلة بموجب الامر الالهى الموحى به هنالك ظهر النوع الانسانى و بعث نبينا عليه السلام فى الالف الآخرة من السبعة وفى الاجزاء البرزخية الجامعة بين أحكام دور السنبلة ودور الميزان المختص بالآخرة فانه اذا تم دور البروج الاثنى عشر ينتقل الحكم الى الميزان وهو زمان القيامة الكبرى فاخذنا كفة الالف الاولى للدنيا فى الدولة المحمدية والكفة الاخرى للآخرة والخمس اى اخذنا النصف الاول من الف الميزان الثانى لهذه النشأة والنصف الاخير منه للنشأة الآخرة ولهذا استقرت الاخبار فى قيام الساعة وامتدادها الى خمسمائة سنة بعد الف وهى النصف الاول من الالف الثانى من الميزان الثانى ولم يتجاوز حد الدنيا ذلك عند احد من علماء الشريعة فبعث النبى عليه السلام فى زمان امتزاج الدنيا بالآخرة كالصبح الذى هو اول النهار المشروع ومنه الى طلوع الشمس نظير الزمان الذى هو من البعث الى قيام الساعة فكما يزداد الضوء بعد طلوع الفجر بالتدريج شيأ بعد شئ كذلك ظهور احكام الاخرة من حين البعث يزداد الى زمان طلوع الشمس من مغربها كما اشار عليه السلام اليه بقوله بعثت انا والساعة كفرسى رهان و بقوله لاتقوم الساعة حتى يكلم الرجل عذبة سوطه وحتى يحدثه فخذه بما يصنع اهله بعده وكذا يسمع جمهور الناس فى آخر الزمان نطق الجمادات والنباتات والحيوانات على ماورد فى الاخبار الصحيحة فاليوم مراتب واحكام * فيوم كالآن وهو ادنى مايطلق عليه الزمان ومنه عند الكل وهو المشار اليه بقوله تعالى كل يوم هو فى شأن فسمى الزمن الفرد يوما لان الشان يحدث فيه وهو اصغر الازمان وادقها والسارى فى كل الادوار سريان المطلق فى المقيد * ويوم كألف سنة وهو اليوم الالهى ويوم الآخرة كما قال تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة وقال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون * ويوم كخمسين الف سنة والى مالايتناهى كيوم اهل الجنة فلاحد لاكبر الايام يوقف عنده فهذا اليوم الذى كان مقداره خمسين الف سنة هو يوم المعراج و يوم القيامة ايضا در فتوحات آورده كه هر اسمى را از اسماء الهيه روز بست خاص كه تعلق بدو دارد ودر قرآن درروز از انها مذكورست يوم الرب كه هزار سالست و يوم ذى المعارج كه پنجاه هزار سالست وكل الف سنة دورة واحدة تقع فيها القيامة الصغرى لاهل الدنيا بتبديل الاحكام والشرائع وانواع الهياكل والنفوس وكل سبعة آلاف سنة دورة لنوع خاص كالانسان وكل خمسين الف سنة دورة ايضا تقع فيها القيامة الكبرى فيفنى العالم واهله وكان عروج الملائكة من الارض الى السماء ونزولهم من السماء الى الارض لاجراء احكام الله وانفاذ امره فى مدة البروج الستة الاخر التى هى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة وهى خمسون الف سنة كما سبق وعند العارفين يطلق على نزول الملائكة العروج ايضا وان كانت حقيقة العروج انما هى لطالب العلو وذلك لان لله تعالى فى كل موجود تجليا ووجها خاصا به يحفظه فنزول الملائكة وعروجهم دائما الى الحق لعدم تحيزه وكل ماكان اليه فهو عروج وان كان فى السفليات لانه هو العلى الاعلى فهو صفة علو على الدوام وجعلت اجنحة الملائكة للهبوط عكس الطائر عبرة ليعرف كل موجود عجزه وعدم تمكنه من تصرفه فوق طاقته التى اعطاها الله له فالملائكة اذا نزلت نزلت بجناحها واذا علت علت بطبعها والطيور بالعكس فاعلم ذلك وكذلك يكون عروجهم ونزولهم اى يقع فى اليوم الطويل الذى هو يوم القيامة لاجراء احكام الله على ماشاء وانفاذ امره على مقتضى علمه وحكمته وهو مقدار خمسين الف سنة من سنى الدنيا ودل على مدة هذا اليوم قوله عليه السلام مامن صاحب ذهب ولافضة لايؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمى عليها فى نار جهنم اى مرة ثانية ليشتد حرها فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت اعيدت له اى لكيه الى نار جهنم فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله امالى الجنة اى ان لم يكن له ذنب سواه او كان ولكن الله عفا عنه واما الى النار اى ان كان على خلاف ذلك رواه مسلم (وروى) ان للقيامة خمسين موقفا يسأل العبد فى كل منها عن امر من امور الدين فان لم يقدر على الجواب وقف فى كل موقف بمقدار اليوم الالهى الذى هو الف سنة ثم لاينتهى اليوم الى ليل اى يكون وقت اهل الجنة كالنهار ابدا ويكون زمان اهل النار كالليل ابدا اذ كما لا ظلمة لاهل النور كذلك لانور لاهل الظلمة وفيه تذكير للعاقل على ان يوم القيامة اذا كان اوله مقدار خمسين الف سنة فاذا آخره ثم هذا الطول فى حق الكافر والعاصى لا المؤمن والمطيع لماروى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه

انه قيل لرسول الله عليه السلام ما اطول هذا اليوم فقال عليه السلام والذى نفسى بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون اخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وفى التمثيل بالصلاة اشارة الى وجه آخر لسر العدد وهو ان الكافر اضاع الصلاة وهى فى الاصل خمسون صلاة فكأنه عذب بكل واحدة منها الف سنة ولهذا السر يكلف يوم القيامة بالسجود لا بغيره ولا يلزم من وجود هذا اليوم بهذا الطول ومن عروج الملائكة فى اثنائه الى العرش ان يكون مابين اسفل العالم واعلى سرادقات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان المراد بيان طول اليوم وعروج الملائكة ونزولهم فى مثل هذا اليوم الى العرش ومنه لتلقى امره وتبليغه الى محله مرارا وكرارا لابيان طول المعارج لان مابين مركز الارض ومقعر السماء مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع كذلك فيكون المجموع تسعة آلاف الى العرش اى بالنظر الظاهرى والا فهى ازيد من ذلك بل من كل عدد متصور كما سيجئ الاشارة اليه وقول من قال جعل مابين الكرسى والعرش كما بين غيرهما غير موجه فى الحديث الصحيح ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيله كل درجتين مابينهما كما بين السماء والارض فيكون بين الكرسى الذى هو صحن الجنة و بين العرش الذى هو سقف الجنة خمسمائة سنة مائة مرة اولها من ارض الكرسى الى الدرجة السافلة من العرش فيكون المجموع مقدار خمسين الف سنة تأمل تعرف ان كلامه ليس بصحيح من وجوه الاول ان المراد فى هذا المقام بيان الطول من اسفل العالم الى اعلاه وانه مقدار خمسين الف سنة لامن صحن الجنة الى سقفها لانه على ماذكره من المسافة بين العرشين يزيد على ذلك المقدار بالنظر الى اسفل العالم زيادة بينة فلا يحصل المقصود والثانى ان مراد النبى عليه السلام من التمثيل بمابين السماء والارض ليس التحديد بل بيان مجرد السعة وطول الامتداد بما لايعرفه الا الله كما يقتضيه المقام والثالث ان الحديث الذى اورده لايدل على ان نهاية الدرجة الاخيرة من تلك الدرجات منتهية الى الدرجة السافلة من العرش بل هو ساكت عنه فيجوز ان يكون المقدار ازيد مما ذكره لان طبقات المجاهدين متفاوتة على ان سقف الجنة وان كان هو عرش الرحمن لكن المراد به ذروته وهى التى ينتهى دونها عالم التركيب وهى موضع قدم النبى عليه السلام ليلة المعراج ومابين اسفل الجنة من محدب الكرسى الى اعلاها من تلك الذروة التى هى محدب العرش لاحدله يعرف على ماسيجئ فى سورة الاعلى ان شاء الله تعالى فاذا تحققت هذا البيان الشافى فى الآية الكريمة وهو الذى اشار اليه الحكماء الالهية فدع عنك القيل والقال الذى قرره اهل المراء والجدال فمنها ان قوله فى يوم بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج و بعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى من الارتفاع بحيث لوقدر قطعها فى ذلك لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سنى الدنيا انتهى وفيه ان كونه محمولا على التمثيل انما يظهر اذا فسرت المعارج بغير السموات وهو خلاف المقصود ومنها ان معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة اى يقطعون فى يوم من ايام الدنيا ما يقطعه الانسان فى خمسين الف سنة لوفرض ذلك القطع وذلك لغاية سرعتهم وقوتهم على الطيران و بالفارسية اكر يكى از بنى آدم خواهد كه سير كند از دنيا تا آنجا كه محل امر ملائكه است وايشان بيكروز ميروند او بدين مقدار سال تواند رفت انتهى وفيه ان سير الملائكة لحظى فيصلون من اعلى الاوج الى اسفل الحضيض فى آن واحد فقدر سيرهم باليوم المعلوم فى العرف غير واضح ومنه ان اليوم فى الآية عبارة عن اول ايام الدنيا الى انقضائها وانها خمسون الف سنة لايدرى احدكم مضى وكم بقى الا الله تعالى انتهى وفيه ان ايام الدنيا تزيد على ذلك زيادة بينة كما لايخفى على اهل الاخبار وعندى انها ثلاثمائة وستون الف سنة بمقدار ايام السنة دل عليه قولهم ان عمر الانسان جمعة من جمع الآخرة وقد اسلفناه فى موضعه ومنه ان المراد باليوم هو يوم من ايام الدنيا يعرج فيه الامر من منتهى اسفل الارضين الى منتهى اعلى السموات ومقدار ذلك اليوم خمسون الف سنة واما اليوم الذى مقدار الف سنة كما فى سورة الم السجدة فباعتبار نزول الامر من السماء الى الارض و باعتبار عروجه من الارض الى السماء فالنزول خمسمائة وكذا الصعود والمجموع الف وفيه انه زاد فى الطنبور نغمة اخرى حيث اعتبر العروج من اسفل الارضين ليطول المسافة وظاهر انه لايتم المقصود بذلك ومنه ان المراد تصعد الحفظة باعمال بنى آدم كل يوم الى محل قربته وكرامته وهو السماء فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة من سنى الدنيا لوصعد فيه غير الملك لان الملك يصعد من منتهى امر الله من اسفل السفل الى منتهى امره من فوق السماء

السابعة فى يوم واحد واوصعد فيه بنوا آدم لصعدوا فى خمسين الف سنة انتهى وفيه ما فى السابق من تقدير اليوم فى حق الملائكة مع ان قصر الصعود على الصعود بمجرد العمل قصور لانه شأن الملائكة الحافظين والآية مطلقة عامة لهم ولغيرهم من المدبرات ومنه ان قوله فى يوم متعلق بواقع على ان يكون المراد به يوم القيامة والمعنى يقع العذاب فى يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنى الدنيا فتكون جملة قوله تعرج الملائكة معترضة بين الظرف ومتعلقه انتهى وفيه انه من ضيق العطن لانه لامانع من ارادة يوم القيامة على تقدير تعلقه بتعرج ايضا على ماعرف من تقديرنا السابق فان قلت لماذا وصف الله ذاته فى مثل هذا المقام بذى المعارج قلت للتنبيه على ان عروج الملائكة على مصاعد الافلاك ونزولهم منها انما هو للامر الالهى كما قال تعالى يتنزل الامر بينهن ومن امره ايصال اللطف الى اوليائه وارسال القهر على اعدائه ففيه تحذير للكفار من عقوبة السماء النازلة بواسطة الملائكة كما وقعت للامم الماضية المكذبة وزجر لهم عما يؤدى الى المحاسبة الطويلة يوم القيامة هذا ماتيسر لى فى هذا المقام والعلم عند الله العلام وفى التأويلات النجمية فى ذى المعارج اى بصعد بتعذيب اهل الشهوات واللذات مرتبة فوق مرتبة ومصعد افوق مصعد من معرج نفوسهم الى معرج قلوبهم ومنه الى معرج سرهم ومنه الى معرج روحهم يعذبهم فى كل مرتبة عذابا اشد من الاول وفى قوله تعالى تعرج الخ اى يعرج الخواطر الروحانية خصوصا خاطر جبريل الروح فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة من ايام الله وهى ايام السماء التى تحت حيطة الله الاسم الجامع فافهم قال القاشانى ذى المعارج اى المصاعد وهى مراتب الترقى من مقام الطبائع الى مقام المعادن بالاعتدال ثم الى مقام النبات ثم الى الحيوان ثم الى الانسان فى مدارج الانتقالات المترتبة بعضها فوق بعض ثم فى منازل السلوك بالانتباه واليقظة والتوبة والانابة الى آخر ماشار اليه اهل السلوك من منازل اليقين ومناهل القلب فى مراتب الفناء فى الافعال والصفات الى الفناء فى الذات مما لايحصى كثرة فان لله تعالى بازآء كل صفة مصعدا بعد المصاعد المتقدمة على مقام الفناء فى الصفات تعرج الملائكة من القوى الارضية والسمائية فى وجود الانسان والروح الانسانى الى حضرته الذاتية الجامعة فى القيامة الكبرى فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة وهو يوم من ايام الله العلى بالذات ذى المعارج العلى وهى الايام السنة السرمدية من ابتدآء الازل الى انتهاء الابد واما اليوم المقدر بالف سنة فى قوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فهو يوم من ايام الرب المدبر الذى وقت به العذاب وانجاز الوعد فى قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده والتدبير فى قوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وذلك اليوم هو اليوم الاخير من الاسبوع الذى هو مدة الدنيا المنتهية بنبوة الخاتم صلى الله عليه وسلم والذى قال فيه ان استقامة امتى فلها يوم وان لم تستقم فلها نصف يوم مع قوله بعثت انا والساعة كهاتين فهذا يوم من ايام الربوبية والتدبير واما اليوم الذى هو من ايام الالوهية فهو مقدار ابتدآء الربوبية باسماء الله الغير المتناهية لتى تندرج معها لاتناهيها فى الاسماء السبعة وهى الحى العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم ولكل من هذه السبعة ربوبية مطلقة بالنسبة الى ربوبيات الاسماء المندرجة تحته ومقيدة بالنسبة الى ربوبية كل واحد من اخوانه الى انتهائها بالتجلى الذاتى وكان هذا اليوم المذكور سبع من ايام الدنيا فمدة الدنيا سبع من ذلك اليوم الالهى الحاصل من ضرب ايام الدنيا فى عدد اسماء الربوبية وهى تسع واربعون سنة وآخره اول الخمسين الذى هو يوم واحد من ايام الله وهو يوم القيامة الكبرى (فاصبر) يا محمد (صبرا جميلا) لاجزع فيه ولاشكوى لغير الله فان العذاب يقع فى هذه المدة المتطاولة التى تعرج فيها الملائكة والروح وعن الحسن الصبر الجميل هو المجاملة فى الظاهر وعن ابن بحر انتظار الفرج بلا استعجال وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحى وذلك مما يضجره عليه السلام او كان عن تضجر واستبطاء للنصر والمعونة (انهم) اى اهل مكة (يرونه) اى العذاب الواقع اى يزعمونه فى رأيهم (بعيدا) اى يستبعدونه بطريق الاحالة كما كانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا الآية من يحيى العظام وهى رميم فلذلك يسألون به وسبب استبعادهم عدم علمهم باستحقاقهم اياه يقول المرء لخصمه هذا بعيد ردا لوقوعه وامكانه (ونراه) اى نعلمه (قريبا) لعلمنا باستحقاقهم اياه بحسب استعدادهم اى هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولامتعذر فالمراد بالبعد هو البعد من الامكان وبالقرب هو القرب منه وقال سهل رحمه الله انهم يرون المقضى عليهم من الموت والبعث والحساب

بعيدا لبعد آمالهم ونراه قريبا فان كل كائن قريب والبعيد مالايكون وفى الحديث ماالدنيا فيما مضى ومابقى الا كثوب شق باثنين و بقى خيط واحد الا وكان ذلك الخيط قد انقطع قال الشاعر

هل الدنيا ومافيها جميعا * سوى ظل يزول مع النهار

ما همچو مسافريم درزير درخت * چون سايه برفت زود بردار درخت

ومن عجب الايام انك قاعد * على الارض فى الدنيا وانت تسير

فسيرك ياهذا كسير سفينة * بقوم قعود و القلوب تطير

(يوم تكون السماء كالمهل) وهو ههنا خبث الحديد ونحوه مما يذاب على مهل وتدريج اودردى الزيت اسيلانه على مهل لثخانته وعن ابن مسعود كالفضة المذابة فى تلونها اوكالقير والقطران فى سوادهما و يوم متعلق بقريبا اى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم اى يظهر امكانه و الا فنفس الا مكان لا اختصاص له بوقت اومتعلق بمضمر مؤخر اى يوم تكون السماء كالمهل يكون من الاحوال والاهوال مالا يوصف (وتكون الجبال كالعهن) العهن الصوف المصبوغ قال تعالى كالعهن المنفوش وتخصيص العهن لما فيه من اللون كما ذكر فى قوله تعالى فكانت وردة كالدهان والمعنى وتكون الجبال كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد بيض وحمر و غرابيب سود فاذا ثبت وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح قال فى كشف الاسرار اول ماتتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا (ولا يسأل حميم حميما) اى لايسأل قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك واذا كان الحال بين الاقارب هكذا فكيف يكون بين الاجانب والتنكير للتعميم (يبصرونهم) استئناف كانه قيل لعله لايبصره فكيف يسأل عن حاله فقيل يبصرونهم والضمير الاول لحميم الاول والثانى للثانى وجمع الضميرين لعموم الحميم لكل حميمين لالحميمين اثنين قال فى تاج المصادر التبصير بينا كردن والتعريف والايضاح و يعدى الى المفعول الثانى بالباء وقد تحذف الباء وعلى هذا يبصرونهم انتهى يعنى عدى يبصرونهم بالتضعيف الى ثان وقام الاول مقام الفاعل والشائع المتعارف تعديته الى الثانى بحرف الجر يقال بصرته به وقد يحذف الجار واذا نسبت الفعل للمفعول به حذفت الجار وقلت بصرت زيدا ومافى الآية من هذا القبيل والمعنى يبصر الاحماء الاحماء يعنى بينا كرده شوند ايشان بخويشان خود فلا يخفون عليهم ولا يمنعهم من التساؤل الا اشتغالهم بحال انفسهم وليس فى القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه واقرباءه وعشيرته ولكن لايسأله ولا يكلمه لاشتغاله بما هو فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما يتعارفون ساعة ثم يتناكرون (يود المجرم) اى يتمنى الكافر وقيل كل مذنب (لو) بمعنى التمنى فهو حكاية لودادتهم (يفتدى) فداده وهو حفظ الانسان عن النائبة بما يبذل عنه (من عذاب يومئذ) اى من العذاب الذى ابتلوا به يوم اذ كان الامر ماذكر وهو بكسر الميم لاضافة العذاب اليه وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن (ببنيه) اصله بنين سقطت نونه بالاضافة وجمعه لان كثرتهم محبوبة مرغوب فيها (وصاحبته) زوجته التى يصاحبها (واخيه) الذى كان ظهيرا له ومعينا والجملة استئناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدى باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه و يجعله فداء لنفسه حتى ينجو هو من العذاب فضلا عن ان يهتم بحاله و يسأل عنها كانه قيل كيف لايسأل مع تمكنه من السؤال فقيل يود الخ (وفصيلته) وهى فى الاصل القطعة المفصولة من الجسد وتطلق على الآباء الاقربين وعلى الاولاد لان الولد يكون منفصولا من الابوين فلما كان الولد مفصولا منهما كانا مفصولين منه ايضا فسمى فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة فى الآية هو الآباء الاقربون والعشيرة الادنون لقوله و بنيه (التى تؤويه) اوى الى كذا انضم اليه وآواه غيره كما قال تعالى آوى اليه اخاه اى ضمه الى نفسه فمعنى تؤويه تضمه اليها فى النسب اوعند الشدائد فيلوذ بها و بالفارسية وخويشان خودرا كه جاى داده اند اورا دردنيا نزدخود يعنى پناهاوى بوده اند (ومن فى الارض جميعا) من الثقلين اوالخلائق ومن للتغليب (ثم ينجيه) عطف على يفتدى اى يود لو يفتدى ثم ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعنى يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده و بذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه وفيه اشارة الى مجرم الروح المتصبغ بصبغة النفس فانه يود أن يفتدى من هول عذاب يوم الفراق والاحتجاب ببنى القلب وصفاته وصاحبة نفسه واخى سره وفصيلته

اى توابعه وشيعته ومن فى ارض بشريته جميعا من القوى الروحانية والجسمانية ثم ينجيه هذا الا فتداء ولاينفعه لفساد الاستعداد وفوات الوقت (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الا فتداء اى لا يكون كما تمنى فانه بهيئته الظلمانية الحاصلة من الاجرام استحق العذاب فلا ينجو منه وفى الحديث يقول الله لا هون اهل النار عذابا يوم القيامة لوان لك مافى الارض من شئ اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا وانت فى صلب آدم ان لا تشرك بى وعن القرطبى ان كلا يكون بمعنى الردع وبمعنى حقا وكلا الوجهين جائزان هنا فعلى الثانى يكون تمام الكلام ينجيه فيوقف عليه و يكون كلا من الجملة الثانية التى تليه والمحققون على الاول ومن ذلك وضع السجاوندى علامة الوقف المطلق على كلا (انها) اى النار المدلول عليها بذكر العذاب والمراد جهنم (لظى) وهو علم للنار وللدرك الثانى منها منقول من اللظى بمعنى اللهب الخالص الذى لا يخالطه دخان فيكون فى غاية الاحراق لقوة حرارته النارية بالصفاء وهو خبر ان بمعنى مسماة بهذا الاسم ويجوز ان يراد اللهب الخالص على الاصل فيكون خبرا بلا تأويل (كما قال الكاشفى) بدرستى كه آتش دوزخ كه مجرم ازوفدا دهد زبانه ايست خالص (وفى كشف الاسرار) آن آتشى است زبانه زن (نزاعة للشوى) نزع الشئ جذبه من مقره وقلعه والشوى الاطراف اى الاعضاء التى ليست بمقتل كالايدى والارجل ونزاعة على الاختصاص للتهويل اى اعنى بلظى جذابة للاعضاء الواقعة فى اطراف الجسد وقلاعة لها بقوة للاحراق لشدة الحرارة ثم تعود كما كانت وهكذا ابدا والشوى جمع شواة وهى جلدة الرأس يعنى ان النار تنزع جلود الرأس وتقشرها عنه وذلك لانهم كانوا يسعون بالاطراف للاذى والجفاء و يصرفون عن الحق الاعضاء الرئيسة التى تشتمل عليها الرأس خصوصا العقل الذى كانوا لا يعقلون به فى الرأس (تدعو من ادبر) اى عن الحق ومعرفته وهو مقابل اقبل ومعنى تدعو تجذب الى نفسها وتحضر فهو مجاز عن احضارهم كانها تدعوهم فتحضرهم (قال الكاشفى) زبانه ميزندو كافر را بخود ميكشد ازصد ساله ودويست ساله راه چنانجه مقناطيس آهن راجذب ميكند * وتقول لهم الى الى ياكافر ويامنافق و يازنديق فانى مستقرك اوتدعو الكافرين والمنافقين بلفظ فصيح باسمائهم ثم تلتقطهم كالتقاط الطير الحب و يجوز ان يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه فى جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه فى الشجرة اوتدعو زبانيتها على حذف المضاف اوعلى الاسناد المجازى حيث اسند فعل الداعى الى المدعو اليه (وتولى) اى اعرض عن الطاعة لان من اعرض يولى وجهه وفى التأويلات النجمية من ادبر عن التوجه الى الحق بموافقات الشريعة ومخالفات الطبيعة وتولى عن الاقبال على الآخرة والادبار عن الدنيا وقال القاشانى بمناسبة نفسه للجحيم انجر اليها اذ الجنس الى الجنس يميل ولظى نار الطبيعة السفلية مااستدعت الا المدبر عن الحق المعرض عن جناب القدس وعالم النور المقبل بوجهه الى معدن الظلمة المؤثر لمحبة الجواهر الفانية السفلية المظلمة فانجذب بطبعه الى مواد النيران الطبيعية واستدعته وجذبته الى نفسها للجنسية فاحترق بنارها الروحانية المستولية على الافئدة فكيف يمكن الانجاء منها وقد طلبها بداعى الطبع ودعاها بلسان الاستعداد (وجمع) المال حرصا وحبا للدنيا (فاوعى) فجعله فى وعائه وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وتكبر باقتنائه وذلك لطول امله وانعدام شفقته على عباد الله والاما ادخر بل بذل وفى جمعا لجمع مع الادبار والتولى تنبيه على قباحة البخل وخساسة البخيل وعلى انه لا يليق بالمؤمن وفى الخبر يجاء بابن آدم يوم القيامة كانه بذج بين يدى الله وهو بالفارسية بره فيقول له اعطيتك وخولتك وانعمت عليك فما صنعت فيقول رب جمعته وثمرته وتركته اكثر ماكان فارجعنى آتك به كله فاذا هو عبد لم يقدم خيرا فيمضى به الى النار وفى الخبر بصق عليه السلام يوما فى كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله لابن آدم تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد يعنى زمين را ازتو آواز شديد بود فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت اتصدق وانى اوان الصدقة وفى التأويلات النجمية جمع الكمالات الانسانية من الاخلاق الروحانية والاوصاف الرحمانية ولم ينفق على الطلاب الصادقين العاشقين والمحبين المشتاقين بطريق الارشاد والتعليم والتسليك (ان الانسان) اى جنس الانسان (خلق) حال كونه (هلوعا) مبالغة هالع من الهلع وهو سرعة الجزع عند مس المكروه بحيث لا يستمسك وسرعة المنع عند مس الخير يقال ناقة هلواع سريعة السير وهو من باب علم

وقد فسره احسن تفسير على ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى (اذا) ظرف لجزوعا (مسه الشر) اى اصابه ووصل اليه الفقر او المرض او نحوهما (جزوعا) مبالغا فى الجزع مكثرا منه لجهله بالقدر وهو ضد الصبر وقال ابن عطاء الهلوع الذى عند الموجود يرضى وعند المفقود يسخط وفى الحديث شر ما اعطى ابن آدم شح هالع وجبن خالع فالهالع المحزن يعنى اندوهكين كننده والخالع الذى يخلع قلبه قال بعض العارفين انما كرهت نفوس الخلق المرض لانه شاغل لهم عن اداء ما كلفوا به من حقوق الله تعالى اذ الروح الحيوانى حين يحس بالالم يغيب عن تدبير الجسد الذى يقوم بالتكليف وانما لم تكره نفوس العارفين الموت لما فيه من لقاء الله تعالى فهو نعمة ومنة ولذلك ماخيرنبى فى الموت الا اختاره (واذا) ظرف لمنوعا (مسه الخير) اى السعة او الصحة اوغيرهما (منوعا) مبالغا فى المنع والامساك لجهله بالقسمة وثواب الفضل وللصحة مدخل فى الشح فان الغنى قد يعطى فى المرض مالا يعطيه فى الصحة ولذا كانت الصدقة حال الصحة افضل ودرلباب ازمقاتل نقل ميكند كه هلوع جانوريست در پس كوه قاف كه هر روز هفت صحرا از كياه خالى ميكند يعنى همه حشايش ازامى خورد وآب هفت دريامى اشامد ودر كرما وسرما صبرندارند وهرشب دراندیشهٔ آنست كه فردا چه خواهد خورد پس حق سبحانه وتعالى آدمى رادر بى صبرى وانديشهٔ روزى بدين دابه تشبيه ميكند * جانوريرا كه بجز آدمیست * معده چو پرشد سبب بى غمیست * آدميست آنكه نه سيرى برد * بر سر سيرى غم روزى خورد * خورد همه عمر چه بيش و چه كم * روزئ هرروزه زخوان كرم * وزره حرص واملش همچنان * هيچ غمى نيست بجز فكر نان * والاوصاف الثلاثة وهى هلوعا وجزوعا ومنوعا احوال مقدرة لان المراد بهاما يتعلق به الذم والعتاب وهو مايدخل تحت التكليف والاختيار وذلك بعد البلوغ اومحققة لانها طبائع جبل الانسان عليها كما قال المتنبى * الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذاعفة فلعلة لا يظلم * ولا يلزم ان لا تفارقه بالمعالجات المذكورة فى كتب الاخلاق فانها كبرودة الماء ليست من اللوازم المهيئة للوجود بل انما حصولها فيه بوضع الله تعالى وخلقه وهو يزيلها ايضا بالاسباب التى سببها اذا اراد فان قيل فيلزم ان يكون له هلع حين كان فى المهد صبيا قلنا نعم ولا محذور الاترى انه كيف يسرع الى الثدى ويحرص على الرضاع ويبكى عند مس الالم ويمنع بماوسعه اذا تمسك بشئ فزوحم فيه قال الراغب فان قيل ما الحكمة فى خلق الانسان على مساوى الاخلاق قيل الحكمة فى خلق الشهوة ان يمانع نفسه اذا نازعته نحوها ويحارب شيطانه عند تزيينه المعصية فيستحق من الله مثوبة وجنة انتهى يعنى كما انه ركب فيه الشهوة ركب فيه العقل الرادع وحصلت الدلالة الى الصراط السوى من الشارع قال بعض العارفين الشح فى الانسان امر جبلى لا يمكن زواله ولكن يتعطل بعناية الله تعالى استعماله لاغير فلذلك قال ومن يوق شح نفسه فأثبت الشح فى النفس الا ان العبد يوقاه بفضل الله ورحمته وقال ان الانسان خلق هلوعا الخ واصل ذلك كله ان الانسان استفاد وجوده من الله فهو مفطور على الاستفادة لاعلى الافادة فلا تعطيه حقيقته ان يتصدق او يعطى احدا شيأ ولذلك ورد الصدقة برهان يعنى دليل ان هذا الانسان وقى بها شح النفس يقول الفقير وعليه المزاح المعروف وهو ان بعض العلماء وقع فى الماء فكاد يغرق فقال له بعض الحاضرين ياسلطانى ناولنى يدك فقيل لا تقل هكذا فانه اعتاد الاخذ لا الاعطاء بل قل خذ بيدى وقال بعضهم الغضب والشره والحرص والجبن والبخل والحسد وصف جبلى فى الانسان والجان وماكان من الجبلة فمحال ان يزول الا بانعدام الذات الموصوفة به ولهذا عين الشارع صلى الله عليه وسلم لهذه الامور مصارف فقال لاحسد الا فى اثنين وامر بالغضب لله لاحمية جاهلية وقال ولا تقل لهما اف ثم مدح من قال اف لكم ولما تعبدون من دون الله وقال ولا تخافوهم ثم قال وخافون فالكل يستعملون هذه الصفات استعمالا محمودا وكثير من الفقراء يظنون زوال هذه الصفات منهم حين يعطل الله استعمالها فيهم وليس كذلك يقول الفقير ومنه يعلم صحة قول من قال ان النفس لامارة بالسوء وان كانت نفس الانبياء على ما اسلفناه فى سورة يوسف والحاصل ان اصول الصفات باقية فى الكل لبقاء المحاربة مع النفس اذلا يحصل الترقى الا بالمحاربة والترقى مستمر الى الموت فكذا المحاربة المبنية على بقاء اصول الصفات فاصل النفس امارة لكن لا يظهر اثرها فى الكاملين كما يظهر فى الناقصين فاعلم ذلك قال القاشانى ان النفس بطبعها معدن الشر ومأوى الرجس لكونها من عالم الظلمات

فمن مال اليها بقلبه واستولى عليه مقتضى جبلته وخلقته ناسب الامور السفلية واتصف بالرذائل التى اردأها الجبن والبخل المشار اليهما بقوله واذامسه الشر الخ لمحبة البدن مايلائمه وتسببه فى شهواته ولذاته وانما كانا اردأ لجذبهما القلب الى اسفل مراتب الوجود وفى التأويلات النجمية يشير الى هلع الانسان المستعد لقبول الفيض الالهى ساعة فساعة ولحظة فلحظة وعدم صبره عن بلوغه الى الكمال فانه لايزال فى طريق السلوك يتعلق باسم من الاسماء الالهية و يتحقق به و يتخلق ثم يتوجه الى اسم آخر الى ان يستو فى سلوك جميع الاسماء اذامسه الشر الفترة الواقعة فى الطريق يجزع و يضطرب ويتقلقل ولا يعلم ان هذه الفترة الواقعة فى طريقه بسبب لسرعة سلوكه وموجب لقوة سيره وطيرانه واذامسه الخير من المواهب الذاتية والعطايا الاسمائية يمنع من مستحقيه و يبخل على طالبيه (الا المصلين) استثناء من الانسان لانه فى معنى الجمع للجنس وهذا الاستثناء باعتبار الاستمرار اى ان المطبوعين على الصفات الرذيلة مستمرون عليها الاالمصلين فانهم بداواتلك الطبائع وانصفوا باضدادها (الذين هم) تقديم هم يفيد تقوية الحكم وتقريره فى ذهن السامع كما فى قولك هو يعطى الجزيل قصدا الى تحقيق انه يفعل اعطاء الجزيل (على صلاتهم دائمون) لايشغلهم عنها شاغل فيواظبون على ادائها كما روى عن النبى عليه السلام انه قال افضل العمل ادومه وان قل وقالت عائشة رضى الله عنها كان عمله ديمة قدم الصلاة على سائر الخصال لقوله عليه السلام اول ما افترض الله على امتى الصلوات الخمس واول مايرفع من اعمالها الصلوات الخمس واول مايحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فان صلحت فقد افلح وانجح وان فسدت فقد خاب وخسر وانها آخر مايجب عليه رعايته فانه يؤخر الصوم فى المرض دون الصلاة الاانه لايقدر على التيمم والايماء ولذا ختم الله الخصال بها كما قال والذين هم على صلاتهم يحافظون وكان آخر ما اوصى به عليه السلام الصلاة الصلاة وماملكت ايمانكم وفى الآية اشارة الى صلاة النفس وهى التزكية عن المخالفات الشرعية وصلاة القلب وهى التصفية عن الميل الى الدنيا وشهواتها وزخارفها وصلاة السر وهى التخلية عن الركون الى المقامات العلية والمراتب السنية وصلاة الروح وهى بالمكاشفات الربانية والمشاهدات الرحمانية والمعاينات الحقانية وصلاة الخفى وهى بالفناء فى الحق والبقاء به فالكمل يداومون على هذه الصلوات (والذين) اى والاالذين (فى اموالهم حق معلوم) اى نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة والصدقة الموظفة (للسائل) اى للذى يسأل ومن كان له قوت يوم لايحل له السؤال واما حكم الدافع له عالما بحاله فكان القياس ان يأثم لانه اعانة على الحرام لكنه يجعله هبة ولااثم فى الهبة للغنى وله ان يرده برد جميل مثل ان يقول آتاكم الله من فضله (والمحروم) الذى لايسأل اما حياء او توكلا فيظن انه غنى فيحرم وفيه اشارة الى احوال الحقائق والمعارف الحاصلة من رأس مال الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة ففيها حق معلوم للسائل وهو المستعد للسلوك والاجتهاد فينبغى ان يفيض عليه و يرشده الى طلب الحق والمحروم هو المرمى الساقط على ارض العجز بسبب الاهل والعيال والاشتغال باسبابهم فيسليهم و يطيب قلوبهم برحمة الله وغفرانه و يفيض عليهم من بركات انفاسه الشريفة لئلا يحرم من كرم الله وفيضه (والذين يصدقون بيوم الدين) اى باعمالهم حيث يتعبون انفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء فمجرد التصديق بالجنان واللسان وان كان ينجى من الخلود فى النار لكن لايؤدى الى ان يكون صاحبه مستثنى من المطبوعين بالاحوال المذكورة قال القاشانى والذين يصدقون من اهل اليقين البرهانى او الاعتقاد الايمانى باحوال الآخرة والمعاد وهم ارباب القلوب المتوسطون (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على انفسهم مع مالهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه تعالى (قال الكاشفى) وعلامت ترس الهى اجتناب ازملا هى ومناهيست وقال الحسن يشفق المؤمن ان لاتقبل حسناته وتقديم من يحسن ان يكون للحصر امتثالا لامره تعالى فارهبون مع جواز ان يكون للتقوية (ان عذاب ربهم غير مأمون) كه عذاب خدا وند ايشان نه آنست كه ازان ايمن باشند وهو اعتراض مؤذن بانه لاينبغى لاحد ان يأمن من عذابه تعالى و ان بالغ فى الطاعة والاجتهاد بل يكون بين الخوف والرجاء لانه لايعلم احد عاقبته قال القاشانى والذين هم الخ اى اهل الخوف من المبتدئين فى مقام النفس السائرين عند بنور القلب لاالواقفين معه او المشفقين من عذاب الحرمان والحجاب فى مقام القلب

من تمكين اوفى مقام المشاهدة من التشريف فانه لا يؤمن الاحتجاب ما غيبت غيبة كما قال ان عذاب ربهم غير
مأمون ومن العذاب الحجاب المرتضى فانه من الموبقات تنوقعت فى عذاب نار الجحيم وجحيم العتاب
نسأل الله العافية (والذين هم لفروجهم) فرج الرجل والمرأة سوأتهما اى قبلهما عبر به عنها رعاية للادب
فى الكلام وادب الزمخشرى ذهبه والجار متعلق بقوله (حافظون) من الزنى ممتنعون عن مباشرة الحرام
فان حفظ الفرج كناية عن العفة (الا على) يعنى من كما فى كتب النحو (ازواجهم) نسائهم المنكوحات
(او ما ملكت ايمانهم) من جواريهم فى اوقات حلهما كالطهر من الحيض والنفاس ومضى مدة الاستبراء
عبر عنهن بما اجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء او لانوثتهن المنبئة عن القصور وفى المراد ما ملكت الايمان
يدل على ان المراد من الحافظين شئا المذكور وان كان الحفظ لازما للاناث ايضا بل اشد لانه لازم صيانتهن على
عبيدهن وان كان ما ملكت ايمانهن ترجيحا لجانب الذكور فى صيانة عرضهم (فانهم) اى الحافظين (غير
ملومين) على عدم حفظها منهن اى غير معيوبين شرعا فلا يؤاخذون بذلك فى الدنيا والآخرة وبفارسية
بجاى سرزنش نيستند وفيه اشعار بان من لم يحفظه تكفيه ملامة اللائمين فكيف العذاب (فمن ابتغى) پس
هركه طلب كند براى نفس خود (وراء ذلك) الذى ذكر وهو الاستمتاع بالنكاح وملك اليمين وحد النكاح
اربع من الحرائر ولا حد لملك اليمين (فاولئك) المبتغون (هم العادون) المتعدون لحدود الله الكاملون
فى العدوان المتناهون لانه من عدا عليه اذا تجاوز الحد فى الظلم ودخل فيه حرمة وطئ الذكران والبهائم والزنى
وقيل يدخل فيه الاستمناء ايضا (روى) ان العرب كانوا يستمنون فى الاسفار فنزلت الآية وفى الحديث
ومن لم يستطع اى التزوج فعليه بالصوم استدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء لانه عليه السلام
ارشد عند العجز عن التزوج الى الصوم الذى يقطع الشهوة فلو كان الاستمناء مباحا لكان الارشاد اليه اسهل
وقد اباح الاستمناء طائفة من العلماء وهو عند الحنابلة وبعض الحنفية لاجل تسكين الشهوة جائز وفى رواية
الخلاصة الصائم اذا عالج ذكره حتى امنى يجب عليه القضاء ولا كفارة عليه ولا يحل هذا الفعل خارج رمضان
ان قصد قضاء الشهوة وان قصد تسكين شهوته ارجو ان لا يكون عليه وبال وفى بعض حواشى البخارى
والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله فاولئك هم
العادون اى الظالمون المتجاوزون من الحلال الى الحرام قال البغوى الآية دليل على ان الاستمناء باليد حرام
قال ابن جريج سألت ابن عطاء عنه فقال سمعت ان قوما يحشرون حبالى واظنهم هؤلاء وعن سعيد بن جبير
عذب الله امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم والواجب على فاعله التعزير كما قال بعضهم نعم يباح عند ابى حنيفة
واحمد اذا خاف على نفسه الفتنة وكذلك يباح الاستمناء بيد امرأته وجاريته لكن قال القاضى حسين مع
الكراهة لانه فى معنى العزل وفى التاتارخانية قال ابو حنيفة احسب ان ينجو رأسا برأس يقول الفقير من
اضطر الى تسكين شهوته فعليه ان يدق ذكره بحجر كما فعله بعض الصلحاء المتقين حين التوقان صيانة لنفسه عن
الزنى ونحوه والحق احق ان يتبع وهو العمل بالارشاد النبوى الذى هو الصوم فان اضطر فالعمل بما ذكرناه
اولى واقرب من افعال اهل الورع والتقوى (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) لا يخلون بشئ من حقوقهما
والامانة اسم جنس ما يؤتمن عليه الانسان سوآء كان من جهة البارى تعالى وهى امانات الدين التى هى
الشرائع والاحكام او من جهة الخلق وهى الودائع ونحوها والجمع بالنظر الى اختلاف الانواع وكذا العهد
شامل لعهد الله وعهد الناس وهو ما عقده الانسان على نفسه لله او لعباده وهو يضاف الى المعاهد والمعاهد
فيجوز هنا الاضافة الى الفاعل والمفعول وقال الجنيد قدس سره الامانة المحافظة على الجوارح والعهد حفظ
السر مع الله على التوحيد والرعاية القيام على الشئ بحفظه واصلاحه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخيانة عند الائتمان والكذب عند التحديث والغدر عند المعاهدة والفجور عند المخاصمة من خصال المنافق
اگر مى بايد از آتش امانت * فرو مگذار قانون امانت * بهر عهدى كه مى بندى وفاكن * رسوم
حق گزارى را اداكن * قال بعض الكبار كل من اتصف بالامانة وكتم الاسرار سمع كلام الموتى وعذابهم
وتنعيمهم كما سمعت البهائم عذاب اهل القبور لعدم النطق وكذلك يسمع من اتصف بالامانة كلام اعضائه فى دار
الدنيا لانها حية ناطقة ولذلك تستشهد يوم القيامة فتشهد ولا يستشهد الا عدل مرضى ملائكة وقرآنا ويلات

النجمية يشير الى الامانة المعروضة على السموات والارض والجبال وهى كمال المظهرية وتمام المضاهاة الالهية والى عهد ميثاق الست بربكم قالوا بلى ورعاية ذلك العهد ان لا يخالفه بالمخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية وقال بعضهم والذين هم لامانا تهم التى استودعوها بحسب الفطرة من المعارف العقلية وعهدهم الذى اخذ الله ميثاقه منهم فى الازل راعون بان لم يدنسوا الفطرة بالغواشى الطبيعية والاهواء النفسانية (والذين هم بشهاداتهم) الباء متعلق بقوله (قائمون) سواء كانت للتعدية ام للملابسة والجمع باعتبار انواع الشهادة اى مقيمون لها بالعدل ومؤدونها فى وقتها احياء لحقوق الناس فالمراد بالقيام بالشهادة اداؤها عند الاحكام على من كانت هى عليه من قريب او بعيد شريف او وضيع قال عليه السلام اذا علمت مثل الشمس فاشهد والافدع وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الامانات لابانة فضلها لان فى اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها وفى كتمها وتركها تضييعها وابطالها وفى الاشباه اذا كان الحق يقوم بغيرها او كان القاضى فاسقا او كان يعلم انها لا تقبل جاز الكتمان وفى فتح الرحمن تحمل الشهادة فرض كفاية واداؤها اذا تعين فرض عين ولا يحل اخذ اجرة عليها بالاتفاق فاذا طلبه المدعى وكان قريبا من القاضى لزمه المشى اليه وان كان بعيدا اكثر من نصف يوم لا يأثم بتخلفه لانه يلحقه الضرر وان كان الشاهد يقدر على المشى فاركبه المدعى من عنده لا تقبل شهادته وان كان لا يقدر فاركبه لا بأس به ويقتصر فى المسلم على ظاهر عدالته عند ابى حنيفة رحمه الله الا فى الحدود والقصاص فان طعن الخصم فيه سأل عنه وقال صاحباه يسأل عنهم فى جميع الحقوق سرا وعلانية وعليه الفتوى وجعل بعضهم شهادة التوحيد داخلة فيها كما قال سهل رحمه الله قائمون بحفظ ما شهدوا به من شهادة ان لا اله الا الله فلا يشركون به فى شىء من الافعال والاقوال والاحوال وقال القاشانى فى الآية اى يعملون بمقتضى شاهدهم من العلم فكل ما شهدوه قاموا بحكمه وصدروا عن حكم شاهدهم لا غير (والذين هم على صلاتهم يحافظون) تقديم على صلاتهم يفيد الاختصاص الدال على ان محافظتهم مقصورة على صلاتهم لا تتجاوز الى امور دنياهم اى يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها ويحفظونها من الاحباط باقتران الذنوب فالدوام المذكور اولا يرجع الى انفس الصلوات والمحافظة الى احوالها وفى المفردات فيه تنبيه على انهم يحفظون الصلاة بمراعاة اوقاتها واركانها والقيام بها فى غاية ما يكون من الطوق فان الصلاة تحفظهم بالحفظ الذى نبه عليه فى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفى الحديث من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وابى بن خلف وهو الذى ضربه النبى عليه السلام فى غزوة احد برمح فى عنقه فمات منه فى طريق مكة وكان اشد واطغى من ابى جهل دل عليه كونه مقتولا بيد النبى عليه السلام ولم يقتل عليه السلام بيده غيره وبعض العلماء جعل المحافظة شاملة للادامة على ما هو الظاهر من قوله تعالى حافظوا على الصلوات فيكون من قبيل التعميم بعد التخصيص لتتميم الفائدة والاشعار بان الصلاة اول ما يجب على العبد اداؤه بعد الايمان وآخر ما يجب عليه رعايته بعده كما سبق وكفته الدوام تعلق بفرائض دارد ومحافظت بنوافل والحاصل ان فى تكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين الدلالة على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات ايذانا بان كل واحدة من تلك الصفات حقيق بان يفرد لها موصوف مستقل لشأنها الخطير ولا يجعل شىء منها تتمة للاخرى قال بعضهم دلت هذه الآية على ان التغاير المفهوم من العطف ليس بذاتى بل هو اعتبارى اذ لا يخفى انه ليس المراد من الدائمين طائفة والمحافظين اخرى فالمقصود مدح المؤمنين بما كانوا عليه فى عهد رسول الله من الاخلاق الحسنة والاعمال المرضية ففيه ترغيب لمن يجيء منهم الى يوم القيامة وترهيب عن المخالفة قال فى برهان القرآن قوله الا المصلين عدعقيب ذكرهم الخصال المذكورة اول سورة المؤمنين وزاد فى هذه السورة والذين هم بشهاداتهم قائمون لانه وقع عقيب قوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون واقامة الشهادة امانة يؤديها اذا احتاج اليها صاحبها لاحياء حق فهى اذا من جملة الامانة فى سورة المؤمنين وخصت هذه السورة بزيادة بيانها كما خصت باعادة ذكر الصلاة حيث يقول والذين هم على صلاتهم يحافظون بعد قوله الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون انتهى وقال القاشانى والذين هم على صلاة القلب وهى المراقبة يحافظون

اوصلاة النفس على الظاهر وفى فتح الرحمن واتفق القراء على الافراد فى صلاتهم هنا وفى الانعام بخلاف الحرف المتقدم فى المؤمنين لانه لم يكتنفها فيهما ما اكتنفها فى المؤمنين قبل وبعد من تعظيم الوصف فى المتقدم وتعظيم الجزاء فى المتأخر فناسب لفظ الجمع ولذلك قرأ به اكثر القراء ولم يكن ذلك فى غيرها فناسب الافراد (اولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات الفاضلة (فى جنات) اى مستقرون فى جنات لايقادر قدرها ولايدرك كنهها (مكرمون) بالثواب الابدى والجزاء السرمدى اى سيكونون كذلك فكأن الاكرام فيها واقع لهم الآن وهو خبر آخر أو هو الخبر وفى جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل او تضمر هو حال من الضمير فى الخبر اى مكرمون كائنين فى جنات (فمال الذين) اى فما بال الذين (كفروا) وحرموا من الاتصاف باصفات الجليلة المذكورة وما استفهامية للانكار فى موضع رفع بالابتداء والذين كفروا خبرها واللام الجارة كتبت مفصولة اتباعا لمصحف عثمان رضى الله عنه قال فى فتح الرحمن وقف ابو عمرو والكسائى بخلاف عنه على الالف دون اللام من قوله فمال هؤلاء فى النساء ومال هذا الكتاب فى الكهف ومال هذا الرسول فى الفرقان وفمال الذين فى سأل ووقف الباقون فى فمال على اللام اتباعا للخط بخلاف عن الكسائى قال ابن عطية وجملة قوم جملة لانها حرف جر فهى بعض المجرور وهذا كله بحسب ضرورة وانقطاع نفس واما ان اختار احد الوقف فيما ذكرنا ابتداء فلا انتهى (قبلك) حال من المنوى فى للذين كفروا اى فما لهم ثابتين حولك (مهطعين) حال من المستكن فى قبلك من الاهطاع وهو الاسراع اى مسرعين نحوك مادى اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) الجار متعلق بعزين لانه بمعنى متفرقين وعزين حال بعد حال من المنوى فى للذين اى فرقا شتى وبالفارسية كروه كروه حلقة زده كان جمع عزة وهى الفرقة من الناس واصلها عزوة من العزو بمعنى الانتماء والانتساب كأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى اما فى الولادة او فى المظاهرة فهم متفرقون كان المشركون يتحلقون حول رسول الله حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أيطمع) الطمع نزوع النفس الى الشئ شهوة له واكثر الطمع من جهة الهوى (كل امرئ) هر مردى (منهم) اى من هؤلاء المهطعين (ان يدخل جنة نعيم) بالايمان اى جنة ليس فيها الا التنعم المحض من غير تكدر وتنغص (كلا) ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ اى اتركوا هذا الطمع واقطعوا مثل هذا الكلام وبالفارسية نه اينجنين است وكافرانرا در بهشت راه نيست ان قيل كيف يكون الطمع وهم قالوا ذلك استهزاء اجيب بان الله عليم باحوالهم فلعل منهم من كان يطمع والا فيكون المراد من الردع قطع وهم الضعفاء عن احتمال صدق قولهم لعل وجه ايراد يدخل مجهولا من الادخال دون يدخل معلوما من الدخول مع انه الظاهر فى رد قولهم لندخلنها اشعار بانه لايدخل من يدخل الا بادخال الله وامره للملائكة به وبانهم محرومون من شفاعة تكون سببا للدخول وبان اسناد الدخول اخبارا وانشاء انما يكون للمرضى عنهم والمكرمين عند الله بايمانهم وطاعتهم كقوله تعالى اولئك يدخلون الجنة وقوله ادخلوا الجنة وفى تنكير جنة اشعار بانهم مردودون من كل جنة وان كانت الجنان كثيرة وفى توصيفها بنعيم اشعار بان كل جنة مملوءة بالنعمة وان من طرد من راحة النعيم وقع فى كدر الجحيم وفى ايراد كل اشعار بان من آمن منهم بعد قولهم هذا واطاع الله ورسوله حق له الطمع وتعميم الردع لكل منهم كائنا من كان ممن لم يؤمن (انا خلقناهم مما يعلمون) كما قال ولقد علمتم النشأة الاولى وهو كلام مستأنف ومن ذلك وضع السجاوندى علامة الطاء على كلا لتمام الكلام عنده قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله وبما نزل عليه من الوحى وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الاولى من حال النطفة ثم العلقة ثم المضغة حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما تفصح عنه الفاء الفصيحة فى قوله تعالى فلا اقسم وفى التأويلات النجمية انا خلقناهم من الشقاوة الازلية للعداوة الابدية باليد اليسرى الجلالية القهرية كيف يتأتون مكان من خلقهم من السعادة الازلية للمحبة الابدية باليد اليمنى الجمالية اللطفية هذا مما يخالف الحكمة الالهية والارادة السرمدية ولاعبرة بالنطفة والطين لاشتراك الكل فيهما وانما العبرة بالاصطفائية والخاصية فى المعرفة فمن عرف الله كان فى جوار الله لان ترابه من تراب الجنة

فى الحقيقة وروحه من نور الملكوت ومن جهله كان فى بعد عنه لانه من عالم النار فى الحقيقة وكل يرجع الى اصله (ولا اقسم) اى اقسم كما سبق نظائره (وقال الكاشفى) فلا پس نه چنانست كه كفار ميكويند اقسم سوكند ميخورم (برب المشارق والمغارب) جمع المشارق والمغارب امالان المراد بهما مشرق كل يوم من السنة ومغربه فيكون لكل من الصيف والشتاء مائة وثمانون مشرقا ومغربا (وبالفارسية) بآفريدكان مشرقها كه آفتاب دارد وهر روز از نقطهٔ ديكر طلوع ميكند وبخداوند مغربها كه آفتاب راهست وهر روز بنقطهٔ ديكر غروب ميكند اومشرق كل كوكب ومغربه يعنى مراد مشارق ومغارب نجومست چه هريك ازايشان رامحل شروق وغروب ازدائرهٔ افق نقطهٔ ديكرست * اوالمراد بالمشرق ظهور دعوة كل نبى وبالمغرب موته اوالمراد انواع الهدايات والخذلانات (انا لقادرون) جواب القسم (على ان نبدل خيرا منهم) اى نبدلهم فحذف المفعول الاول للعلم به وخيرا مفعوله الثانى بمعنى التفضيل على التسليم اذ لاخير فى المشركين اونهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتى بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم ولم يقع هذا التبديل وانما ذكر الله ذلك تهديدا لهم لكى يؤمنوا وقيل بدل الله بهم الانصار والمهاجرين (وما نحن بمسبوقين) بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم وبالفارسية يعنى كسى برمايشى نتواند كرفت اكرارادهٔ امرى كنيم ومغلوب نتوان ساخت در اظهار آن وقيل عاجزين لان من سبق الى شئ عجز (فذرهم) فخلهم وشأنهم (يخوضوا) ويشرعوا فى باطلهم الذى من جملته ماحكى عنهم وهو جواب الامر وهو تهديد لهم وتوبيخ كقوله اعملوا ماشئتم (ويلعبوا) فى الدنيا بالاشتغال بما لا ينفعهم وانت مشتغل بما امرت به وهذه الآية منسوخة بالسيف (حتى يلاقوا) من الملاقاة بمعنى المعاينة (يومهم) هو يوم البعث عند النفخة الثانية والاضافة لانه يوم كل الخلق وهم منهم اولان يوم القيامة يوم الكفار من حيث العذاب ويوم المؤمنين من جهة الثواب فكانه يومان يوم للكافرين ويوم للمؤمنين (الذى يوعدون) الآن اوعلى الاستمرار وهو من الوعد كقولهم متى هذا الوعد ويجوز ان يكون من الايعاد وهو بالفارسية بيم كردن (يوم يخرجون من الاجداث) بدل من يومهم ولذا حمل على يوم البعث جمع جدث وهو القبر (سراعا) حال من مرفوع يخرجون جمع سريع كظراف جمع ظريف اى مسرعين الى جانب الداعى وصوته وهو اسرافيل ينادى على الصخرة كما سبق (كانهم الى نصب) حال ثانية من المرفوع وهو كل مانصب فعبد من دون الله وعن ابن عمر رضى الله عنهما هو شبكة يقع فيها الصيد فيسارع اليها صاحبها واحد الانصاب كما قال تعالى وماذبح على النصب وكان للعرب حجارة تعبدها وتذبح عليها وقال الاخفش جمع نصب كرهن ورهن والانصاب جمع الجمع (يوفضون) من الايفاض وهو بالفارسية شتافتن واصله متعداى يسرعون اليهم يستلمه اولا وفيه تهجين لحالهم الجاهلية وتهكم بهم بذكر جهالتهم التى اعتادوها من الاسراع الى مالا يملك نفعا ولا ضرا (خاشعة ابصارهم) حال من فاعل يوفضون وابصارهم فاعلها على الاسناد المجازى يعنى وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها والمعنى ذليلة خاضعة لايرفعون مايتوقعون من العذاب (ترهقهم ذلة) هوايضا حال من فاعل يوفضون اى تغشاهم ذلة شديدة وحقارة عظيمة وهو بالفارسية خوارى ونكونسارى (ذلك) اليوم المذكور الذى سيقع فيه الاحوال الهائلة وهومبتدأ خبره قوله (اليوم الذى كانوا يوعدون) اى يوعدونه فى الدنيا على السنة الرسل وهم يكذبون به فاندفع توهم التكرار لان الوعد الاول محمول على الآتى واستمرارى كما مر وهذا الوعد محمول على الماضى بدلالة لفظ كان وفى الدلة اشارة الى ذلة الأنانية فانهم يوم يخرجون من الاجداث يسارعون الى صور تناسب هيئاتهم الباطنة فيكون اهل الأنانية فى انكر الصور بحيث يقع المسخ على ظاهرهم وباطنهم كما وقع لابليس بقوله انا خير منه فكما ان ابليس طرد من مقام القرب ورهقته ذلة البعد فكذا من فى حكمه من الانس ولذا كان السلف يكون دما من الاخلاق السيئة لاسيما مايشعر بالانانية من آثار التعين فان التوحيد الحقيقى هوان يصير العبد فانيا عن نفسه باقيا به فاذا لم يحصل هذا فقد بقى فيه بقية من الناسوتية وكل اناء يرشح بما فيه فطوبى لمن ترشح منه الحق لا النفس والله اسأل ان يكرمنى به واياكم

(تمت سورة المعارج بعون خالق الداخل والخارج فى العاشر من الشوال سنة ستة عشرة ومائة والالف)

* (سورة نوح مكية وآيها سبع اوثمان وعشرون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(انا ارسلنا نوحا الى قومه) مر سر نون العظمة مرارا والارسال يقابل بالامساك تكون للتسخير كارسال الريح والمطر بعث من له اختيار نحو ارسال الرسل وبالتخلية وترك المنع نحو انا ارسلنا الشياطين على الكافرين قال قتادة ارسل نوح من جزيرة فذهب اليهم ونوح اسمه عبد الغفار عليه السلام سمى نوحا لكثرة نوحه على نفسه اوهو سريانى معناه الساكن لان الارض طهرت من خبث الكفار وسكنت اليه وهو اول من اوتى الشريعة فى قول واول اولى العزم من الرسل على قول الاكثرين واول نذير على الشرك وكان قومه يعبدون الاصنام واول من عذبت امته وهو شيخ المرسلين بعث ابن اربعين سنة اوثلاث مئة وخمسين اوار بعمائة وثمانين ولبث فيهم الف سنة الاخمسين عاما وعاش بعد الطوفان تسعين سنة قال بعض من تصدى للتفسير فيه دلالة على انه لم يرسل الى اهل الارض كلهم لانه تعالى قال الى قومه فلوارسل الى الكل لقيل الى خلق اومايشابهه كما قيل لرسول الله وماارسلناك الاكافة للناس ولقول رسول الله كان النبى يبعث الى قومه خاصة و بعثت الى الناس عامة ثم قال ان قيل فاجريمة غيرقومه حتى عمهم فى الدعاء عليهم كما قال لاتذر على الارض من الكافرين ديارا فانه اذا لم يرسل اليهم لم يكن كلهم مخالفا لامره وعاصياله حتى يستحقوا الدعاء بالاهلاك اجيب بانه يحتمل انه تحقق ان نفوس كفرة زمانه على سجية واحدة يستحقون بذلك ان يدعى عليهم بالاهلاك ايضا انتهى وفيه نظر لانه قال فى انسان العيون فى قوله عليه السلام وكان كل نبى انما يرسل الى قومه اى جميع اهل زمنه اوجماعة منهم خاصة ومن الاول نوح عليه السلام فانه كان مرسلا لجميع من كان فى زمنه من اهل الارض ولما اخبربانه لايؤمن منهم الامن آمن معه وهم اهل السفينة وكانوا ثمانين اربعين رجلا واربعين امرأة اوكانوا اربعمائة كما فى العوارف وقد يقال من الآدميين وغيرهم فلامخالفة دعا على من عدا من ذكر باستئصال العذاب لهم فكان الطوفان الذى كان به هلاك جميع اهل الارض الامن آمن ولولم يكن مرسلا اليهم مادعا عليهم بسبب مخالفتهم له فى عبادة الاصنام لقوله تعالى وماكنا معذبين اى فى الدنيا حتى نبعث رسولا وقول بعض المفسرين ارسل الى آل قابيل لاينافى ماذكر لانه يجوزان يكون آل قابيل اكثر اهل الارض وقتئذ وقد ثبت ان نوحا عليه السلام اول الرسل اى لمن يعبد الاصنام لان عبادة الاصنام اول ماحدثت فى قومه وارسله الله اليهم ينهاهم عن ذلك وحينئذ لايخالف كون اول الرسل آدم ارسله الله الى اولاده بالايمان به تعالى وتعليم شرائعه فان قلت اذا كانت رسالة نوح عامة لجميع اهل الارض كانت مساوية لرسالة نبينا عليه السلام قلت رسالة نوح عليه السلام عامة لجميع اهل الارض فى زمنه ورسالة نبينا محمد عليه السلام عامة لجميع من فى زمنه ومن يوجد بعد زمنه الى يوم القيامة فلامساواة وحينئذ يسقط السؤال وهو انه لم يبق بعد الطوفان الامؤمن فصارت رسالة نوح عامة ويسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه بان هذا العموم الذى حصل بعد الطوفان لم يكن من اصل بعثته بل طرأ بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا عليه السلام (ان) اى (انذر قومك) خوفهم بالنار على عبادة الاصنام كى ينتهوا عن الشرك ويؤمنوا بالله وحده فان مفسرة لما فى الارسال من معنى القول ويجوزان تكون مصدرية حذف منها الجار واوصل اليها الفعل اى بان انذرهم وجعلت صلتها امرا كما فى قوله تعالى وان اقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لايختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية فى الموصول الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لاتوصف الابالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفى كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء فى الدلالة على المصدر استويا فى صحة الوصل بها فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر والنهى والمضى والاستقبال كانه قيل ارسلناه بالانذار كذا فى الارشاد وقال بعض العارفين الانبياء والاولياء فى درجات القرب على تفاوت فبعضهم يخرج من نور الجلال وبعضهم من نور الجمال وبعضهم من نور العظمة وبعضهم من نور الكبرياء فمن خرج من نور الجمال اورث قومه البسط والانس ومن خرج من نور العظمة اورث قومه الهيبة والجلال وكان نوح مشكاة نور عظمة الله ولذلك ارسله الى قومه بالانذار فلما عصوه اخذهم بالقهر

(من قبل ان يأتيهم) من الله تعالى (عذاب اليم) عاجل كالطوفان والغرق اوآجل كعذاب الآخرة لئلا
يبق لهم عذرما اصلا كما قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والاليم بمعنى المؤلم اوالمتألم مبالغة
والالم جسمانى وروحانى والثانى اشد كأنه قيل فافعل نوح عليه السلام فقيل (قال) لهم (ياقوم) اى كروه من
واصله ياقومى خاطبهم باظهار الشفقة عليهم وارادة الخيرلهم وتطييبا لهم (انى لكم نذير) منذرمن عاقبة الكفر
والمعاصى وافرد الانذارمع كونه بشيرا ايضا لان الانذار اقوى وفى تأثير الدعوة لما ان اكثر الناس يطيعون
اولا بالخوف من القهر وثانيا بالطمع فى العطاء واقلهم يطيعون بالمحبة للكمال والجمال يقول الفقير الظاهر
ان الانذار اول الامر كما قال تعالى لنبينا عليه السلام قم فانذر والتبشير ثانى الامر كما قال تعالى و بشر المؤمنين
فالانذار يتعلق بالكافرين والتبشير بالمؤمنين وان امكن تبشير الكفار بشرط الايمان لافى حال الكفر فانهم
فى حال الكفر انما يستحقون التبشير التهكمى كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم (مبين) موضح لحقيقة الامر
بلغة تعرفونها او بين الانذار (ان اعبدوا الله) متعلق بنذير بان اعبدوا الله والامر بالعبادة يتناول
جميع الواجبات والمندوبات من افعال القلوب والجوارح (واتقوه) يتناول الزجر عن جميع المحظورات
والمكروهات (واطيعون) يتناول امرهم بطاعته فى جميع المأمورات والمنهيات والاعتقاديات والعمليات
وفى التأويلات النجمية اى فى اخلاقى وصفاتى وافعالى واعمالى واقوالى واحوالى انتهى وهذا وان كان
داخلا فى الامر بعبادة الله وتقواه الا انه خصه بالذكر تأكيدا فى ذلك التكليف ومبالغة فى تقريره
قال بعضهم اصله واطيعونى بالياء ولم يقل واطيعوه بالهاء مع مناسبته لما قبله يعنى اسند الاطاعة الى نفسه
لما ان اطاعة الرسول اطاعة الله كما قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى واطيعوا الرسول
فاذا كانوا مأمورين باطاعة الرسول فكان للرسول ان يقول واطيعون وايضا ان الاجابة كانت تقع له
فى الظاهر (يغفر لكم) جواب الامر (من ذنوبكم) اى بعض ذنوبكم وهو ماسلف فى الجاهلية فان الاسلام
يجب ماقبله لاماتأخر عن الاسلام فانه يؤاخذ به ولايكون مغفورا بسبب الايمان ولذلك لم يقل يغفر لكم
ذنوبكم بطى من التبعيضية فانه يعم مغفرة جميع الذنوب ماتقدم منها وماتأخر وقيل المراد ببعض الذنوب
بعض ماسبق على الايمان وهو مالايتعلق بحقوق العباد (و يؤخركم) بالحفظ من العقوبات المهلكة كالقتل
والاغراق والاحراق ونحوها من اسباب الهلاك والاستئصال وكان اعتقادهم ان من اهلك بسبب من هذه
الاسباب لم يمت بأجله فخاطبهم على المعقول عندهم فليس يريد أن الايمان يزيد فى آجالهم كذا فى بعض التفاسير
(الى اجل مسمى) معين مقدر عندالله والاجل المدة المضروبة للشئ قال فى الارشاد وهو الامد الاقصى
الذى قدره الله لهم بشرط الايمان والطاعة صريح فى ان لهم اجلا آخر لايجاوزونه ان لم يؤمنوا به وهو المراد
بقوله تعالى (ان اجل الله) وهو ماقدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر وهو الاجل القريب المطلق
الغيرالمبرم بخلاف الاجل المسمى فانه البعيد المبرم واضيف الاجل هنا الى الله لانه المقدر الخالق اسبابه واسند
الى العباد فى قوله اذاجاء اجلهم لانهم المبتلون المصابون (اذاجاء) وانتم على ماانتم عليه من الكفر (لايؤخر)
فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لايتحقق شرطه الذى هو بقاؤكم على الكفر فلايجئ ويتحقق
شرط التأخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه فالمحكوم عليه بالتأخير هو الاجل المشروط بشرط الايمان
والمحكوم عليه بامتناعه هو الاجل المشروط بشرط البقاء على الكفر فلاتناقض لانعدام وحدة الشرط
و يجوزان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور فى قوله تعالى من قبل ان يأتيهم عذاب أليم فانه اجل موقت له
حتما (لوكنتم تعلمون) شيأ لسارعتم الى ماامرتكم به اولعلمتم ان الاجل لاتأخير فيه ولااهمال وفيه اشارة
الى انهم ضيعوا اسباب العلم وآلات تحصيله بتوغلهم فى حب الدنيا وطلب لذاتهم حتى بلغوا بذلك الى حيث
صاروا كأنهم شاكون فى الموت * روزى كه اجل درآيد از پيش و بست * شك نيست كه مهلت
ندهد يك نفست * يارى نرسد دران دم ازهيچ كست * بربادشود جمله هوا وهوست (قال) اى نوح
مناجيا لربه وحاكيا له وهو أعلم بحال ماجرى بينه و بين قومه من القيل والقال فى تلك المدد الطوال بعد
مابذل فى الدعوة غاية المجهود وجاوز فى الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل (رب)
اى پروردكار من (انى دعوت قومى) الى الايمان والطاعة (ليلا ونهارا) فى الليل والنهار اى دائما من غير

فتور ولا توان فيهما ظرفان لدعوت اراد بهما الدوام على الدعوة لان الزمان منحصر فيهما وفى كشف الاسرار نشبها درخانهاى ايشان و بروزها درانجمنهاى ايشان وكان يأتى باب احدهم ليلا فيقرع الباب فيقول صاحب البيت من على الباب فيقول انا نوح قل لا اله الا الله (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) مما دعوتهم اليه وفى التأويلات النجمية من متابعتى ودينى وما انا عليه من آثار وحيك والفرار بالفارسية كريختن وهو مفعول ثان لقوله لم يزدهم لانه يتعدى الى مفعولين يقال زاده الله خيرا وزيده فزاد وازداد كما فى القاموس واسناد الزيادة الى الدعاء مع انها فعل الله تعالى لسببية لها والمعنى ان الله يزيد الفرار عند الدعوة لصرف المدعو اختياره اليه (وانى كلما دعوتهم) اى الى الايمان وفى التأويلات النجمية كلما دعوتهم بلسان الامر مجردا عن انضمام الارادة الموجبة لوقوع المأمور فان الامر اذا كان مجردا عن الارادة لا يجب ان يقع المأمور به بخلاف ما اذا كان مقرونا بالارادة فانه لا بد حينئذ من وقوع المأمور به (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا اصابعهم فى آذانهم) اى سدوا مسامعهم من استماع الدعوة فالجعل المذكور كناية عن هذا السد ولا مانع من الحمل على حقيقته بان يدخلوا اصابعهم فى ثقب آذانهم قصدا الى عدم الاستماع (واستغشوا ثيابهم) الاستغشاء جامه بسر در كشيدن كما فى تاج المصادر مأخوذ من الغشاء وهو الغطاء وفى الاصل اشتمال من فوق ولما كان فيه معنى الستر استعمل بمعناه واصل الاستغشاء طلب الغشى اى الستر لكن معنى الطلب هنا ليس بمقصود بل هو بمعنى التغطى والستر وانما جيئ بصيغته التى هى السين للمبالغة والثياب جمع ثوب سمى به لثوب الغزل اى رجوعه الى الحالة التى قدر لها والمعنى و بالغوا فى التغطى بثيابهم كأنهم طلبوا منها ان تغشاهم اى جميع اجزاء بدنهم آلة الابصار وغيرها لئلا يبصروه كراهة النظر اليه فان المبطل يكره رؤية المحق للتضاد الواقع بينهما وقس عليهما المتكبر والكافر والمبتدع بالنسبة الى المتواضع والمؤمن والسنى اولئلا يعرفهم فيدعوهم يقول الفقير هذا الثانى ليس بشئ لان دعوته على ماسبق كانت عامة لجميع من فى الارض ذكورهم واناثهم والمعرفة ليست من شرط الدعوة واشتباه الكافر بالمؤمن مدفوع بان المؤمن كان اقل القليل معلوما على كل حال على ان التغطى من موجبات الدعوة لان بذلك يعلم كونه من اهل الفرار اذ لم يكن فى ذلك الزمان حجاب وقال بعضهم ويجوز ان يكون التغطى مجازا عن عدم ميلهم الى الاستماع والقبول بالكلية لان من هذا شأنه لا يسمع كلام غيره (واصروا) اى اكبوا واقاموا على الكفر والمعاصى وفى قوت القلوب الاصرار يكون بمعنى ان يعقد بقلبه انه متى قدر على الذنب فعله اولا يعقد الندم ولا التوبة منه واكبر الاصرار السعى فى طلب الاوزار (وفى تاج المصادر) الاصرار بر چيزى بايستادن وكوش راست كردن است يقال اصر الحمار على العانة وهى القطيع من حمر الوحش اذا ضم اذنيه الى رأسه واقبل عليها يكدمها و يطردها استعير للاقبال على الكفر والمعاصى والاكباب عليهما بتشبيه الاقبال المذكور باصرار الحمار على العانة بكدمها و بطردها ولو لم يكن فى ارتكاب المعاصى الا التشبيه بالحمار لكفى به مزجرة فكيف والتشبيه فى اسوء حاله وهو حال الكدم والطرد للسفاد (واستكبروا) تعظموا عن اتباعى وطاعتى واخذتهم العزة فى ذلك (استكبارا) شديدا لانهم قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون قال بعض العارفين من اصر على المعصية اورثته التمادى فى الضلالة حتى يرى قبيح اعماله حسنا فاذا رآه حسنا يتكبر و يعلو بذلك على اولياء الله ولا يقبل بعد ذلك نصيحتهم قال سهل قدس سره الاصرار على الذنب يورث النفاق والنفاق يورث الكفر (ثم انى دعوتهم) دعوة (جهارا) اى اظهرت لهم الدعوة يعنى آشكارا درمحافل ايشان والجهر ظهور الشئ بافراط حاسة البصر او حاسة السمع (ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا) اشارة الى ذكر عموم الحالات بعد ذكر عموم الاوقات اى دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه مختلفة واساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد والاعلان ضد الاسرار يقال اسررت الى فلان حديثا افضيت به اليه فى خفية اى من غير اطلاع احد عليه وجهرت به اظهرته بحيث اطلع عليه الغير ويجوز ان يكون ثم لتراخى بعض الوجه عن بعض بحسب الزمان بان ابتدأ بمناصحتهم ودعوتهم فى السر فعاملوه بالامور الاربعة وهى الجعل والتغطى والاصرار والاستكبار ثم ثنى بالمجاهرة بعد ذلك فلما لم يؤثر جمع بين الاعلان والاسرار اى خلط دعاءه بالعلانية بدعاء السر فكما كلمهم جميعا كلمهم واحدا واحدا سرا وقال بعضهم

اشكارا كردم مر بعضى ايشانرا يعنى با شكارا آواز برد اشتم و باعلاى صوت دعوت كردم و براز كفتم
مر بعضى ديكرا از ايشانرا وفى بعض التفاسير ان نوحا عليه السلام لما آذوه بحيث لايوصف حتى كانوا
يضربونه فى اليوم مرات هيل صبره فسأل الله ان يواريه عن ابصارهم بحيث يسمعون كلامه ولايرونه فيناولونه
بمكروه ففعل الله ذلك به فدعاهم كذلك زمانا فلم يؤمنوا فسأل ان يعيده الى ماكان وهو قوله اعلنت لهم
واسررت لهم اسرارا وقال القاشانى ثم انى دعوتهم جهارا اى نزلت عن مقام التوحيد ودعوتهم الى مقام
العقل وعالم النور ثم انى اعلنت لهم بالمعقولات الظاهرة واسررت لهم فى مقام القلب بالاسرار الباطنة
ليتوصلوا اليها بالمعقول (فقلت) لهم عقيب الدعوة عطف على قوله دعوت (استغفروا ربكم) اطلبوا المغفرة
منه لانفسكم بالتوبة عن الكفر والمعاصى قبل الفوت بالموت (انه) تعالى (كان غفارا) للتائبين بجعل ذنوبهم
كأن لم تكن والمراد من كونه غفارا فى الازل كونه مريدا للمغفرة فى وقتها المقدر وهو وقت وجود المغفورله
وفى كشف الاسرار كان صلة اليه ورؤية التقصير فى العبودية الندم على ماضاع من ايامهم بالغفلة عن الله
وفى الحديث (من اعطى الاستغفار لايمنع المغفرة لانه تعالى قال استغفروا ربكم انه كان غفارا)
ولذا كان على رضى الله تعالى عنه يقول ماالهم الله عبدا الاستغفار وهو يريدان يعذبه وعن بعض العلماء قال الله
تعالى ان احب عبادى الى المتحابون بحبى والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت
اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم والغفار ابلغ من الغفور وهو من الغافر واصل
الغفر الستر والتغطية ومنه قيل لجنة الرأس مغفر لانه يستر الرأس والمغفر من الله ستره للذنوب وعفوه عنها
بفضله ورحمته لابتوبة العباد وطاعتهم وانما التوبة والطاعة للعبودية وعرض الافتقار وفى بعض الاخبار
عبدى لواتيتنى بقراب الارض ذنوبا لغفرتها لك مالم تشرك بى (حكى) ان شيخا حج مع شاب فلما احرم قال لبيك
اللهم لبيك فقيل له لالبيك فقال الشاب للشيخ الاتسمع هذا الجواب فقال كنت اسمع هذا الجواب منذ سبعين سنة
قال فلاى شئ تتعب نفسك فبكى الشيخ فقال فالى اى باب التجئ فقيل له قدقبلناك * همه طاعت آرند
ومسكين نياز * بيا تابدركاه مسكين نواز * چون شاخ برهنه برآريم دست * كه بى برك ازين
بيش نتوان نشست (يرسل السماء) اى المطر كما قال الشاعر اذا نزل السماء بارض قوم وقال بعضهم اى
ماء السماء فحذف المضاف (عليكم) حال كونه (مدرارا) اى كثير الدر وراى السيلان والانصباب
وبالفارسية فرو كشايد بر شما باران پى در پى و بهنكام وفى الارسال مبالغة بالنسبة الى الانزال وكذا المدرار
صيغة مبالغة ومفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل او امرأة معطار ويرسل جواب شرط
محذوف اى ان تستغفروا يرسل السماء وفى قول النحاة فى مثله انه جواب الامر وهو ههنا استغفروا تسامح
فى العبارة اعتمادا على وضوح المراد وكسر اللام بالوصل لتحرك الساكن به كان قوم نوح تعللوا وقالوا ان كنا
على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ماعكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم الله بمايمحق
ماسلف منهم من المعاصى ويجلب عليهم المنافع وهو الاستغفار ولذلك وعدهم بالعوائد العاجلة التى هى
اوقع فى قلوبهم من المغفرة واحب اليهم اذالنفس حريصة بحب العاجل ولذلك جعلها جواب الامر بان قال
يرسل السماء الخ دون المغفرة بان قال يغفر لكم ليرغبوا فيها ويشاهدوا ان اثرها وبركتها مايقاس عليه حال
المغفرة فالاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح ابواب الخيرات كما ان المعصية سبب لخراب العالم بظهور اسباب القهر
الالهى وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل
سبعين سنة فوعدهم ان آمنوا ان يرزقهم الله الخصب ويدفع عنهم ماكانوا فيه يقول الفقير هذا القول هو
الموافق للحكمة لان الله تعالى يبتلى عباده بالخير والشر ليرجعوا اليه الاترى الى قريش حيث ان الله جعل لهم
سبع سنين كسنى يوسف بدعاء النبى عليه السلام ليرجعوا عماكانوا عليه من الشرك فلم يرفعوا له رأسا (ويمددكم
باموال وبنين) اى يوصل اليكم ويعطكم المدد والقوة بهما كما قال الله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم
(ويجعل لكم) اى وينشئ لكم (جنات) بساتين ذوات اشجار واثمار (ويجعل لكم) فيها (انهارا) جارية
تزينها بالنبات وتحفظها عن اليبس وتفرح القلوب وتسقى النفوس كان الظاهر تقديم الجنات والانهار على
الامداد لكونهما من توابع الارسال وانما اخرهما لرعاية رأس الآية وللاشعار بان كلا منهما نعمة الهية

على حدة وعن الحسن البصرى قدس سره ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ويسألون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له الآية قال فى فتح الرحمن ولذلك شرع الاستغفار فى الاستسقاء وهو الدعاء بطلب السقيا على وجه مخصوص فاذا اجدبت الارض وقحط المطر سن الاستسقاء بالاتفاق ومنع ابو حنيفة واصحابه من خروج اهل الذمة ولم يمنعوا عند الثلاثة ولم يختلطوا بالمسلمين ولم يفردوا بيوم وقد سبق بعض تفصيله فى سورة البقرة (مالكم لاترجون لله وقارا) انكار لان يكون لهم سبب ما فى عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد اى الظن بناء على انه اى الرجال انما يكون بالاعتقاد وادنى درجته الظن والوقار فى الاصل السكون والحلم وهو ههنا بمعنى العظمة لانه يتسبب عنها فى الاغلب ولاترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له والمعنى اى سبب حصل لكم واستقر حال كونكم غير معتقدين لله عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان والطاعة له اى لا سبب لكم فى هذا مع تحقق مضمون الجملة الحالية وبالفارسية چيست شمارا كه اميدندار يد يعنى نمى شناسيد مر خدا را عظمت و بزركوارى واعتقاد نمى كنيد تا بترسيد از نافرمانىء او وفى كشف الاسرار هذا الرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة اى لاتخافون لله عظمة وعن ابن عباس رضى الله عنهما مالكم لاتخشون منه عقابا ولا ترجون منه ثوابا بتوقيركم اياه وفى التأويلات النجمية مالكم لاتطلبون ولاتكسبون من اسم الله الاعظم مايوقركم عنده بالتخلق بكل اسم تحته حتى تصيروا بسبب تحققكم بجميع اسمائه الداخلة فيه مظهره ومجلاه (وقد خلقكم اطوارا) يقال فعل كذا طورا بعد طور اى تارة بعد تارة وعدا طوره اى تجاوز حده وقدره والمعنى والحال انكم على حالة منافية لما انتم عليه بالكلية وهى انكم تعلمون انه تعالى خلقكم وقدركم تارات اى مرات حالا بعد حال عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأكم خلقا آخر فان التقصير فى توقير من هذه شؤونه فى القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لايكاد يصدر عن العاقل وقال بعضهم هى اشارة الى الاطوار السبعة المذكورة فى قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فهذه هى التارات والاحوال السبع المترتب بعضها على بعض كل تارة اشرف مما قبلها وحال الانسان فيها احسن مما تقدمها * چون صورت تو بت نه نكارند بكشمير * چون قامت تو سر نه كارند بكشور * كر نقش تو پيش بت آزر بنكارند * ازشرم فرو ريزد نقش بت آزر * وقيل خلقكم صبيانا وشبانا وشيوخا وقيل طوالا وقصارا واقوياء وضعفاء مختلفين فى الخلق والخلق كما قال تعالى واختلاف السنتكم والوانكم وقيل خلقهم اطوارا حين اخرجهم من ظهر آدم للعهد ثم خلقهم حين اذن بهم ابراهيم عليه السلام للحج ثم خلقهم ليلة اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فاراه اياهم وقال بعض اهل المعرفة خلقكم اطوارا من اهل المعرفة ومن اهل المحبة ومن اهل الحكمة ومن اهل التوحيد ومن اهل الشوق ومن اهل العشق ومن اهل الفناء ومن اهل البقاء ومن اهل الخدمة ومن اهل المشاهدة خلق طور الارواح القدسية من نور الجبروت وطور العقول الهادية العارفة من نور الملكوت وطور القلوب الشائقة من معادن القربة وطور اجسام الصديقين من تراب الجنة فكل طور يرجع الى معدنه من الغيب (ألم تروا) ياقومى والاستفهام للتقرير والرؤية بمعنى العلم لعلهم علموا ذلك بالسماع من اهله او بمعنى الابصار والمراد مشاهدة عجائب الصنع الدال على كمال العلم والقدرة (كيف خلق الله سبع سموات) حال كونها (طباقا) اى متطابقا بعضها فوق بعض كما سبق فى سورة الملك اتبع الدليل الدال على انه يمكن ان يعيدهم وعلى انه عظيم القدرة بدلائل الانفس لان نفس الانسان اقرب الاشياء اليه ثم اتبع ذلك بدلائل الآفاق فقال (وجعل القمر فيهن نورا) اى منور الوجه الارض فى ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه فى السماء الدنيا لان كل واحدة من السموات شفافة لاتحجب ماوراءها فيرى الكل كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون مافى واحدة منها كانه فى الكل على انه ذهب ابن عباس وابن عمرو وهب بن منبه رضى الله عنهم الى ان الشمس والقمر والنجوم وجوهها مما يلى السماء

وظهورها مما يلى الارض وهو الذى يقتضيه لفظ السراج لان ارتفاع نوره فى طرف العلو ولولا ذلك لاحرقت جميع ما فى الارض بشدة حرارتها فجعلها الله نورا وسراجا لاهل الارض والسموات فعلى هذا ينبغى ان يكون تقدير ما بعده وجعل الشمس فيهن سراجا حذف لدلالة الاول عليه (وجعل الشمس) هى فى السماء الرابعة وقيل فى الخامسة وقال عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فى الشتاء فى الرابعة وفى الصيف فى السابعة ولو أضاءت من الرابعة او من السماء الدنيا لم يطق لها شئ (كما قال فى المثنوى) آفتابى كزوى اين عالم فروخت * اندكى كربيش آيد جمله سوخت (سراجا) من باب التشبيه البليغ اى كالسراج يزيل ظلمة الليل عند الفجر ويبصر اهل الدنيا فى ضوئها الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر اهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور فى الجملة وحضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بجهت آن چراغ كفته كه كما قال تعالى وسراجا منيرا نوروى تاريكئ كفر ونفاق را ازعرصهٔ روى زمين زائل كردانيد * چراغ چشم دل چشم وچراغ جان رسول الله * كه شمع ملت است از پرتو احكام اورخشان * درين ظلمت سرا * كرنه چراغ افروختى شرعش * بجاكس را خلاصى بودى از تاريكئ طغيان * والسراج اعرف عند الناس من الشمس بوجه الشبه الذى هو ازالة ظلمة الليل لانهم يستعملونه فى الليالى فلا يردان يقال ان نور القمر عرضى مستفاد من الشمس كضوء السراج فتشبيه القمر بالسراج اولى من تشبيه الشمس به وايضا انه من تشبيه الأعلى بالأدنى وقال حضرة الشيخ صدر الدين القنوى قدس سره فى شرح الاربعين حديثا الضياء هو امتزاج النور بالظلمة وليس فى ذات القمر ما يمتزج بالشمس حتى يسمى الناتج بينهما ضياء ولهذا سمى الحق القمر نورا دون الشمس المشبهة بالسراج لكونه ممدودا من الشجرة المباركة المنفى عنها الجهات وانها الحضرة الجامعة للاسماء والصفات (والله انبتكم من الارض نباتا) اى انباتا عجيبا وانشأكم منها انشاء غريبا بواسطة انشاء ابيكم آدم منها او انشأ الكل منها من حيث انه خلقهم من النطف المتولدة من الاغذية المتولدة من النبات المتولد من الارض استعير الانبات للانشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الارض لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ووضع نباتا موضع انباتا على انه مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوآئد ويسمى اسم مصدر دل عليه القرينة الآتية وهى قوله ويخرجكم اخراجا وقال بعضهم نباتا حال لا مصدر ونبه بذلك ان الانسان من وجه نبات من حيث ان بدأه ونشأته من التراب وانه ينمو نموه وان كان له وصف زآئد على النبات والنبات ما يخرج من الارض سوآء كان له ساق كالشجر اولم يكن كالنجم لكن اختص فى التعارف بما لا ساق له بل اختص عند العامة بما يأكله الحيوان وقال بعض اهل المعرفة والله انبتكم من الارض نباتا اى جعل غذآءكم الذى تنمو به اجسادكم من الارض كما جعل النبات ينمو بالماء بواسطة التراب فغذآء هذه النشأة ونموها بما خلقت منه (ثم يعيدكم فيها) اى فى الارض بالدفن عند موتكم (ويخرجكم) منها عند البعث والحشر (اخراجا) محققا لاريب فيه وذلك لمجازاة الاولياء ومحاسبة الاعدآء ولم يقل ثم يخرجكم بل ذكر بالواو الجامعة اياها مع يعيدكم رمزا الى ان الاخراج مع الاعادة فى القبر كشئ واحد لا يجوز ان يكون بعضها محقق الوقوع دون بعض وفى التأويلات النجمية والله انبت من ارض بشريتكم نبات الاخلاق والصفات ثم يعيدكم فى تلك الارض بالبقاء بعد الفناء بطريق الرجوع الى احكام البشرية بالله لا بالطبع والميل الطبيعى ويخرجكم اى ويظهركم ويغلبكم على التصرف فى العالم بالله لا بكم ولا بقدرتكم واستطاعتكم (والله) كرر الاسم الجليل للتعظيم والتيمن والتبرك (جعل لكم) اى لمنافعكم (الارض) سبق بيانها فى سورة الملك وغيرها (بساطا) مبسوطة متسعة كالبساط والفراش تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم قال ابو حيان ظاهره ان الارض ليست كرية بل هى مبسوطة قال سعدى المفتى وانما قال ظاهره لانه يقال التشبيه انما هو فى التقلب عليها على ما فسروه انتهى وقدمر مرارا ان كرية الارض لا تنافى الحرث والغرس ونحوهما لعظم دآئرتها كما يظهر الفرق بين بيضة الحمامة وبيضة النعامة (لتسلكوا) من السلوك وهو الدخول لا من السلك وهو الادخال (منها سبلا فجاجا) اى طرقا واسعة جمع سبيل وفج وهو الطريق الواسع فجرد هنا لمعنى الواسع فجعل صفة لسبلا وقيل هو المسلك بين الجبلين قال فى المفردات الفج طريق يكتنفها جبلان ويستعمل فى الطريق الواسع

ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ اى لتسلكوا متخذين من الارض سبلا فتتصرفوا فيها مجيأ وذهابا او تعتبر هو حال من سبلا اى كائنة من الارض ولو تأخر لكان صفة لها ثم جعلها بساطا للسلوك المذكور لاينافى غيره من الوجوه كالنوم و الاستراحة والحرث والغرس ونحوها ثم السلوك اما جسمانى بالحركة الاينية الموصلة الى المقصد واما روحانى بالحركة الكيفية الموصلة الى المقصود ولكل منهما فوائد جليلة كطلب العلم والحج والتجارة وغيرها و كتحصيل المحبة والمعرفة والانس ونحوها وقال القاشانى والله جعل لكم ارض البدن بساطا لتسلكوا منها سبل الحواس فجاجا اى خروقا واسعة اومن جهتها سبل سماء الروح الى التوحيد كما قال امير المؤمنين رضى الله عنه سلونى عن طرق السماء فانى اعلم بها من طرق الارض أراد الطرق الموصلة الى الكمال من المقامات والاحوال كالزهد والعبادة والتوكل والرضى وامثال ذلك ولهذا كان معراج النبى عليه السلام بالبدن (قال نوح) اعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه فهو بدل من قال الاول ولذا ترك العطف اى قال مناجيا له تعالى (رب) اى پروردكار من (انهم عصونى) داموا على عصيانى ومخالفتى فيما امرتهم به مع مابالغت فى ارشادهم بالعظة والتذكير (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) اى استمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصارت تلك الاموال والاولاد سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة فصاروا اسوة لهم فى الخسار وفى وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة الاتباع كما قالت قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فجعلوا الغنى سببا مصححا للاتباع ودل الكلام على ان ازدياد المال والولد كثيرا مايكون سببا للهلاك الروحانى و يورث الضلال فى الدين اولا والاضلال عن اليقين ثانيا قال ابن الشيخ المفهوم من نظم الآية ان اموالهم واولادهم عين الخسار وان ازديادهما انما هو ازدياد خسارهم والامر فى الحقيقة كذلك فانهما وان كانا من جملة المنافع المؤدية الى السعادة الابدية بالشكر عليهما وصرفهما الى وجوه الخير الا انهما اذا اديا الى البطر والاغترار وكفران حق المنعم بهما وصارا وسيلتين الى العذاب المؤبد فى الآخرة صارا كانهما محض الخسار لان الدنيا فى جنب الآخرة كالعدم فمن انتفع بهما فى الدنيا خسر سعادة الآخرة وصار كمن اكل لقمة مسمومة من الحلوى فهلك فان تلك اللقمة فى حقه هلاك محض اذلاعبرة لانتفاعه بها فى جنب ماادت اليه * توغافل درانديشه سود ومال * كه سرمايه عمر شد پايمال (ومكروا) عطف على صلة من لان المكر الكبار يليق بكبرآئهم والجمع باعتبار معناها والمكر الحيلة الخفية و فى كشف الاسرار المكر فى اللغة غاية الحيلة وهو من فعل الله تعالى اخفاء التدبير (مكرا كبارا) اى كبيرا فى الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير نحو طوال وطوال وطويل ومعنى مكرهم الكبار احتيالهم فى منع الناس عن الدين وتحريشهم لهم على اذية نوح قال الشيخ لما كان التوحيد اعظم المراتب كان المنع منه والامر بالشرك اعظم الكبائر فلذا وصفه الله بكونه مكرا كبارا (وقالوا) اى الرؤساء الاتباع والسفلة (لاتذرن آلهتكم) اى لاتتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ومن عطف مكروا على اتبعوا يقول معنى وقالوا وقال بعضهم لبعض فالقائل ليس هو الجميع (ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) جرد الاخيرين عن حرف النفى اذبلغ التاكيد نهايته وعلم ان القصد الى كل فرد فرد لاالى المجموع من حيث هو مجموع والمعنى ولاتذرن عبادة هؤلاء خصوصا فهو من عطف الخاص على العام خصوصا بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم وأعظم ماعندهم وقد انتقلت هذه الاصنام باعيانها عنهم الى العرب فكان ودلكلب بدومة الجندل بضم دال دومة ولذلك سمت العرب بعبد ود قال الراغب الود صنم سمى بذلك اما لمودتهم له اولاعتقادهم ان بينه و بين البارى تعالى مودة تعالى الله عن ذلك وكان سواع لهمدان بسكون الميم قبيلة باليمن و يغوث لمذحج كمجلس بالذال المعجمة وآخره جيم ومنه كانت العرب تسمى عبد يغوث و يعوق لمراد وهو كغراب ابو قبيلة سمى به لانه تمرد ونسر لحمير بكسر الحاء وسكون الميم بوزن درهم موضع غربى صنعاء اليمن وقيل انتقلت اسماؤها اليهم فاتخذوا امثالها فعبدوها اذيبعد بقاء اعيان تلك الاصنام كيف وقد خربت الدنيا فى زمان الطوفان ولم يضعها نوح فى السفينة لانه بعث لنفيها وجوابه ان الطوفان دفنها فى ساحل جدة فلم تزل مدفونة حتى اخرجها اللعين لمشركى العرب نظيره ماروى ان آدم

عليه السلام كتب اللغات المختلفة فى طين وطبخه فلما اصاب الارض الغرق بقى مدفونا ثم وجد كل قوم كتابا فكتبوه فاصاب اسمعيل عليه السلام الكتاب العربى وقيل هى اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من اولاد آدم ماتوا فحزن الناس عليهم حزنا شديدا واجتمعوا حول قبورهم لايكادون يفارقونها وذلك بارض بابل فلما رأى ابليس فعلهم ذلك جاء اليهم فى صورة انسان وقال لهم هل لكم ان اصور لكم صورهم اذا نظرتم اليها ذكرتموهم واستأنستم وتبركتم بهم قالوا نعم فصور لهم صورهم من صفر ورصاص ونحاس وخشب وحجر وسمى تلك الصور باسمائهم ثم لما تقادم الزمن وانقرضت الآباء والابناء وابناء الابناء قال لمن حدث بعدهم ان من قبلكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها فى زمان مهلاييل بن قينان ثم صارت سنة فى العرب فى الجاهلية وذلك اما باخراج الشيطان اللعين تلك الصور كما سبق اوبانه كان لعمرو بن لحى وهو اول من نصب الاوثان فى الكعبة تابع من الجن فقال له اذهب الى جدة وائت منها بالآلهة التى كانت تعبد فى زمن نوح وادر بس وهى ود الخ فذهب واتى بها الى مكة ودعا الى عبادتها فانتشرت عبادة الاصنام فى العرب وعاش عمرو بن لحى ثلاثمائة واربعين سنة ورأى من ولده وولد ولد ولده الف مقاتل ومكث هو وولده فى ولاية البيت خمسمائة سنة ثم انتقلت الولاية الى قريش فكثوا فيها خمسمائة اخرى فكان البيت بيت الاصنام الف سنة وذكر الامام الشعرانى ان اصل وضع الاصنام انما هو من قوة التنزيه من العلماء الاقدمين فانهم نزهوا الله عن كل شىء وامروا بذلك عامتهم فلما رأوا ان بعض عامتهم صرح بالتعطيل وضعوا لهم الاصنام وكسوها الديباج والحلى والجواهر وعظموها بالسجود وغيره ليتذكروا بها الحق الذى غاب عن عقولهم وغاب عن اولئك العلماء ان ذلك لايجوز الا باذن من الله تعالى هذا كلامه قال السهيلى ولا أدرى من اين سرت لهم تلك الاسماء القديمة امن قبل الهند فقد ذكر عنهم انهم كانوا المبدأ فى عبادتهم الاصنام بعد نوح ام الشيطان الهمهم ما كانت عليه الجاهلية الاولى قبل نوح وفى التكملة روى تقى بن مخلد ان هذه الاسماء المذكورة فى السورة كانوا ابناء آدم عليه السلام من صلبه وان يغوث كان اكبرهم وهى اسماء سريانية ثم وقعت تلك الاسماء الى اهل الهند فسموا بها اصنامهم التى زعموا انها على صور الدرارى السبعة وكانت الجن تكلمهم من جوفها فافتتنوا بها ثم ادخلها الى ارض العرب عمرو بن لحى بن قمعة بن الياس بن مضر فمن قبله سرت الى ارض العرب وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على سورة فرس ونسر على صورة نسر وهو طائر عظيم لانه ينسر الشىء ويقتلعه وفى التأويلات النجمية لاتتركن عبودية آلهتكم التى هى ود النفس المصورة بصورة المرأة وسواع الهوى المصور بصورة الرجل ويغوث الطبيعة المشكلة بشكل الاسد ويعوق الشهوة المشكلة بصورة الفرس ونسر الشره المصور بصورة النسر وقال القاشانى اى معبوداتكم التى عكفتم بهواكم عليها من ود البدن الذى عبدتموه بشهواتكم واحببتموه وسواع النفس ويغوث الاهل ويعوق المال ونسر الحرص (وقد اضلوا) اى الرؤساء والجملة حالية (كثيرا) اى خلقا كثيرا واضل الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس جمعهم جمع العقلاء لعدهم آلهة ووصفهم باوصاف العقلاء (ولاتزد الظالمين) بالاشراك فان الشرك ظلم عظيم اذ اصل الظلم وضع الشىء فى غير موضعه فهل شىء اسوأ فى هذا من وضع اخس المخلوق وعبادته موضع الخالق الفرد الصمد وعبادته (الاضلالا) الجملة عطف على قوله تعالى رب انهم عصونى اى قال رب انهم عصونى وقال ولاتزد الظالمين الاضلالا فالواو من الحكاية لامن المحكى اومن كلام الله لامن كلام نوح فنوح قال كل واحد من هذين القولين من غير ان يعطف احدهما على الآخر فحكى الله احد قوليه بتصديره بلفظ قال وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الاول بالواو النائبة عن لفظ قال فلايلزم عطف الانشاء على الاخبار ويجوز عطفه على مقدراى فاخذلهم فالواو حينئذ من المحكى والمراد بالضلال هو الضياع والهلاك والضلال فى تمشية مكرهم وترويج مصالح دنياهم لافى امر دينهم حتى لايتوجه انه انما بعث ليصرفهم عن الضلال فكيف يليق به ان يدعو الله فى ان يزيد ضلالهم وان هذا الدعاء يتضمن الرضى بكفرهم وذلك لايجوز فى حق الانبياء وان كان يمكن ان يجاب بانه بعد ما اوحى اليه انه لايؤمن من قومك الامن قد آمن وان المحذور هو الرضى المقرون باستحسان الكفر ونظيره دعاء موسى عليه السلام بقوله واشدد على قلوبهم فراحب موت الشرير بالطبع على الكفر حتى ينتقم الله منه فهذا ليس بكفر فيؤول المعنى الى ان يقال ولاتزد

الا المين الاضلالا وغيا ليزدادوا عقابا كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار قالوا دعا نوح الابناء بعد الاباء حتى بلغوا سبعة قرون فلما ايس من ايمانهم دعا عليهم (مما خطيئاتهم) اى من اجل خطيئات قوم نوح واعمالهم المخالفة للصواب وهى الكفر والمعاصى وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم قوله مما خطيئاتهم فانه يدل على ان اغراقهم بالطوفان لم يكن الا من اجل خطيئاتهم تكذيبا لقول المنجمين من ان ذلك كان لاقتضاء الاوضاع الفلكية اياه ونحو ذلك فانه كفر لكونه مخالفا لصريح هذه الآية وزيادة ما الابهامية فائدة غير التوكيد وهى تفخيم خطيئاتهم اى من اجل خطيئاتهم العظيمة ومن لم يرزيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها والخطيئات جمع خطيئة وقرأ ابو عمرو خطاياهم بلفظ الكثرة لان المقام مقام تكثير خطيئاتهم لانهم كفروا الف سنة والخطيئات لكونه جمع السلامة لا يطلق على ما فوق العشرة الا بقرينة والظاهر من كلام الرضى ان كل واحد من جمع السلامة والتكثير لمطلق الجمع من غير نظر الى القلة والكثرة فيصلحان لهما ولذا قيل انهما مشتركان بينهما واستدلوا عليه بقوله تعالى ما نفدت كلمات الله (اغرقوا) فى الدنيا بالطوفان لا بسبب آخر وفيه زجر لمرتكب الخطايا مطلقا (فادخلوا نارا) تنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها اولانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار والمراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا فى الماء فان من مات فى ماء اونار اواكلته السباع اوالطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب اى بالابدان ويحرقون من جانب اى بالارواح فجمعوا بين الماء والنار كما قال الشاعر

الخلق مجتمع طورا ومفترق * والحادثات فنون ذات اطوار

لا تعجبن لاضداد اذا اجتمعت * فالله يجمع بين الماء والنار

اوعذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لامحالة واتصال زمانه بزمانه كما دل عليه قوله من مات فقد قامت قيامته على ان النار اما نصف نار وهى للارواح فى البرزخ واما تمام نار وهى للارواح والاجسام جميعا بعد الحشر وقس على الجحيم النعيم (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) اى لم يجد احد منهم لنفسه واحدا من الانصار ينصرهم على من اخذهم بالقهر والانتقام وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وبانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم ومن دون الله حال متقدمة من قوله انصارا والجملة الاستئنافية الى هنا من كلام الله اشعارا بدعوة اجابة نوح وتسلية للرسول عليه السلام واصحابه وتخويفا للعاصى من العذاب واسبابه (وقال نوح) بعدما قنط من اهتدائهم قنوطا تاما بالامارات الغالبة وباخبار الله تعالى (رب) اى پرور دكار من (لاتذر على الارض) لاتترك على الارض (من الكافرين) بك وبما جاء من عندك حال متقدمة من قوله (ديارا) احدا يدور فى الارض فيذهب ويجيئ اى فاهلكهم بالاستئصال والجملة عطف على نظيرها السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التى عددها نوح واشار الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها لا انها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ماجرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال والالاخر عن حكاية دعائه هذا وديار من الاسماء المستعملة فى النفى العام يقال مابالدار ديار اوديور كقيام وقيوم اى احد وساكن وهو فيعال من الدور اومن الدار اصله ديوار وقد فعل به مافعل باصل سيد فمعنى ديار على الاول احد يدور فى الارض فيذهب ويجيئ وعلى الثانى احد ممن ينزل الدار ويسكنها وانكر بعضهم كونه من الدوران وقال لوكان من الدوران لم يبق على وجه الارض جنى ولا شيطان وليس المعنى على ذلك وانما المعنى اهلاك كل ساكن دار من الكفار اى كل انسى منهم يقول الفقير جوابه سهل فان المراد كل من يدور على الارض من امة الدعوة وليس الجن والشيطان منها اذ لم يكن نوح مبعوثا الى الثقلين وليس ديار فعالا من الدار والا قيل دوار لان اصل دار دور فقلبت واوه الفا لما ضعفت عينه كان دوارا بالواو الصحيحة المشددة اذ لاوجه لقلبها ياء (انك ان تذرهم) عليها كلا او بعضا ولا تهلكهم بيان لوجه دعائه عليهم واظهار بانه كان من الغيرة فى الدين لا لغلبة غضب النفس لهواها (يضلوا عبادك) عن طريق الحق قال بعضهم عبادك المؤمنين وفيه اشعار بان الاهل لان يقال لهم عباد اهل الايمان انتهى وفيه نظر بل المراد يصدوا عبادك عن سبيلك كقوله تعالى

وصدوا عن سبيل الله دل عليه انه كان الرجل منهم ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان ابى حذرنيه واوصانى بمثل هذه الوصية فيموت الكبير و ينشأ الصغير على ذلك (ولايلدوا) ونزايند (الافاجرا) الفجر شق الشئ شقا واسعا كفجر الانسان السكر وهو بالكسر اسم لسد النهر وماسد به النهر والفجور شق ستر الديانة (كفارا) مبالغا فى الكفر والكفران قال الراغب الكفار ابلغ من الكفور وهو المبالغ فى كفران النعمة والمعنى الامن سيفجر و يكفر فالوجه ارتفاعهم عن وجه الارض والعلاك فوصفهم بما يصيرون اليه بعد البلوغ فهو من مجاز الاول وكأنه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله بالوحى لقوله تعالى فى سورة هود واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الامن قد آمن فان قلت هذا اذا كان دعاء نوح متأخرا عن وحى تلك الآية وذلك غير معلوم قلت الظاهر ان مثل هذا الدعاء انما يكون فى الاواخر بعد ظهور امارات النكال قال بعضهم لايلد الحية الا الحية وذلك فى الاغلب ومن هنالك قيل (اذا طاب اصل المرء طابت فروعه) ونحوه الولد سرابيه قال بعضهم فى توجيهه ان الولد اذا كبر انما يتعلم من اوصاف ابيه او يسرق من طباعه بل قد يصحب المرء رجلا فيسرق من طباعه فى الخير والشر يقول الفقير معناه فيه مافيه اى من الجمال والجلال فقد يكون الجمال الظاهر فى الاب باطنا فى الابن كما كان فى قابيل بن آدم حيث ظهر فيه مابطن فى ابيه من الجلال وكان الامر بالعكس فى هابيل بن آدم وهكذا الامر الى يوم القيامة فى الموافقة والمخالفة وقال بعض الكبار اعتذار نوح يوم القيامة عند طلب الخلق الشفاعة منه بدعوته على قومه انما هو لمافيها من قوله ولايلدوا الافاجرا كفارا لا لنفس دعائه عليهم من حيث كونه دعاء انتهى اشار الى ان دعاء نوح كان بالامارات حيث جربهم قريبا من الفسنة فلم يظهر منهم الاالكفر والفجور ولو كان بالوحى لما اعتذر كما قال القاشانى مل من دعوة قومه وضجر واستولى عليه الغضب ودعا به لتدمير قومه وقهرهم وحكم بظاهر الحال ان المحجوب الذى غلب عليه الكفر لايلد الامثله فان النطفة التى تنشأ منها النفس الخبيثة المحجوبة وتتربى بهيئتها المظلمة لا تقبل الامثلها كالبذر الذى لاينبت الامن صنفه وسنخه وغفل عن ان الولد سرابيه اى حاله الغالبة على الباطن فربما كان الكافر باقى الاستعداد صافى الفطرة نقى الاصل بحسب الاستعداد الفطرى وقد استولى على ظاهره العادة ودين آبائه وقومه الذين نشأ بينهم فدان بدينهم ظاهرا وقد سلم باطنه فيلد المؤمن على حال النورية كولادة ابى ابراهيم عليه السلام فلاجرم تولد من تلك الهيئة الغضبية الظلمانية التى غلبت على باطنه وحجبته فى تلك الحالة عما قال مادة ابنه كنعان وكان عقوبة لذنب حاله انتهى و يدل على ماذكر من ان دعاءه ليس مبنيا على الوحى ماثبت ان النبى عليه السلام شبه عمر رضى الله عنه فى الشدة بنوح وابابكر رضى الله عنه فى اللين بابراهيم قال بعض العارفين فى قوله تعالى ومارسلناك الارحمة للعالمين فى هذه الآية عتاب لطيف فانها نزلت حين مكث يدعو على قوم شهرا مع ان سبب ذلك الدعاء انما هو الغيرة على جناب الله تعالى ومايستحقه من الطاعة ومعنى العتاب انى ماارسلتك سبابا ولا لعانا وانما بعثتك رحمة اى لترحم مثل هؤلاء الذين دعوت عليهم كأنه يقول لو كان بدل دعائك عليهم الدعاء لهم لكان خيرا فانك اذا دعوتنى لهم ربما اجبت دعاءك فوفقتهم لطاعتى فترى سرور عينك وقرتها فى طاعتهم لى واذا لعنتهم ودعوت عليهم واجبت دعاءك فيهم لم يكن من كرمى ان آخذهم الابزيادة طغيانهم وكثرة فسادهم فى الارض وكل ذلك انما كان بدعائك عليهم فكأنك امرتهم بالزيادة فى الطغيان الذى اخذناهم به فتنبه رسول الله عليه السلام لما ادبه ربه فقال ان الله ادبنى فاحسن تأديبى ثم صار يقول بعد ذلك اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون وقام ليلة كاملة الى الصباح بقوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم لايزيد عليها فاين هذا من دعائه قبل ذلك على رعل وذكوان وعصية وعلى صناديد قريش اللهم عليك بفلان اللهم عليك بفلان فاعلم ذلك فاقتد بنبيك فى ذلك والله يتولى هداك (وقال بعض اهل المعرفة) نوح چون ازقوم خود برنجيد بهلاك ايشان دعا كرد ومصطفى عليه السلام چون ازقوم خود برنجيد بشفقت كفت اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون واعلم انه لايجوز ان يدعى على كافر معين لانا لانعلم خاتمته ويجوز على الكفار والفجار مطلقا وقد دعا عليه السلام على من تحزب على المؤمنين وهذا هو الاصل فى الدعاء على الكافرين (رب اغفرلى) ذنوبى وهى ماصدر منه من ترك الاولى (ولوالدى) ذنوبهما ابوه لمك بن متوشلخ على وزن الفاعل كمتدحرج اوهو بضم الميم والتاء المشددة المضمومة وفتح الشين المعجمة وسكون

اللام وروى بعضهم الفتح فى الميم وامه سمخا بنت انوش كانا مؤمنين قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكفر لنوح اب ما بينه وبين آدم وفى اشراق التواريخ امه قسوس بنت كابيل وفى كشف الاسرار هيجل بنت لاموس ابن متوشلخ بنت عمه وكانا مسلمين على ملة ادريس عليه السلام وقيل المراد بوالديه آدم وحواء عليهما السلام (ولمن دخل بيتى) اى منزلى وقيل مسجدى فانه بيت اهل الله وان كان بيت الله من وجه وقيل سفينتى فانها كابيت فى حرز الحوائج وحفظ النفوس عن الحر والبرد وشرهما (مؤمنا) حال كون الداخل مؤمنا وبهذا القيد خرجت امرأته واعلة وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه السلام بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك (وللمؤمنين والمؤمنات) بى اومن لدن آدم الى يوم القيامة وكفته اند مراد ابن امت مرحومه اند خص اولا من يتصل به نسبا ودينا لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات وفى الحديث (ماالميت فى القبر الا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من اب او اخ او صديق فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا ومافيها وان الله ليدخل على اهل القبور من دعاء اهل الارض امثال الجبال وان هدية الاحياء الى الاموات الاستغفار لهم (ولا تزد الظالمين الاتبارا) اى هلاكا وكسرا وبالفارسية مكر هلاكى بسختى والتبرد فاق الذهب قال فى الاول ولا تزد الظالمين الاضلالا لانه وقع بعد قوله وقد اضلوا كثيرا وفى الثانى الاتبارا لانه وقع بعد قوله لاتذر على الارض الخ فذكر فى كل مكان ما اقتضاه وماشاكل معناه والظاهر انه عليه السلام اراد بالكافرين والظالمين الذين كانوا موجودين فى زمانه متمكنين فى الارض مابين المشرق والمغرب فسؤله ان يهلكهم الله فاستجيب دعاؤه فعمهم الطوفان بالغرق ومانقل عن بعض المنجمين من انه اراد جزيرة العرب فوقع الطوفان عليهم دون غيرهم من الآفاق مخالف لظاهر الكلام وتفسير العلماء وقول اصحاب التواريخ بان الناس بعد الطوفان توالدوا وتناسلوا وانتشروا فى الاطراف مغاربها ومشارقها من اهل السفينة دل الكلام على ان الظالم اذا ظهر ظلمه واصر عليه ولم ينفعه النصح استحق ان يدعى عليه وعلى اعوانه وانصاره قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم باراءة اهلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله برائتهم فاهلكهم بغير عذاب وكم من الصبيان من يموت بالغرق والحرق وسائر اسباب الهلاك وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين اوسبعين سنة فلم يكن معهم صبى ولا مجنون حين غرقوا لان الله تعالى قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال والمجنين وفى الاسئلة المقحمة ولو اهلك الاطفال بغير ذنب منهم ماذا يضر فى الربوبية اليس الله يقول قل فمن يملك من الله شيأ ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا يقول الفقير الظاهر هلاك الصبيان مع الآباء والامهات لان نوحا عليه السلام الحقهم بهم حيث قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اذ من سيفجر ويكفر فى حكم الفاجر والكافر فلذلك دعا على الكفار مطلقا عموما بالهلاك لاستحقاق بعضهم له بالاصالة وبعضهم بالتبعية ودعا للمؤمنين والمؤمنات عموما وخصوصا بالنجاة لان المغفور ناج لامحالة وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان اذا قرأ القرآن بالليل فمر باية يقول ياعكرمة ذكرنى هذه الآية غدا فقرأ ذات ليلة هذه الآية اى رب اغفرلى الخ فقال ياعكرمة ذكرنى هذه غدا فذكرتها له فقال ان نوحا دعا بهلاك الكافرين ودعا للمؤمنين بالمغفرة وقد استجيب دعاؤه على الكافرين فاهلكوا وكذلك استجيب دعاؤه فى المؤمنين فيغفر الله للمؤمنين والمؤمنات بدعائه * وردعن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه قال نجاة المؤمنين بثلاثة اشياء بدعاء نوح وبدعاء اسحق وبشفاعة محمد عليه السلام يعنى المذنبين وفى التأويلات النجمية رب اغفرلى ولوالدى من العقل الكلى والنفس الكلى ولمن دخل بيتى مؤمنا من الروح والقلب وللمؤمنين من القوى الروحانية والمؤمنات من النفوس الداخلة تحت نور الروح والقلب بسبب نور الايمان ولا تزد الظالمين النفس الكافرة والهوى الظالم الاتبارا هلاكا بالكلية بالفناء فى الروح والقلب وعلى هذا التأويل يكون دعاء لهم لادعاء عليهم انتهى وقال القاشانى رب اغفرلى اى استرنى بنورك بالفناء فى التوحيد ولروحى ونفسى اللذين هما ابوا القلب ولمن دخل بيتى اى مقامى فى حضرة القدس مؤمنا بالتوحيد العلمى ولارواح الذين آمنوا ونفوسهم فبلغهم الى مقام الفناء فى التوحيد ولا تزد الظالمين الذين

نقصوا حظهم بالاحتجاب بظلمة نفوسهم عن عالم النور الا تبارا هلاكا بالغرق فى بحر الهيولى وشدة الاحتجاب انتهى فيكون دعاء عليهم كما لايخفى

تمت سورة نوح بعون من بيده الفتوح يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شوال من سنة ست عشرة ومائة والف

سورة الجن ثمان وعشرون آية مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل) يا محمد لقومك (اوحى الى) اى القى على بطريق الوحى واخبرت باعلام من الله تعالى والايحاء اعلام فى خفاء وفائدة اخباره بهذه الاخبار بيان انه رسول الثقلين والنهى عن الشرك والحث على التوحيد فان الجن مع تمردهم وعدم مجانستهم اذا آمنوا فكيف لايؤمن البشر مع سهولة طبعهم ومجانستهم (انه) بالفتح لانه فاعل اوحى والضمير للشأن اى ان الشأن والحديث (استمع) اى القرآن اوطه اواقرأ وقد حذف لدلالة مابعده عليه والاستماع بالفارسية نيوشيدن والمستمع من كان قاصدا للسماع مصغيا اليه والسامع من اتفق سماعه من غير قصد اليه فكل مستمع سامع من غير عكس (نفر من الجن) جماعة منهم مابين الثلاثة الى العشرة و بالفارسية كروهى كه ازده كمتر وازسه بيشتر بودند قال فى القاموس النفر مادون العشرة من الرجال كالنفير والجمع انفار وفى المفردات النفر عدة رجال يمكنهم النفر الى الحرب بالفارسية بيرون شدن والجن واحده جنى كروم ورومى ونحوه قال ابن عباس رضى الله عنهما انطلق رسول الله عليه السلام فى طائفة من اصحابه الى سوق عكاظ فادركهم وقت صلاة الفجر وهم بنخلة فاخذ هو عليه السلام يصلى باصحابه صلاة الفجر فمر عليهم نفر من الجن وهم فى الصلاة فلما سمعوا القرآن استمعوا له وفيه دليل على انه عليه السلام لم ير الجن حينئذ اذلو رآهم لما اسند معرفة هذه الواقعة الى الوحى فان ماعرف بالمشاهدة لايستند اثباته الى الوحى وكذا لم يشعر بحضورهم و باستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قرآءته فسمعوها فاخبره الله بذلك وقد مضى مافيه من التفصيل فى سورة الاحقاف فلا نعيده والجن اجسام رقاق فى صورة تخالف صورة الملك والانس عاقلة كالانس خفية عن ابصارهم لايظهرون لهم ولايكلمونهم الا صاحب معجزة بل يوسوسون سائر الناس يغلب عليهم النارية اوالهوآئية ويدل على الاول مثل قوله تعالى وخلق الجان من مارج من نار فان المشهوران المركبات كلها من العناصر فمايغلب فيه النار فنارى كالجن ومايغلب فيه الهوآء فهوآئى كالطير ومايغلب فيه الماء فمائى كالسمك ومايغلب فيه التراب فترابى كالانسان وسائر الحيوانات الارضية واكثر الفلاسفة ينكرون وجود الجن فى الخارج واعترف به جمع عظيم من قدمائهم وكذا جمهور ارباب الملل المصدقين بالانبياء قال القاشانى ان فى الوجود نفوسا ارضية قوية لا فى غلظ النفوس السبعية والبهيمية وكثافتها وقلة ادراكها ولا على هيئات النفوس الانسانية واستعداداتها ليلزم تعلقها بالاجرام الكثيفة الغالب عليها الارضية ولا فى صفاء النفوس المجردة ولطافتها لتتصل بالعالم العلوى وتتجرد اوتتعلق ببعض الاجرام السماوية متعلقة باجرام عنصرية لطيفة غلبت عليها الهوآئية اوالنارية اوالدخانية على اختلاف احوالها سماها بعض الحكماء الصور المعلقة ولها علوم وادراكات من جنس علومنا وادراكاتنا ولما كانت قريبة بالطبع الى الملكوت السماوى امكنها ان تتلقى من عالمها بعض الغيب فلا يستبعدان ترتقى افق السماء فتسترق السمع من كلام الملائكة اى النفوس المجردة ولما كانت ارضية ضعيفة بالنسبة الى القوى السماوية تأثرت بتأثير تلك القوى فرجمت بتأثيرها عن بلوغ شأوها وادراك مداها من العلوم ولا ينكر أن تشتعل اجرامها الدخانية بأشعة الكواكب فتحترق وتهلك اوتنزجر عن الارتقاء الى الافق السماوى فتتسفل فانها امور ليست بخارجة عن الامكان وقد اخبر عنها اهل الكشف والعيان الصادقون من الانبياء والاولياء خصوصا اكملهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهى فى الوجود الانسانى لاستتارها فى غيب الباطن (فقالوا) لقومهم عند رجوعهم اليهم (انا سمعنا قرآنا) اى كتابا مقروا على لسان الرسول (عجبا) مصدر بمعنى العجيب وضع موضعه للمبالغة والعجيب ماخرج عن حد اشكاله ونظائره والمعنى بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن النظم و دقة المعنى و قال البقلى كتابا عجيبا تركيبه وفيه اشارة الى انهم كانوا من اهل اللسان قال عيزار بن حريث كنت عند عبدالله بن مسعود رضى الله عنه فأتاه رجل

فقال له كنا في سفر فاذا نحن بحية جريحة تتشحط في دمها اي تضطرب فان التشحط بالحاء المهملة الاضطراب في الدم فقطع رجل منا قطعة من عمامته فلفها فيها فدفنها فلما امسينا ونزلنا آتانا امرأتان من احسن نساء الجن فقالتا ايكم صاحب عمرو اي الحية التي دفنتموها فاشرنا لهما الى صاحبها فقالتا انه كان آخر من بقي ممن استمع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين كافري الجن ومسليهم قتال فقتل فيهم فان كنتم اردتم به الدنيا ثوبناكم اي عوضناكم فقلنا لا انما فعلنا ذلك لله فقالتا احسنتم وذهبتا يقال اسم الذي لف الحية صفوان بن معطل المرادي صاحب قصة الافك والجني عمرو بن خابر رحمه الله (يهدي الى الرشد) الى الحق والصواب وصلاح الدين والدنيا كما قال عليه السلام اللهم الهمني رشدي اي الاهتداء الى مصالح الدين والدنيا فيدخل فيه التوحيد والتنزيه وحقيقة الرشد هو الوصول الى الله تعالى قال بعضهم الرشد كالقفل خلاف الغي يقال في الامور الدنيوية والاخروية والرشد كالذهب يقال في الامور الاخروية فقط (فآمنا به) اي بذلك القرآن ومن ضرورة الايمان به الايمان بمن جاء به ولذا قال بعضهم * داخل اندر دعوت او جن وانس * تاقيامت امتش هر نوع وجنس * اوست سلطان وطفيل او همه * اوست شاهنشاه وخيل او همه (ولن نشرك) بعد اليوم البتة اي بعد علمنا الحق (بربنا احدا) حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد اي لانجعل احدا من الموجودات شريكا له في اعتقادنا ولا نعبد غيره فان تمام الايمان انما يكون بالبرآءة من الشرك والكفر كما قال ابراهيم عليه السلام اني بريء مما تشركون فلكونه قرآنا معجزا بديعا موجب الايمان به ولكونه يهدي الى الرشد موجب قطع الشرك من اصله والدخول في دين الله كله فمجموع قوله فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا مسبب عن مجموع قوله انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد ولذا عطف ولن نشرك بالواو مع ان الظاهر الفاء (وانه تعالى جد ربنا) بالفتح وكذا ما بعده من الجمل المصدرة بان في احد عشر موضعا عطف على انه استمع فيكون من جملة الكلام الموحى به على ان الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحي الى كيت وكيت وهذه العبارات فاندفع ما قيل من انك لو عطفت وانا ظننا وانا سمعنا وانه كان رجال وانا لمسنا وشبه ذلك على انه استمع لم يجز لانه ليس مما اوحي اليه وانما هو امر اخبروا به عن انفسهم انتهى ومن قرأ بالكسر عطف على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج الكل تحت القول وقيل في الفتح والكسر غير ذلك والاقرب ما قلناه والمعنى وان الشأن ارتفع عظمة ربنا كما تقول في الثناء وتعالى جدك اي ارتفع عظمتك وفي اسناد التعالي الى العظمة مبالغة لاتخفى من قولهم جد فلان في عيني اي عظم تمكنه اوسلطانه لان الملك والسلطنة غاية العظمة اوغناه على انه مستعار من الجد الذي هو البخت والدولة والحظوظ الدنيوية سوآء استعمل بمعنى الملك والسلطان او بمعنى الغنى فان الجد في اللغة كما يكون بمعنى العظمة وبمعنى اب الاب واب الام يكون بمعنى الحظ والبخت يقال رجل مجدود اي محظوظ شبه سلطان الله وغناه الذاتيان الازليان ببخت الملوك والاغنياء فاطلق اسم الجد عليه استعارة (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) بيان لحكم تعالى جده كانه قيل ما الذي تعالى عنه فقيل ما اتخذ اي لم يتخذ لنفسه لكمال تعاليه زوجة ولا ابنا ولا بنتا كما يقول الظالمون وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه لعظمته اولسلطانه اولغناه فان الصاحبة تتخذ للحاجة اليها والولد للتكثير وابقاء النسل بعد فوته وهذه من لوازم الامكان والحدوث وايضا هو خارج عن دآئرة التصور والادراك فكيف يكيفه احد فيدخله تحت جنس حتى يتخذ صاحبة من صنف تحته اوولدا من نوع يماثله وقد قالت النصارى ايضا المسيح ابن الله واليهود عزير ابن الله وبعض مشركي العرب الملائكة بنات الله ويلزم من كون المسيح ابن الله على ما زعموا ان تكون مريم صاحبة له ولذا ذكر الصاحبة يعني ان الولد يقتضي الام التي هي صاحبة الاب الوالد واشار بالصاحبة الى النفس وبالولد الى القلب فيكون الروح كالزوج والاب لهما وهو في الحقيقة مجرد عن كل علاقة وانما تعلق بالبدن لتظهر قدرة الله وايضا ليستكمل ذاته من جهة الصفات (وانه) اي الشأن (كان يقول سفيهنا) اي جاهلنا وهو ابليس اومردة الجن فقوله سفيهنا للجنس والظاهر ان يكون ابليس من الجن كما قال تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه والسفه خفة الحلم اونقيضه اوالجهل كما في القاموس وقال الراغب السفه خفة في البدن واستعمل في خفة النفس

لنقصان العقل وفى الامور الدنيوية والاخروية والمراد به فى الآية هو السفه فى الدين الذى هو السفه فى الاخروى كذا فى المفردات (على الله) متعلق بيقول اورد على لان ماقالوه عليه تعالى لاله (شططا) هو مجاوزة الحد فى الظلم وغيره وفى المفردات الافراط فى البعد اى قولا ذا شطط اى بعد عن القصد ومجاوزة الحد او هو شطط فى نفسه لفرط بعده عن الحق فوصف بالمصدر للمبالغة والمراد به نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وفى الآية اشارة الى ان العالم الغير العامل فى حكم الجاهل فان ابليس كان من اهل العلم فلما لم يعمل بمقتضى علمه جعل سفيها جاهلا لايجوز التقليد له فالاتباع للجاهل ومن فى حكمه اتباع للشيطان والشيطان يدعو الى النار لانه خلق منها (وانا ظننا ان) مخففة من الثقيلة اى ان الشان (لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اى كنا نظن ان الشان والحديث لن يكذب على الله احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله وصدقناه فان لله صاحبة وولدا فلما سمعنا القرآن وتبين لنا الحق بسببه علمنا انهم قد يكذبون عليه تعالى وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول واشار بالانس الى القوى الروحانية وبالجن الى القوى الطبيعية وقال القاشانى انس الحواس الظاهرة وجن القوى الباطنة فتوهمنا ان البصر يدرك شكله ولونه والاذن تسمع صوته والوهم والخيال يتوهمه ويتخيله حقا مطابقا لما هو عليه قبل الاهتداء والتنور بنور الروح فعلمنا من طريق الوحى الوارد على القلب بواسطة روح القدس ان لسنا فى شئ من ادراكه فليس له شكل ولا لون ولا صوت ولا هو داخل فى الوهم والخيال وليس كلام الله من جنس الكلام المصنوع الملتقف بالفكر والتخيل والمستنتج من القياسات العقلية او المقدمات الوهمية والتخيلية فليس الله من قبيل المخلوق جنسا ونوعا اوصنفا اوشخصا فكيف يكون له صاحبة وولد (وانه) اى وان الشان (كان) فى الجاهلية (رجال) كائنون (من الانس) خبر كان قوله (يعوذون) العوذ الالتجاء الى الغير والتعلق به (برجال من الجن) فيه دلالة على ان للجن نساء كالانس لان لهم رجالا ولذا قيل فى حقهم انهم يتوالدون لكنهم ليسوا بمنظرين كابليس وذريته قال اهل التفسير كان الرجل من العرب اذا امسى فى واد قفر فى بعض مسايره وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فيبيت فى امن وجوار حتى يصبح فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى (فزادوهم) عطف على يعوذون والماضى للتحقق اى فزاد الرجال العائذون الانسيون الجن (رهقا) مفعول ثان لزاد اى تكبرا وعتوا وسفها فان الرهق محركة يجئ على معان منها السفه وركوب الشر والظلم قال فى آكام المرجان وبهذا يجيبون المعزم والراقى باسمائهم واسماء ملوكهم فانه يقسم عليهم باسماء من يعظمونه فيحصل لهم بذلك من الرياسة والشرف على الانس مايحملهم على ان يعطوهم بعض سؤلهم وهم يعلمون ان الانس اشرف منهم واعظم قدرا فاذا خضعت الانس لهم واستعاذت بهم كان بمنزلة اكابر الناس اذا خضع لهم اصاغرهم يقضون لهم حاجاتهم او المعنى فزاد الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم واذا استعاذ بهم فامنوا ظنوا ان ذلك من الجن فازدادوا رغبة فى طاعة الشياطين وقبول وساوسهم والفاء حينئذ لترتيب الاخبار واسناد الزيادة الى الانس والجن باعتبار السببية (وروى) عن كردم بن ابى السائب الانصارى رضى الله عنه انه قال خرجت مع ابى الى المدينة فى حاجة وذلك اول ماذكر النبى عليه السلام بمكة فآوانى المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حملا من الغنم فقال الراعى ياعامر الوادى جارك فنادى مناد لانراه يقول ياسرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله على رسوله بمكة وانه كان رجال الخ قال مقاتل كان اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم من حنيفة ثم فشا ذلك فى العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال اذا كنت بواد تخاف فيه السبع فقل اعوذ بدانيال وبالجب من شر الاسد انتهى اشار بذلك الى مارواه البيهقى فى الشعب ان دانيال طرح فى الجب والقيت عليه السباع فجعلت السباع تلحسه وتبصبص اليه فأتاه رسول فقال يادانيال فقال من انت قال انا رسول ربك اليك ارسلنى اليك بطعام فقال الحمد لله الذى لاينسى من ذكره (وروى) ابن ابى الدنيا ان بخت نصر ضرى اسدين والقاهما فى جب وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يضراه وذكر قصته فلما ابتلى دانيال بالسباع جعل الله الاستعاذة به فى ذلك تمنع الشر الذى لايستطاع كما فى حياة الحيوان فعلم من ذلك ان الاستعاذة بغير الله مشروعة فى الجملة لكن بشرط التوحيد

واعتقاد التأثير من الله تعالى قال القاشانى فى الآية اى تستند القوى الظاهرة الى القوى الباطنة وتتقوى بها فزادوهم غشيان المحارم واتيان المناهى بالدواعى الوهمية والنوازع الشهوية و الغضبية والخواطر النفسانية (وانهم) اى الانس (ظنوا كما ظننتم) ايها الجن على انه كلام مؤمنى الجن للكفار حين رجعوا الى قومهم منذرين فكذ يوهم اوالجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة على انه كلام الله تعالى (ان لن يبعث الله احدا) ان هى المخففة والجملة سادة مسد مفعولى ظنوا واعمل الاول على ماهو مذهب الكوفيين لان ما فى ظننتم مصدرية فكان الفعل بعدها فى تأويل المصدر والفعل اقوى من المصدر فى العمل والظاهر ان المراد بعثة الرسالة اى لن يبعث الله أحدا بالرسالة بعد عيسى او بعد موسى يقيم به الحجة على الخلق ثم انه بعث اليهم محمدا عليه السلام خاتم النبيين فآمنوا به فافعلوا انتم يامعشر الجن مثل مافعل الانس وقيل بعد القيامة اى لن يبعث الله احدا بعد الموت للحساب والجزآء يقول الفقير فيه اشارة الى اهل الغفلة من الانس والجن فانهم يظنون بالله ظن السوء ويقولون ان الله لايبعث احدا من نوم الغفلة بل يبقيه على حاله من الاستغراق فى اللذات والانهماك فى الشهوات ولايدرون ان الله تعالى يبعث من فى القبور مطلقا ويحيى اجسادهم وقلوبهم وارواحهم بالحياة الباقية لان اهل النوم لانقطاع شعورهم لايعرفون حال اهل اليقظة وفيه اثبات العجز لله تعالى والله على كل شئ قدير (وانا لمسنا السماء) اى طلبنا بلوغ السماء لاستماع مايقول الملائكة من الحوادث اوخبرها للا فشاء بين الكهنة واللمس مستعار من المس للطلب شبه الطلب بالمس واللمس باليد فى كون كل واحد منهما وسيلة الى تعرف حال الشئ فعبر عنه بالمس واللمس قال الراغب اللمس ادراك بظاهر البشرة كالمس ويعبر به عن الطلب قال فى كشف الاسرار ومنه الحديث الذى ورد ان رجلا قال لرسول الله عليه السلام ان امرأتى لاتدع عنها يد لامس اى لاترد يد طالب حاجة صفرا يشكوا تضييعها ماله (فوجدناها ملئت حرسا) اى حراسا وحفظة وهم الملائكة يمنعونهم عنها اسم جمع لحارس بمعنى حافظ كخدم لخادم مفرد اللفظ ولذلك قيل (شديدا) اى قويا ولو كان جمعا لقيل شدادا وقوله ملئت حرسا حال من مفعول وجدناها ان كان وجدنا بمعنى اصبنا وصادفنا ومفعول ثان ان كان من افعال القلوب اى فعلمناها مملوءة وحرسا تمييز (وشهبا) عطف على حرسا وحكمه فى الاعراب حكمه جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة من نار الكواكب هكذا قالوا وقدمر تحقيقه (وانا كنا نقعد) قبل هذا (منها) اى من السماء (مقاعد للسمع) خالية عن الحرس والشهب يحصل منها مقاصدنا من استماع الاخبار للالقاء الى الكهنة اوصالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اى على الوجه الاول اى لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اى على الثانى اى مقاعد كائنة للسمع وفى كشف الاسرار اى مواضع لاستماع الاخبار من السماء وكان لكل حى من الجن باب فى السماء يستمعون فيه ومن احاديث البخارى عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة تنزل فى العنان وهو بالفتح السحاب فتذكر الامر الذى قضى فى السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معه مائة كذبة من عند انفسهم يقول الفقير وجه التوفيق بين الاستراق من السماء ومن السحاب ان الملائكة مرة ينزلون فى العنان فيتحدثون هناك واخرى يتذاكرون فى السماء ولامنع من عروج الشياطين الى السماء فى مدة قليلة للطافة اجسامهم وحيث كانت نارية اوهوآئية اودخانية لايتأثرون من النار اوالهوآء حين المرور بكرتهما ولوسلم فعروجهم من قبيل الاستدراج ولله فى كل شئ حكمة واسرار (فمن) شرطية (يستمع الآن) فى مقعد من المقاعد ويطلب الاستماع والآن اى فى هذا الزمان وبعد المبعث وفى اللباب ظرف حالى استعير للاستقبال (يجدله) جواب الشرط والضمير لمن اى يجد لنفسه (شهابا رصدا) الرصد الاستعداد للترقب اى شهابا راصداله ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم اوذوى شهاب راصدين له ليرجموه بما معهم من الشهب على انه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرس فيكون المراد بالشهاب الملائكة بتقدير المضاف ويجوز نصب رصدا على المفعول له وفى الآية اشارة الى طلب القوى الطبيعية ان تدخل سماء القلب فوجدتها محفوفة بحراس الخواطر الملكية والرحمانية يحرسونها عن طرق الخواطر النفسانية والشيطانية بشهاب نار نور القلب المنور بنور الرب وكان الشهاب والرجم قبل البعثة النبوية لكن كثر بعدها وزاد زيادة بينة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا

لئلا يلتبس على الناس اقوال الرسول المستندة الى الوحى الالهى باقوال الكهنة المأخوذة من الشياطين مما استرقوا من اقوال اهل السماء ويدل على ماذكر قوله تعالى فوجدناها ملئت حرسا شديدا فانه يدل على ان الحادث هو الكمال والكثرة اى زيدت حرسا وشهبا حتى امتلأت بهما وقوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد اى كانجد فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب والآن قدملئت المقاعد كلها فلما رأى الجن ذلك قالوا ماهذا الا لامر اراده الله باهل الارض وذلك قولهم (وانا لاندرى اشر اريد بمن فى الارض) بحراسة السماء منا (ام اراد بهم ربهم رشدا) اى خيرا واصلاحا وفق لصالحهم والاستفهام لاظهار العجز عن الاطلاع على الحكمة قال بعضهم لعل التردد بينهما مخصص بالاستفهام وان يكون فاعل فعل مضمر مفسر بمابعده بمعنى لاندرى اأريد شر ام خير ورجوه للموافقة بين المعطوفين فى كونهما جملة فعليه والباء فى الموضعين متعلقة بماقبلها والجملة الاستفهامية قائمة مقام المفعول ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما فى قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قال صاحب الانتصاب ومن عقائد الجن ان الهدى والضلال جميعا من خلق الله تعالى فتأدبوا من نسبة الرشاد اليه وجعلوا الشر مضمر الفاعل فجمعوا بين حسن الاعتقاد والادب (وانا منا الصالحون) اى الموصوفون بصلاح الحال فى شأن انفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم اومايكون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطر السليمة لاالى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة والقصر ادعائى كانهم لم يعتدوا بصلاح غير ذلك البعض فالصالحون مبتدأ وماخبره المقدم والجملة خبران ويجوز ان يكون الصالحون فاعل الجار والمجرور الجارى مجرى الظرف لاعتماده على المبتدأ (ومنا دون ذلك) اى قوم دون ذلك فى الصلاح فحذف الموصوف لانه يجوز حذف هذا الموصوف فى التفصيل بمن حتى قالوا منا ظعن ومنا اقام يريدون منا فريق ظعن ومنا فريق أقام ودون ظرف وهم المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور غير الكاملين فيه لافى الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى (كنا طرآئق قددا) واما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله وانا لما سمعنا الهدى الى قوله وانا منا المسلمون اى كنا قبل هذا طرآئق فى اختلاف الاحوال فهو بيان للقسمة المذكورة وقدر المضاف لامتناع كون الذوات طرآئق قالوا فى الجن قدرية ومرجئة وخوارج وروافض وشيعية وسنية قال فى المفردات جمع الطريق طرق وجمع الطرق طرآئق والظاهران الطرآئق جمع طريقة كقصائد جمع قصيدة ثم قال وقوله تعالى كنا طرآئق قددا اشارة الى اختلافهم فى درجاته كقوله هم درجات والطريق الذى يطرق بالارجل اى يضرب ومنه استعير كل مسلك يسلكه الانسان فى فعل محمودا كان اومذموما وقيل طريقة من النخل تشبيها بالطريق فى الامتداد والقد قطع الشئ طولا والقد المقدود ومنه قيل لقامة الانسان قد كقولك تقطيعة والقدة كالقطعة يعنى انها من القد كالقطعة من القطع وصفت الطرآئق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق وفى القاموس القدة الفرقة من الناس هوى كل واحد على حدة ومنه كنا طرآئق قددا اى فرقا مختلفة اهوآؤها وقدتعددوا قال القاشانى وانا منا الصالحون كالقوى المدبرة لنظام المعاش وصلاح البدن ومنا دون ذلك من المفسدات كالوهم والغضب والشهوة والمعاملة بمقتضى هوى النفس والمتوسطات كالقوى النباتية الطبيعية كنا ذوى مذاهب مختلفة لكل طريقة ووجهة مماعينه الله ووكله به قال بعض المفسرين المراد بالصالحين السابقون بالخيرات وبمادون ذلك اى ادنى مكان منهم المقتصدون الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا واما الظالمون لانفسهم فندرج فى قوله تعالى كنا طرآئق قددا فيكون تعميما بعد تخصيص على الاستئناف ويحتمل ان يكون دون بمعنى غير فيندرج القسمان الاخيران فيه (وانا ظننا) اى علمنا الآن بالاستدلال والتفكر فى آيات الله فالظن هنا بمعنى اليقين لان الايمان لايحصل بالظن ولان مقصودهم ترغيب اصحابهم وترهيبهم وذا بالعلم لابالظن كما قال عليه السلام انا النذير العريان (ان) اى ان الشان (لن نعجز الله) عن امضاء ما اراد بنا كائنين (فى الارض) اينما كنا من اقطارها فقوله فى الارض حال من فاعل نعجز والاعجاز عاجز كردن (ولن نعجزه هربا) قوله هربا حال من فاعل لن نعجز اى هاربين من الارض الى السماء والى البحار والى جبل قاف اولن نعجزه فى الارض ان ارادبنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا فالفرار من موضع الى موضع وعدمه سيان فى ان شيأ منهما لايفيد

فواتنا منه ولعل الفائدة فى ذكر الارض حينئذ الاشارة الى انها مع سعتها و انبساطها ليست منجى منه تعالى ولا مهربا (وانا لما سمعنا الهدى) اى القرآن الذى يهدى للتى هى اقوم (آمنا به) من غير تأخير وتردد (فمن يؤمن بربه) و بما انزله من الهدى (فلا يخاف) اى فهو لا يخاف فالكلام فى تقدير مبتدأ وخبر ولذلك دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف وفائدة رفع الفعل ووجوب ادخال الفاء انه دال على تحقيق ان المؤمن ناج لامحالة وانه المختص بذلك دون غيره (بخسا) اى نقصا فى الجزاء (ولا رهقا) ولا ان ترهقه ذلة وتغشاه اوجزاء بخس ولا رهقا اى ظلم اذلم يبخس احدا حقا ولا رهق اى ظلم احدا فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم قال الواسطى رحمه الله حقيقة الايمان ما اوجب الامان فمن بقى فى مخاوف المرتابين لم يبلغ الى حقيقة الايمان (وانا منا المسلمون) اى بعد استماع القرآن (ومنا القاسطون) الجائرون عن طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة فالقاسط الجائر لانه عادل عن الحق والمقسط العادل لانه عادل الى الحق يقال قسط اذا جار واقسط اذا عدل وقد غلب هذا الاسم اى القاسط على فرقة معاوية ومنه الحديث خطابا لعلى رضى الله عنه (تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين) فالناكثون اصحاب عائشة رضى الله عنها فانهم الذين نكثوا البيعة اى نقضوها واستنزلوا عائشة وساروا بها الى البصرة على جمل اسمه عسكر ولذا سميت الوقعة يوم الجمل والقاسطون اصحاب معاوية لانهم قسطوا اى جاروا حين حاربوا الامام الحق والوقعة تعرف بيوم صفين والمارقون الخوارج فانهم الذين مرقوا اى خرجوا من دين الله واستحلوا القتال مع خليفة رسول الله عليه السلام وهم عبدالله ابن وهب الراسى وحرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثدية وتعرف تلك الواقعة بيوم النهروان هى من ارض العراق على اربعة فراسخ من بغداد (فمن اسلم) پس هركه كردن نهاد امر خدا را همچنانچه ما كرده ايم قال سعدى المفتى يجوز ان يكون من كلام الجن ويجوز ان يكون مخاطبة من الله لرسوله كما فيما بعده من الآيات (فاولئك) اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى (تحروا) التحرى فى الاصل طلب الاحرى والاليق قولا اوفعلا اى طلبوا وقصدوا (رشدا) يقال رشد كنصر وفرح رشدا ورشدا ورشادا اهتدى كما فى القاموس اى اهتداء عظيما الى طريق الحق والصواب يبلغهم الى دار الثواب فتحرى الرشد مجاز عن ذلك بعلاقة السببية و بالفارسية قصد كرده اند راه راست وازان بمقصد خواهند رسيد ودل على ان للجن ثوابا على اعمالهم لانه ذكر سبب الثواب وموجبه وقد سبق تحقيقه (واما القاسطون) الجائرون عن سنن الهدى (فكانوا لجهنم حطبا) الحطب ما يعد للايقاد اى حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس (روى) ان الحجاج قال لسعيد بن جبير حين اراد قتله ماتقول فى قال انك قاسط عادل فقال الحاضرون ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج ياجهلة جعلنى جاهلا كافرا وتلا قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون واسند بعضهم قول سعيد الى امرأة كما قال فى الصحاح ومنه قول تلك المرأة للحجاج انك قاسط عادل فيحتمل التوارد (وان لو استقاموا) ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحى الى ان الشان لواستقام الجن اوالانس او كلاهما (على الطريقة) التى هى ملة الاسلام (لاسقيناهم ماء غدقا) الاسقاء والسقى بمعنى وقال الراغب السقى والسقيا هوان تعطيه ماء ليشرب والاسقاء ان تجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء كما يقال اسقيته نهرا فالاسقاء ابلغ وغدق من باب علم اذا غزر وصف الماء به للمبالغة فى غزارته كرجل عدل وتخصيص الماء الكثير بالذكر لانه اصل السعة وان كان اصل المعاش هو اصل الماء لاكثرته ولعزته وجوده بين العرب قال عمر رضى الله عنه اينما كان الماء كان العشب واينما كان العشب كان المال واينما كان المال كانت الفتنة والمعنى لاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا ووسعنا عليهم الرزق فى الدنيا و بالفارسية هرآينه بدهيم ايشانرا آب بسيار بعد ازتنك سالى يعنى روزى برايشان فراخ كردانيم وفيه دلالة على ان الجن ياكلون ويشربون ولكن فيه تفصيل وقد سبق وقال بعض اهل المعرفة المراد بالاستقامة على الطريقة هو القيام على سبيل السنة والميل الى اهل الصلاح و بالاسقاء الافاضة على قلوبهم ماء الوداد (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فى ذلك الاسقاء والتوسيع كيف يشكرونه كما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات اوفى ذلك الماء والمآل واحد (وقال الكاشفى) تابيازمايم ايشانرا درآن

زند كانى كه بوظائف شكر چكونه قيام نمايند وفيه اشارة الى ان المرزوق بالرزق الروحانى والغذاء المعنوى يجب عليه القيام بشكره ايضا وذلك بوظائف الطاعات وصنوف العبادات وضروب الخدمات (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته اوعن موعظته اووحيه (يسلكه) يدخله (عذابا صعدا) اى شاقا صعبا يتصعد اى يعلو المعذب ويغلبه فلا يطيقه على انه مصدر وصف به للمبالغة يقال سلكت الخيط فى الابرة اذا ادخلته فيها اى يسلكه فى عذاب صعد كما قال ماسلككم فى سقر اى ادخلكم فيها فحذف الجار واوصل الفعل ثم ان كان اعراضه بعدم التصديق كان عذابه بالتأبيد والا فبقدر جريمته ان لم يغفر له وروى ان صعدا جبل فى النار اذا وضع عليه يديه اورجليه ذابتا واذا رفعهما عادتا وقال بعضهم صعدا جبل املس فى جهنم ويكلف الوليد ابن مغيرة صعوده اربعين عاما فيجذب من اعلاه بالسلاسل فاذا انتهى الى اعلاه انحدر الى اسفله ثم يكلف ثانيا وهكذا يعذب ابدا (وان المساجد لله) عطف على قوله انه استمع اى واوحى الى ان المساجد مختصة بالله تعالى وبعبادته خصوصا المسجد الحرام ولذلك قيل بيت الله فالمراد بالمساجد المواضع التى بنيت للصلاة وذكر الله ويدخل فيها البيوت التى يبنيها اهل الملل للعبادة نحو الكنائس والبيع ومساجد المسلمين ثم هذا لاينافى ان تضاف المساجد وتنسب الى غيره تعالى بوجه آخر امالبانيها كمسجد رسول الله اولمكانها كمسجد بيت المقدس الى غير ذلك من الاعتبارات واعظم المساجد حرمة المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد المحال ثم مساجد الشوارع ثم مساجد البيوت (فلا تدعوا) اى لاتعبدوا فيها الفاء للسببية (مع الله احدا) اى لاتجعلوا احدا غير الله شريكا لله فى العبادة فاذا كان الاشراك مذموما فكيف يكون حال تخصيص العبادة بالغير (قال الكاشفى) پس مخوانيد دران باخداى تعالى يكى راچنانچه يهود ونصارى دركنايس وصوامع خود عزير ومسيح رابا اوهيت يادميكنند وچنانكه مشركان در حوالئ بيت الحرام ميكويند لبيك لاشريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وكفته اند مراد ازين مساجد تمام روى زمينست كه مسجد حضرت سيد المرسلين است لقوله عليه السلام جعلت لى الارض مسجدا وتربتها طهورا پس درهيچ بقعه باياد خدا ياد ديكرى نيكو نباشد * دلرا بجزا زياد خدا شاد مكن * باياد وى ازكسى ديكرياد مكن * قال بعض العارفين انما تبرأ تعالى من الشريك لانه عدم والله وجود فتبرأ من العدم الذى لايجتمع اذهو واجب الوجود لذاته والله تعالى مع الخلق ماالخلق مع الله لانه تعالى يعلمهم وهم لايعلمونه فهو تعالى معهم ايما كانوا فى ظرفية امكنتهم وازمانهم واحوالهم ماالخلق معه تعالى فانهم لا يعرفونه حتى يكونوا معه ولوعرفوه من طريق الايمان كانوا كالاعمى يعلم انه جالس زيد ولكن لايراه فهو كانه يراه بخلاف اهل المشاهدة فانه ذو بصر الهى فمن دعا الله مع الله ماهو كمن دعا الخلق مع الله هذا معنى فلا تدعوا مع الله احدا ثم ان السجود وان كان لله لايقع فى الحس ابدا الا لغير الله اى لجهة غير الله لان الله ليس بجهة بل هو بكل شئ محيط فما وقع من عبد سجود الا لغير الله لكن منه ماكان لغير الله عن امر الله كالسجود لآدم وهو مقبول ومنه ماكان عن غير امره كالسجود للاصنام وهو مردود وانما وضعت المساجد للتعظيم كما انه عينت القبلة للادب روى عن كعب انه قال انى لاجد فى التوراة ان الله تعالى يقول ان بيوتى فى الارض المساجد وان المسلم اذا توضأ فاحسن الوضوء ثم اتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزوران يكرم زائره ومن هنا قالوا ان من دخل المسجد ينوى زيارة الله تعالى قال بعض اهل المعرفة ان مساجد القلوب لزوار تجليه فلا ينبغى ان يكون فيها ذكر غير الله وقال بعضهم ان مساجد القلوب الصافية عن القاذورات مختصة بالله تعالى وبالتجليات الذاتية والصفاتية والاسمائية فلا تدعوا مع الله احدا من الاسماء الجزئية اى طهروا مساجد قلوبكم لتجلى اسم الله الاعظم فيها لاغير وقال ابن عطاء مساجدك اعضاؤك التى امرت ان تسجد عليها لا تخضعها ولاتذللها لغير خالقها وهى الوجه واليدان والركبتان والرجلان والحكمة فى ايجاب السجود على هذه الاعظم ان هذه الاعضاء التى عليها مدار الحركة هى المفاصل التى تنفتح وتنطبق فى المشى والبطش واكثر السعى ويحصل بها اجتراح السيئات وارتكاب الشهوات فشرع الله بها السجود للتكفير ومحو الذنب والتطهير (وانه) من جملة الموحى به اى واوحى الى ان الشأن (لما قام عبد الله) اى النبى عليه السلا ولذا جعلوه فى اسمائه لانه هو العبد الحقيق فى الحقيقة

المضاف الى اسم الله الاعظم فرقا وان كان هو المظهر له جميعا ودرآثار آمده كه آن حضرت را عليه السلام هيچ نام از ين خوشتر نيامده چه شريطهٔ عبادت وعبوديت بروجهى كه آن حضرت قيام هيچكس را قدرت براقامت بران نبوده لاجرم دروقت عروج آن حضرت بر منازل ملكى بابن اسم مذكور شد كه سبحان الذى اسرى بعبده و بهنگام نزول قرآن ازمدارج فلكى اورابهمين نام ميكند كه تبارك الذى نزل الفرقان على عبده * آن بنده شعار بندكى دوست * كز جملهٔ بندكان كزين اوست * دادند بنده كيش راهى * كازانديده هيچ شاهى * وايراده عليه السلام بلفظ العبد للاشعار بماهو المقتضى لقيامه وعبادته وهو العبودية اى كونه عبدا له وللتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه اذالتقدير واوحى الى انى لما قمت وهذا على قرآءة الفتح واما على قرآءة نافع وابى بكر فيتعين كونه للاشعار بالمقتضى وفيه تعريض لقريش بانهم سموا عبدود وعبد يغوث وعبدمناف وعبدشمس ونحوها لاعبدالله وان من سمى منهم بعبدالله فانما هى من قبيل التسمية المجردة عن معانيها (يدعوه) حال من فاعل قام اى يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما سبق (كادوا) اى قرب الجن (يكونون عليه لبدا) جمع لبدة بالكسر نحو قربة وقرب وهى ماتلبد بعضه على بعض اى تراكب وتلاصق ومنها لبدة الاسد وهى الشعر المتراكب بين كتفيه والمعنى متراكمين يركب بعضهم بعضا ويقع من ازدحامهم على النبى عليه السلام تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قرآءته واقتدآء اصحابه به قياما وقعودا وسجودا لانهم رأوا مالم يروا مثله قبله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وعلى قرآءة الكسر اذاجعل مقول الجن فضمير كادوا لاصحابه عليه السلام الذين كانوا مقتدين به فى الصلاة يقول الفقير فى هذا المقام اشكال على القرآءتين جميعا لان المراد ان كان ماذهب اليه ابن عباس رضى الله عنهما على ماذهب اليه المفسرون فلامعنى للازدحام اذكان الجن بنخلة نفرا سبعة اوتسعة ولامعنى لازدحام النفر القليل مع سعة المكان وقرب القارى وانما وقع الازدحام فى الحجون بعد العود من نخلة على مارواه ابن مسعود رضى الله عنه ولامخلص الا بان يقال لم يزالوا يدنون من جهة واحدة حتى كادوا يكونون عليه لبدا او بان يجوز فى النفر وحينئذ يبقى تعيين العدد على مافعله بعضهم بلامعنى وان كان المراد ماذهب اليه ابن مسعود رضى الله عنه ففيه ان ذلك كان بطريق المشاهدة على ماسلفناه فى الاحقاف ولامعنى لاخباره بطريق الوحى على مامضى فى اول السورة وايضا انه لم يكن معه عليه السلام اذذاك الانفر قليل من اصحابه بل لم يكن الازيد ابن حارثة رضى الله عنه على مافى انسان العيون فلامعنى للازدحام والله اعلم بمراده (قل انما ادعوا) اى اعبد (ربى ولااشرك به) اى بربى فى العبادة (احدا) فليس ذلك ببدع ولامستنكر يوجب التعجب اوالاطباق على عداوتى وهذا حالى فليكن حالكم ايضا كذلك (قل انى لااملك) لااستطيع (لكم) ايها المشركون (ضرا ولارشدا) كأنه اريد لااملك ضرا ولانفعا ولاغيا ولارشدا اى ليس هذا بيدى بل بيد الله تعالى فانه هو الضار النافع الهادى المضل فترك من كلا المتقابلين ماذكر فى الآخر فالآية من الاحتباك وهو الحذف من كل مايدل مقابله عليه وفى التأويلات النجمية اى من حيث وجوده المضاف اليه كما قال انك لاتهدى من احببت واما من حيث وجوده الحق المطلق فانه يملك الضر والرشد كقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم قال القاشانى اى غيا وهدى انما الغواية والهداية من الله ان سلطنى عليكم تهتدوا بنورى والابقيتم فى الضلال ليس فى قوتى ان اقسركم على الهداية (قل انى لن يجيرنى) ينقذنى ويخلصنى (من الله) من قهره وعذابه ان خالفت امره واشركت به (احد) ان استنقذته اولن ينجينى منه احد ان ارادنى بسوء قدره على من مرض اوموت اوغيرهما قال بعضهم هذه لفظة تدل على الاخلاص فى التوحيد اذالتوحيد هو صرف النظر الى الحق لاغير وهذا لايصح الابالاقبال على الله والاعراض عما سواه والاعتماد عليه دون ماعداه (ولن اجد من دونه ملتحدا) يقال الحد فى دين الله والتحد فيه اى مال عنه وعدل ويقال للملجأ الملتحد لان اللاجئ يميل اليه والمعنى ولن اجد عند الشدآئد ملجأ غيره تعالى وموئلا ومعدلا فلاملجأ ولاموئل ولامعدل الاهو وهذا بيان لعجزه عليه السلام عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره اى واذلا املك لنفسى شيأ فكيف املك لكم شيأ (الابلاغا من الله) استثناء متصل من قوله لااملك اى من مفعوله فان التبليغ ارشاد ونفع ومابينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة على نفسه فلايضر طول الفصل بينهما وفائدة الاستثناء المبالغة فى توصيف نفسه

بالتبليغ لا لانه على انه لايدع التبليغ الذى يستطيعه لتظاهرهم على عداوته وقوله من الله صفة بلاغا اى بلاغا كائنا منه وليس متعلقا بقوله بلاغا لان صلة التبليغ فى المشهور انما هى كلمة عن دون من او بلاغا و أقع موقع التبليغ كما يقع السلام والكلام موقع التسليم والتكليم اواستثناء من قوله ملتحدا اى لن اجد من دونه تعالى منجى الا ان ابلغ عنه ماارسلنى به فهو حينئذ منقطع فان البلوغ ليس ملتحدا من دون الله لانه من الله وباعانته وتوفيقه (ورسالاته) عطف على بلاغا باضمار المضاف وهو البلاغ اى لااملك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى وتبليغ رسالاته التى ارسلنى بها يعنى الآن ابلغ عن الله واقول قال الله كذا ناسبا للمقالة اليه وان ابلغ رسالاته التى ارسلنى بها من غير زيادة ولا نقصان وقال سعدى المفتى لعل المراد من بلاغا من الله ماهو مايأخذه منه تعالى بلا واسطة ومن رسالاته ماهو بها انتهى والمراد بالرسالة هو ماارسل الرسول به من الامور والاحكام والاحوال لامعنى المصدر والظاهر أن المراد الا التبليغ والرسالة من الله تعالى وجمع الرسالة باعتبار تعدد ماارسل هو به (ومن يعص الله ورسوله) فى الامر بالتوحيد بان لايمتثل امرهما به ودعوتهما اليه فيشرك به اذ الكلام فيه وهو يصلح ان يكون مخصصا للعموم فلا متمسك للمعتزلة فى الآية على تخليد عصاة المؤمنين فى النار (فان له نار جهنم خالدين فيها) اى فى النار اوفى جهنم والجمع باعتبار المعنى (ابدا) بلانهاية فهو دفع لان يراد بالخلود المكث الطويل (حتى اذارأوا مايوعدون) غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه السلام ولاستقلالهم لعددهم حتى قالواهم بالاضافة الينا كالحصاة من جبال كأنه قيل لايزالون على ماهم عليه حتى اذارأوا مايوعدون من فنون العذاب فى الآخرة (فسيعلمون) حينئذ عند حلوله بهم (من اضعف ناصرا واقل عددا) اى فسيعلمون الذى هو اضعف واقل اهم ام المؤمنون فمن موصولة واضعف خبر مبتدأ محذوف ويجوزان تكون استفهامية مرفوعة بالابتداء واضعف خبره والجملة فى موضع نصب سدت مسد مفعولى العلم وناصرا وعددا منصوبان على التمييز وحمل بعضهم مايوعدون على مارأوه يوم بدر واياما كان ففيه دلالة على ان الكفار مخذولون فى الدنيا والآخرة وان كثروا عددا وقووا جسدا لان الكافرين لامولى لهم وان المؤمنين منصورون فى الدارين وان قلوا عددا وضعفوا جسدا لان الله مولاهم والواحد على الحق هو السواد الاعظم فان نصره ينزل من العرش (قال الحافظ) تيغى كه اسمانش ازفيض خود دهد آب * تنها جهان بكيرد بى منت سپاهى (قل ان ادرى) اى ماادرى لان ان نافية (اقريب) خبر مقدم لقوله (ماتوعدون) ويجوزان يكون ماتوعدون فاعلا لقريب سادا مسد الخبر لوقوعه بعد الف الاستفهام وماموصولة والعائد محذوف اى اقريب الذى توعدونه نحو اقائم الزيدان (ام يجعل له ربى امدا) اى غاية تطول مدتها والامد وان كان يطلق على القريب ايضا الا ان المقابلة تخصصه بالبعيد والفرق بين الزمان والامد ان الامد يقال باعتبار الغاية والزمان عام فى المبدأ والغاية والمعنى ان الموعود كائن لامحالة واما وقته فما ادرى متى يكون لان الله لم يبينه لمارأى فى اخفاء وقته من المصلحة وهو رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون الموعود انكارا له واستهزاء فان قيل اليس قال عليه السلام بعثت اناوالساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لاادرى اقريب ام بعيد والجواب ان المراد بقرب وقوعه هو ان مابقى من الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم واما قربه بمعنى كونه بحيث يتوقع فى كل ساعة فغير معلوم على ان كل آت قريب ولذا قال تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وقال كانهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وذلك بالموت للمتقدمين ووقوع عين القيامة للمتأخرين كما اوعد نوح عليه السلام بالطوفان فلم يدركه بعضهم بل هلك قبله وغرق فى طوفان الموت وبحر البلاء قال بعض اهل المعرفة قل ان ادرى اقريب ماتوعدون فى القيامة الصغرى من الفناء الصورى والموت الطبيعى الاضطرارى والدخول فى نار الله الكبرى عند البعث لعدم الوقوف على قدر الله اوفى الكبرى من الموت الارادى والفناء الحقيقى لعدم الوقوف على قوة الاستعداد فيقع عاجلا ام ضرب الله غاية واجلا (عالم الغيب) وحده وهو خبر مبتدأ محذوف اى هو عالم بجميع ماغاب عن الحس على ان اللام للاستغراق والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية (فلا يظهر) اكاه نكند (على غيبه احدا) الفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اى فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما

موجبا لعين اليقين احد أمن خلقه (الامن ارتضى من رسول) الارتضاء پسنديدن واصله تناول مرضى الشئ اى الارسولا ارتضاه واختاره لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا ماامالكونه من مبادى رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعية التى امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها فى الآخرة وماتوقف هى عليه من احوال الآخرة التى من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التى بيانها من وظائف الرسالة واما مالايتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت قيام الساعة فلايظهر عليه احدا ابدا على ان بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه مايدل على نفى كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لايستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولايدعى احد لاحد من الاولياء مافى مرتبة الرسل من الكشف الكامل الحاصل بالوحى الصريح بل اطلاعهم بالاخبار الغيبى والتلقف من الحق فيدخل فى الرسول وارثه قال الجنيد قدس سره قعد على غلام نصرانى متنكرا وقال ايها الشيخ مامعنى قوله عليه السلام اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله قال فاطرقت رأسى ورفعت فقلت اسلم اسلم فقد حان وقت اسلامك فاسلم الغلام فهذا امابطريق الفراسة او بغيرها من انواع الكشوف وخرج من البين اهل الكهانة والتنجيم لانهم ليسوا من اهل الارتضاء والاصطفاء كالانبياء والاولياء فليس اخبارهم بطريق الالهام والكشف بل بالامارات والظنون ونحوها ولذا لايقع اكثرها الا كاذبا ومن قال انا اخبر من اخبار الجن يكفر لان الجن كالانس لاتعلم غيبا وقد سبق ان الكهانة انقطعت اليوم فلا كهانة ابدا لان الشياطين منعوا من السماء قال ابن الشيخ انه تعالى لايطلع على الغيب الذى يختص به علمه الا المرتضى الذى يكون رسولا ومالايختص به يطلع عليه غير الرسول اما بتوسط الانبياء او بنصب الدلائل وترتيب المقدمات او بان يلهم الله بعض الاولياء وقوع بعض المغيبات فى المستقبل بواسطة الملك فليس مراد الله بهذه الآية ان لايطلع احدا على شئ من المغيبات الا الرسل لظهور انه تعالى قد يطلع على شئ من الغيب غير الرسل كما اشتهر ان كهنة فرعون اخبروا بظهور موسى عليه السلام وبزوال ملك فرعون على يده وان بعض الكهنة اخبروا بظهور نبينا محمد عليه السلام قبل زمان ظهوره ونحو ذلك من المغيبات وكانوا صادقين فيه وارباب الملل والاديان مطبقون على صحة علم التعبير والمعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية فى المستقبل ويكون صادقا فيه ثم الآية نظير قوله تعالى وماكان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء (فانه يسلك) پس بدرستى كه درمى آرد خداى تعالى يعنى مى‌سازد وبالعربية يدخل ويثبت (من بين يديه) اى قدام الرسول المرتضى (ومن خلفه رصدا) قال فى القاموس الرصد محركة الراصدون اى الراقبون بالفارسية نگهبانان يقال للواحد والجماعة كما فى المفردات وهو تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اى فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من بعض الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته يعنى ان جبريل كان اذا نزل بالرسالة نزل معه ملائكة يحفظونه من ان يسمع الجن الوحى فيلقونه الى كهنتهم فتخبر به الكهنة قبل الرسول فيختلط على الناس امر الرسالة قال القاشانى الامن ارتضى من رسول اى اعده فى الفطرة الاولى وزكاه وصفاه من رسول القوة القدسية فانه يسلك من بين يديه اى من جانبه الالهى ومن خلفه اى ومن جهته البدنية رصدا حفظة امامن جهة الله التى اليها وجهه فروح القدس والانوار الملكوتية والربانية واما من جهة البدن فالملكات الفاضلة والهيئات النورية الحاصلة من هيا كل الطاعات والعبادات يحفظونه من تخبيط الجن وخلط كلامهم من الوساوس والاوهام والخيالات بمعارفها اليقينية ومعانيها القدسية والواردات الغيبية والكشوف الحقيقية (ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم) متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها والابلاغ الايصال وبالفارسية رسانيدن ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذى اريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشأن قد ابلغوه رسالات ربهم

سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين منكم والغاية فى الحقيقة هو الابلاغ و الجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بامرهما والاشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة فى الحث عليهما والتحذير من التفريط فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هى من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما ابلغها الرصد اليهم كذلك (واحاط بما لديهم) اى بما عند الرصد او الرسل حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور وجيئ بها لتحقيق استغنائه تعالى اى وقد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا (واحصى) علم علما بالغا الى حد الاحاطة تفصيلا و بالفارسية وشمرده است (كل شئ) مما كان وما سيكون (عددا) اى فردا فردا فكيف لا يحيط بما لديهم قال القاسم هو اوجدها فاحصاها عددا وقال ابن عباس رضى الله عنهما احصى ما خلق وعرف عدد ما خلق لم يفته علم شئ حتى مثاقيل الذر والخردل (قال الكاشفى) مراد كمال علم است وتعلق آن بجميع معلومات يعنى معلومى مطلقا ازدائرۀ علم او خارج نيست * هرچه دانستنى است دردوجهان * نيست ازعلم شاملش پنهان * قوله عددا تمييز منقول من المفعول به كقوله وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شئ وفائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلى اجمالى بل على وجه جزئى تفصيلى فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبنى على ذلك حسابه وهذه الآية مما يستدل به على ان المعدوم ليس بشئ لانه لو كان شيأ لكانت الاشياء غير متناهية وكونه احصى عددها يقتضى كونها متناهية لان احصاء العدد انما يكون فى المتناهى فيلزم الجمع بين كونها متناهية وغير متناهية وذلك محال فوجب القطع بان المعدوم ليس بشئ حتى يندفع هذا التناقض والتنافى كذا فى حواشى ابن الشيخ رحمه الله

(تمت سورة الجن بعون ذى الطول والمن فى عصر الثلاثاء السابع من ذى القعدة من شهور)

(سنة ست عشرة ومائة والالف)

* (سورة المزمل وآيها تسع عشرة او عشرون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(يا ايها المزمل) اى المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها وتغطى فادغم التاء فى الزاى فقيل المزمل بتشديدين كان عليه السلام نائما بالليل متزملا فى قطيفة اى دثار مخمل فامر ان يترك التزمل الى التشمر للعبادة و يختار التهجد على الهجود وقال ابن عباس رضى الله عنهما اول ما جاءه جبريل خافه فظن ان به مسا من الجن فرجع من جبل حراء الى بيت خديجة مرتعدا وقال زملونى فبينما هو كذلك اذ جاء جبريل وناداه وقال يا ايها المزمل وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذى زمل امرا عظيما اى حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله قال السهيلى رحمه الله ليس المزمل من اسمائه عليه السلام التى يعرف بها كما ذهب اليه بعض الناس وعده فى اسمائه وانما المزمل مشتق من حالته التى كان عليها حين الخطاب وكذا المدثر وفى خطابه بهذا الاسم فائدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التى هو عليها كقول النبى عليه السلام لعلى رضى الله عنه حين غاضب فاطمة رضى الله عنها اى اغضبها واغضبته فاتاه وهو نائم قد لصق بجنبه التراب فقال له قم يا ابا تراب اشعارا بانه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة رضى الله عنه قم يا نومان وكان نائما ملاطفة واشعارا بترك العتب والتأديب فقول الله تعالى لمحمد عليه السلام يا ايها المزمل تأنيس وملاطفة ليستشعر انه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه الى قيام الليل وذكر الله فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل بذلك العمل واتصف بتلك الصفة انتهى وفى فتح الرحمن الخطاب الخاص بالنبى عليه السلام كأيها المزمل ونحوه عام للامة الا بدليل يخصه وهذا قول احمد والحنفية والمالكية وقال اكثر الشافعية لا يعمهم الا بدليل وخطابه عليه السلام لواحد من الامة هل يعم غيره قال الشافعى والحنفية والاكثر لا يعم وقال ابو الخطاب

من اثر الخطابة ان وقع جوابا عم والا فلا (قم الليل) بكسر الميم لالتقاء الساكنين اى لا تتزمل وترقد ودع هذه الحال لما هو افضل منها وقم الى الصلاة فى الليل فانتصاب الليل على الظرفية وان استغرق الحدث لوانه قيد فحذف فى واوصل الفعل اليه فنصب لان عمل الجر لايكون فى الفعل والنصب اقرب اليه من رفع ومن ذلك قال بعضهم هو مفعول نظرا الى الظاهر فى الاستعمال ومن ذلك فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقوله لينذر يوم التلاق فى احد الوجهين كما سبق ومثله الاحياء فى قوله من احيى ليلة القدر ونحوه فان الاحياء وان كان واقعا على الليل فى الظاهر لكن المراد به احياء الصلاة والذكر فى الليل واستعمالهما وحد الليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر قال بعض العارفين ان الله اشتاق الى مناجاة حبيبه فناداه ان يقوم فى جوف الليل وقد قالوا ان القيام والمناجاة ليسا من الدنيا بل من الجنة لما يجده اهل الذوق من الحلاوة (الاقليلا) استثناء من الليل (نصفه) بدل من الليل الباقى بعد الثنيا بدل الكل والنصف احد شقى الشئ اى قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام فى اكثره فى كثرة الثواب يعنى انه يجوزان يوصف النصف المستثنى بكونه قليلا بالنسبة الى النصف المشغول بالعبادة مع انهما متساويان فى المقدار من حيث ان النصف الفارغ لايساويه بحسب الفضيلة والشرف فالاعتبار بالكيفية لا بالكمية وقال بعضهم ان القلة فى النصف بالنسبة الى الكل لا الى العديل الآخر والالزم ان يكون احد النصفين المساويين اقل من الآخر وفيه انه من عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر كما فى الارشاد (اوانقص منه) اى انقص القيام من النصف المقارن له الى الثلث (قليلا) اى نقصا قليلا اومقدارا قليلا بحيث لاينحط الى نصف الليل (اوزد عليه) اى زد القيام على النصف المقارن له الى الثلثين فالمعنى تخييره عليه السلام بين ان يقوم نصفه اواقل منه اواكثر اى قم الى الصلاة فى الزمان المحدود المسمى بالليل الا فى الجزء القليل منه وهو نصفه اوانقص القيام من نصفه اوزد عليه قيل هذا التخيير على حسب طول الليالى وقصرها فالنصف اذا استوى الليل والنهار والنقص منه اذا قصر الليل والزيادة عليه اذا طال الليل (ورتل القرآن) فى اثناء ماذكر من القيام اى اقرأه على تؤدة وتبيين حروف وبالفارسية وقرآنرا كشاده حروف خوان بحديكه بعضى آن برپى بعضى باشد (ترتيلا) بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها والذا نهى ابن مسعود رضى الله عنه عن التعجل وقال ولايكن هم احدكم آخر السورة يعنى لابد للقارئ من الترتيل ليتمكن هو ومن حضره من التأمل فى حقائق الآيات فعند الوصول الى ذكر الله يستشعر عظمته وجلاله وعند الوصول الى الوعد والوعيد يقع فى الرجاء والخوف وليسلم نظم القرآن من الخلل والرتل اتساق الشئ وانتظامه على استقامة والترتيل هويدا كردن سخن بى تكلف قال فى الكشاف ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجيئ المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وان لايهذه هذا ولايسرده سردا كما قال عمر رضى الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يجيئ المتلو فى تتابعه كالثغر الالص والامر بترتيل القرآن يشعر بان الامر بقيام الليل نزل بعد ماتعلم عليه السلام مقدارا منه وان قل وقوله انا سنلقى على الاستقبال بالنسبة الى بقية القرآن ثم الظاهر ان الامر به يعم الامة لانه امر بهم للكل والامر للوجوب كما دل عليه التأكيد اوللندب وكانت قراءته عليه السلام مدا يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم اما الاولان فمدهما طبيعى قدر الالف واما الاخير فمده عارضى بالسكون فيجوز فيه ثلاثة اوجه الطول وهو مقدار الفات ثلاث والتوسط قدر الفين والقصر قدر الف وكان عليه السلام مجودا للقرآن كما انزل وتجويده تحسين الفاظه باخراج الحروف من مخارجها واعطاء حقوقها من صفاتها كالجهر والهمس واللين ونحوها وذلك بغير تكلف وهو ارتكاب المشقة فى قراءته بالزيادة على اداء مخرجه والمبالغة فى بيان صفته فينبغى ان يتحفظ فى الترتيل عن التمطيط وهو التجاوز عن الحد وفى الحدر عن الادماج والتخليط بان تكون قراءته بحال كأنه يلف بعض الحروف والكلمات فى بعض آخر لزيادة السرعة وذلك ان القراءة بمنزلة البياض ان قل صار سمرة وان كثر صار برصا وما فوق الجعودة فهو القطط فما كان فوق القراءة فليس بقراءة فعلم من هذا ان التجويد على ثلاث مراتب ترتيل وحدر وتدوير * اما الترتيل فهو تؤدة وتأن وتمهل قال فى القاموس ورتل الكلام ترتيلا احسن تأليفه

ورتل فيه ترسل انتهى وهو مختار ورش وعاصم وحمزة ويؤيده قوله عليه السلام من قرأ القرآن اقل من ثلاث لم يفقهه وفى قوت القلوب افضل القراءة الترتيل لان فيه التدبر والتفكر وافضل الترتيل والتدبر للقرآن ما كان فى صلاة وعن ابن عباس رضى الله عنهما لان اقرأ البقرة ارتلها واتدبرها احب الى من ان اقرأ القرآن كله هذرمة اى سرعة وعن النبى عليه السلام انه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم قرأها عشرين مرة وكان له كل مرة فهم وفى كل كلمة علم وقد كان بعضهم يقول كل آية لا افهمها ولا يكون قلبى فيها لم اعد لها ثوابا وكان بعض السلف اذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها اعادها ثانية قال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم وما بقى من فهمها اكثر قال مالك بن دينار رحمه الله اذا قام العبد يتهجد من الليل ويرتل القرآن كما امر قرب الجبار منه قال وكانوا يرون ان ما يجدونه فى قلوبهم من الرقة والحلاوة وتلك الفتوح والانوار من قرب الرب من القلب وفى الحديث (يؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة فيوقف فى اول درج الجنة ويقال اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرأها) ولكون المقصود من انزال القرآن فهم الحقائق والعمل بالفحاوى شرع الانصات لقراءة القرآن وجوبا فى الصلاة وندبا فى غيرها وللقارئ اجر وللمستمع اجران لانه يسمع وينصت او يسمع باذنيه والقارئ يقرأ بلسان واحد والمستمع يؤدى الفرض ولذا قالوا استماعه اثوب من تلاوته (وفى سلسلة الذهب للمولى الجامى) صرف اوكن حواس جسمانى * وقف اوكن قواى روحانى * دل بمعنى زبان بلفظ سپار * چشم بر خط ونقط وچشم كذار * كوش از ومعدن جواهر كن * هوش از ومخزن سرائر كن * درادا پيش مكن زبان كج مج * حرفها پيش اداكن ازمخرج * دورباش از تهتك وتعجيل * كام كير از تأمل وترتيل * واما الحدر فهو الاسراع فى القراءة كما روى انه ختم القرآن فى ركعة واحدة اربعة من الامة عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد ابن جبير وابو حنيفة رضى الله عنهم وكان همسر بن المنهال يختم فى الشهر تسعين ختمة وما لم يفهم رجع فقرأ مرة اخرى وفى القاموس وابو الحسن على بن عبد الله بن سادان بن البنى كعربى مقرئ ختم فى النهار اربع ختمات الاثمنا مع افهام التلاوة انتهى * واما ما روى فى مناقب الشيخ موسى السدرانى من اكابر اصحاب الشيخ ابى مدين رضى الله عنه من ان له وردا فى اليوم والليلة سبعين الف ختمة فمعناه ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة فيكون فى كل اثنتى عشرة ساعة خمسة وثلاثون الف ختمة لانها اما ان تنبسط الى ثلاث واربعين سنة وتسعة اشهر واما الى اكثر وعلى التقدير الاول يكون اليوم والليلة منبسطا الى سبع وثمانين سنة وستة اشهر فيكون فى كل يوم وليلة من ايام السنين المنبسطة ايامها ولياليها ختمتان ختمة فى اليوم وختمة فى الليل كما هو العادة ويحتمل التوجيه باقل من ذلك باعتبار سرعة القارئ وهذا اى الحدر مختار ابن كثير وابى عمرو وقالون * واما التدوير فهو التوسط بين الترتيل والحدر وهو مختار ابن عامر والكسائى وهذا كله انما يتصور فى مراتب الممدود وفى الحديث (رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه) وهو متناول لمن يخل بمبانيه او معانيه او بالعمل بما فيه وذلك موقوف على بيان اللحن وهو انه جلى وخفى فالجلى خطأ يعرض للفظ ويخل بالمعنى بان بدل حرفا مكان حرف بان يقول مثلا الطالحات بدل الصالحات وبالاعراب كرفع المجرور ونصبه سواء تغير المعنى به اولا كما اذا قرأ ان الله بريئ من المشركين ورسوله بجر رسوله والخفى خطأ يخل بالعرف والضابطة كترك الاخفاء والادغام والاظهار والقلب وكترقيق المفخم وعكسه ومد المقصور وقصر الممدود وامثال ذلك ولا شك ان هذا النوع مما ليس بفرض عين يترتب عليه العقاب الشديد وانما فيه التهديد وخوف العقاب قال بعضهم اللحن الخفى الذى لا يعرفه الا مهرة القراء من تكرير الراآت وتطنين النونات وتغليظ اللامات وترقيق الراآت فى غير محلها لا يتصور ان يكون من فرض العين يترتب عليه العقاب على فاعلها لما فيه من حرج ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وفى بعض شروح الطريقة ومن الفتنة ان يقول لاهل القرى والبوادى والعجائز والعبيد والاماء لا تجوز الصلاة بدون التجويد وهم لا يقدرون على التجويد فيتركون الصلاة رأسا فالواجب ان يعلم مقدار ما يصحح به النظم والمعنى ويتوغل فى الاخلاص وحضور القلب * لعنت است اين كه بهر لهجه وصوت * شود از تو حضور خاطر فوت * فكر حسن غنا برد هوشت * متكلم شود فراموشت * لعنت است اين كه سازدت پى سيم * روز وشب با امير وخواجه نديم * لعنت است اين كه همت تو تمام *

كنت مصروف لفظ وحرف وكلام * نقد عمرت زفكرت معوج * خرج شد در رعايت مخرج * صرف كردى همه حيات سره * در قرا آت سبعه وعشره * شيخ بين هرچه از كلام خدا * جز خدا قبلهٔ دلست ترا * موجب لعن وماية طرد ست * حبذا مقبلى كه ناك فردست * معنىٔ لعن چيست مردودى * بعد ما ماث بعد خشنودى * هركه ماند از خدا بيك سرمو * آمد اندر مقام بعد حرو * كرچه ملعون نشد زحق مطلق * هست ملعون بقدر بعد از حق * روى ان عمران ابن حصين رضى الله عنه مر على وقاص يقرأ ثم يسأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجئ اقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس انتهى فيكون اعطاء شئ اياه من قبيل الاعانة على المعصية كالاعطاء لسائل المسجد وهو يتخطى رقاب الناس ولا يدع السواك فى كل ما استيقظ من نوم الليل والنهار وفى الخبر طيبوا طرق القرآن من افواهكم باستعمال السواك والصلاة بعد السواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا وفى قوة القلوب وفى الجهر بالقرآن سبع نيات منها الترتيل الذى امر به ومنها تحسين الصوت بالقرآن الذى ندب اليه فى قوله عليه السلام زينوا القرآن باصواتكم وفى قوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن اى يحسن صوته وهو احب من اخذه بمعنى الغنية والاكتفاء ومنها ان يسمع اذنيه ويوقظ قلبه ليتدبر الكلام ويتفهم المعنى ولا يكون ذلك كله الا فى الجهر ومنها ان يطرد النوم عنه برفع صوته ومنها ان يرجوا بجهره يقظة نائم فيذكر الله فيكون هو سبب احيائه ومنها ان يراه بطال غافل فينشط للقيام ويشتاق الى الخدمة فيكون هو معاونه على البر والتقوى ومنها ان يكثر بجهره تلاوته ويدوم قيامه على حسب عادته للجهر ففى ذلك كثرة عمله فاذا كان القارئ على هذه النيات فجهره افضل لان فيه اعمالا وانما يفضل العمل بكثرة النيات وكان اصحاب رسول الله عليه السلام اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن وفى شرح الترغيب اختلف فى القراءة بالالحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم واباحها ابو حنيفة وجماعة من السلف للاحاديث لان ذلك سبب للرقة واثارة الخشية وفى ابكار الافكار انما استحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينه مالم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فان افرط حتى زاد حرفا او اخفاه فهو حرام وقال بعض اهل المعرفة قوله رتل اى اتل وجاءت التلاوة بمعنى الابلاغ فى مواضع من القرآن والمعنى بلغ احكام القرآن لاهل النفوس المتردة المنحرفة عن الاقبال على الآخرة وهم العوام وهذا من قبيل الظهر كما قال عليه السلام ما من آية الا ولها ظهر وبطن وحد ومطلع وفصل معانيه لاصحاب القلوب المقبلة على المولى كما قال تعالى كتاب فصلت آياته وهم الخواص وهذا من قبيل البطن وفهم حقائقه لسدنة الاسرار المستهلكين فى عين المشاهدة المستغرقين فى بحر المعاينة وهم اخص الخواص وهذا من قبيل الحد واوجد اسراره لارباب الارواح الطاهرة الفنين عن ناسوتيته الباقين بلا هوتيته (انا سنلقى عليك) اى سنوحى اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى (قولا ثقيلا) وهو القرآن العظيم المنطوى على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين وايضا ان القرآن قديم غير مخلوق والحادث يذوب تحت سطوة القديم الا من كان مؤيدا كالنبى عليه السلام والثقل حقيقة فى الاجسام ثم يقال فى المعانى وقال بعضهم ثقيلا تلقيه كما سئل رسول الله عليه السلام كيف يأتيك الوحى قال احيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشد على فيفصم عنى اى يقلع وينجلى وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل الى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول قالت عائشة رضى الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا اى يترشح (قال الكاشفى) در حين نزول وحى بران حضرت برين وجه كه مذكور شد اكر برشترسوارى بودى دست وپاى شتر خم كشتى واكر تكيه بران يكى ازياران داشتى خوف شكستن آن بودى ودرين محل روى كبير كش برافروختى (مصراع) بسان كل كه بصحن چمن برافروزد * وفى التأويلات النجمية ثقل المحمول بحسب لطف الحامل ولاشك ان نبينا عليه السلام كان الطف الانبياء خلقا وخلقا واعدلهم مزاجا وطبعا واكملهم روحانية وجسمانية وافضلهم نشأة وفطرة واتمهم استعدادا وقابلية فلذلك خص القرآن بالثقل من بين سائر الكتب السماوية المشتملة على الاوامر والنواهى والاحكام والشرائع للطف فطرته وشمول رحمته والجملة اعتراض بين الامر وهو قم الليل وبين

تعليله وهوان ناشئة الليل الخ تسهيل ماكلفه عليه السلام من القيام يعنى ان فى توصيف ماسيلقى عليه بالثقل ايماء الى ان ثقل هذا التكليف بالنسبة اليه كالعدم فاذا كان ماسيكلف اصعب واشق فقد سهل هذا التكليف وفى الكشاف اراد بهذا الاعتراض ان ماكلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الصعبة التى ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلابد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه فمن استأنس بهذا التكليف لايثقل عليه امثاله يقول الفقير سورة المزمل مما نزل فى اوآئل النبوة فكان قوله انا سنلقى عليك قولا ثقيلا يشير الى مدة الوحى الباقية لان حروفه مع اعتبار النون المدغم فيها ونونى التنوين اثنان وعشرون فالسين دل على الاستقبال ومجموع الحروف على المدة الباقية وجعل القرآن حملا ثقيلا لانه عليه السلام بعث لتتميم مكارم الاخلاق ولاشك ان ماكان اجمع كان اثقل والله تعالى اعلم بمراده وايضا ان كون القول ثقيلا انما هو بالنسبة الى النفس الثقيلة الكثيفة لتراكم حجبها و بعدها عن درك الحق واما بالنسبة الى النفس الخفيفة اللطيفة فخفيف ولطيف ولذا كان تعب التكاليف مرفوعا عن الكمل فهم يجدون العبادات كالعادات فى ارتفاع الكلفة وفى الذوق والحلاوة (ان ناشئة الليل) اى النفس التى تنشأ فى الليل من مضجعها الى العبادة اى تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض فالموصوف محذوف والاضافة للملابسة بمعنى النفس الناشئة فى الليل (هى) خاصة (اشد وطئا) اى كلفة وثقلا مصدر قولك وطئ الشئ اى داسه برجله اوجعل عليه ثقله فان النفس القائمة بالليل الى العبادة اشد وطئا من التى تقوم بالنهار فلابد من قيام الليل فان افضل العبادات اشقها فالوطئ مصدر من المبنى للمفعول لان الواطئ الذى يلقى ثقله على العابد هوالعبادة فى الليل فيكون العابد بالليل اشد موطوأ له من العابد بالنهار ووطئا نصب على التمييز و يجوزان يكون معنى اشد وطئا اشد ثبات قدم واستقرارها فيكون المقصود بيان وجه اختيار الليل وتخصيصه بالامر بالقيام فيه من حيث انه تعالى جعل الليل لباسا يستر الناس ويمنعهم عن الاضطراب والانقلاب فى اكتساب المعاش وجعل النهار معاشا يباشرون فيه امور معاشهم فلاتثبت فيه اقدامهم للعبادة (واقوم قيلا) اسم من القول بمعناه بقلب الواو ياء اى ازيد من جهة السداد والاستقامة فى المقال ومن جهة الثبات والاستقرار على الصواب يعنى خواندن قرآن در و بصوا بتراست كه دل فارغ باشد واصوات ساكن وزبان بادل موافقت نمايد بزبان مى خواند وبدل تفكر ميكند * خاموش شد عالم بشب تاجست باشى در طلب * زيراكه بانك عربده تشويش خلوتخانه بود * ويحتمل ان تكون ناشئة الليل بمعنى قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعافية بمعنى العفو وهذا وافق لسان الحبشة حيث يقولون نشأ اذاقام و يكون بمعنى العبادة التى تنشأ بالليل اى تحدث فيكون الوطئ مصدرا من المبنى للفاعل فان كل واحد من قيام الليل ومن العبادة التى تحدث فيه ثقيلان على العابد من قيام النهار والعبادة فيه فمعنى اشد وطئا اثقل واغلظ على المصلى من صلاة النهار فيكون افضل يعنى آن سخترست ازجهت رنج وكلفت چه ترك خواب وراحت برنفس بغايت شاق است ويحتمل ان يكون المراد بناشئة الليل ساعاته فانها تحدث واحدة بعد واحدة اى ساعات الليل الناشئة اى الحادثة شيأ بعد شئ فتكون الناشئة صفة ساعات الليل فتكون اشد وطئا اى بملاحظة القيام فيها من ساعات النهار لكن ابن عباس رضى الله عنهما قيد الناشئة بما كان بعد العشاء فما كان قبلها فليس بناشئة وخصصتها عائشة رضى الله عنها بما كان بعد النوم فلولم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة وفى قوت القلوب ان يصلى بين العشاءين ماتيسر الى ان يغيب الشفق الثانى وهو البياض الذى يكون بعد ذهاب الحمرة وقيل غسق الليل وظلمته لانه آخر مايبقى من شعاع الشمس فى القطر الغربى اذاقطعت الارض العليا ودارت من وراء جبل قاف مصعدة تطلب المشرق فهذا الوقت هو المستحب لصلاة العشاء الآخرة وهوآخر الورد الاول من اوراد الليل والصلاة فيه ناشئة الليل اى ساعته لانها اول نشوء ساعاته وقرأ ابن عامر وابو عمرو وطاء بالكسر والمد من المواطأة بمعنى الموافقة فان فسرت الناشئة بالنفس الناشئة كان المعنى انها اشد من جهة موافقة القلب الكائن لها لسانها وان فسرت بالقيام اوالعبادة والساعات كان المعنى انها اشد من جهة موافقة قلب القائم لسانه فيها اومن جهة كونها موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن رحمه الله اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق (ان لك فى النهار سبحا طويلا) اى تقلبا وتصرفا فى مهماتك كتردد السابح فى الماء

واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها فى الليل وهذا بيان للداعى الخارجى الى قيام الليل بعد بيان ما فى نفسه من الداعى قال الراغب السبح المر السريع فى الماء اوفى الهوآء استعير لمر النجوم فى الفلك كقوله تعالى وكل فى فلك يسبحون ولجرى الفرس كقوله تعالى فالسابحات سبحا ولسرعة الذهاب فى العمل كقوله تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا وفى تاج المصادر السبح تصرف كردن در معيشت وفى بعض التفاسير قيل السباحة لما فيهما من التقلب باليد والرجل فى الماء وقيل معنى الآية انفاتك من الليل شئ فلك فى النهار فراغ تقدر على تداركه فيه حتى لا ينقص شئ من حظك من المناجاة لربك ويناسبه قوله عليه السلام من نام عن حزبه اوعن شئ منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كانما قرأه من الليل ومن اقوال المشايخ ان المريد الصادق اذا فاته ورد من اوراده يليق به ان يقضيه ولو بعد شهر حتى لا تتعود النفس بالكسل فالورد من الشؤون الواردة عن الرسول عليه السلام واخيار امته ومن لا ورد له لا وارد له اى وارد خاص بالخواص وفى قوت القلوب من فاته ورد من الاوراد استحب له فعل مثله متى ذكره لا على وجه القضاء لانه لا تقضى الا الفرآئض ولكن على سبيل التدارك ورياضة النفس بذلك ليأخذ بالعزآئم كيلا يعتاد الرخص (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اى وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقرآءة قرآن ودراسة علم خصوصا بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس فانهما من ساعات الفتح والفيض وذكر الله على الدوام من وظائف المقربين سوآء كان قلبا اولسانا اوار كانا وسوآء كان قياما اوقعودا اوعلى الجنوب وبالفارسية وياد كن پروردكار خودرا وباسماء حسنى اوراىخوان قال عليه السلام من احصاها اى حصلها دخل الجنة فالمراد من ذكر اسمه ذكره تعالى بواسطة ذكر اسمه ولذا قال تعالى واذكر ربك اذا نسيت فالذكر والنسيان فى الحقيقة كلاهما من صفات القلب وعند تجلى المذكور يفنى الذكر والذاكر كما قال شيخى وسندى روح الله روحه فى شرح تفسير الفاتحة للقنوى قدس سره من اشتغل من الاسماء المجازية بما يسر الله الاشتغال به وداوم عليه فلا ريب انه يحصل بينه وبين سر هذا الاسم المشتغل به وروحه بعناية الله وفضله مناسبة ما بقدر الاشتغال ومتى قويت تلك المناسبة بينهما وكملت بحسب قوة الاشتغال وكماله يحصل بينه وبين مدلوله من الاسماء الحقيقية بواسطة هذه المناسبة الحاصلة مناسبة بقدرها قوة وكمالا ومتى بلغت الى حد الكمال ايضا هذه المناسبة الثانية الحاصلة بينه وبين هذا الاسم الحقيقى بجود الحق سبحانه وعطائه يحصل بينه وبين مسماه الحق تعالى مناسبة بمقدار المناسبة الثانية من جهة القوة والكمال لان العبد بسبب هذه المناسبة يغلب قدسه على دنسه ويصير مناسبا لعالم القدس بقدر ارتفاع حكم الدنس فحينئذ يتجلى الحق سبحانه له من مرتبة ذلك الاسم بحسبها وبقدر استعداده ويفيض عليه ما شاء من العلوم والمعارف والاسرار الالهية والكونية امامن الوجه العام وطريق سلسلة ترتيب المراتب والحضرات وغيرها من الوسائط والاسباب والادوات والمواد المعنوية والصورية واما من الوجه الخاص بدون الوسائل والاغيار اومنهما معا بجمع الوجهين اما هذا او ذاك لا غيرهما غيرنسبة الجمع بينهما وقال بعضهم فى الآية اذا أردت قرآءة القرآن اوالصلاة فقل بسم الله الرحمن الرحيم وقال القاشانى واذكر اسم ربك الذى هو انت اى اعرف نفسك واذكرها ولا تنسها فينساك الله واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها (وتبتل اليه تبتيلا) التبتل الانقطاع والتبتيل دل ازدنيا بريدن والمعنى وانقطع الى ربك انقطاعا تاما بالعبادة واخلاص النية والتوجه الكلى كما قال تعالى قل الله ثم ذرهم وبالفارسية يعنى نفس خودرا ازانديشهٔ ماسوى الله مجرد سازواز همكى روى بردار * دل درو بند واز غيرش بكسل * هرچه جزاوست برون كن ازدل * وليس هذا منافيا لقوله عليه السلام لا رهبانية ولا تبتل فى الاسلام فان التبتل هنا هو الانقطاع عن النكاح ومنه قيل لمريم العذراء رضى الله عنها البتول اى المنقطعة عن الرجال والانقطاع عن النكاح والرغبة عنه لقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وقوله عليه السلام تناكحوا تكثروا فانى اباهى بكم الامم يوم القيامة واما اطلاق البتول على فاطمة الزهرآء رضى الله عنها فلكونها شبيهة بسيدة نساء بنى اسرآئيل فى الانقطاع عما سوى الله لا عن النكاح وقيل تبتيلا مكان تبتلا لان معنى تبتل بتل نفسه فجيئ به على معناه مراعاة لحق الفواصل لان حظ القرآن من حسن النظم والرصف فوق كل حظ وقال بعضهم لما لم يكن الانقطاع الكلى الا بتجريد النبى عليه السلام نفسه عن العوآئق الصادة عن مراقبة الله وقطع العلائق عما سواه

قيل تبتيلا مكان تبتلا فيكو ن النظم من قبيل الاحتباك كما فى قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا على وجه وهو ان التقدير انبتكم منها انباتا فنبتم نباتا وكذا التقدير ههنا اى تبتل اليه تبتلا يبتلك عما سواه تبتيلا والانسب يبتلك ربك تبتيلا فان التبتيل فعل الله فلا يحصل للعبد الا بمعاونته وفى التأويلات النجمية واذكر اسم ربك بفناء صفاتك وافعالك وتبتل اليه تبتيلا بفناء ذاتك وبقاء ذاته ثم ان التبتل يكون من الدنيا اما ظاهرا فقط فهو مذموم كبعض الحفاة العراة الذين اظهروا الفقر فى ظواهرهم وابطنوا الحرص فى ضمائرهم واما باطنا فقط وهو ممدوح كالاغنياء من الانبياء والاولياء عليهم السلام فانهم انقطعوا عن الدنيا باطنا اذ ليس فيهم حب الدنيا أصلا وانما لم ينقطعوا ظاهرا لان ارادتهم تابعة لارادة الله والله تعالى اراد ملكهم ودولتهم كسليمان ويوسف وداود وايوب واسكندر وغيرهم عليهم السلام واما ظاهرا وباطنا كاكثر الانبياء والاولياء وقد يكون التبتل من الخلق اما ظاهرا فقط كتبتل بعض المتعبدة فى قلل الجبال واجواف المغارات لجذب القلوب وجلب الهدايا واما باطنا لا ظاهرا كاهل الارشاد وهم عامة الانبياء وبعض الاولياء اذلابد فى ارشاد الخلق من مخالطتهم واما ظاهرا وباطنا كبعض الاولياء الذين اختاروا العزلة وسكنوا فى المواضع الخالية عن الناس قال بعضهم السلوك الى الله تعالى يكون بالتبتل ومعناه الاقبال على الله بملازمة الذكر والاعراض عن غيره بمخالفة الهوى وهذا هو السفر بالحركة المعنوية من جانب المسافر الى جانب المسافر اليه وان كان الله اقرب الى العبد من حبل الوريد فان مثال الطالب والمطلوب مثال صورة حاضرة مع مرءآت لكن لا تتجلى فيها لصدأ فى وجهها فتى صقلتها تجلت فيها الصورة لا بارتحال الصورة اليها ولا بحركتها الى جانب الصورة ولكن بزوال الحجاب فالحجاب فى عين العبد والا فالله متجل بنور غير خفى على اهل البصيرة وان كان فرق بين تجلى وتجلى بحسب المحل ولذا قال عليه السلام ان الله يتجلى للناس عامة ولأبى بكر خاصة فتجلى العامة كتجلى صورة واحدة فى مرائى كثيرة فى حالة واحدة وتجلى الخاصة كتجلى صورة واحدة فى مرآة واحدة واليه الاشارة بقوله عليه السلام لى مع الله وقت اذلا يخفى ان التجلى فى ذلك الوقت مخصوص به عليه السلام لايزاحمه غيره فيه يقول الفقير ان فى هذا المقام اشكالا وهو انه عليه السلام اذا كان مستغرق الاوقات فى الذكر دائم الانقطاع الى الله على ما افاده الآيتان فكيف يأتى له السبح فى النهار على ما افصح عنه قوله تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا ولعل جوابه من وجوه الاول ان الامر بالذكر الدائم والانقطاع الكلى من باب الترقى من الرخصة الى العزيمة كما يقتضيه شأن الاكامل والثانى ان السبح فى النهار ليس من قبيل الواجب فله ان يختار التوكل على التقلب ويكون مستوعب الاوقات بالذكر والثالث ان الشغل الظاهر لا يقطع الكمل عن مراقبته تعالى كما قال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون والرابع ان ذلك بحسب اختلاف الاحوال والاشخاص فمن مشتغل ومن ذاكر والله اعلم بالمرام (رب المشرق والمغرب) مرفوع على المدح اى هو ربهما وخالقهما ومالكهما ومابينهما من كل شئ قال فى كشف الاسرار يريد به جنس المشارق والمغارب فى الشتاء والصيف (لا اله الا هو) استئناف لبيان ربوبيته بنفى الالوهية عما سواه يعنى هيچ معبودى نيست سزاوار عبادت مگراو (فاتخذه) لمصالح دينك ودنياك والفاء لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى (وكيلا) موكولا ومفوضا اليه لاصلاحها واتمامها واسترح انت وفى التأويلات النجمية رب مشرق الذات المطلقة عن حجب تعينات الاسماء والصفات ورب مغرب الصفات والاسماء لاستتاره باستتار حجب الصفات وهى حجب الذات وهو المتعين فى جميع الموجودات فلا اله الا هو فاتخذه وكيلا اى جرد نفسك عنك وعن وجودك المجازى واتخذ وجوده الحقيقى مقام وجودك المجازى وامش جانبك هذا مثل ما قال المريد لشيخه اريد ان احج على التجريد فقال له شيخه جرد نفسك ثم سر حيث شئت قال الامام القشيرى رحمه الله ان الله هو المتولى لاحوال عباده يبصرهم على ما يشاء ويختار واذا تولى امر عبد بجميل العناية كفاه كل شغل واغناه عن كل غير فلا يستكثر العبد حوائجه لعلمه ان مولاه كافيه ولهذا قيل من علامات التوحيد كثرة العيال على بساط التوكل (حكى) عن ممشاد الدينورى رحمه الله انه قال كان على دين فاهتممت به فى بعض الليالى وضاق صدرى فرأيت كأن قائلا يقول لى اخذت هذا المقدار عليك الاخذ وعلينا العطاء ثم انتبهت ففتح لى ما قضيت به الدين ثم لم احاسب بعد ذلك قصابا ولا بقالا

ثم قال القشيري اعلم ان من جعل المخلوق وكيلا له فانه يسأله الاجر وقد يخونه في ماله وقد يخطئ في تصرفه او يخفى عنه الاصوب والارشد لصاحبه ومن رضي بالله وكيلا اعطاه الاجر وحقق آماله واثنى على العبد ولطف به في دقائق احواله بما لا يهتدي اليه آماله بتفاصيل سؤاله ومن جعل الله وكيلا لزمه ايضا ان يكون وكيلا لله على نفسه في استحقاق حقوقه وفرائضه وكل ما يلزمه فيخاصم نفسه في ذلك ليلا ونهارا لا يفتر لحظة ولا يقصر طرفة قال الزروقي رحمه الله خاصية الاسم الوكيل نفي الحوائج والمصائب فمن خاف ريحا او صاعقة او نحوهما فليكثر منه فانه يصرف عنه السوء ويفتح له ابواب الخير والرزق (واصبر على ما يقولون) يعني قريشا من الاخير فيه من الخرافات والهذيانات في حق الله من الشريك والصاحبة والولد وفي حقك من الساحر والشاعر والكاهن والمجنون وفي حق القرآن من انه اساطير الاولين ونحو ذلك (واهجرهم هجرا جميلا) تأكيدا للامر بالصبر اي واتركهم تركا حسنا بان تجانبهم بقلبك وهواك وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امورهم الى ربهم كما اعرب عنه ما بعد الآية قال الراغب الهجر والهجران مفارقة الانسان غيره اما بالبدن او باللسان او بالقلب وقوله تعالى واهجرهم هجرا جميلا يحتمل للثلاثة ويدعو الى تحريها ما امكن مع تحري المجاملة قال الحكماء تسلح على الاعداء بحسن المداراة حتى تبصر فرصة * آسايش دو گيتي تفسير اين دو حرفست * با دوستان تلطف با دشمنان مدارا (وذرني والمكذبين) اي دعني واياهم وكل امرهم الى فاني اكفيكهم وقد سبق في ن والقلم وقال بعضهم يجوز نصب المكذبين على المعية اي دعني معهم وهو ظاهر ويجوز على العطف اي دعني على امري مما تقتضيه الحكمة ودع المكذبين بك وبالقرآن وهو اوفق للصناعة لان النصب انما يكون نصا في الدلالة على المصاحبة اذا كان الفعل لازما وهنا الفعل متعد (اولي النعمة) ارباب التنعم وبالفارسية خداوندان نازونعمت آساني صفة للمكذبين وهم صناديد قريش وكانوا اهل ترفة وتنعم لاسيما بني المغيرة والنعمة بفتح النون التنعم وبكسرها الانعام وما انعم به عليك وبالضم السرور والتنعم استعمال ما فيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات وفي تاج المصادر التنعم بناز زيستن وفيه اشارة الى ان متعلق الذم ليس نفس النعمة والرزق بل التنعم بهما كما قال عليه السلام لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه الى اليمن واياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين وفيه تسلية للفقراء فانهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام (ومهلهم) التمهيل زمان دادن والمهل التؤدة والسكون يقال مهل في فعله وعمل في مهلة (قليلا) اي زمانا قليلا واجلهم اجلا يسيرا ولا تعجل فان الله سيعذبهم في الآخرة اذ عمر الدنيا قليل وكل آت قريب ويدل على هذا المعنى ما بعد الآية من بيان عذاب الآخرة وقال الطبري كان بين نزول هذه الآية ووقعة بدر زمان يسير ولذا قيل انها مدنية (ان لدينا) في الآخرة وفيما هيأناه للعصاة من آلات العذاب واسبابه وهو اولى من قول بعضهم في علمنا وتقديرنا لان المقام مقام تهديد العصاة فوجود آلات العذاب بالفعل اشد تأثيرا على ان تلك الآلات صور الاعمال القبيحة ولا شك ان معاصري النبي عليه السلام من الكفار قد قدموا تلك الآلات بما فعلوا من السيئات (انكالا) قيودا ثقالا يقيد بها ارجل المجرمين اهانة لهم وتعذيبا لا خوفا من فرارهم جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر من حيث ان تعداد ما عنده من اسباب التعذيب الشديد في حكم بيان اقتداره على الانتقام منهم فهم يتنعمون في الدنيا ولا يبالون وعند الله العزيز المنتقم في الآخرة امور مضادة لتنعمهم (وجحيما) وبالفارسية وآتشي عظيم وهي كل نار عظيمة في مهواة وفي الكشاف هي النار الشديدة الحر والاتقاد (وطعاما ذا غصة) هو ما ينشب في الحلق ويعلق من عظم وغيره فلا ينساغ اي طعاما غير سائغ يأخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج كالضريع والزقوم وهما في الدنيا من النباتات والاشجار سمان قاتلان للحيوان الذي يأكلهما مستكرهان عند الناس فاظنك بضريع جهنم وزقومها وهو في مقابلة الهنيء والمريء لاهل الجنة وابتلوا بهما لانهم اكلوا نعمة الله وكفروا بها (وعذابا اليما) ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كما يدل عليه التنكير كل ذلك معد لهم ومرصد فالمراد بالعذاب سائر انواع العذاب جاء في التفسير انه لما نزلت هذه الآية خر النبي عليه السلام مغشيا عليه وعن الحسن البصري قدس سره انه امسى صائما فأتي بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك

الثالثة فاخبر ثابت البنانى و يزيد الضبى و يحى البكاء فجاؤا فلم يزالوا حتى شرب شربة من سويق اعلم ان اصناف العذاب الروحانى فى الآخرة ثلاثة خرقة فرقة المشتهيات وخزى خجلة الفاضحات وحسرة فوت المحبوبات ثم ينتهى الامر الى مقاساة النار الجسمانية الحسية والخزى الذل والحقارة والخجلة التحير من الحياء والفضح الكاشف عيب المجرم (يوم ترجف الارض والجبال) ظرف للاستقرار الذى تعلق به لدنيا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة اى تضطرب وتتزلزل بهيبة الله وجلاله ليكون علامة لمجيئ القيامة وامارة لجريان حكم الله فى مؤاخذة العاصين افرد الجبال بالذكر مع كونها من الارض لكونها اجساما عظاما اوتادا لها فاذا تزلزلت الاوتاد لم يبق للارض قرار وايضا ان زلزلة العلويات اظهر من زلزلة السفليات ومن زلزلتها تبلغ القلوب الحناجر خوفا من الوقوع (وكانت الجبال) من شدة الرجفة مع صلابتها وارتفاعها (كثيبا) فى القاموس الكثيب التل من الرمل انتهى من كثب الشئ اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول فى اصله ثم صار اسما بالغلبة للرمل المجمع (مهيلا) اى كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا اى نثروا سيل بحيث لوحرك من اسفله انهال من اعلاه وسال لتفرق اجزآئه كالعهن المنفوش ومثل هذا الرمل يمر تحت الرجل ولا يتماسك فكونه متفرق الاجزآء منثورا سائلا لاينافى كونه رملا مجتمعا (وبالفارسية كوهها سخت چون ريك روان شد ازهيبت آن روز) فقوله مهيلا اسم مفعول من هال يهيل واصله مهيول كمبيع من باع لا فعيل من مهل يمهل وخص الجبال بالتشبيه بالكثيب المهيل لان ذلك خاصة لها فان الارض تكون مقررة فى مكانها بعد الرجفة دل عليه قوله تعالى و يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولاامتا والحاصل ان الارض والجبال يدق بعضها ببعض كما قال تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فترجع الجبال كثيبا مهيلا ثم ينسفها الريح فتصير هباء منبثا وتبقى الارض مكانها ثم تبدل كما مر وفى التأويلات النجمية يوم ترجف ارض البشرية وجبال الانانية وكانت جبال الانانية كل واحد رملا منثورا متفتتا شبه التعينات الاعتبارية الموهومة بالرمل لسرعة زوالها وانتشارها (انا ارسلنا اليكم) يااهل مكة شروع فى التخويف باهوال الدنيا بعد تخويفهم باهوال الآخرة (رسولا) هو محمد عليه السلام وكونه مرسلا اليهم لاينافى ارساله الى من عداهم فان مكة ام القرى فمن ارسل الى اهل مكة فقد ارسل الى اهل الدنيا جميعا ولذا نص الله تعالى عليه بقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ليندفع اوهام اهل الوهم (شاهدا عليكم) يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان وكذا يشهد على غيركم كما قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (كما ارسلنا الى فرعون رسولا) هو موسى عليه السلام لان هرون عليه السلام ردءله وتابع وعدم تعيينه لعدم دخله فى التشبيه وتخصيص فرعون لانه من رؤساء اولى النعمة المترفهين المتكبرين فبينه وبين قريش جهة جامعة ومشابهة حال ومناسبة سريرة (فعصى فرعون الرسول) اى فعصى فرعون المعلوم حاله كبرا وتنعما الرسول الذى أرسلناه اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اى انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه بأن جحد رسالته ولم يؤمن به وفى اعادة فرعون والرسول مظهرين تفظيع لشأن عصيانه وان ذلك لكونه عصيان الرسول لالكونه عصيان موسى وفى ترك ذكر ملأ فرعون اشارة الى ان كل واحد منهم كانه فرعون فى نفسه لتمرده (فأخذناه) بسبب عصيانه (اخذا وبيلا) ثقيلا لايطاق يعنى بآتش غرق كرديم وازوراه آب بآتش برديم والوبيل الثقيل الغليظ ومنه الوابل للمطر العظيم والكلام خارج عن التشبيه جيئ به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ماحاق بأولئك لامحالة (فكيف تتقون) قال ابن الشيخ مرتب على الارسال فالعصيان وكان الظاهر ان يقدم على قوله كما ارسلنا الا انه آخر زيادة فى التهويل اذعلم من قوله فاخذناه انهم مأخوذون مثله واشد فاذا قيل بعده فكيف تتقون كان ذلك زيادة على زيادة كانه قيل هبوا انكم لاتؤخذون فى الدنيا اخذة فرعون وامثاله فكيف تتقون اى تقون انفسكم فاتقى ههنا مأخوذ بمعنى وقى المتعدى الى مفعولين دل عليه قول الامام البيهقى رحمه الله فى تاج المصادر الاتقاء حذر كردن وحودر انكاه داشتن انتهى وافتعل يجيئ بمعنى فعل نص عليه الزمخشرى فى المفصل وان كانت الامثلة لاتساعده فانه لبس وقى واتقى مثل جذب واجتذب وخطف واختطف فتأمل (ان كفرتم) اى بقيتم على الكفر (يوما) اى عذاب يوم فهو مفعول به لتتقون ويجوز ان يكون

ظرفا اى فكيف لكم بالتقوى والتوحيد فى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا اى لاسبيل اليه لفوات وقته فانى على حاله وكذا اذا انتصب بكفرتم على تأويل جحدتم اى فكيف تتقون الله وتخشون عقابه ان جحدتم يوم القيامة والجزآء (يجعل الولدان) من شدة هوله وفظاعة مافيه من الدواهى وهو صفة ليوما نسب الجعل الى اليوم للمبالغة فى شدته والافنفس اليوم لاتأثير له البتة والولدان بالفارسية نوزاد كان ازمادر جمع وليد يقال لمن قرب عهده بالولادة وان كان فى الاصل يصح اطلاقه على من قرب عهده بها اومن بعد (شيبا) شيوخا يعنى پير كند وموى سرايشان سفيد سازد جمع اشيب والشيب بياض الشعر واصله ان يكون بضم الشين كحمر فى جمع احمر لان الضم يقتضى الواو فكسرت لاجل صيانة الياء فرقا بين مثل سود وبين مثل بيض وجعلهم شيوخا فيه وجوه * الاول انه محمول على الحقيقة كما ذهب اليه بعض اهل التفسير ويؤيده ماقال فى الكشاف وقد مربى فى بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحلك الغراب اى سواده واصبح وهو ابيض الرأس واللحية كالثغامة بياضا وهو بفتح الثاء المثلثة وبالغين المعجمة نبت ابيض قال اريت القيامة والجنة والنار ورأيت الناس يقادون فى السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون وقال احمد الدورقى مات رجل من جيراننا شابا فرأيته فى الليل وقد شاب فقلت وما قصتك قال دفن بشر فى مقبرتنا فزفرت جهنم زفرة شاب منها كل من فى المقبرة كما فى فصل الخطاب وبشر المريسى ومريس قرية بمصر اخذ الفقه عن ابى يوسف القاضى الا انه اشتغل بالكلام وقال بخلق القرآن واضل خلقا كثيرا ببغداد فان قلت ايصال الالم والضرر الى الصبيان يوم القيامة غير جائز بل هم لكونهم غير مكلفين معصومون محفوظون عن كل خطر قلت قد يكون فى القيامة من هيبة المقام مايجثو به الانبياء عليهم السلام على الركب فظنك بغيرهم من الاولياء والشيوخ والشبان والصبيان وفى الآية مبالغة وهى انه اذا كان ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا وهم ابعد الناس من الشيخوخة لقرب عهد ولادتهم فغيرهم اولى بذلك وكذا فى القصة السابقة فان من شاب بمجرد الرؤيا فكيف حاله فى اليقظة وهو معاين من الاهوال مايذوب تحته الجبال الرواسى * والثانى انه محمول على التمثيل بان شبه اليوم فى شدة هوله بالزمان الذى يشيب الشبان لكثرة همومه واهواله واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب لان كثرة الهموم توجب انحصار الروح الى داخل القلب وذلك الانحصار يوجب انطفاء الحرارة الغريزية وضعفها وانطفاؤها يوجب بقاء الاجزآء الغذآئية غير تامة النضج وذلك يوجب بياض الشعر ومسارعة الشيب بتقدير العزيز الحكيم كما يوجب تغير القلب تغير البشرة فتحصل الصفرة من الوجل والحمرة من الخجل والسواد من بعض الآلام وماعلى البدن من الشعر تابع للبدن فتغيره يوجب تغيره فثبت ان كثرة الهموم توجب مسارعة الشيب كما قيل

دهتنا امور تشيب الوليد * ويخذل فيها الصديق الصديق

فلما كان حصول الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوه كناية عن الشدة فجعل اليوم المذكور الولدان شيبا عبارة عن كونه يوما شديدا غاية الشدة وفى الحديث (يقول الله) اى فى يوم القيامة (ياآدم) خص آدم عليه السلام بهذا الخطاب لانه اصل الجميع (فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك فيقول اخرج بعث النار) اى ميز اهلها المبعوث اليها (قال ومابعث النار) اى عدده (قال الله تعالى من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون قال) اى النبى عليه السلام (فذلك) التقاول (حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها) قال ابن الملك اعلم ان الشيب والوضع ليسا على ظاهرهما اذ ليس فى ذلك اليوم حبل ولاصغير بل هما كنايتان عن شدة اهوال يوم القيامة معناه لوتصورت الحوامل والصغار هنالك لوضعن احمالهن ولشاب الصغار انتهى * وفى بيانه نظر سنأتى الاشارة اليه فى الوجه الثالث (وترى الناس سكارى) اى من الخوف (وماهم بسكارى) اى من الخمر (ولكن عذاب الله شديد) * والثالث انه محمول على الفرض والتقدير بان يكون معناه ان ذلك اليوم بحال لوكان هناك صبى لشاب رأسه من الهيبة والدهشة وهذا الوجه غير موجه وان ذهب اليه بعض من يعد من اجلة اهل التفسير اذ هو يشعر بان يوم القيامة لايكون فيه ولدان حقيقة وقد ثبت انه يبعث يومئذ ولدان كثيرة ماتوا فى الصغر وكذا من المقرر ان الحبلى تبعث حبلى ففى ذلك اليوم حبل وصغير نعم اذا دخلوا الجنة صاروا ابناء ثلاث وثلاثين * والرابع انه يجوز ذلك وصفا لليوم بالطول يعنى على الكناية بانه فى طوله بحيث يبلغ الاطفال فيه اوان الشيخوخة والشيب وهو لاينقضى بعد بل يمتد الى حيث يكون مقداره خمسين الف سنة فهو كناية عن غاية الطول لانه تقدير حقيقى يعنى

ان هذا على عادة العرب فى التعبير عن الطول على سبيل التمثيل كما يعبرون عن التأبيد وعدم الانقطاع بقولهم ماناحت حمامة ومالاح كوكب وماتعاقبت الايام والشهور وفى الآية اشارة الى النفس والهوى و بعد نفوسهم من الله فى يوم قيامة الفناء الذى يجعل ولدان اعمالهم السيئة القبيحة الخبيثة الخسيسة شيبا منهدمة متفانية (السماء) مبتدأ خبره قوله (منفطر به) اى منشق بسبب ذلك اليوم لان الله تعالى مسبب الاسباب فيجوز ان يجعل شدة ذلك اليوم سببا للانفطار * ذكر الله من هول ذلك اليوم امرين الاول قوله تعالى يجعل الولدان شيبا والثانى قوله السماء منفطر به لان السماء على عظمتها وقوتها اذا انشقت بسبب ذلك اليوم فما ظنك بغيرها من الخلائق فالباء للسببية وهو الظاهر وتذكير الخبر لاجرائه على موصوف مذكر اى شىء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشىء وفى القاموس السماء معروف و يذكر و يجوز ان يكون الباء بمعنى فى واليه ذهب المكى فى قوت القلوب حيث قال حروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض وهذا مثال قوله تعالى السماء منفطر به اى فيه يعنى فى ذلك اليوم وقيل الباء للآلة والاستعانة مثلها فى فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعنى ان السماء ينفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشىء بما يفطر به قال بعضهم اتخاذ الآلة والاستعانة لا يليق بجناب الله تعالى ولا يناسب ذات السماء ايضا (كان وعده مفعولا) الضمير لله وان لم يجر له ذكر للعلم به والمصدر مضاف الى فاعله اى كان وعده تعالى اى يكون يوم القيامة على ما وصف من الشدائد كائنا متحققا لانه لا يخلف الميعاد فلا يجوز لعاقل ان يرتاب فيه الضمير لليوم والمصدر مضاف الى مفعوله والفاعل وهو الله مقدر قال فى الصحاح الوعد يستعمل فى الخير والشر فاذا اسقطوا الخير والشر قالوا فى الخير الوعد والعدة وفى الشر الايعاد والوعيد (ان هذه) اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة وهى من قوله ان لدينا انكالا الى هنا (تذكرة) موعظة لمن يريد الخير لنفسه والاستعداد لربه و بالفارسية پندى وعبرتيست قيل القرآن موعظة للمتقين وطريق للسالكين ونجاة للهالكين و بيان للمستبصرين وشفاء للمتحيرين وامان للخائفين وانس للمريدين ونور لقلوب العارفين وهدى لمن أراد الطريق الى رب العالمين (فمن شاء) من المكلفين يعنى پس هركه خواهد ازمكلفان (اتخذ الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ومقام قربه (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل) اى اقل منهما فاطلاق الادنى على الاقل مجاز مرسل من قبيل اطلاق الملزوم على اللازم لما ان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز والحدود واذا بعدت كثر ذلك روى انه تعالى افترض قيام الليل فى اول هذه السورة فقام النبى عليه السلام واصحابه حولا مع مشقة عظيمة من حيث انه يعسر عليهم تمييز القدر الواجب حتى قام اكثر الصحابة الليل كله خوفا من الخطأ فى اصابة المقدار المفروض وصاروا بحيث انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وامسك الله خاتمة السورة من قوله ان ربك الخ اثنى عشر شهرا فى السماء حتى انزل الله فى آخر سورة التخفيف فنسخ تقدير القيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فرضية اصل التهجد حسبما تيسر ثم نسخ نفس الوجوب ايضا بالصلوات الخمس لما روى ان الزيادة على الصلوات الخمس زيادة (ونصفه وثلثه) بالنصب عطفا على ادنى والثلث احد اجزاء الثلاثة والجمع اثلاث اى انك تقوم اقل من ثلثى الليل وتقوم من نصفه وثلثه (وطائفة من الذين معك) مرفوع معطوف على الضمير فى تقوم وجاز ذلك للفصل بينهما اى و يقوم معك طائفة من اصحابك ومن تبعيضية فلا دلالة فيه على ان قيام الليل لم يكن فرضا على الجميع وحاصل المعنى يتابعك طائفة فى قيام الليل وهم اصحابك وفيه وعد لهم بالاحسان اليهم كما تقول لاحد اذا اردت الوعد له انا اعلم ما فعلت لى وفى قوت القلوب قد قرن الله تعالى قوام الليل برسوله المصطفى عليه السلام وجمعهم معه فى شكر المعاملة وحسن الجزاء وفى التأويلات النجمية يشير الى انسلاخ رسول القلب عن ليل طبيعته فى اكثر الاوقات بالتوجه الى الله والاعراض عن النفس الا فى اوقات قلائل وذلك لحكمة مقتضية للحجاب فان الحجاب رحمة كما قيل لولا الحجاب ما عرف الاله وطائفة من الذين مع رسول القلب من القوى الروحانية والاعضاء والجوارح (والله يقدر الليل والنهار) وحده لا يقدر على تقديرهما ومعرفة مقادير ساعاتهما واوقاتهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ و بناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا والتقدير بالفارسية اندازه كردن يعنى وخداى تعالى اندازه ميكند شب وروز را وميداند مقادير ساعات آن قال الراغب التقدير تبيين كمية الشىء وقوله تعالى والله الخ اشارة الى ما اجرى من تكوير الليل

على النهار وتكوير النهار على الليل اى ادخال هذا فى هذا اوان ليس احد يمكنه معرفة ساعاتهما وتوفية حق العبادة منهما فى وقت معلوم والحاصل ان العالم بمقادير ساعات الليل والنهار على حقائقها هو الله وانتم تعلمون ذلك بالتحرى والاجتهاد الذى يقع فيه الخطأ فربما يقع منكم الخطأ فى اصابتها فتقومون اقل من المقادير المذكورة ولذا قال (علم) الله (ان) اى ان الشان (لن تحصوه) لن تقدروا على تقدير الاوقات على حقائقها ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فالضمير عائد الى المصدر المفهوم من يقدر قال فى تاج المصادر الاحصاء دانستن وشمردن برسبيل استقصا وتوانستن قال الراغب الاحصاء التحصيل بالعدد وروى استقيموا ولن تحصوا اى لن تحصلوا ذلك لان الحق واحد والباطل كثير بل الحق بالاضافة الى الباطل كالنقطة بالاضافة الى سائر اجزاء الدائرة وكالمرمى من الهدف واصابة ذلك شديدة واحتج بعضهم بهذه الآية على وقوع تكليف مالا يطاق فانه تعالى قال ان تحصوه اى لن تطيقوه ثم انه كلفهم بتقدير الساعات والقيام فيها حيث قال قم الليل الخ ويمكن ان يجاب عنه بان المراد صعوبته لانهم لايقدرون عليه اصلا كما يقال لااطيق ان انظر الى فلان اذا استثقل النظر اليه وفى التأويلات النجمية يعنى السلوك من ليل الطبيعة الى نهار الحقيقة بتقدير الله لابتقدير السالك علم ان لن تقدروا على مدة ذلك السلوك بالوصول الى الله اذالوصول مترتب على فضل الله ورحمته لاعلى سلوككم وسيركم فكم من سالك انقطع فى الطريق ورجع القهقرى ولم يصل كما قيل ليس كل من سلك وصل ولا كل من وصل اتصل ولا كل من اتصل انفصل (فتاب عليكم) بالترخيص على ترك القيام المقدر ورفع التبعة عن التائب ثم استعمل لفظ المشبه به فى المشبه ثم اشتق منه فتاب اى فرخص والتبعة مايترتب على الشئ من المضرة (فاقرأوا ماتيسر من القرآن) اى فصلوا ماتيسر لكم من صلاة الليل غير مقدرة بكونها فى ثلث الليل اونحوه ولو قدر حلب شاة فهذا يكون اربع ركعات وقد يكون ركعتين عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها على طريق اطلاق اسم الجزء على الكل مجازا مرسلا فتبين ان التهجد كان واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ بهذه الآية ثم نسخ نفس الوجوب المفهوم منها بالصلوات الخمس على ماسبق وفيه تفضيل صلاة الليل على سائر التطوعات فان التطوع بما كان فرضا فى وقت ثم نسخ افضل من التطوع بما لم يكن فرضا اصلا كما قالوا صوم يوم عاشوراء افضل لكونه فرض قبل فرضية رمضان وفى الحديث ليصل احدكم من الليل ماتيسر فاذا غلب عليه النوم فليرقد وقد كان ابن عباس رضى الله عنهما يكره النوم قاعدا وعنه عليه السلام عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم وهذا الحديث يدل على ان قيام الليل لم يكن فرضا على المتقدمين من الانبياء وامهم بل كان من شعار صلاحهم وعنه عليه السلام ان الله ليبغض كل جعظرى جواظ سخاب بالاسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بامر الدنيا جاهل بامر الآخرة والجعظرى لفظ الغليظ والجواظ كشداد الضخم المختال والكثير الكلام والجزوع المتوع والمتكبر الجافى والسخاب من السخب وهو محركة شدة الصوت سخب كفرح فهو سخاب واقل الاستحباب من قيام الليل سدسه سواء كان متواليا او قام جزأ ثم نام نومة اخرى ثم قام قياما ثانيا لانه عليه السلام لم يقم ليلة قط حتى اصبح بل كان ينام فيها ولم ينم ليلة قط بل كان يقوم فيها وباى ورد احيى الليل فقد دخل فى اهل الليل ولهم فيهم نصيب ومن احيى اكثر ليلة او نصفها كتب له احياء ليلة جميعها ويتصدق عليه بمابقى منها كذا فى قوت القلوب وقيل المراد بالآية قراءة القرآن بعينها فتكون على حقيقتها فالمعنى ان شق عليكم القيام فقد رخص فى تركه فاقرأوا ماتيسر من القرآن من غير توقيت لصلاة فانه لايشق وتنالون بقراءته خارج الصلاة ثواب القيام فالامر للندب وفى الحديث من قرأ فى ليلة مائة آية لم يحاجه القرآن قال الطيبى فى قوله لم يحاجه القرآن ان قراءته لازمة لكل انسان واجبة عليه فاذا لم يقرأ يخاصمه الله ويغلبه بالحجة فاسناد المحاجة الى القرآن مجاز ويفهم من كلامه ان قراءته مقدار مائة آية فى كل ليلة واجبة بها يخلص من المحاجة وعنه عليه السلام من قرأ بالآيتين من سورة البقرة فى ليلة كفتاه والمراد آمن الرسول الخ يعنى اغنتاه عن قيام الليل او حفظتاه من كل شر وسوء وعنه عليه السلام ايعجز احدكم ان يقرأ فى ليلة ثلث القرآن قالوا وكيف يقرأ ثلث القرآن قال قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن ومن ذلك قالوا ان قراءة الاخلاص ثلاث مرات تقوم مقام ختمة واطول الآى افضلها لكثرة الحروف وان اقتصر على قصار الآى عند فتوره ادرك الفضل ان حصل العدد كذا فى قوت القلوب وفى التأويلات النجمية

فى اشارة الآية يعنى اجمعوا واحفظوا فى قلوبكم الصافية عن كدورات النفس والهوى مايظهر عليها لاستعدادكم من الحقائق والدقائق والعوارف والمعارف ولاتفشوها الى غير اهلها فينكروا عليكم فيرموكم بالكفر والزندقة والالحاد والاتحاد فان حقائقه ودقائقه من المكنونات الالهية (علم ان) اى ان الشأن (سيكون منكم مرضى) استئناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف ومرضى جمع مريض والمرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وفيه اشارة الى مرضى القلوب بحجب الانانية والاشتغال بحب الدنيا وشهواتها فانه لايظهر عليها من اسرار القرآن وحقائقه شئ * چنانچه شيخ سنائى كويد * عجب نبود كراز قرآن نصيبت نيست جز حرفى * كه ازخورشيد جزكرمى نيابد چشم نابينا * عروس حضرت قرآن نقاب آنكه براندازد * كه دار الملك ايمانرا مجرد بابداز غوغا (وآخرون) عطف على مرضى (يضربون فى الارض) صفة آخرون اى يسافرون فيها للتجارة من ضرب فى الارض سافر فيها ابتغاء الرزق قال الراغب الضرب فى الارض الذهاب فيها وهو بالارجل (يبتغون) الابتغاء جستن (من فضل الله) وهو الربح وفيه تصريح بما علم التزاما و بيان ان ماحصلوه من الرزق من فضل الله ومحل يبتغون حال من ضمير يضربون وقد عم ابتغاء الفضل تحصيل العلم فانه من افضل المكاسب وفيه ان معلم الخير وهو رسول الله عليه السلام كان حاضرا عندهم وقت نزول الآية فاين يذهبون الان يجعل آخر السورة مدنيا فقد كانوا يهاجرون من مكة الى المدينة لطلب العلم وايضا ان هذا بالنسبة الى خصوص الخطاب واما بالنسبة الى اهل القرن الثانى فبقاء الحكم يوقعهم فى الحرج وفى حديث ابى ذر رضى الله عنه انه قال حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة وافضل من شهود الف جنازة ومن عيادة الف مريض قيل ومن قرآءة القرآن قال وهل تنفع قرآءة القرآن بلا علم (وآخرون يقاتلون) الاعدآء (فى سبيل الله) عطف على مرضى ايضا و يقاتلون صفته وسبيل الله مايوصل الى الاجر عند الله كالجهاد وفيه تنبيه على انه سيؤذن لهم فى القتال مع الاعدآء سوى الله فى هذه الآية بين درجة المجاهدين فى سبيل الله والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان الى ذوى الحاجات حيث جمع بينهما فدل على ان التجارة بمنزلة الجهاد وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ايما رجل جلب شيأ من مدينة من مدآئن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء (فاقرأوا ماتيسر منه) اى واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعى الى الترخيص فاقرأوا ماتيسر من القرآن من غير تحمل المشاق فان قيل كيف ثقل قيام الليل على الاصحاب رضى الله عنهم وقد خف على كثير من التابعين حتى كانوا يقومون الى طلوع الفجر منهم الامام ابو حنيفة وسعيد بن المسيب وفضيل بن عياض وابو سليمان الدارانى ومالك بن دينار وعلى بن بكار وغيرهم حتى قال على بن بكار الشامى منذ اربعين سنة لم يحزنى شئ الاطلوع الفجر قلت الثقلة لم تكن فى قيامه بل فى محافظة القدر المفروض كما سبق على انه لابعد فى ان يثقل عليهم قبل التعذر بذلك ثم كان من امر بعضهم انه ختم القرآن فى ركعة واحدة كعثمان وتميم الدارى رضى الله عنهما (واقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة وقيل هى زكاة الفطر اذ لم يكن بمكة زكاة غيرها وانما وجبت بعدها ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا وذلك ان تجعلها من باب ما أخر حكمه عن نزوله ففيه دلالة على انه سينجز وعده لرسوله و يقيم دينه و يظهره حتى تفرض الزكاة وتؤدى (واقرضوا الله قرضا حسنا) وقرض دهيد خدايرا قرض نيكو والقرض ضرب من القطع وسمى مايدفع الى الانسان من المال بشرط رد بدله قرضا لانه مقروض مقطوع من ماله اريد به الانفاق فى سبيل الخيرات غير المفروض فانها كالفرض الذى لاخلف فى اداآئه وفيه حث على التطوع كما قال عليه السلام ان فى المال حقا سوى الزكاة على احسن وجه وهو اخراجها من اطيب الاموال واكثرها نفعا للفقرآء بحسن النية وصفاء البال الى احوج الصلحاء وجه هذا التفسير هو ان قوله وآتوا الزكاة امر بمجرد اعطائها على اى وجه كان وقوله واقرضوا الله قرضا حسنا ليس كذلك بل هو امر بالاعطاء المقيد بكونه حسنا وتسمية الانفاق لوجه الله اقراضا استعارة تشبيها له بالاقراض من حيث ان ماانفقه يعود عليه مع زيادة وقال بعضهم هو قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والنفقة فى سبيل الله كما قال عمر رضى الله عنه اوالنفقة على الاهل وفى الحديث ماطعم المسلم نفسه واهل بيته فهو له صدقة اى يؤجر عليه بحسن نيته ثم ههنا امر غامض وهو انه روى الامام الغزالى

رحمه الله عن القاضى الباقلانى ان ادعاء البرآءة من الغرض بالكلية كفر لان التنزه خاصة الهية لايتصور الاشراك فيها فاعلى مايقال ان العبد ليبلغ الى درجة يعمل مايعمل لالغرض بل لرضى الله اولامتثال امره فقط انما هو من الغفلة عن غرض خفى هل هو غرض جلى لكنه من ادعلى بقول الفقير هذا وارد على اهل الارادة واما اهل الفناء عن الارادة وهم اهل النهاية الاكلون فلا غرض لهم اصلا وامرهم عجيب لايعرفه الاامثالهم اومن عرفه الله شأنهم (وما) شرطية (تقدموا لانفسكم من خير) اى خير كان مما ذكر ومالم يذكر (تجدوه) جواب الشرط ولذا جزم (عند الله هو خيرا واعظم اجرا) من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت وفى كشف الاسرار تجدوا ثوابه خيرا لكم من متاع الدنيا واعظم اجرا لان الله يعطى المؤمن اجره بغير حساب قوله خيرا ثانى مفعولى تجدوا وهو تأكيد للمفعول الاول لتجدوه وفصل بينه وبين المفعول الثانى وان لم يقع بين معرفتين فان افعل فى حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقوله واعظم عطف على خيرا واجرا تمييز عن نسبة الفاعل والاجر مايعود من ثواب العمل دنيويا كان اواخرويا وقال بعضهم المشهوران وجد اذا كان بمعنى صادف يتعدى الى مفعول واحد وهو ههنا بمعناه لابمعنى علم فلا بد ان يكون خيرا حالا من الضمير وفى الحديث اعلموا ان كل امرئ على ماقدم قادم وعلى ماخلف نادم وعنه عليه السلام ان العبد اذا مات قال الانسان ماخلف وقالت الملائكة ماقدم ومر عمر رضى الله عنه ببقيع الغرقد اى مقبرة المدينة لانها كانت منبت الغرقد وهو بالغين المعجمة شجر فقال السلام عليكم اهل القبور اخبار ماعندنا ان نساءكم قد تزوجن ودوركم قد سكنت واموالكم قد قسمت فاجابه هاتف ياابن الخطاب اخبار ماعندنا ان ماقدمناه وجدناه وما انفقناه فقد ربحناه وما خلفنا فقد خسرنا

قدم لنفسك قبل موتك صالحا * واعمل فليس الى الخلود سبيل

(وروى) عن عمر رضى الله عنه انه اتخذ حيسا يعنى تمرا بلبن فجاءه مسكين فأخذه ودفعه اليه فقال بعضهم مايدرى هذا المسكين ماهذا فقال عمر لكن رب المسكين يدرى ماهو فكأنه قال وماتقدموا الخ * تونيكى كن بآب انداز اى شاه * اكرما هى نداند داندالله (واستغفروا الله) اى سلوا الله المغفرة لذنوبكم فى جميع اوقاتكم وكافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو عن تفريط وكان السلف الصالح يصلون الى طلوع الفجر ثم يجلسون للاستغفار الى صلاة الصبح واستحب الاستغفار على الاسماء من القرآن مثل ان يقول استغفر الله انه كان توابا استغفر الله ان الله غفور رحيم استغفر الله انه كان غفارا رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين واغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين (ان الله غفور) يغفر مادون ان يشرك به (رحيم) يبدل السيئات حسنات وفى عين المعانى غفور يستر على اهل الجهل والتقصير رحيم يخفف عن اهل الجهد والتوفير ومن عرف انه الغفور الذى لايتعاظمه ذنب يغفره اكثر من الاستغفار وهو طلب المغفرة ثم ان كان مع الانكسار فهو صحيح وان كان مع التوبة فهو كامل وان كان عريا عنهما فهو باطل ومن كتب سيد الاستغفار وجرعه لمن صعب عليه الموت انطلق لسانه وسهل عليه الموت وقد جرب مرارا وسيد الاستغفار قوله اللهم انت ربى لااله الاانت خلقتنى وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك مااستطعت اعوذبك من شر ماصنعت ابوء لك بنعمتك على وابوء بذنبى فاغفرلى انه لايغفر الذنوب الاانت

(تمت سورة المزمل بعونه تعالى يوم الاربعاء الثانى والعشرين من ذى القعدة من سنة ست عشرة ومائة والف)

* (سورة المدثر مكية وآيها ست وثلاثون) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياايها المدثر) بتشديدين اصله المتدثر وهو لابس الدثار وهو مايلبس فوق الشعار الذى يلى الجسد ومنه قوله عليه السلام الانصار شعار والناس دثار وفيه اشارة الى ان الولاية كالشعار من حيث تعلقها بالباطن والنبوة كالدثار من حيث تعلقها بالظاهر ولذلك خوطب عليه السلام فى مقام الانذار بالمدثر (روى) عن جابر رضى الله عنه عن النبى عليه السلام انه قال كنت على جبل حرآء فنوديت يامحمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى وعن يسارى ولم أرشيئا فنظرت فوقى فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة رضى الله عنها فقلت دثرونى دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل جبريل وقال ياايها المدثر يعنى انه انما تدثر بناء على اقشعرار جلده وارتعاد فرائصه رعبا من الملك النازل من حيث انه رأى مالم يره قبل

ولم يستأنس به بعد فظن ان به مسا من الجن فخاف على نفسه لذلك وذكر حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر ان التدثر انما يكون من البرودة التى تحصل عقيب الوحى وذلك ان الملك اذا ورد على النبى عليه السلام بعلم اوحكم يلقى ذلك الروح الانسانى وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء من خارج فيتخلل الجسم فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فتزاد عليه الثياب ليسخن انتهى وقرر بعضهم هذا المقام على غير ماذكر كما قال فى كشف الاسرار وتفسير الكاشفى جابر بن عبدالله رضى الله عنه نقل ميكند از رسول صلى الله عليه وسلم درزمان فترت وحى براهى ميرفتم ناكاه ازآسمان آوازشنيدم چشم بالاكردم ديدم همان ملك كه در غار حرابمن آمده بود بر كرسى نشسته ميان زمين واسمان ازسطوت وهيأت وعظمت وهيكل اوخوفى برمن طارى شد بخانه باز كشتم وكفتم مرا بپوشانيد جامها برمن پوشيدند ومن دراندیشهٔ آن حال بودم كه حضرت عزت جل شانه وحى فرستاد كه ياايها المدثر وقال السهيلى رحمه الله كان عليه السلام متدثرا بثيابه حين فزع من هول الوحى اول نزوله وقال دثرونى دثرونى فقال له ربه ياايها المدثر ولم يقل يامحمد ولانبيا فلان ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم فى المزمل وفائدة اخرى مشاكلة الآية بمابعدها ووجه المشاكلة بين اول الكلام و بين قوله قم فأنذر خفى الابعد التأمل والمعرفة بقوله عليه السلام انى انا النذير العريان ومعنى النذير العريان الجاد المشمر وكان النذير من العرب اذا اجتهد جرد ثوبه واشار به مع الصياح تأكيدا فى الانذار والتحذير وقدقيل ايضا ان اصل قولهم النذير العريان ان رجلا من خثعم وهو كجعفر جبل واهله خثعميون وابن انمار ابو قبيلة من معد كما فى القاموس اخذه العدو فقطعوا يده وجرد وأثيابه فافلت الى قومه نذيرالهم وهو عريان فقيل لكل مجتهد فى الانذار والتخويف النذير العريان فاذا ثبت هذا فقد تشاكل الكلام بعضه ببعض فامر المدثر بالثياب مضاف الى معنى النذير العريان ومقابل ومرتبط به لفظا ومعنى (قم) اى من مضجعك يعنى خوابكاه (فانذر) الناس جميعا من عذاب الله ان لم يؤمنوا لانه عليه السلام مرسل الى الناس كافة فلم تكن ملة من الملل الاوقد بلغتها دعوته و قرعها انذاره وافرد الانذار بالذكر مع انه ارسل بشيرا ايضا لان التخلية بالمعجمة قبل التحلية بالمهملة وكان الناس عاصين مستحقين للتخويف فكان اول الامر هوالانذار يقول الفقير امده الله القدير بالفيض الكثير خوطبت بقوله قم فانذر وانا متوجه مراقب عند الرأس الشريف فى الحرم النبوى فحصل لى اضطراب عظيم وحيرة كبرى من سطوة الخطاب الالهى وغلبنى الارتعاد و ظننت انى مأمور بالانذار الظاهرى فى ذلك المقام لما ان اكثر الناس كانوا يسيئون الادب فى ذلك الحرم حتى انى بكيت مرة بكاء شديدا من غلبة الغيرة فقيل لى اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم ثم انى عرفت بالهام من الله تعالى انى رسول نفسى لاغير مأمور بتزكيتها واصلاح قواها ومن الله الاعانة على ذلك (وربك فكبر) وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا وعظمة عمايقول فيه عبدة الاوثان وسائر الظالمين و روى انه لما نزل قال رسول الله عليه السلام الله اكبر فكبرت خديجة ايضا وفرحت وايقنت انه الوحى لان الشيطان لايأمر بالتكبير ونحوه ودخل فيه تكبير الصلاة وان لم يكن فى اوائل النبوة صلاة وذلك لان الصلاة عبارة عن اوضاع وهيآت كلها تعطى التقييد والله منزه عن جميع التعينات فلزم التكبير فيها لان وجه الله يحاذى وجه العبد حينئذ على ماورد فى الخبر الصحيح والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ماكان اى شئ حدث فلاتدع تكبيره ووصفه بالكبرياء اوللدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر به و ينزهه عن الشرك فان اول مايجب معرفة الصانع ثم تنزيهه عما لايليق بجنابه فالفاء على هذا تعقيبية لاجزائية واعلم ان كبرياءه تعالى ذاتى له قائم بنفسه لا بغيره من المكبرين فهو اكبر من ان يكبره غيره بالتكبير الحادث ولذا قال عليه السلام ليلة المعراج لااحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فهو المكبر والمثنى لذاته بذاته بتكبير وثناء قديم من الازل الى الابد (وثيابك فطهر) جمع ثوب من اللباس اى فطهرها ممالبس بطاهر بحفظها وصيانتها عن النجاسات وغسلها بالماء الطاهر بعد تلطخها فانه قبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبيثا سواء كان فى حال الصلاة اوفى غيرها و بتقصيرها ايضا فان طولها يؤدى الى جر الذيول على القاذورات فيكون التطهير كناية عن التقصير لانه من لوازمه ومعنى التقصير

ان تكون الى انصاف الساقين اوالى الكعب فانه عليه السلام جعل غاية طول الازار الى الكعب وتوعد على ماتحته بالنار وحضرت مرتضى رضى الله عنه كفت كوتاه كن جامه را فانه اتقى وانقى وابقى وهو اول ما امر به عليه السلام من رفض العادات المذمومة فان المشركين ماكانوا يصونون ثيابهم عن النجاسات وفيه انتقال من تطهير الباطن الى تطهير الظاهر لان الغالب ان من نقى باطنه ابى الاجتناب الخبث وايثار الطهارة فى كل شئ فان الدين بنى على النظافة ولايدخل الجنة الانظيف والله يحب الناسك النظيف وفى الحديث غسل الاناء وطهارة الفناء يورثان الغنى وفى المرفوع نظفوا افواهكم فانها طرق القرآن قال الراغب الطهارة ضربان طهارة جسم وطهارة نفس وقد حمل عليهما عامة الآيات وقوله وثيابك فطهر قيل معناه نفسك نزهها عن المعايب انتهى اوطهر قلبك كما فى القاموس اواخلاقك فحسن قاله الحسن وفى الخبر حسن خلقك ولومع الكفار تدخل مداخل الابرار اوعملك فاصلح كما فى الكواشى ومنه الحديث يحشر المرء فى ثوبيه الذين مات فيهما اى عمليه الخبيث والطيب كما فى عين المعانى وانه ليبعث فى ثيابه اى اعماله كما فى القاموس اواهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتأديب والعرب تسمى الاهل ثوبا ولباسا قال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن (كما فى كشف الاسرار) وقال ابن عباس لاتلبسها على معصية ولاعلى غدر البسها وانت بر طاهر كما فى فتح الرحمن قال الشاعر

وانى بحمد الله لاثوب فاجر * لبست ولامن غدرة اتقنع

وذلك ان الغادر والفاجر يسمى دنس الثياب كما ان اهل الصدق والوفاء يسمى طاهر الثياب ودر نفحات ازشيخ ابو الحسن شاذلى قدس سره نقل ميكند كه حضرت رسالت را صلى الله عليه وسلم درخواب ديدم ومرا كفت اى على طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كل نفس يعنى پاكيزه كردان جامهاى خودرا آزچرك تابهره مند كردى بمدد وتأييد خداى تعالى درهر نفسى كفتم يارسول الله ثياب من كدامست فرمود كه برتو حق تعالى پنج خلعت پوشانيد خلعت محبت وخلعت معرفت وخلعت توحيد وخلعت ايمان وخلعت اسلام هركه خدايرا دوست دارد بروى آسان شود هرچيز وهركه خدايرا بشناسد درنظروى خرد نمايد هرچيز وهركه خدايرا بيكانكى بداند بوى شريك نيارد هيچ چيزرا وهركه خداى تعالى را ايمان آرد ايمن كردد ازهرچيز وهركه باسلام متصف بود خدايرا عاصى نشود واكر عاصى شود اعتذار كند وچون اعتذار كند قبول افتد بفضل الله تعالى پس شيخ فرمود ازاينجا دانستم قول خدايرا وثيابك فطهر * درتو پوشيد لطف يزدانى * خلعتى ازصفات روحانى * دارش ازلوث خشم وشهوت دور * تاپياكيزكى شوى مشهور (والرجز فاهجر) قرأ عاصم فى رواية حفص الرجز بالضم والباقون بكسر الراء ومعناهما واحد وهو الاوثان وقد سبق معنى الهجر فى المزمل اى ارفض عبادة الاوثان ولاتقربها كما قال ابراهيم عليه السلام واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام ويقال الرجز العذاب اى واهجر العذاب بالثبات على هجر مايؤدى اليه من المآثم سمى مايؤدى الى العذاب رجزا على تسمية المسبب باسم سببه والمراد الدوام على الهجر لانه كان بريئا من عبادة الاوثان ونحوها (ولاتمنن تستكثر) برفع تستكثر لانه مستقبل فى معنى الحال اى ولاتعط مستكثرا اى رائيا لما تعطيه كثيرا اوطالبا للكثير على انه نهى عن الاستغزار وهوان يهب شيأ وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثرمما اعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته اى يعوض منها والغزارة بالغين المعجمة وتقديم الزاى الكثرة فهو اما للتحريم وهو خاص برسول الله عليه السلام لعلو منصبه فى الاخلاق الحسنة ومن ذلك حلت الزكاة لفقراء امته ولم تحل له ولاهله لشرفه اوللتنزيه للكل اى له ولامته وقال بعضهم هو من المنة لان من يمن بما يعطى يستكثره ويعتدبه والمنة تهدم الصنيعة خصوصا اذا من بعمله على الله بان يعده كثيرا فان العمل من الله منة عليه كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ومن شكر طول عمره بالعبادة لم يقض شكر نعمة الايجاد فضلا عما لايحصى من انواع الجود (ولربك فاصبر) اى فاصبر لحكم ربك ولا تتألم من اذية المشركين فان المأمور بالتبليغ لايخلو عن اذى الناس ولكن بالصبر يستحيل المرحلو وبالتمرن يحصل الذوق تحمل چوزهرت نمايد نخست * ولى شهد كردد چودر طبع رست * وقال بعض اهل المعرفة اى جرد صبرك عن ملاحظة الغير فى جميع المراتب اى فى الصبر عن المعصية والصبر على الله والصبر فى البلاء كما قال تعالى واصبر وماصبرك الابالله وقال القاشانى ياايها المدثر

اى المتلبس بدثار البدن المحتجب بصورته ثم عمار كنت اليه وتلبست به من اشغال الطبيعة وانتبه من رقدة الغفلة فانذر نفسك وقواك وجميع من عداك عذاب يوم عظيم وان كنت تكبرشيئا وتعظم قدره فخصص ربك بالتعظيم والتكبير لايعظم فى عينك غيره وليصغر فى قلبك كل ماسواه بمشاهدة كبريائه وظاهرك فطهره اولاقبل تطهير باطنك عن مدانس الاخلاق وقبائح الافعال ومذام العادات ورجز الهيولى المؤدى الى العذاب فاهجر اى جردباطنك عن اللواحق المادية والهيئات الجسمانية الفاسدة والغواشى الظلمانية والهيولانية ولاتعط المال عند تجردك عنه مستغزرا طالبا للاعواض والثواب الكثير به فان ذلك احتجاب بالنعمة عن المنعم وقصور همة بل خالصا لوجه الله افعل ماتفعل صابرا على الفضيلة لالشئ آخر غيره (فاذا نقر فى الناقور) الناقور بمعنى ماينقر فيه والمراد الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل مرة للاصعاق واخرى للاحياء فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذى هو سبب الصوت يعنى جعل الشئ بحيث يظهر منه الصوت بنوع قرع والمراد هنا النفخ اذهو نوع ضرب للهوآء الخارج من الحلقوم اى فاذا نفخ فى الصور والفاء للسببية اى سببية مابعدها لماقبلها دون العكس فهى بمعنى اللام السببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى اذا مادل عليه قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) فان معناه عسر الامر على الكافرين من جهة العذاب وسوء الحساب وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ ويومئذ بدل منه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو اذ والتقدير اذنقر فيه والخبر يوم عسير وعلى متعلقة بعسير دل عليه قوله تعالى وكان يوما على الكافرين عسيرا كانه قيل فيوم النقر يوم عسير عليهم (غير يسير) خبر بعد خبر وتأكيد لعسره عليهم لقطع احتمال يسره بوجه دون وجه مشعر بيسره على المؤمنين ثم المراد به يوم النفخة الثانية التى يحيى الناس عندها اذهى التى يختص عسرها بالكافرين جميعا واما النفخة الاولى فهى مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقدجاء فى الاخبار ان فى الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع فى تلك الثقب فى النفخة الثانية فيخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذى نزع منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى وفى الحديث كيف انعم وصاحب القرن قدالتقم قرنه ينظر متى يؤمر أن ينفخ فيه فقيل له كيف نصنع قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال القاشانى ينقر فى البدن المبعوث فينقش فيه الهيئات السيئة المردية الموجبة للعذاب اوالحسنة المنجية الموجبة للثواب ولايخفى عسر ذلك اليوم على المحجوبين على احدوان خفى يسره على غيرهم الاعلى المحققين من اهل الكشف والعيان (ذرنى ومن خلقت وحيدا) حال اما من الياء اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيكه فى الانتقام منه اومن التاء اى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احد اومن العائد المحذوف اى ومن خلقته وحيدا فريدا لامال له ولاولد نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب فى قومه بالوحيد زعما منهم انه لانظيرله فى وجاهته ولافى ماله وكان يفتخر بنفسه ويقول انا الوحيد ابن الوحيد ليس لى فى العرب نظير ولالابى المغيرة نظير ايضا فسماه الله بالوحيد تهكما به واستهزآء بلقبه كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم وصرفاه عن الغرض الذى يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد اووحيدا من ابيه ونسبه لانه كان زنيما وهو من الحق بالقوم وليس منهم كما مر اووحيدا فى الشرارة والخباثة والدناءة (وجعلت له مالاممدودا) اى مبسوطا كثيرا وهو ماكان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقال الثورى كان له الف الف دينار (وبنين) ودادم اوراپسران (شهودا) جمع شاهد مثل قاعد وقعود وشهده كسمعه حضره اى حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لايفارقونه للتصرف فى عمل اوتجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم اوحضورا معه فى الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم وكان له عشرة بنين اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة قاله المفسرون واطبق المحدثون على ان الوليد بن الوليد اسلم وعمارة قتل كافرا اما يوم بدر اوفى الحبشة على يد النجاشى قال السهيلى رحمه الله هم هشام بن الوليد والوليد بن الوليد وخالد بن الوليد الذى يقال له سيف الله واما غير هؤلاء ممن مات منهم على دين الجاهلية فلم نسمه (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الرياسة والجاه العريض فاتممت عليه النعمة فان اجتماع المال والجاه هو الكمال عند اهل الدنيا ولذا كان يلقب ريحانة قريش والريحان نبت طيب الرائحة والولد والرزق وفى التأويلات النجمية يشير الى الوليد بن مغيرة النفس الوحيدة فى السر والظلم والجور والجهل وكثرة اموال اعماله السيئة الذميمة وثروة اجناس اخلاقه الذميمة والى بنى اتباعه

الخبيثة الخبيثة وبسطة سلطنته ورياسته ووجاهته عند ارباب النفوس المتمردة عن اوامر الحق ونواهيه
المعربدة مع الحق واهاليه وهم القوى الطبيعية الظلمانية يعني دعني واياه فاني اسلط عليه ابابكر الخفي
وعمر الروح وعثمان السر وعلى القلب حتى انهم بانوار روحانيتهم يطمسون ظلمات نفسانيته ويغيرون على اعماله
ويقتلون بني اتباعه وشيعته ويطوون بساط سلطنته ويسدون باب بسطته (ثم يطمع) يرجو (ان ازيد) على
ما اوتيه من المال والولد وثم استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه امالانه لامزيد على ما اوتيه سعة وكثرة يعني
انه اوتي غاية ما اوتي عادة لاشباله اولانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم اى لايجمع
له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم (كلا) ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب فيكون
متصلا بما قبله (انه كان لآياتنا عنيدا) يقال عند خالف الحق ورده عارفا به فهو عنيد وعاند يعني منكر وستيزه
كننده والمعاندة المفارقة والمجانبة والمعارضة بالخلاف كالعناد والعنيد هنا بمعنى المعاند كالجليس والاكيل
والعشير بمعنى المجالس والمؤاكل والمعاشر وهو تعليل لما قبله على وجه الاستئناف التحقيقي فان معاندة آيات المنعم
وهي الآيات القرآنية مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي
استدراجا وتقديم لآياتنا على متعلقه وهو عنيدا يدل على التخصيص فتخصيص العناد بها مع كونه تاركا للعناد
في سائر الاشياء يدل على غاية الخسران قيل مازال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك وهو فقير
ـ آنكس كه نصيحت زعزيزان نكند كوش * بسيار بخايد سرا نكشت ندامت * (سأرهقه صعودا)
قال الراغب رهقه الامر غشيه بقهر يقال رهقته وارهقته مثل ردفته واردفته وبعثته وابتعثته ومنه ارهقت
الصلاة اى اخرتها حتى غشي وقت الاخرى والصعود العقبة الشاقة ويستعار لكل مشاق وهو مفعول ثان
لارهق وفي بعض التفاسير صعودا امافعول بمعنى فاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث مثل عقبة كؤود فيكون
من قبيل تسمية المحل باسم الحال او بمعنى مفعول من صعده وهو الظاهر فيكون تذكيره اما باعتبار كون
موصوفه طريقا او باتباع مثل كؤود والمعنى سأكلفه كرها بدل ما يطمعه من الزيادة ارتقاء عقبة شاقة المصعد
على حذف المضاف بحيث تغشاه شدة ومشقة من جميع الجوانب على ان يكون الارهاق تكليف الشيء العظيم
الشقة بحيث تغشى المكلف شدته ومشقته من جميع الجوانب وقال الغزالي رحمه الله حالة تصعد فيها نفسه
للنزع وان لم يتعقبه موت انتهى وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق ويجوز ان يحمل على حقيقته
كما قال عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى كذا ابدا يعني بربالاى آن
نتوان رفت اورادر زنجيرهاى آتشين كشيده از پيش مى كشند وازعقب كرزهاء آتشين كتيده از پس مى كشند
وازعقب كرزهاء آتشين ميزنند تابرانجا ميرود در هفتاد سال وباز كشتن وزير افتادن او همچنين است قوله
سبعين خريفا اى سبعين عاما لان الخريف اخر السنة فيه تتم الثمار وتدرك فصار بذلك كأنه العام كله وهذا كما
تسمى العلة الصورية علة تامة لذلك قال في القاموس الخريف كامير ثلاثة اشهر بين القيظ والشتاء تخترف فيها
الثمار اى تجتنى وعنه عليه السلام يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا
وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت (انه فكر وقدر) تعليل للوعيد واستحقاقه له من التفكير بمعنى التفكر والتأمل
كما قال في تاج المصادر التفكير انديشه كردن والتقدير اندازه وتهيئه كردن اى فكر ماذا يقول في حق
القرآن وشأنه من جهة الطعن وقدر في نفسه ما يقوله وهيأه (فقتل كيف قدر) تعجيب من تقديره واصابته
فيه الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله اوثناء عليه بطريق الاستهزاء به على معنى ان هذا الذي ذكره
وهو كون القرآن سحرا في غاية الركاكة والسقوط او حكاية لما ذكروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم
بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ
من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك وقد سبق في قاتلهم الله في المنافقين مزيد البيان
(روى) ان الوليد مر بالنبي عليه السلام وهو يقرأ حم السجدة وفي بعض التفاسير فواتح سورة حم المؤمن فقال لبني
مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه
لطلاوة اى حسنا وبهجة وقبولا وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق اى كثير الماء شبه القرآن بالشجرة النضرة الطرية
التي استحكم اصلها بكثرة الماء واثمرت فروعها في السماء واثبت له اعلى واسفل ولاعلاه الاثمار ولاسفله الاغداق

على طريق التخييل (قال الكاشفى) مراورا حلاوتى وعذوبتى هست كه هيج سخن رانباشد و بروى طراوتى ونازكى هست كه هيج حديثى رانبود واعلاى آن نهال مثمر سعادات كليه واسفل اين شجرهٔ طيبه عروق فضائل وحكم عليه است ثم قال الوليد وانه يعلو ولا يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد اى مال عن دينه وخرج الى دين غيره والله لتصبأن قريش كلهم اى بمتابعته لكونه رئيس القوم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه ما احماه اى اغضبه يعنى كفت كه قريش ميكويند توسخنان محمد را عليه السلام پسند ميدهى واورابزرك ميدارى وثنا ميكويى تا از فضلهٔ طعام ايشان بهره بردارى اكر چنين است تاهمه قريش فراهم شوند وترا كفايتى حاصل كنند تا ازطعام ايشان بى نياز شوى وليد اين سخن از ابو جهل بشنيد درخشم شد كفت الم تعلم قريش انى من اكثرهم مالا وولدا واين اصحاب محمد خود هركز ازطعام سير نشوند وازفقر وفاقه نياسايند چه صورت بندد كه ايشانرا فضلهٔ طعام بود تا بديكرى دهند پس هردو برخاستندو بر انجمن قريش شدند وليد كفت شما كه قريش ايد بدانيد كه حال وكار اين محمد درعرب منتشر كشت وموسم حج نزديكست كه عرب مى آيند وازحال وى پرسند جواب ايشان چه خواهيد داد تزعمون انه مجنون فهل رأيتموه يخنق لان العرب كانت تعتقد ان الشيطان يخنق المجنون ويتخبطه وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو وما تقول فى حقه ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يأثره عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه راضين به (ثم قتل كيف قدر) تكرير للتعجب للمبالغة فى التشنيع وثم للدلالة على ان الكرة الثانية فى التعجب ابلغ من الاولى اى للتراخى بحسب الرتبة وان اللائق فى شأنه ليس الا هذا القول دعاء عليه وفيما بعد على اصلها من التراخى الزمانى (ثم نظر) اى فى القرآن مرة بعد مرة وتأمل فيه (ثم عبس) فقلب وجهه يعنى روى فاهم كشيد وترش كرفت لالم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول (وبسر) اتباع لعبس قال سعدى المفتى لكن عطف الاتباع على المتبوع غير معروف الظاهر ان كلا منهما له معنى مغاير لمعنى الآخر فعبس بمعنى قطب وجهه وبسر بمعنى قبض ما بين عينيه من السوء واسود وجهه منه ذكره الحلبى والعهدة عليه وقال الراغب البسر الاستعجال بالشئ قبل اوانه نحوا بسر الرجل حاجته طلبها فى غير آوانها وقوله ثم عبس وبسر اى اظهر العبوس قبل اوانه وفى غير وقته انتهى (ثم ادبر) عن الحق (واستكبر) عن اتباعه (فقال) عقيب توليه عن الحق (ان) نافية بمعنى ما ولذا اورد الا بعدها (هذا) الذى يقوله محمد عليه السلام اى القرآن (الا سحر يؤثر) اى يروى ويتعلم من الغير وليس هو من سحره بنفسه يقال أثرت الحديث آثره أثرا اذا حدثت به عن قوم فى آثارهم اى بعد ما ماتوا هذا هو الاصل ثم كان بمعنى الرواية عمن كان وحديث مأثور اى منقول ينقله خلف عن سلف وادعية مأثورة اى مروية عن الاكابر وفى تعلم السحر لحكمة رخصة واعتقاد حقيقته والعمل به كفر كما قيل (عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لم يعرف الشر من الناس يقع فيه) وقد سبق معناه وما يتعلق به فى مواضعه (ان هذا) ما هذا (الا قول البشر) تأكيد لما قبله ولذا اخلى عن العاطف قاله تمردا وعنادا لا على سبيل الاعتقاد لما روى قبل انه اقر بان القرآن ليس من كلام الانس والجن واراد بالبشر يسارا وجبرا وابا فكيهة اما الاولان فكانا عبدين من بلاد فارس وكانا بمكة وكان النبى عليه السلام يجلس عندهما واما ابو فكيهة فكان غلاما روميا يتردد الى مكة من طرف مسيلمة الكذاب فى اليمامة (سأصليه سقر) اى ادخله جهنم لما قال فى الصحاح سقر اسم من اسماء النار وقال ابن عباس رضى الله عنهما اسم للطبقة السادسة من جهنم يقال سقرته الشمس اذا آذته وآلمته وسميت سقر لايلامها قوله سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا بدل الاشتمال سواء جعل مثلا لما يلقى من الشدائد او اسم جبل من نار لان سقر تشتمل على كل منهما (وما ادراك ما سقر) ما الاولى مبتدأ وادراك خبره وما الثانية خبر لقوله سقر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع دون العكس كما سبق فى الحاقة والمعنى اى شئ اعلمك ما سقر فى وصفها يعنى انه خارج عن دائرة ادراك العقول ففيه تعظيم لشأنه (لا تبقى ولا تذر) بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمنى الذى يلوح به وما ادراك ما سقر اى لا تبقى شيئا يلقى فيها الا اهلكته بالاحراق واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد خلقا جديدا وتهلكه اهلاكا ثانيا وهكذا

كما قال تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها (ولا تذر) على شئ اى لاتترحم عليه ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لامحالة لانها خلقت من غضب الجبار قال فى تهذيب المصادر الابقاء باقى كردن ونيز شفقت بردن وقيل لاتبقى حيا ولا تذر ميتا كقوله تعالى ثم لايموت فيها ولا يحيى (لواحة للبشر) يقال لاحت النار الشئ اذا احرقته وسودته ولاحه السفر او العطش اى غيره وذلك ان الشئ اذا كان فيه دسومة فاذا احرق اسود والبشر جمع بشرة وهى ظاهر جلد الانسان اى مغيرة لاعالى الجلد وظواهره مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل فان قلت لايمكن وصفها بتسويد البشرة مع قوله لاتبقى ولا تذر قلت ليس فى الآية دلالة على انها تفنى بالكلية مع انه يجوز ان يكون الافناء بعد التسويد وقيل لائحة للناس على ان لواحة اسم فاعل من لاح يلوح اى ظهر وان البشر بمعنى الناس قيل انها تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام فهو كقوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى فيصل الى الكافر سمومها وحرورها كما يصل الى المؤمن ريح الجنة ونسيمها من مسيرة خمسمائة عام (عليها) اى على سقر (تسعة عشر) اى ملكا يتولون امرها ويتسلطون على اهلها وهم مالك وثمانية عشر معه اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبى احدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرأفة والرحمة يأخذ احدهم سبعين الفا فى كفه ويرميهم حيث اراد من جهنم قيل هذه التسعة عشر عدد الرؤساء والنقباء واما جملة اشخاصهم فكما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فيجوز ان يكون لكل واحد منهم اعوان لاتعد ولا تحصى ذكر ارباب المعانى والمعرفة فى تقدير هذا العدد وتخصيصه وجوها (منها ان سبب فساد النفس الانسانية فى قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية فالقوى الحيوانية هى الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والشهوة والغضب ومجموعها اثنتا عشرة واما القوى الطبيعية فهى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع تسع عشرة قال ابن الشيخ والمراد بالقوى الحيوانية القوى التى تختص بالحيوان من بين المواليد الثلاثة الحيوان والنبات والمعدن وهى قسمان مدركة وفاعلة فالمدركة اى ما لها مدخل فى الادراك بالمشاهدة والحفظ عشر وهى الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والفاعلة اى ما لها مدخل فى الفعل لما باعثة او محركة وهما اثنتان الشهوة والغضب والقوى الطبيعية هى القوى التى لاتختص بالحيوان بل توجد فى النبات ايضا وهى سبع ثلاث منها مخدومة وهى الغاذية والنامية والمولدة واربع منها خوادم وهى الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة فلما كان منشأ الآفات هو هذه القوى التسع عشرة كان عدد الزبانية هكذا قال سعدى المفتى وانت خبير بان اثبات هذه القوى بناؤه على الاصول الفلسفية ونفى الفاعل المختار فيصان تفسير كلام الله عن امثاله اى وان ذكرها الامام فى تفسير الكبير وتبعه من بعده وقال ايضا والحق ان يحال علمه الى الله تعالى فالعقول البشرية قاصرة عن ادراك امثاله انتهى ويرده ما قال الامام السهيلى فى الامالى ان النكتة التى من اجلها كانوا تسعة عشر عددا ولم يكونوا اكثر او اقل فلعمرى ان فى الكتاب والسنة لدليلا عليها واشارة اليها ولكنها كالسر المكنون والناس اسرع شئ الى انكار ما لم يألفوه وتزييف ما لم يعرفوه ولا يؤمن فى نشرها وذكرها سوء التأويل لقصور اكثر الافهام عن الوعى والتحصيل مع قلة الانصاف فى هذا الجيل انتهى (ومنها ان ابواب جهنم سبعة ستة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار يدخلون النار لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر واما باب الفساق فليس هناك الا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر (ومنها ان الساعات اربع وعشرون خمس منها مشغولة بالصلوات الخمس فيبقى منها تسع عشر مشغولة بغير العبادة مصروفة الى ما يؤاخذ به بانواع العذاب يعنى انه لم يخلق فى مقابلة الخمس التى جعلت مواقيت الصلاة زبانية تكريما لها فلا يلزم الاختصاص بالمصلين من عصاة المؤمنين كما فى حواشى سعدى المفتى فلاجرم صار عدد الزبانية تسعة عشر ومنها انه تعالى حفظ جهنم بما حفظ به الارض من الجبال وهى مائة وتسعون اصلها تسعة عشر (ومنها ان المدبرات العالم النجوم السيارة وهى سبعة والبروج الاثنا عشر الموكلة بتدبير العالم السفلى المؤثرة فيه تقمعهم بسياط التأثير وترديهم فى مهاويها (ومنها ما قال السجاوندى فى عين المعانى قد تكلموا فى حكمة العدد على انه لاتطلب للاعداد العلل فان التسعة اكثر الآحاد والعشرة اقل العشرات فقد جمع بين اكثر القليل واقل الكثير يعنى ان التسعة عشر عدد جامع بينهما

فلهذا كانت الزبانية على هذا العدد (ومنها ماقال فى كشف الاسرار ان قوله بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا وعدد الزبانية تسعة عشر ملكا فيدفع المؤمن بكل حرف منها واحدا منهم وقد سبقت رحمته غضبه ومنها مالاح لهذا الفقير قبل الاطلاع على مافى كشف الاسرار وهو ان عدد حروف البسملة تسعة عشر (كما قال المولى الجامى) نوزده حرفست كه هژده هزار * عالم ازو يافته فيض عميم * ولما كانت البسملة آية الرحمة والكفار والفساق لم يقبلوا هذه الآية حيث سلكوا سبيل الكفر والمعاصى خلق الله فى مقابلة كل حرف منها ملكا من الغضب والجلال وجعله آية الغضب كما جعل خازن الجنة آية الرحمة دل على ماقلنا قوله عليه السلام يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا وهو اكبر الحيات بالفارسية اژدر فى فمه انياب مثل اسنة الرماح وهو طويل كالنخلة السحوق احمر العينين مثل الدم واسع الفم والجوف يبتلع الانسان والحيوان وسره انه كفر بالله وباسمائه الحسنى التى هى تسعة وتسعون فاستحق ان يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا بعددها فى قبره الذى هو حفرة من حفر النيران فلا يلزم ان يسلط عليه ذلك العدد فى النار فالتسع عدد القهر والحصر والانقراض لانه ينقرض عن اهل النار امداد الرحمة الرحيمية (ومنها مافى التأويلات النجمية من ان اختلال النفوس البشرية بحسب العمل والعلم والدخول فى جهنم البعد والطرد واللعن والحجاب والاحتجاب مترتب على موجباتها وهى تسعة عشر الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وهى الاعضاء والجوارح السبع التى ورد بها الحديث بقوله عليه السلام امرت ان اسجد على سبعة اعضاء وآراب والطبيعة البشرية المشتملة على الكل المؤثرة فى الكل بحسب الظاهر والباطن ويجوز ان تكون القوة الغضبية والشهوية بدل الطبيعة فصار الكل تسعة عشر (وماجعلنا اصحاب النار) اى المدبرين لامرها القائمين بتعذيب اهلها فاصحاب النار هنا غير اصحاب النار فى قوله تعالى لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة وفى كشف الاسرار وماجعلنا خزنة اصحاب النار فحذف المضاف انتهى وفيه بعد لانهم خزنة النار لاخزنة اصحابها (الاملائكة) ليخالفوا جنس المعذبين من الثقلين فلا يرقوا لهم ولايميلوا اليهم فان المجانسة مظنة الرأفة فلذا بعث الرسول من جنسنا ليرحم بنا ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله وبالغضب له تعالى واشدهم باسا وعن النبى عليه السلام لقوة احدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم وروى انه لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ابوجهل لقريش اتعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابوالاشد ابن اسيد بن كلدة الجمحى وكان شديد البطش والقوة حتى كان من قوته انه اذا قام على اديم واجتمع جماعة على ازالة رجليه عنه لم يقدروا عليه فكانوا يشدون الاديم حتى يتقطع قطعا ورجلاه على حالهما انا اكفيكم سبعة عشر منهم فاكفونى انتم اثنين فنزلت اى وماجعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون فمن ذا الذى يغلب الملائكة والواحد منهم يأخذ ارواح جميع الخلق وللواحد منهم من القوة مايقلب الارض فيجعل عاليها سافلها وتمام آدميان طاقت ديدار يك فرشته ندارند تا بمقاومت كجا بسر آيند (وماجعلنا عدتهم الافتنة للذين كفروا) اى وماجعلنا عددهم الاالعدد الذى تسبب لافتتانهم ووقوعهم فى الكفر وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر اى بالفتنة عن العدد المخصوص تنبيها على التلازم بينهما وحمل الكلام على هذا لان جعل من دواخل المبتدأ والخبر فوجب حمل مفعوله الثانى على الاول ولايصح حمل افتتان الكفار على عدد الزبانية الابالتوجيه المذكور فان عدتهم سبب للفتنة لاالفتنة نفسها ثم ليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين فى نفس الامر بل جعله فى القرآن ايضا كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولى هذا العدد القليل امر الجم الغفير واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ماسيأتى من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) متعلق بالجعل على المعنى المذكور والسين للطلب اى ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه السلام وصدق القرآن لما شاهدوا مافيه موافقا لما فى كتابهم وفى عين المعانى سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة النار وعددهم فاجاب عليه السلام بانهم تسعة عشر يعنى دو بار باصابع يدين اشارت فرمود ودر كرت دوم ابهام يمنى را امساك فرمود (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) اى يزداد ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك اوكمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل (ولايرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون) تأكيد لماقبله من الاستيقان

وازدياد الايمان فان نفى ضد الشئ بعد اثباته وقوعه ابلغ فى الاثبات ونفى لما قد يعترى المستيقن والمؤمن من شبهة ما فيه ضلاله بقين جازم بحيث لاشك بعده وانما لم ينظم المؤمنين فى سلك اهل الكتاب فى نفى الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازديادهم ورسوخهم فى ذلك (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) شك اونفاق فان كلا منهما من الامراض الباطنة فيكون اخبارا بما سيكون فى المدينة بعد الهجرة اذ النفاق انما حدث بالمدينة وكان اهل مكة اما مؤمنا حقا واما مكذبا واما شاكا (والكافرون) المصرون على التكذيب فان قلت كيف يجوز ان يكون قولهم هذا مقصود الله تعالى قلت اللام ليست على حقيقتها بل للعاقبة فلا اشكال (ماذا اراد الله بهذا مثلا) تمييز لهذا او حال منه بمعنى ممثلا به كقوله هذه ناقة الله لكم آية اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل فاطلاق المثل على هذا العدد على سبيل الاستعارة حيث شبهوه بالمثل المضروب وهو القول السائر فى الغرابة حيث لم يكن عقدا تاما كعشرين اوثلاثين والاستفهام لانكار انه من عند الله بناء على انه لو كان من عنده لما جاء ناقصا وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله فى الشناعة (كذلك يضل الله من يشاء) ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال اى يضل الله من يشاء اضلاله كابى جهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم وعددهم اضلالا كائنا مثل ما ذكر من الاضلال لا اضلالا ادنى منه لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق واصله ان الله لا يضل الا بحسب الضلالة الازلية لان الضلال وصرف الاختيار الى جانبه كل منهما من مقتضى عينه الثابتة (ويهدى من يشاء) هدايته كاصحاب محمد عليه السلام هداية كائنة مثل ما ذكر من الهداية لاهداية ادنى منها لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات الى جانب الهدى وحقيقته ان الله لا يهدى الا بموجب الهداية الازلية اذ الاهتداء وصرف الاختيار الى جانبه كل منهما من احواله الازلية فلا يجوز خلافه فى عالم العين والابد (وما يعلم جنود ربك) اى جموع خلقه التى من جملتها الملائكة المذكورون والجنود جمع جند بالضم وهو العسكر وكل مجتمع وكل صنف من الخلق على حدة وفى الحديث ان لله جنودا منها العسل (الا هو) لفرط كثرتها وفى حديث موسى عليه السلام انه سأل ربه عن عدد اهل السماء فقال تعالى اثنا عشر سبطا عدد كل سبط عدد التراب وفى الاسرار المحمدية ليس فى العالم موضع بيت ولا زاوية الا وهو معمور بما لا يعلمه الا الله والدليل على ذلك امر النبى عليه السلام بالستر فى الخلوة وان لا يجامع الرجل امرأته عريانين وفيه اشارة الى ان لله فى اختيار عدد الزبانية حكمة والا فجنوده خارجة عن دائرة العد والضبط قال القاشانى وما يعلم عدد الجنود وكميتها وكيفيتها وحقيقتها الا هو لاحاطة علمه بالماهيات واحوالها وفى التأويلات النجمية الاهوية الجامعة لجميع جنود التعينات الغير المتناهية بحسب الاسماء الجزئية وجزئيات الاسماء قال بعض العارفين خلقت الملائكة على مراتب فارواح ليس لهم عمل الا تعظيم جناب الله وليس لهم وجه مصروف الى العالم ولا الى نفوسهم قد هيمهم جلال الله واختطفهم عنهم فهم فيه حيارى سكارى وارواح مدبرة اجساما طبيعية ارضية وهى ارواح الاناسى وارواح الحيوانات من كل جسم عنصرى طبيعى وهذه الارواح المدبرة لهذه الاجسام مقصورة عليها مسخر بعضها لبعض كما قال تعالى ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وارواح اخر مسخرات لمصالحنا وهم على طبقات كثيرة فمنهم الموكل بالوحى ومنهم الموكل بالالقاء ومنهم الموكل بالارزاق ومنهم الموكل بقبض الارواح ومنهم الموكل باحياء الموتى ومنهم الموكل بالاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم ومنهم الموكل بالغراسات فى الجنة جزاء لاعمال العباد ومنهم غير ذلك وامامراتبهم وتفاوتهم ففيهم الاكبر والاكبر فجبريل اكبر من عزرائيل وميكائيل اكبر من جبريل واسرافيل اكبر من ميكائيل وقال بعضهم هذه الجنود ليست معدة للمحاربة بل هى لترتيب المملكة الظاهرة العالم الاعلى والاسفل لانه اذا كان ما فى السموات وما فى الارض جنوده فلمن يقاتلون فما بقى الا ان المراد بهم جنود التسخير اذ العالم كله مسخر بعضه لبعض وجميع الملائكة مسخرون لنا باسرهم تحت ايدى الاثنى عشر ملكا الذين ولاهم الله على عالم الخلق ومقرهم فى الفلك الاقصى كل وال فى برج كابراج سور المدينة جالس على تخت وقد رفع الله الحجاب بين هؤلاء الولاة وبين اللوح المحفوظ فرأوا فيه مسطرا اسماءهم

ومراتبهم وماشاء الله ان يجريه على ايديهم فى عالم الخلق الى يوم القيامة فارتقم ذلك كله فى نفوسهم وعلموه علما محفوظا لايتبدل ولايتغير كما علمنا نحن اسماءهم واحوالهم من مقابلة قلوبنا للوح المحفوظ ثم ان الله جعل لكل واحد من هؤلاء الولاة حاجبين ينفذان اوامرهم الى نوابهم وجعل بين كل حاجبين سفيرا يمشى بينهما بما يلقى اليه كل واحد منهما وعين الله لهؤلاء الذين جعلهم حجابا لهؤلاء الولاة فى الفلك الثانى منازل يسكنونها وانزلهم اليها وهى الثمانى والعشرون منزلة التى تسمى المنازل التى ذكرها الله بقوله والقمر قدرناه منازل يعنى فى سيره ينزل كل يوم منزلة منها الى ان ينتهى الى آخرها ثم يدور دورة اخرى ليعلموا بسيره وسير الشمس والخنس عدد السنين والحساب وكل شئ فصله الحق لنا تفصيلا فاسكن فى هذه المنازل هذه الملائكة وهم حجاب اولئك الولاة الذين فى الفلك ثم ان الله امر هؤلاء ان يجعلوا لهم نوابا ونقباء فى السموات السبع فى كل سماء نقيبا كالحاجب لهم لينظروا فى مصالح العالم العنصرى بما يلقيه اليهم هؤلاء الولاة ويأمرونهم به وهو قوله تعالى واوحى فى كل سماء امرها فجعل الله اجسام هذه الكواكب النقباء اجساما نيرة مستديرة ونفخ فيها ارواحها وانزلها فى السموات السبع فى كل سماء واحدا منهم وقال لهم قد جعلتكم تستخرجون ما عند هؤلاء الاثنى عشر واليا بواسطة الحجاب الثمانية والعشرين كما يأخذ اولئك لولاة عن اللوح المحفوظ ثم جعل الله لكل نقيب من هؤلاء السبعة النقباء فلكا يسبح فيه هو له كالجواد للراكب وهكذا الحجاب لهم افلاك يسبحون فيها اذ كان لهم التصرف فى حوادث العالم والاستشراف عليه ولهم سدنة واعوان يزيدون على الالف اعطاهم الله مراكب سماها افلاكا فهم ايضا يسبحون فيها وهى تدور بهم على المملكة فى كل يوم مرة فلايفوتهم شئ من المملكة اصلا من ملك السموات والارض فتدور الولاة وهؤلاء الحجاب والنقباء والسدنة كلهم فى خدمة هؤلاء الولاة والكل مسخرون فى حقنا اذ كنا نحن المقصود الاعظم من العالم كله قال تعالى وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا منه وسبب دوران الافلاك علينا كل يوم دورة انما هو لينظر هؤلاء الولاة فيما تدعو حاجة الخلق اليه من الامور فيسدوا خللهم وينفذوا احكام الله فيهم من كونه مريدا فى خلقه لامن كونه آمرا اليه فينفذون الاقدار فيهم فى ازمان مختلفة وكما جعل الله زمام هذه الامور بايدى هؤلاء الجماعة من الملائكة واقعد منهم من اقعد فى برجه ومسكنه الذى فيه تحت ملكه وانزل من انزل من الحجاب والنقباء الى منازلهم فى سمواتهم كذلك جعل فى كل سماء ملائكة مسخرة وجعلهم على طبقات فمنهم اهل العروج بالليل والنهار من الحق الينا ومنا الى الحق فى كل صباح ومساء ولايقولون الاخيرا فى حقنا ومنهم المستغفرون لمن فى الارض ومنهم المستغفرون للمؤمنين لغلبة الغيرة الالهية عليهم كما غلبت الرحمة على المستغفرين لمن فى الارض ومنهم الموكلون بايصال الشرآئع ومنهم الموكلون بالممات ومنهم الموكلون بالالهام وهم الموصلون العلوم الى القلوب ومنهم الموكلون بالارحام بتصوير مايكون الله فى الارحام ومنهم الموكلون بنفخ الارواح ومنهم الملائكة التسعة عشر الموكلون بالشفاعة لمن دخل النار ومنهم الموكلون بالارزاق ومنهم الموكلون بالامطار ومنهم الصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والمرسلات والناشرات والنازعات والناشطات والسابقات والسابحات والملقيات والمدبرات ولذلك قالوا ومامنا الاله مقام معلوم فمامن حادث يحدثه الله فى العالم الاوقد وكل الله باجرآئه الملائكة ولكن بامر هؤلاء الولاة من الملائكة فلايزالون تحت سلطانهم اذهم خصائص الله ثم ان العامة ماتشهد من هؤلاء الملائكة الامنازلهم التى هى اجرام الكواكب ولاتشهد اعيان الحجاب ولاالنقباء واما اهل الكشف فيشهدونهم فى منازلهم عيانا ثم اعلم ان الله قد جعل فى هذا العالم العنصرى خلقا من جنسهم ولاة عليهم نظير العالم العلوى فمنهم الرسل والخلفاء والسلاطين والملوك وولاة امور جميع العالم من القضاة واضرابهم ثم جعل بين ارواح هؤلاء الولاة الذين هم فى الارض والولاة الذين هم فى السموات مناسبات ودقائق تمتد اليهم بالعدل مطهرة من الشوآئب مقدسة عن العيوب فيقبل هؤلاء الولاة الارضيون منهم بحسب استعدا داتهم فمن كان استعداده حسنا قويا قبل ذلك الامر على صورته طاهرا مطهرا فكان والى عدل وامام فضل ومن كان استعداده رديئا قبل ذلك الامر الطاهر ورده الى شكله من الردآءة والقبح والجور فكان والى جور ونائب ظلم وبخل فلايلومن الانفسه فهذه امهات مراتب حكام العالم اصحاب المراتب على سبيل الاجمال واما الرعية فلايحصى عددهم الاالله ولله تعالى فى الارض ملائكة لايصعدون الى السماء ابدا وملائكة فى السماء لاينزلون الى الارض

ابدا كل قدعلم صلاته وتسبيحه بالهام من الله تعالى كذا فى كتاب الجواهر للامام الشعرانى رحمه الله (وماهى) اى سقر وذكر صفتها (الا ذكرى للبشر) الا تذكرة وعظة وانذارلهم بسوء عاقبة الكفر والضلال وتخصيص الانس مع انها تذكرة للجن ايضا لانهم هم الاصل فى القصد بالتذكرة اووماعدة الخزنة الا تذكرة لهم ليتذكروا ويعلموا ان الله قادر على ان يعذب الكثير الغير المحصور من كفار الثقلين وعصاتهم بهذا العدد بل هو لايحتاج فى ذلك الى اعوان وانصار اصلا فانه اوقلب شعرة واحدة فى عين ابن آدم اوسلط الالم على عرق واحد من عروق بدنه لكفاه ذلك بلاء ومحنة وانما عين العدد وخلق الجنود لحكمة لا لاحتياج ويجوز ان يعود الضمير الى الآيات الناطقة باحوال سقر فانها تذكرة لاشتمالها على الانذار (كلا) ردع لمن انكر سقر اى ارتدع عن انكارها فانها حق اوانكار ونفى لان تكون لهم تذكرة فان كونها ذكرى للبشر لاينافى ان بعضهم لايتذكرون بل يعرضون عنها بسوء اختيارهم ألا يرى الى قوله تعالى فالهم عن التذكرة معرضين (والقمر) مقسم به مجرور بواو القسم يعنى وسوكند بماه كه معرفت اوقات وآجال بوى باز بسته است وفى فتح الرحمن تخصيص تشريف وتنبيه على النظر فى عجائبه وقدرته فى حركاته المختلفة التى هى مع كثرتها واختلافها على نظام واحد لايختل وقال ابو الليث وخالق القمر يعنى الهلال بعد ثالثه (والليل) معطوف على القمر وكذا الصبح يعنى وبحرمة شب (اذ) بسكون الذال وهو ظرف لما مضى من الزمان (ادبر) على وزن افعل اى انصرف وذهب فان الادبار نقيض الاقبال (والصبح) قال فى القاموس الصبح الفجر اواول النهار والجمع اصباح وفى المفردات الصبح والصباح اول النهار وهو وقت مااحمر الافق بحاجب الشمس (اذا) ظرف لما يستقبل من الزمان واتفقوا على اذا ههنا نظرا الى تأخره عن الليل من وجه (اسفر) اى اضاء وانكشف فان الاسفار بالفارسية روشن شدن قال الراغب السفر كشف الغطاء ويختص ذلك بالاعيان نحو سفر العمامة عن الرأس والخمار عن الوجه والاسفار يختص باللون نحو والصبح اذا اسفر اى اشرق لونه ووجهه واسفروا بالفجر تؤجروا من قولهم اسفرت اى دخلت فيه نحو اصبحت وفى قوت القلوب الفجر الثانى هو انشقاق شفق الشمس وهو بريق بياضها الذى تحت الحمرة وهو الشفق الثانى على ضد غروبها لان شفقها الاول من العشاء هو الحمرة بعد الغروب وبعد الحمرة البياض وهو الشفق الثانى من اول الليل وهو آخر سلطان شعاع الشمس وبعد البياض سواد الليل وغسقه ثم ينقلب ذلك على الضد فيكون بدء طلوعها الشفق الاول وهو البياض وبعده الحمرة وهو شفقها الثانى وهو اول سلطانها من آخر الليل وبعده طلوع قرص الشمس فالفجر هو انفجار شعاع الشمس من الفلك الاسفل اذا ظهرت على وجه ارض الدنيا يستر عينها الجبال والبحار والاقاليم المشرفة العالية ويظهر شعاعها منتشرا الى وسط الدنيا عرضا مستطيرا انتهى (قال الكاشفى) اقسم بالقمر اى بالقلب المستعد الصا فى القابل للانذار المتعظ به المنتفع بتذكيره تعظيما وبليل ظلمة النفس اذا ادبر اى ذهب بانقشاع ظلمتها عن القلب باشراق نور الروح عليه وتلالى طوالعه بصبح طلوع ذلك اذا اسفر فزالت الظلمة بكليتها وتنور القلب انتهى فظهر من هذا حسن موقع ذكر القمر والليل والصبح فى مقام ذكر سقر ودواهيها لان سقر اشارة الى الطبيعة وجهنم النفس (انها لاحدى الكبر) جواب للقسم والكبر جمع الكبرى جعلت الف التأنيث كتائه والحقت بها فكما جمعت فعلة على فعل كركبة وركب جمعت فعلى عليها والافعلى لاتجمع على فعل بل على فعالى كحبلى وحبالى والمعنى ان سقر لاحدى البلايا اولاحدى الدواهى الكبر الكثيرة وهى اى سقر واحدة فى العظم لانظيرة لها كقولك انه احد الرجال هذا اذا كان منكرا لسقر وان كان منكرا لعدة الخزنة فالمعنى انها من احدى الحجج الكبر نذيرا من قدرة الله على قهر العصاة من لدن آدم عليه السلام الى قيام الساعة من الجن والانس حيث استعمل على تعذيبهم هذا العدد القليل وان كان منكر الآيات فالمعنى انها لاحدى الآيات الكبر (نذيرا للبشر) تمييز من نسبة احدى الكبر الى اسم ان لان معناه انها من معظمات الدواهى التى خلقها الله للتعذيب فيصح ان ينتصب منه التمييز كما تقول هى احدى النساء عفافا والنذير مصدر كالنكير والمعنى لاحدى الكبر انذارا اى من جهة الانذار اوحال مما دلت عليه الجملة اى معنى قوله انها لاحدى الكبرى اى كبرت منذرة وحذف التاء مع ان فعيلا بمعنى فاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث لكون ضمير انها فى تأويل العذاب اولكون النذير بمعنى ذات انذار على معنى النسب كقولهم امرأة طاهر اى ذات طهارة

(لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر) بدل من للبشر باعادة الجار وان يتقدم مفعول شاء ومنكم حال من من اى نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق الى الخير والجنة والطاعة فيهديه الله اولم يشاء ذلك و يتأخر بالمعصية فيضله وفيه اشارة الى ان لكسب العبد دخلاً فى حصول المرحومية والمحرومية وفى التأويلات النجمية اقسم بنور قمر الشريعة الزهراء و بظلمة ليل الطبيعة الظلماء و بصبح الحقيقة البيضاء حين غلبت على غلس الطبيعة ان الجنود مظاهر احدى هذه المراتب الكلية الكبرى اما اهل الشريعة واما اهل الحقيقة واما اهل الطبيعة وقوله نذيراً للبشر اى جعلنا الحصر فى المراتب الثلاث الكلية ليتنبه الانسان و يحترز ان يكون من اهل الانذار لمن شاء منكم ان يتقدم الى مقام الشريعة او يتأخر الى مقام الطبيعة ولما كان مقام الحقيقة اعلى المراتب ولم يصل اليه الا النذر من الكمل اعرض عن ذكره انتهى و يجوز ان يكون اهل الحقيقة داخلا فى ان يتقدم لانه واهل الشريعة كل منهما من المتقدمين وان كان بينهما فرق فى التقدم وتفاوت فى السير والمسارعة والحاصل ان اهل الاستعداد تقدموا باكتساب الفضائل والخيرات والكمالات الى مقام القلب والروح والسر واما غيرهم فتأخروا بالميل الى البدن وشهواته ولذاته فوقعوا فى ورطة الطبيعة (كل نفس) من نفوس الانس والجن المكلفين (بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله بكسبها محبوسة ثابتة وفى بعض التفاسير بسبب ما كسبت من الاعمال السيئة من رهن الشئ اى دام وثبت وارهنته اى تركته مقيما عنده وثابتا والرهن ما وضع عندك لينوب مناب ما اخذ منك والمرتهن هو الذى يأخذ المرهون ونفس المكلف محبوسة ثابتة عند الله بما وجب عليه من التكاليف التى هى حق خالص له تعالى فان اداها المكلف كما وجبت عليه فك رقبة وخلص نفسه والابقيت نفسه مرهونة محبوسة عنده وقال بعضهم الرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم على ان تكون التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية وفى فتح الرحمن للمبالغة اوعلى تأنيث اللفظ لاعلى معنى الانسان ونحوه وليس اى الرهينة صفة والاقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لاتدخله التاء بل يستوى فيه المذكر والمؤنث الا ان يحمل على ماهو بمعنى الفاعل فانه يؤتى فى مؤنثه بالتاء كما فى عكسه فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال الراغب قيل فى قوله كل نفس بما كسبت رهينة انه فعيل بمعنى فاعل اى ثابتة مقيمة وقيل بمعنى مفعول اى كل نفس مقامة فى جزاء ماقدم من عملها ولما كان الرهن يتصور من حبسه استعير ذلك للمحتبس اى شئ كان (الااصحاب اليمين) استثناء متصل من كل نفس لكثرتها فى المعنى واصحاب اليمين اهل الاعمال الصالحة من المؤمنين اى فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه بأداء الدين قال القاشانى كل نفس بمكسوبها رهن عند الله لافكاك لها لاستيلاء هيئات اعمالها وآثار افعالها عليها ولزومها اياها وعدم انفكاكها عنها الا اصحاب اليمين من السعداء الذين تجردوا عن الهيئات الجسدانية وخلصوا الى مقام الفطرة ففكوا رقابهم من الرهن (فى جنات) كأنه قيل مابال اصحاب اليمين فقيل هم فى جنات لايكتنه كنهها ولايوصف وصفها كما دل عليه التنكير والمراد ان كلا منهم ينال جنة منها (يتساءلون عن المجرمين) تفاعل هنا بمعنى فعل اى يسألون المجرمين عن احوالهم وقد حذف المسؤل لكونه عين المسؤل عنه ولدلالة ما بعده عليه (يروى) ان الله يطلع اهل الجنة وهم فى الجنة حتى يرون اهل النار وهم فى النار فيسألونهم (ماسلككم فى سقر) مقدر بقول هو حال مقدرة من فاعل يتساءلون اى قائلين اى شئ ادخلكم فيها وكان سببا لدخولكم من سلكت الخيط فى الابرة سلكا اى ادخلته فيها فهو من السلك بمعنى الادخال لامن السلوك بمعنى الذهاب فان قلت لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا ولتكون حكاية الله ذلك فى كتابه تذكرة للسامعين قرأ ابوعمرو سلكم بادغام الكاف فى الكاف والباقون بالاظهار (قالوا) اى المجرمون مجيبين للسائلين (لم نك من المصلين) للصلوات الواجبة فعدم اقرارنا بفرضية الصلاة وعدم ادائها سلكنا فيها اصله نكن حذف النون للتخفيف مع كثرة الاستعمال (ولم نك نطعم المسكين) على معنى استمرار نفى الاطعام لاعلى نفى استمرار الاطعام والمراد ايضا الاطعام الواجب والافليس بواجب من الصلاة والاطعام لايجوز التعذيب على تركه وكانوا يقولون انطعم من لو يشاء الله اطعمه فكانوا لا يرحمون المساكين بالاطعام ولا يحضون عليه ايضا كما سبق ففيه ذم للبخل ودلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة قال فى التوضيح الكفار مخاطبون بالايمان والعقوبات والمعاملات اجماعا اما العبادات فهم

مخاطبون بها فى حق المؤاخذة فى الآخرة اتفاقا ايضا لقوله تعالى ماسلككم فى سقر الآيات اما فى حق وجوب الاداء فمختلف فيه قال العراقيون من مشايخنا نعم وقال مشايخ ديارنا لا وفى بعض التفاسير والتحقيق ان يقول هذا انما هو تأسف منهم على تفريطهم فى كسب الخير وحرمانهم مما ناله المصلون والمزكون من المؤمنين ولا يلزم من ذلك ان يكونوا مأمورين بالعمل قبل الايمان (وكنا نخوض مع الخائضين) اى نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه والمراد بالباطل ذم النبي عليه السلام واصحابه رضى الله عنهم وغيبتهم وقولهم بانه شاعر اوساحر او كاهن وغير ذلك والخوض فى الاصل بمعنى الشروع مطلقا فى اى شئ كان ثم غلب فى العرف بمعنى الشروع فى الباطل والقبيح ومالا ينبغى وفى الحديث اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم خوضا فى معصية الله (وكنا نكذب بيوم الدين) اى بيوم الجزاء اضافوه الى الجزاء مع ان فيه من الدواهى والاهوال مالا غاية له لانه ادهاها وانهم ملابسوه وقدمضت بقية الدواهى وتأخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل اذهو تكذيب القيامة وانكارها كفر والامور الثلاثة المتقدمة فسق لتفخيمها والترقى من القبيح الى القبيح كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما ينطق به قولهم (حتى اتانا اليقين) اى الموت ومقدماته فانه امر متيقن لاشك فى اتيانه وبالفارسية آمد بما مرك ومقدمات او برهمان حال مرديم فان قلت ايريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا كما فى الكشاف وفيه اشارة الى ان بقاءهم فى مقر الطبيعة انما كان بسبب هذه الرذائل والذمائم (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) من الانبياء والملائكة وغيرهم اى لوقدر اجتماعهم على شفاعتهم على سبيل فرض المحال لاتنفعهم تلك الشفاعة فليس المراد انهم يشفعون لهم ولا تنفعهم شفاعتهم اذ الشفاعة يوم القيامة موقوفة على الاذن وقابلية المحل فلو وقعت من المأذون للقابل قبلت والكافر ليس بقابل لها فلا اذن فى الشفاعة له فلا شفاعة ولا نفع فى الحقيقة وفيه دليل على صحة الشفاعة ونفعها يومئذ لعصاة المؤمنين والا لما كان لتخصيصهم بعدم منفعة الشفاعة وجه قال ابن مسعود رضى الله عنه تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار الا اربعة ثم تلا قوله قالوا لم نك من المصلين الى قوله بيوم الدين وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان محمدا عليه السلام يشفع ثلاث مرات ثم تشفع الملائكة ثم الانبياء ثم الآباء ثم الابناء ثم يقول الله بقيت رحمتى ولا يدع فى النار الا من حرمت عليه الجنة ويقول الرجل من اهل النار لواحد من اهل الجنة يافلان اما تعرفنى انا الذى سقيتك شربة ويقول آخر انا الذى وهبت لك وضوأ ويقول آخر اطعمتك لقمة وآخر كسوتك خرقة وعلى هذا فيشفع له فيدخله الجنة اما قبل دخول النار او بعده (فما لهم عن التذكرة معرضين) الفاء لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير فى الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اى فاذا كان حال المكذبين به على ماذكر فاى شئ حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتأكد الدواعى الى الايمان به وفى كشف الاسرار پس چه رسيدست ايشانرا كه ازچنين پندى روكردانيده اند يقال الاعراض يكون بالجحود وبترك الاتباع له (كأنهم حمر مستنفرة) حال من المستكن فى معرضين بطريق التداخل وحمر جمع حمار وهو معروف ويكون وحشيا وهو المراد هنا ومستنفرة من نفرت الدواب بمعنى هربت لا من نفر الحاج والمعنى مشبهين بحمر نافرة يعنى خران رميد كان فاستنفر بمعنى نفر كان استعجب بمعنى عجب وقال الزمخشرى كأنهم حمر تطلب النفار من نفوسها بسبب انهم جمعوا هم نفوسهم للنفار وحملوه عليها فالسين على بابها من الطلب قال الراغب مستنفرة قد قرئ بفتح الفاء وكسرها فاذا كسر الفاء فمعناه نافرة واذا فتح فمعناه منفرة (فرت من قسورة) اى من اسد لان الوحشية اذا عاينت الاسد تهرب اشد الهرب ومثل القسورة الحيدرة لفظا ومعنى وهى فعولة من القسر وهو القهر والغلبة لانه يغلب السباع ويقهرها قال ابن عباس رضى الله عنهما القسورة هو الاسد بلسان الحبشة وقيل هى جماعة الرماة الذين يتصيدونها (وقال الكاشفى) كريخته از شير يا از صياد يار يسمان دام يامردم تيرانداز يا آوازهاء مختلف شبهوا فى اعراضهم عن القرآن واستماع مافيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما افزعها يعنى چنانچه خر بيابانى از ابهامى كريزد ايشان از استماع

قرآن مى كريزند زيرا كه كوش سخن شنو ودل پند پذير ندارند كما اشار اليه فى المثنوى * ازكجا اين قوم و پيغام ازكجا * ازجمادى جان كجا باشد رجا * فهمهاى كهنه كوته نظر * صد خيال بد در آرد در نكر * راز جز با رازدان انباز نيست * راز اندر كوش منكر راز نيست وفيه من ذمهم وتهجين حالهم مالايخفى يعنى ان فى تشبيههم بالحمر شهادة عليهم بالبله ولاترى مثل نفار حمر الوحش واطرادها فى العدو اذا خافت من شئ ومن اراد اهانة غليظة لاحد والتشنيع عليه باشنع شئ شبهه بالحمار (روى) ان واحدا من العلماء كان يعظ الناس فى مسجد جامع وحوله جماعة كثيرة فرأى ذلك رجل من البله وكان قد فقد حماره فنادى للواعظ وقال انى فقدت حمارا فاسأل هذه الجماعة لعل واحدا منهم رآه فقال له الواعظ اقعد مكانك حتى ادلك عليه فقعد الرجل فاذا واحد من اهل المجلس قام واخذ فى ان يذهب فقال الواعظ للرجل خذ هذا فانه حمارك والظاهر انه قال ذلك القول اخذا من هذا الكلام فانه فر من تذكرة الملك العلام (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة) عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لايكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها عنادا ومكابرة بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم اى اباجهل بن هشام وعبد الله بن امية واصحابهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء او يصبح عند رأس كل رجل منا اوراق منشورة يعنى مهر بركرفته عنوانها من رب العالمين الى فلان ابن فلان نؤمر فيها باتباعك اى بان يقال اتبع محمدا فانه رسول من قبلى اليك كما قالوا ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه وامرئ قال فى القاموس المرء مثلثة الميم الانسان او الرجل ولايجمع من لفظه ومع الف الوصل ثلاث لغات فتح الراء دائما وضمها دائما واعرابها دائما وان مع صلته مفعول يريد وصحفا مفعول ثان ليؤتى والاول ضمير كل ومنشرة صفة صحف جمع صحيفة بمعنى الكتاب قال فى تاج المصادر وصحف منشرة شدد للكثرة (كلا) ردع عن اقتراحهم الآيات وارادتهم ماارادوه فانهم انما اقترحوها تعنتا وعنادا لاهدى ورشادا (بل لايخافون الآخرة) لاستهلاكهم فى محبة الدنيا فلعدم خوفهم منها اعرضوا عن التذكرة لالامتناع ايتاء الصحف (كلا) ردع عن اعراضهم عن التذكرة (انه) الضمير فى انه وفى ذكره للتذكرة لانها بمعنى الذكر او القرآن كالموعظة بمعنى الوعظ والصيحة بمعنى الصوت (تذكرة) اى تذكرة فالتنوين للتعظيم اى تذكرة بليغة كافية وفى برهان القرآن اى تذكير للحق وعدل اليها للفاصلة (فمن) پس هركه (شاء) ان يذكره و يتعظ به قبل الحلول فى القبر (ذكره) اى جعله نصب عينه وحاز بسببه سعادة الدارين فانه ممكن من ذلك (ومايذكرون) بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لاتأثير لمشيئة العبد وارادته فى افعاله وضمير الجمع اما ان يعود الى الكفرة لان الكلام فيهم اوالى من نظر الى عموم المعنى لشموله لكل من المكلفين (الا ان يشاء الله) استثناء مفرغ من اعم العلل اومن اعم الاحوال اى ومايذكرون لعلة من العلل اوفى حال من الاحوال الا بان يشاء الله او حال ان يشاء الله ذكرهم وهذا تصريح بان افعال العبد بمشيئة الله لابارادة نفسه قال فى عين المعانى فمن شاء الخ تخيير باعطاء المكنة لتحقيق العبودية وقوله الا ان يشاء الله تخيير بامضاء القدرة لتحقيق الالوهية (هو) اى الله تعالى (اهل التقوى) اى حقيق بان يتقى عقابه و يؤمن به ويطاع فالتقوى مصدر من المبنى للمفعول (واهل المغفرة) حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه قال بعضهم التقوى هو التبرى من كل شئ سوى الله فمن لزم الآداب فى التقوى فهو اهل المغفرة

(تمت سورة المدثر فى اوائل ذى الحجة من سنة ست عشرة ومائة والف)

* (سورة القيامة تسع وثلاثون اواربعون آية مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(لا اقسم بيوم القيامة) لاصلة لتوكيد القسم وماكان لتوكيد مدخوله لايدل على النفى وان كان فى الاصل للنفى قال الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة * وكاد ضمير القلب لايتقطع

اى يتقطع والمعنى بالفارسية هر آينه سو كند ميخورم بروز رستاخيز او للنفى لكن لالنفى نفس الاقسام بل لنفى ماينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لااقسم بكذا لااعظمه باقسامى به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر اوللنفى كلام معهود قبل القسم ورده كأنهم انكروا البعث فقيل لا اى لبس

الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيامة كقولك لا والله ان البعث حق واياما كان ففى الاقسام على تحقق البعث بيوم القيامة من الجزالة ما لا مزيد عليه واما ما قيل من ان المعنى نفى الاقسام لوضوح الامر فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به قال المغيرة بن شعبة رحمه الله يقولون القيامة القيامة وانما قيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته ونظمه بعضهم

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى * غداة اقل الحاملون جنازتى

(ولا اقسم بالنفس اللوامة) قال فى عين المعانى القسم بالشئ تنبيه على تعظيمه اوما فيه من لطف الصنع وعظم النعمة وتكرير ذكر القسم تنبيه على ان كلا من المقسم به مقصود مستقل بالقسم لما ان له نوع فضل يقتضى ذلك واللوم عذل الانسان بنسبة ما فيه لوم والمراد بالنفس اللوامة هى النفس الواقعة بين الامارة والمطمئنة فلها وجهان * وجه يلى النفس الامارة وهو وجه الاسلام فاذا نظرت الى الامارة بهذا الوجه تلومها على ترك المتابعة والاقدام على المخالفة وتلوم ايضا نفسها على ما فات عنها فى الايام الماضية من الاعمال والطاعات والمراتعة فى المراتع الحيوانية الظلمانية * ووجه يلى النفس المطمئنة وهو وجه الايمان فاذا نظرت بهذا الوجه الى المطمئنة وتنورت بنورانيتها وانصبغت بصبغتها تلوم ايضا نفسها على التقصيرات الواقعة منها والمحذورات الكائنة عليها فهى لا تزال لائمة لها قائمة على سوق لومها الى ان تتحقق بمقام الاطمئنان ولذلك استحقت ان اقسم الله بها على قيام البعث والنشر والحشر قال القاشانى جمع بين القيامة والنفس اللوامة فى القسم بهما تعظيما لشأنهما وتناسبا بينهما اذ النفس اللوامة هى المصدقة بها المقرة بوقوعها المهيئة لاسبابها لانها تلوم نفسها ابدا فى التقصير والتقاعد عن الخيرات وان احسنت لحرصها على الزيادة فى الخير واعمال البر تيقنا بالجزاء فكيف بها ان اخطأت وفرطت وبدرت من بادرة غفلة ونسيانا انتهى هذا ودع عنك القيل والقال وجواب القسم محذوف دل عليه قوله تعالى (ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه) وهو لتبعثن والمراد بالانسان الجنس والاسناد الى الكل بحسب البعض كثير والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف والعظام جمع عظم وهو قصب الحيوان الذى عليه اللحم بالفارسية استخوان ويجيئ جمع عظيم ايضا ككرام وكريم وكبار وكبير ومنه المولى العظام والمعنى ايحسب الانسان الذى ينكر البعث ان الشأن والحديث لن نجمع عظامه البالية فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما نسفتها الرياح وطيرتها فى اقطار الارض والقتها فى البحار لمجازاته بما عمل فى الدنيا وقيل ان عدى بن ابى ربيعة ختن الاخنس بن شريف وهما اللذان كان عليه السلام يقول فيهما اللهم اكفنى جارى السوء قال لرسول الله يا محمد حدثنى عن يوم القيامة متى يكون وكيف امره فاخبره فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يعنى اكذب حسى او يجمع الله هذه العظام فيكون الكلام خارجا على قول المنكر كقوله من يحيى العظام وهى رميم وقيل ذكر العظام واراد نفسه كلها لان العظام قالب النفس لا يستوى الخلق الا باستوائها ودل هذا الانكار على انه ناشئ من الشبهة وذلك بالنسبة الى البعض والله قادر على الاحياء لا شبهة فيه بالنسبة الى العاقل المنكر المستدل (بلى) ايجاب لما ذكر بعد النفى وهو الجمع اى نجمعها وبالفارسية آرى جمع كنيم حال كوننا (قادرين) فهو حال مؤكدة من الضمير المستكن فى نجمع المقدر بعد بلى (على ان نسوى بنانه) اى نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام وهو جمع سلامى كحبارى وهى العظام الصغار فى اليد والرجل وفى الحديث كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس اى على صاحبه صدقة من اى انواع الصدقة من قول وفعل ومال وفى القاموس البنان الاصابع او اطرافها قال الراغب البنان الاصابع قيل سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التى يمكن للانسان ان يبين بها ما يريد اى يقيم يقال ابن بالمكان يبن لذلك خص فى قوله تعالى بلى قادرين على ان نسوى بنانه وقوله واضربوا منهم كل بنان خصه لاجل انها يقاتل بها ويدافع او المعنى على ان نسوى اصابعه التى هى اطرافه وآخر ما يتم به خلقه فالبنان مفرد اللفظ مجموع المعنى كالتمر وفيه جهتان الصغر وكونه طرفا فالى اى جهة نظرت ثبت المطلوب بالاولوية ولذا خص بالذكر ثم فى العظام اشارة الى كبار اعماله الحسنة والسيئة وفى البنان الى صغار افعاله الحسنة والسيئة فان الله تعالى يجمع كلا منها ويجازى عليها

(بل يريد الانسان ليفجر امامه) الفجر شق الشئ شقا واسعا والفجور شق ستر الديانة وقال بعضهم الفجور الميل فالكاذب والمكذب والفاسق فاجر اى مائل عن الحق ومنه قول الاعرابى فى حق عمر رضى الله تعالى عنه *
اغفر له اللهم ان كان فجر * اى كذب واللام للتأكيد مثل قوله وانصح لكم فى انصحكم وان يفجر مفعول يريد وقد يقال مفعوله محذوف يدل عليه قوله ليفجر امامه والتقدير يريد شهواته ومعاصيه وقال سعدى المفتى الظاهر ان يريد ههنا منزل منزلة اللازم ومصدره مقدر بلام الاستغراق بمعونة المقام يعنى مقام تقبيح حال الانسان اى يوقع جميع ارادته ليفجر وجعل ابو حيان بل لمجرد الاضراب عن الكلام الاول و هو بجمعها قادرين من غير ابطال المضمون والاخذ فى بيان ما عليه الانسان من انهما كه فى الفجور من غير عطف وقال غيره عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا اوعلى انه ايجاب انتقل اليه من الاستفهام وهذا ابلغ واولى والمعنى بل يريد الانسان ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه فالامام ههنا مستعار للزمان من المكان وقال الراغب يريد الحياة ليتعاطى الفجور فيها وقيل معناه يذنب ويقول غدا اتوب ثم لا يفعل فيكون ذلك فجورا لبذله عهدا لا يفى به (وقال الكاشفى) بلكه خواهد آدمى آنكه دروغ كويد بآنچه اورا در پيش است از بعث وحساب وفيه اشارة الى ان الانسان المحجوب يريد ليفجر امامه بحسب الاعتقاد و النية قبل الاتيان بالفعل وذلك بالعزم المؤاخذ به على ما عرف فى محله (يسأل) سؤال استبعاد واستهزاء (ايان) اصله اى آن وهو خبر مقدم لقوله (يوم القيامة) اى متى يكون والجملة استئناف تعليلى كأنه قيل ما يفعل حين يريد ان يفجر و يميل عن الحق فقيل يستهزئ و يقول ايان يوم القيامة اوحال من الانسان فى قوله بل يريد الانسان اى ليس انكاره للبعث لاشتباه الامر وعدم قيام الدليل على صحة البعث بل يريد ان يستمر على فجوره فى حال كونه سائلا متى تكون القيامة فدل هذا الانكار على ان الانسان يميل بطبعه الى الشهوات و الفكرة فى البعث تنغصها عليه فلاجرم ينكره و يأبى عن الاقرار به فقوله ايحسب الانسان الخ دل على الشبهة والجهل وقوله بل يريد الخ على الشهوة والتجاهل فالآيتان بحسب الشخصين وفيه اشارة الى ان المحجوب يسأل ايان يوم القيامة لاحتجابه بنفسه الظلمانية لا يشاهد القيامة فى كل ساعة ولحظة بل فى كل لمحة وطرفة لتعاقب التجليين الافنائى والابقائى كما قال تعالى بل هم فى لبس من خلق جديد (فاذا برق البصر) اى تحير واضطرب و جال فزعا من اهوال يوم القيامة من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش ثم استعمل فى كل حيرة وان لم يكن هناك نظر الى البرق وهو واحد بروق السحاب ولمعانه (وخسف القمر) اى ذهب ضوؤه فان خسف يستعمل لازما ومتعديا يقال خسف القمر وخسفه الله اوذهب نفسه من خسف المكان اى ذهب فى الارض ولكن هذا المعنى لا يناسب ما بعد الآية قال بعضهم اصل الخسف النقصان و يكون فى الوصف وفى الذات وفيه رد لمن عبد القمر فان القمر لو كان الها كما زعمه العابد لدفع عن نفسه الخسوف والمذهب ضوؤه قال فى فتح الرحمن الخسوف والكسوف معناهما واحد وهو ذهاب ضوء احد النيرين او بعضه وصلاة الكسوف سنة مؤكدة فاذا كسفت الشمس او القمر فزعوا الى الصلاة وهى لكسوف الشمس ركعتان كهيئة النافلة و يصلى بهم امام الجمعة و يطيل القراءة ولا يجهر ولا يخطب وخسوف القمر ليس له اجتماع و يصلى الناس فى منازلهم ركعتين كسائر النوافل (وجمع الشمس والقمر) فى ذهاب الضوء كما روى عن النبى عليه السلام اوجمع بينهما فى الطلوع من المغرب اوفى الالقاء فى النار ليكون حسرة على من يعبدهما و جاز تكرار القمر لانه اخبر عنه بغير الخبر الاول وقال القاشانى فاذا برق البصر اى تحير ودهش شاخصا من فزع الموت وخسف قمر القلب لذهاب نور العقل عنه وجمع شمس الروح وقمر القلب بان جعلا شيئا واحدا طالعا من مغرب البدن لا يعتبر لهما رتبتان كما كان حال الحياة بل اتحدا روحا واحدا انتهى (يقول الانسان) المنكر للقيامة وهو عامل فى اذا (يومئذ) اى يوم اذ تقع هذه الامور قول الآيس من حيث انه لا يرى شيئا من علامات ممكنة للفرار كما يقول من آيس من وجدان زيد اين زيد حيث لم يجد علامة اصابته (اين المفر) اى الفرار وقال سعدى المفتى ولعله لامنع من الابقاء على حقيقته والقول بصدور هذا الكلام بناء على توهمه لتحيره (كلا) ردع عن طلب المفر وتمنيه قال سعدى المفتى هذا لا يناسب ان يقوله قول الآيس اذ لا طلب حينئذ ثم قوله كلا من قول الله تعالى و جوز ان يكون من قول الانسان لنفسه وهو بعيد (لا وزر) لا ملجأ يعنى پناه كاه

نباشد كافرانرا مستعار من الجبل فان الوزر محركة الجبل المنيع ثم يقال لكل ماالتجأت اليه وتحصنت به وزر تشبيهاله به وخبر لا محذوف اى لاملجأ ثمة اوفى الوجود ومن بلاغات الزمخشرى اتل على كل من وزر كلا لاوزر اى اتل عليه هذه الآية ومعنى وزرالاول بالفارسية كناه كردن فان الوزر بالكسر الاثم وقال بعضهم

لعمرك مافى الفتى من وزر * من الموت يدركه و الكبر

اى لاملجأ للفار من الموت والكبر اذ كل منهما من الامر الالهى والامر المحكم والقضاء المبرم يدرك الانسان لامحالة (الى ربك يومئذ المستقر) اى اليه تعالى وحده استقرار العباد اى لايتوجهون الا الى حيث امرهم الله من مقام حسابه اوالى حكمه استقرار امرهم فان الملك يومئذ لله فهو كقوله ان الى ربك الرجعى وان الى ربك المنتهى واليه ترجعون اى الى حيث لاحاكم ولامالك سواه اوالى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار فيكون المستقر اسم مكان و هو مرفوع بالابتداء والى ربك خبره و يومئذ معمول الى ربك ولايجوزان يكون معمول المستقر لانه ان كان مصدرا بمعنى الاستقرار فلايتقدم معموله عليه وان كان اسم مكان فلاعمل له البتة وكذا الكلام فى قوله الى ربك يومئذ المساق ونحوه (ينبؤ الانسان يومئذ) اى يخبر كل امرئ برا كان اوفاجرا عند وزن الاعمال و حال العرض والمحاسبة والمخبرهوالله اوالملك بامره اوكتابه بنشره (بماقدم) اى عمل من عمل خيرا كان اوشرا فيثاب بالاول و يعاقب بالثانى (واخر) اى لم يعمل خيرا كان اوشرا فيعاقب بالاول و يثاب بالثانى او بماقدم من حسنة اوسيئة و بمااخر من حسنة اوسيئة فعمل بها بعده او بماقدم من مال تصدق به فى حياته و بمااخر فخلفه اووقفه اواوصى به او باول عمله وآخره (شيخ الاسلام عبدالله الانصارى قدس سره) فرموده كه كاه از پيش فرستى بجرأت ومال از پس بكذارى بحسرت كناه را بتوبه نيست كن تاعاند ومال رابصدقه پيش فرست تابماند * كرفرستى ز پيش به باشد * كه بحسرت ز پس نكاه كنى * و فى الحديث مامنكم من احد الاسيكلمه ربه ليس بينه و بينه ترجمان ولاحجاب يحجبه فينظر ايمن منه فلايرى الاماقدم من عمله و ينظر اشأم منه فلايرى الاماقدم و ينظر بين يديه فلايرى الاالنار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة (بل الانسان على نفسه بصيرة) الانسان مبتدأ و بصيرة خبره وعلى نفسه متعلق ببصيرة بتقدير على اعمال نفسه والموصوف محذوف اى بل هو حجة بصيرة و بينة واضحة على اعمال نفسه شاهدة جوارحه و اعضاؤه بماصدر عنه من الافعال السيئة كمايعرب عنه كلمة على و ماسيأتى من الجملة الحالية ووصفت بالبصارة مجازا فى الاسناد كماوصفت الآيات بالابصار فى قوله تعالى فلماجاءتهم آياتنا مبصرة اوعين بصيرة اوذو بصيرة اوالتاء للمبالغة كمافى علامة ونسابة ومعنى بل الترقى اى ينبأ الانسان باعماله بل هو لايحتاج الى ان يخبره غيره فانه يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك قال القاشانى بل الانسان حجة بينة يشهد بعمله لبقاء هيئة اعماله المكتوبة عليه فى نفسه ورسوخها فى ذاته وصيرورة صفاته صور اعضائه فلاحاجة الى ان ينبأ من خارج * باش تاازصدمهٔ صور سرافيلى شود * صورت خوبت نهان و سيرت زشت آشكار (ولو القى معاذيره) حال من المستكن فى بصيرة او من مرفوع ينبأ اى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه و يجادل عنها بان يقول مثلا لم افعل اوفعلت لاجل كذا اولم اعمل اووجد مانع اوكنت فقيرا ذا عيال اوخفت فلانا اوطمعت فى عطائه الى غير ذلك من المعاذير الغير النافعة * چه چندين عذرانكيزى وچندين حيله هاسازى * چوميدانى كه ميدانم وميدانم كه ميدانى * او ينبأ باعماله ولواعتذر بكل عذر فى الذب عنها فان الذب والدفع لارواج له يومئذ لانه يوم ظهور الحق بحقيقته والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار و هو الستر بلغة اهل اليمن اى ولوارخى ستوره يعنى ان احتجابه واستتاره عن المخلوقات فى حال مباشرة المعصية فى الدنيا لايغنى عنه شيأ لان عليه من نفسه بصيرة ومن الحفظة شهودا. وفى الكشاف لانه يمنع رؤية المحتجب كماتمنع المعذرة عقوبة الذنب (لاتحرك به) اى بالقرآن (لسانك) مادام جبريل يقرأ و يلقى عليك (لتعجل به) اى بأخذه اى لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت (ان علينا جمعه) فى صدرك بحكم الوعد بحيث لايخفى عليك شئ من معانيه (وقرآنه) بتقدير المضاف اى اثبات قراءته فى لسانك بحيث تقرأه متى شئت فالقرآن مصدر بمعنى القراءة كالغفران بمعنى المغفرة مضاف الى مفعوله و القراءة ضم الحروف

والكلمات بعضها الى بعض فى الترتيل وليس يقال ذلك لكل جمع لايقال قرأت القوم اذا جمعتهم (فاذا قرأناه) اى اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة فى ايجاب التأنى (فاتبع قرآنه) اى فاشرع فيه بعد فراغ جبريل منه بلامهلة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فاذا جمعناه واثبتناه فى صدرك فاعمل به وقال الواسطى رحمه الله جمعه فى السر وقرآنه فى العلانية (ثم ان علينا بيانه) اى بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه وسمى مايشرح المجمل والمبهم من الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود اظهاره وفى ثم دليل على أنه يجوز تأخير البيان عن وقت الخطاب لاعن وقت الحاجة الى العمل لانه تكليف بما لايطاق قال اهل التفسير كان عليه السلام اذا لقن الوحى نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحى كما قال تعالى ولاتعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ثم يقضيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه وعن بعض العارفين انه قال فيه اشارة الى صحة الاخذ عن الله بواسطة كأنه تعالى يقول خذه عن جبريل كانك ماعلمته الامنه ولاتسابق بما عندك منا من غير واسطة واكابر المحققين يسمون هذه الجهة التى هى عدم الوسائط بالوجه الخاص والفلاسفة ينكرون هذا الوجه ويقولون لاارتباط بين الحق والموجودات الا من جهة الاسباب والوسائط فليس عندهم ان يقول الانسان اخبرنى ربى اى بلاواسطة وهم مخطئون فى هذا الحكم فانه لما كان ارتباط كل ممكن بالحق من حيث الممكن من جهتين جهة الوحدة وجهة الكثرة وجب ان تكون جهة الوحدة بلاواسطة وهو الوجه الخاص وجهة الكثرة بواسطة وهو الوجه العام ولما كان نبينا عليه السلام اكمل الخلق فى جهة الوحدة لكون احكام كثرته وامكانه مستهلكة بالكلية فى وحدة الحق واحكام وجوبه كان يأخذ عن الله بلا واسطة اى من الوجه الخاص وكان ينطبع فى قلبه ما يريد الحق ان يخبره به فاذا جاءه الكلام من جهة الوسائط اى من الوجه العام بصور الالفاظ والعبارات التى استدعتها احوال المخاطبين كان يبادر اليه بالنطق به لعلمه بمعناه بسبب تلقيه اياه من حيث اللاواسطة لينفس عن نفسه مايجده من الكربة والشدة التى يلقاها مزاجه من التنزل الروحانى فان الطبيعة تنزعج من ذلك للمباينة الثابتة بين المزاج وبين الروح الملكى فعرف الحق نبينا عليه السلام ان القرآن وان اخذته عنا من حيث معناه بلا واسطة فان انزالنا اياه مرة اخرى من جهة الوسائط يتضمن فوائد زائدة منها مراعات افهام المخاطبين به لان الخلق المخاطبين بالقرآن حكم ارتباطهم بالحق انما هو من جهة سلسلة الترتيب والوسائط كما هو الظاهر بالنسبة الى اكثرهم فلايفهمون عن الله الا من تلك الجهة ومنها معرفتك اكتساء تلك المعانى العبارة الكاملة وتجلى فى مظاهرها من الحروف والكلمات فتجمع بين كمالاته الباطنة والظاهرة فيتجلى بهما روحانيتك وجسمانيتك ثم يتعدى الامر منك الى امتك فيأخذ كل منهم حصته منه علما وعملا فى قوله تعالى لاتحرك به لسانك الخ تعليم وتأديب اما التعليم فالمشير اليه من ان باب جهة الوحدة مسدود على اكثر الناس فلايفهمون عن الله الا من الجهة المناسبة لحالهم وهى جهة الوسائط والكثرة الامكانية واما التأديب فانه لما كان الآتى بالوحى من الله جبريل فتى بودر بذكر ما اتى به كان كالتعجيل له واظهار الاستغناء عنه وهذا خلل فى الادب بلاشك سيما مع المعلم المرشد ومن هذا التقرير عرف ان قوله تعالى لاتحرك به الخ واقع فى البين بطريق الاستطراد فانه لما كان من شأنه عليه السلام الاستعجال عند نزول كل وحى على ماسبق من الوجه ولم ينته عنه الى ان اوحى اليه هذه السورة من اولها الى قوله ولو القى معاذيره وعجل فى ذلك كسائر المرات نهى عنه بقوله لاتحرك الخ ثم عاد الكلام الى تكملة ما ابتدئ به من خطاب الناس ونظيره مالو القى المدرس على الطالب مسألة وتشاغل الطالب بشئ لايليق بمجلس الدرس فقال القى الى بالك وتفهم ما اقول ثم كمل المسألة يقول الفقير ايده الله القدير لاح لى فى سر المناسبة وجه لطيف ايضا وهو ان الله تعالى بين قبل قوله لاتحرك به الخ جمع العظام ومتفرقات العناصر التى هى اركان ظاهر الوجود ثم انتقل الى جمع القرآن واجزائه التى هى اساس باطن الوجود فقال بعد قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ان علينا جمعه فاجتمع الجمع بالجمع والحمد لله تعالى وقد تحير طائفة من قدماء الروافض خذلهم الله تعالى حيث لم يجدوا المناسبة فزعموا ان هذا القرآن غير وبدل وزيد فيه ونقص وفى التأويلات النجمية اعلم ان كل مااستعد لاطلاق الشيئية عليه فله ملك وملكوت لقوله تعالى بيده ملكوت كل شئ

والقرآن اشرف الاشياء واكملها فله ايضا ملك وملكوت فاما ملكه فهو الاحكام والشرائع الظاهرة التى تتعلق بمصالح الامة من العبادات المالية والبدنية والجنايات والوصايات وامثالها واما ملكوته فهو الاسرار الالهية والحقائق اللاهوتية التى تتعلق ببواطن خواص الامة واخص الخواص بل بخلاصة اخص الخواص من المكاشفات والمشاهدات السرية والمعاينات الروحية ولكل واحد من الملك والملكوت مدركات يدرك بها لاغير لان الوجدانيات والذوقيات لاتسعها السنة العبارات لانها منقطع الاشارات فقوله لاتحرك الخ يشير الى عدم تعبيره بلسان الظاهر عن اسرار الباطن والحقائق الآتية عن تصرف العبارات فيها بالتعبير عنها وان مظهره الجامع جامع بين ملك القرآن وملكوته وهو عليه السلام يتبع بظاهره ملكه و بباطنه ملكوته نسأل الله سبحانه ان يجعلنا من المتبعين للقرآن فى كل زمان (كلا) عود الى تكملة ما ابتدئ به الكلام يعنى نه چنانست اى آدميان كه كمان برده آيد در امر عقبى (بل تحبون العاجلة) اى الدنيا يعنى دنياى شتاب كننده را (وتذرون الآخرة) فلا تعملون لها بل تنكرونها وفى التأويلات النجمية تحبون نعمة شهوة الدنيا وتذرون نعمة حور الآخرة والخطاب للامة (وجوه يومئذ ناضرة) النضرة طراوة البشرة وجمالها وذلك من اثر النعم والناضر الغض الناعم من كل شئ اى وجوه كثيرة وهى وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم ورونقه كما قال تعالى فى آية اخرى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم على ان وجوه مبتدأ وناضرة خبره و يومئذ منصوب بناضرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام التفصيل (الى ربها ناظرة) قوله ناظرة خبر ثان للمبتدأ والى ربها متعلق بها والنظر تقليب البصر والبصيرة لادراك الشئ ورؤيته والمراد بنظر الوجوه نظر العيون التى فيها بطريق ذكر المحل وارادة الحال وهذا عند اهل القال واما عند اهل الحال فلا ينحصر النظر فى البصر والاجاء القيد والله منزه عن ذلك بل ينقلب الباطن ظاهرا والظاهر بصرا بجميع الاجزاء فيشاهد الحق به كما يشاهد بالبصيرة فى الدنيا والآخرة عالم اللطافة ولذا الاحكم للقالب والجسد الظاهر هنا وانما الحكم للقلب والروح الظاهر صور الاعضاء بهما فاعرف جدا بزركى را پرسيدند كه راه ازكدام جانب است كفت ازجانب تونيست چون ازتو دركذشتى ازهمه جانبها راهست * چون بصديقان بياكردند وزان ره ساختند * جز بدل رفتن دران ره يك قدم رابار نيست * والمعنى ان الوجوه تراه تعالى عيانا مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وحق لها ان تنظر وهى تنظر الى الخالق مثل مؤمن مثل بازاست بازرا چون بكيرند وخواهند كه شايستهٔ دست شاه كردد مدتى چشم او بدوزند بندى بر پايش نهند درخانهٔ تاريك بازدارند ازجفتش جدا كنند يك چندى بكرسنكيش مبتلى كنند تاضعيف ونحيف كردد ووطن خويش فراموش كند وطبع كذاشتكى دست بدارت آنكه بعاقبت چشمش بكشايد شمعى پيش وى بيفروزند طبلى از بهروى بزند طعمهٔ كوشت پيش وى نهند ودست شاه مقروى سازند باخود كويد دركل عالم كرابود اين كرامت كه مراست شمع پيش ديدهٔ من آواز طبل نواى من كوشت مرغ طعمهٔ من دست شاهجاى من برمثال اين حال چون خوانند كه بندهٔ مؤمن راحلهٔ خلت بوشانند وشراب محبت نوشانند باوى همين معاملت كنند مدتى درچهار ديوار لحد بازدارند كيرايى ازدست وروايى از قدم بستانند بينايى ازديده بردارند روزكار برين صفت بكذارند آنكه ناكاه طبل قيامت بزنند بنده ازخاك لحد سر برارد چشم بكشايد نوربهشت بيند دنيا فراموش كند شراب وصل نوش كند برمائدهٔ خلد بنشيند چنانچه آن باز چشم باز كند خودرا بردست شاه بيند بندهٔ مؤمن چشم باز كند خودرا مقعد صدق بيند سلام ملك شنود ديدار ملك بيند ميان طوبى وزلفى وحسنى شادان ونازان درجلال وجمال حق نكرانست كه رب العالمين كفت وليس هذا فى جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره من الاشياء الكثيرة والاولى ان التقديم للاهتمام ورعاية الفاصلة لان التقييد ببعض الاحوال تقييد بلا دليل ومناف لمقام المدح المقتضى لعموم الاحوال وغير مناسب لقوله وجوه يومئذ ناضرة لعمومه فى الاحوال ولو سلم فالاختصاص ادعائى فان النظر الى غيره فى جنب النظر اليه لايعد نظرا بل هو بمنزلة العدم كما فى قولهم يد الجواد هكذا قالوا ولكن من اهل الجنة من فاز بالتجلى الذاتى الابدى الذى لاحجاب بعده ولا مستقر للكمل دونه وهو الذى اشار اليه عليه السلام بقوله صنف من اهل الجنة لايستتر الرب عنهم ولا يحتجب وكان يذكره ايضا فى دعائه ويقول واسألك لذة النظر الى وجهك الكريم ابدا دائما

سرمدا دون ضراء مضره ولافتنة مضلة فالضراء المضرة حصول الحجاب بعد التجلي او التجلي بصفة تستلزم سد الحجب والفتنة المظلة كل شبهة توجب خللا اونقصا في العلم والشهود اورده اند اوراى دهر يك تاز او نا د اين كلما تست اللهم انى اسألك النظرة الى وجهك الكريم هركس بهشت آرزو بى دارد وعاشق جز آرزوى ديدن ديد ار ندارد پيرطريقت كفت بهرهٔ عارف در بهشت سه چيز است سماع وشراب وديدار سماع را كفت فهم فى روضة يحبرون شراب را كفت وسقاهم ربهم شرابا طهورا ديدار كفت (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) سماع بهرهٔ كوش شراب بهرهٔ لب ديدار بهرهٔ ديده سماع واجدانرا شراب عاشقانرا ديدار محبانرا سماع طرب افزايد شراب زبان كشايد ديدار صفت ربايد سماع مطلوب را نقد كند شراب راز جلوه كند ديدار عارف را فرد كند سماع راهفت اندام رهى كوش چون ساقى اوست شراب همه نوش ديدار را ز پرهر موى ديدهٔ روشن ثم ان جميع اهل السنة حملوا هذه الآية على انها متضمنة رؤية المؤمنين لله تعالى بلا تكييف ولا تحديد ولا يصح تأويل من قال لاضرر بهما ونحوه وجعله الزمخشري كناية عن معنى التوقع والرجاء على معنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه وجوابه انه لا يعدل الى الكناية بلا ضرورة داعية اليها وهي ههنا مفقودة فالاحاديث الصحيحة تدل على تعين جانب الحقيقة واما قوله عليه السلام جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه حيث ان المعتزلة قالوا ان الرداء حجاب بين المرتدى والناظرين فلا تمكن الرؤية فجوابه انهم حجبوا عن ان المرتدى لا يحجب عن الحجاب اذ المراد بالوجه الذات وبرداء الكبرياء هو العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامعة للحقائق الامكانية والالهية يعنى رداء كبرياء نفس مظهر ست ومشاهدهٔ ذات بدون مظهرى محالست والرداء هو الكبرياء واضافته للبيان والكبرياء رداؤه الذي يلبسه عقول العلماء بالله للتفهيم فلا رداء هناك حقيقة فالرتبة الحجابية باقية ابدا وهي رتبة المظهر لانها كالمرآة واما قوله عليه السلام حين سئل هل رأيت ربك ليلة المعراج فقال نور انى اراه فمعناه ان النور المجرد لا تمكن رؤيته يعنى انما تتعذر الرؤية والادراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والاضافات فاما في المظاهر ومن وراء حجابية المراتب فالادراك ممكن ومن المعتزلة من فسر النظر بالانتظار وجعل قوله الى اسما مفردا بمعنى النعمة مضافا الى الرب جمعه آلاء فيكون مفعولا مقدما لقوله ناظرة بمعنى منتظرة والتقدير وجوه يومئذ منتظرة نعمة ربها ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه سواء اريد به المعنى الحقيقي او اريد به العين بطريق ذكر المحل وارادة الحال وتفسير الوجه بالذات وجملة الشخص خلاف الظاهر وبان الانتظار لا يعدى بالى ان جعل حرفا واخذه بمعنى النعمة في هذا المقام يخالف المعقول لان الانتظار يعدمن الآلام ونعيم الجنة حاضر لاهلها ويخالف المنقول ايضا وهو انه عليه السلام قال ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة يعنى تاهزال ساله راه ازاينند واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية يعنى بمقدار ارازان ثم قرأ عليه السلام وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقد فسر النظر بنظر العين والرؤية فظهر ان المخالف اتبع رأيه وهوا (وروى) انه عليه السلام نظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته وهو بفتح التاء وتشديد الميم من الضم اصله لا تتضامون اى لا ينضم بعضكم الى بعض ولا يقول ارنيه بل كل ينفرد برؤيته وروى بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم فتكون التاء حينئذ مضمومة يعنى لا ينالكم ظلم بان يرى بعضكم دون بعض بل تستوون كلكم في رؤيته تعالى وهذا حديث مشهور تلقته الامة بالقبول ومعنى التشبيه فيه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح لا تشبيه المرئى بالمرئى فثبت ان المؤمنين يرونه بغير كيف ولا كم وضرب من مثال فينسون النعيم اذا راوه فيا خسران اهل الاعتزال وسئل مالك بن انس رضى الله عنهما عن قوله تعالى الى ربها ناظرة وقيل له ان قوما يقولون الى ثوابه فقال مالك كذبوا فاين هم عن قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم قال الناس ينظرون الى الله باعينهم ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعذب الله الكفار بالحجاب وقال صاحب العقد الفريد ومن اعتقد غير هذا فهو مبتدع زنديق وقد يشهد للمطلوب ويرد دعوى اهل البدعة ان الرؤية هي اللذة الكبرى فكيف يكون المؤمنون محرومين منها والدار دار اللذة فينبغى للمؤمن ان تكون

همته من نعم الجنة نعمة اللقاء فان غيرها نعم بهيمية مشتركة قال بعض العارفين دلت الآية على ان القوم ينظرون الى الله تعالى فى حال الصحو والبسط لان النضرة من امارات البسط فلا يتداخلهم حياء ولا دهشة والانتقص عيشهم بل لو عاينوه بوصف الجلال الصرف لهلكوا فى اول سطوة من سطواته فهم يرونه فى حال الانس بنوره بل به يرونه وهنالك وجود العارف كله عين يرى حبيبه بجميع وجوده وتلك العيون مستفادة من تجلى الحق فيقوم لهم بالنظر من نفسه الى نفسه ويظهر سر الوحدة بين العاشق والمعشوق والرؤية تقتضى بقاء ازالى وهو من مقتضيات عالم الصفات واستهلاك العبد فى وجود الحق انم كما هو مقتضى عالم الذات قال النصرابادى قدس سره من الناس ناس طلبوا الرؤية واشتاقوا اليه تعالى ومنهم العارفون الذين اكتفوا برؤية الله اياهم فقالوا رؤيتنا ونظرنا فيه علل ورؤيته ونظره بلا علة فهو اتم بركة واشمل نفعا وقال بعضهم القرب المذكور فى قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد هو الذى منع الخلق عن الادراك للحق كان الهواء لما كان مباشرا لحاسة البصر لم يدركه البصر وكذلك الماء اذا غاص الغائص فيه وفتح عينيه منعه قربه من حاسة بصره أن يراه والحق اقرب الى الانسان من نفسه فكان لا يرى لقربه كما انه تعالى لا يرى لبعده وعلو ذاته ابن التراب من رب الارباب ولكن اذا اراد العبد ان يراه تنزل من علوه ورفع عبده الى رؤيته فرآه به ولذلك قال عليه السلام انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر وهما فى شأنهما متوسطان فى القرب والبعد فغاية القرب حجاب كما ان غاية البعد حجاب والكل يراه فى الدنيا لا يعرف انه هو وفرق بين العارف وغيره الا ترى انه اذا كان فى قلبك لقاء شخص وانت لا تعرفه بعينه فلقيك وسلم عليك وانت لم تعرفه فقد رأيته وما رأيته كالسلطان اذا دار فى بلده متنكرا فانه يراه كثير من الناس ولا يعرفه ثم ان منهم من يقول لم يتيسر لى رؤية السلطان الى الآن وانا اريد ان انظر اليه مع انه نظر اليه مرارا فهو فى حال بصره اعمى فما اشد حجابه ثم انه لو اتفق له النظر اليه فربما لا يتعمق فيفرق بين ناظر وناظر بحسب حدة بصره وضعفه ولذا قالوا انما تفاوتت الافراد فى حضرة الشهود مع كونهم على بساط الحق الذى لا نقص فيه لانهم انما يشهدون فى حقائقهم ولو شهدوا عين الذات لتساووا فى الفضيلة وقال بعض العارفين الخلق اقرب جار للحق تعالى وذلك من اعظم البشرى فان للجار حقا مشروعا معروفا يعرفه العلماء بالله فينبغى لكل مسلم ان يحضر هذا الجوار الالهى عند الموت حين يطلب من الحق ما يستحقه الجار على جاره من حيث ما شرع قال تعالى لنبيه عليه السلام قل رب احكم بالحق اى الحق الذى شرعته لنا تعاملنا به حتى لا ننكر شيأ منه مما يقتضيه الكرم الالهى فهو دعاء افتقار وخضوع وذل (حكى) ان الحجاج اراد قتل شخص فقال له لى اليك حاجة قال ماهى قال اريد ان امشى معك ثلاث خطوات ففعل الحجاج فقال الشخص حق هذه الصحبة ان تعفو عنى فعفا عنه (ووجوه يومئذ) يتعلق بقوله (باسرة) اى شديدة العبوس مظلمة ليس عليها اثر السرور اصلا وهى وجوه الكفرة والمنافقين وقال الراغب البسر الاستعجال بالشئ قبل اوانه فان قيل فقوله وجوه يومئذ باسرة ليس يفعلون ذلك قبل الموت وقد قلت ان ذلك يقال فيما كان قبل وقته قيل ان ذلك اشارة الى حالهم قبل الانتهاء بهم الى النار فخص لفظ البسر تنبيها على ان ذلك مع ماينالهم من بعد يجرى مجرى التكلف ومجرى ما يفعل قبل وقته ويدل على ذلك قوله تعالى (تظن) تتوقع اربابها بحسب الامارات والجملة خبر بعد خبر ورجح ابو حيان والطيبى تفسير الظن بمعنى اليقين ولا ينافيه ان المصدرية كما توهم فانها انما لا تقع بعد فعل التحقق الصرف فاما بعد فعل الظن او ما يؤدى معنى العلم فتجيئ المصدرية والمشددة والمخففة نص عليه الرضى (ان يفعل بها فاقرة) داهية عظيمة تقصم فقار الظهر ومنه سمى الفقير فان الفقر كسر فقار ظهره فجعله فقيرا اى مفقورا وهو كناية عن غاية الشدة وعدم القدرة على التحمل فهى تتوقع ذلك كما تتوقع الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير بناء على ان قضية المقابلة بين الآيتين تقتضى ذلك قال بعضهم اصح آنست كه آن بلا حجابست ازرؤيت رب الارباب (مصراع) كه از فراق بتر درجهان بلايى نيست * وفى التأويلات النجمية وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة لا الى غيره بسبب الاعراض عن الدنيا فى هذا اليوم والاقبال على الله ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة بسبب الاقبال على الدنيا فى هذا اليوم والادبار عن الله جزاء وفاقا وقال بعضهم وجوه يومئذ ناضرة للتنور بنور القدس والاتصال بعالم النور والسرور والنعيم الدائم ووجوه يومئذ باسرة كالحة لجهامة هيئاتها وظلمة مابها من الجحيم والنيران وسماجة ما راه هنالك

من الاهوال وسوء الجيران (كلا) ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة اى ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذى ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة (اذا بلغت التراقى) الضمير للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذى وقعت فيه يدل عليها وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء اى اذا بلغت النفس الناطقة وهى الروح الانسانى اعالى الصدر وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال فاذا بلغت اليها يكون وقت الغرغرة وبالفارسية چون برسد روح باستخوانهاى سينه وكردن * وفى كشف الاسرار آن وقت كه جان بچنبر كردن رسد * جمع ترقوة بفتح التاء والواو وسكون الراء وضم القاف قال فى القاموس الترقوة ولا تضم تاؤه العظم بين ثغرة النحر والعاتق انتهى * والعاتق موضع الرداء من المنكب قال بعضهم لكل احد ترقوتان ولكن جمع التراقى باعتبار الافراد وبلوغ النفس التراقى كناية عن عدم الاشفاء * يعنى بكنارهٔ اورسيدن ونزديك شدن * والعامل فى اذا بلغت معنى قوله الى ربك يومئذ المساق اى اذا بلغت النفس الحلقوم رفعت وسيقت الى الله اى الى موضع امر الله ان ترفع اليه (وقيل من راق) معطوف على بلغت وقف حفص على من وقفة يسيرة من غير تنفس قال بعضهم لعل وجهه استثقال الراء المشددة التى بعدها قاف غليظة التلفظ فى الادغام واستكراه القطع التام بين المبتدأ والخبر والاستفهام والمستفهم عنه فى النفس والفرار من الاظهار دون سكتة لانه يعد من اللحن عند اتصال النون الساكنة بالراء بين اهل القراءة وقال من حضر صاحبها من يرقيه * يعنى افسون ميكند * وبنجيه مما هو فيه من الرقية وهو التعويذ بما به يحصل الشفاء كما يقال بسم الله ارقيك وفعله من باب ضرب والاستفهام على هذا يحتمل ان يكون بمعنى الطلب كأن الذين حول ذلك الانسان طلبوا له طبيبا يعالجه وراقيا يرقيه ويحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار كما يقال عند اليأس من الذى يقدر ان يرقى هذا الانسان المشرف على الموت وهو الظاهر كما قال الراغب من راق اى من يرقيه تنبيها على انه لاراقى يرقيه فيحميه وذلك اشارة الى نحو ما قال

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع

التميمة خرزات كان العرب يعلقونها على اولادهم خوفا من العين وهو باطل لقوله عليه السلام من علق تميمة فقد اشرك واياها اراد صاحب البيت المذكور وقيل هو من كلام ملائكة الموت يقولون ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقى وفعله من باب علم وقوله ملائكة الرحمة لا يلائمه قوله فلا صدق ولا صلى الآيات لان الضمير فيه لجنس الانسان فلا يتعين كون المحتضر من اهل النار قال الكلبى يحضر العبد عند الموت سبعة املاك من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقى نظر بعضهم الى بعض ايهم يرقى بروحه الى السماء فهو قوله من راق وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى بروح هذا الكافر (وظن انه الفراق) وايقن المحتضر حين عاين ملائكة الموت ان ما نزل به هو الفراق من الدنيا المحبوبة ونعيمها التى ضيع العمر النفيس فى كسب متاعها الخسيس وعبر عما حصل له من المعرفة حينئذ بالظن لان الانسان مادامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع فى الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل ظنه الغالب على رجاء الحياة قال الامام هذه الآية تدل على ان الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت البدن لان الله تعالى سمى الموت فراقا والفراق انما يكون اذا كانت الروح باقية فان الفراق والوصال صفة وهى تستدعى وجود الموصوف قال المزنى دخلت على الشافعى فى مرض موته فقلت كيف اصبحت قال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملى ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله واردا فلا ادرى اروحى تصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم انشأ يقول

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى * جعلت رجائى نحو عفوك سلما

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوك ربى كان عفوك اعظما

وقال بعضهم فراق ليس يشبهه فراق * قد انقطع الرجاء عن التلاق

وفى الحديث ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول السلام عليك افارقك وتفارقنى الى يوم القيامة (قال الشيخ سعدى) كوس رحلت بكوفت دست اجل *

اى در چشم وداغ سربكنيد * اى كف ودست وساعد وبازو * همه توديع يكدكر بكنيد * برمن افتاده مرك دشمن كام * آخرى اى دوستان كذر بكنيد * روزكارم بشد بنادانى * من نكردم اشما حذر بكنيد * قال يحيى بن معاذ رحمه الله اذا دخل الميت القبر قام على شفير قبره اربعة املاك واحد عند رأسه والثانى عند رجليه والثالث عن يمينه والرابع عن يساره فيقول الذى عند رأسه ياابن آدم ارفضت الآجال اى تفرقت وانضبت الآمال اى هزلت ويقول الذى عن يمينه ذهبت الاموال وبقيت الاعمال ويقول الذى عن يساره ذهبت الاشغال وبقى الوبال ويقول الذى عند رجليه طوبى لك ان كان كسبك من الحلال وكنت مشتغلا بخدمة ذى الجلال (والتفت الساق بالساق) الالتفات برهم پيچيدن اى والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت فالساق العضو المخصوص والتفافهما اجتماعهما والتواء احداهما بالآخرى اوالتفت شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على ان الساق مثل فى الشدة وجه المجاز ان الانسان اذا دهمته شدة شمرلها عن ساقيه فقيل للامر الشديد ساق من حيث ان ظهورها لازم لظهور ذلك الامر وقدسبق فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق وعن سعيد بن المسيب هماساقاه حين تلفان فى اكفانه (الى ربك يومئذ المساق) اى الى الله والى حكمه يساق الانسان لاالى غيره اى يساق الى حيث لاحكم هناك الاالله (وقال الكاشفى) بسوى جزاى پروردكار تو ازوبازكشت باشد همه كس را فالمساق مصدر ميمى بمعنى السوق بالفارسية راندن والالف واللام عوض عن المضاف اليه اى سوق الانسان (فلاصدق) الانسان مايجب تصديقه من الرسول والقرآن الذى نزل عليه اى لم يصدق فلاههنا بمعنى لم وانما دخلت على الماضى لقوة التكرار يعنى حسن دخول لاعلى الماضى تكراره كماتقول لاقام ولاقعد وقلما تقول العرب لاوحدها حتى تتبعها اخرى تقول لازيد فى الدار ولاعمرو اوفلاصدق ماله بمعنى لازكاه فحينئذ يطلب وجه لترجيح الزكاة على الصلاة مع ان دأب القرآن تقديم الصلاة ولعل وجهه ما كان كفار مكة عليه من منع المساكين وعدم الحض على طعامهم فى وقت الضرورة القوية وايضا فى تأخير ولاصلى مراعاة الفواصل كمالايخفى (ولاصلى) مافرض عليه وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة يعنى ان الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة كمايستحقها بترك الايمان وان لم يجب اداؤها عليه فى الدنيا (ولكن كذب) ماذكر من الرسول والقرآن والاستدراك لدفع احتمال الشك فان نفى التصديق لايستلزم اثبات التكذيب لكون الشك بين التصديق والتكذيب فاذا لاتكرار فى الآية (وتولى) واعرض عن الطاعة لله ولرسوله (ثم ذهب الى اهله) اهل بيته اوالى اصحابه (يتمطى) يتبختر ويختال فى مشيه افتخارا بذلك وبالفارسية پس بازكشت بسوى كسان خود مى خراميد ازروى افتخاركه من چنين وچنين كارى كرده ام يعنى تكذيب وتولى من المط وهوالمد فان المتبختر يمد خطاه يعنى ان التمدد فى المشى من لوازم التبختر فجعل كناية عنه فيكون اصله يتمطط بمعنى يتمدد ابدلت الطاء الاخيرة ياء كراهة اجتماع الامثال كما فى تقضى البازى اومن المطا مقصورا وهوالظهر فانه يلويه ويحركه فى تبختره فالفه مبدلة من واو ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب وفى الحديث اذا مشت امتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم والمطيطاء كحميراء التبختر ومد اليدين فى المشى والبأس شدة الحرب (اولى لك) واى برتواى انسان مكذب (فاولى) پس واى برتو (ثم اولى لك فاولى) تكرير للتأكيد فهومستعمل فى موضع ويل لك مشتق من الولى وهو القرب والمراد دعاء عليه بان يليه مكروه واصله اولاك الله ماتكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم نقل الثلاثى الى افعل فعدى الى مفعولين وفى القاموس اولى لك تهديد ووعيد اى قارب ما يهلكه اواولى لك الهلاك فيكون اسمابمعنى احرى اى الهلاك اولى واحرى لك من كل شئ فيكون خبرمبتدأ محذوف (وقال الكاشفى) اولى لك سزا وارست ترامركى سخت فاولى پس سزا وارست ترا عذاب اليم درقبر ثم اولى لك پس نيك سزا وارست تراهول قيامت فاولى پس بغايت سزاست تراخلود در دوزخ وروى انه لمانزلت هذه الآية اخذ رسول الله بمجامع ثوب ابى جهل بالبطحاء وهزه مرة اومرتين ولكزه فى صدره وقال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ابوجهل اتوعدنى يامحمد ماتستطيع انت ولاربك ان تفعلابى شيأ وانى لاعز اهل هذا الوادى فلما كان يوم بدر صرعه الله شرمصرع وقتله اسوء قتلة اقعصه ابناعفراء واجهز عليه ابن مسعود رضى الله عنه

واقعصه قتله مكانه واجهز على الجريح اثبت قتله واسرعه وتمم عليه وكان رسول الله عليه السلام يقول ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابو جهل (ايحسب الانسان ان يترك سدى) اى يحسب جهال كونه مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك فى قبره فلا يبعث والسدى المهمل يقال اسديت ابلى اسداء اى اهملتها وتقول اسديت حاجتى وسديتها اذا اهملتها ولم تقضها وتكرير الانكار لحسبانها يتضمن تكرير انكاره للحشر ويتضمن الاستدلال على صحة البعث ايضا وتقريره ان اعطاء القدرة والآلة والفعل بدون التكليف والامر بالمحاسن والنهى عن المفاسد يقتضى كونه تعالى راضيا بقبائح الاعمال وذلك لا يليق بحكمته فاذا لابد من التكليف فى الدنيا والتكليف لا يليق بالكريم الرحيم الا ان يميز الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المفسدين فى الارض ولا يجعل المتقين كالفجار ويجازى كل نفس بما تسعى والمجازاة قد لا تكون فى الدنيا فلا بد من البعث والقيامة وانما لم تكن الدنيا دار المجازاة لضيقها وقد قال بعض الكبار من طلب تعجيل نتائج اعماله واحواله فى هذه الدار فقد اساء الادب وعامل الموطن بما لا تقتضيه حقيقته (الم يك نطفة من منى يمنى) الخ استئناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق وقال ابن الشيخ هو استدلال على صحة البعث بدليل ثان والاستفهام بمعنى التوبيخ والنطفة بالضم الماء الصافى قل او كثر والمنى ماء الرجل والمرأة اى ماخلق منه حيوان فالحبل لا يكون الا من الماءين ويمنى بالياء صفة منى وبالتاء صفة نطفة بمعنى يصب ويراق فى الرحم ولذا سميت منى كالى وهى قرية بمكة لما يمنى فيها من دماء القرابين والمعنى الم يكن الانسان ماء قليلا كائنا من ماء معروف بخسة القدر واستقذار الطبع ولذا نكرهما يمنى ويصب فى الرحم نبه سبحانه بهذا على خسة قدر الانسان اولا وكمال قدرته ثانيا حيث صير مثل هذا الشئ الدنى بشرا سويا وقال بعضهم فائدة قوله يمنى للاشارة الى حقارة حاله كأنه قيل انه مخلوق من المنى الذى يجرى على مخرج النجاسة فكيف يليق بمثل هذا ان يتمرد عن طاعة الله فيأبا امره ونهيه الا انه تعالى عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما فى قوله تعالى فى عيسى ومريم عليهما السلام كانا يأكلان الطعام والمراد منه قضاء الحاجة كناية (ثم كان علقة) اى ثم كان المنى بعد اربعين يوما قطعة دم جامد غليظ احمر بقدرة الله تعالى بعد ما كان ماء ابيض كقوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة وهو عطف على قوله الم يك لان انكار عدم الكون يفيد ثبوت المكون فالتقدير كان الانسان نطفة ثم كان علقة (فخلق) اى فقدر بان جعلها مضغة مخلقة بعد اربعين اخرى اى قطعة لحم قابل لتفريق الاعضاء وتميز بعضها من بعض وجعل المضغة عظاما تميز بها الاعضاء بان صلبها فكسا العظام لحما يحسن به خلقه وتصويره ويستعد لافاضة القوى ونفخ الروح (فسوى) فعدله وكمل نشأته (قال الكاشفى) پس راست كرد صورت واندام اورا وروح در دميد وفى المفردات جعل خلقه على ما اقتضته الحكمة الالهية اى جعله معادلا لما تقتضيه الحكمة وقال بعضهم معنى التسوية والتعديل جعل كل عضو من اعضائه الزوج معادلا لزوجه (فجعل منه) اى من الانسان باعتبار الجنس او من المنى وجعل بمعنى خلق ولذا اكتفى بمفعول واحد وهو قوله (الزوجين) اى الصنفين (الذكر والانثى) بدل من الزوجين ويجوز ان يكونا منصوبين باضمار اعنى ولا يخفى ان الفاء تفيد التعقيب فلا بد من مغايرة بين المتعاقبين فلعل قوله فخلق فسوى محمول على مقدار مقدر من الخلق يصلح به للتفرقة بين الزوجين وقوله فجعل منه الزوجين على التفرقة الواقعة (اليس ذلك) لعظيم الشان الذى انشأ هذا الانشاء البديع (بقادر على ان يحيى الموتى) وهو اهون من البدء فى قياس العقل لوجود المادة وهو عجب الذنب والعناصر الاصلية (روى) ان النبى عليه السلام كان اذا قرأها قال سبحانك اللهم بلى تنزيها لله تعالى عن عدم القدرة على الاحياء واثباتا لوقوعها عليه وفى رواية بلى والله بلى والله وقال ابن عباس رضى الله عنهما من قرأ سبح اسم ربك الاعلى اماما كان او غيره فليقل سبحان ربى الاعلى ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة فاذا انتهى الى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان او غيره وفى الحديث (من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى فليقل سبحانك بلى ومن قرأ والمرسلات عرفا فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله) وفى الآية اشارة الى ان الله يحيى موتى اهل الدنيا بالاعراض عنها والاقبال على الآخرة والمولى

وايضا يحيى موتى النفوس بطلوع انوار القلوب عليها وايضا يحيى موتى القلوب تحت ظلمة النفوس الكافرة الظالمة بنور الروح والسر والخفى ومن اسند العجز الى الله فقد كفر بالله نسأل الله تعالى العصمة وحسن الخاتمة
تمت سورة القيامة بعون من له الرحمة العامة فى الحادى والعشرين من ذى الحجة من سنة ست عشرة ومائة والف

(سورة الانسان احدى وثلاثون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل اتى) استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى اى قد اتى وبالفارسية آيا آمد يعنى بدرستى كه آمد تركوا الالف قبل هل لانها لاتقع الا فى الاستفهام وانما لزوم اداة الاستفهام ملفوظة اومقدرة اذا كان بمعنى قد ليستفاد التقرير من همزة الاستفهام والتقريب من قد فانها موضوعة لتقريب الماضى الى الحال والدليل على ان الاستفهام غير مراد ان الاستفهام على الله محال فلابد من حمله على الخبر تقول هل وعظتك ومقصودك ان تحمله على الاقرار بانك قد وعظته وقد يجيء بمعنى الجحد تقول وهل يقدر احد على مثل هذا فتحمله على ان يقول لايقدر احد غيرك (على الانسان) قبل زمان قريب والمراد جنس الانسان لقوله من نطفة لان آدم لم يخلق منها ثم المراد بالجنس بنو آدم او مايعمه وبنيه على التغليب او نسبة حال البعض الى الكل للملابسة على المجاز (حين من الدهر) الحين زمان مطلق ووقت مبهم يصلح لجميع الازمان طال او قصر وفى المفردات الحين وقت بلوغ الشئ وحصوله وهو مبهم ويتخصص بالمضاف اليه نحو ولات حين مناص ومن قال حين على اوجه للاجل والمنية وللساعة وللزمان المطلق انما فسر ذلك بحسب ماوجده قد علق به والدهر الزمان الطويل والمعنى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد وهى مدة لبثه فى بطن امه تسعة اشهر الى ان صار شيأ مذكورا على ماذهب اليه ابن عباس رضى الله عنهما (لم يكن) فيه فالجملة صفة اخرى لحين بحذف الضمير (شيأ مذكورا) بل كان شيأ منسيا غير مذكور بالانسانية اصلا نطفة فى الاصلاب فما بين كونه نطفة وكونه شيأ مذكورا بالانسانية مقدار محدود من الزمان وتقدم عالم الارواح لا يوجب كونه شيأ مذكورا عند الخلق مالم يتعلق بالبدن ولم يخرج الى عالم الاجسام (روى) ان الصديق او عمر رضى الله عنهما كما فى عين المعانى لما سمع رجلا يقرأ هذه الآية بكى وقال ليتها تمت فلاشئ اراد ليت تلك تمت وهى كونه شيأ غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف ومعنى الاستفهام التقريرى فى الآية ان يحمل من ينكر البعث على الاقرار بانه نعم اتى عليه فى زمان قريب من زمان الحال حين من الدهر لم يكن فيه شيأ مذكورا فيقال له من احدثه بعد ان لم يكن كيف يمتنع عليه بعثه واحياؤه بعد موته وقال القاشانى اى كان شيأ فى علم الله بل فى نفس الامر لقدم روحه ولكنه لم يذكر فيما بين الناس لكونه فى عالم الغيب وعدم شعور من فى عالم الشهادة به وفى التأويلات النجمية اعلم ان للانسان صورة علمية غيبية وصورة عينية شهادية وهو من حيث كلتا الصورتين مذكور عند الله ازلا وابدا لايعزب عن علمه مثقال ذرة لعلمه الازلى الابدى بالاشياء قبل ايجاد الاشياء وقبل وجودها خالق الخلق وهم معدومون فى كتم العدم وعلمه بنفسه يستلزم علمه باعيان الاشياء لان الاشياء مظاهر اسمائه وصفاته وهى عين ذاته فافهم اى ما اتى على الانسان حين من الاحيان وهو كان منسيا فيه بالنسبة الى الحق وكيف وهو مخلوق على صورته وصورته حاضرة له مشهودة عنده وهل للاستفهام الانكارى بخلاف المحجوبين عن علم المعرفة والحكمة الالهية وقال جعفر الصادق رضى الله عنه هل اتى عليك يا انسان وقت لم يكن الله ذاكرا لك فيه (انا خلقنا الانسان) اى خلقناه يعنى جسمه والاظهار لزيادة التقرير (من نطفة) حتى كان علقة فى اربعين يوما ومضغة فى ثمانين ومنفوخا فيه الروح فى مائة وعشرين يوما كما كان ابوهم آدم خلق من طين فالقى بين مكة والطائف فاقام اربعين سنة ثم من حمأ مسنون فاقام اربعين سنة اخرى ثم من صلصال فاقام اربعين سنة اخرى فتم خلقه فى مائة وعشرين سنة فنفخ فيه الروح على ماجاء فى رواية الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما فما كان سنين فى آدم كان اياما فى اولاده وحمل بعضهم الانسان الاول على آدم والثانى على اولاده على ان يكون الحين هو الزمن الطويل الممتد الذى لايعرف مقداره والاول وهو حمله فى كلا الموضعين على الجنس اظهر لان المقصود تذكير الانسان كيفية الخلق بعد ان لم يكن ليتذكر اول امره من عدم كونه شيأ مذكورا وآخر امره من كونه شيأ مذكورا مخلوقا من ماء حقير فلا يستبعد البعث كما سبق

(امشاج) اخلاط بالفارسية آميختها جمع مشج كسبب او كتف على لغتيه اومشيج من مشجت الشئ اذاخلطته وصف النطفة بالجمع مع افرادها لما ان المراد بهما مجموع الماءين يختلطان فى الرحم ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد فيخلق منهما الولد فايهما على صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة على ماروى فى المرفوع وفى الخبر مامن مولود الا وقد ذر على نطفته من تربة حفرته كل واحد منهما مشيج بالآخر وقال الحسن رحمه الله نطفة مشيجة بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت ارتفع الحيض واليه ذهب صاحب القاموس حيث قال ونطفة امشاج مختلطة بماء المرأة ودمها انتهى فيكون النطفتان ودمها جمعا وقال الراغب هوعبارة عما جعل الله بالنطفة من القوى المختلفة المشار اليها بقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الآية انتهى فيكون معنى امشاج الوان واطوار على ماقال قتادة وفى التأويلات النجمية اى من نطفة قوة القابلية المتشجة المختلطة بنطفة قوة الفاعلية اى خلقنا من نطفة الفيض الاقدس المتعلق بالفاعل و نطفة الفيض المقدس المتعلق بالقابل فالفيض الاقدس الذاتى بمنزلة ماء الرجل والفيض المقدس الاسمائى بمنزلة ماء المرأة (نبتليه) حال مقدرة من فاعل خلقنا اى مريدين ابتلاءه واختباره بالتكليف فيما سيأتى ليتعلق علمنا باحواله تفصيلا فى العين بعد تعلقه بها اجمالا فى العلم و ليظهر احوال بعضهم لبعض من القبول والرد والسعادة والشقاوة (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب عن الابتلاء اى عن ارادته فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء كأنه قيل انا خلقناه مريدين تكليفه فاعطيناه مايصح معه التكليف و الابتلاء وهو السمع والبصر وسائر آلات التفهيم والتمييز وطوى ذكر العقل لان المراد ذكر ماهو من اسبابه والآلة التى بها يستكمل فطريقه الاول لاكثر الخلق من السعداء السمع ثم البصر ثم تفهم العقل وفى اختيار صيغة المبالغة اشارة الى كمال احسانه اليه وتمام انعامه و بصيرا مفعول ثان بعد ثان لجعلناه وفى التأويلات النجمية فجعلناه سميعا جميع المسموعات بصيرا جميع المبصرات كما قال كنت سمعه و بصره فبى يسمع و بى يبصر فلا يفوته شئ من المسموعات ولا من المبصرات فافهم جدا يامسكين وقال ابو عثمان المغربى قدس سره ابتلى الله الخلق بتسعة امشاج ثلاث فتانات هى سمعه و بصره ولسانه وثلاث كافرات هى نفسه وهواه وعدوه الشيطان وثلاث مؤمنات هى عقله وروحه وقلبه فاذا ايد الله العبد بالمعونة قهر العقل على القلب فملكه واستأسر النفس والهوى فلم يجدا الى الحركة سبيلا فجانست النفس الروح وجانس الهوى العقل وصارت كلمة الله هى العليا قال الله تعالى قاتلوهم حتى لاتكون فتنة (انا هديناه السبيل) مرتب على ماقبله من اعطاء الحواس فانه استئناف تعليلى لجعله سميعا بصيرا يعنى ان اعطاء الحواس الظاهرة والباطنة والتحلى بها متقدم على الهداية والمعنى اريناه وعرفناه طريق الخير والشر والنجاة والهلاك بانزال الآيات ونصب الدلائل كما قال وهديناه النجدين اى بيناله طريق الخير والشر فان النجد الطريق الواضح المرتفع فالمراد بالهداية مجرد الدلالة لا الدلالة الموصلة الى البغية كما فى بعض التفاسير (اما شاكرا واما كفورا) حالان من مفعول هديناه قال فى الارشاد اى مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية فى حالتيه جميعا فاما التفصيل ذى الحال فانه مجمل من حيث الدلالة على الاحوال لايعلم ان المراد هدايته فى حال كفره اوفى حال ايمانه و بالتفصيل تبين انها تعلقت به فى كل واحدة من الحالتين فالشاكر الموحد والكفور الجاحد لان الشكر الاقرار بالمنعم ورأس الكفران جحوده ويقال شاكرا لنعمة وكفورها قال الراغب الكفور يقال فى كافر النعمة وكافر الدين جميعا و يجوز ان يكون اما للتقسيم بان يعتبر ذوالحال من حيث انه مطلق وهواللفظ الدال على الماهية من حيث هى و يجعل كل واحد من مدخولى اما قيدا له فيحصل بالتقييد بكل منهما قسم منه اى مقسوما اليهما بعضهم شاكرا بالاهتداء والاخذ فيه و بعضهم كفورا بالاعراض عنه وايراد الكفور لمراعاة الفواصل اى رؤوس الآى والاشعار بان الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط والشكور قليل منهم ولذا لم يقل اما شكورا واما كفورا واما شاكرا واما كافرا والحاصل ان الشاكر

والكفور كنايتان عن المثاب والمعاقب ولما لم يكن مجرد الكفران مستلزما للمؤاخذة لم يصح ان يجعل كناية عنها بخلاف مجرد الشكر فانه ملزوم الاثابة بمقتضى وعد الكريم فادير امر الاثابة على مطلق الشكر لا على المبالغة فيه كما ادير امر المؤاخذة على المبالغة فى الكفران لا على اصله وكل ذلك بمقتضى سعة رحمة الله وسبقها على غضبه وقرأ ابو السماك بفتح الهمزة فى اماوهى قراءة حسنة والمعنى اما كونه شاكرا فبتوفيقنا واما كونه كفورا فبسوء اختياره وفى التأويلات النجمية انا خيرناه فى الاهتداء الى سبيل الشكر المتعلق باليد اليمنى الجمالية اوالى سبيل الكفر المتعلق باليد اليسرى الجلالية فاختار بعضهم سبيل الشكر من مقتضى حقائقهم واستعداداتهم الازلية واختار بعضهم سبيل الكفر من مقتضى حقائقهم وقابلياتهم الازلية ايضا كما قال هؤلاء اهل الجنة ولا ابالى وهؤلاء اهل النار ولا ابالى اى المدح والذم يتعلق بهم لا بى ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد فقال (انا اعتدنا) هيأنا فى الآخرة فان الاعتاد اعداد الشئ حتى يكون عتيدا حاضرا متى احتيج اليه (للكافرين) من افراد الانسان الذى هديناه السبيل (سلاسل) بها يقادون الى جهنم وفى كشف الاسرار اعتدنا للكافرين فى جهنم سلاسل كل سلسلة سبعون ذراعا وهو بغير تنوين فى قراءة حفص واما الوقف فبالالف تارة وبدونها اخرى وتسلسل الشئ اضطرب كانه تصور منه تسلسل وتردد فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه ومنه السلسلة وفى القاموس السلسلة اى بالفتح ايصال الشئ بالشئ وبالكسر دائرة من حديد ونحوه (واغلالا) بها يقيدون اهانة وتعذيبا لا خوفا من الفرار جمع غل بالضم وهو ما تطوق به الرقبة للتعذيب وقد سبق فى الحاقة مفصلا (وسعيرا) نارا بها يحرقون يعنى وآتشى آفرخته كه دران بيوسته بسوزند وانما يجرون الى جهنم بالسلاسل لعدم انقيادهم للحق ويحقرون بان يقيدوا بالاغلال لعدم تواضعهم لله ويحرقون بالنار لعدم احتراقهم بنار الخوف من الله تعالى وفيه اشارة الى ان الله تعالى اعد للمحجوبين عن الحق المشغولين بالخلق سلاسل التعلقات الظاهرة بحب الدنيا وطلبها واغلال العوائق الباطنة بالرغبة اليها وفيها ونار جهنم البعد والطرد واللعن وتقديم وعيد الكافرين مع تأخرهم فى مقام الاجمال للجمع بينهما فى الذكر ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان فى وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم (ان الابرار) شروع فى بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر كرب وارباب اوجمع بار كشاهد واشهاد وهو من يبر خالقه اى يطيعه يقال برزته ابره كعلمته وضربته وعن الحسن رحمه الله البر من لا يؤذى الذر ولا يضمر الشر كما قيل

ولا تؤذ نملا ان اردت كمالكا * فان لها نفسا تطيب كمالكا

وفى المفردات البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق منه البر اى التوسع فى فعل الخير وبر العبد ربه توسع فى طاعته ويشمل الاعتقاد والاعمال الفرائض والنوافل وقال سهل رحمه الله الابرار الذين فيهم خلق من اخلاق العشرة الذين وعدلهم النبى عليه السلام بالجنة قال عليه السلام ان لله ثلاثمائة وستين خلقا من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة قال ابو بكر رضى الله عنه هل فى منها يارسول الله قال كلها فيك يا ابابكر واحبها الى الله السخاء (يشربون) فى الجنة والشرب تناول كل مائع ماء كان اوغيره قال يشربون ابتداء كالمطيعين اوانتهاء كالمعذبين من المؤمنين بحكم العدل (من كأس) هى الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا على طريق ذكر المحل وارادة الحال وهو المراد هنا عند الاكثر حتى روى عن الضحاك انه قال كل كأس فى القرآن فانما عنى به الخمر فمن على الاول ابتدائية وعلى الثانى تبعيضية او بيانية (كان) بتكوين الله (مزاجها) اى ما تمزج تلك الكأس به يقال مزج الشراب خلطه ومزاج البدن ما يمازجه من الصفراء والسوداء والبلغم والدم والكيفيات المناسبة لكل منها (كافورا) اى ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة فى المقام المحمدى وكذا سائر العيون ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده دون طعمه والاقنفس الكافور لا يشرب ونظيره حتى اذا جعله نارا اى كنار والكافور طيب معروف يطيب به الاكفان والاموات لحسن رائحته واشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطى الاشياء رائحته وفى القاموس الكافور طيب معروف يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين يظل خلقا كثيرا وتألفه النمور وخشبه ابيض هش ويوجد فى اجوافه الكافور وهو انواع ولونها احمر وانما تبيض بالتصعيد وعين فى الجنة انتهى

والجملة صفة كاس (عينا) بدل من كافورا يعنى كافور چشمه ايست والعين الجارية ويقال لمنبع الماء تشبيها بها فى الهيئة وفى سيلان الماء فيها (يشرب بها عباد الله) صفة عين وعباد الله هنا الابرار من المؤمنين لان اضافة التكريم الى اسمه الاعظم مختصة بالمؤمن فى الغالب كالاضافة الى كناية التكلم كقوله يا عبادى لرعايتهم حق الربوبية فمن لم يراعه فكأنه ليس بعبد له اى يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها كما تقول شربت الماء بالعسل فيكون كناية عن قوتها فى لذتها وعلى هذا فيه اشارة الى ان المقربين الاقوياء يشربون شراب الكافور صرفا غير ممزوج والظاهر يشرب منها فالباء بمعنى من فان حروف العوامل ينوب بعضها مناب بعض ونظيره قوله تعالى فانزلنا به الماء اى انزلنا من السحاب الماء صرح به الشيخ المكى رحمه الله فى قوت القلوب (يفجرونها تفجيرا) التفجير و التفجرة آب راندن و فى المفردات الفجر شق الشئ شقا واسعا كفجر الانسان السكر يقال فجرته فانفجر وفجرته فتفجر والمعنى يجرونها حيث شاؤا من منازلهم كما يفيده بناء التفعيل اذ التشديد للكثرة اجراء سهلا لا تمتنع عليهم بل تجرى جريا بقوة واندفاع لان الانهار منقادة لاهل الجنة كالاشجار وغيرها فتفجيرا مصدر مؤكد للفعل المتضمن معنى السهولة والجملة صفة اخرى لعينا وفى التأويلات النجمية يشير بالابرار الى عباد الله المخلصين المخصوصين بفيض الاسم الاعلم الشامل للاسماء الذين سقاهم ربهم المتجلى لهم باسمه الباسط بكأس المحبة طهور شراب العشق الممزوج بكافور برد اليقين المتفجر الجارى فى انهار ارواحهم واسرارهم وقلوبهم من فرط الرحمة وشمول النعمة وقال القاشانى ان الابرار السعداء الذين برزوا عن حجاب الآثار والافعال واحتجبوا بحجب الصفات غير واقفين معها بل متوجهين الى عين الذات مع البقاء فى عالم الصفات وهم المتوسطون فى السلوك يشربون من كأس محبة حسن الصفات لاصرفا بل كان فى شرابهم مزج من لذة محبة الذات وهى العين الكافورية المفيدة للذة برد اليقين وبياض النورية وتفريح القلب المحترق بحرارة الشوق وتقويته فان للكافور خاصية التبريد والتفريح والبياض والكافور عين يشرب بها صرفة عباد الله الذين هم خاصته من اهل الوحدة الذاتية المخصوص محبتهم بعين الذات دون الصفات لا يفرقون بين القهر واللطف والرفق والعنف والنعمة والبلاء والشدة والرخاء بل تستقر محبتهم مع الاضداد وتستمر لذتهم فى النعماء والضراء والرحمة والزحمة كما قال احدهم

هوای له فرض تعطف ام جفا * ومشربه عذب تكدر ام صفا
وكلت الى المحبوب امرى كله * فان شاء احيانى وان شاء اتلفا

واما الابرار فلما كانوا يحبون المنعم واللطيف والرحيم لم تبق محبتهم عند تجلى القهار والمبتلى والمنتقم بحالها ولا لذتهم بل يكرهون ذلك يفجرونها تفجيرا لانهم منابعها لاانية ثمة ولا غيرية والا لم يكن كافور الظلمة حجاب الانانية وانيته وسواده انتهى قال بعضهم اختلفت احوالهم فى الدنيا فاختلفت مشاربهم فى الآخرة فكل يسقى ما يليق بحاله كعيون الحياء وعيون الصبر وعيون الوفاء وغير ذلك ثم ان الكأس اما نفسانية شيطانية وهى ما تكون لاهل الفسق فى الدنيا وهى حرام وفى الحديث (اذا تناول العبد كأس الخمر ناشده الايمان بالله لا تدخلها على فانى لا استقر انا وهى فى وعاء واحد فان ابى وشربها نفر الايمان نفرة لا يعود اليه اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه ونقص من عقله شئ لا يعود اليه ابدا * واما جسمانية رحمانية وهى ما تكون للمؤمنين فى دار الآخرة عطاء ومنحة من الله الوهاب واما روحانية ربانية وهى ما تكون لاهل المحبة والشوق فى الدارين وهى الذ الاقداح قال مولانا جلال الدين قدس سره

الايا ساقيا انى لظمآن ومشتاق * ادر كاسا ولا تنكر فان القوم قد ذاقوا
خذ الدنيا وما فيها فان العشق يكفينا * لنا فى العشق جنات وبلدان واسواق

(يوفون بالنذر) استئناف كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها فهو مبالغة فى وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات والايفاء بالشئ هو الاتيان به تاما وافيا والنذر ايجاب الفعل المباح على نفسه تعظيما لله بان يقول لله على كذا من الصدقة وغيرها وان شفى مريضى اورد غائبى فعلى كذا واختلفوا فيما اذا علق ذلك بما ليس من وجوه البر كما اذا قال ان دخلت فلان الدار فعلى كذا فمن الناس من جعله كاليمين ومنهم من جعله

من باب النذور قيل النذر كالوعد الا انه اذا كان من العباد فهو نذر واذا كان من الله فهو وعد والنذر قربة مشروعة ولا يصح الا في الطاعة وفي الحديث (من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه قال هرون بن معروف جاءني فتى فقال ان ابي حلف علي بالطلاق ان اشرب دواء مع مسكر فذهبت به الى ابي عبد الله فلم يرخص له وقال قال عليه السلام كل مسكر حرام واذا اجمع الاطباء على ان شفاء المريض في الخمر لا يشرب بها اذا كان له دواء آخر واذا لم يكن يشرب بها ويتداوى بها في قول ثم ان الاهتمام بما اوجب الله على عبده ينبغي ان يكون اكمل مما اوجبه العبد على نفسه ومن الناس من هو على عكس ذلك فانه يتهاون بما اوجبه الله عليه فلا يؤدي الصلاة الواجبة مثلا واذا نذر شيأ في بعض المضايقات يسارع الى الوفاء وليس الا من الجهل وقال القشاني اى الابرار يوفون بالعهد الذي كان بينهم وبين الله صبيحة يوم الازل بانهم اذا وجدوا التمكن بالآلات والاسباب ابرزوا ما في مكامن استعداداتهم وغيوب فطرتهم من الحقائق والمعارف والعلوم والفضائل واخرجوها الى الفعل بالتزكية والتصفية (ويخافون يوما) اى يوم القيامة (كان شره) اى هوله وشدته وعذابه (مستطيرا) فاشيا منتشرا في الاقدار غاية الانتشار بالغا اقصى المبالغ يعني بهمه كس بهمه جارسيده من استطار الحريق اى النار وكذا الفجر قال في القاموس المستطير الساطع المنتشر واستطار الفجر انتشر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر واطلق الشر على اهوال القيامة وشدائدها المنتشرة غاية الانتشار حتى ملأت السموات والارض مع انها عين حكمة وصواب لكونها مضرة بالنسبة الى من تنزل عليه ولا يلزم من ذلك ان لا يكون خيره مستطيرا ايضا فان ليوم القيامة امورا سارة كما ان له امورا ضارة وقال سهل رحمه الله البلايا والشدائد عامة في الآخرة للعامة والملامة خاصة للخاصة ثم ان يوفون الخ بيان لاعمالهم واتيانهم بجميع الواجبات وقوله ويخافون الخ بيان لنياتهم حيث اعتقدوا يوم البعث والجزاء فخافوا منه فان الطاعات انما تتم بالنيات وبمجموع هذين الامرين سماهم الله بالابرار قال بعض العارفين يشير الى ارباب السلوك في طريق الحق وطلبه حيث اوجبوا على انفسهم انواع الرياضات واصناف المجاهدات وتركوا الرقاد واهلكوا بالجوع الاجساد واحرقوا بالعطش الاكباد وسدوا الآذان من استماع كلام الاغيار واعموا ابصارهم عن رؤية غير المحبوب الحقيقي وختموا على القلوب عن محبة غير المطلوب الازلي خوفوا انفسهم من يوم تجلي صفة القهر والسخط باستيلاء الهيئات المظلمة على القلب وهو نهاية مبالغ الشر فاجتهدوا حتى خلصهم الله مما خافوا وادخلهم في حرمه الآمن (ويطعمون الطعام على حبه) اى كائنين على حب الطعام والحاجة اليه ونحوه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام فيطعمون بطيب النفس فالضمير الى مصدر الفعل كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى او كائنين على حب الله او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سيأتي من قوله لوجه الله فالمصدر مضاف الى المفعول والفاعل متروك اى على حبهم الله ويجوز ان يضاف الى الفاعل والمفعول متروك اي على حب الله الاطعام والطعام خلاف الشراب وقد يطلق على الشراب ايضا لان طعم الشئ ذوقه مأكولا او مشروبا والظاهر الخصوص وان جاز العموم واعلم ان مجامع الطاعات محصورة في امرين الطاعة لامر الله واليه الاشارة بقوله يوفون بالنذر والشفقة على خلق الله واليه الاشارة بقوله ويطعمون الطعام فان الطعام وهو جعل الغير طاعما كناية عن الاحسان الى المحتاجين والمواساة معهم باى وجه كان وان لم يكن ذلك بالطعام بعينه الا ان الاحسان بالطعام لما كان اشرف انواع الاحسان عبر عن جنس الاحسان باسم هذا النوع كما في حواشي ابن الشيخ وقال بعض اهل المعرفة اى يتجردون عن المنافع المالية ويزكون انفسهم عن الرذائل خصوصا عن الشح لكون محبة المال اكثف الحجب فيتصفون بفضيلة الايثار وسد خلة الغير في حال احتياجهم او يزكون انفسهم عن رذيلة الجهل فيطعمون الطعام الروحاني من الحكم والشرائع على حب الله من ذكر من قوله (مسكينا) فقيرا لا شئ له عاجزا عن الكسب وبالفارسية درويش بي مايه. وقال القاشاني المسكين الدائم السكون الى تراب البدن (ويتيما) طفلا لا اب له (واسيرا) الاسير الشد بالقيد سمي الاسير بذلك ثم قيل لكل مأخوذ مقيد وان لم يكن مشدودا بذلك والمعنى واسيرا مأخوذا لا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة اى اسير كان فانه عليه السلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه لانه يجب اطعام الاسير الكافر والاحسان اليه في دار الاسلام بما دون الواجبات عند عامة

العلماء الى ان يرى الامام رأيه فيه من قتل اومن او فداء او استرقاق فان القتل فى حال لاينافى وجوب الاطعام فى حال اخرى ولايجب اذاعوقب بوجه ان يعاقب بوجه آخر ولذا لايحسن فمين يلزمه القصاص ان يفعل به غير القتل اوالمعنى اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك عبدا او امة وكذا المسجون يعنى مسجون ازاهل قبركه درحق ازحقوق مسلمين حبس كرده باشند وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرافقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك اى بالامهال والوضع عنه بعضا او كلا وهو كل الاحسان وفى الحديث (من انظر معسرا اووضع له اظله الله تحت ظل عرشه يوم لاظل الاظله) اى حماه من حرارة القيامة وقيل الزوجة من الاسراء فى يد الازواج لما قال عليه السلام اتقوا الله فى النساء فانهن عوانى عندكم والعانى الاسير وفى القاموس العوانى النساء لانهن يظلمن فلاينتصرن وقال القاشانى الاسير المحبوس فى اسر الطبيعة وقيود صفات النفس وفى التأويلات النجمية ويطعمون طعام المعارف والحكم الالهية المحبو بة لهم مسكين السر لقرب انقياده تحت حكم الروح وذلته تحت عزته ويتيم القلب لبعد عهده ومكانه من ابيه الروح واسير الاعضاء والجوارح المقيدين بقيود احكام الشريعة وحبال آثار الطريقة انتهى (انما نطعمكم لوجه الله) جزاين نيست كه ميخورانيم شمارا اى طعامها براى رضاى خدا على ارادة قول هو فى موقع الحال من فاعل يطعمون اى قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافاة المنقصة للاجر * هرچه دهى مى ده ومنت منه * وآنچه بمنت دهى آن خود مده * منت ومزدى كه دراحسان بود * وقت جزاموجب نقصان بود * وعن الصديقة رضى الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ماقالوا فاذا ذكر دعاهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عندالله والوجه الجارحة عبر به عن الذات لكونه اشرف الاعضاء وقال بعضهم الوجه مجاز عن الرضى لان الرضى معلوم فى الوجه وكذا السخط (لا نريد منكم جزاء) على ذلك بالمال والنفس والفرق بين الجزاء والاجران الاجر مايعود من ثواب العمل دنيوياكان اواخرويا ويقال فيما كان عن عقد ومايجرى مجرى العقد ولايقال الا فى النافع واما الجزاء فيقال فيما كان عن عقد وغير عقد ويقال فى النافع والضار والمجازاة المكافاة وهى مقابلة نعمة بنعمة هى كفؤها (ولاشكورا) اى شكرا باللسان ومدحا ودعاء وهو مصدر على وزن الدخول والجملة تقرير وتأكيد لما قبلها قال القاشانى لانريد منكم مكافاة وثناء لعدم الاحتجاب بالاعراض والاعواض وفى التأويلات النجمية لانريد منكم جزاء بالذكر الجميل فى الدنيا ولا شكورا عن عذاب الآخرة اذ كل عمل يعمله العامل لثواب الآخرة لايكون لوجه الله بل يكون لحظ نفسه كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه احدا وقال عليه السلام حكاية عن الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه والحاصل ان معاملة العبد المخلص انما هى مع الله فلاحق له على الغير فكيف يريد ذلك وفيه نصح لمن اراد النصيحة فان الاطعام ونحوه حرام بملاحظة الغير وحظ النفس فيجب ان يكون خالصا لوجه الله من غير شوب بالرياء وبحظ المنعم * زعمرو اى پسر چشم اجرت مدار * چود رخانهٔ زيد باشى بكار (انا نخاف من ربنا يوما) اى عذاب يوم وهو مفعول نخاف فمن ربنا حال متقدمة منه ولو أخر لكان صفة له اومفعوله قوله ربنا بواسطة الحرف على ماهو الاصل فى تعديته لانه يقال خاف منه فيكون يوما بدلا من محله بدون تقدير بناء على التعدية بنفسه اوبتقدير نخاف آخر (عبوسا) من قبل اسناد الفعل الى زمانه والمعنى تعبس فيه الوجوه يعنى روزى كه رويها دروترش كردد ازشدت اهوال كما روى ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران والعبوس قطوب الوجه من ضيق الصدر ومعنى عبوسا يشبه الاسد العبوس فى الشدة والضراوة اى السطوة والاقدام على ايصال الضرر بالعنف والحدة لكل من رآه فهو من المبالغة فى التشبيه فان العبوس الاسد كالعباس (قمطريرا) شديد العبوس فلذلك نفعل بكم مانفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره لالارادة مكافاتكم فقوله انا نخاف الخ بدل من انما نطعمكم الخ فى معرض التعليل لاطعامهم يقال وجه قمطرير اى منقبض من شدة العبوس وفى الكشاف القمطرير العبوس الذى يجمع بين عينيه وازامام حسن بصرى رحمه الله پرسيدند كه قمطرير چيست فرمود كه سبحان الله ماأشد اسمه وهو اشد من اسمه يعنى چه سخت است اسم

روز قيامت واو مخبرست ازاسم خود (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم منه يعنى نكاه داشت خداى تعالى ايشانرا ازيدى ورنج وهول وعذاب ان روز فشر مفعول ثان لوقى المتعدى الى اثنين وفى الحديث الصحيح قال رجل لم يعمل حسنة قط لاهله اذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لايعذبه احدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما امرهم فأمر الله البر فجمع مافيه وامر البحر فجمع مافيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يارب وانت اعلم فغفر الله له اى بسبب خشيته وقوله لئن قدر الله بتخفيف الدال من القدرة اى لئن تعلقت قدرته يوم البعث بعذاب جمعه ظن المسكين انه بالفناء على الوجه المذكور يلحق بالمحال وقدرة الله لاتتعلق بالمحال فلا يلزم منه الكفر فجمع رماده من البر والبحر محمول على جمع اجزائه الاصلية يوم القيامة ويجوز ان يحمل على حال البرزخ فان السؤال فيه للروح والجسد جميعا على ماهو المذهب الحق (ولقاهم نضرة وسرورا) اى اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة فى الوجوه يعنى تازكى وخوبرويى وسرورا فى القلوب يعنى شادى وفرح در دل فهما مفعولان ثانيان وفى تاج المصادر التلقية جيزى بيش كسى واوردن وفى المفردات لقيته كذا اذا استقبلته به قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا (وجزاهم) اعطى كل واحد منهم بطريق الاجر والعوض (بما صبروا) مامصدرية اى بسبب صبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس فى اجتناب المحرمات وايثار الاموال وفى الحديث (الصبر اربعة الصبر على الصدمة الاولى وعلى اداء الفرائض وعلى اجتناب المحارم وعلى المصائب) (جنة) مفعول ثان لجزاهم اى بستانا يأكلون منه ماشاؤا (وحريرا) يلبسونه ويتزينون به وبالفارسية وجامه ابريسم بهشت بپوشند فالمراد بالجنة ليس دار السعادة المشتملة على جميع العطايا والكرامات والالما احتيج الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة بل البستان كما ذكرنا فذكرها لايغنى عن ذكر الملبس ثم ان البستان فى مقابلة الاطعام والصبر على الجوع والحرير فى مقابلة الصبر على العرى لان ايثار الاموال يؤدى الى الجوع والعرى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما النبى عليه السلام فى ناس معه فقالوا لعلى رضى الله عنه لونذرت على ولديك نذرا يعنى اكر نذركنى براميد عافيت وشفاى فرزندان مكر صواب باشد فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما رضى الله عنهم ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام تقربا الى الله وطلبا لمرضاته وشكرا له فشفيا فصاموا وما معهم شئ يفطرون عليه فاستقرض على من شمعون الخيبرى اليهودى ثلاثة اصوع من شعير وهو جمع صاع وهو اربعة امداد كل مد رطل وثلث قال الداودى معياره الذى لايختلف اربع حفنات بكفى الرجل الذى ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما اذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبى عليه السلام فطحنت فاطمة رضى الله عنها صاعا يعنى فاطمة زهرا ازان جو يك صاع باسيادست آرد كرد وخبزت خمسة اقراص على عددهم جمع قرص بمعنى الخبزة فوضعوا بين ايديهم وقت الافطار ليفطروا به فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم يااهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعمونى اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه يعنى حضرت على رضى الله عنه نصيب خود بدان مسكين داد وسائر اهل بيت موافقت كردند يعنى سخن درويش بسمع على رسيد روى فرا فاطمه كرد وكفت

فاطم ذات المجد واليقين * يابنت خير الناس اجمعين

اماترين البائس المسكين * قدقام بالباب له حنين

يشكوالى الله ويستكين * يشكوالينا جائعا حزين

فاطمة رضى الله عنها اوراجواب داد وكفت

امرك ياابن عم سمع طاعه * مابى من لؤم ولا ضراعه

ارجو اذا اشبعت ذا مجاعه * الحق بالاخيار والجماعه

وادخل الخلد ولى شفاعه

آنكه طعام بيش نهاده بودند جمله بدرويش دادند وبركرسنكى صبر كردند وباتوالم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فاطمه رضى الله عنها صاعى ديكر جوآرد كردو آزان نان بخت فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم

وقف عليهم يتيم فقال السلام عليكم يااهل بيت محمد يتيم من اولاد المهاجرين استشهد والدى يوم العقبة اطعمونى اطعمكم الله من موائد الجنة حضرت على رضى الله عنه چون سخن آن يتيم شنيد روى فراناطمه كرد وكفت

انى لاعطيه ولاابالى * واوثرالله على عيالى * امسواجياعا وهمواشبالى * اصغرهم يقتل فى القتال

فاثروه يعنى همچنان طعام كه درپيش بود جمله بيتيم دادند وخود كرسنه خفتند ديكر روزان صاع كه مانده بودفاطمه رضى الله عنها ازاارد كردونان بخت فلما امسوا ووضعواالطعام بين ايديهم وقف عليهم اسير فقال السلام عليكم اهل بيت النبوة اسير من الاسارى اطعمونى اطعمكم الله من موائد الجنة ان طعام باسير دادند وبجزاب نچشيدند وسه روز بران بكذشت فلما اصبحوا فى اليوم الرابع اخذ على بيد الحسن والحسين رضى الله عنهم فأقبلوا على النبى عليه السلام فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه السلام ما اشد مايسؤنى ماارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قدالتصق ظهرهابطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذيا محمدهنأك الله فى اهل بيتك فاقرأه السورة ولايلزم من هذا ان يكون المراد من الابرار اهل البيت فقط لان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فيدخل فيه غيرهم بحسب الاشتراك فى العمل وقد ضعفت القصة بتضعيف الراوى الا انها مشهورة بين العلماء مسفورة فى الكتب قال الحكيم الترمذى رحمه الله هذا حديث مفتعل لايروج الا على احمق جاهل ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات وقال لاشك فى وضعه ثم صحة الرواية تقتضى كون الآية مدنية لان انكاح رسول الله فاطمة عليا كان بعد وقعة احد وقدقال الجمهور ان السورة مكية هكذا قالوا سامحهم الله تعالى قال المولى الفنارى فى تفسيرالفاتحة نقلا عن جمع من العلماء الكباران هل اتى على الانسان من السورالنازلة فى المدينة وكذا قال مجاهد وقتادة مدنية الاية واحدة وهى ولاتطع منهم آثما اوكفورا فانها مكية وكذا قال الحسن وعكرمة والماوردى مدنية الاوله فاصبرلحكم ربك الى الاخرفانه مكى ودل على ذلك ان الاسيرانما كان فى المدينة بعد آية القتال والامر بالجهاد فضمت الآيات المكية الى الآيات المدنية فان شئت قلت انها اى السورة مكية وان شئت قلت انها مدنية على ان الآيات المدنية فى هذه السورة اكثر كية من الآيات المكية فالظاهران تسمى مدنية لامكية ونحن لانشك فى صحة القصة والله اعلم (متكئين فيها) اى فى الجنة (على الارائك) برتختهاى اراسته قوله متكئين حال من هم فى جزاهم والعامل فيها جزى قيد المجازاة بتلك الحال لانها ارفه الاحوال فكان غيرها لايدخل فى الجزاء والارائك هى السرر فى الحجال تكون فى الجنة من الدر والياقوت موضونة بقضبان الذهب والفضة والوان الجواهر جمع اريكة كسفينة ولاتكون اريكة حتى تكون فى حجلة وهى بالتحريك واحد حجال العروس وهى بيت مزين بالثياب والستور والظاهران على الارائك متعلق بمتكئين لان الاتكاء يتعدى بعلى اى مستقرين متمكنين على الارائك كقوله متكئين على فرش ولايبعدان يتعلق بمقدر ويكون حالا من ضمير متكئين اى متكئين فيها على الوسائد اوغيرها مستقرين على الارائك فيكون الاتكاء بمعنى الاعتماد (لايرون فيهاشمساولازمهريرا) اى حرارة ولابرودة كمايرون فى الدنيا لان الحرارة غالبة على ارض العرب والبرودة على ارض العجم والروم وهو حال ثانية من الضمير اى يمر عليهم هواء معتدل لاحارولابارد مؤذ يعنى ان قوله لايرون الخ كناية عن هذا المعنى والزمهرير شدة البرد وازمهر اليوم اشتد برده وفى الحديث هواء الجنة سجسج لاحر فيه ولاقر اى معتدل لاحر فيه ولا برد فان القربالضم البرد وفى الخبر عن النبى عليه السلام انه قال اشتكت النار الى ربها فقالت اكل بعضى بعضا فنفسنى فاذن لها فى كل عام بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فاشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم واشد ماتجدون من الحرمن حرها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فبينما اهل الجنة فى الجنة اذرأواضوأ كضوء الشمس وقداشرقت الجنان له فيقول اهل الجنة يارضوان قال ربنا عزوجل لايرون فيهاشمسا ولازمهريرا فيقول لهم رضوان ليست هذه بشمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة وعلى رضى الله عنهما ضحكاضحكااشرقت الجنان من نور ضحكهما وفيهما انزل الله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر الى قوله وكان سعيكم مشكورا قال القاشانى لايرون فى جنة الذات شمس حرارة الشوق اليها مع الحرمان ولازمهرير برودة الوقوف

مع الاكواب فان الوقوف مع الكون برد قاسر وثقل عاصر وفى التأويلات النجمية لايرون فى جنة الوصال حر شمس المشاهدة المفنى للمشاهد بحيث لايجد لذة الشهود لان سطوة المشاهدة تفنى المشاهد بالكلية فلايجد لذة الشهود من المحبوب المعبود والى هذا المعنى اشار النبى عليه السلام فى دعائه اللهم ارزقنا لذة مشاهدتك لازمهرير برد الحجاب والاستار (ودانية عليهم ظلالها) عطف على ما قبلها حال مثلها والظلال جمع ظل بالكسر نقيض الضح وظلالها فاعل دانية من الدنو بمعنى القرب اما بحسب الجنب او بحسب السمك والضمير الى الجنة اواشجارها ومعناه ان ظلال الاشجار فى الجنة قربت من الابرار من جوانبهم حتى صارت الاشجار بمنزلة المظلة عليهم وان كان لاشمس فيها مؤذية لتظلهم منها ففيه بيان لزيادة نعيمهم وكمال راحتهم فان الظل فى الدنيا الراحة (وذللت قطوفها تذليلا) اى سخرت ثمارها لمتناولها وسهل اخذها للقائم والقاعد والمضطجع تمام التسخير والتسهيل من الذل بالكسر وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اى تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها او معطوفة على دانية اى دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وهو جمع قطف بكسر القاف بمعنى العنقود و قطفت العنب قطعته وسمى العنقود قطفا لانه يقطف و يقطع وقت الادراك (و يطاف) يدار من طاف بمعنى دار والطواف والاطافة كلاهما لازم بالفارسية كرد جيزى بكشتن وانما جاءت التعدية هنا من الباء فى بآنية (عليهم) اى على الابرار اذا ارادوا الشرب والطائف الدائر هو الخدم كما يجيئ (بآنية) اوعية جمع اناء نحو كساء واكسية والاوانى جمع الجمع كما فى المفردات واصل آنية اءنية بهمزتين مثل افعلة قال فى بعض التفاسير الباء فيها ان كانت للتعدية فهى قائمة مقام الفاعل لانها مفعول له معنى والاظهر ان يكون القائم مقامه عليهم (من فضة) نعت لآنية (واكواب) جمع كوب وهو الكوز العظيم المدور الرأس لااذن له ولاعروة فيسهل الشرب منه من كل موضع ولا يحتاج عند التناول الى ادارته وهو مستعمل الآن فى بلاد العرب لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم وقدم عليه وصف الاوانى التى يشرب بها وذكره بلفظ المجهول لان المقصود مايطاف به لا الطائفون ثم ذكر الطائفين بقوله ويطوف الخ (كانت قواريرا) جمع قارورة بالفارسية ابكينه وفى القاموس القارورة ماقر فيه الشراب ونحوه (قوارير من فضة) اى تكونت وحدثت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها يرى ما فى داخلها من خارجها فكان تامة وقوارير الاول حال من فاعل كانت على المبالغة فى التشبيه يعنى ان القوارير انما تكون من الزجاج لامن الفضة فابس المعنى انها قوارير زجاجية متخذة من الفضة بل الحكم عليها بانها قوارير وانها من فضة من باب التشبيه البليغ لانها فى نفسها ليست زجاجا ولا فضة لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء فثبت ان آنية الجنة مباينة فى الحقيقة لقارورة الدنيا وفضتها ولان قارورة الدنيا سريعة الانكسار والهلاك وما فى الجنة لايقبل ذلك و فضة الدنيا كثيفة الجوهر لااطافة فيها وما فى الجنة ليس كذلك وان شارك كل واحد منهما الآخر فى بعض الاوصاف فشبهت بالفضة فى بياضها ونقائها و بالقارورة فى شفافيتها وصفائها فهى حقيقة مغايرة لهما جامعة لاوصافهما وذلك كاف فى صحة اطلاق اسم القارورة والفضة عليها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ارض الجنة من فضة واوانى كل ارض تتخذ من تربة تلك الارض و يستفاد من هذا الكلام وجه آخر لكون تلك الاكواب من فضة ومن قوارير وهو ان اصل القوارير فى الدنيا الرمل واصل قوارير الجنة هو فضة الجنة فكما ان الله قادر على ان يقلب الرمل الكثيف زجاجة صافية فكذلك قادر على ان يقلب فضة الجنة قارورة صافية فالغرض من ذكر هذه الآية التنبيه على ان نسبة قارورة الجنة الى قارورة الدنيا كنسبة الفضة الى الرمل فكما انه لانسبة بين هذين الاصلين فكذا بين القارورتين كذا فى حواشى ابن الشيخ قال بعضهم لعل الوجه فى اختيار كون كانت تامة مع امكان جعلها ناقصة وقوارير الاول خبرا بتكوين الله فيكون فيه تفخيم للآية بكونها اثر قدرة الله تعالى وقوارير الثانى بدل من الاول على سبيل الايضاح والتبيين اى قوارير مخلوقة من فضة والجملة صفة لاكواب وقرئ بتنوين قوارير الثانى ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثانى بالرفع على هى قوارير قال ابن الجزرى وكلهم وقفوا عليه بالالف الا حمزة وورشا وانما صرفه من صرفه لانه وقع فى مصحف الامام بالالف وانما كتب فى المصحف بالف لانه رأس آية فشابه الفوا فى

والفواصل التى تزاد فيها الالف للوقف (قدروها تقديرا) صفة لقوارير ومعنى تقدير الشار بين المطاف عليهم لها انهم قدروها فى انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها فان منتهى ما يريده الرجل فى الآنية التى يشرب منها الصفاء فقد ذكره الله بقوله كانت قوارير وايضا النقاء فقد ذكره الله بقوله من فضة وايضا الشكل والمقدار فقد ذكره الله بقوله قدروها تقديرا اوقدروها باعمالهم الحسنة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله و يطاف عليهم اى قدروا شرابها على اضمار المضاف على قدر اسروائهم وريهم من غير زيادة ولا نقصان وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته فان طرفى الاعتدال مذمومان كما قال مجاهد لا فيض فيها ولا غيض اى لا كثرة ولا قلة و قال الضحاك على قدر اكف الخدم (ويسقون فيها) اى فى الجنة يسقى الله او يسقى الطائفين بامر الله وفيه زيادة تعظيم لهم ليست فى قوله يشربون من كأس بصيغة المعلوم (كأسا) خمرا (كان مزاجها) ما تمزج به وتخلط (زنجبيلا) الزنجبيل عرق يسرى فى الارض ونباته كالقصب والبردى وعلم منه ان ما كان مزاجها زنجبيلا غير ما كان مزاجها كافورا والمعنى زنجبيلا اى ماء يشبه الزنجبيل فى الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما يستطيب العرب والذ ما تستلذ به لانه يحذو اللسان و يهضم الطعام كما فى عين المعانى و لما كان فى تسمية تلك العين بالزنجبيل توهم ان ليس فيها سلاسة الانحدار فى الحلق وسهولة مساغها كما هو مقتضى اللذع و الاحراق ازال ذلك الوهم بقوله (عينا) بدل من زنجبيلا (فيها تسمى) عند الملائكة من خازن الجنة واتباعه (سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها فكان العين سميت بصفاتها قال بعضهم يطلق عليها ذلك وتوصف به لانه علم لها يعنى ان سلسبيل صفة لا اسم والا لامتنع من الصرف للعلمية و التأنيث ولم يقرأ به واحد من العشرة و يقال انما صرف مع انه اسم عين وهى مؤنث معنوى لرعاية رأس الآية قال فى الكواشى لفظ مفرد بوزن فعلليل كدردبيس يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل سهل الدخول فى الحلق لعذوبته و صفائه و لذلك حكم بزيادة الباء اى بعدم التفاوت فى المعنى بوجودها وعدمها والا فالباء ليست من حروف الزيادة و قيل زيدت الباء على السلسال حتى صارت كلمة خماسية للدلالة على غاية السلاسة و الحلاوة و قال ابن المبارك من طريق الاشارة معنى السلسبيل سل من الله اليه سبيلا قال ابن الشيخ جعل الله مزاج شراب الابرار اولا كافورا وثانيا زنجبيلا لان المقصود الاهم حال الدخول البرودة لهجوم العطش عليهم من حر العرصات وعبور الصراط وبعد استيفاء حظوظهم من انواع نعيمها ومطعوماتها تميل طباعهم الى الاشربة التى تهيج الاشتهاء وتعين على تهنئة ما تناولوه من المطعومات و يلتذ الطبع بشربها فلعل الوجه فى تأخير ذكر ما يمزج به الزنجبيل عما يمزج به الكافور ذلك وفى التأويلات النجمية يشير بالزنجبيل الى شراب الوحدة الممزوجة بزنجبيل الكثرة المعقولة من مفهوم التوحيد و بالسلسبيل الى شراب الوحدة الصافية عن الامتزاج بزنجبيل الكثرة وسميت سلسبيلا لسلاسة انحدارها وذلك لبساطتها و صرافتها وقال القاشانى كان مزاجها زنجبيل لذة الاشتياق فانهم لا شوق لهم ليكون شرابهم الزنجبيل الصرف الذى هو غاية حرارة الطلب لوصولهم ولكن لهم الاشتياق للسير فى الصفات وامتناع حصولهم على جميعها فلا تصفو محبتهم من لذة حرارة الطلب كما صفت لذة محبة المستغرقين فى عين جمع الذات فكان شرابهم العين الكافورية الصرفة والزنجبيل عين فى الجنة لكون حرارة الشوق عين المحبة الناشئة من منبع الوحدة مع الهجران تسمى سلسبيلا لسلاستها فى الحلق و ذوقها فان العشاق المهجورين الطالبين السالكين سبيل الوصال فى ذوق وسكر من حرارة عشقهم لا يقاس به ذوق (و يطوف عليهم) اى يدور على الابرار (ولدان) فانهم اخف فى الخدمة جمع وليد وهو من قرب عهده بالولادة (مخلدون) اى دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء لا يتغيرون ابدا و بالفارسية و بخدمت مى كردد برايشان غلامانى چون كود كان نوزاد جاويد مانده در حال طفوليت او مقربون يعنى پسران كوشواره دار والخلد القرط و فى التاج انه من الخلد وهو الروح كأنهم روحانيون لا جسم لهم (اذا رأيتهم) يا من شأنه الرؤية (حسبتهم لؤلؤا) جمعه اللآلى وتلألأ الشئ لمع لمعان اللؤلؤ (منثورا) متفرقا لحسنهم و صفاء الوانهم و اشراق وجوههم وتفرقهم فى مجلس الخدمة عند اشتغالهم بانواع الخدمة وطوافهم على المخدومين مسارعين فى الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة

واحدة لشبهوا باللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ اذا كان متفرقا يكون احسن فى المنظر من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض لغاية بياضه و بريقه فيكون مخالفا للمجتمع فيه والظاهر على ماذهب اليه البعض منثورا اى متفرقا فى الجنة فهو احسن من القيد بمجلس الخدمة وشبهت الحور العين باللؤلؤ المكنون اى المخزون لانهن لا ينتشرن انتشار الولدان بل هن حور مقصورات فى الخيام قال فى عين المعانى وفيه اشارة الى ان الاستمتاع بظواهرهم يكون بخلاف الحور المشبهة بالبيض لانه يجمع بياض اللون الى لذة الطعم انتهى * ومنه يعلم ان لالواطة فى الجنة وان قول من جوزها مردود باطل على ما حققناه مرارا قال بعضهم منثورا من سلكه على البساط وعن المأمون انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج بالذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در ابى نواس كأنه ابصر هذا حيث يقول

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها * حصباء در على ارض من الذهب

وقال بعضهم منثورا من صدفه يعنى انهم شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه وهو غير مثقوب لانه احسن واكثر ماء وبالفارسية مرواريد افشانده شده از صدف يعنى تروتازه كه هنوز دست كس بدان نرسيده ودر رونق وآب داد شان قصورى پيدا نشده قال فى كشف الاسرار ولدان مخلدون اى غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين انتهى فسمى الغلمان ولدانا لانهم على صورتهم على ان فى اطلاقهم عليهم خطابا بما يتعارفه الناس فلا يلزم ولادتهم فى الجنة وقال فى عين المعانى قيل انهم ولدان الكفار يدخلون الجنة خدما لاهلها بدليل انهم سموا ولدانا ولاولادة فى الجنة انتهى وفى اللباب اختلفوا فى الولدان فقيل انشأهم الله لاهل الجنة من غير ولادة لان الجنة لا ولادة فيها وهم الذين قال الله فيهم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون اى مخزون مصون لم تمسه الايدى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما مامن احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام وكل غلام على عمل ماعليه صاحبه وروى ان الحسن رحمه الله لما تلا هذه الآية قال قالوا يارسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم فقال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى عن على رضى الله عنه والحسن البصرى رضى الله عنه ان الولدان هنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه اطفال المشركين هم خدم اهل الجنة وعن الحسن رحمه الله لم تكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيئات يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع انتهى كلام اللباب فالله تعالى قادر على ان يجعل اموات الكفار الذين لا يليقون بالخدمة فى الدنيا لغاية صغرهم فى مرتبة القابلية لها فى الآخرة بكمال قدرته وتمام رحمته قال النووى الصحيح الذى ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة وقال الطيبى فى شرح المشكاة الحق التوقف اى لا الحكم بانهم من اهل الجنة كما ذهب اليه البعض ولابانهم تبع لآبائهم فى النار كما ذهب اليه البعض الآخر فالمذاهب اذا فيهم ثلاثة وفى التأويلات النجمية ويطوف عليهم ولدان مخلدون اى تجليات ذاتية مقرطون بقرطة الاسماء والصفات اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من تشعشع انوار الذات وتلألؤ انوار الصفات والاسماء (واذا رأيت ثم) و چون بنگرى ونظر كنى در بهشت قال فى الارشاد ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه اى مآل المعنى ان بصرك اينما وقع فى الجنة (رأيت نعيما) كثيرا لا يوصف وهو ما يتنعم به (وملكا كبيرا) اى واسعا وهنيئا كما فى الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه والآية من باب الترقى والتعميم يعنى ان هنالك امورا اخر اعلى واعظم من القدر المذكور درفصول آمده كه نعيم راحت اشباح است وملك كبير لذت ارواح نعيم ملاحظهٔ دارست وملك كبير مشاهدهٔ ديدار ودار بى ديدار بهيچ كار نيايد الجار ثم الدار زاهدان فردوس ميجويند وماديدار دوست وفى التأويلات النجمية يعنى اذا تحققت بمقام التوحيد وحال الوحدة وصلت الى نعيم الشهود والملك المشهود والكبير فى ذاته وصفاته واسمائه وافعاله انتهى * فيكون المراد بالملك الكبير فى الدنيا هو الشهود الحاصل لاهل الجنة المعنوية والملك بالضم بالفارسية پادشاهى ولا سلطنة فوق سلطنة المعرفة والرؤية قال فى بعض التفاسير الملك بالضم هو التصرف فى المأمورين بالامر والنهى ومنه الملك واما الملك بالكسر فهو التصرف فى الاعيان المملوكة بحسب المشيئة ومنه المالك والاول جامع للثانى لان كل ملك مالك ولا عكس (عاليهم ثياب سندس خضر) عاليهم ظرف

على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة حال من ضمير عليهم اى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ اى فوقهم وعلى ظهورهم ثياب سندس وهو الديباج الرقيق الفاخر الحسن و إضافة الثياب الى السندس كاضافة الخاتم الى الفضة و بالفارسية بر بهشتيان يعنى لباس زبرين ايشان جامهاى ديباى نازك والمرضى الزجاج بكون عاليهم نصبا على الظرف بمعنى فوقهم لانه لم يعرف فى الظرف وخضر جمع اخضر صفة ثياب كقوله ويلبسون ثيابا خضرا فالضمير للابرار المطوف عليهم لان المقام مقام تعداد نعيمهم و كرامتهم فالمناسب ان تكون الثياب الموصوفة لهم لا للولدان الطائفين وعن الامام ان المراد فوق خيامهم المضروبة عليهم والمعنى ان حجالهم من الحرير والديباج وهذا من علامات الملك (واستبرق) بالرفع عطفا على ثياب بحذف المضاف اى ثياب استبرق و هو معرب استبره بمعنى الغليظ سبق بيانه فى سورة الرحمن و هو بقطع الهمزة لكونه اسما للديباج الغليظ الذى له بريق (وحلوا اساور من فضة) عطف على ويطوف عليهم وهو ماض لفظا و مستقبل معنى و اساور مفعول ثان لحلوا بمعنى و يحلون و التحلية التزيين بالحلى و بالفارسية بالحلى زيور كردن وفيه تعظيم لهم بالنسبة الى ان يقال وتحلوا واساور جمع اسورة فى جمع سوار وسوار المرأة اصله دستواره وكان الملوك فى الزمان الاول يتحلون بها ويسورون من يكرمونه و لا ينافى هذه الآية ما فى الكهف و الحج من قوله من اساور من ذهب لامكان الجمع بين السوار الذهب والسوار الفضة فى ايديهم كما تجمع نساء الدنيا بين انواع الحلى وما احسن المعصم اذ يكون فيه سواران من جنسين و زيادة كالذهب والفضة و اللؤلؤ و ايضا لامكان المعاقبة فى الاوقات تارة يلبسون الذهب و اخرى يلبسون الفضة و ايضا لامكان التبعيض بان يكون البعض ذهبا والبعض فضة فان حلى اهل الجنة يختلف حسب اختلاف اعمالهم فلعله بين الذهب والابرار الفضة وايضا يعطى كل احد ما رغب فيه ويميل طبعه اليه فان الطباع مختلفة فرب انسان يكون استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه لصفرة الذهب (وسقاهم) بياشاماند ايشانرا (ربهم شرابا) هو ما يشرب (طهورا) هذا الشراب الطهور نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية لانه يطهر باطنهم من الاخلاق الذميمة والاشياء المؤذية كالغش والغل والحسد وينزع ما كان فى اجوافهم من قذر وأذى و به تحصل الصفوة المهيئة لانعكاس نور الجمال الالهى فى قلوبهم وهى الغاية القاصية من منازل الصديقين فلذا ختم بها مقالة ثياب الابرار فالطهور بمعنى المطهر صيغة اسم الفاعل وقيل مبالغة الطاهر من حيث انه ليس بنجس كخمر الدنيا وما مسته الايدى القذرة و الاقدام الدنسة ولا يؤول الى ان يكون نجسا بل يرشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك (قال الكاشفى بايد دانست كه جوى كوثر در بهشت خاصه حضرت رسالت است و ذكر آن در سورهٔ كوثر خواهد آمد وچهار جوى ديكر ازان متقيانست آب وشير وخمر وعسل وشمهٔ از صفات اودر سورهٔ محمد عليه السلام رقم بيان شد ود وچشمه ازان اهل خشيت است فيهما عينان تجريان رد وچشمه ازان اهل يمين است فيهما عينان نضاختان واين چهار چشمه در سورة الرحمن آمد ديكر چشمهٔ رحيق ازان ابرارست وچشمهٔ تسنيم ازان مقربان واين هر دو در سورهٔ مطففين مذكورند ودو چشمه ازان اهل بيت است كافور و زنجبيل كه انرا سلسبيل خوانند وشراب طهور نيز ازايشانست ومحققان انرا شراب شهود كويند كه مرآت دل نوشنده را بلوامع انوار قدم روشن ساخته پذيراى نقوش عكوس ازل وابد كرداند ووقت وحال اوراچنان صافى سازد كه مطلقا شوائب غيريت در مشارع وحدت نماند و رنك دوكانكى مبدل كردانيده جام مدام را يك رنك سازد • همه جامست ونيست كوئى مى • يا مدامست ونيست كوئى جام • عارفى كفته اكر فردا بزم نشينان دار بقارا براى آنكه سرور شراب طهور خواهند چشانيد امروز باده نوشان خمخانهٔ افضال رابنقد ازان نصيبى تمام داده اند • از سقاهم ربهم بين جملهٔ ابرار مست • در جمال لايزالى هفت و پنج وچار مست • اى جوانمرد شراب آن شرابست كه دست غيب دهد در جام دل ريزد وعارف اورانوش كند قومى راشراب مست كرد وقومى راد بيدار

وأسكر القوم دوركأس • وكان سكرى من المدير

بزركى راپخراب نمودند كه معروف كرخى رحمه الله كرد عرش طواف مى كرد ورب العزه فرشتكانرامى كفت اوراشناسيد كفتند نه كفت معروف كرخى است بمهر ما مست شده تاديدار ما بايد هشيار نكردد هر كرا

امروز شراب محبت نيست فردا اورا شراب طهور نيدت قال بعضهم صليت خلف سهل بن عبدالله العتمة فقرأ قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا فجعل يحرك فمه كأنه يمص فلما فرغ من صلاته قيل له أتقرأ أم تشرب قال والله لولم اجد لذته عند قراءته كلذتى عند شربه ماقرأته وفى التأويلات النجمية قوله عاليهم الخ يشير الى اتصاف اهل الجنة بملابس الصفات الالهية والاخلاق الربانية من خضر أى من الصفات الذاتية واستبرق اى من الصفات الاسمائية والى تحليهم بحلى اساور الاسماء الذاتية و الصفاتية الزاهرة الباهرة وسقاهم ربهم بكأس الربوبية والتربية شراب المحبة الذاتية الطاهرة عن شوب كدورة رقبة الاغيار (ان هذا) على اضمار القول اى يقال لهم ان هذا الذى ترونه من فنون الكرامات و يجوز ان يكون خطابا من الله فى الدنيا للابرار اى ان هذا الذى ذكر من انواع العطايا (كان لكم جزاء) عوضا بمقابلة اعمالكم الحسنة فان قيل كيف يكون جزاء لاعمالهم و هى مخلوقة لله عند اهل السنة واجيب بانها لهم كسبا عند هم ولله خلقا (وكان سعيكم) وهست شتافتن شما در كار خيردر دنيا (مشكورا) مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب الخاوص نيتكم فيزداد بذلك فرحهم وسرورهم كما ان المعاقب يزداد غمه اذا قيل له هذا جزاء عملك الردئ فالشكر مجاز عن هذا المعنى تشبيها له بالشكر من حيث انه مقابل للعمل كما ان الشكر مقابل للنعم قال بعضهم ادنى الدرجات ان يكون العبد راضيا عن ربه و اليه الاشارة بقوله كان لكم جزاء واعلاها كونه مرضيا له واليه الاشارة بقوله وكان سعيكم مشكورا ولما كان كونه مرضيا اعلى الدرجات ختم به ذكر مراتب الابرار و فى التأويلات النجمية ان هذا كان لكم جزاء لاقتضاء استعدادتكم الفطرية وكان سعيكم مشكورا غير مضيع بسبب الرياء والسمعة (انا نحن نزلنا عليك القرءآن تنزيلا) اى مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان فكأنه تعالى يقول ان هؤلاء الكفار يقولون ان ذلك كهانة وسحر فانا الملك الحق اقول على سبيل التأكيد ان ذلك وحى حق وتنزيل صدق من عندى فلا تكترث بطعنهم فانك انت النبى الصادق المصدق (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرك على الكافرين فان له عاقبة حميدة ولا تستعجل فى امر المقابلة والانتقام فان الامور مرهونة باوقاتها وكل آت قريب (ولا تطع منهم) اى من الكفار (آثما او كفورا) اولا احد الشيئين والتسوية بينهما فاذا قلت فى الاثبات جالس الحسن او ابن سيرين كان المعنى جالس احدهما فكذا اذا قلت فى النهى لا تكلم زيدا او عمرا كان التقدير لا تكلم احدهما والاحد عام لكل واحد منهما فهو فى المعنى لا تكلم واحدا منهما فآل المعنى فى الآية ولا تطع كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه فاو للاباحة اى للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان اى عصيان المخاطب للداعى اليهما والاستقلال به والتقسيم الى الآثم والكفور مع ان الداعين يجمعهم الكفر باعتبار ما يدعونه اليه من الاثم والكفر لا باعتبار انقسامهم فى انفسهم الى الآثم والكفور لانهم كانوا كفرة والكفر اخبث انواع الاثم فلا معنى للقسمة بحسب نفس كفرهم واثمهم وذلك ان ترتب النهى على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهى عن الاطاعة فى الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر فالمراد بالاثم ماعدا الكفر اذ العام اذا قوبل بالخاص يراد به ماعدا ذلك الخاص وخص الكفر بالذكر تنبيها على غاية خبثه من بين انواع الاثم فكل كفور آثم وليس كل آثم كفورا ولا بعد ان يراد بالآثم من هو تابع و بالكفور من هو متبوع (وقال الكاشفى) آثما كنا هكارى راكه ترابا ثم خواند چون عتبه بن ربيعه كه كفت ازدعوت خود بازايست تاد ختر خودرا بتودهم او كفورا وناسپاسى راكه ترا بكفر دعوت كند چون وليد بن مغيره كه كفت بدين آباء رجوع كن تاترا توانكر سازم وفى نهيه عليه السلام عن الاطاعة فيما يدعونه اليه مع انه ما كان يطيع احدا منهم ولا يتصور فى حقه ذلك اشارة الى ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد من حيث ان طبيعتهم التى جبلوا عليها ركب فيها الشهوة الداعية الى السهو و الغفلة و ان احدا لو استغنى عن توفيق الله و امداده و ارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم فظهر انه لا بد لكل مسلم ان يرغب الى الله و يتضرع اليه ان يحفظه من الفتن والآفات فى جميع اموره وقال القاشانى ولا تطع منهم آثما اى محتجبا بالصفات والاحوال او بذاته عن الذات او بصفات نفسه وهيئاتها عن الصفات او كفورا محتجبا بالافعال والآثار واقفا معها او بافعاله و مكسوباته عن الافعال فتحجب بموافقتهم انتهى عصمنا الله واياكم من موافقة الاعداء مطلقا (واذكر اسم ربك بكرة) اول النهار (واصيلا)

اى عشيا و هو آخر النهار اى ودا وم على ذكره فى جميع الاوقات فاريد بقوله بكرة واصيلا الدوام لانه عليه السلام كان آتيا بنفس الذكر المأمور به وانتصابهما على الظرفية اودم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل كما يطلق على ما بعد العصر الى المغرب فكذا يطلق على ما بعد الزوال فيتنا ول وقتى الظهر والعصر قال سعدى المفتى التأويل بالدوام انما يحتاج اليه لو ثبت فرضية الصلوات الخمس قبل نزولها والظاهر انه كذلك فانها فرضت ليلة المعراج يقول الفقير وفيه ان الصلوات الخمس وان فرضت ليلة المعراج الا ان المعراج كان قبل الهجرة بسنة والتأريخ فى نزول الآية مجهول اهى نازلة قبل المعراج ام بعده فان كان الثانى ثبت مطلوبه والافلا قال القاشانى واذكر ذلك الذى هو الاسم الاعظم من اسمائه بالقيام بحقوقه واظهار كما لاته فى المبدأ و المنتهى بالصفات الفطرية من وقت طلوع النور الالهى بايجادها فى الازل وايداع كما لاته فيها وغروبه بتعينها واحتجابه بها واظهارها مع كما لاتها (ومن الليل فاسجد له) وفى بعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء بس معنى چنين باشد كه بر پنج نماز مداومت نماى و تقديم الظرف للاهتمام لما فى صلاة الليل من مزيد كلفة و خلوص وافضل الاعمال اشقها و اخلصها من الرياء فاستحقت الاهتمام بشأنها وقدم وقتها لذلك ثم الفاء لافادة معنى الشرط كأنه قال مهما يكن من شئ فاسجد له ففيها وكادة اخرى لامرها و فى التأويلات النجمية و اعبد ربك المطلق حق العبودية بالفناء فيه من ليل طبيعتك وغلس بشريتك اذ السجود صورة الفناء الذاتى و الركوع صورة الفناء الصفاتى و القيام صورة الفناء الافعالى فافهم بعض اسرار الصلاة (وسبحه ليلا طويلا) اى صل صلاة التهجد لانه كان واجبا عليه فى طائفة طويلة من الليل ثلثيه اونصفه اوثلثه فقوله ليلا طويلا نصب على الظرفية فان قلت انتصاب ليلا على الظرفية وطويلا نعته و معناه سبحه فى الليل الطويل فمن اين يفهم ما ذكرت من المعنى قلت ظاهران توصيف الليل بالطول ليس للاحتراز عن القصير فان الامر بالتهجد يتناوله ايضا فهو لتطويل زمان التسبيح وفى التعبير فى التهجد بالتسبيح وتأخير ظرفه دلالة على انه ليس فى مرتبة ماقبله (ان هؤلاء) اى كفار مكة عاد الى شرح احوال الكفار بعد شرح صدره عليه السلام بماذكر من قوله انا نحن الخ (يحبون العاجلة) دوست ميدارند سراى شتابنده را يعنى دنيا را و ينهمكون فى لذاتها الفانية فهو الحامل لهم على الكفر و الاعراض عن الاتباع لا اشتباه الحق عليهم (و يذرون) يتركون (وراءهم) اى اما مهم لا يستعدون فهو حال من يوما او ينبذون وراء ظهورهم فهو ظرف ليذرون فوراء يستعمل فى كل من امام وخلف و الظاهر فى وجه الاستعمالين ان وراء اسم للجهة المتوارية اى المستترة المختفية عنك واستتار جهة الخلف عنك ظاهر وما فى جهة الامام قد يكون متواريا عنك غير مشاهد و معاين لك فيشبه جهة الخلف فى ذلك فيستعار له اسم الوراء (يوما ثقيلا) لا يعبأون به و يوما مفعول يذرون وثقيلا صفته و وصفه بالثقل مع انه من صفات الاعيان الجسمية لاالامتدادات الوهمية لتشبيه شدته وهوله بثقل الحمل الثقيل ففيه استعارة تخييلية وفى الآية وعيد لاهل الدنيا ونعيمها خصوصا لاهل الظلم والرشوة (نحن) لاغيرنا (خلقناهم) من نطفة (وشددنا اسرهم) اى احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب ليتمكنوا بذلك من القيام والقعود والاخذ و الدفع والحركة وحق الخالق المنعم ان يشكر ولا يكفر ففيه ترغيب و الاسر الربط و منه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وقدر المضاف وهو المفاصل (وفى كشف الاسرار) وآفرينش انسان سخت بستيم تاآفرينش واندامان برجاى بود فعناه شددنا خلقهم وقال الراغب اشارة الى الحكمة فى تركيب الانسان المأمور بتدبرها وتأملها فى قوله وفى انفسكم افلا تبصرون وقيل وشددنا مخرج البول والغائط اذا خرج الاذى انقبض اومعناه انه لا يسترخى قبل الارادة (واذاشئنا تبديلهم (بدلنا امثالهم) اى بدلناهم بامثالهم بعد اهلاكهم و التبديل يتعدى الى مفعولين غالبا كقوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات يعنى يذهب بها و يأتى بدلها بحسنات (تبديلا) بديعا لاريب فيه و هو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا فالمثلية فى النشأة الاخرى انما هى فى شدة الاسر وباعتبار الاجزاء الاصلية و لاينافيها الغيرية بحسب العوارض كاللطافة والكثافة و بالفارسية وچون خواستيم بدل كنيم ايشانرا بامثال ايشان درخلقت يعنى ايشانرا بميرانيم ودرنشأت ثانيه بمانند همين صورت و هيأت بازآريم اوالمعنى واذا شئنا بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم ففيه ترهيب فالمثلية باعتبار الصورة

ولا ينافيها الغيرية باعتبار العمل والطاعة واذالدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية والا فالمناسب كلمة ان اذ لا تحقق لهذا التبديل قال القاشانى نحن خلقناهم بتعيين استعدا داتهم و قويناهم بالميثاق الازلى والاتصال الحقيقى واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا بان نسلب افعالهم بافعالنا ونمحو صفاتهم بصفاتنا ونفنى ذواتهم بذاتنا فيكونوا ابدالا (ان هذه تذكرة) اشارة الى السورة اوالآيات القريبة اى عظة مذكرة لما لا بد منه فى تحصيل السعادة الابدية جعلت عين التذكرة مبالغة وفى عين المعانى تذكرة اى اذكار بما غفلت عنه عقولهم (وقال الكاشفى) يامعاملۀ اهل بيت در بذل و ايثار عبر تيست مؤمنانرا بمثل آن عمل كنند واز مثل اين جزاها بهره يابند (فمن) پس هركه (شاء اتخذ الى ربه سبيلا) اى فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا اى وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اى تقرب اليه بالعمل بما فى تضاعيفها وقال ابن الشيخ فمن شاء النجاة من هول ذلك اليوم وشدته اختار سبيلا مقربا الى مرضاة ربه وهو الطاعة (وما تشاؤن الا ان يشاء الله) تحقيق الحق ببيان ان مجرد مشيئتهم غير كافية فى اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية وان مع الفعل فى حكم المصدر الصريح فى قيامه مقام الظرف والمعنى وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله فى وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا فى الكسب وانما التأثير والخلق لمشيئة الله تعالى غاية ما فى الباب ان المشيئة ليست من الافعال الاختيارية للعبد بل هى متوقفة على ان يشاء الله اياها وذلك لاينا فى كون الفعل الذى تعلقت به مشيئة العبد اختياريا له واقعا بمشيئته وان لم تكن مشيئته مستقلة فيه وهو الجبر المتوسط الذى يقول به اهل السنة ويقولون الامر بين الامرين اى بين القدر والجبر قال فى عين المعانى قوله تعالى فمن شاء الخ حجة تكليف العبودية وقوله تعالى وما تشاؤن الخ اظهار قهر الالوهية (ان الله كان عليما حكيما) بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ فى العلم والحكمة فيفعل ما يستأهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته قال القاشانى وما تشاؤن الا بمشيئتى بان اريد فتريدون فتكون ارادتكم مسبوقة بارادتى بل عين ارادتى الظاهرة فى مظاهرهم ان الله كان عليما بما اودع فيهم من العلوم حكيما بكيفية ايداعها وابرازها فيهم باظهار كمالاتهم (يدخل من يشاء فى رحمته) بيان لاحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته اى يدخل فى رحمته من يشاء ان يدخله فيها وهو الذى يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدى الى دخول الجنة من الايمان والطاعة (والظالمين) وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر (اعد لهم عذابا اليما) اى متناهيا فى الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اى يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وفى الآية اشارة الى ادخال الله بعض عباده فى رحمة معرفته واما بعض عباده وهم الظالمون الواضعون الضلالة فى مقام الهداية والجهالة فى مقام المعرفة فان الله اعد لهم عذاب الحجاب المؤلم للروح والجسم وايضا عذابا بالوقوف على الرب لوقوفهم مع الغير ام على النار او قوفهم مع الآثار وختم الله السورة بالعذاب المعد يوم البعث والحسر ففيه حسن الخاتمة لموافقته الفاتحة على مالا يخفى على اهل النظر والفهم

تمت سورة الانسان بعون ذى الاحسان يوم الثلاثاء الرابع من شهر الله المحرم من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف

(سورة المرسلات خمسون آية مكية استثنى منها واذا قيل لهم اركعوا الآية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) الواو للقسم والمرسلات بمعنى الطوائف المرسلات جمع مرسلة بمعنى طائفة مرسلة باعتبار ان ملائكة كل يوم اوكل عام اوكل حادثة طائفة وعرفا بمعنى متتابعة من عرف الفرس وهو الشعرات المتتابعة فوق عنقه فهو من باب التشبيه البليغ بان شبهت الملائكة المرسلون فى تتابعهم بشعر عرف الفرس وانتصابه على الحالية اى جاريات بعضها اثر بعض كعرف الفرس او العرف بمعنى المعروف والاحسان نقيض النكر بمعنى المنكر اى الشئ القبيح فانهم ان ارسلوا للرحمة فظاهر وان ارسلوا لعذاب الكفار فذلك معروف للانبياء والمؤمنين يعنى ان عذاب الاعداء احسان للاولياء فانتصابه على العلية وعصفت الريح اشتدت وعصفا مصدر مؤكد وكذا نشرا وفرقا

والفاء الدلالة على اتصال سرعة جريهن فى نزولهن و هبوطهن بالأرسال من غير مهلة وهى لعطف الصفة على الصفة اذالموصوف متحد والنشر بمعنى البسط والعدول الى الواو فى الناشرات لانها غير المرسلات فالقسم الاول وصفهم الله بوصفين يتعقب احدهما على الآخر والقسم الثانى وصفهم بثلاثة اوصاف كذلك و الفرق الفصل والالقاء هنا بمعنى الايصال والانزال لاالطرح و ذكرا بمعنى الوحى مفعول الملقيات وترتيب الالقاء على ماقبله بالفاء ينبغى ان يكون لتأويله بارادة النشر والفرق و سيأتى تمامه اقسم الله بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره بنحو التدبير وايصال الارزاق بالتصرف فى الامطار و الرياح و كتابة اعمال العباد بالليل والنهار وقبض الارواح فعصفن فى مضيهن يعنى سخت رفتند عصف الرياح مسارعة فى الامتثال بالامر وبطوائف اخرى نشرن اجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى اونشرن الشرائع فى الاقطار اى فرقن واشعن اونشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل اى احيين بما او حين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء (عذرا) لاهل الحق اى معذرة لهم فى الدنيا و الآخرة لاتباعهم الحق (اونذرا) لاهل الباطل لعدم اتباعهم الحق وعذرا مصدر من عذر اذامحا الاساءة ونذرا اسم مصدر من انذر اذاخوف لامصدر لانه لم يسمع فعل مصدرا من افعل وانتصا بهما على البدلية من ذكرا قال ابن الشيخ ان كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحى يكون عذرا اونذرا بدل البعض من الكل فانما يتعلق بمغفرة المطيعين و تخويف المعاندين بعض من جملة الوحى وان اريد بالذكر المبدل منه مايتعلق بسعادة المؤمن وشقاوة الكافر خاصة يكون بدل الكل من الكل فان القاء ما يتعلق بسعادة المؤمن متحد بالذات مع القاء عذره ومحو اساءته وكذا القاء ما يتعلق بشقاوة الكافر متحد مع القاء انذاره على كفره انتهى او انتصا بهما على العلية للصفات المذكورة او للاخيرة و حدها وهو الاولى بمعنى فالاتى القين ذكرا لمحو ذنوب المعتذرين الى الله بالتوبة و الاستغفار ولتخويف المبطلين المصرين وفى كشف الاسرار لاجل الاعذار من الله الى خلقه لئلا يكون لاحد حجة فيقول لم يأتنى رسول ولاجل انذارهم من عذاب الله و عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عذرا اونذرا قال يقول الله يا ابن آدم انما امرضكم لاذكركم وامحص به ذنوبكم واكفر به خطاياكم وربكم اعلم ان ذلك المرض يشتد عليكم و انا فى ذلك معتذر اليكم قال بعضهم المعنى ورب المرسلات الخ و فى الارشاد لعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس و الفرق على الالقاء اى مع ان الظاهر ان الفرق بين الحق والباطل يكون مع النشر لا بعده وان القاء الذكر الى الانبياء متقدم على نشر الشرائع فى الارض و احياء النفوس الموتى والفرق بين الحق والباطل فلا يظهر التعقيب بينهما للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها اوللاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم و الاجلال بالاقسام بهن ولو جيئ بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لماذكر من الاستحقاق هذا وقد قيل فى هذا المقام غير ذلك لكن الحمل على الملائكة اوجه واسد لما ذكرنا فى المدثر ان المحققين على انه من الملائكة المرسلات والناشرات والملقيات وغير ذلك (قال فى كشف الاسرار) درروزكار خلافت عمر رضى الله عنه مردى بيامد ازاهل عراق نام اوصبيغ وازعمر ذاريات ومرسلات برسيد صبيغ عادت داشت كه پيوسته ازين معضلات آيات پرسيدى يعنى تاكه مردم دروفرو مانند عمرا ورادره زد وكفت اوو جدتك محلوقا لضربت الذى فيه عيناك يعنى اكر من ترا سرسترده يافتمى ترا كردن زدم عمر رضى الله عنه اين سخن را از بهر آن كفت كه ازرسول خدا عليه السلام شنيده بود در صفت خوارج كه سيماهم التحليق كفت درامت من قومى خوارج پيدا آيند نشان ايشان آنست كه ميان سر سترده دارند پس عمر نامه نبشت با موسى الاشعرى وكان امير اعلى العراق كه يكسال اين صبيغ را مهجور دار يدباوى منشينيد وسخن مكوييد پس از يكسال صبيغ توبه كرد وعذر خواست وعمر رضى الله عنه توبه و عذروى قبول كرد شافعى رحمه الله كفت حكمى فى اهل الكلام كحكم عمر فى صبيغ قال فى القاموس صبيغ كامير بن عسيل كان يعنت الناس بالغوامض والسؤالات فنفاه عمر الى البصرة انتهى (انما توعدون لواقع) جواب للقسم اى ان الذى توعدونه من مجيئ القيامة كائن لامحالة فانما هذه ليست هى الحصرية بل ما فيها موصولة وان كتبت متصلة فى خط المصحف والموعود هو مجيئ القيامة لان المذكور عقيب هذه الآية علامات يوم القيامة وقال الكلبى المراد

ان كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع نظرا الى عموم لفظة الموصول وفى التأويلات النجمية انما توعدون من يوم قيامة الفناء الكلى فى الله لواقع حاصل بالنسبة الى اهل المعرفة والشهود وارباب الذوق والوجود واما بالنسبة الى اهل الحجاب والاحتجاب فيقع ان كانوا مستعدين لرفع الحجاب وكشف النقاب والى هذا الرفوع المحقق اشار بقوله كل شئ هالك الا وجهه اى فى الحال وبقوله كل من عليها فان اى فان فى عين البقاء اذ المقيد مستهلك فى اطلاق المطلق استهلاك نور الكواكب فى نور الشمس واستهلاك اعتبارات التسمية والتثلية والتربيع فى الاثنين والثلاثة والاربعة ثم اخبر عن ظهور آثار يوم القيامة وحصول دلائلها لاهل الشقاوة بقوله (فاذا النجوم طمست) محيت ومحقت ذواتها فان الطمس محو الاثر الدال على الشئ وهو الموافق لقوله واذا الكواكب انتثرت او ذهب بنورها والاول اولى لانه لا حاجة فيه الى الاضمار والنجوم مرتفعة بفعل يفسره ما بعده او بالابتداء وطمست خبره والاول اولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل اولى ومحل الجملة على الاعرابين الجر باذا وجواب اذا محذوف والتقدير فاذا طمست النجوم وقع ما توعدون او بعثتم اوجوزيتم على اعمالكم وحذف لدلالة قوله انما توعدون لواقع عليه وفيه اشارة الى محق نجوم الحواس العشر الظاهرة والباطنة عن ادراك الحقائق عند طلوع شمس الحقيقة (واذا السماء فرجت) صدعت من خوف الرحمن وشققت ووقعت فيها الفروج التى نفاها بقوله وما لها من فروج وفتحت فكانت ابوابا فالفرج الشق وكل متشوق فرج وبالفارسية وآنكاه كه آسمان شكافته كردد وفيه اشارة الى صدع سماء الارواح وشقها عند سطوات التجليات الجلالية (واذا الجبال نسفت) جعلت كالحب الذى ينسف بالمنسف وهو ما ينفض به الحب ويذرى ونحوه وبست الجبال بسا اى نسف والبس بالفارسية پراكنده كردن وداميدن وفيه اشارة الى تلاشى جبال الخيالات والاوهام الفاسدة الكاسدة عند بوادى المشاهدات وهوادى المعاينات (واذا الرسل اقتت) اى عين لهم الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبل حصوله فان علم ذلك الى الله تعالى يعنى ان تبيين وقت حضورهم ليس من جملة علامات القيامة من حيث ان ذلك التعيين والتبيين لم يكن حاصلا فى الدنيا لعدم حصول الوقت فيقال لهم عند حصوله احضروا للشهادة فقد جاء وقتها والمعنى واذا الرسل بلغوا الميقات الذى كانوا ينتظرونه وهو يوم القيامة فان التوقيت كما يجئ بمعنى تحديد الشئ وتعيين وقته فكذا يجئ بمعنى جعل الشئ منتهيا الى وقته المحدود وعلى المعنى الاول لا يتع على الذوات بدون اضمار فان الموقت هو الاحداث لا الجثث فلا يقال زيد موقت الا ان يراد موقت حضوره وكذا توقيت الرسل انما هو بالنسبة الى حضورهم لا بالنسبة الى ذواتهم لان الذوات قارة لا يعتبر فيها تعيين بخلاف الزمانيات المتجددة هكذا قالوا وقال سعدى المفتى وفى وقوعه على المعنى الثانى على الجثث بدون اضمار بحث ظاهر وان ذهب اليه صاحب الكشف ونحوه وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل لانه من الوقت والباقون ابدلوا الواو همزة لان الضمة من جنس الواو فالجمع بينهما يجرى مجرى الجمع بين المثلين فيكون ثقيلا ولهذا السبب تستثقل الكسرة على الياء ولم تبدل فى نحو ولا تنسوا الفضل بينكم لان ضمة الواو ليست بلازمة فيه وفى كشف الاسرار الالف والواو لغتان والعرب تبدل الالف من الواو تقول وسادة واسادة وكتاب مورخ ومؤرخ وقوس موتر ومؤتر وفى الآية اشارة الى رسل القلب والسر وتعيين وقت شهادتهم على امة الاعضاء والجوارح (لاى يوم اجلت) مقدر بقول هو جواب لاذا فى قوله واذا الرسل اقتت اى يقال لاى يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل اى بجمعهم واحضارهم كما قال تعالى يوم يجمع الله الرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله قال القاشانى واذا الرسل اى ملائكة الثواب والعقاب عينت وبلغت ميقاتها الذى عين لها اما لايصال البشرى والروح والراحة واما لايصال العذاب والكرب والذلة ليوم عظيم اخرت عن معاجلة الثواب والعقاب فى وقت الاعمال ورسل البشر وهم الانبياء عينت وبلغت ميقاتها الذى عين لهم فيه الفرق بين المطيع والعاصى والسعيد والشقى فان الرسل يعرفون كلا بسيماهم (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق ويقضى بالحق ويحكم بين المحسن والمسئ ويميز بين ارباب شهود الوحدة الذاتية وبين اصحاب شهود الكثرة الاسمائية والصفاتية وقال بعضهم يفصل فيه بين الحبيب وحبيبه الا من كان معاملته لله فى الله وبين الرجل وامه وابيه واخيه

الا ان يكونوا متفقين على الحق و العدل (وما ادراك ما يوم الفصل) ما مبتدأ ادراك خبره اى اى شئ جعلك داريا وعالما ماهو وما كنهه اذلم ترمثله وكذا لم يرا احد قبلك شدته حتى تسمع منه (قال الكاشفى) وچه چيز دانا كرد تراكه چيست روزفصل چه كنه اورانتوان دانست فوضع موضع الضمير ليوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبرو يوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل امرا بديعا هائلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية مالا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه (ويل) واى (يومئذ) اى فى ذلك اليوم الهائل (للمكذبين) بيوم يفصل فيه الرحمن بين الخلائق اى الويل والهلاك ثابت فيه لهم والويل فى الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعل لا من لفظه فاصله اهلكه الله اهلا كا اوهلك هوهلا كا عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعوعليه و يومئذ ظرفه اوصفته ووضع الويل موضع الاهلاك اوالهلاك لمجاز وقوعه مبتدأ مع كونه نكرة فانه لما كان مصدرا سادا مسد فعله المتخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة متخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء بها لذلك كما قالوا فى سلام عليك وقال بعضهم الويل واد فى جهنم اوارسلت فيه الجبال لماعت من حره اى ذابت وقال الجنيد قدس سره الويل يومئذ لمن كان يدعى فى الدنيا الدعاوى الباطلة (الم نهلك الاولين) كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن هلكوا قبل بعثة سيد المرسلين عليه السلام وذلك لتكذيبهم يوم الفصل وهو استئناف انكار لعدم الاهلاك اثباتا وتقريرا له لان نفى النفى يثبت الاثبات و يحقق الاهلاك فكأنه قيل لم يكن عدم الاهلاك بل قد اهلكناهم (ثم نتبعهم الآخرين) وهم الذين كانوا بعد بعثته عليه السلام وهو بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم فى الكفر والتكذيب اى نجعلهم تابعين للاولين فى الاهلاك فليس الكلام معطوفا على ماقبله لان العطف يوجب ان يكون المعنى اهلكنا الاولين ثم اتبعناهم الآخرين فى الاهلاك وليس كذلك لان اهلاك الآخرين لم يقع بعد فلذلك رفع نتبع على ان يكون مقطوعا عما قبله و يستأنف به الكلام على وجه الاخبار عما سيقع فى المستقبل باضمار المبتدأ وفيه وعيد لكفار مكة (كذلك) اى فعلا مثل ذلك الفعل الذى اخبر به فمحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف (نفعل بالمجرمين) بكل من اجرم اى سنتنا جارية على ذلك وفيه تحذير من عاقبة الجرم وسوء اثره (ويل) مكروهى بزرك (يومئذ) يوم اذا اهلكناهم (للمكذبين) بآيات الله وانبيائه وليس فيه تكرير لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا وفى برهان القرآن كررها فى هذه السورة عشر مرات لان كل واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الاولى فلا يكون تكرارا مستهجنا و لو لم يكرر كان متوعدا على بعض دون بعض وقيل ان من عادة العرب التكرار و الاطناب كما ان عادتهم الاقتصار و الايجاز و لان بسط الكلام فى الترغيب والترهيب ادعى الى ادراك البغية من الايجاز و قد يجد كل احد فى نفسه من تأثير التكرار مالا خفاء به (الم نخلقكم) اى الم نحدثكم و اتفق القراء على ادغام القاف فى الكاف فى هذا الحرف و ذكر النقاش انه فى قراءة ابن كثير ونافع برواية قالون وعاصم فى رواية حفص بالاظهار قاله فى الايضاح (من ماء مهين) بهوان الحدوث والامكان والابتذال اى من نطفة قذرة مهينة يعنى خوار و بى مقدار والميم اصلية ومهانته قلته وخسته وكل شئ ابتذلته فلم تصنه فقد امتهنته اى خلقنا كم منه ولذا عطف عليه قوله (فجعلناه) اى الماء وبالفارسية پس نكاه داشتيم آن آب را (فى قرار مكين) وهو الرحم بكسر الحاء المهملة اى وعاء الولد فى بطن الام يعنى درقرارگاه استوار كه رحم است فالقرار موضع الاستقرار و المكين الحصين اى جعلنا ذلك الماء فى مقر حصين يتمكن فيه الماء محفوظا سالما من التعرض له فمكين من المكانة بمعنى التمكن لا منها بمعنى المنزلة والمرتبة من الكون يقال رجل مكين فى مكة اى متمكن فيها ومكين عند الامير اى ذو منزلة ومرتبة عنده فيكون فعيلا لا مفيلا (الى قدر معلوم) اى مقدار معلوم من الوقت الذى قدره الله للولادة تسعة اشهر اواقل منها اواكثر وهو فى موضع الحال من الضمير المنصوب فى فجعلناه اى مؤخرا الى مقدار معلوم من الزمان (فقدرنا) اى فقدرناه والمراد تقدير خلقه وجوارحه واعضائه والوانه ومدة حمله وحياته ويدل على كون قدر المخفف لغة بمعنى قدر المشدد قراءة نافع والكسائى بالتشديد (فنعم القادرون) اى نحن بمعنى المقدرون والى هذا المعنى ذهب ابن مسعود رضى الله عنه و يجوز ان يكون فقدرنا من القدرة بمعنى فقدرنا على ذلك اى على خلقه

وتصويره كيف شئنا واردنا من مثل تلك المادة الحقيرة على ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل
ويعضده قوله فنعم القادرون حيث خلقناه بقدرتنا وجعلناه على احسن الصور والهيئات (ويل)
بزركتر بلايى (يومئذ للمكذبين) اى بقدرتنا على ذلك او على الاعادة قال ابو الليث اى الشدة من العذاب
لمن يرى الخلق الاول فانكر الخلق الثانى (الم نجعل الارض كفاتا) عرفهم اولا نعمه الانفسية لانها كالاصل
ثم اتبعها النعم الآفاقية والكفت بالضم آوردن والكفات اسم ما يكفت اى يضم ويجمع من كفت الشيء
اذا ضمه وجمعه كالضمام لما يضم والجماع لما يجمع نحو التقوى جماع كل خير والخمر جماع كل اثم وكفاتا مفعول ثان
لنجعل لانه بمعنى الم نصيرها كفاتا تكفت وتضم (احياء) كثيرة على ظهرها فهو منصوب بفعل مضمر
يدل عليه كفاتا وهو تكفت والا فالاسماء الجامدة وكذا اسماء الزمان والمكان والآلة وان كانت مشتقة
لا تعمل وفى اسم المصدر خلاف واما المصدر وجمع اسم الفاعل فهما من الاسماء العاملة فمن جعل الكفات
مصدرا او جمع اسم الفاعل وهو كافت كصيام جمع صائم جعله عاملا ومن جعله اسما لما يكفت او جمعا للكفت
بمعنى الوعاء منعه من العمل غير الزمخشرى فانه جعل كفاتا وهو اسم عاملا وقد طعن فيه (وامواتا) غير
محصورة فى بطنها ولهذا كانوا يسمون الارض اما تشبيها لها بالام فى ضمها للناس الى نفسها احياء وامواتا
كالام التى تضم اولادها اليها وتضبطهم ولما كانوا ينضمون اليها جعلت كأنها تضمهم وايضا كان الارض
كفات الاحياء بمعنى انهم يسكنون فيها كذلك انها كفات لهم بمعنى انها تكفت ما ينفصل من الاحياء
من الامور المستقذرة وتنكيرهما فى معنى التعريف الاستغراقى لا للافراد والنوعية ويجوز ان يقال ان الارض
وان كانت كفاتا لجميع احياء الانس وامواتهم لكن الاحياء والاموات غير منحصرة فيها لان بعض الحيوان
يكفته الهواء والبعض الآخر يكفته الماء فلا تكون كفاتا للجميع بل للبعض فيصح التنكير ونقل عن القفال انه
قال دلت الآية على وجوب قطع يد النباش من حيث انه تعالى جعل الارض كفات الميت فتكون حرزا والسارق
من احرز يجب عليه القطع (وجعلنا فيها رواسى) اى جبالا ثوابت يعنى وبيافريديم در زمين كوههاء استوار
وپاى برجا فمفعول جعلنا مقدر ورواسى صفة له من رسا الشيء يرسو اى ثبت والجبال ثوابت على ظهر
الارض لا تزول (شامخات) صفة بعد صفة والشامخ العالى المرتفع اى طوالا شواهق يعنى بلند وسرفراز
ومنه شمخ بانفه عبارة عن الكبر وفى عين المعانى رواسى اى ثوابت الاصول رواسخ العروق شامخات اى
مرتفعات الفروع ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث فى غير العقلاء مطرد كاشهر معلومات ونحوه والتنكير
للتفخيم او للاشعار بان ما يرى على ظهر الارض من الجبال بعض منها وان فى عداد الجبال ما لم يعرف ولم ير
فان السماء فيها جبال ايضا بدلالة قوله تعالى من جبال فيها من برد (واسقيناكم) وبياشاميديم شمارا (ماء فراتا)
اى عذبا جدا بان خلقنا فيها انهارا ومنابع اى جعلناه سقيا لكم ومكناكم من شربه وكذا من سقية دوابكم
ومزارعكم وسمى نهر الكوفة فراتا للذته وقال ابو الليث ماء عذبا من السماء ومن الارض يقال الفرات للواحد
والجمع وتاؤه اصل والتنكير للتفخيم او لافادة التبعيض لان فى السماء ماء فراتا ايضا بل هى معدنه ومصبه (ويل)
واد فى جهنم (يومئذ) دران روز خطرناك (للمكذبين) بامثال هذه النعم العظيمة (انطلقوا) اى يقال
يومئذ للمكذبين بطريق التوبيخ والتقريع انطلقوا واذهبوا والقائلون خزنة النار وزبانية جهنم (الى ما كنتم به
تكذبون) فى الدنيا من العذاب وبه متعلق بتكذبون قدم لرعاية نظم الآية (انطلقوا) خصوصا (الى ظل)
اى الى ظل دخان نار جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم اى دخان غليظ اسود (ذى ثلاث شعب) جمع شعبة
يعنى خداوند سه شاخ يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب فقوله ذى
ثلاث شعب كناية عن كون ذلك الدخان عظيما بناء على ان التشعب من لوازمه وقيل يخرج لسان من النار
فيحيط بالكفار كالسرادق وهو ما يمد فوق صحن البيت ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ
من حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش قال القاضى اخذا من التفسير الكبير خصوصية الثلاث اما لان حجاب
النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم اولان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية
الحالة فى الدماغ المشوشة للنفس عن ادراك الحقائق والقوة الغضبية السبعية التى عن يمين القلب الدافعة للنفس
عن القيام على حق الاعتدال والقوة الشهوية البهيمية التى عن يساره المانعة للنفس عن الاتصاف بالاوصاف

الالهية ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره فجميع مايصدر عن الانسان من العقائد الفاسدة والاعمال الباطلة لاينشأ الا من هذه القوى الثلاث الواهمة والغضبية والشهوية فهذه الثلاث لما كانت منبع جميع الآفات الصادرة عن الانسان تشعبت شعب العذاب على حسبها پس هركه خواهد كه فردا ازين دخان كه ظل من يحموم اشارت بدانست ايمن كردد امروز بنور عقل متمسك شده از تيركى صفت شيطانى وسبعى و بهيمى بيايد كذشت * زنار يكىٔ خشم وشهوت حذر كن * كه ازو دوآن چشم دل تيره كردد * غضب چون درآمد رود عقل بيرون * هوى چون شود چيره جان خيره كردد *
ويحتمل ان تكون الخصوصية لتضييعهم القوى الثلاث التى هى السمع والبصر والفؤاد كما قال تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون فشكرها ورعايتها مبدأ السعادات وعدم محافظتها واتلافها منشأ الشقاوات يقول الفقير عندى وجه آخر وهو ان الايمان عبارة عن التصديق و الاقرار والعمل فجعلت كل شعبة من الثلاث بمقابلة واحدة من هذه الاركان دل على هذا قوله تعالى انطلقوا الى ماكنتم به تكذبون فأورد التكذيب الذى هو صفة القلب فان القلب لكونه مدار الاعضاء والقوى اذا فسد فسدا للسان وسائر الاركان فالتكذيب ظلمة باطنة للقلب ضوعفت بظلمة ترك الاقرار والعمل فلما تضاعفت الظلمات الباطنة فى الدنيا تضاعفت الظلمات الظاهرة فى الآخرة لان لكل عمل وصفة صورة شخصية جسدانية يوم القيامة (لاظليل) اخذ من الظل للتأكيد كنوم نائم اى لايظل من الحر وتوصيف الظل بانه لايظل من حر ذلك اليوم و هو حر النار للدلالة على ان تسمية مايغشاهم من العذاب بالظل استهزاء بهم فان شأن الظل ان يدفع عمن يستظل به مقاساة شدة الحر وانه ينفعه ببرده ونسمه والذى امروا بالانطلاق اليه يضاعف عليهم ماهم فيه من الحر والعذاب فضلا عن ان يستريحوا ببرده اورد لما اوهمه لفظ الظل من الاستراوح كما مر فى الواقعة
(ولا يغنى من اللهب) اى غير مغن لهم من حر اللهب كما يغنى ظل الدنيا من الحر فقوله لاظليل فى موضع الجر على انه صفة لظل ولفظ غير مانع للصفتية اى ظل غير ظليل وغير مغن ومفعول يغنى محذوف هوشيأ ومن لبيانه و يغنى من اغنى عنى وجهه اى ابعده لان الغنى عن الشئ يباعده كما ان المحتاج اليه يقاربه فصح ان يعبر باغناء شئ عن شئ عن ابعاده عنه فكان المعنى ان هذا الظل لايظلكم من حر الشمس ولايدفع عنكم لهب النار واللهب مايعلو على النار اذا اضطرمت من احمر واصفر واخضر وفى التأويلات النجمية ظل الروح وظل القلب ظل ظليل ممدود نفعه واثره وروحه لاظل النفس و الهوى و قال بعضهم ظل شجرة النفس الخبيثة المقطعة عن نور الوحدة بظلمة ذاتها ليس بظليل كظل شجرة طوبى فلا يفيد الروح والراحة بخلاف ظل شجرة النفس الطيبة المنورة بنور الوحدة الغير المنشعبة الى الشعب المختلفة المتضادة كالشيطانية و السبعية والبهيمية (انها) اى الشعب لانهاهى المذكورة لاالنار (ترمى بشرر) مى افكند درانروز شرارهارا كه هرشراره (كالقصر) مانند كوشكى عظيم اى كل شررة كقصر من القصور فى عظمها كما دل على هذا التفسير قوله كأنه جمالة صفر فالشرر جمع شررة وهى ماتطاير من النار فى الجهات متفرقا كالنجوم كما قال فى القاموس السرار والسرر ككتاب وجبل مايتطاير من النار واحدتهما بهاء انتهى وكالقصر فى موضع الصفة للشرر والقصر مفرد وهو البناء العالى ووصف به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده والقصر ايضا الحطب الجزل ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير الآية هى الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشب فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء فكنا نسميها القصر اى لكونها مقصورة مقطوعة من الممدودة الطويلة تأمل فى ان نارا دخانها وشررها هكذا فما بالك بحال اهلها (كأنه) اى الشرر وفى فتح الرحمن كأنه اى النار ثم رد الضمير الى لفظ النار دون معناها فقال كأنه (جمالة صفر) جمع جمل كالحجارة فى جمع حجر والتاء لتأنيث الجمع اواسم جمع كالحجارة والجمل ذكر الابل والناقة انثاه واذا لم يكن فى جماعة الابل انثى يقال جمالة بالكسر و الصفر جمع اصفر و الصفرة لون من الالوان التى بين السواد و البياض وهى الى البياض اقرب ولذلك قد يعبر بها عن السواد والمعنى كأن كل شررة جمل اصفر او كجمل اسود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة كما قيل لبعض الظباء آدم لان بياضها تعلوه كدرة ولان صفر الابل يشوب رؤس اشعارها سواد وفى الحديث (شرار جهنم اسود كالقير) فالاول و هو التشبيه بالقصر تشبيه فى العظم

والنارى وهو التشبيه بالجمل فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وفى المفردات
قوله تعالى كأنه جمالة صفر قيل جمع اصفر وقيل بل اراد به الصفر المخرج من المعادن ومنه قيل للنحاس صفر
وفى التأويلات النجمية كل صفة من الاوصاف الذميمة والسبعية والشيطانية بحسب الغلظة والشدة
كالقصور المرتفعة والبروج المشيدة اوكأنه جمالة صفر عظيمة الهيكل طويلة الاثر صفر من شدة قوة
النار فى تلك الشرر وهى القوة الغضبية (ويل) مشقت بسيار (يومئذ للمكذبين) باهوال يوم القيامة
واهوال الصلاة فيه (وقال الكاشفى) مر دروغ زنانراست كه مشقت دوزخ وشرارهاى آنرا باور نداريد
(هذا يوم لا ينطقون) اشارة الى وقت دخولهم النار ويوم مرفوع على انه خبر هذا اى هذا يوم لا ينطقون
فيه بشئ لما ان السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك وايضا يوم القيامة يوم طويل له مواطن
ومواقيت ينطقون فى وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم اولا ينطقون بشئ ينفعهم فان ذلك كلا نطق
قال القاشانى لا ينطقون لفقدان آلات النطق وعدم الاذن فيه بالختم على الافواه وقال بعضهم لا ينطقون
من شدة تحيرهم وقوة دهشتهم وقال ابو عثمان رحمه الله اسكتتهم هيبة الربوبية وحياء الذنوب كما قال
الشيخ سعدى رحمه الله * سر از جيب غفلت برآور كنون * كه فردا نماند بخجلت نكون
(ولا يؤذن لهم) ودستورى ندهند مر ايشانرا دراعتذار (فيعتذرون) عطف على يؤذن منتظم فى سلك
النفى اى لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب والنصب
يوهم ان لهم عذرا وقد منعوا من ذكره وهو خلاف الواقع اذ لو كان لهم عذر لم يمنعوا واى عذر لمن اعرض
عن منعمه وكفر باياديه ونعمه (ويل) كرب واندوه (يومئذ للمكذبين) بهذه الاخبار وبما جاء من الحق الواقع
البتة (هذا) اليوم الذى شاهدتم اهواله واحواله (يوم الفصل) بين الحق والباطل وقال البقلى هذا يوم
مفارقة النفس والشيطان عن جوار قلب العارف وانفصال كل شئ عن كل محب غير محبوبه حيث استغرق
فى جوده وشهوده ووجوده (جمعناكم) يا امة محمد (والاولين) من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل اذ الفصل
بين المحق والمبطل والرسل لا يتحقق الا بجمع الكل فلابد من احضارهم لا سيما عند من لا يجوز القضاء على الغائب
(فان كان لكم كيد) حيلة تدفعون بها عنكم العذاب والظاهر ان هذا خطاب من الله للكفار (فكيدون) اصله
فكيدونى حذف ياء المتكلم اكتفاء بالكسرة والنون للوقاية وهو امر من كاد يكيد كيدا وهو المكر والاحتيال
والخديعة والمعنى واحتالوا لانفسكم وتخلصوا من عذابى ان قدرتم فان جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم
حاضرون يعنى حيله با خداى پيش نرود وبمكر ودستان عذاب از خود دفع نتوانيد كرد * بمكر وحيله عذاب
خداى رد نشود * نياز بايد واخلاص وناله سحرى * توان خريد بيك آه ملك هر دو جهان * از آن معامله غافل
مشو كه حيف خورى * وهذا امر اهانة وخطاب تعجيز وتقريع لهم على كيدهم المؤمنين فى الدنيا وتخجيل لهم
بانهم كانوا فى الدنيا يدفعون الحقوق عن انفسهم ويبطلون حقوق الناس بضروب الحيل والمكايد
والتلبيسات فخاطبهم الله حين علموا ان الحيل منقطعة والتلبيسات غير ممكنة بقوله فان كان لكم كيد فكيدون
لسان كرمن التقريع والتخجيل ولاظهار عجزهم عن الكيد فان مثل هذا الكلام لا يتكلم به الا من تيقن بعجز
مخاطبه عما هو بصدده وفى بعض التفاسير اى فان وجد كيد نافع لكم على ان لكم متعلق بكان او نافعا لكم على انه
حال من كيد (ويل) غم وغصه (يومئذ) دران روز هولناك (للمكذبين) حيث ظهر ان لا حيلة لهم فى الخلاص
من العذاب (ان المتقين) من الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلة المكذبين ففيه رد على المعتزلة (فى ظلال) جمع ظل
كشعاب وشعب او ظلة كقباب وقبة اى فى ظلال ظليلة على الحقيقة كما يدل عليه الاطلاق يعنى لا كظل
المكذبين وبالفارسية درسايهاى درختان بهشت باشند قال بعضهم الظاهر انه اخبار عن كونهم
تحت اشجار مثمرة لهم فى جناتهم يقول الفقير الاظهر ان كونهم فى ظلال كناية عن راحتهم العظمى لان الظل
للراحة وكذا قوله تعالى وندخلهم ظلا ظليلا ونحوه وانما ذكر الله الظل تشويقا للقلوب لان من البلاد ما هى حارة
قليلة المياه والاشجار والظلال (وعيون) عذبة دافعة عنهم العطش وبالفارسية وبركنار چشمهاى آب (وفواكه)
اى الوان الفاكهة يعنى ودر ميان ميوها (مما يشتهون) ويتمنون يعنى از آنچه آرزو كنند فيتناولونها
لا عن جوع وامتلاء بل عن شهوة وتلذذ والحاصل انهم مستقرون فى فنون الترفه وانواع النعم خلاف ما عليه

يخالفوهم (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين فى الخبر أى مقولا لهم كلوا
من نعم الجنة وثمراتها واشربوا من مائها وشرابها اكلا وشربا هنيئا سائغا رافها بلا داء ولا تخمة بسبب ما كنتم
تعملونه فى الدنيا من الاعمال الصالحة خصوصا الصيام كما مضى فى الحاقة وهذا امر اكرام اظهارا للرضى عنهم
والمحبة لهم تمسك القائلون بايجاب العمل للثواب بالباء السببية والجواب ان السببية انما هى بفضل الله و وعده الذى
لا يخلف لا بالذات بحيث يمنع عدمه او يوجب النقص او الظلم (انا كذلك) الجزاء العظيم (نجزى المحسنين)
اى فى عقائدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منه (ويل يومئذ للمكذبين) حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل
وهم بقوا فى العذاب المخلد الوبيل (وقال الكاشفى) حيل وقبح ودم مراهل تكذيب راست كه بنعيم بهشت نمى
كروند و فى التأويلات النجمية ان المتقين بالله عما سواه اى المتقين بنور الوحدة عن ظلمة الكثرة و بنور المعرفة
عن ظلمة النكرة فى ظلال الاوصاف الالهية والاخلاق الربانية وعيون من مياه العلوم والحكم وفواكه مما يشتهون
من التجليات الروحانية و التنزلات النورانية كلوا من اطعمة المواهب الهنية واشربوا من اشربة المشارب
التوحيدية هنيئا بما كنتم تعملون من الاعمال الصالحة و الافعال الحسنة انا كذلك نجزى المحسنين المشاهدين
لجمالنا المطلق و يل يومئذ للمكذبين باحسان الجزاء وجزاء الاحسان (كلوا) اى مكذبان از نعيم فانئ دنيا
(وتمتعوا) تمتعا (قليلا) اوزمانا قليلا بعنى عيشوا مدة قليلة الى منتهى آجالكم لان زمان الدنيا قليل كمتاعها
و بالفارسية و برخوردار شويد زمان اندك (انكم مجرمون) كافرون مستحقون للعذاب و بالفارسية
بدرستى كه شما مشركانيد و عاقبت شمارا عذاب دائمست قوله كلوا الخ مقدر بقول هو حال من المكذبين
قال فى الكواشى لا احب الوقف على المكذبين ان نصبت كلوا حالا منه والمعنى الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك
تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا بما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفانى عن قريب على النعيم الخالد فلا يرد كيف
يقال لهم ذلك ولا تمتع لهم فيها يعنى ان هذا القول لهم فى الآخرة لا يكون لطلب الاكل و التمتع منهم بنعيم الدنيا
حقيقة لعدم امكانه بل انما يقال لهم للتذكير المذكور فيكون الامر امر توبيخ و تحسير وتحزين وعلل ذلك
باجرامهم دلالة على ان كل مجرم ماله هذا اى ليس له الا الاكل و التمتع اياما قلائل ثم البقاء فى الهلاك الابدى
(و يل)واى (يومئذ) دران روز جزا (للمكذبين) حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل
و فى التأويلات النجمية انكم مجرمون اى كاسبون الهيئات الردية و الملكات الغير المرضية ويل يومئذ
للمكذبين بان الاوصاف الحميدة افضل من الاخلاق الذميمة (واذا قيل لهم) اى للمكذبين (اركعوا)
اى اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لان الركوع
والانحناء لاحد تواضع له وتعظيم والسجود اعظم منه فى التواضع والتعظيم ومن ذلك قالوا ان السجود لغير الله
كفر ان كان للعبادة وخطر عظيم ان كان للتعظيم و فى حواشى ابن الشيخ الركوع فى اللغة حقيقة فى مطلق
الانحناء الحسى وركوع الصلاة من جملة افراده و تفسيره بالاطاعة و الخضوع مجاز لغوى تشبيها له بالانحناء
الحسى (لا يركعون) لا يخشعون و لا يقبلون ذلك و يصرون على ماهم عليه من الاستكبار وقيل اذا امروا
بالصلاة او بالركوع لا يفعلون اذ روى انه نزل حين امر رسول الله عليه السلام ثقيفا بالصلاة فقالوا انا لانخر
ولا نجبى اى لا ننوم قيام الراكع فانها سبة علينا اى ان هيئة التجبية هيئة تظهر وترفع فيها السبة وهى الاست
اى الدبر وهو عار وعيب علينا فقال عليه السلام لاخير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود وفى بعض التفاسير
كانوا فى الجاهلية يسجدون للاصنام ولا يركعون لها فصار الركوع من اعلام صلاة المسلمين لله تعالى وفيه دلالة
على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة فى الاخرة كما سبق مرارا (قال الكاشفى) مراد آنست كه
مسلمان نشوندچه ركن اعظم اسلام بعد از شهادتين نمازست وفيه ذم عظيم لتارك الصلاة حيث لا يجيب
داعى الله اى المؤذن فانه يدعو فى الاوقات الخمسة المؤمنين الى بيت الله واقامة الصلاة وقس عليه سائر الداعين
وفى التأويلات النجمية واذا قيل لهم اركعوا اى افنوا عن اللذات الحيوانية وابقوا باللذات الروحانية اذهى
مناجاة الروح و السر مع الله و لا الذ منها (ويل يومئذ للمكذبين) نفرين آن روز بر دروغ زنانراست كه ركوع
وسجود را تكذيب كنند و بشرف اسلام نمى رسند (فبأى حديث) اى خبر يخبر بالحق و ينطق بما كان
ومايكون على الصدق (بعده) اى بعد القرآن الناطق باحاديث الدارين واخبار النشأتين على نمط بديع معجز

مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة (يؤمنون) اذالم يؤمنوا به اى القرآن الجامع لجميع الاحاديث فقوله فبأى الخ جواب شرط محذوف وكلمة بعد بمنزلة ثم فى افادة التراخى الرتبى اى فاذا لم يؤمنوا به وهو موصوف بما ذكر فبأى كتاب يؤمنون ختم السورة بالتعجيب من الكفار لان الاستفهام للتعجيب وبين انهم فى اقصى درجات التمرد و العناد حيث لم ينقادوا المثل هذا البرهان الباهر والدليل القاطع على حقية الدين القويم من حيث كونه فى ارفع درجات الفصاحة والبلاغة و فى اقصى طبقات الاعجاز در خبر آمده كه بعد از خواندن اين آيت بايد كفت آمنا به استدل بعض المعتزلة على ان القرآن ليس بقديم بقوله تعالى حديث اذالحديث ضد القديم لان الحدوث والقدم لايجتمعان فى شئ واحد ورد بان الحديث هنا بمعنى الخبرلا بمعنى الحادث ولوسلم فالعبارة لا تدل على ان القرآن محدث لاحتمال ان يكون المراد فبأى حديث بعد القديم يؤمنون ولوسلم فانما يدل على حدوث الالفاظ الدالة على المعانى ولا خلاف فيه وانما الخلاف فى قدم المعنى القائم بذاته تعالى روى ان المرسلات نزلت فى غار قرب مسجد الخيف بمنى يسمى غار والمرسلات يقول الفقير قد زرته وقرأت فيه سورة المذكورة وفى الصخرة العالية من الغار داخله اثر رأس النبى عليه السلام يتبرك به الآن والحمد لله على افضاله وكثرة نواله وزيارة حرمه وحرم مصطفاه مظهر نور جماله وكماله

(تمت سورة المرسلات بعون خالق البريات فى عصر يوم عاشوراء المحرم من سنة سبع عشرة ومائة والف)

(الجزؤ الثلاثون)

(سورة النبأ اربعون اواحدى واربعون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم) اصله عن ما ادغمت النون فى الميم لاشتراكهما فى الغنة فصار عم ثم حذفت الالف كما فى لم وبم وفيم والم وعلام فانها فى الاصل لما وبما وفيما والى ما وعلى ما امافرقا بين الاستفهامية وغيرها اوقصدا للخفة لكثرة استعمالها وقدجاءت فى الشعر غير محذوفة كما ذكره ابو البقاء ومافيهامن الابهام للايذان بفخامة شأن المسئول عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة كأنه خفى جنسه فيسأل عنه فالاستفهام ليس على حقيقته بل لمجرد التفخيم فان المسئول عنه ليس بمجهول بالنسبة الى الله تعالى اذ لا يخفى عليه خافية والمعنى عن اى شئ عظيم (يتساءلون) اى اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث والحشر الجسمانى و يتحدثون فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذى هو حال من احواله ووصف من اوصافه فان ماوان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات اسمائها كما فى قولك ما الملك وما الروح لكنها قديطلب بها الصفة والحال تقول مازيد فيقال عالم اوطبيب (عن النبأ العظيم) النبأ الخبر الذى له شأن وخطر وهوجواب وبيان لشأن المسئول عنه كانه قيل عن اى شئ يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم الخارج عن دائرة علوم الخلق يتساءلون على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار و الفائدة فى ان يذكر السؤال ثم ان يذكر الجواب بعده ان هذا الاسلوب اقرب الى التفهيم والايضاح فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال فان الجار فيه مقدم على متعلقه و قيل عن النباء العظيم استفهام آخر بمعنى أعن النبأ العظيم ام عن غيره الا انه حذف منه حرف الاستفهام لدلالة المذكور عليه و نظير قوله تعالى افان مت فهم الخالدون اى افهم الخالدون (الذى هم فيه مختلفون) وصف للنبأ بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره اثر تأكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اى هم راسخون فى الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيى ومايهلكنا الاالدهر ومانحن بمبعوثين ومن مقر يزعم ان آلهته تشفع له كما قالوا هؤلاء شفعاؤنا عندالله ومن شاك يقول ماندرى ماالساعة ان نظن الاظنا و ما نحن بمستيقنين وفيه اشارة الى القيامة الكبرى وهى البقاء بعد الفناء او بعث القلب بعد موت النفس فالروح وقواه تقربها والنفس وصفاتها تنكرها لانها جاهلة فضلا عن كونها ذائقة ومن لم يذق لم يعرف (قال الكمال الخجندى) زاهد تعجب كركنداز عشق تو پرهيز * كين لذت اين باده چه داند كه نخوردست * فطوبى للذائقين ويا حسرة للمحرومين (كلا سيعلمون) ردع

كما يستفاد من كلا ووعيد كما يستفاد من سيعلمون اى ليس امر البعث مما ينكر اويشك فيه بحيث يتساءل عنه سيعلمون ان مايتساءلون عنه حق لادافع له واقع لاريب فيه مقطوع لاشك فيه (ثم كلا سيعلمون) تكرير للردع و الوعيد للمبالغة فى التأكيد و التشديد و ثم للدلالة على ان الوعيد الثانى ابلغ واشد يعنى ان ثم موضوعة للتراخى الزمانى وقد تستعمل مجازا فى التراخى الرتبى اى لتباعد مابين المعطوفين فى الشدة والفضاعة وذلك لتشبيه التباعد الرتبى بالتراخى الزمانى فى الاشتمال على مطلق التباعد بين الامرين والمعنى المجازى هو المراد هنا لان المقام مقام التشديد والتهديد وذلك انما يكون آكد بالحمل عليه و بعضهم حملها على معناها الحقيقى فقال سيعلمون حقيقته عند النزع ثم فى يوم القيامة ولاشك ان القيامة متراخية بحسب الزمان عن وقت النزع اوسيعلمون حقية البعث حين ان يبعثوا من قبورهم ثم حقية الجزاء بحسب العمل هذا وقد حمل اختلافهم فيه على مخالفتهم للنبى عليه السلام بان يعتبر فى الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل و ان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذلا حقية فى شئ منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل و الاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه و وقوع ما يختلفون فيه بل هو عبارة عمايلاقونه من فنون الدواهى و العقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه فى معرض التساؤل و الاختلاف و المعنى ليرتدعوا عماهم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب و النكال (الم نجعل الارض مهادا) الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ والمتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع و الوعيد و من هنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لاالقرآن او نبوة النبى عليه السلام كما قيل و الهمزة للتقرير و المهاد البساط و الفراش و فى بعض الآيات جعل لكم الارض فراشا قال ابن الشيخ المهاد مصدر ما هدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سفرت اطلق على الارض الممهودة اى الم نجعل الارض بساطا ممهودا تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه و بالفارسية آيانساختيم زمين رافراشى كسترده تاقرار كاه شما بود وجاى تقلب و مهادا مفعول ثان لجعل ان كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة ان كان بمعنى الخلق و جوز ان يكون جمع مهد ككعاب وكعب و جمعه لاختلاف اماكن الارض من القرى والبلاد وغيرها اوللتصرف فيها بان جعل بعضها مزارع و بعضها مساكن الى غير ذلك وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبى وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر (والجبال اوتادا) المراد بجعلها اوتادا لها ارساؤها بها لتسكن و لا تميد باهلها اذا كانت تميد على الماء كما يرسى البيت بالاوتاد فهو من باب التشبيه البليغ جمع وتد وهو مايوتد و يحكم به المتزلزل المتحرك من اللوح وغيره بالفارسية ميخ فان قيل اليست ارادة الله وقدرته كافيتين فى التثبيت اجيب بانه نعم الا انه مسبب الاسباب و ذلك من كمال القدرة قال بعضهم الاوتاد على الحقيقة سادات الاولياء و خواص الاصفياء فانهم جبال ثابتة و بهم تثبت ارض الوجود وسئل ابو سعيد الخراز قدس سره عن الاوتاد و الابدال ايهم افضل فقال الاوتاد قيل كيف فقال لان الابدال يتقلبون من حال الى حال و يبدل بهم من مقام الى مقام والاوتاد بلغ بهم النهاية و ثبت اركانهم فهم الدين بهم قوام الخلق قال ابن عطاء الاوتاد هم اهل الاستقامة والصدق لاتغيرهم الاحوال وهم فى مقام التمكين انتهى والاوتاد اربعة واحد يحفظ الشرق يقال له عبد الحى وواحد يحفظ الغرب يقال له عبد العليم و واحد يحفظ الشمال يقال له عبد المريد و واحد يحفظ الجنوب يقال له عبد القادر والابدال سبعة يحفظون اقاليم الكرة علواوسفلا ووجه تسميه آنست كه چون يكى ازايشان مرديكى از چهل تن يعنى نجبا بدل اوشد و تتميم چهل تن بيكى ازسيصدتن است يعنى نقباوتكميل سيصدتن بيكى ازصلحاء وابدال مقيم نشوند بيكجا مكر خسته باشند و معالجه كنند و بخورند وبو شنند ونكاح كنند پيش ازانكه ابدال شوند وقطب الابدال نظير كوكب سهيل كما ان قطب الارشاد نظير الجدى وقطب ابدال درزمان نبى عليه السلام عصام الدين قرنى بودعم اويس وچون اومتوفى شد ابن عطا احمد بود ازدهى كه ميان مكه ويمن است و بلال الحبشى رضى الله عنه در زمان نبى عليه السلام از بدلاى سبعه بودى وكان الشافعى رضى الله عنه من الاوتاد

الاربعة (وخلقناكم) عطف على المضارع المنفي بلم داخل فى حكمه فانه فى قوة انا جعلنا وعلى مايقتضيه الانكار التقريرى فانه فى قوة ان يقال قد جعلنا (ازواجا) اى حال كونكم اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل والزوج يقال لكل واحد من القرينين المزدوجين حيوانا اوغيره كالخف والنعل ولايقال للاثنين زوج بل زوجان ولذا كان الصواب ان يقال قرضته بالمقراضين وقصصته بالمقصين لانهما اثنان لابالمقراض وبالمقص كذا قال الحريرى فى درة الغواص وقال صاحب القاموس يقال للاثنين هما زوجان و هما زوج انتهى ولعله من قبيل الاكتفاء باحد الشقين عن الآخر وزوجة للمرأة لغة رديئة لقوله تعالى ياآدم اسكن انت وزوجك الجنة ويقال لكل مايقترن بآخر مماثلا اومضادا زوج ولذا قال بعضهم فى الآية وخلقناكم حال كونكم معروضين لاوصاف متقابلة كل واحد منها مزدوج بمايقابله كالفقر والغنى والصحة والمرض والعلم والجهل والقوة والضعف والذكورة والانوثة والطول والقصر الى غيرذلك وبه يصح الابتلاء فان الفاضل يشتغل بالشكر والمفضول بالصبر و يعرف قدر النعمة عند الترقى من الصبر الى الشكر وكل ذلك دليل على كمال القدرة ونهاية الحكمة (وجعلنا) صيرنا (نومكم) وهو استرخاء اعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد اليه ولذا قل فى اهل الرياضة لقلة الرطوبة (سباتا) موتا اى كالموت والمسبوت الميت من السبت و هو القطع لانه مقطوع عن الحركة ومنه سمى يوم السبت لان الله تعالى ابتدأ بخلق السموات والارض يوم الاحد فخلقها فى ستة ايام فقطع عمله يوم السبت فسمى بذلك وايضا هو يوم ينقطع فيه بنوا اسرائيل عن العمل والنوم احد التوفيين كما قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها و التى لم تمت فى منامها اى ويتوفى التى لم تمت فى منامها وذلك لمابينهما من المشاركة التامة فى انقطاع احكام الحياة فالتنوين للنوعية اى وجعلنا نومكم نوعا من الموت وهو الموت الذى ينقطع ولايدوم اذلا ينقطع ضوء الروح الا عن ظاهر البدن وبهذا الاعتبار قيل له اخو الموت والنوم بمقدار الحاجة نعمة جليلة وقيل سباتا اى قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه (وجعلنا الليل) الذى يقع فيه النوم (لباسا) يقال لبس الثوب استتر به وجعل اللباس لكل مايغطى الانسان عن قبيح فجعل الزوج لزوجها لباسا من حيث انها تمنعه وتصده عن تعاطى قبيح وكذا البعل وايضا من حيث الاشتمال قال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن وجعل التقوى لباسا على طريق التمثيل والتشبيه وكذا جعل الخوف والجوع لباسا على التمثيل والتشبيه تصويراله وذلك بحسب ما يقولون تدرع فلان الفقر ولبس الجوع و المعنى لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به مايستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره فى تحقيق المقصد ادخل صاحب فتوحات آورده شب لباس اصحاب ليل است كه ايشانرا ازنظر اغيار بپوشاند تادر خلوت خوت لذت مكالمه يامحاضره يامشاهده هريك فراخور استعداد خودبر خوردارى يابند حضرت شيخ الاسلام قدس سره فرموده كه شب پردهٔ روندكان راهست روز بازار بيداران سحر كاه

اللیل للعاشقین ستر * ياليت اوقاته تدوم

چون در دل شب خيال او يارمنست * من بندهٔ شب كه روز بازارمنست فهو تعالى جعل الليل محلا للنوم الذى جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة فى قوله تعالى (وجعلنا النهار معاشا) اى وقت عيش اى حياة تبعثون فيه من نومكم الذى هو اخو الموت كما فى قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا ولم يقل وجعل يقظتكم حياة لتتم المطابقة بينه و بين قوله وجعلنا نومكم سباتا بل عبر عن اليقظة بالنهار لكونه مستلزما لها غالبا و لمراعاة مطابقة وجعلنا الليل ومنه يعلم ان قوله وجعلنا الليل ليس مستطردا فى البين لذكر النوم فى القرينة الاولى فمعاش مصدر من عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة وعلى هذا لابد من تقدير المضاف ولذا قدروا لفظ الوقت ويحتمل ان يكون اسم زمان على صيغة مفعل فلا حاجة حينئذ الى تقدير المضاف وتفسيره بوقت معاش ابراز لمعنى صيغة اسم الزمان وتفصيل لمفهومها وفى التأويلات النجمية الم نجعل ارض البشرية مهدا استراحتكم وانتشاركم فى انواع المنافع البشرية وجبال نفوسكم القاسية قوائم ارض البشرية وخلقناكم ازواجا زوج الروح وزوج النفس او ذكر القلب وانثى النفس وجعلنا نومكم غفلتكم راحة و استراحة باستيفاء اللذات واستقصاء الشهوات وجعلنا ليل طبيعتكم

ستر النهار روحا نيتكم وجعلنا نهار روحانيتكم معاشا تعيشون فيه بالطاعات والعبادات وهذه صورة البعث (وبنينا فوقكم) وبنا كرده ايم برسر شمارا (سبعا شدادا) جمع شديد اى سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لايؤثر فيها مر الدهور وكر العصور وقال ابو الليث غلاظا غلاظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام والتعبير عن خلقها بالبناء مبنى على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وفيه اشارة الى طبقات القلب السبع الاولى طبقة الصدر و هى معدن جوهر الاسلام و الثانية طبقة القلب وهى محل جوهر الايمان والثالثة الشغاف و هى معدن العشق والمحبة والشفقة والرابعة الفؤاد وهو معدن المكاشفة والمشاهدة والرؤية والخامسة حبة القلب وهى مخصوصة بمحبة الله تعالى لاتعلق لها بمحبة الكونين وعشق العالمين والسادسة السويداء وهى معدن العلم اللدنى و بيت الحكمة و السابعة بيت العزة و هى قلب الاكملين وفى هذا البيت اسرار الهية لاتخرج من الباطن الى الظاهر اصلا ولايظهر منها اثر قطعا (وجعلنا) انشأنا وابدعنا (سراجا) هو الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء قال الراغب السراج الزاهر بفتيلة و دهن و يعبر به عن كل شئ مضئ و يقال للسراج مصباح (وهاجا) وقادا ممتلأ لنا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا فى الحرارة من الوهج وهو الحر وهو ماقال بعض المفسرين سراجا وهاجا اى مضيئا جامعا بين النور والحرارة يعنى چراغى افروخته وتابان يقال ان الشمس و القمر خلقا فى بدء امرهما من نور العرش و يرجعان فى القيامة الى نور العرش وذلك فيما روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الا احدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الشمس و القمر و بدء خلقهما و مصير امرهما قال قلنا بلى يرحمك الله فقال ان رسول الله عليه السلام سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما ابرز خلقه احكاما ولم يبق من خلقه غير آدم خلق شمسين من نور عرشه فاما ماكان فى سابق علمه ان يدعها شمسا فانه خلقها مثل الدنيا مابين مشارقها ومغاربها وماكان فى سابق علمه ان يطمسها و يحولها قمرا فانه خلقها دون الشمس فى العظم ولكن انما يرى صغرهما لشدة ارتفاعهما فى السماء و بعدهما من الارض فلو ترك الله الشمس والقمر كما كان خلقهما فى بدء امرهما لم يعرف الليل من النهار و لا النهار من الليل و لايدرى الاجير متى يعمل و متى يأخذ اجره ولايدرى الصائم متى يصوم و متى يفطر ولاتدرى المرأة متى تعتد ولايدرى المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم فكان الرب تعالى انظر لعباده وارحم بهم فارسل جبريل فامر جناحه على وجه القمر فطمس منه الضوء و بقى فيه النور فذلك قوله تعالى و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا آية الليل و جعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذى ترونه فى القمر شبه الخطوط فيه فهو اثر المحو قال فاذا قامت القيامة وقضى الله بين الناس و ميز بين اهل الجنة و النار ولم يدخلوهما بعد يدعو الرب تعالى بالشمس والقمر و يجاء بهما اسودين مكورين قد وقعا فى زلازل و بلابل ترعد فرائصهما من هول ذلك اليوم ومخافة الرحمن فاذا كانا حيال العرش خرالله ساجدين فيقولان الهنا قد علمت طاعتنا لك و دأبنا فى عبادتك و سرعتنا للمضى فى امرك ايام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين ايانا فقد علمت انالم ندعهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الرب صدقتما انى قد قضيت على نفسى ان ابدئ واعيد وانى معيد كما الى ما بدأتكما منه فارجعا الى ماخلقتكما منه فيقولان ربنا مم خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا اليه قال فتلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدئ و يعيد كذا فى كشف الاسرار وقال الشيخ رضى الله عنه فى الفتح المكى واما الكواكب كلها فهى فى جهنم مظلمة الاجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس و القمر و الطلوع والغروب لهما فى جهنم دائما انتهى يقول الفقير لعل التوفيق بين هذا و بين الخبر السابق ان كلا من الشمس و القمر حامل لشيئين النورية و الحرارة فما كان فيهما من قبيل النور فيتصل بالعرش من غير جرم لان الجرم لايخلو من الغلظة والظلمة و الكثافة و ما كان من قبيل النار و الحرارة فيتصل بالنار مع جرمهما فكل منهما يرجع الى اصله فان قلت كان الظاهر ان يتصل نورهما بنور النبى عليه السلام لانهما مخلوقان من نوره قلت ان العرش و الكرسى خلقا من نوره وخلق القمران من نور العرش فهما فى الحقيقة مخلوقان من نور النبى عليه السلام و متصل نورهما بنوره والكل نوره والحمد لله تعالى * شمسه نه مسند وهفت اختران * ختم رسل خواجهٔ پيغمبران (وانزلنا) النون للعظمة و للاشارة الى جمعية الذات والاسماء و الصفات (من المعصرات) هى السحائب اذا اعصرت اى شارفت

ان تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد فالانزال من المستعد لامن الواقع والا يلزم تحصيل الحاصل والهمزة للصيرورة والمعصرات اسم فاعل يقال احصد الزرع اذا حان له ان يحصد واعصرت الجارية اى حان لها ان تعصرها الطبيعة رحمها فتحيض وفى المفردات المعصر المرأة التى حاضت ودخلت فى عصر شبابها انتهى ولولم تكن للصيرورة لكان ينبغى ان يقرأ المعصرات بفتح الصاد على انه اسم مفعول لان الرياح تعصرها ويجوزان يكون المراد من المعصرات الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب فتمطر فهى ايضا اسم فاعل والهمزة للصيرورة كذلك فان قيل لم لم تجعل الهمزة للتعدية قلنا لان الرياح عاصرة لامعصرة (ماء ثجاجا) اى منصبا بكثرة والمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به يقال ثج الماء اى سال بكثرة وانصب وثجه غيره اى اساله وصبه فهو لازم ومتعد ومن الثانى قوله عليه السلام افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وفسره الزجاج بالصباب كأنه يثج نفسه مبالغة فيكون متعديا ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء فان ابتداء المطر ان كان من السماء يكون الانزال منها الى السحاب ومنه الى الارض والافانزاله منها باعتبار تكونه باسباب سماوية من جملتها حرارة الشمس فانها تثير وتصعد الاجزاء المائية من اعماق الارض الرطبة اومن البحار والانهار الى جو الهواء فتنعقد سحابا فتمطر فالانزال من المعصرات حقيقة ومن السماء مجاز باعتبار السببية والله مسبب الاسباب (لنخرج به) اى بذلك الماء اى بسبب وصوله الى الارض واختلاطه بها وبما فيها وهذه اللام لام المصلحة لالام الغرض كما تقول المعتزلة (حبا) كثيرا يقتات به اى يكون قوتا للانسان وهو مايقوم به بدنه كالحنطة والشعير ونحوهما وفى عين المعانى الحب اسم جنس يعنى به الجمع قال الراغب الحب والحبة يعنى بالفتح يقال فى الحنطة والشعير ونحوهما من المطعومات والحب والحبة يعنى بالكسر يقال فى بزور الرياحين وحبة القلب تشبيها بالحبة فى الهيئة (ونباتا) كثيرا يعتلف به اى يكون علفا للحيوان كالتبن والحشيش كما قال تعالى كلوا وارعوا انعامكم وتقديم الحب مع تأخره عن النبات فى الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الناس ويقال لنخرج به لؤلؤا وعشبا قال عكرمة ما انزل الله قطرة الاانبت بها عشبة فى الارض اولؤلؤة فى البحر انتهى وهو مخالف للمشهور من ان اللؤلؤ لايتكون من كل مطر بل من المطر النازل فى نيسان الا ان يعمم اللؤلؤ الى الدر وغيره (وجنات) ليتفكه بها الانسان والجنة فى الاصل هى السترة من مصدر جنه اذا ستره وتطلق على النخل والشجر المتكاثف المظال بالتفاف اغصانه وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة مافيه النخيل والفردوس مافيه الكرم والمراد هنا هو الاشجار لا الارض (الفافا) اى ملتفة تداخل بعضها فى بعض وهذا من محسنات الجنان كما ترى فى بساتين الدنيا وبالفارسية درهم پيچيده يعنى بسيار وبيكديكر نزديك قالوا لاواحد له كالاوزاع والاخياف الاوزاع بمعنى الجماعات المتفرقة كالاخياف فانه ايضا بمعنى الجماعات المتفرقة المختلطة ومنه الاخياف للاخوة من آباء شتى وامهم واحدة اوالواحد لف ككن واكنان اولفيف كشريف واشراف وهو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء فيكون الفافا جمع الجمع اوجمع ملتفة بحذف الزوائد قال ابن الشيخ قدم ذا الحب لانه هو الاصل فى الغذاء وثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات اليه واخرت الجنات لانعدام الحاجة الضرورية الى الفواكه واعلم ان فيما ذكر من افعاله تعالى دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه وقانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى والثانى باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رائق مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل الم نفعل هذه الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فمالكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزاء وفى التأويلات النجمية وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا اى من سموات الارواح بتحريك نفحات الالطاف مياه العلوم الذاتية والحكم الربانية صبا صبا لنخرج به حبا ونباتا اى انزلنا من سحائب سموات ارواحكم على ارض قلوبكم ماء العلوم والحكم لنخرج به حب المحبة الذاتية ونبات الشوق والاشتياق والود والانزعاج والعشق وامثالها وجنات الفافا جنة المحبة وجنة المودة وجنة العشق ملتف بعضها ببعض (ان يوم الفصل) اى فصل الله

بين الخلائق و بين السعداء والاشقياء باعتبار تفاوت الهيئات والصور والاخلاق والاعمال وتناسبها (كان) في علمه و تقديره الازلي و الاثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضي لانه امر مقرر قبل حدوث الزمان ايضا (ميقاتا) وميعاد البعث الاولين والآخرين ومايترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لايكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر فالميقات وهو الوقت الموقت اى المعين اخص من مطلق الوقت فهو هنا زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما اوعدالله من البعث والجزاء (يوم ينفخ في الصور) بدل من يوم الفصل اوعطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولاضير في تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه وآثاره و النفخ نفخ الريح في الشئ و منه نفخ الروح في النشأة الاولى كما قال و نفخت فيه من روحي و يقال انتفخ بطنه ومنه استعير انتفخ النهار اذا ارتفع ورجل منفوخ اى سمين والصور القرن النوراني والنافخ فيه اسرافيل عليه السلام والمعنى يوم ينفخ في الصور نفخة ثانية للبعث حتى تتصل الارواح بالاجساد وترجع بها الى الحياة (فتأتون) خطاب عام و الفاء فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا (افواجا) جمع فوج وهو جماعة من الناس وفي المفردات الجماعة المارة المسرعة اى حال كونكم امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم او زمرا و جماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم و تباينها عن معاذ رضي الله عنه انه سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير و بعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها يعني نكونساران كه ايشانرا بروى بدوزخ ميكشند و بعضهم عمي و بعضهم صم بكم و بعضهم يمضغون السنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع و بعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار يعني بردارهاى آتشين او يخته وبعضهم اشد نتنا من الجيف و بعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وهو بالضم جمع قات بالتشديد بمعنى النمام يعني سخن چين (حكى) ان رجلا باع عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة فقال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لايحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه حين ينام شعرات حتى اسحر عليه فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تقتله فقام فقتلها فجاء اهل المرأة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين و طال الامر واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت اى الحرام لانه يسحت الدين والمروءة اى يستأصل واما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا والتنكيس تعكيس هيئة القيام على الرجل بان يجعل الرجل الاعلى و الرأس اسفل و بالفارسية نكونسار كردن واما العمي فالذين يجورون في الحكم و اما البكم فالمعجبون باعمالهم و اما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء و القصاص الذين خالف قولهم اعمالهم و اما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم و اما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بين الناس الى السلطان يعني غمازان وسعايت كنند كان بسلاطين و ملوك و اما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات و اللذات و يمنعون حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر و الخيلاء جمع جبة و هو ثوب معروف و في الحديث نشر على ترتيب اللف و بيان المناسبة بين معاصيهم و بين الصور التي يحشرون عليها يطلب من علم التعبير ثم انه فصل هيئات اهل المعاصي مع الاسباب المؤدية اليها لانه اهم اذ التخلية قبل التحلية و اكتفى بالاشارة الاجمالية الى هيئات الصالحين بقوله من امتي بمن التبعيضية والحاصل انه كما ان الاشقياء يحشرون على صور اعمالهم القبيحة كذلك السعداء يحشرون على صور اعمالهم الحسنة حتى يكون وجوه بعضهم كالقمر ليلة البدر او كالشمس على ماجاء في صحيح الروايات وقال بعضهم المراد امة الدعوة فتعم اصناف الكفرة والمؤمنين لا امة الاجابة والا فالخوف على المؤمنين ايضا في نهاية المرتبة يقول الفقير الظاهر الثاني وهو ان المراد من الامة الاشقياء من اهل الاجابة دل عليه ارساله عليه السلام عينيه حين البيان وكذا بيان اصناف الاعمال من غير

ادخال الكفر فيهما اذصور الكفرة اقبح مما ذكر فى الحديث على ماذكر فى الاخبار الصحيحة ثم الحديث ذكره الثعلبى ونحوه فى التفاسير وقبله اهل الطرفين ولا عبرة بما ذهب اليه ابن حجر من انه ظاهر الوضع فانه من الجهل بحقيقة الامر اذ يوم القيامة يوم ظهور الصفات كما دل عليه قوله تعالى يوم تبلى السرائر ولا شك ان لكل صفة صورة مناسبة لها حسنة او قبيحة ولم ينكره احد من العقلاء على انا وان سلمنا ان لفظ الحديث موضوع فمعناه صحيح مؤيد بالاخبار الصحيحة فيا ايها المؤمن لا تكن قاسى القلب كالحجر وكن ممن يتفجر من قلبه انهار الفيوض وينابيع الحكم واجتهد ان لا تكون ممن قيل فيه * حفظت شيئا وغابت عنك اشياء * فمن عباد الله المخلصين من يأخذ من الله بلا واسطة الكتاب واسناده فانه مرتبة باقية الى يوم القيامة قل من وضع قدمه عليها فلذا كثر الانكار وأكب الناس على الرسوم والظواهر من غير اطلاع على الحقائق والبواطن نسأل الله تعالى أن يجعلنا من اهل معرفته (وفتحت السماء) عطف على ينفخ بمعنى تفتح وصيغة الماضى للدلالة على التحقق اى شقت وصدعت من هيبة الله بعد ان كانت لا فطور فيها وبالفارسية وشكافته شود آسمان دران روز (فكانت) بس باشداز بسيارى شكاف (ابوابا) ذات ابواب كثيرة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذى ذكر فى قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله اى امره وبأسه فى ظلل من الغمام والملائكة وقيل المراد من الفتح الكشف بازالتها من مكانها كما قال تعالى واذا السماء كشطت ومن الابواب الطرق والمسالك اى تكشط فيصير مكانها طرقا لا يسدها شئ (وسيرت الجبال) المسير هو الله تعالى كما قال ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة اى وسيرت الجبال فى الجو بتسيير الله وتسخيره على هيئاتها بعد قلعها عن مقرها وبالفارسية ورانده شوند كوهها درهوا وذلك عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها فى الهواء وذلك قوله تعالى (فكانت سرابا) السراب ما تراه نصف النهار كأنه ماء قال الراغب هو اللامع فى المفازة كالماء وذلك لا نسرابه فى مرأى العين اى ذهابه وجريانه وكان السراب فيما لا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة اى فصارت بتسييرها مثل السراب اى شيأ كلا شئ لتفرق اجزائها وانبثات جواهرها كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اى غبارا منتشرا وهى وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها كالسحاب وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية قيل اول احوال الجبال الاندكاك والانكسار كما قال تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وحالتها الثانية ان تصير كالعهن المنفوش وحالتها الثالثة ان تصير كالهباء وذلك بان تتقطع وتتبدد بعد ان كانت كالعهن كما قال فكانت هباء منبثا وحالتها الرابعة ان تنسف وتقلع من اصولها لانها مع الاحوال المتقدمة قارة فى مواضعها والارض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بارسال الرياح عليها وهو المراد من قوله فقل ينسفها ربى نسفا وحالتها الخامسة ان الرياح ترفعها عن وجه الارض فتطيرها فى الهواء كأنها غبار وهو المراد بقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب اى تراها فى رأى العين ساكنة فى اماكنها والحال انها تمر مر السحاب التى تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام اذا تحركت نحوا من الانحاء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت فى غاية السرعة لا سيما من بعيد والحالة السادسة ان تصير سرابا يقول الفقير فيه اشارة الى ازالة انانية النفوس وتعيناتها فانها عند القيامة الكبرى التى هى عبارة عن الفناء فى الله تصير سرابا حتى اذا جئتها لم تجدها شيأ ولكن العوام المحجوبين اذا رأوا اهل الفناء يأكلون مما يأكلون منه ويشربون مما يشربون منه يظنون ان نفوسهم باقية لبقاء نفوسهم لكنهم يظنون بهم الظن السوء اذ بينهم وبينهم بون بعيد قطعا وفارق عظيم جدا لانهم ازالت رياح العناية والتوفيق جبال نفوسهم عن مقار ارض البشرية وجعلها الله هباء متلاشية وفتحت سماء ارواحهم فكانت ابوابا كباب السر والخفى والاخفى فدخلوا من هذه الابواب الى مقام او ادنى فكانوا مع الحق حيث كان الحق معهم ثم نزلوا من هذه الابواب العالية الحقيقية الناظرة الى عالم الولاية فدخلوا فى ابواب العقل والقلب والمتخيلة والمفكرة والحافظة والذاكرة فكانوا فى مقام قاب قوسين مع الخلق حيث كان الخلق معهم فلم يحجبوا بالخلق عن الحق الذى هو جانب الولاية ولا بالحق عن الخلق الذى هو جانب النبوة فكانوا فى الظاهر مصداق قوله تعالى يوحى الى فأين المحجوبون عن مقامهم وانى لهم أن يدركوا شأنهم وحقيقة امرهم (ان جهنم كانت مرصادا) اى انها كانت فى حكم الله وقضائه موضع

رصد يرصد فيه و يرقب خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها فالمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه اى يسلك قال الراغب المرصاد موضع الرصد كالمرصد لكن يقال للمكان الذى اختص بالترصد والترقب وقوله ان جهنم كانت مرصادا تنبيه على ان عليها مجازا لناس انتهى كأنه عمم المرصاد حيث ان الصراط محبس للاعداء وممر للاولياء والاول اولى لان الترصد فى مثل ذلك المكان الهائل انما هو للتعذيب وهو للكفار والاشقياء (للطاغين) متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا اى كائنا للطاغين وقوله تعالى (مآبا) بدل منه اى مرجعا يرجعون اليه لامحالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له قالوا الطاغى من طغى فى دينه بالكفر وفى دنياه بالظلم وهو فى اللغة من جاوز الحد فى العصيان والمراد هنا المشركون لما دل عليه مابعده من الآيات وعذابهم لايتناهى لكون اعتقادهم باطلا وكذا اذا لم يعتقدوا شيئا اصلا وان كان الاعتقاد صحيحا كالمؤمن العاصى فعذابه متناه (لابثين فيها) حال مقدرة من المستكن فى للطاغين اى مقدرين اللبث فيها و اللبث ان يستقر فى المكان و لايكاد ينفك عنه يقال لبث بالمكان اقام به ملازما له (احقابا) ظرف للبثهم وهو جمع حقب وهو ثمانون سنة او اكثر و الدهر و السنة او السنون كما فى القاموس و اصل الحقب من الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة وهى الرفادة فى مؤخر القتب وكل ماشد فى مؤخر رحل اوقتب فقد احتقب والمحقب المردف وفى تاج المصادر الاحقاب درحقيبه نهادن ومنه الحديث فاحقبها على ناقة اى اردفها على حقيبة الرحل و الارداف ازپى فراشدن و ازپى كسى درنشتن ودرنشاندن فمعنى احقابا دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لايكاد يستعمل الا لاراد تتابع الازمنة وتواليها كما قال ابو الليث انما ذكر احقابا لان ذلك كان ابعد شئ عندهم فذكر وتكلم بما يذهب اليه اوهامهم و يعرفونها وهو كناية عن التأبيد اى يمكثون فيها ابدا انتهى دل عليه ان عمر رضى الله عنه سأل رجلا من هجر عن الاحقاب فقال ثمانون سنة كل يوم منها الف سنة انتهى فانهم انما يريدون بمثله التأبيد وكذا ماقال مجاهد ان الاحقاب ثلاثة وار بعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما و اليوم الف سنة من ايام الدنيا كما روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وكذا لو اريد بالحقب الواحد سبعون الف سنة اليوم منها الف سنة كما روى عن الحسن البصرى رحمه الله وقال الراغب والصحيح ان الحقبة مدة من الزمان مبهمة اى لاثمانون عاما وكذا قال فى القاموس الحقبة بالكسر من الدهر مدة لاوقت لها انتهى والحاصل ان الاحقاب يدل على التناهى فهو وان كان جمع قلة لكنه بمنزلة جمع كثرة وهو الحقوب او بمنزلة الاحقاب المعرف بلام الاستغراق و لو كان فيه مايدل على خروجهم منها فدلالته من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار كقوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم لان المنطوق راجح على المفهوم فلا يعارضه وقال ابو حيان المدة منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا انتهى وسيأتى وجوه اخر (لايذوقون فيها بردا ولاشرابا الا حميما وغساقا) جملة مبتدأة ومعنى لايذوقون لايحسون والا فاصل الذوق وجود الطعم (وقال الكاشفى) نمى چشند الان يكون ذلك باعتبار الشراب والذوق فى التعارف وان كان للقليل فهو صالح للكثير او وجود الذوق فى الكثير ايضا والمراد بالبرد مايروحهم و ينفس عنهم حر النار والافهم يذوقون فى جهنم برد الزمهرير اى بردا ينتفعون به و يميلون اليه فتنكيره للنوعية قال قتادة كنى بالبرد عن الروح لما بالعرب من الحر حتى قالوا برد الله عيشك اى طيبه اعتبارا بما يجد الانسان من اللذة فى الحر من البرد وقال الراغب اصل البرد خلاف الحرارة و برد كذا اذا ثبت ثبوت البرد واختصاص الثبوت بالبرد كاختصاص الحركة بالحر و برد الانسان مات و برده قتله ومنه السيوف البوارد وذلك لما يعرض للميت من عدم الحرارة بفقدان الروح اولما عرض له من السكون وقولهم للنوم برد اما لما يعرض له من البرد فى ظاهر جلده لان النوم يبرد صاحبه الاترى ان العطشان اذا نام سكن عطشه ولما يعرض له من السكون وقد علم ان النوم من جنس الموت وقوله تعالى لايذوقون فيها بردا اى نوما حتى يستريحوا و بالفارسية تاآسايش يابند و برودت كسب كنند انتهى بزيادة والمراد بالشراب مايسكن عطشهم والا بمعنى لكن والحميم الماء الحار الذى انتهى حره وآن آبيست كه چون نزديك روى ارند كوشت روى دران ريزد وچون بخورند امعاء و احشاپاره پاره شود والغساق مايغسق اى يسيل من جلود اهل النار

ويقطر من صديدهم وقيحهم اخبر الله تعالى عن الطاغين بانهم لا يذوقون فى جهنم شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا فالاستثناء منقطع وقال الزجاج لا يذوقون فيها برد ريح ولا برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد برد كل شئ له راحة فيكون قوله ولا شرابا بمعنى ولا ماء باردا تخصيصا بعد التعميم لكماله فى الترويح فيكون مجموع البرد والشراب بمعنى الروح فيكون قوله الا حميما وغساقا مستثنى منقطعا من البرد والشراب وان فسر الغساق بالزمهرير فاستثناؤه من البرد فقط دون الشراب لان الزمهرير ليس بماء يشرب كما ان استثناء حميما من الشراب والتأخير لتوافق رؤس الآى ويؤيد الاول قوله عليه السلام لو ان دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لانتن اهل الدنيا وان فسر بما يسيل من صديدهم فالاستثناء من الشراب وعن ابن مسعود رضى الله عنه الغساق لون من الوان العذاب وهو البرد الشديد حتى ان اهل النار اذا القوا فيها سألوا الله ان يعذبهم فى النار الف سنة لما راوه اهون عليهم من عذاب الزمهرير يوما واحدا وقال شهر بن حوشب الغساق واد فى النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعبا فى كل شعب ثلاثمائة وثلاثون بيتا فى كل بيت اربع زوايا فى كل زاوية شجاع كاعظم ما خلق الله من الخلق فى رأس كل شجاع سم والشجاع الحية هذا وقد جوز بعضهم ان يكون لا يذوقون حالا من المنوى فى لابثين لا كلاما مستأنفا اى لابثين فيها احقابا غير ذائقين فيها شيئا سواهما ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب فيكون حالا متداخلة ويكون قوله احقابا ظرف لابثين المقيد بمضمون لا يذوقون وانتهاء هذا المقيد لا يستلزم انتهاء مطلق اللبث فهو توقيت للعذاب لا للمكث فى النار عن ابن مسعود رضى الله عنه لو علم اهل النار انهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا وايضا يجوز ان يكون احقابا ظرفا منصوبا بلا يذوقون على قول من يرى تقديم معمول ما بعد لا عليها لا ظرفا لقوله لابثين فحينئذ لا يكون فيه دلالة على تناهى اللبث والخروج حيث لم يكن احقابا ظرف اللبث وايضا يجوز ان يكون احقابا ليس بظرف اصلا بل هو حال من الضمير المستكن فى لابثين بمعنى حقبين اى نكدين محرومين من الخير والبركة فى السكون والحركة على ان يكون جمع حقب بفتح الحاء وكسر القاف من حقب الرجل اذا حرم الرزق وحقب العام اذا قل خيره ومطره وقوله لا يذوقون فيها بردا تفسير لنكدهم ولا يتوهم حينئذ تناهى مدة لبثهم فيها حتى يحتاج الى التوجيه هذا ما قالوه فى هذا المقام وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه قال سيأتى على جهنم يوم تصفق ابوابها اى يضرب بعضها بعضا وقد اسندت هذه الرواية الى ابن مسعود رضى الله عنه كما فى العرائس وروى عنه انه قال ليأتين على جهنم زمان تخفق ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وفى العرائس ايضا وقال الشعبى جهنم اسرع الدارين عمرانا واسرعهما خرابا وفى الحديث الصحيح ينبت الجرجير فى قعر جهنم اى لانطفاء النار وارتفاع العذاب بمقتضى قوله سبقت رحمتى على غضبى كما فى شرح الفصوص لداود القيصرى والجرجير بالكسر بقلة معروفة كما فى القاموس وقال المولى الجامى رحمه الله فى شرح الفصوص ايضا اعلم ان لاهل النار الخالدين فيها كما يظهر من كلام الشيخ رضى الله عنه وتابعيه حالات ثلاثا الاولى انهم اذا دخلوها تسلط العذاب على ظواهرهم وبواطنهم وملكهم الجزع والاضطراب فطلبوا ان يخفف عنهم العذاب او ان يقضى عليهم او ان يرجعوا الى الدنيا فلم يجابوا الى طلباتهم والثانية انهم اذا لم يجابوا الى طلباتهم وطنوا انفسهم على العذاب فعند ذلك رفع الله العذاب عن بواطنهم وخبت نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة والثالثة انهم بعد مضى الاحقاب الفوا العذاب وتعودوا به ولم يتعذبوا بشدته بعد طول مدته ولم يتألموا به وان عظم الى ان آل امرهم الى ان يتلذذوا به ويستعذبوه حتى لو هب عليهم نسيم من الجنة استكرهوه وتعذبوا به كالجعل وتأذيه برائحة الورد عافانا الله وجميع المسلمين من ذلك والجعل بضم الجيم وفتح العين دويبة تكون بالروث والجمع جعلان بالكسر وقال المولى رمضان والمولى صالح الدين فى شرح العقائد قال بعض الاسلاميين كل ما اخبر الله فى القرآن من خلود اهل الدارين حق لكن اذا ذبح كبش الموت بين الجنة والنار ونودى اهلهما بالخلود فيهما ايس اهل النار من الخلاص فاعتادوا بالعذاب فلم يتألموا به حتى آل امرهم الى ان يتلذذوا به ولو هب عليهم نسيم الجنة استكرهوه وتعذبوا به كالجعل يستطيب الروث ويتألم من الورد فيصدق حينئذ قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا على عمومه لارتفاع العذاب عنهم ويصدق ايضا قوله تعالى لا يخفف عنهم العذاب لان المراد العذاب

المتدرلهم وقال بعض الاكامل فكما اذا استقراهل دار الجمال فيها يظهر عليهم آثار الجمال ويتذوقون به دائما ابدا ويختفي جلال الجمال واثره بحيث يحسونه ولايرونه ولايتألمون به قطعا سرمدا فكذلك اذا استقر اهل دار الجلال فيها بعد مرور الاحقاب يظهر على بواطنهم آثار جمال الجلال ويتذوقون به ابدا ويختفي عنهم آثار الجلال بحيث لايحسونه ولايرونه ولايتألمون به سرمدا لكن ليس ذلك الابعد انقطاع احراق النار بواطنهم وظواهرهم بمرور الاحقاب وكل منهم يحرقه النار الف سنة من سني الآخرة لشرك يوم واحد من ايام الدنيا والظاهر عليهم بعد مرور الاحقاب هو الحال الذي يدوم عليهم ابدا وهو الحال الذي كانوا عليه في الازل ومابينهما ابتلاآت رحمانية والابتلاء حادث قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون عصمنا الله واياكم من دار البوار انتهى فهذه كلمات القوم في هذه الآية ولاحرج في نقلها ونحن لانشك في خلود الكفار وعذابهم ابدا فان كان لهم العذاب عذابا بعد مرور الاحقاب فقد بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون كما ان المعتزلي يقطع في الدنيا بوجوب العذاب لغير التائب ثم قد يبدوله في الآخرة مالم يكن يحتسبه من العفو وسئل الشيخ الامام مفتي الانام عز الدين ابن عبد السلام بعد موته في منام رآه السائل ماتقول فيما كنت تنكر من وصول مايهدى من قراءة القرآن للموتى فقال هيهات وجدت الامر بخلاف ماكنت اظن قالوا خلود اهل النار من الكفار لامعارض له فبقي على عمومه وخلود اهل الكبائر له معارض فيحمل على المكث الطويل فاهل الظاهر والباطن متفقون على خلود الكفار سواء كانوا فرعون وهامان ونمرودا وغيرهم وانما اختلفوا في ارتفاع العذاب عن ظواهرهم بعد مرور الاحقاب وكل تأول بمبلغ علمه والنص احق ان يتبع قال حجة الاسلام الكفرة ثلاث فرق منهم من بلغه اسم نبينا عليه السلام وصفته ودعوته كالمجاورين في دار الاسلام فهم الخالدون لاعذر لهم ومنهم من بلغه الاسم دون الصفة وسمع ان كذابا اسمه محمد ادعى النبوة ومنهم من لم يبلغه اسمه ولارسمه وكل من هاتين الفرقتين معذور في الكفر ونقل مثله عن الاشعري كذا في شرح العقائد لمصلح الدين وقال المولى داود القيصري في شرح الفصوص الوعيد هو العذاب الذي يتعلق بالاسم المنتقم وتظهر احكامه في خمس طوائف لاغير لان اهل النار اما مشرك او كافر او منافق او عاص من المؤمنين وهو ينقسم الى الموحد العارف الغير العامل والمحجوب وعند تسلط سلطان المنتقم عليهم يتعذبون بنيران الجحيم وانواع العذاب غير مخلدة على اهله لانقطاعه بشفاعة الشافعين وآخر من يشفع وهو ارحم الراحمين (جزاء وفاقا) اي جوزوا بذلك جزاء وفاقا لاعمالهم واخلاقهم كأنه نفس الوفاق مبالغة اوذا وفاق لها على حذف المضاف اوموافقها وفاقا فيكون وفاقا مصدرا مؤكدا لفعله لجزاء والجملة صفة لجزاء وجه الموافقة بينهما انهم اتوا بمعصية عظيمة وهي الكفر فعوقبوا عقابا عظيما وهو التعذيب بالنار فكما انه لاذنب اعظم من الشرك فكذا لاجزاء اقوى من التعذيب بالنار وجزاء سيئة سيئة مثلها فتوافقا وقيل كان وفاقا حيث لم يزد على قدر الاستحقاق ولم ينقص عنه قال سعدي المفتي اعلم ان الكفار لما كان من نيتهم الاستمرار على الكفر كما سيشير اليه قوله تعالى انهم كانوا لايرجون حسابا اذ معناه انهم كانوا مستمرين على الكفر مع عدم توقع الحساب فوافقه عدم تناهي العذاب واللبث فيها احقابا بعد احقاب ولما كانوا مبدلين التصديق الذي يروح النفس ويثلج به الصدر بالتكذيب الذي هو ضده جوزوا بالحميم والغساق بدل مايجعل للمؤمنين مما يروحهم من برد الجنة وشرابها وللمناسبة بين الماء والعلم يعبر الماء في الرؤيا بالعلم وقال بعض اهل الحقائق ان جهنم الطبيعة الحيوانية برصد فيها القوى البشرية وهي خزنة جهنم طبيعة ارباب النفوس الامارة والهوى المتبع للظالمين على نفوسهم بالاهوية والبدع والاباحة والزندقة والاتحاد والحلول والفضول مآبا لابثين فيها احقابا الى وقت الانسلاخ عن حكم البشرية والتلبس بملابس الشريعة وخلع الطريقة والحقيقة لايذوقون فيها بردا اليقين برفع الحجاب عن وجه بشريتهم ولاشراب المحبة لانهماكهم في محبة الدنيا بسبب جهنم الطبيعة الاحميما وغساقا يسيل من صديد طبيعتهم وقال القاشاني الاحميما من اثر الجهل المركب وغساقا من ظلمة هيئات محبة الجواهر الفاسقة والميل اليها جزاء موافقا لما ارتكبوه من الاعمال وقدموه من العقائد والاخلاق وذلك العذاب لفساد العمل والعلم فلم يعملوا صالحا لارجاء الجزاء ولم يعلموا علما صالحا فيصدقوا بالآيات (انهم كانوا لايرجون حسابا) تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور وبيان لفساد قوتهم العملية اي كانوا ينكرون الآخرة ولايخافون ان يحاسبوا باعمالهم فلذا كانوا يقدمون على جميع المنكرات

ولا يرشبون فى شئ من الطاعات وفسر الرجاء بالخوف لان الحساب من اصعب الامور على الانسان والشئ الصعب لايقال فيه انه يرجى بل يقال انه يخاف ويخشى (وكذبوا) بيان لفساد قوتهم النظرية (بآياتنا) الناطقة بذلك وفى بعض التفاسير بآياتنا القولية والفعلية الظاهرة على السنة الرسل وايديهم (كذابا) اى تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصى فعوقبوا بأهول العقاب جزاء وفاقا وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء مطرد مثل كلم كلاما قال صاحب الكشاف وسمعنى بعضهم افسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ماسمع بمثله قال بعضهم وابدل من احد حرفى تضعيف بعض الاسماء ياء لئلا يلتبس بهذا المصدر المشدد مثل الديثار فان اصله الدنار ومثل السينات فى قول عمر بن عبد العزيز لكاتبه فى بسم الله طول الباء واظهر السينات ودور الميم فان اصله السنات جمع السن لاجمع السين لانه ليس فى البسملة الاسين واحدة ويجوز ان يقال عبر عن السن بالسين مبالغة كأنه قيل اجعل سنه كسينه فى الاظهار كما ذهب اليه الشريف (وكل شئ) اى واحصينا كل شئ من الاشياء التى من جملتها اعمالهم فانتصابه بمضمر يفسره قوله (احصيناه) اى حفظناه وضبطناه وذلك اى انتصابه بالاضمار على شريطة التفسير هو الراجح لتقدم جملة فعلية ولا يضره كون هذه الجملة معترضة كما سيجئ اولان المقصود المهم هنا الاخبار عن الاحصاء لاالاخبار عن كل شئ (كتابا) مصدر مؤكد لاحصيناه من غير لفظه لما ان الاحصاء والكتابة من واد واحد اى يتشاركان فى معنى الضبط فكأنه قال وكل شئ احصيناه احصاء مساويا فى القوة والثبات بالعلم المقيد بالكتابة او كتبناه كتابا واثبتناه اثباتا ويجوز ان يكون من الاحتباك حذف فعل الثانى بقرينة الاول ومصدر الاول بقرينة الثانى اى احصيناه احصاء وكتبناه كتابا او هو اى كتابا حال بمعنى مكتوبا فى اللوح وفى صحف الحفظة والجملة اعتراض لتوكيد كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات بانهما محفوظان للمجازاة قال القاشانى وكل شئ من صور اعمالهم وهيئات عقائدهم ضبطناه ضبطا بالكتابة عليهم فى صحائف نفوسهم وصحائف النفوس السماوية (فذوقوا) پس بچشيد عذاب دوزخ (فلن نزيدكم الاعذابا) فوق عذابكم والفاء فى فذوقوا جزائية دالة على ان الامر بالذوق مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومعلل به فيكون وكل شئ الخ جملة معترضة بين السبب ومسببه تؤكد كل واحد من الطرفين لانه كما يدل على كون معاصيهم مضبوطة مكتوبة يدل على ان ماتفرع عليها من العذاب كائن لامحالة مقدر على حسب استحقاقهم به وفى الالتفات المنبئ عن التشديد فى التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل مالايدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب مالايخفى وقد روى عن النبى عليه السلام ان هذه الآية اشد ما فى القرآن على اهل النار اى لان فيها الاياس من الخروج فكلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه فتكون كل مرتبة منه متناهية فى الشدة وان كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة وهذا لايخالف قوله تعالى ولايكلمهم الله لان المراد بالمنفى التكلم باللطف والاكرام لابالقهر والجلال فان قيل هذه الزيادة ان كانت غير مستحقة كانت ظلما وان كانت مستحقة كان تركها فى اول الامر احسانا والكريم لايليق به الرجوع فى احسانه فالجواب انها مستحقة ودوامها زيادة لثقل العذاب وايضا ترك المستحق فى بعض الاوقات لايوجب الابراء والاسقاط حتى يكون ايقاعه بعده رجوعا فى الاحسان وايضا كانوا يزيدون كفرهم وتكذيبهم واذيتهم للرسول عليه السلام واصحابه رضى الله عنهم فيزيد الله عذابهم لزيادة الاستحقاق فلا ظلم فان قيل قوله فذوقوا الخ تكرار لانه ذكر سابقا انهم لايذوقون الخ قلنا انه تكرار لزيادة المبالغة فى تقرير الدعوى وهو كون العقاب جزاء وفاقا (ان للمتقين مفازا) شروع فى بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال الكفرة على ماهو العادة القرآنية ووجه تقديم بيان حالهم غنى عن البيان اى ان الذين يتقون الكفر وسائر القبائح من اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم دل على هذا المعنى تفسيره بمابعده بقوله حدائق الخ او موضع فوز فالمفاز على الاول مصدر ميمى وعلى الثانى اسم مكان فان قيل الخلاص من الهلاك اهم من الظفر باللذات فلم اهمل الاهم وذكر غير الاهم قلنا لان الخلاص من الهلاك لايستلزم الفوز بالنعيم لكونه حاصلا لاصحاب الاعراف مع انهم غير فائزين بالنعيم بخلاف الفوز بالنعيم فانه يستلزم الخلاص من الهلاك فكان ذكره اولى (حدائق واعنابا) اى بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروما وهو تخصيص بعد التعميم لفضلها قوله حدائق بدل من مفازا بدل الاشتمال ان كان مصدرا ميميا لان الفوز يدل عليه دلالة التزامية

او البعض ان جعل مكانا جمع حديقة وهى الروضة ذات الاشجار ويقال الحديقة كل بستان عليه حائط اى جدار وفيه من النخل والثمار وفى المفردات الحديقة قطعة من الارض ذات ماء سميت تشبيها بحدقة العين فى الهيئة وحصول الماء فيها والاعناب جمع عنب بالفارسية انكور قال بعضهم ذكر نفسها ولم يذكر شجرها وهو الكرم لان زيادة الشرف فيها لا فى شجرها (وكواعب) جمع كاعب يقال كعبت المرأة كعوبا ظهر ثديها وارتفع ارتفاع الكعب اى نساء عذارى فلكت ثديهن اى استدارت وصارت كالكعب فى النتوء يقال فلك ثدى الجارية تفليكا اى استدار كفلكة المغزل ويقال لهن النواهد جمع ناهد وناهدة وهى المرأة كعب ثديها وبدا للارتفاع (اترابا) لدات اى مستويات فى السن ولادة الرجل تربه وقرينه فى السن والميلاد والهاء عوض عن الواو الذاهبة من اوله لانه من الولادة قال الراغب اى لدات ينشأن معا تشبيها فى التساوى والتماثل بالترائب التى هى ضلوع الصدر ولوقوعهن على الارض معا درتفسير زاهدى آورده كه شانزده ساله باشند ومردان سى وسه ساله ودر اكثر تفاسير هست كه اهل بهشت اززنان ومردان سى وسه ساله خواهند بود والظاهر ما فى تفسير الزاهدى وهو كونهن بنات ست عشرة لكونها انصف سن الرجال وايضا دل عليه الوصف بالكعوب وهو ارتفاع ثديهن والمراد انهن بالغات تمام كمال النساء فى الحسن واللطافة والصلاح للمصاحبة والمعاشرة بحيث لا يكن فى سن الصغر حتى تضعف الشهوة لهن ولا فى سن الكبر حتى تنكسر الشهوة عنهن بل رواء الشباب اى ماؤه جار فيهن لم يشبن ولم يتغير عن حد الحسن حسنهن وانما ذكرن لان بهن نظام الدنيا ولطافة الآخرة من جهة النعم الجسمانى (وكأسا دهاقا) اى مملوءة بالخمر فدهاقا بمعنى مدهقة وصفت به الكأس للمبالغة فى امتلائها يقال ادهق الحوض ودهقه ملأه (لا يسمعون) اى المتقون (فيها) اى فى الحدائق (لغوا ولا كذابا) اى لا ينطقون بلغو وهو ما يلغى ويطرح لعدم الفائدة فيه ولا يكذب بعضهم بعضا حتى يسمعوا شيئا من ذلك بخلاف حال اهل الدنيا فى مجالسهم لاسيما عند شربهم قال بعض اهل المعرفة لا يسمعون فيها كلاما الا من الحق فان من تحقق بالحق لا يسمعه الحق الا منه ولا يشهده سواه فى الدنيا والآخرة (جزاء من ربك) مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه فى قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزاء عظيما كائنا من ربك على ان التنوين للتعظيم (عطاء) اى تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شئ وذلك ان الله تعالى جعل الشئ الواحد جزاء وعطاء وهو غير ظاهر لان كونه جزاء يستدعى ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعى عدم الاستحقاق فالجمع بينهما جمع بين المتنافيين لكن ذلك الاستحقاق انما يثبت بحكم الوعد لا من حيث ان الطاعة توجب الثواب على الله فذلك الثواب بالنظر الى وعده تعالى اياه بمقابلة الطاعة يكون جزاء وبالنظر الى انه لا يجب على الله لاحد شئ يكون تفضلا وعطاء وهذا بمقابلة قوله جزاء وفاقا لان جزاء المؤمنين من قبيل الفضل لتضاعفه وجزاء الكافرين من قبيل العدل وهو بدل من جزاء بدل الكل من الكل لان العطاء والجزاء متحدان ذاتا وان تغايرا فى المفهوم وفى جعله بدلا من جزاء نكتة لطيفة وهى ان بيان كونه عطاء تفضلا منه هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة اليه فان حق البدل ان يكون مقصودا بالنسبة وذكر المبدل منه وسيلة اليه (حسابا) صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر اقيم مقام الوصف اى محسبا وقيل على حسب اعمالهم بان يجازى كل عمل بما وعد له من الاضعاف من عشرة وسبعمائة وغير حساب فوعده الله من المضاعفة داخل فى الحسب اى المقدر لان الحسب بفتح السين وسكونها بمعنى القدر والتقدير على هذا عطاء بحساب فحذف الجار ونصب الاسم قال بعض اهل المعرفة اذا كان الجزاء من الله لا يكون له نهاية لانه لا يكون على حد الاعواض بل يكون فوق الحد لانه ممن لا حد له ولا نهاية فعطاؤه لا حد له ولا نهاية قال بعضهم العطاء من الله موضع الفضل لا موضع الجزاء فالجزاء على الاعمال والفضل موهبة من الله يختص به الخواص من اهل وداده وفى التأويلات النجمية ان للمتقين الذين يتقون عن نفوسهم المظلمة المدلهمة بالله وصفاته واسمائه مفازا اى فوز ذات الله وصفاته حدائق روضات القلوب المنزهة الارضية واعنابا اشجار المعانى والحقائق المثمرة عنب خمر المحبة الذاتية الخامرة عين العقل عن شهود الغير والغيرية وكواعب اترابا ابكارا اللطائف والمعارف وكأسا دهاقا مملوءة من شراب المحبة وخمر المعرفة لا يسمعون فيها لغوا من الهواجس النفسانية ولا كذابا من الوساوس الشيطانية جزاء من ربك عطاء حسابا اى فضلا تاما كافيا من غير عمل وقال

القاشانى ان المتقين المقابلين للطاغين المتعدين فى افعالهم حد العدالة بما عينه الشرع والعقل وهم المتنزلون عن الرذائل وهيئات السوء من الافعال مفازا فوزا ونجاة من النار التى هى مآب الطاغين حدائق من جنان الاخلاق واعنابا من ثمرات الافعال و هيئاتها وكواعب من صور آثار الاسماء فى جنة الافعال اترابا متساوية فى الترتيب وكأسا من لذة محبة الآثار مترعة ممزوجة بالزنجبيل والكافور لان لاهل جنة الآثار والافعال لامطمح لهم الى ماوراءها فهم محجوبون بالآثار عن المؤثر وبالعطاء عن المعطى عطاء حسابا كافيا يكفيهم بحسب هممهم ومطامح ابصارهم لانهم لقصور استعداداتهم لايشتاقون الى ماوراء ذلك فلاشئ الذ لهم بحسب اذواقهم مما هم فيه (رب السموات والارض ومابينهما) بدل من ربك والمراد رب كل شئ وخالقه ومالكه (الرحمن) مفيض الخير والجود على كل موجود بحسب حكمته و بقدر استعداد المرحوم وهو بالجر صفة للرب وقيل صفة للاول وايا ما كان ففى ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقال القاشانى اى ربهم المعطى اياهم ذلك العطاء هو الرحمن لان عطاياهم من النعم الظاهرة الجليلة دون الباطنة الدقيقة فشعر بهم من اسم الرحمن دون غيره وفى التأويلات النجمية رب سموات الارواح وارض النفوس ومابينهما من السر والقلب وقواهما الروحانية هو الرحمن اى الموصوف بجميع الاسماء والصفات الجمالية والجلالية لوقوعه بين الله الجامع وبين الرحيم فله وجه الى الالوهية المشتملة على القهر وله ايضا وجه الى الرحيم الجمالى المحض (لايملكون منه خطابا) استئناف مقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بماذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وضمير لايملكون لاهل السموات والارض ومن فى منه صلة للتأكيد على طريقة قولهم بعت منك اى بعتك يعنى انه صلة خطابا قدم عليه فانقلب بيانا والمعنى لايملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك اذ المملوك لايستحق على مالكه شيئا خطابا ما فى شئ ما لتفرده بالعظمة والكبرياء وتوحده فى ملكه بالامر والنهى والخطاب والمراد نفى قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشئ من نقص العذاب وزيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه وآكده كأنه قيل لايملكون ان يخاطبوه بما سبق من الثواب والعقاب وبه يحصل الارتباط بين هذه الآية وبين ماقبلها من وعيد الكفار ووعد المؤمنين ويظهر منه ان نفى ان يملكوا خطابه لاينافى الشفاعة باذنه قال القاشانى لانهم اى اهل الافعال لم يصلوا الى مقام الصفات فلاحظ لهم من المكالمة (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) اخر الملائكة هنا تعميما بعد التخصيص واخر الروح فى القدر تخصيصا بعد التعميم فالظاهر ان الروح من جنس الملائكة لكنه اعظم منهم خلقا ورتبة وشرفا اذهو بمقابلة الروح الانسانى كما ان الملائكة بمقابلة القوى الروحانية ولاشك ان الروح اعظم من قواه التابعة له كالسلطان مع امرائه وجنده ورعاياه وتفسير الروح بجبريل ضعيف وان كان هو مشتهرا بكونه روح القدس والروح الامين اذكونه روحا ليس بالنسبة الى ذاته والا فالملائكة كلهم روحانيون وان كانوا اجساما لطيفة غير الارواح المهيمة وانما هو بالنسبة الى كونه نافخ الروح وحامل الوحى الذى هو كالروح فى الاحياء وقد اتفقوا على ان اسرافيل اعظم من جبريل ومن غيره فلو كان احد يقوم صفا واحدا لكان هو اسرافيل دون جبرائيل والله اعلم بمراده من الروح وان اختلفت الروايات فيه هذا مالاح لى فى هذا المقام بعون الملك العلام وصفا حال اى مصطفين لكثرتهم وقيامهم بما امر الله فى امر العباد وقيل هما صفان الروح صف والملائكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملائكة صفا صفا ويوم ظرف لقوله تعالى (لايتكلمون) وقوله تعالى (الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) بدل من ضمير لايتكلمون العائد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وهو الراجح لكون الكلام غير موجب والمستثنى منه مذكور وفى مثله يختار البدل على الاستثناء وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذى عليه مدار الكلام من مطلع السورة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لايتكلمون الخ ومؤكد له على معنى ان اهل السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ على ان يتكلموا بشئ من جنس الكلام الا من اذن الله له منهم فى التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اى حقا صادقا او واقعا فى محله من غير خطأ فى قوله فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما وقيل الا من اذن الخ منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لايتكلمون الا فى حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اى حقا هو التوحيد وكلمة

الشهادة دون غيره من اهل الشرك فانهم لم يقولوا فى الدنيا صوابا بل تفوهوا بكلمة الكفر والشرك واظهار الرحمن فى موقع الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احدا يستحقه عليه تعالى وفى عرائس البقلى من كان كلامه فى الدنيا من حيث الاحوال والاحوال من حيث الوجد والوجد من حيث الكشف والكشف من حيث المشاهدة والمشاهدة من حيث المعاينة فهو مأذون فى الدنيا والآخرة يتكلم مع الحق على بساط الحرمة والهيبة ينقذ الله به الخلائق من ورطة الهلاك قال ابن عطاء الخالص ما كان لله والصواب ما كان على وجه السنة وقال بعضهم انما تظهر الهيبة على العموم لاهل الجمع فى ذلك اليوم واما الخواص واصحاب الحضور فهم ابدا بمشهد العز بنعت الهيبة وفيه اشارة الى ان الاسرار والقلوب وقواهم الكائنين بين سموات الارواح و بين ارض النفوس لا يملكون ان يخاطبوا الحق فى شفاعة النفس الامارة والهوى المتبع بسبب لحمة النسب الواقع بينهم اذ الكل اولاد الروح والقالب كما لم يملك نوح عليه السلام ان يخاطب الحق فى حق ابنه كنعان يعنى انه لم يقدر على النجاة اذ جاء الخطاب بقوله فلا تسألن ما ليس لك به علم (ذلك) اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اى ذلك اليوم العظيم الذى يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم ولا غيرهم على التكلم من الهيبة والجلال (اليوم الحق) اى الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وذلك لانه متحقق علما ولا بدان يكون متحققا وقوعا كالصباح بعد مضى الليل وفيه اشارة الى انه واقع ثابت فى جميع الاوقات والاحايين ولكن لا يبصرونه لاشتغالهم بانفس اللهية وهواها الشاغل (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) الفاء فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة فى تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذى ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اى سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال وفى التأويلات النجمية مآبا اى مرجعا ورجوعا من الدنيا الى الآخرة ومن الآخرة الى رب الدنيا والآخرة لانهما حرامان على اهل الله (انا انذرناكم) اى بما ذكر فى السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواعى اوبها وبسائر القوارع الواردة فى القرآن والخطاب لمشركى العرب وكفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث وفى بعض التفاسير الظاهر عموم الخطاب كعموم من لان فى انذار كل طائفة فائدة لهم (عذابا قريبا) هو عذاب الاخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وممكن وان رأوه بعيدا وغير ممكن فسيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الاعشية اوضحاها وقال بعض اهل المعرفة العذاب القريب هو عذاب الالتفات الى النفس والدنيا والهوى وقال القاشانى هو عذاب الهيئات الفاسقة من الاعمال الفاسدة دون ما هو ابعد منه من العذاب القهر والسخط وهو ما قدمت ايديهم (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) تثنية اصلها يدان سقطت نونها بالاضافة و يوم بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اى عذابا كائنا يوم ينظر المرء اى يشاهد ما قدمه من خير اوشر يعنى بازيابد كردارهاى خودرا ازخير وشر على ان ما موصولة منصوبة بينظر لانه يتعدى بنفسه وبالى والعائد محذوف اى قدمته او ينظر اى شئ قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة بقدمت متعلقة بينظر فالمرء عام للمؤمن والكافر لان كل احد يرى عمله فى ذلك اليوم مثبتا فى صحيفته خيرا كان اوشرا فيرجو المؤمن ثواب الله على صالح عمله ويخاف العقاب على سيئه واما الكافر فكما قال الله تعالى (ويقول الكافر ياليتنى) اى يا قوم فالمنادى محذوف ويجوز ان يكون يا لمحض التحسر ولمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه وبالفارسية اى كاشكى من (كنت ترابا) فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف وهو فى محل الرفع على انه خبر ليت اوليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم ابعث كقوله ياليتنى لم اوت كتابيه الى ان قال ياليتها كانت القاضية وقيل يحشر الله الحيوان فيقتص للجماء من القرناء نطحتها اى قصاص المقابلة لا قصاص التكليف ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله كما قال عليه السلام لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء وهذا صريح فى حشر البهائم واعادتها لقصاص المقابلة لا للجزاء ثوابا وعقابا وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشئ الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين يعنى

ابليس آدم را عيب مى كرد كه از خاك آفريده شده وخودرا مى ستود كه من از آتش مخلوقم چون دران روز كرامت آدم وثواب فرزند ان مؤمن او مشاهده نمايد وعذاب وشدت خودرا بيند آرزو برد كه كاشكى من از خاك بودمى وسبت با آدم داشتمى اى درويش اين دبدبه وطنطنه كه خاكيا نراست هيچ طبقه از طبقات مخلوقا ترانيست * خاك را خوار وتيره ديد ابليس * كرد انكارش آن حسود خبيس * ماند غافل زنور باطن او * نشدا كه زسر كامل او * هر كنجى كه هست در دل خاك * اين صدا داده اند در افلاك * كه بجز خاك نيست مظهر كل * خاك شو خاك تا برويد كل * واما مؤمنوا الجن فلهم ثواب وعقاب فلا يعودون ترابا وهو الاصح فيكون مؤمنوهم مع مؤمنى الانس فى الجنة او فى الاعراف ونعيمهم ما يناسب مقامهم ويكون كفارهم مع كفار الانس فى النار وعذابهم عما يلائم شأنهم وقيل هو تراب سجدة المؤمن تنطفئ به عنه النار وتراب قدمه عند قيامه فى الصلاة فيتمنى الكافر ان يكون تراب قدمه وفى التأويلات النجمية يوم ينظر المرء ما قدمت يداقلبه ويدنفسه من الاحسان والاساءة ويقول كافر النفس الساتر للحق ياليتنى كنت تراب اقدام الروح والسر والقلب متذللة بين يديهم مؤتمرة لاوامرهم ونواهيهم (وفى كشف الاسرار) از عظمت ان روزاست كه بيست وچهار ساعت شبانروز دنيارا بر مثال بيست وچهار خزانه حشر كنند ودر عرصات قيامت حاضر كردانند يكان يكان خزانه ميكشايند وبر بنده عرض ميدهند از ان خزانه بكشايند پربها وجمال ونور وضيا وآن آن ساعتست كه بنده در خيرات وحسنات وطاعات بود بنده چون حسن ونور بهاى آن بيند چندان شادى وطرب واهتزاز روغالب شود كه اكر آنرا بر جملهٔ دوزخيان قسمت كنند از دهشت ان شادى الم ودرد آتش فراموش كنند خزانهٔ ديكر بكشايند تاريك ومظلم پرنتن ووحشت وآن آن ساعتست كه بنده در معصيت بوده وحق ازره ظلمت ووحشت ان كردار درآيد چندان فزع وهول ورنج وغم اور افرو كيرد كه اكر بر كل اهل بهشت قسمت كنند نعيم بهشت برايشان منغص شود خزانهٔ ديكر بكشايند خالى كه درونه طاعت بود كه سبب شادى است نه معصيت كه موجب اندوهست وان ساعتى است كه بنده در خفته باشد يا غافل يا بمباحات دنيا مشغول بوده بنده بر آن حسرت خورد وغبن عظيم بروراه يابد همچنين خزانه يك يك ميكشايند وبرو عرضه ميكنند از ان ساعت كه درو طاعت كرده شاد ميكردد وازان ساعت كه درو معصيت كرده رنجور ميشود وبرساعتى كه مهمل كذاشته حسرت وغبن بخورد وچون كار مؤمن مقصر دران روز اين باشد پس قياس كن كه حال كافر چكونه باشد در حسرت وندامت وآه وزارى روى ابى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال النبى عليه السلام تعلموا سورة عم يتساءلون عن النبأ العظيم وتعلموا ق والقرآن المجيد والنجم اذا هوى والسماء ذات البروج والسماء والطارق فانكم لو تعلمون ما فيهن لعطلتم ما انتم عليه وتعلمتموهن وتقربوا الى الله بهن ان الله يغفر بهن كل ذنب الا الشرك بالله وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله لقد اسرع اليك الشيب قال شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت الكل فى كشف الاسرار وفيه اشارة الى ان من تعلم هذه السور ينبغى له ان يتعلم معانيها ايضا اذ لا يحصل المقصود الا به وتصريح بان هم الآخرة ومطالعة الوعيد واستحضاره يشيب الانسان ولذا ذم الحبر السمين والقارى السمين اذ لم يكن سمينا الا بالذهول عما قرأه ولو استحضره وهم به لشاب من همه وذاب من غمه لان الشحم مع الهم لا ينعقد قال الشافعى رحمه الله ما افلح سمين قط الا ان يكون محمد بن الحسن فقيل له ولم قال لانه لا يخلو العاقل من احدى حالتين اما ان يهتم لآخرته ومعاده او لدنياه ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد فاذا خلا من المعنيين صار فى حد البهائم يعقد الشحم

(تمت سورة النبأ بالعون الالهى فى الثانى والعشرين من شهر الله المحرم من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف)

(سورة النازعات خمس اوست واربعون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا) الواو للقسم والقسم يدل على عظم شأن المقسم به ولله تعالى ان يقسم بما شاء من مخلوقاته تنبيها على ذلك العظم والنازعات جمع نازعة بمعنى طائفة من الملائكة نازعة فأنثت صفة الملائكة باعتبار كونهم طائفة ثم جمعت تلك الصفة فقيل نازعات بمعنى طوائف من الملائكة نازعات وقس عليه الناشطات ونحوه

والا فكان الظاهر ان يقال والنازعين والناشطين والنزع جذب الشئ من مقره بشدة والغرق مصدر بحذف
الزوائد بمعنى الاغراق وهو بالفارسية غرقه كردن وكمان بزور كشيدن والغرق الرسوب فى الماء وفى البلاء
فهو مفعول مطلق للنازعات لانه نوع من النزع فيكون شرطه موجودا وهو اتفاق المصدر مع عامله والاغراق
فى النزع التوغل فيه والبلوغ الى اقصى درجاته يقال اغرق النازع فى القوس اذا بلغ غاية المد حتى انتهى الى
النصل اقسم الله بطوائف الملائكة التى تنزع ارواح الكفار من اجسادهم اغراقا فى النزع بمعنى جان كافران
بسختى نزع ميكنند وايضا ينزعونها منهم معكوسا من الانامل والاظفار ومن تحت كل شعرة كما تنزع
الاشجار المتفرقة العروق فى اطراف الارض وكما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول وكما يسلخ
جلد الحيوان وهو حى وكما يضرب الانسان القاصر بة بالسيف بل اشد والملائكة وهم ملك الموت واعوانه من
ملائكة العذاب يطعنونهم بحربة مسمومة بسم جهنم والميت يظن ان بطنه قد ملئ شوكا وكان نفسه تخرج
من ثقب ابرة وكان السماء انطبقت على الارض وهو بينهما فاذا نزعت نفس الكافر وهى ترعد اشبه شئ بالزئبق
على قدر النحلة وعلى صورة عمله تأخذها الزبانية ويعذبونها فى القبر وفى سجين وهو العذاب الروحانى ثم اذا قامت
القيامة انضم الجسمانى الى الروحانى فقوله والنازعات غرقا اشارة الى كيفية قبض ارواح الكفار بشهادة مداول
اللفظ (والناشطات نشطا) قسم آخر معنى بطريق العطف والنشط جذب الشئ من مقره برفق ولين ونصب نشطا
على المصدرية اقسم الله بطوائف الملائكة التى تنشط ارواح المؤمنين اى تخرجها من ابدانهم برفق ولين كما تنشط
الدلو من البئر يقال نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وكما تنشط الشعرة من السمن وكما تنسل القطرة من السقاء
وهم ملك الموت واعوانه من ملائكة الرحمة ونفس المؤمن وان كانت تجذب من اطراف البنان ورؤس الاصابع
ايضا لكن لا يحس بالالم كما يحس به الكافر وايضا نفس المؤمن ليس لها شدة تعلق بالبدن كنفس الكافر لكونها
منجذبة الى عالم القدس وانما يشتد الامر على اهل التعلق دون اهل التجرد خصوصا اذا كان ممن مات بالاختيار
قبل الموت وايضا حين يجذبونها يدعونها احيانا حتى تستريح وليس كذلك ارواح الكفار فى قبضها لكن
ربما يتعرض الشيطان للمؤمن الضعيف اليقين والقاصر فى العمل اذا بلغ الروح التراقى فيأتيه فى صورة ابيه
وامه واخيه اوصديقه فيأمره باليهودية اوالنصرانية اونحو ذلك نسأل الله السلامة (حكى) ان ابليس عليه
اللعنة تمثل للنبى عليه السلام يوما وبيده قارورة ماء فقال ابيعه بايمان الناس حالة النزع فبكى النبى عليه
السلام حتى بكت اهل بيته فاوحى الله تعالى اليه انى احفظ عبادى فى تلك الحالة من كيده والميت يرى
الملائكة حينئذ على صورة اعماله حسنة اوقبيحة فاذا اخذوا نفس المؤمن يلفونها فى حرير الجنة وهى على قدر
النحلة وعلى صورة عمله مافقد شئ من عقله وعلمه المكتسب فى الدنيا دل عليه قوله تعالى حكاية عن حبيب النجار
الشهيد فى انطاكية قال ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين فيعرجون بها الى الهواء ويهيئون له
اسباب النعم فى قبره وفى عليين وهو النعيم الروحانى ثم اذا قام الناس من قبورهم ازداد النعيم بانضمام
الجسمانى الى الروحانى فقوله والناشطات نشطا اشارة الى كيفية قبض ارواح المؤمنين بشهادة اللفظ ومداوله
ايضا فان قيل قد ثبت ان النبى عليه السلام اخذ روحه الطيب بعض شدة حتى قال واكرباه وقال لا اله الا الله
ان للموت سكرات اللهم اعنى على سكرات الموت اى غمراته وكان يدخل يده الشريفة فى قدح فيه ماء ثم يمسح
وجهه المنور بالماء ولما رأته فاطمة رضى الله عنها يغشاه الكرب قالت واكرب ابتاه فقال لها عليه السلام
ليس على ابيك كرب بعد اليوم فاذا كان امر النبى عليه السلام حين انتقاله هكذا فما وجه ماذكر من الرفق
واللين اجيب بان مزاجه الشريف كان اعدل الامزجة فاحس بالالم اكثر من غيره اذ الخفيف على الاخف
ثقيل وايضا يحتمل ان يبتليه الله بذلك ليدعوا الله فى ان يجعل الموت لامته سهلا يسيرا وايضا قد روى انه طلب
من الله ان يحمل عليه بعض صعوبة الموت تخفيفا عن امته فانه بالمؤمنين رؤف رحيم وايضا فيه تسلية لامته
اذا وقع لاحد منهم شئ من ذلك الكرب عند الموت وايضا لكى يحصل لمن شاهد من اهله ومن غيرهم من المسلمين
الثواب لما يلحقهم عليه من المشقة كما قيل بمثل ذلك فى حكمة مايشاهد من حال الاطفال عند الموت من الكرب
الشديد وايضا راحة الكمل فى الشدة لانها من باب الترقى فى العلوم والدرجات واقل الامر للناقصين كفارة
الذنوب فاهل الحقيقة لا شدة عليهم فى الحقيقة لاستغراقهم فى بحر الشهود وانما الشدة لظواهرهم والحاصل

كما ان النار لا ترفع عن الدنيا والدنيا قائمة فكذا الشدة لا ترفع عن الظواهر فى هذا الموطن (والسابحات سبحا) قسم آخر معنى ايضا بطريق العطف والسبح المر السريع فى الماء اوفى الهواء وسبحا نصب على المصدر يقاقسم الله بطوائف الملائكة التى تسبح فى مضيها اى تسرع فينزلون من السماء الى الارض مسرعين مشبهين فى سرعة نزولهم بمن يسبح فى الماء وهذا من قبيل التعميم بعد التخصيص لان نزول الاولين انما هو لقبض الارواح مطلقا ونزول هؤلاء لعامة الامور والاحوال (فالسابقات سبقا) عطف على السابحات بالفاء للدلالة على ترتب السبق على السبح بغير مهلة فالموصوف واحد ونصب سبقا على المصدرية اى التى تسبق سبقا الى ما امروا به ووكلوا عليه اى يصلون بسرعة والسبق كناية عن الاسراع فيما امروا به لان السبق وهو التقدم فى السير من لوازم الاسراع فالسبق هنا لا يستلزم وجود المسبوق اذ لا مسبوق (فالمدبرات امرا) عطف على السابقات بالفاء للدلالة على ترتب التدبير على السبق بغير تراخ والتدبير التفكر فى دبر الامور وامرا مفعول للمدبرات قال الراغب يعنى الملائكة الموكلين بتدبير الامور انتهى اى التى تدبر امرا من الامور الدنيوية والاخروية للعباد كما رسم لهم من غير تفريط وتقصير والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة وجد البعث ان الموت يستدعيه للاجر والجزاء لئلا يستمر الظلم والجور فى الوجود وما ربك بظلام للعبيد فكان الله تعالى يقول ان الملائكة ينزلون لقبض الارواح عند منتهى الآجال ثم ينجر الامر الى البعث لما ذكر فكان من شأن من يقر بالموت ان يقر بالبعث فلذا جمع بين القسم بالنازعات وبين البعث الذى هو الجواب وفى عنوان هذه السورة وجوه كثيرة صفحنا عن ذكرها واخترنا سوق الكشاف فانه هو الذى يقتضيه جزالة التنزيل وقال القاشانى اقسم بالنفوس المشتاقة التى غلب عليها النزوع الى جناب الحق غريقة فى بحار الشوق والمحبة والتى تنشط من مقر النفس واسر الطبيعة اى تخرج من قيود صفاتها وعلائق البدن من قولهم ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد اومن قولهم نشط من عقاله والتى تسبح فى بحار الصفات فتسبق الى عين الذات ومقام الفناء فى الوحدة فتدبر بالرجوع الى الكثرة امر الدعوة الى الحق والهداية وامر النظام فى مقام التفصيل بعد الجمع انتهى ثم ان النفوس الشريفة لا يبعد ان يظهر منها آثار فى هذا العالم سواء كانت مفارقة عن الابدان اولا فتكون مدبرات الا ترى ان الانسان قد يرى فى المنام ان بعض الاموات يرشده الى مطلوبه ويرى استاذه فيسأله عن مسألة فيحلها له سئل زرارة بعد ان توفى رضى الله عنه فى المنام اى الاعمال افضل عندكم فقال الرضى وقصر الامل وعن بعضهم رأيت ورقاء بن بشر رحمه الله فى المنام فقلت ما فعل الله بك قال نجوت بعد كل جهد قلت فاى الاعمال وجدتموها افضل قال البكاء من خشية الله وقال بعضهم هلكت جارية فى الطاعون فرآها ابوها فى المنام فقال لها يابنية اخبرينى عن الآخرة قالت يا ابت قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان اوركعة اوركعتان فى صحيفة عملى احب الى من الدنيا وما فيها ونظائره كثيرة لا تحصى وقد يدخل بعض الاحياء من جدار ونحوه على بعض من له حاجة فيقضيها وذلك على خرق العادة فاذا كان التدبير بيد الروح وهو فى هذا الموطن فكذا اذا انتقل منه الى البرزخ بل هو بعد مفارقته البدن اشد تأثيرا وتدبيرا لان الجسد حجاب فى الجملة الا ترى ان الشمس اشد اشراقا اذا لم يحجبها غمام ونحوه (يوم ترجف الراجفة) منصوب بالجواب المضمر وهو لتبعثن والمراد بالراجفة الواقعة التى ترجف عندها الاجرام الساكنة كالارض والجبال اى تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة من هول ذلك اليوم وهى النفخة الاولى اسند اليها الرجف مجازا على طريق اسناد الفعل الى سببه فان حدوث تلك النفخة سبب لاضطراب الاجرام الساكنة من الرجفان وهى شدة الاضطراب ومنه الرجفة للزلزلة فيه من شدة الاضطراب وكثرة الانقلاب وفيه اشعار بان تغير السفلى مقدم على تغير العلوى وان لم يكن مقطوعا (تتبعها الرادفة) اى الواقعة التى تردف الاولى اى تجىء بعدها وهى النفخة الثانية لانها تجىء بعد الاولى يقال ردفه كسمعه ونصره تبعه كاردفه واردفه معه اركبه معه كما فى القاموس وهى حال مقدرة من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اى لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذى تقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة كما قال فى الكشاف لتبعثن فى الوقت الواسع الذى تقع فيه النفختان وهم يبعثون فى بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى انتهى قال فى الارشاد واعتبار امتداده مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم

بيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لايبقى عند وقوع الاولى حى الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الابعث وقام (قلوب) مبتدأ وتنكيره يقوم مقام الوصف المخصص سواء حمل على التنويع وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او على التكثير كما فى شرح اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كأنه قيل قلوب كثيرة او عاصية كما قال فى التأويلات النجمية قلوب النفس المتمردة الشاردة النافرة عن الحق (يومئذ) يوم اذ تقع النفختان وهو متعلق بقوله (واجفة) اى شديدة الاضطراب من سوء اعمالهم وقبح افعالهم فان الوجيف عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل وعلم منه ان الواجفة ليست جميع القلوب بل قلوب الكفار فان اهل الايمان لايخافون (ابصارها) اى ابصار اصحابها كما دل عليه قوله يقولون والا فالقلوب لا ابصار لها وانما اضاف الابصار الى القلوب لانها محل الخوف وهو من صفاتها (خاشعة) ذليلة من الخوف بسبب الاعراض عن الله والاقبال على ماسواه يترقبون اى شئ ينزل عليهم من الامور العظام واسند الخشوع اليها مجازا لان اثره يظهر فيها (يقولون) استئناف بيانى اى هم يقولون الآن يعنى ان منكرى البعث ومكذبى الآيات الناطقة به اذا قيل لهم انكم تبعثون يقولون منكرين له متعجبين منه (ائنا) اياما (لمردودون) معادون بعد موتنا (فى الحافرة) اى فى الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع انها محفورة وانما الحافر هو الماشى فى تلك الطريقة كقوله تعالى عيشة راضية اى منسوبة الى الحفر والرضى او على تشبيه القابل بالفاعل اى فى تعلق الحفر بكل منهما فاطلق اسم الثانى على الاول للمشابهة كما يقال صام نهاره تشبيها لزمان الفعل بفاعله وقال مجاهد والخليل بن احمد الحافرة هى الارض التى تحفر فيها القبور ولذا قال فى التأويلات النجمية اى حافرة اجسادنا وقبور وصدورنا (أئذا) العامل فى اذا مضمر يدل عليه مردودون اى أئذا (كنا) باچون كرديم ما (عظاما نخرة) بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شئ من الحياة فهو تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له ظنوا ان من فساد البدن وتفرق اجزائه يلزم فساد ماهو الانسان حقيقة وليس كذلك ولو سلم ان الانسان هو هذا الهيكل المخصوص فلا نسلم امتناع اعادة المعدوم فان الله قادر على كل الممكنات فيقدر على جمع الاجزاء العنصرية واعادة الحيوة اليها لانها متميزة فى علمه وان كانت غير متميزة فى علم الخلق كالماء مع اللبن فانهما وان امتزجا لكن احدهما متميز عن الآخر فى علم الله وان كان عقل الانسان قاصرا عن ادراكه والنخر البلى يقال نخر العظم او الخشب بكسر العين اذا بلى واسترخى وصار بحيث لو مس لتفتت ونخرة ابلغ من ناخرة لكونها من صيغ المبالغة او صفة مشبهة دالة على الثبوت ولذا اختارها الاكثر والناخرة اشبه برؤس الآى ولذا اختارها البعض وقيل النخرة غير الناخرة اذ النخرة بمعنى البالية واما الناخرة فهى العظام الفارغة المجوفة التى يحصل فيها صوت من هبوب الريح من نخير النائم والمجنون لا من النخر بمعنى البلى قال الراغب النخير صوت من الانف ومنه سمى خرق الانف الذى يخرج منه النخير منخرا والمنخران ثقبا الانف (قالوا) اختيار الماضى هنا للايذان بان صدور هذا الكفر منهم ليس بطريق الاستمرار مثل كفرهم السابق المعبر عنه بالمضارع اى قالوا بطريق الاستهزاء بالحشر (تلك) الردة والرجعة فى الحافرة وفيه اشعار بغاية بعدها من الوقوع فى اعتقادهم (اذا) آنكاه و ران تقدير (كرة) الكر الرجوع والكرة المرة من الرجوع والجمع كرات (خاسرة) اى ذات خسران على ارادة النسبة من اسم الفاعل او خاسرة اصحابها على الاسناد المجازى اى على طريق اسناد الفعل الى مايقارنه فى الوجود كقولك تجارة رابحة والربح فعل اصحاب التجارة وهى عند المبادلة والربح والتجارة متقارنان فى الوجود والا فهم الخاسرون والكرة مخسور فيها اى ان صحت تلك الكرة فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا المعنى افاده كلمة اذا فانها حرف جواب وجزاء عند الجمهور وانما حمل قولهم هذا على الاستهزاء لانهم ابرزوا ماقطعوا بانتفائه واستحالته فى صورة المشكوك المحتمل الوقوع (فانما هى زجرة واحدة) جواب من الله عن كلامهم بالانكار وتعليل لمقدر اى لاتحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فانها سهلة هينة فى قدرته فانما هى صيحة واحدة اى حاصلة بصيحة واحدة لاتكرر يسمعونها وهم فى بطون الارض وهى النفخة الثانية كنفخ واحد فى صور الناس لاقامة القافلة عبر عن الكرة بالزجرة تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها يقال زجر البعير اذا صاح عليه (فاذاهم) پس آنكاه ايشان وساير خلايق (بالساهرة) اى فاجأوا الحصول بها وهو بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التى عبر عنها

بالزجرة واذا المفاجأة تفيد حدوث ما المكروه بسرعة على فجأة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة يعنى ان بياض الارض عبارة عن خلوها عن الماء والكلأ شبه جريان السراب فيها بجريان الماء عليها فقيل لها ساهرة وقيل لان سالكها لاينام خوف الهلكة يقال سهر كفرح لم ينم ليلا اوهى جهنم لان اهلها لاينامون فيها اوكأنه مقلوب الصاد سيناً من صهرته الشمس احرقته وقال الراغب حقيقتها الارض التى يكثر الوطئ بها كأنها سهرت من ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله عليها قط خلقها حينئذ وقال الثورى الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وكفته اند ساهره نام زمين است نزديك بيت المقدس درحوالئ جبل اريحا كه محشر آنجا خواهد بود خداى انرا كشاده كرداند چندانكه خواهد وفى الحديث بيت المقدس ارض المحشر والمنشر وقال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة ان الناس اذا قاموا من قبورهم واراد الله ان يبدل الارض غير الارض تمد الارض باذن الله ويكون المحشر فيكون الخلق عليه عند ما يبدل الله الارض كيف يشاء اما بالصورة واما بارض اخرى ماهم عليها تسمى بالساهرة فيمدها سبحانه مد الاديم ويزيد فى سعتها اضعاف ماكانت من احد وعشرين جزأ الى تسعة وتسعين جزأ حتى لاترى عوجا ولا امتا وقال فى التأويلات النجمية فاذاهم بالساهرة اى بظهر ارض الحياة كما كانوا قبله ببطن ارض الممات (هل اتاك حديث موسى) كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم واعظم يعنى فرعون ومعنى هل اتاك ان اعتبر هذا اول ما اتاه من حديثه ترغيب له فى استماع حديثه وحمل له على طلب الاخبار كأنه قيل هل اتاك حديث موسى قبل هذا ام انا اخبرك به كما قال الحسن رحمه الله اعلام من الله لرسوله حديث موسى كقول الرجل لصاحبه هل بلغك مالقى اهل البلد وهو يعلم انه لم يبلغه وانما قال ليخبره به انتهى وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز فى الاقتصاص استفهام تقرير له اى حمل له على الاقرار بامر يعرفه قبل ذلك اى اليس قد اتاك حديثه وبالفارسية آيا چنين نيست كه آمد بتو خبر موسى كليم عليه السلام تاتسلى دهى دل خودرا بر تكذيب قوم وخبر فرستادى از وعدهٔ مؤمنان ووعيد كافران يعنى قد جاءك وبلغك حديثه عن قريب كأنه لم يعلم بحديث موسى وانه لم يأته بعد والا لما كان يحزن على اصرار الكفار على انكار البعث وعلى استهزائهم به بل يتسلى بذلك فهل بمعنى قد المقربة الحكم الى الحال وهمزة الاستفهام قبلها محذوفة وهى للتقرير وزيد ليس لانه اظهر دلالة على ذلك لالانه مقدر فى النظم (اذناداه ربه) ظرف للحديث والمناداة والنداء بالفارسية خواندن وفى القاموس النداء الصوت اى هل اتاك حديثه الواقع حين ناداه ربه اذ المراد خبره الحادث فلابدله من زمان يحدث فيه لاظرف للاتيان لاختلاف وقتى الاتيان والنداء لان الاتيان لم يقع فى وقت النداء اومفعول لاذكر المقدر وعليه وضع السجاوندى علامة الوقف اللازم على موسى وقال لانه لو وصل صار اذ ظرفا لاتيان الحديث وهو محال اوله لم يلتفت الى عمل حديث لكونه هنا اسما بمعنى الخبر مع وجود فعل قوى فى العمل قبله وبالجملة لايخلو عن ايهام فالوجه الوقف كذا بعض فى التفاسير (بالواد المقدس) المبارك المطهر بتطهير الله عما لايليق حين كلم الله مع كليمه اوسمى مقدسا لوقوعه فى حدود الارض المقدسة المطهرة عن الشرك ونحوه واصل الوادى الموضع الذى يسيل فيه الماء ومنه سمى المنفرج بين الجبلين واديا والجمع اودية ويستعار للطريقة كالمذهب والاسلوب فيقال فلان فى واد غير واديك (طوى) بضم الطاء والتنوين تأويلا له بالمكان او بغير تنوين تأويلا له بالبقعة قال الفراء الصرف احب الى اذلم اجد فى المعدول نظيرا اى لم اجد اسما من الوادى عدل عن جهته غير طوى وهو اسم للوادى الذى بين المدينة ومصر فيكون عطف بيان له قال القاشانى الوادى المقدس هو عالم الروح المجرد لتقدسه عن التعلق بالمواد واسمه طوى لانطواء الموجودات كلها من الاجسام والنفوس تحته وفى طيه وقهره وهو عالم الصفات ومقام المكالمة من تجلياتها فلذلك ناداه بهذا الوادى ونهاية هذا العالم هو الافق الاعلى الذى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل على صورته (اذهب الى فرعون) على ارادة القول اى فقال له اذهب الى فرعون (انه طغى) تعليل الامر اولوجوب الامتثال به والطغيان مجاوزة الحد اى طغى على الخالق بان كفر به وطغى على الخلق بان تكبر عليهم واستعبدهم فكما ان كمال العبودية لايكون الا بالصدق

مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون بسوء المعاملة معهما وقال القاشانى اى ظهر بانانيته وذلك ان فرعون كان ذا نفس قوية حكيما عالما سلك وادى الافعال وقطع بوادى الصفات واحتجب بانانيته وانتحل صفات الربوبية ونسبها الى نفسه و ذلك تفرعنه وجبروته وطغيانه فكان ممن قال فيه عليه السلام شر الناس من قامت القيامة عليه فهو حى لقيامه بنفسه و هواها فى مقام توحيد الصفات و ذلك من اقوى الحجب (فقل) بعد ما تيته (هل لك) رغبة وتوجه (الى ان تزكى) بحذف احدى التاءين من تتزكى اى تتطهر من دنس الكفر والطغيان ووسخ الكدورات البشرية والقاذورات الطبيعية فقوله لك خبر مبتدأ محذوف والى ان متعلق بذلك المبتدأ المضمر وقد يقال قوله هل لك مجاز عن اجذبك وادعوك والقرينة هى القربية وهى المجاورة (واهديك الى ربك) وارشدك الى معرفته فتعرفه اشار الى ان فى النظم مضافا مضمرا وتقديم التزكية لتقدم التخلية على التحلية (فتخشى) اذ الخشية لاتكون الا بعد معرفته قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اى العلماء بالله قيل انه تعالى قال فى آخره ولن يفعل فقال موسى فكيف امضى اليه وقد علمت انه لن يفعل فاوحى اليه ان امض لما تؤمر فان فى السماء اثنى عشر الف ملك يطلبون علم القدر فلم يدركوه وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر لان من خشى الله اتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر كما قال عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل يقال ادلج القوم اذا ساروا من اول الليل وان ساروا من آخر الليل فقد ادلجوا بالتشديد ثم انه تعالى امر موسى عليه السلام بأن يخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول و يستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى اما كونه لينا فلأنه فى صورة العرض لافى صورة الامر صريحا واما ليس فيه ايضا ذكر نحو الشرك والجهل والكفران من متعلقات التزكى واما اشتماله على بعض التفصيل فظاهر (فأراه) پس بنمود اورا موسى (الآية الكبرى) الفاء فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها فى السور الاخرى فانه جرى بينه وبين فرعون ماجرى من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين اى فذهب اليه موسى بامر الله فدعاه الى التوحيد والطاعة وطلب هو منه المعجزة الدالة على صدقه فى دعوته والاراءة امامن التبصير او التعريف فان اللعين حين ابصرها عرفها وادعاء سحريتها انما كان اراءة منه واظهار التجلد ونسبتها اليه بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة فى قوله ولقد اريناه آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية والصغرى غيره من معجزاته الباقية وذلك ان القلب المذكور كان المقدم على الكل فى الاراءة فينبغى ان يكون هو المراد على ما تقتضيه الفاء التعقيبية (فكذب) فرعون بموسى وسمى معجزته سحرا عقيب رؤية الآية من غير روية وتأمل وطلب شاهد من عقل وناصح من فكر وقلب لغاية استكباره وتمرده (وعصى) الله بالتمرد بعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان واقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا فدل العطف على ان الذى ترتب على اراءة الآية الكبرى هو التكذيب الذى يكون عصيانا لله وهو التكذيب باللسان مع حصول الجزم بأن من كذبه ممن يجب تصديقه فاما تكذيب من لا يجب تصديقه فلا يكون عصيانا ويجوز ان يراد وعصى موسى فيما امر به الا ان الاول ادخل فى ذمه وتقبيح حاله وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته تعالى وترك دعوى الربوبية لابارسال بنى اسرائيل من الاسر والقسر فقط قال بعض اهل المعرفة اراه آية صرفا واوراه انوار الصفات فى الآيات لم يكفر ولم يدع الربوبية اذ هنالك موضع المحبة والعشق والاذعان لان رؤية الصفات تقتضى التواضع ورؤية الذات تقتضى العربدة فكان هو محجوبا برؤية الآيات عن رؤية الصفات فلما لم يكن معه حظ شهود نور الصفة لم يزل عنه رؤيتها حظ المحبة فلم يأت منه الانقياد والاذعان لذلك قال تعالى فكذب وعصى (ثم ادبر) اى تولى عن الطاعة وكلمة ثم على هذا معناها التراخى الزمانى اذ السعى فى ابطال امره يقتضى مهلة او انصرف عن المجلس قال الراغب ادبر اى اعرض وولى دبره (يسعى) يجتهد فى معارضة الآية تمردا وعنادا لا اعتقادا بانها يمكن معارضتها فهو تعلل بالباطل دفعا للمجلس وهو حال من فاعل ادبر بمعنى مسرعا مجتهدا وفى الكشاف لما رأى الثعبان ادبر مرعوبا يسرع فى مشيته قال الحسن رحمه الله كان رجلا طياشا (فحشر) اى فجمع السحرة لقوله تعالى فارسل فرعون فى المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده اى ما يكاد به من السحرة وآلاتهم ويجوز ان يراد جميع الناس (فنادى) بنفسه

فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه او بواسطة المنادى (فقال) لقيامه مقام الحكومة والسلطنة (انا ربكم الاعلى) لارب فوقى اى اعلى من كل من يلى امركم على ان تكون صيغة التفضيل بالنسبة الى من كان تحت ولايته من الملوك والامراء (وقال الكاشفى) يعنى اصنام كه برصورة منند همه ايشان خدا يانند ومن از همه برترم ولما ادعى العلوية قيل لموسى عليه السلام فى مقابلة هذا الكلام انك انت الاعلى لان الغلبة على سحرة غلبة عليه والحاصل انه لم يرد بهذا القول انه خالق السموات والارض والجبال والنبات والحيوان فان العلم بفساد ذلك ضرورى ومن شك فيه كان مجنونا ولو كان مجنونا لما جاز من الله بعثة الرسول اليه بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والنشر وكان يقول ليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر ونهى او يبعث اليكم رسولا بل المربى لكم والمحسن اليكم انا لاغيرى قال بعضهم كان ينبغى له عند ظهور ذله وعجزه بانقلاب العصا حية ان لايقول ذلك القول فكأنه صار فى ذلك الوقت كالمعتوه الذى لايدرى مايقول (امام قشيرى رحمه الله) درلطائف آورده كه ابليس اين سخن شنيده كفت مرا طاقت اين سخن نيست من دعوىٔ خيريت كفتم برآدم اين همه بلا بمن رسيد او كه چنين لاف ميزند تا كار او بكجا رسد قال بعض العارفين لم يدع احد من الخلائق من الكمال ماادعاه الانسان فانه ادعى الربوبية وقال انا ربكم الاعلى وابليس تبرأ منها وقال انى اخاف الله فلم يدع مرتبة ليست له قط اى انه على جناح واحد وهو الجلال فقط وكذا الملك فانه على الجمال المحض بخلاف الانسان فانه مخلوق باليدين شيخ ركن الدين علاء الدولة سمنانى قدس سره فرموده كه وقتى مرا حال كرم بود بزيارت حسين منصور حلاج رفتم چون مراقبه كردم روح اورا درمقام عالى يافتم ازعليين مناجات كردم كه خدايا اين چه حالتست كه فرعون انا ربكم ومنصور انا الحق كفت هردو يك دعوى كردند روح حسين درعليين است وجان فرعون درسجين بسرمن ندا رسيد كه فرعون بخود بينى درافتاده همه خودرا ديد ومارا كم كرد وحسين مارا ديد وخود راكم كرد پس درميان فرق بسيارست (وفى المثنوى) كفت فرعونى انا الحق كشت پست * كفت منصورى انا الحق ورست * ان انا را لعنة الله درعقب * واين انا را رحمة الله اى محب * زانكه او سنك سيه بود اين عقيق * آن عدوى نور بود واين عشيق * اين اناهو بود درسراى فضول * نه زراى اتحاد از حلول * قال فى اسئلة الحكم فان قلت ماالحكمة فى ان ابليس قد لعن ولم يدع الربوبية وفرعون وامثاله قد ادعوا الربوبية ولم يلعنوا تعيينا وتخصيصا كلعن ابليس قيل لان نية ابليس شر من نية هؤلاء وقيل لانه اول من سن الخلاف والشقاق قولا وفعلا ونية والخلق بعده ادعوا الربوبية وسنوا البغى والخلاف بوسوسته وابليس واجه بمخالفته حضرة الرب تعالى وهم واجهوا الانبياء والوسائط وتضرعوا تارة واعترفوا بالذنوب عند المخلوق اخرى وابليس لم يعترف ولم يتضرع وهو اول من سن الكفر فوزر الكفار بعده راجع اليه الى يوم القيامة ومظهر الضلالة والغواية بذاته بغير واسطة (فأخذه الله) بسبب ماذكر (نكال الآخرة والاولى) النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب اى الذى ينكل من رآه اوسمعه ويمنعه من تعاطى مايفضى اليه ومحل النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قال نكل الله به نكال الآخرة والاولى وهو الاحراق فى الآخرة والاغراق فى الدنيا واخذ مستعمل فى معنى مجازى يعم الاخذ فى الدنيا والآخرة والايلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان الاستعمال فى الاخذ الدنيوى حقيقة وفى الاخروى مجاز لتحقق وقوعه واضافة النكال الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لاباعتبار ان مافيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لايتصور فى الآخرة بل فى الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطى مايؤدى اليها لامحالة وفى التأويلات القاشانية نازع الحق بشدة ظهور انائيته فى رداء الكبرياء فقهر وقذف فى النار ملعونا كما قال تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار وروى قصمته وذلك القهر هو معنى قوله فاخذه الله الخ وقال البقلى لما لم يكن صادقا فى دعواه افتضح فى الدنيا والآخرة وهكذا كل من يدعى ماليس له من المقامات قال بشر انطلق الله لسانه بالعريض من الدعاوى واخلاه عن حقائقها وقال السرى العبد اذا تزيى بزى السيد صار نكالا الاترى كيف ذكر الله فى قصة فرعون لما ادعى الربوبية فأخذه الله الخ كذبه كل شئ حتى نفسه وفى الوسيط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى يارب امهلت فرعون اربعمائة سنة ويقول انا ربكم الاعلى ويكذب بآياتك ويجحد برسلك فاوحى الله اليه كان حسن الخلق

سهل الحساب فاردت ان اكافئه اى مكافأة دنيوية وكذا حسنات كل كافر واما المؤمن فاكثر ثوابه فى الآخرة ودلت الآية على ان فرعون مات كافرا وفى الفتوحات المكية فرعون ونمرود مؤبدان فى النار انتهى وغير هذا من اقوال الشيخ رحمه الله محمول على المباحثة فصن لسانك عن الاطالة فانها من اشد الضلالة يقول الفقير صدر من فرعون كلمتان الاولى قوله انا ربكم الاعلى والثانية قوله ما علمت لكم من اله غيرى وبينهما على ماقيل اربعون سنة فالظاهر ان الربوبية محمولة على الالوهية فتفسير قوله انا ربكم الاعلى بقولهم اعلى من كل من يلى امركم ليس فيه كثير جدوى اذ لا يقتضى ادعاء الرياسة دعوى الالوهية كسائر الدهرية والمعطلة فانهم لم يتعرضوا للالوهية وان كانوا رؤساء تأمل هذا المقام (ان فى ذلك) اى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به (لعبرة) اعتبارا عظيما وعظة (لمن يخشى) اى لمن من شأنه ان يخشى وهو من شأنه المعرفة يعنى ان العارف بالله وبشؤونه يخشى منه فلا يتمرد على الله ولا على انبيائه خوفا من نزول العذاب والعاقل من وعظ بغيره
چو بركشته بختى در افتد به بند * ازو نيك بختان بكيرند پند * تو پيش از عقوبت در عفو كوب * كه سودى ندارد فغان زير چوب * برآر از كريبان غفلت سرت * كه فردا نماند نجل در برت *
يعنى درسنداست (ءانتم اشد خلقا) خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته فى زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد مابين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله تعالى فانما هى زجرة واحدة فاشدة هنا بمعنى الصعوبة لا بمعنى الصلابة لانها لا تلائم المقام اى اخلقكم بعد موتكم اشق واصعب فى تقديركم وزعمكم والا فكلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد (ام السماء) ام خلق السماء بلا مادة على عظمها وقوة تأليفها وانطوائها على البدائع التى تحار العقول فى ملاحظة ادناها وهو استفهام تقرير ليقروا بان خالق السماء اصعب فيلزمهم بان يقول لهم ايها السفهاء من قدر على الاصعب الاعسر كيف لا يقدر على اعادتكم وحشركم وهى اسهل وايسر فخلقكم على وجه الاعادة اولى ان يكون مقدور الله فكيف تنكرون ذلك قوله انتم مبتدأ واشد خبره وخلقا تمييز والسماء عطف على انتم وحذف خبره لدلالة خبر انتم عليه اى ام السماء اشد خلقا (بناها) الله تعالى وهو استئناف وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله ام السماء فيتم الكلام حينئذ عند قوله ام السماء ويبتدأ من قوله بناها وام متصلة واستعمل البناء فى موضع السقف فان السماء سقف مرفوع والبناء انما يستعمل فى اسافل البناء لا فى الاعالى للاشارة الى انه وان كان سقفا لكنه فى البعد عن الاختلال والانحلال كالبناء فان البناء ابعد عن تطرق الاختلال اليه بالنسبة الى السقف (رفع سمكها فسواها) بيان للبناء اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فان امتداد الشئ ان اخذ من اسفله الى اعلاه سمى سمكا واذا اخذ من اعلاه الى اسفله سمى عمقا وقال بعضهم السمك الارتفاع الذى بين سطح السماء الاسفل الذى يلينا وسطحها الاعلى الذى يلى ما فوقها فيكون المراد تخنها وغلظها وهو ايضا تلك المسيرة (واغطش ليلها) الغطش الظلمة قال الراغب واصله من الاغطش وهو الذى فى عينه شبه عمش يقال اغطشه الله اذا جعله مظلما واغطش الليل اذا صار مظلما فهو متعد ولازم والاول هو المراد هنا اى جعله مظلما اذا ذهب النور فان قيل الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس فقوله واغطش ليلها يرجع معناه الى انه جعل المظلم مظلما وهو بعيد والجواب منه ان الظلمة الحاصلة فى ذلك الزمان انما حصلت بتدبير الله وتقديره فلا اشكال (واخرج ضحاها) اى ابرز نهارها عبر عنه بالضحى وهو ضوء الشمس ووقت الضحى هو الوقت الذى تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها لانه اشرف اوقاتها واطيبها على تسمية المحل باسم اشرف ماحل فيه فكان احق بالذكر فى مقام الامتنان وهو السر فى تأخير ذكره عن ذكر الليل وفى التعبير عن احداثه بالاخراج فان اضافة النور بعد الظلمة اتم فى الانعام واكمل فى الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثهما على حركتها والاضافة يكفيها ادنى ملابسة المضاف بالمضاف اليه ويجوز ان تكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس اى ابرز ضوء شمسها بتقدير المضاف والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها امام زاهد فرموده كه روز وشب دنيا باسمان پيدا كردد بسبب آفرينش آفتاب وماه دور وقال بعض العارفين الليل ذكر والنهار انثى فلما تغشاها الليل حملت فولدت فظهرت الكائنات عن غشيان الزمان فالمولدات اولاد الزمان واستخراج

النهار من الليل كاستخراج حواء من آدم قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذاهم مظلمون وقال يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل كعيسى في مريم وحواء في آدم فاذا خاطب ابناء النهار قال يولج الليل واذا خاطب ابناء الليل قال يولج النها وقال بعض اهل الحقائق ان توارد الليل والنهار اشارة الى توارد السيئة والحسنة فكما ان الدنيا لاتبقى على ليل وحده ولا على نهار وحده بل هما يتعاقبان فيها فكذا المؤمن لايخلو من نور الايمان و العمل الصالح و من ظلمة العمل الفاسد والفكر الكاسد ولذا قال عليه السلام لعلى رضى الله عنه يا على اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فاذا كان يوم القيامة يلقى الله الليل في جهنم والنهار في الجنة فلا يكون في الجنة ليل كما لايكون في النار نهار يعنى ان النهار في الجنة هو نور ايمان المؤمن ونور عمله الصالح بحسب مرتبته والليل في النار هو ظلمة كفر الكافر وظلمة عمله السيء فكما ان الكفر لايكون ايمانا فكذا الليل لايكون نهارا والنار لاتكون نورا فيبقى كل من اهل النور والنار على صفته الغالبة عليه واما القلب وحاله بحسب التجلى فهو على عكس حال القالب فان نهاره المعنوى لايتعاقب عليه ليل وان كان يطرأ عليه استتار في بعض الاوقات (والارض بعد ذلك دحاها) اى قبل ذلك كقوله تعالى من بعد الذكر اى قبل القرآن بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقلبهم في اقطارها وقال بعضهم بعد على معناه الاصلى من التأخر فان الله خلق الارض قبل خلق السماء من غير ان يدحوها ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقال في الارشاد انتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها وذلك اشارة الى ماذكر من بناء السموات ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها و بعدية الدحو عنها محمولة على البعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لافي الوجود فان اتفاق الاكثر على تقدم خلق الارض ومافيها على خلق السماء ومافيها وتقديم الارض لايفيد القصر وتعيين البعدية في الوجود لما عرفت من ان انتصابه بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لابماذكر بعده ليفيد ذلك وفائدة تأخيره في الذكر اما التنبيه على انه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بمافي الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل احواله اكمل وقد مر مايتعلق بهذا المقام في سورة حم السجدة (اخرج منها ماءها) بان فجر منها عيونا واجرى انهارا (ومرعاها) اى رعيها بالكسر بمعنى الكلاء و هو في الاصل موضع الرعى بالفتح نسب الماء والمرعى الى الارض من حيث انهما منها يظهران وتجريد الجملة عن العاطف لانها بيان وتفسير لدحاها او تكملة له فان السكنى لاتتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لابد من تسوية امر المعاش من المأكل والمشرب حتما (والجبال) منصوب بمضمر يفسره قوله (ارساها) اى اثبتها واثبت بها الارض ان تميد بها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه تعالى ولولاه لما ثبتت في نفسها فضلا عن اثباتها الارض (متاعا لكم ولانعامكم) مفعول له بمعنى تمتيعا والانعام جمع نعم بفتحتين وهى المال الراعية بمعنى المواشى وفي الصحاح واكثر مايقع هذا الاسم على الابل والمراد هنا مايكون عاما للابل و البقر والغنم من الضأن والمعز اى فعل ذلك تمتيعا ومنفعة لكم ولانعامكم لان فائدة ماذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى مايعم مايأكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعى لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف ولهذا قيل دل الله تعالى بذكر الماء والمرعى على عامة مايرتفق به و يتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح فانه من الماء قال العتبى هذا اى قوله اخرج منها ماءها ومرعاها من جوامع الكلم حيث ذكر شيئين دالين على جميع ما اخرج من الارض قوتا ومتاعا للانام من العشب والشجر والحب والتمر والملح والنار لان النار من الشجر الاخضر والملح من الماء ونكتة الاستعارة توبيخ المخاطبين المنكرين للبعث والحاقهم بالبهائم في التمتع بالدنيا والذهول عن الآخرة (فاذا جاءت الطامة الكبرى) قال في الصحاح كل شيء كثر حتى علا وغلب فقد طم من باب رد والكبرى تأنيث الاكبر من كبر بالضم بمعنى عظم لا من كبر بالكسر بمعنى اسن وهذا شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم والفاء للدلالة على ترتب مابعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع والمعنى فاذا جاء وقت طلوع و قوع الداهية العظمى التى تطم على سائر الطامات والدواهى اى تعلوها

وتغلبها فوصفها بالكبرى يكون للتأكيد ولو فسر بما تعلو على الخلائق وتغلبهم كان مخصصا والمراد القيامة
اوالنفخة الثانية فانه يشاهد يوم القيامة من الآيات الهائلة الخارجة عن العادة ماينسى معه كل هائل وعند
النفخة الثانية تحشر الخلائق الى موقف القيامة خصت النازعات بالطامة وعبس بالصاخة لان الطم ان كان
بمعنى النفخة الاولى للاهلاك فهو قبل الصخ اى الصوت الشديد الذى يحيى له الناس حين يصيخون له كما
ينتبه النائم بالصوت الشديد فهو بمعنى النفخة الثانية فجعل السابق للسورة السابقة واللاحق للاحقة وان كان
بمعنى النفخة الثانية فحسن الموقع فى كلا الموضعين لان الطم ورد بعد قوله تتبعها الرادفة والصخ بعد مابين
عدم اصاخة النبى عليه السلام لابن ام مكتوم (يوم يتذكر الانسان ماسعى) منصوب باعنى تذكير الطامة الكبرى
وما موصولة وسعى بمعنى عمل اى يتذكر فيه كل احد كائنا من كان ماعمله من خير اوشر بان يشاهده مدونا فى
صحيفة اعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى احصاه الله ونسوه (وبرزت الجحيم)
عطف على جاءت اى اظهرت اظهارا بينا لايخفى على احد بعد ان كانوا يسمعون بها والمراد مطلق النار المعبر
عنها بجهنم لا الدركة المخصوصة من الدركات السبع (لمن يرى) كائنا من كان على مايفيده من فانه من الفاظ
العموم يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذى بصر مؤمن وكافر وقوله تعالى وبرزت الجحيم للغاوين لاينافى
ان يراها المؤمنون ايضا حين يمرون عليها مجاوزين الصراط وقيل للكافر لان المؤمن يقول اين النار التى توعدنا
بها فيقال مررتموها وهى خامدة (فاما من طغى) الخ فاذا جاءت على طريقة قوله فاما يأتينكم منى هدى
فمن تبع هداى الخ يقال ان جئتنى فان قدرت احسنت اليك ويقال اذا كانت الدعوة فاما من كان جاهلا
فهنالك مقامه واما من كان عالما فههنا مقامه اى فاما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد فى العصيان كالنضر
وابيه الحارث المشهورين بالغلو فى الكفر والطغيان (وآثر) اختار (الحياة الدنيا) الفانية التى على جناح
الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخرة الابدية بالايمان والطاعة (فان الجحيم) التى ذكر
شأنها (هى) لاغيرها وهو ضمير فصل اومبتدأ (المأوى) اى مأواه فلا يخرج من النار كما يخرج المؤمن
العاصى فالكلام فى حق الكافر لكن فيه موعظة وعبرة موقظة واللام سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب
المأوى هو الطاغى كما فى قولك غض الطرف فانه لايغض الرجل طرف غيره وذلك لان الخبر اذا كان جملة لابد فيها
من ضمير يربطها بالمبتدأ فسدت اللام مسد العائد لعدم الالتباس فلا احتياج فى مثل هذا المقام الى الرابطة
(واما من خاف مقام ربه) اى مقامه بين يدى مالك امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ماسعى وذلك
لعلمه بالمبدأ والمعاد فان الخوف من القيام بين يديه للحساب لابدان يكون مسبوقا بالعلم به تعالى وفى بعض التفاسير
المقام امامصدر ميمى بمعنى القيام او اسم مكان بمعنى موضع القيام اى المكان الذى عينه الله لان يقوم العباد فيه
للحساب والجزاء وقيل المقام مقحم للتأكيد جعل الخوف مقابلا للطغيان مع ان الظاهر مقابلته للانقياد والاطاعة
بناء على ان الخوف اول اسباب الاطاعة ثم الرجاء ثم المحبة فالاول للعوام والثانى للخواص والثالث لاخص
الخواص (ونهى النفس عن الهوى) عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها
ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها والهوى ميلان النفس الى ماتشتهيه وتستلذه من غير
داعية الشرع وفى الحديث ان اخوف ما اتخوف على امتى الهوى وطول الامل اما الهوى فيصد عن الحق
واما طول الامل فينسى الآخرة قال بعض الكبار الهوى عبارة عن الشهوات السبع المذكورة فى قوله تعالى زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
وقد ادرجها الله فى امرين كما قال انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم ادرجها فى امر واحد وهو الهوى فى الآية
فالهوى جامع لانواع الشهوات فمن تخلص من الهوى فقد تخلص من جميع القيود والبرازخ قال سهل رحمه
الله لايسلم من الهوى الا الانبياء وبعض الصديقين ليس كلهم وانما يسلم من الهوى من الزم نفسه الادب
وقال بعضهم حقيقة الانسان هى نفسه لاشئ زائد عليها وقال تعالى ونهى النفس عن الهوى فمن الناهى
لها تأمل انتهى يقول الفقير ان الانسان برزخ بين الحقيقة الالهية والحقيقة الكونية وكذا بين الحقيقة الملكية
والحقيقة الحيوانية فهو من حيث الحقيقة الاولى ينهى النفس من حيث الحقيقة الثانية كما ان النبى عليه
السلام يخاطب نفسه بقوله عليه السلام السلام عليك ايها النبى من جانب ملكيته الى جانب بشريته

اومن مقام جهده الى مقام فرقه (فان الجنة هى المأوى) له لاغيرها فهى النفس عن الهوى معناه نهيها عن جميع الهوى على ان اللام للاستغراق والا فلا معنى للحصر لان المؤمن الفاسق قد يدخل النار اولا ثم يدخل الجنة فلا يصح فى حقه الحصر اللهم الا ان يقال معنى الحصر ان الجنة هى المقام الذى لايخرج عنه من دخل فيه وفى بعض التفاسير المراد بالجنة مطلق دار الثواب فلا يخالف قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فانه جنتين بفضل الله فى دار الثواب جنة التنعيم بالنعم الجسمانية وجنة التلذذ باللذات الروحانية ودر فصول آورده كه اين آيت درشان كسى است كه قصد معصيتى كند وبران قادر باشد خلاف نفس نموده ازخداى بترسد وازعمل آن دست بازدارد * كرنفسى نفس بفرمان تست * شبهه مياوركه بهشت آن تست * نفس كشد هر نفسى سوى پست * هر كه خلافش نفسى زد برست * قال محمد بن الحسن رحمه الله كنت نائما ذات ليلة اذا انا بالباب يدق ويقرح فقلت انظروا من ذلك فقال رسول الخليفة هرون يدعوك فخفت على روحى وقت ومضيت اليه فلما دخلت عليه قال دعوتك فى مسئلة ان ام محمد يعنى زبيدة قلت لها انى امام العدل وامام العدل فى الجنة فقالت انك ظالم عاص قد شهدت لنفسك بالجنة فكذبت بذلك على الله وحرمت عليك فقلت له يا امير المؤمنين اذا وقعت فى معصية فهل تخاف الله فى تلك الحال او بعدها فقال اى والله اخاف خوفا شديدا فقلت له انا اشهد ان لك جنتين لا جنة واحدة قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فلاطفنى وامرنى بالانصراف فلما رجعت الى دارى رأيت البدر متبادرة الى عبد الملك بن مروان خليفة روزكار بود وابو حازم امام وزاهد وقت بود ازوى پرسيد كه يا ابا حازم فرداحال وكار ما چون خواهد بود كفت اكر قرآن مى خوانى قرآن تراجواب ميدهد كفت كجا ميكويد كفت فاما من طغى الى قوله فان الجنة هى المأوى بدانكه در دنيا هر نفسى را آتش شهوتست ودرعقبى آتش عقوبت هركه امروز با آتش شهوت سوخته كردد فردابا آتش عقوبت رسدو هركه امروز باب رياضت ومجاهده آتش شهوت بنشاند وهمچنين دردنيادر دل هرمؤمن بهشتى است كه انرا بهشت عرفان كويند ودرعقبى بهيشتى است كه انرا رضوان كويند هركه امروز در دنيا بهشت عرفان بطاعت آراسته دارد فردابه بهشت رضوان برسد وقال القاشانى فامامن طغى اى تعدى طورالفطرة الانسانية وتجاوز حد العدالة والشريعة الى الرتبة البهيمية اوالسبعية وافرط فى تعديه وآثر الحياة الحسية على الحقيقية بمحبة اللذات السفلية فان الجحيم مرجعه ومأواه واما من خاف مقام ربه بالترقى الى مقام القلب ومشاهدة قيوميته تعالى على نفسه ونهى النفس خوف عقابه وقهره عن هواها فان الجنة مأواه على حسب درجاته وقال بعضهم اشار بالآية الى حال المبتدئ فانه وقت قصده الى الله لايجوزله الرخصة والرفاهية خوفا من الحجاب فاذا بلغ الى مقام التصفية والمعرفة لم يحتج الى نهى النفس عن الهوى فان نفسه وجسمه وشيطانه صارت روحانية والمنتهى هناك مشتهى واحد هو مشتهى الروح فالمبتدئ مع النفس فى الاشتهاء فلذا صار من اهل النهى والمنتهى مع الرب فى ذلك ومن كان مع الرب فقد تحولت شهوته لذة حقيقة مقبولة (يسألونك) مى پرسند ترا اى يا محمد (عن الساعة) اى القيامة (ايان مرساها) ارساؤها اى اقامتها يريدون متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها فايان ظرف بمعنى متى واصله اى آن ووقت والمرسى مصدر بمعنى الارساء وهو الاثبات وهو مبتدأ وايان خبره بتقدير المضاف اذلا يخبر بالزمان عن الحدث والتقدير متى وقت ارسائها كان المشركون يسمعون اخبار القيامة واوصافها الهائلة مثل انها طامة كبرى وصاخة وقارعة فيقولون على سبيل الاستهزاء ايان مرساها (فيم انت من ذكراها) رد وانكار لسؤال المشركين عنها واصل فيم فيما كان اصل عم عما وقد سبق والذكر بمعنى الذكر كالبشرى بمعنى البشارة اى فى اى شئ انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كانك حفى عنها اى ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شئ لان ذلك فرع علمك به وانى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب فقوله من ذكراها فيه مضاف وصلته محذوفة وهى لهم والاستفهام للانكار وانت مبتدأ وفيم خبره قدم عليه ومن ذكراها متعلق بما تعلق (الى ربك منتهاها) اى انتهاء علمها ليس لاحد منه شئ ما كائنا من كان فلاى شئ يسألونك عنها عائشة رضى الله عنها فرموده كه حضرت رسول عليه السلام ميخواست كه وقت آن ازخدا بپرسد حق تعالى فرمود توازد انستن قيامت برچه چيزى يعنى علم آن حق

تونيست زنهارنا نبرسى به پر وردكارتست منتهاى علم قيامت يعنى كس راخبر ندهد چه اطلاع بران خاصة حضرت پرورد كارست قال القاشانى اى فى اى شئ انت من علمها وذكرها وانما الى ربك ينتهى علمها. فان من عرف القيامة هو الذى انمحى علمه اولا بعلم الله تعالى ثم فنيت ذاته فى ذاته فكيف يعلمها ولا علم له ولا ذات فاين انت وغيرك من علمها بل لا يعلمها الا الله وحده (انما انت منذر من يخشاها) اى وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال لا تعيين وقتها الذى لم يفوض اليك فمالهم يسألونك عماليس من وظائفك بيانه اى ما انت الا منذر لا يعلم فهو من قصر الموصوف على الصفة او ما انت منذر الا من يخشاها فهو من قصر الصفة على الموصوف وتخصيص من يخشى مع انه مبعوث الى من يخشى ومن لا يخشى لانهم هم المنتفعون به اى لا يؤثر الانذار الا فيهم كقوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد والجمهور على ان قوله منذر من يخشاها من اضافة الصفة الى معمولها للتخفيف على الاصل لان الاصل فى الاسماء الاضافة والعمل فيها انما هو بالشبه ومن قرأها بالتنوين اعتبر ان الاصل فيها الاعمال والاضافة فيها انما هى للتخفيف (كانهم) اى المنكرين وبالفارسية كوييا كفار مكه (يوم يرونها) روزى كه بينند قيامت را كداز آمدن آن همى پرسند (لم يلبثوا الا عشية او ضحاها) الضحى اسم لما بين اشراق الشمس الى استواء النهار هى عشى الى الغداة كما فى كشف الاسرار والجملة حال من الموصوف فانه على تقدير الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كأنه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها اى فى الاعتقاد عن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة اى عشية يوم واحد او ضحاه اى آخر يوم او اوله لا يوما كاملا على ان التنوين عوض عن المضاف اليه فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته والضحى والعشية لما كانا من يوم واحد تحققت بينهما ملابسة مصححة لاضافة احدهما الى الآخر فلذلك اضيف الضحى الى العشية فان قيل لم لم يقل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة قلنا لو قيل لم يلبثوا الا عشية او ضحى احتمل ان يكون العشية من يوم والضحى من يوم آخر فيتوهم استمرار اللبث من ذلك الزمان من اليوم الاول الى الزمان الآخر من اليوم الآخر واما اذا قيل الا عشية او ضحاها لم يحتمل ذلك البتة قال فى الارشاد واعتبار كون اللبث فى الدنيا او فى القبور لا يقتضيه المقام وانما الذى يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا لاستبطائهم وفى الآية اشارة الى ساعة الفناء فى الله فانها امر وجدانى لا يعرفها الا من وقع فيها اوهم باقون بنفوسهم الغليظة الشديدة فكيف يفهمونها بذكرها بلسان العبارة كما قيل من لم يذق لم يعرف كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها لاتصال آخر الفناء باول البقاء كما قال العارف الطيار العطار قدس سره كر بقا خواهى فناى خود كزين * اولين چيزى كه مى زايد بقاست * وفى الحديث من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة وهو عبارة عن استقصار مدة اللبث فيما يلقى من البشرى والكرامة فى البرزخ والموقف كذا فى حواشى ابن الشيخ رحمه الله

تمت سورة النازعات بعون خالق البريات فى يوم الاثنين ثانى صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف

(سورة عبس اربعون او احدى واربعون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عبس) من الباب الثانى والعبس والعبوس ترش روى شدن يعنى ترش كرد روى خودرا محمد عليه السلام (وتولى) اعرض يعنى روى بكردانيد (ان جاءه الاعمى) الضمير لمحمد عليه السلام وهو علة لتولى على رأى البصريين لقربه منه اى تولى لان جاءه الاعمى والعمى افتقاد البصر ويقال فى افتقاد البصيرة ايضا ولام الاعمى للعهد فيراد اعمى معروف وهو ابن ام مكتوم المؤذن الثانى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاذان ولذلك قال عليه السلام ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم وكان من المهاجرين الاولين استخلفه عليه السلام على المدينة مرتين حين خرج غازيا وقيل ثلاث مرات مات بالمدينة وقيل شهيدا بالقادسية وهى قرية قرب الكوفة قال انس رضى الله عنه رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء ويقال ليوم فتح عمر رضى الله عنه يوم القادسية فانه ظفر على العجم هناك واخذ منهم غنائم كثيرة واختلفوا فى اسم ابن ام مكتوم فقيل هو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر

ابن لؤى وقيل هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم من بنى عامر بن لؤى وهو ابن خال خديجة رضى الله عنها وام مكتوم اسم ام ابيه كذا فى الكشاف وقال السعدى هو وهم فقد نص ابن عبد البر وغيره انها امه واسمها عاتكة بنت عامر بن مخزوم (روى) ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فى مكة وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم لان عامة الناس اذا مال اكابرهم الى امر مال اليه غيرهم كما قيل الناس على دين ملوكهم فقال له يا رسول الله علمنى مما علمك الله اتنفعه و كرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه السلام بالقوم اذ السمع لا يكفى فى العلم بالتشاغل بل لابد من الابصار على انه يجوز انهم كانوا يخفضون اصواتهم عند المكالمة ويجاء الاعمى فى منقطع من الكلام فكره رسول الله قطعه لكلامه واشتغاله به عنهم وعبس واعرض عنه فرجع ابن ام مكتوم محزونا خائفا ان يكون عبوسه واعراضه عنه انما هو لشئ انكره الله منه فنزلت امام زاهد فرموده كه سيد عالم صلى الله عليه وسلم ازعقب اوروت واورا باز كردانيده ورداء مبارك خودبكسترانيد وبران نشانيد فكان رسول الله يكرمه و يقول اذا راه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى اى لامى مع بقاء المحبة و يقول له هل لك من حاجة و يقال ان رسول الله عليه السلام لم يغتم فى عمره كغمه حين انزلت عليه سورة عبس لان فيها عتابا شديدا على مثله لانه الحبيب الرشيد ومع ذلك لم يجعل ذلك الخطاب بينه و بينه فيكون ايسر للعتاب بل كشف ذلك للمؤمنين ونبه على فعله عباده المتقين ولذلك روى ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بلغه ان بعض المنافقين يؤم قومه فلا يقرأ فيهم الا سورة عبس فارسل اليه فضرب عنقه لما استدل بذلك على كفره ووضع مرتبته عنده وعند قومه قال ابن زيد لو جاز له ان يكتم شيأ من الوحى لكان هذا وكذا نحو قوله لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضاة ازواجك ونحو قوله امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكان ما فعله عليه السلام من قبيل ترك الاولى فلا يعد ذنبا لان اجتهاده عليه السلام كان فى طلب الاولى والتعرض لعنوان عماه مع ان ذكر الانسان بهذا الوصف يقتضى تحقير شأنه وهو ينافى تعظيمه المفهوم من العتاب على العبوس فى وجهه اما لتمهيد عذره فى الاقدام على قطع كلامه عليه السلام للقوم و الايذان باستحقاقه الرفق و الرأفة لا الغلظة و اما لزيادة الانكار فان اصل الانكار حصل من دلالة المقام كأنه قيل تولى لكونه اعمى وهو لا يليق بخلقه العظيم كان الالتفات فى قوله تعالى (وما يدريك) لذلك فان المشافهة ادخل فى تشديد العتاب كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجانى اذا حمى فى الشكاية مواجها له بالتوبيخ اى واى شئ يجعلك داريا و عالما بحاله و يطلعك على باطن امره حتى تعرض عنه اى لا يدريك شئ فتم الكلام عنده فيوقف عليه وليس ما بعده مفعوله بل هو ابتداء كلام وقال الامام السهيلى رحمه الله انظر كيف نزلت الآية بلفظ الاخبار عن الغائب فقال عبس وتولى ولم يقل عبست وتوليت وهذا شبيه حال الغائب المعرض ثم اقبل عليه بمواجهة الخطاب فقال وما يدريك علما منه تعالى انه لم يقصد بالاعراض عنه الا الرغبة فى الخير ودخول ذلك المشرك فى الاسلام وهو الوليد او امية وكان مثله يسلم باسلامه بشر كثير فكلم نبيه عليه السلام حين ابتداء الكلام بما يشبه كلام المعرض عند العتاب له ثم واجهه بالخطاب تأنيسا له عليه السلام بعد الايحاش فانه قيل ان ابن ام مكتوم كان قد اسلم وتعلم ما كان يحتاج اليه من امور الدين واما اولئك الكفار فما كانوا قد اسلموا وكان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكلامه فى البين سبب لقطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم والاهم مقدم على المهم فثبت بهذا ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وما فعله النبى عليه السلام كان واجبا فكيف عاتبه الله على ذلك قيل ان الامر وان كان كما ذكر الا ان ظاهر ما فعله الرسول عليه السلام يوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقراء وهو لا يليق بمنصب النبوة لانه ترك الافضل كما اشير اليه سابقا فلذا عاتبه الله تعالى (لعله) اى الاعمى (يزكى) بتشديدين اصله يتزكى اى يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكى وارد على سنن الكبرياء فان لعل فى كلام العظماء يراد به القطع والتحقيق او على اعتبار معنى الترجى بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكى مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكى كما فى قولك لعلك ستندم على ما فعلت (او يذكر)

بتشديدين ايضا اصله يتذكر والذكر هو الاتعاظ يعنى باخود بند كيرد (فتنفعه الذكرى) اى فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكى التام وفى الكشاف المعنى انك لا تدرى ماهو مترقب منه من تزكى اوتذكر ولودريت لمافرط ذلك منك انتهى اشار الى ان قوله يزكى من باب التخلية عن الآثام وقوله اويذكر من باب التحلية ببعض الطاعات ولذا دخلت كلمة الترديد فقوله اويذكر عطف على يزكى داخل معه فى حكم الترجى وقوله فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل تشبيها له بليت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر اصلا واشعار بان اللائق بالعلم ان يقصد بتعليمه تزكية متعلمه ولا ينظر الى شيمه وصورته كما ينظر العوام وبالمتعلم ان يريد بتعلمه تزكية نفسه عن ارجاس الضلالة وتطهير قلبه من ادناس الجهالة لا لاحكام الدنيا الدنية (اما) للتفصيل (من استغنى) عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التى ينطوى عليها القرآن (فانت له تصدى) بحذف احدى التاءين تخفيفا اى تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه دون الاعمى وفيه مزيد تنفيره عليه السلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام والتصدى للشئ التعرض والتقيد به والاهتمام بشأنه وضده التشاغل عنه وفى المفردات التصدى ان يقابل الشئ مقابلة الصدى اى الصوت الراجع من الجبل وفى كشف الاسرار التصدى التعرض للشئ على حرص كتعرض الصديان للماء اى العطشان وعن بعضهم اصل تصدى تصدد من الصدد وهو مااستقبلك وجاء قبالتك فابدل احد الامثال حرف علة (وماعليك ان لا يزكى) اى وليس عليك بأس ووزر ووبال فى ان لا يتزكى ذلك المستغنى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ وكيف تحرص على اسلام من ليس له قابلية وقد خلق على حب الدنيا والعمى عن الآخرة وفيه استهانة لمن اعرض عنه فما نافية وكلمة فى المقدرة متعلقة باسم ما وهو محذوف والجملة حال من ضمير تصدى مقررة لجهة الانكار (واما من جاءك يسعى) اى حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام الرشد وخصال الخير (وهو) والحال انه (يخشى) الله تعالى او يخشى الكفار واذاهم فى اتيانك قال سعدى المفتى الظاهر ان النظم من الاحتباك ذكر الغنى اولا للدلالة على الفقر ثانيا والمجئ والخشية ثانيا للدلالة على ضدهما اولا (فأنت عنه تلهى) بحذف احدى التاءين تخفيفا اى تتلهى وتتشاغل من لهى عن الشئ بكسر الهاء يلهى لهيا اعرض عنه لا من لهوت بالشئ بالفتح الهو لهوا اذا لعبت به لان الفعل مسند الى ضمير النبى ولا يليق بشأنه الرفيع ان ينسب اليه التفعل من اللهو بخلاف الاشتغال عن الشئ لمصلحة وفى بعض التفاسير ولواخذ من اللهو وجعل التشاغل باهل التغافل من جنس اللهو واللعب لكونه عبثا لا يترتب عليه نفع لم يخل عن وجه انتهى وفيه انه يلزم منه ان يكون الاشتغال بالدعوة عبثا ولا يقول به المؤمن وذلك لانه لا يجوز للنبى عليه السلام التشاغل باهل التغافل الابطريق التبليغ والارشاد فكيف لا يترتب عليه نفع وفى تقديم ضميره عليه السلام وهوانت على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته عليه السلام اى مثلك خصوصا لا ينبغى ان يتصدى للمستغنى ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وفى تقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضمونهما تنبيه حيث افادت القصة ان العبرة بالارواح والاحوال لا بالاشباح والاموال والعزيز من اعزه الله بالايمان والطاعة وان كان بين الناس ذليلا والذليل من اذله الله بالكفر والمعصية وان كان بين الناس عزيزا روى انه عليه السلام ماعبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وكان الفقراء فى مجلسه عليه السلام امراء يعنى كان يحترمهم كل الاحترام وفيه تأديب للصغير بالكبير فحملة الشرع والعلم والحكام مخاطبون فى تقريب الضعيف من اهل الخير وتقديمه على الشريف العارى عن الخير بمثل ماخوطب به النبى عليه السلام فى هذه السورة قال بعضهم بين الله درجة الفقر وتعظيم اهله وخسة الدنيا وتحقير اهلها فصح الاشتغال بصحبة الفقراء لان فيهم نعت الصدق والتجرد فالصحبة معهم مفيدة بخلاف الاشتغال بصحبة الاغنياء اذليس فيهم ذلك فالصحبة معهم ضائعة وفى الحديث (من تحامل على فقير لغنى فقد هدم ثلث دينه) يقال تحاملت على الشئ اذا تكلفت الشئ على مشقة وتحامل فلان على فلان اذا لم يعدل وقال بعض الاكابر انما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتواضع لا كابر قريش لان الاعزاء من الخلائق مظاهر العزة الالهية فكان تقديمهم على الفقراء من اهل الصفة ايوفى صفة الكبرياء حقها اذلم يشهد لها مشاركا ولكن فوق هذا المقام ماهو

اعلى منه وهو ما امره الله به آخرا بعد ما صدر سورة عبس فى قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية فامره بان لايشهده فى شئ دون شئ الاطلاق الذى هو الحق عليه كما قال جعت فلم تطعمنى وظمئت فلم تسقنى الحديث كما فى الجواهر للشعرانى (كلا) ازجر من التصدى للمستغنى و الاعراض عن ارشاد المسترشد قال الحسن لما تلا جبرائيل هذه الآيات على النبى عليه السلام عاد وجهه كأنما اسنف فيه الرماد اى تغير كأنما ذر عليه الرماد ينتظر ما يحكم الله عليه فلما قال كلا سرى عنه والتسرية اندوه از بردن اى لاتفعل مثل ذلك فانه غير لائق بك (انها) اى القرآن والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله (تذكرة) اى موعظة يجب ان يتعظ بها و يعمل بموجبها (فمن) پس هركه (شاء ذكره) اى القرآن اى حفظه ولم ينسه اواتعظ به ومن رغب عنه كما فعله المستغنى فلاحاجة الى الاهتمام بامره (فى صحف) جمع صحيفة وكل مكتوب عند العرب صحيفة وهو متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة ومابينهما اعتراض بين الصفة والموصوف جئ به للترغيب فيها والحث على حفظها اى كائنة فى صحف منتسخة من اللوح اوخبر ثان لان فالجملة معترضة بين الخبرين والسجاوندى على انه خبر محذوف اى وهى فى صحف حتى وضع علامة الوقف اللازم على ذكره هربا من ايهام تعلقه به وهو غير جائز لان ذكر من شاء لايكون فى صحف (مكرمة) عندالله لكونها صحف القرآن الكريم (مرفوعة) اى فى السماء السابعة اومرفوعة المقدار والذكر فانها فى المشهور موضوعة فى بيت العزة فى السماء الدنيا (مطهرة) منزهة عن مساس ايدى الشياطين (بأيدى سفرة) كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب اذفى الكتابة معنى السفر اى الكشف والتوضيح والكاتب سافر لانه يبين الشئ و يوضحه وسمى السفر بتحتين سفرا لانه يسفر و يكشف عن اخلاق المرء قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لاتكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة فقال القفال فى وجهه لمالم يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها الطهارة من يمسها وقال القرطبى ان المراد فى قوله تعالى لايمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة والظاهر ان تكون فى محل الجر على انها صفة لصحف اى فى صحف كائنة بايدى سفرة اومكتوبة بايدى سفرة ومن هذا وقف بعضهم على مطهرة وقفا لازما هربا من توهم تعلق الباء به (كرام) عندالله بالقرب والشرف فهو من الكرامة جمع كريم او متعطفين على المؤمنين يستغفرون لهم فهو من الكرم ضد اللؤم وقال ابن عطاء رحمه الله يريد انهم يتكرمون ان يكونوا مع ابن آدم اذا خلا مع زوجته للجماع و عند قضاء الحاجة يشير الى انهم هم الملائكة الموصوفون بقوله كراما كاتبين وفيه تأمل (بررة) اتقياء لتقدسها عن المواد ونزاهة جواهرها عن التعلقات اومطيعين لله من قولهم فلان يبر خالقه اى يطيعه اوصادقين من بر فى يمينه جمع بار مثل فجرة جمع فاجر (قتل الانسان) دعاء عليه باشنع الدعوات فان القتل غاية شدائد الدنيا وافظعها ومن فسر القتل باللعن اراد به الاهلاك الروحانى فانه اشد العقوبات وهو بالفارسية لعنت كرده باد انسان يعنى كافر وفى عين المعانى عذب (ما اكفره) ما اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه و بالفارسية چه كافرترين خلقست تعجب من افراطه فى الكفران اى على صورته فان حقيقة التعجب انما تتصور من الجاهل بسبب خفى من سبب الشئ والذى احاط علمه بجميع المعلومات لايتصور منه ذلك فهو فى الحقيقة تعجيب من الله لخلقه و بيان لاستحقاقه للدعاء عليه اى اعجبوا من كفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه وادعوا عليه بالقتل واللعن ونحو ذلك لاستحقاقه لذلك قال بعضهم لعن الله الكافر وعظم كفره حيث لم يعرف صانعه ولم يعرف نفسه التى لوعرفها عرف صانعها وقال ابن الشيخ هذا الدعاء وارد على اسلوب كلام العرب فهو ليس من قبيل دعاء من يعجز عن انتقام من يسوءه وكذا هذا التعجب ليس على حقيقته لانه تعالى منزه عن العجز والجهل بل المقصود بايراد ماهو فى صورة الدعاء الدلالة على سخطه العظيم والتنبيه على انه استحق اهول العقوبات و اشنعها و بايراد صيغة التعجب الذم البليغ له من حيث ارتكابه افبح القبائح ولاشك ان السخط يجوز من الله وكذا الذم و يجوز ان يكون ما اكفره استفهاما بمعنى التقريع والتوبيخ اى اى شئ حمله على الكفر و المراد من الانسان اما من استغنى عن القرآن المذكور نعوته واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من افراده لاباعتبار جميع افراده (من اى شئ خلقه) اى من اى شئ

حقير مهين خلقه يعنى نمى انديشد كه خداى تعالى ازچه چيز بيا فريداورا ثم بينه بقوله (من نطفة) قذرة (خلقه) فمن كان اصله مثل هذا الشئ الحقير كيف يليق به التكبر والتجبر والكفران بحق المنعم الذى كسا ذلك الحقير بمثل هذه الصورة البهية وقف السجاوندى على قوله من نطفة حتى وضع عليه علامة الوقف المطلق بتقدير خلقه آخر بدلالة ماقبله وجعل قوله خلقه فقدره جملة اخرى استئنافية لبيان كيفية الخلق واتمامه من انعامه ومن جعله متعلقا بما بعده على ماهو الظاهر لم يقف عليه (فقدره) فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال اى احدثه بمقدار معلوم من الاعضاء والاشكال والكمية والكيفية فجعله مستعدا لان ينتهى فيها الى القدر اللائق بمصلحته فلا يلزم عطف الشئ على نفسه وذلك ان خلق الشئ ايضا تقديره واحداثه بمقدار معلوم من الكمية والكيفية وبالفارسية پس اندازه او بديد كرد از اعضاء واشكال وهيئات در بطن مادر اوفقدره اطوارا الى ان تم خلقه فالتقدير المتفرع على الخلق مأخوذ من القدر بمعنى الطور اى اوجده على التقدير الاولى ثم جعله ذا اطوار من علقة ومضغة الى آخر اطواره ذكرا اوانثى شقيا اوسعيدا قال بعضهم وعلى الوجهين فالفاء للتفصيل فان التقدير يتضمن على المعنيين (ثم السبيل يسره) منصوب بمضمر يفسره الظاهر اى سهل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم وكان غير مفتوح قبل الولادة والهمه ان ينتكس بان ينقلب ويصير رجله من فوق ورأسه من تحت ولولا ذلك لايمكنها ان تلدا ويسر له سبيل الخير والشر فى الدين ومكنه من السلوك فيهما وذلك بالاقدار والتعريف له بما هو نافع وضار والعقل وبعثة الانبياء وانزال الكتب ونحو ذلك وتعريف السبيل باللام دون الاضافة بان يقال سبيله للاشعار بعمومه لانه عام للانس والجن على المعنى الثانى وللحيوانات ايضا على المعنى الاول قال ابن عطاء رحمه الله يسر على من قدر له التوفيق طلب رشده واتباع نجاته وقال ابو بكر بن طاهر رحمه الله يسر على كل احد ما خلقه له وقدره عليه (ثم اماته) اى قبض روحه عند تمام اجله المقدر المسمى (فأقبره) اى جعله فى قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا اى قطعا للسباع والطير كسائر الحيوان قال فى كشف الاسرار لم يجعله مما يطرح للسباع اويلقى للنواويس والقبر مما اكرم به المسلمون انتهى يقال قبر الميت اذا دفنه بيده والقابر هو الدافن والقبر هو مقر الميت واقبره اذا امر بدفنه اومكن منه فالمقبر هو الله لانه الآمر بالدفن فى القبور قال فى المفردات اقبرته جعلت له مكانا يقبر فيه نحو اسقيته جعلت له ماء يستقى منه وقيل معناه الهم كيف يدفن انتهى (وفى المثنوى) كندن كورى كه كمتر پيشه بود * كى زمكر وحيله واند يشه بود * جمله حرفتها يقين ازوحى بود * اول اوليك عقل او افزود * وعد الاماتة من النعم بالنسبة الى المؤمن فانه بالموت يتخلص من سجن الدنيا وايضا ان شأن الموت ان يكون تحفة ووصلة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم وانما كان مفتاح كل بلاء ومحنة فى حق الكافر من سوء اعتقاده وسيئات اعماله وفى بعض التفاسير ذكر الاماتة اما لانها مقدمة الاقبار واما للتخويف والتذكير بان الحياة الدنيوية فانية آخرها الموت وعن الشافعى رحمه الله

فلا تمشين فى منكب الارض فاخرا * فعما قليل يحتويك ترابها

واما الحث على الاستعداد وامارعاية المقابلة بينه وبين انشره تنبيها على كمال قدرته وتمام حكمته (ثم اذا شاء انشره) اى اذا شاء انشاره واحياءه وبعثه انشره واحياه وبعثه وفى تعليق الانشاء بمشيئته له ايذان بان وقته غير متعين فى نفسه بل هو تابع لها بخلاف وقت الموت فانا نجزم بان احدا من ابناء الزمان لايتجاوز مائة وخمسين سنة مثلا وليس لاحد مثل هذا الجزم فى النشور هكذا قالوا وفيه ان الموت ايضا له سن معلوم واجل محدود فكيف يتعين فى نفسه ويجزم بوقوعه فى سن كذا بحيث لايكون موكولا الى مجرد مشيئته تعالى ولعل تقييد الانشار بالمشيئة لاينافى تقييد الموت بها ايضا اذ لايجرى عليه تعالى زمان وانه من مقدمات القيامة ولذا قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته اى لاتصال زمان الموت بزمان القيامة فهو قيامة صغرى مجهولة كالقيامة الكبرى وفيه اشارة الى ان الميت ان كان من اهل السعادة فانشاره من قبور اهل السعادة وان كان مدفونا فى قبور اهل الشقاوة وان كان من اهل الشقاوة فانشاره من قبور اهل الشقاوة وان كان مدفونا فى قبور اهل السعادة ولذا قال صاحب المشارق فى خطبة كتابه ثم اذا شاء منها انشره اى من مكة فان من دفن بمكة ولم يكن لائقا بها تنقله الملائكة الى موضع آخر وفى الحديث (من مات من امتى يعمل عمل قوم لوط

نقله الله اليهم حتى يحشر معهم وفى حديث آخر (من مات وهو يعمل عمل قوم لوط سار به قبره حتى يصير معهم و يحشر يوم القيامة معهم) كما فى الدرر المنتثرة للامام السيوطى رحمه الله وحكى ان شخصا كان يقال له ابن هيلان من المبالغين فى التشيع بحيث يفضى الى مايستقبح فى حق الصحابة مع الاسراف على نفسد بينما هو يهدم حائطا اذ سقط فهلك فدفن بالبقيع فلم يوجد ثانى يوم الدفن فى القبر الذى دفن به ولا التراب الذى ردم به القبر بحيث يستدل بذلك لنبشه وانما وجدوا اللبن على حاله حسبما شاهده الجم الغفير حتى كان ممن وقف عليه القاضى جمال الدين وصار الناس يجيئون لرؤيته ارسالا الى ان اشتهر امره وعد ذلك من الآيات التى يعتبر بها من شرح الله صدره نسأل الله السلامة وحكى ايضا ان محمد بن ابراهيم المؤذن حكى عنه انه حمل ميتا فى ايام الحاج ولم يوجد من يساعده عليه غير شخص قال فحملناه ووضعناه فى اللحد ثم ذهب الرجل وجئت انا باللبن لاجل اللحد فلم اجد الميت فى اللحد فذهبت وتركت القبر على حاله ونقل ان بعض الصلحاء ممن لم يمت بالمدينة رؤى فى النوم وهو يقول للرائى سلم على اولادى وقل لهم انى قد حملت ودفنت بالبقيع عند قبر العباس فاذا ارادوا زيارتى فليقفوا هناك ويسلموا ويدعوا كذا فى المقاصد الحسنة للسخاوى وفى الآية اشارة الى ان الانسان ما كان له ان يكفر لان الله خلقه من نطفة الوجود المطلق وهيأه لمظهرية ذاته وصفاته واسمائه ثم سهل عليه سبيل الظهور بمظاهر الاسماء الجمالية والجلالية ثم اماته عن انانيته فاقبره فى قبر الفناء عن رؤية الفناء ثم اذا شاء انشره بصورة البقاء بعد الفناء فعلى العبد ان يعرف قدر النعمة ولا يظهر بالعجب والغرور بان يدعى لنفسه ما كان لله من الكمالات كالعلم والقدرة والارادة ونحوها (كلا) ردع للانسان عما هو عليه وجعله السجاوندى بمعنى حقا ولذا لم يقف عليه بل على امره فانه اذا كان بمعنى حقا يكون تابعا لما بعده (لما يقض ما امره) قال فى بعض التفاسير ما فى لما صلة دخلت للتأكيد كقوله فبما رحمة من الله فلما بمعنى لم وليس فيه معنى التوقع وفى ما امره موصولة وعائده يجوز ان يكون محذوفا والتقدير ما امره به فحذف الجار اولا فبقى ما امره هو ثم حذف الهاء العائد ثانيا ويجوز ان يكون باقيا على ان المحذوف من الهاءين هو العائد الى الانسان والباقى هو العائد الى الموصول فاعرف وقس عليه امثاله اى لم يقض الانسان ما امره الله به من الايمان والطاعة ولم يؤد ولم يعرف ولم يعمل به وعدم القضاء محمول على عموم النفى اما على ان المحكوم عليه هو المستغنى او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند الى الكل فلا شياع فى اللوم بحكم المجانسة واما على ان مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلى دون السلب الكلى فالمعنى لما يقض جميع افراده ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا وكفته اند مراد همه آدميانند از آدم تا باين غايت وهركز هيج آدمى از عهده حقوق اداء اوامر الهى كما ينبغى بيرون نيايد ونتوان آمد * بنده همان به كه زتقصير خويش * عذر بدركاه خداى آورد * ورنه سزاوار خداونديش * كس نتواند كه بجاى آورد * وفى التأويلات النجمية كلا لما يقض ما امره من الاتيان بمواجب حقوقنا من الظهور بحقائق اسمائنا والقيام بفضائل صفاتنا (فلينظر الانسان الى طعامه) شروع فى تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اى فلينظر الانسان الى طعامه الذى عليه يدور امر معاشه كيف دبرناه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فلينظر الانسان الى طعامه ليعلم خسة قدره وفناء عمره وفى الحديث (ان مطعم ابن آدم جعله الله مثلا للدنيا وان قزحه وملحه فانظر الى ماذا يصير) يقال قزح القدر جعل التابل فيها وهو كصاحب وهاجر ازار الطعام وملحها جعل الملح فيها (انا صببنا) انزلنا انزالا وافيا من السحاب (الماء) اى الغيث وهو المطر المحتاج اليه بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فالثانى مشتمل على الاول اذ لا يلزم فيه ان يكون المبدل منه مشتملا على البدل فحينئذ العائد محذوف والتقدير صببناله (صبا) عجيبا (ثم شققنا الارض) بالنبات ولما كان الشق بعد الصب اورد كلمة ثم والشق بالفارسية شكافتن (شقا) بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة (فانبتنا فيها) اى فى الارض المشقوقة بالنبات والفاء للتعقيب (حبا) فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما وهو جنس الحبة كالتمر والتمرة فيشمل القليل

والكثير قدمه لانه الاصل فى الغذاء (وعنبا) عطف على حبا وليس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلاضير فى خلو انبات العنب عن شق الارض وكذا فى امثاله كذا قال فى الارشاد ولعل شق الارض فيه باعتبار اصله اول خروجه منهما فان المراد هنا شجرة العنب وانما ذكره والزيتون باسم الثمرة لشهرتهما بها ووقوع كل منهما بعدما يؤكل نفسه فاعرف وافرد العنب بالذكر من بين الثمار لانه فاكهة من وجه يتلذذ به وطعام من وجه يتغذى به وهو من اصلح الاغذية (وقضبا) اى رطبة وهى نبات يقال له القضقضة وبالفارسية اسپست ومعربه الاسفست سميت بمصدر قضبه اى قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثره اذ تقضب مرة بعد اخرى فى السنة نفس القطع وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه الرطب التى تقضب من النخل ورجحه بعضهم لمناسبته بالعنب وقال بعضهم هو مثل النعناع والطرخون والكراث وغيرها التى يقطع ساقها من اصلها يعنى للاكل وبعضهم هو القت الرطب افرده بالذكر تنبيها على اختلاف النباتات وان منها ما اذا قطع عاد ومنها ما لا يعود والقت حب الغاسول وهو الاشنان وقيل هو حب يابس اسود يدفن فيلين قشره ويطحن ويخبز يقتاته اعراب طيء وبعضهم هو كل ما يؤكل رطبا كالبطيخ والخيار والباذنجان والدباء (وزيتونا) هو ما يعصر منه الزيت والمراد شجرته وتعمر ثلاثة آلاف سنة خصه بالذكر لكثرة فوائده خصوصا لاهالى بلاد العرب فانهم ينتفعون به اكلا وادهانا واستضاءة وتطهرا فانه يجعل فى الصابون وكان عليه السلام يتطيب به فى الاوقات (ونخلا) هو شجر التمر جمع نخلة والرطب والتمر من انفع الغذاء وفى العجوة خاصية دفع السم والسحر وشجرته من فضلة طينة آدم عليه السلام كما سبق مفصلا (وحدائق غلبا) جمع حديقة وهى الروضة ذات الشجر او البستان من النخل والشجر او كل ما احاط به البناء او القطعة من النخل كما فى القاموس وهى هنا من قبيل التعميم بعد التخصيص والغلب جمع اغلب كحمر جمع احمر او حمراء مستعار من وصف الرقاب يقال رجل اغلب واسد اغلب اى غليظ العنق فالمعنى وحدائق عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ فعلى الاول استعارة معنوية وعلى الثانى مجاز مرسل فان اريد من غلظ العنق والرقبة مطلق الغلظ بطريق اطلاق المقيد وارادة المطلق كاطلاق المرسن على الانف واجرى على الحدائق وصفا لها بحال متعلقها وهو الاشجار سمى استعارة بناء على اللغة وفى كشف الاسرار الغلب من الشجر التى لا تثمر كالشمار والارز والعرعر والدرداء (وفاكهة) كثيرة غير ما ذكر والعنب والرمان والرطب من الفواكه عند الامامين لا عند الامام الاعظم لان العطف يقتضى المغايرة والظاهر ان مراد الاعظم ان نحو العنب والرطب لكونه مما يؤكل غذاء يحقق القصور فى معنى التفكه به اى التنعم بعد الطعام وقبله فلا يتناوله اسم الفاكهة على الاطلاق حتى اوحلف لا يأكل فاكهة لا يحنث بأكله لكونه غذاء من وجه وان كان فاكهة من وجه آخر وعطف الفاكهة عليه لا ينافى كونه فاكهة من وجه لان المراد بالفاكهة المعطوفة ما هو فاكهة من كل وجه ولا يخفى ان الفاكهة من كل وجه مغايرة لما هو فاكهة من وجه دون وجه فيصح عطفها عليه او عطفه عليها كما فى مواضع من القرآن (وابا) اى مرعى من ابه اذا امه اى قصده لانه يؤم ويقصد جزه للدواب او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيء للرعى واب الى وطنه اذا نزع اليه نزوعا تهيأ لقصده وكذا اب لسيفه اذا تهيأ لسله واباب ذلك فعلان منه وهو الزمان المتهيء لفعله ومجيئه او الاب الفاكهة اليابسة توءب للشتاء اى تعد وتهيأ وهو الملائم لما قبله وفى الحديث (خلقتم من سبع ورزقتم من سبع فاسجدوا لله على سبع) اراد بقوله خلقتم من سبع يعنى من نطفة ثم من علقة الخ وهى التارات السبع وبقوله رزقتم من سبع قوله حبا وعنبا الى ابا لعل الحدائق خارجة عن الحساب لانها منابت تلك المرزوقات وبقوله فاسجدوا على سبع الاعضاء السبعة وهى الوجه واليدان والركبتان والرجلان (متاعا لكم ولانعامكم) مفعول له اى فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدابهم والالتفات لتكميل الامتنان وفى الآية اشارة الى حب المحبة الذاتية وخمير المحبة الصافية المتخذة من عنب الصفات وخمر المحبة الافعالية المتخذة من رطب وزيتون المعرفة ونخل التوحيد العالى من ان يصل اليه كل مدع كذاب وفاكهة الوجدانيات والذوقيات وحدائق الشوق والاشتياق والود والتجريد ونحوها واب مراعى الشهوات الحيوانية فبعض هذه النعم الشريفة مخصوص بالخواص

كالارواح والاسرار والقلوب وبعضها بالعوام كالنفوس البشرية والقوى الطبيعية العنصرية (واذاجاءت الصاخة) شروع فى بيان احوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب مابعدها على ماقبلها من فناء النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها وجواب اذامحذوف يدل عليه يوم يفر الخ اى اشتغل كل احد بنفسه والصاخة هى الداهية العظيمة التى يصخ لها الخلائق اى يصيخون لها من صخ لحديثه اذا اصاخ واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصيخون لها فى قبورهم فاسند الاستماع الى المسموع مجازا وقيل هى الصيحة التى تصم الآذان لشدة وقعها وقيل هى مأخوذة من صخه بالحجر اى صكه فتكون الصاخة حقيقة فى النفخة (يوم يفر المرء) روزى كه بكريزد مرد (من اخيه) ازبرادر خود باوجود موانست ومهربانى (وامه) وازمادر خود باكثرت حقوق كه اوراست (وابيه) واز پدر خود باوجود شفقت وعاطفت كه ازوديده (وصاحبته) وازرن خود بانكه مونس روزكارا و بوده (وبنيه) وازفرزندان خود باخيال استظهار بديشان اى يعرض الانسان عنهم ولايصاحبهم ولايسأل عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه ولعلمه انهم لايغنون عنه شيأ فقوله يوم منصوب باعنى تفسيرا للصاخة وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة لان الابوين اقرب من الاخ وتعلق القلب بالصاحبة والاولاد اشد من تعلقه بالابوين وهذه الآية تشمل النساء كما تشمل الرجال ولكنها خرجت مخرج كلام العرب حيث تدرج النساء فى الرجال فى الكلام كثيرا قال عبد الله بن طاهر الابهرى قدس سره يفر منهم اذا ظهرله عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ولوظهرله ذلك فى الدنيا لما اعتمد على سوى ربه الذى لايعجزه شئ وتمكن من فسحة التوكل واستراح فى ظل التفويض وفى الآية اشارة الى فرار مرء القلب عن اخيه السر وامه النفس وابيه الروح وصاحبته القوى البشرية وبنيه الاعمال والاحوال لان فى ذلك اليوم لايتخلص احد بعمله بل بفضله وطوله كما قال عليه السلام لن يدخل احدكم الجنة بعمله قالوا ولاانت يارسول الله قال ولاانا الاان يتغمدنى الله بغفرانه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) استئناف وارد لبيان سبب الفرار والشأن لايقال الافيما يعظم من الاحوال والامور اى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به قال ابن الشيخ اى الهم الذى حصل له قدملاء صدره فلم يبق فيه متسع فصار بذلك شبيها بالغنى فى انه ملك شيأ كثيرا ودرباب مشغولئ قيامت فريد الدين عطاررا قدس سره حكايتى منظوم است * كشتئ آورد در درياشكست * تختهٔ زان جمله بربالانشست * كربه وموشى دران تخته بماند * كار شان بايكدكر يخته بماند * نه زكربه موش راروى كريز * نه بموش آن كربه راچنكال تيز * هردوشان ازهول درياى عجب * درتحيرباز مانده خشك لب * درقيامت نيزاين غوغا بود * يعنى آنجاى توونى مابود * وفى الخبر ان عائشة رضى الله عنها قالت يارسول الله كيف يحشر الناس قال حفاة عراة قالت وكيف تحشر النساء قال حفاة عراة قالت عائشة واسوأتاه النساء مع الرجال حفاة عراة فقرأ رسول الله عليه السلام هذه الآية لكل امرئ الخ واما الفرار حذرا من مطالبتهم بالتبعات بان يقول الانسان واسيتنى بمالك والابوان قصرت فى برنا والصاحبة اطعمتنى الحرام وفعلت وصنعت والبنون ماعلمتنا وما ارشدتنا او بغضا لهم كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبى من امه وابراهيم من ابيه ونوح من ابنه ولوط من امرأته فليس من قبيل الفرار المذكور وكذا ماروى ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه لئلا يروه على ماهو عليه من سوء الحال قال بعض المشايخ من كان اليوم مشغولا بنفسه فهوغدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهوغدا مشغول بربه وقال يحيى بن معاذ اذاشغلتك نفسك فى دنياك وعقباك عن ربك اما فى الدنيا ففى طلب مرادها واتباع شهواتها واما فى الآخرة فكما اخبرالله عنه بقوله لكل امرئ منهم الخ فتى تفرغ الى معرفة ربك وطاعته وقال بعضهم العارف مع الخلق ولكنه يفارقهم بقلبه كما قيل

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وابحت جسمى من اراد جلوسى

(وجوه يومئذ مسفرة) بيان لمآل امر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم فى داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها فى حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ اى يوم اذيفر

المرء متعلق به اى مضيئة متهللة بنورية ذواتهم وصفاتها من اسفر الصبح اذا اضاء فهو من لوازم الافعال قال فى المفردات الاسفار يختص باللون ومسفرة اى مشرق لونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ذلك من قيام الليل وفى الحديث (من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار) وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول مااغبرت فى سبيل الله (ضاحكة مستبشرة) بماتشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة (قال الكاشفى) ضاحكة خندان مستبشرة شادمان و فرحناك بسبب نجات ازنيران و وصول بروضه جنان و فى بعض التفاسير ضاحكة مسرورة فرحة لما علم من الفوز والسعادة اولفراغه من الحساب بالوجه اليسير مستبشرة اى ذات بشارة بالخير كأنه بيان لقوله ضاحكة انتهى وفى عين المعانى ضاحكة من مسرة العين مستبشرة من مسرة القلب وقيل من الكفار شماتة وبانفسهم فرحا وقال ابن طاهر رحمه الله كشف عنها ستور الغفلة فضحكت بالدنو من الحق واستبشرت بماشاهدته وقال ابن عطاء رحمه الله اسفرت تلك الوجوه بنظرها الى مولاها واضحكها رضى الله عنها وقال سهل رحمه الله منورة بنور التوحيد واتباع السنة وفى التأويلات النجمية وجوه ارباب الارواح والاسرار والقلوب العارفين بالمعارف الالهية الحقائق اللاهوتية مضيئة بانوار العلوم والحكم ضاحكة مستبشرة بنعم المكاشفات ومنح المشاهدات يقول الفقير وجوه يومئذ مسفرة لابيضاضها فى الدنيا بالتزكية والتصفية وزوال كدورتها ضاحكة لانها بكت فى الله ايام دنياها حتى صارت عمياء عن رؤية ماسوى الله تعالى مطلقا كما وقع لشعيب و يعقوب عليهما السلام مستبشرة لأمنها بدل خوفها فى الدنيا ولذا قال لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بان تقول لهم الملائكة لاتخافوا وابشروا بالجنة والرؤية والضحك انبساط الوجه وتكشر الاسنان من سرور النفس ولظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان ضواحك و يستعمل فى السرور المجرد كما فى الآية قال الراغب واستبشر اى وجد مايبشره من الفرح و بشرته اخبرته بسار بسط بشرة وجهه وذلك ان النفس اذاسرت انتشر الدم انتشار الماء فى الشجرة (ووجوه يومئذ عليها غبرة) اى غبار وكدورة وفى الخبر يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم وقيل هى غبرة الفراق والذل (ترهقها) اى تعلوها وتغشاها (قترة) اى سواد وظلمة كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما اذا اغبر وجه الزنجى قال الراغب القتر هو الدخان الساطع من الشواء والعود ونحوهما وقترة نحو غبرة وذلك شبه دخان يغشى الوجه من الكذب قال السرى قدس سره ظاهر عليها حزن البعاد لانها صارت محجوبة عن الباب مطرودة وقال سهل قدس سره غلب عليها اعراض الله عنها ومقته اياها فهى تزداد فى كل وقت ظلمة وقترة (اولئك هم الكفرة الفجرة) اى اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته هم الجامعون بين الكفر والفجور فلذا جمع الله الى سواد وجوههم الغبرة وفى الحديث (ان البهائم اذا صارت ترابا يوم القيامة حول ذلك التراب فى وجوه الكفار) وفى عين المعانى اولئك هم الكفرة فى حقوق الله الفجرة فى حقوق العباد انتهى وفيه اشارة الى ان الفجور الغير المقارن بالكفر ليس فى درجة المقارن فى المذمومية والسيئة للحقارة والخذلان لان اذ اصل الفجور الكذب و الميل عن الحق و يستعمل فى الذنب الكبير وكثيرا مايقع ذلك من المؤمن العاصى لكن ينبغى ان يخاف منه و يحذر عنه لان كبائر الذنب تجر الى الكفر كما ان صغائره تجر الى الكبائر يكى ازجلهٔ بزركان دين كفته كه اين زروسيم وانواع اموال نه عين دنياست كه اين ظروف واوعيهٔ دنياست همچنين حركات وسكنات وطاعات بنده نه عين دين است كه آن ظروف واوعيهٔ دين است دين جمله سوزودرداست ودنيا همه حسرت و باد سرد است قارون آن همه زروسيم وانواع اموال كه داشت مكروه نبود باز ازوچون حقوق حق تعالى طلب كردند امتناع نمود وحقوق حق نكزارد وكشش او بجانب زروسيم واموال دنيا مكروه بود اى بساكسا كه دانكى درخواب نديد وفردا فرعون اهل دنيا خواهد بود كه دل اوآلودهٔ حرص دنياست واى بساكسا كه اموال دنيا در ملك اونهادند وفردا دل خويش بازسپارد كه داغى ازين دنيا بروى ظاهر نبود سرانجام مرد ديندار دنياكذار اينست كه درآخر سوره كفت وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وعاقبت كار دنياكاردين كذار اينست كه كفت وجوه يومئذ عليها غبرة الخ وقال بعضهم وجوه اصحاب النفوس المتمردة وارباب الهوى عليها غبرة الانانية وغبار الانية يغطيها سواد الاثنينية وظلمة الثنوية هم الذين ستروا وجود الحق بغبرة وجودهم وشقوا وقطعوا

نفوسهم المظلمة عن متابعة الارواح المنورة عصمنا الله واياكم من ذلك
(وتمت سورة عبس بفضل الله تعالى يوم الاثنين ثامن صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف)

(سورة التكوير تسع او ثمان وعشرون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا الشمس كورت) ارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور لا فاعلة لان الفاعل لا يتقدم وعند البعض على الابتداء لان التقدير خلاف الاصل والاول اولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط مختص بالفعل وعلى الوجهين الجملة فى محل الجر باضافة اذا اليها ومعنى كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بضم بعض اجزائها لبعض على جهة الاستدارة على ان المراد بذلك اما رفعها وازالتها عن مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه عن مكانه وستره يجعله فى صندوق اوغيره يلف لفائفها و يطوى نحو قوله تعالى يوم نطوى السماء فكان بين السماء والرفع علاقة المزوم فتكويرها كناية عن رفعها قال سعدى المفتى ولا منع من ارادة المعنى الحقيقى ايضا وكون الشمس كرة مصمتة على تسليم صحته لا يمنع من تلك الارادة لجواز ان يحدث الله فيها قابلية التكوير بان يصيرها منبسطة ثم يكورها ان الله على كل شئ قدير انتهى * واما لف ضوئها المنبسط فى الآفاق المنتشر فى الاقطار بان يكون اسناد كورت الى ضمير الشمس مجازيا او بتقدير المضاف على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم فاللف على هذا مجاز عن الاعدام اذ لا مساغ لارادة المعنى الحقيقى لان الضوء لكونه من الاعراض لا يتصور فيه اللف وقال بعضهم ان الله قادر على ان يطمس نورها مع بقائها فقول الكشاف لانها مادامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف فيه نظر انتهى وجوابه ما اشير اليه من حكم الاستلزام وقيل معنى كورت القيت من فلكها على وجه الارض كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض وفى الحديث (ان الشمس والقمر ثوران مكوران فى النار يوم القيامة) اى مرميان فيها ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن البصرى رحمه الله قال وما ذنبهما وقال الامام سؤال الحسن ساقط لان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما فى النار لا يكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يكون سببا لازدياد الحر فى جهنم وكذا قال الطيبى تكويرهما فيها ليعذب بهما اهل النار لا سيما عباد الانوار لا ليعذبهما فى النار فانهما بمعزل عن التكليف بل سبيلهما فى النار سبيل النار نفسها وسبيل الملائكة الموكلين بها انتهى وكذا قال فى تفسير الفاتحة للفنارى ان السماء اذا طويت واحدة بعد واحدة رمى بكواكبها فى النار يقول الفقير قول الحسن ادق فان النور لا يلحق بالنار الا ان يكون فيه مرتبة النارية ايضا فالشمس يلحق نورها بنور العرش ونارها بنار جهنم وقد سبق فى سورة النبأ فارجع فان قيل كيف يمكن تكويرهما فى النار وقد ثبت بالهندسة ان قرص الشمس فى العظم يساوى كرة الارض مائة وستين مرة وربع الارض وثمنها اجيب بان الله تعالى قادر على ان يدخلها فى قشرة جوزة على ذلك العظم يقول الفقير قد ثبت ان الله تعالى يمد الارض يوم القيامة فتكون اضعاف ما كانت عليه على ان وسعة الدارين تابعة لكثرة اهليهما ووسعهم لانه ثبت ان ضرس الكافر مثل جبل احد وجسمه مسيرة ثلاثة ايام فاذا كان جسد كل كافر على هذا الغلظ والعظم فاعتبر منه وسعة جهنم فقرص الشمس فى النار كجوزة فى وسط بيت واسع ولا يعرف حد الدارين الا الله تعالى (واذا النجوم) جمع نجم وهو الكوكب الطالع وبه شبه طلوع النبات والرأى وقيل نجم النبت والرأى نجما ونجوما فالنجم اسم مرة ومصدر اخرى (انكدرت) اى تنثرت وتساقطت بالسرعة كما قال واذا الكواكب انتثرت والاصل فى الانكدار الانصباب فان السماء تمطر يومئذ نجومها فلا يبقى فى السماء نجم الا وقع على وجه الارض وذلك ان النجوم على ما روى ابن عباس رضى الله عنهما فى قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بايدى ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت تلك الكواكب من ايديهم لانه مات من يمسكها وفيه اشارة الى طى ضوء شمس الروح الذى هو الحياة وقبضه عن البدن وازالته وتنثر نجوم الحواس العشرة الظاهرة والباطنة وايضا الى تكوير الوجود الاضافى المنعكس من الوجود المطلق الحقيقى عند ظهور الحقيقة والى اضمحلال نجوم الهويات وهياكل الماهيات بحيث لا يبقى لها اثر لانها نسب عدمية واعتبارات محضة (واذا الجبال سيرت) رفعت عن وجه الارض وابعدت عن اماكنها بالرجفة

الحاصلة لافى الجو كالسحاب فان ذلك بعد النفخة الثانية والسير المضى فى الارض والتسيير ضربان باختيار وارادة من السائر نحو هو الذى يسيركم و بقهر وتسخير كتسيير الجبال وفيه اشارة الى جبال الاعضاء والجوارح الراسيات سيرت عن ارض تعيناتها وايضا الى جبال الانواع والاجناس الواقعة فى عالم التعينات (واذا العشار) جمع عشراء كنفاس ونفساء وليس فعلاء يجمع على فعال غير عشراء ونفساء كما فى القاموس والعشراء هى الناقة التى اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهى انفس اموال العرب ومعظم اسباب معاشهم (عطلت) العطل فقدان الزينة والشغل ويقال لمن يجعل العالم بزعمه فارغا عن صانع اتقنه وزينه ورتبه معطل وعطل الدار عن ساكنيها والابل عن راعيها والمعنى واذا العشار تركت مسيبة مهملة غير منظور اليها مع كونها محبوبة مرغوبة عند اهلها لاشتغال اهلها بانفسهم وذلك عند مجئ مقدمات قيام الساعة فان الناس حينئذ يتركون الاموال والاملاك ويشتغلون بانفسهم كما قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون وقال الامام ابو الليث وغيره هذا على وجه المثل لان فى القيامة لا تكون ناقة عشراء يعنى ان هول القيامة بحال او كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه لعلهم جعلوا يوم القيامة مابعد النفخة الثانية اومبادى الساعة من القيامة لكن يمكن وجود العشراء فى المبادى فلا يكون تمثيلا وفيه اشارة الى النفوس الحاملات احمال الاعمال والاحوال وايضا الى تعطيل عشار الارجل المنتفع بها فى السير عن الاستعمال فى المشى وترك الانتفاع بها (واذا الوحوش) قال فى القاموس الوحش حيوان البر كالوحيش والجمع وحوش ووحشان والواحد وحشى قال ابن الشيخ هو اسم لما لا يستأنس بالانسان من حيوان البر والمكان الذى لا انس فيه وحش وخلاف الوحشى الاهلى (حشرت) اى جمعت من كل جانب واختلط بعضها ببعض وبالناس مع نفرة بعضها عن البعض وعن الناس ايضا وتفرقها فى الصحارى والقفار وذلك الجمع من هول ذلك اليوم وقيل بعثت للقصاص اظهارا للعدل قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته او صوته كالطاووس والبلبل ونحوهما فاذا بعثت الحيوانات للقصاص تحقيقا لمقتضى العدل فكيف يجوز مع هذا ان لا يحشر المكلفون من الانس والجن وفيه اشارة الى القوى البشرية الطبيعية النافرة عن جناب الحق وباب القدس بان اهلكت وافنيت وجمعت الى ما منه بدت (واذا البحار سجرت) اى احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا مختلطا عذبها بملحها وبالعكس فتعم الارض كلها من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه ووجه الاحماء ان جهنم فى قعور البحار الا انها الآن مطبقة لا يصل اثر حرارتها الى ما فوقها من البحار ليتيسر انتفاع اهل الارض بها فاذا انتهت مدة الدنيا يرفع الحجاب فيصل تأثير تلك النيران الى البحار فتسخن فتصير حميما لاهل النار او تبعث عليها ريح الدبور فتنفخها وتضربها فتصير نارا على ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما فى وجه الاحماء درفتوحات مذكورست كه هركاه كه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما دريارا بديدى كفتى يا بحر متى تعود نارا ووجه الامتلاء ان الجبال تندك وتتفرق اجزاؤها وتصير كالتراب الهائل الغير المتماسك فلا جرم تنصب اجزاؤها فى اسافلها فتمتلئ المواضع الغائرة من الارض فيصير وجه الارض مستويا مع البحار فتصير البحار بحرا واحدا مسجورا اى ممتلئا وقال بعضهم ملئت بارسال عذبها على ما لحها ام اسيلت حتى بلغت الثور فابتلعها فلما بلغت الى جوفه نفدت وعن الحسن رحمه الله يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة قال الراغب وانما يكون كذلك لتسجير النار فيها اى اضرامها والتشديد فى مثل هذه الافعال قد يكون لتكثير الفعل وتكريره والتخفيف يحتمل القليل والكثير وخصت هذه السورة بسجرت موافقة لقوله سعرت لان معنى سجرت عند اكثر المفسرين او قدت فصارت نارا فيقع التوعد بتسعير النار وتسجير البحار وخصت سورة الانفطار بفجرت موافقة لقوله واذا الكواكب انتثرت لان فى كل من تساقط الكواكب وسيلان المياه على وجه الارض وبعثرة القبور اى قلب ترابها ازالة الشئ عن مكانه فلا فى كل واحد قرينه وفيه اشارة الى بحار المعرفة الذاتية وحكم الصفاتية والعلوم الاسمائية فانها اذا اتحدت بالتجلى الواحد الى تصير بحرا واحدا وهو بحر الذات المشتمل على جميع المراتب والى البحار الحاصلة من اعتبارات الوجود وشؤونه الكلية ظاهرا وباطنا غيبا وشهادة دنيا وآخرة فانها قد جمعت واتحدت فصار بحر الوجود بحرا واحدا زخارا

لاساحل له ولاقعر والى بحار العناصر بانه يجر بعضها الى بعض واتصل كل جزء باصله فصارت بحرا واحدا (واذا النفوس) اظاهر نفوس الانسان ويحتمل ان تعم الجن ايضا كما فى بعض التفاسير (زوجت) التزويج جعل احد زوجا لآخر وهو يقتضى المقارنة اى قرنت باجسادها بان ردت اليها اوقرنت كل نفس بشكلها و بمن كان فى طبقتها فى الخير والشر فيضم الصالح الى الصالح والفاجر الى الفاجر اوقرنت بكتابها او بعملها فالنفوس المتمردة زوجت باعمالها السيئة و المطمئنة باعمالها الحسنة او نفوس المؤمنين بالحور و نفوس الكفرة بالشياطين وفيه اشارة الى ان الارواح الفائضة على هياكل الاشباح من عالم الامر قرنت ببواعثها وموجباتها التى هى الاسماء والصفات الالهية واسبابها اللاهوتية (واذا الموؤدة) اى المدفونة حية يقال وأدبنته يئدها وأدا وهى موؤدة اذا دفنها فى القبر وهى حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق اوالاسترقاق اولحوق العار بهم من اجلهن وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به فهو احق بهن قال فى الكشاف كان الرجل اذاولدت له بنت فراد ان يستحييها البسها جبة من صوف اوشعر ترعى له الابل والغنم فى البادية وان اراد قتلها تركها حتى كانت سداسية اى بلغت ست سنين فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها و يهيل عليها التراب حتى يستوى البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة وان ولدت ابنا حبسته (سئلت) اى سألها الله بنفسه اظهارا للعدالة او بامره للملك (باى ذنب) من الذنوب الموجبة للقتل عقلا ونقلا (قتلت) قتلها ابوها حية فعلا او رضى وتوجيه السؤال اليها لتسليتها و اظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة فى تبكيته كما فى قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين ولذا لم يسأل الوائد عن موجب قتله لها وجه التبكيت ان المجنى عليه اذا سئل بمحضر من الجانى ونسب اليه الجناية دون الجانى كان ذلك بعثا للجانى على التفكر فى حال نفسه وحال المجنى عليه فيعثر على براءة ساحة صاحبه وعلى انه هو المستحق لكل نكال فيفحم وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض وهو ابلغ فلذلك اختير على التصريح وانما قيل قتلت على الغيبة لان الكلام اخبار عنها لاحكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقل قتلت على الخطاب وعلى قراءة سألت اى الله اوقاتلها لاحكاية لكلامها حين سئلت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن اطفال المشركين فقال لايعذبون واحتج بهذه الآية فانه ثبت بها ان التعذيب لايستحق الابالذنب وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان الوائدة والموؤدة فى النار اى اذا كانت الموؤدة بالغة وفيه اشارة الى ان الاعمال المشوبة بالرياء المخلوطة بالسمعة والهوى سئلت باى سبب ابطلت نوريتها وروحانيتها وايضا سئلت موؤدة النفس الناطقة التى اتقلتها وآئدة النفس الحيوانية فى قبر البدن واهلكتها باى ذنب قتلت اى طلب اظهار الذنب الذى به استولت النفس الحيوانية على الناطقة من الغضب اوالشهوة اوغيرهما فمنعتها عن خواصها وافعالها واهلكتها فاظهر فكنى عن طلب اظهاره بالسؤال ولهذا قال عليه السلام الوائدة والموؤدة فى النار لان النفس الناطقة فى النار مقارنة للنفس الحيوانية كذا قاله القاشانى (واذا الصحف نشرت) اى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب اى تفتح فيعطاها الانسان منشورة بايمانهم وشمائلهم فيقف على مافيها وتحصى عليه جميع اعماله فيقول مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة الااحصاها وفى الحديث (يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة رضى الله عنها فكيف بالنساء فقال شغل النساء ياام سلمة قالت وماشغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اى فرقت بين اصحابها وعن مرثد بن وادعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم اى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الاعمال وفيه اشارة الى صحائف القوى والنفوس التى فيها هيئات الاعمال تطوى عند الموت وتكوير شمس الروح وتنشر عند البعث والعود الى البدن (واذا السماء كشطت) قلعت وازيلت بحيث ظهر ماوراءها وهو الجنة والعرش كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشئ المستور به قال الراغب هو من كشط الناقة اى تنحية الجلد عنها ومنه استعير

انكشط روعه اى زال وفيه اشارة الى كشط سماء الارواح عن ارض الاشباح والى طى ظهور الاسماء والصفات الى البطون والخفاء (واذا الجحيم سعرت) اى اوقدت للكافرين ايقادا شديدا تحرقهم احراقا ابديا سعرها غضب الله وخطايا بنى آدم فاسعار النار زيادة التهابها لاحدوثها ابتداء وبه يندفع احتجاج من قال النار غير مخلوقة الآن لانها تدل على ان تسعرها معلق بيوم القيامة وذلك لان فيه الزيادة والاشتداد وفيه اشارة الى الجحيم الخسران والخذلان فانها اوقدت باحطاب الاعمال السيئة واحجار الاحوال القبيحة خصوصا نار الغضب والشهوة التى كانوا عليها فى هذه النشأة (واذا الجنة ازلفت) الازلاف التقريب بالفارسية نزديك كردن اى قربت من المتقين ليدخلوها كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وعن الحسن رحمه الله انهم يقربون منها لانها تزول عن موضعها فالمراد من التقريب التعكيس للمبالغة كما فى قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار حيث تعرض النار عليهم تحقيرا وتحسيرا فقلب مبالغة ويحتمل ان يكون المراد التقريب المعنوى وهو جعل اهلها مستحقين لدخولها مكرمين فيها وفيه اشارة الى تقريب نعيم آثار الرضى واللطف من المتقين وكذا جنة الوصول والوصال لمحبى الجمال والكمال كما قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا اى فيما بين النفختين وهن من اول السورة الى قوله واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لابعثها للقصاص وست فى الآخرة اى بعد النفخة الثانية وقال ابى بن كعب رضى الله عنه ست آيات قبل القيامة بينما الناس فى اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينماهم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينماهم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش وماج بعضهم فى بعض فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تأجج اى تتلهب قال فبينماهم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فاماتتهم كذا فى المعالم (علمت نفس ما احضرت) اى علمت كل نفس من النفوس ما احضرته على حذف الراجع الى الموصول فنفس فى معنى العموم كما صرح به فى قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وقوله هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وقولهم ان النكرة فى سياق الاثبات لاتعم بل هى للافراد النوعية غير مطرد ويجوز ان يكون التنوين للافراد الشخصية اشعارا بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة ان تكون هى التى علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على مافعلت وربما ندم الانسان على مافعل فانك لاتقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لامتيقن به اونادر الوقوع بل تريد ان العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى فيه الندم اوقلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعى الوجود كثير الوقوع والمراد بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها لان الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة واسناد حضورها الى النفس مع انها تحضر بامر الله لما انها لما عملتها فى الدنيا كأنها احضرتها فى الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ماهى عليه فى الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور احسن مما كانت تشاهدها عليه فى الدنيا لان الطاعة لاتخلو فيها عن نوع مشقة وقد ورد حفت الجنة بالمكاره وان كانت سيئة تشاهدها على ماهى عليه ههنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها كما ورد وحفت النار بالشهوات وقال بعضهم العلم بالاعمال كناية عن المجازاة عليها من حيث ان العلم لازم للمجازاة وقوله علمت الخ جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد متسع محيط بما ذكر من اول السورة الى هنا من الاثنى عشر شيأ مبدأه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لابمعنى انها تعلم ماتعمل فى كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد وعند وقوع داهية من تلك الدواهى بل عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهى من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال وعن عمر وابن عباس رضى الله عنهم انهما قرءا السورة فلما بلغا الى قوله علمت نفس ما احضرت قالا لهذه اجريت القصة وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس

مااحضرت قال وانقطاع ظهراه اى قاله خوفا من القيامة ومجازاة الاعمال * درا روز هر نفسى بيند كه
با هر خيرى كرامتى وعطاايست وباهر شرى ملامتى وجزايى بر نيكى حسرت خورد كه چرا زياده نكردم
وبر بدى اندوه كشد كه چرا مباشر شدم وآن حسرت واندوه هيچ فائده ندارد * توامروز فرصت غنيمت
شمار * كه فردا ندامت نيايد بكار * بكوش اى توانا كه فرمان برى * كه درناتوانى بسى غم خورى *
وفى الحديث العبد المؤمن بين مخافتين عمر قدمضى لايدرى ماالله صانع فيه واجل قدبقى لايدرى ماالله قاض
فيه فليتزود العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالله
مابعد الموت من مستعتب ومابعد الدنيا الا الجنة والنار وقال الواسطى قدس سره فى الآية علمت كل نفس
وايقنت ان ماعملت واجتهدت لايصلح لذلك المشهد وان من اكرم بخلع الفضل نجا ومن قرن بجزاء اعماله هلك
وخاب وفى برهان القرآن هنا علمت نفس مااحضرت وفى الانفطار ماقدمت واخرت لان مافى هذه السورة
متصل بقوله واذا القبور بعثرت والقبور كانت فى الدنيا فتذكر ماقدمت فى الدنيا وما اخرت للعقبى فكل خاتمة
لائقة بمكانها وهذه السورة من اولها الى آخرها شرط وجزاء وقسم وجواب (فلا اقسم) لا صلة اورد
لكلام سابق اى ليس الامر كما تزعمون ايها الكفرة من ان القرآن سحر او شعر او اساطير ثم ابتدأ فقال اقسم (بالخنس)
جمع خانس وهو المتأخر من خنس الرجل عن القوم خنوسا من باب دخل اذا تأخر واصل الخنوس الرجوع الى
خلف والخناس الشيطان لانه يضع خرطومه على قلب العبد فاذا ذكر الله خنس واذا غفل عاد الى الوسوسة
والمعنى اقسم بالكواكب الرواجع وهى ماعدا النيرين من الدرارى الخمسة وهى المريخ بالكسر ويسمى بهرام
ايضا وزحل ويسمى كيوان ايضا وعطارد ويسمى الكاتب ايضا والزهرة وتسمى اناهيذ ايضا والمشترى ويسمى
راويس وبرجيس ايضا ومامن نجم يقطع المجرة غير الخمسة فلذا خصها ونظمها بعضهم والنيرين فقال * هفت
كوكب كه هست گيتى را * گاه ازايشان مدار وگاه خلل * قمرست وعطارد وزهره * شمس ومريخ ومشترى
وزحل * وهى الكواكب السبعة السيارة كل منها يجرى فى فلك فالقمر فى الاول ومايليه فى الثانى وهكذا على
الترتيب (الجوار الكنس) الجوارى جمع جارية بمعنى سائرة والكنس جمع كانس وهو الداخل فى الكناس
المستتر به وصفت الخنس بهما لانها تجرى فى افلاكها او بانفسها على ماعليه اهل الظواهر مع الشمس والقمر
وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها بينا ترى النجم فى آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله فرجوعه
من آخر البرج الى اوله هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها واما القمران فلا يكنسان بهذا المعنى قال
فى عين المعانى لخنوسها فى مجراها واستتارها فى كناسها اى موضع استتارها فيه كما تكنس الظباء انتهى من كنس
الوحش من باب جلس اذا دخل كناسه وهو بيته الذى يتخذه من اغصان الشجر وقيل جميع الكواكب تخنس
بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اى تطلع فى اماكنها كالوحش فى كنسها وفى التأويلات النجمية
يشير الى الحواس الخمس الباطنة السيارة مع شمس الروح وقمر القلب الرواجع الى بروجها بالاختفاء بحسب
شعاع شمس الروح وقمر القلب لغلبة اشعتهما عليهن والدرارى الخمسة الزهرة وعطارد والمشترى وبهرام
وزحل مظاهر الحواس الخمس والشمس مظهر الروح والقمر مظهر القلب (والليل) عطف على الخنس
(اذا عسعس) اى ادبر ظلامه لان اقبال الصبح يكون بادبار الليل كما قال فى الوسيط لما كان طلوع الصبح متصلا بادبار الليل
كان المناسب ان يفسر عسعس بادبر ليكون التعاقب فى الذكر على حسب التعاقب فى الوجود انتهى او اقبل
فانه من الاضداد كذلك سعسع وذلك فى مبدأ الليل وهذا المعنى انسب لمراعاة المقابلة مع قرينة (والصبح)
عطف عليه ايضا (اذا تنفس) آنكاه دم زند يعنى طلوع كند وتنفس او مبدأ طلوعست والعامل فى اذا معنى
القسم واذا ومابعدها فى موضع الحال اقسم الله بالليل مدبرا وبالصبح مضيئا يقال تنفس الصبح اذا تبلج اى اضاء
واشرق جعل تنفس الصبح عبارة عن طلوعه وانبساطه تحت ضوئه بحيث زال معه عسعسة الليل وهى الغبرة
الحاصلة فى آخره والنفس فى الاصل ريح مخصوص يروح القلب ويفرج عنه بهبوبه عليه وفى الحديث
(لاتسبوا الريح فانها من نفس الرحمن) اى مما يفرج الكرب شبه مايقبل باقبال الصبح من الروح والنسيم بذلك
الريح المخصوص المسمى بالنفس فاطلق اسم النفس عليه استعارة فجعل الصبح متنفسا بذلك ثم كنى بتنفسه
بذلك عن اقبال الصبح وطلوعه واضاءة غبرته لان التنفس بالمعنى المذكور لازم له فهو كناية متفرعة

على الاستعارة قال القاشانى والليل اى ليل ظلمة الجسد الميت اذا ادبر بابتداء ذهاب ظلمته بنور الحياة عند تعلق الروح به وطلوع نور شمسه عليه والصبح اى اثر نور طلوع تلك الشمس اذا انتشر فى البدن بافادة الحياة و فى التأويلات النجمية يشير الى ليل الطبيعة المتشعشعة عن ظلام غيب البشرية باتباع احكام الشريعة ومخالفات آثار الطبيعة والى صبح نهار الروحانية اذا كشف واظهر آداب الطريقة ورسوم الحقيقة وهو اعظم الاقسام وافضل الايمان (انه) الضمير للقرآن وان لم يجر له ذكر للعلم به اى القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهى الهائلة و هو جواب القسم وجه القسم بهذه الاشياء ان فيها ظهور كمال الحكمة و جلال القدرة يقول الفقير سر الاقسام بها ان القرآن نور من الله فلا يرد الا على القلب النورانى الذى هو بمنزلة القمر وعلى الروح الذى هو بمنزلة الشمس وعلى القوى الروحانية التى هى بمنزلة سائر السيارات المضيئة و هذه الانوار لاتظهر فى الوجود الانسانى الا بزوال آثار الطبيعة والنفس وظهور آثار القلب والروح فاذا اشرقت انوار الروح وقواه فى ليل الوجود اضاء جميع ما فى الوجود وزال الظلام (لقول رسول كريم) هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله قال السهيلى ولا يجوز انه اراد به انه قول النبى عليه السلام وان كان النبى عليه السلام رسولا كريما لان الآية نزلت فى معرض الرد والتكذيب لمقالة الكفار الذين قالوا ان محمدا عليه السلام يقوله و هو قوله فقال الله تعالى انه لقول رسول كريم فاضافه الى جبريل الذى هو امين وحيه وهو فى الحقيقة قول الله لكنه اضيف الى جبريل لانه جاءبه من عند الله فاسناده اليه باعتبار السببية الظاهرة فى الانزال والايصال و يدل على ان المراد بالرسول هو جبريل مابعده من ذكر قوته ونحوها وصفه برسول لانه رسول من الله الى الانبياء و بكريم اى على ربه عزيز عظيم عنده وكذا عند الناس لانه يجيء بافضل العطايا وهو المعرفة والهداية ويتعطف على المؤمنين و يقهر الاعداء (ذى قوة) شديدة كقوله تعالى شديد القوى اى ذى قدرة على مايكلف به لايعجزه ولايضعف روى انه عليه السلام قال لجبريل ذكر الله قوتك فاخبرنى بشئ من آثارها قال رفعت قريات قوم لوط الاربع من الماء الاسود بقوادم جناحى حتى سمع اهل السماء نباح الكلب واصوات الديكة ثم قلبتها ومن قوته انه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض و يصعد فى اسرع من الطرف وانه رأى شيطانا يقال له الابيض صاحب الانبياء قصد ان يتعرض للنبى فدفعه دفعة رفيقة وقع بها من مكة الى اقصى الهند وكذا رآه يكلم عيسى عليه السلام على بعض الارض المقدسة فنفخه نفخة واحدة القاه الى اقصى جبل الهند و قيل المراد القوة فى اداء طاعة الله وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف وفيه اشارة الى صفة الروح فانه ذو سلطنة على جميع الحقائق الكائنة فى المملكة الانسانية (عند ذى العرش) اى الله تعالى وفى ايراد ذى العرش اخبار بغاية كبريائه فى القلوب و عند ظرف لما بعده من قوله (مكين) ذى مكانة رفيعة عند عندية اكرام وتشريف لاعندية مكان فانه تعالى متعال عن امثالها ونحوه انا عند المنكسرة قلوبهم فان المراد به القرب والاكرام ومن مكانته عند الله و مرتبته انه تعالى جعله تالى نفسه فى قوله فان الله هو مولاه وجبريل فله عظم منزلة عندية فاين منزلة من يلازم السلطان عند سرير الملك من مرتبة من يلازمه عند الوضوء ونحوه (مطاع) فيما بين الملائكة المقربين يصدرون عن امره و يرجعون الى رأيه لعلمهم بمنزلته عند الله قال فى فتح الرحمن ومن طاعتهم انهم فتحوا ابواب السماء ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعة جبريل فريضة على اهل السموات كما ان طاعة محمد عليه السلام فريضة على اهل الارض وفيه اشارة الى ان الروح مطاع فيما بين القوى بالنسبة الى السر والقلب (ثم امين) على الوحى قد عصمه الله من الخيانة والزلل وثم بفتح الثاء ظرف مكان لماقبله اى مطاع هناك اى فى السموات وقيل لما بعده اى مؤتمن عند الله على وحيه ورسالاته الى الانبياء فيكون اشارة الى عند الله وقرئ ثم بضم الثاء تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر الاوصاف فيكون للتراخى الرتبى على طريق الترقى من صفاته الفاضلة الى ماهو افضل واعظم وهو الامانة (قال الكاشفى) و اكر رسول كريم محمد باشد عليه السلام پس او صاحب قوت طاعت ونزديك خداى خداوند قدر و مكانتست و مطاع يعنى مستجاب الدعوة ولذا قال له عمه ابو طالب ما اطوعك ربك يامحمد فقال له

وانت يا عم لواطعته اطاعك وامين يعنى براسرار غيب وفيه اشارة الى ان الروح امين فى افاضة الفيض الروحى على كل احد بحسب استعداده الفطرى (وما صاحبكم) يا اهل مكة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم عطف على جواب القسم ولذا قال فى فتح الرحمن وهذا ايضا جواب القسم (بمجنون) كما تقولون والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية فانه كان بين اظهرهم فى مدة متطاولة وقد جربوا عقله فوجدوه اكمل الخلائق فيه ولقبوه بالامين الصادق وقد استدل به على فضل جبرائيل على رسول الله حيث وصف جبريل بست خصال كل واحدة منها تدل على كمال الشرف ونباهة الشأن واقتصر فى ذكر رسول الله على نفى الجنون عنه وبين الذكرين تفاوت عظيم وهذا الاستدلال ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة فى حقه عليه السلام يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون لاتعداد فضائلهما والموازنة بينهما على ان فى توصيف جبريل بهذه الصفات بيانا لشرف سيد المرسلين بالنسبة اليه من حيث ان جبريل مع هذه الصفات هو الذى يؤيده ويبلغ الرسالة اليه فاى رتبة اعلى من مرتبته بعد ما ثبت ان السفير بينه وبين ذى العرش مثل هذا الملك المقرب وقال سعدى المفتى الكلام مسوق لحقية المنزل دلالة على صدق ما ذكر فيه من اهوال القيامة على ما يدل عليه الفاء السببية فى قوله فلا اقسم ولاشك ان ذلك يقتضى وصف الآتى به فلذلك بولغ فيه دون وصف من انزل عليه فلذلك اقتصر فيه على نفى ما بهتوه وفيه اشارة الى ان الروح ليس بمجنون اى بمستور عن حقائق القرآن ودقائقه واحكامه وشرائعه ووعده ووعيده بل هو مكشوف له بجميع اسراره (ولقد رآه) وبالله لقد رأى رسول الله جبريل وفى عين المعانى ابصره لا جنيا (بالافق المبين) افق السماء ناحيتها والمبين من ابان اللازم بمعنى الظاهر بالفارسية روشن اى بمطلع الشمس الاعلى من ناحية المشرق فالمراد بالافق هنا حيث تطلع الشمس استدلالا بوصفه بالمبين فان نفس الافق لامدخل له فى تبيين الاشياء وظهورها وانما يكون له مدخل فى ذلك من حيث كونه مطلع الكوكب نير يبين الاشياء والكوكب المبين هو الشمس واسناد الابانة الى مطلعها مجاز باعتبار سببيته لها فى الجملة فان البيان فى الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص من بين المطالع ما هو اعلى المطالع وارفعها وهو المطلع الذى اذا طلعت الشمس منه تكون فى غاية الارتفاع والنهار فى غاية الطول والامتداد وذلك عند ما تكون الشمس عند رأس السرطان قبيل تحولها الى برج الاسد وتوجه النهار الى الانتقاص وانما فعل ذلك حملا للمبين على الكمال فانه كلما كان الكوكب ارفع واعلى وكلما كان النهار اطول كان البيان والاظهار اتم واكمل روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل ان يترا اى له فى صورته التى خلقه الله عليها فقال ما اقدر على ذلك وما ذاك الى فاذن له فاتاه عليها وذلك فى جبل حراء فى اوائل البعثة فرآه رسول الله قد ملأ الآفاق بكلكله رجلاه فى الارض ورأسه فى السماء جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب وله ستمائة جناح من الزبرجد الاخضر فغشى عليه فتحول جبريل فى صورة بنى آدم وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه فقيل لرسول الله ما رأيناك منذ بعثت احسن منك اليوم فقال عليه السلام جاءنى جبريل فى صورته فعلق بى هذا من حسنه قالوا ما رآه احد من الانبياء غيره عليه السلام فى صورته التى جبل عليها فهو من خصائصه عليه السلام واعلم ان وقوع الغشيان انما هو من كمال العلم والاطلاع الاترى الى قوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فان توليه وامتلاءه من الرعب ليس عن رؤية اجسامهم فقط لانهم اناس مثله وانما هو لما اطلعه الله عليه حين رؤيتهم من العلم كما غشى على جبريل ليلة الاسراء حين رأى الرفرف ولم يغش على رسول الله وقال عليه السلام فعلمت فضل جبريل فى العلم فكأنه عليه السلام اشار الى فضل نفسه ايضا لما غشى عليه برؤية جبريل على صورته الاصلية وانما لم يغش عليه حين رأى الرفرف كما غشى على جبريل لانه اذ ذاك فى نهاية التمكين وفرق بين البداية والنهاية والله اعلم قال القاشانى ولقد رآه بالافق المبين اى نهاية طور القلب الذى يلى الروح وهو مكان الفاء النافث القدسى على ان المراد بالرسول روح القدس النافث فى روع الانسان وقال فى التأويلات النجمية اى رأى جبريل الروح حضرة ربه عند افق البقاء بعد الفناء (وما هو) اى رسول الله (على الغيب) اى على ما يخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب (بضنين)

اى بخيل اى لايبخل بالوحى فيزوى بعضه غيرمبلغه ولايكتمه كمايكتم الكاهن ماعنده حتى يأخذ عليه حلوانااى اجرة او يسأل تعليمه فلا يعلمه وفيه اشارة الى ان امساك العلم عن اهله بخل من ضن بالشئ يضن بالفتح ضنا بالكسر وضنانة بالفتح اى بخل فهو ضنين به اى بخيل و يضن بالكسر لغة والفتح افصح ذكره البيهقى فى تهذيب المصادر فى باب ضرب حيث قال الضن والضنانة بخيلى كردن والغابر يضن والفتح افصح فيكون من باب علم كما صرح به بعضهم بقوله هو من ضننت بالشئ بكسر النون وهوقراءة نافع وعاصم وحمزة وابن عامر قال فى النشر كذلك هو فى جميع المصاحف اى المصاحف التى يتداولها الناس والا فهو فى مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بالظاء وقرئ بظنين على انه فعيل بمعنى المفعول اى بمتهم اى هو ثقة فى جميع مايخبره لايتوهم فيه انه ينطق عن الهوى من الظنة وهى التهمة واتهمت فلانا بكذا توهمت فيه ذلك اختار ابو عبيدة هذه القراءة لان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى التهمة اولى من نفى البخل ولان البخل يتعدى بالباء لابعلى وفى الكشاف هو فى مصحف عبد الله بالظاء وفى مصحف ابى بالضاد وكان رسول الله عليه السلام يقرأ بهما ولابد للقارئ من معرفة مخرجى الضاد والظاء فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان ومايليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره ومخرج الظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا فان قيل فان وضع المصلى احد الحرفين مكان الآخر قلنا قال فى المحيط البرهانى اذا اتى بالظاء مكان الضاد او على العكس فالقياس ان تفسد صلاته وهو قول عامة المشايخ وقال مشايخنا بعدم الفساد للضرورة فى حق العامة خصوصا العجم فان اكثرهم لايفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وفى الخلاصة لو قرأ بالظاء مكان الضاد او بالضاد مكان الظاء تفسد صلاته عند ابى حنيفة ومحمد واما عند عامة المشايخ كابى مطيع البلخى ومحمد بن سلمة لاتفسد صلاته (وماهو بقول شيطان رجيم) اى قول بعض المسترقة للسمع دل عليه توصيفه بالرجيم لانه بمعنى المرمى بالشهب وهو نفى لقولهم انه كهانة وسحر كما قال وماتنزلت به الشياطين وفيه اشارة الى انه ليس محمد القلب عند الاخبار عن المواهب الغيبية والالهامات السرية بمتهم بالكذب والافتراء وماهو بقول بعض القوى البشرية (فاين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحى مبين وليس مما يقولون فى شئ كما تقول لمن ترك الجادة بعدظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب شبهت حالهم بحال من يترك الجادة وهومعظم الطريق ويتعسف الى غير المسلك فانه يقال له اين تذهب استضلالا له وانكارا على تعسفه فقيل لمن يقول فى حق القرآن مالاينبغى من وضوح كونه وحياحقا اى طريق تسلكون آمن من هذه الطريقة التى ظهرت حقيتها ووضحت استقامتها واين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون قال ابو البقاء التقدير الى اين فحذف حرف الجر ويجوز ان لايصار الى الحذف بل الى طريق التضمين فكأنه قيل اين تؤمون وقال الجنيد قدس سره اين تذهبون عنا وان من شئ الاعندنا وفى التأويلات النجمية فاين تذهبون من طريق الحق الى طريق الباطل وتتركون الاقتداء بالروح وتختارون اتباع النفوس (ان هو) ان نافية والضمير الى القرآن اى ماهو (الاذكر للعالمين) موعظة وتذكير لهم والمراد الانس والجن بدلالة العقل فانهم المحتاجون الى الوعظ والتذكير (لمن شاء منكم) ايها المكلفون بالايمان والطاعة وهو بدل من العالمين باعادة الجار بدل البعض من الكل ولاتخالف بين الاصل المتبوع والفرع التابع لان الاول باعتبار الذات والثانى باعتبار التبع (ان يستقيم) مفعول شاء اى لمن شاء منكم الاستقامة بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين مع انه ذكر شامل لجميع المكلفين لانهم هم المنتفعون بالتذكير دون غيرهم فكأنه مختص بهم ولم يوعظ به غيرهم (وماتشاؤن) اى الاستقامة مشيئة مستتبعة لها فى وقت من الاوقات يامن يشاؤها وذلك ان الخطاب فى قوله لمن شاء منكم يدل على ان منهم من يشاء الاستقامة ومن لايشاؤها فالخطاب هنا لمن يشاؤها منهم روى ان اباجهل لما سمع قوله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم قال الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم وهو رأس القدرية فنزل قوله تعالى وماتشاؤن الخ (الا ان يشاء الله) من اقامة المصدر موقع الزمان اى الاوقت ان يشاء الله تلك المشيئة المستتبعة للاستقامة فان مشيئتكم

لا تشاؤها بدون مشيئة اهمالها لان المشيئة الاختيارية مشيئة حادثة فلا بد لها من محدث فيتوقف حدوثها على ان يشاء محدثها ايجادها فظهر ان فعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول على ان يريد الله ان يعطيه تلك الارادة والموقوف على الموقوف على الشئ موقوف على ذلك الشئ فافعال العباد ثبوتا ونفيا موقوفة الحصول على مشيئة الله كما عليه اهل السنة (رب العالمين) مالك الخلق ومربيهم اجمعين بالارزاق الجسمانية والروحانية وفى الحديث القدسى يا ابن آدم تريد واريد فتتعب فيما تريد ولا يكون الا ما اريد قال وهب بن منبه قرأت فى كتب كثيرة مما انزل الله على الانبياء انه من جعل الى نفسه شيأ من المشيئة فقد كفر قال ابو بكر الواسطى قدس سره اعجزك فى جميع صفاتك فلا تشاء الا بمشيئته ولا تعمل الا بتوفيقه ولا تطيع الا بفضله ولا تعصى الا بخذلانه فماذا يبقى لك وبماذا تفتخر من اعمالك وليس منها شئ اليك الا بتوفيقه وبالفارسية حق تعالى ترا درهمه وصفها عاجز ساخته است نخواهى مكر بمشيت او ونكنى مكر بقوت او وفرمان نبرى مكر بفضل او وعاصى نشوى مكر بخذلان او پس توجه دارى وبكدام فعل مى نازى وحال آنكه ترا هيچ نيست * زسر تا پا همه در پيچم پيچ * چه پاچه سر همه هيچم درهيچ * وفى الحديث من سره ان ينظر الى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت فان فيها بيان اهوال الهائلة على التفصيل

(تمت سورة التكوير بعون الملك القدير فى وسط صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف)

(سورة الانفطار تسع عشرة آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انفطرت) اى انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا اولهيبة الرب وفى فتح الرحمن تشققها على غير نظام مقصود انما هو انشقاق لزوال بنيتها واعرابه كاعراب اذا الشمس كورت وفى التأويلات النجمية يعنى سماء الارواح والقلوب والاسرار ارتفعت تعيناتها وزالت تشخصاتها وقال القاشانى اى اذا انفطرت سماء الروح الحيوانى بانفراجها عن الروح الانسانى وزوالها بالموت (واذا الكواكب انتثرت) اى تساقطت من مواضعها سوداء متفرقة كما تتساقط اللآلى اذا انقطع السلك وهذان من اشراط الساعة متعلقان بالعلويات فان السماء فى هذا العالم كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب دار فانه يبدأ اولا بتخريب السقف وذلك هو قوله اذا السماء انفطرت ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب وفيه اشارة الى انتثار كواكب الحواس العشر الظاهرة والباطنة وذهابها بالموت الطبيعى فانه اذا انقطع ضوء الروح عن ظاهر البدن وباطنه تعطل الحواس مطلقا وكذا بالموت الارادى (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض بزوال المانع وحصول تزلزل الارض وتصدعها واستوائها وصارت البحار وهى سبعة بحر الروم وبحر السقالبة وبحر جرجان وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الصين وبحر الهند بحرا واحدا فيصب ذلك البحر فى جوف الحوت الذى عليه الارضون السبع كما فى كشف الاسرار وروى ان الارض تنشف من الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن البصرى ودخل فى البحار البحر المحيط لانه اصل الكل اذ منه يتفرع الباقى وكذا الانهار العذبة فانها بحار ايضا لتوسعها وفيه اشارة الى بحار الارواح والاسرار والقلوب حيث فجرت بعضها فى بعض بالتجلى الاحدى وصارت بحرا واحدا والى بحار الاجسام العنصرية حيث فجرت بعضها فى بعض بزوال البرازخ الحاجزة عن ذهاب كل الى اصله وهى الارواح الحيوانية المانعة عن خراب البدن ورجوع اجزائه الى اصلها (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها واخرج موتاها ولا يخالف ما يجئ فى العاديات فان البعثرة تجئ بمعنى الاستخراج ايضا اى كالقلب وفى تاج المصادر البعثرة شورانيدن وآشكارا كردن ولذا قال بعضهم بالفارسية وآنكاه كه كورها زيروزبر كرده شود يعنى خاكها را بشورانند تا مدفونات وى از اموات وكنجها ظاهر كردد ومردكان زنده شوند ونظيره بحثر لفظا ومعنى يقال بعثرت المتاع وبحثرته اى جعلت اسفله اعلاه وجعل اسفل القبور اعلاها انما هو باخراج موتاها وقيل لسورة براءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين وهما اى بعثر وبحثر مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما

وقال الراغب من رأى تركيب الرباعى والخماسى نحو هلل وبسمل اذاقال لااله الا الله وبسم الله يقول ان بعثر مركب من بعث واثير اى قلب ترابها واثير ما فيها وهذا لا يبعد فى هذا الحرف فان البعثرة تتضمن معنى بعث واثير وهذان من اشراط الساعة متعلقان بالسفليات فانه تعالى بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الارض بنفوذ بعض البحار فى بعض ثم يخرب نفس الارض التى هى كالبناء بان يقلبها ظهر البطن و بطنا لظهر وفيه اشارة الى خراب قبور التعينات وصيرورة المتعين مطلقا عن التعينات لان التعينات قبور الحقائق المطلقة والى قبور الابدان فانها تخرج ما فيها من الارواح والقوى بالموت (علمت نفس) اى كل نفس برة كانت او فاجرة كما سبق فى السورة السابقة وفى فتح الرحمن نفس هنا اسم الجنس وافرادها ليبين لذهن السامع حقارتها وقلتها وضعفها عن منفعة ذاتها الا من رحم الله تعالى (ما قدمت) فى حياتها من عمل خير او شر فان ما من الفاظ العموم (واخرت) من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده قال عليه السلام ايما داع دعا الى الهدى فاتبع فله مثل اجر من اتبعه الا انه لا ينقص من اجورهم شئ وايما داع دعا الى الضلالة فاتبع فله مثل اوزار من اتبعه الا انه لا ينقص من اوزارهم شئ او ما قدم من معصية وما اخر من طاعة وفى التأويلات النجمية علمت نفس ما قدمت اخرجت من القوة الى الفعل بطريق الاعمال الحسنة او السيئة وما اخرت ابقت فى القوة بحسب النية قوله علمت الخ جواب اذا اى اذا وقعت هذه الاشياء وخربت الدنيا علمت كل نفس الخ لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت فى السورة السابقة من ان المراد بها زمان واحد مبدأه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما فى حيزها من الدواهى فالمراد العلم التفصيلى الذى يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة واما العلم الاجمالى فيحصل فى اول زمان البعث والحشر لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصى يرى آثار الشقاوة فى اول الامر قال ابن الشيخ فى حواشيه العلم بجميع ذلك كناية عن المجازات عليه والمقصود من الكلام الزجر عن المعصية والترغيب فى الطاعة (يا ايها الانسان) يعم جميع العصاة ولا خصوص له بالكفار اوقوعه بين المجمل ومفصله اى بين علمت نفس الخ و بين ان الابرار الخ واما قوله بل تكذبون بالدين فمن قبيل بنوا فلان قتلوا زيدا اذا كان القاتل واحدا منهم قال الامام السهيلى رحمه الله قوله يا ايها الانسان يريد امية بن خلف ولكن اللفظ عام يصلح له ولغيره وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة او الاسود بن كلدة الجمحى قصد النبى عليه السلام فى بطحاء مكة فلم يتمكن منه فلم يعاقبه الله على ذلك وفى زهرة الرياض ضرب على يافوخ رسول عليه السلام فاخذه رسول الله وضربه على الارض فقال له يا محمد الامان الامان منى الجفاء ومنك الكرم فانى لا اوذيك ابدا افتركه رسول الله عليه السلام (ما غرك بربك الكريم) ما استفهامية فى موضع الابتداء وغرك خبره والاستفهام بمعنى الاستعجاب والتوبيخ والمعنى اى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وامنك من عقابه وقد علمت ما بين يديك من الدواهى وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها يقال غره بفلان اذا جرأه عليه وامنه المحذور من جهته مع انه غير مأمون والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدار الاغترار حسبما يغويه الشيطان و يقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك فى الدنيا وسيفعل مثله فى الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة فى الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عن الداهية ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأها غره جهله وقال الحسن البصرى رحمه الله غره والله شيطانه فظهر ان كرم الكريم لا يقتضى الاغترار به بل هو يقتضى الخوف و الحذر من مخالفته وعصيانه من حيث ان اهمال الظالم ينافى كونه كريما بالنسبة الى المظلوم وكذا التسوية بين الموالى والمعادى فاذا كان محض الكرم لا يقتضى الاغترار به فكيف اذا انضم اليه صفة القهر ولله الاسماء المتقابلة ولذا قال نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم قال القاشانى كان كونه كريما يسوغ الغرور و يسهله لكن له من النعم الكثيرة والمنن العظيمة والقدرة الكاملة ما يمنع من ذلك اكثر من تجويز الكرم اياه وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله ان اقامك الله يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتنى ستورك المرخاة ونظمه ابن السماك فقال

يا كاسب الذنب اما تستحى * والله فى الخلوة ثانيكا * غرك من ربك امهاله * وستره طول مساويكا

قال صاحب الكشاف قول الفضيل على سبيل الاعتراف بالخطأ فى الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع و يظن به قصاص الحشوية ويرونه من ائمتهم انما قال بربك الكريم دون صفاته من الجبار والقهار والمنتقم و غير ذلك ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرنى كرم الكريم يقول الفقير الحق ان هذا الباب مما يقبل الاختلاف بالنسبة الى احوال الناس فليس من يفهم الاشارة كمن لا يفهمها وكم من فرق بين ذنب وذنب وظن وظن ولذا قال اهل الاشارة ايراد الاسم الكريم من بين الاسماء كأنه من جهة التلقين * خود تو دادى مژده لا تقنطوا * من چرا ترسم زعصيان وعتو * چون تو هرا شكسته راسازى درست * پس خطاها راميد عفو تست * وقال يحيى بن معاذ رحمه الله غرنى برك سالفا وآنفا يقول مولاى اما تستحى * مما ارى من سوء افعالك * فقلت يامولاى رفقا فقد * افسدنى كثرة افضالك وعن على رضى الله عنه انه صوت بغلام له مرارا فلم يجبه وهو بالباب فقال لم لم تجبنى فقال لثقتى بحلمك وامنى من عقوبتك فاعتقه احسانا لقوله وقال بعض اهل الاشارة عجبت من هذا الخطاب الذى فيه تهديد المخالف ومواساة الموافق كيف يخاطب المخالف بخطاب فيه مواساة الموافق ففيه من الرموز مالا يعرفه الا اهل الاشارة قال بعضهم رأيت فى سوق البصرة جنازة يحملها اربعة وليس معهم مشيع فقلت لا اله الا الله سوق البصرة وجنازة رجل مسلم لا يشيعها احد انى لاشيعها فتبعتها وصليت عليها ولما دفنوه سألتهم عنه قالوا ما نعرفه وانما اكترتنا تلك المرأة واشاروا الى امرأة واقفة قريبا من القبر ثم انصرفوا فرفعت المرأة يدها الى السماء تدعو ثم ضحكت وانصرفت فتعلقت بها وقلت لابد ان تخبرينى بقضيتك فقالت ان هذا الميت ابنى ولم يترك شيأ من المعاصى الا فعله فمرض ثلاثة الايام فقال لى ياامى اذا مت لم تخبرى الجيران بموتى فانهم يفرحون بموتى ولا يحضرون جنازتى ولكن اكتبى على خاتمى لا اله الا الله محمد رسول الله وضعيه فى اصبعى وضعى رجلك على خدى اذا مت وقولى هذا جزاء من عصى الله فاذا دفنتنى فارفعى يديك الى الله وقولى اللهم انى رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما اوصانى به فلما رفعت يدى الى السماء ودعوت سمعت صوته بلسان فصيح انصرفى ياامى فقد قدمت على رب كريم رحيم فرضى عنى فلذلك ضحكت سرورا بحاله اورده الامام القشيرى فى شرح الاسماء (وفى الحديث الصحيح) ان الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه وستره فيقول اتعرف ذنب كذا فيقول نعم اى رب حتى قرره بذنوبه ورأى فى نفسه انه هلك قال سترتها عليك فى الدنيا وانا اغفرلك اليوم (الذى خلقك) صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم لان الخلق اعطاء الوجود وهو خير من العدم منبهة على ان من قدر على الخلق ومايليه بدأ قدر عليه اعادة اى خلقك بعد ان لم تكن شيأ (فسواك) اى جعل اعضاءك سوية سليمة معدة لمنافعها اى بحيث يترتب على كل عضو منها منفعته التى خلق ذلك العضو لاجلها كالبطش لليد والمشى للرجل والتكلم للسان والابصار للبصر والسمع للاذن الى غير ذلك (فعدلك) عدل بعض تلك الاعضاء ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت مثل ان تكون احدى اليدين اوالرجلين اوالاذنين اطول من الاخرى اوتكون احدى العينين اوسع من الاخرى او بعض الاعضاء ابيض و بعضها اسود و بعض الشعر فاحما و بعضه اشقر قال علماء التشريح انه تعالى ركب جانبى هذه الجثة على التساوى حتى انه لا تفاوت بين نصفيه لا فى العظام ولا فى اشكالها ولا فى الاوردة و الشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة منها فكل ما فى احد الجانبين مساو لما فى الجانب الآخر و يقال عدله عن الطريق اى صرفه فيكون المعنى فصرفك عن الخلقة المكروهة التى هى لسائر الحيوانات وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق كما قال تعالى فى احسن تقويم وقرئ فعدلك بالتشديد اى صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فهو بالمعنى الاول من المخفف وقال الجنيدى قدس سره تسوية الخلقة بالمعرفة وتعديلها بالايمان وقال ذو النون قدس سره اوجدك فسخر لك المكونات اجمع ولم يسخرك لشئ منها وفى التأويلات النجمية ياايها الانسان المخلوق على صورته كأنك غرك كمال المظهرية وتمام المضاهاة خلقك فى احسن صورة فسواك فى احسن تقويم فجعل بنيتك الصورية و بنيتك المعنوية سليمة مسواة ومتعدلة ومستعدة لقبول جميع الكمالات الالهية والكيانية كما قال عليه السلام اوتيت جوامع الكلم اى الكلم الالهية والكلم الكيانية (فى اى صورة ماشاء ركبك) الجار متعلق بركبك وما مزيدة لتعميم النكرة وشاء صفة لصورة والعائد محذوف وانما لم يعطف الجملة على ماقبلها لانها بيان لعدلك والمعنى ركبك فى اى صورة

شاء ها واقتضتها مشيئته وحكمته من الصور العجيبة الحسنة اومن الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاوقات وخلاف الشبه كما فى الحديث ان النطفة اذا استقرت فى الرحم احضرها الله كل نسب بينها وبين آدم وصورها فى اى شبه شاء وقال الواسطى رحمه الله صور المطيعين والعاصين فمن صوره على صورة الولاية ليس كمن صوره على صورة العداوة اى صور بعضهم على الصور الجمالية اللطفية وبعضهم على الصورة الجلالية القهرية قال حضرة شيخى وسندى قدس سره فى كتاب اللائحات البرقيات له لاح بالى ان تلك الصورة التركيبية تتناول الصورة العلمية والصورة الروحية والصورة المثالية والصورة الجسمية وغيرذلك من الصور المركبة فى الاطوار لكن المقصود بالذات انما هو هذه الاربع والتركيب فى الصورة العلمية والروحية عقلى ومعنوى وفى الصورة المثالية والجسمية حسى وروحى والمراد من التركيب فى الصورة العلمية ظهور الذات وفى الصورة الروحية ظهور الصفات وفى الصورة المثالية ظهور الافعال وفى الصورة الجسمية ظهور الآثار وهذه الظهورات من تلك التركيبات بمنزلة النتائج من القياسات وبمنزلة المجموع من الاجتماعات واجزآؤها انما هى احكام الوجوب واحكام الامكان والمراد من احكام الوجوب هو الاسماء الالهية الفاعلة المؤثرة والمراد من احكام الامكان هو الحقائق الكونية القابلة المتأثرة والتركيب من هذه الاجزاء فى اى صورة كان انما هو لظهور محل يكون مظهر الظهور آثارها وخواصها مجتمعة وعند هذا الظهور الاجتماعى فى ذلك المحل الجامع كالنشأة الانسانية المخاطبة ههنا ان كانت الغلبة لاجزاء احكام الوجوب تكون تلك النشأة علوية مائلة الى جانب العلو والحق وهى تكون باقية على الفطرة الاصلية الالهية قابلة مستعدة للفيض والتجلى والوصول الى عالم القدس وان كانت لاجزاء احكام الامكان تكون تلك النشأة سفلية مائلة الى جانب السفل والخلق وخارجة عن الفطرة الاصلية الازلية غير قابلة ومستعدة للفيض والتجلى والوصول الى عالم القدس بل تبقى فى عالم الدنس مدنسة بدنس الجهالة والغفلة والنسيان لاخبر لها عن نفسها وربها وتكون اعمى واصم وابكم لاتعرف يمينها من شمالها ولاترى شمالها من يمينها اولئك كالانعام بل هم اضل انتهى كلامه روح الله روحه (كلا) كلمة ردع فالوقف عليها اى ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصى مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقيل توكيد لتحقيق مابعده بمعنى حقا فالوقف على ركبك كما رجحه السجاوندى حيث وضع علامة الوقف المطلق على ركبك (بل تكذبون بالدين) قال فى الارشاد عطف على جملة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لاترتدعون عن ذلك بل تجترؤن على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا فانه يراد بالدين الجزاء والمكافاة ومنه الديان فى صفة الله اوتكذبون بدين الاسلام اللذين هما من جملة احكامه فلاتصدقون سؤالا ولاجوابا ولاثوابا ولاعقابا (وان عليكم لحافظين) حال من فاعل تكذبون وجمع الحافظين باعتبار كثرة المخاطبين او باعتبار ان لكل واحد منهم جمعا من الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار اى تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم ايها المكلفون من قبلنا الملائكة حافظين لاعمالكم وبالفارسية نكهبانان (كراما) جمع كريم اى لدينا بجبرهم فى طاعتنا او باداء الامانة اذالكريم لايكون خوانا وفى فتح الرحمن وصفهم بالكرم الذى هو نفى المذام وقيل كرام يسارعون الى كتب الحسنات ويتوقفون فى كتب السيئات رجاء ان يستغفر ويتوب فيكتبون الذنب والتوبة منه معا وفى زهرة الرياض سماهم كراما لانهم اذا كتبوا حسنة يصعدون الى السماء ويعرضونها على الله ويشهدون ويقولون ان عبدك فلانا عمل حسنة واما فى السيئة فيسكتون ويقولون الهى انت ستار العيوب وهم يقرؤن كل يوم كتابك ويمدحوننا فانا لانهتك استارهم واما معنى التعطف كما فى سورة عبس فلايلائم هذا المقام كما فى بعض التفاسير (كاتبين) للاعمال (يعلمون) لحضورهم وعدم افتراقهم عنكم (ماتفعلون) من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطون نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك (وفى الحديث) اكرموا الكرام الكاتبين الذين لايفارقونكم الاعند احدى الحالتين الجنابة والغائط قال فى عين المعانى قوله يعلمون يدل على ان السهو والخطأ ولاماتبعة فيه لايكتب وكذا مااستغفر منه حيث لم يقل يكتبون انتهى وقوله ماتفعلون وان كان عاما لافعال القلوب والجوارح لكنه عام مخصوص بافعال الجوارح لان ماكان من المغيبات لايعلمه الا الله وفى كشف الاسرار علمهم على وجهين فما كان من ظاهر قول او حركة جوارح علموه بظاهره وكتبوه على جهته وما كان من باطن

متميزة لى انهم يجدون احسانه رائحة طيبة ولطاحد رائحة خبيثة فيكتبونه مجملا عملا صالحا وآخر سيئا انتهى
وقد مر بيان هذا المقام فى سورتى الزخرف وق فارجع وخص الفعل بالذكر لانه اكثر من القول ولان القول
تدرايه الفعل فاندرج فيه وعن الفضيل انه كان اذا قرأ هذه الآية قال ماأشدها من آية على الغافلين وفيها
انذار وتهويل وتشديد للعصاة وتبشير ولطف للطيعين وفى تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء
وانه عند الله من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام فالتعظيم انما هو فى وصفهم بالكرم لا بالكتب
والحفظ وطعن بعض المنكرين فى حضور الكاتبين اما اولا فبأنه لو كانت الحفظة وصحفهم واقلامهم معنا ونحن
لا نراه لجاز ان يكون بحضرتنا جبال واشخاص لا نراها وذلك دخول فى الجهالات وجوابه ان الملائكة
من قبيل الاجسام اللطيفة فحضورهم لا يستلزم الرؤية الا ترى ان الله امد المؤمنين فى بدر بالملائكة وكانوا
لا يرونهم الا من شاء الله رؤيته وكذا الجن من هذا القبيل ولذا قال تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
فكما ان الهواء لا يرى للطافته فكذا غيره من اهل اللطافة واما ثانيا فبان هذه الكتابة والضبط ان كان لا لفائدة
فهو عبث والله تعالى متعال عن ذلك وان كان لفائدة فلا بد ان تكون للعبد لان الله متعال عن النفع والضرر
وعن تطرق النسيان وغاية ذلك ان يكون حجة على الناس وتشديدا عليهم باقامتها لكن هذا ضعيف لان من علم
ان الله لا يجور ولا يظلم لا يحتاج فى حقه الى اثبات هذه الحجة ومن لم يعلم ذلك لا تنفعه لاحتمال ان يحمل على الظلم
وجوابه ان الله يجرى اموره على عباده على ما يتعارفونه فى الدنيا بينهم ليكون ابلغ فى تقرير المعنى عندهم
من اخراج كتاب واحضار شهود عدل فى الزام الحجة عند الحاكم والعبد اذا علم ان الله رقيب عليه والملائكة يحفظون
اعماله ويكتبونها فى الصحيفة وتعرض على رؤوس الاشهاد يوم القيامة كان ذلك ازجر له عن المعاصى
وامنع من السوء واما ثالثا فبان افعال القلوب غير مرئية فلا يكتبونها مع انها محاسب بها لقوله تعالى وان تبدوا
ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية وجوابه ما مر من ان الآية من العام المخصوص وقد قال الامام
الغزالى رحمه الله كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الملائكة الحفظة فان شعورهم يقارن شعورك حتى اذا غاب ذكرك
عن شعورك بذهابك فى المذكور بالكلية غاب عن شعور الحفظة ايضا ومادام القلب يلتفت الى الذكر فهو
معرض عن الله وفهم من هذا المقال ان قياس اطلاع الملائكة على الوقائع على اطلاع الناس غير مستقيم فان
شؤونهم علما وعملا غير شؤون الناس على ان من اصلح من الناس سريرته قد ينكشف الضمائر ويطلع على الغيوب
باطلاع الله تعالى فما ظنك بالملائكة الذين هم الطف جسما واخف روحا (ان الابرار) الذين بروا وصدقوا فى ايمانهم
باداء الفرائض واجتناب المعاصى وبالفارسية وبدرستى كه نيكوكاران وفرمان برداران جمع بر بالفتح وهو
بمعنى الصادق والمطيع والمحسن واحسن الحسنات لا اله الا الله ثم بر الوالدين وبر التلامذة للاساتذة وبر اهل
الارادة للشيوخ كما قال فى فتح الرحمن هو الذى قد اطرد بره عموما فيبر ربه فى طاعته اياه ويبر الناس فى جلب
ما استطاع من الخير لهم وغير ذلك (وفى الحديث) بروا آباءهم كما بروا ابناءهم (لفى نعيم) وهو نعيم الجنة
وثوابها والتنوين للتفخيم (وان الفجار) وبدرستى كه دروغ كويان ومنكران حشر جمع فاجر والفجور شق
ستر الديانة (لفى جحيم) اى النار وعذابها والتنوين للتهويل والجملتان بيان لما يكتبون لاجله وهو ان الغاية
اما النعيم واما الجحيم وفيه اشارة الى نعيم الذكر والطاعة والمعرفة والشهود والحضور والوصال والى جحيم الغفلة
والمعصية والجهل والاحتجاب والغيبوبة والفراق قال الخواص رحمه الله طاب النعيم اذا كان منه وطاب
الجحيم اذا كان به وفى المثنوى * هر كجا باشد شه مارا بساط * هست صحرا كر بود سم الخياط * هر كجا
كه يوسفى باشد چوماه * جنت است اوارچه باشد قعر چاه (يصلونها) اما صفة لجحيم او استئناف مبنى
على سؤال نشأ عن تهويلها كأنه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها كما قال الخليل صلى الكافر النار قاسى
حرها وباشره ببدنه ولم يصف النعيم بما يلائمه لان ما سبق من الكلام كان فى المكذبين الفجرة لان المقام مقام
التخويف وذكر تبشير الابرار لانه ينكشف به حال الفجار الاشرار لان الاشياء تعرف باضدادها (يوم الدين)
يوم الجزاء الذى كانوا يكذبون به (وماهم) ونيست فجار (عنها) اى عن الجحيم (بغائبين) طرفة عين يعنى
دروجاويد باشند وبيرون نيايند كقوله تعالى وماهم بخارجين منها فالمراد دوام نفى الغيبة لا نفى دوام الغيبة وقيل
وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها فى قبورهم حسبما قال النبى عليه السلام القبر

روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران (وما ادراك) الخطاب لكل من يتأتى منه الدراية ومامبتدأ وادراك خبره (ما) خبر قوله (يوم الدين) وما الطلب الوصف وان كان وضعه لطلب الحقيقة وشرح الاسم والمعنى اى شئ جعلك داريا وعالما ما يوم الدين اى اى شئ عجيب هو في الهول والفظاعة اى ما ادراك الى هذا الآن احد كنه امره فانه خارج عن دائرة دراية الخلق على اى صورة يصورونه فهو فوقها واضعافها (ثم ما ادراك مايوم الدين) تكرير ثم المفيدة للترقى فى الرتبة للتأكيد وزيادة التخويف والمجموع تعجيب للمخاطبين وتفخيم لشأن اليوم واظهار يوم الدين فى موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ) بيان اجمالى لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن دائرة علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفى ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما فى القرآن من قوله تعالى وما ادراك فقد ادراه وكل مافيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كأنه قيل هو يوم لاتملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيأ من الاشياء او منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه عليه السلام الى معرفته اذكر يوم لاتملك الخ فانه يدريك ماهو ودخل فى نفس كل نفس ملكية وبشرية وجنية وفى شئ كل ماكان من قبيل جلب المنفعة اودفع المضرة (والامر) كله (يومئذ) اى يوم اذلاتملك نفس لنفس شيأ (لله) وحده والامر واحد الاوامر فان الامر والحكم والقضاء من شأن الملك المطاع والخلق كلهم مقهورون تحت سطوات الربوبية وحكمها ويجوز ان يكون واحد الامور فان امور اهل المحشر كلها بيده تعالى لايتصرف فيها غيره اخبر تعالى بضعف الناس يومئذ وانه لاينفعهم الاموال والاولاد والاعوان والشفعاء كما فى الدنيا بل ينفعهم الايمان والبر والطاعة وانه لايقدر احد ان يتكلم الا باذن الله وامره اذ الامر له فى الدنيا والآخرة فى الحقيقة وان كان يظهر سلطانه فى الآخرة بالنسبة الى المحجوب لان المحجوب يرى ان الله ملكه فى الدنيا وجعل له شيأ من الامور والاوامر فاذا كان يوم القيامة يظهر له ان الامر والملك لله تعالى لايزاحمه فيه احد ولايشاركه ولو صورة وفيه تهديد لارباب الدعاوى واصحاب المخالفة وتنبيه على عظم بطشه تعالى وسطوته * وفى الحديث من قرأ اذا السماء انفطرت اعطاه الله من الاجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة ماء حسنة واصلح الله شأنه يوم القيامة

(تمت سورة الانفطار بعون مالك الافطار فى الثانى والعشرين من صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة والف)

(سورة المطففين ست وثلاثون آية مختلف فى كونها مكية او مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) شدة الشر او الهلاك او العذاب الاليم وقال ابن كيسان هو كلمة كل مكروب واقع فى البلية فقولك ويل لك عبارة عن استحقاق المخاطب لنزول البلاء والمحنة عليه الموجب له ان يقول واويلاه ونحوه وقيل اصله وى لفلان اى الحزن فقرن بلام الاضافة تخفيفا وبالفارسية واى وهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه فى موقع الدعاء على ماسبق بيانه فى المرسلات (للمطففين) الباخسين حقوق الناس فى المكيال والميزان وبالفارسية مركاهند كارا دركيل ووزن فان التطفيف البخس فى الكيل والوزن والنقص والخيانة فيهما بان لايعطى المشترى حقه تاما كاملا وذلك لان مايبخس شئ طفيف حقير على وجه الخفية من جهة دناءة الكيال والوزان وخساستهما اذا الكثير يظهر فيمنع منه ولذا سمى مطففا قال الراغب يقال طفف الكيل قلل نصيب المكيل له فى ايفائه واستيفائه وقال سعدى المفتى والظاهر ان بناء التفعيل للتكثير لان البخس لما كان من عادتهم كانوا يكثرون التطفيف ويجوز ان يكون للتعدية انتهى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها من ابخس الناس كيلا فنزلت فخرج فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الافشا فيهم الفقر وماظهرت فيهم الفاحشة الافشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الامنعوا النبات واخذوا بالسنين ولامنعوا الزكاة الاحبس عنهم القطر فعملوا بوجهها واحسنوا الكيل فهم اوفى الناس كيلا الى اليوم وعن على رضى الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ماشئت كأنه امره اولا بالتسوية ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس رضى الله عنهما انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم

لانهم كانوا يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين فى الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان فى النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه فى النار وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن مالك بن دينار انه دخل على جارله احتضر فقال يامالك جبلان من نار بين يدى اكلف الصعود عليهما فسألت اهله فقالوا كان له مكيالان يكيل باحدهما و يكال بالآخر فدعوت بهما فضربت احدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال مايزداد الامر على الاعظما ودرفصول سبعين آورده كه هركه دركيل ووزن خيانت كند فردا اورا بقعر دوزخ درآورده ميان دوكوه ازآتش بنشانندو كويندكه اين كوهها را وزن كن هرآينه سنجد وميسوزد * توكم دهى و بيش ستانى بكيل ووزن * روزى بود كه ازكم و بيشت خبركنند * (الذين) الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذى استحقوا به الذم والدعاء بالويل (اذا اكتالوا على الناس) اى من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه والاكتيال الاخذ بالكيل كالاتزان الاخذ بالميزان (يستوفون) الاستيفاء عبارة عن الاخذ الوافى اى يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة من بعلى لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء اوللاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر فى حيز الشرط الذى تتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل فى نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافى الوفر حسبما ارادوا باى وجه يتيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس الكيل وتحريك المكيال والاحتيال فى ملئه فيسرقون من افواه المكاييل و السنة الموازين (واذا كالوهم اووزنوهم) الكيل پيمودن به پيمانه تامقدار مكيل معلوم كردد والوزن والزنة سنجيدن تامقدار موزون معلوم شود اى واذا كالوا للناس اووزنوا لهم المبيع ونحوه وبالفارسية وچون مى پيمايند براى ناس و يامى سنجند حقوق ايشانرا فحذف الجار واوصل الفعل كما قال فى تاج المصادر وزنت فلانا درهما ووزنت لفلان بمعنى والاصل اللام ثم حذفت فوصل الفعل ومنه الآية انتهى فلفظ هم منصوب المحل على المفعولية لامرفوعه على التأكيد للواو لان واوالجمع اذا اتصل به ضمير المفعول لايكتب بعده الالف كما فى نصروك ومنه الآية اذلم يكتب الالف فى المصحف واذا وقع فى الطرف بان يكون الضمير مرفوعا واقعا للتأكيد فحينئذ يكتب بعده الالف لان المؤكد ليس كالجزء مما قبله بخلاف المفعول واما نحو شاربوا الماء فالاكثر على حذف الالف لقلة اتصال واوالجمع بالاسم هذا فان قلت خط المصحف خارج عن القياس قلت الاصل فى امثاله اثباته فى المصحف فلا يعدل عنه (يخسرون) اى ينقصون حقوقهم مع ان وضع الكيل والوزن انما هو للتسوية والتعديل يقال خسر الميزان واخسره يعنى كم كرد ومى كاست ولعل ذكر الكيل والوزن فى صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال فى صورة الاستيفاء بان لم يقل اذا اكتالوا على الناس او اتزنوا لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن كما قال فى الكشاف كان المطففين كانوا لايأخذون مايكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يزعزعون و يحتالون فى الملئ واذا اعطوا كالوا اووزنوا لتمكنهم من البخس فى النوعين جميعا انتهى و يؤيده الاقتصار على التطفيف فى الكيل فى الحديث المذكور سابقا وعدم التعرض للمكيل والموزون فى الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم فى الاخذ و الاعطاء لافى خصوصية المأخوذ والمعطى قال ابو عثمان رحمه الله حقيقة هذه الآية عندى هو من يحسن العبادة على رؤية الناس و يسئ اذا خلا وفى التأويلات النجمية يشير الى المقصرين فى الطاعة والعبادة الطالبين كمال الرأفة والرحمة الذين يستوفون من الله مكيال ارزاقهم بالتمام و يكيلونه مكيال الطاعة والعبادة بالنقص والخسران ذلك هو الخسران المبين وقال القاشانى يشير الى التطفيف فى الميزان الحقيقى الذى هو العدل والموزونات به هى الاخلاق والاعمال والمطففون هم الذين اذا اعتبروا كمالات انفسهم متفضلين على الناس يستوفون اى يكثرونها و يزيدون على حقوقهم فى اظهار الفضائل العلمية والعملية اكثر مما لهم عجبا وتكبرا واذا اعتبروا كمالات الناس بالنسبة الى كمالاتهم اخسروا واستحقروها ولم يراعوا العدالة فى الحالين رعونة انفسهم ومحبة التفضل على الناس كقوله يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا يقول الفقير فيه اشارة الى حال النفس القاصرة فى التوحيد الحقيقى فانها اذا اعطته الروح تخسره لنقصانها وقصورها فيه على انه لايدخل فى الميزان اذ لامقابل له فمن ادخله فى الميزان فقد نقص شأنه وشأن نفسه ايضا واما التوحيد الرسمى فهى تستوفيه من الروح لانه حقها

ولا نصيب له (الايظن) ايامى بندارند (اولئك) المطففون الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل فقوله الايست هى التى للتنبيه لان مابعد حرف التنبيه مثبت وهنا منفى لان الا التنبيهية اذا حذفت لايختل المعنى نحو الا انهم لفى سكرتهم يعمهون واذا حذفت الا هذه اختل المعنى بل الهمزة الاستفهامية الانكارية داخلة على لا النافية وجوزان تكون للعرض والتحضيض على الظن (انهم مبعوثون ليوم عظيم) لايقادر قدر عظمه وعظم مافيه من الاهوال ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا فى حد الشك والوهم لايتجاسر على امثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه فذكر الظن للمبالغة فى المنع عن التطفيف والا فالمؤمن لايكفى له الظن فى امر البعث والمحاسبة بل لابد من الاعتقاد الجازم (يوم يقوم الناس) منصوب باضمار اعنى (لرب العالمين) بتقدير المضاف اى لمجرد امره وحكمه بذلك لالشئ آخر اولمحاسبة رب العالمين فيظهر هنالك تطفيفهم ومجازاتهم او يقومون من قبورهم لرد رب العالمين ارواحهم الى اجسادهم روى انهم يقومون بين يدى الله تعالى اربعين عاما وفى رواية ثلاثمائة سنة من سنى الدنيا وعرق احدهم الى انصاف اذنيه لاياتيهم خبر ولايؤمر فيهم بأمر وآن مقام هيبت باشد كه كس رازهره سخن نباشد ثم يخاطبون يعنى ازمقام هيبت بمقام محاسبه آرند واما فى حق المؤمن فيكون المكث كقدر انصرافهم من صلاة مكتوبة وفى تخصيص رب العالمين من بين سائر الصفات اشعار بالمالكية والتربية فلايمتنع عليه الظالم القوى لكونه مملوكا مسخرا فى قبضة قدرته ولايترك حق المظلوم الضعيف لان مقتضى التربية ان لايضيع لاحد شيأ من الحقوق وفى هذه التشديدات اشارة الى ان التطفيف وان كان يتعلق بشئ حقير لكنه ذنب كبير قيل كل من نقص حق الله من زكاة وصلاة وصوم فهو داخل تحت هذا الوعيد وعن ابن عمر رضى الله عنهما انه قرأ هذه السورة فلما بلغ الى قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا اى برفع الصوت وامتنع من قراءة مابعد من غلبة البكاء وملاحظة الحساب والجزاء وقال اعرابى لعبد الملك بن مروان انك قد سمعت ما قال تعالى فى المطففين واراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم فى اخذ القليل فما ظنك بنفسك وانت تأخذ اموال المسلمين بلا كيل ووزن (كلا) ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب فيحسن الوقف عليه وان كان بمعنى حقا فلا لكونه حينئذ متصلا بمابعده (ان كتاب الفجار لفى سجين) تعليل للردع والكتاب مصدر بمعنى المكتوب كاللباس بمعنى الملبوس اوعلى حاله بمعنى الكتابة واللام للتأكيد وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الاسبب واحد وهو التعريف واصله فعيل من السجن مبالغة الساجن اولانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة فى مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته اذلالا لهم وتحقيرا لشأنهم وتشهده الشياطين المدحورون كما ان كتاب الابرار يشهده المقربون فالسجين مبالغة المسجون والمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اى مايكتب من اعمالهم اوكتابة اعمالهم لفى ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين وفى التأويلات النجمية اى كتاب استعدادهم الفطرى مكتوب فى ديوان سجين طبيعتهم المجبولة على الفسق والفجور بقلم اليد اليسرى على ورق صفحة جبينهم كما قال عليه السلام السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه (وما ادراك ما سجين) تهويل لامره اى هو بحيث لايبلغه دراية احد (كتاب مرقوم) قال الراغب الرقم الخط الغليظ وقيل هو تعجم الكتاب وقوله كتاب مرقوم حمل على الوجهين انتهى اى هو مسطور بين الكتابة بحيث كل من نظر اليه يطلع على مافيه بلادقة نظر وامعان توجه اومعلم يعلم من رآه انه لاخير فيه لاهاليه اى ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من اصحاب النار وكونه علامة الشر يستفاد من المقام لانه مقام التهويل وقال القفال قوله كتاب مرقوم ليس تفسير السجين بل هو خبر لان والمعنى ان كتاب الفجار لفى سجين وانه كتاب مرقوم وقوله وما ادراك ما سجين وقع معترضا بين الخبرين وقال القاشانى ان كتاب الفجار اى ماكتب من اعمال المرتكبين للرذائل الذين فجروا بخروجهم عن حد العدالة المتفق عليها الشرع والعقل لفى سجين فى مرتبة من الوجود مسجون اهلها فى حبوس ضيقة مظلمة يزحفون على بطونهم كالسلاحف والحيات والعقارب اذلاء اخساء فى اسفل مراتب الطبيعة ودركاتها وهو ديوان اعمال اهل الشر ولذلك فسر بقوله كتاب مرقوم اى ذلك المحل المكتوب فيه اعمالهم كتاب مرقوم برقوم هيئات رذائلهم وشرورهم (ويل)

عظيم (يومئذ) اى يوم يقوم الناس لرب العالمين فهو متصل به وما بينهما اعتراض وقال بعضهم اى يوم اذ اعطى ذلك الكتاب (للمكذبين) وقال الكاشفى ويل كله ايست جامع همه بدبها يعنى عذاب وعقاب وشدت ومحنت دران روز مر مكذبانراست (الذين يكذبون بيوم الدين) صفة ذامة للمكذبين كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث لان تكذيبهم بيوم لدين علم من قوله الايظن اولئك الخ قال بعض اهل الاشارة المكذبون بالحق وايامه هم ارباب النفوس الذين اقبلوا على الدنيا واعرضوا عن الحق ودينه الذى هو دين الاسلام وكل يجازى بحسب دينه فمن لادين له فجزاؤه سوء الجزاء والويل العظيم ومن له دين فجزاؤه حسن الجزاء ورؤية الوجه الكريم فعليك بالتصديق (وما يكذب به الاكل معتد) متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله على الاعادة مع مشاهدته للبدء كالوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث ونحوهما (اثيم) كثير الاثم اى منهمك فى الشهوات الناقصة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها فالاعتداء دل على اهمال القوة النظرية التى كمالها ان يعرف الانسان وحدة الصانع واتصافه بصفات الكمال مثل العلم والارادة والقدرة ونحوها والاثم دل على اهمال القوة العملية التى كمالها ان يعرف الانسان الخير لاجل العمل به (اذا تتلى عليه آياتنا) الناطقة بذلك (قال) من فرط جهله واعراضه عن الحق الذى لامحيد عنه (اساطير الاولين) اى هى حكايات الاولين واخبارهم الباطلة قال فى فتح الرحمن هى الحكايات التى سطرت قديما وهى جمع اسطورة بالضم واسطارة بالكسر وهى الحديث الذى لانظام له (كلا) ردع للمعتدى عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه ويجوز ان يكون ردعا عن مجموع التكذيب والقول (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) قرأ حفص عن عاصم بل باظهار اللام مع سكتة عليها خفيفة بدون القطع ويبتدئ ران وقرأ الباقون بادغام اللام فى الراء ومنهم حمزة والكسائى وخلف وابو بكر عن عاصم يميلون فتحة الراء قال بعض المفسرين هرب حفص من اجتماع ثقلى الراء المنفخمة والادغام انتهى ويرد عليه قل رب فانه لاسكتة فيه بل هو بادغام احد المتقاربين فى الآخر فالوجه انه انما سكت حفص على لام بل ران وكذا على نون من راق خوف اشتباهه بتثنية البر ومبالغة مارق حيث يصير بران ومراق وما موصولة والعائد محذوف ومحلها الرفع على الفاعلية والمعنى ليس فى آياتنا ما يصح ان يقال فى شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصى حتى صارت كالصدأ فى المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين صدأ يعلو الشئ الجلى والطبع والدنس وران ذنبه على قلبه رينا وريونا غلب وكل ما غلبك رانك وبك وعليك كما فى القاموس وران فيه النوم رسخ فيه وفى التعريفات الران هو الحجاب الحائل بين القلب وعالم القدس باستيلاء الهيئات النفسانية ورسوخ الظلمانية الجسمانية فيه بحيث يحجب عن انوار الربوبية بالكلية والغين بالحجة دون الرين وهو الصدأ فان الصدأ حجاب رقيق يزول بالتصفية ونور التجلى لبقاء الايمان معه والرين هو الحجاب الكثيف الحائل بين القلب والايمان ولهذا قالوا الغين هو الاحتجاب عن الشهود مع صحة الاعتقاد والطبع ان يطبع على القلب والاقفال ان يقفل عليه وقيل الاقفال اشد من الطبع كما ان الطبع اشد من الرين قال القاشانى فى الآية اى صارت صدأ عليها لرسوخ فيها وكدر جوهرها وغيرها عن طباعها والرين حد من تراكم الذنب على الذنب ورسوخه تحقق عنده الحجاب وانغلق باب المغفرة نعوذ بالله منه قال ابو سليمان الدارانى قدس سره الران والقسوة هما زماما الغفلة فمن تيقظ وتذكر أمن من القسوة والرين ودواؤهما ادمان الصيام فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك الادام وقال بعض الكبار القلب مرآة مصقولة كلها وجه فلا تصدأ ابدا وان اطلق عليها الصدأ فى نحو حديث ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وان جلاءها ذكر الله وتلاوة القرآن فليس المراد بذلك الصدأ انه طخاء طلع على وجه القلب ولكنه لما تعلق واشتغل بعلم الاسباب عن العلم بالمسبب كان تعلقه بغير الله صدأ على وجه القلب مانعا من تجلى الحق اليه اذ الحضرة الالهية متجلية على الدوام لا يتصور فى حقها حجاب عنا فلما لم يقبلها هذا القلب من جهة الخطاب الشرعى المحمود وقبل غيرها عبر عن قبول الغير بالصدأ والكن والقفل وغير ذلك وقد نبه الله على ذلك فى قوله وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه فهى فى اكنة مما يدعوها الرسول اليه خاصة لانها فى كن مطلقا فلما تعلقت بغير ما تدعى اليه عميت عن ادراك ما دعيت اليه فلم تبصر شيأ فالقلوب ابدا لم تزل

مقطورة على الجلاء مصقولة صافية (قال مولى الجامى) مسكين فقيه ميكند انكار حسن دوست *
بااو بكو كه ديده جازا جلى كند (كلا) ردع وزجر عن الكسب الرائن اى الموقع فى الرين (انهم) اى المكذبين
(عن ربهم) وهو قوله (يومئذ) اى يوم اذ يقوم الناس لرب العالمين متعلقان بقوله (لمحجوبون) فلا يرونه لانهم
باكسابهم القبيحة صارت مرآة قلوبهم ذات صدأ وسرت ظلمة الصدأ منها الى قوالبهم فلم يبق محل لنور التجلى
بخلاف المؤمنين فانهم يرونه تعالى لانهم باكسابهم الحسنة صارت مرائى قلوبهم مصقولة صافية وسرى نور
الصقالة والصفوة منها الى قوالبهم فصاروا مستعدين لانعكاس نور التجلى فى قلوبهم وقوالبهم وصاروا وجوها
من جميع الجهات كوجود الوجه الباقى بل ابصارا بالكلية سئل مالك بن انس رحمه الله عن هذه الآية فقال لما حجب
اعداؤه فلم يروه لابدان يتجلى لاوليائه حتى يروه يعنى احتج الامام مالك بهذه الآية على مسألة الرؤية من جهة
دليل الخطاب والافلوجب الكل لم يبق للتخصيص فائدة وكذلك * آنكاه در ميان دوست ودشمن فرق نماند
كو بى بهشت ميهمانيست * بى ديدن ميزبان چه باشد * چون دشمن ودوست راچه باشد * پس فرق دران
ميان چه باشد * وعن الشافعى رحمه الله لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى وقال شيخ الاسلام
عبدالله الانصارى رحمه الله لمحجوبون عن رؤية الرضى فان الشقى يراه غضبان حين يتجلى فى المحشر قبل دخول
الناس الجنة وقال حسين بن فضل رحمه الله كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته فالموحد
غير محجوب عن ربه وقال سهل رحمه الله حجبهم عن ربهم قسوة قلوبهم فى العاجل وما سبق لهم من الشقاوة
فى الازل فلم يصلحوا لبساط القرب والمشاهدة فابعدوا وحجبوا والحجاب هو الغاية فى البعد والطرد وقال ابن
عطاء رحمه الله الحجاب حجابان حجاب بعد وحجاب ابعاد فحجاب البعد لا تقريب فيه ابدا وحجاب الابعاد يؤدب ثم
يقرب كآدم عليه السلام وقال القاشانى انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لامتناع قبول قلوبهم للنور وامتناع
عودها الى الصفاء الاول الفطرى كالماء الكبريتى مثلا اذا روق اوصعد لما رجع الى الطبيعة المائية المبردة
لاستحالة جوهره بخلاف الماء المسخن الذى استحالت كيفيته دون طبيعته ولهذا استحقوا الخلود فى العذاب
وفى المفردات الحجب المنع عن الوصول والآية اشارة الى منع السرور عنهم بالاشارة الى قوله فضرب بينهم بسور
اى بحجاب يمنع من وصول لذة الجنة الى اهل النار واذية اهل النار الى اهل الجنة وقال صاحب الكشاف كونهم
محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب
عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال اذا اعتروا باب ذى مهابة رجبوا * والناس ما بين مرجوب ومحجوب
انتهى اى ما بين معظم ومهان وانما جعله تمثيلا لا كناية اذ لا يمكن ارادة المعنى الحقيقى على زعمه من حيث انه
معتزلى قال بعض المفسرين جعل الآية تمثيلا عدول عن الظاهر وهو مكشوف فان ظاهر قولهم هو محجوب
عن الامير يفيد انه ممنوع عن رؤيته وهو اكبر سبب الاهانة وما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما
لمحجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته فالمراد به بيان حاصل المعنى فان المحجوب عن الرؤية ممنوع
عن معظم الرحمة والكرامة فالآية من جملة ادلة الرؤية فالحمد لله تعالى على بذل نواله وعطائه وعلى شهود جماله
ولقائه (ثم انهم) مع كونهم محجوبين عن رؤية الله (لصالوا الجحيم) اى داخلوا النار ومباشروا حرها من غير حائل
اصله صالون حذفت نونه بالاضافة وثم لتراخى الرتبة فان صلى الجحيم اشد من الحجاب والاهانة والحرمان والرحمة
والكرامة فان الحجاب وان كان من قبيل العذاب الروحانى وهو اشد من العذاب الجسمانى لكن مجرد النجاة
من النار اهون من العذاب لان فى العذاب الحسى حصول العذابين كما لا يخفى (ثم يقال) لهم توبيخا وتقريعا
من جهة الزبانية وانما طوى ذكرهم لان المقصود ذكر القول لا القائل مع ان فيه تعميما لاحتمال القائل وبه يشتد
الخوف (هذا) العذاب وهو مبتدأ خبره قوله (الذى كنتم) فى الدنيا (به) متعلق بقوله (تكذبون) فقدم وتقديمه
لرعاية الفاصلة لا للحصر فانهم كانوا يكذبون احكاما كثيرة (كلا) ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر بعد زجر
(ان كتاب الابرار) اى الاعمال المكتوبة لهم على ان الكتاب مصدر مضاف الى مقدر (لفى عليين) لفى ديوان جامع
لجميع اعمال الابرار فعليون علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع
على فعيل من العلو للمبالغة فيه سمى بذلك اما لانه بسبب الارتفاع الى اعالى الدرجات فى الجنة واما لانه
مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروى ان الملائكة لتصعد بعمل العبد

فيستقلونه فاذا انتهوا الى ماشاء الله من سلطانه اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدى وانا الرقيب على ما فى قلبه
وانه اخلص عمله فاجعلوه فى عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيتركونه فاذا انتهوا به الى ماشاء الله
اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدى وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص فى عمله فاجعلوه فى سجين وفيه اشارة الى
ان الحفظة لا يطلعون على الاخلاص والرياء الا باطلاع الله تعالى (وما ادراك ما عليون) اى هو خارج عن دائرة
دراية الخلق (كتاب مرقوم) اى هو مسطور بين الكتابة يقرأ بلا تكلف او معلم بعلامة تدل على سعادة صاحبه
وفوزه بنعيم دائم وملك لا يبلى ولما كان عليون محلا منقولا من الجمع حكم عليه بالمفرد وهو كتاب مرقوم واعرب
باعراب الجمع حيث جر بالياء ورفع بالخبرية لما الاستفهامية لكونه فى صورة الجمع وقيل اسم مفرد على لفظ الجمع
كعشرين وامثاله فليس له واحد (يشهده) الملائكة (المقربون) عند الله قربة الكرامة اى يحضرونه ويحفظونه
من الضياع وفى فتح الرحمن هم سبعة املاك من مقربى السماء من كل سماء ملك مقرب فيحضره ويشيعه حتى يصعد به
الى ماشاء الله ويكون هذا فى كل يوم او يشهدون بما فيه يوم القيامة على رؤس الاشهاد ويبين سر ترك الضمير
بان يقال طوبى يومئذ للمصدقين بمقابلة ويل يومئذ للمكذبين لان الاخبار بحضور الملائكة تعظيما واجلالا
يفيد ذلك مع زيادة فيختم كل واحد بما يصلح سواه مكانه وقال القاشانى ما كتب من صور اعمال السعداء وهيئات
نفوسهم النورانية وملكاتهم الفاضلة فى عليين وهو مقابل لسجين فى علوه وارتفاع درجته وكونه ديوان اعمال
اهل الخير كما قال كتاب مرقوم اى محل شريف رقم بصور اعمالهم من جرم سماوى او عنصر انسانى يحضر ذلك
المحل اهل الله الخاصة من اهل التوحيد الذاتى (ان الابرار) اى السعداء الاتقياء عن درن صفات النفوس
(لفى نعيم) ثم وصف كيفية ذلك النعيم بامور ثلاثة اولها قوله (على الارائك) اى على الاسرة فى الحجال يعنى
بر تختهاى آراسته ولا يكاد تطلق الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه فى الحجلة وهو بالتحريك بيت العروس
يزين بالثياب والاسرة والستور (ينظرون) اى الى ماشاؤا مد اعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم
الله من النعمة والكرامة يعنى مى نكرند بجيزها كه ازان شادمان و فرحناك ميكردند از صور حسنه
ومنتزهات بهيه وكذا الى اعدائهم يعذبون فى النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك لطافتها وشفوفها
اى رقتها فحذف المفعول للتعميم وقوله على الارائك يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا من المنوى
فى الخبر او فى الفاعل فى ينظرون والتقديم لرعاية فواصل الآى واما ينظرون فيجوز ان يكون مستأنفا وان يكون
حالا اما من المنوى فى الخبر او فى الظرف اى ناظرين قال ابن عطاء رحمه الله على ارائك المعرفة الى المعروف
وعلى ارائك القربة ينظرون الى الرؤف وفيه اشارة الى ان ارباب المقامات العالية ينظرون الى جميع مراتب
الوجود لا يحجبهم شئ عن المطالعة بخلاف الاغيار فانهم محجوبون عن مطالعة احوال اهل الملكوت ورمز
الى ان لكل من اهل الدرجات روضة مخصوصة من الاسماء والصفات فيها ينظرون فمنهم عال واعلى وليس
الاشراف على الكل الا الاشرف الاشراف وهو قطب الاقطاب (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) وهو ثانى
الاوصاف اى بهجة التنعم وماءه ورونقه اى اذا رأيتهم عرفت انهم اهل النعمة بسبب ما ترى فى وجوههم
من القرائن الدالة على ذلك كالضحك والاستبشار كما يرى فى وجوه الاغنياء واهل الترفه فى هذا الخبر تعرف
على ترى مع ان المعرفة تتعلق بالخفيات غالبا والرؤية بالجليات والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب
للايذان بان مالهم من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية راء دون راء قال جعفر رضى الله
عنه يعنى لذة النظر تتلألأ مثل الشمس فى وجوههم اذا رجعوا من زيارة الله الى اوطانهم وقال بعضهم تعرف
فى وجوههم رضى محبوبهم عنهم (يسقون من رحيق) وهو ثالث الاوصاف وسقى يتعدى الى مفعولين
والاول هنا الواو القائم مقام الفاعل والثانى من رحيق لان من تبعيضية كأنه قيل بعض رحيق او مقدر معلوم
اى شرابا كائنا من رحيق فمن ابتدائية والرحيق صافى الخمر وخالصها والمعنى يسقون فى الجنة من شراب
خالص لا غش فيه ولا ما يكرهه الطبع ولا شئ يفسده وايضا صاف عن كدورة الخمار وتغير النكهة وايراث
الصداع (مختوم ختامه) اى ما يختم ويطبع به (مسك) وهو طيب معروف اى مختوم اوانيه واكوابه بالمسك
مكان الطين قال فى كشف الاسرار ما ختم به مسك رطب ينطبع فيه الختم امر الله بالختم عليه اكراما لاصحابه
فختم ومنع ان يمسه ماس او تتناوله يد الى ان يفك ختمه الابرار والاظهر انه تمثيل لكمال نفاسته اذ الشئ النفيس

يختم لاسيما اذا كان ما يختم به المسك مكان الطين وقيل ختام الشئ خاتمته وآخره فمعنى ختامه مسك ان الشارب اذا رفع فاه من آخر شربه وجد رائحة كرائحة المسك اووجد رائحة المسك لكونه ممزوجا به كالاشربة الممسكة فى الدنيا فانه يوجد فيها رائحة المسك عند خاتمة الشرب لافى اول زمان الملابسة بالشرب وعن ابى الدرداء رضى الله عنه ان الرحيق شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم ولوان رجلا من اهل الدنيا ادخل فيه يده ثم اخرجها لم يبق ذوروح الاوجد طيب ريحه (وفى ذلك) لرحيق خاصة دون غيره من النعيم المكدر السريع الفناء اوفيما ذكر من احوالهم لافى احوال غيرهم من اهل الشمال (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله يعنى عمل بجاى آرند كه سبب استحقاق شرب آن كردند والامر للتحضيض والترغيب ظاهرا والوجوب باطنا بوجوب الايمان والطاعة واصل التنافس التغالب فى الشئ النفيس اى المرغوب كأن كل واحد من الشخصين يريد ان يستأثر به واصله من النفس لعزتها وقال البغوى اصله من الشئ النفيس الذى يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اى يبخل وفى المفردات المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل واللحوق بهم من غير ادخال ضرر على غيره قال ذوالنون المصرى رحمه الله علامة التنافس تعلق القلب به وطيران الضمير اليه والحركة عند ذكره والتباعد من الناس والانس بالوحدة والبكاء على ماسلف وحلاوة سماع الذكر والتدبر فى كلام الرحمن وتلقى النعم بالفرح والشكر والتعرض للمناجاة (ومزاجه من تسنيم) عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله ومابينهما اعتراض مقرر لنفاسته اى مايمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم وهو علم لعين بعينها تجرى من جنة عدن سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه امالانها ارفع شراب فى الجنة قدرا فيكون من علو المكانة واما لانها تأتيهم من فوق فيكون من علو المكان روى انها تجرى فى الهواء متسنمة فتنصب فى اوانيهم فاذا امتلأت امسك الماء حتى لايقع منه قطرة على الارض فلا يحتاجون الى الاستقاء (عينا) نصب على المدح والاختصاص اى بتقدير اعنى (يشرب بها المقربون) من جناب الله قربا معنويا روحانيا اى يشربون ماءها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة وهم اصحاب اليمين فالباء مزيدة او بمعنى من وفيه اشارة الى ان التسنيم فى الجنة الروحانية هو معرفة الله ومحبته ولذة النظر الى وجهه الكريم والرحيق هو الابتهاج تارة بالنظر الى الله واخرى بالنظر الى مخلوقاته فالمقربون افضل من الابرار كما ان التسنيم اعلى واحلى من الرحيق يعنى چون مقربان مشغول بماسوى نشده اند يعنى محبت حق را بمحبت غيرنيا ميخته اند شراب ايشان صرفست وآنها كه محبت ايشان آميخته باشد شراب ايشان ممزوج باشد * ماشراب عيش ميخواهيم بى دردى غم * صاف نوشان ديكر ودردى فروشان ديكرند * وقال بعضهم تسبيح رهى وصف جمال تو بسست * وزهر دوجهان وراوصال تو بسست * اندردل هر كسى ذكر مقصوديست مقصود دل درهى خيال تو بسست * ودر بحر الحقائق آورده كه رحيق اشارتست بشراب خالص از كدورات خمار كونين واوانى مختومه رى قلوب اوليا واصفيا كه ختام اومسك محبت است لايشرب من تلك الاوانى الا الطالبون الصادقون فى طريق السلوك الى الله (على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولاسهم) وتسنيم اعلاى مراتب محبت است يعنى محبت ذاتيه كه غير ممزوج باشد بصفات وافعال ومقربان اهل فنا فى الله وبقا بالله انه كما قال العارف فى خمر المحبة الصرفة الخالصة من المزج

عليك بها صرفا فان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

العدل بمعنى العدول والظلم بالفتح هو ماء الاسنان وريقها وبالضم هو الجور اى فان شئت مزجها فامزجها بزلال فم الحبيب وريقه ان لم تقدر على شربها صرفا ولاتعدل فان العدول عن ظلم الحبيب ورشحة زلاله هو الظلم وناكسى بربساط قرب درمجلس انس ورياض قدس ازدست ساقى رضا جرعه از ين شراب ناب نچشد بوى ازسر اين سخنان بمشام جان وى نرسد * سرمايه ذوق دوجهان مستى عشقست * آنها كه ازين مى نچشيدند چه دانند (ان الذين اجرموا) كانوا ذوى جرم وذنب ولاذنب اكبر من الكفر واذى المؤمنين لايمانهم فالمراد بهم رؤساء قريش واكابر المجرمين المشركين كابى جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وامثالهم (كانوا) فى الدنيا (من الذين آمنوا) ايمانا صادقا (يضحكون) اى يستهزئون بفقرائهم كعمار وصهيب وبلال وخباب وغيرهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل (واذا مروا) اى فقراء المؤمنين (بهم) اى بالمشركين

وشم فى اديهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا يقال مر مرا ومرورا واجاز وذهب كاستمر ومر به جاز عليه كما فى القاموس قال فى تاج المصادر المر بكذشتن بكسى و يعدى بالباء وعلى (يتغامزون) اى يغمز بعضهم بعضا و يشيرون باعينهم و يعيبونهم و يقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون انفسهم و يتركون اللذات و يتحملون المشقات لما يرجونه فى الآخرة من المثوبات وامر البعث والجزاء لا يقين به وانه بعيد كل البعد والتغامز تفاعل من الغمز وهو الاشارة بالجفن و الحاجب ويكون بمعنى العيب ايضا وفى التاج التغامز بكديكر را بچشم اشارت كردن (واذا انقلبوا) من مجالسهم (الى اهلهم) الى اهل بيتهم واصحابهم الجهلة الضالة التابعة لهم والانقلاب الانصراف والتحول والرجوع (انقلبوا) حال كونهم (فكهين) متلذذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين و يكتفون حينئذ بالتغامز (واذا رأوهم) اى المجرمون المؤمنين اينما كانوا (قالوا) مشيرين الى المؤمنين بالتحقير (ان هؤلاء لضالون) اى نسبوا المسلمين ممن راوهم ومن غيرهم الى الضلال بطريق التأكيد وقالوا تركوا دين آبائهم القديم ودخلوا فى الدين الحادث او قالوا تركوا التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى هل له وجود اولا وهذا كما ان بعض غفلة العلماء ينسبون الفقراء السالكين الى الضلال والجنون خصوصا اذا كان اهل السلوك من اهل المدرسة فانهم يضللونه اكثر من تضليل غيره * منع كنى زعشق وى اى زاهد زمان * معذور دارمت كه ترا وراند يده (وما ارسلوا) اى المجرمون (عليهم) اى على المسلمين (حافظين) حال من واو قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم امورهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وانما امروا باصلاح انفسهم واى نفع لهم فى تتبع احوال غيرهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترأوا عليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوزان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى (فاليوم الذين آمنوا) اى المعهودون من الفقراء (من الكفار) المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين (يضحكون) حين يرونهم اذلاء مغلولين وغشيهم فنون الهوان والصغار بعد العز والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعم والترفه قال فى بعض التفاسير الفاء جواب شرط مقدر كأنه قيل اذا عرفتم ما ذكر فاعلموا ان اليوم اى يوم القيامة فاللام للعهد والذين مبتدأ ومن الكفار متعلق بقوله يضحكون وحرام الوهم ان يتوهم كونه بيانا للموصول نظرا الى ظاهر الاتصال من غير تفكر فى المعنى ويضحكون خبر المبتدأ وهو ناصب اليوم لصحة المعنى (على الارائك) بر تختهاى آراسته بادر وياقوت (ينظرون) اى يضحكون منهم حال كونهم ناظرين اليهم والى ما فيهم من سوء الحال فهو حال من فاعل يضحكون (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) كلام مستأنف من قبل الله او من قبل الملائكة والاستفهام للتقرير وثوب بمعنى يثوب عبر عنه بالماضى لتحققه والتثويب والاثابة المجازاة استعمل فى المكافاة بالشر قال الراغب الاثابة تستعمل فى المحبوب نحو فاثابهم الله بما قالوا جنات وقد قيل ذلك فى المكروه نحو فاثابكم غما بغم على الاستعارة و التثويب فى القرآن لم يجئ الا فى المكروه نحو هل ثوب الخ انتهى و فى تاج المصادر التثويب پاداش دادن وفى تهذيب المصادر التثويب ثواب دادن وفى القاموس التثويب التعويض انتهى وهو الموافق لما فى التاج والمراد بما كانوا يفعلون استهزاؤهم بالمؤمنين وضحكهم منهم وهو صريح فى ان ضحك المؤمنين منهم فى الآخرة انما هو جزاء لضحك الكافرين منهم فى الدنيا وفيه تسلية للمؤمنين بانه سينقلب الحال و يكون الكفار مضحوكا منهم وتعظيم لهم فان اهانة الاعداء تعظيم للاولياء والله ينتقم لاوليائه من اعدائهم فانه يغضب لاوليائه كما يغضب الليث الجرئ لجروه ومن الله العصمة وعلم منه ان الضحك والاستهزاء والسخرية والغمز من الكبائر فالخائض فيها من المجرمين الملحقين بالمشركين نسأل الله السلامة

تمت سورة المطففين بعون المعين فى السادس و العشرين من صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة والف

سورة الانشقاق خمس وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا السماء انشقت) اعرابه كاعراب اذا السماء انفطرت اى انفتحت بغمام ابيض يخرج منها كقوله تعالى ويوم

تشقق السماء بالغمام والباء للآلة كما فى قولك انشقت الارض بالنبات وفى ذلك الغمام الملائكة ينزلون وفى ايديهم صحائف الاعمال اوفيه ملائكة العذاب وكان ذلك اشد وافظع من حيث انه جاء العذاب من موضع الخير فيكون انشقاق السماء لنزول الملائكة بالاوامر الإلهية وقيل للسقوط والانتقاض وقيل لهول القيامة وكيف لا تنشق وهى فى قبضة قهره اقل من خردلة ولا منع من جميع هذه الاقوال فانها تنشق لهيبة الله فتنزل الملائكة ثم يؤول امرها الى الفساد والاختلال وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة وهى بفتح الميم باب السماء اى البياض المستطيل فى وسط السماء سميت بذلك لانها كاثر الجر و يقال لها بالفارسية راه حاجيان و كهكشهان تنشق السماء من ذلك الموضع كأنه مفصل ملتئم فتصدع منه (واذنت لربها) واستمعت اى انقادت واذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت قدرته وارادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع فهو استعارة تمثيلية متفرعة على المجاز المرسل يعنى اذا اطلق الاذن وهو الاستماع فى حق من له حاسة السمع والاستماع بها يراد بها الاجابة والانقياد مجازا واذا اطلق فى حق نحو السماء مما ليس فى شأنه الاستماع والقبول يكون استعارة تمثيلية فقوله انشقاقها يدل على نفوذ القدرة فى الايجاد والابداع من غير ممانعة اصلا وقوله واذنت لربها يدل على نفوذ القدرة فى التفريق والاعدام من غير ممانعة اصلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذا الانقياد عند ارباب الحقائق محمول على ان لها حياة وادراكا كسائر الحيوانات اذ ما من شئ الا وله نصيب من تجلى الاسم الحى وقد سبق مرارا (وحقت) من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به اى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد اذ هى مربوبة ومصنوعة له تعالى اى شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة القاهرة الربانية التى يتأتى بها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور وبالفارسية وخود آنرا چنين سزد فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررة لما قبلها لا معطوفة عليه (واذا الارض مدت) اى بسطت بازالة جبالها وآكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت كالصحيفة الملساء اوزيدت سعة وبسطة من احد وعشرين جزأ الى تسعة وتسعين جزأ لوقوف الخلائق عليها للحساب والا لم تسعهم من مده بمعنى امده اى زاده وفى الحديث اذا كان يوم القيامة مد الله الارض مد الاديم حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه يعنى لكثرة الخلائق فيها قوله مد الاديم لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه واستوى وفى بعض الروايات مد الاديم العكاظى قال فى القاموس هو كغراب سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى العقدة وتستمر عشرين يوما تجتمع قبائل العرب فيتعاكظون اى يتفاخرون ويتناشدون ومنه الاديم العكاظى انتهى (والقت ما فيها) اى رمت ما فى جوفها من الموتى والكنوز الى ظاهرها كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وهو من الاسناد المجازى والا فالالقاء والاخراج لله تعالى حقيقة فان قلت اخراج الكنوز يكون وقت خروج الدجال لا يوم القيامة قلت يوم القيامة وقت متسع يجوز اعتباره من وقت خروجه ولو مجازا لانه من اشراطه الكبرى فيكون اخراج الكنوز عند قرب الساعة واخراج الموتى عند البعث (وتخلت) وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شئ منه كأنها تكلفت فى ذلك اقصى جهدها كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما فى الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما فى طبعهما (واذنت لربها) وانقادت له فى الالقاء والتخلى (وحقت) اى وهى حقيقة بذلك اى شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية ذكره مرتين لان الاول متصل بالسماء والثانى بالارض واذا اتصل كل واحد بغير ما اتصل به الآخر لم يكن تكرارا وجواب اذا محذوف اى اذا وقعت هذه الامور كان من الاهوال ما تقصر عن بيانه العبارة وفى تفسير الكاشفى جواب اذا آنست كه به بيند انسان ثواب وعقاب را وفيه اشارة الى انشقاق سماء الروح الحيوانية بانفراجها عن الروح الانسانى وزوالها وبسط ارض البدن بنزع الروح عنها والقاء ما فيها من الروح والقوى وتخليها عن كل ما فيها من الآثار والاعراض بالحياة والمزاج والتركيب والشكل بتبعية خلوها عن الروح وفى التأويلات النجمية يشير الى انشقاق سماء الروح عن ظلمة غيم النفس الامارة وانقيادها لفيض ربها بتهيئة الاستعداد بما يتصرف فيها من غير اباء وامتناع والى بسط ارض النفوس البشرية لاربابها وتخليها عن احكام البشرية (يا ايها الانسان) جنس الانسان الشامل للمؤمن والكافر والعاصى فالخطاب عام لكل مكلف على سبيل البدل يقال هذا ابلغ من العموم لانه يقوم مقام التنصيص فى النداء على مخاطبة كل واحد بعينه كأنه قيل يا فلان ويا فلان الى غير ذلك (انك كادح الى ربك كدحا) الكدح جهد النفس فى العمل

والكدفيه بحيث يؤثر فيها والجهد بالفتح بمعنى المشقة والتعب والكد السعى الشديد فى العمل وطلب الكسب
من كدح جلده اذا خدشه والمعنى انك جاهد ومجد أى ساع باجتهاد ومشقة الى لقاء ربك اى الى وقت لقائه
وهو الموت ومابعده من الاحوال الممثلة باللقاء مبالغ فى ذلك وفى الخبر انهم قالوا يارسول الله فيم نكدح وقد جفت
الاقلام ومضت المقادير فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له (فملاقيه) فملاقى له اى لجزاء عملك من خير وشر عقيب
ذلك لامحالة من غير صارف يلويك عنه ولامفر لك منه ويقال انك عامل لربك عملا فملاق عملك يوم القيامة يعنى
ان جدك وسعيك الى مباشرة الاعمال فى الدنيا هو فى الحقيقة سعى الى لقاء جزائها فى العقبى فملاق ذلك الجزاء
لامحالة فعليك ان تباشر فى الدنيا بما ينجيك فى العقبى واحذر عما يهلكك فيها و يوقعك فى الخجالة والافتضاح
من سوء المعاملة و فى الحديث النادم ينتظر الرحمة والمعجب ينتظر المقت وكل عامل سيقدم الى ماسلف
وقال القاشانى انك ساع بالموت اى تسير مع انفاسك سيرا بعا كما قيل انفاسك خطاك فملاقيه ضرورة فالضمير للرب
وفى التأويلات النجمية يشير الى الانسان المخلوق على صورة ربه وكدحه واجتهاده فى التحقق بالاسماء الالهية
والصفات اللاهوتية فهو ملاقى مايكدح و يجتهد بحسب استعداده الفطرى (فامامن) وهو المؤمن السعيد
ومن موصولة وهو تفصيل لما اجمل فيما قبله (اوتى) اى يؤتى والماضى لتحققه (كتابه) المكتوب فيه اعماله
التى كدح فى كسبها (بيمينه) لكون كدحه بالسعى فيما يكتبه كاتب اليمين والحكمة فى الكتاب ان المكلف اذا علم
ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد
على عفوه وستره لم يحتشم احتشامه من خدمه المطلعين عليه (فسوف) بس زود بودكه (يحاسب) يوم القيامة
بعد مدة مقدرة على ماتقتضيه الحكمة (حسابا يسيرا) سهلا لامناقشة فيه ولااعتراض بما يسوؤه و يشق عليه
كما يناقش اصحاب الشمال والحساب بمعنى المحاسبة وهو بالفارسية باكسى شمار كردن والمراد عد اعمال العباد
واظهارها للمجازاة وعن الصديقة رضى الله عنها هو اى الحساب اليسير ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه يعنى
ان يعرض عليه اعماله و يعرف ان الطاعة منها هذه والمعصية هذه ثم يثاب على الطاعة و يتجاوز عن المعصية
فهذا هو الحساب اليسير لانه لاشدة على صاحبه ولامناقشة ولايقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولابالحجة
عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولاحجة فيفتضح * برادر زكار بدان شرم دار * كه در روى نيكان
شوى شرمسار * بجاى كه دهشت خوردانبيا * توعذر كنه راچه دارى بيا * ولذا قال عليه السلام
من نوقش فى الحساب فقد هلك اى دخل النار مع الداخلين و فى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى هو مثل
عرض الجيش اعنى عرض الاعمال لانهازى اهل الموقف والله الملك فيعرفون بسيماهم كما يعرف الاجناد هنا
بزيهم قالوا ان عصاة المؤمنين داخلة فى هذا القسم فقوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا من وصف الكل
بوصف البعض اى فالعصاة وان لم يكن لهم حساب يسير بالنسبة الى المطيعين لكن حسابهم كالعرض بالنسبة
الى مناقشة اصحاب الشمال فاصحاب اليمين شاملة لهم وقد يقال كتاب عصاة المؤمنين يعطى عند خروجهم
من النار وقيل يجوز ان يعطوا من الشمال لامن وراء ظهورهم وفيه ان الاعطاء من الشمال ومن وراء الظهر
امر واحد وقيل لم تتعرض الآية للعصاة الذين يدخلهم الله النار وهو الظاهر وقوله عليه السلام فى بعض صلاته
اللهم حاسبنى حسابا يسيرا او ان دل على ان للانبياء كتابا لكن الظاهر ارشاد الامة وتعليمهم والا فهم معصومون
داخلون الجنة بلاحساب ولاكتاب (وينقلب) اى يرجع و ينصرف من مقام الحساب اليسير (الى اهله)
اى عشيرته المؤمنين اوفريق المؤمنين هم رفقاؤه فى طريق السعادة والكرامة (مسرورا) مبتهجا بحاله وكونه
من اهل النجاة قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه فهذا الانقلاب يكون فى المحشر قبل دخول الجنة لا كما قال فى عين المعانى
من انه يدل على ان اهله يدخلون الجنة قبله وفيه اشارة الى كتاب الاستعداد الفطرى المكتوب فى ديوان الازل
بقلم كتبة الاسماء الجمالية فان من اوتيه لاتناقشه الاسماء الجلالية و ينقلب الى اهله مسرورا بفيض تجلى جماله
ولطفه (واما من اوتى كتابه) تكرير كتابه بدون الاكتفاء بالاضمار لتغاير الكتابين وتخالفهما بالاشتمال والحكم
فى المآل اى يؤتى كتاب عمله (وراء ظهره) اى بشماله من وراء ظهره وجانبه ظرف لاوتى مستعمل فى المكان
وقال الكلبى يغل يمينه ثم تلوى يده اليسرى من ورائه فيعطى كتابه بشماله وهى خلف ظهره فلا مخالفة بين هذا
و بين مافى الحاقة حيث لم يذكر فيها الظهر بل اكتفى بالشمال قال الامام و يحتمل ان يكون بعضهم يعطى كتابه

بشماله و بعضهم من وراء ظهره وفى تفسير الفاتحة للفنارى رحمه الله واما من اوتى كتابه بشماله وهو المنافق
فان الكافر لا كتاب له اى لان كفره يكفيه فى المؤاخذة فلا حاجة الى الكتاب من حيث انهم ليسوا بمكلفين
بالفروع واما من اوتى كتابه وراء ظهره فهم الذين اوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا
فاذا كان يوم القيامة قيل له خذه من وراء ظهرك اى من الموضع الذى نبذته فيه فى حياتك الدنيا فهو كتابه المنزل
عليه لا كتاب الاعمال فانه حين نبذه وراء ظهره ظن ان لن يحور وقال ابو الليث فى البستان اختلف الناس
فى الكفار هل يكون عليهم حفظة اولا قال بعضهم لا يكون عليهم حفظة لان امرهم ظاهر وعملهم واحد
وقال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم ولا نأخذ بهذا القول بل يكون للكفار حفظة والآية نزلت بذكر الحفظة
فى شأن الكفار الا ترى الى قوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
وقال فى آية اخرى واما من اوتى كتابه بشماله واما من اوتى كتابه وراء ظهره فاخبر ان الكفار يكون لهم كتاب
وحفظة فان قيل فالذى يكتب عن يمينه اذا اى شئ يكتب ولم يكن لهم حسنة يقال له الذى عن شماله يكتب
باذن صاحبه ويكون شاهدا على ذلك وان لم يكتب (فسوف يدعو) پس زود باشد كه بخواند اى بعد مدة
منتهية الى عذاب شديد لا يطاق عليه (ثبورا) اى يتمنى لنفسه الثبور وهو الهلاك و يدعوه ياثبوراه تعال فهذا
اوانك وانى له ذلك يعنى لما كان ايتاء الكتاب من غير يمينه علامة كونه من اهل النار كان كالامد واثبوراه
قال الفراء تقول العرب فلان يدعو لهفه اذا قال والهفاه قيل الثبور مشتق من المثابرة على الشئ وهو المواظبة
عليه وسمى هلاك الآخرة ثبورا لانه لازم لا يزول كما قال تعالى لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا
قال فى كشف الاسرار پير بوعلى سياه وقتى در بازار معرفت سائلى مى كفت بحق روز بزرك كه مرا چيزى بدهيد
پير از هوش برفت چون بهوش باز امد اورا كفتند اى شيخ ترا اين ساعت چه روى نمود كفت هيبت وعظمت
آن روز بزرك آنكه كفت واحزناه على قلة الحزن واحسرتاه على قلة التحسر يعنى وا اندوهاى از بى آند
وهى واحسرتا آز بى حسرتى (و يصلى سعيرا) اى يدخلها و يقاسى حرها وعذابها من غير حائل وهذا يدل
على ان دعاءهم بالثبور قبل الصلى و به صرح الامام واما قوله تعالى فاذا القوا منها مكانا ضيقا دعوا هنالك ثبورا
فيدل على انه بعده ولا منافاة فى الجمع فانهم يدعونه اولا وآخرا بل دائما على ان الواو لمطلق الجمع لا للترتيب وفيه
اشارة الى صاحب كتاب الاستعداد الفطرى المكتوب فى ديوان الازل بقلم كتبة الاسماء الجلالية فانه يتمنى ان يكون
فى الدنيا فانيا فى الحق وهالكا عن انانيته وانيته و يصلى نارا لرياضة والمجاهدة وو راء ظهره من الجزاء الوفاق
لانه خالف امر ربه فى قوله وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها اى من غير مدخلها بمحافظة ظواهر الاعمال
من غير رعاية حقوق بواطنها بتقوى الاحوال فسبب الوصول الى حضرة الربوبية والمدخل فيها هو التقوى
وهو اسم جامع لكل بر من اعمال الظاهر واحوال الباطن والقيام باتباع الموافقات واجتناب المخالفات
وقال القاشانى واما من اوتى كتابه وراء ظهره اى جهته التى تلى الظلمة من الروح الحيوانى والجسد فان وجه
الانسان جهته التى الى الحق وخلفه جهته التى الى البدن الظلمانى بان رد الى الظلمات فى صور الحيوانات فسوف
يدعو ثبورا لكونه فى ورطة هلاك الروح وعذاب الابد و يصلى سعير نار الآثار فى مهاوى الطبيعة (انه)
اى لان فالجملة استئناف لبيان علة ما قبلها (كان) فى الدنيا (فى اهله) فيما بين اهله وعشيرته او معهم على
انهم جميعا كانوا مسرورين كما يقال جاءنى فلان فى جماعة اى معهم (مسرورا) مترفا بطرا مستبشرا
يعنى شادان ونازان بمال فانى و جاه ناپايدار ومحجوب از منعم بنعم كديدن الفجار الذى لا يخطر
ببالهم امور الآخرة ولا يتفكرون فى العواقب كسنة الصلحاء والمتقين كما قال تعالى حكاية انا كنا فى اهلنا
مشفقين والحاصل انه كان الكافر فى الدنيا فارغا عن هم الآخرة وكان له مزمار فى قلبه فجوزى بالغم الباقى بخلاف
المؤمن فانه كان له نائحة فى قلبه فجوزى بالسرور الدائم وفيه اشارة ايضا الى الروح العلوى الذى يؤتى كتابه
بيمينه والى النفس السفلية التى تؤتى كتابها من وراء ظهرها واهلها القوى الروحانية النورانية والقوى الجسمانية
الظلمانية (انه ظن) تيقن كما فى تفسير الفاتحة للفنارى وقال فى فتح الرحمن الظن هنا على بابه بمعنى
الحسبان لا الظن الذى بمعنى اليقين وهو تعليل لسروره فى الدنيا اى ان هذا الكافر ظن فى الدنيا (ان)
اى ان الامر والشأن فهى مخففة من الثقيلة سادة مع ما فى حيزها مسد مفعولى الظن او احدهما على الخلاف

المعروف (ان يحور) ان يرجع الى الله تكذيبا للمعاد والحور الرجوع والمحار المرجع والمصير وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت ادرى ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حورى حورى اى ارجعى وحر الى اهلك اى ارجع ومنه الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى الرجوع عن حالة جميلة والحوارى القصار لرجعه الثوب الى البياض (بلى) ايجاب لما بعد لن اى بلى يحورن البتة وليس الامر كما يظن (ان ربه) الذى خلقه (كان به) و باعماله الموجبة للجزاء والجار متعلق بقوله (بصيرا) بحيث لا تخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما اذ لا يجوز فى حكمته ان يهمله فلا يعاقبه على سوء اعماله وهذا زجر لجميع المكلفين عن المعاصى كلها وقال الواسطى رحمه الله كان بصيرا به اذا خلقه لماذا خلقه ولاى شئ اوجده وما قدر عليه من السعادة او الشقاوة وما كتب له وعليه من اجله ورزقه (فلا) كلمة لا صلة لتوكيد كما مر مرارا (اقسم بالشفق) هى الحمرة التى تشاهد فى افق المغرب بعد الغروب و بغيوبتها يخرج وقت المغرب و يدخل وقت العشاء عند عامة العلماء او البياض الذى يليها ولا يدخل وقت العشاء الا بزواله وجمعى برآنندكه آن بياض اصلا غائب نمى شود بلكه متردد است از افقى بافقى وقد سبق تحقيق المقام فى المزمل وهى احدى روايتين عن ابى حنيفة رضى الله عنه و يروى انه رجع عن هذا القول ومن ثمة كان يفتى بالاول الذى هو قول الامامين وغيرهما سمى به يعنى على كل من المعنيين لرقته لكن مناسبته لمعنى البياض اكثر وهو من الشفقة التى هى عبارة عن رقة القلب ولا شك ان الشمس اعنى ضوءها أخذ فى الرقة والضعف من غيبة الشمس الى ان يستولى سواد الليل على الآفاق كلها وعن عكرمة ومجاهد الشفق هو النهار بناء على ان الشفق هو اثر الشمس وهو كوكب نهارى واثره هو النهار فعلى هذا يقع القسم بالليل والنهار اللذين احدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام امور العالم وفى المفردات الشفق اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس قال القاشانى فلا اقسم بالشفق اى النورية الباقية من الفطرة الانسانية بعد غروبها واحتجابها فى افق البدن الممزوجة بظلمة النفس عظمها بالاقسام به لامكان كسب الكمال والترقى فى الدرجات بها وفى التأويلات النجمية يشير الى ان الله تعالى اقسم بالشفق لكونه مظهر الوحدة الحقيقية الذاتية والكثرة النسبية الاسمائية وذلك لان الشفق حقيقة برزخية بين سواد الليل الوحدة و بياض نهار الكثرة والبرزخ بين الشيئين لا بد له من قوة كل واحد منهما فيكون جامعا حكم الوحدة والكثرة فحق له ان يقسم به وانما جعل الليل مظهر الوحدة لاستهلاك الاشياء المحسوسة فيه استهلاك التعينات فى حقيقة الوحدة ويدل عليه قوله وجعلنا الليل لباسا لاستتار الاشياء بظلمته وجعلنا النهار معاشا مظهر الكثرة لظهور الاشياء فيه ولاشتمال المعاش على الامور الكثيرة (والليل وما وسق) قال الراغب الوسق جمع المتفرق اى واقسم بالليل وما جمعه وما ضمه وستره بظلمته فما موصولة ويقال وسقته فاتسق واستوسق يعنى ان كلا منهما مطاوع لوسق اى جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل و يأوى الى مكانه من الدواب والحشرات والهوام والسباع وذلك انه اذا اقبل الليل اقبل كل شئ الى مأواه مما كان منتشرا بالنهار وقيل يجوز ان يكون المراد بما جمعه الليل العباد المتهجدين بالليل لانه تعالى قد مدح المستغفرين بالاسحار فيجوز ان يقسم بهم قال القاشانى اى ليل ظلمة البدن وما جمعه من القوى والآلات والاستعدادات التى يمكن بها اكتساب العلوم والفضائل والترقى فى المقامات ونيل المواهب والكمالات وفى التأويلات النجمية يشير الى القسم بليل النفس المطمئنة المستترة بظلمة النفس الامارة بعد الوصول الى المقام المأمول وانما صارت مطمئنة من الرجوع الى حكم النفس الامارة و تحقيقها بنور التمكين من اوصاف الكمل من الذرية المحمدين ولهذا امرت بالرجوع الى ربها بقوله يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك وليس المقصود الذاتى من الرجوع نفس الرجوع بل المقصود الكلى هو الاتصال بالمرجوع اليه قوله وما وسق اى وما جمع من القوى الروحانية المستخلصة من يد تصرف النفس الامارة (والقمر اذا اتسق) اى اجتمع وتم بدرا ليلة اربع عشرة وفى فتح الرحمن امتلأ فى الليالى البيض يقال امور فلان متسقة اى مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة قال فى القاموس وسقه يسقه جمعه وحمله ومنه والليل وما وسق واتسق انتظم انتهى اقسم الله بهذه الاشياء لان فى كل منها تحولا من حال الى حال فناسبت المقسم عليها يعنى ان الله تعالى اقسم بتغيرات واقعة فى الافلاك والعناصر على تغير احوال الخلق فان الشفق حالة مخالفة لما قبله وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما وسق فانه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغير

احوال الحيوانات من اليقظة الى النوم وكذا قوله والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال القمر بعد ان كان ناقصا قال القاشانى اى قمر القلب الصافى عن خسوف النفس اذا اجتمع وتم نوره وصار كاملا وفى التأويلات النجمية يشير الى القسم بقمر قلب العارف المحقق عند استدارته و بدريته (لتركبن طبقا) مفعول لتركبن (عن طبق) اى لتلاقن حالا بعد حال يعنى برسيد وملاقى شويد حالى را بعد ازحالى كه كل واحدة منها مطابقة لاختها فى الشدة والفظاعة يقال ماهذا بطبق هذا اى لايطابقه قال الراغب المطابقة من الاسماء المتضايفة وهوان يجعل الشئ فوق آخر بقدره ومنه طابقت النعل بالنعل ثم يستعمل الطباق فى الشئ الذى يكون فوق الآخر تارة وفيما يوافق غيره اخرى وقيل الطبق جمع طبقة وهى المرتبة وهو الاوفق للركوب المبنئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هى طبقات فى الشدة بعضها ارفع من بعض وهى الموت ومابعده من مواطن القيامة ودواهيها الى حين المستقر فى احدى الدارين وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لاباعتبار شموله لافراده كالقراءة الاولى ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا الطبق اوحال من الضمير فى لتركبن طبقا اى مجاوزين لطبق اومجاوزا على حسب القراءة فعن على معناه المشهور وهو المجاوزة وتفسيره بكلمة بعد بيان لحاصل المعنى وقال ابن الشيخ عن هنا بمعنى بعد لان الانسان اذا صار الى شئ مجاوزا عن شئ آخر فقد صار الى الثانى بعد الاول فصح انه يستعمل فيه بعد وعن معا وايضا لفظ عن يفيد البعد والمجاوزة فكان مشابها للفظ بعد فصح استعمال احدهما بمعنى الآخر وفى التأويلات النجمية يخاطب القلب الانسانى المتوجه الى الله بانواع الرياضات واصناف المجاهدات والتقلبات فى الاحوال المطابقة كل واحدة منها الاخرى فى الشدة والمشقة من الجوع والسهر والصمت والعزلة وامثال ذلك (فمالهم لايؤمنون) اى اذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فاى شئ لهم حال كونهم غير مؤمنين اى اى شئ يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وفيه اشارة الى النفس والهوى والقوى البشرية الطبيعية وعدم ايمانهم بالقلب وامتثالهم امره باتباع احكام الشريعة وآداب الطريقة وآثار الحقيقة (واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ماقبلها اى اى مانع لهم حال عدم سجودهم و خضوعهم واستكانتهم عند قراءة النبى عليه السلام اوواحد من اصحابه وامته القرآن فانهم من اهل اللسان فيجب عليهم ان يجزموا باعجاز القرآن عند سماعه و بكونه كلاما الهيا و يعلموا بذلك صدق محمد فى دعوى النبوة فيطيعوه فى جميع الاوامر والنواهى و يجوز ان يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجدة على ان يكون المراد بالقرآن آية السجدة بخصوصها لامطلق القرآن كما روى انه عليه السلام قرأ ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر استهزاء و به احتج ابو حنيفة على وجوب السجدة فان الذم على ترك الشئ يدل على وجوب ذلك وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله عليه السلام سجد فيها وكذا الخلفاء وهى الثالثة عشرة من اربع عشرة سجدة تجب عندها السجدة عند ائمتنا على التالى والسامع سواء قصده املا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى المفصل سجدة وكذا قال الحسن هى غير واجبة ثم ان الائمة الثلاثة يسجدون عند قوله لايسجدون والامام مالك عند آخر السورة وفى التأويلات النجمية واذا قرئ على النفس والهوى والقوى البشرية الطبيعية المواعظ الالهية القرآنية المنزلة على رسول القلب لايخضعون ولاينقادون لاستماعها وامتثال اوامرها واتمار احكامها (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن الناطق بماذكر من احوال القيامة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لايخضعون عند تلاوته وهذا من وضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بما هو العلة فى عدم خضوعهم للقرآن وفى البروج فى تكذيب لانه راعى فى السورتين فواصل الآى مع صحة اللفظ و جودة المعنى وفى بعض التفاسير الظاهر ان المراد التكذيب بالقلب بمعنى عدم التصديق وهو اضراب ترقى فان عدم الايمان يكون بالشك ايضا والتكذيب من شدة الكفر وقوة الانكار الحاملة على الاضراب (والله اعلم بما يوعون) بما يضمرونه فى قلوبهم و يجمعونه فى صدورهم من الكفر والحسد والبغى والبغضاء فيجازيهم على ذلك فى الدنيا والآخرة فما موصولة يقال اوعيت الشئ اى جعلته فى وعاء اى ظرف ثم استعير هو والوعى لمعنى الحفظ او بما يجمعونه فى صحفهم من اعمال السوء و يدخرونه لانفسهم من انواع العذاب علما فعليا تفصيليا قال القاشانى بما يوعونه فى وعاء انفسهم و بواطنهم

من الاعتقادات الفاسدة والهيئات الفاسقة وقال نجم الدين من اغراقهم فى بحر الشهوات الدنيوية واحراقهم بنيران العذاب الاخروية (فبشرهم) اى الذين كفروا (بعذاب اليم) مؤلم غاية الايلام لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما وهو استهزاء بهم وتهكم كما قال تعالى الله يستهزئ بهم لان البشارة هى الاخبار بالخبر السار وقد استعملت فى الخبر المؤلم (قال الكاشفى) يعنى خبر كن ايشانرا بعذاب دردناك وفيه رمز الى تبشير المؤمنين بالثواب المريح راحة جسمانية وروحانية لان التخصيص لبس بضائع ولذلك قال تعالى (الا الذين) استثناء منقطع من الضمير المنصوب فى فبشرهم الراجع الى الذين كفروا والمستثنى وهم المؤمنون خارج عنهم اى لكن الذين (آمنوا) ايمانا صادقا وايضا الايمان العلمى بتصفية قلوبهم عن كدر صفات النفس (وعملوا الصالحات) من الطاعات المأمور بها وايضا باكتساب الفضائل (لهم) فى الآخرة (اجر غير ممنون) اى غير مقطوع بل متصل دائم من منه منا بمعنى قطعه قطعا او ممنون به عليهم فان المنة تكدر النعمة من من عليه منة والاول هو الظاهر ولعل المراد عن الثانى تحقيق الاجر وان المأجور استحق الاجر بعمله اطاعة له وان كان ذلك الاستحقاق من فضل الله كما ان اعطاء القدرة على العمل والهداية اليه من فضله ايضا حسن بصرى قدس سره كفت كسانى را يافتيم كه ايشان بدنيا جوانمرد وسخى بودند همه دنيا بدادندى ومنت ننهادند وبوقت خويش چنان بخيل بودند كه يك نفس از روز كار خويش نه به پدر دادندى ونه بفرزند قال القاشانى لهم اجر من ثواب الآثار والصفات فى جنة النفس والقلب غير مقطوع لبراءته من الكون والفساد وتجرده عن المواد وفى التأويلات النجمية الا الذين آمنوا من الروح والسر والقلب وقواهم الروحانية وعملوا الصالحات من الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله لهم اجر غير ممنون بمنة نفسهم واجتهادهم واكتسابهم بل بفضل الله ورحمته * قال بعض العلماء النكتة فى ترتيب السور الثلاث ان فى انفطرت التعريف بالحفظة الكاتبين وفى المطففين التعريف بمستقر تلك الكتب وفى هذه السورة اى الانشقاق ايتاؤها يوم القيامة عند العرض والله تعالى اعلم

(تمت سورة الانشقاق بعون الملك الخلاق فى سلخ صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة والف)

(سورة البروج ثنتان وعشرون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء) كل جرم علوى فهو سماء فدخل فيه العرش (ذات البروج) جمع برج بمعنى القصر بالفارسية كوشك والمراد البروج الاثناعشر التى فى الفلك الاعلى فالمراد بالسماء فلك الافلاك قال سعدى المفتى لكن المعهود فى لسان الشرع اطلاق العرش عليه دون السماء ويجوز ان يراد الفلك الاقرب الينا فالآية كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح انتهى وجوابه ما اشرنا اليه فى عنوان السماء ثم انها شبهت بروج السماء بالقصور التى تنزل فيها الاكابر والاشراف لانها منازل السيارات ومقر الثوابت قال الامام السهيلى رحمه الله اسماء البروج الحمل ويبدأ لان استدارة الافلاك كان مبدأها من برج الحمل فيما ذكروا وفى شهر هذا البرج نيسان حيث تم العشرون منه كان مولد النبى عليه السلام وكان مولده عند طلوع الغفر وهو بفتح الغين المعجمة وسكون الفاء منزل للقمر ثلاثة انجم صغار والغفر يطلع فى ذلك الشهر اول الليل لان وقته النطح وهو الشرطان بالمعجمة وبفتحتين وهما نجمان من الحمل هما قرناه والى جنب الجنوبى منهما وفى القاموس والى جانب الشمالى منهما كوكب صغير ومنهم من يعده معهما فيقول هذا المنزل ثلاثة كواكب ويسميها الاشراط والى الحمل ايضا يضاف البطين وهو كزبير منزل للقمر ثلاثة كواكب صغار كانها اثافى وهو بطن الحمل وبعد الحمل الثور ثم الجوزاء ويقال لها السمر والجبار والتوأمان قال فى القاموس التوأم منزل للجوزاء انتهى وهامة الجوزاء الهقعة وهى ثلاثة كواكب فوق منكبى الجوزاء كالاثافى اذا طلعت مع الفجر اشتد حر الصيف ثم السرطان بالمهملة ثم الاسد ثم السنبلة ثم الميزان ثم العقرب وبين الزبانيين من العقرب وهما قرناها وكوكبان نيران فى قرنى العقرب كما فى القاموس وبين وركى الاسد ورجليه لا وهما السماك ككتاب يطلع الغفر الذى به مولد الانبياء عليهم السلام وفيه قالوا

خير المنازل فى الابد * بين الزبانى والاسد

نه يليه من الاسد ذنبه ولا ضرر فيه ومن العقرب زباناها ولا ضرر فيهما وانما تضر بذنبها اذا شالته اى رفعته

وهو الشولة فى المنازل اى ماتشول العقرب من ذنبها وكوكبان نيران ينزلهما القمر يقال لهما حمة العقرب ثم القوس ثم الجدى ثم الدلو ثم رشاء الدلو وهو منزل للقمر وهو الحوت يحسب فى البروج وفى المنازل وجعل الله الشهور على عدد هذه البروج فقال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال فى كشف الاسرار واين برجها بر چهار فصل است يك فصل ازان وقت بهار است سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در حمل وثور وجوزا باشد وفصل دوم روزكار صيف است تابستان كرم سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در سرطان واسد وسنبله باشد وفصل سوم روزكار خريف است سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در ميزان وعقرب وقوس باشد وفصل چهارم روزكار زمستانست سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در جدى ودلو وحوت باشد وهر فصلى را طبعى ديكرست وكردش اودبكر يقول الفقير ايده الله القدير الفصل الربيعى عبارة عن ثلاثة اشهر يعبر عن اولها باآزار وعن الثانى بنيسان وعن الثالث بايار فاذا مضت سبع عشرة ليلة من الشهر الاول استوى الليل والنهار بان يكون كل منهما ثنتى عشرة ساعة ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضت سبعة عشر يوما من حزيران وهو اول فصل الصيف و بعده تموز ثم اغستوس يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات و يكون اليوم اطول الايام كما ان الليلة تكون اقصر الليالى ثم يأخذ الليل من النهار على عكس ماسبق فينتقص من النهار كل يوم شعيرة حتى اذا مضت سبعة عشر يوما من ايلول وهو اول فصل الخريف و بعده تشرين الاول الذى هو اوسط الخريف ثم تشرين الثانى الذى هو آخره استوى الليل والنهار ايضا ثم يتزايد الليل كل يوم شعيرة حتى اذا كان سبعة عشر يوما من كانون الاول وهو اول فصل الشتاء و بعده كانون الثانى ثم شباط ينتهى طول الليل بان يكون خمس عشر ساعة وقصر النهار بان يكون تسع ساعات فهذا الحساب يعود و يدور ابدا الى ساعة القيام فالله تعالى يولج الليل فى النهار اى يدخله فيه بان ينقص من ساعات الليل و يزيد فى ساعات النهار وذلك اذا مضى من كانون الاول سبعة عشر يوما الى ان يمضى من حزيران هذا العدد وذلك ستة اشهر وهى كانون الاول وكانون الثانى وشباط و ازار ونيسان وايار و يولج الليل اى يدخله فيه بان ينقص من ساعات النهار و يزيد فى ساعات الليل وذلك ستة اشهر ايضا وهى حزيران وتموز واغستوس وايلول وتشرين الاول وتشرين الثانى وهذا كله بتقدير العزيز العليم وادارته الاجرام العلوية على نهج مستقيم و يقال المراد بالبروج هى النجوم التى هى منازل القمر وهى ثمانية وعشرون نجما ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لايتخطاها ولايتقصر عنها واذا صار القمر الى آخر منازله دق واستقوس و يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وان كان تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق البروج على هذه النجوم مبنى على تشبيهها بالقصور من حيث ان القمر ينزل فيها واظورها ايضا بالنسبة الى بعض الناس كالعرب لان البرج ينبئ عن الظهور مع الاشتمال على المحاسن يقال تبرجت المرأة اى تشبهت بالبرج فى اظهار المحاسن واما البروج الاثنا عشر فليس لها ظهور حيث لاتدرك حسا والبروج الاثناعشر منقسمة الى هذه المنازل الثمانية والعشرين والشمس تسير فى تمام هذه البروج الاثنى عشر فى كل سنة والقمر فى كل شهر و قد تعلقت بها منافع ومصالح للعباد فاقسم الله تعالى بها اظهارا لقدرها وشرفها وفيه اشارة الى الروح الانسانى ذات المقامات فى الترقى والدرجات (واليوم الموعود) اى يوم القيامة اقسم الله تعالى به تنبيها على قدره وعظمه ايضا من حيث كونه يوم الفصل والجزاء و يوما تفرد الله بالملك والحكم فيه وفيه اشارة الى آخر درجات الروح من كشف التوحيد الذاتى وهى القيامة الكبرى (وشاهد ومشهود) اى ومن يشهد فى ذلك اليوم من الاولين والآخرين والانس والجن والملائكة والانبياء وما يحضر فيه من العجائب فالشاهد بمعنى الحاضر من الشهود بمعنى الحضور لابمعنى الشاهد الذى تثبت به الدعاوى والحقوق وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى وشاهد ومشهود لايكتنه وصفهما و يقال المشهود يوم الجمعة والشاهد من يحضره من المسلمين للصلاة ولذكر الله ماطلعت شمس ولاغربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لايوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها خيرا الا استجاب له ولا يستعيذه من سوء الا اعاذه منه وفى الحديث اكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهد الملائكة و يقال المشهود يوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيما لامر الحج وعددهم هفت صد هزار كما فى كشف الاسرار و يقال الشاهد كل يوم والمشهود اهله فيكون المشهود بمعنى المشهود عليه والشاهد من الشهادة كما قال الحسن البصرى رحمه الله مامن يوم

الا ويناى انى يوم جديد وانى على مايفعل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة * دريقا كو بكذشت عمر عزيز * بخواهد كذشت اين دمى چندنيز * كذشت آنچه درناصوابى كذشت * دراين نيزهم درنيابى كذشت * ويقال الشاهد هوالحق من حيث الجمعية والمشهود هو ايضا من حيث التفرقة و ان شئت قلت من حيث الاجمال و من حيث التفصيل لا يراه بالحقيقة احد الا هو ويقال الشاهد نفس الروح والمشهود نفس الطبع وقال الحسين رحمه الله فى هذه الآية علامة انه ما انفصل الكون عن المكون ولا فارقه (قتل اصحاب الاخدود) جواب القسم بحذف اللام المؤكدة على انه خبر لا دعاء بمعنى لقد قتل اى اهلك بغضب الله ولعنته والاظهر ان الجملة دعائية دالة على الجواب لا خبرية والقتل كناية عن اللعن من حيث ان القتل لكونه اغلظ العقوبات لا يقع الاعن سخط عظيم يوجب الابعاد عن الخير والرحمة الذى هو معنى اللعن فكان القتل من لوازم اللعن كأنه قيل اقسم بهذه الاشياء ان كفار مكة ملعونون كالعن اصحاب الاخدود وجه الاظهر ان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ماهم عليه من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم و يصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم و يعلموا ان هؤلاء عند الله بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء بان يقال فيهم ما قد قيل فيهم فظهر من هذا التقرير انه ليس دعاء على اصحاب الاخدود من قبل المقسم وهو الله تعالى لانه ليس بعاجز وقد سبق تحقيقه فى سورة عبس ونحوها والاخدود الخد فى الارض وهو شق مستطيل كالنهر غامض اى عميق القرار واصل ذلك من خدى الانسان وهما ما اكتنفا الانف عن اليمين والشمال وفى عين المعانى ومنه الخد لمجارى الدموع عليه واصحاب الاخدود كانوا ثلاثة وهم انطيانوس الرومى بالشأم و بخت نصر بفارس و يوسف ذونواس بنجران وهو بتقديم النون وتأخير الجيم موضع باليمن فتح سنة عشر سمى بنجران بن زيدان بن سبأ شق كل واحد منهم شقا عظيما فى الارض كان طوله اربعين ذراعا وعرضه اثنى عشر ذراعا وهو الاخدود وملأه نارا والقوا فيه من لم يرتد عن دينه من المؤمنين قالوا والقرآن انما نزل فى الذين بنجران يعنى ان اصحاب الاخدود هم ذونواس الحميرى اليهودى وجنوده وذلك ان عبدا صالحا يقال له عبدالله بن الثامر وقع الى نجران وكان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذونواس بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فحفر الخنادق واضرم فيها النيران فجعل يلقى فيها كل من اتبع ابن الثامر حتى احرق نحوا من اثنى عشر الفا او عشرين الفا او سبعين الفا وذونواس اسمه ذرعة بن حسان ملك حمير وما حولها وكان ايضا يسمى يوسف وكانت له غدائر من شعر اى ذوائب تنوس اى تضطرب فسمى ذانواس (روى) انه انفلت من اهل نجران رجل اسمه دوس ذو ثعلبان ووجد انجيلا محترقا بعضه فاتى به ملك الحبشة وكان نصرانيا فقال ان اهل دينك اوقدت لهم نار فاحرقوا بها واحرقت كتبهم وهذا بعضها فاراه الذى جاء به ففزع لذلك فكتب الى صاحب الروم يستمده بنجارين يعملون له السفن فبعث اليه صاحب الروم من عمل له السفن فركبوا فيها فخرجوا الى ساحل اليمن فخرج اليهم اهل اليمن فلقوهم بتهامة واقتتلوا فلم ير ملك حمير لهم بهم طاقة وتخوف ان يأخذوه فضرب فرسه حتى وقع فى البحر فمات فيه او القى نفسه فى البحر فاستولى الحبشة على حمير وما حولها وتملكوا و بقى الملك لهم الى وقت الاسلام وقال فى كشف الاسرار اصحاب الاخدود ايشان بت پرستان بوده انداز اصحاب ذونواس يمنى ودر زمان او ساحرى بود كاهن ومشعبذ كه مدار ملك بدو بودى چون بسن شيخوخه رسيد بعرض ملك رسانيده كه من پير شده ام وضعف كلى بقواى من راه يافته * ديده ازهر شعاع تيره شود * كوش وقت سماع خيره شود * نه زبانرا مجال كويايى * نه تن خسته را توانايى * صلاح درآنست كه جوان عاقل تيز فهم بمن سپارنا انچه دانسته ام بوى آموزم و بعد ازمن خلفى باشد كه امور ملك بوى منتظم تواند بود كما جاء فى حديث المشارق كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر بكسر الباء اى شاخ وطعن فى السن قال للملك انى قد كبرت فابعث الى غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه فكان فى طريقه اذا سلك اى الغلام راهب فقعد اليه اى متوجها الى الراهب وسمع كلامه فاعجبه اى اعجب كلام الراهب ذلك الغلام فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه اى ضرب الساحر الغلام لمكثه فشكا ذلك الى الراهب فقال اى الراهب للغلام اذا خشيت الساحر فقل حبسنى اهلى اى منعونى واذا خشيت اهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة

قد حبست الناس اى على اسد اوحية يقال لها بالفارسية اژدر فقال اى الغلام اليوم اعلم الساحر افضل ام الراهب افضل فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب اى بنى انت اليوم افضل منى قد بلغ من امرك ما ادرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على وكان الغلام يبرئ الاكمه وهو الذى ولد اعمى والابرص ويداوى الناس بسائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمى فاتاه بهدايا كثيرة فقال ماههنا لك اجمع ان انت شفيتنى قال انى لا اشفى احدا انما يشفى الله فان آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال الملك من رد عليك بصرك قال ربى فقال اولك رب غيرى قال ربى وربك الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اى بنى قد بلغ من سحرك ماتبرئ به الاكمه والابرص وتفعل يعنى تداوى مرضا كذا وتداوى كذا فقال اى الغلام انى لا اشفى احدا انما يشفى الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء بالراهب فقيل ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم يجيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم يجيء بالغلام فقيل ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اى الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت يعنى ادفع عنى شرهم باى سبب شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك مافعل اصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور اى سفينة صغيرة فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة اى مالت وانقلبت فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك مافعل اصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد اى ارض بارزة وتصلبنى على جذع ثم خذ سهما من كنانتى وهى التى يجعل فيها السهام ثم ضع السهم فى كبد القوس وهو مقبضها عند الرمى ثم قل بسم الله رب الغلام ففعل كما قال الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه وهو مابين العين والاذن فوضع يده على صدغه فى موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فاتى الملك فقيل له يعنى اتى الملك آت فقال ارأيت ما كنت تحذر والله قد نزل بك حذرك اى والله قد نزل بك ما كنت تحذر منه وتخاف قد آمن الناس فامر بالاخدود اى بحفر شق مستطيل فى افواه السكك اى فى ابواب الطرق فخدت اى شقت واضرم النيران اى اوقدها واشعلها وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها اى فاطرحوه فيها كرها ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى رضيع لها فتقاعست اى تأخرت ان تقع فيها فقال لها الغلام ياأماه اصبرى فانك على الحق وفى بعض الروايات كان للمرأة ثلاثة اولاد احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعى عن دينك والا القيتك واولادك فى النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقاه فى النار ثم قال لها ارجعى عن دينك فابت فالقى ابنها الاوسط ثم قال ارجعى عن دينك فابت فاخذوا الصبى ليلقوه فيها فهمت بالرجوع فقال الصبى ياأماه لا ترجعى عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك وفى كشف الاسرار فان بين يديك نارا لا تطفأ فالقى الصبى فى النار وامه على اثره وكان هو ممن تكلم فى المهد وهو رضيع وقد سبق عددهم فى سورة يوسف وكانت هذه القصة قبل مولده عليه السلام بسبعين سنة وفيما ذكر من الحديث اثبات كرامات الاولياء وجواز الكذب عند خوف الهلاك سواء كان الهالك هو الكاذب اوغيره وروى ان خربة احتفرت فى زمن عمر بن الخطاب فوجد الغلام الذى قتله الملك واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وفى بعض التفاسير فوجدوا عبد الله بن التامر واضعا اصبعه على صدغه فى رأسه اذا اميطت يده عنها سال دمه واذا تركت على حالها انقطع وفى يده خاتم من حديد فيه ربى الله فكتبوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب بان يواروه ويعيدوا التراب عليه وفى بعض التفاسير فكتب اليهم عمر رضى الله عنه ان ذلك الغلام صاحب الاخدود فاتركوه على حاله حتى يبعثه الله يوم القيامة على حاله وعن على رضى الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فامرته ان يخطب الناس فيقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم يخطبهم بعد ذلك ويقول ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم تعالى بقوله قتل

اصحاب الاخدود (النار) بدل اشتمال من الاخدود لان الاخدود مشتمل على النار وهو بهايكون مهيبا مشتد الهول والتقدير النار فيه اواقيم ال مقام الضمير على اختلاف مذهبى اهل البصرة والكوفة (ذات الوقود) خداوند آتش باهيمه يعنى افروخته بهيزم وهو بفتح الواو ما يوقد به وفيه وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وابدان الناس على مايدل عليه التعريف الاستغراقى ولولم يحمل على هذا المعنى لم يظهر فائدة التوصيف اذمن المعلوم ان النار لاتخلو من حطب (اذهم عليها قعود) ظرف لقتل والضمير لاصحاب الاخدود وقعود جمع قاعد اى لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين حولها فى مكان مشرف عليها من حافات الاخدود ولفظ على مشعر بذلك تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يقرب منه وفى بعض التفاسير على سرر وكراسى قعود عند النار ولوقعدوا على نفس النار لاحترقوا فالقاتلون كانوا جالسين فى مكان مشرف اونحوه ويعرضون المؤمنين على النار فمن كان يترك دينه تركوه ومن كان يصر القوه فى النار واحرقوه وكان عليه السلام اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ بالله من جهد البلاء وهو الحالة التى يختار عليها الموت اوكثرة العيال والفقر كما فى القاموس والجهد بالفتح المشقة وجهد عيشه كفرح نكد واشتد (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) جمع شاهد اى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امره وفوض اليه من التعذيب بالاحراق من غير ترحم واشفاق اوانهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يعنى تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون هذا هو الذى يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد ذهب بعضهم الى ان الجبابرة لما القوا المؤمنين فى النار وهم قعود حولها علقت بهم النار وفى رواية ارتفعت فوقهم اربعين ذراعا فوقعت عليهم فاحرقتهم ونجى الله المؤمنين سالمين ولايحيق المكر السيئ الا باهله وقبض الله ارواحهم قبل ان تمسهم النار كما فعل ذلك بآسية امرأة فرعون على ما سبق وعلى ذلك حملوا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق اى لهم عذاب جهنم فى الآخرة ولهم عذاب الحريق فى الدنيا وفيه اشارة الى النفوس المتمردة الشاردة النافرة عن جناب الحق المستحقة لاخاديد النيران والخذلان والخسران الموقدة باحطاب اخلاقهم الرديئة المؤصدة باحجار اوصافهم الخبيثة النفسية الهوائية اذهم عليها قعود بارتكابهم الشهوات وانكبابهم على اللذات والنفس والهوى وقواهم الطبيعية يشهد بعضهم على بعض بما يفعلون بمؤمنى الروح والسر والقلب من المخالفة والمجادلة والمخاصمة (وما نقموا منهم) اى وما انكروا من المؤمنين وما عابوا يقال نقم الامر اذا عابه وكرهه وفى المفردات نقمت الشئ اذا انكرته اما باللسان واما بالعقوبة (الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد) قال بلفظ المضارع مع ان الايمان وجد منهم فى الماضى لارادة الاستمرار والدوام عليه فانهم ما عذبوهم لايمانهم فى الماضى بل لدوامهم عليه فى الآتى ولوكفروا فى المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكأنه قيل الا ان يستمروا على ايمانهم واما قوله تعالى حكاية وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا فلان مجرد ايمان السحرة بموسى عليه السلام كان منكرا واجب الانتقام عندهم والاستثناء مفرغ مفصح عن براءتهم مما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله

ولاعيب فيهم غير ان ضيوفهم * تلام بنسيان الاحبة والوطن

فى ان ما انكروه ليس منكرا فى الواقع وغير حقيق بالانكار كما ان ما جعله الشاعر عيبا ليس عيبا ولاينبغى ان يعد عيبا ولايضر ذلك كون الاستثناء فى قول الشاعر مبنيا على الادعاء بخلاف ما فى نظم القرآن فانهم انكروا الايمان حقيقة ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله (الذى له ملك السموات والارض) للاشعار بمناط ايمانهم والملك بالفارسية پادشاهى وأخر هذه الصفة لان الملك التام لايحصل الا عند حصول الكمال فى القدرة التى دل عليها العزيز وفى العلم الذى دل عليه الحميد لان من لايكون تام العلم لايمكنه ان يفعل الافعال الحميدة وفى كشف الاسرار وانما وصف ذاته بهذه الصفات ليعلم انه لم يهمل الكفار لاجل انه غير قادر لكنه اراد ان يبلغ بهؤلاء المؤمنين مبلغا من الثواب لم يكونوا يبلغونه الا بمثل ذلك الصبر وان يعاقب اولئك الكافرين عقابا لم يكونوا يستوجبونه الا بمثل ذلك الفعل وكان قد جرى بذلك قضاؤه على الفريقين جميعا فى سابق تدبيره وعلمه وفيه تشنيع على الكفار بغاية جهلهم

حيث عدوا ماهو منقبة هى سبب المدح منقصة هى سبب القدح (والله على كل شئ شهيد) وخدا برهمه چيزها ازافعال واقوال مؤمن وكافر كواهست وبآن دانا وهو وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم بان علمه تعالى بجميع الاشياء التى من جملتها اعمال الفريقين يستدعى توفير جزاء كل منهما حتما قال الامام القشيرى الشهيد العليم ومنه قوله تعالى شهد الله اى علم الله والشهيد الحاضر وحضوره بمعنى علمه ورؤيته وقدرته والشهيد مبالغة من الشاهد واذا علم العبد ان الله تعالى شهيد يعلم افعاله و يرى احواله سهل عليه مايقاسيه لاجله (حكى) ان رجلا كان يضرب بالسياط وهو يصبر ولايصيح فقال له بعض الحاضرين اما يؤلمك الضرب فقال نعم قال فلم لا تصيح قال فى الحاضرين لى محبوب يرقبنى فاخاف ان يذهب ماء وجهى عنده ان صحت فمن ادعى محبة الحق ولم يصبر على قرص نملة او بعوضة او دنى اذية كيف يكون صادقا فى دعواه ولذا قالوا دلت القصة على ان المكره على الكفر بنوع من العذاب الاولى ان يصبر على ما خوف منه وان كان اظهار الكفر كان رخصة فى ذلك (حكى) ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين من اصحاب النبى عليه السلام فقال لاحدهما تشهد انى رسول الله فقال نعم فتركه وقال للآخر مثله فقال لا بل انت كذاب فقتله فقال النبى عليه السلام اما الذى تركه فاخذ بالرخصة فلا تبعة عليه واما الذى صبر فاخذ بالفضل فهنيئا له وفى التأويلات النجمية والله على كل شئ من سموات الارواح وارض الاشباح والاجساد شهيد اى حاضر لظهر ية الكل وظهوره فيها ذاتا وصفات واسماء لاستلزام الذات جميع التوابع الوجودية (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) الفتن الاحراق والفتنة بالفارسية آزمون اى محنوهم فى دينهم وآذوهم وعذبوهم باى عذاب كان ليرجعوا عنه كاصحاب الاخدود ونحوهم كما روى ان قريشا كانوا يعذبون بلالا ونحوه فالموصول للجنس وانما لم يدفع البلاء قبل الابتلاء لان اهل الولاء لايخلو عن البلاء

وهيهات هيهات الصفاء لعاشق * وجنة عدن بالمكاره حفت

(ثم) اى بعد ما فعلوا ما فعلوا من الفتنة (لم يتوبوا) اى عن كفرهم وفتنتهم فان ماذكر من الفتنة فى الدين لايتصور من دين الكافر قطعا وفى ايراد ثم اشعار بكمال حلمه وكرمه حيث لايعجل فى القهر و يقبل التوبة وان طالت مدة الحوبة قال الامام وذلك يدل على ان توبة القاتل عمدا مقبولة (فلهم) فى الآخرة بسبب كفرهم (عذاب جهنم) يعذبون به ابدا (ولهم) بسبب فتنتهم المؤمنين (عذاب الحريق) اى عذاب عظيم زائد فى الاحراق على عذاب سائر اهل جهنم فظهرت المغايرة بين المعطوفين وان كان كل منهما حاصلا فى الآخرة و يحتمل ان يكون المراد بعذاب جهنم بردها وزمهريرها و بعذاب الحريق حرها فيرددون بين برد وحر على ان يكون الحر لاحراقهم المؤمنين فى الدنيا والبرد لغيره كما قالوا الجزاء من جنس العمل والحريق اسم بمعنى الاحتراق كالحرقة وقول الكاشفى فى تفسيره عذاب الحريق عذاب آتش سوزان يشير الى ان الحريق بمعنى النار المحرقة كما قال فى المفردات الحريق النار وكذا الحرق بالتحريك النار او لهبها كما فى القاموس وحرق الشئ ايقاع حرارة فى الشئ من غير لهب كحرق الثوب بالدق والاحراق ايقاع نار ذات لهب فى شئ ومنه استعير احرقنى بلومه اذا بالغ فى اذيته بلوم يقول الفقير الظاهر ان الحريق هنا بمعنى المحرق كالاليم بمعنى المؤلم فيكون اضافة العذاب الى الحريق من قبيل اضافة الموصوف الى صفته و يستفاد زيادة الاحراق من المقابلة فان العطف من باب الترقى بحسب العذاب المترتب على الترقى من حيث العمل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) على الاطلاق من المفتونين وغيرهم (لهم) بسبب ماذكر من الايمان والعمل الصالح الذى من جملته الصبر على اذى الكفار واحراقهم وايراد الفاء اولا وتركها ثانيا يدل على جواز الامرين (جنات) يجازون بها بمقابلة النار ونحوها (تجرى من تحتها الانهار) يجازون بذلك بمقابلة الاحتراق والحرارة ونحو ذلك قال فى الارشاد ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزيها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة (ذلك) المذكور العظيم الشان وهو حصول الجنان (الفوز الكبير) الذى تصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها فالحصر اضافى قال فى برهان القرآن ذلك مبتدأ والفوز خبره والكبير صفته وليس له فى القرآن نظير والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فان اشير بذلك الى الجنات نفسها فهو مصدر اطلق على المفعول مبالغة والا فهو مصدر على حاله قال الامام انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهى ان قوله ذلك اشارة الى اخبار الله بحصول هذه الجنات ولو قال تلك لكانت الاشارة

الى نفس الجنات والخبار الله عن ذلك يدل على كونه راضيا والفوز الكبير هو رضى الله لاحصول الجنة يقول الفقير وعندى ان حصول الجنات هو الفوز الكبير وحصول رضى الله هو الفوز الاكبر كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر وانما لم يقل تلك لان نفس الجنات من حيث هى ليست بفوز وانما الفوز حصولها ودخولها (ان بطش ربك لشديد) استئناف خوطب به النبى عليه السلام ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والبطش تناول الشئ بصولة والاخذ بعنف يقال يد باطشة وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام وان كان بعد امهال فانه عن حكمة لاعن عجز (انه هو) وحده (يبدئ ويعيد) اى يبدئ الخلق ويخرجهم من العدم الى الوجود ثم يميتهم ويعيدهم احياء للجزاء على الخير والشر من غير دخل لاحد فى شئ منهما فقيه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة يعنى آشكاره كند بطش خودرا بركافران در دنيا وبازكر داندهم آن را بديشان در آخرت وابن نشانهٔ عدلست او يبدئ البطش او العذاب فى الآخرة ثم يعيده فيها كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال ابن عباس رضى الله عنهما ان اهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فيها فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا فهو المراد من الآية وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه اسر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فى النار فقال يا حذيفة ان فى جهنم لسباعا من نار وكلابا من نار وسيوفا من نار وكلاليب من نار وانه يبعث ملائكة يعلقون اهل النار بتلك الكلاليب باحناكهم ويقطعونهم بتلك السيوف عضوا عضوا ويلقونها الى تلك السباع والكلاب كلما قطعوا عضوا عاد آخر مكانه غضا طريا او يبدئ من التراب ويعيده فيه او من النطفة ويعيده فى الآخرة يقال بدأ الله الخلق وابدأهم فهو بادئهم ومبدئهم بمعنى واحد والمبدئ المظهر ابتداء والمعيد المنشئ بعد ما عدم فالاعادة ابتداء ثان قال الامام الغزالى رحمه الله المبدئ المعيد معناه الموجد لكن الايجاد اذا لم يكن مسبوقا بمثله يسمى ابداء وان كان مسبوقا بمثله يسمى اعادة والله تعالى بدأ خلق الانسان ثم هو الذى يعيدهم اى يحشرهم فالاشياء كلها منه بدت واليه تعود وبه بدت وبه تعود وفى المفردات والله هو المبدئ والمعيد اى هو السبب فى المبدأ والنهاية وقال بعضهم الابداء هو الاظهار على وجه التطور والمهئ للاعادة وهى الرجوع على مدرج تطوير الابداء فهو سبحانه بدأ الخلق على حكم ما يعيدهم عليه فسمى بذلك المبدئ المعيد وانما قيل فيهما انهما اسم واحد لان معنى الاول يتم بالثانى وكذا كل اسم لايتم معناه فيما يرجع الى كمال اسماء الله الا باسم يتم به معناه قال الامام القشيرى رحمه الله ان الله تعالى يبدئ فضله واحسانه لعبيده ثم يعيده ويكرره فان الكريم من يرب صنائعه وخاصية الاسم المبدئ ان يقرأ على بطن الحامل سحرا تسعا وعشرين مرة فان ما فى بطنها يثبت ولا يزلق وخاصية الاسم المعيد تكرار التذكار للمحفوظ اذا نسى لاسيما اذا اضيف له الاسم المبدئ (وهو الغفور) لمن تاب عن الكفر وآمن وكذا لمن تاب عن غيره من المعاصى ولمن لم يتب ايضا ان شاء (الودود) المحب لمن اطاع او تاب كما قال ان الله يحب التوابين واين نيز نشانهٔ فضل است بعدل بكذارد وتاود سازد وبفضل بنوازد وبرافرازد * فضل اود لنواز غمخواران عدل اوسينه سوز جباران * عمر بن الخطاب رضى الله عنه در بخانه مقبول وسيئات اومغفوركه وهو الغفور الودود وعبدالله بن ابى درمسجد مخذول وحسنات اومردود كه ان بطش ربك لشديد فالودود فعول بمعنى الفاعل ههنا وهو الذى يقتضيه المقام وقال سهل رحمه الله الودود المحب الى عباده باسباغ النعم عليهم ودوام العافية فيكون بمعنى المفعول لانه يحبه عباده الصالحون ومحبة العبد لله طاعته له وموافقته لامره وتعظيمه له وهيبته فى قلبه واجمع اهل الحقيقة ان كل محبة تكون عن ملاحظة عوض فهى معلولة بل المحبة الصحيحة هى المحبة الصافية عن كل طمع وفى الآثار ان الله تعالى يقول ان اود الاوداء الى من عبدنى لغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها قال بعض الكبار العشق التفاف الروحين والحب صفاء ذلك الالتفاف وخلوصه والود ثباته وتمكنه من القلب والهوى اول وقوع الحب فى القلب وفى التأويلات النجمية الودود لمن توجه اليه بالمحبة على سنة من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا فمن تقرب اليه بالمحبة تقرب اليه بالود لان الود نابت فى ارض القلب من المحبة لاشتقاقه من الوتد انتهى قال فى القاموس الود الوتد وقال الامام الغزالى

رحمه الله الودود هو الذى يحب الخير لجميع الخلق فيحسن اليهم ويثنى عليهم وهو قريب من معنى الرحيم لكن الرحمة اضافة الى المرحوم والمرحوم هو المحتاج والمضطر وافعال الرحيم تستدعى مرحوما ضعيفا وافعال الودود لاتستدعى ذلك بل الانعام على سبيل الابتداء من نتائج الود كما ان معنى رحمته تعالى ارادته الخير المرحوم وكفايته له وهو منزه عن رقة الرحمة فكذلك وده ارادته للكرامة والنعمة وهو منزه عن ميل المودة والودود من عباد الله من يريد لخلق الله كل مايريده لنفسه واعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه كمن قال منهم اريد ان اكون جسرا على النار يعبر على الخلق ولايتأذون بها وكمال ذلك ان لايمنعه من الايثار والاحسان الحقد والغضب ومايناله من الاذى كما قال عليه السلام حين كسرت رباعيته ودمى وجهه وضرب اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون فلم يمنعه سوء صنيعهم عن ارادة الخير لهم وكما امر عليه السلام عليا رضى الله عنه حيث قال ان اردت ان تسبق المقربين فصل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك وخاصية الاسم الودود ثبوت الوداد لاسيما بين الزوجين فمن قرأه الف مرة على طعام واكله مع زوجته غلبتها محبته ولم يمكنها سوى طاعته وقد روى انه اسم الله الاعظم فى دعاء التاجر الذى قال فيه ياودود ياذا العرش المجيد يامبدئ يامعيد اسألك بنور وجهك الذى ملأ اركان عرشك وبقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التى وسعت كل شئ لااله الاانت يامغيث اغثنى يامغيث اغثنى يامغيث اغثنى الحديث قد ذكره غير واحد من الائمة يقول الفقير كنت اذكر فى السحر الاعلى ياودود وذلك بلسان القلب فصدر منى بلا اختيار ان اقول يارب اجعلنى محيطا فعرفت ان للاسم المذكور تأثيرا عظيما فى الاحاطة وذلك ان الودود بمعنى المحبوب ولاشك ان جميع الاسماء الالهية يود الاسم الاعظم ويميل اليه فالاسم الاعظم ودود بمعنى المفعول وغيره ودود بمعنى الفاعل فمن ذكره كان ودودا بمعنى المودود فيحبه جميع المظاهر فيحصل له الاحاطة باسرار جميع الاسماء ويصل اليه جميع التوجهات (ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك مجازا اى ذو السلطنة القاهرة على المخلوقات السفلية والمخترعات العلوية وان لم يكن على السرير ويقال ثل عرش فلان اذا ذهب سلطانه (المجيد) هو الشريف ذاته الجميل افعاله الجزيل عطاؤه ونواله فكأن شرف الذات اذا قارنه حسن الفعال سمى مجيدا وهو الماجد ايضا ولكن احدهما دل على المبالغة وكأنه يجمع من اسم الجليل واسم الوهاب والكريم قال فى القاموس المجيد الرفيع العال والكريم والشريف الفعال ومجده عظمه واثنى عليه والعطاء كثره والتمجيد ذكر الصفات الحسنة وقرئ بالكسر صفة للعرش ومجد العرش علوه فى الجهة وعظم مقداره وحسن صورته وتركيبه فانه احسن الاجسام تركيبا وصورة وفى الحديث (ماالكرسى فى جنب العرش الا كحلقة ملقاة فى ارض فلاة) فاذا كان الكرسى كذلك مع سعته فاظنك بسائر الاجرام العلوية والسفلية قال سهل رحمه الله اظهر الله العرش اظهارا للقدرة لامكانا للذات ولااحتياجا اليه قال بعضهم ومن العجب ان الله لوملأ العرش مع تلك السعة من حبوب الذرة وخلق طيرا اكل حبة واحدة منها فى الف سنة لنفدت الحبوب ولاتنقطع مدة الآخرة ومع هذا لايخاف بنوا آدم من عذاب تلك المدة ويضيعون اعمارهم فى شئ حقير سريع الزوال وفيه اشارة الى قلب العارف المستوى للرحمن كما جاء فى الحديث (قلب العارف عرش الله) ومجده هو انه ماوسع ذلك الواسع المجيد غيره وخاصية هذا الاسم تحصيل الجلالة والمجد والطهارة ظاهرا وباطنا حتى فى عالم الابدان والصور فلقد قالوا اذا صام الابرص اياما وقرأه كل ليلة عند الافطار كثيرا فانه يبرأ باذن الله تعالى اما بلاسبب اوبسبب يفتح الله له به (فعال لمايريد) بحيث لايتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره فيكون دليلا لاهل الحق على انه لايتخلف شئ عن ارادته وهو خبر مبتدأ محذوف وانما قال فعال مبالغة فاعل لان مايريد ويفعل فى غاية الكثرة من الاحياء والاماتة والاعزاز والاذلال والاغناء والاقتار والشفاء والامراض والتقريب والتبعيد والعمارة والتخريب والوصل والفرق والكشف والحجاب الى غير ذلك من شؤونه وفى التأويلات النجمية فعال لمايريد بالمؤمن والكافر وارباب الارواح والاسرار والقلوب واصحاب النفوس واهل الهوى ان اراد ان يجعل ارباب الارواح من ارباب النفوس فهو قادر على ذلك وهو عادل فى ذلك وان اراد عكس ذلك فهو كذلك وهو مفضل فى ذلك يحجب من يريد بجلاله كالمنكرين ويتجلى لمن يريد

بجماله كالمقربين و يعامل لمن يريد باناضة كماله كالعارفين قال القفال يدخل اولياءه الجنة لايمنعه مانع و يدخل اعداءه النار لاينصرهم ناصر و يمهل بعض العصاة على مايشاء الى ان يجازيهم و يعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء فهو يفعل مايريد (روى) ان اناسا دخلوا على ابى بكر الصديق رضى الله عنه يعودونه فقالوا الا نأتيك بطبيب قال قدرانى قالوا فما قال لك قال انى فعال لما اريد (هل اتاك) آيا آمد بتو اى قد اتاك لان الاستفهام للتقرير (حديث الجنود) اى خبر الجموع الكافرة التى تجندت على الانبياء فى الماضى وخبرهم ماصدر عنهم من التمادى فى الكفر والضلال وماحصل بهما من العذاب والنكال (فرعون وثمود) بدل من الجنود يعنى مع انه غير مطابق ظاهرا المبدل منه فى الجمعية لان المراد بفرعون هو وقومه وقد يجعل من حذف المضاف بمعنى جنود فرعون اى هل اتاك حديثهم وعرفت مافعلوا من التكذيب و مافعل بهم من التعذيب فذكر قومك بشؤون الله وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب امثالهم وقد كانوا سمعوا قصة فرعون وجنوده قوم موسى عليه السلام ورأوا آثار هلاك ثمود قوم صالح عليه السلام لانها كانت فى مرهم وفى بلادهم واخر ثمود مع تقدمه على فرعون زمانا لرعاية الفواصل قال القاشانى هل اتاك حديث المحجوبين امابالانانية كفرعون ومن يدين بدينه او بالآثار والاغيار كثمود ومن يتصل بهم (بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) اضراب عن مماثلتهم لهم و بيان لكونهم اشد منهم فى الكفر والطغيان وتنكير تكذيب للتعظيم كأنه قيل ليسوا مثلهم فى ذلك بل هم اشد منهم فى استحقاق العذاب و استيجاب العقاب فانهم مستقرون فى تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لالانهم يكذبون بوقوع الحادثة بل يكذبون كون ما نطق به قرآنا من عند الله مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة وفى التأويلات النجمية فى تكذيب لاشتمال خلقهم وجبلتهم على صفة الكذب والتكذيب ومن جبل على صفة لايقدر على مفارقتها الا القليل من الكمل كما قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا اى فى الاستعداد فماله من نور * خوى بد در طبيعتى كه نشست * نرهد جز بوقت مرك ازدست * وفيه اشارة الى تكذيب المنكرين لاهل الحق ووقوفهم مع حالهم واحتجابهم عن حال من فوقهم (والله من ورائهم) من خلفهم (محيط) بهم بالقدرة وهو تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله بعدم فوت المحاط المحيط اذا سد عليه مسلكه بحيث لايجد هربا منه وفى التأويلات النجمية محيط والمحيط لايفوته المحاط و لايفوت المحيط شئ لاحاطة الله سبحانه عند العارفين بالكافرين بل الموجودات كلها عبارة عن تجليه بصور الموجودات فهو سبحانه باحدية جمع اسمائه سار فى الموجودات كلها ذاتا وحياة وعلما وقدرة الى غير ذلك من الصفات والمراد باحاطته تعالى هذه السراية ولايعزب عنه ذرة فى السموات والارض وكل مايعزب عنه يلتحق بالعدم وقالوا هذه الاحاطة ليست كاحاطة الظرف بالمظروف ولا كاحاطة الكل باجزائه و لا كاحاطة الكلى بجزئياته بل كاحاطة الملزوم بلازمه فان التعينات اللاحقة لذاته المطلقة انماهى لوازم له بواسطة او بغير واسطة و بشرط او بغير شرط ولاتقدح كثرة اللوازم فى وحدة الملزوم ولاتنافيها والله اعلم بالحقائق (بل هو قرآن مجيد) اى ليس الامر كما قالوا بل هذا الذى كذبوا به قرآن شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهية فى النظم والمعنى متضمن للمكارم الدنيوية والاخروية (فى لوح محفوظ) اى من التحريف ووصول الشياطين اليه واللوح كل صحيفة عريضة خشبا اوعظما كما فى القاموس قال الراغب اللوح واحد الواح السفينة ومايكتب فيه من الخشب ونحوه والمراد به هنا ماقال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء طوله مابين السماء والارض وعرضه مابين المشرق والمغرب ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين مرة يحيى ويميت و يعز ويذل و يفعل مايشاء وفى صدر اللوح لا اله الا الله وحده ودينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن به وصدق وعده واتبع رسله ادخله الجنة وفى التأويلات النجمية بل المتلو المقروء على الكفار والمنافقين قرآن عظيم مجيد شريف مثبوت فى لوح القلب المحمدى وفى الواح قلوب ورثته الاولياء العارفين المحبين العاشقين محفوظ من تحريف ايدى النفس الكافرة والهوى الماكر وسائر القوى البشرية السارية فى اقطار الوجود الانسانى وقد قال تعالى وانا له لحافظون اى فى صدور الحفاظ وقلوب المؤمنين

تمت سورة البروج بعون الله الذى اليه الرجوع والعروج وقت عصر الاحد السادس من شهر مولد النبى

عليه السلام من سنة سبع عشرة ومائة والف

(سورة الطارق سبع عشرة او ستة عشرة آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء والطارق) الطارق فى الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردى واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة لانه يطرق بها الحديد وسمى الطريق طريقا لانه يضرب بالرجل وسمى قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا حيث ان الابواب مغلقة فى الليل ثم اتسع فى كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع فى التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل والمراد هنا الكوكب البادى بالليل قال الراغب عبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل قالت هند بنت عتبة يوم احد * نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * اى ابونا كالنجم شرفا وعلوا وقال الشاعر

يا راقد الليل مسرورا باوله * ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

لا تفرحن بليل طاب اوله * فرب آخر ليل اجج النارا

قال سهل رحمه الله وماطرق على قلب محمد من زوائد البيان والانعام وفى التأويلات النجمية يشير الى سماء القلب وطروق كواكب الواردات القلبية والالهامات الغيبية العظيمة الشأن القوية البرهان ولفخامة امره وشهامة قدره عقبه بقوله (وما ادراك ما الطارق) اى اى شئ اعلمك بالطارق فانه لاينال ادراك الخلق الابالتلقى من الخلاق العليم كأنه قيل ماهو فقيل هو (النجم الثاقب) النجم الكوكب الطالع والثقب بالفارسية سوراخ كردن و الثقوب و الثقابة افروخته شدن آتش يقال ثقبه ثقبا جعل فيه منفذ اومسلكا ونفذ فيه وثقبت النار تثقب ثقوبا اتقدت واشتعلت وثقب النجم اضاء وشهاب ثاقب اى مضئ وعبر عن الطارق اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه والمعنى النجم المضئ فى الغاية يعنى ستارۀ رخشنده وفروزان چون شعلۀ آتش لانه يثقب بنوره واضاءته مايقع عليه من الظلام او الافلاك وينفذ فيها والمراد الجنس وهو قول الحسن رحمه الله لان لكل كوكب ضوأ ثاقبا لامحالة اى فى نفسه وان حصل التفاوت بالنسبة اقسم الله بالسماء وبكواكبها لدلالتهما على قدرته وحكمته او المعهود بالثقب فهو من باب ركب السلطان وهو زحل الذى فى السماء السابعة لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات او كوكب الصبح او الثريا لان العرب تسميه النجم او الشهاب چنانچه آورده اند كه شبى حضرت رسول صلى الله عليه وسلم نشسته بود باعم خود ابوطالب ناكاه ستاره بدرخشيد وشعلۀ آتش عظيم ازو ظاهر شد ابوطالب بترسيد وكفت اين چه چيزست حضرت پيغمبر عليه السلام فرمود كه اين ستاره ايست كه ديورا از آسمان مى راند ونشانه ايست از قدرتهاى الهى فى الحال جبريل نازل شد بدين آيت كه والسماء و الطارق وفيه اشارة الى كوكب اسم الجمال الثاقب الطارق وكوكب اسم الجلال وقال القاشانى اى الروح الانسانى والعقل الذى يظهر فى ظلمة النفس و هو النجم الذى يثقب ظلمتها و ينفذ فيها و يبصر بنوره و يهتدى به كما قال و بالنجم هم يهتدون (ان كل نفس لما عليها حافظ) جواب القسم ومابينهما اعتراض جئ به لتأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا قال الزجاج استعملت لما فى موضع الا فى موضعين احدهما بعد ان النافية والآخر فى باب القسم تقول سألتك لما فعلت بمعنى الا فعلت وعدى الحفظ بعلى لتضمنه معنى الهيمنة والمعنى ما كل نفس من النفوس الطيبة والخبيثة انسية او جنية الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله تعالى كما قال الله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا آورده اند كه درمكه زنى بود فاجره وكفت من طاوس يمانى را بركردانم ازراه طاعت ودر معصيت كشم وطاوس مردى نيكوروى بود وخوش خلق وخوش طبع آن زن بر طاوس آمد وباوى سخن دركرفت بر سبيل مزاح طاوس بدانست كه مقصودوى چيست كفت آرى صبركن تا بفلان جايكاه آييم چون بدان جايكاه رسيدند طاوس كفت اكر ترا مقصودى است اينجا تواند بود آن زن كفت سبحان الله اين چه جاى آن كارست انجمنكاه خلق ومجمع نظاركيان طاوس كفت اليس الله يرانا فى كل مكان اى زن ازديدار مردم شرم دارى وازديدار الله كه بهمى نكرد خود شرم ندارى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله اين سخن درزن كرفت وتوبه كردواز جملۀ اوليا كشت (وحكى) ان ابن عمر رضى الله عنهما مر بغلام

يرعى غنما فقال له بعنى شاة فقال انها ليست لى فقال له ابن عمر قل اكلها الذئب فقال الغلام فاين الله فاشتراه ابن عمر واشترى الغنم واعتقه ووهب له الغنم وبقى ابن عمر مدة طويلة يقول قال ذلك العبد فاين الله فصاحب المراقبة يدع من المعاصى حياء منه تعالى وهيبة له اكثر مما يدعه من يترك المعاصى بخوف عقوبته وقيل المراد بالحافظ هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما فى قوله تعالى وان عليكم لحافظين وآنكه برمصطفى صلى الله عليه وسلم عرضه ميكند چنانكه درخبرست كه رسول الله عليه السلام فرمود تعرض على اعمالكم فما كان من حسنة حمدت الله عليه وما كان من سيئة استغفرت الله لكم (وروى) عن النبى عليه السلام وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقرئ لما مخففة على ان ان مخففة وما مزيدة واللام فاصلة بين المخففة والنافية اى ان الشأن كل نفس لعليها حافظ رقيب وفى الآية تخويف للنفوس من الامور الضارة وترغيب فى الشؤون النافعة وفى بعض التفاسير يحتمل ان يكون المراد من النفس اعم من نفس المكلف من الانسان والجن ومن نفس المكلف لعموم الحفظ من بعض الوجوه ومن الكل فيشمل النفوس الحيوانية مطلقا بل كل شئ سوى الله بناء على ان المراد من النفس الذات فان نفس كل شئ ذاته وذاته نفسه ومن الحافظ هو الله لان الحافظ لكل شئ عالم باحواله موصل اليه منافعه ودافع عنه مضاره والحفيظ من العباد من يحفظ جوارحه وقلبه ويحفظ دينه عن سطوة الغضب وحلاوة الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان فانه على شفا جرف هار وقد اكتنفه هذه المهلكات المفضية الى البوار ومن خواص الاسم الحفيظ ان من علقه عليه لونام بين السباع ما ضرته قال القاشانى الحافظ هو الله ان اريد بالنفس الجملة وان اريد بها النفس المصطلح عليها من القوة الحيوانية فحافظها الروح الانسانى (فلينظر الانسان) ليتفكر الانسان المركب من الجهل والنسيان المنكر للنشور والحشر والميزان (مم) اى من اى شئ فاصله مما حذفت الالف تخفيفا كما مر فى عم (خلق) حتى يتضح ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملى حافظه ما يرديه (خلق من ماء دافق) استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كأنه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذى دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة وبالفارسية ريزان آب وبابه نصر وانما اول بالنسبة لان الصب لا يتصور من النطفة لظهورانها مصبوبة لاصابة فتوصيفه بانه دافق لمجرد نسبة مبدأ الاشتقاق الى الذات الموصوف به مع قطع النظر عن صدوره منه وقال بعضهم اى مدفوق ومصبوب فى الرحم نحو سر كاتم اى مكتوم وعيشة راضية اى مرضية فهو فاعل بمعنى المفعول والمراد به الممتزج من الماءين فى الرحم كما ينبئ عنه ما بعده من الآية والنظر الى امتزاجهما عبر عنهما بصيغة الافراد ووصف الماء الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف بعض اجزائه (يخرج) ذلك الماء الدافق (من بين الصلب والترائب) الصلب الشديد وباعتباره سمى الظهر صلبا اى من بين ظهر الرجل وترائب المرأة وهى ضلوع صدرها وعظام نحرها حيث تكون القلادة وكل عظم من ذلك تربية وعن على وابن عباس رضى الله عنهما بين الثديين وفى القاموس الترائب عظام الصدر اوما ولى الترقوتين منه اوما بين الثديين والترقوتين اواربع اضلاع من يمنة الصدر واربع من يسرته اواليدان والرجلان والعينان اوموضع القلادة انتهى ومن ذلك يتحمل الوالد مصالح معيشة الولد وتشتد رقة الوالدة ومحبتها للولد وايراد بين اشارة الى ما يقال ان النطفة تتكون من جميع اجزاء البدن ولذلك يشبه الولد والديه غالبا فيجتمع ماء الرجل فى صلبه ثم يجرى منه ويجتمع ماء المرأة فى ترائبها ثم يجرى منها وفى قوت القلوب اصل المنى هو الدم يتصاعد فى خرزات الصلب وهنالك مسكنه فتنضجه الحرارة فيستحيل ابيض فاذا امتلأت منه خرزات الصلب وهو الفقار طلب الخروج من مسلكه وهو عرقان متصلان الى الفرج منهما ينزل المنى وفى اسئلة الحكم بين طريق البول وطريق المنى جلد رقيق يكاد لا يتشخص كيلا يختلط المنى بماء البول فيفسد حرارة جوهره وفى التأويلات النجمية خلق الانسان من ماء رطوبة النفس الرحمانى الذى اشار اليه عليه السلام بقوله انى اجد نفس الرحمن من قبل اليمن دافق هذا الماء من فم فوارة المحبة المشار اليها بقوله تعالى كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت

الخلق الخارج من بين الصلب اى صلب رجلا لقوة الفاعلية الالهية المسماة باليد اليمنى فى قوله ثم مسح بيده اليمنى على جانب الظهر الايمن فاستخرج منه ذرية بيضاء كالفضة البيضاء والترائب ترائب امرأة القابلية المسماة باليد اليسرى فى قوله ثم مسح يده اليسرى على جانب الظهر الايسر فاستخرج منه ذرارى حماء سوداء فهو الانسان المخلوق على صورة ربه وخالقه من ماء الفيض والقبول المخمر بيدى الفاعلية والقابلية المشار اليهما بقوله خمرت طينة آدم بيدى اربعين صباحا (انه) الضمير للخالق فان قوله خلق يدل عليه اى ان ذلك الذى خلق الانسان ابتداء مما ذكر (على رجعه) اى اعادته بعد موته (لقادر) اى لبين القدرة بحيث لا يرى له عجز اصلا وتقديم الجار والمجرور على عامله وهو لقادر للاهتمام به من حيث ان الكلام فيه بخصوصه فهو لا ينافى قادريته على غيره قال بعضهم خلقه لاظهار قدرته ثم رزقه لاظهار الكرم ثم يميته لاظهار الجبروت ثم يحييه لاظهار الثواب والعقاب (يوم تبلى السرائر) ظرف لرجعه ولا يضر الفصل بالاجنبى للتوسع فى الظروف والسرائر جمع سريرة بمعنى السر وهى التى تكتم وتخفى اى يتعرف ويتصفح ما اسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفى من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وبالفارسية روزى كه آشكارا كرده شود نهانها يعنى ظاهر كند مخفيات ضمائر واعمال تا طيب آن از خبيث متميز كردد * كر برده زروى كارما بردارند * آن كيست كه رسواى دو عالم نشود * والابلاء هو الابتلاء والاختبار واطلاق الابلاء على الكشف والتمييز من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب لان الاختبار يكون للتعرف والتمييز وابتلاء الله عباده بالامر والنهى يكون لكشف ما علم منهم فى الازل وقال بعضهم المراد بالسرائر الفرائض كالصوم والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة فانها سر بين العبد وبين ربه ولو شاء العبد ان يقول فعلت ذلك ولم يفعله امكنه وانما تظهر صحة تلك السرائر يوم القيامة قال ابن عمر رضى الله عنهما يبدى الله يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من ادى الامانات كان وجهه مشرقا ومن ضيعها كان وجهه اغبر (فما له) اى للانسان وما نافية (من قوة) فى نفسه يمتنع بها من العذاب الذى حل به (ولا ناصر) من خارج ينتصر به اذ كل نفس يومئذ رهينة بما كسبت مشغولة بجزاء ما جرت عليه خيرا كان او شرا فالمراد بالقوة المنفية هى القوة الثابتة له فى نفسه لا القوة مطلقا والا لم يبق للعطف فائدة لان القوة المستفادة من الغير قوة ايضا وقد نفيت اولا والقوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف وفى التعريفات هى تمكن الحيوان من الافعال الشاقة ونصر المظلوم اعانه ونصره منه نجاه وخلصه وفيه اشارة الى القوة بحسب نية الباطن وعمل الظاهر فالنية الخالصة المجردة عن العمل قد تنصر الناوى ايضا لكن اذا قارنت العمل كانت اقوى (والسماء ذات الرجع) ذات مؤنث ذو بمعنى الصاحب والرجع المطر سمى رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه او بالايوب فيكون الرجع مصدرا من اللازم بمعنى الرجوع لا من المتعدى قاله بعض العلماء اولان الله يرجعه وقتا فوقتا بعد ايجاده واحداثه وقال الراغب سمى المطر رجعا لرد الهواء ما تناوله من الماء وفى كشف الاسرار لانه يرجع كل عام ويتكرر وقال عبد القاهر الجرجانى فى كتاب اعجاز القرآن انما قال للسماء ذات الرجع لان شمسها وقمرها يغيب ويطلع وبعض نجومها يرجع (والارض ذات الصدع) هو ما تتصدع عنه الارض من النبات اذ المحاكى للنشور هو تشقق الارض وظهور النبات منها لاظهار العيون فالمراد بالصدع نبات الارض سمى به لانه صادع للارض والارض تتصدع به والصدع فى اللغة الشق وفى المفردات شق فى الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما وفى الآية اشارة الى ان السماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام وما ينبت من الارض كالولد اقسم الله بالسماء اولا مجردة عن التوصيف وثانيا مقيدة بكونها ذات الرجع وكذا بالارض ذات الصدع ايماء الى المنة عليهم بكثرة المنافع ودلالة على العلم التام والقدرة الكاملة فيهما وفيه اشارة الى سماء الروح ذات الرجع فى النشأة الثانية وارض البدن ذات الصدع بالانشقاق عن الروح وقت زهوقه او الشق بعد اتصاله (انه) اى القرآن الذى من جملته ما تلى من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده (لقول) لكلام اذ القول كثيرا ما يكون بمعنى المقول (فصل) اى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كأنه نفس الفصل كما قيل له

فرقا بمعنى الفارق (وما هو بالهزل) الهزل اللعب وفى فتح الرحمن ما استعمل فى غير ما وضع له من غير مناسبة والجد ضده وهو ان يقصد به المتكلم حقيقة كلامه اى ليس فى شئ من القرآن شائبة هزل بل كله جد محض لاهزل فيه فمن حقه ان يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة وبالفارسية ونيست او بازى وباطل وفسوس وسخريه ويظهر من الآية ان من يؤم القرآن بهزل او يتفكه بمزاح يكفر وفى هدية المهديين اذا انكر رجل آية من القرآن او سخر بها او عابها فقد كفر ومن قرأ القرآن على ضرب الدف او القصب فقد كفر ولو قال الم نشرح لك راكريبان كرفته او قال يوسف ازقل هو الله احد بردى اوقال اين كونه ترازانا اعطيناك او قيل لم لم تقرأ القرآن فقال سير شدم از قرآن فهذا كله وامثاله كفر ينبغى للمؤمن ان يحترز عنه ويجتنب عنه (انهم) اى اهل مكة ومعاندى قريش (يكيدون) فى ابطال امره واطفاء نوره يعنى مكر ميكنند درشان رسول وحق قرآن (كيدا) حسبما فى قدرتهم (واكيد كيدا) اى اقابلهم بكيد متين لايمكن رده حيث استدرجهم من حيث لايعلمون وكيد المحدث العاجز الضعيف لايقاوم كيد القديم القادر القوى فتسمية الاستدراج والانتقام فى الدنيا بالسيف وفى الآخرة بالنار كيدا من باب المشاكلة لوقوعه فى مقابلة كسبهم جزاء له والا فالكيد وهو المكر والاحتيال لايجوز اسناده اليه تعالى مرادا به معناه الحقيقى وتسمية جزاء الشئ باسم ذلك الشئ على سبيل المشاكلة شائع كثير (فمهل الكافرين) اى لاتشتغل بالانتقام منهم ولاتدع عليهم بالهلاك ولاتستعجل به يعنى مهلت ده كافرانرا وتعجيل مكن درطلب هلاك ايشان (امهلهم) بدل من مهل وهما اى التمهيل والامهال لغتان كما قال تعالى ومهلهم قليلا (روى) عن همام مولى عثمان رضى الله عنه انه قال لما كتبوا المصحف شكوا فى ثلاث آيات فكتبوا فى كتف شاة وارسلونى الى ابى ابن كعب وزيد بن ثابت رضى الله عنهما فدخلت عليهما فناولتها ابيا فقرأها فاذا هى فيها لاتبديل للخلق فكتب لاتبديل لخلق الله وكان فيها لم يتسن فكتب لم يتسنه وكان فيها فامهل الكافرين فمحا الالف وكتب فمهل الكافرين ونظر فيها زيد بن ثابت فانطلقت بها اليهم فاثبتوها فى المصحف وفيه اشارة الى ان الله تعالى حافظ للقرآن من التحريف والتبديل لانه اثبته فى صدور الحفاظ والى ان المشكلات يرجع فيها الى اهل الحل (رويدا) يقال اروديرود اذا رفق وتأنى ومنه بنى رويد كما فى المفردات وفى الارشاد هو فى الاصل تصغير رود بالضم وهو المهل اوارواد مصدرا ورد بالترخيم وهو اما مصدر مؤكد لمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اى امهلهم امهالا رويدا اى قريبا او قليلا يسيرا فان كل آت قريب كما قالوا كرچه قيامت دير آيد ولى مى آيد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيه من الرمز الى قرب وقت الانتقام من الاعداء وفى كشف الاسرار وماكان بين نزول هذه الآية وبين وقعة بدر الازمان يسير (حكى) انه دخل ابن السماك على هرون الرشيد فطلب هرون منه العظة وقد جلس فى حصير فقال ياامير المؤمنين لتواضعك فى شرفك افضل من شرفك قال الرشيد ماسمعت شيأ احسن من هذا فقال بلى ياامير المؤمنين من اعطى مالا وجمالا وسلطانا وشرفا فتواضع فى شرفه وعف فى جماله وواسى من فضل ماله وعدل فى سلطانه كتب فى ديوان المخلصين فدعا الرشيد بالقرطاس فكتبها ثم قال زدنى فقال ياامير المؤمنين لقد امهل حتى كأنه اهمل ولقد ستر حتى كأنه غفر ثم قال ياامير المؤمنين هب كان الدنيا كلها فى يديك والاخرى مثلها ضمت اليك هب كان المشرق والمغرب يجى اليك فاذا جاء ملك الموت فما ذا فى يديك قال زدنى فقال لم يبق من لدن آدم الى يومنا هذا احد الا وقد ذاق الموت قال زدنى فقال انهما موضعان اما جنة واما نار قال حسبى ثم غشى عليه قال ابن السماك دعوه حتى يموت فلما افاق امر له بجائزة فقيل له انه قال كذا فسأله الرشيد عن ذلك فقال ياامير المؤمنين اى شئ احسن من ان يقال ان امير المؤمنين مات من خشية الله فاستحسن كلامه واحترمه (قال الحافظ) بمهلتى كه سپهرت دهد زراه مرو * تراكه كفت كه اين زال ترك دستان كرد * فطوبى لمن قصر امله وطال عمره وحسن عمله والله نسأل ان لايجعلنا من المغترين تمت سورة الطارق باعانة خالق النجوم البوارق يوم الاحد الرابع عشر من شهر ربيع الاول من سنة سبع عشرة ومائة والف

(سورة الاعلى تسع عشرة آية مكية عند الجمهور)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك الاعلى) التسبيح التنزيه واسم الله لا يصح ان يطلق عليه بالنظر الى ذاته او باعتبار صفة من صفاته السلبية كالقدوس اوالثبوتية كالعليم او باعتبار فعل من افعاله كالخالق ولكنها توقيفية عند بعض العلماء وقد سبق والاعلى صفة للرب و يجوز ان يكون صفة للاسم والاول اظهر ومعنى علوه تعالى ان يعلو عن ان يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين ومعنى أعلويته انه له الزيادة المطلقة فى العلو قال بعضهم ليس علوه علو جهة ولا كبره كبر جثة سبحانه عن ذلك بل علو استحقاق لنعوت الجلال و الكبرياء فمن عرف علوه و كبرياءه تواضع وتذلل بين يديه و بين يدى عباده الصالحين والمعنى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة نحو ان يجعل الاعلى من العلو فى المكان لا من العلو فى الكمال وان يؤخذ الاستواء بمعنى الاستقرار لا بمعنى الاستيلاء وكذا نزهه عن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه كان يسمى الصنم والوثن بارب والاله ومنه تسمية العرب مسيلمة الكذاب برحمان اليمامة وكذا نزهه عن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال ويدخل فيه ان يذكر اسمه عند التثاؤب وحال الغائط وكذا بالغفلة وعدم الوقوف على معناه وحقيقته ومنه اكثار القسم بذكر اسمه من غير مبالاة وقال جرير فى الآية ارفع صوتك بذكره اى بذكر اسمه فان ذكر المدلول انما هو بذكر اسم الدال عليه فظهر من هذا التقرير ان الاسم غير مقحم وقال بعضهم الاسم والمسمى هنا واحد اى نزه ذاته عما يدخل فى الوهم و الخيال و فى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت وفى الحديث دلالة على ان لفظ الاسم مقحم قاله سعدى المفتى وعلى ان الامتثال بالامر يحصل بان يقول سبحان ربى العظيم والاعلى بدون قراءة النظم ولذا قرأ على وابن عمر رضى الله عنهم سبحان ربى الاعلى الذى الخ فان قوله سبح امر بالتسبيح فلابد وان يذكر ذلك التسبيح وما هو الا قول سبحان ربى الاعلى ومثله سبحان ربك رب العزة فان معناه نزه ربك رب العزة فيحصل الامتثال بان يقول سبحان ربنا رب العزة على معنى تنزه ربنا رب العزة وقس على ذلك سائر المواقع المأمور بها وسر اختصاص سبحان ربى العظيم بالركوع والاعلى بالسجود ان الاول اشارة الى مرتبة الحيوان والثانى اشارة الى مرتبة النبات والجماد فلابد من الترقى فى التنزيه وكان عليه السلام وجيوشه اذا علوا الثنايا كبروا واذا هبطوا سبحوا فوضعت الصلاة على ذلك قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوى قدس سره فى شرح الحديث اعلم ان الرفعة والارتفاع استعلاء وانه من التكبر فان كان الاستعلاء ظاهرا فهو صورة من صور التكبر وان كان باطنا فهو معنى التكبر ولما كان الكبرياء لله وحده وكان فى الصعود على الثنايا ضرب من الاستعلاء موجود وشبيه به ايضا لذلك سن التكبير فيه اى ان الله اكبر واعلى من ان يشارك فى كبريائه وان ظهرنا بصورة حال يوهم الاشتراك واما الامر بالتسبيح فى الهبوط فهو من اجل سر المعية المشار اليها بقوله تعالى و هو معكم اينما كنتم فاذا آمنا انه معنا انما كما خال كوننا فى هبوط يكون معنا وهو يتنزه عن التحت والهبوط لانه سبحانه فوق التحت كما انه فوق الفوق ونسبة الجهات اليه على السواء لتنزهه عن التقيد بالجهات و احاطته بها فلهذا شرع التكبير فى الصعود والتسبيح فى الهبوط على الوجه المنبه عليه انتهى واول من قال سبحان ربى الاعلى ميكائيل عليه السلام وذلك انه خطر بباله عظمة الرب تعالى فقال يا رب اعطنى قوة حتى انظر الى عظمتك وسلطانك فاعطاه قوة اهل السموات فطار خمسة آلاف سنة حتى احترق جناحه من نور العرش ثم سأل القوة فاعطاه قوة ضعف ذلك وجعل يطير و يرتفع عشرة آلاف سنة حتى احترق جناحه وصار فى آخره كالفرخ ورأى الحجاب والعرش على حاله فخر ساجدا وقال سبحان ربى الاعلى ثم سأل ربه ان يعيده الى مكانه والى حالته الاولى ذكره ابو الليث فى تفسيره وقال النبى عليه السلام يا جبرائيل اخبرنى عن ثواب من قال سبحان ربى الاعلى فى صلاته اوفى غير صلاته فقال يا محمد مامن مؤمن ولا مؤمنة يقولها فى سجوده اوفى غير سجوده الا كانت له فى ميزانه اثقل من العرش والكرسى وجبال الدنيا و يقول الله صدق عبدى انا الاعلى وفوق كل شئ وليس فوقى شئ اشهدوا يا ملائكتى انى قد غفرت لعبدى وادخلته جنتى فاذا مات زاره ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدى الله فيقول يارب شفعنى فيه فيقول قد شفعتك فيه اذهب به الى الجنة ذكره ابن الشيخ فى حواشيه وفى الحديث سبحان الله و الحمد لله يملآن مابين السموات والارض) اى لاشتمال هاتين الكلمتين على كمال الثناء

والتعريف بالصفات الذاتية والفعلية الظاهرة الآثار فى السموات والارض ومابينهما وقال القاشانى اسمه الاعلى والاعظم هو الذات مع جميع الصفات اى نزه ذاتك بالتجرد عما سوى الحق وقطع النظر عن الغير ليظهر عليها الكمالات الحقانية باسرها وهو تسبيحه الخاص به فى مقام الفناء لان الاستعداد التام القابل لجميع الصفات الالهية لم يكن الا له فذاته هو الاسم الاعلى عند بلوغ كماله ولكل شئ تسبيح خاص يسبح به اسما خاصا من اسماء ربه (الذى خلق فسوى) صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثانى لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره اى خلق كل شئ فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتسنى معاشه وقال القاشانى انشأ ظاهرك فعدل بنيتك على وجه قبلت بمزاجه الخاص الروح الاتم المستعد لجميع الكمالات وفى التأويلات النجمية خلق كل شئ بحسب الوجود فسوى تسوية بها يصل الفيض الالهى المعدله بحسب استعداده الفطرى وقال بعضهم خلق الخلق فسوى بينهم فى الخلقة وميز بينهم باختصاص بعضهم بالهداية (والذى قدر) معطوف على الموصول الاول اى قدر اجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها كما قال عليه السلام ان الله قدر مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة اى جعل اجناس الاشياء وكذا اشخاص كل نوع بمقدار معلوم وكذا جعل مقدار كل شخص فى جثته واوضاعه وسائر صفاته كالحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة والالوان والاشكال والطعوم والروائح والارزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال وان من شئ الا عندنا خزائنه وماننزله الا بقدر معلوم (فهدى) فوجه كل واحد منها الى مايصدر عنه وينبغى له طبعا او اختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرأيت فى كل منها مايحار فيه العقول (يحكى) ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله ان تمسح عينيها بورق الرازيانج الغض فيرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها فى برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطوى بها على طولها وعلى عماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لاتخطئها فتحك عينيها بورقها وترجع باصرة باذن الله تعالى (ويحكى) ان التمساح لايكون له دبر وانما يخرج فضلات مايأكله من فيه حيث قيض الله له طائرا قدر الله غذاءه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه والتمساح خلق كالسلحفاة ضخم يكون بنيل مصر وبنهر مهران فى السند كما فى القاموس ويخطف البهائم والآدميين وربما بلغ طوله عشرين ذراعا وهو يبيض فى البر فما وقع من ذلك فى الماء صار تمساحا ومابقى صار سقنقورا وهى دابة بمصر شكلها كالوزغة على عظم خلقته وهو انفس مايهدى للملوك الهند فانهم يذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر ويحملونه كذلك الى ارضهم فاذا وضعوا مثقالا من ذلك على بيض او لحم واكل نفع ذلك نفعا بليغا والسقنقور والضب والسلحفاة للذكر منها ذكران وللانثى فرجان ومن عجائب هداياته تعالى ان القطا وهو طائر يترك فراخه ثم يطلب الماء من مسيرة عشرة ايام واكثر فيرده فيمابين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطئ لاذهابا ولا ايابا والجمل والحمار اذا سلكا طريقا فى الليلة الظلماء ففى المرة الثانية لايخطئان والدبة اذا ولدت ولدها رفعته فى الهواء يومين خوفا من النمل لانها تضعه قطعة لحم غير متميزة الجوارح ثم يتميز اولا فاولا واذا جمع العقرب والفأرة فى اناء زجاج قرضت الفأرة ابرة العقرب فتسلم منها (وحكى) ان ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة ولم يزل يتبعها حتى انتهت الى رأس الغصن ولم يبق مهرب فنزلت على ورقة وعضت طرفها وعلقت نفسها فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءته زوجته فلما انتهت الى تحت الشجرة قطع ابن عرس الورقة التى عضتها الفأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس الذى كان تحت الشجرة والفأرة تدخل ذنبها فى قارورة الدهن ثم تلحسه والثعلب اذا اجتمع فى جلده البق الكثير والبعوض يأخذ بفيه قطعة جلد من الحيوان فينغمس فى الماء فاذا اجتمعت فى الفروالقاه فى الماء وخرج سالما والعنكبوت تبنى بيتها على وجه عجيب غير مقدور والبشر لايقدر على بناء البيت المسدس الا بالبركار والمسطر والنحل تبنى تلك البيوت من غير آلة والنمل تسعى لاعداد الذخيرة لنفسها فاذا احست بنداوة المكان تشق الحبة نصفين لئلا تنبت واذا وصلت النداوة اليها تخرجها الى الشمس لتجف قال بعضهم رأيت غواصا وهو طائر غاص وطلع

بسمكة فغلبه الغراب عليها فاخذها منه فغاص مرة اخرى فطلع فاخذها منه الغراب وفي الثالثة كذلك فلما اشتغل الغراب بالسمكة وثب الغواص فاخذ برجل الغراب وغاص به تحت الماء حتى مات الغراب و خرج هو من الماء وفي الحديث لاتشوبوا اللبن بالماء فان رجلا كان فيمن كان قبلكم يبيع اللبن و يشوبه بالماء فاشترى قردا وركب البحر حتى اذا لجج فيه الهم الله القرد فاتى صرة الدنانير فاخذها وصعد الدقل و هو سهم السفينة ففتح الصرة وصاحبها ينظر اليه فاخذ دينارا ورمى به في البحر ودينارا في السفينة حتى قسمها نصفين فالقى ثمن الماء في الماء وفي عجائب المخلوقات ان شخصا قتل شخصا باصفهان والقاه في بئر وللمقتول كلب يرى ذلك فكان يأتي كل يوم الى رأس البئر وينحي التراب عنها واذا رأى القاتل نبح عليه فلما تكرر منه ذلك حفروا الموضع فوجدوا القتيل ثم اخذوا الرجل فاقر فقتل به و من عجيب شجرة النخل ان يعرض لها العشق وهي ان تميل الى نخلة اخرى فيخف حملها وتهزل وعلاجها ان يشد بينها و بين معشوقها الذي مالت اليه بحبل او يعلق عليها سعفة منه او يجعل فيها من طلعه وامثال هذا لاتحيط بها العبارة والتحرير كثيرة (والذى اخرج المرعى) اى انبت بكمال قدرته مارعاه الدواب غضا طريا من بين اخضر واصفر واحمر وابيض وقال ابن عباس رضي الله عنه المرعى الكلاء الاخضر وفي الصحاح الرعى بالكسر الكلاء و بالفتح المصدر والمرعى الرعى والمصدر (فجعله) بعد ذلك (غثاء) اى دريناً وهو كامبريبيس كل حطام حض اوشجرا وبقل قال الجوهرى الغثاء بالضم والمد مايحمله السيل من القماش والقمش جمع الشئ من ههنا وههنا وذلك الشئ قماش ماعلى وجه الارض من فتات الاشياء حتى يقال لرذالة الناس قماش و بالفارسية خشك و پژمرده (احوى) اسود من الحوة بمعنى السواد وذلك ان الكلاء اذا جف و يبس اسود سواء كان جفافه واسوداده بتأثير حرارة الشمس او برودة الهواء وايراد الفاء التعقيبة اشارة الى قصر مدة الخضرة ورمز الى قصر مدة العمر وسرعة زوال الدنيا ونعيمها يعني محققان ازمضمون اين آيت فهم كرده اندكه چراگاه متمتعان دنيا اگرچه دراول تازه وسيراب وسبز وخرم نمايد اما اندك وقتى را بسبب هبوب رياح خزان حوادث تيره و بى طراوت خواهد بود * اگرچه خرم وتازه است كابين دنيا * ولى بنكبت بادخزان نمى ارزد * بگرده خورى وقرص قرزجاى مرو * كه خوان چرخ بيك تاى نان نمى ارزد * وفيه اشارة الى زينة الحياة الدنيا ومنافعها وماكلها ومشاربها فانها مرعى النفس الحيوانية ومرتع بهائم القوى جعلها الله سريعة الفناء وشبكة الزوال كالهشيم والحطام البالى المسود فينبغى ان لايلتفت اليها ولايشغل بها فانها مانعة عن التسبيح الخاص وهوتنزيه الذات وتجريدها عن العلائق وبها يحصل الاحتجاب عن الكمال المقدر في حق كل احد (سنقرئك فلاتنسى) بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه السلام لتلقى الوحى وحفظ القرآن الذى هوهدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس اجمعين قال الراغب في المفردات اخبار وضمان من الله تعالى ان يجعله بحيث لاينسى مايسمعه من الحق انتهى والسين اما للتأكيد واما لان المراد اقراء مااوحى اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحى في ضمن الوعد بالاقراء يقال قرأ القرآن فهو قارئ واقرأه غيره فهو مقرئ اى علمه اياه فهو معلم وفي تاج المصادر الاقراء قرآن كوش فراداشتن وخوانده كردن ومنه سنقرئك انتهى والمعنى سنقرئك مانوحى اليك الآن وفيما بعد على لسان جبرائيل فلاتنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان وفي كشف الاسرار سنجمع حفظ القرآن في قلبك وقراءته في لسانك حتى لاتنسى كقوله ان علينا جمعه وقرآنه (الاماشاء الله) استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى لاتنسى شيئا من الاشياء مماتقرأ الاماشاء الله ان تنساه ابدا بان نسخت تلاوته فان النسخ نوع من الانساء وطريق من طرقه فكأنه بالنسخ محى من الصحف والصدور فالمراد بالنسيان هوالنسيان الكلى الدائم بحيث لايعقبه التذكر بعده و يجوز ان يراد به النسيان المتعارف الذى يعقبه الذكر بعده وهوالنسيان في الجملة على القلة والندرة اى فلاتنسى الاماشاء الله نسيانه ثم لايبقى المنسى منسيا دائما بل يعقبه الذكر كماهوالمفهوم من المقام ويؤيد هذا المعنى ماروى انه عليه السلام اسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب ابى رضي الله عنه انها نسخت فسأله فقال عليه السلام نسيتها (وروى) ان بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يقرأ القرآن في الليل فقال عليه السلام لقد اذكرني آية انسيتها و من هذا كان عليه السلام يقول

فى دعائه اللهم ارحمنى بالقرآن العظيم واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلمنى منه ماجهلت وارزقنى تلاوته اناء الليل واطراف النهار واجعله حجة لى يارب العالمين وكان عليه السلام يقول انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى وقال تعالى واذكر ربك اذا نسيت ودل الكل على جواز طريان النسيان عليه وان لم يكن سهوه ونسيانه من قبيل سهو الامة ونسيانهم فانه اهل الحضور الدائم روى عن جعفر الصادق رضى الله عنه انه عليه السلام كان يقرأ من الكتاب وان كان لايكتب وفيه معجزة له عليه السلام فانه كان اميا وقد جعله الله قارئا ثم انه كان يقرأ من الحفظ ومن الصحيفة ايضا من غير تعلم الخط وكان منبع الكمالات كلها حتى انه علم الكتاب الخط وقوانينه واصحاب الحرف دقائق حرفتهم (انه يعلم الجهر وما يخفى) تعليل لما قبله وما موصولة وكل من الجهر والاخفاء شامل لما كان من قبيل القول والعمل والاخفاء لما فى الضمائر من النيات اى يعلم ماظهر ومابطن من الامور التى من جملتها ما اوحى اليك فينسى مايشاء انساءه ويبقى محفوظا مايشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم (ونيسرك لليسرى) عطف على نقرئك واليسرى فعلى من اليسر وهو السهولة و يسرت كذا سهلت وهيأت وضمن نيسرك معنى التوفيق ولذا عدى بدون اللام والا فالعبارة المعتادة ان يقال جعل الفعل الفلانى ميسر الفلان لا ان يقال جعل فلان ميسرا للفعل الفلانى كما فى الآية فانه قيل ونيسرك لليسرى لاونيسر اليسرى لك وقال بنون العظمة لتكون عظمة المعطى دليلا على عظمة العطاء وفى الارشاد تعليق التيسير به عليه السلام مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما فى قوله تعالى ويسر لى امرى للايذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه السلام جبل عليها كما فى قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له والمعنى ونوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى اى التى هى ايسر واسهل فى كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحى و الاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى (فذكر ان نفعت الذكرى) اى فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما فى تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله ان نفع التذكير والعظة والنصيحة وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما ان رسول الله عليه السلام طالما كان يذكرهم و يستفرغ فيه جهده حرصا على ايمانهم وكان لايزيد ذلك بعضهم الا كفرا وعنادا فامر عليه السلام بان يخص التذكير بمدار النفع فى الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولايتعب نفسه فى تذكير من لايزيده التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما فى قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فحرف الشك راجع الى النبى عليه السلام لا الى الله وفى كشف الاسرار ان تجيئ فى العربية مثبتة لا للشرط فتكون بدل قد كقوله و ذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقد علم عليه السلام ان الذكرى تنفع لامحالة امافى ترك الكفر اوترك المعصية اوفى الاستكثار من الطاعة فهو حث على ذلك وتنبيه على انها تنفع الا ان يكون مطبوعا على قلبه غير مستعد للقبول فالنفع مشروط بشرط الاستعداد * زمين شوره سنبل برنيارد * درو تخم عمل ضايع مكردان * والحاصل ان التذكير خاص بالمنتفع وذلك فى النهاية واما فى البداية فعام وما على الرسول الا البلاغ * من آنجه شرط بلاغست باتوميكويم * توخواه ازسخنم بند كير وخواه ملال * قال القاشانى اجمل فى قوله ان نفعت الذكرى ثم فصل بقوله (سيذكر من يخشى) اى سيتذكر بتذكيرك يعنى زود باشد كه بند بذيرد من من شأنه ان يخشى الله حق خشيته اومن يخشى الله فى الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر فى امر ماتذكر به فيقف على حقيقته فيؤمن به وفى تفسير الكبير الناس فى امر المعاد على ثلاثة اقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده ولكنه غير قاطع فيه لابالنفى ولابالاثبات ومنهم من اصر على انكاره والقسمان الاولان ينتفعون بالتذكير بخلاف الثالث (ويتجنبها) اى يتبعد من الذكرى ولايسمعها سماع القبول (الاشقى) اى الزائد فى الشقاوة من الكفرة لتوغله فى عداوة النبى عليه السلام مثل الوليد بن المغيرة وابى جهل ونحوهما اوالاشقى هو الكافر مطلقا لانه اشقى من الفاسق وروى ان من يخشى هو عثمان بن عفان رضى الله عنه والاشقى رجل من المنافقين وذلك ان المنافق كانت له نخلة مائلة فى دار رجل من الانصار فسقط ثمرها فى داره فذكر ذلك لرسول الله عليه السلام

فارسل الى المنافق ولم يكن يعلم بنفاقه فسأله ان يعطى النخلة للانصارى على ان يعطيه نخلة فى الجنة فقال أبيع عاجلا بآجل لا افعل فأعطاه عثمان رضى الله عنه حائطا نخل له فنزلت الآية كما فى التكملة ونظيره ان رجلا قضى للنبى عليه السلام حاجة فقال ائتنى بالمدينة فأتاه فقال ايما أحب اليك ثمانون من الضأن او أدعو الله ان يجعلك معى فى الجنة قال بل ثمانون من الضأن قال اعطوه اياها ثم قال ان صاحبة موسى عليه السلام كانت أعقل منك وذلك ان عجوزا دلته على عظام يوسف عليه السلام فقال لها موسى ايما أحب اليك اسأل الله ان تكونى معى فى الجنة اومائة من الغنم قالت الجنة * هركه بيند مى عطا را صد عوض * زود در بازد عطا را زين غرض * آرزوى كل بود كل خواره را * كاشكر نكوارد آن بيچاره را (الذى يصلى النار الكبرى) اى يدخل الطبقة السفلى من طبقات النار وآتش آن ازآتش دركات ديكر تيزتر وسوزنده تراست وآن جاى آن فرعون ومنافقان ومنكران مائدة عيسى عليه السلام باشد ونار صغرى درطبقة عليا كه جاى كنهكاران امت محمد مصطفاست عليه السلام فالكبرى اسم تفضيل لانه تأنيث الاكبر والمفضل هو مافى اسفل دركات جهنم من النار التى هى نصيب الكفار كما قال تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار والمفضل عليه مافى الدركات التى فوقها فان لجهنم نيرانا ودركات متفاضلة كما ان فى الدنيا ذنوبا ومعاصى متفاضلة فكما ان الكفار أشقى العصاة كذلك يصلون أعظم النيران وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا يعنى ان المفضل نار الآخرة والمفضل عليه نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم وقد غمست فى ماء البحر مرتين ليدنى منها وينتفع بها ولولا ذلك مادنوتم منها ويقال انها تتعوذ بالله من جهنم وان ترد اليها يقول الفقير الظاهر ان المراد بالنار الكبرى هو العذاب الاكبر فى قوله تعالى فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو عذاب الآخرة واما العذاب الاصغر فهو عذاب الدنيا وعذاب البرزخ فانه يصغر بالنسبة الى عذاب الآخرة قال بعض الحكماء علامة الشقاوة اشياء كثيرة الاكل والشرب والنوم والاصرار على الذنب وقساوة القلب وكثرة الذنب ونسيان الرب والوقوف بين يدى الملك الجبار فهذا هو الاشقى الذى يدخل النار الكبرى وفى التأويلات النجمية النار ناران نار حجاب الدنيا بالاشتغال بالشهوات واللذات وهى الصغرى ونار حجاب الآخرة وهو الابتلاء بالخذلان والخسران والطرد والهجران كما قال تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا لفوات الاستعداد وقال القاشانى النار الكبرى هى نار الحجاب عن الرب بالشرك والوقوف مع الغير ونار القهر فى مقام الصفات ونار الغضب والسخط فى مقام الافعال ونار جهنم الآثار فى المواقف الاربعة من موقف الملك والملكوت والجبروت وحضرة اللاهوت أبد الآبدين فاكبر ناره (ثم لايموت فيها) حتى يستريح (ولايحيى) حياة تنفعه كما يقال لمن ابتلى بالبلاء الشديد لاهو حى ولاهو ميت وثم للتراخى من مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة افظع من نفس الصلى وقال ابن عطاء لايموت فيستريح من غم القطيعة ولايحيى فيصل الى روح الوصلة وفى التأويلات النجمية لايموت نفسه بالكلية ليستريح من عقوبات الحجاب والاحتجاب ولايحيى قلبه بحياة الايمان لكونه فى دار الجزاء لافى دار التكليف وقال القاشانى لايموت لامتناع انعدامه ولايحيى بالحقيقة لهلاكه الروحانى اى يتعذب دائما سرمدا فى حالة يتمنى عندها الموت وكلما احترق وهلك اعيد الى الحياة وعذب فلا يكون ميتا مطلقا ولاحيا مطلقا يقول الفقير لايموت لان الموت يذبح فلاموت ولايحيى لان المغموم كالميت فيبقى فى العذاب الروحانى كما يبقى فى العذاب الجسمانى قال بعض الكبار لاحياة الا عن موت ولا موت الاعن رؤية حى فمن مات غير هذا الموت فلا يحيى ومن حى غير هذه الحياة فهى حياة حيوانية لاحياة انسانية (قد افلح) اى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه (من تزكى) اى تطهر من الكفر والمعاصى بتذكره واتعاظه بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وكلمة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى فى الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) اقام الصلوات الخمس كقوله اقم الصلاة لذكرى اى كبر تكبيرة الافتتاح فصلى فالمراد بالذكر تكبيرة الافتتاح لكن لايختص الذكر عند الحنفية بان يقول الله أكبر لعموم الذكر ودل العطف بالفاء التعقيبية على عدم دخول التكبير فى الاركان لان العطف يقتضى المغايرة بين المعطوفين قال الامام مراتب اعمال المكلف ثلاث فاولاها ازالة العقائد الفاسدة عن

القلب وهى المرادة بالتزكى والثانية استحضار معرفة الله بذاته وصفاته واسمائه وهى المرادة بالذكر لان الذكر بالقلب ليس الا المعرفة والثالثة الاشتغال بالخدمة والطاعة وهى المرادة بالصلاة فانها عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله لابد وان يظهر فى جوارحه واعضائه اثر الخضوع والخشوع قال بعضهم خلق الله وجها يصلح للسجدة وعينا تصلح للعبرة وبدنا يصلح للخدمة وقلبا يصلح للمعرفة وسرا يصلح للمحبة فاذكروا نعمة الله عليكم حيث زين السنتكم بالشهادة وقلوبكم بالمعرفة وابدانكم بالعبادة (روى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى قال الله سبحانه ان لى مع المصلين ثلاث شرائط احداها تنزل الرحمة من عنان السماء الى مفرق رأسه مادام فى صلاته والثانية حفته الملائكة باجنحتها والثالثة أناجى معه كلما قال يارب اقول لبيك ثم قال عليه السلام لو علم المصلى من يناجى ما التفت (وروى) عن ابن عمر رضى الله عنه ان المراد بالتزكى اخراج صدقة الفطر قبل المضى الى المصلى وبالذكر ان يكبر فى الطريق حين خروجه الى المصلى وبالصلاة ان يصلى صلاة العيد بعد ذلك مع الامام وهذه السورة وان كانت مكية بالاجماع ولم يكن بمكة عيد ولا صدقة فطر الا انه لما كان فى علمه ان ذلك سيكون اثنى الله على من فعل ذلك فانه تعالى قد يخبر عما سيكون وفى الآية اشارة الى تطهير النفس عن المخالفات الشرعية وتطهير القلب عن المحبة الدنيوية بل عن ملاحظة الغير والتوجه الى الله تعالى بقدر الاستعداد اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها (بل تؤثرون الحياة الدنيا) اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل اثر بيان ما يؤدى الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تختارون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحياة الدنيا هو الرضى والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما فى قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية اوللكل فالمراد بايثارها ما هو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة فى السعى وترتيب المبادى والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثانى كذلك فى حق الكفرة ولتشديد العتاب فى حق المسلمين وفى فتح الرحمن فالكافر يؤثرها ايثار كفر يرى ان لا آخرة والمؤمن يؤثرها ايثار معصية وغلبة نفس الا من عصم الله وفى عين المعانى خطاب للامة اذ كل يميل الى الدنيا اما رغبة فيها او ادخارا لثواب الآخرة (وفى كشف الاسرار) مصطفى عليه السلام اول قلم فتوى درحق دنيا اين راند كه حلالها حساب وحرامها عذاب آنكه بروا لعنت كرد كه الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله * اكر دينت همى بايد ز دنيادار پى بكسل * ورت دنيا همى بايد بده دين وببر دنيا * وراز دوزخ همى ترسى بمالى بس مشوغره * كه اينجاصورتش مالست وآنجا شكلش اژدرها * چه مانى بهر مردارى چوزاغان اندرين پستى * قفس بشكن چوطاوسان يكى بربرزين بالا (والآخرة خير وابقى) حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب اى تؤثرونها على الآخرة والحال ان الآخرة خير فى نفسها لما ان نعيمها مع كونه فى غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدى لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره وفيه اشارة الى ان ظواهر الاشياء بالنسبة الى حقائقها كالقشر بالنسبة الى اللب واللب خير من القشر وابقى لان لب الحب يحفظ زمانا طويلا وقشره اذا سلخ من اللب يطرح فى النار او يرمى بالمزابل فيفنى بعد اليومين او اكثر فارباب القشر يؤثرون الامور الطاهرة الحسية الدنية الفانية على الامور الباطنة المعنوية الشريفة العزيزة الباقية لكونهم محجوبين عن الآخرة وارباب اللب يختارون الآخرة بل الله الآخر كما قال قل الله ثم ذرهم ويقال قد افلح من تزكى اى من تاب من الذنوب وذكر اسم ربه يعنى اذا سمع الاذان خرج الى الصلاة ثم ذم تارك الجماعة لاجل اشتغاله بالدنيا فقال بل تؤثرون الحياة الدنيا يعنى تختارون عمل الدنيا على عمل الآخرة وعمل الآخرة خير وابقى من عمل الدنيا والاشتغال بها وبزينتها (ان هذا) اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى (لفى الصحف الاولى) جمع صحيفة وهى الكتاب قال الراغب الصحيفة المبسوط من كل شئ كصحيفة الوجه والصحيفة التى كان يكتب فيها والمصحف ما جعل جامعا للصحف المكتوبة والمعنى لثابت فيها يعنى ان تطهير النفس عما لا ينبغى وتكميل الروح بالمعارف وتكميل الجوارح بالطاعة والزجر عن الالتفات الى الدنيا والترغيب فى الآخرة وفى ثواب الله فى دار كرامته لا يجوز ان يختلف باختلاف الشرائع (صحف) جدك

(ابراهيم) الخليل عليه السلام (و) صحف اخيك (موسى) الكليم عليه السلام بدل من الصحف الاولى (روى) ان جميع ما ازل الله من كتاب مائة واربعة كتب ازل على آدم عليه السلام عشر صحف حروف التهجى صحيفة منها وعلى شيث عليه السلام خمسين صحيفة وعلى ادريس عليه السلام ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عليه السلام عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان فصحف موسى هى الالواح التى كتبت فيها التوراة كذا قال الامام وفى التيسير صحف شيث وهى ستون وصحف ابراهيم وهى ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة وهى عشر والتوراة والانجيل والزبور والقرآن وكان فى صحف ابراهيم ينبغى للعاقل مالم يكن مغلوبا على عقله ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه وايضا الخروج عما سوى الله بنعت التجريد كما قال انى برئ مما تشركون والاقبال على الله لقوله انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض ونقل من صحف موسى يقول الله يا ابن آدم اعمل لنفسك قبل نزول الموت بك ولا تغرنك المطية فان على آثارها السفر ولا تلهينك الحياة وطول الامل عن التوبة فانك تندم على تأخيرها حين لا ينفعك الندم يا ابن آدم اذا لم تخرج حق من مالى الذى رزقتك اياه ومنعت منه الفقراء حقوقهم سلطت عليك جبارا يأخذه منك ولا اثيبك عليه وفى صحف موسى ايضا سرعة الشوق الى جماله والندم على الوقوف فى المقامات عند تعريف الصفات لقوله انى تبت اليك وانا اول المؤمنين وفى التيسير دل الكلام على قول الامام الاعظم رحمه الله ان قرآءة القرآن بالفارسية فى الصلاة صحيحة وهو قرآن باى لسان قرئ لانه جعل هذا المذكور مذكورا فى تلك الصحف ولذلك قال وانه لفى زبر الاولين ولا شك انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة وكان قرآنا لان العبرة بالمعانى والالفاظ ظروف وقوالب لها انتهى وفيه تأييد لمن جوز نقل الحديث بالمعنى وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعتين اللتين يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وفى الوتر بقل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وبه عمل الشافعى ومالك رحمهما الله واما عند ابى حنيفة واحد فالمستحب فى الثالثة الاخلاص فقط

تمت سورة الاعلى يوم الاثنين الخامس عشر من شهر المولد فى سنة سبع عشرة ومائة والف

* (سورة الغاشية ست وعشرون آية مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(هل اتاك حديث الغاشية) قال قطرب من ائمة النحو اى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية قال المولى ابو السعود رحمه الله فى الارشاد وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما فى حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التى حقها ان يتنافس فى تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التى تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهى القيامة كما قال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال يوما كان شره مستطيرا يقال غشيه يغشاه اى غطاه وكل ما احاط بالشئ من جميع جهاته فهو غاش له (وجوه يومئذ خاشعة) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن الاستفهام التشويقى كأنه قيل من جهته عليه السلام ما اتانى حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ وهو ظرف لما بعده من الاخبار الثلاثة اى يوم اذ غشيت تلك الداهية الناس فان الخشوع والخضوع والتطامن والتواضع كلها بمعنى ويكنى بالجميع عما يعترى الانسان من الذل والخزى والهوان فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لانها فى موقع التنويع وخاشعة خبره قال الشيخ لعل وجه الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام اصحاب وجوه بالاضافة الا ان الخشوع والذل لما كان يظهر فى الوجه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وانما قلنا ان الذل يظهر فى الوجه لانه ضد التكبر الذى محله الرأس والدماغ والمراد باصحاب الوجوه هم الكفار بدلالة ما بعده من الاوصاف (عاملة ناصبة) خبران آخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها كما اشير اليه آنفا والنصب التعب والناصبة التعبة يقال نصب نصبا من باب علم اذا تعب فى العمل والمعنى تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها لانها تكبرت عن العمل لله فى الدنيا فاعملها الله فى اعمال شاقة وهى جر السلاسل والاغلال الثقيلة كما قال فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا والخوض فى النار خوض الابل فى الوحل اى الطين الرقيق والصعود فى تلال النار والهبوط فى وهادها وقال بعضهم خشوع الظاهر ونصب الابدان

لايقربان الى الله تعالى بل يقطعان عنه وانما يقرب منه سعادة الازل وخشوع السر من هيبة الله وهو الذى يمنع صاحبه من جميع المخالفات فالرهابنة والفلاسفة واضرابهم من اهل الكفر والبدع والضلال انما يضربون حديدا باردا ويتعبون انفسهم فى طريق الهوى والسعى فيه (تصلى) تدخل (نارا) وتذوق المها (حامية) اى متناهية فى الحر وقدا وقدت ثلاثة آلاف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وهو خبر آخر اوجوه قال فى القاموس حمى الشمس والنار حميا وحيا وحموا اشتد حرهما وقال السجاوندى حامية اى دائمة الحمى والا فالنار لاتكون الاحامية (تسقى) بعد مدة طويلة من استغاثتهم من غاية العطش ونهاية الاحتراق اى سقاها الله اوالملائكة بامره (من عين) اى چشمة آب كه (آنية) اى متناهية بالغة فى الانى اى الحر غايتها لتسخينها بتلك النار منذ خلقت اووقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فاذا ادنيت من وجوههم تناثرت لحوم وجوههم واذاشربوا قطعت امعاءهم كما قال تعالى وبين حميم آن يقال انى الحميم آنتهى حره فهو آن وبلغ هذا اناه واناه غايته وفيه اشارة الى نار الطبيعة وعين الجهل المركب الذى هو مشرب اهلها والاعتقاد الفاسد المؤذى (ليس لهم طعام الامن ضريع) بيان لطعام الكفار فى النار اثر بيان شرابهم واورد ضمير العقلاء اشارة الى ان المراد من الوجوه اصحابها وانما اسند اليها ماذكر من الاحوال لكونها مظهرا يظهر فيه مافى الباطن مع انها يكنى بها كثيرا عن الذوات والضريع يبيس الشبرق كزبرج وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال فى فتح الرحمن سموا ذلك الشوك ضريعا لانه مضعف للبدن ومهزل يقال ضرع الرجل ضراعة ضعف وذل وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه الضريع شئ فى النار يشبه الشوك امر من الصبر وأنتن من الجيفة واشد حرا من النار وهذا طعام بعض اهل النار والزقوم والغسلين لآخرين بحسب جرائمهم وبه يندفع التعارض بين هذه الآية وبين آية الحاقة وهى قوله تعالى ولا طعام الامن غسلين قال سعدى المفتى ويمكن فى قدرة الله ان يجعل الغسلين اذا انفصل عن ابدان اهل النار على هيئة الضريع فيكون طعامهم الغسلين الذى هو الضريع انتهى يقول الفقير ويمكن عندى ان يجعل كل من الضريع والغسلين والزقوم بالنسبة الى شخص واحد بحسب الاعمال المختلفة فان لكل عمل أثرا مخصوصا وجزاء متعينا فيصح الحصر وتحقيقه ان الضريع اشارة الى الشبه والعلوم الغير المنتفع بها المؤذية كالمغلطات والخلافيات والسفسطة ومايجرى مجراها على ماقاله القاشانى والغسلين اشارة الى الشهوات الطبيعية ولذا يسيل من ابدانهم فان لكل شهوة رشحا وعرقا وكل اناء يترشح بما فيه والزقوم اشارة الى خوضهم فى الانبياء والاولياء وطعنهم فى دينهم وضحكهم منهم وكانوا يتلذذون بذلك على ما اشار اليه قوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين اى متلذذين بما فعلوا من التغامز والسخرية ونحو ذلك على ان الزقة هو الطاعون ووجه آخر وهو انه يمكن الترتيب بالنسبة الى شخص واحد بان يكون الزقوم نزلا له والضريع اكلا له بعد ذلك والغسلين شرابا له كالحميم والعلم عند الله (لايسمن) فربه نمى كند آن ضريع (ولايغنى من جوع) ودفع نمى كند كرسنكى را اى ليس من شانه الاسمان والاشباع كما هو شان طعام الدنيا وانما هو شئ يضطرون الى اكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لاعلى ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه لايفيدهم شيأ منهما بل على انه لااستعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ماهو المعهود منهما فى هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل مايتحلل من البدن متوقفة له الى المطعوم والمشروب بحيث يتلذذ بهما عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما فى المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار فى احشائهم الى ادخال شئ كثيف يملأها ويخرج مافيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل والاستغناء به عن الغير او استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه فى بطونهم الى شئ مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به فى الجملة وهو المعنى بماروى انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اى لايغنى من جوع ما وتأخير نفى الاغناء عنه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفى

كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الاسمان ضرورة استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كررلا أكيد النفي (وجوه يومئذ ناعمة) اى ذات بهجة وحسن وضياء مثل القمر ليلة البدر وبالفارسية تازه باشد اثر نعمت د رو يدا فناعمة من نعم الشئ بالضم نعومة اى صار ناعما لينا ويجوز ان يكون بمعنى متنعمة اى بالنعم الجسمانية والروحانية وهي وجوه المؤمنين فيكون المراد بها حقيقة النعمة وانما لم تعطف على ما قبلها ايذانا بكمال تباين مضمون الجملتين وتقديم حكاية اهل النار لانه ادخل فى تهويل الغاشية وتفخيم حديثها وفيه اشارة الى نعيم اللقاء الذى هو ثمرة اللطافة والنورية التى هى نتيجة التجرد كما قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فان بالنظر الى الرب يحصل نضرة اى نضرة (لسعيها راضية) اى لعملها الذى عملته فى الدنيا حيث شاهدت ثمرته ورأت عاقبته الحميدة فاللام متعلقة براضية والتقدير راضية سعيها فلما تقدم المعمول على العامل الضعيف جئ باللام لتقوية العمل ويجوز ان تكون لام التعليل اى لاجل سعيها فى طاعة الله راضية جزاءها وثوابها ودخل فى السعى الرياضات والمجاهدات والخلوات (فى جنة عالية) اى كائنة او متمكنة فى جنة مرتفعة المحل فان الجنات فوق السموات العلى كما ان النيران تحت الارضين السبع وايضا هى درجات بعضها اعلى من بعض والدرجة مثل ما بين السماء والارض فتكون من العلو فى المكان وفى الحديث (ان المتحابين فى الله فى غرف ينظر اليهم اهل الجنة كما ينظر اهل الدنيا الى كواكب السماء) ويجوز ان يكون معنى عالية علية المقدار فتكون من العلو فى القدر والشرف لتكامل ما فيها من النعيم وفيه اشارة الى المقامات العالية المعنوية لانها مقامات اهل الوجاهة والشرف المعنوى فلا يصل اليها اهل التمنى والدعوى (لا تسمع) انت يا مخاطب فالخطاب عام لكل من يصلح له او لوجوه فيكون التاء للتأنيث لا للخطاب (فيها) اى فى تلك الجنة العالية (لاغية) لغوا من الكلام وهو ما لا يعتد به فهى مصدر كالعافية او كلمة ذات لغو على انها للنسبة او نفسا تلغو على انها اسم فاعل صفة لموصوف محذوف هو نفس وذلك فان كلام أهل الجنة كله اذكار وحكم اذ لا يدخلها المؤمن الا من مرتبة القلب والروح فان النفس والطبيعة تطرحان فى النار وشأن القلب والروح هو الذكر كما ان شأن النفس والطبيعة هو اللغو فكما لا لغو فى الجنة الصورية فكذا لا لغو فى الجنة المعنوية فى الدنيا لاستغراق أهلها فى الذكر وسماع خطاب الحق ولذا لا تسمع فى مجالسهم الا المعارف الربانية والحكم الرحمانية وفى الحديث (ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس واما الدنيا ومجالس أهلها فلا تخلو من اللغو ولذلك قال عليه السلام (من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه) وهو الكلام الردئ القبيح والضجة والاصوات المختلفة لا يفهم معناها (فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت أستغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك) اى مالم يتعلق بحق آدمى كالغيبة (فيها عين جارية) التنوين للتكثير اى عيون كثيرة تجرى مياهها على الدوام حيث شاء صاحبها وهى أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من شرب منها لا يظمأ بعدها أبدا ويذهب من قلبه الغل والغش والحسد والعداوة والبغضاء وفيه اشارة الى عيون الذوق والكشف والوجدان والتوحيد فان بها يحصل الشفاء والصحة والبقاء لاهل القلوب وأصحاب الارواح (فيها سرر) يجلسون عليها جمع سرير وهو معروف يعنى درآنجا تختها بر تخت هفصد بستر و بر هربسترى حورى چون ماه انور (مرفوعة) رفيعة السمك اى عالية فى الهواء على قوائم طوال فان السمك هو الامتداد الآخذ من أسفل الشئ الى أعلاه فالمراد برفعة سمكها شدة علوها فى الهواء فيرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما اعطاه ربه فى الجنة من النعيم الكبير والملك العظيم قال عليه السلام ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام قيل اذا جاء ولى الله ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت ويجوز ان يكون المعنى رفيعة المقدار من حيث اشتمالها على جميع جهات الحسن والكمال فى ذواتها وصفاتها اصل آن زر مكلل بزبرجد وجواهر وقال الخراز قدس سره هى سرائر رفعت عن النظر الى الاعراض والاكوان وفيه اشارة الى مراتب الاسماء الالهية التى بلغوها بالاتصاف والتخلق بها فى السلوك فانها رفيع قدرها عن مراتب الجسمانيات (واكواب) يشربون منها جمع كوب بالضم وهو اناء لا عروة له ولا خرطوم يعنى بى دسته ولوله مدور الراس ليمسك من اى طرف

اريد بخلاف الابريق وهو مستعمل فى بعض بلاد العرب الآن ولذا وقع به التشويق (موضوعة)
اى بين ايديهم حاضرة للاعداد لا يحتاجون الى ان يدعوا بها وهو لا ينافى ان يكون بعض الاقداح فى ايدى الغلمان
كما سبق فى هل اتى على الانسان الخ وفيه اشارة الى ظروف خمور المحبة وثبوتها على حالها مع ما فيها (ونمارق)
وسائد يستندون اليها للاستراحة جمع نمرقة بفتح النون وضمها والراء مضمومة فيهما بمعنى الوسادة (مصفوفة)
بعضها الى جنب بعض كما يشاهد فى بيوت الاكابر اينما اراد ان يجلس المؤمن جلس على واحدة واستند
الى اخرى وعلى رأسه وصائف كانهن الياقوت والمرجان وفيه اشارة الى التجريد والتفريد والجمع والتوحيد
اينما يريدون يجلسون ويستندون اليه (وزرابى) اى بسط فاخرة جمع زربى قال الراغب هو ضرب من الثياب
محبر منسوب الى موضع على طريق التشبيه والاستعارة (مبثوثة) اى مبسوطة على السرر زينة وتمتعا
وفيه اشارة الى انبساط ارواحهم وانشراح صدورهم وانفتاح قلوبهم فى بساط القدس والانس والى مقامات
تجليات الافعال التى تحت مقامات الصفات كالتوكل تحت الرضى مبثوثة اى مبسوطة تحتهم واصل البث
اثارة الشئ وتفريقه كبث الريح التراب (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) الهمزة للانكار والتوبيخ
والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام والابل بكسرتين وتسكن الباء واحد يقع على الجمع وليس بجمع
ولا اسم جمع والجمع آبال كما فى القاموس وقال بعضهم اسم جمع لا واحد لها من لفظها وانما واحدها بعير وناقة
وجمل وكلمة كيف منصوبة بما بعدها معلقة لفعل النظر والجملة فى حيز الجر على انها بدل اشتمال من الابل
اى اينكرون ما ذكر من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه عن قدرة الله فلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل
التى هى نصب عينهم يستعملونها كل حين انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر
انواع الحيوانات فى عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئتها اللائقة بتأتى ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة
كالنهوض من الارض بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفى صبرها على الجوع
والعطش حتى ان ظمأها ليبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما تيسر من شوك وشجر
وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفى انقيادها مع ذلك للانسان فى الحركة والسكون والبروك والنهوض
حيث يستعملها فى ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير وتبول من خلفها لان قائدها
امامها فلا يترشش عليه بولها وعنقها اسلم اليها وتأثرها من المودة والغرام وتسكر منهما الى حيث تنقطع عن الاكل
والشرب زمانا ممتدا وتأثرها من الاصوات الحسنة والحداء وتصير من كمال التأثر الى حيث تهلك نفسها
من سرعة الجرى ويجرى الدمع من عينيها عشقا وغراما پير رومى فرموده است * برخوان افلا ينظر
تا قدرت ما بينى * يكره بشتر بنكر تا صنع خدا بينى * در خار خورى قانع در بار برى راضى *
اين وصف اگر جويى در اهل صفا بينى * ولم يذكر الفيل مع انه اعظم خلقة من الابل لانه لم يكن بارض
العرب فلم تعرفه ولا يحمل عليه عادة ولا يحلب دره ولا يؤمن ضره بخلاف شتر كه هرچه مطلوبست از حيوان
مثل نسل وحمل وشير ولحم وركوب همه ازو حاصل است وقال بعض العلماء لما ذكر الله الجنة وما اعد فيها
من المنازل الرفيعة والسرر العلية التى سمكها كذا وكذا ذراعا قالوا كيف يصعد احد عليها وقامته قصيرة
وهو لا يكاد يرقى سطحا بغير سلم وتعجب المشركون منه وايضا گفتند بطريق سخريت كه اگر اين واقعست
پس بلال وخباب وامثال ايشان اكارقدوز راسى زحمت بايد تا بر بالاى آن تخت بلند روند وبسى فرصت
بايد تا از ان فرود آيند اين آيت آمد كه افلا ينظرون الخ يعنى شتر با آن همه بلندى وبزركى برشته مسخر
كودكى ميشود تا بر وى برآيد وفرود آيد پس چرا از تخت بهشت متعجب ميشوند كه در فرمان بهشتى باشد
(والى السماء) التى يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار (كيف رفعت) رفعا سحيقا بلا عماد ولا مساك
بحيث لا يناله الفهم والادراك (والى الجبال) التى ينزلون فى اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها
(كيف نصبت) نصبا رصينا فهى راسخة لا تميل ولا تميد وقال ابو الليث كيف نصبت على الارض اوتادا لها
وفيه اشارة الى عالم المثال لانه متوسط بين سماء الروحانيات وارض الجسمانيات كالجبال فى الخارج
(والى الارض كيف سطحت) اى والى الارض التى يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت سطحا
وبسطت على ظهر الماء بسطا حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق والاستدلال بكونها مسطوحة

على عدم كونها كرة مجاب بان الكرة اذا كانت عظيمة جدا يكون كل قطعة منها كالسطح فيصح ان يطلق عليها
البسط ففرق بين كرة وكرة كانه فرق بين بيض الحمامة و بيض النعامة و المعنى افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار
الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث و النشور لا شعارها بان خالقها متصف بصفات
الكمال من القدرة والقوة والحكمة منزه عن صفات النقصان من العجز و الضعف والجهل حتى يرجعوا
عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقاء الله بالايمان والطاعة در تبيان آورده كه
مخاطب عرب اند واكثر ايشان اهل بريه باشند ومال ايشان شتر است وهر طرف ميكرند جز آسمان
وزمين وكوه نمى بينند لاجرم بعد از ذكر شتر آسمان وكوه وزمين يادميكرد يعنى قرنت الابل بالسماء والجبال
بالارض لان الآية نزلت بطريق الاستدلال وهم كانوا اشد ملابسة بهذه الاشياء من غيرهم فلذا جمع الله بينها
وقال الغزالى رحمه الله خص الابل بالذكر لانها لا تقة بقرآنها معنى فالسماء الظليلة والارض الزاملة والجبال
الثقيلة كالابل الفرش والحمولة فالسحاب تحمل الماء الزلال والابل الاحمال الثقال والارض الجبال
والكل مسخر بأمره قال القرطبى قدم الابل فى الذكر ولو قدم غيره جاز وعن القشيرى رحمه الله انه قال ليس
هذا مما يطلب فيه نوع حكمة يقول الفقير ان قلت لو اخر ذكر الابل لكان له مناسبة تامة مع ذكر الارض
لان الابل سفن البر قلت نعم لكنه اعتبر سمك الابل فترقى منه الى سمك السماء ثم يقول الفقير ولى كلام عريض
فى هذا المقام ذكرته فى كتاب الواردات الحقية لى وخلاصته انه تعالى اشار بالابل الى النفوس فانها ضخمة
جسمية مثلها و بدأ بالنفوس لانها اصل بمنزلة الام والدرجة الانوثة تقدم حكما وان كان انها تأخر صورة
لحواء بالنسبة الى آدم واشار بالسماء الى الارواح لانها علوية و بمنزلة الاب ولهذا اردفها بها واشار بالجبال
الى القلوب لانها اثبت من الرواسى ولانها خلقت بعد خلق الروح والنفس كما ان الجبال خلقت بعد خلق
السماء والارض فهى بمنزلة الولد لهما ولذا عقبهما بها وقد صح ان الجبال تعبر فى الرؤيا باهل القلوب من الرجال
لانهم اوتاد الارض والعمد المعنوية فى الحقيقة كما ان الجبال اوتاد الارض فى الصورة واشار بقوله نصبت
دون خلقت الى ان القلوب فى الحقيقة امر ملكوتى وان ظهرت فى الصورة ظهور الولد من الابوين واشار بالارض
الى الاجساد السافلة وهى مؤخرة فى المرتبة فالله تعالى سطح ارض البشرية والجسدانية لتكون مستقر
النفوس وخلق النفوس لتكون مستوى القلوب وخلق القلوب لتكون عروش الروح بل السر بل الأخفى
فما احسن ترتيب هذه الآية وما اشد انتظام جملتها وتناسبها فهى كالجمع بين كاتب وقلم وقرطاس ودواة والله
تعالى اعلم (فذكر) الفاء لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اى فاقتصر
على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون (انما انت مذكر) تعليل الامر بما امرت به
اى مبلغ وانما الهداية والتوفيق الى الله تعالى (لست عليهم بمصيطر) اى لست بمسلط عليهم تجبرهم على ما تريد
كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار واكثر القراء قرأوا بمصيطر بالصاد على القلب لمناسبة الطاء بعدها وقرئ
بالسين على الاصل و بالاشمام بان يخلط صوت الصاد بصوت الزاى بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس
بصاد ولا زاى وخلط حرف بحرف احد معانى الاشمام فى عرف القراء يقال سطر يسطر سطرا كتب
والمسيطر والمصيطر المسلط على الشئ ليشرف عليه و يتعهد احواله ويكتب عمله فاصله من السطر فالكتاب
مسيطر والذى يفعله مسيطر وقال الراغب يقال سطر فلان على كذا وتسطر عليه اذا قام عليه قيام سطر
اى لست عليهم بقائم وحافظ واستعمال مسيطر هنا كاستعمال القائم فى قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت
والحفيظ فى قوله وما انت عليهم بحفيظ انتهى (الا من تولى) اعرض عن الحق او عن الداعى اليه بعد التذكير
(وكفر) و ثبت على الكفر او اظهره وفى فتح الرحمن الا من تولى عن الايمان وكفر بالقرآن او بالنعمة
وفى التأويلات النجمية الا من تولى عن الحق بالاقبال على الدنيا وكفر اى ستر الحق بالخلق وهو استثناء منقطع
ومن موصولة لا شرطية لمكان الفاء ورفع الفعل اى لكن من تولى وكفر فان لله الولاية والقهر وهو المسيطر
عليهم قالوا وعلامة كون الاستثناء متصلا محضا لا يحسن ذلك نحو عندى ما ئتان الا درهما فلا يدخل عليه ان
(فيعذبه الله العذاب الاكبر) الذى هو عذاب جهنم حرها شديد وقعرها بعيد ومقامعها من حديد
وفى فتح الرحمن الاكبر عذاب جهنم والاصغر ما عذبوا به فى الدنيا من الجوع والاسر والقتل و يؤيده ما قال

الراغب فى قوله يوم نبطش البطشة الكبرى فيه تنبيه على ان كل ماينال الكافر من العذاب قبل ذلك فى الدنيا وفى البرزخ صغير فى جنب عذاب ذلك اليوم انتهى وايضا قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر فان المراد بالعذاب الادنى هو العذاب الاصغر الدنيوى لاالبرزخى لقوله تعالى بعده لعلهم يرجعون فان الرجوع انما يعتبر فى الدنيا لافى البرزخ وفيما بعد الموت فيكون المراد بالعذاب الاكبر هو العذاب الاخروى واليه ينظر قوله تعالى يصلى النار الكبرى كما سبق وفى التأويلات النجمية العذاب الاكبر هو عذاب الاستتار فى الدنيا وعذاب نار الهجران فى الآخرة (ان الينا ايابهم) تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر يقال آب يؤب او با وايابا رجع اى الينا رجوعهم بالموت والبعث لاالى احد سوانا لااستقلالا ولااشتراكا كما قال تعالى الا الى الله تصير الامور واليه يرجع الامر كله فتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فانه يفيد معنى ان يقال ان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام كان مبدأهم وصدورهم كان منه وفيه تخويف شديد فان رجوع العبد العاصى المصر الى مالكه الغضوب فى غاية الصعوبة ونهاية العسرة وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كان افراده فيما سبق باعتبار لفظها (ثم ان علينا حسابهم) فى المحشر لاعلى غيرنا فنحن نحاسبهم على النقير والقطمير من نياتهم واعمالهم وثم للتراخى فى الرتبة لافى الزمان فان الترتب الزمانى بين ايابهم وحسابهم لابين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران قال ابوبكر بن طاهر رحمه الله ان الينا ايابهم فى الفضل ثم ان علينا حسابهم فى العدل وقال البقلى رحمه الله انظر كيف تفضل بعد الوعيد بان جعل نفسه مآبهم وتكفل بنفسه حسابهم فينبغى ان يعيشوا بهذين الفضلين اطيب العيش فى الدارين ويطيروا من الفرح بهذين الخطابين يقول الفقير ماقاله البقلى هو ماذاقه العارفون بطريق المكاشفة فينبغى ان لا يغتر به العوام فانه قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتزينوا للعرض الاكبر على الله تعالى يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية انما خف الحساب فى الآخرة على قوم حاسبوا انفسهم فى الدنيا وثقلت موازين قوم فى الآخرة وزنوا نفوسهم فى الدنيا ومحاسبة النفس تكون بالورع وموازنتها تكون بمشاهدة عين اليقين والتزين للعرض يكون بمخافة الملك الاكبر وعن على رضى الله عنه اما بعد فان المرء يسره درك مالم يكن ليفوته ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه فمانالك من الدنيا فلاتكثرنه فرحا وما فاتك منها فلاتتبعنه اسفا وليكن سرورك بماقدمت واسفك على ماخلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وفى الحديث ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لايخاف فى الله لومة لائم ولايرآئى بشئ من عمله واذاعرض له امران احدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا وقال عليه السلام لولم ينزل على الاهذه الآية لكانت تكفى ثم قرأ آخر سورة الكهف فمن كان يرجو لقاء ربه الخ فكان هذا فصل الخطاب وبلاغا لاولى الالباب فالعمل الصالح الاخلاص بالعبادة ونفى الشرك بالخلق هو اليقين بتوحيد الخالق فما كان لله اى خالصا لاجله وبالله اى بمشاهدة قربه لابمقارنة نفسه وهو اه وفى الله اى فى سبيله وطلب ماعنده لالاجل عاجل حظه فمقبول واهله من المقربين وحسابهم حساب يسير بل لاحساب لهم

تمت سورة الغاشية بعون الله ذى العطايا الفاشية فى السابع عشر من شهر مولد النبى عليه السلام من سنة سبع عشرة ومائة والف

(سورة الفجر تسع او اثنتان وثلاثون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) قال فى كشف الاسرار لما كان العرب اكثر خلق الله قسما فى كلامهم جاء القرآن على عادتهم فى القسم والفجر فجران مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ولا يتعلق به حكم ومستطير وهو الصادق الذى يتعلق به الصوم والصلاة اقسم الله بالفجر الذى هو اول وقت ظهور ضوء الشمس فى جانب المشرق كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس لما يحصل به من انقضاء الليل بظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات من الطيور والوحوش فى طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل (وقال الكاشفى) سوكند بصبح كه وقت مناجات دوستانست اواقسم بصباح عرفة لانه يوم شبيه بفيه توجه فيه الحجاج الى جبل عرفات وفى الحديث (الحج عرفة) يعنى صباح روز عرفه كه وظائف دعاو نياز حاجيان

درآنست * اوصباح يوم النحر لانه يوم عظيم ايضا ويقع فيه الطواف المفروض والحلق والرمى ويروى ان يوم النحر يوم الحج الاكبر وبقولى مرادد رو زاول محرم است كه سال ازو منفجر ميشود يا بامداد آدينه كه حج مسكينا نست ودر تبيان آورده كه اشارت بانفجار آب ازانامل حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم در روز طايف وغير آن وكفته اند انفجار ناقه ازصخرهٔ صالح عليه السلام يا انفجار عيون ونبع يا انفجار آب ازحجر موسى عليه السلام يا انفجار مطر ازسحاب يا روان شدن اشك ندامت ازديدهٔ عاصيان * بران ازدوسر چشمهٔ ديده جوى * ورآلايشى دارى ازخود بشوى (وليال عشر) هن عشر ذى الحجة والعرب تذكر الليالى وهى تعنيها بايامها تقول بنى هذا البناء ليالى السامانية اى ايامهم اوالعشر الاواخر من شهر رمضان وتنكيرها للتعظيم لانها مخصوصة بفضائل ليست لغيرها ولذا اقسم الله بها وذلك كالاشتغال باعمال الحج فى عشر ذى الحجة وفى الحديث مامن ايام ازكى عندالله ولااعظم اجرا من خير عمل فى عشر الاضحى قيل يارسول الله ولاالمجاهد فى سبيل الله قال ولاالمجاهد فى سبيل الله الارجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشئ وفيه اشارة الى ان الغازى ينبغى ان يخرج من بيته على قصد ان لايعود والله يفعل مايريد واماشرف العشر الاواخر فيكفى ان ليلة القدر التى هى خير من الف شهر تطلب فيها وكفته اند مراد دههٔ محرم است كه عاشورا از آنست يادههٔ ميان شعبان كه شب برآت در آنست * وقال البقلى هى ليال ست خلق فى ايامها السموات والارض وليلة خلق فيها آدم عليه السلام وليلة يومها يوم القيامة وليلة كلم الله فيها موسى عليه السلام وليلة اسرى بالنبى عليه السلام وقال القاشانى اقسم بابتدآء ظهور نور الروح على مادة البدن عند اول اثر تعلقه به وليال عشر ومحال الحواس العشر الظاهرة والباطنة التى تتعلق عند تعلقه به لكونها اسباب تحصيل الكمال وآلاتها وفى التأويلات النجمية يشير الى القسم بانفجار الحسنة الواحدة من ارض قلب المؤمن وليال الحسنات العشر المشار اليها بقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وانما سماها بليال لكون ظهور الحسنات العشر من غيب مرتبة احدية الحسنة الواحدة من غير الاكتساب من نهار العمل بل من عالم الغيب بطريق الموهبة الالهية (والشفع) بالفارسية جفت وذلك لان الشفع ضم الشئ الى مثله (والوتر) بفتح الواو وكسرها اى شفع هذه الليالى ووترها والظاهر التعميم لان الالف واللام للاستغراق اى الاشياء كلها شفعها ووترها لان كل شئ لابد ان يكون شفعا اووترا وقال الراغب المخلوقات كلها من حيث انها مركبات كماقال ومن كل شئ خلقنا زوجين فهو الشفع واماالوتر فهو الله تعالى من حيث ان له الوحدة من كل وجه واليه يرجع قول من قال من كبار اهل الحال يشير الى القسم بشفع الكثرة الاسمائية ووتر الوحدة الذاتية الحقيقية ودخل فيهما العناصر الاربعة والافلاك التسعة والبروج الاثنا عشر والسيارات السبع وصلاة المغرب وسائرها ويوم النحر لانه عاشر ايام ذى الحجة ويوم عرفة لانه تاسع تلك الايام واليومان بعد يوم النحر واليوم الثالث وآدم وحواء عليهما السلام زوجين ومريم عليها السلام وتر والعيون الاثنتا عشرة التى فجرها الله لموسى عليه السلام والآيات التسع وايام عاد الشفع ولياليها الوتر كما قال تعالى سبع ليال وثمانية ايام والشهر الذى يتم بثلاثين يوما والشهر الذى يتم بتسعة وعشرين والاعضاء والقلب والشفتان واللسان والسجدتان والركوع وابواب الجنة وابواب النار ودرجات الجنة ودركات النار وصفات الخلق كالعلم والجهل والقدرة والعجز والارادة والكراهة والحياة والموت وصفات الحق وجود بلا عدم حياة بلا موت علم بلا جهل قدرة بلا عجز عز بلاذل ونفس العدد شفعه ووتره والايام والليالى واليوم الذى لاليلة بعده وهو يوم القيامة وكل نبى له اسمان مثل محمد واحمد والمسيح وعيسى ويونس وذوالنون وكل من له اسم واحد مثل آدم ونوح وابراهيم ومسجد مكة والمدينة وكذا يقال لهما الحرمان الشريفان والمسجد الاقصى والجبلان الصفا والمروة والبيت الحرام والنفس مع الروح فى حالة الجمع وهما فى حالة الافتراق وقال سهل رحمه الله الفجر محمد عليه السلام منه تفجرت الانوار وليال عشر هى العشرة المبشرة بالجنة والشفع هو الفرض والوتر هو الاخلاص فى الطاعات (والليل) جنس الليل (اذا يسر) اى يمضى وبالفارسية آنكاه كه بكذرد كقوله والليل اذا ادبر والسرى سير الليل يقال سرى يسرى سرى ومسرى اذا سار عامة الليل وسار يسير سيرا ذهب والتقييد به لمافيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة كان جميع الحيوانات اعيد اليهم الحياة بعد الموت وتسببوا بذلك لطلب الارزاق

المدة للحيوة الدنيوية التى يتوسل بها الى سعادة الدارين فان قيل القسم بالليل اذا يسر يغنى عن القسم بليال عشر قلنا المقسم به فى قوله والليل اذا يسر هو الليل باعتبار سيره ومضيه وفى قوله وليال عشر هو الليالى بلا اعتبار مضيها بل باعتبار خصوصية اخرى فلا يغنى احدهما عن الآخر ويجوز ان يكون المعنى والليل اذا يسر يعنى يسرى فيه السارى ويسير فيه السائر فاسناد السرى الى الليل مجاز كما فى نهاره صائم اى هو صائم فى نهاره فالتقييد بذلك لان السير فى الليل حافظ للسائر من حر الشمس فان السفر مع مقاساة حر النهار اشد على النفس وقد قال النبى عليه السلام عليكم بالدلجة فان الارض تطوى فى الليل وكذا هو حافظ من شر قطاع الطريق غالبا لانهم مشغولون بالنوم فى الليل وحذفت الياء اكتفاء بالكسر ولسقوطها فى خط المصحف ولموافقة رؤس الآى وان كان الاصل اثباتها لانها لام فعل مضارع مرفوع وسئل الاخفش عن حذفها فقال اخدمنى سنة فسأله بعد سنة فقال الليل يسرى فيه ولا يسرى فعدل به عن معناه فوجب ان يعدل عن لفظه يعنى ان سقوط الياء ليدل على ان اصل الفعل منفى عن الليل وان كان مسندا الى ضميره كما ان حركة العين فى الحيوان تدل على وجود معنى الحركة فى معنى الحيوان لان للتراكيب خواص بها تختلف وفيه اشارة الى ظلمة البدن اذا ذهبت وزالت بتجرد الروح والى القسم بسريانه ليل الهوية لمطلقة فى نهار الحقائق المقيدة كما قال يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل برفع المقيدات بسطوات انوار المطلق والى القسم بليلة المعراج التى اسرى الله بعبده فيها فكانت اشرف جميع الليالى لانها ليلة القدر والسرف والقرب والوصال والخطاب ورؤية الجمال المطلق (هل فى ذلك) الخ تقرير وتحقيق لفخامة شان المقسم بها وكونها امور اجلية حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم كما يقول من ذكر حجة باهرة هل فيما ذكرته حجة والمعنى هل فيما ذكر من الاشياء المقسم بها (قسم) اى مقسم به وفى فتح الرحمن مقنع ومكتفى (لذى حجر) لذى عقل منور بنور المعرفة والحقيقة يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر اوهل فى الاقسام بتلك الاشياء اقسام لذى حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه وبالفارسيه آيادرين سوكند كه ياد كردم سوكندى پسنديده مرخداوند عقل را تا اعتبار كند ودانذكه سوكند يست محقق ومؤكد والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية بضم النون لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفرآء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والتنوين فى الحجر للتعظيم قال بعض الحكماء العقل للقلب بمنزلة الروح للجسد فكل قلب لا عقل له فهو ميت بمنزلة قلب البهائم والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن اى الكفار كما ينبئ عنه قوله تعالى (الم تر كيف فعل ربك بعاد) الهمزة للانكار وهو فى قوة النفى ونفى النفى اثبات اى الم تعلم يا محمد علما يقينيا جاريا مجرى الرؤية فى الجلاء اى قد علمت باعلام الله تعالى وبالتواتر ايضا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب كفار قومك ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصى والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمى بنو هاشم هاشما و بنو تميم تميما فلفظ عاد اسم للقبيلة المنتسبة الى عاد وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخيرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد فى القرآن خبر عاد الاولى الا ما فى سورة الاحقاف (ارم) عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم اوارضهم التى كانوا فيها وكانت منازلهم بين عمان الى حضرموت وهى بلاد الرمال والاحقاف ويؤيده القرآءة بالاضافة واياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وفى المفردات الآرام اعلام تبنى من الحجارة وارم ذات العماد اشارة الى اعلامها المرفوعة المزخرفة على هيئة المنارة او على هيئة القبور وفيه ايضا حذف مضاف بمعنى اهل الاعلام (ذات العماد) صفة لارم واللام للجنس الشامل للقليل والكثير والعماد كالعمود والجمع عمد وعمد بفتحتين وبضمتين واعمدة اى ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة اوذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد يطلبون الكلاء حيث كان فاذا هاج الريح ويبس العشب رجعوا الى منازلهم اوذات البناء الرفيع وكانوا ذات ابنية مرفوعة على العمد

وكانوا يعالجون الاعمدة فينصبونها ويبنون فوقها القصور وكانت قصورهم ترى من ارض بعيدة او ذات الاساطين اذ كانت مدينتهم ذات ابنية مرفوعة على الاسطوانات على ان ارم اسم بلد تهم وقال السهيلي رحمه الله ارم ذات العماد وهو جيرون بن سعد بن ارم وهو الذي بنى مدينة دمشق على عمد من رخام ذكرانه ادخل فيها اربعمائة الف عمود وار بعين الف عماد من رخام فالمراد هذه العماد التي كان البناء عليها في هذه المدينة وكانت تسمى جيرون وبه تعرف وسميت دمشق بدمشق بن نمرود عدو ابراهيم الخليل عليه السلام وكان دمشق قد اسلم وبنى جامع ابراهيم في الشام انتهى لعل هذه الرواية اصح فليتأمل (التي لم يخلق مثلها في البلاد) صفة اخرى لازم والضمير لها على انها اسم القبيلة اى لم يخلق مثلهم في عظم الاجرام والقوة في الآفاق والنواحي حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم ولذا كانوا يقولون من اشد منا قوة ونظيرهم في الطيور الرخ وهو طير في جزائر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع يحمل حجرا في رجله كالبيت العظيم ويلقيه على السفينة في البحر اولم يخلق مثل مدينتهم في جميع بلاد الدنيا فالضمير لها على انها اسم البلدة وقصة آن بر سبيل اجمال آنست كه عبد الله بن قلابه بطلب شتری كم شده صحرای عدن ميكشت در بيابانی بشهری رسيد كه بارهٔ محكم داشت كه اساس آن از جزع يمانی وبرحوالئ آن قصور بسيار بو دباميد آنكه كسی بيند واحوالی شتر خود پرسد بدر حصار امددری ديدهرد ومصراعش مكلل بجواهر قيمتی وهيچكس را آنجا نيافت متحير شد وچون بشهر درامد حيرتش بيفزود چه قصرها ديد بر ستونهای زبرجد وياقوت بنا كرده خشتی از زر وخشتی از نقره وفرشها برهمين وتيره وبجای سنك ريزه مرواريد های آبدار ريخته ودرحوالئ هر قصری آبهای روان برروی لؤلؤ ومرجان ودرختان بسيار تنهای آن از زر وبركهای آن از زبرجد وشكوفهای آن از سيم باخود كفت هذه الجنة التي وعد المتقون (مصراع) اين چه منزل چه بهشت اين چه مقامست اينجا * وقال والذی بعث محمدا بالحق ماخلق الله مثل هذا في الدنيا پس قدری ازان جواهر برداشت ودر بس وپشت بست وبيمن بازآمد ومردمان آن كوهر رادردست اوبديدند وحمل بريافتن كنجی كرده قصهٔ وی درزبانها افتاد تاحدی كه حال اورا بمعاويه كه دران وقت حاكم شام بود انها كردند معاويه اورا طلبيد وتمام حكايت اواز اول تا آخر استماع كرد پس اورا در مجلس بنشانيد وكعب الاحبار را طلبيد . پرسيد كه در دنيا شهری هست كه بنای اواز زر ونقره باشد ودرختان مكلل بجواهر كعب كفت آری شهريست كه حق سبحانه وتعالى درقرآن مجيد ياد فرموده كه (لم يخلق مثلها في البلاد) وآنرا شداد بن عاد ساخته واو پادشاه عظيم قدر بوده است ونهصد سال عمر داشت هر جادر عالم زری وجوهری بوده همه راجمع كرده وصد قهرمان باهريكی هزار فرستاد تاشهر ارم راباساختند وبسيصد سال باتمام رسيده سال ديكر تهيئهٔ راه اشتغال نمود امرا وملوك عالم راجمع كرد وازدار السلطنة خود بتماشای آن شهر متوجه شديك شبه راه ميان او وآن بنامانده بود كه حق سبحانه وتعالى ملكی فرستاد تاصيحهٔ برايشان زد وهمه بمردند وآن شهر ازنظر مردم پوشيده شد چنانچه اصحاب كهف درغار وخوانده ام كه درحكومت تومردی كوتاه بالا سرخ رنك سير چشم كه برروی اوخالی وبركردن آن علامتی باشد بطلب شتری بدآنجا رسد واو ابيند پس بازنكريست وابن قلابه راديد كفت هو والله ذلك الرجل قال ابن الشيخ في حواشيه وفيه بحث لان قوم عادا هلكوا بالريح وقوم صالح اهلكوا بالصيحة الا ان يراد بالصيحة ههنا الريح الشديد الصوت وذكر كعب انه كتب ابن شداد على لوح وضع عند رأس ابيه عن لسانه حين رفعه من المفازة ودفنه

انا شداد بن عاد　صاحب الحصن العميد * واخو القوة والبا　ساء والملك المشيد

دان اهل الارض لى من　خوف وعدى ووعيدى * وملكت الشرق والغرب بسلطان شديد

فأتتنا صيحة تهوى من الافق البعيد * فتوفتنا كزرع وسط بيداء حصيد

وذكر في قوت القلوب تصنيف العالم الربانى ابى طالب المكى قدس سره انه قيل لابى يزيد البسطامى قدس سره هل دخلت ارم ذات العماد فقال صد قد دخلت الف مدينة لله تعالى في ملكه ادناها هاذات العماد ثم اخذ بعد تلك المدائن جابلق جابلص الى غير ذلك فظاهر قول ابى يزيد ادناها ذات العماد يخالف قوله تعالى لم يخلق

مثلها في البلاد لكن المستفاد من الآية نفي الخلق في الماضي ويجوز أن تكون تلك المدائن حادثة بعد نزول القرآن ويجوز ان يراد بنفي المثل هو المثل في الزينة وبالادنى صغر الجثة وفي بعض نسخ قوت القلوب ان معنى الآية لم يخلق مثلها في البلاد اليمن لانهم خوطبوا بما في بلادهم كما قال الله تعالى او ينفوا من الارض اى ارض بلادهم وبمثل هذه التوجيهات يندفع الاشكال كذا في شرح البردة لابن الشيخ (وثمود) وديكر چه كرد خداى تعالى بقوم ثمود وهو عطف على عاد وثمود قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما ابنا عامر بن ارم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد وهم قوم صالح كما قال تعالى والى ثمود أخاهم صالحا (الذين جابوا الصخر بالواد) الجوب القطع تقول جبت البلاد أجوبها جوبا وزاد الفرآء جبت البلاد اجيبها جيبا اذا جلت فيها وقطعتها وجبت القميص ومنه سمي الجيب والصخر هو الحجر الصلب الشديد والواد أصله الوادى حذفت ياؤه اكتفاء بالكسرة ورعاية لرأس الآية وأصل الوادى الموضع الذى يسيل فيه الماء ومنه سمى المنفرج بين الجبلين واديا والمراد هنا هو وادى القرى بالقرب من المدينة الشريفة من جهة الشأم قال ابو نضرة انى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك على وادى ثمود وهو على فرس اشقر فقال اسرعوا السير فانكم في واد ملعون والمعنى قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل انهم اول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (وفرعون) وچه كرد بفرعون موسى عليه السلام وهو الوليد ابن مصعب بن ريان بن ثروان ابو العباس القبطي واليه تنسب الاقداح العباسية وفرعون لقب افرده تعالى بالذكر لانفراده في التكبر والعلو حتى ادعى الربوبية والالوهية (ذى الاوتاد) جمع وتد بالتحريك وبكسر التاء ايضا بالفارسية ميخ وقد سبق في سورة النبأ وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التى يضربونها في منازلهم ويربطونها بالاوتاد والاطناب كما هو الآن عادة في ضرب الخيمة اولتعذيبه بالاوتاد كما قال في كشف الاسرار وفرعون آن كشنده ميخ بند يعنى بطريق چهار ميخ تعذيب كننده (روى) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فرعون انما سمي ذا الاوتاد لان امرأة خازنه خربيل كانت ماشطة هيجل بنت فرعون وكان خربيل مؤمنا يكتم ايمانه مئة سنة وكذا امرأته فبيناهى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله تعالى فقالت ابنة فرعون وهل لك اله غير أبي فقالت الهي واله ابيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت ودخلت على ابيها وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت ان الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك واليها واله السموات والارض واحد لا شريك له فأرسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفرى بالهك قالت لا افعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفرى بالله والاعذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت به وكانت لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال لها اكفرى بالهك والاذبحت الصغرى على فيك ايضا وكانت رضيعة فقالت لو ذبحت من في الارض على في ما كفرت بالله تعالى فأتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا اطفالا وقالت يا اماه لا تجزعي فان الله تعالى قد بنى لك بيتا في الجنة اصبري فانك تفضين الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث ان ماتت فأسكنها الله تعالى الى جوار رحمته وكان فرعون قد تزوج امرأة من اجمل نساء بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت في نفسها كيف يسعني ان اصبر على ما يفعل فرعون وانا مسلمة وهو كافر فبينما هي تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذى كان بها قالت ما بي من جنون وانما المجنون من يكفر بالله الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وحده لا شريك له وهو على كل شئ قدير فمدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله روحها واسكنها الجنة العالية وقد سبق طرف من هذه القصة في آخر سورة التحريم فارجع ثم في عاد اشارة الى الطبيعة البشرية

وفى ثمود الى القوة الشهوية وفى فرعون الى القوة الغضبية فلا بد للسالك من تزكيتها وازالة آثارها (الذين طغوا فى البلاد) صفة للمذكورين من الطوائف الثلاث فيكون مجرور المحل لكون بعض المذكورين قبله مجرورا بالباء وبعضها معطوفا عليه وهو احسن بحسب اللفظ اذلاحذف فيه واختار صاحب الكشاف كونه منصوبا على الذم بتقدير اعنى لكونه صريحا فى الذم والمقام مقام الذم وهو احسن نظرا الى المعنى والمعنى طغى كل طائفة منهم فى بلادهم وتجاوزوا الحد يعنى طغى عاد فى اليمن وثمود بارض الشام والقبط بمصر كان نمرود طغى بالسواد وقس على هذا سائرهم (فاكثروا فيها الفساد) اى بالكفر وسائر المعاصى فان الفساد يتناول جميع اقسام الاثم كما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فمن عمل بغير امر الله وحكم فى عباده بالظلم فهو مفسد متجاوز عن الحد الذى حد له وفيه خوف شديد لاكثر الحكام زماننا ونحوهم (فصب عليهم ربك) صب الماء اراقته من اعلى اى انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلت من الطغيان والفساد (سوط عذاب) السوط الجلد المضفور اى المنسوج المفتول الذى يضرب به اى عذابا شديدا لا ادرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التى شرحت فى سائر السور الكريمة وهى الريح لعاد والصيحة لثمود والغرق للقبط وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم فى الآخرة بمنزلة السوط عند السيف قال ابو حيان استعمل السوط للعذاب لانه يقتضى من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولاغيره (وقال الكاشفى) چون سوط ضرب تازيانه رسخترين عذابها مى داشتند يعنى ان السوط عندهم غاية العذاب هر كونه ازعذاب رانيز سوط ميكفتند حق سبحانه بقانون كلام ايشان عذابهاى خودرا سوط كفت قال الشاعر

الم تر ان الله اظهر دينه * وصب على الكفار سوط عذاب

والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شئ مائع او جار مجراه فى السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه فى نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشئ المصبوب فان قيل أليس ان الله تعالى قال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة وهو يقتضى تأخير العذاب الى الآخرة فكيف الجمع بين ها تين الآيتين قلنا انه يقتضى تأخير تمام الجزاء الى الآخرة وذلك لا ينافى ان يعجل شئ من ذلك فى الدنيا فالواقع فى الدنيا شئ من الجزاء ومقدماته كذا فى حواشى ابن الشيخ يقول الفقير واوجه من ذلك ان المفهوم من الآية المؤاخذة لكل الناس وهو لا ينافى ان يؤاخذ بعضهم فى الدنيا بعذاب الاستئصال كبعض الامم السالفة المكذبة (ان ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والمرصد المكان الذى يترقب فيه الراصدون مفعال من رصده كالميقات من وقته والباء للظرفية اى انه لفى المكان الذى تترقب فيه السابلة ويجوز ان يكون صيغة مبالغة كالمطعان والباء تجريدية وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه شبه حاله تعالى فى كونه حفيظا لاعمال العباد مجازيا عليها على النقير والقطمير ولامحيد للعباد عن ان لا يكون مصيرهم الا الله بحال من قعد على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجانى او لاخذ المكس اونحو ذلك ولامخلص لهم من العبور الى ذلك الطريق ثم استعمل هنا ما كان مستعملا هناك (وقال الكاشفى) حق سبحانه همه رامى بيند ومى شنود بر وپوشيده نيست * هم نهان داندوهم آشكار نهان تر با شد * يعلم السر واخفى صفت حضرت اوست * ويقال يعنى ملائكة ربك على الصراط يترصدون على جسر جهنم فى سبعة مواضع فيسأل فى اولها عن الايمان فان سلم من النفاق والرياء نجا والا تردى فى النار وفى الثانى عن الصلاة فان اتم ركوعها وسجودها واقامها فى مواقيتها نجا والا تردى فى النار وفى الثالث عن الزكاة وفى الرابع عن صوم شهر رمضان وفى الخامس عن الحج والعمرة وفى السادس عن الوضوء والغسل من الجنابة وفى السابع عن بر الوالدين وصلة الرحم فان خرج منها قيل له انطلق الى الجنة والا وقع فى النار (فاما الانسان) متصل بما قبله من قوله ان ربك لبالمرصاد وكانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح نظره ومرصد فكره الدنيا ولذائذها

قال السهيلي رحمه الله المراد بالانسان عتبة بن ربيعة وكان هو السبب في نزولها فيما ذكروا وان كانت هذه السورة مكية (اذا ما ابتلاه ربه) اي عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار (فاكرمه) پس كرامى كندش بجاه وقندار (ونعمه) ونعمت دهدش ومعيشتش پر وفراخ كرداند وبآسانى كار او بسازد والفاء تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء (فيقول) مفتخرا (ربي) پروردگار من (اكرمن) فضلني بما اعطاني من الجاه والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه محض تفضل عليه ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدأ الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي فاذا لمجرد الظرفية وان هذه الفاء لا تمنع ان يعمل ما بعدها فيما قبلها (واما اذا ما ابتلاه) اي واما هو اذا ما ابتلاه ربه فيكون الواقع بعد اما في الفقرتين اسما فتكون الجملتان متعادلتين (فقدر عليه رزقه) پس تنك سازد برو روزى او را يعني ضيقه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وجعله على قدر كفايته وقوت يومه (فيقول) متضجرا (ربي اهانن) اذلني بالفقر ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة في شئ ولذا لم يقل فاهانه وقدر عليه رزقه في مقابلة اكرمه ونعمه بل التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين في حق الفقير الصابر اما اداؤه الى كرامة الآخرة فامر ظاهر واما اداؤه الى كرامة الدنيا فلانه قد يسلم به من طمع الاعداء فيحسن عنده اعتقاد الكبراء من اهل الدنيا فيراجعونه ويلتمسون منه الدعاء والتوسعة قد تفضي الى خسران الدارين بالكفران فيكون استدراجا * اى دل اكر بديده تحقيق بنكرى * درويشى اختيار كنى بر توانكرى * قال بعضهم ربما كان التضييق اكراما له بان لا يشغله بنعمة عن المنعم ويجعل ذلك وسيلة له في التوجه الى الحق والسلوك في طريقه لعدم التعلق وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال لقد رأيت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوه في اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ نصف الكعبين فيجمعه بيده كراهة ان ترى عورته فتأمل هل تكون هذه اهانة لخواص عباد الله فالمؤمن اما في مقام الشكر او في مقام الصبر قال عليه الصلاة والسلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر * صوفى از فقر چون درغم شود * عين فقرش دبه ومطعم شود * زانكه جنت از مكاره رسته است * رحم قسم عاجزا شكسته است * آنكه سرها شكنند اوازعلو * رحم حق وخلق نايد سوى او * كما قال بعض الكبار في قوله فيقول ربي اهانن اي تركني ذليلا مهينا لم يعرف المحجوب المسكين ان ربه ناظر اليه بنظر الرحمة والشفقة اذ جذبه بالجذبة الرحمانية من العالم الطبيعي الى العالم الروحاني ومن عالم النفس الى عالم القلب ومن عالم الفرق الى عالم الجمع ومن عالم الفراق الى عالم الوصل (كلا) ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها في كلتا الحالتين قال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر بلا تعليل بالعلل (بل لا تكرمون اليتيم) انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله والتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهتهم بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اي بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالنفقة والكسوة ونحوهما وهو من بني آدم هو الذي فقد اباه وكان غير بالغ ومن البهائم ما فقد امه قال عليه الصلاة والسلام احب البيوت الى الله بيت فيه يتيم مكرم * رحمت بكن آتش از ديد باك * بشفقت بيفشانش از چهره خاك * قال في الاشباه استخدام اليتيم بلا اجرة حرام ولو لأخيه ومعلمه الا لامه وفيما اذا ارسله المعلم لاحضار شريكه كما في القنية (ولا تحاضون) بحذف احدى التاءين من تتحاضون والحض الحث والتحريض اي لا يحض بعضكم بعضا ولا يحث من اهل وغيره شكر الانعام الله تعالى (على طعام المسكين) اي على اطعام جنس المسكين ومن لا يحض غيره على اطعامه فان لا يطعمه بنفسه اولى فيؤول المعنى الى ان يقال ولا تطعمون مسكينا ولا تأمرون باطعامه وفيه ذم بليغ للبخيل قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر امية بن خلف فكان يدفعه عن حقه فنزلت (وتأكلون التراث)

اى الميراث واصله وراث قلبت واوه تاء والميراث هو المال المنتقل من الميت (اكلا لما) اللم الجمع يقال كتيبة
ملمومة اى مجتمعة بعضها الى بعض والمعنى اكلا ذالم على حذف المضاف اى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا
لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم وفيه اشارة الى انه كان بيدهم ميراث يتوارثونه من ابراهيم
واسماعيل عليهما السلام لكنهم قد بدلوه كما بدلوا غيره من بعض الاحكام او يأكلون ما جمعه المورث من حلال
وحرام ومشتبه عالمين بذلك (وتحبون المال حبا جما) كثيرا مع حرص وشره ومنع حقوق وعدم انتفاع فان الجم
الكثير يقال جم الماء فى الحوض اذا اجتمع فيه وكثر والمقصود ذمهم ببيان ان حرصهم على الدنيا فقط وانهم عادلون
عن امر الآخرة وفيه اشارة الى ان حب المال طبيعى فلا يتخلص منه المرء بالكلية الا ان يكون من الاولياء
فكأنه اشار الى ان حبه اذا لم يشتد لا يكون مذموما وقال بعض الكبار وتحبون مال الاعمال السيئة النفسانية
والاحوال القبيحة الهوائية حبا كثيرا (كلا) ردع لهم عما ذكر من الافعال والتروك وانكار اى لا ينبغى
ان يكون الامر كذلك فى الحرص على الدنيا وقصر الهمة على تحصيلها وجمعها من حيث تهيأ من حل او حرام
وترك المواساة منها وتوهم ان لا حساب ولا جزاء فان عاقبة ذلك الحسرة والندامة على ايثار الحياة الدنيوية الفانية
على الحياة الاخروية الباقية (اذا دكت الارض دكا دكا) استئناف بطريق الوعيد تعليلا للردع والدك الدق
يقال دككت الشئ ادكه دكا اذا ضربته وكسرته حتى سويته بالارض وبالفارسيه كوفتن چيزى تا بزمين
برابر كردد وقال الخليل الدك كسر الحائط والجبل ودكته الحمى دكا اى كسرته كسرا وقال المبرد الدك حط
المرتفع بالبسط ودكا الثانى ليس تأكيدا للاول بل هو دك آخر سوى الاول والمعنى اذا دكت الارض دكا
متتابعا وضرب بعضها ببعض حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت
زلزلة بعد زلزلة وحركت تحريكا بعد تحريك وصارت هباء منبثا وهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية
وبالفارسيه چون شكسته شود زمين شكستنى بعد از شكستنى يعنى پاره پاره كرد د (وجاء ربك) اى ظهرت آيات
قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان بنفسه من احكام هيبته وسياسته فانه عند
حضوره يظهر ما لا يظهر بحضور وزرائه وسائر خواصه وعساكره وقال الامام احمد جاء امره وقضاؤه على
حذف المضاف للتهويل وفى التأويلات النجمية تجلى فى المظهر الجلالى القهرى (والملك) وبيايد فرشتگان
بعرصه محشر (صفا صفا) اى حال كونهم مصطفين اوذوى صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء
فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم اصطفاف اهل الصلاة فى الدنيا من الانس والجن كما قال تعالى
والملك على ارجائها فهم سبعة صفوف عدد السموات السبع (وجيئ يومئذ بجهنم) كقوله تعالى وبرزت الجحيم
يعنى ان المجيئ بها عبارة عن اظهارها حتى يراها الخلق مع ثباتها فى مكانها فان من المعلوم انها لا تنفك عن
مكانها والباء للتعدية على ان جهنم قائم مقام الفاعل لجيئ وقال ابن مسعود رضى الله عنه ومقاتل تقاد جهنم
بسبعين الف زمام معه سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير يعنى دوزخ
از خشم كافران مى جوشد ومى خروشد * فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع ويجثو كل نبى وولى من
الهول والهيبة على ركبتيه ويقول نفسى نفسى حتى يعترض لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول
امتى امتى فتقول النار مالى ومالك يا محمد لقد حرم الله لحمك على فالمجيئ بها على حقيقته فان الحديث يدل على
انفكاكها عن مكانها وتأوله الاولون بحمله على التجوز بان معنى يجرون يباشرون اسباب ظهورها يقول
الفقير لا حاجة الى الحمل على التجوز فان بعض الامكنة كالكعبة تزور بعض الخواص بالايجاد والاعدام
اللذين هما اسرع شئ من طرفة العين فلا بعد فى ان يكون مجيئ جهنم من هذا القبيل على ان الارض يومئذ
اوسع شئ كما بين فيما سبق فهى تسع جهنم واهل المحشر جميعا وايضا المراد بمجيئ جهنم مجيئ صورتها المثالية
ولا منافاة فيه فيكون كمجيئ المسجد الاقصى الى مرأى النبى عليه الصلاة والسلام حين سأله قريش عن بعض
اوصافه فى قصة المعراج (يومئذ) بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى (يتذكر الانسان) اى يتذكر
ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره واحكامه او بمعاينة عينه على ان الاعمال تجسم فى النشأة الآخرة
فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ اى يقبل التذكير والارشاد
الذى بلغ اليه فى الدنيا ولم يتعظ ولم يقبله فى الدنيا فيتعظ به فى الآخرة فيقول ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا

هذا الاتعاظ يلزمه الندم على تفريطه والندم توبة لكن لا توبة هناك لفوت الوقت قال القاشانى يوم يتذكر الانسان خلاف ما اعتقده فى الدنيا وصار هيئة فى نفسه من مقتضيات فطرته فان ظهور البارى بصفة القهر والملائكة بصفة التعذيب لا يكون الا لمن اعتقد خلاف ما ظهر عليه مما هو فى نفس الامر كالمنكر والنكير (وانى له الذكرى) اعتراض جيئ به لتحقيق انه ليس يتذكر حقيقة لعراءه عن الجدوى بعدم وقوعه فى اوانه وانى خبر مقدم للذكرى وله متعلق بما تعلق به الخبر اى ومن اين يكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل هناك محذوف واللام للنفع اى انى له منفعة الذكرى وبه يرتفع التناقض الواقع بين اثبات التذكر اولا ونفيه ثانيا لان المراد نفى كون هذه الذكرى والتوبة نافعة له بقوله انى له الذكرى يعنى انه لا يجب قبول التوبة كما ذهب اليه المعتزلة وفى الاشارات والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة فى دار التكليف يعنى حقا كما زعم المعتزلة لا وجه له على ان تذكره ليس من التوبة فى شئ فانه عالم بانها انما تكون فى الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى (يقول يا) ايها الحاضرون (ليتنى) كاشكى من (قدمت لحياتى) وهو بدل اشتمال من يتذكر او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عنه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتنى عملت لاجل حياتى هذه اعنى لتحصيل الحياة الاخروية التى هى حياة نافعة دائمة غير منقطعة اعمالا صالحة انتفع بها اليوم او وقت حياتى على ان اللام بمعنى فى التوقيت ويجوز ان يكون المعنى قدمت عملا ينجينى من العذاب فاكون من الاحياء قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى اعلم ان اهل الحق لا يسلبون الاختيار بالكلية وليس فى هذا التمنى شبهة دلالة على استقلال العبد بفعله كما زعمه المعتزلة وانما الذى يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله عند صرف قدرته الكاسبة اليه فلا واما ما قيل من ان المحجور قد يتمنى ان كان ممكنا منه وموفقا له فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفى الفعل يعتقد انه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اى طرف كان من افعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكاليف ولزوم الحجة (فيومئذ) اى يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال (لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد) الهاء راجع الى الله تعالى والعذاب بمعنى التعذيب كالسلام بمعنى التسليم وكذا الوثاق بالفتح بمعنى الايثاق وهو الشد بالرباط وهو ما يشد به من الحديد والحبل والايثاق بالفارسية بند كردن يعنى بسلاسل وغلال واسير كردن والمعنى لا يتولى عذاب الله ووثاقه احد سواه اذ الامر كله لله فلا يلزم ان يكون يوم القيامة معذب سوى الله لكنه لا يعذب احد مثل عذابه وفى عين المعانى لا يعذب كعذاب الله فى الآخرة احد فى الدنيا ويجوز ان يكون الهاء للانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائى ويعقوب على بناء المفعول وفى الكشاف هى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابى عمرو انه رجع اليه فى آخر عمره اى لا يعذب مثل عذاب الانسان احد وظاهره يقتضى ان يكون عذابه اشد من عذاب ابليس الا ان يكون المراد احدا من هذا الجنس كعصاة المؤمنين نسأل الله السلامة والعافية فى الدارين (يا ايتها النفس المطمئنة) لما ذكر شقاوة النفس الامارة شرع فى بيان سعادة النفس المطمئنة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج وسكون النفس انما هو بالوصول الى غاية المعاملات فى اليقين والمعرفة والشهود وفى قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب تنبيه على انه بمعرفته تعالى والاكثار من عبادته يكتسب اطمئنان النفس واذا وصلت الى مقام الاطمئنان بذكر الله صار صاحبها فى مقام التلوين فى التمكين آمنا من الرجوع الى الاحكام الطبيعية والآثار البشرية فان الداعى لا يرد الى اوصافه فمن كان متمكنا فى مقام الترقى تخلص من التنزل الى مقام النفس الامارة وفى التعريفات النفس المطمئنة هى التى تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفاتها الذميمة وتحلت بالاخلاق الحميدة (وقال الكاشفى) اى نفس آرام كرفته بذكر من كه شاكر بودى در نعمت وصبر نمودى در محنت والمعنى ان الله تعالى يقول بالذات للمؤمن اكراما له كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام او على لسان الملك وذلك عند تمام الحساب يا ايتها النفس المطمئنة (ارجعى الى ربك) اى الى ما وعد لك من الكرامة والزلفى فكونه تعالى منتهى الغاية انما هو بهذا الاعتبار فسقط تمسك المجسمة به واستدل بالرجوع الذى هو العود على تقدم الروح خلقا (راضية) بما اوتيت من النعم المقيم (مرضية) عند الله (فادخلى فى عبادى) فى زمرة عبادى الصالحين المخصوصين بى

(وادخلى جنتى) معهم كقوله تعالى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين فالدخول فى زمرة الخواص هى السعادة الروحانية والدخول معهم فى الجنات ودرجاتها هى السعادة الجسمانية وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلى فى اجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى وهذا يؤيد قول من قال ان الخطاب عند البعث وذهب بعضهم الى انه عند الموت كما روى ان ابابكر رضى الله عنه سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الملك سيقولها لك يا ابابكر عند موتك وقال الحسن اذا اراد الله قبضها اطمأنت الى الله ورضيت عن الله ورضى الله عنها وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما اذا توفى العبد المؤمن ارسل الله ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقال لها اخرجى ايتها النفس المطمئنة اخرجى الى روح وريحان ورب عنك راض فتخرج كاطيب ريح مسك وجده احد فى انفه والملك على ارجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الافتح ولا بملك الاصلى عليها حتى يؤتى بها الى الرحمن اى الى حضوره ومقام مخصوص من مقامات كرامانه فتسجد ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه فاجعلها مع انفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله و ينبذله فيه الريحان فان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل نور الشمس فى قبره فيكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا احب اهله واذا توفى الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل اليه قطعة بجاد انتن من كل نتن واخشن من كل خشن فيقال ايتها النفس الخبيثة اخرجى الى جهنم وعذاب اليم ورب عليك غضبان وقال سعيد بن جبير رحمه الله مات ابن عباس رضى الله عنهما بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير مثله على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يرى من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة الخ ودل قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها ان من النفوس الطيبة من يتولى الله قبضها بنفسه فياطوبى لها وقال بعض اهل الاشارة يا ايتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعى الى الله بتركها و بسلوك سبيل الآخرة فادخلى فى عبادى الاخروية وادخلى جنتى الصورية والمعنوية * اى بازهوا كرفته بازآى ومرو * كرزشته توسرى در انكشت منست *

وقال القاشانى يا ايتها النفس المطمئنة التى نزلت عليها السكينة وتنورت بنور اليقين فاطمأنت الى الله من الاضطراب ارجعى الى ربك فى حال الرضى اى اذا تم لك كمال الصفات فلا تسكنى اليه وارجعى الى الذات فى حال الرضى الذى هو كمال مقام الصفات والرضى عن الله لا يكون الا بعد رضى الله عنها كما قال رضى الله عنهم ورضوا عنه فادخلى فى زمرة عبادى المخصوصين بى من اهل التوحيد الذاتى وادخلى جنتى المخصوصة بى اى جنة الذات وفى التأويلات النجمية ارجعى الى ربك بالفناء فيه بعد قطع المنازل والمقامات راضية من نتائج السلوك الى الله والسير فى الله مرضية عند الله بالبأس خلعة البقاء عليها فادخلى فى عبادى الباقين بى وبصفاتى وادخلى جنة ذاتى لفنائك عن ذاتك وانانيتك

تمت سورة الفجر بعون ذى المن والحجر فى اواخر شهر المولد النبوى من سنة سبع عشرة ومائة والف

(سورة البلد عشرون آية مكية اومدنية الا اربع آيات من اولها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا اقسم بهذا البلد) اى اقسم بالبلد الحرام الذى هو مكة فكلمة لا صلة دل عليه ان الله اقسم بالبلد الامين فى سورة التين و بالفارسية سوكند ميخورم بمكه وفى كشف الاسرار لا لتأكيد القسم كقول العرب لا والله مافعلت كذا لا والله لافعلن كذا والبلد المكان المحدود المتأثر باجتماع قطانه واقامتهم فيه وجمعه بلاد و بلدان ثم ان الله تعالى اقسم بمكة لفضلها فانه جعلها حرما آمنا ومسقط رأس النبى عليه السلام وحرم ابيه ابراهيم ومنشأ ابيه اسماعيل عليهما السلام وجعل البيت قبلة لاهل الشرق والغرب وحج البيت كفارة لذنوب العمر وجعل البيت المعمور فى السماء بازآئه (وانت حل بهذا البلد) حال من المقسم به وانت خطاب للنبى عليه السلام كفته اند در قرآن چهار هزار نام وى بردوذ كروى كرد بعضى بتعريض وبعضى بتصريح والحل بمعنى الحال من الحلول وهو النزول اى والحال انك يا محمد حال فى مكة نازل بها قيد اقسامه تعالى بمكة بحلوله عليه السلام فيها اظهارا لمزيد فضلها فانها بعد ان كانت شريفة بنفسها ازداد شرفها بحلول النبى العظيم الشريف فيها فالاشرف فيه يحصل له شرف بشرف المكين ومافيه شرف ذاتى يحصل له بشرفه شرف زائد فمحل قدمى

النبي عليه السلام كمكة والمدينة وغيرهما ينبغي ان يحافظ على حرمته وقد سمى عليه السلام المدينة طابة لانها طابت به وكأنه وفيه تعريض لاهل مكة بانهم لجهلهم يرون ان يخرجوا منهما من به مزيد شرفها ويؤذوه *
اى كعبه از اين قدوم تو صد شرف * وى مروه راز مقدم پاك تو صد صفا * بطحا از نور طاعت تو يافته فروغ * يثرب وخاك تو بارونق ونوا * وفيه اشارة الى بلد مكة الوجود الانسانى والى رسول القلب المتمكن فى الجانب الايسر منه (ووالد) وزاينده عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم عليه السلام والتنكير للتفخيم (وما ولد) وآنچه زاده است وهو اسماعيل عليه السلام فانه ولده بلا واسطة ومحمد عليه السلام فانه ولده بواسطة اسماعيل فتضمن السورة القسم بالنبي عليه السلام فى موضعين وايثار ما على من لمعنى التعجب مما اعطاه الله من الكمال كما فى قوله والله اعلم بما وضعت اى باى شئ وضعت يعنى موضوعا عجيب الشأن وهو مريم او الوالد آدم عليه السلام وما ولد ذريته وهو الانسب لمضمون الجواب فالتفخيم المستفاد من كلمة ما لابد فيه من اعتبار التغليب اى فهو من باب وصف الكل بوصف البعض او للتعجب من الامر الذى يشترك فيه الكل كالنطق والبيان والصورة البديعة وغيرها وقيل الوالد هو النبي عليه السلام وما ولد امته المرحومة لقوله عليه السلام انما انا لكم مثل الوالد اعلمكم امر دينكم ولقوله عليه السلام لعلى رضى الله عنه انا وانت ابو هذه الامة والى هذا اشار بقوله عليه السلام كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى وهو سبب الدين ونسب التقوى وقد سمى الله النبي عليه السلام ابا المؤمنين حيث قال النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وفى بعض القراآت وهو اب لهم فان امومية الازواج المطهرة تقتضى ابوته عليه السلام اذ كل من كان سببا لايجاد شئ واصلاحه اوظهوره يسمى ابا وقد قال عليه السلام انا من الله والمؤمنون من فيض نورى وصرح تعالى بفضيلة هذه الامة حيث قال وكذلك جعلناكم امة وسطا ولذا عظمهم بالاقسام بهم وفيه اشارة الى ابراهيم الروح الوالد واسمعيل السر المولود منه او آدم الروح وابراهيم السر او الى روح القدس الذى هو الاب الحقيقى للنفوس الانسانية كقول عيسى عليه السلام انى ذاهب الى ابى وابيكم السماوى وقوله تشبهوا بابيكم السماوى فالمراد بما ولد هو النفس التى ولدها هو فكأنه قيل واقسم بروح القدس والنفس الناطقة (لقد خلقنا الانسان فى كبد) جواب للقسم يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده فانتفخت وأصله كبده اذا اصاب كبده كذكره اذا قطعت ذكره ورأيته اذا قطعت رئته ثم اتسع فيه حتى استعمل فى كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة بمعنى مقاساة الشدة وفى كبد حال من الانسان بمعنى مكابدا وحرف فى واللام متقاربان تقول انما انت للعناء والنصب وانما انت فى العناء والنصب ووجه آخر أن قوله فى كبد يدل على ان الكبد قد احاط به احاطة الظرف بالمظروف والمعنى لقد خلقنا الانسان فى تعب ومشقة فانه مع كونه اضعف الخلق لا يزال يقاسى فنون الشدآئد مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت ومابعده فابن آدم يكابد من البلايا ما لا يكابده غيره يعنى ان الكبد يتناول شدآئد الدنيا من قطع سرته والتفافه بخرقة محبوس الاعضاء ومكابدة الختان واوجاعه ومكابدة المعلم وصولته والاستاذ وهيبته ثم مكابدة شغل التزوج وشغل الاولاد والخدم وشغل المسكن ثم الكبر والهرم من جملة مصائب كثيرة لا يمكن تعدادها كالصداع ووجع الاضراس ورمد العين وهم الدين ونحو ذلك ويتناول ايضا شدآئد التكاليف كالشكر على السرآء والصبر على الضرآء والمكابدة فى اداء العبادات كالصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ثم بعد ذلك يقاسى شدة الموت وسؤال الملك وظلمة القبر ثم البعث والعرض على الملك المحاسب الى ان يصل الى موضع الاستقرار اما فى الجنة واما فى النار كما قال لتركبن طبقا عن طبق قال الامام ليس فى الدنيا لذة البتة بل ذلك الذى يظن انه لذة فهو خلاص من الالم فاللذة عند الاكل هى الخلاص من الم الجوع وعند اللبس هى الخلاص من الم الحر والبرد فليس للانسان الا الم او خلاص من الم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش واشارة الى ان الانسان المقيد بقيد التعين الوجودى خلق فى تعب التعين والتقييد وفيه حرمان من المطلق ونوره فان المقيد بقيد التعين معذب بحرمان المطلق وقال القاشانى لقد خلقنا الانسان فى مكابدة ومشقة من نفسه وهواه او مرض باطن وفساد قلب وغلظ حجاب اذ الكبد فى اللغة غلظ الكبد الذى هو مبدأ القوة الطبيعية وفساده وحجاب القلب وفساده من هذه القوة فاستعير غلظ الكبد لغلظ حجاب القلب ومرض الجهل (أيحسب) آيا مى پندارد والضمير

لبعض صناديد قريش الذين كان عليه السلام يكابد منهم أكثر مما يكابد من غيرهم كالوليد بن المغيرة واضرابه
(ان لن يقدر عليه احد) ان مخففة من الثقيلة سادة مع اسمها مسد مفعولى الحسبان اى يحسب ان الامر
والشأن لن يقدر على انتقام منه احد فحسبانه الناشئ عن غلظ الحجاب ومرض القلب فاسد لان الله الاحد يقدر
عليه وهو عزيز ذو انتقام (يقول) ذلك الظان على سبيل الرعونة والخيلاء (اهلكت) انفقت كقول العرب
خسرت عليه كذا اذا انفق عليه (مالا لبدا) اى كثيرا متلبدا من تلبد الشئ اذا اجتمع يريد كثرة ما انفقه سمعة
ومفاخرة وكان اهل الجاهلية يسمون مثل ذلك مكارم ويدعونه معالى ومفاخر وفى لفظ الاهلاك اشارة الى انه
ضائع فى الحقيقة اذ لا ينتفع به صاحبه فى الآخرة كما قالت عائشة رضى الله عنها فى حق عبد الله
ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه يا رسول الله فقال عليه السلام لا ينفعه
لانه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين (أيحسب) ذلك الاحمق المباهى (ان) اى ان الشأن (لم يره احد)
حين كان ينفق وانه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه يعنى ان الله رآه واطلع على خبث نيته وفساد سريرته
وانه مجازيه عليه فمثل ذلك الانفاق وهو ما كان بطريق المباهاة رذيلة فكيف يعده الجاهل فضيلة وفى الحديث
لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم افناه وعن ماله من اين كسبه وفيم انفقه
وعن عمله ماذا عمل وعن حب أهل البيت (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما عالم الملك من الارض الى السماء
حتى يشاهد بهما فى طرفة عين النجوم العلوية التى بينه وبينها مسافة آلاف سنة ويفرق بهما بين ما يضر وما ينفع
وبهما يحصل شرف النظر الى وجه العالم والى المصحف والى الشواهد قال فى أسئلة الحكم العين تحرس البدن
من الآفات وهى نيرة كالمرآة اذا قابلها شئ ارتسمت صورته فيها مع صغر الناظر وهو الحدقة التى هى شحمة
وجعل الله العين سريعة الحركة وجعل لها اجفانا تسترها واهدابا من الشعر كجناح الطائر تطرد بانضمامها
وبانفتاحها الذباب والهوام عن العين وجعل العين فى الرأس لان السراج يوضع على رأس المنار وجعلها ثنتين
كالشمس والقمر فانهما عينا التعين الدنيوى وجعل فوقهما حاجبين اسودين لئلا يتضرر البصر بالضياء ولان
الذى ينظر فى السواد الى البياض يكون احد نظرا ولذلك جعلت الحدقة سوداء واهداب العين شعرا اسود
لان السواد يقوى البصر ولما بنى ذو القرنين الاسكندرية رخمها بالرخام الابيض جدرها وارضها فكان لباسهم
فيها السواد من نصوع بياض الرخام فمن ذلك لبس الرهبان السواد فان النظر الى الابيض يفرق البصر ويضعفه
ولذا قال عليه السلام فى الاثمد انه يقوى البصر وجعل الحدقة متحركة فى مكانها لتتحرك الى الجهات يمنة ويسرة
فيبصر بها من غير ان يلوى عنقه وجعل الناظرين جميعا على خط مستقيم عرضا ولم يقع واحد منهما اعلى
ولا اخفض ليجتمع الناظران على شئ واحد لئلا يترا أى له الشخص الواحد شخصين وفى العينين اشارة الى العين
الظاهرة والعين الباطنة فينبغى ان يحافظ على كلتيهما فان نظر عينين اتم من نظر عين واحدة (ولسانا) يترجم به
عن ضمائره وبه تنعقد المعاملات وتحصل الشهادات ويدرك الطعوم من الحلو والمر ولو لم يكن اللسان لاحتاج
الانسان الى الاشارة او الكتابة فتعسر امره وانما تعدد العين والاذن وتفرد اللسان لان حاجة الانسان الى السمع
والبصر اكثر من حاجته الى الكلام وفيه تنبيه ايضا على ان يقل من الكلام الا فى الخير وان لا يتكلم فيما لا فائدة
فيه وهو السر فى ان الله تعالى جعل اللسان داخل الفم وجعل دونه الشفتين اللتين لا يمكن الكلام الا بفتحهما
ليستعين العبد باطباق شفتيه على رد الكلام وقد حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يجعل فى فمه
حجرا ليمتنع من الكلام فيما لا يعنيه وفيه اشارة الى لسان القلب فانه يتكلم به بالمفاوضة القلبية وقد ابطله كما ابطل
العين الباطنة وافسد استعداد التكلم الباطنى والنظر القلبى (وشفتين) يستر بهما فاه اذا اراد السكوت ويستعين
بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ قال السجاوندى خص الشفة لخروج اكثر الحروف منها وفى الدعاء
الحمد لله الذى جعلنا ننطق بلحم ونبصر بشحم ونسمع بعظم قال بعضهم اسبل الصانع الحكيم امام الفم سترا
من الشفة ذا طرفين يضمهما ويفتحهما عند الحاجة ويمص بهما المشروب وجعل الشارب محيطا من العليا
ليمنع ما على وجهه الشراب من القش والقذى ان يدخل حالة الشرب وفى الحديث ان الله يقول ابن آدم
ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت
عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين

فاطبق وفى الخبر الفرج امانة والاذن امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له او را كويند ما دو ديده بتو بيرديم پاك تو بنظر هاى ناپاك ملطخ كردى تا آثار تقديس ازوى برخاست وخبيث شد اكنون بخواهى كه ديدار مقدس ما بنظر خويش بينى هيهات ما پاكيم و پاكانرا پاك شايد الطيبات للطيبين دو سمع داديم ترا تا ازان دو خزانه سازى ودرهاى آثار وحى درو تعبيه كنى وامروز باز سپارى تو از محال دروغ شنيدن ساختى رهگذر اصوات خبيثه كردى وندا ما پاكست جز سمع پاك نشنود امروز بكدام كوش حديث ما خواهى شنيد زبانى داديم ترا تا با ما راز كويى درخلوت وقرآن خوانى در عبادت وصدق دروى فروارى و با دوستان ما سخن كويى تو خر دزبار ابساط غيبت ساختى وروز نامهٔ جدل و ديوان خصومت كردى تو امروز بكدام زبان حديث ما خواهى كرد * زبان امداز بهر شكر وسپاس * بغيبت نكر داندش حق شناس * كذركاه قران و پندست كوش * به بهتان وباطل شنيدن مكوش * دو چشم ازپى صنع بارى نكوست * زعيب برادر فروكير ودوست * وفيه اشارة الى شفتى لسان القلب ولسان الرأس (وهديناه النجدين) معطوف على الم نجعل لانه فى التقدير مثبت اى جعلنا له ذلك وهديناه طريقى الخير والشر كما قال عليه السلام هما النجدان نجد الخير ونجد الشر فلا يكن نجد الشر احب اليكم من نجد الخير او طريقى الثديين لانهما طريقان مرتفعان لنزول اللبن سببان لحياة المولود وتمكين مولود عاجز من رضاع امه عقيب الولادة قدرة علية ونعمة جلية * نه طفل زبان بسته بودى زلاف * همى روزى آمد بجوفت زناف * چو نافش بريدند روزى كسست * به پستان ما در درآويخت دست * واصل النجد المكان المرتفع جعل الخير بمنزلة مكان مرتفع بخلاف الشر فانه يستلزم الانحطاط عن ذروة الفطرة الى حضيض الشقاوة فكان استعمال النجدين بطريق التغليب او لان فعل الشر بالنسبة الى قوته فى الواهمة متصور بصورة المكان المرتفع ولذا استعمل الترقى فى الوصول الى كل شئ وتكميله وقال ابن الشيخ لما وضحت الدلالة الدالة على الخير والشر صارتا كالطريقين المرتفعين بسبب كونهما واضحين للعقول كوضوح الطريق العالى للابصار وفيه اشارة الى نجد الروح ونجد القلب فابطلهما بغلبة النفس على الروح وغلبة الهوى على القلب (فلا اقتحم العقبة) الاقتحام الدخول فى امر شديد ومجاوزته بصعوبة وفى القاموس قحم فى الامر كنصر قحوما رمى بنفسه فيه فجأة بلا روية والعقبة الطريق الوعر فى الجبل فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة لصعوبة سلوكها (وما ادراك ما العقبة) اى اى شئ اعلمك يا محمد ما اقتحام العقبة فان المراد ليس العقبة الصورية واقتحامها (فك رقبة) الفك الفرق بين الشيئين بازالة احدهما عن الآخر كفك القيد والغل وفك الرقبة الفرق بينها وبين صفة الرق بايجاب الحرية والرقبة اسم العضو المخصوص ثم يعبر بها عن الجملة وجعل فى التعارف اسما للمماليك كما عبر بالرأس وبالظهر عن المركوب فقيل فلان يربط كذا رأسا وكذا ظهرا والمعنى هو اى اقتحام العقبة اعتاق رقبة فالفك ليس تفسير النفس العقبة بل لاقتحامها بتقدير المضاف وذلك لان العقبة عين والفك فعل فلا يكون تفسير اللآخر ثم فك الرقبة قد يكون بان ينفرد الرجل فى عتق الرقبة وقد يكون بان يعطى مكاتبه ما يصرفه الى جهة فكاك رقبته وبان يعين فى تخليص نفس من قود او غرم فهذا كله يعم الفك دون الاعتاق ويحتمل ان يكون المراد بفك الرقبة ان يفك المرء رقبة نفسه من عذاب الله بان يشتغل بالاعمال الصالحة حتى يصير بها الى الجنة ويتخلص من النار وهى الحرية الوسطى وان يفك رقبة القلب من اسر النفس وقيد الهوى وتعلق السوى وهى الحرية الكبرى فيكون قوله او اطعام الخ من قبيل التخصيص بعد التعميم اشارة الى مزيد فضل ذلك الخاص بحيث خرج به من ان يتناول اللفظ السابق مع عمومه وقال بعضهم تقدم العتق على الصدقة يدل على انه افضل منها كما هو مذهب ابى حنيفة رحمه الله وفى الحديث من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقال الراغب فك الانسان غيره من العذاب انما يحصل بعد فك نفسه منه فان من لم يهتد ليس فى قوته ان يهدى وفك الرقبة من قبيل فك النفس لانه من الاعمال الصالحة التى لها مدخل عظيم فى فكها (او اطعام فى يوم ذى مسغبة) اى مجاعة لقحط اوغلاء من سغب اذا جاع قال الراغب السغب الجوع مع التعب وربما قيل فى العطش مع التعب فمسغبة مصدر ميمى وكذا مقربة ومتربة قيد الاطعام بيوم المجاعة لان اخراج المال فى ذلك الوقت اثقل على النفس واوجب للاجر (يتيما) مفعول اطعام (ذا مقربة) اى قرابة من قرب

في النسب قرباً ومقربة وقال السجاوندي قربى قرابة اوجوار اتهي قيد اليتيم بان يكون بينه وبين المطعم قرابة نسبية لانه اجتمع فيه جهتا الاستحقاق اليتم والقرابة فاطعامه افضل لاشتماله على الصدقة وصلة الرحم (او مسكيناً ذا متربة) اي افتقار من ترب بالكسر تربا بفتحتين ومتربا اذا افتقر كأنه لصق بالتراب من فقره وضره فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطئه ويفرشه واما قولهم اترب فمعناه صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل أثرى وعن النبي عليه السلام في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل وقال ابن عباس رضي الله عنهما البعيد التربة يعني الغريب (كما قال الكاشفي) واين چنين كس عيال مند بود ياوام دار يا بيمار يا غريبي دور از ديار وفي الحديث الساعي على الارملة والمسكين كالساعي في سبيل الله وكالقائم لا يفتر والصائم لا يفطر يقول الفقير خص الفك والاطعام لصعوبة العمل بهما وجعل الاطعام لليتيم والمسكين لما ان ذلك يثقل على النفس فقد ينفق المرء الوفا في هواه كاطعام اهل الهوى وبناء الابنية الزائدة ونحو ذلك ولا يستكثرها واما الفقير واليتيم فلا يراهما ببصره لهوانهما عنده وعلى تقدير الرؤية فيصعب عليه اعطاء درهم او درهمين او اطعام لقمة او لقمتين واحتج الشافعي رحمه الله بهذه الاية على ان المسكين قد يكون بحيث يملك شيأ والا لكان تقييده بقوله ذا متربة تكرارا وهو غير جائز وفيه بحث لجواز ان يكون ذا متربة صفة كاشفة للمسكين وتكون الفائدة في التوصيف بها التصريح بجهة الاحتياج ليتضح ان اطعام الاحوج افضل والتكرير الذي لا يجوز هو التكرير الخالي عن الفائدة وما نحن فيه ليس من هذا القبيل وفيه اشارة الى يتيم القلب المغلوب في يد النفس والهوى ومسكين السر المذلل تحت قهر النفس وعزتها وفي الارشاد وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضي وليس بشرط اذ قد يكون بمعنى لم فكأنه قيل فلا اقتحم العقبة (ثم كان) پس باشد اين ازاد كننده وطعام دهنده (من الذين آمنوا) عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الايمان عن العتق والصدقة ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به والا فهو في الزمان مقدم على الطاعات والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع عند الله لا ان يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم وفي ذكر العقبة اشارة الى ان عقبة الآخرة لا يجوزها الا من كان مخفا قال المحاسبي تلك عقبة لا يجوزها الا من خص بطنه عن الحرام والشبهات وتناول مقدار بقاء المهجة وقال القاسم العقبة نفسك الا ترى الى قوله فك رقبة فانه ان تعتق نفسك من رق الخلق وتشغلها بعبودية ربك (وتواصوا بالصبر) عطف على آمنوا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن المعاصي وفي المصائب (وتواصوا بالمرحمة) مصدر بمعنى الرحمة اي اوصى بعضهم بعضا بالرحمة على عباد الله او بموجبات رحمته تعالى من الخيرات على حذف المضاف او ذكر المسبب وارادة السبب تنبيها على كماله في السببية والرحمة بهذا المعنى اعم من الرحمة بالمعنى الاول وهي الشفقة لمن يستحقها من العباد يتيما او فقيرا او نحو ذلك وفي الحديث لا يرحم الله من لا يرحم الناس فقوله وتواصوا بالصبر اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله والى التكميل بعد الكمال فان الايمان كمال في نفسه وكذا الصبر والمرحمة وغيرهما من الاعمال الصالحة والتواصي من باب تكميل الغير قال بعضهم الاطعام خصوصا وقت شدة الحاجة افضل انواع العفة والايمان اجل انواع الحكمة وهو الايمان العلمي اليقيني وجاء فيه بلفظ ثم لبعد رتبته عن الفضيلة الاولى في الارتفاع والعلو لكونه الاساس والصبر على الشدائد من اعظم انواع الشجاعة واخره عن الايمان لامتناع حصول فضيلة الشجاعة بدون اليقين والتراحم والتعاطف من افضل انواع العدالة (اولئك) الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة وفي اسم الاشارة دلالة على حضورهم عند الله في مقام كرامته وعلو رتبتهم وبعد درجتهم (اصحاب الميمنة) اي اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بايمانهم ويسلك بهم من طريق اليمين الى الجنة او اصحاب اليمن والخير والسعادة لان الصلحاء ميامين على انفسهم بطاعتهم وعلى غيرهم ايضا او اصحاب اليد اليمنى (والذين كفروا باياتنا) بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن (هم) في ضمير الغائب دلالة على سقوطهم عن شرف الحضور وانهم احقاء بالاخفاء (اصحاب المشأمة) اي الشمال وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ومن وراء ظهورهم ويسلك بهم شمالا الى النار او اصحاب الشؤم والشر والشقاوة لان الفساق مشائيم على انفسهم بمعصيتهم وعلى غيرهم ايضا فيجب التوسل بالصلحاء والاجتناب عن الفسقاء او اصحاب اليد اليسرى (عليهم

خبر مقدم لقوله (نار مؤصدة) اى نار ابوابها مغلقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح ابد الآباد الالم ايهامات صفة لنار اشعارا باحاطتهم فاصل التركيب مؤصدة الابواب فلما تركت الاضافة عاد التنوين اليها لانها نائبة فبان ثمن اوصدت الباب من المثل اغلقه وآصدته بالمد من المهموز مثل آمن اذا اطبقته واغلقته واحكمته فمن قرأها مؤصدة بالهمز جعلها اسم مفعول من آصدت ومن لم يهمزها اخذها من اوصدت مثل اوعد فهو موعد وذلك وعد ويحتمل ان يكون من آصد مثل آمن لكنه قلبت همزته الساكنة واوا لضمة ما قبلها للتخفيف وكان ابو بكر بن عباس راوى عاصم يكره الهمزة فى هذا الحرف ويقول لنا امامنا يهمز مؤصدة فاشتهى ان اسد اذنى اذا سمعته وكانه لم يحفظه عن شيخه الا بترك الهمزة وقد حفظه حفص بالهمزة وهو اضبط للحرف من ابى بكر على ما نقله القراء وان كان ابو بكر اكبر واتقن واوثق عند اهل الحديث وفيه اشارة الى ان نار الحجاب والخذلان والخسران مؤصدة على النفس الامارة

تمت سورة البلد بعون الله الاحد فى خامس الثانى من الربيعين سنة سبع عشرة ومائة والف

* (سورة الشمس خمس عشرة او ست عشرة آية مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

والشمس) سوكند ميخورم بآفتاب (وضحاها) اى ضوئها اذا طلعت وقام سلطانها وانبسط نورها يعنى سوكند بتابش وى چون بلند كردد وهو ضع چاشت رسد يقال وقت الضحى اى وقت اشراق الضوء فالضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو نور الشمس المنبسط على وجه الارض المضاد للظل وفيه اشارة الى الاقسام بشمس الروح وضوئه المنتشر فى البدن الساطع على النفس (والقمر اذا تلاها) من التلو بمعنى التبع اى اذا تبعها بان طلع بعد غروبها آخذا من نورها وذلك فى النصف الاول من الشهر قال الراغب تلاه تبعه متابعة ليس بينهما ما ليس منهما وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء فى الحكم ومصدره تلو وتلو وتارة بالقرآن وتدبر المعنى ومصدره تلاوة ثم قال قوله والقمر اذا تلاها فانما يراد به هنا الاتباع على سبيل الاقتداء والمرتبة وذلك انه فيما قيل ان القمر يقتبس النور من الشمس وهو لها بمنزلة الخليفة قيل وعلى هذا قوله وجعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء على مرتبة من النور اذ كل ضياء نور دون العكس وفيه اشارة الى قمر القلب اذا تلا الروح فى التنور بها واقتدائه تحوها واستضاءته بنورها لم يتبع النفس فينخسف بظلمتها قال شيخى وسندى روح الله روحه فى كتاب اللائحات البرقيات له ان الشمس ابدا للحقيقة الالهية الكمالية الاكملية واشارة اليها والقمر آية للحقيقة الانسانية الكمالية الاكملية واشارة اليها فكما ان القمر منذ خلقه الله الى يوم القيامة كان مجلى ومظهرا لتجلى نور الشمس وظهوره فى الليل حتى يهتدى به ارباب الليل فى الظلمات الليلية فى سيرهم وسلوكهم فى طرق مقاصدهم فكذلك الحقيقة الانسانية الكمالية الاكملية منذ خلقها الله الى ابد الآبدين كانت مجلى ومظهر التجلى نور الحقيقة الالهية الكمالية الاكملية وظهوره فى الكون حتى يهتدى به ارباب الكون فى ظلمات الكون عند سلوكهم وسيرهم فى العوالم والاطوار الكونية نزولا عند السير الى عالم الامكان وعروجا عند السلوك الى عالم الوجوب فكما ان القمر يفنى من نوره ونفسه بالتمام فى نور الشمس ونفسها بحيث لا يبقى اثر من نوره ونفسه عند المقارنة والمواصلة الحاصلة بينهما بالتوجه الشمس القابض والاقبال الجاذب عليه ويبقى مع نوره ونفسه اى جرمه بالكمال وبنور الشمس ونفسها بحيث لا يفنى شئ من نوره ونفسه عند المقابلة والمفارقة الكاملة الحاصلة بينهما بالارسال الى نفسه والبسط الى نوره مرارا وكرارا دائما باقيا الى يوم القيامة فكذلك الحقيقة الانسانية الكمالية الاكملية تفنى من نورها وتعينها فى نور الحقيقة الالهية الكمالية الاكملية وتعينها بالتمام بحيث لا يبقى لها اثر ما اصلا عند الوصلة الالهية الحاصلة فى مرتبة الذات الاحدية الجمعية المطلقة بالقبض والجذب من نورها وتعينها الى نورها وتعينها الازلى الابدى السرمدى وتبقى مع نورها وتعينها بنورها بحيث لا يفنى منهما اثر اصلا عند الفرقة الكونية الحاصلة فى مرتبة المظهرية الكثرتية الفرقية المقيدة بالبسط والارسال الى نورها وتعينها مرارا وكرارا ابدا سرمدا وعند تجلى النور الشمسى والالهى وظهوره فى القمر والانسان الكامل تدريجا الى حد الكمال يكمل بقاؤهما وعند استتاره واختفائه عنهما تدريجا ايضا الى حد التمام يتم فناؤهما وفناؤهما على هذا الوجه من قبض جلال الحق سبحانه وبقاؤهما على ذلك النمط من بسط

جماله تعالى والله يقبض ويبسط دائما من مرتبة كماله الذاتي بسمى جلال كماله وجماله بل بداه مبسوطتان كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انتهى كلامه قدس الله سره فان قلت اذا ههنا ليست بشرطية لعدم جوابها لفظا وتقديرا حتى يعمل فيها فتكون ظرفية مطلقا فلا بد لها من عامل وهو فعل القسم والقسم المقدر وهو انشاء فيكون للحال واذا للاستقبال ولا اجتماع بينهما فلا تكون ظرفا وقت الحال قلت اذا في امثال هذا المقام للتعليل اى اقسم بالقمر اعتبارا بتلوها وبالنهار اعتبارا بتجليته الشمس وبالليل اعتبارا بغشيانه اياها كما تقول اشهد على هذا حيث كنت صالحا متدينا اى لاجل ذلك كذا في بعض التفاسير وقال في القاموس اذا تجيئ للحال وذلك بعد القسم مثل والليل اذا يغشى والنجم اذا هوى انتهى فيكون بمعنى حين فاعرف (والنهار) هو نور الشمس الذى ينسخ ظل الارض بمحو ظلمة الليل (اذا جلاها) اى جلى الشمس يعنى هويدا كرد فانها تتجلى عند انبساط النهار واستيفائه تمام الانجلاء فكأنه جلاها مع انها التى تبسطه يعنى لما كان انتشار الاثر وهو زمان ارتفاع النهار زمانا لانجلاء الشمس وكان الجلاء واقعا فيه اسند فعل التجلية اليه اسنادا مجازيا مثل نهاره صائم او جلى الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها وفيه اشارة الى نهار استيلاء نور الروح وقيام سلطانها واستواء نورها اذا جلاها وابرزها في غاية الظهور كالنهار عند الاستواء في تجلية الشمس (والليل) هو ظل الارض الحائلة بين الشمس وبين ما وقع عليه ظلمة الليل (اذا يغشاها) اى الشمس فيغطى ضوءها فتغيب وتظلم الآفاق ولما كان احتجاب الشمس بحيلولة الارض بيننا وبينها واقعا في الليل صار الليل كأنه حجبها وغطاها فاسند التغطية والتغشية الى الليل لذلك او اذا يغشى الآفاق والارض ولعل اختيار صيغة المضارع هنا على المضى للدلالة على انه لا يجرى عليه تعالى زمان فالمستقبل عنده كالماضى مع مراعاة الفواصل ولم يجئ غشاها من التغشية لانه يتعدى الى المفعولين وحيث كانت الواوات العاطفة نواب الواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا في قولك اقسم بالله حق ان يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملهما فاندفع ما يورد ههنا من ان تلك الواوات ان كانت عاطفة يلزم العطف على معمولى عاملين مختلفين وان كانت قسمية يلزم تعداد القسم مع وحدة الجواب وحاصل الدفع اختيار الشق الاول ومنع لزوم المحذور وفيه اشارة الى ليل النفس عند غشيانه بظلمتها شمس نهار الروح وهو ايضا آية من آياته الكبرى لان الليل مظهر الاسم المضل فيجوز القسم به كما جاز القسم بالنهار نظرا الى انه مظهر الاسم الهادى (والسماء وما بناها) اى ومن بناها على غاية العظم ونهاية العلو وهو الله تعالى وايثار ما على من لارادة الوصفية تعجيبا لان ما يسأل بها عن صفة من يعقل كأنه قيل والقادر العظيم الشان الذى بناها وكذا الكلام في قوله (والارض وما طحاها) اى ومن بسطها من كل جانب على الماء كى يعيش اهلها فيها والطحو كالدحو بمعنى البسط وابدال الطاء من الدال جائز وافراد بعض المخلوقات بالذكر وعطف الخالق عليه والاقسام بهما ليس لاستوائهما في استحقاق التعظيم بل النكتة في الترتيب ان يتبين وجود صانع العالم وكمال قدرته ويظفر العقل بادراك جلال الله وعظمة شأنه حسبما امكن فانه تعالى لما اقسم بالشمس التى هى اعظم المحسوسات شرفا ونفعا ووصفها باوصافها الاربعة وهى ضوؤها وكونها متبوعة للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية متغطية بالليل ثم اقسم بالسماء التى هى مسير الشمس واعظم منها فقد نبه على عظمة شأنهما لما تبين ان الاقسام بالشئ تعظيم له ومن المعلوم انهما لحركاتهما الوضعية وتغير احوالهما من الاجسام الممكنة المحتاجة الى صانع مدبر كامل القدرة بالغ الحكمة فتوسل العقل بمعرفة احوالهما واوصافهما الى كبرياء صانعهما فكان الترتيب المذكور كالطريق الى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات الى يفاع عالم الربوبية وبيداء كبريائه الصمدية وفيه اشارة الى سماء الارواح وارض الاجساد (ونفس وما سواها) اى ومن انشأها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه السلام او للتكثير وهو الانسب للجواب وذكر في تعريف ذات الله تعالى السماء والارض والنفس لان الاستدلال على الغائب لا يمكن الا بالشاهد والشاهد ليس الا العالم الجسمانى وهو اما علوى بسيط كالسماء واما سفلى بسيط كالارض واما مركب وهو اقسام اشرفها ذوات الانفس وقد استدل بعطف ما بعدها على ما قبلها على عدم جواز تقدير المضاف فيه مثل ورب الشمس وكذا في غيره لان المقدر في المعطوف عليه يقدر في المعطوف فيكون التقدير ورب ما بناها ورب ما طحاها ورب ما سواها وبطلانه ظاهر

من الظاهر ان تكون في مواضعها موصولة فاعرف وسيجيء شرح النفس وتسويتها عند حصول التأويل
ان شاء الله تعالى (فألهمها فجورها وتقواها) الفاء ان كانت لسببية التسوية فالامر ظاهر وان كانت لتعقيبها
فلعل المراد منه التمام ما يتوقف عليه الالهام من القوى الظاهرة والباطنة والالهام القاء الشيء في الروع اما من
جهة الله او من جهة الملأ الاعلى واصل الالهام ابتلاع الشيء والفجور شق ستر الديانة قدم على التقوى مراعاة
للفواصل او لشدة الاهتمام بنفيه لانه اذا انتفى الفجور وجدت التقوى فقدم ما هو بشأنه اعنى والمعنى فهم
النفس اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدى اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت قال
بعض الكبار الالهام لا يكون الا في الخير فلا يقال في الشر الهمني الله كذا واما قوله تعالى فألهمها فجورها
وتقواها فالمراد فجورها لتجتنبه لا لتعمل به وتقواها لتعمل به اذ ليس في كلام الله تناقض ابدا وقال بعضهم
لا يخفى ان محل الالهام هو النفس قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها فعلمنا ان الفاعل في الالهام هو الله تعالى
لا غيره لكن الهم النفس فجورها لتعلمه ولا تعمل به وتقواها لتعلمه وتعمل به فيعرف قسم الفجور الهام اعلام
لا الهام عمل ان الله لا يأمر بالفحشاء وكما لا يأمر بالفحشاء لا يلهم بها فانه لو الهم بها ما قامت الحجة لله على العبد
فهذه الآية مثل قوله وهديناه النجدين اى بينا له الطريقين وقال بعضهم لم ينسب سبحانه الى النفس خاطر المباح
ولا الهاما فيها وسبب ذلك ان المباح لها ذاتي فنفس ما خلق عينها ظهر المباح فهو من صفتها النفسية التي
لا تعقل النفس الا بها فخاطر المباح نعت خاص كالضحك للانسان وفي التأويلات النجمية تدل الآية على كون
النفوس كلها حقيقة واحدة متحدة تختلف باختلاف توارد الاحوال والاسماء فان حقيقة النفس المطلقة من
غير اعتبار حكم معها اذا توجهت الى الله توجها كليا سميت مطمئنة واذا توجهت الى الطبيعة توجها كليا
سميت امارة واذا توجهت تارة الى الحق بالتقوى وتارة اخرى الى الطبيعة البشرية بالفجور سميت لوامة انتهى
وفي الخبر الصحيح عن عمران بن حصين رضى الله عنه سأل رجل من جهينة او مزينة رسول الله عليه السلام
ما يعمل الناس ويكدحون فيه أشيء قضى عليهم ام شيء يستقبلونه فقال عليه السلام بل قضى عليهم قال ففيم
العمل اذا يا رسول الله فقال عليه السلام من كان خلقه الله لاحدى المنزلتين يهيئه الله لها ثم تلا الآية وقال
ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله عليه السلام يقول عند الآية اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت
خير من زكاها انت وليها ومولاها (قد افلح من زكاها) جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وقال الزجاج
طول الكلام صار عوضا عن اللام وانما تركه الكشاف وغيره لانه يوجب الحذف والحذف لا يجب مع الطول
ولم يجعل كذبت جوابا لان اقسام الله انما يؤكد به الوعد او الظفر وادراك البغية وهو دنيوى كالظفر
بالسعادات التي تطيب بها الحياة الدنيا من الغنى والعز والبقاء مع الصحة ونحوها واخروى هو بقاء بلا فناء وغنى
بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل ولذلك قيل لا عيش الا عيش الآخرة واصل الزكاة الزيادة والنمو ومنه زكا الزرع
اذا حصل فيه نمو كثير وبركة ومنه تزكية القاضي الشاهد لانه يرفع قدره بالتعديل ومنه الزكاة لما يخرج
الانسان من حق الله الى الفقراء لما فيها من رجاء البركة او لتزكية النفس اى تنميتها بالخيرات والبركات او لهما
جميعا فان الخيرين موجودان فيها والمعنى قد فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انمى النفس واعلاها بالتقوى
اى رفعها واظهرها وشهرها بها فاهل الصلاح يظهرون انفسهم ويشهرونها بما سطع من انوار تقواهم الى الملأ
الاعلى وبملازمتهم مواضع الطاعات ومحافل الخيرات بخلاف اهل الفسق فانهم يخفون انفسهم ويدسونها
في المواضع الخفية لا يلوح عليهم سيما سعادة يشتهرون بها بين عباد الله المقربين واصل هذا ان اجواد العرب
كانوا ينزلون في ارفع المواضع ويوقدون النار للطارقين لتكون اشهر واللئام ينزلون الاطراف والهضاب لتخفى
اماكنهم عن الطالبين فاخفوا انفسهم فالبار ايضا اظهر نفسه باعمال البر والفاجر دسها وتستعمل التزكية
بمعنى التطهير ايضا كما قال في القاموس الزكاة صفوة الشيء وما اخرجته من مالك لتطهره به فالمعنى قد افلح من
طهر نفسه من المخالفات الشرعية عقدا وخلقا وعملا وقولا فقد اقسم تعالى بسبعة اشياء على فلاح من زكى
نفسه ترغيبا في تزكيتها وابن عباس رضى الله عنهما روايت كرده كه حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم
نزديك تلاوت اين آيت فرمودى كه تزكيه نفس موجب تزكيه دل است هرگاه كه نفس از شوب هوا مزكى شود
في الحال دل از لوث تعلق بما سوى مصفى گردد * تا نفس مبرا زمنهى نشود * دل آينه نور الهى نشود *

وكون افعال العبد بتقدير الله تعالى وخلقه لا ينافي اسناد الفعل الى العبد فانه يقال ضرب زيد ولا يقال ضرب الله مع ان الضرب بخلقه وتقديره وذلك لان وضع الفعل بالنسبة الى الكاسب قال الراغب وزكاء النفس وطهارتها بصير الانسان بحيث يستحق فى الدنيا الاوصاف المحمودة وفى الآخرة الاجر والمثوبة وهو ان يتحرى الانسان ما فيه تطهيره وذلك ينسب تارة الى العبد لاكتسابه ذلك نحو وقد افلح من زكاها وتارة الى الله لكونه فاعلا لذلك فى الحقيقة نحو بل الله يزكى من يشاء وتارة الى الشئ لكونه واسطة فى وصول ذلك اليهم نحو خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وتارة الى العبادة التى هى آلة فى ذلك نحو وحنانا من لدنا وزكاة انتهى (وقد خاب من دساها) فى القاموس خاب يخيب خيبة حرم وخسر وكفر ولم ينل ما طلب واصل دسى دسس كتقضى البازى وتقضض من التدسيس وهو الاخفاء مبالغة الدس واجتماع الامثال لما اوجب الثقل قلبت السين الاخيرة ياء وقال الراغب الدس ادخال الشئ فى الشئ بضرب من الاكراه ودساها اى دسسها فى المعاصى انتهى والمعنى قد خسر من نقصها واخفاها بالفجور وبارسالها فى المشتهيات الطبيعية وقال شيخى وسندى قدس سره فى قوله تعالى ونفس الخ المراد بالنفس هنا الذات والحقيقة الجمعية الانسانية الكمالية المخلوقة على الصورة الالهية الجمعية الكمالية لتكون مرآتها كما ورد خلق الله آدم على صورته ويقال لها النفس الناطقة المدبرة للبدن وما سواها اى خلقها مستوية قابلة لتكون مجلى لتجليات تعينات الكمال والجلال والجمال ومتوسطة ممكنة لتكون مظهرا لظهورات الذات والصفات والافعال ومعتدلة صالحة لتكون مشهد المشاهدات آثار الاسماء والمراتب والاحوال وبهذه القابلية الجامعة بين القبضتين الجمال والجلال كانت اتم كل موجود فألهمها اى افاض عليها بوساطة سادة الجلال فجورها اى آثار الجلال المندرج فى جمعية حقيقتها البرزخية واحكامه واحواله من العقائد والعلوم والاعمال والمذاهب وغير ذلك مما تفجر وتميل فيه من الحق الى الباطل فتجازى بالخسران وتقواها وافاض عليها بوساطة خادم الجمال اى آثار الجمال واموره واحكامه من كلمة التوحيد العلمى الرسمى المنافى للشرك والكفر والهوى الجلى وسائر الفساد فى مرتبة الشريعة والطريقة ومن كلمة التوحيد العينى الحقيقى المزيل للشرك والكفر والهوى الخفى وباقى الكساد فى مرتبة المعرفة والحقيقة ومن غيرهما من لطائف العلوم والمعارف ومحاسن الاعمال والاحوال ومكارم الاخلاق والصفات قد افلح اى دخل فى الفلاح فى جميع المراتب صورة وحقيقة من زكاها من طهرها من رذائل آثار الجلال فى جميع الاطوار وقد خاب اى حرم من الفلاح من دساها اى اخفى فيها الآثار الجلالية والصفات النفسانية وكتم فيها العيوب والقبائح الشيطانية والاهواء والشهوات البهيمية والاعمال والاخلاق الردية ولم يعالجها باضدادها بل اهملها عن التربية فى مرتبة الشريعة بالتقوى والصلاح وعن التزكية فى مرتبة الطريقة بالمجاهدة والاصلاح وساعدها فى هواها وشهواتها فى النيات والمقصود والاعمال والاقوال وسائر حركاتها وسكناتها جميعا بالاهواء انتهى باختصار فان كلامه رحمه الله فى هذه الآية يبلغ الى نصف جزء بل اكثر (كذبت ثمود) المراد القبيلة ولذا قال (بطغواها) وهو استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها فان الطغيان اعظم انواع التدسية والطغوى بالفتح مصدر بمعنى الطغيان الا انه لما كان اشبه برؤوس الآيات اختير على لفظ الطغيان وان كان الطغيان اشهر وفى الكشاف الطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة فى فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا فى الاسم وتركوا القلب فى الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا من الخزى بالفتح والقصر بمعنى الاستحياء ومن الصدى بمعنى العطش والباء للسببية اى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمنى بجرآءته على الله فالفعل منزل منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول وهو المشهور او كذبت ثمود نبيها صالحا عليه السلام فحذف المفعول للعلم به وفيه اشارة الى ان العصيان اذا اشتد بلغ الكفر ويجوز ان تكون الباء صلة للتكذيب اى كذبت بما اوعدت به من العذاب ذى الطغوى والتجاوز عن الحد وهو الصيحة كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية اى بصيحة ذات طغيان (اذ انبعث اشقاها) منصوب بكذبت او بالطغوى اى حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف امتثالا لامر من بعثه اليه فان انبعث مطاوع لبعث يقال بعثت فلانا على امر فانبعث له وامتثل قال فى كشف الاسرار الانبعاث الاسراع فى الطاعة للباعث او حين قام قدار ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد

والمذكر والمؤنث ويدل على الاول قوله تعالى فى سورة القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فانه يدل على ان المباشر واحد معين وفضل شقاوتهم على من عداهم مباشرتهم العقر مع اشتراك الكل فى الرضى به (فقال لهم) اى لثمود (رسول الله) المعلم ماعزموا عليه وهو صالح عليه السلام ابن عبيد بن جابر بن ثمود بن عوص بن ارم فالاضافة للعهد عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم فى الطغيان (ناقة الله) منصوب على التحذير وان لم يكن من الصور التى يجب فيها حذف العامل والناقة بالفارسية اشتر ماده. اضيفت اليه تعالى للتشريف كبيت الله اى ذروا ناقة الله الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وعلى نبوتى واحذروا عقرها (وسقياها) يعنى شربها وهو نصيبها من الماء ولا تطردوها عنه فى نوبتها فانها كان لها شرب يوم معلوم ولهم ولمواشيهم شرب يوم اخر وكانوا يستضرون بذلك فى مواشيهم فهموا بعقرها (فكذبوه) اى رسول الله فى وعيده بقوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب (فعقروها) اى الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل بفعله قال السهيلى العاقر قدار بن سالف وامه قديرة وصاحبه الذى شاركه فى عقر الناقة اسمه مصدع بن دهر او ابن جهم والعقر النحر وقدم التكذيب على العقر لانه كان سبب العقر وفى الحديث قال عليه السلام لعلى ياعلى اتدرى من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدرى من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وذلك أن الناقة اشارة الى ناقة الروح فكما ان عقرها بالظلمة النفسانية والشهوات الحيوانية من مزيد شقاوة النفس فكذا قتل على رضى الله عنه فانه كان مظهرا لروحانية نبينا عليه السلام ولذا كان وارثه الاكبر فى مقام الحقيقة فالقصد الى على الولى رضى الله عنه قصد الى محمد النبى عليه السلام ولا شقاوة فوق شقاوة من قابل مظهر الرحمة الكلية بالغضب والانتقام (فدمدم عليهم ربهم) فاطبق عليهم العذاب وهو الصيحة الهائلة وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا طليت بالشحم واحيطت بحيث لم يبق منها شئ لم يمسه الشحم ودم الشئ سده بالقبر ودمت على القبر وغيره اذا اطبقت عليه ثم كررت الدال للمبالغة فى الاحاطة فالدمدمة من الدم كالكبكبة من الكب قال فى كشف الاسرار تقول العرب دممت على فلان ثم تقول من المبالغة دممت بالتشديد ثم تقول من تشديد المبالغة دمدمت والتركيب يدل على غشيان الشئ الشئ (بذنبهم) اى بسبب ذنبهم المحكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب (فسواها) اى الدمدمة والاهلاك بينهم لم يفلت منهم احد من صغير وكبير اوفسوى ثمود بالارض (روى) انهم لما رأوا علامات العذاب طلبوا صالحا عليه السلام ان يقتلوه فانجاه الله كما قال فى سورة هود فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا (ولا يخاف عقباها) الواو للاستئناف او للحال من المنوى فى فسواها الراجع الى الله تعالى اى فسواها الله غير خائف عاقبة الدمدمة وتبعتها او عاقبة هلاك ثمود كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك والولاة فيترحم بعض الترحم وذلك ان الله تعالى لا يفعل الا بحق وكل من فعل بحق فانه لايخاف عاقبة فعل ولا يبالى بعاقبة ما صنع وان كان من شأنه الخوف وقال بعضهم ولا يخاف هواى قدار ولاهم مايعقب عقرها ويتبعه ومايترتب عليه من انواع البلاء والمصيبة والعقاب مع ان صالحا عليه السلام قد اخبرهم بها

(تمت سورة الشمس فى اوآئل شهر ربيع الآخر)

* (سورة الليل احدى وعشرون اية مكية وقيل فيها مكى ومدنى) *

*(بسم الله الرحمن الرحيم) *

(والليل اذا يغشى) اذا لحال لكونها بعد القسم كما مر فى السورة السابقة اى اقسم بالليل حين يغشى الشمس ويغطيها ويسترها كقوله والليل اذا يغشاها فعدم ذكر المفعول للعلم به او النهار او كل مايواريه بظلامه فعدم ذكر المفعول للتعميم والليل عند اهل النجوم مابين غروب الشمس وطلوعها وعند اهل الشرع مابين غروبها وطلوع الفجر الصادق لعله المراد هنا والنهار مايقابله (وفى كشف الاسرار) الله تعالى شب رامرتبتى وشرفى داد كه آن را در قرآن مجيد محل قسم خود كردانيد واين شرف ازان يافت كه چون شب درآيد دوستان خدا تنها درمناجات شوند همه شب شراب صفا مى نوشند وخلعت رضا مى پوشند وعتاب محبوب مى نيوشند وچون وقت سحر باشد كه فرمان رسد تا درهاى ابن قبهٔ پيروزه بازكشايند ودامنهاى سرادقات عرش مجيد

براند ازند ومقربان حضرت بامر حق خاموش شوند انكه جبار كائنات درعلو وكبرياء خود خطاب كند كه الا قد خلا كل حبيب بحبيبه فاين احبائى يعنى هر دوستى بادوست خود در خلوت وشادى آمدند دوستان من كجا اند

الليل داج والعصاة نيام * والعابدون لذى الجلال قيام

(والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل اى ان كان المغشى غير الشمس اوتبين وتكشف بطلوع الشمس اى ان كان المغشى الشمس واختلاف الفاصلتين بالمضى والاستقبال لما ذكرنا فى السورة السابقة وفيه اشارة الى القسم بليل غيب الهوية المطلقة اذا يغشى نهار التعينات الاعتبارية على اهل الذوق والشهود وبنور نهار الوجودات المقيدة اذا تجلى بسبب التعينات العقلية بالنسبة الى اهل الحجاب والاحتجاب وقال القاشانى اقسم بليل ظلمة النفس اذا استتر نور الروح اذا تجلى وظهر من اجتماعهما وجود القلب الذى هو عرش الرحمن فان القلب يظهر باجتماع هذين له وجه الى الروح يسمى الفؤاد يتلقى به المعارف والحقائق ووجه الى النفس يسمى الصدر يحفظ به السرائر ويتمثل فيه المعانى (وما خلق الذكر والانثى) ما عبارة عن صفة العالم كما فى وما بناها وانها لتوغلها فى الابهام افادت ان الوصف الذى استعملت هى فيه بالغ الى اقصى درجات القوة والكمال بحيث كان مما لا يكتنه كنهه وانه لا سبيل للعقل الى ادراكه بخصوصه وانما الممكن هو ادراكه بامر عام صادق واللامان للحقيقة ويجوز ان يكونا للاستغراق اى والقادر العظيم القدرة الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد فخرج مثل البغل والبغلة وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوى الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى وقد لقى خنثى مشكلا كان حانثا لانه فى الحقيقة اما ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا كما فى الكشاف وقيل انهما آدم وحواء عليهما السلام على ان اللام للعهد قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يقرأ والذكر والانثى قال علقمة قدمنا الشام فاتانا ابو الدرداء رضى الله عنه فقال افيكم من يقرأ قراءة عبد الله بن مسعود فاشاروا الى فقلت نعم انا فقال كيف يقرأ هذه الآية قلت سمعته يقرأ والذكر والانثى قال وانا هكذا والله سمعت رسول الله عليه السلام يقرأها وهؤلاء يريدوننى على ان اقرأها وما خلق فلا اتابعهم وفيه اشارة الى الذكر الذى هو الروح والانثى التى هى النفس وقد ولد القلب من ازدواجهما وعند بعض العارفين الليل ذكر والنهار انثى كما سبق فى النازعات (ان سعيكم لشتى) جواب القسم والمصدر بمعنى الجمع لما عرف ان المصدر المضاف من صيغ العموم ولذلك اخبر عنه بالجمع وشتى جمع شتيت كمرضى ومريض وهو المفترق المتشتت والمعنى ان مساعيكم اى اعمالكم لمختلفة حسب اختلاف الاستعدادات الازلية فبعضها حسن نافع خير صالح وبعضها قبيح ضار شر فاسد وفى الحديث الناس غاديان فبائع نفسه فمعتقها او بايع نفسه فموبقها قال القاشانى ان سعيكم اشتات مختلفة لانجذاب بعضكم الى جانب الروح والتوجه الى الخير لغلبة النورية وميل بعضكم الى جانب النفس والانهماك فى الشر لغلبة الظلمة وقال بعضهم باطن هذه الآية ان يرى سعيه قسمة من الحق له من قبل التكوين والتخليق لقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم وان السعى له مراتب كمراتب المتصلين بالسلطان من الندماء والجلساء واصحاب الاسرار فسعى بالنفوس لطلب الدرجات وبالعقول لطلب الكرامات وبالقلوب لطلب المشاهدات وبالارواح لطلب المداناة وبالاسرار لفنائها فى انوار الذات وبقائها فى انوار الصفات وسعى بالارادة وبالمحبة وبالشوق وبالعشق وبالمعرفة الى غير ذلك (فاما) تفصيل لتلك المساعى المتشتتة وتبيين لاحكامها (من اعطى) حقوق ماله (واتقى) محارم الله التى نهى عنها ومن جملتها المن والاذى (وصدق بالحسنى) بالخصلة الحسنى وهى الايمان او بالكلمة الحسنى وهى كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام او المثوبة الحسنى وهى الجنة (فسنيسره لليسرى) معنى التيسير التهيئة لا مايقابل التعسير ومنه قوله كل ميسر لما خلق له فلا حاجة الى ان يقال استعمل التيسير فى العسرى على المشاكلة كما فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة او على حسب قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم يقال يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها واليسرى تأنيث الايسر والمعنى فسنهيئه ونوفقه للخصلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه وبالفارسية پس زود باشد كه آسانى

دهيم ويراى طريقت نيكو كه سبب آسانى وراحت باشد يعنى عملى كه اورا به بهشت رساند فوصف الخصلة
باليسرى مجاز باعتبار كونها مؤدية الى اليسرى وفيه اشارة الى ان من طهر نفسه بالطاعة بالاقبال على الله
والاعراض عن الدنيا واتقى فى عين تلك الطاعة عن نسبتها الى نفسه وصدق فى باطنه بالكلمة الحسنى فنيسره
للخصلة اليسرى وهى الوصول الى حضرتنا العليا وسرادقاتنا الكبرى (واما من بخل) اى بماله فلم يبذله فى سبيل
الخير والبخل امساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود (واستغنى) زهد فيما عند الله تعالى اى لم يرغب
كانه مستغن عنه فلم يتق اواستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة فلم يتق فيكون الاستغناء مستتبعا لعدم
الاتقاء الذى هو مقابل الاتقاء فى الآية الاولى وبه يحصل التقابل بينهما (وكذب بالحسنى) اى ماذكر من المعانى
المتلازمة (فسنيسره للعسرى) اى فسنهيئه للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته
لاختياره لها وبالفارسية بس مهيا كردانيم مرورا براى صفتى كه مؤدى بد شوارى ومحنت بود يعنى كردارى
كه اورا بدوزخ برد ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير
لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى
والتكذيب والاستغناء والظاهر ان السين للدلالة على الجزاء الموعود بمقابلة الطاعة والمعصية وهو يكون
فى الآخرة التى هى امر متراخ منتظر فادخلت السين وهى حرف التراخى ليدل بذلك على ان الوعد آجل غير حاضر
كذا فى بعض التفاسير وفيه اشارة الى ان من بخل فى نفسه بالطاعة والعبادة الروحية والسرية والقلبية
واستغنى عن الاقبال علينا وكذب بالحسنى التى اعطيناها اياه من سلامة الاعضاء والجوارح والجاه والمال
فسنيسره للعسرى وهى البعد عنا والطرد واللعن ودخول نار الحجاب (وما يغنى عنه ماله) اى شيأ من العذاب
فالمفعول محذوف اواى شئ يغنى عنه ماله الذى يبخل به اى لا يغنى شيأ فما مفعول يغنى والاستفهام للانكار
(اذا تردى) اى هلك ومات تفعل من الردى للمبالغة والردى كالعصا وهو الهلاك قال الراغب الردى الهلاك
والتردى التعرض للهلاك انتهى اوتردى وسقط فى الحفرة اذا قبر اوتردى فى قعر جهنم فالمال الذى ينتفع به
الانسان فى الآخرة وقت حاجته هو الذى اعطى حقوقه وقدمه دون الذى بخل به وتركه لوارثه وفيه اشارة
الى انه اذا تردى وتصدى لمخالفتنا وموافقة الطبيعة البشرية اى شئ له يخلصه من غضبنا وقهرنا عند تجلينا له
بصورة القهر والنقمة (ان علينا للهدى) استئناف مقرر لما قبله اى ان علينا بموجب قضائنا المبنى على
الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى ومايؤدى اليه وطريق الضلال
وما يؤدى اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن هنا
تبين ان الهداية هى الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا وان المراد بالوجوب المفهوم
من على الوجوب بموجب القضاء ومقتضى الحكمة فلا تكون الآية بظاهرها دليلا على وجوب الاصلح عليه
تعالى كما يزعم المعتزلة قال القاشانى ان علينا للهدى بالارشاد الينا بنور العقل والحس والجمع بين الادلة العقلية
والسمعية والتمكين على الاستدلال والاستبصار (وان لنا للآخرة والاولى) اى التصرف الكلى فيهما كيفما
نشاء من الافعال التى من جملتها ماوعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى (فانذرتكم) خوفتكم بالقرآن
وبالفارسية بس بيم كنم شمارا اى يا اهل مكة (نارا) از آتشى كه (تلظى) زبانه زند وهو بحذف احدى التاءين
من تتلظى اى تتلهب فان النار مؤنث وصفت به ولو كان ماضيا لقيل تلظت مع ان المراد بوصفها دوام التلظى
بالفعل الاستمرارى وفى بعض التفاسير المراد من انذرتكم انشاء الانذار كقولهم بعت واشتريت اواخبار يراد به
الانذار السابق فى مثل قوله تعالى فى سورة المدثر سأصليه سقر وماادراك ماسقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر فانها
اول سورة نزلت عند الاكثرين وهذا اشد تخويفا من ان يقال خافوا واتقوا نارا تلظى (لا يصلاها) صليا لازما
ولا يقاسى حرها (الا الاشقى) الزائد فى الشقاوة وهو الكافر فانه اشقى من الفاسق وفى كشف الاسرار
يعنى الشقى والعرب تسمى الفاعل افعل فى كثير من كلامهم منه قوله تعالى وانتم الاعلون وقوله واتبعك
الارذلون انتهى فالفاسق لا يصلاها صليا لازما ولا يدخلها دخولا ابديا وقد صرح به قوله تعالى (الذى كذب
وتولى) اى كذب بالحق واعرض عن الطاعة وليس هذا الا الكافر (وسيجنبها) اى سيبعد عنها بحيث لا يسمع
حسيسها والفاعل المجنب المبعد هو الله وبالفارسية وزود بود كه دور كرده شود از ان آتش (الاتقى)

المبالغ فى الاتقاء عن الكفر والمعاصى فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها اوصليها الابدى واما من دونه ممن يتقى الكفر دون المعاصى وهو المؤمن الشقى الفاسق الغيرالتائب فلا يبعدعنها هذا التبعيد بل يدخلها وان لم يذق شدة حرها كما ذاق الكافر لكونه فى الطبقة الفوقانية من طبقات النار فذلك لايستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح فى الحصر السابق وفى كشف الاسرار الاتقى بمعنى التقى كالاشقى بمعنى الشقى قال الشاعر

تمنى رجال ان اموت وان امت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد

اى بواحد انتهى (الذى يؤتى ماله) يعطيه و يصرفه فى وجوه البر والحسنات (يتزكى) اما بدل من يؤتى داخل فى حكم الصلة لامحل له اوفى حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتى اى يطلب ان يكون عندالله زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولاسمعة اومتزكيا متطهرا من الذنوب ومن دنس البخل ووسخ الامساك (وما لاحد عنده من نعمة تجزى) استئناف مقرر لكون ايتائه للتزكى خالصا لوجه الله اى ليس لاحد عنده نعمة ومنة من شأنها ان تجزى وتكافأ فيقصد بايتاء مايؤتى مجازاتها (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) استثناء منقطع من نعمة لان ابتغاء وجه ربه ليس من جنس نعمة تجزى فالمعنى لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه الاعلى اى لابتغاء ذاته وطلب رضاه فهو فى الحقيقة مفعول له وما آتى من المال مكافاة على نعمة سالفة فذلك يجرى مجرى اداء الدين فلا يكون له دخل فى استحقاق مزيد الثواب وانما يستحق الثواب اذا كان فعله لاجل ان الله امره به وحثه عليه ومعنى الاعلى العلى الرفيع فوق خلقه بالقهر والغلبة كما قاله ابو الليث وقال القاشانى وصف الوجه الذى هو الذات الموجودة مع جميع الصفات بالاعلى لان لله تعالى بحسب كل اسم وجها يتجلى به لمن يدعوه بلسان حاله بذلك الاسم و يعبده باستعداده والوجه الاعلى هو الذى له بحسب اسمه الاعلى الشامل لجميع الاسماء وان جعلته وصفا لرب فالرب هو ذلك الاسم انتهى والآية نزلت فى حق ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى بلالا رضى الله عنه فى جماعة كعامر بن فهيرة واخيه وعبيد وزنيرة كسكينة وهى مملوكة رومية وابنتها ام عميس وامة بنى المؤمل والنهدية ابنتها وكانت زنيرة ضعيفة البصر فقال المشركون اذهب اللات والعزى بصرها لما خالفت دينهما فرد الله بصرها بعد ذلك وكان المشركون يؤذون هؤلاء المذكورين ليرتدوا عن الاسلام فاشتراهم ابو بكر فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابوجهل اوامية بن خلف دركشف الاسرار آورده كه اين سوره در بارهٔ دو كس است يكى اتقى كه پيشرو صديقانست يعنى ابو بكر رضى الله عنه و يكى اشقى كه پيشرو زنديقانست زاهل ضلالت يعنى ابوجهل ودر فاتحهٔ اين سوره كه بشب و روز قسم ياد ميكند اشارتست بظلمت يكى ونورانيت ديكر يعنى درشب ضلالت كسى راآن كراهى نبود كه ابوجهل شقى راو در روز عوت هيچكس راآن ورهدايت ظاهر نشد كه ابو بكر تقى را * سرور شد لاجرم صديق اعظم * كه شد اقليم تصديقش مسلم * زمهرش روز دين راروشنايى * بدو اهل يقين را آشنايى * آورده اند كه اميه بن خلف بلال را كه بندهٔ او بود بانواع آزارها عذاب ميكردتا از دين بركردد وهر زمان آتش محبت ربانى درباطن اوافروخته تر بود * آنجا كه منتهاى كمال اراد تست * هرچند جور بيش محبت زيادتست * روزى صديق ديد كه اميه و يرا برخاك كرم افكنده بودوسنكهاى تفسيده برسينهٔ وى نهاده واودر بن حال احد احد ميكفت يعنى يقول امية لاتزال هكذا حتى تموت اوتكفر بمحمد وهو يقول احد احد ابو بكر رادل برو بسوخت وكفت اى اميه واى برتواين دوست خدايراچند عذاب كنى كفت اى ابابكر اكردلت برويميسوزد ازمنش بخروفى رواية مر النبى عليه السلام ببلال بن رباح الحبشى وهو يقول احد فقال عليه السلام احد يعنى الله الاحد ينجيك ثم قال لابى بكر رضى الله عنه ان بلالا يعذب فى الله فعرف مراده عليه السلام فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعنى بلالا قال نعم فاشتراه واعتقه فقال المشركون مااعتقه ابو بكر الاليد كانت له عنده فنزلت وقال ابن مسعود رضى الله عنه وقد اشتراه ببرد وعشر اواق جمع اوقية وهى اربعون درهما وكان مدفونا تحت الحجارة فقالوا لو أبيت الا اوقية لبعناك فقال ولوانتم ابيتم الا بمائة اوقية لاشتريته بها وقيل كان عبدا لعبدالله بن جدعان سلح على اصنام قوم اى تغوط فشكوا اليه فوهبه لهم مع مائة من الابل قربانا لها فعذبوه فى الرمضاء اشد العذاب وفى رواية ابن المسيب بل ابتاعه من امية بغلام له اسمه نسطاس بكسر النون صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وهو مشرك

بعد ما حله ابو بكر على الاسلام على ان يكون ماله له (كما قال الكاشفى) صديق رضى الله عنه كفت باميد بجند ميفروشى كفت عوض ميكنم آنرا به نسطاس رومى وآن غلامى بود از ان صديق رضى الله عنه درهزار دينار استعداد داشت وصديق رضى الله عنه اورا كفته بودكه اكر ايمان آرى آن مال كه دارى بتو بخشم نسطاس مسلمان نمى شد ودل مبارك صديق رضى الله عنه ازو ملول بود جون اين كلمه ازامية شنيده غنيمت شمرده نسطاس را باتمام استعداد بداد وبلال رابستد وفى الحال باميد ثواب اخروى آزاد كرد وفى الحديث رحم الله ابابكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول بلال سيدنا ومولى سيدنا وهو نظير قوله عليه السلام سلمان منا اهل البيت فانظر الى شرف التقوى كيف ادخل الموالى فى الاشراف ولا تغتر بالنسب المجرد فانه خارج عن حد الانصاف وقال السهيلى رحمه الله قال لابى بكر رضى الله عنه ابوه لو اشتريت من له نجدة وقوة فيتعصب لك وينفعك كان اجدى من ابتياع الضعفة واعتاقهم فانزل الله هذه الآية وفهم مما ذكران اعلى الاعطاء فضيلة ما يكون لرضى الله واوسطه ما يكون لعوض اخروى وادناه ما يكون لغرض دنيوى مباح واما ما يكون للرياء والسمعة اولغير ذلك مما ليس بمباح فهو اخس واقبح وقوله عليه السلام من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له يدل على ان المكافاة مشروعة ممدوحة لكنها ليست بدرجة ابتغاء المرضاة (ولسوف يرضى) جواب قسم مضمر اى وبالله لسوف يرضى ذلك الاتقى الموصوف بما ذكر وبالفارسية وزود باشد كه خشنود كردد وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجلها اذبه يتحقق الرضى قال بعضهم اى يرضى الله عنه ويرضى هو بما يعطيه الله فى الآخرة من الجنة والكرامة والزلفى جزاء على ما فعل ولم ينزل هذا الوعد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى ولابى بكر رضى الله عنه ههنا قال البقلى هذا الرضى لا يكون من العارف حتى يفنى فى المعروف ويتصف بصفاته حتى يكون نعته فى الرضى نعت الحق سبحانه وتعالى

* (سورة الضحى احدى عشرة آية مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(والضحى) هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار اريد بالضحى الوقت المذكور على المجاز بعلاقة الحلول والظرفية فان الزمان ظرف لما فيه اوعلى تقدير المضاف وذلك التجوز اوالحذف ليناسب الليل قالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام والتى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى فكان له بذلك شرف ومناسبة بحال المقسم لاجله وصلاة الضحى سنة بالاتفاق ووقتها اذا علت الشمس الى قبيل وقت الزوال وهى عند ابى حنيفة ركعتان اواربع بتسليمة وعند مالك لا تنحصر وعند الشافعى واحد اقلها ركعتان واختلف فى اكثرها فقال الشافعى ثنتا عشرة وقال احمد ثمان وهو الذى عليه الاكثرون من اصحاب الشافعى وصححه النووى فى التحقيق وقد صح ان النبى عليه السلام صلى صلاة الضحى يوم فتح مكة ثمانى ركعات وهو فى بيت ام هانى وكان يصلى صلاة الضحى قبل ذلك ايضا (والليل) اى وجنس الليل قال ابن خالويه هو نسق على الضحى لا قسم لانه يصلح ان يقع فى موضع الواو ثم اوالفاء بان يقال ثم الليل مثلا وثم لا يكون قسما (اذا سجى) اى سكن اهله على المجاز من قبيل اسناد الفعل الى زمانه اوركد ظلامه واستقر وتناهى فلا يزداد بعد ذلك يعنى ان سكون ظلامه عبارة عن عدم تغيره بالاشتداد والتنزل وذلك حين اشتد ظلامه وكمل فيستقر زمانا ثم يشرع فى التنزل فاسناد سكون الظلمة الكائنة اليه مجاز ايضا يقال سجا البحر سجوا اذا سكنت امواجه وليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات وعن جعفر الصادق رضى الله عنه ان المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله فيه موسى وبالليل ليلة المعراج وصاحب كشف الاسرار كفته مراد از روز وشب كشف وحجابست كه نشانه نسيم لطف وسموم قهر بود وعلامة انوار جمال وآثار جلال كما قال الجنيد قدس سره والضحى مقام الشهود والليل اذا سجا مقام الغين الذى قال عليه السلام فيه انه ليغان على قلبى باشارتست بروشنى وروى حضرت مصطفى عليه السلام وكنايتست ازسياهى موى وى * والضحى رمزى زروى همچوماه مصطفى * معنى والليل كيسوى سياه مصطفى *

وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل لان النهار انما يحدث بطلوع النيروبغروبه يعود الهواء الى حالته الاصلية ولذا قدم الظلمة في قوله وجعل الظلمات والنور وتقديم النهار باعتبار الشرف الذاتى او العارضى فان قيل ما السبب فى انه ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته اجيب بانه وان كان ساعة من النهار لكنه يوازى جميع الليل كما ان محمدا عليه السلام يوازى جميع الانبياء عليهم السلام وبان النهار وقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو اشارة الى ان هموم الدنيا اكثر من سرورها فان الضحى ساعة والليل له ساعات (يروى) ان الله تعالى لما خلق العرش اظلت غمامة سوداء عن يساره ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطرى الهموم والاحزان مائة سنة ثم انكشفت فامرت مرة اخرى بذلك وهكذا الى تمام ثلاثمائة سنة ثم بعد ذلك اظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء ونادت ما امطر فاجيبت ان امطرى السرور ساعة فلهذا السبب ترى الغموم والاحزان دائمة كثيرة والسرور قليلا ونادرا (ماودعك ربك) جواب القسم والتوديع مبالغة فى الوداع وهو الترك لان من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك والوداع هو الاعلام بالفراق وقال الراغب اصل التوديع من الدعة وهو ان يدعو للمسافر بان يتحمل الله عنه كآبة السفر وان يبلغه الدعة والخفض كما ان التسليم دعاء له بالسلامة فصار ذلك متعارفا فى تشييع المسافر وتركه وعبر به عن الترك فى الآية والمعنى ما قطعك قطع المودع وما تركك بالحط عن درجة الوحى والقرب والكرامة ففيه استعارة تبعية واشارة الى ان الرب لا يترك المربوب (وما قلى) اى وما ابغضك والابغاض دشمن داشتن والقلى شدة البغض يقال قلا زيدا يقلوه ابغضه من القلو وهو الرمى كما يقال قلت الناقة براكبها رمت به فكأن المقلو هو الذى يقذفه القلب من بغضه فلا يقبله وقلاه وقليه يقليه ويقلاه ابغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه اوقلاه فى الهجر وقليه فى البغض كما فى القاموس فمن جعله من اليائى فمن قليت البسر والسويق على المقلى كما فى المفردات ولعل عطف وما قلى من عطف السبب على المسبب لافادة التعليل وحذفت الكاف من قلاك لدلالة الكلام عليه ولمراعاة الفواصل (روى) ان الوحى تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوما لتركه الاستثناء وذلك ان مشركى قريش ارسلوا الى يهود المدينة وسألوهم عن امر محمد عليه السلام فقالت لهم اليهود سلوه عن اصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح فان اخبركم عن قصة اهل الكهف وقصة ذى القرنين ولم يخبركم عن امر الروح فاعلموا انه صادق فجاء المشركون وسألوه عنها فقال عليه السلام لهم ارجعوا اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عنه ايا ما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه اوان جبريل ابطأ فشكا عليه السلام ذلك الى خديجة فقالت خديجة لعل ربك قد قلاك فنزل جبريل بقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره بما سئل عنه وقد جئ فى سورة الكهف ونزل ايضا بقوله تعالى ماودعك ربك وما قلى ردا على المشركين وتبشيراله عليه السلام بان الحبيب لا يقلى الحبيب وانه تعالى يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا مع ان ما سيؤتيه فى الآخرة اجل واعظم من ذلك كما تنبئ عنه الآية الآتية (وروى) ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث نبى الله اياما لا ينزل عليه الوحى فقال لخادمته خولة يا خولة ما حدث فى بيتى ان جبريل لا يأتينى قالت خولة فكنست البيت فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء نبى الله ترتعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثرينى فانزل الله هذه السورة فلما نزل جبريل سأله النبى عليه السلام عن سبب تأخيره فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وقيل غير ذلك وفيه اشارة الى انه عليه السلام وقع منه ما هو ترك الاولى ولذا لم يكن ممقوتا ولا مبغوضا وانما احتبس عنه الوحى للتربية والارشاد وفى التأويلات النجمية ماودعك ربك بقطع فيض النبوة والرسالة عن ظاهرك وما قلى بقطع فيض الولاية عن باطنك (وللآخرة خير لك من الاولى) لانها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق والاولى اى الدنيا لانها خلقت قبل الآخرة فانية مشوبة بالمضار فالمراد بالآخرة والاولى كراماتهما واللام فى وللآخرة لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة وفى التأويلات النجمية يعنى احوال نهايتك افضل واكمل من افعال بدايتك كما اخبر بقوله اليوم اكملت لكم دينكم الآية لانه صلى الله عليه وسلم لا يزال يطير بجناحى الشريعة والطريقة فى جو السماء السير ويترقى فى مقامات القرب والكرامة وهكذا حال ورثته (ولسوف يعطيك ربك) اللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك ربك لان لام الابتداء

لاتدخل الاعلى الجملة الاسمية وليست للقسم لانها لاتدخل على المضارع الامع النون المؤكدة وجمعها مع
سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لامحالة وان تراخى لحكمة يعنى ان لام الابتداء لما تجردت للدلالة على
التأكيد وكانت السين تدل على التأخير والتنفيس حصل من اجتماعهما ان العطاء المتأخر لحكمة كائن لامحالة
وكانت اللام لتأكيد الحكم المقترن بالاستقبال (فترضى) ما تعطاه مما يطمئن به قلبك يعنى شندان عطا ارزانى
دارد كه تو كويى بس ومن راضى شدم وشونسق على ماقبله بالفاء والآية عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله فى الدنيا
من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوحات الواقعة فى عصره عليه السلام
وفى خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام فى مشارق الارض ومغاربها
ولما ادخر له من الكرامات التى لايعلمها الا الله تعالى وقد انبأ عن شمة منها قوله عليه السلام لى فى الجنة الف قصر
من لؤلؤ ابيض ترابها المسك ودرهر كوشكى ازخدم وحور ونعم وامتعه وآنچه لايق آن بود (روى) ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخل على فاطمة رضى الله عنها وعليها كساء من وبر الابل وهى تطحن بيدها وترضع
ولدها فدمعت عيناه لما ابصرها فقال يا بنتاه تعجلى مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة فقد انزل الله ولسوف يعطيك
ربك فترضى امام محمد باقر رضى الله عنه در كوفه مى فرمود كه اى اهل عراق شما ميكوييد كه اميد وارترين
آيتى ازقرآن آنيست كه لاتقنطوا من رحمة الله وما اهل البيت برآنيم كه اميد دار ايت ولسوف يعطيك
ربك فترضى بيشترست يعنى ارجى آية عند اهل البيت هذه الآية چه رسول الله صلى الله عليه وسلم راضى
نشود كه يكى ازامت وى دردوزخ باشد * نماند بدوزخ كسى دركرو * كه دارد چوتوسيدى پيشرو *
عطاى شفاعت چنانش دهند * كه امت تمامى زدوزخ رهند * وفى الحديث اشفع لامتى حتى ينادى لى
ارضيت يا محمد فاقول رب قد رضيت وقال القيصرى ومما يرضيه فيه بعد اخراج كل مؤمن ان لايسوءه فى امه
وابيه وان منع الاستغفار لهما واذن له فى زيارة قبرهما فى وقت دون وقت لانهما من اهل الفترة وقال سبحانه
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومن لم يقنعه هذا فحظ المؤمن منهما الوقف فيهما وان لايحكم عليهما بالنار
الابنص كتاب اوسنة اواجماع الامة بخلاف ماثبت فى عمه ابى طالب انتهى كلامه فى التفسير المسمى بفتح الرحمن
وقال حضرت الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر اقمت بمدينة قرطبة بمشهد فارانى الله اعيان رسله من لدن آدم
الى نبينا عليه وعليهم السلام فخاطبنى منهم هود عليه السلام واخبرنى بسبب جمعيتهم وهو انهم اجتمعوا شفعاء
للحلاج الى نبينا محمد عليه السلام وذلك انه كان قد اساء الادب بان قال فى حياته الدنيوية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم همته دون منصبه قيل له ولم ذلك قال لان الله تعالى قال ولسوف يعطيك ربك فترضى فكان من
حقه ان لايرضى الا ان يقبل الله شفاعته فى كل كافر ومؤمن لكنه ماقال الا شفاعتى لاهل الكبائر من امتى
فلما صدر منه هذا القول جاءه رسول الله فى واقعته وقال له يا منصور انت الذى انكرت على فى الشفاعة فقال
يا رسول الله قد كان ذلك قال الم تسمع انى قد حكيت عن ربى عزوجل اذا احببت عبدا كنت له سمعا وبصرا
ولسانا ويدا فقال بلى يارسول الله قال فاذا كنت حبيب الله كان هو لسانى القائل فاذا هو الشافع والمشفوع اليه
وانا عدم فى وجوده فاى عتاب على يا منصور فقال يارسول الله انا تائب من قولى هذا فما كفارة ذنبى قال قرب
نفسك لله قربانا قال فكيف قال اقتل نفسك بسيف شريعتى فكان من امره ما كان ثم قال هود عليه السلام
وهو من حيث فارق الدنيا محجوب عن رسول الله والآن هذه الجمعية لاجل الشفاعة له اليه صلى الله عليه
وسلم وكانت المدة بين مفارقته الدنيا وبين الجمعية المذكورة اكثر من ثلاثمائة سنة قال بعض العارفين الحقيقة
المحمدية اصل مادة كل حقيقة ظهورومظهرها اصل مادة كل حقيقة تكونت واليه يرجع الامر كله
قال له لى ولسوف يرضى ولايكون رضاه الا بعود ماتفرق منه اليه فاهل الجمال يجمعون عند جماله واهل
الجلال يجمعون عند جلاله وقال ابن عطاء قدس سره كانه يقول لنبيه افترضى بالعطاء عوضا عن المعطى
فيقول لا فقيل له وانك لعلى خلق عظيم اى على همة جليلة اذ لم يؤثر فيك شئ من الاكوان ولا يرضيك شئ منها
وقال بعضهم كم بين من يتكلف ليرضى ربه وبين من يعطيه ربه ليرضى وقال القاشانى ولسوف يعطيك ربك
الوجود الحقانى لهداية الخلق والدعوة الى الحق بعد الفناء الصرف فترضى به حيث مارضيت بالوجود البشرى
والرضى لايكون الا حال الوجود وفى التأويلات النجمية اى يظهر عليك بالفعل ما فى قوة استعدادك من انواع

الكمالات الذاتية واصناف الكرامات الصفاتية والاسمائية (الم يجدك يتيما) مات ابواك (فآوى) جواب ألم
او نسق قال ابن خالويه اى قد وجدك ربك والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى اى الم يعلمك الله يتيما فجعل لك
مأوى تأول اليه يقال اوى فلان الى منزله يأوى اويا على فعول رجع ولجأ وآويته انا ايوآء والمأوى كل مكان يأوى
اليه شئ ليلا ونهارا اى يرجع وينزل ويجوز ان يكون الوجود بمعنى المصادفة ويتيما حالا من مفعوله يعنى على المجاز
بان يجعل تعلق العلم الوقوعى الحالى مصادفة والافحقيقة المصادفة لاتمكن فى حقه تعالى (روى) ان اباه عبد الله
ابن عبد المطلب مات وهو عليه السلام جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه
ابوطالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته وذلك ايوآؤه وقال بعضهم لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
مع جده عبد المطلب ومع امه آمنة فهلكت امه آمنة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد امه بسنتين ورسول
الله ابن ثمان سنين ولما اشرف جده عبد المطلب على الموت اوصى به عليه السلام ابا طالب لأن عبد الله واباطالب
كانا من ام واحدة فكان ابوطالب هو الذى تكفل رسول الله الى ان بعثه الله للنبوة فقام بنصره مدة مديدة
ثم توفى ابوطالب فنال المشركون منه عليه السلام مالم ينالوا فى زمان ابى طالب اى آذوه وكان عليه السلام
يقول كنت يتيما فى الصغر وغريبا فى الكبر وكان يحب الايتام ويحسن اليهم وفى الحديث من ضم يتيما وكان
فى نفقته وكفاه مؤونته كان له حجابا من النار ومن مسح رأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وانما جعله الله يتيما لئلا
يسبق على قلب بشر ان الذى نال من العز والشرف والاستيلاء كان عن تظاهر نسب اوتوارث مال اونحو ذلك
وفى التأويلات النجمية الم يجدك يتيما اى رآك يتيما فآواك الى صدف النبوة ومشكاة الولاية * پس كه غواص
قدم در لك درياى عدم * غوطه زد تابكف آورد چنين در يتيم * يا ديد ترا گوهرى يكانه كه بكمال قابليت
ازهمه كائنات منفرد بودى وبقطع علاقهٔ نسبت ازماسوى متوحد ترا متمكن ساخته درحضرت احديت
جمع كه مقام خاص تست وفى الكشاف ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك واحدا
فى قريش عديم النظير اى فى العز والشرف فآواك فى دار اعدآئك فكنت بين القوم معصوما محروسا
(ووجدك ضالا) معنى الضلال فقدان الشرآئع والخلو من الاحكام التى لايهتدى اليها العقول بل طريقها
السماع كما فى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب يعنى راه نيافته بودى باحكام وشرآئع واليه يؤول معنى
الغيبوبة فان ضل يجيئ بمعنى غاب كما فى قوله شربت الاثم حتى ضل عقلى * اى شربت الخمر حتى غاب عقلى
وغلب قال الراغب يقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمدا كان او سهوا يسيرا كان او كثيرا ولذا نسب الضلال
الى الانبياء والى الكفار وان كان بين الضلالين بون بعيد الا ترى انه قال فى النبى عليه السلام ووجدك ضالا
فهدى اى غير مهتد لما سيق اليك من النبوة وقال فعلتها اذا وانا من الضالين وقال ان ابانا لفى ضلال مبين تنبيها
على ان ذلك منهم سهو انتهى هذا واحذر عن الاساءة فى العبارة (فهدى) اى فهداك الى مناهج الشرآئع
فى تضاعيف ما اوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك مالم تكن تعلم قدم هذا الامتنان على الاخير لأن ابتدآءه
بعد زمان اليتم وقت التكليف فانه عليه السلام كان موفقا للنظر الصحيح حينئذ ولهذا لم يعبد صنما قط ولم يات
بفاحشة وفى الاسئلة المقحمة معناه ووجدك بين ضالين فهداهم بك فعلى هذا يكون الضلال صفة قومه يقال
رجل ضعيف اذا ضعف قومه وفى التأويلات النجمية اى متحيرا فى تيه الالوهية فهدى الى كمال المعرفة بالصحو
بعد المحو والسكر والضلال الحيرة كما قال انك لفى ضلالك القديم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى عليه
السلام ضل فى شعاب مكة حال صباه وكان عبد المطلب يطلبه ويقول متعلقا باستار الكعبة

يارب فاردد ولدى محمدا * رده الى واصطنع عندى يدا

فوجده ابوجهل فرده الى عبد المطلب فمن الله عليه حيث خلصه على يدى عدوه فكان فى ذلك نظير موسى
عليه السلام حين التقطه فرعون تابوته ليكون له عدوا وحزنا وقيل غير ذلك (ووجدك عائلا) اى فقيرا يؤيده
ما فى مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عديما يقال عال يعيل عيلا وعيلة افتقر (فاغنى) اى فاغناك بمال
خديجة رضى الله عنها او بما افاء عليه من الغنائم حتى كان عليه السلام يهب المائة من الابل وفى الحديث
جعل رزقى تحت ظل رمحى وفيه اشارة الى انه عليه السلام لو كان متمولا من اول الامر لكان يسبق الى بعض
الاوهام انه انما وجد العز والغلبة بسبب المال فلما علا كل العلو على الاغنياء والملوك علم انه كان من جهة الحق

وقيل قنعك واغنى قلبك قال عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ولذا قال الراغب اى ازال عنك فقر النفس وجعل لك الغنى الاكبر المعنى بقوله عليه السلام الغنى غنى النفس وقيل ما عال مقتصد اى ما افتقر وفى التأويلات النجمية اى فقيرا فانيا عن انيتك وانانيتك بحسب استعداد لنا القديم فاغنى بالبقاء بوجوده وجوده واسمائه وصفاته انتهى فالفقر الحقيقى هو التخلى عما سوى الله وبذل الوجود ومايتبعه وهو الذى وقع الافتخار به قال الامام القشيرى رحمه الله اغناه الله عبادا على قسمين فمنهم من يغنيهم بتنمية اموالهم وهم العوام وهو غنى مجازى ومنهم من يغنيهم بتصفية احوالهم وهم الخواص وهو الغنى الحقيقى لان احتياج الخلق الى نعمة صاحب الحال اكثر من احتياجهم الى نعمة صاحب المال ثم المراد من تعداد هذه النعم ليس الامتنان بل تقوية قلبه عليه السلام للاطمئنان بعدما لتوديع (فاما اليتيم) منصوب بقوله (فلا تقهر) والفاء سببية ليست بمانعة قال الرضى يتقدم المفعول به على الفعل ان كان المنصوب معمولا لما يلى الفاء التى فى جواب اما اذا لم يكن له منصوب سواه نحو قوله فاما اليتيم فلا تقهر لانه لا بد من نائب مناب الشرط المحذوف بعد اما والقهر الغلبة والتذليل معا ويستعمل فى كل واحد منهما قال الراغب قوله فلا تقهر اى لا تذلل وقال غيره فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه * وقد ريشان بشناس كه شربت يتيمى چشيده * وكانت العرب تأخذ اموال اليتامى وتظلمهم حقوقهم وفى الحديث اذا بكى اليتيم وقعت دموعه فى كف الرحمن فيقول من ابكى هذا اليتيم الذى واريت والده تحت الثرى من اسكته اى ارضاه فله الجنة * الا تانكريد كه عرش عظيم * بلرزد همى چون بكريد يتيم * وقال مجاهد لا تحتقر فانه رب بنصره وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه وفى التأويلات النجمية اى لا تقهر يتيم نفسك بكثرة الرياضة والمجاهدة من الجوع والسهر فان نفسك مطيتك وان لنفسك عليك حقا كما قال طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى (واما السائل فلا تنهر) النهر والانتهار الزجر بغلظة اى فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا يعنى بانك بروى مرن ومحروم مساز كه در دنيا تو ابى وتنكدستى كشيده وهذا الثانى بمقابلة الاخير وهو ووجدك عائلا فاغنى لمراعاة الفواصل والآية بينة لجميع الخلق لان كل واحد من الناس كان فقيرا فى الاصل فاذا انعم الله عليه وجب ان يعرف حق الفقراء * نه خواهنده بردر ديكران * بشكرانه خواهنده از در مران * قال ابراهيم بن ادهم قدس سره القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعى السائل بريد الآخرة يجيئ الى باب احدكم فيقول اتبعثون الى اهليكم بشئ (وروى) ان عثمان بن عفان رضى الله عنه اهدى الى رسول الله عليه السلام عنقود عنب فجاء سائل فاعطاه ثم اشتراه عثمان بدرهم وقدمه الى رسول الله ثانيا ثم عاد السائل فاعطاه ففعل ذلك ثلاثا فقال عليه السلام ملاطفا للسائل لا غضبان اسائل انت يا فلان ام تاجر فنزلت واما السائل فلا تنهر وهو واحد وجوه احتباس الوحى هذا على ان السؤال بمعنى طلب الحاجة من الحوائج الدنيوية ويجوز ان يكون من التفتيش عن الامور الدينية وفى الحديث من كتم علما يعلمه الجم يوم القيامة بلجام من نار وهذا الوعيد يشمل حبس الكتب عمن يطلبها للانتفاع وفى التأويلات النجمية اى لا تنهر سائل قلبك عن الاستغراق فى بعض الاوقات فى بحر الحقيقة لا سترا حته بذلك من اعباء تكاليف الانبياء بقولك عند ذلك الاستغراق والاستهلاك يا حميراء كلمينى (واما بنعمة ربك فحدث) فان تحديث العبد واخباره بنعمة الله شكر باللسان وتذكير للغير وفى الحديث التحدث بالنعم شكر واريد بالنعمة ما افاضه الله عليه صلى الله عليه وسلم من النعم الموجودة منها والموعودة وحيث كان معظم النعم نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عليه السلام لاهل الضلال وتعليمه للشرائع والاحكام حسبما هداه الله وعلمه من الكتاب والحكمة صاحب فتوحات قدس سره آورده كه نعمت چيزيست محبوب بالذات ومنعم در اغلب شكو رميباشد پس حق سبحانه تعالى حبيب خودرا فرمود كه از نعمت من سخن كويى كه خلق محتاجند ومحتاج چون ذكر منعم شنود بدو ميل كند واورا دوست دارد پس بجهت تحدث بنعمت من خلق را دوست من كردانى ومن ايشانرا دوست ميدارم وهذا الثالث بمقابلة الثانى وهو قوله ووجدك ضالا فهدى اخر لمراعاة الفواصل وان التحلية وهو التحديث بنعمة الله بعد التخلية وهو ولا تقهر ولا تنهر وكرر اما لوقوعها فى مقابلة ثلاث آيات قال فى الكواشى رأى بعض التحدث بنعم الله من الطاعات مع امن الرياء وغائلة النفس وطلب الاقتداء به وكرهه بعض خوف الفتنة وفى عين المعانى قال عليه السلام التحدث بالنعم شكر وتركه كفر

واما الحديث الآخر عليكم بكتمان النعم فان كل ذى نعمة محسود يعني عن الحسود لا غير وفى الاشباه اى رجل ينبغي له اخفاء اخراج الزكاة عن بعض دون بعض فقال المريض اذا خاف من ورثته يخرجها سرا عنهم واى رجل يستحب له اخفاؤها فقال الخائف من الظلمة لا يعلمون كثرة ماله وقال ابن عطية فى الآية حدث به نفسك اى لاتنس فضله عليك قديما وحديثا واذا جاز تحديث النعم الظاهرة جاز تحديث النعم الباطنة من الكرامات والمخاطبات ونحو ذلك وفى التأويلات النجمية اذكر شكر نعمة النبوة على ظاهر نفسك ونعمة الرسالة على باطن قلبك ونعمة الولاية على سرك ونعمة البقاء بعد الفناء على روحك وهو معنى سورة والضحى والليل اذا سجى فافهم وهذه السورة وسورة الانشراح درتان يتيمتان غاليتان لما فيهما من الحكم والمعارف ولذا كانتاهما وسورة النصر من سور الكمل من الاولياء ولما نزلت سورة الضحى كبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى فصار سنة الله اكبر اولا اله الا الله والله اكبر كما فى الكواشى وقال فى انسان العيون لما نزلت السورة المذكورة كبر عليه السلام فرحا بنزول الوحى واستمر عليه السلام لا يجاهر قومه بالدعوة حتى نزل واما بنعمة ربك فحدث فعند ذلك كبر عليه السلام ايضا وكان ذلك سببا للتكبير فى افتتاح السورة التى بعدها وفى ختمها الى آخر القرآن وعن ابى بن كعب رضى الله عنه انه قرأ كذلك على النبى عليه السلام بعد امره له بذلك وانه كان كلما ختم سورة وقف وقفة ثم قال الله اكبر هذا وقيل ان اول ابتداء التكبير من اول الم نشرح لا من اول الضحى وقيل ان التكبير انما هو لآخر السورة وابتداؤه من آخر سورة الضحى الى آخر قل اعوذ برب الناس والاتيان بالتكبير فى الاول والآخر جمع بين الروايتين الرواية التى جاءت بانه يكبر فى اول السورة المذكورة والرواية الاخرى انه يكبر فى آخرها ونقل عن الشافعى رحمه الله انه قال لآخر اذا تركت التكبير من الضحى الى الحمد فى الصلاة وخارجها فقد تركت سنة من سنن نبيك عليه السلام لكن فى كلام الحافظ ابن كثير ولم يرد ذلك اى التكبير عند نزول سورة الضحى باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف وفى فتح الرحمن صح التكبير عن اهل مكة قرائهم وعلمائهم وصح ايضا عن ابى جعفر وابى عمرو وورد عن سائر القراء عند الختم وهو سنة مأثورة عن النبى عليه السلام وعن الصحابة والتابعين فى الصلاة وخارجها لكن من فعله فحسن ومن لم يفعله فلا حرج عليه واما ابتداؤه فاختلف فيه فروى انه من اول الم نشرح وروى انه من اول الضحى واختلف ايضا فى انتهائه فروى ان انتهاءه آخر سورة الناس وروى اولها وقد ثبت نصه عن الامامين الشافعى واحمد رحمهما الله ولم يستحبه الحنابلة لقراءة غير ابن كثير ولم اطلع على نص فى ذلك لابى حنيفة ومالك رحمهما الله ولفظه الله اكبر فى رواية البزى وقنبل وروى عنهما التهليل قبل التكبير ولفظه لا اله الا الله والله اكبر والوجهان عنهما صحيحان جيدان مشهور ان مستعملان وفى صفة التكبير فى رواية ابن كثير بين كل سورتين اربعة عشر وجها الاول قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة ووصل البسملة باول السورة الآتية وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والثانى قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة والوقف على البسملة ثم الابتداء باول السورة وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى والثالث وصله بآخر السورة والقطع عليه ووصل البسملة باول السورة وهو ولسوف يرضى صل الله اكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والرابع وصله بآخر السورة والقطع عن البسملة وهو ولسوف يرضى صل الله اكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى والخامس قطع التكبير عن آخر السورة وعن البسملة ووصل البسملة باول السورة وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والسادس وصل التكبير بآخر السورة والبسملة وباول السورة وهو ولسوف يرضى صل الله اكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والسابع قطع الجميع اى قطع التكبير عن السورة الماضية وعن البسملة وقطع البسملة عن السورة الآتية وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى فهذه السبعة صفته مع التكبير ويأتى مع التهليل مثل ذلك وبقى وجه لا يجوز وهو وصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة مع القطع عليها وهو ولسوف يرضى الله اكبر بسم الله الرحمن الرحيم بالوصل فى الجميع ثم يسكت على البسملة ثم يبتدئ والضحى فهذا ممتنع اجماعا لان البسملة لاول السورة فلا يجوز ان تجعل منفصلة عنها متصلة بآخر السورة قبلها واعلم ان القارئ اذا وصل التكبير بآخر السورة فان كان آخرها ساكنا كسره للساكنين نحو فحدث الله اكبر

وقارئ الله اكبر وان كان منونا كسره ايضا للساكنين سوآء كان آخر التنوين مفتوحا او مضموما او مكسورا نحو توابا الله اكبر وخبير الله اكبر ومن حسد الله اكبر وان كان آخر السورة مفتوحا فتحه وان كان مكسورا كسره وان كان مضموما ضمه نحو قوله اذا حسد الله اكبر والناس الله اكبر والا بتر الله اكبر وشبهه وان كان آخر السورة هاء كناية موصولة بواو حذف صلتها للساكنين نحو ربه الله اكبر وشرا يره الله اكبر واسقط الف الوصل التى فى اول اسم الله فى جميع ذلك استغناء عنها الكل فى فتح الرحمن لكن بعض المواضع منها ينبغى ان يقطع عن التكبير حذرا من الايهام وان كان مقتضى القياس الوصل نحو الابتر الله اكبر وحسد الله اكبر

(تمت سورة الضحى فى الثانى عشر من شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف)

* (سورة الم نشرح ثمانى آيات مكية وعند ابن عباس رضى الله عنهما مدنية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الم نشرح لك صدرك) قال الراغب الشرح بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحته ومنه شرح الصدر بنور الهى وسكينة من جهة الله وروح منه وشرح المشكل من الكلام بسطه واظهار ما يخفى من معانيه انتهى وفى الحديث اذا دخل النور فى القلب انشرح اى علم القلب وانفسح اى احتمل البلاء وحفظ سر الربوبية كما قال موسى عليه السلام ربى اشرح لى صدرى اى وسع قلبى حتى لا يضيق بسفاهة المعاندين ولجاجهم بل يحتمل اذاهم وزيادة لك للايذان بان الشرح من منافعه ومصالحه عليه السلام وانكار النفى اثبات اى عدم شرحنا لك صدرك منفى بل قد شرحنا لك صدرك وفسحناه حتى حوى عالم الغيب والشهادة بين ملكتى الاستفادة والافادة فاصدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق فى شؤون الحق اى لم يحتجب لا بالحق عن الخلق ولا بالخلق عن الحق بل كنت جامعا بين الجمع والفرق حاضرا غائبا وفى التأويلات النجمية يشير الى انفساح صدر قلبه بنور النبوة وحمل همومها بواسطة دعوة الثقلين وانشراح صدر سره بضياء الرسالة واحتمال مكاره الكفار واهل النفاق وانبساط صدر نوره باشعة الولاية وتحققه بالعلوم اللدنية والحكم الالهية والمعارف الربانية والحقائق الرحمانية واما شرح الصدر الصورى فقد وقع مرارا مرة وهو ابن خمس اوست لاخراج مغمز الشيطان وهو الدم الاسود الذى به يميل القلب الى المعاصى ويعرض عن الطاعات ومرة عند ابتدآء الوحى ومرة ليلة المعراج در حديث آمده كه شب معراج جبريل مرا بكيه داد وازبالاى سينه تاناف من بشكافت وميكائيل طشتى ازآب زمزم آورده ودرون سينه وعروق حلق مرا بدان آب بشستند وجبرئيل دل مرا بيرون آورده بشكافت وبشست ودر آخر طشتى ازطلا مملو ازحكمت وايمان آوردند ودل مرا ازان پرساختند وبرجاى اونهادند ونقلى هست كه بخاتمى ازنور مهر كرد چنانچه اثر راحت ولذت آن هنوز درعروق ومفاصل خودمى يابم * دلم خزانهٔ اسرار بودودست قضا * درش ببست وكليدش بدلستانى داد * ومن هنا قال المشايخ لابد للطالب فى ابتدآء امره ان يشتغل بذكر لا اله الا الله بحيث يبدأ من الجانب الايمن للصدر ويضرب بالاعلى الجانب الايسر منه لينتقض به العلقة التى هى حظ الشيطان ومنبع الشهوات النفسانية مقدارا بعد مقدار ويمتلئ النور مقام ما ينتقض منها وربما قاء دما اسود رقيقا لانحلاله بحرارة التوحيد وذوبانه بنار الذكر وهو من صفات الكمل فبدوام الذكر ينشرح الصدر وينفتح القلب (ووضعنا عنك وزرك) اى حططنا واسقطنا عنك حملك الثقيل وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح للقصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر (الذى انقض ظهرك) اى حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعى الى الانتقاض من ثقل الحمل وبالفارسية آنبارى كه كران ساخت پشت ترا كما قال فى تاج المصادر الانقاض كران كردن وفى المفردات كسره حتى صار له نقيض وفى القاموس اثقله حتى جعله نقضا اى مهزولا او اثقله حتى سمع نقيضه وفى بعض التفاسير ثقل عليك ثقلا شديدا فان انقاض الحمل الظهر انما يكون بمعنى تصويت الرحل الذى عليه وهو يكون بثقل الحمل وتأثيره المفضى الى انحراف بعض اجزآء الرحل عن محالها وحصول الصوت بذلك فيه انتهى مثل به حاله عليه السلام مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرآئع ومن تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته

كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقد يجعل قوله و وضعنا عنك وزرك كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الادناس فيكون كقول القائل رفعنا عنك مشقة الزيارة لمن لم يصدر عنه زيارة قط على سبيل المبالغة فى انتفاء الزيارة منه له (ورفعنا لك ذكرك) بعنوان النبوة واحكامها اى رفع حيث قرن اسمه باسم الله فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة وفيه يقول حسان ابن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح و يشهد
وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد

وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبى الله وغير ذلك من الالقاب المشرفة (وذوالنون المصرى قدس سره فرمود رفعت ذكر اشارت بآنست كه همم انبيا عليهم السلام برحوالئ عرش جولان مى نمودند وطائر همت آن حضرت عليه السلام پرواز ميكرد *
سيمرغ فهم هيچكس از انبيا نرفت * آنجا كه تو ببال كرامت پريده * هريك بقدر خويش بجايى رسيده اند *
آنجا كه جاى نيست بجايى رسيده * (فان مع العسر يسرا) تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام وللمؤمنين فاللام للاستغراق قال فى الكشاف فان قلت كيف تعلق قوله فان مع العسر يسرا بما قبله قلت كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم فذكره ما انعم الله به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر الخ كأنه قيل خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله و لطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفى كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجيئ اليسر كأنه مقارن للعسر والا فالظاهر ذكر كلمة المعاقبة لا اداة المصاحبة لان الضدين لا يجتمعان بل يتعاقبان ان مع العسر چو يسرش قفاست * شاد برآنم كه كلام خداست * وقال بعضهم هذا عند العامة واما عند الخاصة فالمعية حقيقية كما قيل بر جانم از تو هرچه رسد جاى منت است * كر ناوك جفاست وكر خنجر ستم * قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر هى معية امتزاج لا معية مقارنة ولا تعاقب ولذلك كررها فلو لا وجود اليسر فى العسر لم يبق عسر لعموم الهلاك ولولا وجود العسر فى اليسر لم يبق يسر وبضدها تتبين الاشياء ثم ان العسر يؤول كله الى اليسر فقد سبقت الرحمة الغضب وذلك عناية من الله فان ذلك قد يكون مصقلة وجلاء القلوب الاكابر وتوسعة لاستعدادهم فتتسع لتجلى الحضرة الالهية وكان حظهم من الملائم اوفر فكذلك غير الملائم قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ولذلك قال تعالى ادعونى استجب لكم وقال عليه السلام ان الله يحب الملحين فى الدعاء وفى تعريف العسر وتنكير اليسر اشارة لطيفة الى ان الدنيا دار العسر فالعسر عند السامع معلوم معهود واليسر مجهول مبهم (ان مع العسر يسرا) تكرير للتأكيد او عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اى فرحة عند الافطار و فرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين اى لن يغلب عسر الدنيا يسرى الدنيا والآخرة فان المعرف اذا اعيد يكون الثانى عين الاول سواء كان معهودا اوجنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد مغاير لما اريد بالاول قال ابن الملك فى شرح المنار المعرفة اذا اعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى كالعسرين فى قوله تعالى فان مع الخ وهو معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما لن يغلب عسر يسرين قال فخر الاسلام فى جعل الآية من هذا القبيل نظر لانها لا تحتمل هذا المعنى كما لا يحتمل قولنا ان مع الفارس رمحا ان مع الفارس رمحا ان يكون معه رمحان بل هذا من باب التأكيد فان قلت فاذا حمل على التأكيد فما وجه قول ابن عباس رضى الله عنهما قلت كأنه قصد باليسرين ما فى قوله يسرا من معنى التفخيم فيتناول يسر الدارين وذلك يسران فى الحقيقة انتهى قال بعضهم ان مع عسر المجاهدة يسر المشاهدة ومع عسر الانفصال يسر الاتصال ومع عسر القبض يسر البسط والعسر الواحد هو الحجاب واليسران كشف الحجاب ورفع العتاب (فاذا فرغت) اى من التبليغ او من المصالح المهمة الدنيوية (فانصب) النصب محركة التعب اى فاجتهد فى العبادة واتعب شكر الما اوليناك من النعم السالفة و وعدناك من الآتية و به ارتبطت الآية بما قبلها ويجوز ان يقال فاذا فرغت من تلقى الوحى فانصب فى تبليغه و قال الحسن رحمه الله اذا كنت صحيحا فاجعل

فراغك نصبا فى العبادة كما روى ان شريحا مر برجلين يتصارعان وآخر فارغ فقال ما امر بهذا انما قال الله فاذا فرغت فانصب وقعود الرجل فارغا من غير شغل اواشتغاله بما لايعنيه فى دينه اودنياه من سفه الرأى وسخافة العقل واستيلاء الغفلة وعن عمر رضى الله عنه انى لاكره ان ارى احدكم فارغا سهلا لا فى عمل دنياه ولا فى عمل آخرته فلا بد للمرء ان يكون فى عمل مشروع دائما فاذا فرغ من عمل اتبعه بعمل آخر وقال قتادة والضحاك فاذا فرغت من الصلاة فانصب فى الدعاء (وابو مدين مغربى قدس سره درتأويل اين آيت فرموده كه چون فارغ شوى ازمشاهدهٔ اكوان نصب كن دل خودرا براى مشاهدهٔ جمال رحمن قال فى الكشاف ومن البدع ماروى عن بعض الرافضة انه قرأ فانصب بكسر الصاد اى فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضة لصح للناصبى ان يقرأ هكذا ويجعله امرا بالنصب الذى هو بغض على وعداوته (والى ربك) وحده (فارغب) اصل الرغبة السعة فى الشئ ثم يراد بها السعة فى الارادة فاذا قيل رغب فيه واليه يقتضى الحرص عليه واذا قيل رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه وفى القاموس رغب فيه كسمع رغبا و بضم ورغبة اراده وعنه لم يرده واليه رغبا محركة ابتهل اوهو الضراعة والمسألة والمعنى فارغب بالسؤال ولاتسأل غيره فانه القادر على اسعافك لاغيره وسخن توبدركاه قرب مقبولست ودعوات طيبات تودر محل قبول * چو مقصود كون ومكان چو دتست * خدا ميدهد آنچه مقصود تست وعن بعض الاكابر الم نشرح لك صدرك برفع غطاء انيتك وكشف حجاب اثنينيتك عن حقيقة احديتنا ووجه صمديتنا ووضعنا عنك ذنب وجودك الذى انقض ظهر فؤادك بان نطلعك على فناء وجودك الصورى الظلى وبقاء وجودنا الحقيقى العينى ورفعنا لك ذكرك بافنائك فينا وابقائك بنا الى مرتفع الخطاب الوارد فى شانك بقولنا ان الى ربك المنتهى اى منتهى جميع الارباب الاسماء الالهية فكذلك اليك منتهى كافة المربوبين الحقائق الكونية وبذلك الرفع كنت سيد الكل فارض بالقضاء واصبر على البلاء واشكر على النعماء فان مع عسر الابتلاء بالبلايا المؤدى الى اضطراب صدرك يسر الابتلاء بالعطايا المفضى الى اطمئنان روحك ان مع العسر يسرا البتة اذهكذا جرت سنتنا مع كل عبد ولن تجد لسنتنا تبديلا بان يرتفع العسر جميعا ويصير الكل يسرا اوبالعكس فلاتلتفت الى اليسر والسرور فانه حجاب نورانى ولاالى العسر والالم فانه حجاب ظلمانى فاذا فرغت من اعطاء حق وارد كل وقت حاضر فانصب نفسك فى منصب اعطاء وارد كل وقت قابل اذاتى بمعنى فافعل ثانيا كما فعلت اولا وكن هكذا دائما الى ان يأتيك اليقين والى ربك اى الى جلاله وجماله وكماله فارغب لاالى غيره من الامور والاحكام الواردة عليك فى الاوقات لان فى الرغبة والالتفات الى غير الرب احتجابا عن الرب وسقوطا عن قرب الى بعد ومقامك لايسع غير القرب والانس والحضور وعن طاووس وعمر بن عبد العزيز رحمهما الله انهما كانا يقولان ان الضحى والم نشرح سورة واحدة فكانا يقرآنهما فى ركعة واحدة ولايفصلان بينهما بالبسملة لانهما رأيا ان اول الم نشرح مشابه لقوله الم يجدك الخ وليس كذلك لان تلك حال اغتمامه عليه السلام باذى الكفار فهى حال محنة وضيق وهذه حال انشراح الصدر وتطييب القلب فكيف يجتمعان ودرليلهٔ معراج ندا آمد كه اى محمد بخواه تا بخشيم رسول عليه السلام كفت خداوندا هر پيغمبرى ازنوع عطايى يافت ابراهيم راخلت دادى باموسى بى واسطه سخن كفتى ادريس رابمكان عالى رسانيدى داودرا ملك عظيم دادى وزلت وى بيامرزيدى سليمانرا ملكى دادى كه بعد ازوى كس راسزاى آن ندادى عيسى رادر شكم مادر توراة وانجيل درآموختى ومرده زنده كردن بردست وى آسان كردى وابراء اكمه وابرص مراورادادى جواب الهى آمد كه يامحمد اكر ابرهيم راخلت دادم تراتحبت دادم واكر باموسى سخن كفتم بى واسطه لكن كوينده رانديد وباتوسخن ميكفتم بى حجاب وكوينده ديدى واكر ادريس رابآسمان رسانيدم تراازآسمان بحضرت قاب قوسين اوادنى رسانيدم واكر داود راملك عظيم دادم وزلت وى بيامرزيدم امت تراملك قناعت دادم وكناهان ايشان بشفاعتت بيامرزيدم واكر سليمان را مملكت دادم ترا سبع مثانى وقرآن عظيم دادم وخاتمهٔ سورهٔ بقره كه بهيچ پيغمبر بجزتوندادم ودعاهاى تودرآخرسورة البقره اجابت كردم واعطيناك الكوثر وترابسه خصلت براهل زمين وآسمان فضل دادم يكى الم نشرح لك صدرك ديكر ووضعنا عنك وزرك سوم ورفعنا لك ذكرك واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وارسلتك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وجعلتك فاتحا وخاتما

وهذا السوق يشير الى السورة مدنية وفى بعض الروايات سألت ربى مسائل وددت انى لم اسألها اياه قط فقلت اتخذت الخ وهو الظاهر وهذا يقتضى ان يكون مسألته عليه السلام من عند نفسه من غير ان يقول الله له سل تعط والله تعالى اعلم وفى الحديث من قرأها اى سورة ألم نشرح فكأنما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى

تمت سورة الانشراح بعون الفتاح

* (سورة التين ثمانى آيات مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(والتين والزيتون) هما هذا التين الذى يؤكل و هذا الزيتون الذى يعصر منه الزيت خصهما الله من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له و غذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين و يزيل مافى المثانة من الرمل و يسمن البدن و يفتح سدد الكبد و الطحال وروى ابوذر رضى الله عنه أنه اهدى للنبى عليه السلام سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا الآن فاكهة الجنة بلاعجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن على بن موسى الرضى رضى الله عنه التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج قال الامام لما عصى آدم عليه السلام وفارقته ثيابه تستر بورق التين ولما نزل وكان متزرا بورق التين استوحش فطافت الظباء حوله فاستأنس بها فاطعمها بعض ورق التين فرزقها الله الجمال صورة والملاحة معنى وغير دمها مسكا فلما تفرقت الظباء الى مساكنها رأى غيرها عليها من الجمال ما اعجبه فلما كان الغد جاءت ظباء اخر على اثر الاول فاطعمها من الورق فغير الله حالها الى الجمال دون المسك وذلك لان الاولى جاءت الى آدم لاجله لا لاجل الطمع والطائفة الاخرى جاءت اليه ظاهرا وللطمع باطنا فلا جرم غير الظاهر دون الباطن وفى اسئلة الحكم فان قلت ما الحكمة فى أن سائر الاشجار يخرج ثمرها فى كمامها اولا ثم تظهر الثمرة من الكمام ثانيا وشجرة التين اول ما يبدو ثمرها يبدو بارزا من غير كمام قلت لان آدم لم يستره الا شجرة التين فقال الله بعد ما سترت آدم اخرج منك المعنى قبل الدعوى وسائر الاشجار يخرج منها الدعوى قبل المعنى قال فى خريدة العجائب اذا انتثر رماد خشب التين فى البساتين هلك منه الدود ودخان التين يهرب منه البق والبعوض * واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله فى بقاع لا دهنية فيها كالجبال لكفى به فضلا وشجرته هى الشجرة المباركة المشهورة فى التنزيل ومر معاذ بن جبل رضى الله عنه بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبى عليه السلام يقول نعم سواك الزيتون هو سواكى وسواك الانبياء من قبلى وشجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة ومن خواصها انها تصبر عن الماء طويلا كالنخل و اذا لقط ثمرتها جنب فسدت والقت حملها وانتثر ورقها وينبغى ان تغرس فى المدر لكثرة الغبار لان الغبار كلما علا على زيتونها زاد دسمه ونضجه ورماد ورقها ينفع العين كحلا و يقوم مقام التوتيا وفى الحديث عليكم بالزيت فانه يكشف المرة ويذهب البلغم و يشد العصب و يمنع الغشى ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الهم قال الامام ان التين فى النوم رجل خير غنى فمن ناله فى المنام نال مالا وسعة ومن اكله رزقه الله اولادا ومن اخذ ورق الزيتون فى المنام استمسك بالعروة الوثقى وقال مريض لابن سيرين رايت فى المنام كأنه قيل لى كل اللاءين تشفى فقال كل الزيتون فانه لا شرقية ولا غربية وقال الطبرى المراد بالتين الجبل الذى عليه دمشق يعنى جبل الصالحية ويسمى جبل قاسيون والزيتون وهو طور زيتا الجبل الذى يلى بيت القدس من جهة المشرق وذلك ان التين ينبت كثيرا بدمشق والزيتون بايليا (وطور سينين) هو الجبل الذى ناجى عليه موسى عليه السلام ربه قال الماوردى ليس كل جبل يقال له طور الا ان يكون فيه الاشجار والثمار والا فهو جبل فقط وسينين وسيناء علمان للموضع الذى هو فيه ولذلك اضيف اليهما ومعنى سينين بالسريانية ذو الشجر او حسن مبارك بلغة الحبشة وفى كشف الاسرار اصل سينين سيناء بفتح السين وكسرها وانما قال ههنا سينين لان تاج الآيات النون كما قال فى سورة الصافات سلام على الياسين وهو الياس فخرج على تاج ايات السورة (وهذا البلد الامين) اى الآمن يقال امن الرجل بضم الميم امانة فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى وامانتها انها تحفظ من دخلها جاهلية واسلاما من قتل وسبى بحفظ الامين ما يؤتمن عليه و يجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول بمعنى المأمون فيه على الحذف

والايصال من امنه لانه مأمون الغوائل والعاهات كما وصف بالامن فى قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذى امن وفى الحديث من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشأهما عليهما السلام والطور المكان الذى نودى فيه موسى عليه السلام ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه ودربحر الحقائق آورده كه بزبان اشارت قسم است بشجرهٔ تينيهٔ قلبيه كه ثمرهٔ علوم دينيه است وشجرهٔ زيتونه مباركهٔ سريه كه روشنى بخش مصباح دلست وطور سينين روح معلى كه بتجلى الهى مجلى است وبلدامين خفى كه محل امن وامانست از هجوم آفات تعلقات اكوان يقول الفقير اشار بالتين الى علوم الحقيقة التى محلها السر الانسانى لانها لذة صرفة ولذا قدمت لانها المطلب الاعلى لتعلقها بذات الله وصفاته وافعاله وكما أن عمر شجرة التين قصير بالنسبة الى الزيتون فكذا عمر اهل الحقيقة غالبا اذلا معنى للبقاء فى الدار الفانية بعد حصول المقصود الذى هو الحياة الباقية الا أن يكون لارشاد الناس واشار بالزيتون الى علوم الشريعة التى محلها النفس الانسانية فهى ليست بنعيم محض لانه لابد فى الشريعة من اتعاب النفس والقالب واشار بطور سينين الى الروح الذى هو محل المعارف الالهية ومقام المناجاة واشار بالبلد الامين الى مكة الوجود المشتملة على بيت القلب فانه أمن اهلها من اختطاف الشياطين ودخول شر الوسواس الخناس فيها والى الاعمال القالبية الحاصلة بالحواس والاعضاء فالقالب اخذ الشرف من القلب وهو من الروح وهو من السر فلذا كان الكل جديرا بالاقسام به (لقد خلقنا الانسان) اى جنس الانسان (فى أحسن تقويم) يقال قام انتصب وقام الامر اعتدل كاستقام وقومته عدلته كما فى القاموس والتقويم تصيير الشئ على ما ينبغى ان يكون عليه فى التأليف والتعديل وعن يحيى بن اكثم القاضى انه فسر التقويم بحسن الصورة فانه حكى ان ملك زمانه خلا بزوجته فى ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكونى احسن من القمر فانت كذا فافتى الكل بالحنث الا يحيى بن اكثم قال لايحنث فقالوا خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد افتى من هو اعلم منا وهو الله تعالى قال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم فالانسان احسن الاشياء ولاشئ احسن منه وفى المفردات هو اشارة الى ما خص به الانسان من بين الحيوان من العقل والفهم وانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل ما فى هذا العالم والمعنى كائنا فى احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث براه تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء حسن الشكل كما قال وصوركم فاحسن صوركم اى صوركم احسن تصوير وكذا خلقه متصفا بالصفات الالهية من الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام التى هى الصورة الحقيقية الالهية المشار اليها بقوله عليه السلام خلق الله آدم على صورته وعليه يدور معنى قوله عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه فالانسان مظهر الجلال والجمال والكمال (ثم رددناه اسفل سافلين) اى جعلناه من اهل النار الذى هو اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل بمقتضاها لكان فى اعلى عليين والحاصل انه حول بسوء حاله من احسن تقويم الى اقبح تقويم صورة ومعنى لان مسخ الظاهر انما هو من مسخ الباطن فالمراد بالسافلين عصاة المؤمنين وافعل التفضيل هنا بتناول المتعدد المتفاوت واسفل سافلين اما حال من المفعول اى رددناه حال كونه اسفل سافلين اوصفة لمكان محذوف اى رددناه الى مكان هو اسفل امكنة السافلين والاول اظهر ثم هذا بحسب بعض الافراد الانسانية لانغماسهم فى بحر الشهوات الحيوانية البهيمية وانهماكهم فى ظلمات اللذات الجسمانية الشيطانية والسبعية وفيه اشارة الى أن الاعتبار انما هو بالصورة الباطنة لا بالصورة الظاهرة ولذا قال الشيخ سعدى * ره راست بايد نه بالاى راست * كه كافرهم ازروى صورة چوماست * فكم من مصور على احسن الصور فى الظاهر وهو فى الباطن على اقبح الهيئات ولذا يجيئ الناس يوم القيامة افواجا فان صفاتهم الباطنة تظهر على صورهم الظاهرة فتنوع صورهم بحسب صفاتهم على انواع وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق اى نكسناه فى خلقه فتقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وكل سمعه وبصره وتغير كل شئ منه * دور سه درم درد هن داشت جاى * چو ديوارى از خشت سيمين بپاى *

كنونم نكه كن بوقت سخن * بيفتاده يك يك چو سرو كهن * مرا همچنين جعد شبرنك بود * قبا در براز نازكى تنك بود * درين غايتم رشت بايد كفن * كه مويم چو پنبه است ودوكم بدن *
قال فى عين المعانى ولم تدخل لام الجنس فى سافلين كما ورد فى مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه لانه عنى اسفل الخرفين خاصة دون كل الناس من اهل الزمانة وفى كشف الاسرار السافلون هم الضعفاء من المرضى والزمنى والاطفال فالشيخ الكبير اسفل من هؤلاء جميعا (الا الذين آمنوا) ايمانا صادقا (وعملوا الصالحات) المأمور بها والمأجور عليها وهو على الاول استثناء متصل من ضمير ثم رددناه فانه فى معنى الجمع وعلى الثانى منقطع اى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى قال ابو الليث معنى قوله الا الذين الخ يعنى لا يخرف ولا يذهب عقل من كان عالما عاملا وفى الحديث طوبى لمن طال عمره وحسن عمله وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قرأ القرآن لم يرد الى ارذل العمر (فلهم اجر) فى دار الكرامة لانها المحل له ودخول الفاء لتضمن اسم لكن معنى الشرط وهو على الاول للتعليل اى لا يغير صورهم فى النار لانهم مثابون فى الجنة (غير ممنون) غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على ضعف نهوضهم وفى التيسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا مرض اوسافر كتب لهم مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما كذا روى فى الهرم وفى تفسير ابى الليث روى عن النبى عليه السلام انه قال ان المؤمن اذا مات صعد الملكان الى السماء فيقولان ان عبدك فلانا قدمات فأذن لنا حتى نعبدك على السماء فيقول الله ان سمواتى مملوة بملائكتى ولكن اذهبا الى قبره واكتبا حسناته الى يوم القيامة ويجوز ان يكون المعنى غير ممنون به عليهم كما سبق فى آخر سورة الانشقاق (فما يكذبك بعد بالدين) بعد مبنى على الضم لحذف المضاف اليه ونيته والاستفهام مشعر بالتعجب اى فاى شئ يكذبك يا محمد دلالة اونطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به اى ينسبك الى الكذب بسبب اثباتك الجزاء واخبارك عن البعث والمراد الآية الدالة على كمال القدرة فان من خلق الانسان السوى من الماء المهين وجعل ظاهره وباطنه على احسن تقويم ودرجه فى مراتب الزيادة الى ان استكمل واستوى ثم نكسه الى ان يبلغ الى ارذل العمر لاشك انه قادر على البعث والجزاء او فما يجعلك ايها الانسان كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعنى انك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب للحق فهو كاذب وحاصله ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح دليل على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء فاى شئ يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان (أليس الله باحكم الحاكمين) اى أليس الذى فعل ماذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء اى أليس ذلك بابلغ اتقانا للامور من كل متقن لها اذ الحاكم هو المتقن للامور ويلزمه كونه تام القدرة كامل العلم وحيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء والمعنى أليس الله باقضى القاضين يحكم بينك وبين من يكذبك بالحق والعدل يقال حكم بينهم اى قضى فالآية وعيد للمكذبين وانه يحكم عليهم بما هم اهله وكان عليه السلام اذا قرأها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين يعنى خارج الصلاة كما فى عين المعانى ويأمر بذلك ايضا قال من قرأ أليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ هذه السورة اعطاه الله خصلتين العافية واليقين مادام فى الدنيا ويعطى من الاجر بعدد من قرأها

تمت سورة التين بعون الله المعين

* (سورة العلق ثمان عشرة اوتسع عشرة آية مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(اقرأ) اى ما يوحى اليك يا محمد فان الامر بالقراءة يقتضى المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة اول مانزل املا فليس فيه تكليف ما لا يطاق سواء دل الامر على الفور اولا والاقرب أن هذا الى قوله مالم يعلم اول مانزل عليه صلى الله عليه وسلم على مادلت عليه الاحاديث الصحيحة والخلاف انما هو فى تمام السورة عن عائشة رضى الله عنها اول ما ابتدئ به رسول الله عليه السلام من النبوة حين اراد الله به كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة كان لا يرى رؤيا الاجاءت كفلق

الصبح اى كضيائه وانارته فلا يشك فيها احد كما لا يشك فى وضوح ضياء الصبح وانما ابتدأ عليه السلام بالرؤيا
لئلا يفجأه الملك الذى هو جبريل بالرسالة ولا تحملها القوة البشرية لانها لا تحتمل رؤية الملك وان لم يكن
على صورته الاصلية ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به فكانت الرؤيا تأنيسا له وكانت مدة الرؤيا ستة اشهر
على ما هو وادنى الحمل ثم جاءه الملك فعبر من عالم الرؤيا الى عالم المثال ولذا قال الصوفية ان الحاجة الى التعبير
انما هى فى مرتبة النفس الامارة واللوامة واذا وصل السالك الى النفس الملهمة كما قال تعالى فالهمها فجورها
وتقواها قل احتياجه الى التعبير لانه حينئذ يكون ملهما من الله تعالى فرتبة الالهام له كمرتبة مجيئ
الملك للرسول عليه السلام فاذا كانت مدة الرؤيا ذلك العدد يكون ابتداؤها فى شهر ربيع الاول وهو مولده
عليه السلام ثم اوحى اليه فى اليقظة فى شهر رمضان وكان عليه السلام فى تلك المدة اذا خلا يسمع نداء يا محمد
يا محمد ويرى نورا اى يقظة وكان يخشى ان يكون الذى يناديه تابعا من الجن كما ينادى الكهنة وكان فى جبل
حراء غار وهو الجبل الذى نادى رسول الله بقوله الى يا رسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عنى
يا رسول الله فانى اخاف ان تقتل على ظهرى وكان عليه السلام يتعبد فى ذلك الغار الليالى ثلاثا وسبعا وشهرا
ويتزود لذلك من الكعك والزيت وذلك فى تلك المدة وقبلها واول من تعبد فيه من قريش جده عبد المطلب
ثم تبعه سائر المتألهين وهم ابو امية بن المغيرة وورقة بن نوفل ونحوهما وكان ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد الله
العزى بن قصى بن عم خديجة رضى الله عنها وكان قد قرأ الكتب وكتب الكتاب العبرى وكان شيخا كبيرا
قد عمى فى اواخر عمره ثم لما بلغ عليه السلام رأس الاربعين ودخلت ليلة سبع عشرة من شهر رمضان جاءه الملك
وهو فى الغار كما قال الامام الصرصرى رحمه الله

واتت عليه اربعون فاشرقت * شمس النبوة منه فى رمضان

قالت عائشة رضى الله عنها جاءه الملك سحر يوم الاثنين فقال اقرأ قال ما انا بقارئ قال فأخذنى فغطنى
اى ضمنى وعصرنى ثم ارسلنى فعله ثلاث مرات ثم قال اقرأ الى قوله ما لم يعلم واخذ منه القاضى شريح من التابعين
ان المعلم لا يضرب الصبى على تعليم القرآن اكثر من ثلاث ضربات فخرج عليه السلام من الغار حتى اذا كان
فى جانب من الجبل سمع صوتا يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل ورجع الى خديجة يرجف فؤاده
فحدثها بما جرى فقالت له ابشر يا ابن عمى واثبت فوالذى نفسى بيده انى لارجو ان تكون نبى هذه الامة
ثم انطلقت الى ورقة فاخبرته بذلك فقال فيه

فان يك حقا يا خديجة فاعلمى * حديثك ايانا فاحمد مرسل
وجبريل يأتيه وميكائيل معهما * من الله وحى يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز عز الدينه * ويشقى به الغاوى الشقى المضلل
فريقان منهم فرقة فى جنانه * واخرى باغلال الجحيم تغلل

ومكث عليه السلام مدة لا يرى جبريل وانما كان كذلك ليذهب عنه ما كان يجده من الرعب وليحصل له
الشوق الى العود وكانت مدة الفترة اى فترة الوحى بين اقرأ وبين يا ايها المدثر وتوفى ورقة فى هذه الفترة ودفن
بالحجون وقد آمن به عليه السلام وصدقه قبل الدعوة التى هى الرسالة ولذا قال عليه السلام لقد رأيته فى الجنة
وعليه ثياب الحرير ثم نزل يا ايها المدثر قم فانذر فظهر الفرق بين النبوة والرسالة قال بعض العارفين اهل الارادة
فى الطلب والمراد مطلوب وهو نعت الحبيب الا ترى انه لما قيل له اقرأ استقبله الامر من غير طلب ونظيره
ألم نشرح لك صدرك فانه فرق بينه وبين قول موسى رب اشرح لى صدرى (باسم ربك) متعلق بمضمر هو حال
من ضمير الفاعل اى اقرأ ملتبسا باسم الله تعالى اى مبتدئا به ليتحقق مقارنته لجميع اجزاء المقروء اى قل
بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ فعلم ان اقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الامام البخارى رحمه الله
امره بذلك لان ذكر اسم الله قوة له فى القراءة وانس بمولاه فان الانس بالاسم يفضى الى الانس بالمسمى والذكر
باللسان يؤدى الى الذكر بالجنان والباء فى باسم بره تعالى على المؤمنين بانواع الكرامات فى الدارين والسين
كونه سميعا لدعاء الخلق جميعا والميم معناه من العرش الى تحت الثرى ملكه وملكه وفى الكواشى دخلت الباء
فى اقرأ باسم ربك لتدل على الملازمة والتكرير كأخذت بالخطام ولو قلت اخذت الخطام لم يدل على التكرير

والدوام وفى كتاب شمس المعارف اول آية نزلت على وجه الارض بسم الله الرحمن الرحيم يعنى على آدم الصفى عليه السلام فقال آدم الآن علمت ان ذريتى لا تعذب بالنار ما دامت عليها ثم انزلت على ابراهيم عليه السلام فى المنجنيق فانجاه الله بها من النار ثم على موسى عليه السلام فقهر بها فرعون وجنوده ثم على سليمان عليه السلام فقالت الملائكة الآن والله قد تم ملكك فهى آية الرحمة والامان لرسله وامهم ولما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كانت فتحا عظيما فأمر رسول الله فكتبت على رؤوس السور وظهور الدفاتر واوائل الرسائل وحلف رب العزة بعزته ان لا يسميه عبد مؤمن على شئ الا بورك له فيه وكانت لقائلها حجابا من النار وهى تسعة عشر حرفا تدفع تسعة عشر زبانية وفى الخبر النبوى لو وضعت السموات والارضون وما فيهن وما بينهن فى كفة والبسملة فى كفة لرجحت عليها يعنى البسملة (الذى خلق) وصف الرب به لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القرآءة للحى العالم المتكلم اى الذى له الخلق والمستأثر به لا خالق سواه فيكون خلق منزلا منزلة اللازم وبه يتم مرام المقام لدلالته على ان كل خلق مختص به او خالق كل شئ فيكون من حذف المفعول للدلالة على التعميم وقال فى فتح الرحمن لما ذكر الرب وكانت العرب فى الجاهلية تسمى الاصنام اربابا جاء بالصفة التى لا شركة للاصنام فيها فقال الذى خلق (خلق الانسان) على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدآئع الصنع والتدبير وعلى الثانى افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو اشرفهم وعليه نزل التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته (من علق) جمع علقة كثمر وثمرة وهى الدم الجامد واذ جرى فهو المسفوح اى دم جامد رطب يعلق بما مر عليه لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع حيث لم يقل علقة بناء على ان الانسان فى معنى الجمع لأن الالف فيد للاستغراق لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقوم الدلائل الدالة على وجوده تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى من القراءة وفى حواشى ابن الشيخ ان الحكيم سبحانه لما اراد ان يبعثه رسولا الى المشركين لو قال له اقرأ باسم ربك الذى لا شريك له لابوا ان يقبلوا ذلك منه لكنه تعالى قدم فى ذلك مقدمة تلجئهم الى الاعتراف به حيث امر رسوله ان يقول لهم انهم هم الذين خلقوا من العلقة ولا يمكنهم انكاره ثم ان يقول لهم لابد للفعل من فاعل فلا يمكنهم ان يضيفوا ذلك الفعل الى الوثن لعلمهم بانهم نحتوه فبهذا التدريج يقرون بانى انا المستحق للثناء دون الاوثان لأن الالهية موقوفة على الخالقية ومن لم يخلق شيأ كيف يكون الها مستحقا للعبادة ومن هذه الطريقة ما يحكى ان زفر لما بعثه ابو حنيفة رحمه الله الى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل اليهم وذكر ابا حنيفة منعوه ولم يلتفتوا اليه فرجع الى ابى حنيفة واخبره بذلك فقال له ابو حنيفة انك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع اليهم واذكر فى المسألة اقاويل ائمتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولى وحجتى فاذا تمكن ذلك فى قلبهم فقل هذا قول ابى حنيفة فانهم حينئذ يستحسنونه فلا يردونه (اقرأ) اى افعل ما امرت به وكرر علامة الامر بالقرآءة تأكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى (وربك الاكرم) الخ فانه كلام مستأنف ولذا وضع السجاوندى علامة الوقف الجائز على خلق وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله ما انا بقارئ يريد ان القرآءة شأن من يكتب ويقرأ وانا امى فقيل له وربك الذى امرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الاكرم اى الزائد فى الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا غرض ولا يطلب مدحا او ثوابا او تخلصا من المذمة وايضا ان كل كريم انما اخذ الكرم منه فكيف يساوى الاصل وقال ابن الشيخ ربك مبتدأ والاكرم صفته والذى مع صلته خبر (الذى علم بالقلم) اى علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقال بعضهم علم الخط بالقلم والقلم ما يكتب به لانه يقلم ويقص

ويقطع وفيه امتنان على الانسان بتعليم علم الخط والكتابة بالقلم ولذلك قيل العلم صيد والكتابة قيده وقيل

وما من كاتب الاسيبلى * ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شئ * يسرك فى القيامة ان تراه

ولولا القلم ما استقامت امور الدين والدنيا وفيه اشارة الى القلم الاعلى الذى هو اول موجود وهو الروح النبوى عليه السلام فان الله علم القلب بواسطته مالم يعلم من العلوم التفصيلية قال كعب الاحبار اول من وضع الكتاب العربى والسريانى والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة كتبها فى الطين ثم طبخه فاستخرج ادريس ما كتب آدم وهذا هو الاصح واما اول من كتب خط الرمل فادريس عليه السلام واول من كتب بالفارسية طهمورث ثالث ملوك الفرس واول من اتخذ القراطيس يوسف عليه السلام قال السيوطى رحمه الله اول ما خلق الله القلم قال له اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة واول ما كتب القلم انا التواب اتوب على من تاب قال بعضهم وجه المناسبة بين الخلق من العلق وتعليم القلم ان ادنى مراتب الانسان كونه علقة واعلاها كونه عالما فالله تعالى امتن على الانسان بنقله من ادنى المراتب وهى العلقة الى اعلاها وهو تعلم العلم ثم الله الذى خلق الانسان على صورته الحقيقية خلقه من علقة التجلى الاولى الحبى المشار اليه بقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق فصارت المحبة الذاتية علقة بالايجاد الحبى وهو اكرم الاكرمين اذ هو جامع محيط بجميع الاسماء الدالة على الكرم كالجواد والواهب والمعطى والرازق وغيرها (علم الانسان مالم يعلم) بدل اشتمال من علم بالقلم وتعيين للمفعول اى علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية مالم يخطر بباله اصلا فان قلت فاذا كان القلم والخط من المنن الالهية فما باله عليه السلام لم يكتب قلت لانه لو كتب لقيل قرأ القرآن من صحف الاولين ومن كان القلم الاعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره لا يحتاج الى تصوير الرسوم وتشكيل العلوم بالآلات الجسمانية لان الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية وفيه اشارة بديعة الى ان امته بين الامم هم الروحانيون وصفهم سبحانه فى الانجيل امة محمد اناجيلهم فى صدورهم لولم يكن رسم الخطوط لكانوا يحفظون شرائعه عليه السلام بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعداداتهم (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة فى الزجر فيوقف عليه وقال السجاوندى يوقف على مالم يعلم لانه بمعنى حقا ولذا وضع علامة الوقف عليه (ان الانسان ليطغى) اى يتجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل ان هذا الى اخر السورة نزل فى ابى جهل بعد زمان وهو الظاهر (ان راه استغنى) مفعول له اى يطغى لان رأى وعلم نفسه مستغنيا او ابصر مثل ابى جهل واصحابه ومثل فرعون ادعى الربوبية قال ابن مسعود رضى الله عنه منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا ولا يستويان اما طالب العلم فيزداد فى رضى الله واما طالب الدنيا فيزداد فى الطغيان وتعليل طغيانه برؤيته لنفسه الاستغناء للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روى ان اباجهل قال لرسول الله عليه السلام ازعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله عن الدعاء ابقاء عليهم ورحمة واول هذه السورة يدل على مدح العلم واخرها على مذمة المال وكفى بذلك مرغبا فى العلم والدين ومنفرا عن المال والدنيا وكان عليه السلام يقول اللهم انى اعوذ بك من غنى يطغى وفقر ينسى وفيه اشارة الى ان الانسان اذا رأى نفسه مظهر بعض صفات ربه واسمائه يدعيها لنفسه ويظن ان تلك الصفات والاسماء الالهية المودعة فيه بحكمة بالغة ملك له وهو مالكها فيعجب بها وبكمالاتها فيستغنى عن مالكها الذى اودعها فيه ليستدل بها على خالقه وبارئه (ان الى ربك الرجعى) الرجعى مصدر بمعنى الرجوع والالف للتأنيث اى ان الى مالك امرك ايها الانسان رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وانجاهمه راعمل بكارا ايدنه اموال * توانكرى نه بمالست نزد اهل كمال * كه مال تالب كورست و بعد ازان اعمال (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) الاستفهام للتعجيب والرؤية بصرية والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية وتنكير عبد للتفخيم عليه السلام كأنه قيل ينهى اكمل الخلق فى العبودية عن عبادة ربه والعدول عن ينهاك الى ينهى عبدا دال على ان النهى كان

للعبد عن اقامة خدمة مولاه ولا اقبح منه روى ان اباجهل قال فى ملاء من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلى
لاطأن عنقه وفى التكملة نهى محمدا عن الصلاة وهم ان يلقى على رأسه حجرا فرآه فى الصلاة وهى صلاة الظهر
فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا مالك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت والمراد اجنحة
الملائكة ابصر اللعين الاجنحة ولم يبصر اصحابها فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لو دنا منى لاختطفته
الملائكة عضوا عضوا وكان ابوجهل يكنى فى الجاهلية بأبى الحكم لانهم كانوا يزعمون انه عالم ذو حكمة
ثم سمى اباجهل فى الاسلام يقول الفقير كان عليه السلام يدعو ويقول اللهم اعز الاسلام بابى جهل او بعمر فلما
اعزه الله بعمر رضى الله عنه دل على ان عمر اسعد قريش كما ان اباجهل اشقى قريش اذ الاشياء تتبين باضدادها
(ارأيت) رؤية قلبية معناه اخبرنى ذلك الناهى وهو المفعول الاول (ان كان على الهدى) فيما ينهى عنه من
عباد الله (اوامر بالتقوى) اى امر بالتقوى فيما امر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وهذه الجملة الشرطية
بجوابها المحذوف وهو الم يعلم بان الله يرى سدت مسد المفعول الثانى فان المفعول الثانى لأرأيت لا يكون
الاجملة استفهامية او قسمية وانما حذف جواب هذه الشرطية اكتفاء عنه بجواب الشرطية الثانية لان قوله
ان كذب وتولى مقابل للشرط الاول وهو ان كان على الهدى اوامر بالتقوى والآية فى الحقيقة تهكم بالناهى
ضرورة انه ليس فى النهى عن عباده تعالى والامر بعبادة الاصنام على هدى البتة (ارأيت) اخبرنى ذلك
الناهى (ان كذب وتولى) اى ان كان مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن ونظم الامر والتكذيب
والتولى فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها
عن الفاعل فان ذلك ليس فى حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التى هى كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا
(الم يعلم بان الله يرى) جواب للشرطية الثانية اى يطلع على احواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل اى قد علم
ذلك الناهى ان الله يرى فكيف صدر منه ما صدر وانما افرد التكذيب والتولى بشرطية مستقلة مقرونة
بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظمهما فى سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما
بالوقوع فى نفس الامر وباستتباع الوعيد الذى ينطق به الجواب واما القسم الاول فأمر مستحيل قد ذكر
فى حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر فى تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية
وقيل المعنى ارأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى امرا بالتقوى والناهى مكذب متول ولا اعجب
من ذا بزركان كفته اند ركلمة ان الله يرى هم وعده ند رجست وهم وعيد اى فاسق توبه كن كه ترا ميبيند
اى مرايى اخلاص ورز كه ترا ميبيند اى درخلوت قصد كناه كرده هش دار كه ترامى بيند دروپشى بعد از كناهى
توبه كرده بود وپيوسته مى كريست كفتند چندمى كريى خداى تعالى غفورست كفت آرى هر چند عفو
كند خجلت ازا كه او مى ديده چه كونه دفع كنم * كيرم كه تواز سركنه دركذرى * زان شرم كه ديدى كه
چه كردم چه كنم * قال ابو الليث رحمه الله والآية عظة لجميع الناس وتهديد لمن يمنع عن الخير وعن الطاعة
وقال ابن الشيخ فى حواشيه وهذه الآية وان نزلت فى حق ابى جهل لكن كل من نهى عن طاعة فهو شريك
ابى جهل فى هذا الوعيد ولا يلزم عليه المنع من الصلاة فى الدار المغصوبة والاوقات المكروهة لان المنهى عنه
غير الصلاة وهو المعصية فان عدم مشروعية الوصف المقارن وكونه مستحقا لان ينهى عنه لا ينافى مشروعية
اصل الصلاة الا انه لشدة الاتصال بينهما بحيث يكون النهى عن الوصف موهما للنهى عن الاصل احتاط فيه
بعض الاكابر حتى روى عن على رضى الله عنه انه رأى فى المصلى اقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال ما رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له الا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل تحت وعيد قوله تعالى
ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهى عن الصلاة احتياطا واخذ ابو حنيفة هذا الادب الجميل
حتى قال له ابو يوسف اتقول المصلى حين يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفرلى قال يقول ربنا لك الحمد ويسجد
ولم يصرح بالنهى (كلا) ردع للناهى اللعين وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله وامره بعبادة اللات
(لئن لم ينته) اللام موطئة للقسم المضمر اى والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر ولم يتب ولم يسلم قبل الموت
والاصل ينتهى بالياء يقال نهاه ينهاه نهيا ضد امره فانتهى (لنسفعا بالناصية) اصله لنسفعن بالنون الخفيفة
للتأكيد ونظيره وليكونا من الصاغرين كتب فى المصحف بالالف على حكم الوقف فانه يوقف على هذه النون

بالالف تشبيها لها بالنون والسفع القبض على الشئ وجذبه بعنف وشدة والناصية شعر مقدم الرأس والمعنى
لنأخذن فى الآخرة بناصيته ولنسحبنه بها الى النار ويعنى لنأمرن الزبانية ليأخذوا بناصيته ويجروه الى النار
بالتحقير والاهانة وكانت العرب تأنف من جر الناصية وفى عين المعانى الاخذ بالناصية عبارة عن القهر
والهوان والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور أن المراد ناصية الناهى المذكور ويحتمل ان يكون
المراد من هذا السفع سحبه على وجهه فى الدنيا يوم بدر فيكون بشارة بان يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجروه
على وجهه اذا عاد الى النهى فلما عاد مكنهم الله من ناصيته يوم بدر (روى) انه لما نزلت سورة الرحمن قال
عليه السلام من يقرأها على رؤساء قريش فتثاقلوا فقام ابن مسعود رضى الله عنه وقال انا فأجلسه
عليه السلام ثم قال ثانيا من يقرأها عليهم فلم يقم الا ابن مسعود رضى الله عنه ثم ثالثا الى ان اذن له وكان
عليه السلام يبقى عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح
قراءة السورة فقام ابو جهل فلطمه فشق اذنه وادماها فانصرف وعينه تدمع فلما رآه عليه السلام رق قلبه
واطرق رأسه مغموما فاذا جبرآئيل جاء ضاحكا مستبشرا فقال يا جبرآئيل تضحك ويبكى ابن مسعود فقال
سيعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ فى الجهاد فقال له عليه السلام خذ رمحك
والتمس فى الجرحى من كان له رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين فاخذ يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع
يخور فخاف ان تكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه ولعل هذا قوله سنسمه على الخرطوم
ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيلة فلما رآه ابو جهل قال له يا رويعى الغنم
لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له ابو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن
احد ابغض الى منه فى حال مماتى فروى انه عليه السلام لما سمع ذلك قال فرعونى اشد من فرعون موسى
فانه قال آمنت وهو قد زاد عتوا ثم قال يا ابن مسعود اقطع بسيفى هذا لانه احد واقطع فلما قطع رأسه لم يقدر
على حمله فشق اذنه وجعل الخيط فيها وجعل يجره الى رسول الله عليه السلام وجبرائيل بين يديه يضحك ويقول
يا محمد اذن باذن لكن الرأس ههنا مع الاذن مقطوع ولعل الحكيم سبحانه انما خلقه ضعيفا حتى لم يقو على
الرأس المقطوع لوجوه احدها ان ابا جهل كلب والكلب يجر ولا يحمل والثانى لشق الاذن فيقتص الاذن
بالاذن والثالث ليحقق الوعيد المذكور بقوله لنسفعا بالناصية فيجر تلك الرأس على مقدمها قال ابن الشيخ
والناصية شعر الجبهة وقد يسمى مكان الشعر ناصية ثم انه تعالى كنى بها ههنا عن الوجه والرأس ولعل السبب
فى تخصيص السفع بها ان اللعين كان شديد الاهتمام بترجيل الناصية وتطييبها (ناصية كاذبة خاطئة) بدل
من الناصية وانما جاز ابدالها من المعرفة وهى نكرة لوصفها ووصف الناصية بالكذب والخطأ على الاسناد
المجازى وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذب خاطئ كأن الكافر بالغ فى الكذب قولا
والخطأ فعلا الى حيث أن كلا من الكذب والخطأ ظهر من ناصيته وكان ابو جهل كاذبا على الله فى أنه لم يرسل
محمدا وكاذبا فى أنه ساحر ونحوه وخاطئا بما تعرض له عليه السلام بانواع الاذية (فليدع) من الدعوة يعنى
كو بخواند ابو جهل (ناديه) اى اهل ناديه ومجلسه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم اى يجتمعون
وقدر المضاف لان نفس المجلس والمكان لا يدعى ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله ودار الندوة بمكة
كانوا يجتمعون فيها للتشاور وهى الآن المحفل الحنفى روى أن ابا جهل مر برسول الله وهو يصلى فقال ألم انهك
فاغلظ له رسول الله فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا يريد كثرة من يعينه فنزلت (سندع الزبانية)
اى ملائكة العذاب ليجروه الى النار وواحدهم يغلب على ألف ألف من امثال اهل ناديه قال عليه السلام
لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا اجتمعت المصاحف العثمانية على حذف الواو من سندع خطا ولا موجب
للحذف من العربية لفظا ولعله للمشاكلة مع فليدع او للتنبيه بالامر فى ان الدعاء امر لا بد منه وقال ابن خالويه
فى اعراب الثلاثين آية الاصل سندعو بالواو وغير ان الواو ساكنة فاستقبلتها اللام ساكنة فسقطت الواو
فى المصحف من سندع ويدع الانسان ويمح الله الباطل وكذلك الياء من واد النمل وان الله لهاد الذين آمنوا
والعلة فيهن ما انبأتك من بنيتهم الخط على اللفظ انتهى والزبانية فى الاصل فى كلام العرب الشرط كصرد جمع
شرطة بالضم وهم طائفة من اعوان الولاة سموا بذلك لانهم اعلموا انفسهم بعلامات يعرفونها كما فى القاموس

والشرط بالتحريك العلامة والواحد زبنية كعفرية و عفرية الشيك شعرة القفا التي يردها الى يافوخه عند الهراش من الزبن بالفتح كالضرب وهو الدفع لأنهم يزبنون الكفار اى يدفعونهم في جهنم بشدة وبطش يعني أن ملائكة العذاب سموا به كما سمي به الشرط تشبيها لهم بهم في البطش والقهر والعنف والدفع وقيل الواحد زبني كأنه نسب الى الزبن ثم غير الى زبانية كأنسي بكسر الهمزة واصلها زباني وقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء بعد حذفها للمبالغة في الدفع وفيه اشارة الى التجليات القوية الجلالية الجرارة اباجهل النفس الامارة واهل ناديه الذي هو الهوى وقواه الظلمانية الى نار الخذلان وجهنم الخسران (كلا) ردع بعد ردع للناهي المذكور وزجر له اثر زجر فهو متصل بما قبله ولذا جعلوا الوقف عليه وقفا مطلقا (لا تطعه) اى دم على ما انت عليه من معاصاة ذلك الناهي الكاذب الخاطئ كقوله تعالى ولا تطع المكذبين (واسجد) وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به (واقترب) وتقرب بذلك السجود الى ربك وفي الحديث (اقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد فأكثروا من الدعاء في السجود) كلمة ما مصدرية وأقرب مبتدأ حذف خبره و يكون تامة اى اقرب وجود العبد من ربه حاصل وقت سجوده ودر فتوحات اين را سجدة قرب كفته وهذا محل سجود عند الثلاثة خلافا لمالك وهم على اصولهم في قولهم بالوجوب والسنية ثم ان السجود اشارة الى ازالة حجاب الرياسة وفي الحديث (لا كبر مع السجود) يعني هركه سجده آرد از كبر دور كشت وبردركاه الله شرف متواضعان يافت روى أن ابراهيم عليه السلام اضاف يوما مائتي مجوسي فلما اكلوا قالوا امرنا يا ابراهيم قال ان لي اليكم حاجة فقالوا وما حاجتك قال اسجدوا لربي سجدة واحدة فتشاوروا فيما بينهم فقالوا ان هذا الرجل قد صنع معروفا كثيرا فلو سجدنا لربه ثم رجعنا الى آلهتنا لا يضرنا ذلك بشيء فسجدوا جميعا فلما وضعوا رؤسهم على الارض ناجى ابراهيم ربه فقال اني جهدت جهدي حتى جاتهم على هذا ولا طاقة لي على غيره وانما التوفيق والهداية بيدك اللهم زين صدورهم بالاسلام فلما رفعوا رؤسهم من السجود اسلموا وللسجدة اقسام سجدة الصلاة وسجدة التلاوة وسجدة السهو وهذه مشهورة وسجدة التعظيم لجلال الله وكبريائه وسجدة التضرع اليه خوفا وطمعا وسجدة الشكر له وسجدة المناجاة وهذه مستحبة في الاصح صادرة عن الملائكة وعن رسول الله عليه السلام وسائر الانبياء والاولياء عليهم السلام وقال ابو حنيفة ومالك سجود الشكر مكروه فيقتصر على الحمد والشكر باللسان وقال الامامان هي قربة يثاب فاعلها وقال القاشاني قرأ عليه السلام في هذه السجدة اى سجدة اقرأ (اعوذ بعفوك من عقابك) اى بفعلك من فعلك (واعوذ برضاك من سخطك) اى بصفتك من صفتك (واعوذ بك منك) اى بذاتك من ذاتك وهو معنى اقترابه بالسجود

* (سورة القدر خمس اوست آيات مكية وقيل مدنية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا انزلناه في ليلة القدر) النون للعظمة او للدلالة على الذات مع الصفات والاسماء والضمير للقرآن لأن شهرته تقوم مقام تصريحه باسمه وارجاع الضمير اليه فكأنه حاضر في جميع الاذهان وعظمه بأن اسند انزاله الى جنابه مع أن نزوله انما يكون بواسطة الملك وهو جبرآئيل على طريقة القصر بتقديم الفاعل المعنوي الا انه اكتفى بذكر الاصل عن ذكر التبع قال في بعض التفاسير انا انزلناه مبتدأ او خبر في الاصل بمعنى نحن انزلناه فادخل ان للتحقيق فاختير اتصال الضمير للتخفيف ومعنى صيغة الماضي انا حكمنا بانزاله في ليلة القدر وقضينا به وقدرناه في الازل ثم ان الانزال يستعمل في الدفعي والقرآن لم ينزل جملة واحدة بل انزل منجما مفرقا في ثلاث وعشرين سنة وهذه السورة من جملة ما انزل وجوابه ان المراد ان جبرآئيل نزل به جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في السماء الدنيا واملاه على السفرة اى الملائكة الكاتبين في تلك السماء ثم كان ينزل على النبي عليه السلام منجما على حسب المصالح وكان ابتداء تنزيله ايضا في تلك الليلة وفيه اشارة الى ان بيت العزة اشرف المقامات السماوية بعد اللوح المحفوظ لنزول القرآن منه اليه ولذلك قيل بفضل السماء الاولى على اخواتها لانها مقر لوحي الرباني وقيل لشرف المكان بالمكين وكل منهما وجه فان السلطان انما ينزل على ازين مكان ولو فرض نزوله على مسبخة لكفى نزوله هناك شرفا لها فالمكان الشريف يزداد شرفا بالمكين الشريف كما سبق في سورة البلد ففي نزول القرآن بالتدريج اشارة الى تعظيم الجناب المحمدي كما تدخل

الهدايا شيأ بعد شئ على ايدى الخدام تعظيا للمهدى اليه بعد التسوية بينه وبين موسى عليهما السلام بانزاله جملة الى بيت العزة وفى التدريج ايضا تسهيل للحفظ وتثبيت لفؤاده كما قال تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك وكلام الله المنزل قسمان القرآن والخبر القدسى لان جبرائيل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لان جبرائيل اداها بالمعنى ولم تجز القراءة بالمعنى لان جبرائيل اداها باللفظ والسر فى ذلك التعبد بلفظه والاعجاز به فانه لا يقدر احد أن يأتى بدله بما يشتمل عليه من الاعجاز لفظا ومن الاسرار معنى فكيف يقوم لفظ الغير ومعناه مقام حرف القرآن ومعناه ثم ان اللوح المحفوظ قلب هذا التعين ولكن قلب الانسان الطف منه لانه زبدته واشرفه لان القرآن نزل به الروح الامين على قلب النبى المختار وهنا سؤال وهو ان الملائكة باسرهم صعقوا ليلة نزول القرآن من حضرة اللوح المحفوظ الى حضرة بيت العزة فما وجهه والجواب ان محمدا صلى الله عليه وسلم عندهم من اشراط القيامة والقرآن كتابه فنزوله دل على قيام الساعة فصعقوا هيبة منه واجلالا لكلامه وحضرة وعده ووعيده وفى بعض الاخبار ان الله تعالى اذا تكلم بالرحمة تكلم بالفارسية والمراد بالفارسية لسان غير العرب سريانيا كان اوعبرانيا واذا تكلم بالعذاب تكلم بالعربية فلما سمعوا العربية المحمدية ظنوا انه عقاب فصعقوا وسيأتى معنى القدر ثم القرآن كلامه القديم انزله فى شهر رمضان كما قال الله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن وهذا هو البيان الاول ولم ندر نهارا انزل فيه ام ليلا فقال تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة وهذا هو البيان الثانى ولم ندر اى ليلة هى فقال تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر فهذا هو البيان الثالث الذى هو غاية البيان فالصحيح ان الليلة التى يفرق فيها كل امر حكيم وينسخ فيها امر السنة وتدبير الاحكام الى مثلها هى ليلة القدر ولتقدير الامور فيها سميت ليلة القدر ويشهد التنزيل لما ذكرنا اذ افى اول الآية انا انزلناه فى ليلة مباركة ثم وصفها فقال فيها يفرق كل امر حكيم والقرآن انما نزل فى ليلة القدر فكانت هذه الآية بهذا الوصف فى هذه الليلة مواطئة لقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر كذا فى قوت القلوب للشيخ ابى طالب المكى قدس سره فان قلت ما الحكمة فى انزال القرآن ليلا قلت لان اكثر الكرامات ونزول النفحات والاسراء الى السموات يكون بالليل والليل من الجنة لانها محل الاستراحة والنهار من النار لان فيه المعاش والتعب والنهار حظ اللباس والفراق والليل حظ الفراش والوصال وعبادة الليل افضل من عبادة النهار لان قلب الانسان فيه اجمع والمقصود هو حضور القلب قال بعض العارفين اعمل التوحيد فى النهار والاسم فى الليل حتى تكون جامعا بين الطريقتين الجلوتية بالجيم والخلوتية ويكون التوحيد والاسم جناحين لك (وما ادراك ما ليلة القدر) اى واى شئ اعلمك يا محمد ما هى اى انك لا تعلم كنهها لان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها الا علام الغيوب وهو تعظيم للوقت الذى انزل فيه ومن بعض فضائل ذلك الوقت انه يرتفع سؤال القبر عمن مات فيه وكذا فى سائر الاوقات الفاضلة ومن ذلك العيد ثم مقتضى الكرم ان لا يسأل بعده ايضا وقد وقع تجلى الافعال لسيد الانبياء عليه السلام فى رجب ليلة الجمعة الاولى بين العشاءين فلذا استحب صلاة الرغائب وحينئذ تجلى الصفات فى نصف شعبان فلذا استحب صلاة البراءة بعد العشاء قبل الوتر وتجلى الذات فى ليلة القدر ولذلك استحب صلاة القدر فيها كما سيجئ ولما كان هذا معربا عن الوعد بادرآنها قال (ليلة القدر) اى قيامها والعبادة فيها (خير من الف شهر) اى من صيامها وقيامها ليس فيها ليلة القدر حتى لا يلزم تفضيل الشئ على نفسه فخير هنا للتفضيل اى افضل واعظم قدرا واكثر اجرا من تلك المدة وهى ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر وفى الحديث من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما فى كشف الاسرار قال الخطابى قوله ايمانا واحتسابا اى بنية وعزيمة وهو ان يصومه على التصديق والرغبة فى ثوابه طيبة به نفسه غير كاره له ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه لكن يغتنم طول ايامه لعظم الثواب وقال البغوى قوله احتسابا اى طلبا لوجه الله وثوابه يقال فلان يحتسب الاخبار اى يطلبها كذا فى الترغيب والترهيب والمراد بالقيام صلاة التراويح وقال بعضهم المراد مطلق الصلاة الحاصل بها قيام الليل قوله غفر له ما تقدم من ذنبه قيل المراد الصغائر وزاد بعضهم ويخفف من الكبائر اذا لم يصادف صغيرة وقوله وما تأخر هو كناية من حفظهم من الكبائر

بعد ذلك او معناه ان ذنوبهم تقع مغفورة كذا فى شرح الترغيب المسمى بفتح القريب وقال سعيد بن المسيب
من شهد المغرب والعشاء فى جماعة فقد اخذ حظه من ليلة القدر كما فى الكواشى ثم ان نهار ليلة القدر مثل
ليلة القدر فى الخير وفيه اشارة الى ان ليلة القدر للعارفين خير من الف شهر للعابدين لان خزائنه تعالى
مملوءة من العبادات ولا قدر الا للفناء واهله وللشهود واصحابه واختلفوا فى وقتها فاكثرهم على انها فى شهر
رمضان فى العشر الاواخر فى اوتارها لقوله عليه السلام التمسوها فى العشر الاواخر من رمضان فاطلبوها
فى كل وتر وانما جعلت فى العشر الاخير الذى هو مظنة ضعف الصائم وفتوره فى العبادة ليتجدد جده
فى العبادة رجاء ادراكها وجعلت فى الوتر لان الله وتر يحب الوتر ويتجلى فى الوتر على ما هو مقتضى الذات الاحدية
واكثر الاقوال انها السابعة لامارات واخبار تدل على ذلك احدها حديث ابن عباس رضى الله عنهما
ان السورة ثلاثون كلمة وقوله هى السابعة والعشرون منها ومنها ما قال ابن عباس ايضا ليلة القدر تسعة
احرف وهو مذكور فى هذه السورة ثلاث مرات فتكون السابعة والعشرين ومنها انه كان لعثمان بن ابى العاص
غلام فقال يا مولاى ان البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فاعلمنى فاذا هى السابعة
والعشرون من رمضان ومن قال انها هى ليلة الاخيرة من رمضان استدل بقوله عليه السلام ان الله تعالى
فى كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار يعتق الف الف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب فاذا كان
آخر ليلة من شهر رمضان اعتق الله فى تلك الليلة بعدد من اعتق من اول الشهر الى آخره ولان الليلة الاولى
كمن ولد له ذكر فهى ليلة شكر والليلة الاخيرة ليلة الفراق كمن مات له ولد فهى ليلة صبر وفرق بين الشكر والصبر
فان الشاكر مع المزيد كقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم والصابر مع الله لقوله تعالى ان الله مع الصابرين وعن
عائشة رضى الله عنها انها قالت سألت النبى عليه السلام لو وافقتها ماذا اقول قال قولى اللهم انك عفو تحب العفو
فاعف عنى وعنها ايضا لو ادركتها ما سألت الله الا العافية وفيه اشارة الى ما قال عليه السلام اللهم انى اسألك
العفو والعافية والمعافاة فى الدين والدنيا والآخرة ولعل السر فى اخفائها تحريض من يريدها للثواب الكثير
باحياء الليالى الكثيرة رجاء لموافقتها * اى خواجه چه كويى زشب قدر نشانى * هر شب شب قدرست
اكر قدر بدانى * ونظيره اخفاء ساعة الاجابة فى يوم الجمعة والصلاة الوسطى فى الخمس واسمه الاعظم فى الاسماء
ورضاه فى الطاعات حتى يرغبوا فى الكل وغضبه فى المعاصى ليحترزوا عن الكل ووليه فيما بين الناس حتى
يعظموا الكل * خورش ده بكنجشك وكبك وحمام * كه يك روزت افتد همايى بدام * والمستجاب من
الدعوات فى سائرها ليدعوه بكلها * چه هر كوشه تير نياز افكنى * اميدست كه ناكه كه صيدى زنى * ووقت الموت
ليكون المكلف على احتياط فى جميع الاوقات وتسميتها بليلة القدر اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها
يفرق كل امر حكيم اى اظهار تقديرها للملائكة بان تكتبها فى اللوح المحفوظ والا فالتقدير نفسه ازلى فالقدر
بمعنى التقدير وهو جعل الشئ على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة عن ابن عباس
رضى الله عنهما ان الله قدر فيها كل ما يكون فى تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماتة وغيرها الى مثل هذه
الليلة من السنة الآتية فيسلمه الى مدبرات الامور من الملائكة فيدفع نسخة الارزاق والنباتات والامطار الى
ميكائيل ونسخة الحروب والرياح والزلازل والصواعق والخسف الى جبرائيل ونسخة الاعمال الى اسرافيل
ونسخة المصائب الى ملك الموت

فكم من فتى يمسى ويصبح آمنا * وقد نسجت اكفانه وهو لا يدرى
وكم من شيوخ ترتجى طول عمرهم * وقد رهقت اجسادهم ظلمة القبر
وكم من عروس زينوها لزوجها * وقد قبضت ارواحهم ليلة القدر

يقال ان ميكائيل هو الامين على الارزاق والاغذية المحسوسة ويقابله ملك الكبد فهو الذى يعطى الغذاء لجميع
البدن وكذلك اسرافيل يغذى الاشباح بالارواح ويقابله ملك الدماغ وجبرائيل يغذى الارواح بالعلوم
والمعارف ويقابله ملك العقل وكل محدث لابد له من غذاء فغذاء الجسم بالتأليف والعقل بالعلوم الضرورية
والروح القدسى ايضا متعطش ولا يرتوى الا بالعلوم الالهية هذا واما لخطرها وشرفها على سائر الليالى
فالقدر بمعنى المنزلة والشرف اما باعتبار العامل على معنى ان من اتى بالطاعة فيها صار ذا قدر وشرف

واما باعتبار نفس العمل على معنى ان الطاعة الواقعة فى تلك الليلة لها قدر وشرف زائد وعن ابى بكر الوراق رحمه الله سميت ليلة القدر لانه نزل فيها كتاب ذو قدر على لسان ملك ذى قدر لامة لها قدر ولعله تعالى انما ذكر لفظ القدر فى هذه السورة ثلاث مرات لهذا السبب وقال الخليل رحمه الله سميت ليلة القدر اى ليلة الضيق لان الارض تضيق فيها بالملائكة فالقدر بمعنى الضيق كما فى قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير لان العرب تذكر الالف فى غاية الاشياء كلها ولا تريد حقيقتها اولما روى انه عليه السلام ذكر رجلا من بنى اسرائيل اسمه شمعون لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فتعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى وقيل ان الرجل فيما مضى كان لا يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل رأى النبى عليه السلام اعمار الامم كافة واستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل كان ملك سليمان عليه السلام خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله العمل فى هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وروى عن الحسن بن على بن ابى طالب انه قال حين عوتب فى تسليمه الامر لمعاوية ان الله ارى نبيه عليه السلام فى المنام بنى امية ينزون على منبره نزو القردة اى يثبون فاغتم لذلك فاعطاه الله ليلة القدر وهى خير له ولذريته ولاهل بيته من الف شهر وهى مدة ملك بنى امية واعلمه انهم يملكون امر الناس هذا القدر من الزمان ثم كشف الغيب ان كان من سنة لمعاوية رضى الله عنه الى قتل مروان الجعدى آخر ملوكهم هذا القدر من الزمان بعينه كما فى فتح الرحمن ودل كلام الله تعالى على ثبوت ليلة القدر فمن قال ان فضلها كان لنزول القرآن يقول انقطعت فكانت مرة والجمهور على انها باقية آتية فى كل سنة فضلا من الله ورحمة على عباده غير مختصة برمضان عند البعض وهو قول الامام ابى حنيفة رحمه الله وحضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر حتى لو علق احد طلاق امرأته او عتق عبده بليلة القدر فانه لا يحكم به الا بان يتم الحول وعند الاكثرين مختصة به وكان عليه السلام اذا دخل العشر شد مئزره واحيى ليله وايقظ اهله وكان الصالحون يصلون فى ليلة من العشر ركعتين بنية قيام ليلة القدر وعن بعض الاكابر من قرأ كل ليلة عشر آيات على تلك النية لم يحرم بركتها وثوابها قال الامام ابو الليث رحمه الله اقل صلاة ليلة القدر ركعتان واكثرها الف ركعة واوسطها مائة ركعة واوسط القراءة فى كل ركعة ان يقرأ بعد الفاتحة انا انزلناه مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات ويسلم على كل ركعتين ويصلى على النبى عليه السلام بعد التسليم ويقوم حتى يتم ما اراد من مائة او اقل او اكثر ويكفى فى فضل صلاتها ما بين الله من جلالة قدرها وما اخبر به الرسول عليه السلام من فضيلة قيامها وصلاة التطوع بالجماعة جائزة من غير كراهة لو صلوا بغير تداع وهو الاذان والاقامة كما فى الفرائض صرح بذلك كثير من العلماء قال فى شرح النقاية وغيره وفى المحيط لا يكره الاقتداء بالامام فى النوافل مطلقا نحو القدر والرغائب وليلة النصف من شعبان ونحو ذلك لان ما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن فلا تلتفت الى قول من لا مذاق لهم من الطاعنين فانهم بمنزلة العنين لا يعرفون ذوق المناجاة وحلاوة الطاعات وفضيلة الاوقات * هركس ازجلوهٔ كل فهم معانى نكند * شرح آن دفتر نوشته ز بلبل بشنو (تنزل الملائكة والروح فيها) استئناف مبين لماله فضلت على الف شهر واصل تنزل تتنزل بتاءين والظاهر ان المراد كلهم للاطلاق وقد سبق معنى الروح فى سورة النبأ وقال بعضهم انه ملك لو التقم السموات والارضين كان له لقمة واحدة وهو ملك رأسه تحت العرش ورجلاه فى تخوم الارض السابعة وله الف رأس كل رأس اعظم من الدنيا وفى كل رأس الف وجه وفى كل وجه الف فم وفى كل فم الف لسان يسبح الله بكل لسان الف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد لكل لسان لغة لا تشبه الاخرى فاذا فتح افواهه بالتسبيح خر كل ملائكة السموات سجدا مخافة ان يحرقهم نور افواهه وانما يسبح الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من امة محمد عليه السلام بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر او هو طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا ليلة القدر كالزهاد الذين لا تراهم الا يوم العيد او هو عيسى عليه السلام لانه اسمه ينزل فى موافقة الملائكة ليطالع امة محمد عليه السلام ودر تفسير خواجه محمد پارسا رحمه الله مذكورست كه روح حضرت محمد صلى الله عليه وسلم

فرود آيد وفى الحديث لأنا اكرم على الله من ان يدعنى فى الارض اكثر من ثلاث وكان الثلاث عشر مرات ثلاثين لأن الحسين رضى الله عنه قتل فى رأس الثلاثين سنة فغضب على اهل الارض وعرج به الى عليين وقدراه بعض الصالحين فى النوم فقال يارسول الله بأبى انت وامى اماترى فتن امتك فقال زادهم الله فتنة قتلوا الحسين ولم يحفظونى ولم يراعوا حقى فيه وعلى كل تقدير فالمعنى تنزل الملائكة والروح فى تلك الليلة من كل سماء الى الارض وهو الاظهر لأن الملائكة اذا نزلت فى سائر الايام الى مجالس الذكر فلأن ينزلوا فى تلك الليلة مع علو شأنها اولى اوالى السماء الدنيا قالوا ينزلون فوجا فوجا فمن نازل ومن صاعد كأهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك بأسرهم لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب مدت الى غاية طلوع الفجر وذكر لفظ تنزل المفيد للتدريج وبه يندفع مايرد ان الملائكة لهم كثرة عظيمة لاتحتملها الارض وكذا السماء على ان شأن الارواح غير شأن الاجسام والملائكة وان كان لهم اجسام لطيفة يقال لهم الارواح وقال بعضهم النازلون هم سكان سدرة المنتهى وفيها ملائكة لايعلم عددهم الا الله ومقام جبرائيل فى وسطها ولايدخلون اى الملائكة النازلون الكنائس وبيوت الاصنام والاماكن التى فيها الكلب والتصاوير والخبائث وفى بيوت فيهاخمر اومدمن خمر اوقاطع رحم اوجنب اوآكل لحم خنزير اومتضمخ بالزعفران وغير ذلك والتضمخ بالفارسلاية بوى خوش برخو يشتن آلودن ويعدى بالباء كما فى تاج المصادر وقال فى القاموس التضمخ لطخ الجسد بالطيب حتى كأنه يقطر قوله والروح معطوف على الملائكة والضمير لليلة القدر والجار متعلق بتنزل ويجوز ان يكون والروح فيها جملة اسمية فى موقع الحال من فاعل تنزل والضمير للملائكة والاول هو الوجه لعدم احتياجه الى ضمير فيها (باذن ربهم) اى بامره متعلق بتنزل وهو يدل على انهم كانوا يرغبون الينا ويشتاقون فيستأذنون فى النزول الينا فيؤذن لهم فان قيل كيف يرغبون الينا مع علمهم بكثرة ذنوبنا قلنا لايقفون على تفصيل المعاصى روى انهم يطالعون اللوح فيرون فيه طاعة المكلف مفصله فاذا وصلوا الى معاصيه ارخى الستر فلايرونه فحينئذ يقولون سبحان من اظهر الجميل وستر القبيح ولأنهم يرون فى الارض من انواع الطاعات اشياء مارأوها فى عالم السموات كاطعام الطعام وانين العصاة وفى الحديث القدسى لأنين المذنبين احب الى من زجل المسبحين فيقولون تعالوا نذهب الى الارض فنسمع صوتا هو احب الى ربنا من صوت تسبيحنا وكيف لايكون احب وزجل المسبحين اظهار لكمال حال المطيعين وانين العصاة اظهار لغفارية رب العالمين * نصيب ماست بهشت اى خدا شناس برو * كه مستحق كرامت كناهكاران اند (من كل امر) متعلق بتنزل أيضا اى من اجل كل امر قدر فى تلك السنة من خير اوشر او بكل امر من الخير والبركة كقوله تعالى يحفظونه من امر الله اى بامر الله قيل يقسم جبرائيل فى تلك الليلة بقية الرحمة فى دار الحرب على من علم الله انه يموت مسلما فبتلك الرحمة التى قسمت عليهم ليلة القدر يسلمون ويموتون مسلمين فان قيل المقدرات لاتفعل فى تلك الليلة بل فى تمام السنة فلماذا تنزل الملائكة فيها لاجل تلك الامور قيل لعل تنزلهم لتعين انفاذ تلك الامور وتنزلهم لأجل كل امر ليس تنزل كل واحد لاجل كل امر بل ينزل الجميع لأجل جميع الامور حتى يكون فى الكلام تقسيم العلل على المعلولات (سلام هى) تقديم الخبر لأفادة الحصر مثل تميمى انا اى ماهى الاسلامة اى لايحدث فيها داء ولاشئ من الشرور والآفات كالرياح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل ماينزل فى هذه الليلة انما هو سلامة ونفع وخير ولايستطيع الشيطان فيها سوأ ولاينفذ فيها سحر ساحر والليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة للمبالغة فى اشتمالها عليها وعلم منه انه يقضى فى غير ليلة القدر كل من السلامة والبلاء يعنى يتعلق قضاء الله بهما اوماهى الاسلام لكثرة مايسلمون فيها على المؤمنين ومن اصابته التسليمة غفرله ذنبه وفى الحديث ينزل جبرائيل ليلة القدر فى كبكبة من الملائكة اى جماعة متضامة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم اوقاعد يذكر الله (حتى مطلع الفجر) اى وقت طلوعه قدر المضاف لتكون الغاية من جنس المغيا فمطلع بفتح اللام مصدر ميمى ومن قرأ بكسر اللام جعله اسما لوقت الطلوع اى اسم زمان وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اى لمكثهم فى تنزلهم اولنفس تنزلهم بان لاينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقال بعضهم ليلة القدر من غروب الشمس الى طلوع الفجر سلام اى يسلم فيها الملائكة على المطيعين

الى وقت طلوع الفجر ثم يصعدون الى السماء تجئ متعلقة بسلام قالوا علامة ليلة القدر انها ليلة لاحارة ولاباردة وتطلع الشمس صبيحتها لاشعاع لها لان الملائكة تصعد عند طلوع الشمس الى السماء فيمنع صعودها انتشار شعاعها لكثرة الملائكة اولانها لاتطلع في هذه الليلة بين قرنى الشيطان فانها على ما جاء في بعض الاحاديث تطلع كل يوم بين قرنى الشيطان ويزيد الشيطان في بث شعاعها وتزيين طلوعها ليزيد في غرور الكافرين ويحسن في اعين الساجدين وقد سبق انه يعذب الماء الملح تلك الليلة واما النور الذى يرى ليلة القدر فهو نور اجنحة الملائكة او نور جنة عدن تفتح ابوابها ليلة القدر او نور لواء الحمد او نور اسرار العارفين رفع الله الحجب عن اسرارهم حتى يرى الخلق ضياءها وشعاعها وهو المناسب لحقيقة ليلة القدر فان حقيقتها عبارة عن انكشاف الملكوت لقلب العارف فاذا تنور الباطن بنور الملكوت انعكس منه الى الظاهر وفى الحديث من قرأ سورة القدر اعطى ثواب من صام رمضان واحيى ليلة القدر

تمت سورة القدر بعون من له الخلق والامر فى الثانى والعشرين من ثانى الربيعين من سنة سبع عشرة ومائة وألف

* (سورة القيامة والبينة والبرية ثمان او تسع آيات مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) اى اليهود والنصارى وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيائهم (والمشركين) اى عبدة الاصنام ومن للتبيين لا للتبعيض حتى لا يلزم ان لا يكون بعض المشركين كافرين وذلك ان الكفار كانوا جنسين اهل الكتاب كفرقتى اليهود والنصارى والمشركين وهم الذين كانوا لا ينسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين بقوله الذين كفروا على الاجمال ثم اردف ذلك الاجمال بالتفصيل والتبيين وهو قوله من اهل الكتاب والمشركين وهو حال من الواو فى كفروا اى كائنين منهم (منفكين) خبر كان اى عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث فى آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لاريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان ويقولون لاعدآئهم من المشركين قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعدما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسألونهم عن رسول الله هل هو المذكور فى كتبهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته وانفكاك الشئ من الشئ ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه (حتى تأتيهم البينة) التى كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بالمضارع باعتبار حال المحكى لا الحكاية والبينة الحجة الواضحة (رسول) بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بها للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود فى الكتابين (من الله) متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى رسول واى رسول كائن منه تعالى (يتلو) صفة اخرى (صحفا) جمع صحيفة وهى ظرف المكتوب ومحله من الاوراق (مطهرة) اى منزهة من الباطل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن ان يمسه غير المطهرين (وقال الكاشفى) صحيفهاى پاكيزه از كذب وبهتان ونسبة التلاوة الى الصحف وهى القراطيس مجازية اوهى مجاز عمافيها بعلاقة الحلول والمراد انه لما كان ما يتلوه الذى هو القرءآن مصدقا لصحف الاولين مطابقا لها فى اصول الشرآئع والاحكام صار متلوه كانه صحف الاولين وكتبهم فعبر عنه باسم الصحف مجازا (قال الكاشفى) قرآنرا صحف گفت براى تعظيم بانكه جامع اسرار جميع صحفست قال فى عين المعانى وسميت الصحف لانها الصحف بعضها على بعض اى وضع (فيها كتب قيمة) صفة لصحف فى تلك الصحف امور مكتوبة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وبالفارسية دران صحيفها نوشتهاى راست ودرست يعنى احكام ومواعظ وفى المفردات اشارة الى مافيه من معانى كتب الله فان القرءان مجمع ثمرة كتب الله المتقدمة (وماتفرق الذين اوتوا الكتاب) عما كانوا عليه من الوعد وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى فخصوا بالذكر

لأن جحود العالم اقبح واشنع من انكار الجاهل (الامن بعد ماجاءتهم البينة) استثناء مفرغ من اعم الاوقات
اى وماتفرقوا فى وقت من الاوقات الامن بعدما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله عليه السلام
هو الموعود فى كتابهم دلالة جلية لاريب فيها (وما امروا الاليعبدوا الله) جملة حالية مفيدة لغاية قبح
مافعلوا اى والحال انهم ماامروا بما امروا فى كتابهم لشئ من الامور الالأجل ان يعبدوا الله وهذه اللام
فى الحقيقة لام الحكمة والمصلحة يعنى أن فعله تعالى وان لم يكن معللا بالغرض الا انه مغيا بالحكم والمصالح
وكثيراما تستعمل لام الغرض فى الحكمة المترتبة على الفعل تشبيها لها بها فى ترتبها على الفعل بحسب الوجود
وفى حصر علة كونهم مأمورين بما فى كتبهم من عبادة الله بالاخلاص حيث قيل وما امروا بما امروا
الا لأجل ان يتذللواله ويعظموه غاية التذلل والتعظيم ولايطلبوا فى امتثال ماكلفوا به شيأ آخرسوى التذلل
لربهم ومالكهم كثواب الجنة والخلاص من النار دليل على ماذهب اليه اهل السنة من ان العبادة ماوجبت
لكونها مفضية الى ثواب الجنة اوالى البعد والنجاة من عذاب النار بل لاجل انك عبد وهورب ولولم يحصل
فى الدين ثواب ولاعقاب البتة ثم امرك بالعبادة وجبت لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والمالكية وفيه ايضا
اشارة الى ان من عبد الله للثواب والعقاب فالمعبود فى الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة فالمقصود
الاصلى من العبادة هوالمعبود وكذا الغاية من العرفان المعروف فعليك بالعبادة للمعبود وبالعرفان للمعروف
واياك وان تلاحظ شيأ غيرالله تعالى * جاشقارا شادمانى وغم اوست * دست مزد واجرت خدمت
هم اوست * وقال بعضهم الا ظهران تجعل لام ليعبدوا الله زائدة كما تزاد فى صلة الارادة فيقال اردت
لتقوم لتنزيل الامر منزلة الارادة فيكون المأمور به هذه الامور من العبادة ونحوها كما هوالظاهر ثم ان العبادة
هى التذلل ومنه طريق معبداى مذال ومن زعم انها الطاعة فقد اخطأ لان جماعة عبدوا الملائكة والمسيح
والاصنام وما اطاعوهم ولكن فى الشرع صارت اسما لكل طاعة لله اديت له على وجه التذلل والنهاية
فى التعظيم والعبادة بهذا المعنى لايستحقها الا من يكون واحدا فى صفاته الذاتية والفعلية فان كان له
مثل لم يمكن ان يصرف اليه نهاية التعظيم فثبت بما قلنا انه لابد فى كون الفعل عبادة من شيئين احدهما غاية
التعظيم ولذلك قيل ان صلاة الصبى ليست بعبادة لانه لايعرف عظمة الله فلا يكون فعله غاية التعظيم
وفى حكمه الجاهل الغافل وثانيهما ان يكون مأمورا به ففعل اليهود ليس بعبادة وان تضمن نهاية التعظيم
لانه غيرمأمور به فاذالم يكن فعل الصبى عبادة لفقد التعظيم ولافعل اليهود لفقد الامر فكيف يكون ركوعك
الناقص عبادة والحال انه لاامربه ولاتعظيم فيه (مخلصين له الدين) حال من الفاعل فى ليعبدوا اى جاعلين
انفسهم خالصة لله تعالى فى الدين يعنى از شرك والحاد پاكيزه باشند وازاغراض نفسانيه وقضاء شهوات
صافى وبى غش والاخلاص ان يأتى بالفعل خالصا لداعية واحدة ولايكون لغيرها من الدواعى تأثير
فى الدعاالى ذلك الفعل فالعبادة لجلب المنفعة اولدفع المضرة ليست من قبيل الاخلاص وكذا الاشتغال
بالمباح فى الصلاة مثل التنحنح وغيره من الحظوظ النفسانية وزيادة الخشوع فى الصلاة لاجل الغيررياء
ودفع الزكاة الى الوالدين والمولودين وعبيده واماته بنا فى القربة ولذا نهى عنه فالاخلاص فى العبودية
تجريد السرعما سوى الله تعالى وقال بعضهم الاخلاص ان لايطلع على عملك الا الله ولاترى نفسك فيه
وتعلم ان المنة لله عليك فى ذلك حيث اهلك لعبادته ووفقك لها ولاتطلب من الله اجرا وعوضا (حنفاء)
حال اخرى قول من جوز حالين من ذى حال واحد ومن المنوى فى مخلصين على قول من لم يجوز ذلك
اى مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام وهو فى المعنى تأكيد للاخلاص اذ هو الميل عن الاعتقاد
الفاسد واكبره اعتقادالشركة واصل الحنف الميل وانقلاب ظهرالقدم حتى يصير بطنا فالاحنف هوالذى
يمشى على ظهر قدميه فى شقها الذى يلى خنصرها ويجئ الحنف بمعنى الاستقامة فمعنى حنفاء مستقيمين
فعلى هذا انما سمى مائل القدم احنف على سبيل التفاؤل كقولك للاعمى بصيروللحبشى كافورللطاعون مبارك
وللمهلكة مفازة قال ابن جبير لايسمى احد حنيفا حتى يحج ويختن لان الله وصف ابراهيم عليه السلام
بكونه حنيفا وكان شانه انه حج وختن نفسه (ويقيموا الصلاة) التى هى العمدة فى باب العبادات البدنية
(ويؤتون الزكاة) التى هى الاساس فى العبادات المالية قال فى الارشاد ان ار يد بهما ما فى شريعتهم من الصلاة

والزكاة فالامر ظاهروان اريد ما فى شريعتنا فمعنى امرهم بهما فى الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امراهم بجميع احكامها التى هما من جملتها (وذلك) اى ماذكر من عبادة الله بالاخلاص واقامة الصلاة وايتاء الزكاة (دين القيمة) اى دين الملة القيمة قدر الموصوف لئلا يلزم اضافة الشئ الى صفته فانها اضافة الشئ الى صفته وصحة اضافة الدين الى الملة باعتبار التغاير الاعتبارى بينهما فان الشريعة المبلغة الى الامة بتبليغ الرسول اياها من قبل الله تسمى ملة باعتبار انها تكتب وتملى ودينا باعتبار انها تطاع فان الدين الطاعة يقال دان له اى اطاعه وقال بعضهم اضافة الدين الى القيمة اضافة العام الى الخاص كشجر الاراك ولا حاجة الى تقدير الملة فان القيمة عبارة عن الملة كما يشهد له قراءة ابى رضى الله عنه وذلك الدين القيم انتهى (وقال الكاشفى) دين القيمة يعنى دين وملت درست است و پاينده يعنى اضاف الدين الى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين والعرب تضيف الشئ الى نعته كثيرا ونجد هذا فى القرآن فى مواضع منها قوله ولدار الآخرة وقال فى موضع وللدار الآخرة لان الدار هى الآخرة وقال عذاب الحريق اى المحرق كالاليم بمعنى المؤلم وتقول دخلت مسجد الجامع ومسجد الحرام وادخلك الله جنة الفردوس هذا وامثاله وانث القيمة لان الآيات هاهنا فرد الدين الى الملة كما فى كشف الاسرار و القيمة بمعنى المستقيمة التى لا عوج فيها وقال الراغب القيمة هنا اسم الامة القائمة بالقسط المشار اليهم بقوله كنتم خير امة قال ابن الشيخ بعض اهل الاديان لما بالغوا فى باب الاعمال من غير احكام الاصول وهم اليهود والنصارى والمجوس فانهم ربما اتعبوا انفسهم فى الطاعات ولكنهم ما حصلوا الدين الحق بتحصيل الاعتقاد المطابق وبعضهم حصلوا الاصول واهملوا الفروع وهم المرجئة الذين يقولون لا تضر المعصية مع الايمان فالله تعالى خطأ الفريقين فى هذه الآية و بين انه لابد من العلم والاخلاص فى قوله مخلصين ومن العمل فى قوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ثم قال وذلك المجموع كله هو دين الملة المستقيمة المعتدلة فكما ان مجموع الاعضاء بدن واحد كذلك هذا المجموع دين واحد (ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم) بيان لحالهم الاخروى بعد بيان حالهم الدنيوى وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة فى الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيامة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة اوانهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصى عين النار الا انها ظهرت فى هذه النشأة بصورة عرضية وستخلعها فى النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية (خالدين فيها) حال من المستكن فى الخبر واشتراك الفريقين فى دخول دار العذاب بطريق الخلود لاجل كفرهم لا ينافى تفاوت عذابهم فى الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان فالمشركون كانوا ينكرون الصانع والنبوة والقيامة واهل الكتاب نبوة محمد عليه السلام فقط فكان كفرهم اخف من كفر المشركين لكنهم اشتركوا فى اعظم الجنايات التى هى الكفر فاستحقوا اعظم العقوبات وهو الخلود ولما كفروا طلبا للرفعة صاروا الى اسفل السافلين فان جهنم نار فى موضع عميق مظلم هائل يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر واشتراكهم فى هذا الجنس من العذاب لا يوجب اشتراكهم فى نوعه (اولئك) البعداء المذكورون (هم شر البرية) البرية جميع الخلق لان الله برأهم اى اوجدهم بعد العدم والمعنى شر الخليقة اى اعمالا وهو الموافق لما سيأتى فى حق المؤمنين فيكون فى حيز التعليل لخلودهم فى النار اوشرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وتوسط ضمير الفصل لافادة الحصر اى هم شر البرية دون غيرهم كيف لا وهم شر من السراق لانهم سرقوا من كتاب الله نعوت محمد عليه السلام وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا الدين الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد فيكون اقبح من كفر الجهال وظهر منه ان وعيد العلماء السوء اعظم من وعيد كل احد ومن تاب منهم واسلم خرج من الوعيد وقيل لا يجوز ان يدخل فى الآية ما مضى من الكفار لان فرعون كان شرا منهم واما الآية الثانية الدالة على ثواب المؤمنين فعامة فيمن تقدم وتأخر لانهم افضل الامم والبرية مخففة من المهموز من برأ بمعنى خلق فهو البارئ اى الموجد والمخترع من العدم الى الوجود وقد قرأ نافع وابن ذكوان على الاصل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يفهم من مقابلة الجمع بالجمع انه لا يكلف الواحد بجميع الصالحات بل لكل مكلف حظ فحظ الغنى الاعطاء

وحظ الفقير الاخذ والصبر والقناعة ﴿ اولئك ﴾ المنعوتون بما هو فى الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة ﴿ هم خير البرية ﴾ استدل بالآية على ان البشر افضل من الملك لظهور ان المراد بقوله ان الذين آمنوا هو البشر والبرية يشمل الملك والجن سئل الحسن رحمه الله عن قوله اولئك هم خير البرية اهم خير من الملائكة قال ويلك وانى تعادل الملائكة الذين آمنوا وعملوا الصالحات * ملا ئك را چه سود از حسن طاعت * چو فيض عشق بر آدم فرو ريخت ﴿ جزآؤهم ﴾ بمقابلة مالهم من الايمان والطاعات وهو مبتدأ ﴿ عند ربهم ﴾ ظرف للجزآء ﴿ جنات عدن ﴾ اى دخول جنان عدن وهو خبر للمبتدأ والعدن الاقامة والدوام وقال ابن مسعود رضى الله عنه عدن بطنان الجنة اى وسطها ﴿ تجرى من تحتها الانهار ﴾ ميرود از زير اشجار آن جويها چه بستان بى آب روان نشايد وفى الارشاد ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر واياما كان فالمراد جريانها بغير اخدود وجمع جنات يدل على ان للمكلف جنات كما يدل عليه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذكر للواحد اربع جنات والسبب فيه انه بكى من خوف الله تعالى وذلك البكاء انما نزل من اربعة اجفان اثنان دون اثنين فاستحق به جنتين دون جنتين فحصل له اربع جنان لبكائه باربعة اجفان وقيل انه تعالى قابل الجمع بالجمع فى قوله جزآؤهم عند ربهم جنات وهو يقتضى مقابلة الفرد بالفرد فيكون لكل مكلف جنة واحدة لكن ادنى تلك الجنات مثل الدنيا بما فيها عشر مرات كذا روى مرفوعا ويدل عليه قوله تعالى وملكا كبيرا والالف واللام فى الانهار للتعريف فتكون منصرفة الى الانهار المذكورة فى القرآن وهى نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر وفى توصيفها بالجرى بعد ما جعل الجنات الموصوفة جزآء اشارة الى مدحهم بالمواظبة على الطاعات كأنه تعالى يقول طاعتك كانت جارية مادمت حيا على ماقال واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فلذلك كانت انهار كرمى جارية الى الابد ﴿ خالدين فيها ابدا ﴾ متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وهو حال وذوالحال وعامله كلاهما مضمر ان يدل عليه جزآؤهم والتقدير يجزون بها خالدين فيها وقوله ابدا ظرف زمان وهو تأكيد للخلود اى لايموتون فيها ولايخرجون منها ﴿ رضى الله عنهم ﴾ استئناف مبين لما يتفضل به عليهم زيادة على ماذكر من اجزية اعمالهم اى استئناف اخبار كأنه قيل تزاد لهم اواستئناف دعاء من ربهم فلذا فصل وقد يجعل خبرا بعد خبر وحالا بتقدير قد قال ابن الشيخ لما كان المكلف مخلوقا من جسد وروح وانه اجتهد بهما فى طاعة ربه اقتضت الحكمة ان يجزيه بما يتنعم ويستريح به كل واحد منهما فجنة الجسد هى الجنة الموصوفة وجنة الروح هى رضى الرب (مصراع) جيست جنت روح رارضوان اكبر ازخدا ﴿ ورضوا عنه ﴾ حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وأبيح لهم مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر لاسيما انهم اعطوا لقاء الرب الذى هو المقصد الاقصى * دارند هركس ازتو مرادى ومطلبى * مقصود مازدينى وعقبى لقاى تست ﴿ ذلك ﴾ المذكور من الجزآء والرضوان وقال بعضهم الاظهر انه اشارة الى ماترتب عليه الجزآء والرضوان من الايمان والعمل الصالح ﴿ لمن خشى ربه ﴾ براى آنكس كه بترسد از عقوبت بروردكار خود و بموجبات ثواب اشتغال نمايد وذلك الخشية التى هى من خصائص العلماء بشؤون الله تعالى مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية وعن انس رضى الله عنه قال عليه السلام لابى بن كعب رضى الله عنه ان الله امرنى ان اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا الخ قال اوسمانى لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم فذرفت عيناه اى سال دمع عينيه ومن السنة ان يستمع القرآن فى بعض الاوقات من غيره فانه قال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال لى رسول الله عليه السلام وهو على المنبر اقرأ على قلت اقرأ عليك وعليك انزل قال انى احب ان اسمعه من غيرى فقرأت سورة النساء حتى اتيت هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان اى تقطران وكان عمر رضى الله عنه يقول لابى موسى الاشعرى رضى الله عنه ذكرنا ربنا فيقرأ حتى يكاد وقت الصلاة يتوسط فيقول

ياامير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول انافى الصلاة وفى الحديث من استمع آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة فظهر ان استماع القرآن من الغير فى بعض الاحيان من السنن واما انه هل يفرض استماعه كلما قرئ بناء على قوله تعالى فاذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ففى الصلاة نعم واما خارجها فعامة العلماء على استحبابها كما فى شرح شرعة الاسلام للشيخ قورد افندى رحمه الله *

تمت سورة القيمة بعون جاعل الانسان منتصب القامة فى الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر المنتظم فى سلك شهور سنة سبع عشرة ومائة والف من هجرة من يرى من قدام وخلف *

* (سورة الزلزلة مكية او مدنية وآيها تسع او ثمان) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(اذا) چون (زلزلت الارض) اى حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا فان تكرر حروف لفظه ينبئ عن تكرر معنى الزلزال (زلزالها) اى الزلزال المخصوص بها الذى تستوجبه فى الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذى لاغاية وراءه وهو معنى زلزالها بالاضافة العهدية يقال زلزله زلزلة وزلزالا مثلثة حركه كما فى القاموس وقال اهل التفسير الزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لايوجد الا فى المضاعف كالصلصال ونحوه (واخرجت الارض اثقالها) اختيار الواو على الفاء مع ان الاخراج متسبب عن الزلزال للتفويض الى ذهن السامع واظهار الارض فى موضع الاضمار لان اخراج الاثقال حال بعض اجزآئها والاثقال كنوز الارض وموتاها جمع ثقل بالكسر واما ثقل محركة فمتاع المسافر وحشمه على ما فى القاموس والمعنى واخرجت الارض مافى جوفها من دفائنها وكنوزها كما عند زلزال النفخة الاولى الذى هو من اشراط الساعة وكذا من امواتها عند زلزال النفخة الثانية وفى الخبر تقيئ الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوانة من الذهب فيجيئ القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجيئ القاطع رحمه فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجيئ السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ قوله افلاذ كبدها اراد انها تخرج الكنوز المدفونة فيها وقيئها اخراجها ويدخل فى الاثقال الثقلان وفيه اشارة الى ان الجن تدفن ايضا (وقال الانسان) اى كل فرد من افراده لما يغشاهم من الاهوال ويلحق بها من فرط الدهشة وكمال الحيرة (مالها) اى شئ للارض زلزلت هذه المرة الشديدة من الزلزال واخرجت مافيها من الاثقال استعظاما لما شاهده من الامر الهائل وتعجبا لما يرونه من العجائب التى لم تسمع بها الآذان ولاينطق بها اللسان لكن المؤمن يقول بعد الافاقة هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون والكافر من بعثنا من مرقدنا (يومئذ) بدل من اذا (تحدث اخبارها) عامل فيهما وهو جواب الشرط وهذا على القول بان العامل فى اذا الشرطية جوابها واخبارها مفعول لتحدث والاول محذوف لعدم تعلق الغرض بذكره اذ الكلام مسوق لبيان تهويل اليوم وان الجمادات تنطق فيه واما ماذكر ابن الحاجب من ان حدث وانبأ ونبأ لايتعدى الا الى مفعول واحد فغير مسلم الصحة على ما فصل فى محله والمعنى تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على مالاجله زلزالها واخراج اثقالها وان هذا ماكانت الانبياء ينذرونه ويخوفون منه واما بلسان المقال وهو قول الجمهور حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل على ظهرها من خير وشر حتى يود الكافر انه سيق الى النار ممارى من الفضوح (روى) ان عبد الرحمن بن صعصعة كان يتيما فى حجر ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فقال ابو سعيد يابنى اذا كنت فى البوادى فارفع صوتك بالاذان فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايسمعه جن ولاانس ولاحجر ولاشجر الا شهد له وروى ان ابا امية صلى فى المسجد الحرام المكتوبة ثم تقدم فجعل يصلى ههنا وههنا فلما فرغ قيل له يا ابا امية ماهذا الذى تصنع قال قرأت هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها فاردت ان يشهد لى يوم القيامة فطوبى لمن شهد له المكان بالذكر والتلاوة والصلاة ونحوها وويل لمن شهد عليه بالزنى والشرب والسرقة والمساوى ويقال ان الله عليك سبعة شهود المكان كما قال تعالى يومئذ تحدث اخبارها والزمان كما فى الخبر ينادى كل يوم انا يوم جديد وانا على ماتعمل فى شهيد واللسان كما قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم والاركان كما قال تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم والملكان كما قال تعالى وان عليكم لحافظين والديوان كما قال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم

بالحق والرحمن كما قال انا كنا عليكم شهودا فكيف يكون حالك يا عاصي بعدما شهد عليك هؤلاء الشهود (بان ربك اوحى لها) اى تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحدث بلسان المقال على ما عليه الجمهور او بسبب ان احدث فيها احوالا دالة على الاخبار كما اذا كان التحديث بلسان الحال وفيه اشارة الى زلزلة ارض البدن عند نزع الروح الانسانى باضطراب الروح الحيوانى والقوى والى اخراجها متاعها التى هى به ذات قدر من القوى والارواح وهيئات الاعمال والاعتقادات الراسخة فى القلب وقال الانسان ما لها زلزلت واضطربت ماطبها وما داؤها الانحراف المزاج ام لغلبة الاخلاط يومئذ تحدث اخبارها بلسان حالها بان ربك اشار اليها وامرها بالاضطراب والخراب واخراج الاثقال عند زهوق الروح وتحقق الموت (يومئذ) اى يوم اذ يقع ما ذكر (يصدر الناس) من قبورهم الى موقف الحساب وانتصب يومئذ بيصدر والصدر يكون عن ورود اى هو رجوع وانصراف بعد الورود والمجيء فقال الجمهور هو كونهم مدفونين فى الارض والصدر قيامهم للبعث والصدر والصدور بالفارسية باز كشتن يعنى الصدر بسكون الدال الرجوع والاسم بالتحريك ومنه طواف الصدر وهو طواف الوداع (اشتاتا) يقال جاؤا اشتاتا اى متفرقين فى النظام واحدهم شت بالفتح اى متفرق ونصب على الحال اى حال كونهم متفرقين بيض الوجوه والثياب آمنين ينادى المنادى بين يديه هذا ولى الله وسود الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والاغلال فزعين والمنادى ينادى بين يديه هذا عدو الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان جبرائيل عليه السلام جاء الى النبى عليه السلام يوما فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهو يقول مالى اراك مغموما حزينا وهو اعلم به فقال عليه السلام يا جبرائيل قد طال تفكرى فى امر امتى يوم القيامة قال يا محمد فى امر اهل الكفر ام فى امر اهل الاسلام قال يا جبرائيل لا بل فى امر اهل لا اله الا الله قال فأخذ بيده حتى اقامه على مقبرة بنى سلمة فضرب بجناحه الايمن على قبر ميت فقال قم باذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله الحمد لله رب العالمين فقال له جبرائيل عد فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الايسر على قبر ميت فقال قم باذن الله فخرج رجل مسود الوجه ازرق العين وهو يقول واحسرتاه واندماه واسوأتاه فقال له جبريل عد فعاد كما كان ثم قال جبرائيل هكذا يبعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه (ليروا) اللام متعلقة بيصدر (اعمالهم) اى جزاء اعمالهم خيرا كان او شرا والا فنفس الاعمال لا يتعلق بها الرؤية البصرية اذ الرؤية هنا ليست علمية لان قوله فمن يعمل الخ تفصيل ليروا والرؤية فيه بصرية لتعديتها الى مفعول واحد اللهم الا ان يجعل لها صور نورانية او ظلمانية او يتعلق الرؤية بكتبها كما سيجئ (فمن) پس هركه (يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) تفصيل ليروا والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة او ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا وضعت راحتك اى يدك على الارض ثم رفعتها فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة وقال يحيى بن عمار حبة الشعير اربع ارزات والارزة اربع سمسمات والسمسمة اربع خردلات والخردلة اربعة اوراق نخالة وورق النخالة ذرة ومعنى رؤية ما يعادل الذرة من خير وشر اما مشاهدة اجزيته فمن الاولى مختصة بالسعداء والخصص قوله اشتاتا اى فمن يعمل من السعداء مثقال ذرة خيرا يره والثانية بالاشقياء بقرينة اشتاتا ايضا اى ومن يعمل من الاشقياء مثقال ذرة شرا يره وذلك لان حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر فى نقص العقاب فقد ورد أن حاتما الطائى يخفف الله عنه لكرمه وورد مثله فى ابى طالب وغيره يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقوله عليه السلام فى حق عبد الله بن جدعان لا ينفعه لانه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين وذلك حين قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم و يطعم المسكين فهل ذلك نافعه وقوله عليه السلام فى حق ابى طالب ولولا انا كان فى الدرك الاسفل من النار فتلك الشفاعة مختصة به واما حسنات الكفار فمقبولة بعد اسلامهم واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته و بحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله اياه اما المؤمن

فيغفرله سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته تحسيرا له وفى تفسير البقاعى الكافر يوقف على ما عمله من خير على انه جوزى به فى الدنيا وانه احبط لبنائه على غير اساس الايمان فهو صورة بلا معنى ليشتد ندمه ويقوى حزنه واسفه والمؤمن يراه ليشتد سروره به وفى جانب الشر يراه المؤمن ويعلم انه قد غفرله فيكمل فرحه والكافر يراه فيشتد حزنه وترحه وفى التأويلات النجمية ليروا اعمالهم المكتسبة بيدى الاستعدادات الفاعلية العلمية والقابلية العملية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فى الصورة الجزائية لتصور الاعمال بصور تناسبها نورانية كانت اوظلمانية ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره متجسدا فى يوم القيامة فى جسد السباع بحسب القوة الغضبية وفى جسد البهائم بحسب القوة البهيمية وكلما ازدادت الصور الحسنة المتنوعة ازدادت البهجة والسرور كما انه كلما ازدادت الصور القبيحة المختلفة ازداد العبوس والالم وفيه رمز الى انه لا يلزم من مجرد الرؤية المجازاة كما فى حق المؤمن وذلك من فضل الله تعالى على من يشاء من عباده وفى التفاسير نزلت الآية ترغيبا فى الخير ولو كان قليلا كتمرة وعنبة وكسرة وجوزة ونحوها فانه يوشك ان يكثر اذا كان بنية خالصة وتحذيرا من الشر وان كان قليلا كخيانة ذرة فى الميزان وكنظرة وخطوة وكذبة فانه يوشك ان يكون كثيرا عظيما للجراءة على الله عظيم وكان الناس فى بدء الانسان يرون ان الله لا يؤاخذهم بالصغائر من الذنوب وكان بعضهم يستحيى من صدقة الشئ اليسير ويظن انه ليس له اجر حتى نزلت الآية وفى الحديث اذا زلزلت تعدل ربع القرآن رواه ابن ابى شيبة مرفوعا فتكون قراءتها اربع مرات كقراءة القرآن كله وذلك لان الايمان بالبعث ربع الايمان فى قوله عليه السلام لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى الله بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وفى بعض الآثار ان سورة الزلزلة نصف القرآن وذلك لان احكام القرآن تنقسم الى احكام الدنيا واحكام الآخرة وهذه السورة تشتمل على احكام الآخرة كلها اجمالا وروى ان جد الفرزدق بن صعصعة بن ناجية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرئه يعنى كفت ازآنچه برتو فرود مى آيد بر من بخوان وفى كشف الاسرار صعصعة عم فرزدق پيش مصطفى امد ومسلمان كشت وازرسول خدا درخواست تا از قرآن چيزى بروى بخواند فقرأ عليه السلام عليه هذه الآية اى فمن يعمل الخ فقال حسبى حسبى واشوبى وشورى ازنهاد وى بر آمد وبخاك افتاد وزار بكريست وهى احكم اية وسميت الجامعة وعن زيد بن اسلم رضى الله عنه ان رجلا جاء الى النبى عليه السلام فقال علمنى ما علمك الله فدفعه الى رجل يعلمه القرآن فعلمه اذا زلزلت الارض حتى بلغ فمن يعمل الخ قال الرجل حسبى فاخبر بذلك النبى عليه السلام فقال دعه فقد فقه الرجل چون كسى داند كه بر ذره وحبه محاسبه بايد كرد امروز بحساب خود مشغول شود * حساب كار خود امروز كن كه فرصت هست * ز خير وشر بنكر تا چها ست حاصل تو * اكر بنقد نكويى توانكرى خوش باش * ورت بغير بدى نيست واى بردل تو *

تمت سورة الزلزلة فى رابع جمادى الاولى

* (سورة العاديات مختلف فيها وآيها احدى عشر بلاخلاف) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعاديات) جمع عادية وهى الجارية بسرعة من العدو وهو بالفارسية دويدن وياؤها منقلوبة عن الواو لكسرة ماقبلها اقسم سبحانه بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو (ضبحا) مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها اى تضبح ضبحا على تأويل العاديات بالجماعة وهو صوت انفاسها عند عدوها يعنى صوتا يسمع من افواه الفرس واجوافها اذا عدون وهو صوت غير الصهيل والحمحمة وهى صوت البرذون عند الشعير أو بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات ضبحا او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اى ضابحات (فالموريات قدحا) الايراء اخراج النار والقدح الضرب فان الخيل يضربن بحوافرهن وسنابكهن الحجارة فيخرجن منها نارا يقال قدح الزند فاورى وقدح فاصلد اى صوت ولم يور فالقدح يتقدم على الايراء بخلاف الضبح حيث يتأخر ويتسبب عن العدو والمعنى تورى النار من حوافرها اذا سارت فى الارض ذات الحجارة فالقدح استعارة لضرب الحجارة بحوافرها وانتصاب قدحا

كما تنصب ضبحا على الوجوه الثلاثة اى تقدح قدحا اوالقادحات قدحا فى قادحات (فالمغيرات) يقال اغار على القوم غارة واغارة دفع عليهم الخيل واغار الفرس اشتد عدوه فى الغارة وغيرها اسند الاغارة التى هى مباغتة العدو للنهب والقتل والاسر الى الخيل وهى حال اهلها ايذانا بانها العمدة فى اغارتهم (صبحا) انصب على الظرفية اى فى وقت الصبح و هو المعتاد فى الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا على حين غفلة ليروا ما يأتون وما يذرون ومنه قولهم عند خوف الغارة ياصباحاه اى ياقوم احذروا من شر توجه الينا صباحا (فأثرن به) عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فأثرن به اى فهيجن فى ذلك الوقت واصله اثورن من الثور وهو الهيجان نقلت حركة الواو الى الثاء قبلها وقلبت الواو الفا فصار اثارن فحذفت الالف لاجتماع الساكنين فبقى اثرن بوزن افلن و يجوز ان يجعل الضمير لفعل الاغارة فالباء للسببية اوللملابسة (نقعا) اى غبارا وبالفارسية پس در ان وقت كرد انگيختند من نقع الصوت اذا ارتفع فالغبار سمى نقعا لارتفاعه اوهو من النقع فى الماء فكان صاحب الغبار خاض فيه كما يخوض الرجل فى الماء وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور ولا يظهر ثورانه بالليل وبهذا يظهر أن الايراء الذى لا يظهر فى النهار واقع فى الليل ولله در شأن التنزيل قال سعدى المفتى واثارة النقع لانهم يكونون حال الاغارة مختلفين يمينا وشمالا واماما وخلفا بحسب الكر والفر فى المجاولة اثر المدبر الهارب والمصاولة مع المقبل المحارب فينشأ الغبار الكثير (فوسطن به) اى توسطن فى ذلك الوقت فوسط بمعنى توسط والباء ظرفية والتوسط درميان چيزى شدن اوتوسطن ملتبسات بالنقع فالباء للملابسة (جمعا) من جموع الاعداء اى دخلن فى وسطهم وهومفعول به اوسطن والفاآت للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ماقبلها فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو (ان الانسان لربه لكنود) جواب القسم يقال كند النعمة كنودا كفر بها فالكنود بالضم كفران النعمة وبالفتح الكفور ومنه سمى كندة بالكسر وهو لقب ثور بن عفير ابى حى من اليمن لانه كند ابوه النعمة ففارقه ولحق باخواله وقال الكلبى الكنود بلسان كندة العاصى وبلسان بنى مالك البخيل و بلسان مضر وربيعة الكفور والمراد بالانسان بعض افراده اى انه لنعمة ربه خصوصا لكفور اى شديد الكفران فقوله لربه متعلق بكنود قدم عليه لافادة التخصيص ومراعاة الفواصل روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث الى اناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصارى رضى الله عنه وكان احد النقباء فابطأ عليه صلى الله عليه وسلم خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبى عليه السلام بسلامتها و بشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين فى حقهم ماهم فيه من الكنود فاللام فى العاديات ان كانت للعهد كان المقسم به خيل تلك السرية وان كانت للجنس كان ذلك قسما بكل خيل عدت فى سبيل الله واتصفت بالصفات المذكورة وعلى التقديرين فهى مستحقة لان يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة و فى تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء فى حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون فى الكفران واذا كان شرف خيل الغزاة بهذه المرتبة حتى اقسم الله بها فما ظنك بشرف الغزاة وفضلهم عند الله تعالى وعنه عليه السلام الكنود هو الذى يضرب عبده و يأكل وحده و يمنع رفده اى اعطاءه فيكون بخيلا يقال كان ثلاثة نفر من العرب فى عصر واحد احدهم آية فى السخاء وهو حاتم الطائى والثانى آية فى البخل وهو ابو حباحب و بخله انه كان لا يوقد النار للخبز الا اذا نام الناس فاذا انتبهوا اطفأ ناره لئلا ينتفع بها احد والثالث آية فى الطمع وهو اشعب بن جبير مولى مصعب بن زبير بن العوام قرأ صبى فى الكتب وعنده اشعب جالس ان ابى يدعوك فقام ولبس نعليه فقال الصبى انا اقرأ حزبى وكان اذا رأى انسانا يحك عنقه يظن أنه ينتزع قميصه ليدفعه اليه وكان اذا رأى دخانا ارتفع من دار ظن ان اهلها يأتى بطعام وكان اذا رأى عروسا تزف الى موضع جعل يكنس باب داره لكى تدخل داره قال مارأيت اطمع منى الا كلبا يتبعنى على مضغ العلك فرسخا وقال الحسن لكنود اى لوام لربه يذكر المصيبات و ينسى النعم وقال ابو عبيدة قليل الخير من الارض الكنود التى لا تنبت شيأ كانه مقلوب النكد وقال القاشانى لكفور لربه باحتجابه بنعمه عنه ووقوفه معها وعدم استعماله لها فيما ينبغى ليتوصل بها اليه و فى التأويلات النجمية لكنود بنعمة الوجود والصفات والاسماء لادعائها لنفسه

بالاستقلال والاستبداد اولعاص باستعمالها في غير محالها اوللبخيل لاختصاصها لنفسه وعدم ايثارها على الخلق بطريق الارشاد (وانه على ذلك) اى وان الانسان على كنوده (لشهيد) اى يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه فالشهادة بلسان الحال لا بلسان المقال ويحتمل ان يجعل من الشهود بمعنى انه لكفور مع علمه بكفرانه والعمل السيئ مع العلم به غاية المذمة (وانه لحب الخير) اى المال كما فى قوله تعالى ان ترك خيرا وايثاره الدنيا وطلبها وفى الاسئلة المقحمة فان قلت سمى الله جنس المال خيرا وعسى ان يكون خبيثا وحراما قلت انما سماه خيرا جريا على العادة فانهم كانوا يعدون المال خيرا فسماه الله خيرا جريا على عادتهم كما سمى الجهاد سوأ فقال لم يمسسهم سوء اى قتال والقتال ليس بسوء ولكن ذكره جريا على عادتهم (لشديد) اى قوى مطيق مجد فى طلبه وتحصيله متهالك عليه وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس يقال هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا او الشديد البخيل الممسك يعنى وانه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا شيخ الاسلام قدس سره فرموده كه اكر مال رادوست ميدارى بده تاباز بتودهند وبراى وارث منه كه داغ حسرت بردل تونهند * مال همان به كه بياران دهى * كربدهى به كه بخاكش نهى * زرز بى منفعت است اى حكيم * بهر نهادن چه سفال وچه سيم (افلا يعلم) اى ايفعل ما يفعل من القبائح او الايلا حظ فلا يعلم فى الدنيا ان الله مجازيه (اذا بعثر) بعث واخرج وقد سبق فى الانفطار فناصب اذا محذوف فهو مفعول يعلم لا يعلم لان الانسان لايراد منه العلم فى ذلك الوقت وانما يراد منه ذلك فى الدنيا (ما فى القبور) من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل عن مرتبة العقلاء (وحصل) اى جمع فى الصحف اى اظهر محصلا مجموعا واصل التحصيل اخراج المستور باخر المغمور فيه واخذه منه كاخراج اللب من القشر واخراج الذهب من حجر المعدن والبر من التبن والدهن من اللبن ومن الدردى والجمع والاظهار من لوازمه ويجوز ان يكون المعنى ميز خيره من شره ومنه قيل للمنخل المحصل اى آلة التحصيل وتمييز الدقيق من النخالة فانه لابد من التمييز بين الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحظور فان لكل واحد حكما على حدة فتمييز البعض من البعض وتخصيص كل واحد منها بحكمه اللايق هو التحصيل وفى القاموس التحصيل تمييز ما يحصل والحاصل من كل شئ ما بقى وثبت وذهب ما سواه (ما فى الصدور) من الاسرار الخفية التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصى فضلا عن الاعمال الجلية فتخصيص اعمال القلب لانه لولا البواعث والارادات فى القلوب لما حصلت افعال الجوارح فالقلب اصل واعمال الجوارح تابعة له ولذا قال تعالى آثم قلبه وقال عليه السلام يبعثون على نياتهم (ان ربهم) اى المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الثانى بضمير العقلاء بعدما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم فى الحالين فانهم كانوا فى القبور كالجمادات بلا عقل ولا علم وان كان لهم نوع حياة فيها بخلاف وقت الحشر (بهم) بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها (يومئذ) اى يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما فى القبور وتحصيل ما فى الصدور (لخبير) اى عالم بظواهره وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون قوله بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه مراعاة للفواصل واللام غير مانعة من ذلك

(سورة القارعة مكية وآيها ثمان او احدى عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة) القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة والمراد بها ههنا القيامة التى مبدأها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلايق سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال بالدك والنسف وهى مبتدأ خبره قوله (ما القارعة) على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ اى واى شئ عجيب هى فى الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل

(وما ادراك ما القارعة) ما فى حيز الرفع على الابتداء وادراك هو الخبر اى واى شئ اعلمك ماشان القارعة فان عظم شانها بحيث لاتكاد تناله دراية احد حتى يدرك بها ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم باعلامها انجز ذلك بقوله (يوم يكون الناس) اى هى يوم يكون الناس على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا على ماهو رأى الكوفيين او اذكر يوم الخ فانه يدريك ماهى (كالفراش المبثوث) جمع فراشة وهى التى تطير وتتهافت فى السراج فتحترق و بالفارسية پروانه والمبثوث المفرق وبه شبه فراشة القفل وهو ماينشب فيه والمبثوث بالفارسية پراكنده والمعنى كالفراش المفرق فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعى كتطاير الفراش الى النار قال جرير

ان الفرزدق ما علمت وقومه * مثل الفراش عشين نار المصطلى

وهذا يدل على كثرة الفراش ولو فى بعض المواضع فسقط ما قال سعدى المفتى فيه ان الفراش لايعرف بالكثرة بحيث يصلح ان يكون مشبها به لاهل المحشر فيها الا ان يفسر بصغار الجراد اى كالجراد المنتشر حين ارادة الطيران كما قال تعالى كأنهم جراد منتشر وفيه ان الفراش لم يفسر فى اللغات بصغار الجراد وقال ابن الشيخ شبه الله الخلق وقت البعث فى هذه الآية بالفراش المبثوث وفى الآية الاخرى بالجراد المنتشر وجه التشبيه بالجراد هو الكثرة والاضطراب وبالفراش المبثوث اختلاف جهات حركاتهم فانهم اذا بعثوا فزعوا فيذهب كل واحد منهم الى جهة غير جهة الآخر كالفراش فانها اذا طارت لاتتجه الى جهة واحدة بل تختلف جهاتها انتهى وفيه اشارة الى ان السالك الفانى يكون فى الشهود الاحدى فى الذلة وتفرق الوجهة كالفراش واحقر واذل لانه لاقدر ولا وقع له فى عين الموحد (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) العهن الصوف المصبوغ الوانا والنفش نشر الشعر والصوف والقطن بالاصبع ونحلخلة الاجزاء وتفريقها عن تراصها قال السجاوندى شبه خفتها بعد رزانتها بالصوف وتلونها بالمصبوغ ومرها بالمندوف واختصاص العهن لالوان الجبال كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود والمعنى وتكون الجبال كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف فى تفرق اجزائها وتطايرها فى الجو وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلائق يبدل الله الارض غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ماذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهى وان اندكت عند النفخة الاولى ولكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية (فاما من ثقلت موازينه) جمع الموزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها لان الحق ثقيل والباطل خفيف والجمع للتعظيم اولان لكل مكلف ميزانا اولاختلاف الموزونات وكثرتها قال ابن عباس رضى الله عنهما انه ميزان له لسان وكفتان لايوزن فيه الا الاعمال ليبين الله امر العباد بما عهدوه فيما بينهم قالوا توضع فيه صحف الاعمال اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة اوتبرز الاعمال العرضية بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح يعنى يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور سيئة فتوضع فى الميزان اى فمن ترجحت مقادير حسناته (فهو فى عيشة راضية) من قبيل الاسناد الى السبب لان العيش سبب الرضى من منعم العيش وقال بعضهم راضية اى راض صاحبها عنها وبالفارسية درزندكانى باشد پسنديده وقد سبق فى الحاقة وفى التأويلات النجمية فاما من ثقلت له موزونات الاوصاف الالهية والاخلاق اللاهوتية فهو فى راحة واستراحة من نتائج تلك الاوصاف والاخلاق (واما من خفت موازينه) بان لم يكن له حسنة يعتد بها اوترجحت سيئاته على حسناته وعن ابن مسعود رضى الله عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر من حسناته بواحدة دخل النار (فامه) اى مأواه (هاوية) هى من اسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روى ان اهل النار يهوى فيها سبعين خريفا (وقال الكاشفى) وآن دركه باشد زبر ترين همه دركها وعبر عن المأوى بالام لأن اهلها يأوون اليها كما يأوى الولد الى امه وفيه تهكم به اولانها تحيط به احاطة رحم الام بالولد اولان الام هى الاصل والكافر خلق من النار وكل شئ يرجع الى اصله وهو الاشبه وفى الكشاف من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اى سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا فكأنه قيل فقد هلك وعن قتادة فام رأسه هاوية فى جهنم لانه يطرح فيها منكوسا وام الرأس الدماغ

او الجلية الرقيقة التي عليها وفي التأويلات النجمية واما من خفت موازينه بالاخلاق السيئة والاوصاف القبيحة الخبيثة فامه المجبول عليه هاوية الحجاب من الازل الى الابد وهي نار حامية بنار الجهل والعمى وحطب النفس والهوى ونفخ الشيطان والدنيا وفي لفظ الثقل والخفة اشارة الى ان السعداء والاشقياء مشتركون في فعل السيئة وان كانت في الفريق الاول مرجوحة قليلة وفي الثاني راجحة كثيرة ولا يرتفع هذا الابتلاء ولذا قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه يا علي اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة وذلك لانه مقتضى الاسم الغفور اعلم ان ميزان الحق بخلاف ميزان الخلق اذ صعود الموزونات وارتفاعها فيه هو الثقل وهبوطها وانحطاطها هو الخفة في ميزانه تعالى هو العدل والموزونات الثقيلة اى المعتبرة الراجحة عند الله التي لها قدر ووزن عنده هي الباقيات الصالحات والخفيفة التي لا اعتبار لها عند الله هي الفانيات الفاسدات من اللذات الحسية والشهوات وفي الهاوية اشارة الى هاوية الطبيعة الجسمانية التي يهوى فيها اهلها وفي الحقيقة الموزونات هي الاستعدادات الغيبية القابليات العلمية الازلية المسواة كفتاها بكف اليد اليمنى وبكف اليد اليسرى (وما ادراك ما هيه) وچه چيزى دانا كرد ترا كه چيست هاويه فهي للهاوية والهاء للسكت والاستراحة والوقف واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقها ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل قال ابو الليث قرأ حمزة والكسائي بغير هاء في الوصل وبالهاء عند الوقف والباقون باثباتها في الوصل والوقف وقد سبق مفصلا في الحاقة وفيه اشعار بخروجها عن الحدود المعهودة فلا يدريها احد ثم اعلمها بقوله (نار حامية) متناهية في الحر وبالفارسية آتشى بغايت رسيده درسوزش يقال حمى الشمس والنار حميا وحميا وحموا اشتد حرهما وقد سبق

* (سورة التكاثر مختلف فيها وهي ثمان آيات) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(ألهاكم التكاثر) اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه ويقال لهوت بكذا ولهوت عن كذا اى اشتغلت عنه بلهو ويعبر به عن كل ما به استمتاع ويقال الهى عن كذا اى شغل عما هو اهم والتكاثر التبارى في الكثرة والتباهي بها وان يقول هؤلاء نحن اكثر وهؤلاء نحن اكثر والمعنى شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها وبالفارسية مشغول كرد شمارا فخر كردن به بسيارئ قوم قال ابن الشيخ الالهاء الصرف الى اللهو والعبث والتكاثر اذا صرف العبد الى اللهو يكون العبد منصرفا اليه ومعلوم ان الانصراف الى الشئ يقتضي الاعراض عن غيره فتفسير ألهاكم بكذا بشغلكم تفسير له بما يلزم اصل معناه الا انه صار حقيقة عرفية فيه بالغلبة وحذف الملهى عنه اى الذي الهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة اما الاول فلان الحذف كالتنكير قد يجعل ذريعة الى التعظيم لاشتراكهما في الابهام واما الثاني فلان تذهب النفس كل مذهب ممكن فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام مثل الهاكم التكاثر عن ذكر الله وعن الواجبات والمندوبات مما يتعلق بالقلب كالعلم والتفكر والاعتبار او بالجوارح كأنواع الطاعات وتعريف التكاثر للعهد والمعهود المذموم هو التكاثر في الامور الدنيوية الفانية كالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء واما التفاخر بالامور الاخروية الباقية فممدوح كالتفاخر بالعلم والعمل والاخلاق والصحة والقوة والغنى والجمال وحسن الصوت اذا كان بطريق تحديث النعمة ومن ذلك تفاخر العباس رضي الله عنه بان السقاية بيده وتفاخر شيبة بان مفتاح البيت بيده الى ان قال علي رضي الله عنه وانا قطعت خرطوم الكفر بسيفي فصار الكفر مثلة والتكاثر مكاثرة اثنين مالا او عددا بان يقول كل منهما لصاحبه انا اكثر منك مالا واعز نفرا والمراد هنا هو التكاثر في العدد لانه روى ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف اى غلبهم بالكثرة فقال بنو سهم ان البغي افنانا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات (قال الكاشفي) بكورستان رفتند وكورها بشمردند كه اين قبر فلان واين قبر فلان قبور اشراف قبيلهٔ خود شمردند * فكثرهم بنو سهم يعنى سه خاندان بنى سهم زياده آمد برنى عبد مناف بربن نسق بريكديكر تطاول نمودند وتفاخر كردند والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء (حتى زرتم المقابر) اى حتى استوعبتم عددهم وصرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات وبالفارسية تاحدى آمديد

بكورستانها ومردكانرا شماره كرديد فعبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة القبور اى جعلت كناية عنه تهكما بهم قال الطيبي انما كان تهكما لان زيارة القبور شرعت لتذكر الموت ورفض حب الدنيا وترك المباهاة والتفاخر وهؤلاء عكسوا حيث جعلوا زيارة القبور سببا لمزيد القسوة والاستغراق فى حب الدنيا والتفاخر فى الكثرة وهذا خبر فيه تقريع وتوبيخ والغاية تدخل تحت المغيا فى هذا الوجه وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعى لاخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت والتكاثر هو التكاثر بالمال والولد كما روى انه عليه السلام سمع انه يقرأ هذه الآية ويقول بعدها يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الاما اكلت فأفنيت او لبست فأبليت او تصدقت فأمضيت وفيه اشارة الى انهم يبعثون فان الزائر منصرف لامقيم وقرأها عمر بن عبد العزيز قال مارى المقابر الازيارة ولابد لمن زار ان يرجع الى بيته اما الى الجنة اوالى النار وفيه تحذير عن الدنيا وترغيب فى الآخرة والاستعداد للموت * روزى كه اجل كند شبيخون * البته بباید از جهان رفت * كردل نبود اسير دنيا * آسان ره ازين جهان توان رفت (كلا) ردع عما هم فيه من التكاثر اى ليس الامر كما يتوهم هؤلاء من ان فضل الانسان وسعادته بكثرة اعوانه وقبائله وامواله اى ارتدعوا عن هذا وتنبهوا من الخطأ فيه وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان لايكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) اى سوف تعلمون الخطأ فيما انتم عليه اذا عاينتم ماقدامكم من هول المحشر فالعلم بمعنى المعرفة ولذا قدر له مفعول واحد وهو انذار وتخويف ليخافوا و ينتبهوا من غفلتهم قال الحسن رحمه الله لايغرنك كثرة من ترى حولك فانك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك (ثم كلا سوف تعلمون) تأكيد لتكرير الردع والانذار وفى ثم دلالة على ان الانذار الثانى ابلغ من الاول لان فيه تأكيدا خلا عنه الاول لان فيه تنزيلا لبعد المرتبة منزلة بعد الزمان واستعمالا للفظ ثم فى مجرد التدرج فى درج الارتقاء كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لاتفعل اوالاول عند الموت فى وقت مابشر به المحتضر من جنة اونار اوفى القبر حين سؤال منكر ونكير من ربك ومادينك ومن نبيك والثانى عند النشور حين ينادى المنادى شقى فلان شقاوة لاسعادة بعدها وحين يقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون فعلى هذا لاتكرير فى الآية لحصول التغاير بينهما بتغاير زمانى العلمين وتعليقهما فانه يلقى فى كل واحد من الزمانين نوعا آخر من العذاب وثم على بابها من المهلة لتباعد مابين الموت والنشور وكذا مابين القبور والنشور وعن على رضى الله عنه مازلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت السورة الى قوله تعالى ثم كلا سوف تعلمون اى سوف تعلمون فى القبر ثم فى القيامة وفى الحديث يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة اوان تنينا منها نفخ فى الارض ماانبتت خضراء (كلا) تكرير للتنبيه تأكيدا (لو تعلمون علم اليقين) جواب لو محذوف للتهويل فانه اذا حذف الجواب يذهب الوهم كل مذهب ممكن والعلم مصدر اضيف الى مفعوله وانتصابه بنزع الخافض واليقين صفة لموصوف محذوف والمعنى لو تعلمون مابين ايديكم علم الامر اليقين اى لو علمتم ماتستيقنونه لفعلتم مالايوصف ولايكتنه ولكنكم ضلال جهلة فاليقين بمعنى المتيقن به كمال التيقن حتى كأنه عين اليقين والافيلزم اضافة احد المترادفين الى الآخر اذ العلم فى اللغة بمعنى اليقين وقد يجعل العلم من اضافة العام الى الخاص بناء على ان اليقين اخص من العلم فان العلم قد يعم الظن واليقين فتكون اضافته كاضافة بلد بغداد ويدل عليه قولهم العلم اليقين بالوصف (لترون الجحيم) جواب قسم مضمر اكد به الوعيد حيث انما اوعدوا به مما لامدخل فيه للريب وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما ولايجوز ان يكون جواب لو لان رؤية الجحيم محققة الوقوع وليست بمعلقة فلو جعل جواب لو لكان المعنى انكم لاترونها لكونكم جهالا وهو غير صحيح وقال بعضهم يصح ان يكون جوابا فيكون المعنى سوف تعلمون الجزاء ثم قال لو تعلمون الجزاء علم اليقين الآن لترون الجحيم يعنى يكون الجحيم دائما فى نظركم لايغيب عنكم اصلا (ثم لترونها) تكرير للتأكيد اوالاولى اذا رأوها من مكان بعيد ببعض خواصها واحوالها مثل رؤية لهبها ودخانها والثانية اذا وردوها فان معاينة نفس الحفرة ومافيها من الحيوانات المؤذية وكيفية السقوط فيها اجلى واكشف من الرؤية الاولى فعلى هذا يتنازع الفعلان فى عين اليقين اوالمراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة (عين اليقين) اى الرؤية التى هى نفس اليقين

فان علم المشاهدة للمحسوسات اقطى مراتب اليقين فلا يرد ان اعلى اليقينيات الاوليات وانما قيد الرؤية بعين اليقين احترازا عن رؤية فيها غلط الحس، وانتصاب عين اليقين على انه صفة لمصدر لترونها وجعل الرؤية التى هى سبب اليقين نفس اليقين مبالغة (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال فى التيسير كلمة ثم للترتيب فى الاخبار لا فى الوجود فان السؤال بان اشكرت فى تلك النعمة ام كفرت يكون فى موقف الحساب قبل دخول النار والمعنى ثم لتسألن يوم رؤية الجحيم وورودها عن النعيم الذى الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فتعذبون على ترك الشكر فان الخطاب فى لتسألن مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل على نفسه مشاقهما فان من تمتع بنعمة الله وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اكل هو واصحابه تمرا وشربوا ماء فقال الحمد لله الذى اطعمنا وسقانا كما فى الكشاف فدخلت فى الآية كفار مكة ومن لحق بهم فى وصفهم من فسقة المؤمنين وقيل الآية مخصوصة بالكفار وقال بعضهم المراد بالنعيم هو الصحة والفراغ وفى الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وفى هذا الحديث دلالة على عظم محل هاتين النعمتين وجلالة خطرهما وذلك لان بهما يستدرك مصالح الدنيا ويكتسب درجات الآخرة فان الصحة تنبئ عن اجتماع القوى الذاتية والفراغ يدل على انتظام الاسباب الخارجة المنفصلة ولا قدرة على تمهيد مصلحة من مصالح الدنيا والآخرة الا بهذين الامرين ثم سائر النعيم من بعد توابعهما وقد قال معاوية بن قرة شدة الحساب يوم القيامة على الصحيح الفارغ يقال له كيف اديت شكرهما وعن الحسن رحمه الله ماسوى كن يؤويه وثوب يواريه وكسرة تقويه يسأل عنه ويحاسب عليه وقال بعض السلف من اكل فسمى وفرغ فحمد لم يسأل عن نعيم ذلك الطعام وقال رجل للحسن رحمه الله ان لنا جارا لا يأكل الفالوذج ويقول لا اقوم بشكره فقال ما اجهل جاركم نعمة الله عليه بالماء البارد الاكثر من نعمته بجميع الحلاوى ولذلك قال عليه السلام اول ما يسأل العبد عنه من النعيم الم نصح جسمك ونروك من الماء البارد وفى عين المعانى عن النعم الخمس شبع البطون وبرد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق وقال ابن كعب النعيم ذات محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو الرحمة والنعمة بالآيتين وهما قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * وهمه را ازدعوت وملت واتباع سنت اوخواهند پرسيد * چه نعمتيست بزرك ازخدا كه بر ثقلين * سپاس دارئ اين نعمت است فرض العين * يقول الفقير النعيم اما نعيم جسمانى وشكره بمحافظة احكام الشريعة واما نعيم روحانى وشكره بمراعاة آداب الطريقة فانه كلما ازدادت المحافظة والمراعاة ازداد النعيم كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومامن عضو من الاعضاء وقوة من القوى الا وهى مطلوبة بنوع شكر ولذلك قال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا على ان عالم الصفات والاسماء كلها عالم النعيم وفقنا الله واياكم لشكر النعيم انه هو البر الرحيم وفى الحديث الا يستطيع احدكم ان يقرأ الف آية فى كل يوم قالوا ومن يستطيع ان يقرأ الف آية فى كل يوم قال اما يستطيع احدكم ان يقرأ الهاكم التكاثر مرة على ما قال السيوطى رحمه الله فى الاتقان ان القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية فاذا تركنا زيادة الآلاف كان الالف سدس القرآن وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن فانها على ما ذكره الغزالى رحمه الله ثلاثة مقاصد مهمة وثلاثة متمة واحد المقاصد المهمة معرفة الآخرة المشتمل عليها السورة والتعبير عن هذا المعنى بالف آية افهم واجل واصح من التعبير بالسدس انتهى يقول الفقير هذا منتقض بسورة الزلزلة فانها ايضا تشتمل على احكام الآخرة ومعرفتها وقد سبق انها تعدل نصف القرآن او ربعه والظاهر ان المراد بالالف التكثير لان اول السورة مما ينبئ عنه ومن الله التوفيق والارشاد

(سورة العصر ثلاث آيات مكية او مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والعصر) اقسم سبحانه بصلاة العصر فانه كثيرا ما يطلق العصر ويراد صلاته وذلك لفضلها الباهر لكونها وسطى لتوسطها بين الشفع الذى هو صلاة الظهر وبين الوتر النهارى الذى هو صلاة المغرب فانها لما توسطت

بين الطرفين اتصفت بالوصفين و ظهرت بالحكمين وتحققت بالكمالين كما هو حكم البرازخ فحصل لها من القدر مالم يكن لكل واحد من الطرفين وايضا ان اوقات اوائل الصلوات الاربع محدودة الا العصر يعنى ان اول صلاة العصر غير محدود بالحد المحقق ففيه سر التنزيه عن التقييد بالحدود ولذا شرع التكبير فى الصلاة لان الله تعالى منزه عن التقييد باوضاع الصلاة وحركات المصلى قال بعض الكبار صلاة العصر بركعاتها الاربع اشارة الى التعينات الاربعة الذاتية والاسمائية والصفاتية والافعالية فى مرتبة الجمال الكونى بالفعل كما ان الظهر اشارة اليها فى مرتبة الجمال الالهى بالفعل ولاشك ان الانسان كون جامع ففى العصر اشارة اليه وفى الحديث من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله اى نقص اى ليكن من فوتها حذرا كما يحذر من ذهاب اهله وماله وسر الوعيد ان التكليف فى اداء صلاة العصر اشق لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم واشتغالهم بمعايشهم آخر النهار لبرد الهواء حينئذ لا سيما فى ارض الحجاز فالكسب الحاصل فى ذلك الوقت مع السهو عن الصلاة فى حكم الخسران وسبب للخذلان (حكى) ان امرأة كانت تصيح فى سكك المدينة وتقول دلونى على النبى عليه الصلاة والسلام فراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها ماذا حدث قالت يارسول الله ان زوجى غاب عنى فزنيت فجاء لى ولد من الزنى فألقيت الولد فى دن من الخل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لى من توبة فقال عليه السلام اما الزنى فعليك الرجم بسببه واما القتل فجزاؤه جهنم واما بيع الخل فقد ارتكبت به كبيرة لكن ظننت انك تركت صلاة العصر ويقال ان الله تعالى اقسم بوقت العصر نفسه كما اقسم بالفجر فقد خلق فيه اصل البشر آدم عليه السلام فكان له شرف زائد على غيره ويقال اقسم بالعشى الذى هو مابين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى لما فيها جميعا من دلائل القدرة ويقال اقسم بعصر النبوة الذى مقداره فيما مضى من الزمان مقدار وقت العصر من النهار وهو زمان بعثته الى انقراض امته فى آخر الزمان وهو ألف سنة كما قال عليه السلام ان استقامت امتى فلها يوم وان لم تستقم فلها نصف يوم وفضل هذا العصر على سائر الاعصار ظاهر لانه عصر خير الانبياء والمرسلين وعصر خير الامم وخير الكتب الالهية وفيه ظهر تمام الكمالات تفصيلا ويقال اقسم بالدهر لانطوائه على اعاجيب الامور القارة والمارة وللتعريض بنفى مايضاف اليه من الخسران فان الانسان يضيف المكاره والنوائب اليه ويحيل شقاوته وخسرانه عليه والاقسام بالشئ اعظام له ومايضاف اليه الخسران لايعظم عادة وقد قال عليه السلام لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر فاقسم الله بالدهر لانه بالنسبة الى الفهم العام محل شهود الآيات الالهية كالليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وغيرها وبالنسبة الى الفهم الخاص مظهر التجليات الالهية لظهوره تعالى بصفاته وافعاله فى مظهره فلما كان العصر جامعا لجميع الآيات التى اقسم الله بها فى القرآن كقوله تعالى والفجر وليال عشر وقوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها وقوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى ختم الله بقسم العصر اقسام جميع القسم وفى التأويلات النجمية اقسم الله بكمال دوام الزمان واستمراره لاشتماله على ولاية النبى عليه السلام ونبوته ورسالته وخلافته لقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين اى بين ماء العلم وطين المعلوم ولقوله نحن الآخرون السابقون ولقوله حكاية عن الله سبحانه لولاك لما خلقت الافلاك ولقوله انا من الله والمؤمنون منى ويقوى هذه الاحاديث قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اى من عالمى زمانه وما كان بعده وما كان قبله لان العالمين جمع محلى بالالف واللام فيدل على العموم والشمول كما فى قوله تعالى الحمد لله رب العالمين (ان الانسان) التعريف للجنس يعنى الاستغراق بدلالة صحة الاستثناء من الانسان فان صحة الاستثناء من جملة ادلة العموم والاستغراق (لفى خسر) الخسر والخسران معناه النقصان وذهاب رأس المال فى حق جنس الانسان هو نفسه وعمره والتنكير للتفخيم اى لفى خسران عظيم لايعلم كنهه الا الله فى متاجرهم وصرف اعمارهم فى مباغيهم يعنى هرآينه در زيانند بصرف اعمار در مطالب ناپايدار * مده به بيهده نقد عزيز عمر بدست * كه پس زيان كنى وسر تراندارد سود والذنب يعظم اما لعظم من فى حقه الذنب اولانه فى مقابلة النعمة العظيمة وكلا الوجهين حاصل فى ذنب العبد فى حق ربه فلاجرم كان ذلك الذنب فى غاية العظم ويجوز ان يكون التنوين للتنويع اى نوع من الخسران غيرما يتعارفه الناس (الا الذين

آمنوا) بالله الايمان العلمي اليقيني وعرفوا ان لا مؤثر بالحقيقة الا الله وبرزوا عن حجاب الدهر (وعملوا الصالحات) اى اكتسبوا الفضائل والخيرات الباقية فربحوا بزيادة النور الكمالى على النور الاستعدادى الذى هو رأس مالهم فانهم فى تجارة لن تبور حيث باعوا الفانى الخسيس واشتروا الباقى النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيالها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم واستدل بعض الطوائف بالآية على ان مرتكب الكبيرة مخلد لانه لم يستثن من الخسران الا الذين آمنوا الخ والتفصى منه ان غير المستثنى فى خسر لامحالة اما بالخلود ان مات كافرا واما بالدخول فى النار ان مات عاصيا لم يغفر له واما بفوات الدرجات العالية ان غفر (وتوصوا بالحق) الخ بيان لتكميلهم لغيرهم اى وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذى لاسبيل الى انكاره ولا زوال فى الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله واتباع كتبه ورسله فى كل عقد وعمل (وتوصوا بالصبر) اى عن المعاصى التى تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليها اداؤها وعلى ما يبلو الله به عباده وتخصيص هذا التواصى بالذكر مع اندراجه تحت التواصى بالحق لابراز كمال الاعتناء به اولان الاول عبارة عن رتبة العبادة التى هى فعل ما رضى به الله تعالى والثانى عن رتبة العبودية التى هى الرضى بما فعل الله فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تشوق اليه من فعل اوترك بل هو تلقى ما ورد منه تعالى بالجميل والرضى به ظاهرا وباطنا ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود فان المقصود بيان ما فيه الفوز بالحياة الابدية والسعادة السرمدية واشعارا بان ما عدا ما عد يؤدى الى خسر ونقص حظ اوتكرما فان الابهام فى جانب الخسر كرم لانه ترك تعداد مثالبهم والاعراض عن مواجهتهم به وروى عنه عليه السلام انه قال اقسم ربكم بآخر النهار ان ابا جهل لفى خسر الا الذين آمنوا اى ابا بكر رضى الله عنه وعملوا الصالحات اى عمر رضى الله عنه وتوصوا بالحق اى عثمان رضى الله عنه وتواصوا بالصبر اى عليا رضى الله عنه فسرها بذلك على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم على المنبر فيكون تكرير وتواصوا لاختلاف الفاعلين واما على الاول فلا ختلاف المفعولين وهما قوله بالحق وبالصبر روى عن الشافعى رحمه الله انها سورة لولم ينزل الى الناس الا هى لكفتهم وهو معنى قول غيره انها شملت جميع علوم القرآن

تمت سورة العصر فى خامس جمادى الاولى من سنة سبع عشرة ومائة والف

* (سورة الهمزة تسع آيات مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(ويل) بالفارسية بمعنى واى وهو مبتدأ وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة اوبشدة الشر خبره قوله (لكل همزة لمزة) الهمز الكسر واللمز الطعن شاعا فى الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وفى القاموس الهامز والهمزة الغماز واللمزة العياب للناس اوالذى يعيبك فى وجهك والهمزة من يعيبك فى الغيب انتهى وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المعود وفى ادب الكاتب لابن قتيبة فعلة بسكون العين من صفات المفعول وفعلة بفتح العين من صفات الفاعل يقال رجل هزءة للذى يهزأ به وهزأة لمن يهزأ بالناس وعلى هذا القياس لعنة ولعنة ولمزة ولمزة وغيرها ونزولها فى الاخنس بن شريف اوفى الوليد بن المغيرة فان كلا منهما كان يغتاب رسول الله عليه السلام والاصح العموم لقوله تعالى لكل ولم يقل للهمزة واللمزة كما قرأ عبد الله كما فى عين المعانى وفى الحديث المؤمن كيس فطن حذر وقاف متثبت لايعجل عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب ليل لايدرى من اين اكتسب وفيم انفق) قال القاشانى الهمز واللمز رذيلتان مركبتان من الجهل والغضب والكبر لانهما يتضمنان الاذية وطلب الترفع على الناس وصاحبهما يريدان يتفضل على الناس ولا يجد فى نفسه فضيلة يترفع بها فينسب العيب والرذيلة اليهم ليظهر فضله عليهم ولا يشعر ان ذلك عين الرذيلة وان عدم الرذيلة ليس بفضيلة فهو مخدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتى القوة النطقية والغضبية (الذى جمع مالا) بدل من كل كانه قيل ويل للذى جمع مالا وانما وصفه [illegible] من حيث انه اعجب بنفسه مما جمع من المال [illegible] يجعل وصفا نحويا لكل لانه نكرة لايصح

ثم صيغها بالموصولات وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى (وعدده) اى عده مرة بعد اخرى من غيران يؤدي حق الله منه ويؤيده انه من العد وهو الاحصاء لا من العدة انه قرئ وعدده بفك الادغام على انه فعل ماض بمعنى احصاه وضبط عدده وقيل معنى عدده جعله عدة وذخيره لنوائب الدهر وكان للاخنس المذكور اربعة آلاف دينار اوعشرة آلاف ثم في الجمع اشارة الى القوة الشهوانية وفي عدده الى الجهل لان الذى جعل المال عدة للنوائب لا يعلم ان نفس ذلك المال هو الذى يجر اليه النوائب لاقتضاء حكمة الله تفريقه بالنائبات فكيف يدفعها وفي التأويلات النجمية جمع مال الاخلاق الذميمة والاوصاف الرديئة وجعله عدة منازل الآخرة والدخول على الله (يحسب أن ماله اخلده) اظهار المال لزيادة التقرير اى يعمل من تشييد البنيان وايثاقه بالصخر والآجر وغرس الاشجار وكرى الانهار عمل من يظن انه لا يموت بل ماله يبقيه حيا فالحسبان ليس بحقيقي بل محمول على التمثيل وقال ابو بكر بن طاهر رحمه الله يظن ان ماله يوصله الى مقام الخلد وانما قال اخلده ولم يقل يخلده لان المراد ان هذا الانسان يحسب ان المال قد ضمن له الخلود واعطاه الامان من الموت فكأنه حكم قد فرغ منه ولذلك ذكره بلفظ الماضي قال الحسن رحمه الله ما رأيت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه كالموت ونعم ما قال (كلا) ردع له عن ذلك الحسبان الباطل يعنى نه چنانست كه آدمى مى پندارد وقال بعضهم الاظهر انه ردع له على الهمز واللمز (لينبذن) جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع اى والله ليطرحن ذلك الذى يحسب وقوع الممتنع بسبب تعاطيه للافعال المذكورة وقال بعضهم ولك ان ترد الضمير الى كل من الهمزة واللمزة ويؤيده قراءة لينبذان على التثنية (في الحطمة) اى فى النار التى شأنها ان تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شأنه كسر اعراض الناس وجمع المال قال بعضهم قولهم ان فعلة بفتح العين للمكثر المتعود ينتقض بالحطمة فانها اطلقت على النار وليس الحطم عادتها بل طبيعتها وجوابه ان كونه طبيعيا لا ينافى كونه عادة اذ العادة على ما فى القاموس الديدن والشأن والخاصية وهو يعم الطبيعي وغيره ومنه يعلم ان النبذ فى الحطمة كان جزاء وفاقا لاعمالهم فانه لما كان الهمز واللمز عادتهم كان الحطم ايضا عادة فقوبل صيغة فعلة بفعلة وكذا ظنوا انفسهم اهل الكرامة والكثرة فعبر عن جزائهم بالنبذ المنبئ عن الاستحقار والاستقلال يعنى شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم بحصيات اخذهن احد فى كفه فطرحهن فى البحر وفيه اشارة الى الاسقاط عن مرتبة الفطرة الى مرتبة الطبيعة الغالبة (وما ادراك ما الحطمة) تهويل لامرها ببيان انها ليست من الامور التى تنالها عقول الخلق والمعنى بالفارسية وچه چيز دانا كرد ترا نادانى چيست حطمه (نار الله) اى هى نار الله (الموقدة) افروخته شده بامر وقدرت او جل جلاله وما اوقده واشعله بامره لا يقدر ان يطفئه غيره فاضافة النار اليه تعالى لتفخيمها والدلالة على انها ليست كسائر النيران وفي الحديث اوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم ألف سنة حتى ابيضت ثم ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وعن على رضى الله عنه عجبا ممن يعصى الله على وجه الارض والنار تسعر من تحته (التى تطلع على الافئدة) اى تعلو اوساط القلوب وتغشاها فان الفؤاد وسط القلب ومتصل بالروح يعنى ان تلك النار تحطم العظام وتأكل اللحوم فتدخل فى اجواف اهل الشهوات وتصل الى صدورهم وتستولى على افئدتهم الا انها لا تحرقها بالكلية اذ لو احترقت لماتت اصحابها ثم ان الله تعالى يعيد لحومهم وعظامهم مرة اخرى وتخصيصها بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما فى الجسد واشده تألما بادنى اذى يمسه اولانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة فاطلاعها على الافئدة التى هى خزانة الجسد ومحل ودائعه يستلزم الاطلاع على جميع الجسد بطريق الاولى صاحب كشف الاسرار فرموده كه آتشى كه بدلها راه يابد عجب است حسين منصور قدس سره فرموده كه هفتاد سال آتشى نار الله الموقدة درباطن ما زدند تا تمام سوخته شد نا كاه شررى ازمقدحه انا الحق برون جست ودران سوخته افتاد سوخته بايد كه ازسوزش ما خبر دهد * اى شمع بيا تا من وتو زار بگرييم * كاحوال دل سوخته هم سوخته داند (انها عليهم مؤصدة) اى ان تلك النار الموصوفة مطبقة ابوابها عليهم تأكيدا ليأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد من اوصدت الباب واصدته اى اطبقته وقد سبق فى سورة البلد (فى عمد) جمع عمود كما فى القاموس اى حال كونهم موثقين فى اعمدة (ممددة) من التمديد بالفارسية كشيدن اى ممدودة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص اى يلقون فيها على احد قطريهم والقطر الجانب والمقطرة

الخشبة التى يجعل فيها ارجل اللصوص والشطار يعنى خشبة فيها خروق تدخل فيها ارجل المحبوسين كيلا يهربوا فقوله فى عمد حال من الضمير المجرور فى عليهم او صفة لمؤصدة قاله ابو البقاء اى كائنة فى عمد ممددة توصد عليهم الابواب وتمد على الابواب العمد المطولة التى هى ارسخ من القصيرة اشتياقا فى استيثاق لا يدخلها روح ولا يخرج منها غم وفيه اشارة الى ايثاقهم وربطهم فى عمد اخلاقهم واوصافهم واعمالهم ومدهم فى ارض الذل والهوان والخسران لان اهل الحجاب لا عز لهم نسأل الله تعالى ان لا يزلنا بالاحتجاب انه الوهاب

(سورة الفيل خمس آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوب بما بعدها والرؤية علمية لان النبى عليه السلام ولد عام الفيل ولم يرهم والمراد باصحاب الفيل ابرهة وقومه وبالفيل هو الفيل الاعظم الذى اسمه محمود وكنيته ابو العباس كما سيجئ ونسبوا اليه لانه كان مقدمهم والمعنى الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله تعالى لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئات عجيبة دالة على عظم قدرة الله وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله فان ذلك من الارهاصات والارهاص ان يتقدم على دعوى النبوة ما يشبه المعجزة تأسيسالها ومقدمة كاظلال الغمام له عليه السلام وتكلم الحجر والمدر معه قال بعضهم الارهاص الترصد سميت الامور الغريبة التى وقعت للنبى عليه السلام ارهاصات لان كلا منها مما يترصد بمشاهدته نبوته فالارهاص انما يكون بعد وجود النبى وقبل مبعثه وفى كلام بعضهم ان الارهاص يكون قبل وجوده ايضا قريبا من عهده كما دل عليه قصة الفيل ورجحوا الاول فان قيل اتحاد السنة بان يكون وقوع القصة عام المولد امر اتفاقى لا يمنع عن كون الواقعة لتعظيم الكعبة فلم لا شرفها ايضا بشرف مكانه عليه السلام الا يرى انه تعالى كيف قيد الاقسام بالبلد بحلوله عليه السلام فيه حيث قال لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قال فى فتح الرحمن كان هذا عام مولد النبى عليه السلام فى نصف المحرم وولد عليه السلام فى شهر ربيع الاول فبين الفيل ومولده الشريف خمس وخمسون ليلة وهى سنة ستة آلاف ومائة وثلاث وستين من هبوط آدم على حكم التواريخ اليونانية المعتمدة عند المؤرخين وبين قصة الفيل والهجرة الشريفة النبوية ثلاث وخمسون سنة والمقصود من ذكر القصة اما تسلية النبى عليه السلام بأنه سيجزى من ظلمه كما جزى من قصد الكعبة واما تهديد الظلمة وتفصيلها ان ملك حمير وما حواها وهو ذو نواس اليهودى لما احرق المؤمنين بنار الاخدود ذات الوقود على ما سبق فى سورة البروج هرب رجل منهم الى ملك الحبشة وهو اصحمة بن بحر النجاشى بتخفيف الياء الذى اسلم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك وحرضه على قتال ذى نواس فبعث اصحمة سبعين الفا من الحبشة الى اليمن وامر عليهم ارياطا ومعه فى جنده ابرهة بن الصباح الاشرم ومعنى ابرهة بلسان الحبشة الابيض الوجه وسيجئ معنى الاشرم فركبوا البحر حتى نزلوا ساحلا مما يلى ارض اليمن وهزم ارياط ذانواس وقتله فى المعركة اوالقى هو نفسه فى البحر فهلك واستقر امر ارياط فى ارض اليمن زمانا واقام فيها سنين فى سلطانه ذلك ثم نازعه ابرهة فى امر الحبشة فكان من امراء الجند فتفرقت الحبشة فرقتين فرقة مع ارياط وفرقة مع ابرهة فكان الامر على ذلك الى ان سار احدهما الى الآخر فلما تقارب الفرقتان للقتال ارسل ابرهة الى ارياط انك لا تفعل شيئا بان تغرى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها فابرزلى وابرزلك فأينا اصاب صاحبه انصرف اليه جنده فارسل اليه ارياط ان قد انصفت فاخرج فخرج اليه ابرهة وكنيته ابو يكسوم وكان رجلا قصير الجثمان لحيما ذادين فى النصرانية وخرج اليه ارياط وكان رجلا طويلا عظيما وفى يده حربة وخلف ابرهة غلام يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع ارياط الحربة فضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة ابرهة فشرمت حاجبه وانفه وعينه وشفتيه اى شقت وقطعت وخدشت فبذلك سمى ابرهة الاشرم وحمل عتودة على ارياط من خلف ابرهة فقتله وانصرف جند ارياط الى ابرهة فاجتمعت عليه الحبشة فى اليمن بلا منازع وكان ما صنع ابرهة من غير علم النجاشى فلما بلغه ذلك غضب غضبا شديدا فقال عدا على اميرى فقتله بغير امرى

ثم حلف لايدع ابرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته فلما بلغ هذا الخبر ابرهة حلق رأسه وملأ جرابا من تراب اليمن ثم بعث به الى النجاشي مع هدايا جليلة كثيرة وكتب اليه ايها الملك انما كان ارياط عبدك وانا عبدك فاختلفنا في امرك وكل طاعة لك الا انى كنت اقوى على امر الحبشة واضبطه واسوس منه وقد حلقت رأسي حين بلغني قسم الملك وبعثت اليه بجراب تراب من ارضى ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه فلما وصل كتاب ابرهة الى النجاشي لان ورضى عنه وكتب اليه ان اثبت بارض اليمن حتى يأتيك امرى فاقام ابرهة باليمن ثم انه رأى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله الحرام فتحرك منه عرق الحسد فبنى بصنعاء كنيسة من رخام ملون وفي بعض التفاسير ودرو ديوار از زر وجواهر مرصع ومزين كردانيد وفي انسان العيون واجتهد في زخرفتها فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب وكان ينقل ذلك من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والابنوس وسماها القاليس كجميز لارتفاع بنائها وعلوها ومنها القلانيس لانها في اعلى الرأس واراد ان يصرف اليها الحاج وفي كشف الاسرار چون رسول ابرهه باآن هديها پيش ملك نجاشي رسيد وآن پيغام بداد ملك از وخشنود شد وولايت يمن جمله بدو ارزانى داشت وبوى تسليم كرد چون ان رسول بنزديك ابرهه باز آمد ابرهه شاد شد وبشكرانكه ملك ازو خشنود كشت وزرا وعقلاء مملكت خويش جمع كرد وايشانرا كفت مرا راهى سازيد بعملى كه ملك را خوش آيد واورا دران عزى وجمالى بود تا آراشكر نعمت عفو او سازم ايشان همه متفق شدند كه عرب را خانه ايست معظم ومقدس وشرف جمله عرب بدان خانه است ومردمان شرق وغرب روى بدان خانه دارند وآن خانه از سنك است تودر صنعاء يمن كنيسه بساز بنام ملك وبردين ترسايى كه دين نجاشي است واساس ان از زروسيم والوان جواهر كن وكسى فرست باطراف زمين وديار عرب وايشانرا بخوان وبزروسيم وتحفها وهديها ايشانرا رغبتى كن تا عاليان روى بدان نيسه نهند وانجا طواف كنند وملك را عزى وجمالى باشد ابرهه همچنان كرد كه ايشان كفتند وآن كنيسه بدان صفت بساخت وازبهر طمع مال وزر وسيم خلق روى بدان كنيسه نهادند وهركه انجا رفتى باهديه وتحفه باز كشتى * وكتب ابرهة الى النجاشي ايها الملك انى بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها لملك قبلك ولست ارضى حتى اصرف اليها حاج العرب فلما تحدث العرب بكتاب ابرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من بنى كنانة حتى اتى القليس (وفي كشف الاسرار) وخبر دراطراف افتاده كه ازحج وزيارة وطواف كه درمكه وخانهء عرب بود بايمن افتاد ودران وقت رئيس مكه عبد المطلب بود مردى ازعرب از ساكنان مكه نام وى زهير بن بدر ازعبد المطلب درخواست وسوكند خورد كه من بروم ودر خانهء ايشان حدث كنم برخواست وآنجا شد وچندروز آنجا عبادت كرد رتبهء مجاورت يافت شبى كفت من ميخواهم كه اينجا امشب عبادت كنم كه مرا سخت نيكو وخوش آمدست اين بقعه اورا انشب آنجا تنها بكذاشتند ودر آن خانه مسك وعنبر فراوان بود در پيوسته بوى خوش از ان ميدميد زهير آنجا حدث كرد وهمه ديوار ومحراب بنجاست بيالود آنكه آهنك بيرون كرد وبكريخت اين خبر در افاق واقطار منتشر كشت ومردم ازطواف آن متنفر ابرهه ازين حال اكاه شد ومتأثر كشت دانست كه اين مرد از مكه بود واز مجاوران كعبه سوكند خورد كه من بالشكر وحشم بروم وآن خانهء ايشان خراب كنم وبازمين برابر حتى لايحجه حاج ابدا وفي حواشي ابن الشيخ كان اصل مقصوده من هدم البيت ان يصرف الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة منهم ومن بلدتهم الى نفسه والى بلدته ورسولى فرستاد بحبشه وملك را خبر كرد از انچه زهير كرده دران كنيسه وازرفتن خويش سوى مكه وخراب كردن كعبه فخرج بالحبشه وكفته اند نجاشي پيلان بسيار فرستاد ولشكر وحشم وقال السجاوندي اغتم النجاشي لذلك وعزاه ابرهة وحجر من قواده وابو يكسوم وزيره وقال لاتحزن ان لهم كعبة هي فخرهم فننسف ابنيتها ونبيح دماءها وننهب اموالها فخرج ابرهة بجند كثير وجم غفير ومعه فيل ابيض اللون وهو فيل النجاشي بعثه اليه بسؤاله وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة يعنى بعظمت جثه مشابه كوه بود * بهيكل قوى راست چون كوه قاف * چو شير غرين چابك اندر مصاف * ومن شأن الفيل المقاتلة ولذلك كان في مربط ملك الصين ألف فيل ابيض وهو مع عظم صورته ضعيف يخاف من السنور وينزع منه وكان دليلهم كبير ثقيف وهو ابو رغال رجم العرب قبره حين

مات كما في كتاب التعريف والاعلام للامام السهيلي رحمه الله وفي كشف الاسرار ابورغال درراه هلاك شد
وكوروي معروفست براه بن حاج بن جون انجا رسيد با آن كوروي سنك انداز زند حتى صار كالجبل العظيم
وفي ذلك يقول جرير في الفرزدق الشاعر

اذا مات الفرزدق فارجموه * كما ترمون قبر ابي رغال

وفي القاموس ابو رغال ككتاب في سنن ابي داود ودلائل النبوة وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه الى الطائف فمررنا بقبر فقال هذا قبر ابي رغال وهو ابو ثقيف
وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه اصابته النقمة التي اصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه
الحديث وقول الجوهري كان دليلا للحبشة حين توجهوا الى مكة فمات في الطريق غير جيد وكذا قول ابن سيدة
كان عبد الشعب وكان عشارا جائرا انتهى كلامه ابرهه چون باطراف حرم رسد بيرون حرم نزول كرد وبعث
رجلا من الحبشة يقال له الاسود حتى انتهى الى مكة فساق اليه اموال تهامة يعني هرچه در حوالئ شهر
مكه شتر بود وكوسفند غارت كرد ودر جمله دويست سر شتران عبد المطلب كه بوقف حاج كرده بود بغارت
بردند وقال بعضهم فلما بلغ المغمس وهو كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فيه قبر ابي رغال دليل ابرهه
ويرجم كما في القاموس اي على ما اشتهر والا فاقض كلامه السابق خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث
اموال تهامة ليرجع فأبى وفي شرح البردة للمرزوقي لما نزل المغمس بعث حناطة الحميري الى مكة وقال له سل عن
سيد هذا البلد وشريفهم وقل له ان الملك يقول اني لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم
تعرضوا دونه لحرب فلا حاجة لي بدمائكم فان هو لم يرد حربي فأتني به وفي كشف الاسرار ابرهه چون آنجا نزول
كرد هيبت خانهٔ كعبه در دل وي اثر كرد وازان قصد كه داشت پشيمان كشت ودر دل خود ميخواست كه كسي
درحق خانه شفاعت كند تا بازكردد بفرمود كه رئيس مكه را بياريد ورئيس آنكاه عبد المطلب بود با جمعي
بني هاشم بنزديك ابرهه آمد وآن مرد كه فرستاده بود پيش ازرسيدن عبد المطلب درپيش ابرهه شد وقال
المرزوقي رحمه الله استأذن لعبد المطلب بعض وزرائه يقال له انيس سائس الفيل وكفت قد جاءك سيد قريش
وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال حقا مردي مي آيد بحضرت تو كه
بدرستي وراستي سيد قريش است مردي كريم طبع نيكوروي باسيادت وباسخاوت وباهيبت وانكه
ازوي نور همي تابد كه منظروي بترساند يعني نور مصطفى عليه السلام ازپيشاني وي همي تافت ابرهه
خويشتن را زي نيكو بياراست وبرتخت نشست وعبد المطلب را اجازت داد چون درآمد نخواست كه اورا
باخود برتخت نشاند يعني كره ان تراه الحبشة يجلس على سرير ملكه ازتخت بزير آمد وباعبد المطلب به پايان
تخت بنشست واورا اجلال كرد ونيكو بنواخت سخنان وي اورا خوش آمد وباخود كفت اكر در حق
خانه شفاعت كند اورا نوميد نكنم پس ترجمانرا كفت تا حاجتي كه دارد بخواهد عبد المطلب كفت حاجت
من اينست كه دويست شتر ازان من بياورده اند وكانت ترعى بذي المجاز بفرماى تا بازدهند ابرهه را زان
اندها آمد ترجمانرا كفت بپرس ازوي تاچرا ازبهر خانهٔ كعبه حاجت نخواست خانهٔ كه شرف وعز شما بانست
وسبب عصمت وحرمت شما آنست درقديم دهر ومن آمده ام تاآنرا خراب كنم مي نخواهي اين اشتران چه
خطر باشد كه ميخواهي قال عبد المطلب انا رب الابل وللبيت رب يحفظه كما حفظه من تبع وسيف بن ذي
يزن وكسرى ابرهه ازين سخن در خشم شد وكفت ردوا عليه بعرانه لينظر من يحفظ البيت مني
عبد المطلب بازكشت ومكيانرا فرمود هرچه داشتند از مال ومتاع بركرفتند وباكوه شدند ومكه خالي
كردند اي تخوفا من معرة الجيش فجهز ابرهة جيشه وقدم الفيل الاعظم المذكور فكان كلما وجهوه الى الحرم
برك ولم يبرح كما بركت القصواء في الحديبية حتى قال عليه السلام حبسها حابس الفيل ومعنى بروك الفيل سقوطه
على الارض لما جاءه من امر الله اولزوم موضعه كالذي برك والا فالفيل لايبرك كما قال عبد اللطيف البغدادي
الفيلة تحمل سبع سنين واذا تم حملها وارادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها لانها تلد وهي قائمة
ولا فواصل لقوائمها فتلد والذكر عند ذلك يحرسها وولدها من الحيتان انتهى وقال بعضهم الفيل صنفان صنف
لايبرك وصنف يبرك كالجمل انتهى واذا وجهوه الى اليمن اوالى غيره من الجهات هرول والهرولة كالدحرجة

مابين المشي والعشي وامر ابرهة ان يسقي الفيل الخمر ليذهب تمييزه فسقوه فثبت على امره وكفته اند نفيل ابن حبيب الخثعمي كوش آن فيل كرفت وكفت ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام چون اين سخن بشنيد پيل فرو كفت باز كشت وپاى در حرم ننهاد ونفيل هذا قاتل ابرهة بارض خثعم وهو جيل واهله خثعميون وابو قبيلة فهزمه ابرهة فاخذه اسيرا فلما اتى به وهم ابرهة بقتله قال ايها الملك لاتقتلني فاني دليلك بارض العرب فخلى سبيله وخرج به معه يدله على ارض العرب حتى اذا مر بالطائف رأى اهله ان لاطاقة لهم به فانقادوا له وبعثوا معه ابى رغال فانزلهم بالمغمس وهو على ستة اميال من مكة ومات ابو رغال هناك وقبره المرجوم فيه كما في بعض التفاسير قال المرزوقي رأى العرب جهاد ابرهة حقا عليهم فكانوا يجمعون لقتاله في الطريق قبائل قبائل فهزمهم ابرهة ومن جملة من هزمهم واسرهم نفيل بن حبيب اخذه وماقتله ليكون دليلا له واخذ عبد المطلب بحلقة البيت ودعا وقال (لاهم ان المرء يحمي رحله فامنع حلالك) لايغلبن صليبهم * ومحالهم غدوا محالك) وذلك انهم كانوا نصارى اهل صليب ولاهم اصله اللهم فان العرب تحذف الالف واللام وتكتفي بما يبقى والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهى البيوت المجتمعة والمحال بكسر الميم الشدة والقوة والغد وبالغين المعجمة اصل الغد وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك الذي انت فيه فالتفت وهو يدعو فاذا بطير فقال والله انها الطير غريبة لانجدية ولاتهامية ولاحجازية وان لها لشأنا وفي حواشي ابن الشيخ كان عبد المطلب وابو مسعود الثقفي يشاهدان من فوق الجبل عسكر ابرهة فارسل الله طيرا اسودا صفر المناقير خضر الاعناق طوالها اوخضرا اوبيضا اوبلقا اوحماما كما سئل من ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن الطير فقال حمام مكة منها وقد قال ان هذا اشتباه لان الذي قيل فيه انه من نسل الابابيل انما هو شئ يشبه الزرازير يكون بباب ابراهيم من الحرام والاحمام الحرم من نسل الحمام الذي عشش على فم الغار والزرازير جمع زرزور بضم الزاي طائر صغير من نوع العصفور سمي بذلك لزرزرته اى لصوته وعن عائشة رضي الله عنها كانت تلك الطير الابابيل اشباه الخطاطيف والوطاويط وقد نشأت في شاطئ البحر ولها خراطيم الطير واكف الكلاب وانيابها وقال ابن جبير لم ير مثلها لاقبلها ولابعدها وقال عكرمة هى عنقاء مغرب وفي الخبر انها طير بين السماء والارض تعيش وتفرخ وقيل من طير السماء قيل جاءت عشية ثم صبحتهم مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه راى منها عند ام هانى نحو قفيز مخطط بحمرة كالجزع الظفاري وظفار كقطام بلد باليمن قرب صنعاء ينسب اليه الجزع وارسلت ريح فزادتها شدة فكان الحجر يقع على رأس كل واحد منهم فيخرج من اسفله وينفذ من الفيل ومن بيضهم فيخرق الارض وعلى كل حجر اسم من يقع عليه قال القاشاني والهام الوحوش والطيور اقرب من الهام الانسان لكون نفوسهم ساذجة وتأثير الاحجار بخاصية اودعها الله تعالى فيها ليس بمستنكر ومن اطلع على عالم القدرة وكشف له حجاب الحكمة عرف لمية امثال هذه وقد وقع في زماننا مثلها في استيلاء الفأر على مدينة ابى يوزد وافساد زروعهم ورجوعها في البرية الى شط جيحون واخذ كل واحدة منها خشبة من الايك التي على شط النهر وركوبها عليها وعبورها من النهر فهى لاتقبل التأويل كأحوال القيامة وامثالها انتهى وعن عكرمة كل من اصابته الحجارة جدرته وفي الخبر ان اول ماوقعت الحصبة والجدري بارض العرب ذلك العام ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل قال بعضهم فلم تصب منهم احدا الاهلك وليس كلهم اصيب كما قال في انسان العيون ثم ركب عبد المطلب لما استبطأ مجيئ القوم الى مكة ينظر ما الخبر فوجدهم قد هلكوا اى غالبهم وذهب غالب من بقي فاحتمل ماشاء الله من صفراء وبيضاء ثم اعلم اهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا انتهى يعني والذي سلم منهم ولى هاربا مع ابرهة الى اليمن يبتدر الطريق وصاروا يتساقطون بكل منهل وقال الكاشفي * وبيك نفس قوم ابرهه مستأصل شدند وآن پيلان نيز همه هلاك كشتند وقال بعضهم ولم يسلم الا الكندي فقال

أكندة لو رأيت ولاتريه * بجنب ربا المغمس ما لقينا

حسبنا الله ان قد بث طيرا * وظل سحابة تهمي علينا

واخذ ابرهة داء اسقط انامله واعضاءه ووصل الى صنعاء كذلك وهو مثل فرخ الطير ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه فملك اليمن ابنه يكسوم بن ابرهة وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص

عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه فارى الله النجاشي كيف كان هلاك اصحابه وقال بعضهم همه هلاك شدند مكر ابرهه كه مرغ برسروى ايستاد وازمكه بيرون شد روى بحبشة نهاد وآن مرغ رهوا برسروى همى بود واوغمى دانست تادر پيش نجاشى شد چون ابرهه صورت حال بعرض نجاشى رسانيد نجاشى ازروى تعجب برسيد كه چكونه مرغان بودند كه چندين مبارزانرا هلاك كردند ابرهه رادرين حال نظر بران مرغ افتاد كفت اى ملك يكى ازان مرغان اينست همان لحظة آن مرغ سنكى كه داشت بتمام وى برسرش افكند وهم دو نظر نجاشى هلاك شد وازين صورت آيت عبرتى بر صحيفة دل نجاشى منقش كشت ؛ نوشت خامهٔ تقدير بر جريدهٔ دهر ؛ خطى كه فاعتبروا يا اولى الابصار * وعن عائشة رضى الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان الناس ويعلم من ذلك انهما من جملة من سلم من قوم ابرهة ولم يذهبا بل بقيا بمكة كما فى انسان العيون وفى حواشى ابن الشيخ كان عبد المطلب وابو مسعود الثقفى يشاهدان من فوق الجبل عسكر ابرهة حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لصاحبه صار القوم بحيث لا يسمع لهم ركزا ى حس فانحطا من الجبل فد خلا المعسكر فاذاهم موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل منهما لنفسه حفرة وملأ ها من المال وكان ذلك سبب غناهما وفى كلام سبط ابن الجوزى وسبب غنى عثمان بن عفان ان اباه عفان وعبد المطلب واباسعود الثقفى لما هلك ابرهة وقومه كانوا اول من نزل مخيم الحبشة فأخذوا من اموال ابرهة واصحابه شيأ كثيرا ودفنوه عن قريش فكانوا اغنياء قريش واكثرهم مالا ولما مات عفان ورثه عثمان رضى الله عنه ثم انه يرد على ماذكر ان الحجاج خرب مكة بضرب المجنيق فلم يصبه شئ ولم يستعجل عذابه ويجاب بأن الحجاج لم يجئ لهدم الكعبة ولا لتخريبها ولم يقصد ذلك وانما قصد التضيق على عبد الله بن الزبير رضى الله عنه لسلم نفسه وفيه انه قد يشكل كونه حرما آمنا وجاء فى حق الحجاج ان عليه نصف عذاب العالم ويرد عليه ايضا قصة القرامطة وهى ان ابا سعيد كبير القرامطة وهم طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومائتين يزعمون ان لا غسل من جنابة وحل الخمر وانه لا صوم فى السنة الا يومى النيروز والمهرجان ويزيدون فى اذانهم وان محمد بن الحنفية رسول الله وان الحج والعمرة الى بيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال واهل البرارى وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من بغداد بسببه وسبب ولده ابى طاهر فان ولده ابا طاهر بنى دارا فى الكوفة وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه على البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته من القلوب وكثرت اتباعه وذهب اليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بنى العباس غير مامرة وهو يهزمهم ثم ان المقتدر سير ركب الحاج الى مكة فوافاهم ابو طاهر يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفى جوف الكعبة قتلا ذريعا والقى القتلى فى بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه واخذه معه وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وسقفها وقسمه بين اصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد ان اقام بها احد عشر يوما ومعه الحجر الاسود وبقى عند القرامطة اكثر من عشرين سنة وكان الناس يضعون ايديهم محله للتبرك ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا حتى اعيد الى موضعه فى خلافة المطيع لامر الله وهو الرابع والعشرون من خلفاء بنى العباس بعد اشترائه منهم وجعل له طوق فضة شد به رنته ثلاثة آلاف وسبعمائة وتسعون درهما ونصف قال بعضهم تأملت الحجر وهو مقلوع فاذا السواد فى رأسه فقط وسائره ابيض وطوله قدر عظم الذراع وبعد القرامطة فى سنة ثلاث عشرة واربعمائة قام رجل من الملاحدة وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظيات مثل الاظفار وخرج بكسره فتات اسمر يضرب الى الصفرة محببا مثل حب الخشخاش فجمع بنو شيبة ذلك الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوه فى تلك الشقوق وطلوه بطلاء من ذلك يقول الفقير لعل الجواب عن مثل هذا ان الاستئصال ومايقرب منه مرفوع عن هذه الامة واكثر ماكان من خوارق العادات كان فى ايام الامم السالفة وليست الكعبة بأفضل من الانسان الكامل وقد جرت عادة الله على التسامح عن بعض من يعاديه بل يقتله وان كان اشتد غضبه عليه فهو يمهل ولا يهمل ولعنة الله على الظالمين (الم يجعل كيدهم فى تضليل) الهمزة للتقرير وضلال كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونحوه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا فى ضلال وضل الماء فى اللبن اذا ذهب وغاب والمعنى قد جعل مكرهم وحيلتهم فى تعطيل الكعبة عن الزوار وتخريبها فى تضييع وابطال بان اهلكهم اشنع اهلاك وجزاهم بعدا هلاكهم بمثل ماقصدوا وحيث حرب كنيستهم

قال في انسان العيون لما هلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابهم الناس كلهم وقالوا هم اهل الله لان الله معهم ومزقت الحبشة كل ممزق وخرب ما حول تلك الكنيسة التي بناها ابرهة فلم يعمرها احد وكثرت حولها السباع والحيات ومردة الجن وكل من اراد ان يأخذ منها شيأ اصابته الجن واستمرت كذلك الى زمن السفاح الذى هو اول خلفاء بنى العباس فذكر له امرها وبعث اليها عامله الذى باليمن فخربها واخذ خشبها المرصع بالذهب والآلات المفضضة التى تساوى قناطير من الذهب فحصل له منها مال عظيم وحينئذ عفا رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها (وارسل عليهم طيرا) عطف على قوله الم يجعل لان الهمزة فيه لانكار النفي كما سبق (ابابيل) صفة طيرا اى جماعات لانها كانت افواجا فوجا بعد فوج متتابعة بعضها على اثر بعض اومن ههنا وههنا جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة بالفارسية دسته بزرك ازحطب شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل ابابيل مثل عباديد ومعناه الفرق من الناس الذاهبون فى كل وجه وكشماطيط ومعناه القطع المتفرقة وفيه انها لو كانت مفردات لاشكل قول النحاة ان هذا الوزن من الجمع يمنع صرفه لانه لا يوجد فى المفردات (ترميهم بحجارة) صفة اخرى لطيرا وقرأ ابو حنيفة رحمه الله يرميهم اى الله او الطير لانه اسم جمع تأنيثه باعتبار المعنى والحجارة جمع حجر بالتحريك بمعنى الصخرة والمعنى بالفارسية مى افكندند بران لشكر سنكها يقال رمى الشئ وبه القاه (من سجيل) من طين متحجر وهو الآجر معرب سنك كل وقال بعضهم متحجر من هذين الجنسين وهما سنج الذى هو الحجر وجل الذى هو الطين اوهو علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفرة كما ان سجينا علم للديوان الذى تكتب فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود وسمى ورق الزرع بالعصف لان شانه ان يقطع فتعصفه الرياح اى تذهب به الى هنا وهنا شبههم به فى فنائهم وذهابهم بالكلية اومن حيث انه حدثت فيهم بسبب رميهم منافذ وشقوق كالزرع الذى اكله الدود ويجوز ان يكون المعنى كورق زرع اكل حبه فبقى صفرا منه فيكون من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اى كعصف مأكول الحب شبههم بزرع اكل حبه فى ذهاب ارواحهم وبقاء اجسادهم او كتبن اكلته الدواب والقته روثا فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزاء الروث وقد تشويه لحالهم ومبالغة حسنة وهو انه لم يكتف بجعلهم اهون شئ فى الزرع وهو التبن الذى لا يجدى طائلا حتى جعلهم رجيعا الا انه عبر عن الرجيع بالمأكول اواشير اليه باول حاله على طريق الكناية مراعاة لحسن الادب واستهجانا لذكر الروث كما كنى بالاكل فى قوله تعالى كانا يأكلان الطعام عما يلزم الاكل من البول والغوط لذلك ودأب القرآن هو العدول عن الظاهر فى مثل هذا المقام قال بعض العارفين من كان اعتماده على غير الله هلكه الله بأضعف خلقه الا ترى ان اصحاب الفيل لما اعتمدوا على الفيل من حيث انه اقوى خلق الله اهلكهم الله بأضعف خلق من خلقه وهو الطير وكفته امداكر پيل توانى بودبارى از پشه كم مباش كه بصورت پيل است پشه كويد كه كرمن بقوت پيل نيستم كه بارى كشم بارى بصورت پيلم كه بارخويش بركس نيفكنم وفيه اشارة الى ابرهة النفس المتصفة بصفة الغضب والحقد المجبولة على خلقة الفيل كالسبعية فى السبع والكبر فى النمر فارسل الله عليها طير الارواح حاملين احجار الاذكار والاوراد فاكلتها اكل الاكلة وعصفت مزروعاتهم السيئة وبطل قليس طبيعتها الجسمانية التى كانت تدعو القوى اليها لان هذه الدعوة كانت بتزيين الشيطان فلا تقاوم دعوة الروح الى كعبة القلب التى كانت من الرحمن * هركه برشمع خدا آرد تفو * شمع كى ميرد بسوزد پوزاو * چون توخفاشان بسى بينند خواب * كين جهان ماند يتيم ازافتاب * قوله مأكول يوقف عليه ثم يكبر ولا يوصل حذرا من الايهام

(تمت سورة الفيل فى يوم الخميس سابع جمادى الاولى من سنة سبع عشرة ومائة والف)

* (سورة الايلاف اربع آيات مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(لايلاف قريش) متعلق بقوله تعالى فليعبدوا وهو قول الزجاج والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة فالايلاف تعدية الالف مصدر من المبنى للمفعول مضاف الى مفعوله الاول مطلقا عن المفعول الثانى الذى هو الرحلة كما قيد به

في الايلاف الثاني يقال الفت الشئ بالقصر وآلفته بالمد بمعنى لزمته ودمت عليه وما تركته فيكون كل من الالف والايلاف لازماو يقال ايضا آلفته يجري بالمد اي الزمته اياه وجعلته يألفه فيكون متعديا قال في تاج المصادر الايلاف الف دادن والف كرفتن وضد الايلاف والايناس هو الايحاش وقيل متعلق بما قبله من قوله فجعلهم كعصف مأكول و يؤيده انهما في مصحف ابي رضي الله عنه سورة وحدة بلا فصل فيكون الايلاف بمعنى الالف اللازم فالمعنى اهلك الله من قصدهم من الحبشة لان يألفوا هاتين الرحلتين و يجمعوا بينهما و يلزموا ايا هماو يثبتوا عليهما متصلا لا انقطاع بحيث اذا فرغوامن ذه اخذوا في ذه و بالعكس وذلك لان الناس اذا تسامعوا بذلك الاهلاك تهيبوا لهم زيادة تهيب واحترموهم فضل احترام فلا يجترئ عليهم احد فيتظم لهم الامر في رحلتيهم وكان لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون و يتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب وذلك ان قريشا اذا اصاب واحدامنهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وضربوا على انفسهم خباء حتى يموتوا وكانوا على ذلك الى ان جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام خطيبا في قريش فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه وتذلون وانتم اهل حرم الله واشرف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بني اب على الرحلتين في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام لان بلاد اليمن حامية حارة و بلاد الشام مرتفعة باردة ليتجروا فيما بدالهم من التجارات فما ربح الغني قسم بينه و بين فقرائهم حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن في العرب بنو اب اكثر مالا ولا اعز من قريش وكان هاشم اول من حمل السمراء من الشام وقريش ولد النضر بن كنانة ومن لم يلده فليس بقرشي سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن وتقلبها وتضربها فتكسرها ولا تطاق الابالنار فشبهوابها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى والتصغير للتعظيم فكأنه قيل قريش عظيم وقال بعضهم الاوجه ان التصغير على حقيقته لانه اذا كان القرش دابة عظيمة والقرش مع صغر جسمه جعل قرشا فهو لا محالة قريش وفيه ان جعل قريش قريشا لم يكن لمناسبة الجسم بل كان لوصف الآكلية وعدم المأكولية ووصف الغلبة وعدم المغلوبية وهذان الوصفان يوجدان في تلك الدابة على وجه الكمال فلا معنى للتصغير الا التعظيم قال الزمخشري سمعت بعض التجار بمكة ونحن قعود عند باب بني شيبة يصف لي القرش فقال هو مدور الخلقة كما بين مقامنا هذا الى الكعبة ومن شأنه ان يتعرض للسفن الكبار فلا يرده شئ الا ان يأخذ اهلها المشاعل فيمر على وجهه كالبرق وكل شئ عنده قليل الا النار وبه سميت قريش قال الشاعر

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش * يأكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا

الخموش الخدوش واكلا كميشا اي سريعا وفي القاموس قرشه يقرشه و يقرشه قطعه وجمعه من ههنا وههنا وضم بعضه الى بعض ومنه قريش لتجمعهم الى الحرم اولانهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها اولان النضر ابن كنانة اجتمع في ثوبه يوما فقالوا تقرش اولانه جاء الى قومه فقالوا كانه جمل قريش اي شديد اولان قصيا كان يقال له القرشي اولانهم كانوا يفتشون الحاج فيسدون خلتها اوسميت بمصغر القرش وهو دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها اوسميت بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش والنسبة قرشي وقريشي انتهى (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) بدل من الاول ورحلة مفعول به لايلافهم وهي بالكسر الارتحال و بالضم الجهة التي يرحل اليها واصل الرحلة السير على الراحلة وهي الناقة القوية ثم استعمل في كل سير وارتحال وافرادها مع انه اراد رحلتي الشتاء والصيف لامن الالباس مع تناول اسم الجنس للواحد والكثير وفي اطلاق الايلاف عن المفعول اولا ثم ابدال المقيد منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه والشتاء الفصل المقابل للصيف وفي القاموس الشتاء احد ارباع الازمنة والموضع المشتى والصيف القيظ او بعد الربيع والقيظ صميم الصيف من طلوع الثريا الى طلوع سهيل (فليعبدوا رب هذا

البيت الذي اطعمهم) بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا بهما بواسطة كونهم من جيرانه وسكان حرمه وقيل بدعوة ابراهيم عليه السلام يجبى اليه ثمرات كل شئ (من جوع) شديد كانوا فيه قبلهما وكان الجوع يصيبهم الى ان جمعهم عمرو العلى وهو هاشم المذكور على الرحلتين قال ابوحيان من ههنا للتعليل اى لاجل الجوع وقال سعدى المفتى الجوع لا يجامع الاطعام والظاهر انها البدلية يقول الفقير الظاهر ان مآل المعنى نجاهم من الجوع بسبب الاطعام والترزيق (وآمنهم من خوف) عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل اوخوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم قال صاحب الكشاف الفرق بين عن ومن ان عن يقتضى حصول جوع قد زال بالاطعام ومن يقتضى المنع من لحاق الجوع والمعنى اطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فيكون من لابتدآء الغاية والمعنى اطعمهم فى بدء جوعهم قبل لحاقه اياهم وآمنهم فى بدء خوفهم قبل اللحاق ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من ان تكون الخلافة فى غيرهم كما فى الكشاف وعن ام هانئ بنت ابى طالب رضى الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل قريشا اى ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة للبيت فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل اى على اصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفى لفظ عشر سنين لم يعبده احد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرءآن لم يذكر فيها احد غيرهم لايلاف قريش وتسميته لايلاف قريش سورة رد ماقيل ان سورة الفيل ولايلاف قريش سورة واحدة فلينظر ما معنى عبادتهم لله دون غيرهم فى تلك المدة يقول الفقير اشار بقريش الى النفس المشركة وقواها المختلطة الخاطئة الساكنة فى البلد الانسانى الذى هو مكة الوجود وبالشتاء الى القهر والجلال وبالصيف الى اللطف والجمال واعنى بالقهر والجلال العجز والضعف لان المقهور عاجز ضعيف وباللطف والجمال القدرة والقوة لان الملطوف به صاحب التمكين فاما عجز النفس وضعفها فعند عدم مساعدة هواها واماقوتها وقدرتها فعند وجود المساعدة فهى وصفاتها ترتحل عند العجز والضعف الى يمن المعقولات لانها فى جانب يمين القلب وعند القوة والقدرة ترتحل الى شام المحسوسات لانها فى جانب شمال القلب الذى يلى الصدر فهى تنقلب بين نعم المعقولات ونعم المحسوسات ولا تشكرها بان تقر بوحدة الوجود ورسالة رسول القلب كالفلاسفة المتوغلة فى المعقولات والفراعنة المنهمكة فى المحسوسات ولذا قال تعالى فليعبدوا رب هذا البيت اى بيت القلب الذى هو الكعبة الحقيقية لانها مطاف الواردات والالهامات ومن ضرورة العبادة له الاقرار برسالة رسول الهدى الذى هو القلب فالبيت معظم مشرف مطلقا لاضافة الرب اليه فاظنك بعظمة الرب وجلاله وهيبته ورب القلب هو الاسم الجامع المحيط بجميع الاسماء والصفات وهو الاسم الاعظم الذى نيط به جميع التأثيرات العقلية والروحانية والعلية والغيبية امروا بان يكونوا تحت هذا الاسم لاتحت الاسماء الجزئية ليتخلصوا من الشرك ويتحققوا بسر وحدة الوجود فان الاسماء الجزئية تعطى التقييد والاسم الكلى يعطى الاطلاق ومن ثمة بعث النبى عليه السلام فى ام البلاد اشارة الى كليته وجمعيته وهذا الرب الجليل المفيض المعطى ازال عنهم جوع العلوم والفيوض واطعمهم بها وآمنهم من خوف الهلاك من الجوع لان نفس الجاهل كالميت ولاشك ان الاحياء يخافون من الموت هكذا ورد بطريق الالهام من الله العلام

* (سورة الماعون سبع اوست آيات مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(ارأيت) يامحمد اى هل عرفت (الذى يكذب بالدين) اى بالجزآء او بالاسلام يعنى آياديدى ودانستى آنكس راكه تكذيب ميكند بروز جزا ويادين اسلام وباور نميكند ان لم تعرفه اوان اردت ان تعرفه (فذلك الذى يدع اليتيم) اى يدفعه دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا فهو جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدأ والموصول خبره وهو ابوجهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا فايس الصبى فقال له اكابر قريش قل لمحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزآء به وهو عليه السلام ماكان يرد محتاجا فذهب معه الى ابى جهل فقام ابوجهل وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا اصبوت فقال لا والله ماصبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة خفت ان لم اجبه يطعنها فى فالذى للعهد ويحتمل الجنس فيكون عاما لكل من كان مكذبا بالدين ومن شأنه اذية الضعيف ودفعه بعنف وخشونة لاستيلاء النفس السبعية عليه (ولا يحض)

اى لايحث اهله وغيرهم من الموسرين (على طعام المسكين) اى على بذل طعامه يعنى برطعام دادن درويش ومحتاج ويمنع المعروف عن المستحق لاستيلاء النفس البهيمية ومحبة المال واستحكام رذيلة البخل فانه اذا ترك حث غيره فكيف بفعله هو نفسه فعلم ان كلا من ترك الحث وترك الفعل من امارات التكذيب وفى العدول عن الاطعام الى الطعام واضافته الى المسكين دلالة على ان ثمة كان شركة وحقا فى مال الاغنياء وانه انما منع المسكين مما هو حقه وذلك نهاية البخل وقسوة القلب اوخساسة الطبع فان قلت قد لايحض المرء فى كثير من الاحوال ولا يعد ذلك اثما فكيف يذم به قلت اما الاول عدم حضه لعدم اعتقاده بالجزاء واما الان ترك الحض كناية عن البخل ومنع المعروف عن المساكين ولا شبهة فى كونه محل الذم والتوبيخ كان منع الغير من الاحسان دلالة * چون زكرم شفله بوددر كران * منع كند از كرم ديكران * سفله نخواهد دكرى رابكام * خس نكذارد مكسى رابجام (فويل) الفاء لربط مابعدها بشرط محذوف كأنه قيل اذا كان ماذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من لوازم التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل اى شدة العذاب (للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) السهو غفلة عن شغلة وذلك ضربان احدهما ان لايكون من الانسان جوالبه ومولداته كمجنون سب انسانا والثانى ان يكون منه مولداته كمن شرب خمرا ثم ظهر منه منكر لاعن قصد الى فعله فالاول معفو عنه والثانى مأخوذ به ومنه ماذم الله فى الآية والمعنى ساهون عن صلاتهم سهو ترك لها وقلة التفات اليها وعدم مبالاة بها وذلك فعل المنافقين او الفسقة من المؤمنين وهو معنى عن ولذا قال انس رضى الله عنه الحمد لله على ان لم يقل فى صلاتهم وذلك انه لوقال فى صلاتهم لكان المعنى ان السهو يعتريهم وهم فيها اما بوسوسة شيطان او بحديث نفس وذلك لايكاد يخلو منه مسلم والخلوص منه عسير لما نزلت هذه الآية قال عليه السلام هذه خير لكم من ان يعطى كل واحد منكم مثل جميع الدنيا فان قلت هل صدر عن النبى عليه السلام سهو قلت نعم كما قال (شغلونا عن صلاة العصر) اى يوم الخندق (ملأ الله قلوبهم نارا) وايضا سها عن صلاة الفجر ليلة التعريس وايضا صلى الظهر ركعتين ثم سلم فقال له ابو بكر رضى الله عنه صليت ركعتين فقام واضاف اليهما ركعتين لكن سهوه عليه السلام فيما ذكر وفى غيره ليس كسهو سائر الخلق وابهم مثله عليه السلام وهو الاستغراق والانجذاب دائما وقد قال تنام عينى ولا ينام قلبى وفيه اشارة الى السهو عن شهود لطائف الصلاة والغفلة عن اسرارها وعلومها وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه لاهون مكان ساهون فعلى العاقل ان لاتفوته الصلاة التى هى من باب المعراج والمناجاة ولايعبث فيها باللحية والثياب ولايكثر التثاؤب والالتفات ونحوهما ومن المصلين من لايدرى عن كم انصرف ولا ما قرأ من السورة (الذين هم يراؤن) اى يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها فان قلت فحينئذ يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان الثناء لايتعلق به الرؤية البصرية قلت هو محمول على عموم المجاز او على جعل الاراءة من الرؤية بمعنى المعرفة قال فى الكشاف والعمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولاغمة فى فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لايلام بتركه ولاتهمة فيه وان اظهره قاصدا للاقتداء فيه كان جميلا وانما الرياء ان يقصد ان تراه الاعين فتثنى عليه بالصلاح واجتناب الرياء صعب لانه اخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة المظلمة على المسح الاسود * كايد دردوزخست آن نماز * كه درچشم مردم كزارى دراز * والفرق بين المرائى والمنافق ان المنافق يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائى يظهر زيادة الخشوع وآثار الصلاح ليعتقد من يراه انه من اهل الصلاح وحقيقة الرياء طلب مافى الدنيا بالعبادة وفيه اشارة الى ان من يضيف اعماله واحواله الى نفسه الظلمانية فهو مراء (ويمنعون الماعون) من المعن وهو الشئ القليل وسميت الزكاة ماعونا لانه يؤخذ من المال ربع العشر وهو قليل من كثير وقال ابو الليث الماعون بلغة الحبشة المال وفى برهان القرآن قوله الذين هم ثم بعده الذين هم كرر ولم يقتصر على مرة واحدة لامتناع عطف الفعل على الاسم ولم يقل الذين هم يمنعون لانه فعل فحسن العطف على الفعل وهذه دقيقة انتهى والمعنى ويمنعون الزكاة كما دل عليه ذكره عقيب الصلاة اوما يتعاور وعادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان من عدم الاعتقاد بالجزاء موجب للذم والتوبيخ فعدم المبالاة بالصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام وسوء المعاملة

مع الخلق احق بذلك وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيباه والمراد بما يتعاورهم عادة اى يتداوله الناس بالعارية و يعين بعضهم بعضا باعارته هو مثل الفاس والقدر والدلو والابرة والقصعة والغربال والقدوم والمقدحة والنار والماء والملح ومن ذلك ان يلتمس جارك ان يخبز فى تنورك او يضع متاعه عندك يوما او نصف يوم عن عائشة رضى الله عنها انها قالت يارسول الله ما الذى لا يحل منعه قال الماء والنار والملح فقالت يارسول الله هذا الماء فبال النار والملح قال لها ياحميراء من اعطى نارا فكأنما تصدق بجميع ماطبخ بتلك النار ومن اعطى ملحا فكأنما تصدق بجميع ماطيب بذلك الملح ومن سقى شربة من الماء حيث لا يوجد الماء فكأنما احيى نفسا كما فى كشف الاسرار وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا فى الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا فى المروة فى غير حال الضرورة وفى عين المعانى فلما منعوا امنعوا من الكوثر ففى الآية الزجر عن البخل الذى هو صفة المنافقين

(تمت سورة الماعون يوم عيد المؤمنين)

* (سورة الكوثر ثلاث آيات مكية او مدنية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(انا) ان جارى مجرى القسم فى تأكيد الجملة (اعطيناك) بصيغة الماضى مع ان العطايا الاخروية واكثر مايكون فى الدنيا لم تحصل بعد تحقيقا لوقوعها (الكوثر) اى الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين فوعل من الكثرة كنوفل من النفل وجوهر من الجهر قيل لاعرابية آب ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر اى بالعدد الكثير من الخير قال فى القاموس الكوثر الكثير من كل شئ وفى المفردات وقد يقال للرجل السخى كوثر ويقال تكوثر الشئ كثر كثرة متناهية وروى عنه عليه السلام انه قرأها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء لايظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسوا الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولاتفتح لهم ابواب السدد و يموت احدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير ان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير وعن عائشة رضى الله عنها من اراد ان يسمع خرير الكوثر فليدخل اصبعيه فى اذنيه وقال عطاء هو حوض لكثرة وارديه وفى الحديث حوضى مابين صنعاء الى ايلة على احدى زواياه ابو بكر وعلى الثانية عمر وعلى الثالثة عثمان وعلى الرابعة على فمن ابغض واحدا منهم لم يسقه الآخر فيكون الحوض فى المحشر والاظهر ان جميع نعم الله داخلة فى الكوثر ظاهرة او باطنة فمن الظاهرة خيرات الدنيا والآخرة و من الباطنة العلوم اللدنية الحاصلة بالفيض الالهى بغير اكتساب بواسطة القوى الظاهرة والباطنة صاحب تأويلات فرموده كه كوثر معرفت كثرتست بوحدت وشهود وحدت درعين كثرت واين نهريست دربستان معرفت هركه ازوسيراب شد ابداز تشنكئ جهالت ايمن است واين معنى خاصهٔ حضرت رسالت عليه السلام وكمل اولياء امت او (فصل لربك وانحر) اى وانحر له فحذف اكتفاء بما قبله والفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه السلام ماذكر من العطية التى لم يعطها ولن يعطيها احدا من العالمين مستوجب للمأمور به اى استيجاب والنحر فى اللبة كالذبح فى الحلق والمعنى فدم على الصلاة لربك الذى افاض عليك هذه النعمة الجليلة التى لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه كما دل عليه اللام الاختصاصية خلافا للساهين عنها المرآئين فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة لجميع اقسام الشكر وهى ثلاثة الشكر بالقلب وهو ان يعلم ان تلك النعم منه لا من غيره والشكر باللسان وهو ان يمدح المنعم و يثنى عليه والشكر بالجوارح وهو ان يخدمه ويتواضع له والصلاة جامعة لهذه الاقسام وانحر البدن التى هى خيار اموال العرب باسمه تعالى يعنى و شتر قربان كن براى وى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم و يمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية وهذا يناسب كون السورة مدنية وعن عطية هى صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى * مصطفى را عليه السلام برسيدند كه اكر كسى درويش بود وطاقت قربان ندارد جكونه كنند تا ثواب قربان

اورا حاصل شود كفت چهار ركعت نماز كند در هر ركعتى يكبار الحمد خواند و يازده بار انا اعطيناك الكوثر الله تعالى اورا ثواب شصت قربان در ديوان روى ثبت كند كما فى كشف الاسرار وعن على رضى الله عنه النحر هيهنا وضع اليدين فى الصلاة على النحر وعن سليمان التيمى ارفع يديك بالدعاء الى نحرك وفى التأويلات النجمية وانحر بدن انانيتك وانيتك بوضع يدك اليمنى الروحانية على يدك اليسرى الجسمانية على نحرك المشروح بسيف نص الم نشرح لك صدرك (ان شانئك) يقال شنأه كمنعه وسمعه شنأ ابغضه اى مبغضك (هو) للفصل (الابتر) لبغضه لك لان نسبة امر الى المشتق تفيد علية المأخذ والبغض ضد الحب والبتر يستعمل فى قطع الذنب ثم اجرى قطع العقب مجراه فقيل فلان ابتر اذا لم يكن له عقب يخلفه والمعنى هو الذى لاعقب له حيث لايبقى له نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة آثار اقتدار تونا حشر متصل * خصم سياه روى تو بى حال وخجل * ولك فى الآخرة مالا يندرج تحت البيان وذلك انهم زعموا حين مات ابنه عليه السلام القاسم وعبدالله بمكة وابراهيم بالمدينة ان محمدا صلى الله عليه وسلم ينقطع ذكره اذا انقطع عمره لفقدان نسله فنبه الله ان الذى ينقطع ذكره هو الذى يشنأه فاماهو فكما وصفه الله تعالى ورفعنالك ذكرك وذلك انه اعطاه نسلا يبقون على مر الزمان فانظركم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم وجعله ابا للمؤمنين فهم اعقابه واولاده الى يوم القيامة وقبض له من يراعيه و يراعى دينه الحق والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين رضى الله عنه العلماء باقون مابقى الدهر اعيانهم مفقودة وآثارهم فى القلوب موجودة هذا فى العلماء الذين هم اتباعه عليه السلام فكيف هو وقد رفع الله ذكره وجعله خاتم الانبياء عليهم السلام وفى التأويلات النجمية ان شانئك هوالابتر وهو حمار النفس المبتور ذنب نسله وعقبه فان اولاد الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة والاخلاق الروحانية والاوصاف الربانية اولادك يارسول القلب واتباعك واشياعك واعوانك يقول الفقير ايده الله القدير وردت على سورة الكوثر وقت الضحى بعد القيلولة والاشارة فيها انا بجمع اسمائنا اللطفية الجمالية الاكرامية اعطيناك يامحمد القلب ورسول الهدى المبعوث الى جميع القوى بالخير والهدى الكوثر وهو العلم الكثير الفائض من منبع الاسم الرحمن فانارحمناك بهذه الرحمة العامة الشاملة لجميع الرحمات فلذا صرت مظهر الرحمة الكلية فى جميع المواطن فلك علم الاحكام وعلم الحقائق فصل فى مسجد الفناء والتسليم وهو المسجد الابراهيمى لربك اى لشكر ربك ولادامة شهوده وابقاء حضوره معك فى جميع الحالات وانحر بدنة البدن فى طريق الخدمة و بدنة الطبيعة فى طريق العفة و بدنة النفس فى طريق الفتوة ان شانئك اى مبغضك من القوى الشريرة الانفسية والآفاقية هوالابتر المقطوع اعقابه وآخره كما قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمدلله رب العالمين الذى ربى اولياءه فجعل لهم الوصل كما جعل لاعدائهم القطع ثم ان قوله هوالابتر يوقف عليه ثم يقال الله اكبر ولا يوصل بالتكبير حذرا من الايهام

* (سورة الكافرين ست آيات مكية اومدنية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(قل ياايها الكافرون) قالها فى منادتهم بهذا الوصف الذى يسترذلونه فى بلدتهم ومحل عزهم وشوكتهم ايذان بانه عليه السلام محروس منهم ففيها علم من اعلام النبوة وفى التعبير بالجمع الصحيح دلالة على قلتهم اوحقارتهم وذلتهم وهم كفرة مخصوصة كالوليد بن المغيرة وابى جهل والعاص بن وائل وامية بن خلف والاسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس ونحوهم قدعلم الله انه لايأتى ولا يأتى منهم الايمان ابدا على ماهو مضمون السورة فالخطاب للرسول عليه السلام بالنسبة الى قوم مخصوصين فلا يرد ان مقتضى هذا الامر ان يقول كل مسلم ذلك لكل جماعة من الكفار مع ان الشرع ليس حاكيا به روى ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا استلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فايسوا منه عند ذلك وآذوه واصحابه وفيه اشارة الى الذين ستروا نور استعدادهم الاصلى بظلمة صفات النفوس وآثار الطبيعة فحجبوا عن الحق بالغير (لااعبد ماتعبدون) اى فيما يستقبل لان لا لاتدخل غالبا الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما ان مالاتدخل الا على مضارع فى معنى الحال الاترى ان لن تأكيد

فيما ينفيه لا قال الخليل فى لن اصله لا والمعنى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى ولا انتم فاعلون فى المستقبل ما اطلب منكم من عبادة الهى والمراد ولا انتم عابدون عبادة يعتدبها اذ العبادة مع اشراك الانداد لا تكون فى حيز الاعتداد (ولا انا عابد ما عبدتم) اى وما كنت عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اى لم يعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف يرجى منى فى الاسلام (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى وما عبدتم فى وقت من الاوقات ما انا على عبادته وهو الله تعالى فليس فى السورة تكرار وقيل هاتان الجملتان لنفى العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله ومشتهرا بكونه عابدالله على سبيل الامتثال لامره يعنى على ما يقتضيه جعل العبادة صلة للموصول ثم عدم الموسومية بشئ لا يقتضى عدم ذلك الشئ فلا يلزم ان لا يكون عليه السلام عابدا لله قبل البعثة بل يكون ما وقع منه قبلها من قبيل الجرى على العادة المستمرة القديمة وفى القاموس كان عليه السلام على دين قومه على ما بقى فيهم من ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى حجهم ومناكحهم وبيوعهم واساليبهم واما التوحيد فانهم كانوا بدلوه والنبى عليه السلام لم يكن الا عليه انتهى وايثار ما فى اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذى لا يقادر قدر عظمته (لكم دينكم) تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم (ولى) بفتح ياء المتكلم (دين) بحذف الياء اذ اصله دينى وهو تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذى هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لى ايضا كما تطمعون فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحال وان دينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى لا يتجاوز الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذى هو عبادتى لآلهتكم او استلامى اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين فى كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما وفى عين المعانى ونحوه هو منسوخ بآية السيف وقال ابو الليث وفيها دليل على ان الرجل اذا رأى منكرا او سمع قولا منكرا فانكره ولم يقبلوا منه لا يجب عليه اكثر من ذلك وانما عليه مذهبه وطريقه وتركهم على مذهبهم وطريقتهم يقول الفقير وردت على هذه السورة وكانى اقرأها فى صلاة العصر بصوت جهورى حتى اسمعتها جميع ما فى الكون واشارتها قل يا محمد القلب يا ايها الكافرون اى القوى النفسانية الساترة للتوحيد بالشرك والطاعة بالمعصية والوحدة بالكثرة والوجود الحقيقى بالوجود المجازى ونور الحقيقة الوجوبية بظلمة الحقيقة الامكانية لا اعبد ما تعبدون من الاصنام التى يعبر عنها بما سوى الله فانى مأمور بالايمان بالله والكفر بالطاغوت وكل ما سوى الله من قبيل الطاغوت والاله المجعول المقيد فلا يستحق العبادة الا الله المطلق عن الاطلاق والتقييد ولا انتم عابدون ما اعبد وهو الله الواحد القهار الذى قهر بوحدته جميع الكثرات ولكن لا يقف عليه الا اهل الوحدة والشهود وانتم اهل الكثرة والاحتجاب فانى لكم هذا الوقوف ولا انا عابد ما عبدتم من التلوينات والتقلبات فى الكثرات الاسمائية والصفاتية ولا انتم عابدون ما اعبد من التمكين والتحقيق وكذا من التلوين فى التمكين فانه مقتضيات ظهور حقائق جميع الاسماء وليس فيه ميل وانحراف عن الحق اصلا بل فيه بقاء مع الحق فى كل طور لكم دينكم الذى هو الايمان بالطاغوت والكفر بالله وهو الدين الذى يجب التبرى منه ولى دين الذى هو الايمان بالله والكفر بالطاغوت وهو الدين الذى يجب التعلق باحكامه والتخلق باخلاقه والتحقق بحقائقه هذا فحقائق القرآن ليست بمنسوخة ابدا بل العمل بها باق ابن عباس رضى الله عنهما فرموده در قرآن سورة نيست برشيطان سختر ازين سورة زيرا كه توحيد محض است ودرو برائت از شرك فمن قرأها برئ من الشرك وتباعد عنه مردة الشياطين وامن من الفزع الاكبر وهى تعدل ربع القرآن وفى الحديث مروا صبيانكم فليقرأوها عند المنام فلا يعرض لهم شئ ومن خرج مسافرا فقرأ هذه السور الخمس قل يا ايها الكافرون اذا جاء نصر الله قل هو الله احد قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس رجع سالما غانما

(تمت سورة الكافرين بعون ناصر المؤمنين)

* (سورة النصر ثلاث آيات مدنية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاء نصر الله) اى اعانته تعالى واظهاره اياك على اعدآئك فان قلت لاشك ان ما وقع من الفتوح كان بنصرة المؤمنين فما وجه اضافتها الى الله قلت لان افعالهم مستندة الى دواعى قلوبهم وهى امور حادثة لابد لها من محدث وهو الله تعالى فالعبد هو المبدأ الاقرب والله هو المبدأ الاول والخالق للدواعى وما يبتنى عليها من الافعال والعامل فى اذا هو سبح اى فسبح اذا جاء نصر الله ولا يمنع الفاء عن العمل على قول الاكثرين او فعل الشرط وليس اذا مضافا اليه على مذهب المحققين واذا لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة لما روى ان السورة نزلت قبل فتح مكة كما عليه الاكثر (والفتح) اى فتح مكة على ان الاضافة واللام للعهد وهو الفتح الذى تطمح اليه الابصار ولذلك سمى فتح الفتوح ووقع الوعد به فى اول سورة الفتح وقد سبقت قصة الفتح فى تلك السورة وقيل جنس نصر الله ومطلق الفتح على ان الاضافة واللام للاستغراق فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر الفتوح وعلق به امره عليه السلام وانهما على جناح الوصول اليه عن قريب ويمكن ان يقال التعبير للاشارة الى حصول نصر الله بمجيء جندبهم النصر وقيل نزلت السورة فى ايام التشريق بمنى فى حجة الوداع وعاش عليه السلام بعدها ثمانين يوما او نحوها فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان بعض ما فى حيزها اعنى رؤيته دخول الناس الخ غير منقض بعد وقال سعدى المفتى وعلى هذه الرواية فكلمة اذا تكون خارجة عن معنى الاستقبال فانها قد تخرج عنه كما قيل فى قوله تعالى واذا رأوا تجارة الآية وفى المصطلحات ان الفتوح كل ما يفتح على العبد من الله تعالى بعد ما كان مغلقا عليه من النعم الظاهرة والباطنة كالارزاق والعبادات والعلوم والمعارف والمكاشفات وغير ذلك والفتح القريب هو ما انفتح على العبد من مقام القلب وظهور صفاته وكمالاته عند قطع منازل النفس وهو المشار اليه بقوله نصر من الله وفتح قريب والفتح المبين هو ما يفتح على العبد من مقام الولاية وتجليات انوار الاسماء الالهية المفنية لصفات القلب وكمالاته المشار اليه بقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر يعنى من الصفات النفسانية والقلبية والفتح المطلق هو اعلى الفتوحات واكملها وهو ما انفتح على العبد من تجلى الذات الاحدية والاستغراق فى عين الجمع بفناء الرسوم الخلقية كلها وهو المشار اليه بقوله اذا جاء نصر الله والفتح انتهى وقد سبق بعبارة اخرى فى سورة الفتح وعلى هذا فالمراد بالنصر هو المدد الملكوتى والتأييد القدسى بتجليات الاسماء والصفات وبالفتح هو الفتح المطلق الذى لا فتح ورآءه وهو فتح باب الحضرة الالهية الاحدية والكشف الذاتى ولاشك ان الفتح الاول هو فتح ملكوت الافعال فى مقام القلب بكشف حجاب حس النفس بافناء افعالها فى افعال الحق والثانى هو فتح جبروت الصفات فى مقام الروح بكشف حجاب خيالها بافناء صفاتها فى صفاته والثالث هو فتح لاهوت الذات فى مقام السر بكشف حجاب وهمها بافناء ذاتها فى ذاته ومن حصل له هذا النصر والفتح الباطنى حصل له النصر والفتح الظاهرى ايضا لان النصر والفتح من باب الرحمة وعند الوصول الى نهاية النهايات لا يبقى من السخط اثر اصلا و يستوعب الظاهر والباطن اثر الرحمة مطلقا ومن ثمة تفاوت احوال الكمل بداية ونهاية فظهر من هذا ان كلا من النصر والفتح فى الآية ينبغى ان يحمل على ما هو المطلق لكنى اقتفيت اثر اهل التفسير فى تقديم ما هو المقيد لكنه قول مرجوح تسامح الله عن قائله (ورأيت الناس) ابصرتهم او علمتهم يعنى العرب واللام للعهد او الاستغراق العرفى جعلوه خطابا للنبى عليه السلام و يحتمل الخطاب العام لكل مؤمن وحينئذ يظهر جواب آخر عن امر النبى عليه السلام بالاستغفار مع انه لا تقصير له اذ الخطاب لا يخصه فالامر بالاستغفار لمن سواه وادخاله فى الامر تغليب (يدخلون فى دين الله) اى ملة الاسلام التى لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على تقدير الرؤية البصرية حال وعلى تقدير الرؤية القلبية مفعول ثان وقال بعضهم ومما يختلج فى القلب ان المناسب لقوله يدخلون الخ ان يحمل قوله والفتح على فتح باب الدين عليهم (افواجا) حال من فاعل يدخلون اى يدخلون فيه جماعات كثيرة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روى انه عليه السلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فلن يقاومه احد وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل ومن كل من ارادهم فكانوا يدخلون فى دين الاسلام افواجا من غير قتال

(قال)

(قال الكاشفى) درسال نزول اين سوره تمامع وفود بود چون بنى اسد و بنى مره و بنى كلاب و بنى كنانه و بنى هلال وغير ايشان از انحا واطراف بخدمت آن حضرت آمده بشرف اسلام مشرف ميشدند قال ابو عمر ابن عبد البر لم يمت رسول الله عليه السلام وفى العرب رجل كافر بل دخل الكل فى الاسلام بعد حنين منهم من يقدم ومنهم من قدم وافده وقال ابن عطية والمراد والله اعلم العرب عبدة الاوثان واما نصارى بنى تغلب فما اسلموا فى حياته عليه السلام ولكن اعطوا الجزية وفى عين المعانى الناس اهل اليمن قال عليه السلام الايمان يمانى والحكمة يمانية وقال وجدت نفس ربكم من جانب اليمن اى تنفيسه من الكرب وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه انه بكى ذات يوم فقيل له فى ذلك فقال سمعت رسول الله عليه السلام يقول دخل الناس فى دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا (فسبح بحمد ربك) التسبيح مجاز عن التعجب بعلاقة السببية فان من رأى امرا عجيبا يقول سبحان الله قال ابن الشيخ لعل الوجه اطلاق هذه الكلمة عند التعجب كما ورد فى الاذكار والكل اعجوبة سبحان الله هو ان الانسان عند مشاهدة الامر العجيب الخارج عن حد امثاله يستبعد وقوعه وتنفعل نفسه منه كانه استقصر قدرة الله فلذلك خطر على قلبه ان يقول من قدر عليه واوجده ثم انه فى هذا الزعم مخطئ فقال سبحان الله تنزيها لله عن العجز عن خلق امر عجيب يستبعد وقوعه لتيقنه بان الله على كل شئ قدير قال الامام السهيلى رحمه الله سر اقتران الحمد بالتسبيح ابدا نحو سبح بحمد ربك وان من شئ الا يسبح بحمده ان معرفة الله تنقسم قسمين معرفة ذاته ومعرفة اسمائه وصفاته ولا سبيل الى اثبات احد القسمين دون الآخر واثبات وجود الذات من مقتضى العقل واثبات الاسماء والصفات من مقتضى الشرع فبالعقل عرف المسمى وبالشرع عرفت الاسمى ولا يتصور فى العقل اثبات الذات الامع نفى سمات الحدوث عنها وذلك هو التسبيح ومقتضى العقل مقدم على مقتضى الشرع وانما جاء الشرع المنقول بعد حصول النظر والعقول فنبه العقول على النظر فعرفت ثم علمها مالم تكن تعلم من الاسماء فانضاف لها التسبيح والحمد والثناء فامرنا تسبيحه الا بحمده انتهى ومعنى الآية فقل سبحان الله حال كونك ملتبسا بحمده اى فتعجب لتيسير الله مالم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل حرمه المحترم واحمده على جميع صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله امر بان يدوم على ذلك استعظاما لنعمته لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح وقال بعضهم والاشبه ان يراد نزهه عن العجز فى تأخير ظهور الفتح واحمده على التأخير وصفه بان توقيت الامور من عنده ليس الا بحكم لا يعرفها الا هو انتهى اوفاذكره مسبحا حامدا وزد فى عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك اوفصل له حامدا على نعمه فالتسبيح مجاز عن الصلاة بعلاقة الجزئية لانها تشتمل عليه فى الاكثر روى انه عليه السلام لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمانى ركعات وحملها بعضهم على صلاة الشكر لا على صلاة الضحى وبعضهم على ان اربعا منها للشكر واربعا للضحى اوفنزهه عما يقول الظلمة حامدا له على ان صدق وعده اوفاثن على الله بصفات الجلال يعنى الصفات السلبية حامدا له على صفات الاكرام يعنى الصفات الثبوتية اى على آثارها او على تنزيلها منزلة الاوصاف الاختيارية لكفاية الذات المقدس فى الاتصاف بها فان المحمود عليه يجب ان يكون امرا اختياريا وقال القاشانى نزه ذاتك عن الاحتجاب بمقام القلب الذى هو معدن النبوة بقطع علاقة البدن والترقى الى مقام حق اليقين الذى هو معدن الولاية حامدا له باظهار كمالاته واوصافه التامة عند التجريد بالحمد الفعلى (واستغفره) هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى اواستغفره لذنبك وللمؤمنين وهو المناسب لما فى سورة محمد وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق حيث لم تشتغل عن رؤية الناس باستغفارهم اولا مع ان رؤيتهم تستدعى ذلك بل اشتغل اولا بتسبيح الله وحمده لانه رأى الله قبل رؤية الناس كما قيل مارأيت شيأ الاورأيت الله قبله وذلك لان الناس مرآة العارف وصاحب المرآة يتوجه اولا الى المرئى ورؤية المرئى تلتفت نفسه الى المرآة ولك ان تقول ان فى التقديم المذكور تعليم ادب الدعاء وهو ان لا يسأل فجأة من غير تقديم الثناء على المسؤل عنه عن عائشة رضى الله عنها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه عليه السلام انى لاستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة ومنه يعلم ان ورد الاستغفار لا يسقط ابدا لانه لا يخلو الانسان عن الغين والتكوين وروى انه لما قرأها النبى عليه السلام على اصحابه استبشروا وبكى العباس

فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك اى القى اليك خبر موت نفسك والنعى القاء خبر الموت قال عليه السلام انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس رضى الله عنهما هو الذى قال ذلك فقال عليه السلام لقد اوتى هذا الغلام علما كثيرا ولذلك كان عمر يدنيه و يأذن له مع اهل بدر ولعل ذلك للدلالة على تمام امر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم والكمال دليل الزوال كما قيل * توقع زوالا اذا قيل تم * اولان الامر بالاستغفار تنبيه على قرب الاجل كانه قال قرب الوقت ودنا الرحيل فتأهب للامر ونبه به على ان العاقل اذا قرب اجله ينبغى ان يستكثر من التوبة وروى انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضى الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعنه عليه السلام انه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الى نفسى يعنى خبر وفات من دهند * نامه رسيد ازان جهان بهر مراجعت برم * عزم رجوع ميكنم رخت بچرخ ميبرم * فبكت فقال لا تبكى فانك اول اهلى لحوقا بى فضحكت وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا قال على رضى الله عنه لما نزلت هذه السورة مرض رسول الله عليه السلام فخرج الى الناس فخطبهم وودعهم ثم دخل المنزل فتوفى بعد ايام قال الحسن رحمه الله اعلم انه قد اقترب اجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالعمل الصالح وفيه تنبيه لكل عاقل (انه كان توابا) مبالغا فى قبول توبتهم منذ خلق المكلفين فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول وذلك ان قبول التوبة من الصفات الاضافية ولا منازعة فى حدوثها فاندفع ما يرد ان المفهوم من الآية انه تعالى تواب فى الماضى وكونه توابا فى الماضى كيف يكون علة للاستغفار فى الحال والمستقبل وفى اختيار انه كان توابا على غفارا مع انه الذى يستدعيه قوله واستغفره حتى قيل وتب مضمر بعده والا لقال غفارا تنبيه على ان الاستغفار انما ينفع اذا كان مع التوبة والندم والعزم على عدم العود ثم ان من اضمر وتب يحتمل انه جعل الآية من الاحتباك حيث دل بالامر بالاستغفار على التعليل بانه كان غفارا وبالتعليل بانه كان توابا على الامر بالتوبة اى استغفره وتب * ذكر البرهان الرشيدى ان صفات الله التى على صيغة المبالغة كلها مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لان المبالغة ان يثبت للشيء اكثر مماله وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسنه الشيخ تقى الدين السبكى رحمه الله وقال الزركشى فى البرهان التحقيق ان صيغة المبالغة قسمان احدهما ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل والثانى بحسب تعدد المفعولات ولا شك ان تعددها لا يوجب للفعل زيادة اذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين وعلى هذا القسم تنزل صفاته ويرفع الاشكال ولهذا قال بعضهم فى حكيم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة الى الشرائع وقال فى الكشاف المبالغة فى التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه اولانه بليغ فى قبول التوبة بحيث ينزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه (تمت سورة النصر بعون من اقسم بالعصر بعد ظهر يوم السبت)

* (سورة المسد خمس آيات مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(تبت) اى اهلكت فان التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اى هالكة من الهرم والعجز اوخسرت فان التباب ايضا خسران يؤدى الى الهلاك (يدا ابى لهب) تثنية يد واللهب واللهيب اشتعال النار اذا خلص من الدخان اولهبها لسانها ولهيبها حرها وابولهب وتسكن الهاء كنية عبد العزى بن عبد المطلب لجماله اوماله كما فى القاموس يعنى ان التكنى لاشراق وجنتيه وتلهبهما والافلس له ابن يسمى باللهب وايثار التباب على الهلاك واسناده الى يديه لما روى انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقى رسول الله عليه السلام الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقى قالوا نعم يعنى اگر من شمارا خبر كنم بآنكه در پاى اين كوه جمعى آمده اند بداعيهٔ آنكه بر شما شبيخون كرده دست بقتل وغارت بكشايند مرا در ان تصديق ميكنيد يانه كفتند چرا نكنيم وتو پيش ما بدروغ متهم نشدهٔ قال فانى نذير لكم بين يدى الساعة فقال عمه ابو لهب تبالك يعنى هلاكت باد الهذا دعوتنا واخذ حجرا بيده ليرميه عليه السلام به فمنعه الله من ذلك حيث لم يستطع ان يرميه فلا كناية فى ذكر اليدين ووجه وصف يديه بالهلاك ظاهر واما

وصفهما بالخسران فلرد ما اعتقده من نفعه وربحه فى اذية رسول الله عليه السلام ورميه بالحجر وذكر فى التأويلات الماتريدية انه كان كثير الاحسان الى رسول الله عليه السلام وكان يقول ان كان الامر لمحمد فيكون لى عنده يد وان كان لقريش فلى عندها يد فاخبرانها خسرت يده التى كانت عند محمد عليه السلام بعناده له ويده التى عند قريش ايضا لخسران قريش وهلاكهم فى يد محمد (وتب) اى وهلك كله فهو اخبار بعد اخبار والتعبير بالماضى لتحقق وقوعه وقيل المراد بالاولى هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة على ان ذكر اليد كناية عن النفس والجملة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب فان كلمة قد لا تدخل على الدعاء وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك والمراد بيان استحقاقه لان يدعى عليه بالهلاك فان حقيقة الدعاء شأن العاجز وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته فليست للتكريم اولكراهة ذكر اسمه القبيح اذفيه اضافة الى الصنم اولتعريض بكونه جهنميا لانه سيصلى نارا ذات لهب يعنى ان ابالهب باعتبار معناه الاضافى يصلح ان يكون كناية عن حاله وهى كونه جهنميا لان معناه باعتبار اضافته ملابس اللهب كما ان معنى ابو الخير واخوا الحرب بذلك الاعتبار ملابس الخير والحرب واللهب الحقيقى لهب جهنم وهذا المعنى يلزمه انه جهنمى ففيه انتقال من الملزوم الى اللازم فهى كنية تفيد الذم فاندفع مايقال هذا يخالف قولهم ولا يكنى كافر وفاسق ومبتدع الالخوف فتنة اوتعريف لان ذلك خاص بالكنية التى تفيد المدح لا الذم ولم يشتهر بها صاحبها قال فى الاتقان ليس فى القرآن من الكنى غير ابى لهب ولم يذكر اسمه وهو عبد العزى اى الصنم لانه حرام شرعا انتهى وفيه ان الحرام وضع ذلك لا استعماله وفى كلام بعضهم ما يفيد ان الاستعمال حرام ايضا الا ان يشتهر بذلك كما فى الاوصاف المنقصة كالاعمش وكان بعد نزول هذه السورة لايشك المؤمن انه من اهل النار بخلاف غيره ولم يقل فى هذه السورة قل تبت الخ لئلا يكون مشافها لعمه بالشتم والتغليظ وان شتمه عمه لان للعم حرمة كحرمة الاب لانه مبعوث رحمة للعالمين وله خلق عظيم فاجاب الله عنه وقرئ ابولهب بالواو كما قيل على بن ابوطالب ومعاوية بن ابوسفيان مع ان القياس الياء لكونه مضافا اليه كيلا يغير منه شئ فيشكل على السامع والحاصل ان الكنية بمنزلة العلم والاعلام لاتتغير فى شئ من الاحوال وكان لبعض امراء مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالفتح (ما اغنى عنه ماله وما كسب) اى لم يغن عنه حين حل به التباب ولم ينفعه اصلا على ان ما نافية اواى شئ اغنى عنه على انها استفهامية فى معنى الانكار منصوبة بما بعدها على انها مفعول به اواى اغناء اغنى عنه على انها مفعول مطلق اصل ماله وما كسبه به من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع ولا احدا كثر مالا من قارون ومادفع عنه الموت والعذاب ولا اعظم ملكا من سليمان عليه السلام وقد قيل فيه نه بر بادرفتى سحرگاه وشام * سرير سليمان عليه السلام * باآخر نديدكه بر بادرفت * خنك آنكه بادانش وداد رفت * اوماله الموروث من ابيه والذى كسبه بنفسه اوعمله الخبيث الذى هو كيده فى عداوة النبى عليه السلام اوعمله الذى ظن انه منه على شئ كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال بعضهم ما كسب منفعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كسب ولده (وروى) انه كان يقول ان كان مايقول ابن اخى حقا فانا افتدى منه نفسى بمالى وولدى فاتخلص منه وقد خاب رجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد فى طريق الشام وذلك ان عتبة بن ابى لهب وكان تحته ابنة رسول الله عليه السلام اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى ثم تفل فى وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال ان هذه ارض مسبعة فقال ابولهب اعينونى يا معشر قريش هذه الليلة فانى اخاف على ابنى دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتخللهم ويتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وهلك ابولهب بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال والعدسة بثرة تخرج فى البدن تشبه العدسة وهى من جنس الطاعون تقتل غالبا فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقى ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان واحتملوه ودفنوه فكان الامر كما اخبر به القرآن وفى انسان العيون لم يحفروا له حفيرة ولكن اسندوه الى حائط وقذفوا عليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه وفى رواية حفروا له

ثم دفعوه بعود فى حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وعن عائشة رضى الله عنها انها كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها والقبر الذى يرجم خارج باب الشبيكة الآن ليس بقبر ابى لهب وانما هو قبر رجلين لطخا الكعبة بالعذرة وذلك فى دولة بنى العباس فان الناس اصبحوا يوما فوجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة فرصدوا للفاعل فامسكوهما بعد ايام فصلبا فى ذلك الموضع فصارا يرجمان الى الآن (سيصلى) اى مآ ذكر من العذاب مآل امره فى النشأة الاولى وفى النشأة الآخرة سيدخل لامحالة (نارا ذات لهب) نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم وليس هذا نصا فى انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مأمورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبى عليه السلام اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر (وامرأته) عطف على المستكن فى سيصلى لكون الفصل بالمفعول يعنى زن او نيز با او در آيد و داخل نار شود وهى ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابى سفيان عمة معاوية رضى الله عنه واسمها العوراء وآن درهمسايكئ حضرت عليه السلام خانه داشت وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعد ان فتنثرها بالليل فى طريق النبى عليه السلام تا خارى نعوذ بالله دردامنش آويزد يا در پايش خلد وكان عليه السلام يطأه كما يطأ الحرير وفى تفسير ابى الليث حتى صار النبى عليه السلام واصحابه فى شدة وعناء وفى تفسير الكاشفى وآن حضرت كه بنماز بيرون آمدى آنها را بسر راه بركرفتى و بطريق ملايمت كفتى اين چه نوع همسايكيست كه بامن ميكنيد * مير يختند دروه توخار باهمه * چون كل شكفته بود رخ كلستان تو (حمالة الحطب) الحطب ما اعد من الشجر شبوبا كما فى القاموس ونصب حمالة على الشتم والذم اى أذم حمالة الحطب قال الزمخشرى وانا استحب هذه القرآءة وقد توسل الى رسول الله عليه السلام بجميل من احب شتم ام جميل انتهى وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد انها تحمل يوم القيامة حزمة حطب كالزقوم والضريع وفى جيدها سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يناسب حاله فى جرمه وعن قتادة انهم عاموا كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فانتصب حينئذ على الشتم حتما وقيل كانت تمشى بالنميمة وتفسد بين الناس تحمل الحطب بينهم اى توقد بينهم النائرة وتورث الشر بس هيزم كنى عبارتست از سخن چينى كه آتش خصومت ميان دوكس برمى افروزد * ميان دوكس جنك چون آتش است * سخن چين بدبخت هيزم كش است * كنند اين وآن خوش دكر باره دل * وى اندرميان كور بخت و خجل * ميان دوكس آتش افروختن * نه عقلست خود درميان سوختن (فى جيدها حبل من مسد) جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية والجيد بالكسر العنق ومقلده او مقدمه كما فى القاموس والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلدا وغيرهما يقال دابة ممسودة شديدة الاسر والمعنى فى عنقها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتغضب من ذلك ويشق عليها و يغضب بعلها ايضا وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة قال مرة الهمدانى كانت ام جميل تأتى كل يوم بابالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هى ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها حتى هلكت و بدوزخ رفت وفى ينبوع الحياة انها لما بلغها سورة تبت يدا ابى لهب جاءت الى اخيها ابى سفيان فى بيته وهى متحرقة غضبى فقالت له ويحك يا احمس اى يا شجاع اما تغضب ان هجانى محمد فقال ساكفيك اياه ثم اخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت له هل قتلته فقال لها يا اختى ايسرك ان رأس اخيك فى فم ثعبان قالت لا والله قال فقد كاد ذلك يكون الساعة اى فانه رأى ثعبانا لو قرب منه صلى الله عليه وسلم لالتقم رأسه ثم كان من امر ابى سفيان الاسلام ومن امر اخته الموت على الكفر والكل من حكم الله السابق (قال فى كشف الاسرار) سك اصحاب الكهف رنك كفر داشت ولباس بلعام باعور طراز دين داشت ليكن شقاوت وسعادت ازلى از هر دوجانب دركمين بود چون دولت روى نمود پوست ان سك از روى صورت در بلعام پوشانيدند كفتند (فمثله كمثل الكلب) ومرقع بلعام در ان سك پوشيدند

كفيته ثلاثة رابعهم كلبهم قوله من مسد بالوقف يعني يوقف عليه ثم يجاء بالتكبير لما مر

* (تمت سورة المسد في عاشر جمادي الاولى من سنة سبع عشرة ومائة وألف) *

* (سورة الاخلاص اربع أو خمس آيات مكية اومدنية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(قل هو الله احد) الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها عين الشان الذى عبر عنه بالضمير اى الله احد هو الشأن هذا اوهو أن الله احد والسر فى تصدير الجملة به التنبيه من اول الامر على فخامة مضمونها مع ان فى الابهام ثم التفسير مزيد تقرير او الضمير لما سئل عنه اى الذى سألتم عنه هو الله اذ روى ان المشركين قالوا للنبي عليه السلام صف لنا ربك الذى تدعونا اليه وانسبه اى بين نسبه واذكره فنزلت يعني بين الله نسبه بتنزيهه عن النسب حيث نفى عنه الوالدية والمولودية والكفاءة فالضمير حينئذ مبتدأ والله خبره واحد بدل منه وابدال النكرة المحضة من المعرفة يجوز عند حصول الفائدة على ماذهب اليه ابو علي وهو المختار والله علم دال على الاله الحق دلالة جامعة لمعانى الاسماء الحسنى كلها وقال القاشاني هو عندنا اسم الذات الالهية من حيث هى هى اى المطلقة الصادق عليها مع جميعها او بعضها اولا مع واحد منها كقوله تعالى قل هو الله احد انتهى وعبد الله هو العبد الذى تجلى بجميع اسمائه فلا يكون فى عباده ارفع مقاما واعلى شأنا منه لتحققه بالاسم الاعظم واتصافه بجميع صفاته ولهذا خص نبينا عليه السلام بهذا الاسم فى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه فلم يكن هذا الاسم بالحقيقة الا له وللاقطاب من ورثته بتبعيته وان اطلق على غيره مجازا لاتصاف كل اسم من اسمائه بجميعها بحكم الواحدية واحدية جمع الاسماء والاحد اسم لمن لايشاركه شئ فى ذاته كما ان الواحد اسم لمن لا يشاركه شئ فى صفاته يعنى ان الاحد هو الذات وحدها بلا اعتبار كثرة فيها فاثبت له الاحدية التى هى الغنى عن كل ماعداه وذلك من حيث عينه وذاته من غير اعتبار امر آخر والواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات وهى الحضرة الاسمائية ولذا قال تعالى ان الهكم لواحد ولم يقل لاحد لان الواحدية من اسماء التقييد فبينها وبين الخلق ارتباط اى من حيث الالهية والمألوهية بخلاف الاحدية اذ لايصح ارتباطها بشئ فقولهم العلم الالهى هو العلم بالحق من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية اذ منه مالاتفيه الطاقة البشرية وهو ماوقع به الكمل فى ورطة الحيرة واقروا بالعجز عن حق المعرفة ومنه يعلم ان توحيد الذات مختص فى الحقيقة بالله تعالى وعبد الاحد هو وحيد الوقت صاحب الزمان الذى له القطبية الكبرى والقيام بالاحدية الاولى وعبد الواحد هو الذى بلغه الله الحضرة الواحدية وكشف له عن احدية جميع اسمائه فيدرك مايدرك ويفعل مايفعل باسمائه ويشاهد وجوه اسمائه الحسنى قال ابن الشيخ فى حواشيه قوله هو الله احد ثلاثة الفاظ كل واحد منها اشارة الى مقام من مقامات السائرين الى الله تعالى فالمقام الاول مقام المقربين وهم الذين نظروا الى ماهيات الاشياء وحقائقها من حيث هى هى فلاجرم مارأوا موجودا سوى الله لان الحق هو الذى لذاته يجب وجوده واما ماعداه فممكن والممكن اذا نظر اليه من حيث هو هو كان معدوما فهؤلاء لم يروا موجودا سوى الحق تعالى وكلمة هو وان كان للاشارة المطلقة مفتقرة فى تعين المراد بها الى سبق الذكر باحد الوجوه اوالى ان يعقبها مايفسرها الا انهم يشيرون بها الى الحق ولايفتقرون فى تلك الاشارة الى مايميز المراد بها من غيره لان الافتقار الى المميز انما يحصل حيث وقع الابهام بان يتعدد مايصلح لان يشار اليه وقد بينا انهم لايشاهدون بعيون عقولهم الا الواحد فقط فلهذا السبب كانت لفظة هو كافية فى حصول العرفان التام لهؤلاء والمقام الثانى مقام اصحاب اليمين وهو دون المقام الاول وذلك لانهم شاهدوا الحق موجودا وشاهدوا الخلق ايضا موجودا فحصلت الكثرة فى الموجودات فلاجرم لم تكن لفظة هو كافية فى الاشارة الى الحق بل لابد هناك من مميز به يتميز الحق من الخلق فهؤلاء مفتقرون الى ان يقرن لفظة الله بلفظة هو فقيل لاجلهم هو الله لان لفظة الله اسم للموجود الذى يفتقر اليه ماعداه ويستغنى هو عن كل ماعداه فتميز به الذات المرادة عما عداه والمقام الثالث مقام اصحاب الشمال وهو اخس المقامات وهم الذين يجوزون ان يكون واجب الوجود اكثر من واحد فقرن لفظة الاحد بما تقدم ردا على هؤلاء وابطالا لمقالهم فقيل قل هو الله احد انتهى كلامه وبه يعلم صحة ما اعتاده الصوفية من الذكر

بالاسم هو وذلك لان اهل البداية منهم وهم المحجوبون تابعون لاهل النهاية منهم وهم المكاشفون فكانهم كلهم ماشاهدوا فى الوجود الا الله فالله عندهم بهويته المطلقة السارية متعين لاحاجة الى التعيين اصلا فضمير هو راجع اليه لا الى غيره كما ان الضمير فى انزلناه راجع الى القرآن لتعينه وحضوره فى الذهن فقول الطاعن انه ضمير ليس له مرجع متعين فكيف يكون ذكرالله تعالى مردود على ان الضمائر اسماء وكل الاسماء ذكر لافرق بينها بالمظهرية والمضمرية فعلى هذا يجوز ان يدخل اللام فى كلة هو فى اصطلاح الصوفية لانها اشارة الى الهوية ولامناقشة فى الاصطلاح ثم قوله قل امر من عين الجمع وارد على مظهر التفصيل وفيه اشارة الى سر قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم فكأنه يقول انا شهدت بوحدة الهو ية فى مقام الجمع فاشهد انت ايضا تلك الوحدة فى مقام الفرق ليظهر سر الاحدية واللااحدية ويحصل التطابق بينهما جمعا وتفصيلا هكذا لاح بالبال والله اعلم بحقيقة الحال وقرئ هو الله بلا قل وكذا فى المعوذتين لانه توحيد والاخريان تعوذ فيناسب ان يدعو بهما وان يؤمر بتبليغهما وقد سبق فى سورة الاعلى مايغنى عن تكراره ههنا وقال بعضهم انما اثبت فى المصحف قل والتزم فى التلاوة مع انه ليس من دأب المأمور بقل ان يتلفظ فى مقام الائتمار الا بالمقول لان المأمور ليس المخاطب به فقط بل كل واحد ابتلى به بما ابتلى به المأمور فاثبت ليبقى على مر الدهور منا على العباد (الله الصمد) مبتدأ وخبر فعل بمعنى مفعول كقبض بمعنى مقبوض من صمد اليه من باب نصر اذا قصد اى هو السيد المصمود اليه فى الحوائج المستغنى بذاته وكل ماعداه محتاج اليه فى جميع جهاته فلا صمد فى الوجود سوى الله فهو مثل زيد الامير فيد قصر الجنس على زيد فاذا كان هو الصمد فمن انتفت الصمدية عنه لا يستحق الالوهية وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من يتصف به فهو بمعزل عن استحقاق الالوهية كما اشير اليه آنفا وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى وبين اولا الوهيته المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة فى الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتى عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه فى وجودها وبقائها وسائر احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح فاثبات الصمدية له سبحانه انما هو باعتبار استنادنا اليه فى الوجود والكمالات التابعة للوجود واما باعتبار احدية ذاته فهو غنى عن هذه الصفة والحاصل ان الصمدية تقتضى اعتبار كثرة الاسماء والصفات فى الله دون الاحدية وعبد الصمد هو مظهر الصمدية الذى يصمد اليه اى يقصد لدفع البليات وايصال امداد الخيرات ويستشفع به الى الله لدفع العذاب واعطاء الثواب وهو محل نظر الله الى العالم فى ربوبيته له يقول الفقير جرى على لسان الباطن بلا اختيار منى وذلك بعد الاشراق انا اقول ازلى ابدى احدى صمدى اى انت يارب ازلى احدى وابدى صمدى فالازلية ناظرة الى الاحدية كما ان الابدية ناظرة الى الصمدية وذلك باعتبار التحليل والتعقيد فان الاحدية لاتتجلى الا بازالة الكثرات فعند الانتهاء الى مقام الغنى الذى هو الغيب المطلق تزول الكثرة ويكون الزوال ازلا وهذا تحليل وفناء وعبور عن المنازل وعروج الى المرصد الاعلى والمقصد الاقصى عينا وعلما واما الصمدية فباعتبار الابدية التى هى البقاء وذلك يقتضى التعقيد بعد التحليل فهى بالنزول الى مقام العين بالمهملة اى العين الخارجى والعالم الشهادى الذى اسفل منازله عالم الناسوت والحاصل ان الاحدية جمع والصمدية فرق فمقام الاحدية هى النقطة الغير المنقسمة التى انبسطت منها جلة التراكيب الواحدية فاول تعينا تهاهى مرتبة آدم ثم حوآء لان حوآء انما ظهرت بعد الهوآء المنبعث من تعين آدم الحقيقى ولذا انقلبت الهاء حاء فصار الهوآء حوآء وخاصية الاسم الاحد ظهور عالم القدرة وآثارها حتى لو ذكره الف فى خلوة على طهارة ظهرت له العجائب بحسب قوته وضعفه وخاصية الاسم الصمد حصول الخير والصلاح فمن قرأه عند السحر مائة وخمسا وعشرين مرة ظهرت عليه آثار الصدق والصديقية وفى اللمعة ذاكره لايحس بالم الجوع مادام ملتبسا بذكره والقرآءة وصلا احد الله الصمد منونا مكسورا لالتقاء الساكنين وكان ابو عمرو فى اكثر الروايات يسكت عند هو الله احد وزعم ان العرب لاتصل مثل هذا وروى عنه انه قال وصلها قرآءة محدثة وروى عنه انه قال ادركت القرآء كذلك يقرأونها قل هو الله احد وان وصلت نونت وروى عنه انه قال احب الى اذا كان رأس آية ان يسكت عندها وذلك لان الآية منقطعة عما بعدها مكتفية بمعناها فهى فاصلة وبها سميت آية واما وقفهم كلهم

فيسكتون على الدال ثم صرح ببعض احكام جزئية مندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل (لم يلد) نزاد كسى را تنصيصا على ابطال زعم المفترين فى حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفى على صيغة الماضى من غير ان يقال لن يلد اولا يلد اى لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شئ ليمكن ان يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا ولا يفتقر الى مايعينه او يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه فان قلت لم قال فى هذه السورة لم يلد وفى سورة بنى اسرائيل لم يتخذ ولدا اجيب بأن النصارى فريقان منهم من قال عيسى ولد الله حقيقة فقوله لم يلد اشارة الى الرد عليه ومنهم من قال اتخذه ولدا تشريفا كما اتخذ ابراهيم خليلا تشريفا فقوله لم يتخذ ولدا اشارة الى الرد عليه (ولم يولد) ونزاده شد از كسى اى لم يصدر عن شئ لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا اولاحقا وقال بعضهم الوالدية والمولودية لاتكونان الابالمثلية فان المولود لابد ان يكون مثل الوالد ولا مثلية بين هويته الواجبة وهويات الممكنات انتهى وقال البقلى لم يلد ولم يولد اى لم يكن هو محل الحوادث ولا الحوادث محله والتصريح بانه لم يولد مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ماقبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان مايلد يولد ومالا فلا ومن قضية الاعتراف بانه لم يولد الاعتراف بانه لايلد وفى كشف الاسرار قدم ذكر لم يلد لان من الكفار من ادعى ان له ولدا ولم يدع احد انه مولود (وفى التفسير الفارسى) لم يلد رد يهودست كه كفتند عزير پسر اوست ولم يولد رد نصاراست كه كويند عيسى خداست * قال ابو الليث لم يلد يعنى لم يكن له ولد يرثه ولم يولد يعنى لم يكن له والد يرث ملكه (ولم يكن له كفوا احد) يقال هذا كفاؤه وكفؤه مثله وكافأ فلانا ماثله وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التأخر عند الاهتمام بها لان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى اى لم يكافئه احد ولم يماثله ولم يشاكله بل هو خالق الاكفاء ويجوز ان يكون من الكفاءة فى النكاح نفيا للصاحبة واما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف لان المراد منها نفى اقسام الامثال فهى جملة واحدة منبه عليها بالجمل قال القاشانى ماكانت هويته الاحدية غير قابلة للكثرة والانقسام ولم تكن مقارنة الوحدة الذاتية لغيرها اذ ماعدا الوجود المطلق ليس الا العدم المحض فلا يكافئه احد اذ لا يكافئ العدم الصرف الوجود المحض (وقال الكاشفى) رد مجوس ومشركان عربست كه كفتند اورا كفوهست نعوذ بالله وكفته اند هر آيتى ازين سوره تفسير آيت پيش است چون كويند من هو توكويى احد چون كويند احد كيست توكويى صمد چون كويند صمد كيست توكويى الذى لم يلد ولم يولد چون كويند لم يلد ولم يولد كيست توكويى الذى لم يكن له كفوا احد وقال بعضهم كاشف الوالهين بقوله هو وكاشف الموحدين بقوله الله وكاشف العارفين بقوله احد والعلماء بقوله الصمد والعقلاء بقوله لم يلد الخ وهو اى لم يلد اشارة الى توحيد العوام لانهم يستدلون على الصانع بالشواهد والدلائل وقال بعض الكبار ان سورة الاخلاص اشارة الى حال النزول وهو حال المجذوب فاولا يقول هو الله احد الله الصمد الخ وحال الصعود يعتبر من الآخر الى جانب هو فيقول اولا لم يكن له كفوا احد ثم يترقى الى ان يقول هو لكن لا ينبغى للسالك ان يكتفى بوجدان هو فى القرآن بل ينبغى ان يترقى الى القرآن الفعلى فيشاهد هو فى القرآن وهو محيط بالعوالم كلها وهو اول ماينكشف للسالك ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع معارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء فى الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه وهو علم المبدأ وصفاته اذ ماعداه ذرائع اليه وقال عليه السلام اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد اى ماخلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة وعنه عليه السلام سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وماوجبت يارسول الله قال وجبت له الجنة وعن سهيل بن سعد رضى الله عنه جاء رجل الى النبى عليه السلام وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل ذلك فادر الله عليه رزقا حتى افاض على جيرانه وعن على رضى الله عنه انه قال من قرأ قل هو الله احد بعد صلاة الفجر احدى عشرة مرة لم يلحقه ذنب يومئذ ولو اجتهد الشيطان وفى الحديث ايعجز احدكم ان يقرأ القرآن فى ليلة واحدة فقيل يارسول الله من يطيق ذلك قال ان يقرأ قل هو الله احد ثلاث مرات وروى انه نزل جبريل عليه السلام بتبوك فقال يارسول الله ان معاوية بن المزنى رضى الله عنه مات فى المدينة أتحب ان اطوى لك الارض فتصلى

عليه قال نعم فضرب بجناحه على الارض فرفع له سريره وصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة كل صف سبعون الف ملك ثم رجع فقال عليه السلام بم ادرك هذا قال بحبه قل هو الله احد وقراءته اياها جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وعلى كل حال رواه الطبراني وصحب سورة الاخلاص حين نزلت سبعون الف ملك كما مروا باهل سماء سألوهم عما معهم فقالوا نسبة الرب سبحانه ولهذا سميت هذه السورة نسبة الرب كما فى كشف الاسرار. وسميت سورة الاخلاص لاخلاص الله من الشرك اوللخلاص من العذاب اولخالصة فى التوحيد قال الامام الغزالى رحمه الله تعالى (عقود بى وثيقتى بالخلاص * واعتصامى بسورة الاخلاص) اولانها سورة خالصة لله ليس فيها ذكر شئ من الدنيا والآخرة وقال الحنفى لانها تخلص قارئها من شدائد الآخرة وسكرات الموت وظلمات القبر واهوال القيامة وقال القاشانى لان الاخلاص تمحيض الحقيقة الاحدية عن شائبة الكثرة

* (تمت سورة الاخلاص يوم الاثنين الحادى عشر من جمادى الاولى من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف) *

* (سورة الفلق خمس آيات مدنية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(قل اعوذ برب الفلق) الفلق الصبح لانه يفلق عنه الليل ويفرق فهو من باب الحذف والايصال فعل بمعنى مفعول كالصمد والقبض بمعنى المصمود اليه والمقبوض كما مر فان كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وذلك انما يتحقق بان يكون الشئ مستورا ومحجوبا بآخر ثم يشق الحجاب الساتر عن وجه المستور ويزول فيظهر ذلك المستور وينكشف بسبب زواله وذلك الحجاب المشقق مفلوق والمحجوب والمنكشف بزواله مفلوق عنه والصبح صار مفلوقا عنه بازالة ماعليه من ظلمة الليل يقال فى المثل هو أبين من فلق الصبح والفلق ايضا الخلق لان الممكنات باسرها كانت اعيانا ثابتة فى علم الله مستورة تحت ظلمة العدم فالله تعالى فلق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد فاظهر ما فى علمه من المكونات فصارت مفلوقا عنها وفى تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه لتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له فى الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه والاعاذة بربه قالوا اذا طلع الصبح تتبدل الثقلة بالخفة والغم بالسرور روى ان يوسف عليه السلام لما القى فى الجب وجعت ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل باذن الله تعالى يسأله ويأمره بان يدعو ربه فقال يا جبريل ادع انت واؤمن فدعا جبريل وامن يوسف عليهما السلام فكشف الله تعالى ما كان به من الضر فلما طاب وقت يوسف قال يا جبريل وانا ادعو ايضا وتؤمن انت فسأل يوسف ربه ان يكشف الضر عن جميع اهل البلاء فى ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض الا ويجد نوع خفة فى آخر الليل وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه قدم الشام فرأى دور اهل الذمة وماهم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم به من دنياهم فقال لا ابالى اليس من ورآئهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت فى جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار (من شر ما خلق) اى من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وبالفارسية از بدئ آنچه آفريده است از مؤذيات انس وجن وسباع وهوام فيشمل جميع الشرور والمضار بدنية كانت اوغيرها من ضرب وقتل وشتم وعض ولدغ وسحر ونحوها واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوآئب الشر بالكلية وقرأ بعض المعتزلة القائلين بان الله لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق على النفى وهى قرآءة مردودة مبنية على مذهب باطل الله خالق كل شئ (ومن شر غاسق) تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة اى ومن شر ليل مختلط ظلامه معتند وذلك بعد غيبوبة الشفق من قوله تعالى الى غسق الليل اى اجتماع ظلمته وفى القاموس الغسق محركة ظلمة اول الليل وغسق الليل غسقا ويحرك اشتدت ظلمته فالغاسق الليل المظلم كما فى المفردات واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا اوهو السيلان وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزآئه (اذا وقب) الوقب النقرة فى الشئ كالنقرة فى الصخرة يجتمع فيها الماء ووقب

اذا دخل فى وقب ومنه وقبت الشمس اذا غابت ووقب الظلام دخل والمعنى اذا دخل ظلامه فى كل شئ وتقييده به لان حدوث الشر فيه اكثر والتحرز منه اصعب واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر والغوث يقل فى الليل ولذا لو شهر انسان بالليل سلاحا فقتله المشهور عليه لا يلزمه قصاص ولو كان نهارا يلزمه لانه يوجد فيه الغوث والحاصل انه ينبعث اهل الحرب فى الليل وتخرج عفاريت الجن والهوام والمؤذيات ونهى رسول الله عليه السلام عن السير فى اول الليل وامر بتغطية الاوانى واغلاق الابواب وايكاء الاسقية وضم الصبيان وكل ذلك للحذر من الشر والبلاء وقيل الغاسق القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله فى الخسوف واسوداده لما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت اخذ رسول الله عليه السلام بيدى فاشار الى القمر فقال تعوذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وشره الذى يتقى مايكون فى الابدان كالآفات التى تحدث بسببه ويكون فى الاديان كالفتنة التى بها افتتن من عبده وعبد الشمس وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق فى آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لاتشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الافى ذلك قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين واذا طلعت قلت الامراض والآلام وقيل هو كل شر يعترى الانسان ووقوبه هجومه ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ولسبه وفى القاموس هو الذكر اذا قام وهو منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما وجماعة (ومن شر النفاثات) وازشر دمند كان من النفث وهو شبه النفخ يكون فى الرقية ولا ريق معه فان كان معه ريق فهو التفل يقال منه نفث الراقى ينفث وينفث بالضم والكسر والنفاثات بالتشديد يراد منها تكرار الفعل والاحتراف به والنفاثات تكون للدفعة الواحدة من الفعل ولتكراره ايضا (فى العقد) جمع عقدة وهى مايعقده الساحر على وتر او حبل او شعر وهو ينفث ويرقى واصله من العزيمة ولذلك يقال لها عزيمة كما يقال لها عقدة ومنه قيل للساحر معقد والمعنى من شر النفوس او النساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس رضى الله عنهما وعائشة رضى الله عنها انه كان غلام من اليهود يخدم النبى عليه السلام وكان عنده اسنان من مشطه عليه السلام فاعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها ولذا ينبغى ان يقطع الظفر بعد التقليم وكذا الشعر اذا اسقط من اللحية والرأس نصفين او اكثر لئلا يسحر به احد وتولاه لبيد بن اعصم اليهودى وبناته وهن النفاثات فى العقد فدفنها فى بئر اريس وفى عين المعانى فى بئر ابى زريق تسمى ذروان فمرض النبى عليه السلام روى انه لبث فيه ستة اشهر فنزل جبرآئيل بالمعوذتين بكسر الواو كما فى القاموس واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فارسل عليه السلام عليا والزبير وعمارا رضى الله عنهم فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر وهى الصخرة التى توضع فى اسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجاؤا بها النبى عليه السلام فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كأنما انشط من عقال وجعل جبرآئيل يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل شئ يؤذيك من عين وحاسد فلذا جوز الاسترقاء بما كان من كلام الله وكلام رسوله لا بما كان بالعبرية والسريانية والهندية فانه لايحل اعتقاده فقالوا يارسول الله افلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام اما انا فقد عافانى الله واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة رضى الله عنها ماغضب النبى عليه السلام غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيأ هو لله فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزآئم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها فعلى هذا فالنفاثات هى جنس النساء اللاتى شأنهن ان يغلبن على الرجال ويحولنهم عن آرآئهم بانواع المكر والحيلة فمعنى الآية ان النساء لاجل استقرار حبهن فى قلوب الرجال يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأى الى رأى فامر الله تعالى رسوله بالتعوذ من شرهن اعلم ان السحر تخييل لا اصل له عند المعتزلة وعند الشافعى تمريض بما يتصل به كما يخرج من فم المتثائب ويؤثر فى المقابل وعندنا سرعة الحركة

والمشاهدة الفعل فيه اخرى فهمه وقيل هو اسم يبنى على تأثير خصائص الكواكب كتأثير الشمس في زئبق عصى سحرة فرعون والمعتزلة انكروا صحة الرواية المذكورة وتأثير السحر فيه عليه السلام وقالوا كيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث اتى ولان تجويزه يفضى الى القدح في النبوة ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى ولحصل فيه عليه السلام ذكر العيب ومعلوم ان ذلك غير جائز وقال اهل السنة صحة القصة لا تستلزم صدق الكفرة في قولهم انه مسحور وذلك لانهم كانوا يريدون بكونه مسحورا انه مجنون ازيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك دين آبائه فاما ان يكون مسحورا بألم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره احد وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه لا شيطانا ولا انسيا ولا جنيا يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله واما الاضرار به من حيث بشريته وبدنه فلا بعد فيه وتأثير السحر فيه عليه السلام لم يكن من حيث انه نبي وانما كان في بدنه من حيث انه انسان وبشر فانه عليه السلام يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر من الصحة والمرض والموت والاكل والشرب ودفع الفضلات وتأثير السحر فيه من حيث بشريته لا يقدح في نبوته وانما يكون قادحا فيها لو وجد للسحر تأثير في امر يرجع الى النبوة ولم يوجد ذلك كيف والله تعالى يعصمه من ان يضره احد فيما يرجع اليهما كما لم يقدح كسر رباعيته يوم احد فيما ضمن الله له من عصمته في قوله والله يعصمك من الناس وفي كشف الاسرار فان قيل ما الحكمة في نفوذ السحر وغلبته في النبي عليه السلام ولماذا لم يرد الله كيد الكائد الى نحره بابطال مكره وسحره قلنا الحكمة فيه الدلالة على صدق رسول الله عليه السلام وصحة معجزاته وكذب من نسبه الى السحر والكهانة لان سحر الساحر عمل فيه حتى التبس عليه بعض الامر واعتراه نوع من الوجع ولم يعلم النبي عليه السلام بذلك حتى دعا ربه ثم دعا فاجابه الله وبين له امره ولو كان ما يظهر من المعجزات الخارقة للعادات من باب السحر على ما زعم اعداؤه لم يشتبه عليه ما عمل من السحر فيه ولتوصل الى دفعه من عنده وهذا بحمد الله من اقوى البراهين على نبوته وانما اخبر النبي عليه السلام عائشة رضى الله تعالى عنها من بين نسائه بما كشف الله تعالى له من امر السحر لانه عليه السلام كان مأخوذا عن عائشة رضى الله تعالى عنها في هذا السحر على ما روى يحيى بن يعمر قال حبس رسول الله عليه السلام عن عائشة سنة فبينما هو نائم او بين النوم واليقظة اذ اتاه ملكان جلس احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فهذا يقول للذى عند رأسه ما شكواه قال السحر قال من فعل به قال لبيد بن اعصم اليهودي قال فاين صنع السحر قال في بئر كذا قال فما دواؤه قال يبعث الى تلك البئر فينزح ماءها فانه ينتهى الى صخرة فاذا رآها فليقلعها فان تحتها كوبة وهي كوز سقط عنقها وفي الكوبة وتر فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فيحرقها بالنار فيبرأ ان شاء الله تعالى فاستيقظ عليه السلام وقد فهم ما قالا فبعث عليا رضى الله عنه الى آخر ما سبق وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله عليه السلام اذا اشتكى شيأ من جسده قرأ قل هو الله احد والمعوذتين في كفه اليمنى ومسح بها المكان الذى يشتكى وفيه اشارة الى الهواجس النفسانية والخواطر الشيطانية النفاثات الساحرات في عقد عقائد القلوب الصافية الطاهرة اخباث السيئات العقلية والواث الشكوك الوهمية والعياذ بالله منها (ومن شر حاسد اذا حسد) بالوقف ثم يكبر لان الوصل لا يخلو من الايهام اى اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه ترتب مقدمات الشر ومبادى الاضرار بالمحسود قولا او فعلا والتقييد بذلك لما ان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير وفي الكشاف فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرف النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ويجوز ان يراد بالحاسد قابيل لانه حسد اخاه هابيل والحسد الاسف على الخير عند الغير وفي فتح الرحمن تمنى زوال النعمة عن مستحقها سواء كانت نعمة دين او دنيا وفي الحديث المؤمن يغبط والمنافق يحسد وعنه عليه السلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واول ذنب عصى الله به في السماء حسد ابليس لآدم فاخرجه من الجنة فطرد وصار شيطانا رجيما وفي الارض قابيل لاخيه هابيل فقتله قال الحسين بن الفضل رحمه الله ذكر الله الشرور في هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليظهر انه اخبث الطبائع كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كر درعالم ازحسد بدتر بودى

(ختم)

ختم این سوره بدان کردی * حسنچ آتشی دان که چون برفروخت * حسود لعین راهمان لحظه سوخت * کرفتم بضوزت همه دین شوی * حسدکی گذارد که حق بین شوی * وفيه اشارة الى حسد النفس الامارة اذا حسدت القلب وارادت ان تطفئ نوره وتوقعه فى التلوين وكفران النعمة الذى هو سبب زوالها وفى الحديث ان النبى عليه السلام قال لعقبة ابن عامر رضى الله عنه الم تر آيات انزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس قوله الم تر كلمة تعجب ومابعدها بيان لسبب التعجب يعنى لم يوجد آيات كلهن تعويذ غيرهاتين السورتين وهما قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وفى الحديث دليل على انهما من القرءآن وردعلى من نسب الى ابن مسعود رضى الله عنه انهما ليستا منه وفى عين المعانى الصحيح انهما من القرءآن الا انهما لم تثبتا فى مصحفه للامن من نسيانهما لانهما تجريان على لسان كل انسان انتهى اعلم ان مصحف عبدالله بن مسعود رضى الله عنه حذف منه ام الكتاب والمعوذتان ومصحف ابى بن كعب رضى الله عنه زيد فيه سورة القنوت ومصحف زيد بن ثابت رضى الله عنه كان سليما من ذلك فكان كل من مصحفى ابن مسعود وابى منسوخا ومصحف زيد معمولا به وذلك لانه عليه السلام كان يعرض القرءآن على جبرائيل عليه السلام فى كل شهر رمضان مرة واحدة فلما كان العام الذى قبض فيه عرضه مرتين وكان قرآءة زيد من آخر العرض دون قرآءة ابى وابن مسعود رضى الله عنهما وتوفى عليه السلام وهو يقرأ على مافى مصحف زيد و يصلى به قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه جميع سور القرءآن مائة واثنتا عشرة سورة قال الفقيه فى البستان انما قال انها مائة واثنتا عشرة سورة لانه كان لايعد المعوذتين من القرءآن وكان لا يكتبهما فى مصحفه ويقول انهما منزلتان من السماء وهما من كلام رب العالمين ولكن النبى عليه السلام كان يرقى ويعوذ بهما فاشتبه عليه انهما من القرءآن اوليستا منه فلم يكتبهما فى المصحف وقال مجاهد جميع سور القرءآن مائة وثلاث عشرة سورة وانما قال ذلك لانه كان يعد الانفال والتوبة سورة واحدة وقال ابى بن كعب رضى الله عنه جميع سور القرءآن مائة وست عشرة سورة وانما قال ذلك لانه كان يعد القنوت سورتين احداهما من قوله اللهم انا نستعينك الى قوله من يفجرك والثانية من قوله اللهم اياك نعبد الى قوله ملحق وقال زيد بن ثابت رضى الله عنه جميع سور القرءآن مائة واربع عشرة سورة وهذا قول عامة الصحابة رضى الله عنهم وهكذا فى مصحف الامام عثمان بن عفان رضى الله عنه وفى مصاحف اهل الامصار فالمعوذتان سورتان من القرءآن روى ابو معاوية عن عثمان بن واقد قال ارسلنى ابى الى محمد بن المنكدر وسأله عن المعوذتين اهما من كتاب الله قال من لم يزعم انهما من كتاب الله فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وفى نصاب الاحتساب لو انكر آية من القرءآن سوى المعوذتين يكفر انتهى وفى الاكمل عن سفيان بن سحبان من قال ان المعوذتين ليستا من القرءآن لم يكفر لتأويل ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كما فى المغرب للمطرزى وقال فى هدية المهديين وفى انكار قرءآنية المعوذتين اختلاف المشايخ و الصحيح انه كفر انتهى

* (تمت سورة الفلق من القرءآن بعون الله الملك المنان) *

* (سورة الناس ست آيات مدنية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(قل اعوذ برب الناس) اى مالك امورهم ومربيهم بافاضة مايصلحهم ودفع مايضرهم قال القاشانى رب الناس هو الذات مع جميع الصفات لان الانسان هو الكون الجامع الحاصر لجميع مراتب الوجود فربه الذى اوجده وافاض عليه كماله هو الذات باعتبار جميع الاسماء الجمالية والجلالية تعوذ بوجهه بعد ماتعوذ بصفاته ولهذا تأخرت هذه السورة عن المعوذة الاولى اذ فيها تعوذ فى مقام الصفات باسمه الهادى فهداه الى ذاته وفى الحديث (اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك و اعوذ بك منك) ابتدأ بالتعوذ بالرضى الذى هو من الصفات لقرب الصفات من الذات ثم استعاذ بالمعافاة التى هى من صفات الافعال ثم لما ازداد يقينا ترك الصفات فقال واعوذ بك منك قاصرا نظره على الذات وابتدأ بعض العلماء فى ذكر هذا الحديث بتقديم الاستعاذة بالمعافاة على التعوذ بالرضى للترقى من الادنى الذى هو من صفات الافعال الى الاعلى الذى هو من صفات الذات قال بعضهم من بقى له التفات الى غير الله استعاذ بافعال الله وصفاته فاما

من توغل فى بحر التوحيد بحيث لايرى فى الوجود الا الله لم يستعذ الا بالله ولم يلتجئ الا الى الله والنبى عليه السلام لما رقى عن هذا المقام وهو المقام الاول قال اعوذ بك منك يقول الفقير فى الالتجاء الى الله فى هذه السورة دلالة على ختم الامر فان الله تعالى هو الاول الآخر واليه يرجع الامر كله وان الى ربك المنتهى وفيه اشارة الى نسيان العهد السابق الواقع يوم الميثاق فان الانسان لولم ينسه لما احتاج الى العود والرجوع بل كان فى كنف الله تعالى دائما (ملك الناس) عطف بيان جيئ به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الشامل والسلطان القاهر فاذكروه فى ترجيح المالك على الملك من ان المالك مالك العبد وانه مطلق التصرف فيه بخلاف الملك فانه انما يملك بقهر وسياسة ومن بعض الوجوه فقياس لايصح ولا يطرد الا فى المخلوقين لافى الحق فانه من البين انه مطلق التصرف وانه يملك من جميع الوجوه فلا يقاس ملكية غيره عليه ولا تضاف النعوت والاسماء اليه الا من حيث اكمل مفهوماته ومن وجوه ترجيح الملك على المالك ان الاحاديث النبوية مبينات لاسرار القرآن ومنبهات عليها وقد ورد فى الحديث فى بعض الادعية النبوية لك الحمد لا اله الا انت رب كل شئ ومليكه ولم يرد ومالكه وايضا فالاسماء المستقلة لها تقدم على الاسماء المضافة واسم الملك ورد مستقلا بخلاف المالك ومما يؤيد ذلك ان الاسماء المضافة لم تنقل فى احصاء الاسماء الثابتة بالنقل مثل قوله عزوجل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا وذى المعارج وشبهها وايضا فان الحق يقول فى آخر الامر عند ظهور غلبة الاحدية على الكثرة فى القيامة الكبرى والقيامات الصغرى الحاصلة للسالكين عند التحقق بالوصول عقيب انتهاء السير وحال الانسلاخ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والحاكم على الملك هو الملك فدل انه ارجح وقد جوزوا القرآءة بمالك وملك فى سورة الفاتحة لافى هذه السورة حذرا من التكرار فان احد معانى الاسم الرب فى اللسان المالك ولا ترد الفاتحة فان الراجح فيها عند المحققين هو الملك لا المالك (اله الناس) هو لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولى لترتيب مبادى حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وايضا ان ملك الناس اشارة الى حال الفناء فى الله كما اشرنا اليه واله الناس لبيان حال البقاء بالله لان الاله هو المعبود المطلق وذلك هو الذات مع جميع الصفات فلما فنى العبد فى الله ظهر كونه ملكا ثم رده الله الى الوجود لمقام العبودية فتم استعاذته من شر الوسواس لان الوسوسة تقتضى محلا وجوديا ولا وجود فى حال الفناء ولاصدر ولا وسوسة ولا موسوس بل ان ظهر هناك تلوين بوجود الانانية يقول اعوذ بك منك فلما صار معبودا بوجود العابد ظهر الشيطان بظهور العابد كما كان اولا موجودا بوجوده وايضا مقام الربوبية المقيدة بالناس هو حضرة الامام الذى على باب عالم الملكوت وفيها يشهد وهى موضع نظاره فانها ثلاث حضرات اختصت بثلاثة اسماء نالها ثلاثة رجال وهى حضرت الرب والملك والاله فرجالها الامامان والقطب والامامان وزيران للقطب صاحب الوقت وينفرد القطب بالكشف الذاتى المطلق كما ينفرد الامام الذى على يسار القطب بباب عالم الشهادة الذى لاسبيل الامام الثانى الذى على يمينه اليه وانما اضيف امام الربوبية للناس وهو مع الملكوتيات لانه لابد له عند موت الامام الثانى المسمى بالملك ان يرث مقامه بخلاف غيره وفى الارشاد تخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين فى سلك ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته لان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففى التنصيص على انتظامهم فى سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من هلكة الشيطان وتسلطه عليه حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير بالاضافة فان مالا شرف فيه لايعبأ به ولا يعاد ذكره بل يترك ويهمل وقد قال من قال

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره　*　هو المسك ما كررته يتضوع

والتضوع بوى خوش دميدن فلولا ان الناس اشرف مخلوقاته لما ختم كتابه بذكرهم (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة وهو الصوت الخفى الذى لايحس فيحترز منه كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر

والفرق بين المصدر واسم المصدر هو ان الحدث ان اعتبر صدوره عن الفاعل ووقوعه على المفعول سمي مصدرا واذا لم يعتبر بهذه الحيثية سمي اسم مصدر ولما كانت الوسوسة كلاما يكرره الموسوس ويؤكده عند من يلقيه اليه كرر لفظها بازاء تكرير معناها والمراد بالوسواس الشيطان لانه يدعو الى المعصية بكلام خفي يفهمه القلب من غير ان يسمع صوته وذلك بالاغرار بسعة رحمة الله او يخيل ان له في عمره سعة وان وقت التوبة باق بعد سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة لدوام وسوسته فقد اوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بانه الوسواس الخ ولم يقل من شر وسوسته لتعم الاستعاذة شره جميعه وانما وصفه باعظم صفاته واشدها شرا واقواها تأثيرا واعمها فسادا وانما استعاذ منه بالاله دون بعض اسمائه كما في السورة الاولى لان الشيطان هو الذي يقابل الرحمن ويستولي على الصورة الجمعية الانسانية ويظهر في صور جميع الاسماء ويتمثل بها الا بالله والرحمن فلم تكف الاستعاذة منه بالهادي والعليم والقدير وغير ذلك فلهذا لما تعوذ من الاحتجاب والضلالة تعوذ برب الفلق وههنا تعوذ برب الناس ومن هذا يفهم معنى قوله عليه السلام من رآني فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وكذا لا يتمثل بصور الكمل من امته لانهم مظاهر الهداية المطلقة قال بعض الكبار الالقاء اما صحيح او فاسد * فالصحيح الهي رباني متعلق بالعلوم والمعارف او ملكي روحاني وهو الباعث على الطاعة وعلى كل ما فيه صلاح ويسمى الهاما * والفاسد نفساني وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجسا او شيطاني وهو يدعو الى معصية ويسمى وسواسا وفي آكام المرجان ويحصر ما يدعو الشيطان اليه ابن آدم في ست مراتب المرتبة الاولى الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله فاذا ظفر بذلك من ابن آدم برد انينه واستراح من تعبه معه وهذا اول ما يريده من العبد والمرتبة الثانية البدعة وهي احب الى ابليس من المعصية لان المعصية يتاب منها فتكون كالعدم والبدعة يظن صاحبها انها صحيحة فلا يتوب منها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الثالثة وهي الكبائر على اختلاف انواعها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الرابعة وهي الصغائر التي اذا اجتمعت اهلكت صاحبها كالنار الموقدة من الحطب الصغار فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الخامسة وهي اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب الذي فات عليه باشتغاله بها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة السادسة وهي ان يشغله بالعمل المفضول عما هو افضل منه ليفوته ثواب العمل الفاضل ومن الشياطين شيطان الوضوء ويقال له الولهان بفتحتين وهو شيطان يولع الناس بكثرة استعمال الماء قال عليه السلام تعوذوا بالله من وسوسة الوضوء ومنهم شيطان له يقال له خنزب وهو الملبس على المصلي في صلاته وقراءته قال ابو عمرو البخاري رحمهما الله اصل الوسوسة ونتيجتها من عشرة اشياء اولها الحرص فقابله بالتوكل والقناعة والثاني الامل فاكسره بمفاجاة الاجل والثالث التمتع بشهوات الدنيا فقابله بزوال النعمة وطول الحساب والرابع الحسد فاكسره برؤية العدل والخامس البلاء فاكسره برؤية المنة والعوافي والسادس الكبر فاكسره بالتواضع والسابع الاستخفاف بحرمة المؤمنين فاكسره بتعظيمهم واحترامهم والثامن حب الدنيا والمحمدة فاكسره بالاخلاص والتاسع طلب العلو والرفعة فاكسره بالخشوع والذلة والعاشر المنع والبخل فاكسره بالجود والسخاء (الخناس) الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه (حكي) ان بعض الاولياء سأل الله تعالى ان يريه كيف يأتي الشيطان ويوسوس فاراه الحق تعالى هيكل الانسان في صورة بلور وبين كتفيه خال اسود كالعش والوكر فجاء الخناس يتحسس من جميع جوانبه وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء بين الكتفين فادخل خرطومه قبل قلبه فوسوس اليه فذكر الله فخنس وراءه ولذلك سمي بالخناس لانه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر في القلب ولهذا السر الالهي كان عليه السلام يحتجم بين كتفيه ويأمر بذلك ووصاه جبرائيل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لانه يجري وسوسته مجرى الدم ولذلك كان خاتم النبوة بين كتفيه عليه السلام اشارة الى عصمته من وسوسته لقوله اعانني الله عليه فاسلم اي بالختم الالهي وشرح الصدر ايده وبالعصمة الكلية خصه فاسلم قرينه وما اسلم قرين آدم عليه السلام فوسوس اليه لذلك ويجوز ان يدخل الشيطان في الاجسام لانه جسم لطيف وهو وان كان مخلوقا في الاصل من نار لكنه ليس بمحرق لانه لما امتزج النار بالهواء صار تركيبه مزاجا مخصوصا كتركيب الانسان وفي الوسواس اشارة الى الوسواس الحاصل

من القوة الحسية والخيالية وفي الخناس الى القوة الوهمية المتأخرة عن مرتبتي القوتين فانهما تساعد العقل
في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست وتأخرت توسوسه وتشككه كما تحكم الوهم بالخوف من الموتى
مع انه يوافق العقل في ان الميت جماد والجماد لا يخاف منه فينتج لقولنا الميت لا يخاف منه فاذا وصل العقل
والوهم الى النتيجة نكص الوهم وانكرها (الذي يوسوس في صدور الناس) اذا غفلوا عن ذكره تعالى ولذا قيل
في التأويلات النجمية اى الناسي ذكر الله بالقلب والسر والروح كما قال تعالى يوم يدعو الداع بحذف الياء
النسي ومحل الموصول الجر على الوصف فلا وقف على الخناس او النصب او الرفع على الذم فيحسن الوقف عليه
ذكر سبحانه وتعالى وسوسته اولا ثم ذكر محلها وهو صدور الناس تأمل السر في قوله يوسوس
في صدور الناس ولم يقل في قلوبهم والصدر هو ساحة القلب وبيته فمنه تدخل الواردات عليه فتجتمع في الصدر
ثم تلج في القلب فهو بمنزلة الدهليز وهو بالكسر ما بين الباب والدار ومن القلب تخرج الارادات والامر الى الصدر
ثم تتفرق على الجنود فالشيطان يدخل ساحة القلب وبيته فيلقي ما يريد القاءه الى القلب فهو يوسوس في الصدور
ووسوسته واصلة الى القلوب قال بعض ارباب الحقيقة للقلب امرآء خمسة ملكية يسمون الحواس كحاسة
البصر وحاسة السمع وحاسة الشم وحاسة الذوق وحاسة اللمس وامرآء خمسة ملكوتية يسمون ارواحا
كالروح الحيواني والروح الخيالي والروح الفكري والروح العقلي والروح القدسي فاذا نفذ الامر الالهي
الى احد هؤلاء الامرآء من القلب بادر لامتثال ما ورد عليه على حسب حقيقته وقس عليه الخواطر والوساوس
فان عزم الانفعال يخرج كلا منها الى الخارج ويجريها من طرق الحواس والقوى وقوله في صدور الناس
يدل على انه لا يوسوس في صدور الجن قال في آكام المرجان لم يرد دليل على ان الجني يوسوس في صدور الجني
ويدخل فيه كما يدخل في الانسي ويجري منه مجراه من الانسي (من الجنة والناس) الجنة بالكسر جماعة
الجن ومن بيان للذي يوسوس على انه ضربان جني وانسي كما قال تعالى شياطين الانس والجن والموسوس اليه
نوع واحد وهو الانس فكما ان شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس اخرى فشيطان الانس يكون
كذلك وذلك لانه يلقي الاباطيل ويرى نفسه في صورة الناصح المشفق فان زجره السامع يخنس ويترك الوسوسة
وان قبل السامع كلامه بالغ فيه قال في الاسئلة المقحمة من دعا غيره الى الباطل فان تصوره في قلبه كان ذلك
وسوسة وقد قال تعالى ونعلم ما توسوس به نفسه فاذا جاز ان توسوسه نفسه جاز ان يوسوسه غيره فان حقيقة
الوسواس لا تختلف باختلاف الاشخاص ويجوز ان تكون من متعلقة بيوسوس فتكون لابتداء الغاية اى
يوسوس في صدورهم من جهة الجن انهم يعلمون الغيب ويضرون وينفعون ومن جهة الناس كالكهان والمنجمين
كذلك وفي الجنة اشارة الى القوى الباطنة المستجنة المستورة اذ سمي الجن بالجن لاستجنانه وفي الناس الى القوى
الظاهرة اذ الناس من الايناس وهو الظهور كما قال آنست نارا وفي هذا المقام لطيفة بالغة وهي ان المستعاذ به
في السورة الاولى مذكور بصفة واحدة وهي انه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة انواع من الآفات وهي
الغاسق والنفاثات والحاسد واما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بثلاثة اوصاف وهي الرب والملك
والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الوسوسة ومن المعلوم ان المطلوب كلما كان اهم والرغبة فيه اتم واكثر
كان ثناء الطالب قبل طلبه اكثر واوفر والمطلوب في السورة المتقدمة هو سلامة البدن من الآفات المذكورة
وفي هذه السورة سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بهذا ان في نظم السورتين الكريمتين تنبيها
على ان سلامة الدين من وسوسة الشيطان وان كانت امرا واحدا الا انها اعظم مراد واهم مطلوب وان سلامة
البدن من تلك الآفات وان كانت امورا متعددة ليست بتلك المثابة في الاهتمام وفي آكام المرجان سورة الناس
مشتملة على الاستعاذة من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي كلها وهو الشر الداخل في الانسان
الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة وسورة الفلق تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد
نفسه وهو شر من خارج فالشر الاول لا يدخل تحت التكليف ولا يطلب منه الكف عنه لانه ليس من كسبه
والشر الثاني يدخل تحت التكليف ويتعلق به النهي وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق
وقل اعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يصنع

ذلك ثلاث مرات وفى قوت القلوب للشيخ ابى طالب المكى قدس سره وليجعل العبد مفتاح درسه ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذبك من همزات الشياطين واعوذبك رب ان يحضرون وليقرأ قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسوله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحى القيوم * وفى اسئلة عبد الله بن سلام اخبرنى يا محمد ما ابتداء القرآن وما ختمه قال ابتداؤه بسم الله الرحمن الرحيم وختمه صدق الله العظيم قال صدقت وفى خريدة العجايب يعنى ينبغى ان يقول القارئ ذلك عند الختم والافختم القرآن سورة الناس وفى الابتداء بالباء والاختتام بالسين اشارة الى لفظ بس يعنى حسب اى حسبك من الكونين ما اعطيناك بين الحرفين كما قال الحكيم سنائى رحمه الله * اول وآخر قرآن زچه باآمد وسين * يعنى اندرره دين رهبرتو قرآن بس * يقول الفقير ايده الله القدير ان الله تعالى ابتدأ القرآن بسم الله وختمه بالناس اشارة الى ان الانسان آخر المراتب الكونية كما ان الكلام آخر المراتب الآلهية وذلك لان ابتداء المراتب الكونية هو العقل الاول وانتهاؤها الانسان ومجموعها عدد حروف التهجى واول المراتب الالهية هو الحياة وآخرها الكلام ولذا كان اول مايظهر من المولود الحياة وهو جنين وآخر مايظهر منه الكلام وهو موضوع لان الله تعالى خلق آدم على صورته فكان اول الكلام القرآنى اسم الله لانه المبدأ الاول وآخره الناس لان الانس هو المظهر الآخر والمبتدئ يعرج تماما الى ان ينتهى الى المبدأ الاول واسمه العالى والمنتهى ينزل تلاوة الى ان ينتهى الى ذكر الانس السافل وحقيقته ان الله تعالى هو المبدأ جلاء والمنتهى استجلاء وهو الاول بلا بداية والآخر بلا نهاية (روى) عن ابن كثير رحمه الله انه كان اذا انتهى فى آخر الختمة الى قل اعوذ برب الناس قرأ سورة الحمد لله رب العالمين وخمس آيات من اول سورة البقرة على عدد الكوفى وهو الى واولئك هم المفلحون لان هذا يسمى حال المرتحل ومعناه انه حل فى قراءته آخر الختمة وارتحل الى ختمة اخرى ارغاما للشيطان وصار العمل على هذا فى امصار المسلمين فى قراءة ابن كثير وغيرها وورد النص عن الامام احمد بن حنبل رحمه الله ان من قرأ سورة الناس يدعو عقيب ذلك فلم يستحب ان يصل ختمه بقراءة شئ وروى عنه قول آخر بالاستحباب واستحسن مشايخ العراق قراءة سورة الاخلاص ثلاثا عند ختم القرآن الا ان يكون الختم فى المكتوبة فلا يكررها وفى الحديث من شهد خاتمة القرآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم ومن شهد فاتحة القرآن كان كمن شهد فتحا فى سبيل الله تعالى وعن الامام البخارى رحمه الله انه قال عند كل ختمة دعوة مستجابة واذا ختم الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه ومن شك فى غفرانه عند الختم فليس له غفران ونص الامام احمد على استحباب الدعاء عند الختم وكذا جماعة من السلف فيدعو اماما حب مستقبل القبلة رافعا يديه خاضعا لله موقنا بالاجابة ولا يتكلف السجع فى الدعاء بل يجتنبه ويثنى على الله تعالى قبل الدعاء وبعده ويصلى على النبى عليه السلام ويمسح وجهه بيديه بعد فراغه من الدعاء وعنه عليه السلام انه امر على بن ابى طالب رضى الله عنه ان يدعو عند ختم القرآن بهذا الدعاء وهو اللهم انى اسألك اخبات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقائق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من النار وفى شرح الجزرى لابن المصنف ينبغى ان يلح فى الدعاء وان يدعو بالامور المهمة والكلمات الجامعة وان يكون معظم ذلك اوكله فى امور الآخرة وامور المسلمين وصلاح سلاطينهم وسائر ولاة امورهم فى توفيقهم للطاعات وعصمتهم من المخالفات وتعاونهم على البر والتقوى وقيامهم بالحق عليه وظهورهم على اعداء الدين وسائر المخالفين ومما كان يقول النبى عليه السلام عند ختم القرآن اللهم ارحمنى بالقرآن العظيم واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل واطراف النهار واجعله حجة لى يارب العالمين وكان ابو القاسم الشاطبى رحمه الله يدعو بهذا الدعاء عند ختم القرآن اللهم انا عبيدك وابناء عبيدك وابناء امائك ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك نسألك اللهم بكل اسم هولك سميت به نفسك اوعلمته احدا من خلقك وانزلته فى شئ من كتابك اواستأثرت به فى علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وجلاء احزاننا وهمومنا وسائقنا وقائدنا اليك والى جنتك جنات النعيم ودارك دار السلام

مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين برحمتك يا ارحم الراحمين * يقول الفقير رافعا يديه الى الرب القدير اللهم انى اعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقد انجزت لى ما وعدتنى انك لا تخلف الميعاد وجعلت رؤياى حقا واحسنت بى اذ اخرجتنى من سجن الهم وخاطبتنى عند ذلك بقولك سل تعط فجعلت منتهى سؤلى رضاك و بشرتنى بقبول خدمتى هذه حيث قلت فتقبلها ربها بقبول حسن وكنت ادعوك باتمام النعمة واكمال المنة فلم اكن بدعائك رب شقيا فانعم على فيما بقى من عمرى القليل باضعاف ما عودتنى به قبل هذا من انواع آلائك واصناف نعمائك واختم لى بخير وهدى ونور * و بكل بر وسعادة وسرور * وصل على نبيك النبيه الذى هو مفتاح الخيرات * ومصباح السائرين الى منازل القربات فى جنح الاوقات * وعلى آله

واصحابه القادة * ومن تبعهم من السادة * هذا وقد تم تحرير روح البيان *
فى تفسير القرآن * فى مدة الوحى تقريبا لما ان قسى الاقدار رمتنى الى اقاصى اقطار
الارض * وايدى الاسفار النائية تداولتنى من طول الى عرض * حتى اقامنى
الله مقام الاتمام * فجاء باذن الله التمام * يوم الخميس الرابع عشر
من جمادى الاولى المنتظم فى سلك شهور سنة سبع عشرة
ومائة والف * من هجرة من يرى
من قدام وخلف *

وقلت فى تاريخه نظما

ان من جناب ذى المنن * ختم تفسير الكتاب المستطاب
قال فى تاريخه حقى الفقير * حامدالله قد تم الكتاب

وقلت بحساب الحروف المنقوطة

وقع الختم بجود البارى

وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

تاريخ فخر الموالى عبد الهادى افندى باقى زاده

ذا كتاب ندرت امثاله * لاجرم من اعظم الآثار
روضة اسطرها اشجار * اثمرت فاكهة الاسرار
اسمه روح بيان حقا * راحة القلب لدى الابرار
در من الفه لله * قطب عصره وفى الاقطار
فضله الظاهر فوق الرازى * علمه الباطن كالعطار
دام بالفضل و بالارشاد * صانه الله من اكدار
ارخ الختم بذا التاريخ * لب تفسير كلام البارى

تاريخ فخر المدرسين محمد افندى رمزى

كان تاريخ ختمه المختوم

تاريخ فخر الوعاظ السيد نورى افندى

قلنا الذى تمامه * ارخ ولله ختامه

تاريخ ابراهيم اغا صاصا فى المدائنوى

بم اسرار خدا

م
قد طبع فى المطبعة العامرة فى اواخر شهر شوال
سنه خمسه وثمانين ومائتين والف من الهجرة النبوية
١٢٨٥